1

الملك لله دخل في حفظ عبده
الحاجي بشير آغا دار السعادة الشريفة
لسنة اثنين وخمسين ومائة
والف

هذه النسخة الجليلة من وقف حضرت مولانا صاحب الخيرات الحسان ... الجود والاحسان منور مصابيح المعالي ... انوار العناية
مصحح معاقد المراصد ... الكفاية جامع محاسن العلم والعمل حائز مجامع البر الاكمل الا وهو آغا دار السعادة
الحاج بشير وقفه للخير المزيد والبر الكثير من هو على كل شيء قدير ... العصر ... سبحانه وتعالى
محمد امين المفتش باوقاف الحرمين المحترمين عفي عنه

سورة مريم مكية وهي تسعون وثمان او تسع آية

وتسعون صح

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿كهيعص ذكر رحمة ربك عبده زكريا إذ نادى ربه نداء خفيا قال رب إني وهن العظم مني واشتعل الرأس شيبا ولم أكن بدعائك رب شقيا وإني خفت الموالي﴾ بفتح الهاء وكسر الياء حمزة وبكسرهما عاصم وبضمهما الحسن وقراء الحسن ذكر رحمة ربك اى هذا المتلو من القرآن ذكر رحمة ربك وقرئ ذكّر على الامر راعى سنة الله في اخفاء دعوته لان الجهر والاخفاء عند الله سيان فكان الاخفاء اولى لانه ابعد من الرياء وادخل في الاخلاص وعن الحسن نداء لا رياء فيه او اخفاه لئلا يلام على طلب الولد في ابان الكبرة والشيخوخة او اسرّه من مواليه الذين خافهم او خفت صوته لضعفه وهرمه كما جاء في صفة الشيخ صوته خفات وسمعه تارات واختلف في سن زكريا عليه السلام فقيل ستون وخمس وستون وسبعون وخمس وسبعون وخمس وثمانون قرئ وهن بالحركات الثلث وانما ذكر العظم لانه عمود البدن وبه قوامه وهو اصل بنائه فاذا وهن تداعى وتساقطت قوته ولانه اشد ما فيه واصلبه فاذا وهن كان ما وراءه اوهن ووحده لان الواحد هو الدال على معنى الجنسية وقصده الى ان هذا الجنس الذي هو العمود والقوام واشد ما تركب منه الجسد قد اصابه الوهن ولو جمع لكان قصدا الى معنى آخر وهو انه لم يهن منه بعض عظامه ولكن كلها ادغام السين في الشين عن ابي عمرو شبه الشيب بشواظ النار في بياضه وانارته وانتشاره في الشعر وفشوه فيه واخذه منه كل ماخذ باشتعال النار ثم اخرجه مخرج الاستعارة ثم اسند الاشتعال الى مكان الشعر ومنبته وهو الرأس واخرج الشيب مميزا ولم يضف الرأس اكتفاء بعلم المخاطب انه رأس زكريا فمن ثم فصحت هذه الجملة وشهد لها بالبلاغة توسل الى الله بما سلف له معه من الاستجابة وعن بعضهم ان محتاجا سأله وقال انا الذي احسنت الي وقت كذا فقال مرحبا بمن توسل بنا الينا وقضى حاجته كان مواليه وهم عصبته اخوته وبنو عمه شرار بني اسرائيل فخافهم على الدين ان يغيروه ويبدلوه وان لا يحسنوا الخلافة على امته فطلب عقبا من صلبه صالحا يقتدي به في احياء الدين ويرتسم مراسمه فيه من ورائي بعد موتي وقراء ابن كثير من وراي بالقصر وهذا الظرف لا يتعلق بخفت لفساد المعنى ولكن بمحذوف او بمعنى الولاية في الموالي اى خفت فعل الموالي وهو تبدلهم وسوء خلافتهم من ورائي او خفت الذين يلون الامر من ورائي وقرأ عثمان ومحمد بن علي وعلي بن الحسين رضي الله عنهم خفت الموالي من ورائي وهذا على معنيين احدهما ان يكون ورائي بمعنى خلفي وبعدي فيتعلق الظرف بالموالي اى قلوا وعجزوا عن اقامة امر الدين فسأل ربه تقويتهم ومظاهرتهم بولي يرزقه والثاني ان يكون بمعنى قدامي فيتعلق بخفت ويريد انهم خفوا قدامه ودرجوا ولم يبق منهم من به تقو واعتضاد ﴿فهب لي من لدنك﴾ تاكيد لكونه وليا مرضيا بكونه مضافا الى الله وصادرا من عنده والا فهب لي وليا يرثني كاف او اراد اختراعا منك بلا سبب لاني وامرأتي لا نصلح للولادة ﴿يرثني ويرث﴾ الجزم جواب الدعاء والرفع صفة ونحوه ردءا يصدقني وعن ابن عباس والجحدري يرثني وارث آل يعقوب وعن الجحدري او يرث على تصغير وارث وقال غليم صغير وعن علي رضي الله عنه وجماعة وارث من آل يعقوب اى يرثني به وارث ويسمى التجريد في علم البيان والمراد بالارث ارث الشرع والعلم لان الانبياء لا تورث المال وقيل يرثني الحبورة وكان حبرا ويرث من آل يعقوب الملك يقال ورثته وورثت منه لغتان وقيل من للتبعيض لا للتعدية لان آل يعقوب كلهم لم يكونوا انبياء ولا علماء وكان زكريا من نسل يعقوب بن اسحق وقيل هو يعقوب بن ماثان اخو زكريا وقيل يعقوب هذا وعمران ابو مريم اخوان من نسل سليمان بن داود ﴿واجعله رب رضيا يا زكريا إنا نبشرك بغلام اسمه يحيى لم نجعل له من قبل سميا قال رب أنى يكون لي غلام وكانت امرأتي عاقرا وقد بلغت من الكبر عتيا﴾ سميا لم يسم احد بيحيى قبله وهذا شاهد على ان الاسامي الشنع جديرة بالاثرة واياها كانت العرب تنتحي في التسمية لكونها انبه وانوه وانزه عن النبز حتى قال القائل في مدح قوم شنع الاسامي مسبلي ازر حمر تمس الارض بالهدب وقال رؤبة للنسابة البكري وقد سأله عن نسبه انا ابن العجاج فقال قصرت وعرفت وقيل مثلا وشبيها عن مجاهد كقوله هل تعلم له سميا وانما قيل للمثل سمي لان كل متشاكلين يسمى كل واحد منهما باسم المثل والشبيه والشكل والنظير فكل واحد منهما سمي لصاحبه ونحو يحيى في اسمائهم يعمر ويعيش ان كانت التسمية عربية وقد سموا بيموت ايضا وهو موت بن المزرع قالوا لم يكن له مثل في انه لم يعص ولم يهم بمعصية قط وانه ولد بين شيخ فان وعجوز عاقر وانه كان حصورا اى كانت على صفة العقر حين انا شاب وكهل فما رزقت الولد لاختلال احد السببين افحين اختل السببان جميعا ارزقه **فان قلت** لم طلب اولا وهو وامرأته على صفة العتي والعقر فلما اسعف بطلبته استبعد واستعجب **قلت** ليجاب بما اجيب به فيزداد المؤمنون ايقانا ويرتدع المبطلون والا فمعتقد زكريا

قوله لان الانبياء لا تورث هو من ورث يقال ورث زيد اباه مالا يرث وراثة فزيد وارث والاب والمال كلاهما موروث ومنه نحن معاشر الانبياء لا نورث فكان المصنف قال لا تورث منهم المال وانما ذكر منهم مع ان ورث متعد بنفسه لزيادة بيان المعنى وتوضيحه قوله وقيل من للتبعيض عطف على قوله تعالى ورثته وورثت منه لغتان لانه كان اشارة الى انه من آل يعقوب للتعدية

اى انما كان طلب زكريا ليجاب بقوله تعالى كذلك قال ربك الى آخره فيحصل الفائدة من ازدياد الايقان والارتداع ولم يكن سواله للاستبعاد والاستعجاب ثم قال والا اى وان لم يحمل سواله على طلب الاجابة المذكورة وحمل على الاستبعاد والاستعجاب لا يستقيم لان معتقد زكريا كان على ذكره

قوله عند الله اى في علمه لانه يسمع كليهما ويعلمهما واذا كان في علمه سيان كان الاخفاء اولى

خفت الصوت خفوتا سكن

اولاً واخراً كان على منهاج واحد في ان الله غني عن الاسباب اي بلغت عتيا وهو اليبس والجساوة في المفاصل والعظام كالعود القاحل يقال عتا العود وعسا من اجل الكبر والطعن في السن العالية او بلغت من مدارج الكبر ومراتبه ما يسمى عتيا وقرا ابن وثاب وحمزة والكسائي بكسر العين و كذلك صليا وابن مسعود بفتحهما فيهما وقرا ابي ومجاهد عسيا قال كذلك الكاف رفع اي الامر كذلك تصديق له ثم ابتداء قال ربك او نصب بقال وذلك اشارة الى مبهم يفسره هو علي هين ونحوه وقضينا اليه ذلك الامر ان دابر هؤلاء مقطوع مصبحين وقرا الحسن وهو علي هين ولا يخرج هذا الا على الوجه الاول اي الامر كما قلت وهو على ذلك يهون علي ووجه آخر وهو ان يشار بذلك الى ما تقدم من وعد الله لا الى قول زكريا وقال محذوف في كلتا القراءتين اي قال هو علي هين قال وهو علي هين وان شئت لم تنوه لان الله هو المخاطب والمعنى انه قال ذلك ووعده وقوله الحق وقد خلقتك من قبل ولم تك شيئا لان المعدوم ليس بشيء او شيئا يعتد به كقولهم عجبت من لا شيء وقوله اذا راى غير شيء ظنه رجلا وقرا الاعمش والكسائي خلقناك قال رب اجعل لي آية قال آيتك ان لا تكلم الناس ثلث ليال سويا فخرج على قومه من المحراب فاوحى اليهم ان سبحوا بكرة وعشيا اي اجعل لي علامة اعلم بها وقوع ما بشرت به قال علامتك ان تمنع الكلام فلا تطيقه وانت سليم الجوارح سوي الخلق ما بك خرس ولا بكم دل ذكر الليالي هنا والايام في آل عمران على ان المنع من الكلام استمر به ثلثة ايام ولياليهن اوحى اشار عن مجاهد و يشهد له الا رمزا وعن ابن عباس كتب لهم على الارض سبحوا صلوا او على الظاهر وان هي المفسرة يا يحيى خذ الكتاب بقوة وآتيناه الحكم صبيا اي خذ التورية بجد واستظهار بالتوفيق والتائيد الحكم الحكمة ومنه واحكم كحكم فتاة الحي يقال حكم حكما كحلم حلما وهو الفهم للتورية والفقه في الدين عن ابن عباس وقيل دعاه الصبيان الى اللعب وهو صبي فقال ما للعب خلقنا عن الضحاك وعن معمر العقل وقيل النبوة لان الله احكم عقله في صباه واوحى اليه وحنانا من لدنا وزكوة وكان تقيا وبرا بوالديه ولم يكن جبارا عصيا وسلام عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حيا حنانا رحمة لابويه وغيرهما وتعطفا وشفقة انشد سيبويه وقالت حنان ما اتى بك ههنا اذو نسب ام انت بالحي عارف وقيل حنانا من الله عليه وحن في معنى ارتاح واشتاق ثم استعمل في العطف والرافة وقيل لله حنان كما قيل رحيم على سبيل الاستعارة والزكوة الطهارة وقيل الصدقة اي يتعطف على الناس ويتصدق عليهم

سلم الله عليه في هذه الاحوال قال ابن عيينة انها اوحش المواطن واذكر في الكتاب مريم اذ انتبذت من اهلها مكانا شرقيا فاتخذت من دونهم حجابا فارسلنا اليها روحنا فتمثل لها بشرا سويا اذ بدل من مريم بدل الاشتمال لان الاحيان مشتملة على ما فيها وفيه ان المقصود بذكر مريم ذكر وقتها هذا لوقوع هذه القصة العجيبة فيه والانتباذ الاعتزال والانفراد تخلت للعبادة في مكان مما يلي شرقي بيت المقدس او من دارها معتزلة عن الناس وقيل قعدت في مشرفة للاغتسال من الحيض محتجبة بحائط او بشيء يسترها وكان موضعها المسجد فاذا حاضت تحولت الى بيت خالتها فاذا طهرت عادت الى المسجد فبينا هي في مغتسلها اتاها الملك في صورة آدمي شاب امرد وضيء الوجه جعد الشعر سويا سوي الخلق لم ينتقص من الصورة الآدمية شيئا او حسن الصورة مستوي الخلق وانما مثل لها في صورة الانسان لتستانس بكلامه ولا تنفر عنه ولو بدا لها في الصورة الملكية لنفرت و لم تقدر على استماع كلامه ودل على عفافها وورعها انها تعوذت بالله من تلك الصورة الجميلة الفائقة الحسن وكانت تمثيله على تلك الصفة ابتلاء لها وسبرا لعفتها وقيل كانت في منزل زوج اختها زكريا ولها محراب على حدة تسكنه وكان زكريا اذا خرج اغلق عليها فتمنت ان تجد خلوة في الجبل لتفلي راسها فانفرج السقف لها فخرجت فجلست في المشرقة وراء الجبل فاتاها الملك وقيل قام بين يديها في صورة ترب لها اسمه يوسف من خدم بيت المقدس وقيل ان النصارى اتخذت المشرق قبلة لانتباذ مريم مكانا شرقيا الروح جبريل لان الدين يحيى به وبوحيه او سماه الله روحه على المجاز محبة له وتقريبا كما تقول لحبيبك انت روحي وقرا ابو حيوة روحنا بالفتح لانه سبب لما فيه روح العباد واصابة الروح عند الله الذي هو عدة المقربين في قوله فاما ان كان من المقربين فروح وريحان او لانه من المقربين وهم الموعودون بالروح اي مقربنا وذا روحنا قالت اني اعوذ بالرحمن منك ان كنت تقيا ارادت ان كانت يرجى منك ان تتقي الله وتخشاه وتحفل بالاستعاذة به فاني عائذة به منك كقوله تعالى بقية الله خير لكم ان كنتم مؤمنين اي انما انا رسول من استعذت به ربك لاهب لك لاكون سببا في هبة الغلام بالنفخ في الدرع وفي بعض المصاحف انما انا رسول ربك امرني ان اهب لك او هي حكاية لقول الله عز وجل غلاما زكيا قالت انى يكون لي غلام ولم يمسسني بشر ولم اك بغيا قال كذلك قال ربك هو علي هين جعل المس عبارة عن النكاح الحلال لانه كناية عنه كقوله من قبل ان تمسوهن او لامستم النساء والزنى ليس كذلك انما يقال فيه فجر بها وخبث بها وما اشبه ذلك وليس بقمن

ان تأتى فيه الكنايات والآداب والبغي الفاجرة التي تبغي الرجال وهي فعول عند المبرد بغوى
فادغمت الواو في الياء وقال ابن جني في كتاب التمام هي فعيل ولو كانت فعولا لقيل بغو كما
قيل فلان نهو عن المنكر ولنجعله آية للناس ورحمة منا وكان أمرا تعليل معلله محذوف اي
ولنجعله آية للناس فعلنا ذلك او هو معطوف على تعليل مضمر اي لنبين به قدرتنا ولنجعله
آية ونحوه وخلق الله السموات والارض بالحق ولتجزى كل نفس بما كسبت وقوله وكذلك مكنا
ليوسف في الارض ولنعلمه مقضيا مقدرا مسطورا في اللوح لا بد لك من جريه عليك او كان امرا
حقيقا بان يكون ويقضى لكونه آية ورحمة والمراد بالآية العبرة والبرهان على قدرة الله و
بالرحمة الشرائع والالطاف وما كان سببا في قوة الاعتقاد والتوصل الى الطاعة والعمل الصالح
فهو جدير بالتكوين عن ابن عباس فاطمأنت الى قوله فدنا منها فنفخ في جيب درعها فوصلت
النفخة الى بطنها فحملت وقيل كانت مدة الحمل ستة اشهر وعن عطاء وابى العالية والضحاك
سبعة اشهر وقيل ثمانية اشهر ولم يعش مولود وضع لثمانية الا عيسى وقيل ثلث ساعات
وقيل حملته في ساعة وصور في ساعة ووضعته في ساعة حين زالت الشمس من يومها وعن ابن عباس
كانت مدة الحمل ساعة واحدة كما حملته نبذته وقيل حملته وهي بنت ثلث عشرة سنة وقيل
بنت عشر وقد كانت حاضت حيضتين قبل ان تحمل وقالوا ما من مولود الا يستهل غيره فحملته
فانتبذت به مكانا اي اعتزلت وهو في بطنها كقوله تدوس بنا الجماجم والتريبا اي تدوس
الجماجم ونحن على ظهورها ونحوه قوله تعالى تنبت بالدهن اي تنبت ودهنها فيها الجار والمجرور
في موضع الحال قصيا بعيدا من اهلها وراء الجبل وقيل اقصى الدار وقيل كانت سميت
لابن عم لها اسمه يوسف فلما قيل حملت من الزنا خاف عليها قتل الملك فهرب بها فلما كان
ببعض الطريق حدثته نفسه بان يقتلها فاتاه جبريل فقال انه من روح القدس فلا تقتلها
فتركها فاجاءها المخاض الى جذع النخلة قالت يا ليتني مت قبل هذا اجاء منقول من جاء الا ان
استعماله قد تغير بعد النقل الى معنى الالجاء الا تراك لا تقول جئت المكان واجاءنيه
زيد كما تقول بلغته وابلغنيه ونظيره آتى حيث لم يستعمل الا في الاعطاء ولم يقل اتيت
المكان وآتانيه فلان قرأ ابن كثير في رواية المخاض بالكسر يقال مخضت الحامل مخاضا و
مخاضا وهو تمخض الولد في بطنها طلبت الجذع لتستتر به وتعتمد عليه عند الولادة وكان جذع
نخلة يابسة في الصحراء ليس لها راس ولا ثمرة ولا خضرة وكان الوقت شتاء والتعريف لا

يخلو اما ان يكون من تعريف الاسماء الغالبة كتعريف النجم وابن الصعق كان تلك الصحراء كان فيها
جذع نخلة متعالم عند الناس فاذا قيل جذع النخلة فهم منه ذلك دون غيره من جذوع النخل واما
ان يكون تعريف الجنس اي جذع هذه الشجرة خاصة كان الله تعالى انما ارشدها الى النخلة ليطعمها
منها الرطب الذي هو خرسة النفساء الموافقة لها ولان النخلة اقل شيء صبرا على البرد وثمارها
انما هو من جمارها فلموافقتها لها مع جميع الآيات فيها اختارها لها والجاها اليها قرئ مت
بالضم والكسر يقال مات يموت ومات يمات وكنت نسيا منسيا النسي اسم ما من حقه ان يطرح وينسى
كخرقة الطامث ونحوها كالذبح اسم ما من شأنه ان يذبح في قوله تعالى وفديناه بذبح عظيم وعن يونس
العرب اذا ارتحلوا عن الدار قالوا انظروا انساءكم اي الشيء اليسير نحو العصا والقدح والشظاظ
تمنت لو كانت شيئا تافها لا يؤبه له من شأنه وحقه ان ينسى في العادة وقد نسي وطرح فوجد فيه
النسيان الذي هو حقه وذلك لما لحقها من فرط الحياء والتشور من الناس على حكم العادة البشرية
لا كراهة لحكم الله او لشدة التكليف عليها اذ بهتوها وهي عارفة ببراءة الساحة وبضد ما قرفت
به من اختصاص الله اياها بغاية الاجلال والاكرام لانه مقام دحض قلما تثبت عليه الاقدام
ان تعرف اغتباطك بامر عظيم وفضل باهر تستحق به المدح وتستوجب التعظيم ثم تراه عند
الناس لجهلهم به عيبا تعاب به وتعنف بسببه او لخوفها على الناس ان يعصوا الله بسببها وقرأ
ابن وثاب والاعمش وحمزة نسيا بالفتح قال الفراء هما لغتان كالوتر والوتر والجسر والجسر
ويجوز ان يكون مسمى بالمصدر كالحمل وقرأ محمد بن كعب القرظي نسئا بالهمز وهو الحليب المخلوط
بالماء ينسؤه اهله لقلته ونزارته وقرأ الاعمش منسيا بالكسر على الاتباع كالمغيرة والمنخر
فناداها من تحتها الا تحزني قد جعل ربك تحتك سريا وهزي اليك بجذع النخلة من تحتها هو جبريل عليه
السلام قيل كان يقبل الولد كالقابلة وقيل هو عيسى وهي قراءة عاصم وابي عمرو وقيل
تحتها اسفل من مكانها كقوله تجري من تحتها الانهار وقيل كان اسفل منها تحت الاكمة فصاح
بها لا تحزني وقرأ نافع وحمزة والكسائي وحفص من تحتها وفي ناداها ضمير الملك وعيسى
وعن قتادة الضمير في تحتها للنخلة وقرأ زر وعلقمة فخاطبها من تحتها سئل النبي صلى الله
عليه وسلم عن السري فقال هو الجدول قال لبيد فتوسطا عرض السري فصدعا
مسجورة متجاورا قلامها وقيل هو من السرو والمراد عيسى وعن الحسن كان والله عبدا سريا
فان قلت ما كان حزنها لفقد الطعام والشراب حتى تسلى بالسري والرطب قلت

قوله او على معنى يعني بكون المفعول به محذوفا ويكون بعد الحذف نسيا منسيا كان فعله من جنس الافعال الغير المتعديه كما يبنى الفاعل عندنا ، الفعل للمفعول واستشهد والمحل الجدب ومو انقطاع المطر ويبس المطر والبا، للسببيه لا للظرفيه هكذا ذكره بعضهم واظن ان الاولى ان يقال هي مثل البا، في قولك ضربت بالسوط وقوله من ذي ضرعها يريد به اللبن لانه يكون في الضرع ويجرح جواب الشرط ونصلي فاعله والمراد بالنصل السيف والعراقيب جمع عرقوب ومو العصب الغليظ الموتر فوق عقب الانسان ومعنى البيت اذا اعتذرت الناقة الى الضيف من قلة اللبن المحل اذ بحها للضيفان لما لبن بسبب المحل والجدب اذ بحها للضيفان ه

لم يقع التسلية بهما من حيث انهما طعام وشراب ولكن من حيث انهما معجزتان تريان الناس انها من اهل العصمة والبعد من الريبة وان مثلها مما قرفوها به بمعزل وان لها امورا الٰهية خارجة من العادات خارقة لما الفوا واعتادوا حتى يتبين لهم ان ولادها ليس ببدع من شانها تساقط عليك فيه تسع قراآت تساقط بادغام التاء وتتساقط باظهار التائين وتساقط بطرح الثانية ويساقط بالياء وادغام التاء وتساقط وتسقط ويسقط ويسقط وتسقط التاء للنخلة والياء للجذع ورطبا تمييزا ومفعول على حسب القراءة وعن المبرد جواز انتصابه بهزي وليس بذاك والباء في بجذع النخلة صلة للتاكيد كقوله ولا تلقوا بايديكم او على معنى فعلي الهز به كقوله يجرح في عراقيبها نصلي قالوا التمر للنفساء عادة من ذلك الوقت وكذلك التحنيك وقالوا كان من العجوة وقيل ما للنفساء خير من الرطب ولا للمريض خير من العسل وقيل اذا عسر ولادها لم يكن لها خير من الرطب وعن طلحة بن سليمان جنيا بكسر الجيم للاتباع اي جمعنا لك في السري والرطب فائدتين احديهما الاكل والشرب والثانية سلوة الصدر لكونهما معجزتين وهو معنى قوله فكلي واشربي وقري عينا اي وطيبي نفسا ولا تغتمي وارفضي عنك ما احزنك واهمك وقري وقري بالكسر لغة نجد فاما ترين من البشر احدا فقولي اني نذرت للرحمن ترئن بالهمز ابن الرومي عن ابي عمرو وهذا من لغة من يقول لبات بالحج وحلات السويق وذلك لتاخ بين الهمزة وحروف اللين في الابدال صوما صمتا وفي مصحف عبد الله صمتا وعن انس بن مالك مثله وقيل صياما الا انهم كانوا لا يتكلمون في صيامهم وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن صوم الصمت لانه نسخ في امته امرها الله بان تنذر الصوم لئلا تشرع مع البشر المتهمين لها في كلام لمعنيين احدهما ان عيسى عليه السلام يكفيها الكلام مما يبرئ به ساحتها والثاني كراهة مجادلة السفهاء ومناقلتهم وفيه ان السكوت عن السفيه واجب ومن اذل الناس سفيه لم يجد مسافها قيل اخبرتهم بانها نذرت الصوم بالاشارة وقيل سوغ لها ذلك بالنطق فلن اكلم اليوم انسيا اي اكلم الملائكة دون الانس فاتت به قومها تحمله قالوا يا مريم لقد جئت شيئا فريا يا اخت هرون ما كان ابوك امرأ سوء وما كانت امك بغيا الفري البديع ومو من فري الجلد هارون كان اخاها من ابيها من امثل بني اسرائيل وقيل هو اخو موسى صلوات الله عليهما وعن النبي صلى الله عليه وسلم انما عنوا هارون النبي وكانت من اعقابه في طبقة الاخوة وبينها وبينه الف سنة واكثر وعن السدي كانت من اولاده وانما قيل اخت هارون كما يقال يا اخا همدان اي يا واحدا منهم وقيل رجل صالح او طالح في زمانها شبهوها به اي كنت عندنا مثله في الصلاح او شتموها به ولم ترد اخوة النسب ذكر ان هارون الصالح تبع جنازته

قوله وعن النبي صلعم مقتصر للوجه الثاني وهو ان هرون هذا هو اخو موسى عليهما السلام وليس اخاها ، وقوله وعن السدي ببيت لمعنى الحديث وقوله وقيل رجل صالح اشارة الى الوجه الثالث وهو عطف على قوله وقيل ثم ذكر انه يرد اخوة النسب في هذا الوجه الاخير بخلاف الوجهين الاولين ه

اربعون الفا كلهم يسمى هرون تبركا به وباسمه فقالوا كنا نشبهك بهارون هذا وقرا عمر بن لجاء التيمي ما كان اباك امرأ سوء وقيل احتمل يوسف النجار مريم وابنها الى غار فلبثوا فيه اربعين يوما حتى تعلت من نفاسها ثم جاءت تحمله فكلمها عيسى في الطريق فقال يا اماه ابشري فاني عبد الله ومسيحه فلما دخلت به على قومها وهم اهل بيت صالحون تباكوا وقالوا ذلك وقيل هموا برجمها حتى تكلم عيسى فتركوها فاشارت اليه قالوا كيف نكلم من كان في المهد صبيا قال اني عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبيا وجعلني مباركا اينما كنت واوصاني بالصلوة والزكوة ما دمت حيا اي هو الذي يجيبكم اذا ناطقتموه وقيل كان المستنطق لعيسى زكريا وعن السدي لما اشارت اليه غضبوا وقالوا لسخريتها بنا اشد علينا من زناها وروى انه كان يرضع فلما سمع ذلك ترك الرضاع واقبل عليهم بوجهه واتكا على يساره واشار بسبابته وقيل كلمهم بذلك ثم لم يتكلم حتى بلغ مبلغا يتكلم فيه الصبيان كان لايقاع مضمون الجملة في زمان ماض مبهم يصلح لقريبه وبعيده وهو ههنا لقريبه خاصة والدال عليه معنى الكلام وانه مسوق للتعجب ووجه آخر ان يكون نكلم حكاية حال ماضية اي كيف عهد قبل عيسى ان يكلم الناس صبيا في المهد فيما سلف من الزمان حتى نكلم هذا انطقه الله اولا بانه عبد الله ردا لقول النصارى والكتاب هو الانجيل واختلفوا في نبوته فقيل اعطيها في طفولته اكمل الله عقله واستنباه طفلا نظرا في ظاهر الاية وقيل معناه ان ذلك سبق في قضائه او جعل الآتي لا محالة كانه قد وجد مباركا اينما كنت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم نفاعا حيث كنت وقيل معلما للخير وبرا بوالدتي ولم يجعلني جبارا شقيا وقرئ وبرا عن ابي نهيك جعل ذاته برا لفرط بره او نصبه بفعل في معنى اوصاني وهو كلفني لان اوصاني بالصلوة وكلفنيها واحد والسلام على يوم ولدت ويوم اموت ويوم ابعث حيا ذلك عيسى ابن مريم قيل ادخل لام التعريف لتعرفه بالذكر قبله كقولك جاءنا رجل فكان من فعل الرجل كذا والمعنى وذلك السلام الموجه الى يحيى في المواطن الثلثة موجه الي والصحيح ان يكون هذا التعريف تعريضا باللعنة على متهمي مريم عليها السلام واعدائها من اليهود وتحقيقه ان اللام للجنس فاذا قال وجنس السلام على خاصة فقد عرض بان ضده عليكم ونظيره قوله تعالى والسلام على من اتبع الهدى يعني ان العذاب على من كذب وتولى وكان المقام مقام مناكرة وعناد فهو مئنة لنحو هذا من التعريض قول الحق الذي فيه يمترون قراءة عاصم وابن عامر قول الحق بالنصب وعن ابن مسعود قال الحق وقال الله وعن الحسن قول الحق بضم القاف وكذلك في الانعام قوله الحق والقول والقال والقول في معنى واحد

قوله ويحتمل وذلك لانه اذا اريد بالقول عيسى للسببية المذكورة فيجوز ان يضاف القول الى الله تعالى وهو ظاهر ويجوز ان يضاف الى اللسان والصدق لانه قول محقق باللسان والصدق بعد عدم الاضطراب والريبة فالصدق طمانينة والكذب ريبة ٥

كالرهب والرهب والرهب وارتفاعه على انه خبر بعد خبر او بدل او خبر مبتداء محذوف واما انتصابه فعلى المدح ان فسر بكلمة الله وعلى انه مصدر موكد لمضمون الجملة ان اريد قول الثبات والصدق كقولك هو عبد الله الحق لا الباطل وانما قيل لعيسى كلمة الله وقول الحق لانه لم يولد الا بكلمة الله وحدها وهي قوله كن من غير واسطة اب تسمية للمسبب باسم السبب كما سمي العشب بالسماء والشحم بالندى ويحتمل اذا اريد بقول الحق عيسى ان يكون الحق اسم الله عز وجل وان يكون بمعنى الثبات والصدق ويعضده قوله الذي فيه يمترون اي امره حق يقين وهم فيه شاكون يمترون يشكون والمرية الشك او يتمارون يتلاحون قالت اليهود ساحر كذاب وقالت النصارى ابن الله وثالث ثلثة وقرا علي بن ابي طالب رضي الله عنه تمترون على الخطاب وعن ابي بن كعب قول الحق الذي كان الناس فيه يمترون كذب النصارى وبكتهم بالدلالة على انتفاء الولد عنه وانه مما لا يتاتى ولا يتصور في العقول وليس بمقدور عليه اذ من المحال غير المستقيم ان تكون ذاته كذات من ينشا منه الولد ثم بين احالة ذلك بان من اذا اراد شيا من الاجناس كلها اوجده بكن كان منزها من شبه الحيوان الوالد والقول ههنا مجاز ومعناه ان ارادته للشي يتبعها كونه لا محالة من غير توقف فشبه ذلك بامر الامر المطاع اذا ورد على المامور الممتثل وان الله ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم فاختلف الاحزاب من بينهم فويل للذين كفروا قرا المدنيون وابو عمرو بفتح ان ومعناه ولانه ربي وربكم فاعبدوه كقوله وان المساجد لله فلا تدعوا مع الله احدا والاستاذ وابو عبيد بالكسر على الابتداء وفي حرف ابي ان الله بالكسر بغير واو وبان الله اي بسببه لك فاعبدوه الاحزاب اليهود والنصارى عن الكلبي وقيل النصارى لتحزبهم ثلث فرق نسطورية ويعقوبية وملكانية وعن الحسن الذين تحزبوا على الانبياء لما قص عليهم قصة عيسى اختلفوا فيه من بين الناس من مشهد يوم عظيم اي من شهودهم هول الحساب والجزاء في يوم القيمة او من مكان الشهود فيه وهو الموقف او من وقت الشهود او من شهادة ذلك اليوم عليهم وان تشهد عليهم الملائكة والانبياء والسنتهم وايديهم وارجلهم بالكفر وسوء الاعمال او من مكان الشهادة او وقتها وقيل هو ما قالوه وشهدوا به في عيسى وامه اسمع بهم وابصر يوم ياتوننا لكن الظالمون اليوم في ضلال مبين وانذرهم يوم الحسرة لا يوصف الله تعالى بالتعجب وانما المراد ان اسماعهم وابصارهم يومئذ جدير بان يتعجب منهما بعد ما كانوا صما عميا في الدنيا وقيل معناه التهدد بما سيسمعون وسيبصرون مما يسوءهم ويصدع قلوبهم اوقع الظاهر اعني الظالمين موقع الضمير اشعارا بان لا ظلم اشد من ظلمهم حيث اغفلوا الاستماع والنظر حين يجدي عليهم ويسعدهم والمراد بالضلال المبين اغفال النظر والاستماع قضي الامر فرغ من الحساب وتصادر الفريقان الى

اي في الدنيا وهو معنى قوله في اليوم ٥

الجنة والنار وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه سئل عنه فقال حين يذبح الكبش والفريقان ينظران واذ بدل من يوم الحسرة او منصوب بالحسرة وهم في غفلة وهم لا يؤمنون انا نحن نرث الارض ومن عليها والينا يرجعون متعلق بقوله في ضلال مبين عن الحسن وانذرهم اعتراض او هو متعلق بانذرهم اي وانذرهم على هذه الحال غافلين غير مؤمنين يحتمل انه يميتهم ويخرب ديارهم وانه يفني اجسادهم ويفني الارض ويذهب بها واذكر في الكتاب ابرهيم انه كان صديقا نبيا اذ قال لابيه يا ابت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيئا يا ابت اني قد جاءني من العلم ما لم ياتك الصديق من ابنية المبالغة ونظيره الضحيك والنطيق والمراد فرط صدقه وكثرة ما صدق به من غيوب الله واياته وكتبه ورسله وكان الرجحان والغلبة في هذا التصديق للكتب والرسل اي كان مصدقا بجميع الانبياء وكتبهم وكان نبيا في نفسه كقوله تعالى بل جاء بالحق وصدق المرسلين او كان بليغا في الصدق لان ملاك امر النبوة الصدق ومصدق الله باياته ومعجزاته حري ان يكون كذلك وهذه الجملة وقعت اعتراضا بين المبدل منه وبدله اعني ابرهيم واذ قال نحو قولك رايت زيدا ونعم الرجل اخاك ويجوز ان يتعلق اذ بكان او بصديقا نبيا اي كان جامعا لخصائص الصديقين والانبياء حين خاطب اباه تلك المخاطبات والمراد بذكر الرسول اياه وقصته في الكتاب ان يتلو ذلك على الناس ويبلغه اياهم كقوله واتل عليهم نبا ابرهيم والا فالله عز وعلا هو ذاكره ومورده في تنزيله التاء في يا ابت عوض من ياء الاضافة ولا يقال يا ابتي لئلا يجمع بين العوض والمعوض منه وقيل يا ابتا لكون الالف بدلا من الياء وشبه ذلك سيبويه باينق وتعويض الياء فيه عن الواو الساقطة انظر حين اراد ان ينصح اباه ويعظه فيما كان متورطا فيه من الخطاء العظيم والارتكاب الشنيع الذي عصى فيه امر العقل وانسلخ من قضية التمييز ومن الغباوة التي ليس بعدها كيف رتب الكلام معه في احسن اتساق وساقه ارشق مساق مع استعمال المجاملة واللطف والرفق واللين والادب الجميل والخلق الحسن منتصحا في ذلك بنصيحة ربه جل وعلا حدث ابو هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اوحى الله الى ابرهيم عليه السلام انك خليلي حسن خلقك ولو مع الكفار تدخل مداخل الابرار فان كلمتي سبقت لمن حسن خلقه اظله تحت عرشي واسكنه حظيرة القدس وادنيه من جواري وذلك انه طلب منه اولا العلة في خطائه طلب منبه على تماديه موقظ لافراطه وتناهيه لان المعبود لو كان حيا مميزا سميعا بصيرا مقتدرا على الثواب والعقاب نافعا ضارا الا انه بعض الخلق لاستخف عقل من اهله للعبادة ووصفه بالربوبية ولسجل عليه بالغي المبين والظلم العظيم وان كان اشرف الخلق واعلاهم منزلة

الحظيرة في الاصل ما يعمل للابل من اغصان الشجر ...

كالملائكة والنبيين قال الله تعالى ولا يأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أربابا أيأمركم بالكفر بعد
إذ أنتم مسلمون وذلك أن العبادة هي غاية التعظيم فلا تحق إلا لمن له غاية الإنعام وهو الخالق
الرازق المحيي المميت المثيب المعاقب الذي منه أصول النعم وفروعها فإذا وجهت إلى غيره تعالى
علوا كبيرا أن تكون هذه الصفة لغيره لم تكن إلا ظلما وعتوا وغيا وكفرا وجحودا وخروجا عن الصحيح
النير إلى الفاسد المظلم فما ظنك بمن وجه عبادته إلى جماد ليس به حس ولا شعور فلا يسمع يا عابده ذكرك
له وثناءك عليه ولا يرى هيئات خضوعك وخشوعك له فضلا أن يغني عنك بأن تستدفعه بلاء
فيدفعه أو تسنح لك حاجة فيكفيكها ثم ثنى بدعوته إلى الحق مترفقا به متلطفا فلم يسم أباه بالجهل
المفرط ولا نفسه بالعلم الفائق ولكنه قال إن معي طائفة من العلم وشيئا منه ليس معك وذلك علم
الدلالة على الطريق السوي فلا تستنكف وهب أني وإياك في مسير وعندي معرفة بالهداية دونك فاتبعني
أنجك من أن تضل وتتيه يا أبت لا تعبد الشيطان إن الشيطان كان للرحمن عصيا يا أبت إني ثم
ثلث بتثبيطه ونهيه عما كان عليه بأن الشيطان الذي استعصى على ربك الرحمن الذي جميع ما عندك
من النعم من عنده وهو عدوك الذي لا يريد بك إلا كل هلاك وخزي ونكال وعدو أبيك آدم و
أبناء جنسك كلهم هو الذي ورطك في هذه الضلالة وأمرك بها وزينها لك فأنت إن حققت النظر
عابد الشيطان إلا أن إبراهيم عليه السلام لإمعانه في الإخلاص وارتقاء همته في الربانية لم يذكر
من جنايتي الشيطان إلا التي تختص منهما برب العزة من عصيانه واستكباره ولم يلتفت إلى ذكر
معاداته لآدم وذريته كأن النظر في عظم ما ارتكب من ذلك غمر فكره وأطبق على ذهنه ثم ربع
بتخويفه سوء العاقبة وما يجره ما هو فيه من التبعة والوبال ولم يخل ذلك من حسن الأدب حيث
لم يصرح بأن العقاب لاحق له وأن العذاب لاصق به ولكنه قال أخاف أن يمسك عذاب من الرحمن
فتكون للشيطان وليا فذكر الخوف والمس ونكر العذاب وجعل ولاية الشيطان ودخوله
في جملة أشياعه وأوليائه أكبر من العذاب وذلك أن رضوان الله أكبر من الثواب نفسه وسماه الله
المشهود له بالفوز العظيم حيث قال ورضوان من الله أكبر ذلك هو الفوز العظيم فكذلك ولاية الشيطان
التي هي معارضة رضوان الله أكبر من العذاب نفسه وأعظم وصدر كل نصيحة من النصائح
الأربع بقوله يا أبت توسلا إليه واستعطافا ما في ما لا يسمع وما لم يأتك يجوز أن تكون موصولة
وموصوفة والمفعول في لا يسمع ولا يبصر منسي غير منوي كقولك ليس به استماع ولا إبصار وشيئا
يحتمل وجهين أحدهما أن يكون في موضع المصدر أي شيئا من الغناء ويجوز أن يقدر نحو مع الفعلين

جملة معترضة

أهدك صراطا سويا

السابقين والثاني أن يكون مفعولا به من قولهم أغن عني وجهك قد جاءني فيه تجدد العلم عندي لما
اطلعه على سماجة صورة أمره وهدم مذهبه بالحجج القاطعة وناصحه المناصحة العجيبة مع تلك الملاطفات
أقبل عليه الشيخ بفظاظة الكفر وغلظة العناد فناداه باسمه ولم يقابل يا أبت بيا بني وقدم الخبر
على المبتدأ في قوله أراغب أنت عن آلهتي لأنه كان أهم عنده وهو عنده أعنى وفيه ضرب من التعجب و
الإنكار لرغبته عن آلهته وأن آلهته ما ينبغي أن يرغب عنها أحد وفي هذا سلوان وثلج لصدر رسول الله
صلى الله عليه وسلم عما كان يلقى من مثل ذلك من كفار قومه يا إبراهيم لئن لم تنته لأرجمنك لأرمينك بلساني
يريد الشتم والذم ومنه الرجيم المرمي باللعن أو لأقتلنك من رجم الزاني أو لأطردنك رميا بالحجارة وأصل
الرجم الرمي بالرجام واهجرني مليا زمانا طويلا من الملاوة أو مليا بالذهاب عني والهجران قبل أن أثخنك
بالضرب حتى لا تقدر أن تبرح فلان ملي بكذا إذا كان مطيقا له مضطلعا به علام عطف واهجرني
على معطوف عليه محذوف يدل عليه لأرجمنك أي فاحذرني واهجرني لأن لأرجمنك تهديد وتقريع
قال سلام عليك سأستغفر لك ربي إنه كان بي حفيا وأعتزلكم وما تدعون من دون الله وأدعو ربي سلام توديع
ومتاركة كقوله تعالى لنا أعمالنا ولكم أعمالكم سلام عليكم لا نبتغي الجاهلين وقوله وإذا خاطبهم الجاهلون
قالوا سلاما وهذا دليل جواز متاركة المنصوح والحال هذه ويجوز أن يكون قد دعا له بالسلامة
استمالة له ألا ترى أنه وعده الاستغفار كيف جاز له أن يستغفر للكافر وأن يعده ذلك
قالوا أراد اشتراط التوبة عن الكفر كما ترد الأوامر والنواهي الشرعية على الكفار والمراد
اشتراط الإيمان وكما يؤمر المحدث والفقير بالصلاة والزكاة ويراد اشتراط الوضوء والنصاب و
قالوا إنما استغفر له بقوله واغفر لأبي لأنه كان من الضالين لأنه وعده أن يؤمن واستشهدوا بقوله
تعالى وما كان استغفار إبراهيم لأبيه إلا عن موعدة وعدها إياه ولقائل أن يقول الذي منع من
الاستغفار للكافر إنما هو السمع فأما القضية العقلية فلا تأباه فيجوز أن يكون الوعد بالاستغفار
والوفاء به قبل ورود السمع بناء على قضية العقل والذي يدل على صحته قوله تعالى إلا قول إبراهيم
لأبيه لأستغفرن لك فلو كان شارطا للإيمان لم يكن مستنكرا ومستثنى عما وجبت فيه الأسوة
وأما عن موعدة وعدها إياه فالواعد هو إبراهيم لا آزر أي ما قال واغفر لأبي إلا عن قوله لأستغفرن
لك وتشهد له قراءة حماد الراوية وعدها أباه والله أعلم الحفي البليغ في البر والألطاف حفي به
وتحفى به أراد بالاعتزال المهاجرة إلى الشام المراد بالدعاء العبادة لأنه منها ومن وسائطها
ومنه قوله عليه السلام الدعاء هو العبادة ويدل عليه قوله فلما اعتزلهم وما يعبدون ويجوز أن

يراد الدعاء الذي حكاه الله في سورة الشعراء عرّض بشقاوتهم بدعاء آلهتهم في قوله عسى ان لا اكون
بدعاء ربي شقيا مع التواضع لله في كلمة عسى وما فيه من هضم النفس فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون الله
وهبنا له اسحق ويعقوب وكلا جعلنا نبيا ما خسر على الله احد ترك الكفار الفسقة لوجهه فعوضه اولادا
مؤمنين انبياء ووهبنا لهم من رحمتنا هي النبوة عن الحسن وعن الكلبي المال والولد وتكون عامة
في كل خير ديني ودنيوي واوتوا لسان الصدق الثناء الحسن وعبّر باللسان عما يوجد باللسان
كما عبّر باليد عما يطلق باليد وهي العطية قال اني اتتني لسان لا اسرّ بها يريد الرسالة
ولسان العرب لغتهم وكلامهم وجعلنا لهم لسان صدق عليا واذكر في الكتاب موسى انه كان مخلصا وكان
رسولا نبيا وناديناه من جانب الطور استجاب الله دعوته واجعل لي لسان صدق في الآخرين فصيّره
قدوة حتى ادّعاه اهل الاديان كلهم وقال عز وجل ملة ابيكم ابرهيم وملة ابرهيم حنيفا ثم
اوحينا اليك ان اتبع ملة ابرهيم حنيفا واعطى ذلك ذريته فاعلى ذكرهم واثنى عليهم كما اعلى
ذكره واثنى عليه المخلص بالكسر الذي اخلص العبادة عن الشرك والرياء واخلص نفسه واسلم
وجهه لله وبالفتح الذي اخلصه الله الرسول الذي معه كتاب من الانبياء والنبي الذي
ينبئ عن الله عز وجل وان لم يكن معه كتاب كيوشع الايمن من اليمين اي من ناحيته اليمنى او من اليمن

وقربناه نجيا

صفة للطور او للجانب شبهه بمن قربه بعض العظماء للمناجاة حيث كلمه بغير واسطة ملك وعن
ابي العالية قربه حتى سمع صريف القلم الذي كتبت به التورية ووهبنا له من رحمتنا اخاه هرون
نبيا واذكر في الكتاب اسمعيل انه كان صادق الوعد وكان رسولا نبيا وكان يأمر اهله بالصلوة والزكوة و
كان عند ربه مرضيا واذكر في الكتاب ادريس انه كان صديقا نبيا ورفعناه مكانا عليا من رحمتنا من اجل
رحمتنا له وترؤفنا عليه ووهبنا له هرون او بعض رحمتنا كما قوله ووهبنا لهم من رحمتنا واخاه
على هذا الوجه بدل وهارون عطف بيان كقولك رأيت رجلا اخاك زيدا وكان هرون اكبر من موسى
فوقعت الهبة على معاضدته وموازرته كذا عن ابن عباس ذكر اسمعيل عليه السلام بصدق
الوعد وان كان موجودا في غيره من الانبياء تشريفا له واكراما كالتلقيب بنحو الحليم والاواه والصديق
ولانه المشهور المتواصف من خصاله عن ابن عباس انه وعد صاحبا له ان ينتظره في مكان فانتظره
سنة وناهيك انه وعد من نفسه الصبر على الذبح فوفى حيث قال ستجدني ان شاء الله من الصابرين
كان يبدأ باهله في الامر بالصلاح والعبادة ليجعلهم قدوة لمن وراءهم ولانهم اولى من سائر
الناس وانذر عشيرتك الاقربين وأمر اهلك بالصلوة قوا انفسكم واهليكم نارا الا ترى انهم

احق بالتصدق عليهم فالاحسان الديني اولى وقيل اهله امته كلهم من القرابة وغيرهم لان امم النبيين
في عداد اهاليهم وفيه ان من حق الصالح ان لا يألو نصحا للاجانب فضلا عن الاقارب والمتصلين به و
ان يحظيهم بالفوائد الدينية ولا يفرط في ذلك قيل سمي ادريس لكثرة دراسته كتاب الله وكان
اسمه اخنوخ وهو غير صحيح لانه لو كان افعيلا من الدرس لم يكن فيه الا سبب واحد وهو العلمية وكان
منصرفا فامتناعه من الصرف دليل العجمة وكذلك ابليس اعجمي وليس من الابلاس كما يزعمون ولا يعقوب
من العقب ولا اسرائيل باسرال كما زعم ابن السكيت ومن لم يحقق ولم يتدرب بالصناعة كثرت منه امثال
هذه الهنات ويجوز ان يكون معنى ادريس في تلك اللغة قريبا من ذلك فحسبه الراوي مشتقا من الدرس
المكان العلي شرف النبوة والزلفى عند الله وقد انزل الله عليه ثلثين صحيفة وهو اول من خط بالقلم و
نظر في علم النجوم والحساب واول من خاط الثياب ولبسها وكانوا يلبسون الجلود وعن انس بن مالك يرفعه
انه رفع الى السماء الرابعة وعن ابن عباس الى السماء السادسة وعن الحسن الى الجنة لا شيء اعلى من الجنة
وعن النابغة الجعدي انه لما انشد رسول الله صلى الله عليه وسلم الشعر الذي آخره
بلغنا السماء مجدنا وسناءنا وانا لنرجو فوق ذلك مظهرا فقال له رسول الله الى اين يا ابا ليلى
قال الى الجنة اولئك الذين انعم الله عليهم اشارة الى المذكورين في السورة من لدن زكريا الى ادريس ومن
في من النبيين للبيان مثلها في قوله تعالى في آخر سورة الفتح وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات
منهم مغفرة لان جميع الانبياء منعم عليهم من ذرية آدم وممن حملنا مع نوح ومن ذرية ابرهيم واسرائيل
ومن الثانية للتبعيض وكان ادريس من ذرية آدم لقربه منه لانه جد ابي نوح وابرهيم من
ذرية من حمل مع نوح لانه من ولد سام بن نوح واسمعيل من ذرية ابرهيم وموسى وهرون و
زكريا ويحيى من ذرية اسرائيل وكذلك عيسى لان مريم من ذريته وممن هدينا يحتمل العطف على
من الاولى والثانية ان جعلت الذين خبرا لاولئك كان اذا تتلى كلاما مستأنفا وان جعلته صفة
له كان خبرا قرأ شبل بن عباد المكي يتلى بالتذكير لان التأنيث غير حقيقي مع وجود الفاصل
عليهم آيات الرحمن خروا سجدا وبكيا البكي جمع باك كالسجود والقعود في جمع ساجد وقاعد عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم اتلوا القرآن وابكوا فان لم تبكوا فتباكوا وعن صالح المري قرأت
القرآن على رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام فقال لي يا صالح هذه القراءة فاين البكاء وعن ابن
عباس اذا قرأتم سجدة سبحان فلا تعجلوا بالسجود حتى تبكوا فان لم تبك عين احدكم فليبك
قلبه وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان القرآن نزل بحزن فاذا قرأتموه فتحازنوا وقالوا

واجتبينا

يدعو في سجدة التلاوة بما يليق بآيتها فإن قرأ آية تنزيل السجدة قال اللهم اجعلني من الساجدين
لوجهك المسبحين بحمدك وأعوذ بك أن أكون من المستكبرين عن أمرك وإن قرأ سجدة سبحان قال اللهم
اجعلني من عبادك الباكين إليك الخاشعين لك وإن قرأ هذه قال اللهم اجعلني من عبادك المنعم عليهم
المهديين الساجدين الباكين عند تلاوة آياتك فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلوة خلفه إذا عقبه
ثم قيل في عقب الخير خلف بالفتح وفي عقب السوء خلف بالسكون كما قالوا وعد في ضمان الخير ووعيد
في ضمان الشر عن ابن عباس هم اليهود تركوا الصلوة المفروضة وشربوا الخمر واستحلوا نكاح الأخت
من الأب وعن إبرهيم وعطاء أضاعوها بالتأخير وينصر الأول قوله إلا من تاب وآمن يعني الكفار و
عن علي رضي الله عنه في قوله واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا من بنى الشديد وركب المنظور ولبس المشهور
وعن قتادة هو في هذه الأمة وقرأ ابن مسعود والحسن والضحاك الصلوات بالجمع كل شر عند العرب
غي وكل خير رشاد قال فمن يلق خيرا يحمد الناس أمره ومن يغو لا يعدم على الغي لائما
وعن الزجاج جزاء غي كقوله يلق أثاما أي مجازاة أثام أو غيا عن طريق الجنة وقيل غي واد
في جهنم يستعيذ منه أوديتها وروى الأخفش يلقون إلا من تاب وآمن وعمل صالحا فأولئك يدخلون
الجنة ولا يظلمون شيئا قرئ يدخلون ويدخلون أي لا ينقصون شيئا من جزاء أعمالهم ولا يمنعونه
بل يضاعف لهم بيانا لأن تقدم الكفر لا يضرهم إذا تابوا من قولك ما ظلمك أن تفعل كذا بمعنى
ما منعك أو لا يظلمون البتة أي شيئا من الظلم جنات عدن التي وعد الرحمن عباده بالغيب إنه كان وعده
لما كانت الجنة مشتملة على جنات عدن أبدلت منها كقولك أبصرت دارك القاعة والعلالي
وعدن معرفة علم لمعنى العدن وهو الإقامة كما جعلوا فينة وسحر وأمس فيمن لم يصرفه أعلاما
لمعاني الفينة والسحر والأمس فجرى مجرى العدن لذلك أو هو علم لأرض الجنة لكونها مكان إقامة
ولولا ذلك لما ساغ الإبدال لأن النكرة لا تبدل من المعرفة إلا موصوفة ولما ساغ وصفها بالتي
وقرئ جنات عدن بالرفع على الابتداء أي وعدها وهي غائبة عنهم غير حاضرة أو هم غائبون عنها
لا يشاهدونها أو بتصديق الغيب والإيمان به قيل في مأتيا مفعول بمعنى فاعل والوجه أن
الوعد هو الجنة وهم يأتونها أو هو من قولك أتى إليه إحسانا أي كان وعده مفعولا منجزا لا يسمعون
فيها لغوا إلا سلاما ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا اللغو فضول الكلام وما لا طائل تحته وفيه تنبيه ظاهر
على وجوب تجنب اللغو واتقائه حيث نزه الله عنه الدار التي لا تكليف فيها وما أحسن قوله
وإذا مروا باللغو مروا كراما وإذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه وقالوا لنا أعمالنا ولكم أعمالكم سلام

عليكم لا نبتغي الجاهلين نعوذ بالله من اللغو والجهل والخوض فيما لا يعنينا أي إن كان تسليم بعضهم
على بعض أو تسليم الملائكة عليهم لغوا فلا يسمعون لغوا إلا ذلك فهو من وادي قوله ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم
بهن فلول من قراع الكتائب أو لا يسمعون فيها إلا قولا يسلمون فيه من العيب والنقيصة على الاستثناء المنقطع
أو لأن معنى السلام هو الدعاء بالسلامة ودار السلام هي دار السلامة وأهلها عن الدعاء بالسلامة أغنياء
فكان ظاهره من باب اللغو وفضول الحديث لولا ما فيه من فائدة الإكرام من الناس من يأكل الوجبة
ومنهم من يأكل متى وجد وهي عادة المنهومين ومنهم من يتغدى ويتعشى وهي العادة الوسطى المحمودة
ولا يكون ثم ليل ولا نهار ولكن على التقدير ولأن المتنعم عند العرب من وجد غداء وعشاء
وقيل أراد دوام الرزق ودروره كما تقول أنا عند فلان صباحا ومساء وبكرة وعشيا تريد الديمومة
ولا تقصد الوقتين المعلومين تلك الجنة التي نورث من عبادنا من كان تقيا وما نتنزل إلا بأمر ربك له ما بين أيدينا
وما خلفنا وما بين ذلك نورث وقرئ نورث استعارة أي نبقي عليه الجنة كما يبقى على الوارث مال
الموروث ولأن الأتقياء يلقون ربهم يوم القيامة قد انقضت أعمالهم وثمرتها باقية وهي الجنة
فإذا أدخلهم الجنة فقد أورثهم من تقواهم كما يورث الوارث المال من المتوفى وقيل أورثوا من
الجنة المساكن التي كانت لأهل النار لو أطاعوا وما نتنزل حكاية قول جبريل عليه السلام حين
استبطأه رسول الله صلى الله عليه وسلم روي أنه احتبس أربعين يوما وقيل خمسة عشر وذلك
حين سئل عن قصة أصحاب الكهف وذي القرنين والروح فلم يدر كيف يجيب ورجا أن يوحى إليه
فيه فشق ذلك عليه مشقة شديدة وقال المشركون ودعه ربه وقلاه فلما نزل جبريل قال
له النبي صلى الله عليه وسلم أبطأت حتى ساء ظني واشتقت إليك قال إني كنت أشوق ولكني عبد
مأمور إذا بعثت نزلت وإذا حبست احتبست وأنزل الله هذه الآية وسورة الضحى والتنزل
على معنيين معنى النزول على مهل ومعنى النزول على الإطلاق كقوله
فلست لإنسي ولكن لملأك تنزل من جو السماء يصوب لأنه مطاوع نزل ونزل يكون بمعنى
أنزل وبمعنى التدريج واللائق بهذا الموضع هو النزول على مهل والمراد أن نزولنا في الأحايين وقتا
غب وقت ليس إلا بأمر الله وعلى ما يراه صوابا وحكمة وله ما قدامنا وما خلفنا من الجهات والأماكن
وما نحن فيها فلا نتمالك أن ننتقل من جهة إلى جهة ومن مكان إلى مكان إلا بأمر المليك ومشيئته وهو
الحافظ العالم بكل حركة وسكون وما يحدث ويتجدد من الأحوال لا يجوز عليه الغفلة والنسيان فأنى
لنا أن نتقلب في ملكوته إلا إذا رأى ذلك مصلحة وحكمة وأطلق لنا الإذن فيه وقيل ما سلف من

أمر الدنيا وما يستقبل من أمر الآخرة، وما بين ذلك ما بين النفختين وهو أربعون سنة. وقيل ما مضى
من أعمارنا وما غبر منها والحال التي نحن فيها. وقيل ما قبل وجودنا وما بعد فنائنا. وقيل الأرض التي
بين أيدينا إذا نزلنا والسماء التي وراءنا وما بين السماء والأرض. والمعنى أنه المحيط بكل شيء لا يخفى
عليه خافية، ولا يعزب عنه مثقال ذرة، فكيف نقدم على فعل نحدثه إلا صادرا عما توجبه حكمته ويأمرنا
به ويأذن لنا فيه. وقيل معنى وما كان ربك نسيا: وما كان تاركا لك، كقوله ما ودعك ربك وما قلى. أي
وما كان امتناع النزول إلا لامتناع الأمر به، وأما احتباس الوحي فلم يكن عن ترك الله لك وتوديعه إياك،
ولكن لتوقفه على المصلحة. وقيل هي حكاية قول المتقين حين يدخلون الجنة، أي وما ننزل الجنة إلا بأن
من الله علينا بثواب أعمالنا وأمرنا بدخولها، وهو المالك لرقاب الأمور كلها السالفة والمترقبة و
الحاضرة، اللاطف في أعمال الخير، والموفق لها والمجازي عليها. ثم قال الله تعالى تقريرا لقولهم: وما كان ربك
نسيا لأعمال العاملين غافلا عما يجب أن يثابوا به، وكيف يجوز النسيان والغفلة على ذي ملكوت السماء
والأرض وما بينهما. ثم قال لرسوله صلى الله عليه وسلم: فحين عرفته على هذه الصفة فأقبل على العمل
واعبده يثبك كما أثاب غيرك من المتقين. وقرأ الأعرج: وما يتنزل بالياء على الحكاية عن جبريل
والضمير للوحي. وعن ابن مسعود: إلا بقول ربك. يجب أن يكون الخلاف في النسي مثله في البغي. رب السموات
والأرض وما بينهما فاعبده واصطبر لعبادته هل تعلم له سميا ويقول الإنسان أإذا ما مت لسوف أخرج حيا. بدل
من ربك. ويجوز أن يكون خبر مبتدأ محذوف، أي هو رب السموات والأرض. فاعبده كقوله
وقائلة خولان فانكح فتاتهم. وعلى هذا الوجه يجوز أن يكون وما كان ربك نسيا من كلام المتقين وما
بعده من كلام رب العزة. هلا عدى اصطبر بعلى التي هي صلته كقوله واصطبر عليها
لأن العبادة جعلت بمنزلة القرن في قولك للمحارب اصطبر لقرنك، أي اثبت له فيما يورد عليك من شداته.
أريد أن العبادة تورد عليك شدائد ومشاق فاثبت لها ولا تهن ولا يضق صدرك عن إلقاء عداتك
من أهل الكتاب إليك الأغاليط، وعن احتباس الوحي عليك مدة، وشماتة المشركين بك. أي لم يسم شيء
بالله قط، وكانوا يقولون لأصنامهم آلهة، والعزى إله. وأما الذي عوض فيه الألف واللام من الهمزة
فمخصوص به المعبود الحق غير مشارك فيه. وعن ابن عباس: لا يسمى أحد الرحمن غيره. ووجه آخر: هل
تعلم من سمي باسمه على الحق دون الباطل، لأن التسمية على الباطل في كونها غير معتد بها كلا تسمية. وقيل
مثلا وشبيها. أي إذا صح أن لا معبود يوجه إليه العبادة إلا هو وحده لم يكن بد من عبادته و
الاصطبار على مشاقها وتكاليفها. يحتمل أن يراد بالإنسان الجنس بأسره، وأن يراد بعض الجنس وهم الكفرة

فإن قلت لم جازت إرادة الأناسي كلهم وكلهم غير قائلين ذلك؟ قلت لما كانت هذه المقالة موجودة
فيمن هو من جنسهم صح إسناده إلى جميعهم، كما يقولون بنو فلان قتلوا فلانا، وإنما القاتل رجل منهم. وقال
الفرزدق: فسيف بني عبس وقد ضربوا به نبا بيدي ورقاء عن رأس خالد. فقد أسند الضرب إلى بني عبس
مع قوله نبا بيدي ورقاء، وهو ورقاء بن زهير بن جذيمة العبسي. فإن قلت بم انتصب إذا
وانتصابه بأخرج ممتنع لأجل اللام، لا تقول اليوم لزيد قائم؟ قلت بفعل مضمر يدل عليه المذكور. فإن
قلت لام الابتداء الداخلة على المضارع تعطي معنى الحال فكيف جامعت حرف الاستقبال؟ قلت
لم تجامعها إلا مخلصة للتوكيد، كما أخلصت الهمزة في يا الله للتعويض واضمحل عنها معنى التعريف. وما في إذا ما
للتوكيد أيضا، وكأنهم قالوا أحقا أنا سنخرج أحياء حين يتمكن فينا الموت والهلاك، على وجه الاستنكار
والاستبعاد. والمراد الخروج من الأرض أو من حال الفناء، أو هو من قولهم خرج فلان عالما وخرج شجاعا
إذا كان نادرا في ذلك، يريد سأخرج حيا نادرا على سبيل الهزء. وقرأ الحسن وأبو حيوة لسوف أخرج.
وعن طلحة بن مصرف لسأخرج، كقراءة ابن مسعود ولسيعطيك. وتقديم الظرف وإيلاؤه حرف الإنكار
من قبل أن ما بعد الموت هو وقت كون الحياة منكرة، ومنه جاء إنكارهم، فهو كقولك للمسيء إلى المحسن
أحين تمت عليك نعمة فلان أسأت إليه. الواو عطفت لا يذكر على يقول، ووسطت همزة الإنكار
بين المعطوف عليه وحرف العطف، يعني أيقول ذاك ولا يتذكر حال النشأة الأولى حتى لا ينكر
الأخرى، فإن تلك أعجب وأغرب وأدل على قدرة الخالق حيث أخرج الجواهر والأعراض من العدم إلى الوجود
ثم أوقع التأليف مشحونا بضروب الحكم التي تحار الفطن فيها من غير حذو على مثال واقتداء بمؤلف
ولكن اختراعا وإبداعا من عند قادر جلت قدرته ودقت حكمته. وأما الثانية فقد تقدمت نظيرتها
وعادت لها كالمثال المحتذى عليه، وليس فيها إلا تأليف الأجزاء الموجودة الباقية وتركيبها وردها
إلى ما كانت عليه مجموعة بعد التفكيك والتفريق. وقوله أولا يذكر الإنسان أنا خلقناه من قبل ولم يك شيئا
دليل على هذا المعنى، وكذلك قوله وهو أهون عليه، على أن رب العزة سواء عليه النشآن، لا يتفاوت
في قدرته الصعب والسهل، ولا يحتاج إلى احتذاء على مثال ولا استعانة بحكيم ولا نظر في مقياس،
ولكن يواجه جاحد البعث بذلك دفعا في نحر معاندته وكشفا عن صفحة جهله. القراء كلهم على
لا يذكر بالتشديد إلا نافعا وابن عامر وعاصما فقد خففوا. وفي حرف أبي يتذكر. من قبل
من قبل الحالة التي هو فيها وهي حالة بقائه. فوربك لنحشرنهم. في إقسام الله تعالى باسمه تقدست
أسماؤه مضافا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم تفخيم لشأن رسول الله ورفع منه كما رفع من

شأن السماء والأرض في قوله فورب السماء والأرض إنه لحق والواو في والشياطين يجوز أن تكون للعطف
وبمعنى مع وهي بمعنى مع أوقع والمعنى أنهم يحشرون مع قرنائهم من الشياطين الذين أغووهم يقرن كل
كافر مع شيطان في سلسلة. **فإن قلت** هذا إذا أريد بالإنسان الكفرة خاصة فإن أريد الأناسي
على العموم فكيف يستقيم حشرهم مع الشياطين **قلت** إذا حشر جميع الناس حشرا واحدا وفيهم
الكفرة مقرونين بالشياطين فقد حشروا مع الشياطين كما حشروا مع الكفرة **فإن قلت** هلا
عزل السعداء عن الأشقياء في الحشر كما عزلوا عنهم في الجزاء **قلت** لم يفرق بينهم وبينهم في المحشر
وأحضروا حيث تجاثوا حول جهنم وأوردوا معهم النار ليشاهد السعداء الأحوال التي نجاهم الله
منها وخلصهم فيزدادوا لذلك غبطة إلى غبطة وسرورا إلى سرور ويشمتوا بأعداء الله وأعدائهم
فيزداد مساءتهم وحسرتهم وما يغيظهم من سعادة أولياء الله وشماتتهم بهم **فإن قلت** ما
معنى ثم لنحضرنهم حول جهنم جثيا إحضارهم جثيا **قلت** أما إذا فسر الإنسان بالخصوص فالمعنى أنهم
يعتلون من المحشر إلى شاطئ جهنم عتلا على حالهم التي كانوا عليها في الموقف جثاة على ركبهم
غير مشاة على أقدامهم وذلك أن أهل الموقف وصفوا بالجثو قال الله تعالى وترى كل أمة
جاثية على العادة المعهودة في مواقف المقاولات والمناقلات من تجاثي أهلها على الركب لما في
ذلك من الاستيفاز والقلق وإطلاق الحبى وخلاف الطمأنينة أو لما يدهمهم من شدة الأمر
التي لا يطيقون معها القيام على أرجلهم فيحبون على ركبهم حبوا وإن فسر بالعموم فالمعنى أنهم
يتجاثون عند موافاة شاطئ جهنم على أن جثيا حال مقدرة كما كانوا في الموقف متجاثين لأنه
من توابع التواقف للحساب قبل التوصل إلى الثواب والعقاب ثم لننزعن من كل شيعة المراد بالشيعة
وهي فعلة كفرقة وفئة الطائفة التي شاعت أي تبعت غاويا من الغواة قال الله تعالى إن
الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا يريد نمتاز من كل طائفة من طوائف الغي والفساد أعصاهم
فأعصاهم وأعتاهم فأعتاهم فإذا اجتمعوا طرحناهم في النار على الترتيب نقدم أولاهم بالعذاب
فأولاهم أو أراد بالذين هم أولى بها صليا المنتزعين كأنه قال ثم لنحن أعلم بتصلية هؤلاء
وهم أولى بالصلي من بين سائر الصالين ودركاتهم أسفل وعذابهم أشد ويجوز أن يريد
بأشدهم عتيا رؤساء الشيع وأئمتهم لتضاعف جرمهم بكونهم ضلالا ومضلين قال الله تعالى
الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله زدناهم عذابا فوق العذاب بما كانوا يفسدون وليحملن أثقالهم
وأثقالا مع أثقالهم واختلف في إعراب أيهم أشد على الرحمن عتيا فعن الخليل أنه مرتفع على الحكاية

تقديره

لننزعن الذين يقال فيهم أيهم أشد وسيبويه على أنه مبني على الضم لسقوط صدر الجملة التي هي صلته
حتى لو جيء به لأعرب وقيل أيهم هو أشد ويجوز أن يكون النزع واقعا على كل شيعة كقوله ووهبنا لهم
من رحمتنا أي لننزعن بعض كل شيعة فكأن قائلا قال من هم فقيل أيهم أشد عتيا وأيهم أشد
بالنصب عن طلحة بن مصرف وعن معاذ بن مسلم الهراء أستاذ الفراء ثم لنحن أعلم بالذين هم أولى بها صليا
فإن قلت بم يتعلق على والباء فإن تعلقهما بالمصدرين لا سبيل إليه **قلت** هما للبيان لا
للصلة أو يتعلقان بأفعل أي عتوهم أشد على الرحمن وصليهم أولى بالنار كقولك هو أشد على خصمه
وهو أولى بكذا وإن منكم إلا واردها التفات إلى الإنسان يعضده قراءة ابن عباس وعكرمة وإن منهم
أو خطاب للناس من غير التفات إلى المذكور فإن أريد الجنس كله فمعنى الورود دخولهم فيها وهي خامدة
فيعبرها المؤمنون وتنهار بغيرهم عن ابن عباس يردونها كأنها إهالة وروي دواية وعن جابر بن عبد الله
أنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقال إذا دخل أهل الجنة الجنة قال بعضهم لبعض أليس
قد وعدنا ربنا أن نرد النار فيقال لهم قد وردتموها وهي خامدة وعنه رضي الله عنه أنه سئل عن هذه
الآية فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الورود الدخول لا يبقى بر ولا فاجر إلا دخلها
فتكون على المؤمنين بردا وسلاما كما كانت على إبراهيم حتى إن للنار ضجيجا من بردها وأما قوله أولئك
عنها مبعدون فالمراد عن عذابها وعن ابن مسعود والحسن وقتادة هو الجواز على الصراط لأن
الصراط ممدود عليها وعن ابن عباس قد يرد الشيء الشيء وإن لم يدخله كقوله ولما ورد ماء
مدين ووردت القافلة البلد وإن لم تدخله ولكن قربت منه وعن مجاهد ورود المؤمن النار
هو مس الحمى جسده في الدنيا لقوله صلى الله عليه وسلم الحمى من فيح جهنم وفي الحديث الحمى حظ
كل مؤمن من النار ويجوز أن يراد بالورود جثوهم حولها وإن أريد الكفار خاصة فالمعنى بين
كان على ربك حتما مقضيا الحتم مصدر حتم الأمر إذا أوجبه فسمي به الموجب كقولهم خلق الله وضرب
الأمير أي كان ورودهم واجبا على الله أوجبه على نفسه وقضى به وعزم على أن لا يكون غيره قرئ ننجي و
ننجي وينجي وينجى على ما لم يسم فاعله إن أريد الجنس بأسره فهو ظاهر وإن أريد الكفرة وحدهم فمعنى
ثم ننجي الذين اتقوا أن المتقين يساقون إلى الجنة عقيب ورود الكفار لا أنهم يواردونهم ثم يتخلصون
وفي قراءة ابن مسعود وابن عباس والجحدري وابن أبي ليلى ثم ننجي بفتح الثاء أي هناك وقوله ونذر
الظالمين فيها جثيا دليل على أن المراد بالورود الجثو حواليها وأن المؤمنين يفارقون الكفرة إلى
الجنة بعد تجاثيهم ويبقى الكفرة في مكانهم جاثين وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين كفروا بينات

قد تلت الالفاظ ملخصات المعانى مبينات المقاصد اما محكمات او متشابهات قد تبعها البيان
بالمحكمات او بتبيين الرسول قولا او فعلا او ظاهرات الاعجاز تحدى بها فلم يقدر على معارضتها او حججا و
براهين والوجه ان يكون حالا مؤكدة كقوله وهو الحق مصدقا لان آيات الله لا تكون الا واضحة وحججا للذين
آمنوا يحتمل انهم يناطقون المؤمنين بذلك ويواجهونهم وانهم يفوهون به لاجلهم وفى معناهم كقوله تعالى و
قال الذين كفروا للذين آمنوا لو كان خيرا ما سبقونا اليه قرا ابن كثير مقاما بالضم وهو موضع الاقامة
والمنزل والباقون بالفتح وهو موضع القيام والمراد المكان والموضع واحسن نديا والندى المجلس ومجتمع
القوم وحيث ينتدون والمعنى انهم اذا سمعوا الآيات وهم جهلة لا يعلمون الا ظاهرا من الحياة
الدنيا وذلك مبلغهم من العلم قالوا اى الفريقين من المؤمنين بالآيات والجاحدين لها اوفر حظا من
الدنيا حتى يجعل ذلك عيارا على الفضل والنقص والرفعة والضعة ويروى انهم كانوا يرجلون
شعورهم ويدهنون ويتطيبون ويتزينون بالزين الفاخرة ثم يدعون مفتخرين على فقراء المسلمين
انهم اكرم على الله منهم وكم مفعول اهلكنا قبلهم من قرن ومن تبيين لابهامها اى كثيرا من القرون
اهلكنا وكل اهل عصر قرن لمن بعدهم لانهم يتقدمونهم وهم احسن اثاثا فى محل النصب صفة
لكم الا ترى انك لو تركت هم لم يكن لك بد فى نصب احسن على الوصفية الاثاث متاع البيت و
قيل هو ما جد من الفرش والخرثى ما لبس منها وانشد الحسن بن على الطوسى

تقادم العهد من ام الوليد بنا دهرا وصار اثاث البيت خرثيا

قرئ على خمسة اوجه
رئيا وهو المنظر والهيئة فعل بمعنى مفعول من رأيت وريئا على القلب كقولهم راء فى رأى وريا
على قلب الهمزة ياء والادغام او من الرى الذى هو النعمة والترفه من قولهم ريان من النعيم وريا
على حذف الهمزة راسا ووجهه ان يخفف المقلوب وهو ريئا بحذف همزته والقاء حركتها على الياء
الساكنة قبلها وزيا واشتقاقه من الزى وهو الجمع لان الزى محاسن مجموعة والمعنى احسن من هؤلاء
قل من كان فى الضلالة فليمدد له الرحمن مدا حتى اذا راوا ما يوعدون اما العذاب واما الساعة فسيعلمون
من هو اى مد له الرحمن يعنى امهله وأملى له فى العمر فاخرج على لفظ الامر ايذانا بوجوب ذلك
وانه مفعول لا محالة كالمامور به الممتثل ليقطع معاذير الضال ويقال له يوم القيمة اولم نعمركم
ما يتذكر فيه من تذكر او كقوله انما نملى لهم ليزدادوا اثما او من كان فى الضلالة فمد له
الرحمن فى معنى الدعاء بان يمهله الله وينفس فى مدة حياته فى هذه الآية وجهان احدهما
ان تكون متصلة بالآية التى هى رابعتها والآيتان اعتراض بينهما اى قالوا اى الفريقين خير

مقاما واحسن نديا حتى اذا راوا ما يوعدون اى لا يبرحون يقولون هذا القول ويتولعون به لا يتكافون
عنه الى ان يشاهدوا الموعود راى عين اما العذاب فى الدنيا وهو غلبة المسلمين عليهم وتعذيبهم اياهم
قتلا واسرا واظهار الله دينه على الدين كله على ايديهم واما يوم القيمة وما ينالهم من الخزى والنكال
فحينئذ يعلمون عند المعاينة ان الامر على عكس ما قدروه وانهم شر مكانا واضعف جندا لا خير مقاما
واحسن نديا وان المؤمنين على خلاف صفتهم والثانى ان يتصل بما يليها والمعنى ان الذين فى الضلالة
ممدود لهم فى ضلالتهم والخذلان لاصق بهم لعلم الله بهم وبان الالطاف لا تنفع فيهم وليسوا من اهلها
والمراد بالضلالة ما دعاهم من جهلهم وغلوهم فى كفرهم الى القول الذى قالوه لا ينفكون عن ضلالتهم
الى ان يعاينوا نصرة الله المؤمنين او يشاهدوا الساعة ومقدماتها حتى هذه ما هى
هى التى يحكى بعدها الجمل الا ترى الجملة الشرطية واقعة بعدها وهى قوله اذا راوا ما يوعدون
فسيعلمون شر مكانا واضعف جندا فى مقابلة خير مقاما واحسن نديا لان مقامهم هو مكانهم ومسكنهم
والندى المجلس الجامع لوجوه قومهم واعوانهم وانصارهم والجند هم الانصار والاعوان ويزيد الله الذين
اهتدوا هدى يزيد معطوف على موضع فليمدد لانه واقع موقع الخبر تقديره من كان فى الضلالة مد او
يمد له الرحمن ويزيد اى يزيد فى ضلال الضال بخذلانه ويزيد المهتدين هداية بتوفيقه
والباقيات الصالحات اعمال الآخرة كلها وقيل الصلوات وقيل سبحان الله والحمد لله ولا اله الا
الله والله اكبر اى خير ثوابا من مفاخرات الكفار وخير مردا اى مرجعا وعاقبة او منفعة من قولهم
ليس لهذا الامر مرد وهل يرد بكائى زندا كيف قيل خير ثوابا كان لمفاخرهم ثوابا حتى
يجعل ثواب الصالحات خيرا منه كانه قيل ثوابهم النار على طريقة قوله فاعتبوا بالصيلم
وقوله شجعاء جرتها الذميل تلوكه اصلا اذا راح المطى غراثا وقوله تحية بينهم ضرب
وجيع ثم بنى عليه خير ثوابا وفيه ضرب من التهكم هو اغيظ من المتهدد من ان يقال عقابك
النار فما وجه التفضيل فى الخير كان لمفاخرهم شركا فيهم هذا من وجيز
كلامهم يقولون الصيف احر من الشتاء اى ابلغ فى حره من الشتاء فى برده لما كانت مشاهدة
الاشياء ورؤيتها طريقا الى الاحاطة بها علما وصحة الخبر عنها استعملوا ارايت فى معنى اخبر
والفاء جاءت لافادة معناها الذى هو التعقيب كانه قال اخبر ايضا بقصة هذا الكافر واذكر
حديثه عقيب حديث اولئك وقال لاوتين مالا وولدا اطلع الغيب ام اتخذ عند الرحمن عهدا اطلع الغيب
من قولهم اطلع الجبل اذا ارتقى الى اعلاه واطلع الثنية قال جرير لاقيت مطلع الجبال

عند ربك

افرايت الذى كفر باياتنا

وعوا

ويقول مرة مطّلعا لذلك الامر اى عاليا له مالكا له ولاختيار هذه الكلمة شان تقول اوقد بلغ من عظمة
شانه ان ارتقى الى علم الغيب الذى توحّد به الواحد القهار والمعنى ان ما ادعى ان يؤتاه وتألى عليه
لا يتوصل اليه الا باحد هذين الطريقين اما علم الغيب واما عهد من عالم الغيب فبايهما توصل الى ذلك
وقرأ حمزة والكسائى وُلدا وهو جمع وَلَد كاسد فى اسد او بمعنى الولد كالعرب فى العرب وعن يحيى بن
يعمر وِلدا بالكسر وقيل فى العهد كلمة الشهادة وعن قتادة هل له عمل صالح قدمه فهو يرجو بذلك
ما يقول وعن الكلبى هل عهد الله اليه انه يؤتيه ذلك عن الحسن نزلت فى الوليد بن المغيرة والمشهور
انها فى العاص بن وائل قال خباب بن الارت كان لى دين عليه فاقتضيته فقال لا والله حتى تكفر
بمحمد قلت لا والله لا اكفر بمحمد حيا ولا ميتا ولا حين تبعث قال فانى اذا مت بعثت قال نعم قال اذا بعثت
جئتنى وسيكون لى ثمّ مال وولد فاعطيك وقيل صاغ له خباب حليا فاقتضاه الاجر فقال انكم
تزعمون انكم تبعثون وان فى الجنة ذهبا وفضة وحريرا فانا اقضيك ثم فانى اوتى مالا وولدا
حينئذ كلا ردع وتنبيه على الخطاء اى هو مخطئ فيما يصوره لنفسه ويتمناه فليرتدع عنه
كيف قيل سنكتب بسين التسويف وهو كما قاله كتب من غير تاخير قال الله تعالى ما يلفظ من قول
الا لديه رقيب عتيد   فيه وجهان احدهما سنظهر له ونعلمه انا كتبنا قوله على طريقة قوله
اذا ما انتسبنا لم تلدنى لئيمة اى تبين وعلم بالانتساب انى لست بابن لئيمة والثانى ان المتوعد
يقول للجانى سوف انتقم منك يعنى انه لا يخل بالانتصار وان تطاول به الزمان واستاخر
فجرد ههنا لمعنى الوعيد ونمد له من العذاب مدا اى نطول له من العذاب ما يستاهله ونعذبه بالنوع
الذى يعذب به الكفار المستهزؤن او نزيده من العذاب ونضاعف له من المدد يقال مده وامده
بمعنى ويدل عليه قراءة على بن ابى طالب رضى الله عنه ونمد له بالضم واكد ذلك بالمصدر وذلك من فرط
غضب الله نعوذ به من التعرض لما نستوجب به غضبه ونرثه ما يقول اى نزوى عنه ما زعم انه ينال له فى
الآخرة ونعطيه من يستحقه والمعنى مسمى ما يقول والمعنى ما يقول وهو المال والولد يقول الرجل
انا املك كذا فيقول له ولى فوق ما تقول ويحتمل انه تمنى وطمع ان يؤتيه الله فى الدنيا مالا و
ولدا وبلغت به اشعبيته ان تألى على ذلك فى قوله لاوتين لانه جواب قسم مضمر ومن يتأل على
الله يكذبه فيقول الله عز وجل هب انا اعطيناه ما اشتهاه اما نرثه منه فى العاقبة ويأتينا
فردا غدا بلا مال ولا ولد كقوله عز وجل ولقد جئتمونا فرادى الآية فما يجدى عليه تمنيه وتأليه
ويحتمل ان هذا القول انما يقوله ما دام حيا فاذا قبضناه حلنا بينه وبين ان يقوله ويأتينا رافضا

له منفردا عنه غير قائل له او لا ننسى قوله هذا ولا نلغيه بل نثبته فى صحيفته لنضرب به وجهه فى الموقف
ونعيره به ويأتينا على فقره ومسكنته فردا من المال والولد لم نوله سؤله ولم نؤته متمناه فيجتمع عليه الخطبان
تبعة قوله ووباله وفقد المطموع فيه فردا على الوجه الاول حال مقدرة نحو فادخلوها خالدين
لانه وغيره سواء فى اتيانه فردا حين ياتى ثم يتفاوتون بعد ذلك واتخذوا من دون الله آلهة ليكونوا لهم عزا
اى ليتعززوا بآلهتهم حيث يكونون لهم عند الله شفعاء وانصارا ينقذونهم من العذاب كلا ردع لهم
وانكار لتعززهم بالآلهة وقرأ ابن نهيك كلا سيكفرون بعبادتهم اى سيجحدون كلا سيكفرون بعبادتهم
كقولك زيدا مررت بغلامه وفى محتسب ابن جنى كلا بفتح الكاف والتنوين وزعم ان معناه كل هذا الراى
والاعتقاد كلا ولقائل ان يقول ان صحت هذه الرواية فهى كلا التى للردع قلب الواقف عليها الفها نونا كما
فى قواريرا والضمير فى سيكفرون للآلهة اى سيجحدون عبادتهم وينكرونها ويقولون والله ما عبدتمونا و
انتم كاذبون قال الله تعالى واذا رآى الذين اشركوا شركاءهم قالوا ربنا هؤلاء شركاؤنا الذين كنا ندعوا
من دونك فالقوا اليهم القول انكم لكاذبون او للمشركين اى ينكرون لسوء العاقبة ان يكونوا قد عبدوها
قال الله تعالى ثم لم تكن فتنتهم الا ان قالوا والله ربنا ما كنا مشركين ويكونون عليهم ضدا فى مقابلة
لهم عزا والمراد ضد العز وهو الذل والهوان اى يكونون عليهم ضدا لما قصدوه وارادوه كانه قيل
ويكونون عليهم ذلا لا لهم عزا ويكونون عليهم عونا والضد العون يقال من اضدادكم اى اعوانكم
وكان العون سمى ضدا لانه يضاد عدوك وينافيه باعانته لك عليه   لم وحد
وحد توحيد قوله عليه السلام وهم يد على من سواهم لاتفاق كلمتهم وانهم كشىء واحد لفرط تضامهم
وتوافقهم ومعنى كون الآلهة عونا عليهم انهم وقود النار وحصب جهنم ولانهم عذبوا بسبب عبادتها
وان رجعت الواو فى سيكفرون ويكونون الى المشركين فان المعنى ويكونون عليهم اى اعداءهم ضدا اى
كفرة بهم بعد ان كانوا يعبدونها الم تر انا ارسلنا الشياطين على الكافرين تؤزهم ازا الاز والهز و
الاستفزاز اخوات ومعناها التهييج وشدة الازعاج اى تغريهم على المعاصى وتهيجهم لها بالوساوس
والتسويلات والمعنى خلينا بينهم وبينهم ولم نمنعهم ولو شاء لمنعهم قسرا والمراد تعجيب رسول الله صلى
الله عليه وسلم بعد الآيات التى ذكر فيها العتاة المردة من الكفار واقاويلهم وملاحتهم ومعاندتهم
للرسل واستهزاءهم بالدين من تماديهم فى الغى وافراطهم فى العناد وتصميمهم على الكفر واجتماعهم
على دفع الحق بعد وضوحه وانتفاء الشك عنه وانهماكهم لذلك فى اتباع الشياطين وما تسول لهم
فلا تعجل عليهم انما نعد لهم عدا عجلت عليه بكذا اذا استعجلته منه اى لا تعجل عليهم بان يهلكوا ويبيدوا حتى

تستريح أنت والمسلمون من شرورهم وتطهر الأرض بقطع دابرهم فليس بينك وبين ما تطلب من هلاكهم
الا ايام محصورة وانفاس معدودة، كأنها في سرعة تقضيها الساعة التي تعد فيها لو عدت ونحوه قوله
تعالى ولا تستعجل لهم كأنهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا الا ساعة من نهار وعن ابن عباس انه كان
اذا قرأها بكى وقال آخر العدد خروج نفسك آخر العدد فراق اهلك آخر العدد دخول قبرك وعن
ابن السماك انه كان عند المأمون فقرأها فقال اذا كانت الانفاس بالعدد ولم يكن لها مدد فما اسرع ما
تنفد يوم نحشر المتقين الى الرحمن وفدا ونسوق المجرمين الى جهنم وردا لا يملكون الشفاعة الا من اتخذ عند الرحمن
عهدا وقالوا اتخذ الرحمن ولدا لقد جئتم شيئا ادا نصب يوم بمضمر اي يوم نحشر ونسوق نفعل بالفريقين ما
لا يحيط به الوصف او اذكر يوم نحشر ويجوز ان ينتصب بلا يملكون ذكر المتقين بلفظ التبجيل وهو
انهم يجمعون الى ربهم الذي غمرهم برحمته وخصهم برضوانه وكرامته كما يفد الوفاد على الملوك منتظرين للكرامة
عندهم وعن علي رضي الله عنه ما يحشرون والله على ارجلهم ولكنهم على نوق رحالها ذهب وعلى نجائب سروجها
ياقوت وذكر الكافرين بانهم يساقون الى النار باهانة واستخفاف كأنهم نعم عطاش تساق الى الماء و
الورد العطاش لان من يرد الماء لا يرده الا لعطش وحقيقة الورد المسير الى الماء قال
ردي ردي ورد قطاة صما كدرية اعجبها برد الما فسمي به الواردون وقرأ الحسن يحشر المتقون و
يساق المجرمون الواو في يملكون ان جعل ضميرا فهو للعباد ودل عليه ذكر المتقين والمجرمين لانهم
على هذه القسمة ويجوز ان يكون علامة للجمع كالتي في اكلوني البراغيث والفاعل من اتخذ لانه في محل
الرفع ومحل من اتخذ رفع على البدل او على الفاعلية ويجوز ان ينتصب على تقدير حذف المضاف اي
الا شفاعة من اتخذ والمراد لا يملكون ان يشفع لهم واتخاذ العهد الاستظهار بالايمان والعمل
وعن ابن مسعود ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لاصحابه ذات يوم ايعجز احدكم ان يتخذ كل صباح و
مساء عند الله عهدا قالوا وكيف ذلك قال يقول كل صباح ومساء اللهم فاطر السموات والارض عالم
الغيب والشهادة اني اعهد اليك باني اشهد ان لا اله الا انت وحدك لا شريك لك وان محمدا عبدك
ورسولك وانك ان تكلني الى نفسي تقربني من الشر وتباعدني من الخير واني لا اثق الا برحمتك
فاجعل لي عهدا توفينيه يوم القيامة انك لا تخلف الميعاد فاذا قال ذلك طبع عليه بطابع ووضع تحت
العرش فاذا كان يوم القيامة نادى مناد اين الذين لهم عند الرحمن عهد فيدخلون الجنة وقيل كلمة
الشهادة ويكون من عهد الامير الى فلان بكذا اذا امره به اي لا يشفع الا المأمور بالشفاعة المأذون له
فيها وتعضده مواضع في التنزيل وكم من ملك في السموات لا تغني شفاعتهم شيئا الا من بعد ان يأذن

الله لمن يشاء ويرضى ولا تنفع الشفاعة عنده الا لمن اذن له يومئذ لا تنفع الشفاعة الا من اذن له
الرحمن ورضي له قولا قرئ ادا بالكسر والفتح قال ابن خالويه الاد والاد العجب وقيل العظيم المنكر
والادة الشدة وادني الامر وآدني اثقلني وعظم علي ادا تكاد قراءة الكسائي ونافع بالياء السموات
ينفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال هدا وقرئ ينفطرن الانفطار من فطره اذا شقه والتفطر من فطره
اذا شققه وكرر الفعل فيه وقرأ ابن مسعود ينصدعن اي تهد هدا او مهدودة او مفعول له اي لانها
تهد ما معنى انفطار السموات وانشقاق الارض وخرور الجبال ومن اين تؤثر هذه الكلمة
في الجمادات فيه وجهان احدهما ان الله سبحانه يقول كدت افعل بالسموات والارض والجبال
عند وجود هذه الكلمة غضبا مني على من تفوه بها لولا حلمي ووقاري واني لا اعجل بالعقوبة كما قال ان الله يمسك
السموات والارض ان تزولا ولئن زالتا ان امسكهما من احد من بعده انه كان حليما غفورا والثاني ان يكون
استعظاما للكلمة وتهويلا من فظاعتها وتصويرا لاثرها في الدين وهدمها لاركانه وقواعده وان مثال ذلك
الاثر في المحسوسات ان تصيب هذه الاجرام العظيمة التي هي قوام العالم ما تنفطر منه وتنشق وتخر و
في قوله لقد جئتم وما فيه من المخاطبة بعد الغيبة وهو الذي يسمى الالتفات في علم البلاغة زيادة تسجيل
عليهم بالجرأة على الله والتعرض لسخطه وتنبيه على عظم ما قالوا في ان دعوا للرحمن ولدا ثلاثة اوجه ان يكون مجرورا
بدلا من الهاء في منه كقوله على حالة لو ان في القوم حاتما على جوده لضن بالماء حاتم ومنصوبا
بتقدير سقوط اللام وافضاء الفعل اي هدا لان دعوا علل الخرور بالهد والهد بدعاء الولد
للرحمن ومرفوعا بانه فاعل هدا اي هدها دعاء الولد للرحمن وفي اختصاص الرحمن وتكريره
مرات من الفائدة انه هو الرحمن وحده لا يستحق هذا الاسم غيره من قبل ان اصول النعم و
فروعها منه خلق العالمين وخلق لهم جميع ما معهم كما قال بعضهم فلينكشف عن بصرك غطاؤه
فانت وجميع ما عندك عطاؤه فمن اضاف اليه ولدا فقد جعله كبعض خلقه واخرجه بذلك عن
استحقاق اسم الرحمن هو من دعا بمعنى سمى المتعدي الى مفعولين فاقتصر على احدهما الذي هو الثاني
طلبا للعموم والاحاطة بكل ما دعي له ولدا او من دعا بمعنى نسب الذي مطاوعه ما في قوله عليه السلام
من ادعى الى غير مواليه وقول الشاعر انا بني نهشل لا ندعي لاب اي لا ننتسب اليه وما ينبغي للرحمن
ان يتخذ ولدا ان كل من في السموات والارض الا آتي الرحمن عبدا انبغى مطاوع بغى اذا طلب اي ما يتأتى
له اتخاذ الولد وما ينطلب لو طلب مثلا لانه محال غير داخل تحت الصحة اما الولادة المعروفة
فلا مقال في استحالتها واما التبني فلا يكون الا فيما هو من جنس المتبنى وليس للقديم سبحانه جنس

تعالى عما يقول الظالمون علوا كبيرا من موصوفة لانها وقعت بعد كل نكرة ووقوعها بعد رب في قوله رب من انضجت غيظا صدره وقرا ابن مسعود وابو حيوة آت الرحمن على اصله قبل الاضافة لقد احصاهم الاحصاء الحصر والضبط يعني حصرهم بعلمه واحاط بهم وعدهم عدا الذين اعتقدوا في الملائكة وعيسى وعزير انهم اولاد الله كانوا بين كفرين احدهما القول بان الرحمن يصح ان يكون والدا والثاني اشراك الذين زعموهم لله اولادا في عبادته كما يخدم الناس ابناء الملوك خدمتهم لآبائهم فهدم الله الكفر الاول فيما تقدم من الآيات ثم عقبه بهدم الكفر الآخر والمعنى ما من معبود لهم في السموات والارض من الملائكة ومن الناس الا وهو يأتي الرحمن اي يأوي اليه ويلتجئ الى ربوبيته عبدا منقادا مطيعا خاشعا خاشيا راجيا كما يفعل العبيد وكما يجب عليهم لا يدعي لنفسه ما يدعيه له هؤلاء الضلال ونحوه قوله تعالى اولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة ايهم اقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه وكلهم متقلبون في ملكوته مقهورون بقهره وهو مهيمن عليهم محيط بهم وبجمل امورهم وتفاصيلها وكيفيتهم وكميتهم لا يفوته شيء من احوالهم وكلهم آتيه يوم القيمة فردا وكل واحد منهم يأتيه يوم القيمة منفردا ليس معه من هؤلاء المشركين احد وهم براء منهم ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا قرأ جناح بن حبيش ودا بالكسر والمعنى سيحدث لهم في القلوب مودة ويزرعها لهم فيها من غير تودد منهم ولا تعرض للاسباب التي يكتسب بها الناس مودات القلوب من قرابة او صداقة او اصطناع بمبرة او غير ذلك وانما هو اختراع منه ابتداء اختصاصا منه لاوليائه بكرامة خاصة كما قذف في قلوب اعدائهم الرعب والهيبة اعظاما لهم واجلالا لمكانهم والسين اما لان السورة مكية وكان المؤمنون حينئذ ممقوتين بين الكفرة فوعدهم الله ذلك اذا دخل الاسلام واما ان يكون ذلك يوم القيمة يحببهم الى خلقه بما يعرض من حسناتهم وينشر من ديوان اعمالهم وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لعلي رضي الله عنه يا علي قل اللهم اجعل لي عندك عهدا واجعل لي في صدور المؤمنين مودة فانزل الله هذه الآية وعن ابن عباس يعني يحبهم الله ويحببهم الى خلقه وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله عز وجل يا جبرئيل قد احببت فلانا فاحبه فيحبه جبرئيل ثم ينادي في اهل السماء ان الله قد احب فلانا فاحبوه فيحبه اهل السماء ثم يضع له المحبة في الارض وعن قتادة ما اقبل العبد الى الله الا اقبل الله بقلوب العباد اليه وانما يسرناه بلسانك لتبشر به المتقين وتنذر به قوما لدا هذه خاتمة السورة ومقطعها فكأنه قال بلغ هذا المنزل او بشر به وانذر فانما انزلناه بلسانك اي بلغتك وهو اللسان العربي المبين وسهلناه وفصلناه لتبشر به وتنذر واللد الشداد

الخصومة بالباطل الآخذون في كل لديد اي في كل شق من المراء والجدال لفرط لجاجهم يريد اهل مكة وقوله وكم اهلكنا قبلهم من قرن هل تحس منهم من احد او تسمع لهم ركزا تخويف لهم وانذار وقرئ تحس من حسه اذا شعر به ومنه الحواس والمحسوسات وقرأ حنظلة تسمع مضارع اسمعت والركز الصوت الخفي ومنه ركز الرمح اذا غيب طرفه في الارض والركاز المال المدفون عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة مريم اعطي عشر حسنات بعدد من كذب زكريا وصدق به ويحيى ومريم وعيسى وابرهيم واسحق ويعقوب وموسى واسمعيل وادريس وعشر حسنات بعدد من دعا الله في الدنيا وبعدد من لم يدع الله

سورة طه مكية وهي مائة وأربع آيات

بسم الله الرحمن الرحيم طه ابو عمرو فخم الطاء لاستعلائها وامال الهاء وفخمهما ابن كثير وابن عامر على الاصل والباقون اما لوهما وعن الحسن طه وفسر بانه امر بالوطء وان النبي صلى الله عليه وسلم كان يقوم في تهجده على احدى رجليه فامر بان يطأ الارض بقدميه معا وان الاصل طأ فقلبت همزته هاء او قلبت في يطأ فيمن قال لا هناك المرتع ثم بني عليه الامر والهاء للسكت ويجوز ان يكتفى بشطري الاسمين وهما الدالان بلفظهما على المسميين والله اعلم بصحة ما يقال ان طاها في لغة عك في معنى يا رجل ولعل عكا تصرفوا في يا هذا كانهم في لغتهم قالبون الياء طاء فقالوا في يا طا واختصروا هذا فاقتصروا على ها واثر الصنعة ظاهر لا يخفى في البيت المستشهد به ان السفاهة طاها في خلائقكم لا قدس الله اخلاق الملاعين والاقوال الثلاثة في الفواتح اعني التي قدمتها في اول الكاشف عن حقائق التنزيل هي التي يعول عليها الالباء المتقنون ما انزلنا عليك القرآن ان جعلت طه تعديدا لاسماء الحروف على الوجه السابق ذكره فهو ابتداء كلام وان جعلتها اسما للسورة احتملت ان تكون خبرا عنها وهي في موضع المبتداء والقرآن ظاهر اوقع موقع الضمير لانها قرآن وان يكون جوابا لها وهي قسم وقرئ ما نزل عليك القرآن لتشقى لتتعب لفرط تأسفك عليهم وعلى كفرهم وتحسرك على ان يؤمنوا كقوله لعلك باخع نفسك والشقاء يجيء في معنى التعب ومنه المثل اتعب من رائض مهر واشقى من رائض مهر اي ما عليك الا ان تبلغ وتذكر ولم يكتب عليك ان يؤمنوا لا محالة بعد ان لم تفرط في اداء الرسالة والموعظة الحسنة وقيل ان ابا جهل والنضر بن الحارث قالا له انك شقي لانك تركت دين آبائك فاريد رد ذلك بان دين الاسلام وهذا القرآن هو السلم الى نيل كل فوز والسبب في درك كل سعادة وما فيه الكفرة هو الشقاوة بعينها وروي انه عليه السلام صلى بالليل حتى اسمعدت قدماه فقال له جبرئيل ابق على نفسك فان

لما عليك حقا اى ما انزلناه لتنهك نفسك بالعبادة وتذيقها المشقة الفادحة وما بعثت الا بالحنيفية السمحة وكل واحد من لتشقى وتذكرة علة للفعل الا ان الاول وجب مجيئه مع اللام لانه ليس لفاعل الفعل المعلل ففاتته شريطة الانتصاب على المفعولية والثانى جاز قطع اللام عنه ونصبه لاستجماعه الشرائط

اما يجوز ان يقول ما انزلنا عليك القرآن ان تشقى كقوله ان تحبط اعمالكم

بلى ولكنها نصبة طارية كالنصبة فى واختار موسى قومه واما النصبة فى تذكرة فهى كالتى فى ضربت زيدا لانه احد المفاعيل الخمسة التى هى اصول وقوانين لغيرها

هل يجوز ان يكون تذكرة بدلا من محل لتشقى

لا لاختلاف الجنسين ولكنها نصب على الاستثناء المنقطع الذى الا فيه بمعنى لكن ويحتمل ان يكون المعنى انا انزلنا عليك القرآن لتحمل متاعب التبليغ ومقاولة العتاة من اعداء الاسلام ومقاتلتهم وغير ذلك من انواع المشاق وتكاليف النبوة وما انزلنا عليك هذا المتعب الشاق الا ليكون تذكرة وعلى هذا الوجه يجوز ان يكون تذكرة حالا ومفعولا له لمن يخشى لمن يؤول امره الى الخشية ولمن يعلم الله منه انه يبدل بالكفر ايمانا وبالقسوة خشية فى نصب تنزيلا وجوه ان يكون بدلا من تذكرة اذا جعل حالا لا اذا كان مفعولا له لان الشىء لا يعلل بنفسه وان ينصب بنزل مضمرا وان ينصب بانزلنا لان معنى ما انزلناه الا تذكرة انزلناه تذكرة وان ينصب على المدح والاختصاص وان ينصب بيخشى مفعولا به اى انزله الله تذكرة لمن يخشى تنزيل الله وهو معنى حسن واعراب بين وقرئ تنزيل بالرفع على خبر مبتداء محذوف ممن خلق الارض والسموات العلى الرحمن على العرش استوى له ما فى السموات وما فى الارض وما بينهما وما تحت الثرى وان تجهر بالقول فانه يعلم السر واخفى الله لا اله الا هو

ما بعد تنزيلا الى قوله له الاسماء الحسنى تعظيم وتفخيم لشان المنزل لنسبته الى من هذه افعاله وصفاته ولا يخلو من ان يكون متعلقه اما تنزيلا نفسه فيقع صلة له واما محذوفا فيقع صفة له

ما فائدة النقلة من لفظ المتكلم الى لفظ الغائب

غير واحدة منها عادة الافتنان فى الكلام وما يعطيه من الحسن والروعة ومنها ان هذه الصفات انما تسردت مع لفظ الغيبة ومنها انه قال اولا انزلنا ففخم بالاسناد الى ضمير الواحد المطاع ثم ثنى بالنسبة الى المختص بصفات العظمة والتمجيد فضوعفت الفخامة من طريقين ويجوز ان يكون انزلنا حكاية لكلام جبرئيل والملائكة النازلين معه ووصف السموات بالعلى دلالة على عظم قدرة من يخلق مثلها فى علوها وبعد مرتقاها وقرئ الرحمن مجرورا صفة لمن خلق والرفع احسن لانه اما ان يكون رفعا على المدح على تقدير هو الرحمن واما ان يكون مبتداء مشارا بلامه الى من خلق

الجملة التى هى على العرش استوى ما محلها اذا جررت

الرحمن او رفعته على المدح

اذا جررت فهى خبر مبتداء محذوف لا غير وان رفعت جاز ان تكون كذلك وان تكون مع الرحمن خبرين للمبتداء لما كان الاستواء على العرش وهو سرير الملك مما يردف الملك جعلوه كناية عن الملك فقالوا استوى فلان على العرش يريدون ملك وان لم يقعد على السرير البتة قالوه ايضا لشهرته فى ذلك المعنى ومساواته ملك فى مؤداه وان كان اشرح وابسط وادل على صورة الامر ونحوه قولك يد فلان مبسوطة ويد فلان مغلولة بمعنى انه جواد او بخيل لا فرق بين العبارتين الا فيما قلت حتى ان من لم يبسط يده قط بالنوال او لم تكن له يد راسا قيل فيه يده مبسوطة لمساواته عندهم قولهم جواد ومنه قول الله عز وجل وقالت اليهود يد الله مغلولة اى هو بخيل بل يداه مبسوطتان اى هو جواد من غير تصور يد ولا غل ولا بسط والتفسير بالنعمة والتمحل للتثنية من ضيق العطن والمسافرة عن علم البيان مسيرة اعوام وما تحت الثرى ما تحت سبع الارضين عن محمد بن كعب وعن السدى هو الصخرة التى تحت الارض السابعة اى يعلم ما اسررته الى غيرك واخفى من ذلك وهو ما اخطرته ببالك او ما اسررته فى نفسك واخفى منه وهو ما ستسره فيها وعن بعضهم ان اخفى فعل يعنى انه يعلم اسرار العباد واخفى عنهم ما يعلمه هو كقوله يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم ولا يحيطون به علما وليس بذاك

كيف طابق الجزاء الشرط

معناه ان تجهر بذكر الله من دعاء او غيره فاعلم انه غنى عن جهرك فاما ان يكون نهيا عن الجهر كقوله واذكر ربك فى نفسك تضرعا وخيفة ودون الجهر من القول واما تعليما للعباد ان الجهر ليس لاسماع الله وانما هو لغرض آخر الحسنى تانيث الاحسن وصفت بها الاسماء لان حكمها حكم المؤنث كقولك الجماعة الحسنى ومثلها مآرب اخرى ومن آياتنا الكبرى والذى فضلت به اسماؤه فى الحسن سائر الاسماء دلالتها على معانى التقديس والتمجيد والتعظيم والربوبية والافعال التى هى النهاية فى الحسن قفاه بقصة موسى عليه السلام ليأتسى به فى تحمل اعباء النبوة وتكاليف الرسالة والصبر على مقاساة الشدائد حتى ينال عند الله الفوز والمقام المحمود وهل اتيك حديث موسى اذ رأى نارا فقال لاهله اذ يجوز ان ينتصب ظرفا للحديث لانه حدث او لمضمر اى حين رأى نارا كان كيت وكيت او مفعولا لاذكر استأذن موسى شعيبا عليهما السلام فى الخروج الى امه وخرج باهله فولد له فى الطريق ابن فى ليلة شاتية مظلمة مثلجة وقد ضل الطريق وتفرقت ماشيته ولا ماء عنده وقدح فصلد زنده فرأى النار عند ذلك قيل كانت ليلة جمعة امكثوا اقيموا فى مكانكم انى آنست نارا لعلى آتيكم منها بقبس او اجد على النار هدى الايناس الابصار البين الذى لا شبهة فيه ومنه انسان العين لانه يتبين به الشىء والانس لظهورهم كما قيل الجن لاستتارهم وقيل هو ابصار ما يؤنس به لما وجد منه الايناس

وكان مقطوعاً متيقناً حققه لهم بكلمة ان ليوطن انفسهم ولما كان الاتيان بالقبس ووجود الهدى مترقبين
متوقعين بنى الامر فيهما على الرجاء والطمع وقال لعلى ولم يقطع فيقول انى آتيكم لئلا يعد ما ليس يستيقن
الوفاء به القبس النار المقتبسة في راس عود او فتيلة او غيرها ومنه قيل المقبسة لما يقتبس فيه من
شقفة او نحوها هدى اى قوما يهدوننى الطريق او ينفعوننى بهداهم فى ابواب الدين عن مجاهد وقتادة
وذلك لان افكار الابرار مغمورة بالهمة الدينية فى جميع احوالهم لا يشغلهم عنها شاغل والمعنى ذوى هدى
او اذا وجد الهداة فقد وجد الهدى ومعنى الاستعلاء فى على النار ان اهل النار يستعلون المكان
القريب منها كما قال سيبويه فى مررت بزيد انه لصوق بمكان يقرب من زيد او لان المصطلين بها و
المستمتعين اذا تكنفوها قياماً وقعوداً كانوا مشرفين عليها ومنه قول الاعشى
وبات على النار الندى والمحلق فلما اتاها نودى يا موسى قرا ابو عمرو وابن كثير انى بالفتح اى نودى
بانى انا ربك وكسر الباقون اى نودى فقيل يا موسى او لان النداء ضرب من القول فعومل معاملته
تكرير الضمير فى انى انا ربك فاخلع نعليك انك بالوادى المقدس لتوكيد الدلالة وتحقيق المعرفة واماطة
الشبهة روى انه لما نودى يا موسى قال من المتكلم فقال الله عز وجل انا ربك وان ابليس وسوس اليه
لعلك تسمع كلام شيطان فقال انا عرفت انه كلام الله بانى اسمعه من جميع جهاتى الست وا سمعه بجميع
اعضائى وروى انه حين انتهى راى شجرة خضراء من اسفلها الى اعلاها كانها نار بيضاء تتقد و
سمع تسبيح الملائكة وراى نوراً عظيماً فخاف وبهت فالقيت عليه السكينة ثم نودى وكانت الشجرة
عوسجة وروى كلما دنا او بعد لم يختلف ما كان يسمع من الصوت وعن ابن اسحق لما دنا استاخرت
عنه فلما راى ذلك رجع واوجس فى نفسه خيفة فلما اراد الرجعة دنت منه ثم كلم قيل امر بخلع
النعلين لانهما كانتا من جلد حمار ميت غير مدبوغ عن السدى وقتادة وقيل ليباشر الوادى بقدميه
متبركا به وقيل لان الحفوة تواضع لله ومن ثم طاف السلف بالكعبة حافين ومنهم من استعظم
دخول المسجد بنعليه وكان اذا ندر منه الدخول منتعلا تصدق والقرآن يدل على ان ذلك احترام
للبقعة وتعظيم لها وتشريف لقدسها وروى انه خلع نعليه والقاهما من وراء الوادى طوى بالضم
والكسر منصرف وغير منصرف بتاويل المكان والبقعة وقيل مرتين نحو ثنى اى نودى نداءين او
قدس الوادى كرة بعد كرة انا اخترتك اصطفيتك للنبوة وقرا حمزة وانا اخترناك لما يوحى (فاستمع)
للذى يوحى او للوحى تعلق اللام باستمع او باخترتك اننى انا الله لا اله الا انا فاعبدنى واقم الصلوة
لذكرى لتذكرنى فان ذكرى ان اعبد ويصلى لى او لتذكرنى فيها لاشتمال الصلوة على الاذكار

عن مجاهد او لانى ذكرتها فى الكتب وامرت بها او لان اذكرك بالمدح والثناء واجعل لك لسان صدق
او لذكرى خاصة لا تشوبه بذكر غيرى او لاخلاص ذكرى وطلب وجهى لا ترائى بها ولا تقصد بها غرضاً آخر
او لتكون ذاكراً غير ناس فعل المخلصين فى جعلهم ذكر ربهم على بال منهم وتوكيل هممهم وافكارهم به كما قال لا تلهيهم
تجارة ولا بيع عن ذكر الله او لاوقات ذكرى وهى مواقيت الصلوة كقوله ان الصلوة كانت على المؤمنين كتاباً
موقوتاً واللام مثلها فى قولك جئتك لوقت كذا وكان ذلك لست ليال خلون وقوله تعالى يا ليتنى قدمت لحياتى
وقد حمل على ذكر الصلوة بعد نسيانها من قوله عليه السلام من نام عن صلوة او نسيها فليصلها اذا ذكرها
وكان حق العبارة ان يقال لذكرها كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا ذكرها ومن يتمحل له يقول
اذا ذكر الصلوة فقد ذكر الله او بتقدير حذف المضاف اى لذكر صلوتى او لان الذكر والنسيان من الله عز
وجل فى الحقيقة وقراء رسول الله صلى الله عليه وسلم للذكرى ان الساعة آتية اكاد اخفيها فلا اقول
هى آتية لفرط ارادتى اخفاءها ولولا ما فى الاخبار باتيانها مع تعمية وقتها من اللطف لما اخبرت به و
قيل معناه اكاد اخفيها من نفسى ولا دليل فى الكلام على هذا المحذوف ومحذوف لا دليل عليه مطروح و
الذى غرهم منه ان فى مصحف ابى اكاد اخفيها من نفسى وفى بعض المصاحف اكاد اخفيها من نفسى
فكيف اظهركم عليها وعن ابى الدرداء وسعيد بن جبير اخفيها بالفتح من خفاه اذا اظهره اى قرب اظهارها
كقوله اقتربت الساعة وقد جاء فى بعض اللغات اخفاه بمعنى خفاه وبه فسر بيت امرئ القيس
فان تدفنوا الداء لا نخفه وان تبعثوا الحرب لا نقعد فاكاد اخفيها محتمل للمعنيين لتجزى
متعلق بآتية كل نفس بما تسعى سعيها فلا يصدنك عنها من لا يؤمن بها واتبع هواه فتردى اى لا
يصدنك عن تصديقها والضمير للقيامة ويجوز ان يكون للصلوة العبارة لنهى من لا
يؤمن عن صد موسى والمقصود نهى موسى عن التكذيب بالبعث وامره بالتصديق فكيف صلحت
هذه العبارة لاداء هذا المقصود فيه وجهان احدهما ان صد الكافر عن التصديق بها
سبب للتكذيب فذكر السبب ليدل على المسبب والثانى ان صد الكافر مسبب عن رخاوة الرجل فى
الدين ولين شكيمته فذكر المسبب ليدل على السبب كقولك لا ارينك ههنا المراد نهيه عن مشاهدته
والكون بحضرته وذلك سبب رؤيته اياه وكان ذكر المسبب دليلا على السبب كانه قيل فكن شديد
الشكيمة صليب المعجم حتى لا يتلوح منك لمن يكفر بالبعث انه يطمع فى صدك عما انت عليه يعنى
ان من لا يؤمن بالآخرة هم الجم الغفير اذ لا شئ اطم على الكفرة ولا هم اشد له نكيراً من البعث فلا
يهولنك وفور دهمائهم وعظم سوادهم ولا تجعل الكثرة مزلة قدمك واعلم انهم وان كثروا تلك

الكثرة ففقد وتهم فيما هم فيه الهوى واتباعه لا البرهان وتدبره وفي هذا حث عظيم على العمل بالدليل
وزجر بليغ عن التقليد وانذار بان الهلاك والردى مع التقليد واهله وما تلك بيمينك يا موسى كقوله و
هذا بعلي شيخا في انتصاب الحال بمعنى الاشارة ويجوز ان تكون تلك اسما موصولا صلته بيمينك انما ساله
ليريه عظم ما يخترعه عز وعلا في الخشبة اليابسة من قلبها حية نضناضة وليقرر في نفسه المباينة
البعيدة بين المقلوب عنه والمقلوب اليه وينبهه على قدرته الباهرة ونظيره ان يريك الزراد زبرة من
حديد ويقول لك ما هي فيقول زبرة حديد ثم يريك بعد ايام لبوسا مسردا فيقول لك هي تلك الزبرة
صيرتها الى ما ترى من عجيب الصنعة وانيق السرد قال هي عصاي قرا ابن ابي اسحق عصي على لغة هذيل
ومثله يا بشري ارادوا كسر ما قبل ياء المتكلم فلم يقدروا عليه فقلبوا الالف الى اخت الكسرة وقرا الحسن عصاي
بكسر الياء لالتقاء الساكنين وهو مثل قراءة حمزة بمصرخي وعن ابن ابي اسحق سكون الياء اتوكأ عليها اعتمد عليها
اذا اعييت او وقفت على راس القطيع وعند الطفرة واهش بها على غنمي ولي فيها مارب اخرى هش الورق
خبطه اي اخبطه على رؤس غنمي تاكله وعن لقمان بن عاد اكلت حقا وابن لبون وجذع وهشة نخب
وسيلا دفع والحمد لله من غير شبع سمعته من غير واحد من العرب ونخب واد قريب من الطائف كثير السدر
وفي قراءة النخعي اهش وكلاهما من هش الخبز يهش اذا كان ينكسر لهشاشته وعن عكرمة اهس بالسين
اي انحى عليها زاجرا لها والهس زجر الغنم ذكر على التفصيل والاجمال المنافع المتعلقة بالعصا
كانه احس بما يعقب هذا السؤال من امر عظيم يحدثه الله فقال ما هي الا عصا لا تنفع الا منافع بنات
جنسها كما ينفع العيدان لتكون جوابه مطابقا للغرض الذي فهمه من فحوى كلام ربه ويجوز ان يريد عز
وجل ان يعدد المرافق الكثيرة التي علقها بالعصا ويستكثرها ويستعظمها ثم يريه على عقب ذلك الآية
العظيمة كانه يقول اين انت عن هذه المنفعة العظمى والمأربة الكبرى المنسية عندها كل منفعة و
مأربة كنت تعتد بها وتحتفل بشانها وقالوا انما ساله ليبسط منه ويقلل هيبته وقالوا انما
اجمل موسى ليساله عن تلك المآرب فيزيد في اكرامه وقالوا انقطع لسانه بالهيبة فاجمل وقالوا اسم العصا
نبعة وقيل في المآرب كانت ذات شعبتين ومحجن فاذا طال الغصن حناه بالمحجن واذا طلب كسره لواه
بالشعبتين واذا سار القاها على عاتقه فعلق بها ادواته من القوس والكنانة والحلاب وغيرها واذا كان
في البرية ركزها وعرض الزندين على شعبتيها والقى عليها الكساء واستظل واذا قصر رشاؤه وصله بها
وكان يقاتل بها السباع عن غنمه وقيل كان فيها من المعجزات انه كان يستقي بها فتطول بطول البير وتصير
شعبتاها دلوا وتكونان شمعتين بالليل واذا ظهر عدو حاربت عنه واذا اشتهى الثمرة ركزها فاورقت واثمرت

وكان يحمل عليها زاده وسقاءه فجعلت تماشيه ويركزها فينبع الماء فاذا رفعها نضب وكانت تقيه الهوام قال
القها يا موسى فالقاها فاذا هي حية تسعى السعي المشي بسرعة وخفة حركة كيف ذكرت بالفاظ
مختلفة بالحية والجان والثعبان اما الحية فاسم جنس يقع على الذكر والانثى والصغير والكبير
واما الثعبان والجان فبينهما تناف لان الثعبان العظيم من الحيات والجان الدقيق وفي ذلك وجهان
احدهما انها كانت وقت انقلابها حية تنقلب حية صفراء دقيقة ثم تتورم وتتزايد جرمها حتى تصير
ثعبانا فاريد بالجان اول حالها وبالثعبان مآلها والثاني انها كانت في شخص الثعبان وسرعة حركة
الجان والدليل عليه قوله فلما رآها تهتز كانها جان وقيل كان لها عرف كعرف الفرس وقيل كان بين
لحييها اربعون ذراعا قال خذها ولا تخف سنعيدها سيرتها الاولى لما راى ذلك الامر العجيب الهائل ملكه
من الفزع والنفار ما يملك البشر عند الاهوال والمخاوف وعن ابن عباس انقلبت ثعبانا تبتلع الصخر
والشجر فلما راه يبتلع كل شيء خاف ونفر وعن بعضهم انما خافها لانه عرف ما لقي آدم منها وقيل لما
قال له ربه لا تخف بلغ من ذهاب خوفه وطمأنينة نفسه ان ادخل يده في فمها واخذ بلحييها السيرة
من السير كالركبة من الركوب يقال سار فلان سيرة حسنة ثم اتسع فيها فنقلت الى معنى المذهب
والطريقة وقيل سير الاولين فيجوز ان ينتصب على الظرف اي سنعيدها في طريقتها الاولى اي في حال
ما كانت عصا وان تكون اعاد منقولا من عاده بمعنى عاد اليه ومنه بيت زهير
وعادك ان تلاقيها عداء فيتعدى الى مفعولين ووجه ثالث حسن وهو ان تكون سنعيدها مستقلا
بنفسه غير متعلق بسيرتها بمعنى انها انشئت اول ما انشئت عصا ثم ذهبت وبطلت بالقلب حية
فسنعيدها بعد الذهاب كما انشاناها اولا ونصب سيرتها بفعل مضمر اي تسير سيرتها الاولى
يعني سنعيدها سائرة سيرتها الاولى حيث كنت تتوكا عليها ولك فيها المآرب التي عرفتها
واضمم يدك الى جناحك
قيل لكل ناحيتين جناحان كجناحي العسكر لمجنبتيه وجناحا الانسان جنباه والاصل المستعار منه
جناحا الطائر سميا جناحين لانه يجنحهما عند الطيران والمراد الى جنبك تحت العضد دل على ذلك
قوله تخرج بيضاء من غير سوء لنريك من آياتنا الكبرى السوء الرداءة والقبح في كل شيء فكني به عن البرص
كما كني عن العورة بالسوأة وكان جذيمة صاحب الزباء ابرص فكنوا عنه بالابرش والبرص
ابغض شيء الى العرب وبهم عنه نفرة عظيمة واسماعهم لاسمه مجاجة فكان جديرا بان يكنى عنه ولا
ترى احسن ولا الطف ولا احز للمفاصل من كنايات القرآن وآدابه يروى انه كان آدم فاخرج
يده من مدرعته بيضاء لها شعاع كشعاع الشمس تغشى البصر بيضاء وآية حالان معا ومن غير سوء

من غير سوء كما تقول ابيضت من غير سوء وفي نصب آية وجه آخر وهو ان يكون باضمار نحو خذ و
دونك وما اشبه ذلك حذف لدلالة الكلام وقد تعلق بهذا المحذوف لنريك اي خذ هذه الآية ايضا بعد
قلب العصا حية لنريك بهاتين الآيتين بعض آياتنا الكبرى او لنريك بهما الكبرى من آياتنا او لنريك من
آياتنا الكبرى فعلنا ذلك لما امره بالذهاب الى فرعون الطاغي لعنه الله عرف انه كلف امرا عظيما و
خطبا جسيما يحتاج معه الى احتمال ما لا يحتمله الا ذو جاش رابط وصدر فسيح فاستوهب ربه ان
يشرح صدره ويفسح قلبه ويجعله حليما حمولا يستقبل ما عسى يرد عليه من الشدائد التي يذهب معها
صبر الصابر بجميل الصبر وحسن الثبات وان يسهل عليه في الجملة امره الذي هو خلافة الله في ارضه
وما يصحبها من مزاولة معاظم الشؤون ومقاساة جلائل الخطوب الى في قوله رب اشرح لي
صدري ويسر لي امري لما جدواه والكلام بدونه مستتب قد ابهم الكلام اولا فقيل اشرح لي
ويسر لي فعلم ان ثم مشروحا وميسرا ثم بين ورفع الابهام بذكرهما فكان آكد لطلب الشرح والتيسير
لصدره وامره من ان يقول اشرح صدري ويسر امري على الايضاح الساذج لانه تكرير للمعنى الواحد
من طريقي الاجمال والتفصيل واحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي عن ابن عباس كان في لسانه رتة
لما روي من حديث الجمرة ويروى ان يده احترقت وان فرعون اجتهد في علاجها فلم تبرأ ولما
دعاه قال الى اي رب تدعوني قال الى الذي ابرأ يدي وقد عجزت عنها وعن بعضهم انما لم تبرأ يده
لئلا يدخلها مع فرعون في قصعة واحدة فينعقد بينهما حرمة المواكلة واختلف في زوال العقدة
بكمالها فقيل ذهب بعضها لقوله واخي هرون هو افصح مني لسانا وقوله ولا يكاد يبين وكان في لسان
الحسين بن علي رضي الله عنهما رتة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ورثها من عمه موسى وقيل
زالت لقوله قد اوتيت سؤلك وفي تنكير العقدة وان لم يقل واحلل عقدة لساني انه طلب حل
بعضها ارادة ان يفهم عنه فهما جيدا ولم يطلب الفصاحة الكاملة ومن لساني صفة للعقدة كانه
قيل عقدة من عقد لساني واجعل لي وزيرا من اهلي هرون اخي الوزير من الوزر لانه يتحمل عن الملك اوزاره
ومؤنه او من الوزر لان الملك يعتصم برايه ويلجئ اليه اموره او من المؤازرة وهي المعاونة عن الاصمعي
قال وكان القياس ازيرا فقلبت الهمزة الى الواو ووجه قلبها ان فعيلا جاء في معنى مفاعل مجيئا
صالحا كقولهم عشير وجليس وقعيد وخليل وصديق ونديم فلما قلبت في اخيه قلبت فيه وحمل الشيء
على نظيره ليس بعزيز ونظرا الى يوازر واخواته والى المؤازرة وزيرا وهرون مفعولا قوله اجعل قدم ثانيهما
على اولهما عناية بامر الوزارة او لي وزيرا مفعولاه وهرون عطف بيان للوزير واخي في الوجهين بدل

من هرون وان جعل عطف بيان آخر جاز وحسن وقرؤا جميعا اشدد به ازري واشركه في امري واشركه
على الدعاء وابن عامر وحده اشدد واشركه على الجواب وفي مصحف ابن مسعود اخي واشدد وعن
ابي بن كعب اشركه في امري واشدد به ازري ويجوز فيمن قرا على لفظ الامر ان يجعل اخي مرفوعا
على الابتداء واشدد به خبره ويوقف على هرون الازر القوة وآزره قواه اي اجعله شريكي في الرسالة
حتى نتعاون على عبادتك وذكرك فان التعاون لانه مهيج الرغبات يتزايد به الخير ويتكاثر انك
كنت بنا بصيرا اي عالما باحوالنا وبان التعاضد مما يصلحنا وان هرون نعم المعين والشاد لعضدي
بانه اكبر مني سنا وافصح لسانا قال قد اوتيت سؤلك يا موسى ولقد مننا عليك مرة اخرى اذ اوحينا الى امك
ما يوحى ان اقذفيه في التابوت فاقذفيه في اليم السؤل الطلبة فعل بمعنى مفعول كقولك خبز بمعنى مخبوز
واكل بمعنى ماكول الوحي الى ام موسى اما ان يكون على لسان نبي في وقتها كقوله واذ اوحيت الى
الحواريين او يبعث اليها ملكا لا على وجه النبوة كما الى مريم او يريها ذلك في المنام فتتنبه عليه او يلهمها
كقوله واوحى ربك الى النحل اي اوحينا اليها امرا لا سبيل الى التوصل اليه ولا الى العلم به الا بالوحي وفيه
مصلحة دينية فوجب ان يوحى ولا يخل به اي هو مما يوحى لا محالة وهو امر عظيم مثله يحق
ان يوحى ان هي المفسرة لان الوحي بمعنى القول القذف مستعمل بمعنى الالقاء والوضع ومنه
قوله تعالى وقذف في قلوبهم الرعب وكذلك الرمي قال غلام رماه الله بالحسن يافعا اي
حصل فيه الحسن ووضعه فيه والضمائر كلها راجعة الى موسى ورجوع بعضها اليه وبعضها الى
التابوت فيه هجنة لما يؤدي اليه من تنافر النظم المقذوف في البحر هو التابوت
وكذلك الملقى الى الساحل ما ضرك لو قلت المقذوف والملقى هو موسى في جوف التابوت
حتى لا تفرق الضمائر فيتنافر عليك النظم الذي هو ام اعجاز القرآن والقانون الذي وقع عليه
التحدي ومراعاته اهم ما يجب على المفسر لما كانت مشيئة الله تعالى وارادته ان لا تخطئ جرية ماء
اليم الوصول به الى الساحل والقاءه اليه سلك في ذلك سبيل المجاز وجعل اليم كانه ذو تمييز امر
بذلك ليطيع الامر ويمتثل رسمه فقيل فليلقه اليم بالساحل ياخذه عدو لي وعدو له والقيت عليك
محبة روي انها جعلت في التابوت قطنا محلوجا فوضعته فيه وجصصته وقيرته ثم القته
في اليم وكان يشرع منه الى بستان فرعون نهر كبير فبينا هو جالس على راس بركة مع آسية اذا
بالتابوت فامر به فاخرج ففتح فاذا صبي اصبح الناس وجها فاحبه عدو الله حبا شديدا
لا يتمالك ان يصبر عنه وظاهر اللفظ ان البحر القاه بساحله وهو شاطئه لان الماء يسحله

كي نسبحك كثيرا ونذكرك كثيرا

أي يقشره وقذف به ثمة فالتقط من الساحل إلا أن يكون قد ألقاه اليم بموضع من الساحل فيه فوهة
نهر فرعون ثم أداه النهر إلى حيث البركة ومنّي لا يخلو أن يتعلق بألقيت فيكون المعنى على أني أحببتك و
من أحبه الله أحبته القلوب وإما أن يتعلق بمحذوف هو صفة لمحبة أي محبة حاصلة أو واقعة مني
قد ركزتها أنا في القلوب وزرعتها فيها فلذلك أحبك فرعون وكل من أبصرك يروى أنه كانت على
وجهه مسحة جمال وفي عينيه ملاحة لا يكاد يصبر عنه من رآه ولتصنع على عيني لتربى ويحسن إليك
وأنا مراعيك وراقبك كما يراعي الرجل الشيء بعينيه إذا اعتنى به وتقول للصانع اصنع هذا على
عيني أنظر إليك لئلا تخالف به عن مرادي وبغيتي ولتصنع معطوف على علة مضمرة مثل ليتعطف
عليك وترأم ونحوه أو حذف معلله أي ولتصنع فعلت ذلك وقرئ ولتصنع ولتصنع بكسر اللام و
سكونها والجزم على أنه أمر وقرئ ولتصنع بفتح التاء والنصب أي وليكون عملك وتصرفك على عين
مني إذ تمشي أختك فتقول هل أدلكم على من يكفله فرجعناك إلى أمك كي تقر عينها ولا تحزن وقتلت نفسا
فنجيناك من الغم ألقيت أو تصنع ويجوز أن يكون بدلا من إذ أوحينا كيف يصح البدل والوقتان
مختلفان متباعدان كما يصح وإن اتسع الوقت وتباعد طرفاه أن يقول لك الرجل لقيت فلانا
سنة كذا فتقول وأنا لقيته إذ ذاك وربما لقيه هو في أولها وأنت في آخرها يروى أن أخته واسمها
مريم جاءت متعرفة خبره فصادفتهم يطلبون له مرضعة يقبل ثديها وذلك أنه كان لا يقبل ثدي امرأة
فقالت هل أدلكم فجاءت بالأم فقبل ثديها ويروى أن آسية استوهبته من فرعون وتبنته وهي
التي أشفقت عليه وطلبت له المراضع هي نفس القبطي الذي استغاثه عليه الإسرائيلي قتله وهو ابن
اثنتي عشرة سنة اغتم بسبب القتل خوفا من عقاب الله ومن اقتصاص فرعون فغفر الله له باستغفاره
حين قال رب إني ظلمت نفسي فاغفر لي ونجاه من فرعون أن ينشب فيه أظفاره حين هاجر به إلى مدين
وفتناك فتونا فلبثت سنين في أهل مدين ثم جئت على قدر يا موسى واصطنعتك لنفسي اذهب أنت وأخوك بآياتي
ولا تنيا في ذكري اذهبا إلى فرعون إنه طغى فقولا له قولا لينا لعله يتذكر فتونا يجوز أن يكون مصدرا على فعول
في المتعدي كالثبور والشكور والكفور وجمع فتن أو فتنة على ترك الاعتداد بتاء التأنيث كحجوز وبدور
في حجزة وبدرة أي فتناك ضروبا من الفتن سأل سعيد بن جبير ابن عباس فقال خلصناك من محنة بعد
محنة ولد في عام كان يقتل فيه الولدان فهذه فتنة يا ابن جبير وألقته أمه في البحر وهم فرعون
بقتله وقتل قبطيا وآجر نفسه عشر سنين وضل الطريق وتفرقت غنمه في ليلة مظلمة وكان
يقول عند كل واحدة فهذه فتنة يا ابن جبير والفتنة المحنة وكل ما يشق على الإنسان وكل ما يبتلي

الله به عباده فتنة قال ونبلوكم بالشر والخير فتنة مدين على ثمان مراحل من مصر وعن وهب أنه لبث
عند شعيب ثمانيا وعشرين سنة منها مهر ابنته وقضى أوفى الأجلين أي سبق في قضائي وقدري
أن أكلمك وأستنبئك في وقت بعينه وقد وقته لذلك فما جئت إلا على ذلك القدر غير مستقدم ولا مستأخر
وقيل على مقدار من الزمان يوحى فيه إلى الأنبياء وهو رأس أربعين سنة هذا تمثيل لما خوله من منزلة
التقريب والتكليم والتكرمة مثل حاله بحال من يراه بعض الملوك لجوامع خصال فيه وخصائص أهلا لئلا
يكون أقرب منزلة منه إليه ولا ألطف محلا فيصطنعه بالكرامة والأثرة ويستخلصه لنفسه ولا يبصر
ولا يسمع إلا بعينيه وأذنه ولا يأتمن على مكنون سره إلا سواء ضميره الوني الفتور والتقصير وقرئ تنيا
بكسر حرف المضارعة للاتباع أي لا تنسياني ولا أزال منكما على ذكر حيثما تقلبتما واتخذا ذكري
جناحا تطيران به مستمدين بذلك العون والتأييد مني معتقدين أن أمرا من الأمور لا يتمشى
لأحد إلا بذكري ويجوز أن يريد بالذكر تبليغ الرسالة فإن الذكر يقع على سائر العبادات
وتبليغ الرسالة من أجلها وأعظمها فكان جديرا بأن يطلق عليه اسم الذكر روي أن الله أوحى
إلى هارون وهو بمصر أن يتلقى موسى وقيل سمع بمقبله وقيل ألهم ذلك قرئ لينا بالتخفيف و
القول اللين نحو قوله تعالى هل لك إلى أن تزكى وأهديك إلى ربك فتخشى لأن ظاهره الاستفهام
والمشورة وعرض ما فيه الفوز العظيم وقيل عداه شبابا لا يهرم بعده وملكا لا ينزع منه
إلا بالموت وأن يبقى له لذة المطعم والمشرب والمنكح إلى حين موته وقيل لا تجبهاه بما يكره وألطفا
له في القول لما له من حق تربية موسى ولما ثبت له من مثل حق الأبوة وقيل كنياه وهو من ذوي الكنى
الثلاث أبو العباس وأبو الوليد وأبو مرة والترجي لهما أي اذهبا على رجائكما وطمعكما وباشرا
الأمر مباشرة من يرجو ويطمع أن يثمر عمله ولا يخيب سعيه فهو يجتهد بطوقه ويحتشد بأقصى وسعه
وجدوى إرسالهما إليه مع العلم بأنه لن يؤمن إلزام الحجة وقطع المعذرة ولو أنا أهلكناهم بعذاب
من قبله لقالوا لولا أرسلت إلينا رسولا فنتبع آياتك أي يتذكر ويتأمل فيبذل النصفة
من نفسه والإذعان للحق أو يخشى أن يكون الأمر كما تصفان فيجره إنكاره إلى الهلكة قالا ربنا
إننا نخاف أن يفرط علينا أي نخاف أن يعجل علينا بالعقوبة ويبادرنا بها وقرئ يفرط من أفرطه
غيره إذا حمله على العجلة خافا أن يحمله حامل على المعاجلة بالعقاب من شيطان أو من جبروته
واستكباره وادعائه الربوبية أو من حبه الرياسة أو من قومه القبط المتمردين الذين حكى
عنهم رب العزة قال الملأ من قومه وقال الملأ من قومه وقرئ يفرط من الإفراط في الأذية

اى تخاف أن يحول بيننا وبين تبليغ الرسالة بالمعاجلة او تجاوز الحد في معاقبتنا إن لم يعاجل بنا على ما
عرفا وجربا من شرارته وعتوه أو أن يطغى بالتخطي الى أن يقول فيك ما لا ينبغي لجرأته عليك وقسوة قلبه وفي
المجي به هكذا على الإطلاق وعلى سبيل الرمز باب من حسن الأدب وتحاش عن التفوه بالعظيمة قال لا تخافا
إنني معكما اى حافظكما وناصركما أسمع وأرى فأتياه فقولا إنا رسولا ربك فأرسل معنا بني إسرائيل ولا تعذبهم
ما يجري بينكما وبينه من قول وفعل فأفعل ما يوجبه حفظي ونصرتي لكما فجاز أن يقدر أقوالكم
وأفعالكم وجاز أن لا يقدر شيء وكأنه قيل أنا حافظ لكما وناصر سامع مبصر وإذا كان الحافظ
والناصر كذلك تم الحفظ وصحت النصرة وذهبت المبالاة بالعدو كانت بنو إسرائيل في ملكة فرعون
والقبط يعذبونهم بتكليف الأعمال الصعبة من الحفر والبناء ونقل الحجارة والسخرة في كل شيء مع
قتل الولدان واستخدام النساء قد جئناك بآية من ربك والسلم على من اتبع الهدى إنا قد أوحي إلينا أن العذاب
على من كذب وتولى جملة جارية من الأولى وهي إنا رسولا ربك مجرى البيان والتفسير لأن دعوى الرسالة
لا تثبت إلا ببينتها التي هي المجي بالآية إنما وحد قوله بآية ولم يثن ومعه آيتان لأن المراد في هذا
الموضع تثبيت الدعوى ببرهانها فكأنه قال قد جئناك بمعجزة وبرهان وحجة على ما ادعيناه
من الرسالة وكذلك قد جئتكم ببينة من ربكم فأت بآية إن كنت من الصادقين أو لو جئتك بشيء
مبين يريد وسلام الملائكة الذين هم خزنة الجنة على المهتدين وتوبيخ خزنة النار والعذاب
على المكذبين فمن ربكما يا موسى قال ربنا الذي أعطى كل شيء خاطب الاثنين ووجه النداء إلى أحدهما وهو
موسى لأنه الأصل في النبوة وهارون وزيره وتابعه ويحتمل أن يحمله خبثه ودعارته على استدعاء
كلام موسى دون كلام أخيه لما عرف من فصاحة هارون والرتة في لسان موسى ويدل عليه قوله أم
أنا خير من هذا الذي هو مهين ولا يكاد يبين خلقه أول مفعولي أعطى اى أعطى خليقته كل شيء
يحتاجون إليه ويرتفقون به أو ثانيهما اى أعطى كل شيء صورته وشكله الذي يطابق المنفعة المنوطة
به كما أعطى العين الهيئة التي تطابق الإبصار والأذن الشكل الذي يوافق الاستماع وكذلك الأنف
واليد والرجل واللسان كل واحد منها مطابق لما علق به من المنفعة غير ناب عنه أو أعطى كل حيوان
نظيره في الخلق والصورة حيث جعل الحصان والحجر زوجين والبعير والناقة والرجل والمرأة فلم
يزاوج منها شيء غير جنسه وما هو على خلاف خلقه وقرئ خلقه صفة للمضاف أو للمضاف إليه
اى كل شيء خلقه الله لم يخله من عطائه وإنعامه ثم هدى اى عرف كيف يرتفق بما أعطي وكيف
يتوسل إليه ولله در هذا الجواب ما أخصره وما أجمعه وما أبينه لمن ألقى الذهن ونظر بعين الإنصاف

وكان طالبا للحجة قال فما بال القرون الأولى قال علمها عند ربي في كتاب لا يضل ربي ولا ينسى سأله عن حال
من تقدم وخلا من القرون وعن شقاء من شقي منهم وسعادة من سعد فأجابه بأن هذا سؤال
عن الغيب وقد استأثر الله به لا يعلمه إلا هو وما أنا إلا عبد مثلك لا أعلم منه إلا ما أخبرني به
علام الغيوب وعلم أحوال القرون مكتوب عند الله في اللوح المحفوظ لا يجوز على الله أن يخطئ
شيئا أو ينساه يقال ضللت الشيء إذا أخطأته في مكانه فلم تهتد له كقولك ضللت الطريق
والمنزل وقرئ يضل من أضله إذا ضيعه وعن ابن عباس لا يترك من كفره حتى ينتقم منه
ولا يترك من وحده حتى يجازيه ويجوز أن يكون فرعون قد نازعه في إحاطة الله بكل شيء وتبينه
لكل معلوم فتعنت وقال ما تقول في سوالف القرون وتمادي كثرتهم وتباعد أطراف عددهم
كيف أحاط بهم وبأجزائهم وجواهرهم فأجاب بأن كل كائن محيط به علمه وهو مثبت عنده في
كتاب ولا يجوز عليه الخطأ والنسيان كما يجوزان عليك أيها العبد الذليل والبشر الضئيل اى لا يضل
كما تضل أنت ولا ينسى كما تنسى يا مدعي الربوبية بالجهل والوقاحة الذي جعل لكم الأرض مرفوع صفة
لربي أو خبر مبتدأ محذوف أو منصوب على المدح وهذا من مظانه ومجازه مهدا وسلك لكم فيها سبلا
وأنزل من السماء ماء قراءة أهل الكوفة اى مهدها مهدا أو تتمهدونها فهي لكم كالمهد وهو ما يمهد
للصبي سلك من قوله تعالى ما سلككم في سقر سلكناه نسلكه في قلوب المجرمين اى حصل لكم فيها
سبلا ووسطها بين الجبال والأودية والبراري فأخرجنا به انتقل فيه من لفظ الغيبة إلى لفظ المتكلم
المطاع لما ذكرت من الافتنان والإيذان بأنه مطاع تنقاد الأشياء المختلفة لأمره وتذعن
الأجناس المتفاوتة لمشيئته لا يمتنع شيء على إرادته ومثله قوله تعالى وهو الذي أنزل من
السماء ماء فأخرجنا به نبات كل شيء ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فأخرجنا به ثمرات
مختلفا ألوانها أمن خلق السموات والأرض وأنزل لكم من السماء ماء فأنبتنا به حدائق وفيه تخصيص
أيضا بأنا نحن نقدر على مثل هذا ولا يدخل تحت قدرة أحد أزواجا أصنافا سميت بذلك لأنها
مزدوجة مقترنة بعضها مع بعض من نبات شتى صفة للأزواج جمع شتيت كمريض ومرضى
ويجوز أن يكون صفة للنبات والنبات مصدر سمي به النابت كما سمي بالنبت فاستوى فيه الواحد
والجمع يعني أنها شتى مختلفة النفع والطعم واللون والرائحة والشكل بعضها يصلح للناس و
بعضها يصلح للبهائم قالوا من نعمته عز وعلا أن أرزاق العباد إنما تحصل بعمل الأنعام وقد جعل الله
علفها مما يفضل عن حاجتهم ولا يقدرون على أكله اى قائلين كلوا وارعوا حال من الضمير في فأخرجنا

المعنى اخرجنا اصناف النبات آذنين في الانتفاع بها مبيحين ان يأكلوا بعضها ويعلفوا بعضها
انعامكم ان في ذلك لآيات لاولي النهى منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة اخرى اراد بخلقهم من
الارض خلق اصلهم وهو آدم عليه السلام منها وقيل ان الملك لينطلق فيأخذ من تربة المكان الذي
يدفن فيه فيبددها على النطفة فيخلق من التراب والنطفة معا واراد باخراجهم منها انه يؤلف
اجزاءهم المتفرقة المختلطة بالتراب ويردهم كما كانوا احياء ويخرجهم الى المحشر يوم يخرجون من
الاجداث سراعا عدد الله عليهم ما علق بالارض من مرافقهم حيث جعلها لهم فراشا ومهادا يتقلبون
عليها وسوى لهم فيها مسالك يترددون فيها كيف شاؤوا وانبت فيها اصناف النبات التي منها
اقواتهم وعلوفات بهائمهم وهي اصلهم الذي منه تفرعوا وامهم التي منها ولدوا ثم هي كفاتهم
اذا ماتوا ومن ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تمسحوا بالارض فانها بكم برة ولقد اريناه اي
بصرناه او عرفناه صحتها ويقناه بها وانما كذب لظلمه كقوله تعالى وجحدوا بها واستيقنتها
انفسهم ظلما وعلوا وقوله لقد علمت ما انزل هؤلاء الا رب السموات والارض بصائر وفي قوله
آياتنا كلها وجهان احدهما ان يحذى بهذا التعريف الاضافي حذو التعريف باللام لو قيل الآيات
كلها اعني انها كانت لا تعطي الا تعريف العهد والاشارة الى الآيات المعلومة التي هي تسع الآيات المختصة
بموسى عليه السلام العصا واليد وفلق البحر والحجر والجراد والقمل والضفادع والدم ونتق الجبل
والثاني ان يكون موسى قد اراه آياته وعدد عليه ما اوتيه غيره من الانبياء من آياتهم ومعجزاتهم
وهو نبي صادق لا فرق بين ما يخبر عنه وبين ما يشاهد به فكذب بها جميعا فكذب وابى ان يقبل
شيئا منها وقيل فكذب الآيات وابى قبول الحق يلوح من جيب قوله قال اجئتنا لتخرجنا
من ارضنا بسحرك ان فرائصه كانت ترعد خوفا مما جاء به موسى عليه السلام لعلمه وايقانه انه
على الحق وان المحق لو اراد قود الجبال لانقادت له وان مثله لا يخذل ولا يقل ناصره وانه
غالبه على ملكه لا محالة وقوله بسحرك تعلل وتحير والا فكيف يخفى عليه ان ساحرا لا يقدر
ان يخرج ملكا مثله من ارضه ويغلبه على ملكه بالسحر يا موسى فلنأتينك بسحر مثله لا يخلو الموعد
في قوله فاجعل بيننا وبينك موعدا من ان يجعل زمانا او مكانا او مصدرا فان جعلته زمانا نظرا الى
ان قوله موعدكم يوم الزينة مطابق له لزمك شيئان ان تجعل الزمان مخلفا وان يعضل
عليك ناصب مكانا وان جعلته مكانا لقوله مكانا سوى لزمك ايضا ان توقع الاخلاف على المكان
وان لا يطابق قوله موعدكم يوم الزينة وقراءة الحسن غير مطابقة له مكانا وزمانا جميعا لانه

قرأ يوم الزينة بالنصب فبقي ان يجعل مصدرا بمعنى الوعد ويقدر مضاف محذوف اي مكان موعد
ويجعل الضمير في نخلفه للموعد ومكانا بدل من المكان المحذوف **فان قلت** فكيف طابقه قوله لا نخلفه
نحن ولا انت مكانا سوى قال موعدكم يوم الزينة ولا بد من ان تجعله زمانا والسؤال واقع عن المكان
لا عن الزمان **قلت** هو مطابق معنى وان لم يطابق لفظا لانه لا بد لهم من ان يجتمعوا يوم الزينة
في مكان بعينه مشتهر باجتماعهم فيه في ذلك اليوم فبذكر الزمان علم المكان واما قراءة الحسن
فالموعد فيها مصدر لا غير والمعنى انجاز وعدكم يوم الزينة وطباق هذا ايضا من طريق المعنى
ويجوز ان لا يقدر مضاف محذوف ويكون المعنى اجعل بيننا وبينك وعدا لا نخلفه **فان قلت**
فبم ينتصب مكانا **قلت** بالمصدر او بفعل يدل عليه المصدر **فان قلت** فكيف يطابقه الجواب **قلت**
اما على قراءة الحسن فظاهر واما على قراءة العامة فعلى تقدير وعدكم وعد يوم الزينة ويجوز على
قراءة الحسن ان يكون موعدكم مبتدأ بمعنى الوقت وضحى خبره على نية التعريف فيه لانه ضحى ذلك اليوم
بعينه وقيل في يوم الزينة يوم عاشوراء ويوم النيروز ويوم عيد كان لهم في كل عام ويوم كانوا يتخذون
فيه سوقا ويتزينون ذلك اليوم قرئ نخلفه بالرفع على الوصف للموعد وبالجزم على جواب الامر
وقرئ سوى وسوى بالكسر والضم ومنونا وغير منون ومعناه منصفا بيننا وبينك عن
مجاهد وهو من الاستواء لان المسافة من الوسط الى الطرفين مستوية لا تفاوت فيها و
من لم ينون فوجهه ان يجري الوصل مجرى الوقف قرئ وان يحشر الناس ضحى بالتاء والياء
يريد وان تحشر يا فرعون وان يحشر اليوم ويجوز ان يكون فيه ضمير فرعون ذكره بلفظ الغيبة
اما على العادة التي يخاطب بها الملوك او خاطب القوم بقوله موعدكم وجعل يحشر لفرعون
ومحل ان يحشر الرفع او الجر عطفا على اليوم او الزينة وانما واعدهم ذلك اليوم ليكون علو
كلمة الله وظهور دينه وكبت الكافر وزهوق الباطل على رؤوس الاشهاد وفي المجمع الغاص لتقوى
رغبة من رغب في اتباع الحق ويكل حد المبطلين واشياعهم ويكثر المحدث بذلك الامر
العلم في كل بدو وحضر ويشيع في جمع اهل الوبر والمدر فتولى فرعون فجمع كيده ثم اتى قال لهم
موسى ويلكم لا تفتروا على الله كذبا اي لا تدعوا آياته ومعجزاته سحرا قرئ فيسحتكم والسحت لغة
اهل الحجاز والاسحات لغة اهل نجد وبني تميم ومنه قول الفرزدق الا مسحتا او مجلف
بعذاب وقد خاب من افترى فتنازعوا امرهم بينهم واسروا النجوى قالوا في بيت لا تنال الركب تصطلك
في نشوة اعرابه عن ابن عباس ان نجواهم ان غلبنا موسى اتبعناه وعن قتادة ان كان ساحرا

فستغلبه وان كان من السماء فله امر وعن وهب لما قال ويلكم الاية قالوا ما هذا بقول ساحر والظاهر
انهم تشاوروا في السر وتجاذبوا اهداب القول ثم قالوا ان هذان لساحران فكانت نجواهم في تلفيق هذا
الكلام وتزويره خوفا من غلبتهما وتثبيطا للناس عن اتباعهما قرأ ابو عمرو ان هذين لساحران على
~~قولك ان زيد لمنطلق~~ الجهة الظاهرة المكشوفة وابن كثير وحفص ان هذان لساحران على قولك ان
زيد لمنطلق واللام هي الفارقة بين ان النافية والمخففة من الثقيلة وقرأ ابي ان ذان الا ساحران
وابن مسعود ان هذان ساحران بفتح ان وبغير لام بدل من النجوى وقيل في القراءة المشهورة ان
هذان لساحران هي لغة بلحرث بن كعب جعلوا الاسم المثنى نحو الاسماء التي آخرها الف كعصا و
سعدى فلم يقلبوها ياء في الجر والنصب وقال بعضهم ان بمعنى نعم وساحران خبر مبتدأ محذوف
واللام داخلة على الجملة تقديره لهما ساحران وقد اعجب به ابو اسحاق يريدان ان يخرجاكم من ارضكم
بسحرهما ويذهبا بطريقتكم المثلى سموا مذهبهم الطريقة المثلى والسنة الفضلى وكل حزب بما لديهم
فرحون وقيل اراد واهل طريقتكم المثلى وهم بنو اسرائيل لقول موسى ارسل معنا بني اسرائيل
وقيل الطريقة اسم لوجوه الناس واشرافهم الذين هم قدوة لغيرهم يقال هم طريقة قومهم و
يقال للواحد ايضا هو طريقة قومه فاجمعوا كيدكم يعضده قوله فجمع كيده وقرئ فاجمعوا كيدكم اي
ازمعوه واجعلوه مجمعا عليه حتى لا تختلفوا ولا يتخلف عنه واحد منكم كالمسألة المجمع عليها امروا
بان ياتوا صفا لانه اهيب في صدور الرائين وروي انهم كانوا سبعين الفا مع كل واحد منهم حبل
وعصا وقد اقبلوا اقبالة واحدة وعن ابي عبيدة انه فسر الصف بالمصلى لان الناس يجتمعون فيه
لعيدهم وصلواتهم مصطفين ووجه صحته ان يقع علما لمصلى بعينه فامروا بان ياتوه او يراد ائتوا
مصلى من المصليات وقد افلح اليوم من استعلى اعتراض يعني وقد فاز من غلب قالوا يا موسى اما ان
تلقي واما ان نكون اول من القى قال بل القوا ان وما بعده اما منصوب بفعل مضمر او مرفوع بانه
خبر مبتدأ محذوف معناه اختر احد الامرين او الامر القاؤك او القاؤنا وهذا التخيير
منهم استعمال ادب حسن معه وتواضع له وخفض جناح وتنبيه على اعطائهم النصفة من انفسهم
وكأن الله عز وعلا الهمهم ذلك وعلم موسى عليه السلام اختيار القائهم اولا مع ما فيه من
مقابلة ادب بادب حتى يبرزوا ما معهم من مكايد السحر ويستنفدوا اقصى طوقهم ومجهودهم
فاذا فعلوا اظهر الله سلطانه وقذف بالحق على الباطل فدمغه وسلط المعجزة على السحر فمحقته
وكانت آية نيرة للناظرين وعبرة بينة للمعتبرين يقال في اذا هذه اذا المفاجأة والتحقيق

ثم ائتوا صفا

فيها انها اذا الكائنة بمعنى الوقت الطالبة ناصبا لها وجملة تضاف اليها خصت في بعض المواضع
بان يكون ناصبها فعلا مخصوصا وهو فعل المفاجأة والجملة ابتدائية لا غير فتقدير قوله تعالى فاذا حبالهم
وعصيهم يخيل اليه من سحرهم ففاجأ موسى وقت تخييل سعي حبالهم وعصيهم وهذا تمثيل والمعنى على مفاجأته
حبالهم وعصيهم مخيلة اليه السعي وقرئ عصيهم بالضم وهو الاصل والكسر اتباع ونحوه
دلي ودلي وقسي وقسي وقرئ تخيل على اسناده الى ضمير الحبال والعصي وابدال قوله انها تسعى
من الضمير بدل الاشتمال كقولك اعجبني زيد كرمه وتخيل على كون الحبال والعصي مخيلة سعيها
وتخيل بمعنى تتخيل وطريقه طريق تخيل ونخيل على ان الله هو المخيل للمحنة والابتلاء يروى
انهم لطخوها بالزئبق فلما ضربت عليها الشمس اضطربت واهتزت فخيلت ذلك فاوجس في نفسه خيفة موسى
قلنا لا تخف ايجاس الخوف اضمار شيء منه وكذلك توجس الصوت تسمع نبأة يسيرة منه وكان
ذلك لطبع الجبلة البشرية وانه لا يكاد يمكن الخلو من مثله وقيل خاف ان يخالج الناس شك
فلا يتبعوه انك انت الاعلى فيه تقرير لغلبته وقهره وتوكيد بالاستيناف وبكلمة التشديد وبتكرير
الضمير وبلام التعريف وبلفظ العلو وهو الغلبة الظاهرة وبالتفضيل وقوله والق ما في يمينك ولم يقل
عصاك جاز ان يكون تصغيرا لها اي لا تبال بكثرة حبالهم وعصيهم والق العويد الفرد الصغير
الجرم الذي في يمينك فانه بقدرة الله يتلقفها على وحدته وكثرتها وصغره وعظمها وجائز
ان يكون تعظيما لها اي لا تحتفل بهذه الاجرام الكبيرة الكثيرة فان في يمينك شيئا اعظم منها كلها
وهذه على كثرتها اقل شيء وانزره عندها فالقه يتلقفها باذن الله ويمحقها وقرئ
تلقف بالرفع على الاستيناف او على الحال اي القها متلقفة وقرئ تلقف بالتخفيف ما صنعوا
ههنا بمعنى زوروا وافتعلوا كقوله تعالى تلقف ما يافكون قرئ انما صنعوا كيد ساحر
بالرفع والنصب فمن رفع فعلى ان ما موصولة ومن نصب فعلى انها كافة وقرئ كيد سحر
بمعنى ذي سحر او ذوي سحر او هم لتوغلهم في سحرهم كانهم السحر بعينه وبذاته او بين الكيد
لانه يكون سحرا وغير سحر كما يبين المائة بدرهم ونحوه علم فقه وعلم نحو **فان قلت** لم وحد ساحر
ولم يجمع **قلت** لان القصد في هذا الكلام الى معنى الجنسية لا الى معنى العدد فلو جمع لخيل
ان المقصود هو العدد الا ترى الى قوله ولا يفلح الساحر اي هذا الجنس **فان قلت** فلم نكر اولا و
عرف ثانيا **قلت** انما نكر من اجل تنكير المضاف لا من اجل تنكيره في نفسه كقول العجاج
في سعي دنيا طالما قد مدت وفي حديث عمر رضي الله عنه لا في امر دنيا ولا في امر آخرة المراد

تنكير الأمر كانه قيل انما صنعوا كيد سحري وفي سعي دنياوي وامر دنياوي وآخري حيث اتى كقولهم حيث
سير واية سلك واينما كان سبحان الله ما اعجب امرهم قد القوا حبالهم وعصيهم للكفر والجحود فالقي السحرة سجدا
ثم القوا رؤوسهم بعد ساعة للشكر والسجود فما اعظم الفرق بين الالقائين وروي انهم لم يرفعوا
رؤوسهم حتى راوا الجنة والنار وراوا ثواب اهلها وعن عكرمة لما خروا سجدا اراهم الله
في سجودهم منازلهم التي يصيرون اليها في الجنة قالوا آمنا برب هرون وموسى قال آمنتم له قبل ان آذن لكم
انه لكبيركم لعظيمكم يريد انه اسحرهم واعلاهم درجة في صناعتهم او لمعلمكم من قول اهل مكة
للمعلم أمرني كبيري وقال لي كبيري كذا يريدون معلمهم واستاذهم في القرآن وفي كل شيء الذي علمكم
السحر فلاقطعن ايديكم وارجلكم من خلاف قرئ لاقطعن ولاصلبن بالتخفيف والقطع من خلاف
ان تقطع اليد اليمنى والرجل اليسرى لان كل واحد من العضوين خالف الآخر بان هذا يد وذاك
رجل وهذا يمين وذاك شمال ومن لابتداء الغاية لان القطع مبتدئ وناشئ من مخالفة
العضو العضو لا من وفاقه اياه ومحل الجار والمجرور النصب على الحال اي لاقطعنها مختلفات لانها
اذا خالفت بعضها بعضا فقد اتصفت بالاختلاف شبه تمكن المصلوب في الجذع بتمكن الشيء الموعى
في وعائه فلذلك قيل ولاصلبنكم في جذوع النخل ولتعلمن اينا يريد نفسه لعنه الله وموسى صلوات الله عليه بدليل
قوله آمنتم له واللام مع الايمان في كتاب الله لغير الله كقوله يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين وفيه نفاجة
باقتداره وقهره وما ألفه وضري به من تعذيب الناس بانواع العذاب وتوضيع لموسى عليه السلام
واستضعاف مع الهزء به لان موسى لم يكن قط من التعذيب في شيء اشد عذابا وابقى قالوا لن نؤثرك
على ما جاءنا من البينات والذي فطرنا عطف على ما جاءنا او قسم فاقض ما انت قاض انما تقضي هذه الحيوة
الدنيا انا آمنا بربنا ليغفر لنا خطايانا وما اكرهتنا عليه من السحر والله خير وابقى انه من يأت ربه مجرما فان
له جهنم لا يموت فيها ولا يحيى ومن يأته مؤمنا قد عمل الصالحات فاولئك لهم الدرجات العلى جنات عدن تجري
من تحتها الانهار خالدين فيها قرئ تقضى هذه الحيوة الدنيا ووجهها ان الحيوة في القراءة المشهورة
منتصبة على الظرف فاتسع في الظرف باجرائه مجرى المفعول به كقولك في صمت يوم الجمعة صيم يوم
الجمعة روي ان السحرة يعني رؤوسهم كانوا اثنين وسبعين الاثنان من القبط والسائر من
بني اسرائيل وكان فرعون اكرههم على تعلم السحر وروي انهم قالوا لفرعون ارنا موسى نائما
ففعل فوجدوه تحرسه عصاه فقالوا ما هذا بسحر الساحر اذا نام بطل سحره فابى الا ان يعارضوه
وذلك جزاء من تزكى تطهر من ادناس الذنوب وعن ابن عباس قال لا اله الا الله قيل في هذه

الآيات الثلث هي حكاية قولهم وقيل خبر من الله لا على وجه الحكاية ولقد اوحينا الى موسى ان اسر
بعبادي فاضرب لهم طريقا فاجعل لهم من قولهم ضرب له في ماله سهما وضرب اللبن عمله في البحر يبسا اليبس
مصدر وصف به يقال يبس يبسا ويبسا ونحوهما العدم والعدم ومن ثم وصف به المؤنث فقيل
شاتنا يبس وناقتنا يبس اذا جف لبنها وقرئ يبسا ويابسا ولا يخلو اليبس من ان يكون مخففا عن
اليبس او صفة على فعل او جمع يابس كصاحب وصحب وصف به الواحد تاكيدا كقوله ومعا جياعا
جعله لفرط جوعه كجماعة جياع لا تخاف دركا حال من الضمير في فاضرب وقرئ لا تخف على الجواب وقرأ
ابو حيوة دركا بالسكون والدرك والدرك اسمان من الادراك اي لا يدركك فرعون وجنوده ولا يلحقونك
في ولا تخشى اذا قرئ لا تخف ثلثة اوجه ان يستأنف كانه قيل وانت لا تخشى اي ومن شانك انك
آمن وان لا يكون الالف المنقلبة عن الياء التي هي لام الفعل ولكن زائدة للاطلاق من اجل الفاصلة
كقوله فاضلونا السبيلا وتظنون بالله الظنونا وان يكون مثل قوله كأن لم ترى قبلي اسيرا يمانيا
فاتبعهم فرعون بجنوده فغشيهم من اليم ما غشيهم واضل فرعون ما غشيهم من باب الاختصار ومن جوامع الكلم التي
يستقل مع قلتها بالمعاني الكثيرة اي غشيهم ما لا يعلم كنهه الا الله وقرئ فغشاهم من اليم ما غشاهم
والتغشية التغطية وفاعل غشاهم اما الله سبحانه او ما غشاهم او فرعون لانه الذي ورط جنوده
وتسبب لهلاكهم وقوله وما هدى تهكم به في قوله وما اهديكم الا سبيل الرشاد يا بني اسرائيل قد انجيناكم
من عدوكم وواعدناكم جانب الطور الايمن ونزلنا عليكم المن والسلوى كلوا من طيبات ما رزقناكم ولا تطغوا فيه
فيحل عليكم غضبي خطاب لهم بعد انجائهم من البحر واهلاك آل فرعون وقيل هو للذين كانوا منهم في
عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من الله عليهم بما فعل بآبائهم والوجه هو الاول اي قلنا يا بني اسرائيل
وحذف القول كثير في القرآن وقرئ انجيتكم الى رزقتكم وعلى لفظ الوعد والمواعدة و
قرئ الايمن بالجر على الجوار نحو جحر ضب خرب ذكرهم النعمة في نجاتهم وهلاك عدوهم وفيما
واعد موسى صلوات الله عليه من المناجاة بجانب الطور وكتب التوراة في الالواح وانما عدى المواعدة
اليهم لانها لابستهم واتصلت بهم حيث كانت لنبيهم ونقبائهم واليهم رجعت منافعها التي قام
بها دينهم وشرعهم وفيما افاض عليهم من سائر نعمه وارزاقه وطغيانهم في النعمة ان يتعدوا حدود
الله فيها بان يكفروها ويشغلهم اللهو والتنعم عن القيام بشكرها وان ينفقوها في المعاصي
وان يزووا حقوق الفقراء فيها وان يسرفوا في انفاقها وان يبطروا فيها ويأشروا ويتكبروا
قرئ فيحل وعن عبد الله لا يحلن ومن يحلل عليه غضبي فقد المكسور في معنى الوجوب من حل

الدين يحل اذا وجب اداؤه ومنه قوله تعالى حتى يبلغ الهدى محله والمضموم في معنى النزول وغضب
الله عقوباته ولذلك وصف بالنزول هوى هلك واصله ان يسقط من جبل فيهلك قال
هوى من راس مرقبة ففتت تحتها كبده ويقولون هوت امه او سقط سقوطا لا نهوض بعده وانى لغفار
لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى الاهتداء هو الاستقامة والثبات على الهدى المذكور وهو التوبة
والايمان والعمل الصالح ونحوه قوله تعالى ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا وكلمة التراخي دلت
على تباين المنزلتين دلالتها على تباين الوقتين في جاءني زيد ثم عمرو اعني ان منزلة الاستقامة
على الخير مباينة لمنزلة الخير نفسه لانها اعلى منه وافضل وما اعجلك عن قومك يا موسى قال اي شيء
عجل بك عنهم على سبيل الانكار وكان قد مضى مع النقباء الى الطور على الموعد المضروب ثم تقدمهم
شوقا الى كلام ربه وتنجز ما وعد به بناء على اجتهاده وظنه ان ذلك اقرب الى رضا الله وزل عنه
انه عز وجل وقت افعاله الا نظرا الى دواعي الحكمة وعلما بالمصالح المتعلقة بكل وقت فالمراد بالقوم
النقباء وليس لقول من جوز ان يراد جميع قومه وان يكون قد فارقهم قبل الميعاد وجه صحيح يأباه قوله
هم اولاء على اثري وعن ابي عمرو ويعقوب اثري بالكسر وعن عيسى بن عمر اثري بالضم وعنه ايضا اولى بالقصر
والاثر افصح من الاثر واما الاثر فمسموع في فرند السيف مدة وبن في الاصول يقال اثر السيف
واثره وهو بمعنى الاثر غريب ما اعجلك سوال عن سبب العجلة فكان الذي ينطبق عليه
من الجواب ان يقال طلب زيادة رضاك او الشوق الى كلامك وتنجز موعدك وقوله هم اولاء على اثري كما
ترى غير منطبق قد تضمن ما واجهه به رب العزة شيئين احدهما انكار العجلة في نفسها والثاني
السوال عن سبب المستنكر والحامل عليه فكان اهم الامرين الى موسى بسط العذر وتمهيد العلة في نفس ما
انكر عليه فاعتل بانه لم يوجد مني الا تقدم يسير مثله لا يعتد به في العادة ولا يحتفل به وليس بيني وبين من سبقته
الا مسافة قريبة يتقدم بمثلها الوفد راسهم ومقدمهم ثم عقبه بجواب السوال عن السبب فقال
وعجلت اليك رب لترضى ولقائل ان يقول حار لما ورد عليه من التهيب لعتاب الله فاذهله ذلك عن
الجواب المنطبق المرتب على حدود الكلام قال فانا قد فتنا قومك من بعدك اراد بالقوم المفتونين الذين
خلفهم مع هارون وكانوا ستمائة الف ما نجا من عبادة العجل منهم الا اثنا عشر الفا في
القصة انهم اقاموا بعد مفارقته عشرين ليلة وحسبوها اربعين مع ايامها وقالوا قد اكملنا
العدة ثم كان امر العجل بعد ذلك فكيف التوفيق بين هذا وبين قوله تعالى لموسى عند مقدمه انا قد
فتنا قومك قد اخبر الله تعالى عن الفتنة المترقبة بلفظ الموجودة الكائنة على عادته او

افترص السامري غيبته فعزم على اضلالهم غب انطلاقه واخذ في تدبير ذلك فكان بدء الفتنة موجودا
واضلهم السامري فرجع موسى الى قومه غضبان اسفا قال يا قوم الم يعدكم ربكم وعدا حسنا افطال عليكم العهد ام اردتم ان يحل
عليكم غضب من ربكم فاخلفتم موعدي قرئ واضلهم السامري اي وهو اشدهم ضلالا لانه ضال مضل وهو منسوب
الى قبيلة من بني اسرائيل يقال لها السامرة وقيل السامرة قوم من اليهود يخالفونهم في بعض دينهم وقيل
كان من اهل باجرما وقيل كان علجا من كرمان واسمه موسى بن ظفر وكان منافقا قد اظهر
الاسلام وكان من قوم يعبدون البقر الاسف شديد الغضب ومنه قوله عليه السلام في موت الفجاءة
رحمة للمومن واخذة اسف للكافر وقيل الحزين **فان قلت** متى رجع الى قومه **قلت** بعد ما استوفى
الاربعين ذا القعدة وعشر ذي الحجة وعدهم الله سبحانه ان يعطيهم التوراة التي فيها هدى ونور و
لا وعد احسن من ذاك واجمل حكي لنا انها كانت الف سورة كل سورة الف آية يحمل اسفارها سبعون
جملا العهد الزمان يريد مفارقته لهم يقال طال عهدي بك اي طال زماني بسبب مفارقتك وعدوه
ان يقيموا على امره وما تركهم عليه من الايمان فاخلفوا موعده بعبادتهم العجل قالوا ما اخلفنا موعدك بملكنا
ولكنا حملنا اوزارا من زينة القوم بملكنا قرئ بالحركات الثلاث اي ما اخلفنا موعدك بان ملكنا امرنا
اي لو ملكنا امرنا وخلينا وراينا لما اخلفناه ولكن غلبنا من جهة السامري وكيده اي حملنا احمالا من
حلي القبط التي استعرناها منهم او ارادوا بالاوزار انها آثام وتبعات لانهم كانوا معهم في حكم المستامنين
في دار الحرب وليس للمستامن ان ياخذ مال الحربي على ان الغنائم لم تكن تحل حينئذ فقذفناها في نار
السامري التي اوقدها في الحفرة وامرنا ان نطرح فيها الحلي وقرئ حملنا وكذلك القى السامري
اراهم انه يلقي حليا في يده مثل ما القوا وانما القى التربة التي اخذها من موطئ حيزوم فرس جبريل
اوحى اليه وليه الشيطان انها اذا خالطت مواتا صار حيوانا فاخرج لهم السامري من الحفرة عجلا
جسدا له خوار خلقها الله من الحلي التي سبكتها النار تخور كما تخور العجاجيل **فان قلت**
كيف اثرت تلك التربة في احياء الموات **قلت** اما يصح ان يوثر الله سبحانه روح القدس
بهذه الكرامة الخاصة كما آثره بغيرها من الكرامات وهي ان يباشر فرسه بحافره تربة اذا لاقت تلك
التربة جمادا انشاه الله ان شاء عند مباشرته حيوانا الا ترى كيف انشا المسيح من غير اب عند
نفخه في الدرع **فان قلت** فلم خلق الله العجل من الحلي حتى صار فتنة لبني اسرائيل وضلالا
قلت ليس باول محنة محن الله بها عباده ليثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحيوة
الدنيا وفي الآخرة ويضل الله الظالمين ومن عجب من خلق العجل فليكن من خلق ابليس اعجب

والمراد بقوله انا قد فتنا قومك هو خلق العجل للامتحان اى امتحناهم بخلق العجل وحملهم السامرى على الضلال (فقالوا)
واوقعهم فيه حين قال لهم هذا الهكم واله موسى فنسى اى فنسى موسى ان يطلبه ههنا وذهب يطلبه عند
الطور او فنسى السامرى اى ترك ما كان عليه من الايمان الظاهر افلا يرون ان لا يرجع اليهم قولا ولا يملك لهم ضرا و
لا نفعا يرجع من رفعه فعلى ان ان مخففة من الثقيلة ومن نصب فعلى انها الناصبة للافعال ولقد قال
لهم هرون من قبل يا قوم من قبل ان يقول لهم السامرى ما قال كانهم اول ما وقعت عليه ابصارهم
حين طلع من الحفرة افتتنوا به واستحسنوه فقبل ان ينطق السامرى بادرهم هارون عليه السلام بقوله
انما فتنتم به وان ربكم الرحمن فاتبعونى واطيعوا امرى قالوا لن نبرح عليه عاكفين حتى يرجع الينا موسى قال يا هرون ما
منعك اذ رايتهم ضلوا الا تتبعن افعصيت امرى لا مزيدة والمعنى ما منعك ان تتبعنى فى الغضب لله وشدة
الزجر على الكفر والمعاصى وهلا قاتلت من كفر بمن آمن وما لك لم تباشر الامر كما كنت اباشره انا
لو كنت شاهدا او ما لك لم تلحقنى قال يا ابن ام لا تاخذ بلحيتى ولا براسى انى خشيت ان تقول فرقت بين بنى اسرائيل
ولم ترقب قولى قرئ بلحيتى بفتح اللام وهى لغة اهل الحجاز كان موسى صلوات الله عليه رجلا حديدا مجبولا
على الحدة والخشونة والتصلب فى كل شىء شديد الغضب لله ولدينه فلم يتمالك حين راى قومه يعبدون
عجلا من دون الله بعد ما راوا من الآيات العظام ان القى الواح التورية لما غلب ذهنه من الدهشة
العظيمة غضبا لله واستنكافا وحمية وعنف باخيه وخليفته على قومه فاقبل عليه اقبال العدو
المكاشف قابضا على شعر راسه وكان افرع وعلى شعر وجهه يجره اليه اى لو قاتلت بعضهم ببعض لتفرقوا
وتفانوا فاستانيتك ان تكون انت المتدارك بنفسك المتلافى برايك وخشيت عتابك على اطراح
ما وصيتنى به من ضم النشر وحفظ الدهماء ولم يكن لى بد من رقبة وصيتك والعمل على موجبها قال
فما خطبك يا سامرى قال الخطب مصدر خطب الامر اذا طلبه فاذا قيل لمن يفعل شيئا ما خطبك فمعناه
ما طلبك له قرئ بصرت بما لم يبصروا به بالكسر والمعنى علمت ما لم تعلموه وفطنت لما لم تفطنوا له فقبضت
قبضة من اثر الرسول فنبذتها وكذلك سولت لى نفسى قال فاذهب فان لك فى الحيوة ان تقول لا مساس قرا
الحسن قبضة بضم القاف وهى اسم المقبوض كالغرفة والمضغة واما القبضة فالمرة من القبض و
اطلاقها على المقبوض من تسمية المفعول بالمصدر كضرب الامير وقرا ايضا فقبصت قبصة بالصاد
الضاد بجميع الكف والصاد باطراف الاصابع ونحوهما الخضم والقضم الخاء بجميع الفم والقاف بمقدمه
قرا ابن مسعود من اثر فرس الرسول لم سماه الرسول دون جبريل وروح القدس
حين حل ميعاد الذهاب الى الطور ارسل الله الى موسى جبريل راكب حيزوم فرس الحيوة ليذهب به

فابصره السامرى فقال ان لهذا لشانا فقبض القبضة من تربة موطئه فلما ساله موسى عن قصته قال
قبضت من اثر فرس المرسل اليك يوم حلول الميعاد ولعله لم يعرف انه جبريل عوقب فى الدنيا بعقوبة
لا شىء اطم منها واوحش وذلك انه منع من مخالطة الناس منعا كليا وحرم عليهم ملاقاته ومكا (لمته)
ومبايعته ومواجهته وكل ما يعايش به الناس بعضهم بعضا واذا اتفق ان يماس احدا رجلا او امراة حم
الماس والممسوس فتحامى الناس وتحاموه وكان يصيح لا مساس وعاد فى الناس اوحش من القاتل اللاجى الى
الحرم ومن الوحشى النافر فى البرية ويقال ان قومه باق فيهم ذلك الى اليوم وقرئ لا مساس بوزن فجار
ونحوه قولهم فى الظباء ان وردت الماء فلا عباب وان فقدته فلا اباب وهى اعلام للمسة والعبة و
الابة وهى المرة من الاب وهو الطلب لن تخلفه وانظر الى الهك اى لن يخلفك الله موعده الذى وعدك
على الشرك والفساد فى الارض ينجزه لك فى الآخرة بعد ما عاقبك بذلك فى الدنيا فانت ممن خسر الدنيا و
الآخرة ذلك هو الخسران المبين وقرئ لن تخلفه وهذا من اخلفت الموعد اذا وجدته خلفا قال الاعشى
اثوى وقصر ليله ليزودا فمضى واخلف من قتيلة موعدا وعن ابن مسعود نخلفه بالنون اى لن يخلفه
الله كانه حكى قوله عز وجل كما مر فى لاهب لك الذى ظلت عليه عاكفا ظلت وظلت وظللت والاصل
ظللت فحذفوا اللام الاولى ونقلوا حركتها الى الظاء ومنهم من لم ينقل لنحرقنه ولنحرقنه ولنحرقنه
وفى حرف ابن مسعود لنذبحنه ولنحرقنه القراءتان من الاحراق وذكر ابو على الفارسى فى لنحرقنه انه
يجوز ان يكون حرق مبالغة فى حرق اذا برد بالمبرد وعليه القراءة الثالثة وهى قراءة على بن ابى طالب
رضى الله عنه ثم لننسفنه بكسر السين وضمها وهذه عقوبة ثالثة وهى ابطال ما افتتن به وفتن و
اهدار سعيه وهدم مكره ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين فى اليم نسفا انما الهكم الله الذى لا
اله الا هو وسع كل شىء علما قرا طلحة الله الذى لا اله الا هو الرحمن رب العرش وسع كل شىء علما و
عن مجاهد وقتادة وسع ووجهه ان وسع متعد الى مفعول واحد وهو كل شىء واما علما فانتصابه
على التمييز وهو فى المعنى فاعل فلما ثقل نقل الى التعدية الى مفعولين فنصبهما معا على المفعولية
لان المميز فاعل فى المعنى كما تقول خاف زيد عمرا خوفت زيدا عمرا فترد بالنقل ما كان فاعلا
مفعولا الكاف فى كذلك منصوب المحل وهذا موعد من الله عز وجل لرسوله اى مثل ذلك الاقتصاص و
نحو ما اقتصصنا عليك قصة موسى وفرعون نقص عليك من انباء ما قد سبق وقد آتيناك من لدنا ذكرا
من اعرض عنه فانه يحمل يوم القيمة وزرا من سائر اخبار الامم وقصصهم واحوالهم تكثيرا لبيناتك وزيادة
فى معجزاتك وليعتبر السامع ويزداد المستبصر فى دينه بصيرة وتتاكد الحجة على من عاند وكابر وان

وان هذا الذكر الذى آتيناك يعنى القرآن مشتملا على هذه الاقاصيص والاخبار الحقيقة بالتفكر
والاعتبار لذكر عظيم وقرآن كريم فيه النجاة والسعادة لمن اقبل عليه ومن اعرض عنه فقد
هلك وشقى يريد بالوزر العقوبة الثقيلة الباهظة سماها وزرا تشبيها فى ثقلها على المعاقب
وصعوبة احتمالها بالحمل الذى يفدح الحامل وينقض ظهره ويلقى عليه بهره او لانها جزاء الوزر
وهو الاثم وقرئ يحمل جمع خالدين على المعنى لان من مطلق متناول لغير معرض واحد وتوحيد
الضمير فى اعرض وما بعده للحمل على اللفظ ونحوه قوله تعالى ومن يعص الله ورسوله فان له نار جهنم
خالدين فيها اى فى ذلك الوزر او فى احتماله وساء لهم يوم القيمة حملا ساء فى حكم بئس والضمير الذى يجب ان يكون فيه م
مبهما يفسره حملا والمخصوص بالذم محذوف لدلالة الوزر السابق عليه تقديره ساء حملا وزرهم كما حذف فى
قوله تعالى نعم العبد انه اواب اى ايوب الذى هو المخصوص بالمدح ومنه قوله تعالى وساءت مصيرا اى وساءت
مصيرا جهنم   اللام فى لهم للبيان كما فى هيت لك   ما انكرت
ان تكون فى ساء ضمير الوزر   لا يصح ان يكون فى ساء وحكمه حكم بئس ضمير شىء بعينه غير مبهم
فلا تكن ساء الذى حكمه حكم بئس وليكن ساء الذى منه قوله تعالى سيئت وجوه الذين كفروا بمعنى اهم و
احزن   كفاك صادا عنه ان يؤول كلام الله الى قولك واحزن الوزر لهم يوم القيمة حملا وذلك
بعد ان تخرج من عهدة هذه اللام وعهدة هذا المنصوب يوم ينفخ فى الصور ونحشر المجرمين يومئذ
زرقا اسند النفخ الى الآمر به فيمن قرأ ننفخ بالنون ولان الملائكة المقربين واسرافيل منهم بالمنزلة
التى هم بها من رب العزة فصح لكرامتهم عليه وقربهم منه ان يسند ما يتولونه الى ذاته وقرئ ينفخ بلفظ
ما لم يسم فاعله وينفخ ويحشر بالياء المفتوحة على الغيبة والضمير لله تعالى او لاسرافيل عليه السلام واما
يحشر المجرمون فلم يقرأ به الا الحسن وقرئ فى الصور بفتح الواو جمع صورة وفى الصور قولان احدهما
انه بمعنى الصور وهذه القراءة تدل عليه والثانى انه القرن قيل فى الزرق قولان احدهما ان الزرقة
ابغض شىء من الوان العيون الى العرب لان الروم اعداؤهم وهم زرق العيون ولذلك قالوا فى
صفة العدو اسود الكبد اصهب السبال ازرق العين والثانى ان المراد العمى لان حدقة من
يذهب نور بصره تزراق يتخافتون بينهم ان لبثتم الا عشرا نحن اعلم بما يقولون تخافتهم لما
يملأ صدورهم من الرعب والهول يستقصرون مدة لبثهم فى الدنيا اما لما يعاينون من الشدائد
التى تذكرهم ايام النعمة والسرور فيتأسفون عليها ويصفونها بالقصر لان ايام السرور
قصار واما لانها ذهبت عنهم وتقضت والذاهب وان طالت مدته قصير بالانتهاء ومنه توقيع

عبد الله بن المعتز تحت اطال الله بقاءك كفى بالانتهاء قصرا واما لاستطالتهم الآخرة وانها ابد
سرمد يستقصر اليها عمر الدنيا ويتقال لبث اهلها فيها بالقياس الى لبثهم فى الآخرة وقد استرجح
الله قول من يكون اشد تقالا منهم فى قوله اذ يقول امثلهم طريقة ان لبثتم الا يوما ويسئلونك عن الجبال
فقل ونحوه قوله تعالى قال كم لبثتم فى الارض عدد سنين قالوا لبثنا يوما او بعض يوم فاسأل العادين
وقيل المراد لبثهم فى القبور ويعضده قوله عز وجل ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون ما لبثوا
غير ساعة كذلك كانوا يؤفكون وقال الذين اوتوا العلم والايمان لقد لبثتم فى كتاب الله الى يوم
البعث ينسفها ربى نسفا يجعلها كالرمل ثم يرسل عليها الرياح فيفرقها كما يذرى الطعام فيذرها
قاعا صفصفا لا ترى فيها عوجا ولا امتا اى فيذر مقارها ومراكزها او يجعل الضمير للارض وان لم
يجر لها ذكر كقوله ما ترك على ظهرها من دابة   قد فرقوا بين العوج والعوج فقالوا العوج
بالكسر فى المعانى والعوج بالفتح فى الاعيان والارض عين فكيف صح فيها المكسور العين
اختيار هذا اللفظ له موقع حسن بديع فى وصف الارض بالاستواء والملاسة ونفى الاعوجاج عنها
على ابلغ ما يكون وذلك انك لو عمدت الى قطعة ارض فسويتها وبالغت فى التسوية على عينك وعيون
البصراء من الفلاحة واتفقتم على انه لم يبق فيها اعوجاج قط ثم استطلعت رأى المهندس فيها و
امرته ان يعرض استواءها على المقاييس الهندسية لعثر فيها على عوج فى غير موضع لا يدرك ذلك بحاسة
البصر ولكن بالقياس الهندسى فنفى الله عز وعلا ذلك العوج الذى دق ولطف عن الادراك اللهم الا بالقياس
الذى يعرفه صاحب التقدير والهندسة وذلك الاعوجاج لما لم يدرك الا بالقياس دون الاحساس
لحق بالمعانى فقيل فيه عوج بالكسر الامت النتوء اليسير يقال مد حبله حتى ما فيه امت اضاف
اليوم الى وقت نسف الجبال فى قوله يومئذ اى يوم اذ نسفت ويجوز ان يكون بدلا بعد بدل من يوم القيمة يتبعون الداعى والمراد الداعى الى
المحشر قالوا هو اسرافيل قائما على صخرة بيت المقدس يدعو الناس فيقبلون من كل اوب الى صوبه
لا يعدلون لا عوج له وخشعت الاصوات للرحمن اى لا يعوج له مدعو بل يستوون اليه من غير انحراف
متبعين لصوته اى خفضت الاصوات من شدة الفزع وخفتت فلا تسمع الا همسا وهو الركز الخفى
ومنه الحروف المهموسة وقيل هو من همس الابل وهو صوت اخفافها اذا مشت اى لا تسمع الا خفق
الاقدام ونقلها الى المحشر يومئذ لا تنفع الشفاعة الا من اذن له الرحمن ورضى له قولا يعلم ما بين ايديهم و
ما خلفهم ولا يحيطون به علما من يصلح ان يكون مرفوعا ومنصوبا فالرفع على البدل من الشفاعة بتقدير
حذف المضاف اى لا تنفع الشفاعة الا شفاعة من اذن له الرحمن والنصب على المفعولية ومعنى اذن

له ورضي له لاجله اي اذن للشافع ورضي قوله لاجله ونحو هذا اللام اللام في قوله وقال الذين كفروا
للذين آمنوا لو كان خيرا ما سبقونا اليه اي يعلم ما تقدمهم من الاحوال وما يستقبلونه ولا يحيطون
بمعلوماته علما وعنت الوجوه للحي القيوم المراد بالوجوه وجوه العصاة وانهم اذا عاينوا يوم القيمة الخيبة
والشقوة وسوء الحساب صارت وجوههم عانية اي ذليلة خاشعة مثل وجوه العناة وهم الاسارى و
نحوه قوله فلما راوه زلفة سيئت وجوه الذين كفروا ووجوه يومئذ باسرة وقوله وقد خاب من حمل ظلما
ومن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا يخاف ظلما ولا هضما وما بعده اعتراض كقولك خابوا وخسروا و
كل من ظلم فهو خائب خاسر الظلم ان ياخذ فوق حقه والهضم ان يكسر من حق صاحبه فلا يوفيه
له كصفة المطففين الذين اذا اكتالوا يستوفون ويسترجحون واذا كالوا يخسرون اي فلا يخاف
جزاء ظلم ولا هضم لانه لم يظلم ولم يهضم وقرئ فلا يخف على النهي وكذلك انزلناه قرآنا عربيا
وصرفنا فيه من الوعيد لعلهم يتقون او يحدث لهم ذكرا عطف على كذلك نقص اي ومثل ذلك الانزال و
كما انزلنا عليك هؤلاء الآيات المضمنة للوعيد انزلنا القرآن كله على هذه الوتيرة مكررين فيه
آيات الوعيد ليكونوا بحيث يراد منهم ترك المعاصي او فعل الخير والطاعة والذكر كما ذكرنا يطلق
على الطاعة والعبادة وقرئ نحدث وتحدث بالنون والتاء اي تحدث انت وسكن بعضهم الثاء
للتخفيف كما في فاليوم اشرب غير مستحقب فتعالى الله الملك الحق ولا تعجل بالقرآن من قبل ان يقضى اليك
وحيه وقل استعظام له ولما يصرف عليه عباده من اوامره ونواهيه ووعده ووعيده والادارة
بين ثوابه وعقابه على حسب اعمالهم وغير ذلك مما يجري عليه امر ملكوته ولما ذكر القرآن وانزاله قال
على سبيل الاستطراد واذا لقنك جبريل ما يوحى اليك من القرآن فتان عليك ريثما يسمعك
ويفهمك ثم اقبل عليه بالتحفظ بعد ذلك ولا تكن قرانك مساوقة لقراءته ونحوه قوله تعالى
لا تحرك به لسانك لتعجل به وقيل معناه لا تبلغ ما كان منه مجملا حتى ياتيك البيان وقرئ
حتى نقضي اليك وحيه وقوله رب زدني علما متضمن للتواضع لله والشكر له عند ما علم من
ترتيب التعلم اي علمتني يا رب لطيفة في باب التعلم وادبا جميلا ما كان عندي فزدني علما الى
علم فان لك في كل شيء حكمة وعلما وقيل ما امر الله رسوله بطلب الزيادة في شيء الا في
طلب العلم ولقد عهدنا الى آدم من قبل فنسي يقال في اوامر الملوك ووصاياهم تقدم الملك
الى فلان واوعز اليه وعزم عليه وعهد اليه عطف الله سبحانه قصة آدم على قوله وصرفنا
فيه من الوعيد لعلهم يتقون والمعنى واقسم قسما لقد امرنا اباهم آدم ووصيناه ان لا يقرب

الشجرة وتوعدناه بالدخول في جملة الظالمين ان قربها وذلك من قبل وجودهم ومن قبل ان نتوعدهم
فخالف الى ما نهي عنه وتوعد في ارتكابه مخالفتهم ولم يلتفت الى الوعيد كما لا يلتفتون كانه يقول ان
اساس امر بني آدم على ذلك وعرقهم راسخ فيه فان قلت ما المراد بالنسيان الذي هو نقيض الذكر
وانه لم يعن بالوصية العناية الصادقة ولم يستوثق منها بعقد القلب عليها وضبط النفس
حتى تولد من ذلك النسيان وان يراد الترك وانه ترك ما وصي به من الاحتراس عن الشجرة واكل
ثمرتها وقرئ فنسي اي نساه الشيطان والعزم التصميم والمضي على ترك الاكل وان يتصلب
في ذلك تصلبا يؤيس الشيطان من التسويل ولم نجد والوجود يجوز ان يكون بمعنى العلم ومفعولاه
له عزما وان يكون نقيض العدم كانه قال وعدمنا له عزما واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا
الا ابليس ابى فقلنا يا آدم ان هذا عدو لك ولزوجك اذ منصوب بمضمر اي واذكر وقت ما جرى عليه
من معاداة ابليس ووسوسته اليه وتزيينه له الاكل من الشجرة وطاعته له بعد ما تقدمت
معه النصيحة والموعظة البليغة والتحذير من كيده حتى يتبين لك انه لم يكن من اولي العزم
والثبات ابليس كان جنيا بدليل قوله تعالى كان من الجن ففسق عن امر ربه فمن اين تناوله
الامر وهو للملائكة خاصة كان في صحبتهم وكان يعبد الله تعالى عبادتهم فلما امروا بالسجود
لآدم والتواضع له كرامة له كان الجني الذي معهم اجدر بان يتواضع كما لو قام لمقبل على المجلس
علية اهله وسراتهم كان القيام على واحد بينهم هو دونهم في المنزلة اوجب حتى ان لم يقم عنف
وقيل له قد قام فلان وفلان فمن انت حتى تترفع عن القيام كيف صح استثناؤه
وهو جني عن الملائكة عمل على حكم التغليب في اطلاق اسم الملائكة عليهم وعليه فاخرج
الاستثناء على ذلك كقولك خرجوا الا فلانة لامراة بين الرجال ابى جملة مستانفة كانه جواب
قائل قال لم لم يسجد والوجه ان لا يقدر له مفعول وهو السجود المدلول عليه بقوله فسجدوا
وان يكون معناه اظهر الاباء وتوقف وتثبط فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى ان لك الا تجوع فيها
ولا تعرى فلا يكونن سببا لاخراجكما وانما اسند الى آدم وحده فعل الشقاء دون حواء
بعد اشتراكهما في الخروج لان في ضمن شقاء الرجل وهو قيم اهله واميرهم شقاءهم كما
ان في ضمن سعادته سعادتهم فاختصر الكلام باسناده اليه دونها مع المحافظة على الفاصلة
او اريد بالشقاء التعب في طلب القوت وذلك معصوب براس الرجل وهو راجع اليه وروي
انه اهبط الى آدم ثور احمر فكان يحرث عليه ويمسح العرق من جبينه وانك لا تظمؤا فيها ولا تضحى

فوسوس اليه الشيطان قال يا آدم وانك بالكسر والفتح ووجه الفتح العطف على ان لا تجوع ان
لا يدخل على ان فلا يقال ان ان زيدا منطلق والواو نائبة عن ان وقائمة مقامها فلم ادخلت عليها
الواو لم توضع لتكون ابدا نائبة عن ان انما هي نائبة عن كل عامل فلما لم يكن حرفا موضوعا للتحقيق
خاصة كان لم يمتنع اجتماعهما كما امتنع اجتماع ان وان الشبع والري والكسوة والكن هي الاقطاب
التي يدور عليها كفاف الانسان فذكره اجتماعها له في الجنة وانه مكفي لا يحتاج الى كفاية كاف
ولا الى كسب كاسب كما يحتاج الى ذلك في الدنيا وذكرها بلفظ النفي لنقائضها التي هي الجوع والعري
والظما والضحو ليطرق سمعه باسامي اصناف الشقوة التي حذره منها حتى يتحامى السبب الموقع فيها
كيف عدى وسوس تارة باللام في قوله فوسوس لهما الشيطان واخرى بالى
وسوسة الشيطان كولولة الثكلى ووعوعة الذئب ووقوقة الدجاجة في انها حكايات الاصوات و
حكمها حكم صوت واجرس ومنه وسوس المبرسم وهو موسوس بالكسر والفتح لحن وانشد ابن الاعرابي
وسوس يدعو مخلصا رب الفلق فاذا قلت وسوس له فمعناه لاجله كقوله اجرس لها يا ابن ابي كباش
ومعنى وسوس اليه انهى اليه الوسوسة كقولك حدث اليه واسر اليه هل ادلك على شجرة الخلد اضاف
الشجرة الى الخلد وهو الخلود لان من اكل منها خلد بزعمه كما قيل لحيزوم فرس الحيوة لان من
باشر اثره حيي وملك لا يبلى دليل على قراءة الحسن بن علي وابن عباس رضي الله عنهم الا ان تكونا
ملكين بالكسر وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة طفق يفعل كذا مثل جعل يفعل واخذ
وانشا وحكمها حكم كاد في وقوع الخبر فعلا مضارعا وبينها وبينه مسافة قصيرة هي للشروع
في اول الامر وكاد لمشارفته والدنو منه قرئ يخصفان للتكثير والتكرير من خصف النعل
وهو ان يخرز عليها الخصاف اي يلزقان الورق بسوآتهما للتستر وهو ورق التين وقيل كان
مدورا فصار على هذا الشكل من تحت اصابعهما وقيل كان لباسهما الظفر فلما اصابا الخطيئة
نزع عنهما وتركت هذه البقايا في اطراف الاصابع عن ابن عباس لا شبهة في ان آدم صلوات الله
عليه لم يمتثل ما رسم الله له وتخطى فيه ساحة الطاعة وذلك هو العصيان ولما عصى خرج
فعله من ان يكون رشدا وخيرا فكان غيا لا محالة لان الغي خلاف الرشد ولكن قوله وعصى
آدم ربه فغوى بهذا الاطلاق وبهذا التصريح وحيث لم يقل وزل آدم واخطا وما اشبه
ذلك مما يعبر به عن الزلات والفرطات فيه لطف بالمكلفين ومزجرة بليغة وموعظة
كافة وكانه قيل لهم انظروا واعتبروا كيف نعيت على النبي المعصوم حبيب الله الذي لا يجوز

عليه الا اقتراف الصغيرة غير المنفرة زلته بهذه الغلظة وبهذا اللفظ الشنيع فلا تتهاونوا
بما يفرط منكم من السيئات والصغائر فضلا ان تجسروا على التورط في الكبائر وعن بعضهم فغوى
فبشم من كثرة الاكل وهذا وان صح على لغة من يقلب الياء المكسور ما قبلها الفا فيقول في فني
وبقي فنا وبقا وهم بنو طي تفسير خبيث ما معنى ثم اجتباه ربه ثم قبله
بعد التوبة وقربه اليه من جبى الي كذا فاجتبيته ونظيره جليت علي العروس فاجتليتها
ومنه قوله عز وجل واذا لم تاتهم باية قالوا لولا اجتبيتها اي هلا جبيت اليك فاجتبيتها واصل
الكلمة الجمع ويقولون اجتبت الفرس نفسها اذا اجتمعت نفسها راجعة بعد النفار وتاب عليه و
هدى اي وفقه لحفظ التوبة وغيره من اسباب العصمة والتقوى قال اهبطا منها جميعا بعضكم
لبعض عدو لما كان آدم وحواء عليهما السلام اصلي البشر والسببين اللذين منهما نشاوا وتفرعوا
جعلا كانهما البشر في انفسهما فخوطبا مخاطبتهم فقيل فاما ياتينكم على لفظ الجماعة ونظيره اسناد
الفعل الى السبب وهو في الحقيقة للمسبب مني هدى كتاب وشريعة وعن ابن عباس رضي الله عنه
ضمن الله لمن اتبع القرآن ان لا يضل في الدنيا ولا يشقى في الآخرة ثم تلا قوله فمن اتبع هداي فلا يضل
ولا يشقى والمعنى ان الشقاء في الآخرة هو عقاب من ضل في الدنيا عن طريق الدين فمن اتبع
كتاب الله وامتثل اوامره وانتهى عن نواهيه نجا من الضلال ومن عقابه ومن اعرض عن ذكري
فان له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيمة اعمى الضنك مصدر يستوي في الوصف به المذكر والمؤنث
وقرئ ضنكى على فعلى ومعنى ذلك ان مع الدين التسليم والقناعة والتوكل على الله وعلى قسمته
فصاحبه ينفق ما رزقه بسماح وسهولة فيعيش عيشا رافغا كما قال عز وجل فلنحيينه حياة
طيبة والمعرض عن الدين مستول عليه الحرص الذي لا يزال يطمح به الى الازدياد من الدنيا مسلط
عليه الشح الذي يقبض يده عن الانفاق فعيشه ضنك وحاله مظلمة كما قال بعض المتصوفة
لا يعرض احد عن ذكر ربه الا اظلم عليه وقته وتشوش عليه رزقه ومن الكفرة من ضرب الله
عليه الذلة والمسكنة لكفره قال الله تعالى وضربت عليهم الذلة والمسكنة وباؤا بغضب
من الله ذلك بانهم كانوا يكفرون بايات الله وقال ولو انهم اقاموا التورية والانجيل وما انزل
اليهم من ربهم لاكلوا من فوقهم ومن تحت ارجلهم وقال ولو ان اهل القرى آمنوا واتقوا
لفتحنا عليهم بركات من السماء والارض وقال استغفروا ربكم انه كان غفارا يرسل السماء
عليكم مدرارا وقال وان لو استقاموا على الطريقة لاسقيناهم ماء غدقا وعن الحسن

هو الضريع والزقوم في النار. وعن أبي سعيد الخدري: عذاب القبر. وقرئ: ونحشره بالجزم
عطفا على محل فإن له معيشة ضنكا لأنه جواب الشرط. وقرئ: ونحشره بسكون الهاء على لفظ
لفظ الوقف، وهذا مثل قوله: ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم عميا وبكما وصما. وكما فسر الزرق
بالعمى. قال رب لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيرا قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها. كذلك أي مثل ذلك فعلت
أنت، ثم فسر بأن آياتنا أتتك واضحة مستنيرة فلم تنظر إليها بعين المعتبر ولم تتبصر وتركتها
وعميت عنها. فكذلك اليوم تنسى. وكذلك نجزي من أسرف ولم يؤمن بآيات ربه. نتركك على عماك ولا نزيل
غطاءه عن عينيك. لما توعد المعرض عن ذكره بعقوبتين: المعيشة الضنك في الدنيا وحشره
أعمى في الآخرة، ختم آيات الوعيد بقوله: ولعذاب الآخرة أشد وأبقى. كأنه قال: وللحشر على العمى الذي
لا يزول أبدا أشد من ضيق العيش المنقضي، أو أراد: ولتركنا إياه في العمى أشد وأبقى من تركه
لآياتنا. أفلم يهد لهم كم أهلكنا قبلهم من القرون. فاعل لم يهد الجملة بعده، يريد: ألم يهد لهم هذا بمعناه
ومضمونه، ونظيره قوله تعالى: وتركنا عليه في الآخرين سلام على نوح في العالمين، أي تركنا
عليه هذا الكلام. ويجوز أن يكون فيه ضمير الله أو الرسول، ويدل عليه القراءة بالنون. وقرئ
يمشون، يريد أن قريشا يتقلبون في بلاد عاد وثمود ويمشون في مساكنهم ويعاينون آثار هلاكهم.
الكلمة السابقة هي العدة بتأخير جزائهم إلى الآخرة، يقول: لولا هذه العدة لكان مثل إهلاكنا
عادا وثمود لازما لهؤلاء الكفرة. واللزام إما مصدر لازم وصف به، وإما فعال بمعنى مفعل
أي ملزم، كأنه آلة اللزوم ولفرط لزومه، كما قالوا: لزاز خصم. إن في ذلك لآيات لأولي النهى ولولا كلمة
سبقت من ربك لكان لزاما وأجل مسمى. لا يخلو من أن يكون معطوفا على كلمة، أو على الضمير في كان
أي لكان الأخذ العاجل وأجل مسمى لازمين له كما كانا لازمين لعاد وثمود، ولم ينفرد الأجل المسمى
دون الأخذ العاجل. وسبح بحمد ربك في موضع الحال، أي وأنت حامد لربك على أن وفقك للتسبيح و
أعانك عليه. المراد بالتسبيح الصلاة، أو على ظاهره. قدم الفعل على الأوقات أولا والأوقات على الفعل
آخرا، فكأنه قال: صل لله قبل طلوع الشمس يعني الفجر، وقبل غروبها يعني الظهر والعصر لأنهما واقعتان
في النصف الأخير من النهار بين زوال الشمس وغروبها، وتعمد آناء الليل وأطراف النهار مختصا
لها بصلاتك، وذلك أن أفضل الذكر ما كان بالليل لاجتماع القلب وهدو الرجل والخلو بالرب،
وقال الله عز وجل: إن ناشئة الليل هي أشد وطأ وأقوم قيلا. وقال: أمن هو قانت آناء
الليل ساجدا وقائما. ولأن الليل وقت السكون والراحة، فإذا صرف إلى العبادة كانت على النفس

أشد وأشق، وللبدن أتعب وأنصب، فكانت أدخل في معنى التكليف وأفضل عند الله. وقد
تناول التسبيح في آناء الليل صلاة العتمة، وفي أطراف النهار صلاة المغرب وصلاة الفجر على التكرار
إرادة الاختصاص، كما اختصت في قوله: حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى عند بعض المفسرين. **فإن قلت**
ما وجه قوله: ومن آناء الليل فسبح وأطراف النهار على الجمع، وإنما هو طرفان كما قال: أقم الصلاة طرفي النهار؟
قلت: الوجه أمن الإلباس، وفي التثنية زيادة بيان. ونظير مجيء الأمرين في الاثنين مجيئهما
في قوله: ظهراهما مثل ظهور الترسين. وقرئ: وأطراف النهار عطفا على آناء الليل. ولعل للمخاطب،
أي اذكر الله في هذه الأوقات طمعا ورجاء أن تنال عند الله ما به ترضى نفسك ويسر قلبك.
وقرئ: ترضى، أي يرضيك ربك. ولا تمدن عينيك إلى ما متعنا به، أي نظر عينيك. ومد النظر تطويله، وأن لا
يكاد يرده استحسانا للمنظور إليه وإعجابا به وتمنيا أن يكون له، كما فعل نظارة قارون حين
قالوا: يا ليت لنا مثل ما أوتي قارون إنه لذو حظ عظيم، حتى واجههم أولو العلم والإيمان بـ ويلكم
ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحا. وفيه أن النظر غير الممدود معفو عنه، وذلك مثل
نظر من باده الشيء بالنظر ثم غض الطرف. ولما كان النظر إلى الزخارف كالمركوز في الطباع،
وأن من أبصر منها شيئا أحب أن يمد إليه نظره ويملأ منه عينيه، قيل: ولا تمدن عينيك،
أي لا تفعل ما أنت معتاد له وضار به. ولقد شدد العلماء من أهل التقوى في وجوب غض
البصر عن أبنية الظلمة وعدد الفسقة في اللباس والمراكب وغير ذلك، لأنهم إنما اتخذوا هذه
الأشياء لعيون النظارة، فالناظر إليها محصل لغرضهم وكالمغري لهم على اتخاذها. أزواجا
منهم أصنافا من الكفرة. ويجوز أن ينتصب حالا من هاء الضمير والفعل واقع على منهم، كأنه قال
إلى الذي متعنا به وهو أصناف بعضهم وناسا منهم. **فإن قلت**: علام انتصب زهرة الحياة
الدنيا؟ **قلت**: على أحد أربعة أوجه: على الذم، وهو النصب على الاختصاص، وعلى تضمين متعنا معنى
أعطينا وخولنا، وكونه مفعولا ثانيا له، وعلى إبداله من محل الجار والمجرور، وعلى إبداله من أزواجا
على تقدير ذوي زهرة. **فإن قلت**: ما معنى الزهرة فيمن حرك؟ **قلت**: معنى الزهرة بعينه
وهو الزينة والبهجة، كما جاء في الجهرة والجهرة. وقرئ: أرنا الله جهرة. وأن يكون جمع زاهر وصفا لهم
بأنهم زاهرو هذه الدنيا لصفاء ألوانهم مما يلهون ويتنعمون، وتهلل وجوههم وبهاء زيهم
وشارتهم، بخلاف ما عليه المؤمنون والصلحاء من شحوب الألوان والتقشف في الثياب. لنفتنهم
لنبلوهم حتى يستوجبوا العذاب لوجود الكفران منهم، أو لنعذبهم في الآخرة بسببه. ورزق ربك

خير وأبقى هو ما ادخر له من ثواب الآخرة الذي هو خير منه في نفسه وأدوم أو ما رزقه من نعمة الإسلام
والنبوة أو لأن أموالهم الغالب عليها الغصب والسرقة والحرمة من بعض الوجوه والحلال خير وأبقى
لأن الله لا ينسب إلى نفسه إلا ما حل وطاب دون ما حرم وخبث والحرام لا يسمى رزقاً وعن عبد الله
بن قسيط عن رافع قال بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى يهودي وقال قل له يقول لك رسول
الله أقرضني إلى رجب فقال والله لا أقرضته إلا برهن فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إني لأمين
في السماء وإني لأمين في الأرض احمل إليه درعي الحديد فنزلت ولا تمدن عينيك وأمر أهلك بالصلاة و
اصطبر عليها لا نسألك رزقاً نحن نرزقك والعاقبة للتقوى أي فأقبل أنت مع أهلك على عبادة الله واستعينوا
بها على خصاصتكم ولا تهتم بأمر الرزق والمعيشة فإن رزقك مكفي من عندنا ونحن رازقوك و
لا نسألك أن ترزق نفسك ولا أهلك ففرغ بالك لأمر الآخرة وفي معناه قول الناس من كان
في عمل الله كان الله في عمله وعن عروة بن الزبير أنه كان إذا رأى ما عند السلاطين قرأ ولا تمدن
عينيك الآية ثم ينادي الصلاة الصلاة رحمكم الله وعن بكر بن عبد الله المزني كان إذا أصابت
أهله خصاصة قال قوموا فصلوا بهذا أمر الله رسوله ثم يتلو هذه الآية وقالوا لولا يأتينا بآية من ربه
أو لم تأتهم بينة ما في الصحف الأولى اقترحوا على عادتهم في التعنت آية على النبوة فقيل لهم أولم تأتكم آية
هي أم الآيات وأعظمها في باب الإعجاز يعني القرآن من قبل أن القرآن برهان ما في سائر الكتب المنزلة
ودليل صحته لأنه معجزة وتلك ليست بمعجزات فهي مفتقرة إلى شهادته على صحة ما فيها افتقار المحتج
عليه إلى شهادة الحجة وقرئ الصحف بالتخفيف ذكر الضمير الراجع إلى البينة لأنها في معنى البرهان
والدليل ولو أنا أهلكناهم بعذاب من قبله لقالوا ربنا لولا أرسلت إلينا رسولاً فنتبع آياتك من قبل أن نذل
ونخزى قرئ نذل ونخزى على لفظ ما لم يسم فاعله قل كل أي كل واحد منا ومنكم متربص
للعاقبة ولما يؤول إليه أمرنا وأمركم فتربصوا فستعلمون من أصحاب الصراط السوي ومن اهتدى و
قرئ السواء بمعنى الوسط والجيد أو المستوي والسوء والسوأى والسوي تصغير السوء وقرئ
فتمتعوا فسوف تعلمون قال أبو رافع حفظته من رسول الله صلى الله عليه وسلم عن رسول الله صلى
الله عليه وسلم من قرأ سورة طه أعطي يوم القيامة ثواب المهاجرين والأنصار وقال لا يقرأ أهل
الجنة من القرآن إلا طه ويس **سورة الأنبياء مكية وهي مائة واثنتا عشرة آية**
بسم الله الرحمن الرحيم اقترب للناس وهم في غفلة معرضون ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث إلا
استمعوه هذه اللام لا تخلو من أن تكون صلة لاقترب أو تأكيداً لإضافة الحساب إليهم كقولك

أزف للحي رحيلهم الأصل أزف رحيل الحي ثم أزف للحي الرحيل ثم أزف للحي رحيلهم ونحوه ما أورده
سيبويه في باب ما يثنى فيه المستقر توكيداً عليك زيد حريص عليك وفيك زيد راغب فيك ومنه قولهم لا
أبا لك لأن اللام مؤكدة لمعنى الإضافة وهذا الوجه أغرب من الأول والمراد اقتراب الساعة وإذا
اقتربت الساعة فقد اقترب ما يكون فيها من الحساب والثواب والعقاب وغير ذلك ونحوه واقترب
الوعد الحق كيف وصف بالاقتراب وقد عدت دون هذا القول أكثر من خمسمائة عام
هو مقترب عند الله والدليل عليه قوله تعالى ويستعجلونك بالعذاب ولن يخلف الله وعده وإن يوماً عند
ربك كألف سنة مما تعدون ولأن كل آت وإن طالت أوقات استقباله وترقبه قريب وإنما البعيد
هو الذي وجد وانقرض ولأن ما بقي من الدنيا أقصر وأقل مما سلف منها بدليل انبعاث خاتم النبيين
الموعود مبعثه في آخر الزمان وقال عليه السلام بعثت في نسم الساعة وفي خطبة بعض المتقدمين
ولت الدنيا حذاء ولم يبق إلا صبابة كصبابة الإناء وإذا كانت بقية الشيء وإن كثرت في نفسها قليلة
بالإضافة إلى معظمه كانت خليقة بأن توصف بالقلة وقصر الذرع وعن ابن عباس أن المراد بالناس
المشركون وهو من إطلاق اسم الجنس على بعضه للدليل القائم وهو ما يتلوه من صفات المشركين وصفهم
بالغفلة مع الإعراض على معنى أنهم غافلون عن حسابهم ساهون لا يتفكرون في عاقبتهم ولا يتفطنون
لما يرجع إليه خاتمة أمرهم مع اقتضاء عقولهم أنه لا بد من جزاء للمحسن والمسيء وإذا قرعت لهم العصا
ونبهوا عن سنة الغفلة وفطنوا لذلك بما يتلى عليهم من الآيات والنذر أعرضوا وسدوا أسماعهم
ونفروا وقرر إعراضهم عن تنبيه المنبه وإيقاظ الموقظ بأن الله يجدد لهم الذكر وقتاً فوقتاً و
يحدث لهم الآية بعد الآية والسورة بعد السورة ليكرر على أسماعهم التنبيه والموعظة لعلهم
يتعظون فما يزيدهم استماع الآي والسور وما فيها من فنون المواعظ والبصائر التي هي أحق الحق
وأجد الجد إلا لعباً وتلهياً واستسخاراً والذكر هو الطائفة النازلة من القرآن وقرأ ابن أبي عبلة
محدث بالرفع صفة على المحل وقوله وهم يلعبون لاهية قلوبهم حالان مترادفتان أو متداخلتان ومن
قرأ لاهية بالرفع فالحال واحدة لأن لاهية قلوبهم خبر بعد خبر لقوله وهم واللاهية من لهى
عنه إذا ذهل وغفل يعني أنهم وإن فطنوا فهم في قلة جدوى فطنتهم كأنهم لم يفطنوا أصلاً وثبتوا على
رأس غفلتهم وذهولهم عن التأمل والتبصر بقلوبهم النجوى وهي اسم من التناجي لا تكون
إلا خفية فما معنى قوله وأسروا النجوى معناه وبالغوا في إخفائها أو جعلوها بحيث
لا يفطن أحد لتناجيهم ولا يعلم أنهم متناجون أبدل الذين ظلموا من واو وأسروا إشعاراً بأنهم

الموسومون بالظلم الفاحش فيما اسروا به او جاء على لغة من قال اكلوني البراغيث او هو منصوب المحل على الذم او هو مبتدأ خبره واسروا النجوى قدم عليه والمعنى وهؤلاء اسروا النجوى فوضع المظهر موضع المضمر تسجيلا على فعلهم بانه ظلم هل هذا الا بشر مثلكم افتأتون السحر وانتم تبصرون هذا الكلام كله في محل النصب بدلا من النجوى اى واسروا هذا الحديث ويجوز ان يتعلق بقالوا مضمرا اعتقدوا ان رسول الله لا يكون الا ملكا وان كل من ادعى الرسالة من البشر وجاء بالمعجزة فهو ساحر ومعجزته سحر فلذلك قالوا على سبيل الانكار افتحضرون السحر وانتم تشاهدون وتعاينون انه سحر

لم اسروا هذا الحديث وبالغوا في اخفائه كان ذلك شبه التشاور فيما بينهم والتحاور في طلب الطريق الى هدم امره وعمل المنصوبة في التثبيط عنه وعادة المتشاورين في خطب ان لا يشركوا اعداءهم في شوراهم ويتجاهدوا في طي سرهم عنهم ما امكن واستطيع ومنه قول الناس استعينوا على حوائجكم بالكتمان ويرفع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ويجوز ان يسروا نجواهم بذلك ثم يقولوا لرسول الله والمؤمنين ان كان ما تدعونه حقا فاخبرونا بما اسررناه

هلا قيل يعلم السر لقوله واسروا النجوى القول عام يشمل السر والجهر فكان في العلم به العلم بالسر وزيادة فكان آكد في بيان الاطلاع على نجواهم من ان يقول يعلم السر كما ان قوله يعلم السر آكد من ان يقول يعلم سرهم ثم بين ذلك بانه السميع العليم لذاته فكيف تخفى عليه خافية فلم ترك هذا الآكد في سورة الفرقان في قوله قل انزله الذي يعلم السر في السموات والارض ليس بواجب ان يجيء بالآكد في كل موضع ولكن يجيء بالوكيد تارة وبالآكد اخرى كما يجيء بالحسن في موضع وبالاحسن في غيره ليفتن الكلام افتنانا وتجمع الغاية وما دونها على ان اسلوب تلك الآية خلاف اسلوب هذه من قبل انه قدم ههنا انهم اسروا النجوى فكانه اراد ان يقول ان ربي يعلم ما اسروه فوضع القول موضع ذلك للمبالغة وثم قصد وصف ذاته بان انزله الذي يعلم السر في السموات والارض فهو كقوله علام الغيوب عالم الغيب لا يعزب عنه مثقال ذرة وقرئ قال ربي حكاية لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم لهم بل قالوا اضغاث احلام بل افتراه بل هو شاعر فليأتنا باية اضربوا عن قولهم هو سحر الى انه تخاليط احلام ثم الى انه كلام مفترى من عنده ثم الى انه قول شاعر وهكذا الباطل لجلج والمبطل متحير رجاع غير ثابت على قول واحد ويجوز ان يكون تنزيلا من الله تعالى لاقوالهم في درج الفساد وان قولهم الثاني افسد من الاول والثالث افسد من الثاني وكذلك الرابع من الثالث صحة التشبيه في قوله كما ارسل الاولون من حيث انه في معنى كما اتى

مثلكم صح

قل ربي يعلم القول في السماء والارض وهو السميع العليم

الاولون بالآيات لان ارسال الرسل متضمن للاتيان بالآيات الا ترى انه لا فرق بين ان يقول ارسل محمد وبين قولك اتى محمد بالمعجزة ما آمنت قبلهم من قرية اهلكناها افهم يؤمنون فيه انهم اعتى من الذين اقترحوا على انبيائهم الآيات وعاهدوا انهم يؤمنون عندها فلما جاءتهم نكثوا وخالفوا فاهلكهم الله فلو اعطيناهم ما يقترحون لكانوا انكث وانكث وما ارسلنا قبلك الا رجالا يوحى اليهم فاسئلوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون امرهم ان يستعلموا اهل الذكر وهم اهل الكتاب حتى يعلموهم ان رسل الله الموحى اليهم كانوا بشرا ولم يكونوا ملائكة كما اعتقدوا وانما احالهم على اولئك لانهم كانوا يشايعون المشركين في معاداة رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى ولتسمعن من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين اشركوا اذى كثيرا فلا يكاذبونهم فيما هم فيه ردء لرسول الله وما جعلناهم جسدا لا يأكلون الطعام صفة لجسدا والمعنى وما جعلنا الانبياء قبله ذوي جسد غير طاعمين ووحد الجسد لارادة الجنس كانه قال ذوي ضرب من الاجساد وهذا رد لقولهم ما لهذا الرسول يأكل الطعام

نعم قد رد انكارهم ان يكون الرسول بشرا يأكل ويشرب بما ذكرت فماذا رد من قولهم بقوله وما كانوا خالدين يحتمل ان يقولوا انه بشر مثلنا يعيش كما نعيش ويموت كما نموت او يقولوا هلا كان ملكا لا يطعم ويخلد اما معتقدين ان الملائكة لا يموتون او مسمين حياتهم المتطاولة وبقاءهم الممتد خلودا ثم صدقناهم الوعد مثل واختار موسى قومه والاصل في الوعد ومن قومه ومنه صدقوهم القتال وصدقني سن بكره ومن نشاء واهلكنا المسرفين لقد انزلنا اليكم كتابا فيه هم المؤمنون ومن في بقائه مصلحة ذكركم افلا تعقلون شرفكم وصيتكم كما قال وانه لذكر لك ولقومك او موعظتكم او فيه مكارم الاخلاق التي كنتم تطلبون بها الثناء وحسن الذكر كحسن الجوار والوفاء بالعهد وصدق الحديث واداء الامانة والسخاء وما اشبه ذلك وكم قصمنا من قرية كانت ظالمة وانشأنا بعدها واردة على غضب شديد ومنادية على سخط عظيم لان القصم افظع الكسر وهو الكسر الذي يبين تلاؤم الاجزاء بخلاف الفصم واراد بالقرية اهلها ولذلك وصفها بالظلم وقال قوما آخرين لان المعنى اهلكنا قوما وانشأنا قوما آخرين وعن ابن عباس انها حضور وهي وسحول قريتان باليمن تنسب اليهما الثياب وفي الحديث كفن رسول الله صلى الله عليه وسلم في ثوبين سحوليين وروي حضوريين بعث الله اليهم نبيا فقتلوه فسلط الله عليهم بخت نصر كما سلط على اهل بيت المقدس فاستأصلهم وروي انه لما اخذتهم السيوف ونادى مناد من السماء يا لثارات الانبياء ندموا واعترفوا بالخطاء وذلك حين لم ينفعهم الندم وظاهر الآية على الكثرة ولعل ابن عباس ذكر حضور بانها احدى القرى التي ارادها

الله

بهذه الآية فلما احسوا بأسنا اذا هم منها يركضون فلما علموا شدة عذابنا وبطشنا علم حس ومشاهدة لم يشكوا فيها ركضوا من ديارهم والركض ضرب الدابة بالرجل ومنه قوله تعالى اركض برجلك فيجوز ان يركبوا دوابهم يركضونها هاربين منهزمين من قريتهم لما ادركتهم مقدمة العذاب ويجوز ان يشبهوا في سرعة عدوهم على ارجلهم بالراكبين الراكضين لدوابهم فقيل لهم لا تركضوا والقول محذوف

من القائل يحتمل ان يكون بعض الملائكة او من ثم من المومنين او يجعلون خلقاء بان يقال لهم ذلك وان لم يقل او يقوله رب العزة ويسمعه ملائكته لينفعهم في دينهم او يلهمهم ذلك فيحدثوا به نفوسهم وارجعوا الى ما اترفتم فيه من العيش الرافه والحال الناعمة والاتراف ابطار النعمة وهي الترفة ومساكنكم لعلكم تسألون تهكم بهم وتوبيخ اي ارجعوا الى نعيمكم ومساكنكم لعلكم تسألون غدا عما جرى عليكم ونزل باموالكم ومساكنكم فتجيبوا السائل عن علم ومشاهدة او ارجعوا واجلسوا كما كنتم في مجالسكم وترتبوا في مراتبكم حتى يسألكم عبيدكم وحشمكم ومن تملكون امره وينفذ فيه امركم ونهيكم ويقولوا لكم بم تأمرون وماذا ترسمون وكيف نأتي ونذر كعادة المنعمين المخدمين او يسألكم الناس في انديتكم المعاون في نوازل الخطوب ويستشيرونكم في المهمات والعوارض ويستشفون بتدابيركم ويستضيئون بآرائكم او يسألكم الوافدون عليكم والطماع ويستمطرون سحاب اكفكم ويمترون اخلاف معروفكم واياديكم اما لانهم كانوا اسخياء ينفقون اموالهم رئاء الناس وطلب الثناء او كانوا بخلاء فقيل لهم ذلك تهكما الى تهكم وتوبيخا الى توبيخ قالوا يا ويلنا انا كنا ظالمين فما زالت تلك دعويهم حتى جعلناهم حصيدا خامدين تلك اشارة الى يا ويلنا لانها دعوى كانه قيل فما زالت تلك الدعوى دعويهم ان الحمد لله رب العالمين لم سميت دعوى لان المولول كانه يدعو الويل فيقول تعال يا ويل فهذا وقتك وتلك مرفوع او منصوب اسما او خبرا وكذلك دعويهم الحصيد الزرع المحصود اي جعلناهم مثل الحصيد شبههم به في استيصالهم واصطلامهم كما تقول جعلناهم رمادا اي مثل الرماد والضمير المنصوب هو الذي كان مبتداء والمنصوبان بعده كانا خبرين له فلما دخل عليها جعل نصبها جميعا على المفعولية

كيف ينصب جعل ثلثة مفاعيل حكم الاثنين الاخيرين حكم الواحد لان معنى قولك جعلته حلوا حامضا جعلته جامعا للطعمين وكذلك معنى ذلك جعلناهم جامعين لمماثلة الحصيد والخمود وامخود عطف على المماثلة لا على الحصيد وما خلقنا السماء والارض وما بينهما لاعبين لو اردنا ان نتخذ اي وما سوينا هذا السقف المرفوع وهذا المهاد الموضوع وما بينهما من اصناف

الخلائق مشحونة بضروب البدائع والعجائب كما يسوي الجبابرة سقوفهم وفرشهم وسائر زخارفهم للهو واللعب وانما سويناها للفوائد الدينية والحكم الربانية لتكون مطارح افتكار واعتبار و استدلال ونظر لعبادنا مع ما يتعلق لهم بها من المنافع التي لا تعد والمرافق التي لا تحصى ثم بين ان السبب في ترك اتخاذ اللهو واللعب وانتفائه عن افعالي هو ان الحكمة صارفة عنه والا فانا قادر على اتخاذه ان كنت فاعلا لاني على كل شيء قدير وقوله لاتخذناه من لدنا ان كنا فاعلين كقوله رزقا من لدنا اي من جهة قدرتنا وقيل اللهو الولد بلغة اليمن وقيل المراة وقيل من لدنا اي من الملائكة لا من الانس ردا لولادة المسيح وعزير بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فاذا هو زاهق بل اضراب عن اتخاذ اللهو واللعب وتنزيه منه لذاته كانه قال سبحاننا ان نتخذ اللهو واللعب بل من عادتنا وموجب حكمتنا واستغنائنا عن القبيح ان نغلب اللعب بالجد وندحض الباطل بالحق واستعار لذلك القذف و الدمغ تصويرا لابطاله واهداره ومحقه فجعله كانه جرم صلب كالصخرة مثلا قذف به على جرم رخو اجوف فدمغه ثم قال ولكم الويل مما تصفون به مما لا يجوز عليه وعلى حكمته وقرئ فيدمغه بالنصب وهو في ضعف قوله ساترك منزلي لبني تميم والحق بالحجاز فاستريحا وقرئ فيدمغه وله من في السموات والارض ومن عنده لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون من عنده هم الملائكة والمراد انهم مكرمون منزلون لكرامتهم عليه منزلة المقربين عند الملوك على طريق التمثيل والبيان لشرفهم وفضلهم على جميع خلقه الاستحسار مبالغة في الحسور وكان الابلغ في وصفهم ان ينفي عنهم ادنى الحسور في الاستحسار بيان ان ما هم فيه يوجب غاية الحسور واقصاه وانهم احقاء لتلك العبادات الباهظة بان يستحسروا فيما يفعلون يسبحون الليل والنهار لا يفترون اي تسبيحهم متصل دائم في جميع اوقاتهم لا يتخلله فترة بفراغ او بشغل آخر ام اتخذوا آلهة من الارض هذه ام المنقطعة الكائنة بمعنى بل والهمزة قد اذنت بالاضراب عما قبلها والانكار لما بعدها والمنكر هو اتخاذهم آلهة من الارض ينشرون الموتى ولعمري ان من اعظم المنكرات ان ينشر الموتى بعض الموات

كيف انكر عليهم اتخاذ آلهة تنشر وما كانوا يدعون ذلك لآلهتهم وكيف وهم ابعد شيء عن هذه الدعوى وذلك انهم كانوا مع اقرارهم لله عز وجل بانه خالق السموات والارض ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله وبانه القادر على المقدورات كلها وعلى النشاة الاولى منكرين البعث ويقولون من يحيي العظام وهي رميم وكان عندهم من قبيل المحال الخارج عن قدرة القادر كالثاني القديم فكيف يدعونه للجماد الذي لا يوصف بالقدرة راسا الامر كما ذكرت ولكنهم بادعائهم

لها الالهية بل من مهم ان يدعوا لها الانشار لانه لا يستحق هذا الاسم الا القادر على كل مقدور والانشار
من جملة المقدورات وفيه باب من التهكم بهم والتوبيخ والتجهيل واشعار بان ما استبعدوه من الله لا
يصح استبعاده لان الالهية لما صحت صح معها الاقتدار على الابداء والاعادة ونحو قوله من الارض
قولك فلان من مكة او من المدينة تريد مكي او مدني ومعنى نسبتها الى الارض الايذان بانها الاصنام
التي تعبد في الارض لان الآلهة على ضربين ارضية وسماوية ومن ذلك حديث الامة التي قال لها
رسول الله صلى الله عليه وسلم اين ربك فاشارت الى السماء فقال انها مؤمنة لانه فهم منها ان مرادها
نفي الآلهة الارضية التي هي الاصنام لا اثبات السماء مكانا لله عز وجل ويجوز ان يراد آلهة من
جنس الارض لانها اما ان تنحت من بعض الحجارة او تعمل من بعض جواهر الارض   لا بد من
نكتة في قوله هم   النكتة فيه افادة معنى الخصوصية كانه قيل ام اتخذوا آلهة لا يقدر
على الانشار الا هم وحدهم هم ينشرون وقرا الحسن ينشرون وهما لغتان انشر الله الموتى ونشرها لو كان
فيهما آلهة الا الله   وصفت آلهة بالا كما توصف بغير لو قيل آلهة غير الله   ما منعك
من الرفع على البدل   لان لو بمنزلة ان في ان الكلام معه موجب والبدل لا يسوغ الا في الكلام
غير الموجب كقوله ولا يلتفت منكم احد الا امراتك وذلك لان اعم العام يصح نفيه ولا يصح ايجابه و
المعنى لو كان يتولاهما ويدبر امرهما آلهة شتى غير الواحد الذي هو فاطرهما لفسدتا وفيه دلالة على
امرين احدهما وجوب ان لا يكون ذلك الواحد الا اياه وحده لقوله الا الله   لم وجب الامران
لعلمنا ان الرعية تفسد بتدبير الملكين لما يحدث بينهما من التناكر والتغالب والاختلاف
وعن عبد الملك بن مروان حين قتل عمرو بن سعيد الاشدق كان والله اعز علي من دم ناظري ولكن
لا يجتمع فحلان في شول وهذا ظاهر واما طريقة التمانع فللمتكلمين فيها تجاول وطراد و
لان هذه الافعال محتاجة الى تلك الذات المتميزة بتلك الصفات حتى تثبت وتستقر
فسبحان الله رب العرش عما يصفون لا يسأل عما يفعل اذا كانت عادة الملوك والجبابرة ان لا يسألهم
من في مملكتهم عن افعالهم وعما يوردون ويصدرون من تدبير ملكهم تهيبا واجلالا مع جواز الخطا
والزلل وانواع الفساد عليهم كان ملك الملوك ورب الارباب خالقهم ورازقهم اولى بان لا يسأل
عن افعاله مع ما علم واستقر في العقول من ان ما يفعله كله مفعول بدواعي الحكمة لا يجوز عليه
الخطا ولا فعل القبائح وهم يسألون اي هم مملوكون مستعبدون خطاؤون فما اخلقهم بان يقال لهم
لم فعلتم في كل شيء فعلوه كرر ام اتخذوا من دونه آلهة استفظاعا لشانهم واستعظاما لكفرهم

اي وصفتم الله تعالى بان له شريكا فهاتوا برهانكم على ذلك اما من جهة العقل واما من جهة الوحي
فانكم لا تجدون كتابا من كتب الاولين الا وتوحيد الله وتنزيهه عن الانداد مدعو اليه والاشراك
به منهي عنه متوعد عليه اي هذا الوحي الوارد في معنى توحيد الله ونفي الشركاء عنه كما ورد علي
فقد ورد على جميع الابناء فهو ذكر اي عظة للذين معي يعني امته وذكر للذين قبلي يريد امم الانبياء

هذا ذكر من معي وذكر من قبلي

وقرئ ذكر من معي وذكر من قبلي بالتنوين ومن مفعول منصوب بالذكر كقوله او اطعام في
يوم ذي مسغبة يتيما وهو الاصل والاضافة من الاضافة المصدر الى المفعول كقوله غلبت الروم وهم
من بعد غلبهم سيغلبون وقرئ من معي ومن قبلي على من الاضافة في هذه القراءة وادخال الجار
على مع غريب والعذر فيه انه اسم هو ظرف نحو قبل وبعد وعند ولدن وما اشبه ذلك فدخل
عليه من كما يدخل على اخواته وقرئ ذكر معي وذكر قبلي كانه قيل بل عندهم ما هو اصل الشر
والفساد كله وهو الجهل وفقد العلم وعدم التمييز بين الحق والباطل فمن ثم جاء هذا الاعراض
ومن هناك ورد هذا الانكار بل اكثرهم لا يعلمون الحق فهم معرضون وقرئ الحق بالرفع على توسيط
التوكيد بين السبب والمسبب والمعنى ان اعراضهم بسبب الجهل هو الحق لا الباطل ويجوز ان يكون
المنصوب ايضا على هذا المعنى كما تقول هذا عبد الله الحق لا الباطل وما ارسلنا من قبلك من
رسول الا يوحى اليه انه لا اله الا انا فاعبدون يوحى ونوحي وهذه الآية مقررة لما سبقها من آي التوحيد
وقالوا اتخذ الرحمن ولدا سبحانه بل عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بامره يعملون نزلت في خزاعة
حيث قالوا الملائكة بنات الله فنزه ذاته عن ذلك ثم اخبر عنهم بانهم عباد والعبودية تنافي
الولادة الا انهم مكرمون مقربون عندي مفضلون على سائر العباد لما هم عليه من احوال
وصفات ليست لغيرهم فذلك هو الذي غر منهم من زعم انهم اولادي تعاليت عن ذلك علوا كبيرا
وقرئ مكرمون ولا يسبقونه بالضم من سابقته فسبقته اسبقه والمعنى انهم يتبعون
قوله ولا يقولون شيئا حتى يقوله فلا يسبق قولهم قوله والمراد بقولهم فانيب اللام مناب
الاضافة اي لا يتقدمون قوله بقولهم كما تقول سبقت بفرسي فرسه وكما ان قولهم تابع لقوله
فعملهم ايضا كذلك مبني على امره لا يعملون عملا ما لم يؤمروا به وجميع ما ياتون ويذرون مما
قدموا واخروا بعين الله وهو مجازيهم عليه فلاحاطتهم بذلك يضبطون انفسهم ويراعون احوالهم
ويعمرون اوقاتهم ومن تحفظهم انهم لا يجسرون ان يشفعوا الا لمن ارتضاه واهله للشفاعة
في ازدياد الثواب والتعظيم ثم انهم مع هذا كله من خشية الله مشفقون اي متوقعون من امارة

ضعيفة كانوا على حذر ورقبة لا يأمنون مكر الله وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه رأى
جبريل ليلة المعراج ساقطا كالحلس من خشية الله وبعد ان وصف كرامتهم عليه وقرب منزلتهم عنده
واثنى عليهم واضاف اليهم تلك الافعال السنية والاعمال المرضية فاجأ بالوعيد الشديد وانذر
بعذاب جهنم من اشرك منهم ان كان ذلك على سبيل الفرض والتمثيل مع احاطة علمه بانه لا يكون كما قال
ولو اشركوا لحبط عنهم ما كانوا يعملون فقصد بذلك تفظيع امر الشرك وتعظيم شأن التوحيد يعلم ما بين
ايديهم وما خلفهم ولا يشفعون الا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون ومن يقل منهم انى اله من دونه فذلك نجزيه جهنم
كذلك نجزي الظالمين اولم ير الذين كفروا ان السموات والارض كانتا رتقا ففتقناهما قرئ الم تر بغير واو ورتقا
بفتح التاء وكلاهما في معنى المفعول كالخلق والنقض اي كانتا مرتوقتين   الرتق صالح
ان يقع موقع مرتوقتين لانه مصدر فما بال الرتق   هو على تقدير موصوف اي كانتا شيئا
رتقا ومعنى ذلك ان السماء كانت لاصقة بالارض لا فضاء بينهما او كانت السموات متلاصقات
وكذلك الارضون لا فرج بينها ففتقها الله وفرج بينها وقيل ففتقناهما بالمطر والنبات بعد ما
كانت مصمتة وانما قيل كانتا دون كن لان المراد جماعة السموات وجماعة الارض ونحوه لقاحان
سوداوان اي جماعتان فعل في المضمر نحو ما فعل في المظهر   متى رأوهما رتقا حتى جاء تقريرهم
بذلك   فيه وجهان احدهما انه وارد في القرآن الذي هو معجزة في نفسه فقام مقام المرئي
المشاهد والثاني ان تلاصق الارض والسماء وتباينهما كلاهما جائز في العقل فلا بد للتباين دون
التلاصق من مخصص وهو القديم سبحانه وجعلنا من الماء كل شيء حي افلا يؤمنون لا يخلو ان يتعدى
الى واحد او اثنين فان تعدى الى واحد فالمعنى خلقنا من الماء كل حيوان كقوله والله خلق كل
دابة من ماء او كانما خلقناه من الماء لفرط احتياجه اليه وحبه له وقلة صبره عنه كقوله خلق
الانسان من عجل وان تعدى الى اثنين فالمعنى صيرنا كل شيء حي بسبب من الماء لا بد له منه ومن
هذا نحو من في قوله عليه السلام ما انا من دد ولا الدد مني وقرئ حيا وهو المفعول الثاني والظرف
لغو وجعلنا في الارض رواسي ان تميد بهم اي كراهة ان تميل بهم وتضطرب او لان لا تميد بهم فحذف
لا واللام وانما جاز حذف لا لعدم الالتباس كما تزاد لذلك في نحو قوله لئلا يعلم اهل الكتاب و
هذا مذهب الكوفيين وجعلنا فيها فجاجا سبلا لعلهم يهتدون الفج الطريق الواسع
في الفجاج معنى الوصف فما لها قدمت على السبل ولم تؤخر كما في قوله تعالى لتسلكوا منها سبلا فجاجا
لم تقدم وهي صفة ولكن جعلت حالا كقوله لعزة موحشا طلل قديم

ما الفرق بينهما من جهة المعنى   احدهما اعلام بانه جعل فيها طرقا واسعة والثاني بانه حين
خلقها خلقها على تلك الصفة فهو بيان لما ابهم ثمة وجعلنا السماء سقفا محفوظا حفظه بالامساك بقدرته
من ان يقع على الارض ويتزلزل او بالشهب عن تسمع الشياطين على سكانها من الملائكة وهم عن آياتها اي
عما وضع الله فيها من الادلة والعبر بالشمس والقمر وسائر النيرات ومسايرها وطلوعها وغروبها على
الحساب القويم والترتيب العجيب الدال على الحكمة البالغة والقدرة الباهرة واي جهل اعظم من جهل
من اعرض عنها ولم يذهب به وهمه الى تدبرها والاعتبار بها والاستدلال على عظمة شأن من
اوجدها عن عدم ودبرها ونصبها هذه النصبة واودعها ما اودعها مما لا يعرف كنهه الا هو عزت
قدرته ولطف علمه وقرئ عن آيتها على التوحيد اكتفاء بالواحدة في الدلالة على الجنس اي هم متفطنون
لما يرد عليهم من السماء من المنافع الدنياوية كالاستضاءة بقمريها والاهتداء بكواكبها وحياة
الارض والحيوان بامطارها وهم عن كونها آية بينة على الخالق معرضون وهو الذي خلق الليل والنهار
والشمس والقمر كل في فلك يسبحون كل التنوين فيه عوض من المضاف اليه اي كلهم في فلك يسبحون و
الضمير للشمس والقمر والمراد بهما جنس الطوالع كل يوم وليلة جعلوها متكاثرة لتكاثر مطالعها وهو
السبب في جمعهما بالشموس والاقمار والا فالشمس واحدة والقمر واحد وانما جعل الضمير واو العقلاء
للوصف بفعلهم وهو السباحة   الجملة ما محلها   محلها النصب على الحال
من الشمس والقمر   كيف استبد بهما دون الليل والنهار بنصب الحال عنهما
كما تقول رأيت زيدا وهندا متبرجة ونحو ذلك اذا جئت بصفة يختص بها بعض ما يتعلق به العامل
ومنه قوله تعالى في هذه السورة ووهبنا له اسحق ويعقوب نافلة او لا محل لها لاستئنافها فهما
لكل واحد من القمرين فلك على حدة فكيف قيل جميعهم يسبحون في فلك   هذا كقولهم
كساهم الامير حلة وقلدهم سيفا اي كل واحد منهم او كساهم وقلدهم هذين الجنسين فاكتفى بما يدل
على الجنس اختصارا ولان الغرض الدلالة على الجنس وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد افان مت فهم
الخالدون كانوا يقدرون انه سيموت فيشمتون بموته فنفى الله عنه الشماتة بهذا اي قضى الله ان لا يخلد
في الدنيا بشرا فلا انت ولا هم الا عرضة للموت فاذا كان الامر كذلك فان مت انت ايبقى هؤلاء
وفي معناه قول القائل فقل للشامتين بنا افيقوا سيلقى الشامتون كما لقينا كل نفس ذائقة الموت
ونبلوكم بالشر والخير اي نختبركم بما يجب فيه الصبر من البلايا وبما يجب فيه الشكر من النعم والينا ترجعون
فنجازيكم بحسب ما يوجد منكم من الصبر والشكر وانما سمى ذلك ابتلاء وهو عالم بما سيكون من اعمال

العاملين قبل وجودهم لانه في صورة الاختبار وفتنة مصدر مؤكد لنبلوكم من غير لفظه والينا ترجعون واذا
رآك الذين كفروا ان يتخذونك الا هزوا اهذا الذي يذكر آلهتكم وهم بذكر الرحمن هم كافرون الذكر يكون بخير وبخلافه
فاذا دلت الحال على احدهما أطلق ولم يقيد كقولك للرجل سمعت فلانا يذكرك فان كان الذاكر صديقا
فهو ثناء وان كان عدوا فذم ومنه قوله تعالى سمعنا فتى يذكرهم وقوله اهذا الذي يذكر آلهتكم
والمعنى انهم عاكفون بهممهم على ذكر آلهتهم وما يجب ان لا تذكر به من كونهم شفعاء وشهداء ويسوءهم
ان يذكرها ذاكر بخلاف ذلك واما ذكر الله وما يجب ان يذكر به من الوحدانية فهم به كافرون لا يصدقون
به اصلا فهم احق بان يتخذوا هزوا منك فانك محق وهم مبطلون وقيل معنى بذكر الرحمن قولهم ما نعرف
الرحمن الا مسيلمة وقولهم وما الرحمن أنسجد لما تأمرنا وقيل بذكر الرحمن بما انزل عليك من القرآن والجملة
في موضع الحال اي يتخذونك هزوا وهم على حال هي اصل الهزء والسخرية وهي الكفر بالله خلق الانسان
من عجل سأريكم آياتي فلا تستعجلون كانوا يستعجلون عذاب الله وآياته الملجئة الى العلم والاقرار ويقولون
متى هذا الوعد فاراد نهيهم عن الاستعجال وزجرهم فقدم اولا ذم الانسان على افراط العجلة وانه مطبوع
عليها ثم نهاهم وزجرهم كانه قال ليس ببدع منكم ان تستعجلوا فانكم مجبولون على ذلك وهو طبعكم وسجيتكم
وعن ابن عباس انه اراد بالانسان آدم وانه حين بلغ الروح صدره ولم يتبالغ فيه اراد ان يقوم وروي
لما دخل الروح في عينه نظر الى ثمار الجنة ولما دخل جوفه اشتهى الطعام وقيل خلقه الله في آخر النهار
يوم الجمعة قبل غروب الشمس فاسرع في خلقه قبل مغيبها وعن ابن عباس انه النضر بن الحارث
والظاهر ان المراد الجنس وقيل العجل الطين بلغة حمير وقال شاعرهم والنخل ينبت بين الماء والعجل
والله اعلم بصحته لم نهاهم عن الاستعجال مع قوله خلق الانسان من عجل وقوله وكان الانسان
عجولا أليس هذا من تكليف ما لا يطاق هذا كما ركب فيه الشهوة وامره ان يغلبها لانه اعطاه
القدرة التي يستطيع بها قمع الشهوة وترك العجلة وقرئ خلق الانسان ويقولون متى هذا الوعد
ان كنتم صادقين لو يعلم الذين كفروا حين لا يكفون عن وجوههم النار ولا عن ظهورهم ولا هم ينصرون بل تأتيهم
بغتة فتبهتهم فلا يستطيعون ردها جواب لو محذوف وحين مفعول به ليعلم اي لو يعلمون الوقت
الذي يستعجلون عنه بقولهم متى هذا الوعد وهو وقت صعب شديد تحيط بهم فيه النار من وراء
وقدام فلا يقدرون على دفعها ومنعها من انفسهم ولا يجدون ناصرا ينصرهم لما كانوا بتلك
الصفة من الكفر والاستهزاء والاستعجال ولكن جهلهم به هو الذي هونه عندهم ويجوز ان يكون
يعلم متروكا بلا تعدية بمعنى لو كان معهم علم ولم يكونوا جاهلين لما كانوا مستعجلين وحين منصوب

بمضمر اي حين لا يكفون عن وجوههم النار يعلمون انهم كانوا على الباطل وينتفي عنهم هذا الجهل العظيم اي
لا يكفونها بل تأتيهم فتغلبهم يقال للمغلوب في المحاجة مبهوت ومنه فبهت الذي كفر اي غلب ابراهيم
الكافر وقرأ الاعمش يأتيهم فيبهتهم على التذكير والضمير للوعد او للحين فالام يرجع الضمير
المؤنث في هذه القراءة الى النار او الى الوعد لانه في معنى النار وهي التي وعدوها او على تأويل العدة
والموعدة او الى الحين لانه في معنى الساعة او الى البغتة وقيل في القراءة الاولى الضمير للساعة وقرأ الاعمش
بغتة بفتح الغين ولا هم ينظرون تذكير بانظاره اياهم وامهاله وتفسيح وقت التذكر عليهم اي لا يمهلون بعد
طول الامهال ولقد استهزئ برسل من قبلك فحاق بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزءون قل من يكلؤكم بالليل والنهار
من الرحمن بل هم عن ذكر ربهم معرضون ام لهم آلهة تمنعهم من دوننا لا يستطيعون نصر انفسهم ولا هم منا يصحبون بل متعنا
هؤلاء وآباءهم حتى طال عليهم العمر سلى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن استهزائهم به بان له في الانبياء عليهم
السلام اسوة وان ما يفعلونه به يحيق بهم كما حاق بالمستهزئين بالانبياء ما فعلوا من الرحمن اي من بأسه
وعذابه بل هم معرضون عن ذكره لا يخطرونه ببالهم فضلا ان يخافوا بأسه حتى اذا رزقوا الكلاءة منه عرفوا
من الكالئ وصلحوا للسؤال عنه والمراد انه امر رسوله بسؤالهم عن الكالئ ثم بين انهم لا يصلحون لذلك
لاعراضهم عن ذكر من يكلؤهم ثم اضرب عن ذلك بما في ام من معنى بل وقال ألهم آلهة تمنعهم من العذاب
تتجاوز منعنا وحفظنا ثم استأنف فبين ان ما ليس بقادر على نصر نفسه ومنعها ولا بمصحوب من الله
بالنصر والتأييد كيف يمنع غيره وينصره ثم قال بل ما هم فيه من الحفظ والكلاءة انما هو منا لا من مانع يمنعهم
من اهلاكنا وما كلأناهم وآباءهم الماضين الا تمتيعا لهم بالحياة الدنيا وامهالا كما متعنا غيرهم
من الكفار وامهلناهم حتى طال عليهم الامد وامتدت ايام الروح والطمأنينة فحسبوا ان لا يزالوا على
ذلك لا يغلبون ولا ينزع عنهم ثوب امنتهم واستمتاعهم وذلك طمع فارغ وامل كاذب افلا يرون انا
ننقص ارض الكفر ودار الحرب ونحذف اطرافها بتسليط المسلمين عليها واظهارهم على اهلها وردها
دار اسلام اي فائدة في قوله نأتي الارض ننقصها من اطرافها افهم الغالبون
الفائدة فيه تصوير ما كان الله يجريه على ايدي المسلمين وان عساكرهم وسراياهم كانت تغزو ارض
المشركين وتأتيها غالبة عليها ناقصة من اطرافها قل انما انذركم بالوحي ولا يسمع الصم الدعاء اذا ما ينذرون
وقرئ ولا يسمع الصم ولا تسمع الصم بالتاء والياء اي لا تسمع انت او لا يسمع رسول الله ولا يسمع الصم
من اسمع الصم لا يسمعون دعاء المبشر كما لا يسمعون دعاء المنذر فكيف قيل اذا ما ينذرون
اللام في الصم اشارة الى هؤلاء المنذرين كائنة للعهد لا للجنس والاصل ولا يسمعون اذا

يُنذَرُونَ فوضع الظاهر موضع المضمر للدلالة على تصامّهم وسدّهم أسماعهم اذا انذروا اى هم على هذه
الصفة من الجراة والجسارة على التصامّ من آيات الانذار ﴿ولئن مسّتهم نفحة من عذاب ربك ليقولنّ يا ويلنا
انا كنا ظالمين﴾ من هذا الذي ينذرون به ادنى شيء لاذعنوا وذلّوا واقرّوا بانهم ظلموا انفسهم حين
تصامّوا واعرضوا وفي المسّ والنفحة ثلث مبالغات لان النفح في معنى القلة والنزارة
يقال نفحته الدابة وهو رمح يسير ونفحه بعطية رضخه ولبناء المرة ﴿ونضع الموازين القسط ليوم
القيمة فلا تظلم نفس شيئا﴾ وصفت الموازين بالقسط وهو العدل مبالغة كأنها في انفسها قسط
او على حذف المضاف اى ذوات القسط واللام في ليوم القيمة مثلها في قولك جئته لخمس ليال خلون
من الشهر ومنه بيت النابغة: ترسّمت آيات لها فعرفتها لستة اعوام وذا العام سابع وقيل
لاهل يوم القيمة اى لاجلهم ما المراد بوضع الموازين فيه قولان احدهما ارصاد
الحساب السوي والجزاء على حسب الاعمال بالعدل والنصفة من غير ان يظلم عباده مثقال ذرة فمثّل
ذلك بوضع الموازين لتوزن بها الموزونات والثاني انه يضع الموازين الحقيقية ويزن بها الاعمال
عن الحسن هو ميزان له كفّتان ولسان ويروى ان داود عليه السلام سأل ربه ان يريه الميزان فلما
رآه غشي عليه ثم افاق فقال يا الهي من الذي يقدر ان يملأ كفته حسنات فقال يا داود
اني اذا رضيت عن عبدي ملأتها بتمرة كيف توزن الاعمال وانما هي اعراض
فيه قولان احدهما توزن صحائف الاعمال والثاني تجعل في كفة الحسنات جواهر بيض مشرقة
وفي كفة السيئات جواهر سود مظلمة ﴿وان كان مثقال حبة من خردل اتينا بها وكفى بنا حاسبين﴾ و
قرئ مثقالُ حبة على كان التامة كقوله وان كان ذو عسرة وقرأ ابن عباس ومجاهد آتينا
بها وهي مفاعلة من الاتيان بمعنى المجازاة والمكافاة لانهم اتوه بالاعمال واتاهم بالجزاء
وقرأ حميد اثبنا بها من الثواب وفي حرف ابيّ جئنا بها وانّث ضمير المثقال لاضافته الى الحبة
كقولهم ذهبت بعض اصابعه ﴿ولقد آتينا موسى وهرون الفرقان﴾ اى آتيناهما الفرقان وهو التورية
﴿وضياء وذكرا للمتقين﴾ والمعنى انه في نفسه ضياء وذكر او وآتيناهما بما فيه من
الشرائع والمواعظ ذكرا وضياء وعن ابن عباس الفرقان الفتح كقوله يوم الفرقان وعن
الضحاك فلق البحر وعن محمد بن كعب المخرج من الشبهات وقرأ ابن عباس ضياء بغير واو وهو حال
عن الفرقان والذكر الموعظة او ذكر ما يحتاجون اليه في دينهم ومصالحهم او الشرف محل الذين
جرّ على الوصفية او نصب على المدح او رفع عليه ﴿يخشون ربهم بالغيب وهم من الساعة مشفقون﴾ ﴿وهذا ذكر

مبارك﴾ هو القرآن وبركته كثرة منافعه وغزارة خيره ﴿انزلناه افانتم له منكرون ولقد آتينا ابرهيم رشده﴾ الرشد
الاهتداء لوجوه الصلاح قال الله تعالى فان آنستم منهم رشدا فادفعوا اليهم اموالهم وقرئ رَشَده والرُّشد و
الرَّشَد كالعُدم والعَدَم ومعنى اضافته اليه انه رشد مثله وانه رشد له شان ﴿من قبل وكنا به عالمين﴾
من قبل موسى وهرون ومعنى علمه به انه علم منه احوالا بديعة واسرارا عجيبة وصفات قد رضيها
واحمدها حتى اهّله لمخالّته ومخالصته وهذا كقولك في خيّر من الناس انا عالم بفلان فكلامك هذا من
الاحتواء على محاسن الاوصاف بمنزل اذ اما ان يتعلق بآتينا او برشده او بمحذوف اى اذكر من اوقات
رشده هذا الوقت ﴿قال لابيه وقومه﴾ قوله ﴿ما هذه التماثيل التي انتم لها عاكفون﴾ تجاهل لهم وتغاب ليحقّر
آلهتهم ويصغّر شانها مع علمه بتعظيمهم واجلالهم لها لم ينو للعاكفين مفعولا واجراه مجرى ما لا يتعدى
كقولك فاعلون العكوف لها او واقفون لها هلا قيل عليها عاكفون كقوله يعكفون على اصنام
لهم لو قصد التعدية لعدّاه بصلته التي هي على ﴿قالوا وجدنا آباءنا لها عابدين قال لقد كنتم انتم وآباؤكم
في ضلال مبين قالوا اجئتنا بالحق ام انت من اللاعبين﴾ ما اقبح التقليد والقول المتقبّل بغير برهان وما اعظم
كيد الشيطان للمقلدين حين استدرجهم الى ان قلّدوا آباءهم في عبادة التماثيل وعفّروا لها جباههم و
هم معتقدون انهم على شيء وجادّون في نصرة مذهبهم ومجادلون لاهل الحق عن باطلهم وكفى اهل
التقليد سبّة ان عبدة الاصنام منهم انتم من التاكيد الذي لا يصح الكلام مع الاخلال به لان العطف
على ضمير هو في حكم بعض الفعل ممتنع ونحوه اسكن انت وزوجك الجنة اراد ان المقلِّدين والمقلَّدين
جميعا منخرطون في سلك ضلال لا يخفى على من به ادنى مسكة لاستناد الفريقين الى غير دليل بل الى
هوى متّبع وشيطان مطاع لاستبعادهم ان يكون ما هم عليه ضلالا بقوا متعجبين من تضليله اياهم و
حسبوا ان ما قاله انما قاله على وجه المزاح والمداعبة لا على طريق الجد فقالوا هذا الذي جئتنا به
اهو جدّ وحق ام لعب وهزل ﴿قال بل ربكم رب السموات والارض الذي فطرهن وانا على ذلكم من الشاهدين﴾
الضمير في فطرهن للسموات والارض او للتماثيل وكونه للتماثيل ادخل في تضليلهم واثبت للاحتجاج
عليهم وشهادته على ذلك ادلاؤه بالحجة عليه وتصحيحه بها كما تصحّح الدعوى بالشهادة كانه قال
وانا ابيّن ذلك وابرهن عليه كما تبيّن الدعاوى بالبينات لاني لست مثلكم فاقول ما لا اقدر على
اثباته بالحجة كما لم تقدروا على الاحتجاج لمذهبكم ولم تزيدوا على انكم وجدتم عليه آباءكم ﴿وتالله لاكيدن
اصنامكم بعد ان تولوا مدبرين﴾ قرأ معاذ بن جبل بالله وقرئ تَوَلّوا بمعنى تتولوا ويقويها قوله
فتولوا عنه مدبرين ما الفرق بين الباء والتاء ان الباء هي الاصل والتاء بدل

من الواو المبدلة منها وان التاء فيها زيادة معنى وهو التعجب كانه تعجب من تسهل الكيد على يده وتأتيه
لان ذلك كان امرا مقنوطا منه لصعوبته وتعذره ولعمري ان مثله صعب متعذر في كل زمان خصوصا
في زمن نمرود مع عتوه واستكباره وقوة سلطانه وتهالكه على نصرة دينه ولكن اذا الله سنى عقد شيء
روى ان آزر خرج به في يوم عيد لهم فبدأوا ببيت الاصنام فدخلوه وسجدوا لها ووضعوا بينها
طعاما خرجوا به معهم وقالوا الى ان نرجع بركت الآلهة على طعامنا فذهبوا وبقي ابرهيم فنظر
الى الاصنام وكانت سبعين صنما مصطفة وثم صنم عظيم مستقبل الباب وكان من ذهب و
في عينيه جوهرتان تضيئان بالليل فكسرها كلها بفاس في يده حتى لم يبق الا الكبير وعلق الفاس في عنقه عن
قتادة قال ذلك سرا من قومه وروى سمعه رجل واحد فجعلهم جذاذا الا كبيرا لهم لعلهم اليه يرجعون قالوا
من فعل هذا بآلهتنا انه لمن الظالمين قالوا سمعنا فتى يذكرهم يقال له ابرهيم قالوا فأتوا به على اعين الناس
لعلهم يشهدون قالوا أأنت فعلت هذا بآلهتنا يا ابرهيم جذاذا قطاعا من الجذ وهو القطع وقرئ بالكسر
والفتح وقرئ جذذا جمع جذيذ وجذذا جمع جذة وانما استبقى الكبير لانه غلب في ظنه انهم لا يرجعون
الا اليه لما تسامعوه من انكاره لدينهم وسبه لآلهتهم فيبكتهم بما اجاب به من قوله بل فعله كبيرهم هذا
فاسألوهم وعن الكلبي اليه الى كبيرهم ومعنى هذا لعلهم يرجعون اليه كما يرجع الى العالم في حل المشكلات
فيقولون له ما لهؤلاء مكسورة وما لك صحيحا والفاس على عاتقك قال هذا بناء على ظنه بهم لما جرب
وذاق من مكابرتهم لعقولهم واعتقادهم في آلهتهم وتعظيمهم لها او قاله مع علمه انهم لا يرجعون اليه استهزاء
بهم واستجهالا وان قياس حال من يسجد له ويؤهله للعبادة ان يرجع اليه في حل المشكل
فاذا رجعوا الى الصنم بمكابرتهم لعقولهم ورسوخ الاشراك في اعراقهم فاي فائدة دينية في رجوعهم اليه
حتى يجعله ابرهيم صلوات الله عليه غرضا اذا رجعوا اليه تبين انه عاجز لا ينفع ولا يضر
وظهر انهم في عبادته على جهل عظيم اى ان من فعل هذا الكسر والحطم لشديد الظلم معدود في الظلمة
اما لجرأته على الآلهة الحقيقة عندهم بالتوقير والاعظام واما لانهم رأوا افراطا في حطمها وتماديا
في الاستهانة بها ما حكم الفعلين بعد سمعنا فتى واي فرق بينهما هما
صفتان لفتى الا ان الاول وهو يذكرهم لا بد منه لسمع لانك لا تقول سمعت زيدا وتسكت
حتى تذكر شيئا مما يسمع واما الثاني فليس كذلك ابرهيم ما هو قيل هو خبر مبتدا
محذوف او منادى والصحيح انه فاعل يقال لان المراد الاسم لا المسمى على اعين الناس في محل الحال بمعنى
معاينا مشاهدا اى بمرأى منهم ومنظر ما معنى الاستعلاء في على هو وارد على

طريق المثل اى يثبت اتيانه في الاعين ويتمكن ثبات الراكب على المركوب وتمكنه منه لعلهم يشهدون
عليه بما سمع منه وبما فعله او يحضرون عقوبتنا له روى ان الخبر بلغ نمرود واشراف قومه فامروا باحضاره
هذا من معاريض الكلام ولطائف هذا النوع لا يتغلغل فيها الا اذهان الراضة من علماء المعاني والقول
فيه ان قصد ابرهيم صلوات الله عليه لم يكن الى ان ينسب الفعل الصادر عنه الى الصنم وانما قصد تقريره
لنفسه واثباته لها على اسلوب تعريضي يبلغ فيه غرضه من الزامهم الحجة وتبكيتهم وهذا كما لو قال لك صاحبك
وقد كتبت كتابا بخط رشيق وانت شهير بحسن الخط أأنت كتبت هذا وصاحبك امي لا يحسن الخط
او لا يقدر الا على خرمشة فاسدة فقلت له بل كتبته انت كان قصدك بهذا الجواب تقريره لك مع
الاستهزاء به لا نفيه عنك واثباته للامي او المخرمش لان اثباته والامر دائر بينكما للعاجز منكما
استهزاء به واثبات للقادر ولقائل ان يقول غاظته تلك الاصنام حين ابصرها مصطفة مرتبة
وكان غيظ كبيرها اكبر واشد لما رأى من زيادة تعظيمهم له فاسند الفعل اليه لانه هو الذي تسبب لاستهانته
بها وحطمه لها والفعل كما يسند الى مباشره يسند الى الحامل عليه ويجوز ان يكون حكاية لما يقود
الى تجويزه مذهبهم كانه قال لهم ما تنكرون ان يفعله كبيرهم فان من حق من يعبد ويدعى الها ان
يقدر على هذا واشد منه ويحكى انه قال فعله كبيرهم هذا غضب ان تعبد معه هذه الصغار
وهو اكبر منها وقرا محمد بن السميفع فعله كبيرهم يعني فلعله اى فلعل الفاعل كبيرهم فلما القمهم
الحجر واخذ بمخانقهم رجعوا الى انفسهم فقالوا انتم الظالمون على الحقيقة لا من ظلمتموه حين قلتم من
فعل هذا بآلهتنا انه لمن الظالمين ثم نكسوا على رؤسهم لقد علمت ما هؤلاء ينطقون نكسته قلبته فجعلت
اسفله اعلاه وانتكس انقلب اى استقاموا حين رجعوا الى انفسهم وجاؤا بالفكرة الصالحة
ثم انتكسوا وانقلبوا عن تلك الحالة فاخذوا في المجادلة بالباطل والمكابرة وان هؤلاء مع تقاصر
حالها عن حال الحيوان الناطق آلهة معبودة مضارة منهم او انتكسوا عن كونهم مجادلين لابرهيم
مجادلين عنه حين نفوا عنها القدرة على النطق او قلبوا على رؤسهم حقيقة لفرط اطراقهم خجلا و
انكسارا وانخزالا مما بهتهم به ابرهيم فما احاروا جوابا الا ما هو حجة عليهم وقرئ نكسوا بالتشديد
ونكسوا على لفظ ما سمي فاعله اى نكسوا انفسهم على رؤسهم قرأ به رضوان بن عبد المعبود قال
أفتعبدون من دون الله ما لا ينفعكم شيئا ولا يضركم اف لكم ولما تعبدون من دون الله افلا تعقلون
قالوا حرقوه وانصروا آلهتكم ان كنتم فاعلين اف صوت اذا صوت به علم ان صاحبه متضجر اضجره
ما رأى من ثباتهم على عبادتها بعد انقطاع عذرهم وبعد وضوح الحق وزهوق الباطل فتأفف

فاسألوهم ان كانوا ينطقون

بهم واللام لبيان المتأفف به اى لكم ولآلهتكم هذا التأفف اجمعوا رايهم لما غلبوا باهلاكه وهكذا المبطل
اذا قرعت شبهته بالحجة وافتضح لم يكن احد ابغض اليه من المحق ولم يبق له مفزع الا مناصبته كما
فعلت قريش برسول الله صلى الله عليه وسلم حين عجزوا عن المعارضة والذى اشار الله باحراقه
نمرود وعن ابن عمر رجل من اعراب العجم يريد الاكراد وروى انهم حين هموا باحراقه حبسوه ثم بنوا
بيتا كالحظيرة بكوثى وجمعوا شهرا اصناف الخشب الصلاب حتى ان كانت المرأة لتمرض فتقول
ان عافانى الله لاجمعن حطبا لابرهيم ثم اشعلوا نارا عظيمة كادت الطير تحترق فى الجو من
وهجها ثم وضعوه فى المنجنيق مقيدا مغلولا فرموا به فيها فناداه جبريل عليه السلام
يا نار كونى بردا وسلاما على ابرهيم وارادوا به كيدا فجعلناهم الاخسرين ونجيناه ولوطا الى الارض التى باركنا فيها
للعالمين ويحكى ما احرقت منه الا وثاقه وقال له جبريل حين رمى به هل لك حاجة فقال اما
اليك فلا قال فسل ربك قال حسبى من سؤالى علمه بحالى وعن ابن عباس انما نجا بقوله حسبى الله
ونعم الوكيل واطل عليه نمرود من الصرح فاذا هو فى روضة ومعه جليس له من الملائكة فقال انى
مقرب الى الهك فذبح اربعة آلاف بقرة وكف عن ابرهيم وكان ابرهيم اذ ذاك ابن ست عشرة
سنة واختاروا المعاقبة بالنار لانها اهول ما يعاقب به وافظعه ولذلك جاء لا يعذب بالنار
الا خالقها ومن ثم قالوا ان كنتم فاعلين اى ان كنتم ناصرين آلهتكم نصرا مؤزرا فاختاروا له اهول
المعاقبات وهى الاحراق بالنار والا فرطتم فى نصرتها ولهذا عظموا النار وتكلفوا فى تشهير امرها
وتفخيم شأنها ولم يألوا جهدا فى ذلك جعلت النار لمطاوعتها فعل الله وارادته كمأمور امر بشئ
فامتثله والمعنى ذات برد وسلام فبولغ فى ذلك كأن ذاتها برد وسلام والمراد ابردى فيسلم
منك ابرهيم او ابردى بردا غير ضار وعن ابن عباس لو لم يقل ذلك لاهلكته ببردها
كيف بردت النار وهى نار نزع الله عنها طبعها الذى طبعها عليه من الحر و
الاحراق وابقاها على الاضاءة والاشراق والاشتعال كما كانت والله على كل شئ قدير و
يجوز ان يدفع بقدرته عن جسم ابرهيم اذى حرها ويذيقه فيها عكس ذلك كما يفعل بخزنة جهنم
ويدل عليه قوله على ابرهيم وارادوا ان يكيدوه ويمكروا به فما كانوا الا مغلوبين مقهورين
غالبوه بالجدال فغلبه الله ولقنه المبكت وفزعوا الى القوة والجبروت فنصره وقواه ونجيناه
من العراق الى الشام وبركاته الواصلة الى العالمين ان اكثر الانبياء بعثوا فيه فانتشرت فى
العالمين شرائعهم وآثارهم الدينية وهى البركات الحقيقية وقيل بارك الله فيه بكثرة الماء

والشجر والثمر والخصب وطيب عيش الغنى والفقير وعن سفيان انه خرج الى الشام فقيل له الى اين
فقال الى بلد يملأ فيه الجراب بدرهم وقيل ما من ماء عذب الا وينبع اصله من تحت الصخرة التى ببيت المقدس
روى انه نزل بفلسطين ولوط بالمؤتفكة وبينهما مسيرة يوم وليلة ووهبنا له اسحق ويعقوب نافلة
وكلا جعلنا صالحين وجعلناهم ائمة يهدون بامرنا النافلة ولد الولد وقيل سأل اسحق فاعطيه واعطى
يعقوب نافلة اى زيادة وفضلا من غير سؤال يهدون بامرنا فيه ان من صلح ليكون قدوة فى دين الله
فالهداية محتومة عليه مأمور هو بها من جهة الله ليس له ان يخل بها ويتثاقل عنها واول ذلك ان يهتدى
بنفسه لان الانتفاع بهداه اعم والنفوس الى الاقتداء بالمهدى اميل واوحينا اليهم فعل الخيرات اصله
ان تفعل الخيرات ثم فعلا الخيرات ثم فعل الخيرات وكذلك واقام الصلوة وايتاء الزكوة وكانوا لنا عابدين
ولوطا آتيناه حكما وعلما ونجيناه من القرية التى كانت تعمل الخبائث انهم كانوا قوم سوء فاسقين وادخلناه
فى رحمتنا انه من الصالحين حكما حكمة وهو ما يجب فعله او فصلا بين الخصوم وقيل هو النبوة والقرية سدوم
اى فى اهل رحمتنا او فى الجنة ومنه الحديث هذه رحمتى ارحم بها من اشاء ونوحا اذ نادى من قبل من
قبل هؤلاء المذكورين ونصرناه الذى مطاوعه انتصر وسمعت هذليا يدعو على سارق اللهم انصرهم منه
اى اجعلهم منتصرين منه فاستجبنا له فنجيناه واهله من الكرب العظيم والكرب الطوفان وما كان فيه
من تكذيب قومه ونصرناه من القوم الذين كذبوا بآياتنا انهم كانوا قوم سوء فاغرقناهم اجمعين وداود و
سليمان اذ يحكمان فى الحرث اذ نفشت فيه غنم القوم وكنا لحكمهم شاهدين اى واذكرهما واذ بدل منهما
والنفش الانتشار بالليل وجمع الضمير لانه ارادهما والمتحاكمين اليهما وقرئ لحكمهما والضمير فى
ففهمناها للحكومة او الفتوى وقرئ فافهمناها حكم داود بالغنم لصاحب الحرث فقال سليمان
وهو ابن احدى عشرة سنة غير هذا ارفق بالفريقين فعزم عليه ليحكمن فقال ارى ان تدفع
الغنم الى اهل الحرث ينتفعون بالبانها واولادها واصوافها والحرث الى ارباب الشاء يقومون
عليه حتى يعود كهيئته يوم افسد ثم يترادان فقال القضاء ما قضيت وامضى الحكم بذلك
احكما بوحى ام باجتهاد قيل حكما جميعا بالوحى الا ان حكومة داود نسخت بحكومة
سليمان وقيل اجتهدا جميعا فجاء اجتهاد سليمان اشبه بالصواب ما وجه كل
واحدة من الحكومتين اما وجه حكومة داود فلان الضرر وقع بالغنم سلمت بجنايتها
الى المجنى عليه كما قال ابو حنيفة رحمه الله فى العبد اذا جنى على النفس يدفعه المولى بذلك او يفديه و
عند الشافعى رحمه الله يبيعه فى ذلك او يفديه ولعل قيمة الغنم كانت على قدر النقصان

في الحرث ووجه حكومة سليمان انه جعل الانتفاع بالغنم بازاء ما فات من الانتفاع بالحرث من غير
ان يزول ملك المالك عن الغنم واوجب على صاحب الغنم ان يعمل في الحرث حتى يزول الضرر والنقصان
مثاله ما قال اصحابنا للشافعي رحمه الله فيمن غصب عبدا فابق من يده انه يضمن القيمة فينتفع بها
المغصوب منه بازاء ما فوته الغاصب من منافع العبد فاذا ظهر ترادا فلو وقعت هذه الواقعة
في شريعتنا فما حكمها ابو حنيفة واصحابه رحمهم الله لا يرون فيه ضمانا بالليل والنهار الا
ان يكون مع البهيمة سائق او قائد والشافعي رحمه الله يوجب الضمان بالليل ففهمناها سليمان دليل على
ان الاصوب كان مع سليمان وفي قوله وكلا آتيناه حكما وعلما دليل على انهما جميعا كانا على الصواب وسخرنا
مع داود الجبال يسبحن حال بمعنى مسبحات او استئناف كان قائلا قال كيف سخرهن فقال يسبحن
والطير اما معطوف على الجبال واما مفعول معه لم قدمت الجبال على الطير لان تسخيرها
وتسبيحها اعجب وادل على القدرة وادخل في الاعجاز لانها جماد والطير حيوان ناطق روي انه كان
يمر بالجبال مسبحا وهي تجاوبه وقيل كانت تسير معه حيث سار كيف تنطق الجبال وتسبح
بان يخلق الله فيها الكلام كما خلقه في الشجرة حين كلم موسى وجواب آخر وهو ان يسبح
من رآها تسير بتسيير الله فلما حملت على التسبيح وصفت به وكنا فاعلين اي قادرين ان نفعل هذا وان
كان عجبا عندكم وقيل وكنا نفعل ذلك بالانبياء وعلمناه صنعة لبوس لكم اللبوس اللباس قال
البس لكل حالة لبوسها والمراد الدرع قال قتادة كانت صفائح فاول من سردها وحلقها
داود فجمعت الخفة والتحصين لتحصنكم قرئ بالنون والتاء والياء وتخفيف الصاد وتشديدها
فالنون لله عز وجل والتاء للصنعة او للبوس على تاويل الدرع والياء لداود او للبوس من
بأسكم فهل انتم شاكرون ولسليمان الريح عاصفة تجري بامره الى الارض التي باركنا فيها وكنا بكل شيء
عالمين قرئ الريح والرياح بالرفع والنصب فيهما فالرفع على الابتداء والنصب للعطف على الجبال
وصفت هذه الرياح بالعصف تارة وبالرخاوة اخرى فما التوفيق بينهما كانت
في نفسها رخية طيبة كالنسيم فاذا مرت بكرسيه ابعدت به في مدة يسيرة على ما قال غدوها شهر
ورواحها شهر فكان جمعا بين الامرين ان يكون رخاء في نفسها وعاصفة في عملها مع طاعتها لسليمان
وهبوبها على حسب ما يريد ويحتكم آية الى آية ومعجزة مع معجزة وقيل كانت في وقت رخاء وفي
وقت عاصفا لهبوبها على حكم ارادته وقد احاط علمنا بكل شيء فنجري الاشياء كلها على
ما يقتضيه علمنا وحكمتنا ومن الشياطين من يغوصون له ويعملون عملا دون ذلك وكنا لهم حافظين اي

يغوصون له في البحار فيستخرجون له الجواهر ويتجاوزون ذلك الى الاعمال والمهن وبناء المدائن و
القصور واختراع الصنائع العجيبة كما قال يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل والله حافظهم ان يزيغوا
عن امره او يبدلوا او يغيروا او يوجد منهم فساد في الجملة فيما هم مسخرون فيه وايوب اذ نادى ربه اني مسني
الضر وانت ارحم الراحمين فاستجبنا له فكشفنا ما به من ضر وآتيناه اهله ومثلهم معهم رحمة من عندنا وذكرى للعابدين
واسماعيل وادريس وذا الكفل كل من الصابرين وادخلناهم في رحمتنا انهم من الصالحين اي ناداه باني مسني
وقرئ اني بالكسر على اضمار القول او لتضمن النداء معناه والضر بالفتح الضرر في كل شيء وبالضم الضرر
في النفس من مرض وهزال فرق بين البنائين لافتراق المعنيين الطف في السؤال حيث ذكر نفسه بما
يوجب الرحمة وذكر ربه بغاية الرحمة ولم يصرح بالمطلوب ويحكى ان عجوزا تعرضت لسليمان بن عبد الملك
فقالت يا امير المؤمنين مشت جرذان بيتي على العصي فقال لها الطفت في السؤال لا جرم لاردنها
تثب وثب الفهود وملأ بيتها حبا كان ايوب عليه السلام روميا من ولد اسحق بن يعقوب عليهما السلام
وقد استنبأه الله وبسط عليه الدنيا وكثر اهله وماله كان له سبعة بنين وسبع بنات وله اصناف
البهائم وخمسمائة فدان يتبعها خمسمائة عبد لكل عبد امرأة وولد ونخيل فابتلاه الله بذهاب ولده
انهدم عليهم البيت فهلكوا وبذهاب ماله وبالمرض في بدنه ثماني عشرة سنة وعن قتادة ثلث عشرة سنة
وعن مقاتل سبعا وسبعة اشهر وسبع ساعات وقالت له امرأته لو دعوت الله فقال لها كم كانت
مدة الرخاء فقالت ثمانين سنة فقال انا استحيي من الله ان ادعوه وما بلغت مدة بلائي مدة رخائي
فلما كشف الله عنه احيى ولده ورزقه مثله ونوافل منهم وروي ان امرأته ولدت بعد ستة و
عشرين ابنا اي لرحمتنا العابدين وانا نذكرهم بالاحسان لا ننساهم او رحمة منا لايوب وتذكرة لغيره
من العابدين ليصبروا كما صبر حتى يثابوا كما اثيب في الدنيا والآخرة قيل في ذي الكفل هو الياس
وقيل زكريا وقيل يوشع بن نون وكانه سمي بذلك لانه ذو الحظ من الله والمجدود على الحقيقة و
قيل كان له ضعف عمل الانبياء في زمانه وضعف ثوابهم وقيل خمسة من الانبياء ذوو اسمين
اسرائيل ويعقوب الياس وذو الكفل عيسى والمسيح يونس وذو النون محمد واحمد النون الحوت
فاضيف اليه برم بقومه لطول ما ذكرهم فلم يذكروا واقاموا على كفرهم فراغمهم وظن ان ذلك
يسوغ حيث لم يفعله الا غضبا لله وانفة لدينه وبغضا للكفر واهله وكان عليه ان يصابر وينتظر
الاذن من الله في المهاجرة عنهم فابتلي ببطن الحوت ومعنى مغاضبته لقومه انه اغضبهم بمفارقته
وتخوفهم حلول العقاب عليهم عندها وذا النون اذ ذهب مغاضبا فظن ان لن نقدر عليه فنادى في

الظلمات أن لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين، وقرأ أبو شرف مغضبا. قرئ نقدر ونقدّر بالنون
مخففا ومثقلا، ويقدر بالياء بالتخفيف، ويُقدر ويُقدّر على البناء للمفعول مخففا ومثقلا، وفسرت
بالتضييق عليه وبتقدير الله عليه عقوبة. وعن ابن عباس أنه دخل على معاوية فقال: لقد ضربتني أمواج
القرآن البارحة فغرقت فيها فلم أجد لنفسي خلاصا إلا بك، قال: وما هي يا معاوية؟ فقرأ هذه الآية وقال:
أو يظن نبي الله أن لا يقدر عليه؟ قال: هذا من القدر لا من القدرة. والمخفف يصح أن يفسر بالقدرة على
معنى أن لن نعمل فيه قدرتنا، وأن يكون من باب التمثيل بمعنى: فكانت حاله ممثلة بحال من ظن أن
لن نقدر عليه في مراغمته قومه من غير انتظار لأمر الله. ويجوز أن يسبق ذلك إلى وهمه بوسوسة الشيطان
ثم يردعه ويرده بالبرهان كما يفعل المؤمن المحقق بنزغات الشيطان وما يوسوس إليه في كل وقت، ومنه قوله
تعالى: وتظنون بالله الظنونا. والخطاب للمؤمنين. في الظلمات: أي في الظلمة الشديدة المتكاثفة في بطن
الحوت، كقوله: ذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات، وقوله: يخرجونهم من النور إلى الظلمات. وقيل: ظلمات بطن
الحوت والبحر والليل، وقيل: ابتلع حوته حوت أكبر منه فحصل في ظلمتي بطني الحوتين وظلمة البحر. أي: بأنه
لا إله إلا أنت، أو بمعنى أي. عن النبي صلى الله عليه وسلم: ما من مكروب يدعو بهذا الدعاء إلا استجيب له.
وعن الحسن: ما نجاه والله إلا إقراره على نفسه بالظلم. فاستجبنا له ونجيناه من الغم وكذلك ننجي المؤمنين. ننجي
وننجّي ونجّي، والنون لا تدغم في الجيم، ومن تمحل لصحته فجعله فعل وقال: نجي النجاء المؤمنين
فأرسل الياء وأسنده إلى مصدره ونصب المؤمنين بالنجاء فمتعسف بارد التعسف. وزكريا إذ نادى
ربه رب لا تذرني فردا. سأل ربه أن يرزقه ولدا يرثه ولا يدعه وحيدا بلا وارث، ثم رد أمره إلى الله
مستسلما فقال: وأنت خير الوارثين. أي إن لم ترزقني من يرثني فلا أبالي فإنك خير وارث. فاستجبنا له
ووهبنا له يحيى وأصلحنا له زوجه. إصلاح زوجه أن جعلها صالحة للولادة بعد عقرها، وقيل: تحسين
خلقها وكانت سيئة الخلق. إنهم كانوا يسارعون في الخيرات ويدعوننا. الضمير للمذكورين من الأنبياء،
يريد أنهم ما استحقوا الإجابة إلى طلباتهم إلا لمبادرتهم أبواب الخير ومسارعتهم في تحصيلها
كما يفعل الراغبون في الأمور الجادّون. وقرئ رغبا ورهبا بالإسكان، وهو كقوله: يحذر الآخرة
ويرجو رحمة ربه. وكانوا لنا خاشعين. قال الحسن: ذللا لأمر الله. وعن مجاهد: الخشوع الخوف
الدائم في القلب. وقيل: متواضعين. وسئل الأعمش فقال: أما إني سألت إبراهيم فقال: ألا تدري؟
قلت: أفدني، قال: بينه وبين الله إذا أرخى ستره وأغلق بابه فليُرِ الله منه خيرا، لعلك ترى
أنه أن يأكل خشنا ويلبس خشنا ويطأطئ رأسه. والتي أحصنت فرجها: إحصانا كليا من الحلال

من الحلال والحرام جميعا كما قالت: ولم يمسسني بشر ولم أك بغيا. نفخ الروح في الجسد
عبارة عن إحيائه، قال الله تعالى: فإذا سويته ونفخت فيه من روحي، أي أحييته، وإذا ثبت ذلك كان
قوله: فنفخنا فيها من روحنا ظاهر الإشكال لأنه يدل على إحياء مريم. معناه: نفخنا الروح في
عيسى فيها، أي أحييناه في جوفها، ونحو ذلك أن يقول الزمار: نفخت في بيت فلان، أي نفخت في المزمار
في بيته. ويجوز أن يراد: وفعلنا النفخ في مريم من جهة روحنا وهو جبريل صلوات الله عليه لأنه نفخ
في جيب درعها فوصل النفخ إلى جوفها. وجعلناها وابنها آية للعالمين. هلا قيل آيتين كما
قيل: وجعلنا الليل والنهار آيتين. لأن حالهما بمجموعهما آية واحدة، وهي ولادتها إياه من
غير فحل. إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون. الأمة الملة، وهذه إشارة إلى ملة الإسلام، أي إن
ملة الإسلام هي ملتكم التي يجب أن تكونوا عليها لا تنحرفون عنها، يشار إليها ملة واحدة غير مختلفة
وأنا إلهكم إله واحد فاعبدون. ونصب الحسن أمتكم على البدل من هذه، ورفع أمة خبرا، وعنه
رفعهما جميعا خبرين لهذه، أو نوى الثاني مبتدأ. والخطاب للناس كافة. وتقطعوا أمرهم بينهم كل إلينا
راجعون. والأصل: وتقطعتم، إلا أن الكلام حرّف إلى الغيبة على طريقة الالتفات، كأنه ينعى عليهم
ما أفسدوه إلى آخرين ويقبح عندهم فعلهم ويقول لهم: ألا ترون إلى عظيم ما ارتكب هؤلاء في دين الله
والمعنى: جعلوا أمر دينهم فيما بينهم قطعا كما يتوزع الجماعة الشيء ويتقسمونه، فيطير لهذا نصيب و
لذلك نصيب، تمثيلا لاختلافهم فيه وصيرورتهم فرقا وأحزابا شتى، ثم توعدهم بأن هؤلاء الفرق المختلفة
إليه يرجعون فهو محاسبهم ومجازيهم. فمن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا كفران لسعيه. الكفران مثل
في حرمان الثواب كما أن الشكر مثل في إعطائه إذا قيل شكور، وقد نفي نفي الجنس ليكون أبلغ من
أن يقول: فلا نكفر سعيه. وإنا له كاتبون أي نحن كاتبو ذلك السعي ومثبتوه في صحيفة عمله وما نحن
مثبتوه فهو غير ضائع ومثاب عليه صاحبه. وحرام على قرية. استعير الحرام للممتنع وجوده، ومنه قوله
تعالى: إن الله حرمهما على الكافرين، أي منعهما منهم وأبى أن يكونا لهم. وقرئ وحِرْم وحَرُم بالفتح و
الكسر، وحرَّم وحُرِّم. ومعنى أهلكناها أنهم لا يرجعون: عزمنا على إهلاكها أو قدّرنا إهلاكها.
ومعنى الرجوع الرجوع من الكفر إلى الإسلام والإنابة، ومجاز الآية أن قوما عزم الله على إهلاكهم غير
متصور أن يرجعوا وينيبوا إلى أن تقوم القيامة فحينئذ يرجعون ويقولون: يا ويلنا قد كنا في غفلة
من هذا بل كنا ظالمين. يعني أنهم مطبوع على قلوبهم فلا يزالون على كفرهم ويموتون عليه حتى يروا
العذاب. وقرئ إنهم بالكسر، وحق هذا أن يتم الكلام قبله، فلا بد من تقدير محذوف كأنه قيل: و

وحرام على قرية اهلكناها ذاك وهو المذكور في الآية المتقدمة من العمل الصالح والسعي المشكور غير
المكفور ثم علل فقيل انهم لا يرجعون عن الكفر فكيف لا يمتنع ذلك والقراءة بالفتح يصح حملها على هذا
اي لانهم لا يرجعون عن الكفر فكيف لا يمتنع ذلك ولا صلة على الوجه الاول   ثم تعلقت حتى [اذا فتحت]
واقعة غاية له واية الثلث هي   هي متعلقة بحرام وهي غاية له لان امتناع رجوعهم لا
يزول حتى تقوم القيامة وهي حتى التي يحكى بعدها الكلام والكلام المحكي الجملة من الشرط والجزاء
اعني اذا وما في حيزها حذف المضاف الى ياجوج وماجوج وهو سدها كما حذف المضاف الى القرية
وهو اهلها وقيل فتحت كما قيل اهلكناها وقرئ آجوج وهما قبيلتان من جنس الانس يقال الناس
عشرة اجزاء تسعة منها ياجوج وماجوج وهم من كل حدب ينسلون راجع الى الناس المسوقين الى
المحشر وقيل هم ياجوج وماجوج يخرجون حين يفتح السد الحدب النشز من الارض وقرأ ابن
عباس من كل جدث وهو القبر الثاء حجازية والفاء تميمية وقرئ ينسلون بضم السين ونسل
وعسل اسرع واقترب الوعد الحق فاذا هي شاخصة ابصار الذين كفروا فاذا هي اذا المفاجاة وهي
تقع في المجازاة سادة مسد الفاء كقوله تعالى اذا هم يقنطون فاذا جاءت الفاء معها تعاونتا على
وصل الجزاء بالشرط فيتاكد ولو قيل اذا هي شاخصة او فهي شاخصة كان سديدا هي ضمير مبهم توضحه
الابصار وتفسره كما فسر الذين ظلموا واسروا يا ويلنا متعلق بمحذوف تقديره يقولون يا
ويلنا ويقولون في موضع الحال من الذين كفروا قد كنا في غفلة من هذا بل كنا ظالمين انكم وما تعبدون
من دون الله يحتمل الاصنام وابليس واعوانه لانهم بطاعتهم لهم واتباعهم خطواتهم في حكم عبدتهم
ويصدقه ما روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل المسجد وصناديد قريش في الحطيم و
حول الكعبة ثلثمائة وستون صنما فجلس اليهم فعرض له النضر بن الحارث فكلمه رسول الله
حتى افحمه ثم تلا عليهم انكم وما تدعون من دون الله الآية فاقبل عبد الله بن الزبعرى فرآهم
يتهامسون فقال فيم خوضكم فاخبره الوليد بن المغيرة بقول رسول الله فقال عبد الله اما والله
لو وجدته لخصمته فدعوه فقال ابن الزبعرى أانت قلت ذلك قال نعم قال قد خصمتك
ورب الكعبة أليس اليهود عبدوا عزيرا والنصارى عبدوا المسيح وبنو مليح عبدوا الملائكة
فقال صلى الله عليه وسلم بل هم عبدوا الشياطين التي امرتهم بذلك فانزل الله تعالى ان الذين
سبقت لهم الآية يعني عزيرا والمسيح والملائكة   لم قرن بآلهتهم   لانهم لا يزالون
لمقارنتهم في زيادة غم وحسرة حيث اصابهم ما اصابهم بسببهم والنظر الى وجه العدو باب من العذاب

ولانهم قدروا انهم يستشفعون بهم في الآخرة ويستنفعون بشفاعتهم فاذا صادفوا الامر على عكس
ما قدروا لم يكن شيء ابغض اليهم منهم   اذا عنيت بما تعبدون الاصنام فما معنى حصب
جهنم انتم لها واردون لو كان هؤلاء آلهة ما وردوها وكل فيها خالدون لهم فيها زفير وهم فيها لا يسمعون
لهم فيها زفير   اذا كانوا هم واصنامهم في قرن واحد جاز ان يقال لهم زفير وان لم يكن
الزافرون الا هم دون الاصنام للتغليب ولعدم الالباس والحصب المحصوب اي يحصب بهم في النار
والحصب الرمي وقرئ بسكون الصاد وصفا بالمصدر وقرئ حطب وحضب بالضاد متحركا
وساكنا وعن ابن مسعود يجعلون في توابيت من نار فلا يسمعون ويجوز ان يصمهم الله كما يعميهم
ان الذين سبقت لهم منا الحسنى اولئك عنها مبعدون الحسنى الخصلة المفضلة في الحسن تانيث
الاحسن اما السعادة واما البشرى بالثواب واما التوفيق للطاعة روي ان عليا رضي الله عنه قرأ هذه
الآية ثم قال انا منهم وابو بكر وعمر وعثمان وطلحة والزبير وسعد وعبد الرحمن بن عوف رضي الله عنهم
ثم اقيمت الصلوة فقام يجر رداءه وهو يقول لا يسمعون حسيسها والحسيس الصوت الذي يحس وهم فيما اشتهت
طلب النفس اللذة انفسهم خالدون لا يحزنهم الفزع الاكبر قيل النفخة الاخيرة لقوله يوم ينفخ في [وقرئ لا يحزنهم وهو]
الصور ففزع من في السموات ومن في الارض وعن الحسن الانصراف الى النار وعن الضحاك حين يطبق
على النار وقيل حين يذبح الموت على صورة كبش املح اي تستقبلهم الملائكة مهنئين على ابواب [وتتلقاهم الملائكة هذا يومكم الذي كنتم توعدون]
الجنة ويقولون هذا وقت ثوابكم الذي وعدكم ربكم فدخل يوم نطوي السماء كطي السجل للكتاب
كما بدأنا العامل في يوم نطوي لا يحزنهم او الفزع او تتلقاهم وقرئ تطوى السماء على البناء للمفعول
والسجل بوزن العتل والسجل بلفظ الدلو وروي فيه الكسر وهو الصحيفة اي كما يطوى
الطومار للكتابة اي ليكتب فيه او لما يكتب فيه لان الكتاب اصله المصدر كالبناء ثم يوقع
على المكتوب ومن جمع فمعناه المكتوبات اي لما يكتب فيه من المعاني الكثيرة وقيل السجل ملك
يطوي كتب بني آدم اذا رفعت اليه وقيل كاتب كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم والكتاب
على هذا اسم الصحيفة المكتوب فيها اول خلق نعيده مفعول نعيد الذي يفسره نعيده والكاف
مكفوفة بما والمعنى نعيد اول الخلق كما بدأناه تشبيها للاعادة بالابداء في تناول القدرة لهما
على السواء   وما اول الخلق حتى يعيده كما بدأه   اوله ايجاده عن العدم فكما اوجده
اولا عن عدم يعيده ثانيا عن عدم   ما بال خلق منكرا   هو كقولك هو اول رجل
جاءني تريد اول الرجال ولكنك وحدته ونكرته ارادة تفصيلهم رجلا رجلا فكذلك معنى اول

خلق اول الخلق بمعنى اول الخلائق لان الخلق مصدر لا يجمع ووجه آخر وهو ان ينتصب الكاف
بفعل مضمر يفسره نعيده وما موصولة اى نعيد مثل الذى بدأناه نعيده واول خلق ظرف لبدأناه
اى اول ما خلق او حال من ضمير الموصول الساقط من اللفظ الثابت في المعنى وعدا علينا مصدر مؤكد
لان قوله نعيده عدة للاعادة انا كنا فاعلين اى قادرين على ان نفعل ذلك ولقد كتبنا في الزبور من بعد
الذكر ان الارض يرثها عبادى الصالحون عن الشعبى زبور داود والذكر التورية وقيل اسم لجنس
ما انزل على الانبياء من الكتب والذكر ام الكتاب يعنى اللوح اى يرثها المؤمنون بعد اجلاء الكفار
كقوله واورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الارض ومغاربها قال موسى لقومه استعينوا
بالله واصبروا ان الارض يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين وعن ابن عباس هى ارض الجنة
وقيل الارض المقدسة يرثها امة محمد صلى الله عليه وسلم ان في هذا لبلاغا لقوم عابدين الاشارة الى
المذكور في هذه السورة من الاخبار والوعد والوعيد والمواعظ البالغة والبلاغ الكفاية وما تبلغ به
البغية ارسل صلى الله عليه وسلم رحمة للعالمين لانه جاء بما يسعدهم ان اتبعوه ومن خالف ولم يتبع
فانما اتى من عند نفسه حيث ضيع نصيبه منها ومثاله ان يفجر الله عينا غديقة فيسقى ناس زروعهم
ومواشيهم بمائها فيفلحوا ويبقى اناس مفرطون عن السقى فيضيعوا فالعين المفجرة في نفسها نعمة
من الله ورحمة للفريقين ولكن الكسلان محنة على نفسه حيث حرمها ما ينفعها وقيل كونه رحمة للفجار
من حيث ان عقوبتهم اخرت بسببه وامنوا به عذاب الاستيصال قل انما يوحى انما لقصر الحكم على شىء
او لقصر الشىء على حكم كقولك انما زيد قائم وانما يقوم زيد وقد اجتمع المثالان في هذه الاية
لان انما يوحى الى مع فاعله بمنزلة انما يقوم زيد وانما الهكم اله واحد بمنزلة انما زيد قائم و
فائدة اجتماعهما الدلالة على ان الوحى الى رسول الله مقصور على استيثار الله بالوحدانية وفى
قوله فهل انتم مسلمون ان الوحى الوارد على هذا السنن موجب ان تخلصوا التوحيد لله وان تخلعوا
الانداد وفيه ان صفة الوحدانية يصح ان يكون طريقها السمع ويجوز ان يكون المعنى ان الذى
يوحى الى فيكون ما موصولة فان تولوا فقل آذنتكم آذن منقول من اذن اذا علم ولكنه كثر استعماله
في الجرى مجرى الانذار ومنه قوله تعالى فأذنوا بحرب من الله ورسوله وقول ابن حلزة
آذنتنا ببينها اسماء والمعنى انى بعد توليكم واعراضكم عن قبول ما عرض عليكم من وجوب توحيد
الله وتنزيهه عن الانداد والشركاء كرجل بينه وبين اعدائه هدنة فاحس منهم بغدرة فنبذ اليهم
العهد وشهر النبذ واشاعه وآذنهم جميعا على سواء وان ادرى اقريب ام بعيد ما توعدون انه يعلم الجهر

فاعله

من القول ويعلم ما تكتمون وان ادرى لعله فتنة لكم ومتاع الى حين اى مستوون في الاعلام به لم يطو عن احد منهم
وكاشف كلهم وقشر العصا عن لحائها وما توعدونه من غلبة المسلمين عليكم كائن لا محالة ولا بد من
ان يلحقكم بذلك الذلة والصغار وان كنت لا ادرى متى يكون ذلك لان الله لم يعلمنى علمه ولم يطلعنى
عليه والله عالم لا يخفى عليه ما تجاهرون به من كلام الطعانين في الاسلام وما تكتمونه في صدوركم من
الاحن والاحقاد للمسلمين وهو مجازيكم عليه وما ادرى لعل تأخير هذا الموعد امتحان لكم لينظر كيف تعملون
او تمتع لكم الى حين ليكون ذلك حجة عليكم وليقع الموعد في وقت هو فيه حكمة قرئ قل وقال على حكاية
قول رسول الله ورب احكم على الاكتفاء بالكسرة ورب احكم على الضم وربى احكم على افعل التفضيل وربى
احكم من الاحكام امر باستعجال العذاب لقومه فعذبوا ببدر ومعنى بالحق لا تحابهم وشدد عليهم كما هو
حقهم كما قال اشدد وطأتك على مضر وربنا الرحمن المستعان على ما تصفون قرئ تصفون بالتاء و
الياء كانوا يصفون الحال على خلاف ما جرت عليه وكانوا يطمعون ان يكون لهم الشوكة والغلبة فكذب الله
ظنونهم وخيب آمالهم ونصر رسول الله والمؤمنين وخذلهم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ
اقترب للناس حسابهم حاسبه الله حسابا يسيرا وصافحه وسلم عليه كل نبى ذكر اسمه في القرآن

سورة الحج مكية غير ست آيات وهى هذان خصمان الى صراط الحميد وهى ثمان وسبعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم يا ايها الناس اتقوا ربكم ان زلزلة الساعة شىء عظيم الزلزلة
شدة التحريك والازعاج وان يضاعف زليل الاشياء عن مقارها ومراكزها ولا يخلو الساعة
من ان يكون على تقدير الفاعلة لها كانها هى التى تزلزل الاشياء على المجاز الحكمى فيكون الزلزلة
مصدرا مضافا الى فاعله او على تقدير المفعول فيها على طريقة الاتساع في الظرف واجرائه مجرى
المفعول به كقوله تعالى بل مكر الليل والنهار وهى الزلزلة المذكورة في قوله اذا زلزلت الارض
زلزالها واختلف في وقتها فعن الحسن انها تكون يوم القيمة وعن علقمة والشعبى عند طلوع
الشمس من مغربها امر بنى آدم بالتقوى ثم علل وجوبها عليهم بذكر الساعة ووصفها باهول
صفة لينظروا الى تلك الصفة ببصائرهم ويتصوروها بعقولهم حتى يبقوا على انفسهم ويرحموها
من شدائد ذلك اليوم بامتثال ما امرهم به ربهم من التردى بلباس التقوى الذى لا يؤمنهم من
تلك الافزاع الا ان يتردوا به وروى ان هاتين الآيتين نزلتا ليلا في غزوة بنى المصطلق
فقرأهما رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم ير اكثر باكيا من تلك الليلة فلما اصبحوا لم يحطوا
السروج عن الدواب ولم يضربوا الخيام وقت النزول ولم يطبخوا قدرا وكانوا من بين حزين

وباكٍ ومفكرٍ يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما ارضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى
وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ويتبع كل شيطان مريد منصوب
بتذهل والضمير للزلزلة وقرئ تُذهل كلَّ مرضعةٍ اى تذهلها الزلزلة والذهول الذهاب عن
الامر مع دهشة لم قيل مرضعة دون مرضع المرضعة التي هي في حال الارضاع
ملقمة ثديها الصبي والمرضع التي شانها ان ترضع وان لم تباشر الارضاع في حال وصفها به فقيل
مرضعة ليدل على ان ذلك الهول اذا فوجئت به هذه وقد القمت الرضيع ثديها نزعته عن فيه لما
يلحقها من الدهشة عما ارضعت عن ارضاعها او عن الذي ارضعته وهو الطفل وعن الحسن تذهل
المرضعة عن ولدها لغير فطام وتضع الحامل ما في بطنها لغير تمام وقرئ وتُرى بالضم من اريتك قائما
والناس منصوب ومرفوع والنصب ظاهر ومن رفع جعل الناس اسم ترى وانثه على تاويل الجماعة و
قرئ سكرى وبسكرى وهو نظير جوعى وعطشى في جوعان وعطشان وسكارى وبسكارى نحو كسالى
وعجالى وعن الاعمش سُكرى وبسُكرى بالضم وهو غريب والمعنى وتراهم سكارى على التشبيه وما هم
بسكارى على التحقيق ولكن ما رهقهم من خوف عذاب الله هو الذي اذهب عقولهم وطير تمييزهم وردهم في نحو
حال من يذهب السكر بعقله وتمييزه وقيل وتراهم سكارى من الخوف وما هم بسكارى من الشراب
لم قيل اولا ترون ثم قيل ترى على الافراد لان الرؤية اولا علقت بالزلزلة فجعل الناس جميعا رائين
لها وهي معلقة اخيرا بكون الناس على حال السكر فلا بد ان يجعل كل واحد منهم رائيا لسائرهم قيل
نزلت في النضر بن الحارث وكان جدلا يقول الملائكة بنات الله والقران اساطير الاولين والله غير قادر
على احياء من بلي وصار ترابا وهي عامة في كل من تعاطى الجدال فيما يجوز على الله وما لا يجوز من الصفات
والافعال ولا يرجع الى علم ولا يعض فيه بضرس قاطع وليس فيه اتباع للبرهان ولا نزول على النصفة
فهو يخبط خبط عشواء غير فارق بين الحق والباطل ويتبع في ذلك خطوات كل شيطان عات علم
من حاله وظهر وتبين انه من جعله وليا له لم تثمر له ولايته الا الاضلال عن طريق الجنة والهداية
الى النار وما ارى رؤساء اهل الاهواء والبدع والحشوية المتلقبين بالامامة في دين الله الا
داخلين تحت كل هذا دخولا اوليا بل هم اشد الشياطين اضلالا واقطعهم لطريق الحق حيث دونوا
الضلال تدوينا ولقنوه اشياعهم تلقينا وكانهم ساطوا بلحومهم ودمائهم واياهم عنى من قال
وبادت مقفو الخطى بين قومه طريق نجاة عندهم مستقيم ولو قرؤوا في اللوح ما خط فيه من
بيان اعوجاج في طريقته عوجا اللهم ثبتنا على المعتقد الصحيح الذي رضيته لملائكتك في سماواتك

وانبيائك في ارضك وادخلنا برحمتك في عبادك الصالحين كتب عليه انه من تولاه فانه يضله ويهديه الى
عذاب السعير يا ايها الناس ان كنتم في ريب من البعث فانا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة
مخلقة وغير مخلقة والكتبة عليه مثل اى كانما كتب اضلال من يتولاه عليه ورقم به لظهور ذلك في حاله
وقرئ انه فانه بالفتح والكسر فمن فتح فلان الاول فاعل كتب والثاني عطف عليه ومن كسر فعلى حكاية
المكتوب كما هو كانما كتب عليه هذا الكلام كما تقول كتبت ان الله هو الغني الحميد او على تقدير قيل او
على ان كتب فيه معنى القول الحسن من البعث بالتحريك ونظيره الجلب والطرد في الجلب والطرد كانه قيل
ان ارتبتم في البعث فمزيل ريبكم ان تنظروا في بدء خلقكم والعلقة قطعة الدم الجامدة والمضغة
اللحمة الصغيرة قدر ما يمضغ والمخلقة المسواة الملساء من النقصان والعيب يقال خلق السواك
والعود اذا سواه وملسه من قولهم صخرة خلقاء اذا كانت ملساء كان الله يخلق المضغ متفاوتة
منها ما هو كامل الخلقة املس من العيوب ومنها ما هو على عكس ذلك فيتبع ذلك التفاوت تفاوت الناس
في خلقهم وصورهم وطولهم وقصرهم وانما نقلناكم من حال الى حال ومن خلقة الى خلقة لنبين لكم ونقر
في الارحام ما نشاء الى اجل مسمى ثم نخرجكم طفلا بهذا التدريج قدرتنا وحكمتنا وان من قدر على خلق
البشر من تراب اولا ثم من نطفة ثانيا ولا تناسب بين التراب والماء وقدر على ان يجعل النطفة
علقة وبينهما تباين ظاهر ثم يجعل العلقة مضغة والمضغة عظاما قدر على اعادة ما ابداه
بل هذا ادخل في القدرة من تلك واهون في القياس وورود الفعل غير معدى الى المبين اعلام بان
افعاله هذه يتبين بها من قدرته وعلمه ما لا يكتنهه الذكر ولا يحيط به الوصف وقرا ابن ابي عبلة
ليبين لكم ويقر بالياء وقرئ ونقر ونخرجكم بالنون والنصب ويقر ويخرجكم بالنصب والرفع و
عن يعقوب نَقُرُّ بالنون وضم القاف من قر الماء اذا صبه فالقراءة بالرفع اخبار بانه يقر في
الارحام ما يشاء ان يقره من ذلك الى اجل مسمى وهو وقت الوضع آخر ستة اشهر او تسعة
اشهر او سنتين او اربع او كما شاء وقدر وما لم يشأ اقراره مجته الارحام او اسقطته والقراءة
بالنصب تعليل معطوف على تعليل ومعناه خلقناكم مدرجين هذا التدريج لغرضين احدهما ان
نبين قدرتنا والثاني ان نقر في الارحام من نقر حتى يولدوا وينشؤوا ويبلغوا حد التكليف
فاكلفهم ويعضد هذه القراءة قوله ثم لتبلغوا اشدكم وحده لان الغرض الدلالة على الجنس ويحتمل
نخرج كل واحد منكم طفلا الاشد كمال القوة والعقل والتمييز وهو من الفاظ الجموع التي لم
يستعمل لها واحد كالاسدة والقتود وغير ذلك وكانها شدة في غير شيء واحد فبنيت لذلك

على لفظ الجمع وقرئ ومنكم من يتوفى الى اى يتوفاه الله ارذل العمر الهرم والخرف حتى يعود كهيئته الاولى في اوان طفولته ضعيف البنية سخيف العقل قليل الفهم بين انه كما قدر على ان يرقيه في درجات الزيادة حتى يبلغه حد التمام قادر على ان يحطه حتى ينتهي به الى الحالة السفلى لكيلا يعلم من بعد علم شيئا اى ليصير نساء بحيث اذا اكتسب علما في شيء لم ينشب ان ينساه ويزل عنه علمه حتى يسال عنه من ساعته يقول لك من هذا فيقول فلان فما يلبث لحظة الا سالك عنه وقرا ابو عمرو العمر بسكون الميم وترى الارض هامدة الهامدة الميتة اليابسة وهذه دلالة ثانية على البعث ولظهورها وكونها مشاهدة معاينة كررها الله تعالى في كتابه فاذا انزلنا عليها الماء اهتزت وربت تحركت بالنبات وانتفخت وقرئ وربات اى ارتفعت وانبتت من كل زوج بهيج والبهيج الحسن السار للناظر اليه اى ذلك الذى ذكرنا من خلق بني آدم واحياء الارض مع ما في تضاعيف ذلك من اصناف الحكم واللطائف حاصل بهذا وهو السبب في حصوله ولولاه لم يتصور كونه وهو ان الله هو الحق اى الثابت الموجود وانه قادر على احياء الموتى وعلى كل مقدور وانه حكيم لا يخلف ميعاده وقد وعد الساعة والبعث فلا بد ان يفي بما وعد وعن ابن عباس انه ابو جهل بن هشام وقيل كررت كما كررت سائر الاقاصيص وقيل الاول في المقلدين وهذا في المقلدين والمراد بالعلم العلم الضروري وبالهدى الاستدلال والنظر لانه يهدي الى المعرفة ولا كتاب منير وبالكتاب المنير الوحي اى يجادل بظن وتخمين لا باحد هذه الثلاثة ثاني عطفه وثني العطف عبارة عن الكبر والخيلاء كتصعير الخد ولي الجيد وقيل عن الاعراض عن الذكر وعن الحسن ثاني عطفه بفتح العين اى مانع تعطفه ليضل عن سبيل الله له في الدنيا خزي ونذيقه يوم القيامة عذاب الحريق ذلك بما قدمت يداك وان الله ليس بظلام للعبيد تعليل للمجادلة قرئ بضم الياء وفتحها

ما كان غرضه في جداله الضلال عن سبيل الله فكيف علل به وما كان مهتديا ايضا حتى اذا جادل خرج بالجدال من الهدى الى الضلال لما ادى جداله الى الضلال جعل كانه غرضه ولما كان الهدى معرضا له فتركه واعرض عنه واقبل على الجدال بالباطل جعل كالخارج من الهدى الى الضلال وخزيه ما اصابه يوم بدر من الصغار والقتل والسبب فيما منى به من خزي الدنيا وعذاب الآخرة هو ما قدمت يداه وعدل الله في معاقبته الفجار واثابته الصالحين ومن الناس من يعبد الله على حرف فان اصابه خير اطمان به وان اصابته فتنة انقلب على وجهه على حرف على طرف من الدين لا في وسطه وقلبه وهذا مثل لكونهم على قلق واضطراب في دينهم لا على سكون وطمانينة

ذلك بان الله هو الحق وانه يحيي الموتى وانه على كل شيء قدير وان الساعة آتية لا ريب فيها وان الله يبعث من في القبور ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ولا هدى

كالذي يكون على طرف من العسكر فان احس بظفر وغنيمة قر واطمان والا فر وطار على وجهه قالوا نزلت في اعاريب قدموا المدينة وكان احدهم اذا صح بدنه ونتجت فرسه مهرا سريا وولدت امراته غلاما سويا وكثر ماله وماشيته قال ما اصبت منذ دخلت في ديني هذا الا خيرا واطمان وان كان الامر بخلافه قال ما اصبت الا شرا وانقلب وعن ابي سعيد الخدري ان رجلا من اليهود اسلم فاصابته مصائب فتشاءم بالاسلام فاتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال اقلني فقال ان الاسلام لا يقال فنزلت المصاب بالمحنة بترك التسليم لقضاء الله والخروج الى ما يسخط الله جامع على نفسه محنتين احدهما ذهاب ما اصيب به والثانية ذهاب ثواب الصابرين فهو خسران الدارين خسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين وقرئ خاسر الدنيا والآخرة بالنصب والرفع فالنصب على الحال والرفع على الفاعلية ووضع الظاهر موضع الضمير وهو وجه حسن او على انه خبر مبتدا محذوف يدعوا من دون الله ما لا يضره وما لا ينفعه ذلك هو الضلال البعيد استعير الضلال البعيد من ضلال من ابعد في التيه ضالا فطالت مسافة ضلاله

الضرر والنفع منفيان عن الاصنام مثبتان لها في الآيتين وهذا تناقض اذا حصل المعنى ذهب هذا الوهم وذلك ان الله تعالى سفه الكافر بانه يعبد جمادا لا يملك ضرا ولا نفعا وهو يعتقد فيه بجهله وضلاله انه يستنفع به حين يستشفع به ثم قال يوم القيامة يقول هذا الكافر بدعاء وصراخ حين يرى استضراره بالاصنام ودخوله النار بعبادتها ولا يرى اثر الشفاعة التي ادعاها لها يدعوا لمن ضره اقرب من نفعه لبئس المولى ولبئس العشير او كرر يدعو كانه قال يدعو يدعو من دون الله ما لا يضره وما لا ينفعه ثم قال لمن ضره بكونه معبودا اقرب من نفعه بكونه شفيعا لبئس المولى وفي حرف عبد الله من ضره بغير لام المولى الناصر والعشير الصاحب كقوله فبئس القرين ان الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الانهار ان الله يفعل ما يريد من كان يظن ان لن ينصره الله في الدنيا والآخرة فليمدد بسبب الى السماء ثم ليقطع هذا كلام قد دخله اختصار والمعنى ان الله ناصر رسوله في الدنيا والآخرة فمن كان يظن من حاسديه واعاديه ان الله يفعل خلاف ذلك ويطمع فيه ويغيظه انه لا يظفر بمطلوبه فليستقص وسعه وليستفرغ مجهوده في ازالة ما يغيظه بان يفعل ما يفعل من بلغ منه الغيظ كل مبلغ حتى مد حبلا الى سماء بيته فاختنق فلينظر هل يذهبن كيده ما يغيظ وكذلك انزلناه آيات بينات وان الله يهدي من يريد ان الذين آمنوا والذين هادوا والصابئين والنصارى والمجوس والذين اشركوا وليصور في نفسه انه ان فعل ذلك هل يذهب نصر الله الذي يغيظه وسمى الاختناق قطعا لان المختنق يقطع نفسه بحبس مجاريه ومنه

قيل للبهر القطع وسمى فعله كيدا لانه وضعه موضع الكيد حيث لم يقدر على غيره او على سبيل الاستهزاء
لانه لم يكد به محسوده انما كاد به نفسه والمراد ليس في يده الا ما ليس بمذهب لما يغيظ وقيل
فليمدد بحبل الى السماء المظلة وليصعد عليه فليقطع الوحي ان ينزل عليه وقيل كان قوم من
المسلمين لشدة غيظهم وحنقهم على المشركين يستبطئون ما وعد الله رسوله من النصر وآخرون
من المشركين يريدون اتباعه ويخشون ان لا يثبت امره فنزلت وقد فسر النصر بالرزق و
قيل معناه ان الارزاق بيد الله لا تنال الا بمشيئته ولا بد للعبد من الرضا بقسمته فمن ظن ان
الله غير رازقه وليس به صبر واستسلام فليبلغ غاية الجزع وهو الاختناق فان ذلك لا يقلب
القسمة ولا يرده مرزوقا اى ومثل ذلك الانزال انزلنا القرآن كله آيات بينات ولان الله يهدي
الذين يعلم انهم يؤمنون او يثبت الذين آمنوا ويزيدهم هدى انزله كذلك مبينا ان الله يفصل بينهم
يوم القيمة ان الله على كل شيء شهيد الفصل مطلق يحتمل الفصل بينهم في الاحوال والاماكن جميعا فلا
يجازيهم جزاء واحدا بغير تفاوت ولا يجمعهم في موطن واحد وقيل الاديان خمسة اربعة للشيطان
وواحد للرحمن جعل الصابئون مع النصارى لانهم نوع منهم وقيل يفصل بينهم اى بين المؤمنين والكافرين
وادخلت ان على كل واحد من جزئي الجملة لزيادة التاكيد ونحوه قول جرير
ان الخليفة ان الله سربله سربال ملك به ترجى الخواتيم الم تر ان الله يسجد له من في السموات ومن
في الارض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب سميت مطاوعتها له فيما يحدث فيها من
افعاله ويجريها عليه من تدبيره وتسخيره لها سجودا له تشبيها لمطاوعتها بادخل افعال المكلف في
باب الطاعة والانقياد وهو السجود الذي كل خضوع دونه فما تصنع بقوله وكثير من
الناس وبما فيه من الاعتراضين احدهما ان السجود على المعنى الذي فسرته به لا يسجده بعض الناس
دون بعض والثاني ان السجود قد اسند على سبيل العموم الى من في الارض من الانس والجن اولا فاسناده
الى كثير منهم آخرا مناقضة لا انظمه كثيرا في المفردات المتناسقة الداخلة تحت حكم الفعل
وانما ارفعه بفعل مضمر يدل عليه قوله يسجد اى ويسجد له كثير من الناس سجود طاعة وعبادة
ولم اقل افسر يسجد الذي هو ظاهر بمعنى الطاعة والعبادة في حق هؤلاء لان اللفظ الواحد لا
يصح استعماله في حالة واحدة على معنيين مختلفين او ارفعه على الابتداء والخبر محذوف وهو مثاب
لان خبر مقابله يدل عليه وهو قوله وكثير حق عليه العذاب ويجوز ان يجعل من الناس خبرا له اى
من الناس الذين هم الناس على الحقيقة وهم الصالحون والمتقون ويجوز ان يبالغ في تكثير المحقوقين

بالعذاب فيعطف كثير على كثير ثم يخبر عنهم بحق عليهم العذاب كانه قيل وكثير وكثير من الناس حق
عليهم العذاب وقرئ حق بالضم وقرئ حقا اى حق عليه العذاب حقا ومن يهن الله فما له من مكرم ان الله
يفعل ما يشاء ومن اهانه الله بان كتب عليه الشقاوة لما سبق في علمه من كفره او فسقه فقد بقي
مهانا لن تجد له مكرما وقرئ مكرم بفتح الراء بمعنى الاكرام انه يفعل ما يشاء من الاكرام والاهانة ولا
يشاء من ذلك الا ما يقتضيه عمل العاملين واعتقاد المعتقدين هذان خصمان اختصموا الخصم صفة
وصف بها الفوج او الفريق فكانه قيل هذان فوجان او فريقان يختصمان وقوله هذان للفظ واختصموا
للمعنى كقوله ومنهم من يستمع اليك حتى اذا خرجوا ولو قيل هؤلاء خصمان او اختصما جاز يراد المؤمنون و
الكافرون قال ابن عباس رجع الى اهل الاديان الستة في ربهم اى في دينه وصفاته وروى ان اهل
الكتاب قالوا للمؤمنين نحن احق بالله واقدم منكم كتابا ونبينا قبل نبيكم وقال المؤمنون نحن احق
بالله آمنا بمحمد وآمنا بنبيكم وبما انزل الله من كتاب وانتم تعرفون كتابنا ونبينا ثم تركتموه
وكفرتم به حسدا فهذه خصومتهم في ربهم فالذين كفروا قطعت لهم ثياب من نار يصب من فوق رؤسهم الحميم
هو فصل الخصومة المعني بقوله تعالى ان الله يفصل بينهم يوم القيمة وفي رواية عن الكسائي خصمان
بالكسر وقرئ قطعت بالتخفيف كان الله تعالى يقدر لهم نيرانا على مقادير جثثهم تشتمل عليهم كما
تقطع الثياب الملبوسة ويجوز ان تظاهر على كل واحد منهم تلك النيران كالثياب المظاهرة على اللابس
بعضها فوق بعض ونحوه سرابيلهم من قطران الحميم الماء الحار عن ابن عباس لو سقطت منه نقطة
على جبال الدنيا لاذابتها يصهر به ما في بطونهم والجلود ولهم مقامع من حديد يذاب وعن الحسن بالتشديد
للمبالغة اى اذا صب الحميم على رؤسهم كان تاثيره في الباطن نحو تاثيره في الظاهر فيذيب
امعاءهم واحشاءهم كما يذيب جلودهم وهو ابلغ من قوله وسقوا ماء حميما فقطع امعاءهم و
المقامع السياط في الحديث لو وضعت مقمعة منها في الارض فاجتمع عليه الثقلان ما اقلوها
كلما ارادوا ان يخرجوا منها من غم اعيدوا فيها وذوقوا عذاب الحريق ان الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات
جنات تجري من تحتها الانهار وقرأ الاعمش ردوا فيها والاعادة والرد لا يكون الا بعد الخروج فالمعنى
كلما ارادوا ان يخرجوا منها من غم فخرجوا اعيدوا ومعنى الخروج ما يروى عن الحسن ان النار تضربهم
بلهيبها فترفعهم حتى اذا كانوا في اعلاها ضربوا بالمقامع فهووا فيها سبعين خريفا وقيل لهم
ذوقوا عذاب الحريق والحريق الغليظ من النار المنتشر العظيم الاهلاك يحلون فيها من اساور
من ذهب عن ابن عباس من خليت المراة فهي حال ولؤلؤا بالنصب على ويؤتون لؤلؤا كقوله وحورا عينا

ولؤلؤا بقلب الهمزة الثانية واوا ولؤليا بقلبهما واوين ثم بقلب الثانية ياء كادل وادلو كادل فمن جر ولولؤ وليليا بقلبهما يائين عن ابن عباس وهدوا ألهمهم الله ان يقولوا الحمد لله الذى صدقنا وعده وهداهم الى طريق الجنة يقال فلان يحسن الى الفقراء وينعش المضطهدين لا يراد حال ولا استقبال وانما يراد استمرار وجود الاحسان منه والنعشة فى جميع ازمنته واوقاته ومنه قوله ان الذين كفروا ويصدون عن سبيل الله اى الصدود منهم مستمر دائم للناس اى للذين يقع عليهم اسم الناس من غير فرق بين حاضر وباد وناء وطار ومكى وآفاقى وقد استشهد به اصحاب ابى حنيفة رحمهم الله قائلين ان المراد بالمسجد الحرام مكة على امتناع جواز بيع دور مكة واجارتها وعند الشافعى رحمه الله لا يمتنع ذلك وقد حاور اسحق بن راهويه فاحتج بقوله الذين اخرجوا من ديارهم وقال أنسب الديار الى مالكيها او غير مالكيها واشترى عمر ابن الخطاب رضى الله عنه دارا للسجن من مالكيه او غير مالكيه والمسجد الحرام الذى جعلناه للناس سواء بالنصب قراءة حفص والباقون على الرفع فوجه النصب انه ثانى مفعولى جعلناه اى جعلناه مستويا العاكف فيه والباد وفى القراءة بالرفع الجملة مفعول ثان ومن يرد فيه بالحاد الالحاد العدول عن القصد واصله الحاد الحافر وقوله بالحاد بظلم حالان مترادفان ومفعول يرد متروك ليتناول كل متناول كانه قال ومن يرد فيه مرادا ما عادلا عن القصد ظالما نذقه من عذاب اليم يعنى ان الواجب على من كان فيه ان يضبط نفسه ويسلك طريق السداد والعدل فى جميع ما يهم به ويقصده وقيل الالحاد فى الحرم منع الناس عن عمارته وعن سعيد بن جبير الاحتكار وعن عطاء قول الرجل فى المبايعة لا والله وبلى والله وعن عبد الله بن عمر انه كان له فسطاطان احدهما فى الحل والآخر فى الحرم فاذا اراد ان يعاتب اهله عاتبهم فى الحل فقيل له فقال كنا نحدث ان من الالحاد فيه ان يقول الرجل لا والله وبلى والله وقرئ يرد بفتح الياء من الورود ومعناه من اتى فيه بالحاد ظالما وعن الحسن ومن يرد الحاده بظلم اراد الحادا فيه فاضافه على الاتساع فى الظرف كمكر الليل ومعناه من يرد ان يلحد فيه ظالما وخبر ان محذوف لدلالة جواب الشرط عليه تقديره ان الذين كفروا ويصدون عن المسجد الحرام نذيقهم من عذاب اليم وكل من ارتكب فيه ذنبا فهو كذلك واذ بوأنا واذكر حين جعلنا لابرهيم مكان البيت مباءة اى مرجعا يرجع للعمارة والعبادة رفع البيت الى السماء ايام الطوفان وكان من ياقوتة حمراء فاعلم الله ابرهيم مكانه بريح ارسلها يقال لها الخجوج كنست ما حوله فبناه على اسه القديم وان هى المفسرة كيف يكون النهى عن الشرك والامر

وهدوا الى الطيب من القول وهدوا الى صراط الحميد

بتطهير البيت تفسيرا للتبوئة كانت التبوئة مقصودة من اجل العبادة فكانه قيل تعبدنا ابرهيم قلنا له لا تشرك بى شيئا وطهر بيتى للطائفين والقائمين والركع السجود من الاصنام والاوثان والاقذار ان تطرح حوله وقرئ يشرك بالياء على الغيبة واذن فى الناس بالحج ياتوك رجالا وعلى كل ضامر ياتين من كل فج عميق صفة لكل ضامر لانه فى معنى الجمع وقرئ يأتون صفة للرجال والركبان والعميق البعيد وقرأ ابن مسعود معيق يقال بئر بعيدة العمق والمعق ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله نكر المنافع لانه اراد منافع مختصة بهذه العبادة دينية ودنياوية لا توجد فى غيرها من العبادات وعن ابى حنيفة رحمه الله انه كان يفاضل بين العبادات قبل ان يحج فلما حج فضل الحج على العبادات كلها لما شاهد من تلك الخصائص وكنى عن النحر والذبح بذكر اسم الله لان اهل الاسلام لا ينفكون عن ذكر اسمه اذا نحروا او ذبحوا وفيه تنبيه على ان الغرض الاصلى فيما يتقرب به الى الله ان يذكر اسمه وقد حسن الكلام تحسينا بينا ان جمع بين قوله ليذكروا اسم الله وقوله على ما رزقهم ولو قيل لينحروا فى ايام معلومات بهيمة الانعام لم تر شيئا من ذلك الحسن والروعة الايام المعلومات ايام العشر عند ابى حنيفة وهو قول الحسن وقتادة وعند صاحبيه هى ايام النحر البهيمة مبهمة فى كل ذات اربع فى البر والبحر فبينت بالانعام وهى الابل والبقر والضأن والمعز فكلوا منها واطعموا البائس الفقير الامر بالاكل منها امر اباحة لان اهل الجاهلية كانوا لا ياكلون من نسائكهم ويجوز ان يكون ندبا لما فيه من مساواة الفقراء ومواساتهم ومن استعمال التواضع ومن ثم استحب الفقهاء ان ياكل الموسع من اضحيته مقدار الثلث وعن ابن مسعود انه بعث بهدى وقال فيه اذا نحرته فكل وتصدق وابعث منه الى عتبة يعنى ابنه وفى الحديث كلوا وادخروا وائتجروا البائس الذى اصابه بؤس اى شدة والفقير الذى اضعفه الاعسار ثم ليقضوا تفثهم قضاء التفث قص الشارب والاظفار ونتف الابط والاستحداد والتفث الوسخ فالمراد قضاء ازالة التفث وليوفوا وقرئ وليوفوا بتشديد الفاء نذورهم مواجب حجهم او ما عسى ينذرونه من اعمال البر فى حجهم وليطوفوا بالبيت العتيق طواف الافاضة وهو طواف الزيارة الذى هو من اركان الحج ويقع به تمام التحلل وقيل طواف الصدر وهو طواف

فى ايام معلومات

من بهيمة الانعام

الوداع العتيق القديم لانه اول بيت وضع للناس عن الحسن وعن قتادة اعتق من الجبابرة كم من
جبار سار اليه ليهدمه فمنعه الله وعن مجاهد لم يملك قط وعن مجاهد اعتق من الغرق وقيل بيت
كريم من قولهم عتاق الخيل والطير قد تسلط عليه الحجاج فلم يمنع ما قصد التسلط
على البيت وانما تحصن به ابن الزبير فاحتال لاخراجه ثم بناه ولما قصد التسلط عليه ابرهة فعل به
ما فعل ذلك ومن يعظم حرمات الله خبر مبتدأ محذوف اي الامر او الشأن ذلك كما يقدم الكاتب جملة
من كتابه في بعض المعاني ثم اذا اراد الخوض في معنى آخر قال هذا وقد كان كذا والحرمة ما لا يحل هتكه
وجميع ما كلفه الله عز وجل بهذه الصفة من مناسك الحج وغيرها فيحتمل ان يكون عاما في جميع تكاليفه
ويحتمل ان يكون خاصا فيما يتعلق بالحج وعن زيد بن اسلم الحرمات خمس الكعبة الحرام والمسجد الحرام و
البلد الحرام والشهر الحرام والمحرم حتى يحل فهو خير له اي فالتعظيم خير له ومعنى التعظيم العلم بانها
واجبة المراعاة والحفظ والقيام بمراعاتها عند ربه واحلت لكم الانعام الا ما يتلى عليكم المتلو لا يستثنى
من الانعام ولكن المعنى الا ما يتلى عليكم آية تحريمه وذلك قوله في سورة المائدة حرمت عليكم الميتة
والمعنى ان الله قد احل لكم الانعام كلها الا ما استثناه في كتابه فحافظوا على حدوده واياكم ان
تحرموا مما احل شيئا كتحريم عبدة الاوثان البحيرة والسائبة وغير ذلك وان تحلوا مما حرم كاحلالهم
اكل الموقوذة والميتة وغير ذلك فاجتنبوا الرجس من الاوثان لما حث على تعظيم حرماته واحمد من يعظمها
اتبعه الامر باجتناب الاوثان وقول الزور لان توحيد الله ونفي الشركاء عنه وصدق القول
اعظم الحرمات واسبقها خطوا وجمع الشرك وقول الزور في قرن واحد وذلك ان الشرك من باب
الزور لان المشرك زاعم ان الوثن تحق له العبادة فكانه قال فاجتنبوا عبادة الاوثان التي هي
راس الزور واجتنبوا قول الزور كله ولا تقربوا شيئا منه لتماديه في القبح والسماجة وما ظنك بشيء
من قبيله عبادة الاوثان وسمى الاوثان رجسا وكذلك الخمر والميسر والازلام على طريق التشبيه يعني
انكم كما تنفرون بطباعكم عن الرجس وتجتنبونه فعليكم ان تنفروا عن هذه الاشياء مثل تلك النفرة
ونبه على هذا المعنى بقوله رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه جعل العلة في اجتنابه انه رجس و
الرجس مجتنب من الاوثان بيان للرجس وتمييز له كقولك عندي عشرون من الدراهم لان الرجس مبهم يتناول
غير شيء كانه قيل فاجتنبوا الرجس الذي هو الاوثان والزور من الزور والازورار وهو الانحراف
كما ان الافك من افكه اذا صرفه وقيل قول الزور قولهم هذا حلال وهذا حرام وما اشبه ذلك من
افترائهم وقيل شهادة الزور عن النبي صلى الله عليه وسلم انه صلى الصبح فلما سلم قام قائما واستقبل

(هامش: واجتنبوا قول الزور)

الناس بوجهه وقال عدلت شهادة الزور الاشراك بالله عدلت شهادة الزور الاشراك بالله
عدلت شهادة الزور الاشراك بالله وتلا هذه الآية وقيل الكذب والبهتان وقيل قول اهل الجاهلية
في تلبيتهم لبيك لا شريك لك الا شريك هو لك تملكه وما ملك حنفاء لله غير مشركين به ومن يشرك بالله فكانما خر
من السماء فتخطفه الطير او تهوي به الريح في مكان سحيق ذلك ومن يعظم شعائر الله يجوز في هذا التشبيه ان يكون
من المركب والمفرق فان كان تشبيها مركبا فكانه قال من اشرك بالله فقد اهلك نفسه اهلاكا ليس بعده
بان صور حاله بصورة حال من خر من السماء فاختطفته الطير فتفرق مزعا في حواصلها او عصفت
به الريح حتى هوت به في بعض المطاوح البعيدة وان كان مفرقا فقد شبه الايمان في علوه بالسماء و
الذي ترك الايمان واشرك بالله بالساقط من السماء والاهواء التي تتوزع افكاره بالطير المختطفة
والشيطان الذي يطوح به في وادي الضلالة بالريح التي تهوي بما عصفت به في بعض المهاوي المتلفة
وقرئ فتخطفه الطير وبكسر الخاء والطاء وبكسر التاء مع كسرهما وهي قراءة الحسن واصلها تختطفه
وقرئ الرياح تعظيم الشعائر وهي الهدايا لانها من معالم الحج ان يختارها عظام الاجرام حسانا سمانا
غالية الاثمان ويترك المكاس فقد كانوا يغالون في ثلاث ويكرهون المكاس فيهن الهدي والاضحية
والرقبة وروى ابن عمر عن ابيه رضي الله عنه انه اهدى نجيبة طلبت منه بثلثمائة دينار فسأل رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان يبيعها ويشتري بثمنها بدنا فنهاه عن ذلك وقال بل اهدها واهدى رسول الله
صلى الله عليه وسلم مائة بدنة فيها جمل لابي جهل في انفه برة من ذهب وكان ابن عمر يسوق البدن
مجللة بالقباطي فيتصدق بلحومها وبجلالها ويعتقد ان طاعة الله في التقرب بها واهدائها
الى بيته المعظم امر عظيم لا بد ان يقام به ويسارع فيه فانها من تقوى القلوب اي فان تعظيمها من
افعال ذوي تقوى القلوب فحذف هذه المضافات ولا يستقيم المعنى الا بتقديرها لانه لا بد
من راجع من الجزاء الى من ليرتبط به وانما ذكرت القلوب لانها مراكز التقوى التي اذا ثبتت فيها
وتمكنت ظهر اثرها في سائر الاعضاء لكم فيها منافع الى اجل مسمى الى ان تنحر ويتصدق بلحومها ويؤكل
منها وثم للتراخي في الوقت فاستعيرت للتراخي في الافعال والمعنى ان لكم في الهدايا منافع كثيرة في
دنياكم ودينكم وانما يعتد الله بالمنافع الدينية قال سبحانه تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة
واعظم هذه المنافع وابعدها شوطا في النفع ثم محلها الى البيت العتيق اي وجوب نحرها او وقت
نحرها منتهية الى البيت كقوله هديا بالغ الكعبة والمراد نحرها في الحرم الذي هو في حكم البيت لان
الحرم هو حريم البيت ومثل هذا في الاتساع قولك بلغنا البلد وانما شارفتموه واتصل مسيركم بحدوده

(هامش: في شرائها صح)
(هامش: الاحوال في)

وقيل المراد بالشعائر المناسك كلها ومحلها الى البيت العتيق يأباه ولكل امة جعلنا منسكا ليذكروا
اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الانعام فالهكم اله واحد فله اسلموا وبشر المخبتين الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم
والصابرين على ما اصابهم والمقيمي الصلوة ومما رزقناهم ينفقون شرع الله لكل امة ان ينسكوا له اى يذبحوا
لوجهه على وجه التقرب وجعل العلة فى ذلك ان يذكر اسمه تقدست اسماؤه على النسائك وقرئ
منسكا بفتح السين وكسرها وهو مصدر بمعنى النسك والمكسور يكون بمعنى الموضع فله اسلموا اى اخلصوا
له الذكر خاصة واجعلوه لوجهه سالما اى خالصا لا تشوبوه باشراك المخبتون المتواضعون
الخاشعون من الخبت وهو المطمئن من الارض وقيل هم الذين لا يظلمون واذا ظلموا لم ينتصروا وقراء
الحسن والمقيمي الصلوة بالنصب على تقدير النون وقرا ابن مسعود والمقيمين الصلوة على الاصل والبدن
جعلناها لكم البدن جمع بدنة سميت لعظم بدنها وهى الابل خاصة ولان رسول الله صلى الله عليه وسلم
الحق البقرة بالابل حين قال البدنة عن سبعة والبقرة عن سبعة فجعل البقر فى حكم الابل صارت
البدنة فى الشريعة متناولة للجنسين عند ابى حنيفة واصحابه رحمهم الله والا فالبدن هى الابل
وعليه تدل الآية وقراء الحسن والبدن بضمتين كثمر فى جمع ثمرة وابن ابى اسحاق بالضمتين وتشديد
النون على لفظ الوقف وقرئ بالنصب والرفع كقوله والقمر قدرناه من شعائر الله اى من اعلام الشريعة
التى شرعها الله واضافها الى اسمه تعظيما لها لكم فيها خير فاذكروا اسم الله عليها كقوله لكم فيها منافع
ومن شأن الحاج ان يحرص على شىء فيه خير ومنافع بشهادة الله عن بعض السلف انه لم يملك الا
تسعة دنانير فاشترى بها بدنة فقيل له فى ذلك فقال سمعت ربى يقول لكم فيها خير وعن
ابن عباس دنيا وآخرة وعن ابرهيم من احتاج الى ظهرها ركب ومن احتاج الى لبنها شرب وذكر
اسم الله ان يقول عند النحر الله اكبر لا اله الا الله والله اكبر اللهم منك واليك صواف قائمات
قد صففن ايديهن وارجلهن وقرئ صوافن من صفون الفرس وهو ان يقوم على ثلث وينصب
الرابعة على طرف سنبكه لان البدنة تعقل احدى يديها فتقوم على ثلث وقرئ صوافى اى
خوالص لوجه الله وعن عمرو بن عبيد صوافنا بالتنوين عوضا من حرف الاطلاق عند الوقف و
عن بعضهم صواف نحو مثل العرب اعط القوس باريها بسكون الياء وجوب الجنوب وقوعها
على الارض من وجب الحائط وجبة اذا سقط ووجبت الشمس جبة غربت والمعنى فاذا وجبت
جنوبها فكلوا منها وسكنت نسائسها حل لكم الاكل منها والاطعام واطعموا القانع والمعتر كذلك سخرناها
لكم لعلكم تشكرون القانع السائل من قنعت وقراء ابو رجاء القنع وهو الراضى لا غير يقال قنع

اليه وكنعت اذا خضعت له وسالته قنوعا

فهو قنع وقانع وقنعت اذا خضعت له وسالته قنوعا والمعتر المتعرض بغير سوال او القانع الراضى
بما عنده وبما يعطى من غير سوال من قنعت قنعا وقناعة والمعتر المتعرض بالسوال وقرا الحسن
والمعترى وعره وعراه واعتره واعتراه بمعنى من الله على عباده واستحمد اليهم بان سخر لهم البدن
مثل التسخير الذى رأوا وعلموا يأخذونها منقادة للآخذ طيعة فيعقلونها ويحبسونها صافة
قوائمها ثم يطعنون فى لباتها ولولا تسخير الله لم تطق ولم تكن باعجز من بعض الوحوش التى هى اصغر منها
جرما واقل قوة وكفى بما يتأبد من الابل شاهدا وعبرة لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله
التقوى منكم كذلك سخرها لكم لتكبروا الله على ما هديكم وبشر المحسنين اى لن يصيب رضى الله اللحوم المتصدق
بها ولا الدماء المهراقة بالنحر والمراد اصحاب اللحوم والدماء والمعنى لن يرضى المضحون والمقربون
ربهم الا بمراعاة النية والاخلاص والاحتفاظ بشروط التقوى فى حل ما قرب به وغير ذلك من
المحافظات الشرعية واوامر الورع واذا لم يراعوا ذلك لم يغن عنهم التضحية والتقريب وان كثر
ذلك منهم وقرئ لن ينال ولكن يناله بالياء والتاء وقيل كان اهل الجاهلية اذا نحروا البدن
نضحوا الدماء حول البيت ولطخوه بالدم فلما حج المسلمون ارادوا مثل ذلك فنزلت كرر تذكير
النعمة بالتسخير ثم قال لتشكروا الله على هدايته اياكم لاعلام دينه ومناسك حجه بان تكبروا و
تهللوا فاختصر الكلام بان ضمن التكبير معنى الشكر وعدى تعديته ان الله يدفع عن الذين
آمنوا ان الله لا يحب كل خوان كفور خص المؤمنين بدفعه عنهم ونصرته لهم كما قال انا لننصر
رسلنا والذين آمنوا وقال انهم لهم المنصورون واخرى تحبونها نصر من الله وفتح قريب
وجعل العلة فى ذلك انه لا يحب اضدادهم وهم الخونة الكفرة الذين يخونون الله والرسول
ويخونون اماناتهم ويكفرون نعم الله ويغمطونها ومن قرا يدافع فمعناه يبالغ فى الدفع عنهم كما
يبالغ من يغالب فيه لان فعل المغالب يجئ اقوى وابلغ اذن للذين يقاتلون اذن ويقاتلون
قرئا على لفظ المبنى للفاعل والمفعول جميعا والمعنى اذن لهم فى القتال فحذف الماذون فيه
لدلالة يقاتلون عليه بانهم ظلموا اى بسبب كونهم مظلومين وهم اصحاب رسول الله صلى الله
عليه وسلم كان مشركوا مكة يؤذونهم اذى شديدا وكانوا يأتون رسول الله صلى الله عليه وسلم
من بين مضروب ومشجوج يتظلمون اليه فيقول لهم اصبروا فانى لم اومر بالقتال حتى هاجر
فانزلت هذه الآية وهى اول آية اذن فيها بالقتال بعد ما نهى عنه فى نيف وسبعين آية
وقيل نزلت فى قوم خرجوا مهاجرين فاعترضهم مشركوا مكة فاذن لهم فى مقاتلتهم

والإخبار بكونه قادراً وإن الله على نصرهم لقدير الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله
على نصرهم عدة منه بالنصر واردة على سنن كلام الجبابرة وما مر من دفعه عن الذين آمنوا مؤذن
بمثل هذه العدة أن يقولوا في محل الجر على الإبدال من حق أي بغير موجب سوى التوحيد الذي
ينبغي أن يكون موجب الإقرار والتمكين لا موجب الإخراج والتسيير ومثله هل تنقمون منا إلا أن آمنا
بالله ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله
كثيرا دفع الله بعض الناس ببعض إظهاره وتسليط المسلمين منهم على الكافرين بالمجاهدة ولولا
ذلك لاستولى المشركون على أهل الملل المختلفة في أزمنتهم وعلى متعبداتهم فهدموها و
لم يتركوا للنصارى بيعا ولا لرهبانهم صوامع ولا لليهود صلوات ولا للمسلمين مساجد أو لغلب
المشركون في أمة محمد عليه السلام على المسلمين وعلى أهل الكتاب الذين في ذمتهم وهدموا متعبدات
الفريقين وقرئ دفاع ولهدمت بالتخفيف وسميت الكنيسة صلوة لأنه يصلى فيها وقيل
هي كلمة معربة أصلها بالعبرانية صلوثا ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز الذين
إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلوة وآتوا الزكوة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر من ينصره أي ينصر
دينه وأولياءه هو إخبار من الله عز وجل بظهر الغيب عما ستكون عليه سيرة المهاجرين رضي
الله عنهم إن مكنهم في الأرض وبسط لهم في الدنيا وكيف يقومون بأمر الدين وعن عثمان رضي الله
عنه هذا والله ثناء قبل بلاء يريد أن الله قد أثنى عليهم قبل أن يحدثوا من الخير ما أحدثوا
وقالوا فيه دليل على صحة أمر الخلفاء الراشدين لأن الله لم يعط التمكين ونفاذ الأمر مع
السيرة العادلة غيرهم من المهاجرين لا حظ في ذلك للأنصار والطلقاء وعن الحسن هم
أمة محمد صلى الله عليه وسلم وقيل الذين منصوب بدل من قوله من ينصره والظاهر أنه مجرور
تابع للذين أخرجوا ولله عاقبة الأمور أي مرجعها إلى حكمه وتقديره وفيه تأكيد لما وعده من
إظهار أوليائه وإعلاء كلمتهم وإن يكذبوك فقد كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وثمود وقوم إبراهيم وقوم لوط وأصحاب
مدين يقول لرسوله صلى الله عليه وسلم تسلية له لست بأوحدي في التكذيب فقد كذب
الرسل قبلك أقوامهم وكفاك بهم أسوة لم قيل وكذب موسى ولم يقل وقوم موسى
لأن موسى ما كذبه قومه بنو إسرائيل وإنما كذبه غير قومه وهم القبط وفيه شيء
آخر كأنه قيل بعدما ذكر تكذيب كل قوم رسولهم وكذب موسى أيضا مع وضوح آياته وعظم
معجزاته فما ظنك بغيره فأمليت للكافرين ثم أخذتهم فكيف كان نكير النكير بمعنى الإنكار والتغيير

حيث أبدل لهم بالنعمة محنة وبالحياة هلاكا وبالعمارة خرابا فكأين من قرية أهلكناها وهي ظالمة فهي خاوية
على عروشها وبئر معطلة وقصر مشيد أفلم يسيروا في الأرض كل مرتفع أظلك من سقف بيت أو خيمة أو
ظلة أو كرم فهو عرش والخاوي الساقط من خوى النجم إذا سقط أو الخالي من خوى المنزل إذا خلا من
أهله وخوى بطن الحامل وقوله على عروشها لا يخلو من أن يتعلق بخاوية فيكون المعنى أنها ساقطة
على سقوفها أي خرت سقوفها على الأرض ثم تهدمت حيطانها فسقطت فوق السقوف أو أنها
ساقطة أو خالية مع بقاء عروشها وسلامتها وإما أن يكون خبرا بعد خبر كأنه قيل هي خاوية
وهي على عروشها أي قائمة مطلة على عروشها على معنى أن السقوف سقطت إلى الأرض فصارت
في قرار الحيطان وبقيت الحيطان مائلة فهي مشرفة على السقوف الساقطة ومحل
الجملتين من الإعراب أعني وهي ظالمة فهي خاوية الأولى في محل النصب على الحال والثانية
لا محل لها لأنها معطوفة على أهلكناها وهذا الفعل ليس له محل وقرأ الحسن معطلة من أعطله
بمعنى عطله ومعنى المعطلة أنها عامرة فيها الماء ومعها آلات الاستقاء إلا أنها عطلت أي
تركت لا يستقى منها والمشيد المجصص أو المرفوع البنيان والمعنى كم قرية أهلكنا وكم بئر عطلنا
عن سقاتها وقصر مشيد أخليناه عن ساكنيه فترك ذلك لدلالة معطلة عليه وفي هذا دليل على
أن على عروشها بمعنى مع أوجه وروي أن هذه بئر نزل عليها صالح مع أربعة آلاف نفر ممن
آمن به ونجاهم الله العذاب وهي بحضرموت وإنما سميت بذلك لأن صالحا حين حضرها مات
وثم بلدة عند البئر اسمها حاضوراء بناها قوم صالح وأمروا عليهم جلهس بن جلاس وأقاموا بها
زمانا ثم كفروا وعبدوا صنما وأرسل الله إليهم حنظلة بن صفوان نبيا فقتلوه فأهلكهم الله وعطل
بئرهم وخرب قصورهم يحتمل أنهم لم يسافروا فحثوا على السفر ليروا مصارع من أهلكهم
الله بكفرهم ويشاهدوا آثارهم فيعتبروا وأن يكونوا قد سافروا ورأوا ذلك ولكن لم يعتبروا فجعلوا
كأن لم يسافروا ولم يروا وقرئ فتكون لهم قلوب يعقلون بها أو آذان يسمعون بها بالياء أي يعقلون
ما يجب أن يعقل من التوحيد ويسمعون ما يجب سماعه من الوحي فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى
القلوب التي في الصدور الضمير ضمير الشأن والقصة يجيء مذكرا ومؤنثا وفي قراءة ابن
مسعود فإنه ويجوز أن يكون الضمير مبهما يفسره الأبصار وفي تعمى راجع إليه والمعنى أن أبصارهم
صحيحة سالمة لا عمى بها وإنما العمى بقلوبهم أو لا يعتد بعمى الأبصار فكأنه ليس بعمى بالإضافة
إلى عمى القلوب أي فائدة في ذكر الصدور الذي قد تعورف واعتقد أن

العمى على الحقيقة مكانه البصر وهو ان تصاب الحدقة بما يطمس نورها واستعماله في القلب استعارة
ومثل فلما اريد اثبات ما هو خلاف المعتقد من نسبة العمى الى القلوب حقيقة ونفيه عن
الابصار احتاج هذا التصوير الى زيادة تعيين وفضل تعريف ليتقرر ان مكان العمى هو القلوب لا
الابصار كما تقول ليس المضاء للسيف ولكنه للسانك الذي بين فكيك فقولك الذي بين فكيك تقرير
لما ادعيته للسانه وتثبيت لان محل المضاء هو هو لا غير وكانك قلت ما نفيت المضاء عن السيف
واثبته للسانك فلتة ولا سهوا مني ولكن تعمدت به اياه بعينه تعمدا ويستعجلونك بالعذاب ولن يخلف
الله وعده وان يوما عند ربك كالف سنة مما تعدون وكاين من قرية امليت لها وهي ظالمة ثم اخذتها والي المصير
انكر استعجالهم بالمتوعد به من العذاب العاجل والآجل كانه قال ولم تستعجلون به كانهم يجوزون الفوت
وانما يجوز ذلك على ميعاد من يجوز عليه الخلف والله عز وعلا لا يخلف الميعاد وما وعده ليصيبنهم
ولو بعد حين وهو سبحانه حليم لا يعجل ومن حلمه ووقاره واستقصاره المدد الطوال ان يوما
واحدا عنده كالف سنة عندكم وقيل معناه كيف تستعجلون بعذاب من يوم واحد من ايام
عذابه في طول الف سنة من سنيكم لان ايام الشدائد مستطالة او كان ذلك اليوم الواحد لشدة
عذابه كالف سنة من سني العذاب وقيل ولن يخلف الله وعده في النظرة والامهال وقرئ يعدون
بالياء والتاء ثم قال وكم من اهل قرية كانوا مثلكم ظالمين قد انظرتهم حينا ثم اخذتهم بالعذاب و
المرجع الي والى حكمي لم كانت الاولى معطوفة بالفاء وهذه بالواو الاولى وقعت بدلا
عن قوله فكيف كان نكير واما هذه فحكمها حكم ما تقدمها من الجملتين المعطوفتين بالواو اعني قوله ولن
يخلف الله وعده وان يوما عند ربك كالف سنة قل يا ايها الناس انما انا لكم نذير مبين فالذين آمنوا و
عملوا الصالحات لهم مغفرة ورزق كريم والذين سعوا في آياتنا معاجزين اولئك اصحاب الجحيم يقال سعيت في امر
فلان اذا اصلحته او افسدته بسعيه وعاجزه سابقه لان كل واحد منهما في طلب اعجاز الآخر عن
اللحاق به فاذا سبقه قيل اعجزه وعجزه والمعنى سعوا في معناها بالفساد من الطعن فيها حيث
سموها سحرا وشعرا واساطير ومن تثبيط الناس عنها سابقين او مسابقين في زعمهم وتقديرهم
طامعين ان كيدهم للاسلام يتم لهم كان القياس ان يقال انما انا لكم بشير ونذير لذكر
الفريقين بعده الحديث مسوق الى المشركين ويا ايها الناس نداء لهم وهم الذين قيل فيهم
افلم يسيروا ووصفوا بالاستعجال وانما اقحم المؤمنون وثوابهم ليغاظوا وما ارسلنا من قبلك من
رسول ولا نبي الا اذا تمنى القى الشيطان في امنيته من رسول ولا نبي دليل بين على تغاير الرسول والنبي

وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه سئل عن الانبياء فقال مائة الف واربعة وعشرون الفا فقيل فكم الرسل
منهم فقال ثلثمائة وثلثة عشر جما غفيرا والفرق بينهما ان الرسول من الانبياء من جمع الى المعجزة
الكتاب المنزل عليه والنبي غير الرسول من لم ينزل عليه كتاب وانما امر ان يدعو الى شريعة من قبله و
السبب في نزول هذه الآية ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما اعرض عنه قومه وشاقوه وخالفه
عشيرته ولم يشايعوه على ما جاء به تمنى لفرط ضجره من اعراضهم ولحرصه وتهالكه على اسلامهم ان لا
ينزل عليه ما ينفرهم لعله يتخذ ذلك طريقا الى استمالتهم واستنزالهم عن غيهم وعنادهم فاستمر به
ما تمناه حتى نزلت عليه سورة والنجم وهو في نادي قومه وذلك التمني في نفسه فاخذ يقرؤها فلما بلغ
قوله ومناة الثالثة الاخرى القى الشيطان في امنيته التي تمناها اي وسوس اليه بما شيعها
به فسبق لسانه على سبيل السهو والغلط الى ان قال تلك الغرانيق العلى وان شفاعتهن لترتجى
وروي الغرانقة ولم يفطن له حتى ادركته العصمة فتنبه عليه وقيل نبهه جبريل عليه السلام
او تكلم الشيطان بذلك فاسمعه الناس فلما سجد في آخرها سجد معه جميع من في النادي وطابت
نفوسهم وكان تمكين الشيطان من ذلك محنة من الله وابتلاء زاد المنافقون به شكا وظلمة والمؤمنون
نورا وايقانا والمعنى ان الرسل والانبياء من قبلك كانت هجيراهم كذلك اذا تمنوا مثل ما تمنيت
مكن الله الشيطان ليلقي في امانيهم مثل ما القى في امنيتك ارادة امتحان من حولهم ولله
سبحانه ان يمتحن عباده بما شاء من صنوف المحن وانواع الفتن ليضاعف ثواب الثابتين و
يزيد في عقاب المذنبين وقيل تمنى قرأ وانشد تمنى كتاب الله اول ليلة تمني داود الزبور
على رسل وامنيته قراءته وقيل تلك الغرانيق اشارة الى الملائكة اي هم الشفعاء لا
الاصنام فينسخ الله ما يلقي الشيطان اي يذهب به ويبطله ثم يحكم الله آياته اي يثبتها والذين
في قلوبهم مرض المنافقون والشاكون والله عليم حكيم ليجعل ما يلقي الشيطان فتنة للذين في قلوبهم مرض
والقاسية قلوبهم المشركون المكذبون وان الظالمين يريد وان هؤلاء المنافقين والمشركين
واصله وانهم فوضع الظاهر موضع الضمير قضاء عليهم بالظلم لفي شقاق بعيد وليعلم الذين اوتوا العلم
انه الحق من ربك اي ليعلموا ان تمكين الشيطان من الالقاء هو الحق من ربك والحكمة فيؤمنوا به
فتخبت له قلوبهم وان الله لهادي الذين آمنوا الى ان يتأولوا ما يتشابه في الدين بالتأويلات
الصحيحة ويطلبوا لما اشكل منه المحمل الذي يقتضيه الاصول المحكمة والقوانين الممهدة حتى لا
يلحقهم حيرة ولا يعتريهم شبهة ولا يزل اقدامهم وقرئ لهاد الذين آمنوا بالتنوين الى صراط

مستقيم ولا يزال الذين كفروا في مرية منه حتى تأتيهم الساعة بغتة او يأتيهم عذاب يوم عقيم الضمير في مرية
منه للقرآن او للرسول اليوم العقيم يوم بدر وانما وصف يوم الحرب بالعقيم لان اولاد النساء
يقتلون فيه فيصرن كأنهن عقم لم يلدن او لان المقاتلين يقال لهم ابناء الحرب فاذا قتلوا وصف
يوم الحرب بالعقيم على سبيل المجاز وقيل هو الذي لا خير فيه يقال ريح عقيم اذا لم تنشئ مطرا ولم تلقح
شجرا وقيل لا مثل له في عظم امره لقتال الملائكة فيه وعن الضحاك انه يوم القيمة وان المراد بالساعة
مقدماته ويجوز ان يراد بالساعة وبيوم عقيم يوم القيمة كأنه قيل حتى تأتيهم الساعة او يأتيهم
عذابها فوضع يوم عقيم موضع الضمير الملك يومئذ لله يحكم بينهم فالذين آمنوا وعملوا الصالحات في جنات
النعيم والذين كفروا وكذبوا بآياتنا فاولئك لهم عذاب مهين التنوين في يومئذ عن اى جملة ينوب
تقديره الملك يوم يؤمنون او يوم تزول مريتهم لقوله ولا يزال الذين كفروا في مرية
منه حتى تأتيهم الساعة لما جمعتهم المهاجرة في سبيل الله سوى بينهم في الموعد وان يعطي من مات منهم
مثل ما يعطي من قتل تفضلا منه واحسانا والله عليم بدرجات العاملين ومراتب استحقاقهم حليم
عن تفريط المفرط منهم بفضله وكرمه روى ان طوائف من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
قالوا يا نبي الله هؤلاء الذين قتلوا قد علمنا ما اعطاهم الله من الخير ونحن نجاهد معك كما جاهدوا
فما لنا ان متنا معك فانزل الله هاتين الآيتين ذلك ومن عاقب بمثل ما عوقب به ثم بغي عليه لينصرنه
الله تسمية الابتداء بالجزاء لملابسته له من حيث انه سبب وذاك مسبب عنه كما يحملون النظير
على النظير والنقيض على النقيض كيف طابق ذكر العفو الغفور هذا الموضع
المعاقب مبعوث من جهة الله عز وجل على الاخلال بالعقاب والعفو عن الجاني على طريق التنزيه
لا التحريم ومندوب اليه ومستوجب عند الله المدح ان آثر ما ندب اليه وسلك سبيل التنزيه
فحين لم يؤثر ذلك وانتصر وعاقب ولم ينظر في قوله تعالى فمن عفا واصلح فاجره على الله و
ان تعفوا اقرب للتقوى ولمن صبر وغفر ان ذلك لمن عزم الامور فان الله لعفو غفور اى
لا يلومه على ترك ما بعثه عليه وهو ضامن لنصره في كرته الثانية من اخلاله بالعفو وانتقامه
من الباغي عليه ويجوز ان يضمن له النصر على الباغي ويعرض مع ذلك بما كان اولى به من العفو و
يلوح به بذكر هاتين الصفتين او دل بذكر العفو والمغفرة على انه قادر على العقوبة لانه لا يوصف
بالعفو الا القادر على ضده ذلك بان الله يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل وان الله سميع بصير اى
ذلك النصر بسبب انه قادر ومن آيات قدرته انه يولج النهار في الليل او بسبب انه خالق الليل
الليل في النهار و

والنهار ومصرفهما فلا يخفى عليه ما يجري فيهما على ايدي عباده من الخير والشر والبغي والانصاف وانه
سميع لما يقولون بصير بما يفعلون ما معنى ايلاج احد الملوين في الآخر تحصيل ظلمة
هذا في مكان ضياء ذاك بغيبوبة الشمس وضياء ذلك في مكان ظلمة هذا بطلوعها كما يضيء السرب بالسراج
ويظلم بفقده وقيل هو زيادته في احدهما ما ينقص من الآخر من الساعات ذلك بان الله هو الحق وان ما يدعون
من دونه هو الباطل وان الله هو العلي الكبير وقرئ يدعون بالياء والتاء وقرأ اليماني وان ما يدعون بلفظ
المبني للمفعول والواو راجعة الى ما لانه في معنى الالهة اى ذلك الوصف بخلق الليل والنهار والاحاطة بما يجري
فيهما وادراك كل قول وفعل بسبب انه الله الحق الثابت الالهية وان كل ما يدعى الها دونه باطل الدعوة
وانه لا شيء اعلى منه شأنا واكبر سلطانا الم تر ان الله انزل من السماء ماء فتصبح الارض مخضرة
ان الله لطيف خبير قرئ مخضرة اى ذات خضر على مفعلة كمبقلة ومسبعة فان قلت هلا قيل فاصبحت
ولم صرف الى لفظ المضارع قلت لنكتة فيه وهي افادة بقاء اثر المطر زمانا بعد زمان كما تقول انعم
علي فلان عام كذا فاروح واغدو شاكرا له ولو قلت فرحت وغدوت لم يقع ذلك الموقع
فما له رفع ولم ينصب جوابا للاستفهام لو نصب لاعطى ما هو عكس الغرض لان معناه اثبات
الاخضرار فينقلب بالنصب الى نفي الاخضرار مثاله ان تقول لصاحبك الم تر اني انعمت عليك فتشكر
ان نصبته فانت ناف لشكره شاك تفريطه فيه وان رفعته فانت مثبت للشكر هذا وامثاله مما يجب
ان يرغب له من اتسم بالعلم في علم الاعراب وتوقير اهله لطيف واصل علمه او فضله الى كل شيء خبير
بمصالح الخلق ومنافعهم له ما في السموات وما في الارض وان الله لهو الغني الحميد الم تر ان الله سخر لكم ما في الارض
والفلك تجري في البحر بامره ويمسك السماء ان تقع على الارض الا باذنه ان الله بالناس لرؤف رحيم ما في الارض من
البهائم مذللة للركوب في البر ومن المراكب جارية في البحر وغير ذلك من سائر المسخرات وقرئ و
الفلك بالرفع على الابتداء ان تقع كراهة ان تقع الا بمشيئته وهو الذي احياكم ثم يميتكم ثم يحييكم ان
الانسان لكفور احياكم بعد ان كنتم جمادا ترابا ونطفة وعلقة ومضغة لكفور لجحود لما افاض
عليه من ضروب النعم لكل امة جعلنا منسكا هم ناسكوه فلا ينازعنك في الامر وادع الى ربك انك لعلى هدى
مستقيم وان جادلوك فقل الله اعلم بما تعملون هو نهي لرسول الله صلى الله عليه وسلم اى لا تلتفت الى قولهم
ولا تمكنهم من ان ينازعوك او هو زجر لهم عن التعرض لرسول الله بالمنازعة في الدين وهم جهال
لا علم عندهم وهم كفار خزاعة روى ان بديل بن ورقاء وبشر بن سفيان الخزاعيين و
غيرهما قالوا للمسلمين ما لكم تأكلون ما قتلتم ولا تأكلون ما قتله الله يعنون الميتة وقال الزجاج

منهي له عن منازعتهم كما تقول لا يضاربنك فلان اى لا تضاربه وهذا جائز في الفعل الذي لا يكون الا بين
اثنين في الامر اى في امر الدين وقيل في امر النسائك وقرئ فلا ينزعنك اى اثبت في دينك ثباتا لا يطمعون
ان يجذبوك ليزيلوك عنه والمراد زيادة التثبيت لرسول الله بما يهيج حميته ويلهب غضبه لله ولدينه
ومنه قوله ولا يصدنك عن آيات الله ولا تكونن من المشركين فلا تكونن ظهيرا للكافرين وهيهات ان
ترتع همة رسول الله صلى الله عليه وسلم حول ذلك الحمى ولكنه وارد على ما قلت من ارادة التهييج والالهاب
وقال الزجاج هو من نازعته فنزعته انزعه اى غلبته اى لا يغلبنك في المنازعة لم جاءت نظيرة
هذه الآية معطوفة بالواو وقد نزعت عن هذه لان تلك وقعت مع ما يدانيها ويناسبها من
الآى الواردة في امر النسائك فعطفت على اخواتها واما هذه فواقعة مع اباعد عن معناها فلم تجد معطفا
اى وان ابوا للجاجهم الا المجادلة بعد اجتهادك ان لا يكون بينك وبينهم تنازع فادفعهم بان الله اعلم
باعمالكم وبقبحها وبما تستحقون عليها من الجزاء فهو مجازيكم به وهذا وعيد وانذار ولكن برفق و
لين الله يحكم بينكم يوم القيمة فيما كنتم فيه تختلفون الم تعلم ان الله يعلم ما في السماء والارض ان ذلك في كتاب ان
ذلك على الله يسير ويعبدون من دون الله ما لم ينزل به سلطانا وما ليس لهم به علم وما للظالمين من نصير واذا تتلى
عليهم آياتنا بينات تعرف في وجوه الذين كفروا خطاب من الله للمؤمنين والكافرين اى يفصل بينكم
بالثواب والعقاب ومسلاة لرسول الله صلى الله عليه وسلم مما كان يلقى منهم وكيف يخفى عليه ما تعملون
ومعلوم عند العلماء بالله انه يعلم كل ما يحدث في السموات والارض وقد كتبه في اللوح قبل حدوثه
والاحاطة بذلك واثباته وحفظه عليه يسير لان العالم الذات لا يتعذر عليه ولا يمتنع تعلق بمعلوم
ويعبدون ما لم يتمسكوا في صحة عبادته ببرهان سماوي من جهة الوحي والسمع ولا الجأهم اليها
علم ضروري ولا حملهم عليها دليل عقلي وما للذين ارتكبوا مثل هذا الظلم من احد ينصرهم ويصوب
مذهبهم المنكر الفظيع من التجهم والبسور او الانكار كالمكرم بمعنى الاكرام وقرئ يعرف و
المنكر يكادون يسطون بالذين يتلون عليهم آياتنا والسطو الوثب والبطش قل افأنبئكم بشر من ذلكم
النار وقرئ النار بالرفع على انه خبر مبتدأ محذوف كان قائلا قال ما هو فقيل النار اى هو النار
وبالنصب على الاختصاص وبالجر على البدل من شر من ذلكم من غيظكم على التالين وسطوكم عليهم او مما
اصابكم من الكراهة والضجر بسبب ما تلي عليكم وعدها الله الذين كفروا وبئس المصير استئناف كلام
ويحتمل ان تكون النار مبتدأ ووعدها خبرا ويحتمل ان يكون حالا عنها اذا نصبتها او جررتها باضمار
قد الذي جاء به ليس بمثل فكيف سماه مثلا قد سميت الصفة او القصة الرائعة

المتلقاة بالاستحسان والاستغراب مثلا تشبيها لها ببعض الامثال المسيرة لكونها مستحسنة مستغربة
ان الذين تدعون من دون الله قرئ تدعون بالتاء والياء ويدعون مبنيا للمفعول لن يخلقوا ذبابا لن
اخت لا في نفي المستقبل الا ان لن تنفيه نفيا مؤكدا وتاكيده هنا الدلالة على ان خلق الذباب منهم
مستحيل مناف لاحوالهم كانه قال محال ان يخلقوا ما محل ولو اجتمعوا له وان يسلبهم الذباب
شيئا لا يستنقذوه منه النصب على الحال كانه قال مستحيل ان يخلقوا الذباب مشروطا عليهم
اجتماعهم جميعا لخلقه وتعاونهم عليه وهذا من ابلغ ما انزل الله في تجهيل قريش واستركاك عقولهم و
الشهادة على ان الشيطان قد خزمهم بخزامه حيث وصفوا بالالهية التي تقتضي الاقتدار على المقدورات
كلها والاحاطة بالمعلومات عن آخرها صورا وتماثيل يستحيل منها ان تقدر على اقل ما خلقه الله واذله
واصغره واحقره ولو اجتمعوا لذلك وتساندوا وادل من ذلك على عجزهم وانتفاء قدرتهم ان هذا
الخلق الاقل الاذل لو اختطف منهم شيئا فاجتمعوا على ان يستخلصوه منه لم يقدروا وقوله ضعف
الطالب والمطلوب كالتسوية بينهم وبين الذباب في الضعف ولو حققت وجدت الطالب اضعف
واضعف لان الذباب حيوان وهو جماد وهو غالب وذاك مغلوب وعن ابن عباس انهم كانوا
يطلونها بالزعفران ورؤوسها بالعسل ويغلقون عليها الابواب فيدخل الذباب من الكوى
فيأكله ما قدروا الله حق قدره ان الله لقوي عزيز اى ما عرفوه حق معرفته حتى لا يسموا باسمه
من هو منسلخ عن صفاته باسرها ولا يؤهلوه للعبادة ولا يتخذوه شريكا ان الله قادر غالب له
فكيف يتخذ العاجز المغلوب شبيها به الله يصطفي من الملائكة رسلا ومن الناس ان الله سميع بصير يعلم
ما بين ايديهم وما خلفهم والى الله ترجع الامور هذا رد لما انكروه من ان يكون الرسول من البشر وبيان
ان رسل الله على ضربين ملائكة وبشر ثم ذكر انه عز وجل دراك للمدركات عالم باحوال المكلفين
ما مضى منها وما غبر لا يخفى عليه منهم خافية واليه مرجع الامور كلها والذي هو بهذه الصفات
لا يسأل عما يفعل وليس لاحد ان يعترض عليه في حكمه وتدابيره واختيار رسله لذكر شأن ليس
لغيره من الطاعات وفي هذه السورة دلالات على ذلك فمن ثم دعا المؤمنين اولا الى الصلوة التي
هي ذكر خالص ثم الى العبادة بغير الصلوة كالصوم والحج والغزو ثم عم بالحث على سائر الخيرات
وقيل كان الناس اول ما اسلموا يسجدون بلا ركوع ويركعون بلا سجود فامروا ان تكون صلوتهم
بركوع وسجود وقيل معنى يا ايها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم اقصدوا بركوعكم وسجودكم
وجه الله وعن ابن عباس في قوله وافعلوا الخير صلة الارحام ومكارم الاخلاق لعلكم تفلحون اى افعلوا

هذا كله وانتم راجون للفلاح طامعون فيه غير مستيقنين ولا تتكلوا على اعمالكم وعن عقبة بن عامر قال قلت يا رسول الله فى سورة الحج سجدتان قال نعم ان لم تسجدهما فلا تقرأهما وعن عبد الله بن عمر فضلت سورة الحج بسجدتين وبذلك احتج الشافعى رحمه الله فرأى سجدتين فى سورة الحج وابو حنيفة واصحابه رحمهم الله لا يرون فيها الا سجدة واحدة لانهم يقولون قرن السجود بالركوع فدل ذلك على انها سجدة صلوة لا سجدة تلاوة
وجاهدوا امر بالغزو وبمجاهدة النفس والهوى وهو الجهاد الاكبر عن النبى صلى الله عليه وسلم انه رجع من بعض غزواته فقال رجعنا من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر فى الله اى فى ذات الله ومن اجله يقال هو حق عالم وجد عالم اى عالم حقا وجدا ومنه حق جهاده
ما وجه هذه الاضافة
وكان القياس حق الجهاد فيه او حق جهادكم فيه كما قال وجاهدوا فى الله
الاضافة تكون بادنى ملابسة واختصاص فلما كان الجهاد مختصا بالله من حيث انه مفعول لوجهه ومن اجله صحت اضافته اليه ويجوز ان يتسع فى الظرف كقوله ويوم شهدناه سليما وعامرا هو اجتباكم اختاركم لدينه ولنصرته وما جعل عليكم فى الدين من حرج فتح باب التوبة للمجرمين وفسح بانواع الرخص والكفارات والديات والاروش ونحوه قوله يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر وامة محمد هى الامة المرحومة الموسومة بذلك فى الكتب المتقدمة نصب الملة بمضمون ما تقدمها كانه قيل وسع دينكم توسعة ملة ابيكم ثم حذف المضاف واقام المضاف اليه مقامه او على الاختصاص اى اعنى بالدين ملة ابيكم كقولك الحمد لله الحميد
لم يكن ابرهيم ابا للامة كلها
هو ابو رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان ابا لامته لان امة الرسول فى حكم اولاده هو سماكم المسلمين يرجع الى الله تعالى وقيل الى ابرهيم وتشهد للقول الاول قراءة ابى بن كعب الله سماكم من قبل وفى هذا اى من قبل القرآن فى سائر الكتب وفى القرآن اى فضلكم على الامم وسماكم بهذا الاسم الاكرم ليكون الرسول شهيدا عليكم انه قد بلغكم وتكونوا شهداء على الناس فاقيموا الصلوة وآتوا الزكوة واعتصموا بالله هو موليكم فنعم المولى ونعم النصير بان الرسول قد بلغكم واذ خصكم بهذه الكرامة والاثرة فاعبدوه وثقوا به ولا تطلبوا النصرة والولاية الا منه فهو خير مولى وخير ناصر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الحج اعطى من الاجر كحجة حجها وعمرة اعتمرها بعدد من حج واعتمر فيما مضى وفيما بقى

سورة المؤمنين مكية وهى مائة وتسع عشرة آية وثمان عشرة عند الكوفيين

بسم الله الرحمن الرحيم قد افلح المؤمنون الذين هم فى صلاتهم خاشعون والذين هم عن اللغو معرضون والذين هم للزكوة فاعلون والذين هم لفروجهم حافظون الا قد نقيضة لما هى تثبت المتوقع ولما تنفيه ولا شك ان المؤمنين كانوا متوقعين لمثل هذه البشارة وهى الاخبار بثبات الفلاح لهم فخوطبوا بما دل على ثبات ما توقعوه والفلاح الظفر بالمراد وقيل البقاء فى الخير وافلح دخل فى الفلاح كابشر دخل فى البشارة ويقال افلحه اصاره الى الفلاح وعليه قراءة طلحة بن مصرف افلح على البناء للمفعول وعنه افلحوا على اكلونى البراغيث او على الابهام والتفسير وعنه افلح بضمة بغير واو اجتزاء بها عنها كقوله فلو ان الاطبا كان حولى
ما المؤمن
هو فى اللغة المصدق واما فى الشريعة فقد اختلف فيه على قولين احدهما ان كل من نطق بالشهادتين مواطئا قلبه لسانه فهو مؤمن والآخر انه صفة مدح لا يستحقها الا البر التقى دون الفاسق الخشوع فى الصلوة خشية القلب والباد البصر عن قتادة وهو الزامه موضع السجود وعن النبى صلى الله عليه وسلم انه كان يصلى رافعا بصره الى السماء فلما نزلت هذه الآية رمى ببصره نحو مسجده وكان الرجل من العلماء اذا قام الى الصلوة هاب الرحمن ان يشد بصره الى شىء او يحدث نفسه بشان من شان الدنيا وقيل هو جمع الهمة لها والاعراض عما سواها ومن الخشوع ان يستعمل الآداب فيتوقى كف الثوب والعبث بجسده وثيابه والالتفات والتمطى والتثاوب والتغميض وتغطية الفم والسدل والفرقعة والتشبيك والاختصار وتقليب الحصى روى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه ابصر رجلا يعبث بلحيته فى الصلوة فقال لو خشع قلب هذا خشعت جوارحه ونظر الحسن الى رجل يعبث بالحصى وهو يقول اللهم زوجنى الحور العين فقال بئس الخاطب انت تخطب وانت تعبث
لم اضيفت الصلوة اليهم
لان الصلوة دائرة بين المصلى والمصلى له فالمصلى هو المنتفع بها وحده وهى عدته وذخيرته فهى صلوته واما المصلى له فغنى متعال عن الحاجة اليها والانتفاع بها اللغو ما لا يعنيك من قول او فعل كاللعب والهزل وما توجب المروءة الغاءه واطراحه يعنى ان بهم من الجد ما شغلهم عن الهزل لما وصفهم بالخشوع فى الصلوة اتبعه الوصف بالاعراض عن اللغو ليجمع لهم الفعل والترك الشاقين على الانفس اللذين هما قاعدتا بناء التكليف الزكوة اسم مشترك بين عين ومعنى فالعين القدر الذى يخرجه المزكى من النصاب الى الفقير والمعنى فعل المزكى الذى هو التزكية وهو الذى اراده الله فجعل المزكين فاعلين له ولا يسوغ فيه غيره لانه ما من مصدر الا يعبر عن معناه بالفعل ويقال لمحدثه فاعل تقول للضارب فاعل الضرب وللقاتل فاعل القتل وللمزكى فاعل التزكية وعلى هذا الكلام كله والتحقيق فيه انك تقول فى جميع الحوادث من فاعل هذا فيقال لك فاعله الله او بعض الخلق ولم يمتنع الزكوة الدالة على العين ان يتعلق بها فاعلون لخروجها من

صحة ان يتناولها الفاعل ولكن لان الخلق ليسوا بفاعليها وقد انشدوا لامية بن ابي الصلت
المطعمون الطعام في السنة الأزمة والفاعلون للزكوات ويجوز ان يراد بالزكوة العين ويقدر
مضاف محذوف وهو الاداء وحمل البيت على هذا اصح لانها فيه مجموعة على ازواجهم في موضع الحال اي

او ما ملكت ايمانهم

الا والين على ازواجهم او قوامين عليهن من قولك كان فلان على فلانة فمات عنها فخلف عليها فلان
ونظيره كان زياد على البصرة اي واليا عليها ومنه قولهم فلانة تحت فلان ومن ثم سميت المرأة
فراشا والمعنى انهم لفروجهم حافظون في كافة الاحوال الا في حال تزوجهم او تسريهم او تعلق على
محذوف يدل عليه غير ملومين كانه قيل يلامون الا على ازواجهم اي يلامون على كل مباشر الا على
ما اطلق لهم فانهم غير ملومين عليه او تجعله صلة لحافظين من قولك احفظ على عنان فرسي على
تضمينه معنى النفي كما ضمن قولهم نشدتك بالله الا فعلت بمعنى ما طلبت منك الا فعلك
هلا قيل من ملكت — لانه اريد من جنس العقلاء ما يجري مجرى غير العقلاء وهم الاناث

فمن ابتغى وراء ذلك فاولئك هم العادون

جعل المستثنى حدا اوجب الوقوف عنده ثم قال فمن احدث ابتغاء وراء هذا الحد مع فسحته و
اتساعه وهو اباحة اربع من الحرائر ومن الاماء ما شئت فاولئك هم الكاملون في العدوان المتناهون
فيه — هل فيه دليل على تحريم المتعة — لا لان المنكوحة نكاح المتعة من جملة الازواج
اذا صح النكاح والذين هم لاماناتهم وعهدهم راعون وقرئ لامانتهم سمي الشيء المؤتمن عليه والمعاهد عليه
امانة وعهدا ومنه قوله تعالى ان الله يأمركم ان تؤدوا الامانات الى اهلها وقال و
تخونوا اماناتكم وانما تؤدى العيون لا المعاني ويخان المؤتمن عليه لا الامانة في نفسها و
الراعي القائم على الشيء بحفظ واصلاح كراعي الغنم وراعي الرعية ويقال من راعي هذا الشيء
اي متوليه وصاحبه ويحتمل العموم في كل ما ائتمنوا عليه وعوهدوا من جهة الله عز وجل ومن
جهة الخلق والخصوص فيما حملوه من امانات الناس وعهودهم والذين هم على صلواتهم يحافظون و
قرئ على صلاتهم — كيف كرر ذكر الصلوة اولا وآخرا — هما ذكران مختلفان فليس
بتكرير وصفوا اولا بالخشوع في صلاتهم وآخرا بالمحافظة عليها وذلك ان لا يسهوا عنها ويؤدوها
في اوقاتها ويقيموا اركانها ويوكلوا نفوسهم بالاهتمام بها وبما ينبغي ان يتم به اوصافها و
ايضا فقد وحدت اولا ليفاد الخشوع في جنس الصلوة اي صلوة كانت وجمعت آخرا ليفاد
المحافظة على اعدادها وهي الصلوات الخمس والوتر والسنن المرتبة مع كل صلوة وصلوة الجمعة
والعيدين والجنازة والاستسقاء والكسوف والخسوف وصلوة الضحى والتهجد وصلوة التسبيح

وصلوة الحاجة وغيرها من النوافل اولئك الجامعون لهذه الاوصاف هم الوارثون الاحقاء بان
يسموا وراثا دون من عداهم ثم ترجم الوارثين بقوله الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون فجاء بفخامة
وجزالة لارثهم لا يخفى على الناظر ومعنى الارث ما مر في سورة مريم انث الفردوس على تأويل الجنة
وهو البستان الواسع الجامع لانواع الثمر وروي ان الله عز وجل بنى جنة الفردوس لبنة من ذهب
ولبنة من فضة وجعل خلالها المسك الاذفر وفي رواية ولبنة من مسك مذرى
وغرس فيها من جيد الفاكهة وجيد الريحان ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة في
قرار مكين ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما
السلالة الخلاصة لانها تسل من بين الكدر وفعالة بناء للقلة كالقلامة والقمامة وعن الحسن
ماء بين ظهراني الطين — ما الفرق بين من ومن — الاول للابتداء والثاني للبيان
كقوله من الاوثان — ما معنى جعلنا الانسان نطفة — معناه انه خلق جوهر الانسان
اولا طينا ثم جعل جوهره بعد ذلك نطفة القرار المستقر والمراد الرحم وصفت بالمكانة التي هي صفة
المستقر فيها كقولك طريق سائر او بمكانتها في نفسها لانها مكنت بحيث هي واحرزت قرئ عظما فكسونا
العظم وعظاما فكسونا العظام وعظما فكسونا العظام وعظاما فكسونا العظم وضع الواحد
مكان الجمع لزوال اللبس لان الانسان ذو عظام كثيرة ثم انشأناه خلقا آخر اي خلقا مباينا للخلق
الاول مباينة ما ابعدها حيث جعله حيوانا وكان جمادا وناطقا وكان ابكم وسميعا وكان اصم
وبصيرا وكان اكمه واودع باطنه وظاهره بل كل عضو من اعضائه وكل جزء من اجزائه عجائب
فطرة وغرائب حكمة لا تدرك بوصف الواصف ولا تبلغ بشرح الشارح وقد احتج به ابو حنيفة
رحمه الله فيمن غصب بيضة فافرخت عنده قال يضمن البيضة ولا يرد الفرخ لانه خلق آخر
سوى البيضة فتبارك الله فتعالى امره في قدرته وعلمه احسن الخالقين اي احسن المقدرين تقديرا
فترك ذكر المميز لدلالة الخالقين عليه ونحوه طرح المأذون فيه في قوله اذن للذين يقاتلون لدلالة
الصلة وروي عن عمر رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما بلغ قوله خلقا آخر قال
فتبارك الله احسن الخالقين وروي ان عبد الله بن سعد بن ابي سرح كان يكتب لرسول الله صلى
الله عليه وسلم فنطق بذلك قبل املائه فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم اكتب هكذا نزلت
فقال عبد الله ان كان محمد نبيا يوحى اليه فانا نبي يوحى الي فلحق بمكة كافرا ثم اسلم يوم الفتح و

ثم انكم بعد ذلك لميتون

قرا ابن ابي عبلة وابن محيصن لمائتون والفرق بين المائت والميت ان الميت كالحي صفة ثابتة

ثم انكم يوم القيامة تبعثون

وَاَمّا المائتُ فيدلّ على الحدوث تقول زيدٌ مائتٌ الآن ومائتٌ غداً كقولك يموت ونحوهما ضيقٌ وضائقٌ

في قوله تعالى وضائقٌ به صدرك جعل الاماتة التي هي اعدام الحيوة والبعث الذي هو اعادة ما يفنيه ويعدمه

دليلين ايضاً على اقتدارٍ عظيمٍ بعد الانشاء والاختراع فاذن للاحياء التي الاحياءة الانشاء وحياة

البعث ليس في ذكر الحياتين نفيُ الثالثة وهي حياة القبر كما لو ذكرت ثلثيْ ما عندك وطويت ما

ذكرت ثلثه لم يكن دليلاً على ان الثلث ليس عندك وايضاً فالغرض ذكر هذه الاجناس الثلثة الانشاء و

الاماتة والاعادة والمطوي ذكرها من جنس الاعادة ولقد خلقنا فوقكم سبع طرائق وما كنا عن الخلق غافلين الطرائق

السموات لانه طورق بعضها فوق بعض كمطارقة النعل وكل شيءٍ فوقه مثله فهو طريقه او لانها طرق الملائكة

ومتقلباتهم وقيل الافلاك لانها طرائق الكواكب فيها مسيرها اراد بالخلق السموات كانه قال خلقناها فوقهم و

ما كنا عنها غافلين وعن حفظها وامساكها ان تقع فوقهم بقدرتنا او اراد به الناس وانه انما خلقها فوقهم

ليفتح عليهم الارزاق والبركات منها وينفعهم بانواع منافعها وما كان غافلاً عنهم وما يصلحهم وانزلنا من

السماء ماءً بقدرٍ بتقديرٍ يسلمون معه من المضرة ويصلون الى المنفعة او بمقدارٍ علمنا من حاجاتهم ومصالحهم

فاسكناه في الارض كقوله فسلكه ينابيع في الارض وقيل جعلناه ثابتاً في الارض وقيل انها خمسة انهار سيحون

نهر الهند وجيحون نهر بلخ ودجلة والفرات نهرا العراق والنيل نهر مصر انزلها الله من عينٍ واحدةٍ

من عيون الجنة فاستودعها الجبال واجراها في الارض وجعل فيها منافع للناس في اصناف معايشهم و

لقادرون

كما قدر على انزاله فهو قادرٌ على رفعه وازالته وقوله وانا على ذهابٍ به من اوقع النكرات واحزها للمفصل

والمعنى على وجهٍ من وجوه الذهاب به وطريقٍ من طرقه وفيه ايذانٌ باقتدار المذهب وانه لا يتعايا

عليه شيءٌ اذا اراده وهو ابلغ في الايعاد من قوله قل ارأيتم ان اصبح ماؤكم غوراً فمن ياتيكم بماءٍ معين

فعلى العباد ان يستعظموا النعمة في الماء ويقيدوها بالشكر الدائم ويخافوا نفارها اذا لم تشكر

فانشأنا لكم به جناتٍ من نخيلٍ واعنابٍ لكم فيها فواكه كثيرة خص هذه الانواع الثلثة لانها اكرم الشجر و

افضلها واجمعها للمنافع ووصف النخل والعنب بان ثمرهما جامعٌ بين امرين انه فاكهةٌ يتفكه بها و

طعامٌ يؤكل رطباً ويابساً رطباً وعنباً وتمراً وزبيباً والزيتون بان دهنه صالحٌ للاستصباح والاصطباغ

جميعاً ويجوز ان يكون قوله ومنها تاكلون من قولهم فلانٌ ياكل من حرفةٍ يحترفها ومن ضيعةٍ يغتلها و

من تجارةٍ يتربح بها يعني انها طعمته وجهته التي منها يحصل رزقه كانه قال وهذه الجنات وجوه ارزاقكم

ومعايشكم منها ترزقون وتتعيشون وشجرةً تخرج من طور سيناء تنبت عطفٌ على جنات وقرئت

مرفوعةً على الابتداء اي ومما انشئ لكم شجرةٌ طور سيناء وطور سينين لا يخلو اما ان يضاف فيه

الطور الى بقعةٍ اسمها سيناء وسينون واما ان يكون اسماً للجبل مركباً من مضافٍ ومضافٍ اليه كامرئ القيس

وكبعلبك فيمن اضاف فمن كسر سين سيناء فقد منع الصرف للتعريف والعجمة او التانيث لانها بقعةٌ

وفعلاء لا يكون الفه للتانيث كعلباء وحرباء ومن فتح فلم يصرفه لان الالف للتانيث كصحراء وقيل

هو جبل فلسطين وقيل بين مصر وايلة ومنه نودي موسى وقرأ الاعمش سينا على القصر بالدهن وصبغٍ

للآكلين في موضع الحال اي تنبت وفيها الدهن وقرئ تُنبِت وفيه وجهان احدهما ان انبت بمعنى نبت

وانشد لزهير رأيت ذوي الحاجات حول بيوتهم قطيناً لهم حتى اذا انبت البقل والثاني ان مفعوله

محذوفٌ اي تنبت زيتونها وفيه الزيت وقرئ تُنبَت بضم التاء وفتح الباء وحكمه حكم تنبت و

قرأ ابن مسعود تخرج الدهن وصبغ الآكلين وغيره تخرج بالدهن وفي حرف ابيّ تثمر بالدهن وعن

بعضهم تنبت بالدهان وقرأ الاعمش وصبغاً وقرئ وصباغ ونحوهما دبغٌ ودباغٌ والصبغ الغمس للائتدام

وقيل هي اول شجرةٍ نبتت بعد الطوفان ووصفها الله تعالى بالبركة في قوله توقد من شجرةٍ مباركةٍ

وان لكم في الانعام لعبرةً نسقيكم مما في بطونها ولكم فيها منافع كثيرة وقرئ تسقيكم بتاءٍ مفتوحةٍ اي تسقيكم

وعليها وعلى الفلك تحملون

الانعام ومنها تاكلون اي يتعلق بها منافع من الركوب والحمل وغير ذلك كما يتعلق بما لا يؤكل لحمه من

البغال والحمير والخيل وفيها منفعةٌ زائدةٌ وهي الاكل الذي هو انتفاعٌ بذواتها والقصد بالانعام

الى الابل لانها هي المحمول عليها في العادة وقرنها بالفلك التي هي السفائن لانها سفائن البر قال

ذو الرمة سفينة برٍّ تحت خدي زمامها يريد صيدحه ولقد ارسلنا نوحاً الى قومه فقال يا قوم اعبدوا

الله ما لكم من الهٍ غيره بالرفع على المحل وبالجر على اللفظ والجملة استئنافٌ تجري مجرى التعليل للامر بالعبادة

افلا تتقون افلا تخافون ان ترفضوا عبادة الله الذي هو ربكم وخالقكم ورازقكم وشكر

نعمته التي لا تحصونها واجبٌ عليكم ثم تذهبوا فتعبدوا غيره مما ليس من استحقاق العبادة في شيءٍ

فقال الملأ الذين كفروا من قومه ما هذا الا بشرٌ مثلكم يريد ان يتفضل عليكم ان يطلب الفضل

عليكم ويترأسكم كقوله وتكون لكما الكبرياء في الارض ولو شاء الله لانزل ملائكةً ما سمعنا بهذا في آبائنا الاولين

بهذا اشارةٌ الى نوحٍ عليه السلام او الى ما كلمهم به من الحث على عبادة الله اي ما سمعنا بمثل هذا الكلام

او بمثل هذا الذي يدعي وهو بشرٌ انه رسول الله وما اعجب شأن الضلال لم يرضوا للنبوة ببشرٍ و

قد رضوا للالهية بحجرٍ وقولهم ما سمعنا بهذا يدل على انهم وآباؤهم كانوا في فترةٍ متطاولةٍ او تكذبوا

في ذلك لانهماكهم في الغي وتشمرهم لان يدفعوا الحق بما امكنهم وبما عنّ لهم من غير تمييزٍ منهم بين صدقٍ و

كذبٍ الا ترا هم كيف جننوه وقد علموا انه ارجح الناس عقلاً واوزنهم قولاً ان هو الا رجلٌ به جنةٌ فتربصوا به

والجنة الجنون او الجن اى به جن يخبلونه حتى حين اى احتملوه واصبروا عليه الى زمان حتى ينجلي امره عن عاقبة
فان افاق من جنونه والا قتلتموه قال رب انصرني بما كذبون فى نصرته اهلاكهم فكانه قال اهلكهم بسبب
تكذيبهم اياى او انصرني بدل ما كذبون كما تقول هذا بذاك اى بدل ذاك ومكانه والمعنى ابدلني من غم
تكذيبهم سلوة النصر عليهم او انصرني بانجاز ما وعدتهم من العذاب وهو ما كذبوه فيه حين قال لهم
انى اخاف عليكم عذاب يوم عظيم فاوحينا اليه ان اصنع الفلك باعيننا ووحينا فاذا جاء امرنا وفار التنور
باعيننا بحفظنا وكلاءتنا كان معه من الله حفاظا يكلاءونه بعيونهم لئلا يتعرض له ولا يفسد عليه
مفسد عمله ومنه قولهم عليه من الله عين كالية ووحينا اى نامرك كيف تصنع ونعلمك روى
انه اوحى اليه ان يصنعها على مثال جؤجؤ الطاير روى انه قيل لنوح اذا رايت الماء يفور من التنور
فاركب انت ومن معك فى السفينة فلما نبع الماء من التنور اخبرته امراته فركب وقيل كان تنور آدم
وكان من حجارة فصار الى نوح واختلف فى مكانه فعن الشعبى فى مسجد الكوفة عن يمين الداخل مما يلى
باب كندة وكان نوح عمل السفينة وسط المسجد وقيل بالشام بموضع يقال له عين وردة وقيل بالهند
وعن ابن عباس التنور وجه الارض وعن قتادة اشرف موضع فى الارض اى اعلاه وعن على رضى الله
عنه فار التنور طلع الفجر وقيل معناه ان فوران التنور كان عند تنوير الفجر وقيل هو مثل كقولهم
حمى الوطيس والقول هو الاول فاسلك فيها يقال سلك فيه دخله وسلك غيره واسلكه قال
حتى اذا اسلكوهم فى قتائدة من كل زوجين من كل امة زوجين وهما امة الذكر وامة الانثى كالجمال
والنوق والحصن والرماك اثنين واحدين مزدوجين كالجمل والناقة والحصان والرمكة روى انه
لم يحمل الا ما يلد ويبيض وقرئ من كل بالتنوين اى من كل امة زوجين واثنين تاكيد وزيادة بيان
واهلك الا من سبق عليه القول منهم ولا تخاطبنى فى الذين ظلموا انهم مغرقون فاذا استويت انت ومن معك على الفلك
فقل الحمد لله الذى نجانا من القوم الظالمين جئ بعلى مع سبق الضار كما جئ باللام مع سبق النافع قال
الله تعالى ان الذين سبقت لهم منا الحسنى ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين ونحوه قوله تعالى
لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت وقول عمر رضى الله عنه ليتها كانت كفافا لا على ولا لى
لما تضمنته الاية من كونهم ظالمين وايجاب الحكمة   لم نهاه عن الدعاء لهم بالنجاة
ان يغرقوا لا محالة لما عرف من المصلحة فى اغراقهم والمفسدة فى استبقائهم وبعد ان املى لهم
الدهر المتطاول فلم يزيدوا الا ضلالا ولزمتهم الحجة البالغة لم يبق الا ان يجعلوا عبرة للمعتبرين
ولقد بالغ فى ذلك حيث اتبع النهى عنه الامر بالحمد على هلاكهم والنجاة منهم كقوله عز وجل فقطع دابر

القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين ثم امره ان يدعوه بدعاء هو اهم وانفع له وهو طلب ان ينزله
فى السفينة او فى الارض عند خروجه منها منزلا يبارك له فيه ويعطيه الزيادة فى خير الدارين وان يشفع
الدعاء بالثناء عليه المطابق لمسئلته وهو قوله وانت خير المنزلين   فهلا قيل فقولوا لقوله فاذا استويت
انت ومن معك لانه فى معنى فاذا استويتم   لانه نبيهم وامامهم فكان قوله قولهم مع ما فيه من
الاشعار بفضل النبوة واظهار كبرياء الربوبية وان رتبة تلك المخاطبة لا يترقى اليها الا ملك او نبى
وقرئ منزلا بمعنى انزالا او موضع انزال كقوله ليدخلنهم مدخلا يرضونه ان فى ذلك وان كنا لمبتلين
ان هى المخففة من الثقيلة واللام هى الفارقة بين النافية وبينها والمعنى وان الشان والقصة كنا مبتلين
اى مصيبين قوم نوح ببلاء عظيم وعقاب شديد او مختبرين بهذه الايات عبادنا لننظر من يعتبر ويذكر
كقوله ولقد تركناها اية فهل من مدكر ثم انشانا من بعدهم قرنا آخرين هم عاد قوم هود عن ابن عباس
وتشهد له حكاية الله قول هود واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح ومجئ قصة هود على اثر
قصة نوح فى سورة الاعراف وسورة هود والشعراء   حق ارسل ان يعدى بالى كاخواته التى
هى وجه وانفذ وبعث فما باله عدى فى القرآن بالى تارة وبفى اخرى كقوله كذلك ارسلناك فى امة و
ما ارسلنا فى قرية من نذير فارسلنا فيهم رسولا اى فى عاد وفى موضع آخر والى عاد اخاهم هودا
لم يعد بفى كما عدى بالى ولم يجعل صلة مثله ولكن الامة او القرية جعلت موضعا للارسال كما قال
رؤبة ارسلت فيها مصعبا ذا اقحام وقد جاء بعث على ذلك فى قوله ولو شئنا لبعثنا فى كل قرية نذيرا
ان اعبدوا الله ما لكم من اله غيره افلا تتقون ان مفسرة لارسلنا اى قلنا لهم على لسان الرسول اعبدوا الله
ذكر مقال قوم هود فى جوابه فى سورة الاعراف وسورة هود بغير واو قال الملا الذين كفروا
من قومه انا لنريك فى سفاهة قالوا ما نراك الا بشرا مثلنا وههنا مع الواو فاى فرق بينهما
الذى بغير واو على تقدير سؤال سائل قال فما قال قومه فقيل له قالوا كيت وكيت واما الذى مع الواو
فعطف لما قالوه على ما قاله ومعناه انه اجتمع فى الحصول هذا الحق وهذا الباطل وشتان ما هما
وقال الملا من قومه الذين كفروا وكذبوا بلقاء الاخرة واترفناهم فى الحيوة الدنيا ما هذا الا بشر مثلكم ياكل
مما تاكلون منه ويشرب مما تشربون ولئن اطعتم بشرا مثلكم انكم اذا لخاسرون بلقاء الاخرة بلقاء ما فيها
من الحساب والثواب والعقاب كقولك يا حبذا جوار مكة اى جوار الله فى مكة حذف الضمير و
المعنى من مشروبكم او حذف منه لدلالة ما قبله عليه اذن واقع فى جزاء الشرط وجواب للذين قاولوهم
من قومهم اى تخسرون عقولكم وتغبنون فى آرائكم ايعدكم انكم اذا متم وكنتم ترابا وعظاما انكم ثنى انكم للتوكيد

فقلت رب ان ابنى من اهلى

فارسلنا فيهم رسولا منهم

وحسن ذلك لفصل ما بين الاول والثاني بالظرف ومخرجون خبر عن الاول او جعل انكم مخرجون مبتدأ
واذا متم خبرا على معنى اخراجكم اذا متم ثم اخبر بالجملة عن انكم او رفع انكم مخرجون بفعل هو جزاء الشرط
كانه قيل اذا متم وقع اخراجكم ثم اوقعت الجملة الشرطية خبرا عن انكم وفي قراءة ابن مسعود ايعدكم
اذا متم هيهات هيهات لما توعدون قرئ هيهات بالفتح والكسر والضم كلها بتنوين وبلا تنوين وبالسكون
على لفظ الوقف ما توعدون هو المستبعد ومن حقه ان يرتفع بهيهات كما ارتفع في قوله
لهيهات هيهات العقيق واهله فما هذه اللام قال الزجاج في تفسيره البعد لما توعدون
او بعد لما توعدون فمن نون فنزله منزلة المصدر وفيه وجه آخر وهو ان يكون اللام لبيان المستبعد
ما هو بعد التصويت بكلمة الاستبعاد كما جاءت اللام في هيت لك لبيان المهيت به ان هي الا حياتنا الدنيا
هذا ضمير لا يعلم ما يعنى به الا بما يتلوه من بيانه واصله ان الحياة الا حياتنا الدنيا ثم وضع هي
موضع الحياة لان الخبر يدل عليها ويبينها ومنه هي النفس تحمل ما حملت وهي العرب تقول ما شاءت و
هذه
المعنى لا حياة الا هذه الحياة لان ان النافية دخلت على هي التي في معنى الحياة الدالة على الجنس فنفتها
فوازنت لا التي نفت ما بعدها نفي الجنس نموت ونحيى اى يموت بعض ويولد بعض ينقرض قرن ويأتي
قرن آخر ثم قالوا ما هو الا مفتر على الله فيما يدعيه من استنبائه له وفيما يعدنا من البعث وما نحن
بمصدقين وما نحن بمبعوثين ان هو الا رجل افترى على الله كذبا وما نحن له بمؤمنين قال رب انصرني بما كذبون
قال عما قليل ليصبحن نادمين قليل صفة للزمان كقديم وحديث في قولك ما رايته قديما ولا حديثا و
في معناه عن قريب وما توكيد لمعنى قلة المدة وقصرها فاخذتهم الصيحة صيحة جبريل صاح عليهم
فدمرهم بالحق فجعلناهم غثاء بالوجوب لانهم قد استوجبوا الهلاك او بالعدل من الله من قولك
فلان يقضي بالحق اذا كان عادلا في قضاياه شبههم في دمارهم بالغثاء وهو حميل السيل مما
بلي واسود من الورق والعيدان ومنه قوله تعالى فجعله غثاء احوى وقد جاء مشددا في قول
امرئ القيس من السيل والغثاء فلكة مغزل فبعدا للقوم الظالمين بعدا وسحقا ودفرا و
نحوها مصادر موضوعة مواضع افعالها وهي من جملة المصادر التي قال سيبويه نصبت بافعال
لا يستعمل اظهارها ومعنى بعدا بعدوا اى هلكوا يقال بعد بعدا وبعدا نحو رشد رشدا ورشدا
وللقوم الظالمين بيان لمن دعي عليه بالبعد نحو هيت لك ولما توعدون ثم انشأنا من بعدهم قرونا آخرين
قرونا قوم صالح ولوط وشعيب وغيرهم وعن ابن عباس بني اسرائيل ما تسبق من امة اجلها الوقت
الذي حد لهلاكها وكتب وما يستأخرون ثم ارسلنا رسلنا تترى كلما جاء امة رسولها كذبوه تترى

فعلى الالف للتانيث لان الرسل جماعة وقرئ تترى بالتنوين والتاء بدل من الواو كما في تولج وتيقور
اى متواترين واحدا بعد واحد من الوتر وهو الفرد اضاف الرسل اليه والى اممهم ولقد جاءتهم رسلنا بالبينات
ولقد جاءتهم رسلهم بالبينات لان الاضافة تكون بالملابسة والرسول يلابس المرسل والمرسل اليه جميعا فاتبعنا
الامم او القرون بعضهم بعضا في الاهلاك وجعلناهم احاديث فبعدا لقوم لا يؤمنون ثم ارسلنا موسى واخاه هرون
باياتنا وسلطان مبين الى فرعون وملائه فاستكبروا وكانوا قوما عالين احاديث اخبارا يسمر بها ويتعجب منها والاحاديث اسم جمع
للحديث ومنه احاديث رسول الله ويكون جمعا للاحدوثة التي هي مثل الاضحوكة والالعوبة والاعجوبة و
هي ما يتحدث به الناس تلهيا وتعجبا وهو المراد ههنا ما المراد بالسلطان المبين
يجوز ان يراد العصا لانها كانت ام آيات موسى واولاها وقد تعلقت بها معجزات شتى من انقلابها حية
وتلقفها ما افكته السحرة وانفلاق البحر وانفجار العيون من الحجر بضربهما بها وكونها حارسا وشمعة و
شجرة خضراء مثمرة ودلوا ورشاء جعلت كانها ليست بعضها لما استبدت به من الفضل فلذلك عطفت
عليها كقوله تعالى وجبريل وميكائيل ويجوز ان يراد الآيات انفسها اى هي آيات وحجة بينة عالين متكبرين
ان فرعون علا في الارض لا يريدون علوا في الارض او متطاولين على الناس قاهرين بالبغي والظلم فقالوا
انؤمن لبشرين مثلنا البشر يكون واحدا وجمعا بشرا سويا لبشرين فاما ترين من البشر ومثل و
غير يوصف بهما الاثنان والجمع والمذكر والمؤنث انكم اذا مثلهم ومن الارض مثلهن ويقال ايضا هما
مثلاه وهم امثاله ويجوز ان الذين تدعون من دون الله عباد امثالكم وقومهما لنا عابدون فكذبوهما فكانوا
من المهلكين يعني بني اسرائيل كانهم يعبدوننا خضوعا وتذللا ولانه كان يدعي الالهية فادعى
للناس العبادة وان طاعتهم له عبادة على الحقيقة ولقد آتينا موسى الكتاب لعلهم يهتدون وجعلنا ابن
مريم وامه آية موسى الكتاب اى قوم موسى التوراة لعلهم يعملون بشرائعها ومواعظها كما قال على خوف
من فرعون وملائهم يريد آل فرعون وكما يقولون هاشم وثقيف وتميم ويراد قومهم ولا يجوز
ان يرجع الضمير في لعلهم الى فرعون وملائه لان التوراة انما اوتيها بنو اسرائيل بعد اغراق فرعون
وملائه ولقد آتينا موسى الكتاب من بعد ما اهلكنا القرون الاولى لو قيل آيتين
هل كان يكون له وجه نعم لان مريم ولدت من غير مسيس وعيسى روح من الله القي اليها وقد
تكلم في المهد وكان يحيي الموتى مع معجزات اخر فكان آية من غير وجه واللفظ محتمل للتثنية على تقدير و
جعلنا ابن مريم آية وامه آية ثم حذفت الاولى لدلالة الثانية عليها وآويناهما الى ربوة ذات قرار
ومعين يا ايها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا اني بما تعملون عليم وان هذه امتكم امة واحدة وانا ربكم فاتقون

فتقطعوا أمرهم بينهم زبرا كل حزب بما لديهم فرحون الربوة والرباوة في رائهما الحركات وقرئ
ربوة ورباوة بالضم ورباوة بالكسر وهي الأرض المرتفعة قيل هي إيليا أرض بيت المقدس و
إنها كبد الأرض وأقرب الأرض إلى السماء بثمانية عشر ميلا عن كعب وقيل دمشق وغوطتها وعن
الحسن فلسطين والرملة وعن أبي هريرة الزموا هذه الرملة رملة فلسطين فإنها الربوة
التي ذكرها الله وقيل مصر والقرار المستقر من أرض مستوية منبسطة وعن قتادة ذات
ثمار وماء يعني أنه لأجل الثمار يستقر فيها ساكنوها والمعين الماء الظاهر الجاري على وجه
الأرض وقد اختلف في زيادة ميمه وأصالته فوجه من جعله مفعولا أنه مدرك بالعين لظهوره
من عانه إذا أدركه بعينه نحو ركبه إذا ضربه بركبته ووجه من جعله فعيلا أنه نفاع لظهوره و
جريه من الماعون وهو المنفعة هذا النداء والخطاب ليسا على ظاهرهما وكيف والرسل
إنما أرسلوا متفرقين في أزمنة مختلفة وإنما المعنى الإعلام بأن كل رسول في زمانه نودي
لذلك ووصي به ليعتقد السامع أن أمرا نودي له جميع الرسل ووصوا به حقيق أن يؤخذ به
ويعمل عليه والمراد بالطيبات ما حل وطاب وقيل طيبات الرزق حلال وصاف وقوام فالحلال
الذي لا يعصى الله فيه والصافي الذي لا ينسى الله فيه والقوام ما يمسك النفس ويحفظ العقل
أو أريد ما يستطاب ويستلذ من المآكل والفواكه ويشهد له مجيئه على عقب قوله وآويناهما
إلى ربوة ذات قرار ومعين ويجوز أن يقع هذا الإعلام عند إيواء عيسى ومريم إلى الربوة فذكر
على سبيل الحكاية أي آويناهما وقلنا لهما هذا أي أعلمناهما أن الرسل كلهم خوطبوا بهذا فكلا
مما رزقناكما واعملا صالحا اقتداء بالرسل قرئ وإن بالكسر على الاستئناف وأن بمعنى
ولأن وأن مخففة من الثقيلة وأمتكم مرفوعة معها وقرئ زبرا جمع زبور أي كتبا مختلفة
يعني جعلوا دينهم أديانا وزبرا قطعا استعيرت من زبر الفضة والحديد وزبرا مخففة الباء
كرسل في رسل أي كل فرقة من فرق هؤلاء المختلفين المتقطعين دينهم فرح بباطله مطمئن
النفس معتقد أنه على الحق فذرهم في غمرتهم الغمرة الماء الذي يغمر القامة فضربت مثلا
لما هم مغمورون فيه من جهلهم وعمايتهم أو شبهوا باللاعبين في غمرة الماء لما هم عليه من الباطل
قال كأنني ضارب في غمرة لعب وعن علي رضي الله عنه في غمراتهم حتى حين إلى أن يقتلوا أو يموتوا
أيحسبون أنما نمدهم به من مال وبنين نسارع لهم في الخيرات بل لا يشعرون إن الذين هم من خشية ربهم مشفقون
والذين هم بآيات ربهم يؤمنون والذين هم بربهم لا يشركون سلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك ونهى

عن الاستعجال بعذابهم والجزع من تأخيره وقرئ يمدهم ويسارع ويسرع بالياء والفاعل الله
سبحانه ويجوز في يسارع ويسرع أن يتضمن ضميرا لممد به ويسارع مبنيا للمفعول والمعنى أن
هذا الإمداد ليس إلا استدراجا لهم إلى المعاصي واستجرارا إلى زيادة الإثم وهم يحسبونه مسارعة لهم
في الخيرات وفيما لهم فيه نفع وإكرام ومعاجلة بالثواب قبل وقته ويجوز أن يراد في جزاء الخيرات
كما يفعل بأهل الخير من المسلمين وبل استدراك لقوله أيحسبون يعني بل هم أشباه البهائم لا
فطنة بهم ولا شعور حتى يتأملوا ويتفكروا في ذلك أهو استدراج أم مسارعة في الخير
أين الراجع من خبر أن إلى اسمها إذا لم يستكن فيه ضميره هو محذوف تقديره نسارع به
ويسارع به ويسارع الله به كقوله إن ذلك من عزم الأمور أي إن ذلك منه وذلك لاستطالة الكلام
مع أمن الإلباس والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة أنهم إلى ربهم راجعون يعطون ما أعطوا وفي قراءة
رسول الله صلى الله عليه وسلم وعائشة يأتون ما أتوا أي يفعلون ما فعلوا وعنها أنها قالت قلت
يا رسول الله هو الذي يزني ويسرق ويشرب الخمر وهو على ذلك يخاف الله قال لا يا ابنة الصديق
ولكن هو الذي يصلي ويصوم ويتصدق وهو على ذلك يخاف الله أن لا يتقبل منه أولئك يسارعون في الخيرات
يحتمل معنيين أحدهما أن يراد يرغبون في الطاعات أشد الرغبة فيبادرونها والثاني أنهم يتعجلون
في الدنيا المنافع ووجوه الإكرام كما قال فآتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة
وآتيناه أجره في الدنيا وإنه في الآخرة لمن الصالحين لأنهم إذا سورع بها لهم فقد سارعوا
في نيلها وتعجلوها وهذا الوجه أحسن طباقا للآية المتقدمة لأن فيه إثبات ما نفي عن
الكفار للمؤمنين وقرئ يسرعون في الخيرات وهم لها سابقون أي فاعلون السبق لأجلها أو سابقون
الناس لأجلها أو إياها أي ينالونها قبل الآخرة حيث عجلت لهم في الدنيا ويجوز أن يكون لها سابقون
خبرا بعد خبر ومعنى وهم لها كمعنى قوله أنت لها أحمد من بين البشر يعني أن هذا الذي وصف
به الصالحين غير خارج من حد الوسع والطاقة وكذلك كل ما كلفه عباده وما عملوه من الأعمال
فغير ضائع عنده بل هو مثبت لديه في كتاب يريد اللوح أو صحيفة الأعمال ناطق بالحق لا يقرؤون
منه يوم القيامة إلا ما هو صدق وعدل لا زيادة فيه ولا نقصان ولا يظلم منهم أحد أو أراد أن
الله لا يكلف إلا الوسع فإن لم يبلغ المكلف أن يكون على صفة هؤلاء السابقين بعد أن يستفرغ
وسعه ويبذل طاقته فلا عليه ولدينا كتاب ينطق بالحق وهم لا يظلمون بل قلوبهم في غمرة فيه عمل السابق
والمقتصد ولا نظلم أحدا من حقه ولا نحطه دون درجته بل قلوب الكفرة في غفلة غامرة لها

ولا نكلف نفسا إلا وسعها

من هذا اى مما عليه هؤلاء الموصوفون من المؤمنين ولهم اعمال من دون ذلك متجاوزة متخطية لذلك اى لما وصف به المؤمنون هم لها عاملون معتادون وبها ضارون لا يفطمون عنها حتى ياخذهم الله بالعذاب حتى اذا اخذنا مترفيهم بالعذاب اذا هم يجأرون وحتى هذه هى التى يبتدأ بعدها الكلام والكلام الجملة الشرطية والعذاب قتلهم يوم بدر او الجوع حين دعا عليهم رسول الله فقال اللهم اشدد وطأتك على مضر واجعلها عليهم سنين كسنى يوسف فابتلاهم الله بالقحط حتى اكلوا الجيف والكلاب والعظام المحترقة والقد والاولاد الجؤار الصراخ باستغاثة قال جأر ساعات النيام لربه اى يقال لهم حينئذ لا تجأروا فان الجؤار غير نافع لكم انكم منا لا تنصرون لا تغاثون ولا تمنعون منا او من جهتنا لا يلحقكم نصر ومعونة قالوا الضمير فى قد كانت آياتى تتلى عليكم فكنتم على اعقابكم تنكصون مستكبرين به سامرا تهجرون به للبيت العتيق او للحرم كانوا يقولون لا يظهر علينا احد لانا اهل الحرم والذى سوغ هذا الاضمار شهرتهم بالاستكبار بالبيت وانه لم تكن لهم مفخرة الا انهم ولاته والقائمون به ويجوز ان يرجع الى آياتى الا انه ذكر لانها فى معنى كتابى ومعنى استكبارهم بالقرآن تكذيبهم به استكبارا ضمن مستكبرين معنى مكذبين فعدى تعديته او يحدث لكم استماعه استكبارا وعتوا فانتم مستكبرون بسببه او يتعلق الباء بسامرا اى تسمرون بذكر القرآن وبالطعن فيه وكانوا يجتمعون حول البيت بالليل يسمرون وكانت عامة سمرهم ذكر القرآن وتسميته سحرا وشعرا وسب رسول الله صلى الله عليه وسلم او تهجرون والسامر نحو الحاضر فى الاطلاق على الجمع وقرئ سمرا وسمارا وتهجرون وتهجرون من اهجر فى منطقه اذا افحش والهجر بالضم الفحش ومن هجر الذى هو مبالغة فى هجر اذا هذى والهجر بالفتح الهذيان افلم يدبروا القول القول القرآن يقول افلم يتدبروه ليعلموا انه الحق المبين فيصدقوا به وبمن جاء به بل اجاءهم ما لم يأت آباءهم فلذلك انكروه واستبدعوه كقوله لتنذر قوما ما انذر آباؤهم فهم غافلون او ليخافوا عند تدبر آياته واقاصيصه مثل ما نزل بمن قبلهم من المكذبين ام جاءهم من الامن ما لم يأت آباءهم الاولين حين خافوا الله فآمنوا به وبكتبه ورسله واطاعوه وآباؤهم اسمعيل واعقابه من عدنان وقحطان وعن النبى صلى الله عليه وسلم لا تسبوا مضر ولا ربيعة فانهما كانا مسلمين ولا تسبوا قسا فانه كان مسلما ولا تسبوا الحارث بن كعب ولا اسد بن خزيمة ولا تميم بن مر فانهم كانوا على الاسلام وما شككتم فيه من شىء فلا تشكوا فى ان تبعا كان مسلما وروى ان ضبة كان مسلما وكان على شرطة سليمان بن داود ام لم يعرفوا رسولهم فهم له منكرون ام يقولون به جنة بل جاءهم بالحق واكثرهم للحق كارهون محمدا وصحة نسبه وحلوله فى سطة هاشم وامانته وصدقه وشهامته وعقله و

اتسامه بانه خير فتيان قريش والخطبة التى خطبها ابو طالب فى نكاح خديجة بنت خويلد كفى برغائها مناديا الجنة الجنون وكانوا يعلمون انه برئ منها وانه ارجحهم عقلا واثقبهم ذهنا ولكنه جاءهم بما خالف شهواتهم واهواءهم ولم يوافق ما نشأوا عليه وسيط بلحومهم ودمائهم من اتباع الباطل ولم يجدوا له مردا ولا مدفعا لانه الحق الابلج والصراط المستقيم فاخلدوا الى البهت وعولوا على الكذب من النسبة الى الجنون والسحر والشعر قوله واكثرهم فيه ان اقلهم كانوا لا يكرهون الحق كان فيهم من يترك الايمان به انفة واستنكافا من توبيخ قومه وان يقولوا صبا وترك دين آبائه لا كراهة للحق كما يحكى عن ابى طالب يزعم بعض الناس ان ابا طالب صح اسلامه يا سبحان الله كان ابا طالب كان اخمل اعمام رسول الله حتى يشتهر اسلام حمزة والعباس ويخفى اسلام ابى طالب ولو اتبع الحق اهواءهم لفسدت السموات والارض ومن فيهن بل اتيناهم بذكرهم فهم عن ذكرهم معرضون دل بهذا على عظم شأن الحق وان السموات والارض ما قامت ولا من فيهن الا به فلو اتبع اهواءهم لانقلب باطلا ولذهب ما يقوم به العالم فلا يبقى له بعده قوام او اراد ان الحق الذى جاء به محمد وهو الاسلام لو اتبع اهواءهم وانقلب شركا لجاء الله بالقيامة ولاهلك العالم ولم يؤخره وعن قتادة ان الحق هو الله ومعناه ولو كان الله الها يتبع اهواءهم ويأمر بالشرك والمعاصى لما كان الها ولكان شيطانا ولما قدر على ان يمسك السموات والارض بذكرهم اى بالكتاب الذى هو ذكرهم اى وعظهم او وصيتهم وفخرهم او بالذكر الذى كانوا يتمنونه ويقولون لو ان عندنا ذكرا من الاولين لكنا عباد الله المخلصين وقرئ بذكراهم ام تسألهم خرجا فخراج ربك خير وهو خير الرازقين وانك لتدعوهم الى صراط مستقيم وان الذين لا يؤمنون بالآخرة عن الصراط لناكبون قرئ خراجا فخراج وخرجا فخرج وخرجا فخراج وهو ما تخرجه الى الامام من زكاة ارضك والى كل عامل من اجرته وجعله وقيل الخرج ما تبرعت به والخراج ما لزمك اداؤه والوجه ان الخرج اخص من الخراج كقولك خراج القرية وخرج الكردة زيادة اللفظ لزيادة المعنى ولذلك حسنت قراءة من قرأ خرجا فخراج ربك يعنى ام تسألهم على هدايتك لهم قليلا من عطاء الخلق والكثير من عطاء الخالق خير قد الزمهم الحجة فى هذه الآيات وقطع معاذيرهم وعللهم بان الذى ارسل اليهم رجل معروف امره وحاله مخبور سره وعلنه خليق بان يجتبى مثله للرسالة من بين ظهرانيهم وانه لم يعرض له حتى يدعى مثل هذه الدعوى العظيمة بباطل ولم يجعل ذلك سلما الى النيل من دنياهم واستعطاء اموالهم ولم يدعهم الا الى دين الاسلام الذى هو الصراط المستقيم مع ابراز المكنون من ادوائهم ومواخذ

لهم بالتدبر والتأمل واستهتارهم بدين الآباء الضلال من غير برهان وتعللهم بأنه مجنون بعد
ظهور الحق وثبات التصديق من الله بالمعجزات والآيات النيرة وكراهتهم للحق وإعراضهم عما فيه
حظهم من الذكر يحتمل أن هؤلاء وصفهم أنهم لا يؤمنون بالآخرة لناكبون أي عادلون عن هذا
الصراط المذكور وهو قوله الى صراط مستقيم وأن كل من لا يؤمن بالآخرة فهو عن القصد ناكب ولو
رحمناهم وكشفنا ما بهم من ضر للجوا في طغيانهم يعمهون ولقد أخذناهم بالعذاب فما استكانوا لربهم وما يتضرعون
حتى إذا فتحنا عليهم بابا ذا عذاب شديد إذا هم فيه مبلسون لما أسلم ثمامة بن أثال الحنفي ولحق باليمامة
ومنع الميرة من أهل مكة وأخذهم الله بالسنين حتى أكلوا العلهز جاء أبو سفيان الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقال له أنشدك الله والرحم ألست تزعم أنك بعثت رحمة للعالمين فقال بلى
فقال قتلت الآباء بالسيف والأبناء بالجوع والمعنى لو كشف الله عنهم هذا الضر وهو الهزال و
القحط الذي أصابهم برحمته عليهم ووجدوا الخصب لارتدوا الى ما كانوا عليه من الاستكبار وعداوة
رسول الله والمؤمنين وإفراطهم فيها ولذهب عنهم هذا الإبلاس وهذا التملق بين يديه يسترحمونه و
استشهد على ذلك بأنا أخذناهم أولا بالسيوف وبما جرى عليهم يوم بدر من قتل صناديدهم وأسرهم
فما وجدت منهم بعد ذلك استكانة ولا تضرع حتى فتحنا عليهم باب الجوع الذي هو أشد من الأسر
والقتل وهو أطم العذاب فأبلسوا الساعة وخضعت رقابهم وجاء أعتاهم وأشدهم شكيمة
في العناد يستعطفك أو محناهم بكل محنة من القتل والجوع فما رؤي فيهم لين مقادة وهم كذلك حتى
إذا عذبوا بنار جهنم فحينئذ يبلسون كقوله ويوم تقوم الساعة يبلس المجرمون لا يفتر عنهم وهم فيه
مبلسون والإبلاس اليأس من كل خير وقيل السكوت مع التحير ماوزن استكان
استفعل من الكون أي انتقل من كون الى كون كما قيل استحال إذا انتقل من حال الى حال ويجوز أن
يكون افتعل من السكون أشبعت فتحة عينه كما جاء بمنتزاح هلا قيل وما تضرعوا أو
فما يستكينون لأن المعنى محناهم فما وجدت منهم عقيب المحنة استكانة وما من عادة هؤلاء
أن يستكينوا ويتضرعوا حتى يفتح عليهم باب العذاب الشديد وقرئ فتحنا وهو الذي أنشأ لكم السمع
والأبصار والأفئدة قليلا ما تشكرون إنما خص السمع والأبصار والأفئدة لأنه يتعلق بها من
المنافع الدينية والدنياوية ما لا يتعلق بغيرها ومقدمة منافعها أن يعملوا أبصارهم وأسماعهم
في آيات الله وأفعاله ثم ينظروا ويستدلوا بقلوبهم ومن لم يعملها فيما خلقت له فهو بمنزلة عادمها
كما قال عز وجل فما أغنى عنهم سمعهم ولا أبصارهم ولا أفئدتهم من شيء إذ كانوا يجحدون بآيات

الله وأفعاله ثم ينظروا ويستدلوا بقلوبهم ومن يعملها فيما خلقت له فهو بمنزلة عادمها كما قال عز وجل
فما أغنى عنهم سمعهم ولا أبصارهم ولا أفئدتهم من شيء إذ كانوا يجحدون بآيات الله ومقدمة شكر
النعمة فيها الإقرار بالمنعم بها وأن لا يجعل له ند وشريك أي تشكرون شكرا قليلا وما مزيدة للتأكيد
بمعنى حقا وهو الذي ذرأكم في الأرض وإليه تحشرون ذرأكم خلقكم وبثكم بالتناسل وإليه تجمعون يوم
القيامة بعد تفرقكم وهو الذي يحيي ويميت وله اختلاف الليل والنهار أي هو مختص به وهو متوليه و
لا يقدر على تصريفهما غيره أفلا تعقلون وقرئ يعقلون بالياء عن أبي عمرو بل قالوا مثل ما قال الأولون قالوا
أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا لمبعوثون لقد وعدنا نحن وآباؤنا هذا من قبل إن هذا إلا أساطير الأولين قل
لمن الأرض ومن فيها إن كنتم تعلمون أي قال أهل مكة كما قال الكفار قبلهم الأساطير جمع أسطار جمع سطر
قال رؤبة إني وأسطار سطرن سطرا وهي ما كتبه الأولون مما لا حقيقة له وجمع أسطورة أوفق
أي أجيبوني عما استعلمتكم منه إن كان عندكم فيه علم وفيه استهانة بهم وتجويز لفرط جهالتهم
بالديانات أن يجهلوا مثل هذا الظاهر البين وقرئ تذكرون بحذف التاء الثانية ومعناه قل
أفلا تذكرون فتعلموا أن من فطر الأرض ومن فيها اختراعا كان قادرا على إعادة الخلق وكان حقيقا
بأن لا يشرك به بعض خلقه في الربوبية قل من رب السماوات السبع ورب العرش العظيم سيقولون لله قل
قرئ الأول باللام لا غير والآخران باللام وهو هكذا في مصاحف أهل الحرمين والكوفة والشام
وبغير اللام وهو هكذا في مصاحف أهل البصرة باللام على المعنى لأن قولك من ربه ولمن هو في معنى
واحد وبغير اللام على اللفظ ويجوز قراءة الأول بغير لام ولكنها لم تثبت في الرواية أفلا تتقون أفلا
تخافونه فلا تشركوا به وتعصوا رسله قل من بيده ملكوت كل شيء وهو يجير ولا يجار عليه إن كنتم تعلمون سيقولون
لله قل فأنى تسحرون أجرت فلانا على فلان إذا أغثته منه ومنعته يعني وهو يغيث من يشاء ممن يشاء
ولا يغيث أحد منه أحدا تسحرون تخدعون عن توحيده وطاعته والخادع هو الشيطان والهوى
بل أتيناهم بالحق وإنهم لكاذبون وقرئ أتيتهم وأتيتهم بالفتح والضم بالحق بأن نسبة الولد إليه محال والشرك باطل و
إنهم لكاذبون ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله حيث يدعون له ولدا ومعه شريكا إذا لذهب كل إله
بما خلق ولعلا بعضهم على بعض لانفرد كل واحد من الآلهة بخلقه الذي خلقه واستبد به ولرأيتم
ملك كل واحد منهم متميزا من ملك الآخرين ولغلب بعضهم بعضا كما ترون حال ملوك الدنيا ممالكهم
متمايزة وهم متغالبون وحين لم تروا أثرا لتمايز الممالك وللتغالب فاعلموا أنه إله واحد بيده
ملكوت كل شيء إذن لا يدخل إلا على كلام هو جزاء وجواب فكيف وقع قوله لذهب

سيقولون لله

جزاءً وجوابًا ولم يتقدمه شرط ولا سؤال سائل   الشرط محذوف تقديره ولو كان معه آلهة
وانما حذف لدلالة قوله وما كان معه من اله عليه وهو جواب لمن معه المحاجة من المشركين سبحان الله
عما يصفون من الانداد والاولاد عالم الغيب والشهادة فتعالى عما يشركون بالجر صفة لله وبالرفع خبر مبتدأ
محذوف قل رب اما تريني ما يوعدون رب ما والنون مؤكدتان اى ان كان لابد من ان تريني ما تعدهم
من العذاب فى الدنيا او فى الآخرة فلا تجعلني فى القوم الظالمين وانا على ان نريك ما نعدهم لقادرون فرينا
لهم ولا تعذبني بعذابهم عن الحسن اخبره الله ان له فى امته نقمة ولم يخبره أفي حياته ام بعد موته
فامره ان يدعو بهذا الدعاء   كيف يجوز ان يجعل الله نبيه المعصوم مع الظالمين
حتى تطلب ان لا يجعله معهم   يجوز ان يسأل العبد ربه ما علم انه يفعله وان يستعيذ به مما
علم انه لا يفعله اظهارًا للعبودية وتواضعًا لربه واخباتًا له واستغفاره صلى الله عليه وسلم اذا
قام من مجلسه سبعين مرة او مائة مرة لذلك وما احسن قول الحسن فى قول ابى بكر رضي الله عنه وليتكم
ولست بخيركم كان يعلم انه خيرهم ولكن المؤمن يهضم نفسه وقرئ اما ترئنّي بالهمز كما قرئ فاما
ترئنّ ولترؤنّ الجحيم وهي ضعيفة وقوله رب مرتين قبل الشرط وقبل الجزاء حث على فضل تضرع
وجؤار كانوا ينكرون الموعد بالعذاب ويضحكون منه واستعجالهم له لذلك فقيل لهم ان الله قادر
على انجاز ما وعد ان تأملتم فما وجه هذا الانكار ادفع بالتي هي احسن السيئة نحن اعلم هو ابلغ من
ان يقال بالحسنة السيئة لما فيه من التفضيل كأنه قال ادفع بالحسنى السيئة والمعنى الصفح
عن اساءتهم ومقابلتها بما امكن من الاحسان حتى اذا اجتمع الصفح والاحسان وبذل الاستطاعة
فيه كانت حسنة مضاعفة بازاء سيئة وهذه قضية قوله بالتي هي احسن وعن ابن عباس هي
شهادة ان لا اله الا الله والسيئة الشرك وعن مجاهد السلام يسلم عليه اذا لقيه وعن الحسن
الاغضاء والصفح وقيل هي منسوخة بآية السيف وقيل محكمة لان المداراة محثوث عليها
ما لم تؤد الى ثلم دين وازراء بمروة بما يصفون بما يذكرونه من احوالك بخلاف صفتها او
بوصفهم لك وسوء ذكرهم والله اعلم بذلك منك واقدر على جزائهم وقل رب اعوذ بك من همزات
الشياطين واعوذ بك رب ان يحضرون حتى اذا جاء احدهم الموت قال رب ارجعون لعلي اعمل صالحا فيما تركت
الهمز النخس والهمزات جمع المرة منه ومنه مهماز الرائض والمعنى ان الشياطين يحثون الناس
على المعاصي ويغرونهم عليها كما تهمز الراضة الدواب حثا لها على المشي ونحو الهمز الاز فى قوله تؤزهم
ازًا امر بالتعوذ من نخساتهم بلفظ المبتهل الى ربه المكرر لنداءه وبالتعوذ من ان

يحضروه اصلًا ويحوموا حوله وعن ابن عباس عند تلاوة القرآن وعن عكرمة عند النزع قال اعوذ
بالله من النزع عند النزع حتى يتعلق بيصفون اى لا يزالون على سوء الذكر الى هذا الوقت والآية
فاصلة بينهما على وجه الاعتراض والتأكيد للاغضاء عنهم مستعينا بالله على الشيطان ان يستزله
عن الحلم ويغريه على الانتصار منهم او على قوله وانهم لكاذبون خطاب الله بلفظ الجمع للتعظيم كقوله
فان شئت حرمت النساء سواكم وقوله الا فارحموني يا اله محمد اذا ايقن بالموت واطلع على حقيقة
الامر ادركته الحسرة على ما فرطه من الايمان والعمل الصالح فيه فسأل ربه الرجعة وقال لعلي اعمل
صالحا فى الايمان الذي تركته والمعنى لعلي آتي بما تركته من الايمان واعمل فيه صالحا كما تقول لعلي
ابني على اس تريد اوسس اسًا وابني عليه وقيل فيما تركت من المال وعن النبي صلى الله عليه وسلم اذا عاين
المؤمن الملائكة قالوا نرجعك الى الدنيا فيقول الى دار الهموم والاحزان بل قدومًا الى الله واما الكافر
فيقول رب ارجعون كلا انها كلمة ردع عن طلب الرجعة وانكار واستبعاد والمراد بالكلمة الطائفة من
الكلام المنتظم بعضها مع بعض وهي قوله لعلي اعمل صالحا فيما تركت هو قائلها لا محالة لا يخليها ولا يسكت
عنها لاستيلاء الحسرة عليه وتسلط الندم او هو قائلها وحده لا يجاب اليها ولا تسمع منه ومن ورائهم
برزخ الى يوم يبعثون والضمير للجماعة اى امامهم حائل بينهم وبين الرجعة الى يوم البعث وليس
المعنى انهم يرجعون يوم البعث وانما هو اقناط كلي لما علم انه لا رجعة يوم البعث الا الى الآخرة
فاذا نفخ فى الصور فلا انساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون فمن ثقلت موازينه فاولئك هم المفلحون ومن خفت
موازينه فاولئك الذين خسروا انفسهم الصور بفتح الواو عن الحسن والصور بالكسر والفتح عن ابي رزين و
هذا دليل لمن فسر الصور بجمع الصورة ونفي الانساب يحتمل ان التقاطع يقع بينهم حيث يتفرقون
معاقبين ومثابين ولا يكون التواصل بينهم والتآلف الا بالاعمال فيلغوا الانساب وتبطل وانه لا
يعتد بالانساب لزوال التعاطف والتراحم بين الاقارب اذ يفر المرء من اخيه وامه وابيه وصاحبته
وبنيه وعن ابن مسعود ولا يتساءلون بادغام التاء فى السين   قد ناقض هذا ونحو قوله و
لا يسأل حميم حميما قوله واقبل بعضهم على بعض يتساءلون وقوله يتعارفون بينهم فكيف التوفيق
بينهما   فيه جوابان احدهما ان يوم القيامة مقداره خمسون الف سنة ففيه ازمنة و
احوال مختلفة يتساءلون ويتعارفون فى بعضها وفى بعضها لا يفطنون لذلك لشدة الهول
والفزع والثاني ان التناكر يكون عند النفخة الاولى فاذا كانت الثانية قاموا فتعارفوا
وتساءلوا وعن ابن عباس الموازين جمع موزون وهي الموزونات من الاعمال اى الصالحات

التي لها وزن وقدر عند الله من قوله تعالى فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا في جهنم خالدون بدل من خسروا
انفسهم ولا محل للبدل والمبدل منه لان الصلة لا محل لها او خبر بعد خبر لاولئك او خبر مبتدأ محذوف
تلفح وجوههم النار وهم فيها كالحون تسفع وقال الزجاج اللفح والنفح واحد الا ان اللفح اشد تأثيرا
والكلوح ان يتقلص الشفتان ويتشمرا عن الاسنان كما ترى الرؤوس المشوية وعن مالك بن دينار كان
سبب توبة عتبة الغلام انه مر في السوق براس اخرج من التنور فغشي عليه ثلاثة ايام ولياليهن وروي
عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال تشويه النار فتقلص شفته العليا حتى تبلغ وسط راسه وتسترخي
شفته السفلى حتى تبلغ سرته وقرئ كلحون الم تكن آياتي تتلى عليكم فكنتم بها تكذبون قالوا ربنا غلبت
علينا شقوتنا وكنا قوما ضالين ربنا اخرجنا منها فان عدنا فانا ظالمون غلبت علينا ملكتنا من قولك
غلبني فلان على كذا اذا اخذه منك وامتلكه والشقاوة سوء العاقبة التي علم الله انهم يستحقونها
بسوء اعمالهم وقرئ شقوتنا وشقاوتنا بفتح الشين وكسرها فيهما قال اخسؤوا فيها ذلوا فيها و
انزجروا كما تنزجر الكلاب اذا زجرت يقال خسأ الكلب وخسا بنفسه ولا تكلمون في رفع العذاب
فانه لا يرفع ولا يخفف قيل هو آخر كلام يتكلمون به ثم لا كلام بعد ذلك الا الشهيق والزفير و
العواء كعواء الكلاب لا يفهمون ولا يفهمون وعن ابن عباس ان لهم ست دعوات اذا دخلوا النار
قالوا الف سنة ربنا ابصرنا وسمعنا فيجابون حق القول مني فينادون الفا ربنا امتنا اثنتين
فيجابون ذلكم بانه اذا دعي الله فينادون الفا يا مالك ليقض علينا ربك فيجابون انكم ماكثون
فينادون الفا ربنا اخرنا فيجابون اولم تكونوا فينادون الفا اخرجنا نعمل صالحا فيجابون
اولم نعمركم فينادون الفا رب ارجعون فيجابون اخسؤوا فيها انه كان فريق من عبادي يقولون ربنا
آمنا فاغفر لنا وارحمنا وانت خير الراحمين في حرف ابي انه كان فريق بالفتح بمعنى لانه فاتخذتموهم سخريا
السخري بالضم والكسر مصدر سخر كالسخر الا ان في ياء النسب زيادة قوة في الفعل كما قيل
الخصوصية في الخصوص وعن الكسائي والفراء ان المكسور من الهزء والمضموم من السخرة
والعبودية اي تسخروهم واستعبدوهم والاول مذهب الخليل وسيبويه قيل هم الصحابة
وقيل اهل الصفة خاصة ومعناه اتخذتموهم هزؤا وتشاغلتم بهم ساخرين حتى انسوكم بتشاغلكم
بهم على تلك الصفة ذكري وكنتم منهم تضحكون اني جزيتهم اليوم بما صبروا انهم هم الفائزون فتركتموه
اي تركتم ان تذكروني فتخافوني في اوليائي وقرئ انهم بالفتح والكسر فالكسر استيناف اي
قد فازوا حيث صبروا فجزوا بصبرهم احسن الجزاء والفتح على انه مفعول جزيتهم كقولك جزيتهم

فوزهم قال في مصحف اهل الكوفة وقل في مصاحف اهل الحرمين والبصرة والشام ففي قال ضمير الله
او المأمور بسؤالهم من الملائكة وفي قل ضمير الملك او بعض رؤساء اهل النار كم لبثتم في الارض عدد سنين قالوا
لبثنا يوما او بعض يوم فاسأل العادين قال ان لبثتم الا قليلا لو انكم كنتم تعلمون استقصروا مدة لبثهم في الدنيا
بالاضافة الى خلودهم ولما هم فيه من عذابها لان الممتحن يستطيل ايام محنته ويستقصر ما مر عليه من
ايام النعمة اليها او لانهم كانوا في سرور وايام السرور قصار او لان المنقضي في حكم ما لم يكن وصدقهم
الله في تقالهم لسني لبثهم في الدنيا ووبخهم على غفلتهم التي كانوا عليها وقرئ فسل العادين والمعنى
لا نعرف من عدد تلك السنين الا انا نستقلها ونحسبه يوما او بعض يوم لما نحن فيه من العذاب وما فينا ان
نعدها فسل من فيه ان يعد ومن يقدر ان يلقي اليه فكره وقيل فسل الملائكة الذين يعدون
اعمار العباد ويحصون اعمالهم وقرئ العادين بالتخفيف اي الظلمة فانهم يقولون كما نقول وقرئ
العاديين اي القدماء المعمرين فانهم يستقصرونها فكيف بمن دونهم وعن ابن عباس انساهم ما
كانوا فيه من العذاب بين النفختين افحسبتم انما خلقناكم عبثا حال اي عابثين كقوله لاعبين او مفعول له
اي ما خلقناكم للعبث ولم يدعنا الى خلقكم الا حكمة اقتضت ذلك وهي ان نتعبدكم ونكلفكم
المشاق من الطاعات وترك المعاصي ثم نرجعكم من دار التكليف الى دار الجزاء فنثيب المحسن
ونعاقب المسيء وانكم الينا لا ترجعون معطوف على انما خلقناكم ويجوز ان يكون معطوفا على عبثا اي
للعبث ولتركم غير مرجوعين وقرئ ترجعون بفتح التاء فتعالى الله الملك الحق الذي يحق له
الملك لان كل شيء منه واليه او الثابت الذي لا يزول ولا يزول ملكه لا اله الا هو رب العرش
الكريم وصف العرش بالكرم لان الرحمة تنزل منه والخير والبركة او لنسبته الى اكرم الاكرمين
كما يقال بيت كريم اذا كان ساكنوه كراما وقرئ الكريم بالرفع ونحوه ذو العرش المجيد ومن يدع
مع الله الها آخر لا برهان له به فانما حسابه عند ربه انه لا يفلح الكافرون وقل رب اغفر وارحم وانت خير الراحمين
لا برهان له به كقوله ما لم ينزل به سلطانا وهي صفة لازمة نحو قوله يطير بجناحيه جيء بها للتوكيد
لا ان يكون في الآلهة ما يجوز ان يقوم عليه برهان ويجوز ان يكون اعتراضا بين الشرط والجزاء
كقولك من احسن الى زيد لا احق بالاحسان منه فالله مثيبه وقرئ انه لا يفلح بفتح الهمزة و
معناه حسابه عدم الفلاح والاصل حسابه انه لا يفلح هو فوضع الكافرون موضع الضمير لان من
يدع في معنى الجمع وكذلك حسابه انه لا يفلح في معنى حسابهم انهم لا يفلحون جعل فاتحة السورة
قد افلح المؤمنون واورد في خاتمتها انه لا يفلح الكافرون فشتان ما بين الفاتحة والخاتمة

عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة المؤمنين بشرته الملائكة بالروح والريحان وما تقر به عينه عند نزول ملك الموت وروي ان اول سورة قد افلح وآخرها من كنوز العرش من عمل بثلث آيات من اولها واتعظ باربع آيات من آخرها فقد نجا وافلح وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا نزل عليه الوحي يسمع عنده دوي كدوي النحل فمكثنا ساعة فاستقبل القبلة ورفع يديه وقال اللهم زدنا ولا تنقصنا واكرمنا ولا تهنا واعطنا ولا تحرمنا وآثرنا ولا تؤثر علينا وارض عنا وارضنا ثم قال لقد انزلت علي عشر آيات من اقامهن دخل الجنة ثم قرأ قد افلح المؤمنون حتى ختم العشر

سورة النور مدنية وهي ثنتان وستون آية وقيل اربع وستون

بسم الله الرحمن الرحيم سورة خبر مبتدأ محذوف وانزلناها صفة او هي مبتدأ موصوف والخبر محذوف اي فيما اوحينا اليك سورة انزلناها وقرئ بالنصب على زيدا ضربته ولا محل لانزلناها لانها مفسرة للمضمر فكانت في حكمه او على دونك سورة او اتل سورة وانزلناها صفة ومعنى فرضناها فرضنا احكامها التي فيها واصل الفرض القطع اي جعلناها واجبة مقطوعا بها والتشديد للمبالغة في الايجاب وتوكيده او لان فيها فرائض شتى وانك تقول فرضت الفريضة وفرضت الفرائض او لكثرة المفروض عليهم من السلف ومن بعدهم وانزلنا فيها آيات بينات لعلكم تذكرون بتشديد الذال وتخفيفها الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة رفعهما على الابتداء والخبر محذوف عند الخليل وسيبويه على معنى فيما فرض عليكم الزانية والزاني اي جلدهما ويجوز ان يكون الخبر فاجلدوا وانما دخلت الفاء لكون الالف واللام بمعنى الذي وتضمينه معنى الشرط تقديره التي زنت والذي زنى فاجلدوهما كما تقول من زنى فاجلدوه وكقوله والذين يرمون المحصنات ثم لم ياتوا باربعة شهداء فاجلدوهم وقرئ بالنصب على اضمار فعل يفسره الظاهر وهو احسن من سورة انزلناها لاجل الامر وقرئ والزان بلا ياء والجلد ضرب الجلد يقال جلده كقولك ظهره وبطنه وراسه اهذا حكم جميع الزناة والزواني ام حكم بعضهم بل هو حكم من ليس بمحصن منهم فان المحصن حكمه الرجم وشرائط الاحصان عند ابي حنيفة رحمه الله ست الاسلام والحرية والعقل والبلوغ والتزوج بنكاح صحيح والدخول اذا فقدت واحدة منها فلا احصان وعند الشافعي رحمه الله الاسلام ليس بشرط لما روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم رجم يهوديين وحجة ابي حنيفة رحمه الله قوله عليه السلام من اشرك بالله فليس بمحصن اللفظ يقتضي تعليق الحكم بجميع الزناة والزواني لان قوله الزانية والزاني عام في الجميع يتناول المحصن وغير المحصن

الزانية والزاني يدلان على الجنسين المنافيين لجنسي العفيف والعفيفة دلالة مطلقة والجنسية قائمة في الكل والبعض جميعا فايهما قصد المتكلم فلا عليه كما يفعل بالاسم المشترك ولا تاخذكم بهما رافة وقرئ ولا ياخذكم بالياء ورآفة بفتح الهمزة ورآءة على فعالة والمعنى ان الواجب على المؤمنين ان يتصلبوا في دين الله ويستعملوا الجد والمتانة فيه ولا ياخذهم اللين والهوادة في استيفاء حدوده وكفى برسول الله اسوة في ذلك حيث قال لو سرقت فاطمة بنت محمد لقطعت يدها وقوله ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر من باب التهييج والهاب الغضب لله ولدينه وقيل لا تترحموا عليهما حتى تعطلوا الحدود او حتى لا توجعوهما ضربا وفي الحديث يؤتى بوال نقص من الحد سوطا فيقول رحمة لعبادك فيقال له انت ارحم به مني فيؤمر به الى النار ويؤتى بمن زاد سوطا فيقول لينتهوا عن معاصيك فيؤمر به الى النار وعن ابي هريرة اقامة حد بارض خير لاهلها من مطر اربعين ليلة وعلى الامام ان ينصب للحدود رجلا عالما بصيرا يعقل كيف يضرب والرجل يجلد قائما على مجرده ليس عليه الا ازاره ضربا وسطا لا مبرحا ولا هينا مفرقا على الاعضاء كلها لا يستثنى منها الا ثلاثة الوجه والراس والفرج وفي لفظ الجلد اشارة الى انه لا ينبغي ان يتجاوز الالم الى اللحم والمراة تجلد قاعدة ولا ينزع من ثيابها الا الحشو والفرو وبهذه الآية استشهد ابو حنيفة رحمه الله على ان الجلد حد غير المحصن بلا تغريب وما احتج به الشافعي رحمه الله على وجوب التغريب من قوله عليه السلام البكر بالبكر جلد مائة وتغريب عام وما يروى عن الصحابة انهم جلدوا ونفوا منسوخ عنده وعند اصحابه بالآية او محمول على وجه التعزير والتاديب من غير وجوب وقول الشافعي رحمه الله في تغريب الحر واحد وله في العبد ثلاثة اقاويل يغرب سنة كالحر ويغرب نصف سنة كما يجلد خمسين جلدة ولا يغرب كما قال ابو حنيفة رحمه الله وبهذه الآية نسخ الحبس والاذى في قوله فامسكوهن في البيوت وقوله فآذوهما قيل تسميته عذابا دليل على انه عقوبة ويجوز ان يسمى عذابا لانه يمنع من المعاودة كما يسمى نكالا وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين الطائفة الفرقة التي يمكن ان تكون حلقة واقلها ثلاثة او اربعة وهي صفة غالبة كانها الجماعة الحافة حول الشيء وعن ابن عباس في تفسيرها اربعة الى اربعين رجلا من المصدقين بالله وعن الحسن عشرة وعن قتادة ثلاثة فصاعدا وعن عكرمة رجلان فصاعدا وعن مجاهد الواحد فما فوقه وفضل قول ابن عباس لان الاربعة هي الجماعة التي يثبت بها هذا الحد والصحيح ان هذه الكبيرة من امهات الكبائر ولهذا قرنها الله تعالى بالشرك وقتل النفس في قوله ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق اثاما وقال ولا تقربوا الزنا انه كان فاحشة وساء سبيلا وعن النبي صلى الله عليه وسلم يا معشر الناس اتقوا الزنا فان فيه ثلاث خصال ثلاث في الدنيا وثلاث في الآخرة فاما اللاتي في

فيذهب البهاء ويورث الفقر وينقص العمر واما اللاتي في الآخرة فيوجب السخطة وسوء الحساب
والخلود في النار ولذلك وفي الله فيه عقد المائة بكماله بخلاف حد القذف وشرب الخمر وشرع فيه
القتلة الهولة وهي الرجم ونهى المومنين عن الرافة على المجلود فيه وامر بشهادة الطائفة للتشهير فوجب
ان يكون طائفة يحصل بها التشهير والواحد والاثنان ليسوا بتلك المثابة واختصاصه المومنين لان
ذلك فضح والفاسق بين صلحاء قومه اخجل ويشهد له قول ابن عباس الى اربعين رجلا من المصدقين
بالله الزاني لا ينكح الا زانية او مشركة والزانية لا ينكحها الا زان او مشرك وحرم ذلك على المومنين والذين يرمون
المحصنات ثم لم ياتوا باربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة ابدا واولئك هم الفاسقون
الفاسق الخبيث الذي من شانه الزنا والتقحب لا يرغب في نكاح الصوالح من النساء واللاتي على خلاف صفته
وانما يرغب في فاسقة خبيثة من شكله او في مشركة والفاسقة الخبيثة المسافحة كذلك لا يرغب
في نكاحها الصلحاء من الرجال وينفرون عنها وانما يرغب فيها من هو من شكلها من الفسقة او المشركين
ونكاح المومن الممدوح عند الله الزانية ورغبته فيها وانخراطه بذلك في سلك الفسقة المتسمين بالزنا
محرم عليه محظور لما فيه من التشبه بالفساق وحضور مواقع التهمة والتسبب لسوء القالة فيه و
الغيبة وانواع المفاسد ومجالسة الخطائين كم فيها من التعرض لاقتراف الآثام فكيف بمزاوجة الزواني
والقحاب وقد نبه على ذلك بقوله وانكحوا الايامى منكم والصالحين من عبادكم وامائكم وقيل كان بالمدينة
موسرات من بغايا المشركين فرغب فقراء المهاجرين في نكاحهن فاستاذنوا رسول الله صلى الله عليه
وسلم فنزلت وعن عايشة رضي الله عنها ان الرجل اذا زنى بامراة ليس له ان يتزوجها لهذه الآية واذا
باشرها كان زانيا وقد اجازه ابن عباس وشبهه بمن سرق ثمر شجرة ثم اشتراه وعن النبي صلى الله عليه
وسلم انه سئل عن ذلك فقال اوله سفاح وآخره نكاح والحرام لا يحرم الحلال وقيل المراد بالنكاح الوطي
وليس بقول لامرين احدهما ان هذه الكلمة اينما وردت في القرآن لم ترد الا في معنى العقد والثاني
فساد المعنى واداؤه الى قولك الزاني لا يزني الا بزانية والزانية لا يزني بها الا زان وقيل كان نكاح
الزانية محرما في اول الاسلام ثم نسخ والناسخ قوله وانكحوا الايامى منكم وقيل الاجماع وروي
ذلك عن سعيد بن المسيب اي فرق بين معنى الجملة الاولى ومعنى الثانية معنى
الاولى صفة الزاني بكونه غير مرغوب فيه للاعفاء ولكن للزناة ومعنى الثانية ... معنيان مختلفان
كيف قدمت الزانية على الزاني اولا ثم قدم عليها ثانيا سيقت تلك الآية لعقوبتهما
على ما جنيا والمراة هي المادة التي نشات الجناية منها لانها لو لم تطمع الرجل ولم توض له ولم تمكنه فلما كانت

اصلا واولا في ذلك بدئ بذكرها واما الثانية فمسوقة لذكر النكاح والرجل اصل فيه لانه هو الراغب
والخاطب ومنه يبدا الطلب وعن عمرو بن عبيد لا ينكح بالجزم على النهي والمرفوع ايضا فيه معنى النهي
ولكن ابلغ واكد كما ان رحمك الله ويرحمك ابلغ من ليرحمك ويجوز ان يكون خبرا محضا على معنى ان
عادتهم جارية على ذلك وعلى المومن ان لا يدخل نفسه تحت هذه العادة ويتصون عنها وقرئ وحرم
بفتح الحاء القذف يكون بالزنا وبغيره والذي دل على ان المراد قذفهن بالزنا شيئان احدهما ذكر المحصنات
عقيب الزواني والثاني اشتراط اربعة شهداء لان القذف بغير الزنا يكفي فيه شاهدان والقذف
بالزنا ان يقول الحر العاقل البالغ للمحصنة يا زانية او للمحصن يا زاني يا ابن الزاني يا ابن الزانية
يا ولد الزنا لست لابيك لست لرشدة والقذف بغير الزنا ان يقول يا آكل الربا يا شارب الخمر يا يهودي
يا مجوسي يا فاسق يا خبيث يا ماص بظر امه فعليه التعزير ولا يبلغ به ادنى حد العبيد وهو اربعون
بل ينقص منه وقال ابو يوسف يجوز ان يبلغ به تسعة وسبعون وقال للامام ان يعزر الى المائة
وشروط احصان القذف خمسة الحرية والبلوغ والعقل والاسلام والعفة وقرئ باربعة شهداء
بالتنوين وشهداء صفة كيف يشهدون مجتمعين او متفرقين الواجب عند ابي حنيفة
واصحابه رحمهم الله ان يحضروا في مجلس واحد وان جاوا متفرقين كانوا قذفة وعند الشافعي رضي الله عنه
يجوز ان يحضروا متفرقين هل يجوز ان يكون زوج المقذوفة واحدا منهم يجوز عند
ابي حنيفة خلافا للشافعي رحمهما الله كيف يجلد القاذف كما جلد الزاني الا انه لا
ينزع عنه من ثيابه الا ما ينزع عن المراة من الحشو والفرو والقاذفة ايضا كالزانية واشد الضرب ضرب
التعزير ثم ضرب الزنا ثم ضرب شرب الخمر ثم ضرب القاذف قالوا لان سبب عقوبته محتمل للصدق و
الكذب الا انه عوقب صيانة للاعراض وردعا عن هتكها فاذا لم يكن المقذوف محصنا
يعزر القاذف ولا يحد المقذوف الا ان يكون المقذوف معروفا بما قذف به فلا حد ولا تعزير
رد شهادة القاذف معلق عند ابي حنيفة رحمه الله باستيفاء الحد فاذا شهد قبل الحد او قبل
تمام استيفائه قبلت شهادته فاذا استوفي لم تقبل شهادته ابدا وان تاب وكان من الابرار الاتقياء
وعند الشافعي رحمه الله يتعلق رد شهادته بنفس القذف فاذا تاب عن القذف بان رجع عنه عاد
مقبول الشهادة وكلاهما متمسك بالآية فابو حنيفة رحمه الله جعل جزاء الشرط الذي هو الرمي الجلد
ورد الشهادة عقيب الجلد على التابيد فكانوا مردودي الشهادة عنده في ابدهم وهو مدة حياتهم
وجعل قوله واولئك هم الفاسقون كلاما مستانفا غير داخل في حيز جزاء الشرط كانه حكاية حال الرامين

استثناء من الفاسقين ويدل عليه قوله

عند الله بعد انقضاء الجملة الشرطية الا الذين تابوا من بعد ذلك واصلحوا فان الله غفور رحيم والشافعي
رحمه الله جعل جزاء الشرط الجملتين ايضا غير انه صرف الآية الى مدة كونه قاذفا وهي تنتهي بالتوبة و
الرجوع عن القذف وجعل الاستثناء متعلقا بالجملة الثانية وحق المستثنى عنده ان يكون مجرورا
بدلا من هم في لهم وحقه عند ابي حنيفة رحمه الله ان يكون منصوبا لانه عن موجب والذي يقتضيه ظاهر
الآية ونظمها ان تكون الجمل الثلاث بمجموعهن جزاء الشرط كانه قيل ومن قذف المحصنات فاجلدوهم
وردوا شهادتهم وفسقوهم اي فاجمعوا لهم الجلد والرد والتفسيق الا الذين تابوا عن القذف واصلحوا فان
الله يغفر لهم فينقلبون غير مجلودين ولا مردودين ولا مفسقين الكافر يقذف فيتوب
عن الكفر فيقبل شهادته بالاجماع والقاذف من المسلمين يتوب عن القذف فلا يقبل شهادته عند
ابي حنيفة كان القاذف مع الكفر اهون من القاذف مع الاسلام المسلمون لا يعبأون بسب الكفار
لانهم شهروا بعداوتهم والطعن فيهم بالباطل فلا يلحق المقذوف بقذف الكافر من الشين والشنار
ما يلحقه بقذف مسلم مثله فشدد على القاذف من المسلمين ردعا وكفا عن الحاق الشنار
هل للمقذوف او للامام ان يعفو عن حد القاذف لهما ذلك قبل ان تشهد الشهود ويثبت الحد
والمقذوف مندوب الى ان لا يرافع القاذف ولا يطالبه بالحد ويحسن من الامام ان يحمل المقذوف على
كظم الغيظ ويقول له اعرض عن هذا ودعه لوجه الله قبل ثبات الحد فاذا ثبت لم يكن لواحد منهما ان
يعفو لانه خالص حق الله ولهذا لم يصح ان يصالح عنه بمال هل يورث الحد عند ابي حنيفة
لا يورث لقوله عليه السلام الحد لا يورث وعند الشافعي رحمه الله يورث واذا تاب القاذف قبل ان يثبت
الحد سقط وقيل نزلت هذه الآية في حسان بن ثابت حين تاب مما قال في عايشه رضي الله عنها والذين
يرمون ازواجهم ولم يكن لهم شهداء الا انفسهم فشهادة احدهم اربع شهادات بالله انه لمن الصادقين والخامسة
ان لعنة الله عليه ان كان من الكاذبين ويدرأ عنها العذاب ان تشهد اربع شهادات بالله انه لمن الكاذبين والخامسة
ان غضب الله عليها ان كان من الصادقين قاذف امرأته اذا كان مسلما حرا عاقلا بالغا غير محدود في القذف
والمرأة بهذه الصفة مع العفة صح اللعان بينهما اذا قذفها بصريح الزنا وهو ان يقول لها يا زانية او
زنيت او رأيتك تزنين واذا كان الزوج عبدا او محدودا في قذف والمرأة محصنة حد كما في قذف الاجنبيات
وما لم ترافعه الى الامام لم يجب اللعان واللعان ان يبدأ الرجل فيشهد اربع شهادات بالله انه لمن
الصادقين فيما رماها به من الزنا ويقول في الخامسة ان لعنة الله عليه ان كان من الكاذبين فيما رماها به
من الزنا وتقول المرأة اربع مرات اشهد بالله انه لمن الكاذبين فيما رماني به من الزنا ثم تقول في الخامسة

ان غضب الله عليها ان كان من الصادقين فيما رماني به من الزنا وعند الشافعي يقام الرجل قائما حتى يشهد
والمرأة قاعدة وتقام المرأة والرجل قاعد حتى تشهد ويأمر الامام من يضع يده على فيه ويقول له اني اخاف
ان لم تكن صادقا ان تبوء بلعنة الله وقال اللعان بمكة بين المقام والبيت وبالمدينة على المنبر وبيت المقدس
في مسجده ولعان المشرك في الكنيسة وحيث يعظم واذا لم يكن له دين ففي مساجدنا الا في المسجد الحرام لقوله
تعالى انما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام ثم يفرق القاضي بينهما ولا تقع الفرقة بينهما الا بتفريقه
عند ابي حنيفة واصحابه الا عند زفر فان الفرقة تقع باللعان وعن عثمان البتي لا فرقة اصلا وعند
الشافعي تقع بلعان الزوج وتكون هذه الفرقة في حكم التطليقة البائنة عند ابي حنيفة ومحمد ولا يتأبد
حكمها فاذا اكذب الرجل نفسه بعد ذلك فحد جاز ان يتزوجها وعند ابي يوسف وزفر والحسن بن زياد
والشافعي هي فرقة بغير طلاق توجب تحريما مؤبدا ليس لهما ان يجتمعا بعد ذلك بوجه وروي ان آية
القذف لما نزلت قرأها رسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر فقام عاصم بن عدي الانصاري فقال
جعلني الله فداك ان وجد رجل مع امرأته رجلا فاخبر جلد ثمانين وردت شهادته ابدا وفسق وان
ضربه بالسيف قتل وان سكت سكت على غيظ والى ان يجيء باربعة شهداء فقد قضى الرجل حاجته ومضى
اللهم افتح وخرج فاستقبله هلال بن امية او عويمر فقال ما وراءك قال شر وجدت على بطن امرأتي
خولة وهي بنت عاصم شريك بن سحماء فقال هذا والله سؤالي ما اسرع ما ابتليت به فرجعا فاخبر
عاصم رسول الله صلى الله عليه وسلم فكلم خولة فقالت لا ادري الغيرة ادركته ام بخلا على الطعام
وكان شريك نزيلهم وكان هلال لقد رأيته على بطنها فنزلت ولاعن بينهما وقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم عند قوله وقولها ان لعنة الله عليه ان غضب الله عليها آمين وقال القوم آمين وقال
لها ان كنت الممت بذنب فاعترفي به فالرجم اهون عليك من غضب الله ان غضبه هو النار وقال
تحينوا بها الولادة فان جاءت به اصيهب اثيبج يضرب الى السواد فهو لشريك وان جاءت به اورق
جعدا جماليا خدلج الساقين فهو لغير الذي رميت به قال ابن عباس فجاءت باشبه خلق الله لشريك
فقال عليه السلام لولا الايمان لكان لي ولها شان وقرئ ولم تكن بالتاء لان الشهداء جماعة او لانهم
في معنى الانفس التي هي بدل ووجه من قرأ اربع ان ينتصب لانه في حكم المصدر والعامل فيه المصدر
الذي هو فشهادة احدهم وهي مبتدأ محذوف الخبر تقديره فواجب شهادة احدهم اربع شهادات و
قرئ ان لعنة الله وان غضب الله على تخفيف ان ورفع ما بعدها وقرئ ان غضب الله على فعل
الغضب وقرئ بنصب الخامستين على معنى وتشهد الخامسة لم خصت الملاعنة

بان تخمس بغضب الله تغليظا عليها لانها هي اصل الفجور ومنبعه بخلابتها واطماعها ولذلك
كانت مقدمة في اية الجلد ويشهد لذلك قوله عليه السلام لخولة فالرجم اهون عليك من غضب الله ولولا
فضل الله عليكم ورحمته وان الله تواب حكيم الفضل المتفضل وجواب لولا متروك وتركه دال على امر عظيم لا
يكتنه ورب مسكوت عنه ابلغ من منطوق به ان الذين جاؤا بالافك عصبة منكم لا تحسبوه شرا لكم بل الافك
ابلغ ما يكون من الكذب والافتراء وقيل هو البهتان لا تشعر به حتى يفجاك واصله الافك وهو القلب لانه
قول مأفوك عن وجهه والمراد ما افك به على عائشة رضي الله عنها والعصبة الجماعة من العشرة الى الاربعين
وكذلك العصابة واعصوصبوا اجتمعوا وهم عبد الله بن ابي راس النفاق وزيد بن رفاعة وحسان بن
ثابت ومسطح بن اثاثة وحمنة بنت جحش ومن ساعدهم بل هو خير لكم لكل امرئ منهم ما اكتسب من الاثم والذي تولى
كبره منهم له عذاب عظيم وقرئ كبره بالضم والكسر وهو عظمه والذي تولاه عبد الله لامعانه في عداوة
رسول الله وانتهازه الفرص وطلبه سبيلا الى الغميزة اي يصيب كل خائض في حديث الافك من تلك
العصبة نصيبه من الاثم على مقدار خوضه والعذاب العظيم لعبد الله لان معظم الشر كان منه يحكى
ان صفوان مر بهودجها عليه وهو في ملأ من قومه فقال من هذه فقالوا عائشة فقال والله ما نجت
منه ولا نجا منها وقال امرأة نبيكم باتت مع رجل حتى اصبحت ثم جاء يقودها والخطاب في قوله
هو خير لكم لمن ساءه ذلك من المؤمنين وخاصة رسول الله صلى الله عليه وسلم وابو بكر وعائشة وصفوان
ابن المعطل ومعنى كونه خيرا لهم انهم اكتسبوا فيه الثواب العظيم لانه كان بلاء مبينا ومحنة ظاهرة و
انه نزلت فيه ثماني عشرة آية كل واحدة منها مستقلة بما هو تعظيم لشان رسول الله وتسلية له وتنزيه
لام المؤمنين رضوان الله عليها وتطهير لاهل البيت وتهويل لمن تكلم في ذلك او سمع به فلم تمجه اذناه
وعدة الطاف للسامعين والتالين الى يوم القيمة وفوائد دينية واحكام وآداب لا تخفى على
متأمليها لولا اذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بانفسهم خيرا وقالوا هذا افك مبين لولا جاؤا باربعة شهداء
فاذ لم ياتوا بالشهداء فاولئك عند الله هم الكاذبون بانفسهم اي بالذين منهم من المؤمنين والمؤمنات كقوله تعالى
ولا تلمزوا انفسكم وذلك نحو ما يروى ان ابا ايوب الانصاري قال لام ايوب الا ترين ما يقال فقالت
لو كنت بدل صفوان اكنت تظن بحرمة رسول الله سوءا قال لا قالت ولو كنت انا بدل عائشة ما خنت
رسول الله فعائشة خير مني وصفوان خير منك هلا قيل لولا اذ سمعتموه ظننتم بانفسكم
خيرا وقلتم ولم عدل عن الخطاب الى الغيبة وعن الضمير الى الظاهر ليبالغ في التوبيخ
بطريقة الالتفات وليصرح بلفظ الايمان دلالة على ان الاشتراك فيه مقتض ان لا يصدق مؤمن

على اخيه ولا مؤمنة على اختها قول عائب ولا طاعن وفيه تنبيه على ان حق المؤمن اذا سمع قالة في اخيه
ان يبني الامر فيها على الظن لا على الشك وان يقول بملء فيه بناء على ظنه بالمؤمن الخير هذا افك مبين
هكذا باللفظ المصرح ببراءة ساحته كما يقول المستيقن المطلع على حقيقة الحال وهذا من الادب الحسن
الذي قل القائم به والحافظ له وليتك تجد من يسمع فيسكت ولا يشيع ما سمعه باخوات جعل الله
التفصلة بين الرمي الصادق والكاذب ثبوت شهادة الشهود الاربعة وانتفاءها والذين رموا عائشة
لم يكن لهم بينة على قولهم فقامت عليهم الحجة وكانوا عند الله اي في حكمه وشريعته كاذبين وهذا توبيخ و
تعنيف للذين سمعوا الافك فلم يجدوا في دفعه وانكاره واحتجاج عليهم بما هو ظاهر مكشوف في الشرع
من وجوب تكذيب القاذف بغير بينة والتنكيل به اذا قذف امرأة محصنة من عرض نساء المؤمنين فكيف
بام المؤمنين الصديقة بنت الصديق وحرمة رسول الله وحبيبة حبيب الله لولا الاولى للتحضيض وهذه
لامتناع الشيء لوجود غيره والمعنى ولولا اني قضيت ان اتفضل عليكم في الدنيا بضروب النعم التي من
جملتها الامهال للتوبة وان ارحم عليكم في الآخرة بالعفو والمغفرة لعاجلتكم بالعقاب على ما خضتم فيه
من حديث الافك يقال افاض في الحديث واندفع وهضب وخاض ولولا فضل الله عليكم ورحمته في الدنيا والآخرة
لمسكم فيما افضتم فيه عذاب عظيم اذ تلقونه بالسنتكم وتقولون بافواهكم ما ليس لكم به علم اذ ظرف لمسكم او
لافضتم تلقونه يأخذه بعضكم من بعض يقال تلقى القول وتلقنه وتلقفه ومنه قوله تعالى فتلقى
آدم من ربه كلمات وقرئ على الاصل تتلقونه واذ تلقونه بادغام الذال في التاء وتلقونه من لقيه بمعنى
لقفه وتلقونه من القائه بعضهم على بعض وتلقونه وتألقونه من الالق والألق وهو الكذب وتلقفونه
محكية عن عائشة رضي الله عنها وعن سفيان سمعت امي تقرأ اذ تثقفونه وكان ابوها يقرأ
بحرف عبد الله بن مسعود ما معنى قوله بافواهكم والقول لا يكون الا بالفم معناه
ان الشيء المعلوم يكون علمه في القلب فيترجم عنه اللسان وهذا الافك ليس الا قولا يجري على السنتكم
ويدور في افواهكم من غير ترجمة عن علم في القلب كقوله تعالى يقولون بافواههم ما ليس في قلوبهم وتحسبونه
هينا وهو عند الله عظيم ولولا اذ سمعتموه قلتم ما يكون لنا ان نتكلم بهذا سبحانك هذا بهتان عظيم يعظكم الله اي
تحسبونه صغيرة وهو عند الله كبيرة موجبة وعن بعضهم انه جزع عند الموت فقيل له فقال اخاف
ذنبا لم يكن مني على بال وهو عند الله عظيم وفي كلام بعضهم لا تقولن لشيء من سيئاتك حقير
فلعله عند الله نخلة وهو عندك نقير وصفهم بارتكاب ثلاثة آثام وعلق مس العذاب العظيم بها
احدها تلقي الافك بالسنتهم وذلك ان الرجل كان يلقى الرجل فيقول له ما وراءك فيحدثه بحديث

الافك حتى شاع وانتشر فلم يبق بيت ولا ناد الا طار فيه والثانى التكلم بما لا علم لهم به والثالث استصغارهم
لذلك وهو عظيمة من العظائم كيف جاز الفصل بين لولا وقلتم للظروف شأن وهو
تنزلها من الاشياء منزلة انفسها لوقوعها فيها وانها لا تنفك عنها فلذلك يتسع فيها ما لا يتسع
فى غيرها فاى فائدة فى تقديم الظرف حتى اوقع فاصلا الفائدة فيه بيان انه
كان الواجب عليهم ان يتفادوا اول ما سمعوا بالافك عن التكلم به فلما كان ذكر الوقت اهم وجب التقديم
فما معنى يكون والكلام مستتب لو قيل ما لنا ان نتكلم بهذا معناه معنى ينبغى
ويصح اى ما ينبغى لنا ان نتكلم بهذا وما يصح لنا ونحوه ما يكون لى ان اقول ما ليس لى بحق سبحانك
للتعجب من عظم الامر ما معنى التعجب فى كلمة التسبيح الاصل فى ذلك ان يسبح الله عند
رؤية العجيب من صنائعه ثم كثر حتى استعمل فى كل متعجب منه او لتنزيه الله من ان تكون حرمة نبيه
فاجرة كيف جاز ان تكون امراة النبى كافرة كامراة نوح ولوط ولم يجز ان تكون فاجرة
لان الانبياء مبعوثون الى الكفار ليدعوهم ويستعطفوهم فيجب ان لا يكون معهم ما ينفرهم عنهم ولم يكن
الكفر عندهم مما ينفر واما الكشخنة فمن اعظم المنفرات اى كراهة ان تعودوا لمثله ابدا او فى ان تعودوا
من قولك وعظت فلانا فى كذا فتركه وابدا ما داموا احياء مكلفين وان كنتم مؤمنين فيه تهييج لهم
ليتعظوا وتذكير بما يوجب ترك العود وهو اتصافهم بالايمان الصاد عن كل مقبح ويبين الله لكم الآيات
والله عليم حكيم على علمه وحكمته ما ينزل عليكم من الشرائع ويعلمكم من الآداب الجميلة ويعظكم به من المواعظ
الشافية والله عالم بكل شئ فاعل لما يفعله بدواعى الحكمة ان الذين يحبون ان تشيع الفاحشة فى الذين
آمنوا لهم عذاب اليم فى الدنيا والآخرة المعنى يشيعون الفاحشة عن قصد الى الاشاعة وارادة ومحبة لها
وعذاب الدنيا الحد ولقد ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله بن ابى وحسانا ومسطحا و
قعد صفوان لحسان فضربه ضربة بالسيف وكف بصره وقيل هو المراد بقوله والذى تولى كبره
منهم والله يعلم ما فى القلوب من الاسرار والضمائر وانتم لا تعلمون يعنى انه قد علم محبة من احب الاشاعة
وهو معاقبه عليها ولولا فضل الله عليكم ورحمته وان الله رؤف رحيم وكرر المنة بترك المعاجلة بالعقاب
حاذفا جواب لولا كما حذفه ثمة وفى هذا التكرير مع حذف الجواب مبالغة عظيمة وكذلك فى التواب
والرؤف والرحيم يا ايها الذين آمنوا لا تتبعوا خطوات الشيطان ومن يتبع خطوات الشيطان فانه يامر بالفحشاء و
المنكر ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكى منكم من احد ابدا ولكن الله يزكى من يشاء والله سميع عليم الفحشاء والفاحشة
ما افرط قبحه قال ابو ذؤيب ضرائر حرمى تفاحش غارها اى افرطت غيرتها والمنكر ما تنكره

النفوس فتنفر عنه ولا ترتضيه وقرئ خطوات بفتح الطاء وسكونها وزكى بالتشديد والضمير لله
عز وجل ولولا ان الله تفضل عليكم بالتوبة الممحصة لما طهر منكم احد آخر الدهر من دنس اثم الافك
ولكن الله يطهر التائبين بقبول توبتهم اذا محضوها وهو سميع لقولهم عليم بضمائرهم واخلاصهم ولا ياتل اولوا
الفضل منكم والسعة ان يؤتوا اولى القربى والمساكين والمهاجرين فى سبيل الله وليعفوا وليصفحوا الا تحبون ان
يغفر الله لكم والله غفور رحيم هو من ائتلى اذا حلف افتعال من الالية وقيل من قولهم ما الوت جهدا اذا لم
يدخر منه شيئا ويشهد للاول قراءة الحسن ولا يتال والمعنى لا يحلفوا على ان لا يحسنوا الى المستحقين
للاحسان او لا يقصروا فى ان يحسنوا اليهم وان كانت بينهم وبينهم شحناء لجناية اقترفوها فليعودوا
عليهم بالعفو والصفح وليفعلوا بهم مثل ما يرجون ان يفعل بهم ربهم مع كثرة خطاياهم وذنوبهم
نزلت فى شان مسطح وكان ابن خالة ابى بكر الصديق رضى الله عنه وكان فقيرا من فقراء المهاجرين
وكان ابو بكر ينفق عليه فلما فرط منه ما فرط آلى ان لا ينفق عليه وكفى به داعيا الى المجاملة وترك الاشتغال
بالمكافاة للمسئ ويروى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قراها على ابى بكر فقال بلى احب ان يغفر الله
لى ورجع الى مسطح نفقته وقال والله لا انزعها ابدا وقرا ابو حيوة وابن قطيب ان تؤتوا بالتاء على
الالتفات ويعضده قوله الا تحبون ان يغفر الله لكم ان الذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات
لعنوا فى الدنيا والآخرة ولهم عذاب عظيم يوم تشهد عليهم السنتهم وايديهم وارجلهم بما كانوا يعملون الغافلات السليمات
الصدور النقيات القلوب اللاتى ليس فيهن دهاء ولا مكر لانهن لم يجربن الامور ولم يرزن
الاحوال فلا يفطن لما تفطن له المجربات العرافات قال ولقد لهوت بطفلة ميالة
بلهاء تطلعنى على اسرارها وكذلك البله من الرجال فى قوله اكثر اهل الجنة البله وقرئ
يشهد بالياء يومئذ يوفيهم الله دينهم الحق ويعلمون ان الله هو الحق المبين والحق بالنصب صفة للدين
وهو الجزاء وبالرفع صفة لله ولو فليت القرآن كله وفتشت عما اوعد به العصاة لم تر الله عز
وجل قد غلظ فى شئ تغليظه فى افك عائشة رضى الله عنها ولا انزل من الآيات القوارع المشحونة
بالوعيد الشديد والعتاب البليغ والزجر العنيف واستعظام ما ركب من ذلك واستفظاع
ما اقدم عليه ما انزل فيه على طرق مختلفة واساليب مفتنة كل واحد منها كاف فى بابه ولو لم
ينزل الا هذه الثلث لكفى بها حيث جعل القذفة ملعونين فى الدارين جميعا وتوعدهم بالعذاب
العظيم فى الآخرة وبان السنتهم وايديهم وارجلهم تشهد عليهم بما افكوا وبهتوا وانه يوفيهم
جزاءهم الحق الواجب الذى هم اهله حتى يعلموا عند ذلك ان الله هو الحق المبين فاوجز فى ذلك

واشبع وفصل واجمل واكد وكرر وجاء بما لم يقع في وعيد المشركين عبدة الاوثان الا ما هو
دونه في الفظاعة وما ذاك الا لامر وعن ابن عباس انه كان بالبصرة يوم عرفة وكان يسأل عن تفسير
القرآن حتى سئل عن هذه الآية فقال من اذنب ذنبا ثم تاب منه قبلت توبته الا من خاض في امر عائشة
وهذه منه مبالغة وتعظيم لامر الافك ولقد برأ الله اربعة باربعة برأ يوسف عليه السلام
بلسان الشاهد وشهد شاهد من اهلها وبرأ موسى من قول اليهود فيه بالحجر الذي ذهب بثوبه
وبرأ مريم بانطاق ولدها حين نادى من حجرها اني عبد الله وبرأ عائشة بهذه الآيات العظام
في كتابه المعجز المتلو على وجه الدهر مثل هذه التبرئة بهذه المبالغات فانظر كم بينها وبين تبرئة
اولئك وما ذاك الا لاظهار علو منزلة رسول الله والتنبيه على انافة محل سيد ولد آدم وخيرة
الاولين والآخرين وحجة الله على العالمين ومن اراد ان يتحقق عظمة شانه وتقدم قدمه واحرازه
لقصب السبق دون كل سابق فليتلق ذلك من آيات الافك وليتأمل كيف غضب الله له في حرمته وكيف
بالغ في نفي التهمة عن حجابه ان كانت عائشة هي المرادة فكيف قيل المحصنات فيه وجهان
احدهما ان يراد بالمحصنات ازواج رسول الله صلى الله عليه وسلم وان يخصصن بان من قذفهن فهذا
الوعيد لاحق به واذا اردن وعائشة كبراهن منزلة وقربة عند رسول الله كانت المرادة اولا والثاني
انها ام المؤمنين فجمعت ارادة لها ولبناتها من نساء الامة الموصوفات بالاحصان والغفلة و
الايمان كما قال قدني من نصر الخبيبين قدي اراد عبد الله بن الزبير واشياعه وكان اعداؤه
يكنونه بخبيب ابنه وكان مضعوفا وكنيته المشهورة ابو بكر الا ان هذا في الاسم وذلك في الصفة
ما معنى قوله هو الحق المبين معناه ذو الحق البين اي العادل الظاهر العدل
الذي لا ظلم في حكمه والمحق الذي لا يوصف بباطل ومن هذه صفته لم تسقط عنده اساءة مسيء
ولا احسان محسن فحق مثله ان يتقى وتجتنب محارمه الخبيثات للخبيثين والخبيثون للخبيثات والطيبات
للطيبين والطيبون للطيبات اولئك مبرءون مما يقولون لهم مغفرة ورزق كريم اي الخبيثات من القول
تقال او تعد للخبيثين من الرجال والنساء والخبيثون منهم يتعرضون للخبيثات من القول و
كذلك الطيبات والطيبون واولئك اشارة الى الطيبين وانهم مبرءون مما يقول الخبيثون من
خبيثات الكلم وهو كلام جار مجرى المثل لعائشة وما رميت به من قول لا يطابق حالها في النزاهة
والطيب ويجوز ان يكون اولئك اشارة الى اهل البيت وانهم مبرءون مما يقول اهل الافك وان
يراد بالخبيثات والطيبات النساء اي الخبائث يتزوجن الخباث والخباث الخبائث وكذلك اهل

الطيب وذكر الرزق الكريم ههنا مثله في قوله واعتدنا لها رزقا كريما وعن عائشة رضي الله عنها لقد اعطيت
تسعا ما اعطيتهن امرأة لقد نزل جبريل عليه السلام بصورتي في راحته حين امر رسول الله صلى الله عليه
وسلم ان يتزوجني ولقد تزوجني بكرا وما تزوج بكرا غيري ولقد توفي وان راسه لفي حجري ولقد
قبر في بيتي ولقد حفته الملائكة في بيتي وان الوحي لينزل عليه وانا معه في لحافه واني لابنة خليفته
وصديقه ولقد نزل عذري من السماء ولقد خلقت طيبة عند طيب ولقد وعدت مغفرة ورزقا كريما
يا ايها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على اهلها ذلكم خير لكم لعلكم تذكرون تستأنسوا فيه
وجهان احدهما انه من الاستئناس الظاهر الذي هو خلاف الاستيحاش لان الذي يطرق باب غيره
لا يدري ايؤذن له ام لا فهو كالمستوحش من خفاء الحال عليه فاذا اذن له استأنس فالمعنى حتى
يؤذن لكم كقوله لا تدخلوا بيوت النبي الا ان يؤذن لكم وهذا من باب الكناية والارداف لان هذا النوع
من الاستئناس يردف الاذن فوضع موضع الاذن والثاني ان يكون من الاستئناس الذي هو
الاستعلام والاستكشاف استفعال من انس الشيء اذا ابصره ظاهرا مكشوفا والمعنى حتى تستعلموا
وتستكشفوا الحال هل يراد دخولكم ام لا ومنه قولهم استأنس هل ترى احدا واستأنست فلم ار
احدا اي تعرفت واستعلمت ومنه بيت النابغة على مستأنس وحد ويجوز ان يكون من الانس
وهو ان يتعرف هل ثم انسان وعن ابي ايوب الانصاري قلنا يا رسول الله ما الاستئناس قال
يتكلم الرجل بالتسبيحة والتكبيرة والتحميدة يتنحنح يؤذن اهل البيت والتسليم ان يقول السلام
عليكم ادخل ثلاث مرات فان اذن له والا رجع وعن ابي موسى الاشعري انه اتى باب عمر فقال
السلام عليكم اادخل قالها ثلاثا ثم رجع وقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الاستئذان
ثلاث واستأذن رجل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أألج فقال عليه السلام لامرأة يقال
لها روضة قومي الى هذا فعلميه فانه لا يحسن ان يستأذن قولي له يقول السلام عليكم اادخل فسمعها
الرجل فقالها فقال ادخل وكان اهل الجاهلية يقول الرجل منهم اذا دخل بيتا غير بيته حييتم صباحا
وحييتم مساء ثم يدخل فربما اصاب الرجل مع امرأته في لحاف واحد فصد الله عن ذلك وعلم الاحسن
الاجمل وكم من باب من ابواب الدين هو عند الناس كالشريعة المنسوخة قد تركوا العمل به وباب
الاستئذان من ذلك بينا انت في بيتك اذ رعف عليك الباب بواحد من غير استئذان ولا تحية
من تحايا الاسلام ولا الجاهلية وهو ممن سمع ما انزل الله فيه وما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ولكن اين الاذن الواعية وفي قراءة عبد الله حتى تسلموا على اهلها وتستأذنوا وعن ابن عباس

وسعيد بن جبير إنما هو حتى تستأذنوا فأخطأ الكاتب ولا يعول على هذه الرواية وفي قراءة أبي
حتى تستأذنوا لكم ذلكم الاستيذان والتسليم خير لكم من تحية الجاهلية والدمور وهو الدخول بغير
إذن واشتقاقه من الدمار وهو الهلاك كأن صاحبه دامر لعظم ما ارتكب وفي الحديث من سبقت
عينه استيذانه فقد دمر وروي أن رجلا قال للنبي صلى الله عليه وسلم أأستأذن على أمي قال نعم قال
إنها ليس لها خادم غيري أأستأذن عليها كلما دخلت قال أتحب أن تراها عريانة قال الرجل لا قال
فاستأذن لعلكم تذكرون أي أنزل عليكم أو قيل لكم هذا إرادة أن تذكروا وتتعظوا وتعملوا بما
أمرتم به في باب الاستيذان ويحتمل فإن لم تجدوا فيها أحدا من الآذنين فلا تدخلوها حتى يؤذن لكم واصبروا حتى
تجدوا من يأذن لكم ويحتمل فإن لم تجدوا فيها أحدا من أهلها ولكم فيها حاجة فلا تدخلوها
إلا بإذن أهلها وذلك أن الاستيذان لم يشرع لئلا يطلع الداخل على عورة ولا تسبق عينه إلى ما لا يحل
النظر إليه فقط وإنما شرع لئلا يوقف على الأحوال التي يطويها الناس في العادة عن غيرهم ويتحفظون من اطلاع
أحد عليها ولأنه تصرف في ملك غيرك فلا بد من أن يكون برضاه وإلا أشبه الغصب والتغلب وإن قيل لكم ارجعوا
فارجعوا هو أزكى لكم والله بما تعملون عليم فارجعوا أي لا تلحوا في إطلاق الإذن ولا تلجوا في تسهيل الحجاب ولا
تقفوا على الأبواب منتظرين لأن هذا مما يجلب الكراهة ويقدح في قلوب الناس خصوصا إذا كانوا ذوي مروءة و
مرتاضين بالآداب الحسنة وإذا نهي عن ذلك لأدائه إلى الكراهة وجب الانتهاء عن كل ما يؤدي إليها من
قرع الباب بعنف والتصييح بصاحب الدار وغير ذلك مما يدخل في عادات من لم يتهذب من أكثر الناس
وعن أبي عبيد ما قرعت بابا على عالم قط وكفى بقصة بني أسد زاجرة وما نزل فيها من قوله تعالى إن الذين
ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون هل يصح أن يكون المعنى وإن لم يؤذن لكم وأمرتم
بالرجوع فامتثلوا ولا تدخلوا مع كراهتهم بعد أن جزم النهي عن الدخول مع فقد الإذن وحده
من أهل الدار حاضرين وغائبين لم يبق شبهة في كونه منهيا عنه مع انضمام الأمر بالرجوع إلى فقد الإذن
فإذا عرض أمر في دار من حريق أو هجوم سارق أو ظهور منكر يجب إنكاره ذلك مستثنى
بالدليل أي الرجوع أطيب لكم وأطهر لما فيه من سلامة الصدور والبعد من الريبة أو أنفع وأنمى
خيرا ثم أوعد المخاطبين بذلك بأنه عالم بما يأتون وما يذرون مما خوطبوا به فموف جزاءه عليه
ليس عليكم جناح أن تدخلوا بيوتا غير مسكونة فيها متاع لكم والله يعلم ما تبدون وما تكتمون استثنى من البيوت
التي يجب الاستيذان على داخلها ما ليس بمسكون منها وذلك نحو الفنادق وهي الخانات والربط وحوانيت
البياعين والمتاع المنفعة كالاستكنان من الحر والبرد وإيواء الرحال والسلع والشرى والبيع

ويروى أن أبا بكر رضي الله عنه قال يا رسول الله إن الله قد أنزل عليك آية في الاستيذان وإنا نختلف
في تجاراتنا فننزل هذه الخانات أفلا ندخلها إلا بإذن وقيل الخربات يتبرز فيها والمتاع التبرز
يعلم ما تبدون وما تكتمون وعيد للذين يدخلون الخربات والدور الخالية من أهل الريبة قل للمؤمنين
يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم إن الله خبير بما يصنعون من للتبعيض والمراد غض البصر
عما يحرم والاقتصار به على ما يحل وجوز الأخفش أن تكون مزيدة وأباه سيبويه كيف
دخلت في غض البصر دون حفظ الفروج دلالة على أن أمر النظر أوسع ألا ترى أن المحارم لا
بأس بالنظر إلى شعورهن وصدورهن وثديهن وأعضادهن وأسوقهن وأقدامهن وكذلك الجواري
المستعرضات والأجنبية ينظر إلى وجهها وكفيها وقدميها في إحدى الروايتين وأما أمر الفرج
فمضيق وكفاك فرقا أن أبيح النظر إلا ما استثني عنه وحظر الجماع إلا ما استثني منه ويجوز أن
يراد مع حفظها عن الإفضاء إلى ما لا يحل حفظها عن الإبداء وعن ابن زيد كل ما في القرآن من حفظ الفرج
فهو عن الزنا إلا هذا فإنه أراد به الاستتار ثم أخبر أنه خبير بأفعالهم وأحوالهم وكيف يجيلون أبصارهم
وكيف يصنعون بسائر حواسهم وجوارحهم فعليهم إذا عرفوا ذلك أن يكونوا منه على تقوى وحذر في كل حركة
وسكون وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن النساء مأمورات
أيضا بغض الأبصار ولا يحل للمرأة أن تنظر من الأجنبي إلى ما تحت سرته إلى ركبته وإن اشتهت
غضت بصرها رأسا ولا تنظر إلى المرأة إلا إلى مثل ذلك وغضها بصرها من الأجانب أصلا أولى
وأحسن ومنه حديث ابن أم مكتوم عن أم سلمة قالت كنت عند النبي صلى الله عليه وسلم وعنده ميمونة
فأقبل ابن أم مكتوم وذلك بعد أن أمرنا بالحجاب فدخل علينا فقال احتجبا فقلنا يا رسول الله
أليس أعمى لا يبصرنا قال أفعمياوان أنتما ألستما تبصرانه لم قدم غض الأبصار على حفظ
الفروج لأن النظر بريد الزنا ورائد الفجور والبلوى فيه أشد وأكثر ولا يكاد يقدر
على الاحتراس منه الزينة ما تزينت به المرأة من حلي أو كحل أو خضاب فما كان ظاهرا منها كالخاتم
والفتخة والكحل والخضاب فلا بأس بإبدائه للأجانب وما خفي منها كالسوار والخلخال والدملج
والقلادة والإكليل والوشاح والقرط فلا تبديه إلا لهؤلاء المذكورين وذكر الزينة دون
مواقعها للمبالغة في الأمر بالتصون والتستر لأن هذه الزين واقعة على مواضع من الجسد لا يحل
النظر إليها لغير هؤلاء وهي الذراع والساق والعضد والعنق والرأس والصدر والأذن فنهى
عن إبداء الزين نفسها ليعلم أن النظر إذا لم يحل إليها لملابستها تلك المواقع بدليل أن النظر

إليها غير ملابسة لها لا مقال في حله كان النظر إلى المواقع أنفسها متمكنا في الحظر ثابت القدم في الحرمة شاهدا على أن النساء حقهن أن يحتطن في سترها ويتقين الله في الكشف عنها ما تقول في القراميل هل يحل نظر هؤلاء إليها نعم ليس موقعها الظهر ولا يحل لهم النظر إلى ظهرها وبطنها وربما ورد الشعر فوقعت القراميل على ما يحاذي ما تحت السرة الأمر كما قلت ولكن أمر القراميل خلاف أمر سائر الحلي لأنه لا يقع إلا فوق اللباس ويجوز النظر إلى الثوب الواقع على الظهر والبطن للأجانب فضلا عن هؤلاء إلا إذا كان يصف لرقته فلا يحل النظر إليه ولا يحل النظر إلى القراميل واقعة عليه ما المراد بموقع الزينة ذلك العضو كله أم المقدار الذي تلابسه الزينة منه الصحيح أنه العضو كله كما فسرت مواقع الزينة الخفية وكذلك مواقع الزينة الظاهرة الوجه موقع الكحل في عينيه والخضاب بالوسمة في حاجبيه وشاربيه والغمرة في خديه والكف والقدم موقعا الخاتم والفتخة والخضاب بالحناء لم سومح مطلقا في الزينة الظاهرة لأن سترها فيه حرج فإن المرأة لا تجد بدا من مزاولة الأشياء بيديها ومن الحاجة إلى كشف وجهها خصوصا في الشهادة والمحاكمة والنكاح وتضطر إلى المشي في الطرقات وظهور قدميها وخاصة الفقيرات منهن وهذا معنى قوله إلا ما ظهر منها يعني إلا ما جرت العادة والجبلة على ظهوره والأصل فيه الظهور وإنما سومح في الزينة الخفية أولئك المذكورون لما كانوا مختصين به من الحاجة المضطرة إلى مداخلتهم ومخالطتهم ولقلة توقع الفتنة من جهاتهم ولما في الطباع من النفرة عن مماسة القرائب وتحتاج المرأة إلى صحبتهم في الأسفار للنزول والركوب وغير ذلك وليضربن بخمرهن على جيوبهن ولا يبدين زينتهن إلا لبعولتهن أو آبائهن أو آباء بعولتهن أو أبنائهن أو أبناء بعولتهن أو إخوانهن أو بني إخوانهن أو بني أخواتهن أو نسائهن أو ما ملكت أيمانهن أو التابعين غير أولي الإربة من الرجال أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء كانت جيوبهن واسعة تبدو منها نحورهن وصدورهن وما حواليها وكن يسدلن الخمر من ورائهن فتبقى مكشوفة فأمرن بأن يسدلنها من قدامهن حتى يغطينها ويجوز أن يراد بالجيوب الصدور تسمية بما يليها ويلابسها ومنه قولهم ناصح الجيب وقولك ضربت بخمارها على جيبها كقولك ضربت بيدي على الحائط إذا وضعتها عليه وعن عائشة رضي الله عنها ما رأيت نساء خيرا من نساء الأنصار لما نزلت هذه الآية قامت كل واحدة منهن إلى مرطها المرحل فصدعت منه صدعة فاختمرن فأصبحن على رؤوسهن الغربان وقرئ جيوبهن بكسر الجيم لأجل الياء وكذلك بيوتا غير بيوتكم قيل في نسائهن هن المؤمنات لأنه ليس للمؤمنة أن تتجرد بين يدي مشركة أو كتابية عن ابن عباس والظاهر أنه عنى بنسائهن

وما ملكت أيمانهن من في صحبتهن وخدمتهن من الحرائر والإماء والنساء كلهن سواء في حل نظر بعضهن إلى بعض وقيل ما ملكت أيمانهن هم الذكور والإناث جميعا وعن عائشة رضي الله عنها أنها أباحت النظر إليها لعبدها وقالت لذكوان إنك إذا وضعتني في القبر وخرجت فأنت حر وعن سعيد بن المسيب مثله ثم رجع وقال لا تغرنكم آية النور فإن المراد بها الإماء وهذا هو الصحيح لأن عبد المرأة بمنزلة الأجنبي منها خصيا كان أو فحلا وعن ميسون بنت بحدل الكلابية أن معاوية دخل عليها ومعه خصي فتقنعت منه فقال هو خصي فقالت يا معاوية أترى أن المثلة به تحلل ما حرم الله وعند أبي حنيفة رحمه الله لا يحل إمساك الخصيان واستخدامهم وبيعهم وشراؤهم ولم ينقل عن أحد من السلف إمساكهم روي أنه أهدي لرسول الله صلى الله وسلم عليه خصي فقبله لا يقبل فيما تعم به البلوى إلا حديث مكشوف وإن صح فلعله قبله ليعتقه أو لسبب من الأسباب الإربة الحاجة قيل هم الذين يتبعونكم ليصيبوا من فضل طعامكم ولا حاجة لهم إلى النساء لأنهم بله لا يعرفون شيئا من أمرهن أو شيوخ صلحاء إذا كانوا معهن غضوا أبصارهم أو بهم عنانة وقرئ غير بالنصب على الاستثناء أو الحال والجر على الوصفية وضع الواحد موضع الجمع لأنه يفيد الجنس ويبين ما بعده أنه يراد به الجمع ونحوه ثم يخرجكم طفلا لم يظهروا إما من ظهر على الشيء إذا اطلع عليه أي لا يعرفون ما العورة ولا يميزون بينها وبين غيرها وإما من ظهر على فلان إذا قوي عليه وظهر على القرآن أخذه وأطاقه أي لم يبلغوا أوان القدرة على الوطء وقرئ عورات النساء وهي لغة هذيل لم لم يذكر الله الأعمام والأخوال سئل الشعبي عن ذلك فقال لئلا يصفها العم عند ابنه والخال كذلك ومعناه أن سائر القرابات يشترك الأب والابن في المحرمية إلا العم والخال وأبناءهما فإذا رآها الأب فربما وصفها لابنه وليس بمحرم فيداني تصوره لها بالوصف نظره إليها وهذا أيضا من الدلالات البليغة على وجوب الاحتياط عليهن في التستر كانت المرأة تضرب الأرض برجلها ليتقعقع خلخالها فيعلم أنها ذات خلخال وقيل كانت تضرب بإحدى رجليها الأخرى ليعلم أنها ذات خلخالين وإذا نهين عن إظهار صوت الحلي بعد ما نهين عن إظهار الحلي علم بذلك أن النهي عن إظهار مواضع الحلي أبلغ وأبلغ وتوبوا إلى الله جميعا أيها المؤمنون أوامر الله ونواهيه في كل باب لا يكاد العبد الضعيف يقدر على مراعاتها وإن ضبط نفسه واجتهد ولا يخلو من تقصير يقع منه فلذلك وصى المؤمنين جميعا بالتوبة والاستغفار وبتأميل الفلاح إذا تابوا واستغفروا وعن ابن عباس توبوا مما كنتم تفعلونه في الجاهلية لعلكم تسعدون في الدنيا والآخرة قد صحت التوبة بالإسلام والإسلام يجب ما قبله فما معنى هذه التوبة

ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن

اراد بها ما يقول العلماء ان من اذنب ذنبا ثم تاب عنه يلزمه كلما تذكره ان يجدد عنه التوبة
لانه يلزمه ان يستمر على ندمه وعزمه الى ان يلقى ربه وقرئ ايه المؤمنون بضم الهاء ووجهه انها كانت
مفتوحة لوقوعها قبل الالف فلما سقطت الالف لالتقاء الساكنين اتبعت حركتها حركة ما قبلها
وانكحوا الايامى منكم والصالحين من عبادكم وامائكم ان يكونوا فقراء يغنهم الله الايامى واليتامى اصلهما ايايم ويتايم
فقلبا والايم للرجل والمرأة وقد آم وآمت وتأيما اذا لم يتزوجا بكرين كانا او ثيبين قال
فان تنكحي انكح وان تتأيمي وان كنت افتى منكم اتأيم وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم انا
نعوذ بك من العيمة والغيمة والايمة والكزم والقرم والمراد انكحوا من تأيم منكم من الاحرار و
الحرائر ومن كان فيه صلاح من غلمانكم وجواريكم وقرئ من عبيدكم وهذا الامر للندب لما علم من ان النكاح
امر مندوب اليه وقد يكون للوجوب في الاولياء عند طلب المرأة ذلك وعند اصحاب الظواهر النكاح
واجب ومما يدل على كونه مندوبا اليه قوله عليه السلام من احب فطرتي فليستن بسنتي وهي النكاح
وعنه من كان له ما يتزوج به ولم يتزوج فليس منا وعنه اذا تزوج احدكم عج شيطانه يا ويله عصم
ابن آدم مني ثلثي دينه وعنه يا عياض لا تزوجن عجوزا ولا عاقرا فاني مكاثر والاحاديث فيه عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم والآثار كثيرة وربما كان الواجب الترك اذا ادى الى معصية او مفسدة
وعن النبي صلى الله عليه وسلم اذا اتى على امتي مائة وثمانون سنة فقد حلت لهم العزبة والعزلة والترهب
على رؤوس الجبال وفي الحديث يأتي على الناس زمان لا تنال المعيشة فيهم الا بالمعصية فاذا كان ذلك
الزمان حلت العزوبة لم خص الصالحين ليحصن دينهم ويحفظ عليهم صلاحهم ولان الصالحين
من الارقاء هم الذين مواليهم يشفقون عليهم وينزلونهم منزلة الاولاد في الاثرة والمودة فكانوا مظنة
للتوصية بشأنهم والاهتمام بهم وتقبل الوصية فيهم واما المفسدون منهم فحالهم عند مواليهم على عكس
ذلك او اريد بالصلاح القيام بحقوق النكاح ينبغي ان تكون شريطة الله غير منسية في هذا الموعد
ونظائره وهي مشيئته ولا يشاء الحكيم الا ما اقتضته الحكمة وما كان مصلحة ونحوه ومن يتق الله يجعل
له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب وقد جاءت الشريطة منصوصة في قوله وان خفتم عيلة فسوف
يغنيكم الله من فضله ان شاء ان الله عليم حكيم ومن لم ينس هذه الشريطة لم ينتصب معترضا بعزب
كان غنيا فافقره النكاح وبفاسق تاب واتقى الله وكان له شيء ففني واصبح مسكينا وعن النبي
صلى الله عليه وسلم التمسوا الرزق بالنكاح وشكا اليه رجل الحاجة فقال عليك بالباءة وعن عمر رضي الله
عنه عجبت لمن لا يطلب الغنى بالباءة ولقد كان عندنا رجل رازح الحال ثم رأيته بعد سنين وقد

انتعشت حاله وحسنت فسألته فقال كنت في اول امري على ما علمت وذلك قبل ان ارزق ولدا فلما رزقت
بكر ولدي تراخيت عن الفقر فلما ولد لي الثاني زدت خيرا فلما تتاموا ثلثة صب الله علي الخير صبا
فاصبحت الى ما ترى والله واسع اي غني ذو سعة لا يرزؤه اغناء الخلائق ولكنه عليم يبسط الرزق لمن
يشاء ويقدر وليستعفف الذين ولیجتهد في العفة وظلف النفس كان المستعفف طالب من نفسه
العفاف وحاملها عليه لا يجدون نكاحا اي استطاعة تزوج ويجوز ان يراد بالنكاح ما ينكح به من المال
حتى يغنيهم الله من فضله ترجية للمستعففين وتقدمة وعد بالتفضل عليهم بالغنى ليكون انتظار ذلك
وتأميله لطفا لهم في استعفافهم وربطا على قلوبهم وليظهر بذلك ان فضله اولى بالاعفاء وادنى
من الصلحاء وما احسن ما رتب هذه الاوامر حيث امر اولا بما يعصم من الفتنة ويبعد من مواقعة
المعصية وهو غض البصر ثم بالنكاح الذي يحصن به الدين ويقع به الاستغناء بالحلال عن الحرام ثم
بالحمل على النفس الامارة بالسوء وعزفها عن الطموح الى الشهوة عند العجز عن النكاح الى ان يرزق القدرة
عليه والذين يبتغون الكتاب مما ملكت ايمانكم فكاتبوهم ان علمتم فيهم مرفوع بالابتداء او منصوب بفعل مضمر
يفسره فكاتبوهم كقولك زيدا فاضربه ودخلت الفاء لتضمن معنى الشرط والكتاب والمكاتبة كالعتاب
والمعاتبة وهو ان يقول الرجل لمملوكه كاتبتك على الف درهم فان اداها عتق ومعناه كتبت لك
على نفسي ان تعتق مني اذا وفيت بالمال وكتبت لي على نفسك ان تفي بذلك او كتبت عليك الوفاء بالمال
وكتبت على العتق ويجوز عند ابي حنيفة رحمه الله حالا او مؤجلا ومنجما وغير منجم لان الله
تعالى لم يذكر التنجيم وقياسا على سائر العقود وعند الشافعي رحمه الله لا يجوز الا مؤجلا منجما و
لا يجوز عنده بنجم واحد لان العبد لا يملك شيئا فعقده حالا منع من حصول الغرض لانه لا يقدر
على اداء البدل عاجلا ويجوز عقده على مال قليل وكثير وعلى خدمة في مدة معلومة وعلى عمل معلوم
موقت مثل حفر بئر في مكان بعينه معلومة الطول والعرض وبناء دار قد اراه آجرها وجصها وما
تبنى به وان كاتبه على قيمته لم يجز فان اداها عتق وان كانت على وصيف جاز لقلة الجهالة ووجب
الوسط وليس له ان يطأ المكاتبة واذا ادى عتق وكان ولاؤه لمولاه لانه جاد عليه بالكسب الذي هو في
الاصل له وهذا الامر للندب عند عامة العلماء وعن الحسن ليس ذلك بعزم ان شاء كاتب وان
شاء لم يكاتب وعن عمر رضي الله عنه هي عزمة من عزمات الله وعن ابن سيرين مثله وهو مذهب داود
خيرا قدرة على اداء ما يفارقون عليه وقيل امانة وتكسبا وعن سلمان ان مملوكا له ابتغى ان
يكاتبه فقال أعندك مال قال لا قال افتأمرني ان آكل غسالة ايدي الناس وآتوهم من مال الله الذي

آتاكم أمر للمسلمين على وجه الوجوب بإعانة المكاتبين وإعطائهم سهمهم الذي جعل الله لهم من بيت المال
كقوله وفي الرقاب عند أبي حنيفة وأصحابه هل يحل لمولاه إذا كان غنيا أن يأخذ ما تصدق به
عليه نعم وكذلك إذا لم تف الصدقة بجميع البدل وعجز عن أداء الباقي طاب للمولى ما أخذه لأنه لم يأخذه
بسبب الصدقة ولكن بسبب عقد المكاتبة كمن اشترى الصدقة من الفقير أو ورثها أو وهبت له ومنه
قوله عليه السلام في حديث بريرة هو لها صدقة ولنا هدية. وعند الشافعي رحمه الله هو إيجاب على الموالي
أن يحطوا لهم من مال الكتابة وإن لم يفعلوا أجبروا. وعن علي رضي الله عنه يحط له الربع وعن ابن عباس
يرضخ له من كتابته شيئا. وعن عمر رضي الله عنه أنه كاتب عبدا له يكنى أبا أمية وهو أول عبد كوتب في
الإسلام فأتاه بأول نجم فدفعه إليه عمر وقال استعن به على مكاتبتك فقال لو أخرته إلى آخر نجم فقال
أخاف أن لا أدرك ذلك. وهذا عند أبي حنيفة رحمه الله على وجه الندب وقال إنه عقد معاوضة فلا
يجبر على الحطيطة كالبيع. وقيل معنى وآتوهم أسلفوهم. وقيل أنفقوا عليهم بعد أن يؤدوا ويعتقوا
وهذا كله مستحب. وروي أنه كان لحويطب بن عبد العزى مملوك يقال له الصبيح سأل مولاه أن يكاتبه
فأبى فنزلت. ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء إن أردن تحصنا لتبتغوا عرض الحياة الدنيا ومن يكرههن فإن الله من
بعد إكراههن. كانت إماء أهل الجاهلية يساعين على مواليهن وكان لعبد الله بن أبي رأس النفاق
ست جوار معاذة ومسيكة وأميمة وعمرة وأروى وقتيلة يكرههن على البغاء وضرب عليهن
ضرائب فشكت اثنتان منهن إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت. ويكنى بالفتى والفتاة
عن العبد والأمة. وفي الحديث ليقل أحدكم فتاي وفتاتي ولا يقل عبدي وأمتي. البغاء مصدر
البغي. لم أقحم قوله إن أردن تحصنا لأن الإكراه لا يتأتى إلا مع إرادة التحصن
وآمر الطيعة المواتية للبغاء لا يسمى مكرها ولا أمره إكراها. وكلمة إن وإيثارها على إذا إيذان
بأن المساعيات كن يفعلن ذلك برغبة وطواعية منهن وأن ما وجد من معاذة ومسيكة من
حيز الشاذ النادر. غفور رحيم لهم أو لهن أو لهم ولهن إن تابوا وأصلحوا. وفي قراءة ابن عباس لهن غفور
رحيم. لا حاجة إلى تعليق المغفرة بهن لأن المكرهة على الزنا بخلاف المكره عليه في أنها
غير آثمة. لعل الإكراه كان دون ما اعتبرته الشريعة من إكراه بقتل أو بما يخاف منه
التلف أو ذهاب العضو من ضرب عنيف أو غيره حتى تسلم من الإثم وربما قصرت عن الحد الذي
تعذر فيه فتكون آثمة. ولقد أنزلنا إليكم آيات مبينات ومثلا من الذين خلوا من قبلكم. مبينات هي الآيات
التي بينت في هذه السورة وأوضحت في معاني الأحكام والحدود ويجوز أن يكون الأصل مبينا

فيها فاتسع في الظرف. وقرئ بالكسر أي بينت هي الأحكام والحدود وجعل الفعل لها على المجاز أو من
بين بمعنى تبين ومنه المثل قد بين الصبح لذي عينين. ومثلا من أمثال من قبلكم أي قصة عجيبة من
قصصهم كقصة يوسف ومريم يعني قصة عائشة رضي الله عنها. وموعظة للمتقين ما وعظ به في الآيات
والمثل من نحو قوله ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله، لولا إذ سمعتموه، ولولا إذ سمعتموه، يعظكم الله أن
تعودوا لمثله أبدا. نظير قوله الله نور السموات والأرض مع قوله مثل نوره ويهدي الله لنوره قولك زيد كرم
وجود ثم تقول ينعش الناس بكرمه وجوده. والمعنى ذو نور السموات وصاحب نور السموات ونور السموات و
الأرض الحق شبهه بالنور في ظهوره وبيانه كقوله الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور أي من الباطل
إلى الحق. وأضاف النور إلى السموات والأرض لأحد معنيين إما للدلالة على سعة إشراقه وفشو إضاءته حتى
تضيء له السموات والأرض وإما أن يراد أهل السموات والأرض وأنهم يستضيئون به. مثل نوره أي صفة نوره
العجيبة الشأن في الإضاءة كمشكاة كصفة مشكاة وهي الكوة في الجدار غير النافذة. فيها مصباح سراج
ضخم ثاقب. في زجاجة أراد قنديلا من زجاج شامي أزهر. شبهه في زهرته بأحد الدراري من الكواكب
وهي المشاهير كالمشتري والزهرة والمريخ وسهيل ونحوها. المصباح في زجاجة الزجاجة كأنها كوكب دري. توقد
هذا المصباح. من شجرة أي ابتداء ثقوبه من شجرة الزيتون يعني رويت ذبالته بزيتها. مباركة كثيرة المنافع
أو لأنها تنبت في الأرض التي بارك فيها للعالمين وقيل بارك فيها سبعون نبيا منهم إبراهيم عليه السلام. و
عن النبي عليه السلام عليكم بهذه الشجرة زيت الزيتون فتداووا به فإنه مصحة من الباسور. زيتونة لا شرقية و
لا غربية يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار أي منبتها الشام وأجود الزيتون زيتون الشام. وقيل لا في
مضحى ولا في مقنأة ولكن الشمس والظل يتعاقبان عليها وذلك أجود لحملها وأصفى لدهنها. قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم لا خير في شجرة في مقنأة ولا نبات في مقنأة ولا خير فيهما في مضحى. وقيل ليست
مما تطلع عليه الشمس في وقت شروقها أو غروبها فقط بل تصيبها بالغداة والعشي جميعا فهي شرقية و
غربية. ثم وصف الزيت بالصفاء والوبيص وأنه لتلألئه يكاد يضيء من غير نار. نور على نور أي هذا
الذي شبهت به الحق نور متضاعف قد تناصر فيه المشكاة والزجاجة والمصباح والزيت حتى لم
يبق مما يقوي النور ويزيده إشراقا ويمده بإضاءة بقية. وذلك أن المصباح إذا كان في مكان متضايق
كالمشكاة كان أضوأ له وأجمع لنوره بخلاف المكان الواسع فإن الضوء ينبث فيه وينتشر والقنديل
أعون شيء على زيادة الإنارة وكذلك الزيت وصفاؤه. يهدي الله لنوره لهذا النور الثاقب من يشاء من
عباده أي يوفق لإصابة الحق من نظر وتدبر بعين عقله والإنصاف من نفسه ولم يذهب عن الجادة الموصلة

إليه يمينا وشمالا ومن لم يتدبر فهو كالأعمى سواء عليه جنح الليل الدامس وضحوة النهار الشامس وعن علي رضي الله عنه
الله نور السموات والارض اي نشر فيها الحق وبثه فاضاءت بنوره او نور قلوب اهلها به وعن ابي بن كعب مثل نوره
من آمن به وقرئ زجاجة الزجاجة بالفتح والكسر ودري منسوب الى الدر اي ابيض متلالئ ودرّيء بوزن
سكيت يدرأ الظلام بضوئه ودَرّيء كمريق ودُرّيء كالسكينة عن ابي زيد وتوقد بمعنى تتوقد
والفعل للزجاجة ويوقد وتوقد بالتخفيف ويوقّد بالتشديد ويَوَقّد بفتح الياء وحذف التاء لاجتماع
حرفين زائدين وهو غريب وتسنده بالياء لان التانيث غير حقيقي والضمير فاصل ويضرب الله الامثال
للناس والله بكل شيء عليم في بيوت اذن الله ان ترفع في بيوت يتعلق بما قبله اي كمشكاة في بعض بيوت الله
وهي المساجد كانه قيل مثل نوره كما ترى في المسجد نور المشكاة التي من صفتها كيت وكيت او بما بعده و
هو يسبح اي يسبح له رجال في بيوت وفيها تكرير كقولك زيد في الدار جالس فيها او بمحذوف كقوله في تسع آيات
اي سبحوا في بيوت والمراد بالاذن الامر ورفعها بناؤها كقوله بناها رفع سمكها فسواها واذ يرفع ابرهيم القواعد
وعن ابن عباس هي المساجد امر الله ان تبنى او تعظيمها والرفع من قدرها وعن الحسن ما امر الله ان ترفع بالبناء
ولكن بالتعظيم ويذكر فيها اسمه اوفق له وهو عام في كل ذكر وعن ابن عباس وان يتلى فيه كتابه وقرئ يسبح
على البناء للمفعول ويسند الى احد الظروف الثلاثة اعني له فيها بالغدو والآصال ورجال مرفوع بما دل عليه
يسبح وهو يسبح له وتسبح بالتاء وكسر الباء وعن ابي جعفر بالتاء وفتح الباء ووجهها ان يسند
الى اوقات الغدو والآصال على زيادة الباء وتجعل الاوقات مسبحة والمراد ربها كصيد عليه
يومان والمراد وحشهما والآصال جمع اصيل وهو العشي والمعنى باوقات الغدو اي بالغدوات و
قرئ والايصال وهو الدخول في الاصيل يقال آصل كاظهر واعتم لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله واقام
الصلوة وايتاء الزكوة يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والابصار التجارة صناعة التاجر وهو الذي يبيع
ويشترى للربح فاما ان يريد لا يشغلهم نوع من هذه الصناعة ثم خص البيع لانه في الالهاء ادخل
من قبل ان التاجر اذا تجهت له بيعة رابحة وهي طلبته الكلية من صناعته الهته ما يلهيه شراء
شيء يتوقع فيه الربح في الوقت الثاني لان هذا يقيني وذاك مظنون واما ان يسمي الشراء تجارة
اطلاقا لاسم الجنس على النوع كما تقول رزق فلان تجارة رابحة اذا اتجه له بيع صالح او شراء وقيل
التجارة لاهل الجلب تجر فلان في كذا اذا جلبه التاء في اقامة عوض من العين الساقطة للاعلال والاصل
اقوام فلما اضيفت اقيمت الاضافة مقام حرف التعويض فاسقطت ونحوه واخلفوك عد الامر
الذي وعدوا وتقلب القلوب والابصار اما ان تتقلب وتتغير في انفسها وهو ان تضطرب من

الهول والفزع وتشخص كقوله واذ زاغت الابصار وبلغت القلوب الحناجر واما ان تتقلب احوالها
وتتغير فتفقه القلوب بعد ان كانت مطبوعا عليها لا تفقه وتبصر الابصار بعد ان كانت عميا لا تبصر
ليجزيهم الله احسن ما عملوا اي احسن جزاء اعمالهم كقوله للذين احسنوا الحسنى والمعنى يسبحون ويخافون ليجزيهم
ثوابهم مضاعفا ويزيدهم على الثواب تفضلا وكذلك معنى قوله الحسنى وزيادة المثوبة الحسنى وزيادة
عليها من التفضل وعطاء الله عز وجل اما تفضل واما ثواب واما عوض والله يرزق ما يتفضل به بغير حساب
فاما الثواب فله حساب لكونه على حسب الاستحقاق والذين كفروا اعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى اذا جاءه
لم يجده شيئا ووجد الله عنده فوفاه حسابه والله سريع الحساب السراب ما يرى في الفلاة من ضوء الشمس
وقت الظهيرة يسرب على وجه الارض كانه ماء يجري والقيعة بمعنى القاع او جمع قاع وهو المنبسط المستوي
من الارض كجيرة في جار وقرئ بقيعات بتاء ممطوطة كديمات وقيمات في ديمة وقيمة وقد جعل
بعضهم بقيعاة بتاء مدورة كرجل عزهاة شبه ما يعمله من لا يعتقد الايمان ولا يتبع الحق من الاعمال
الصالحة التي يحسبها تنفعه عند الله وتنجيه من عذابه ثم تخيب في العاقبة امله ويلقى خلاف ما قدر
بسراب يراه الكافر بالساهرة وقد غلبه عطش يوم القيمة فيحسبه ماء فياتيه فلا يجد ما رجاه
ويجد زبانية الله عنده ياخذونه فيعتلونه الى جهنم فيسقونه الحميم والغساق وهم الذين قال الله
فيهم عاملة ناصبة ويحسبون انهم يحسنون صنعا وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا
وقيل نزلت في عتبة بن ربيعة بن امية قد كان تعبد ولبس المسوح والتمس الدين في الجاهلية ثم كفر في الاسلام
او كظلمات في بحر لجي يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض اذا اخرج يده لم يكد يراها
ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور اللجي العميق الكثير الماء منسوب الى اللج وهو معظم ماء البحر وفي
اخرج ضمير الواقع فيه لم يكد يراها مبالغة في لم يرها اي لم يقرب ان يراها فضلا عن ان يراها ومثله
قول ذي الرمة اذا غير النأي المحبين لم يكد رسيس الهوى من حب مية يبرح اي لم يقرب من
البراح فما باله يبرح شبه اعمالهم اولا في فوات نفعها وحضور ضررها بسراب لم يجده من خدعه من
بعيد شيئا ولم يكفه خيبة وكمدا ان لم يجده شيئا كغيره من السراب حتى وجد عنده الزبانية تعتله
الى النار ولا تقتل ظماه بالماء وشبهها ثانيا في ظلمتها وسوادها لكونها باطلة وفي خلوها عن
نور الحق بظلمات متراكمة في لج البحر والامواج والسحاب ثم قال ومن لم يوله نور توفيقه وعصمته
ولطفه فهو في ظلمة الباطل لا نور له وهذا الكلام مجراه مجرى الكنايات لان الالطاف انما تردف
الايمان والعمل او كونهما مترقبين الا ترى الى قوله والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وقوله ويضل

الله الظالمين وقرئ سحاب ظلمات على الإضافة وسحاب ظلمات برفع سحاب وتنوينه وجر ظلمات بدلا
من ظلمات الأولى ألم تر أن الله يسبح له من في السموات والأرض والطير صافات يصففن أجنحتهن في الهواء و كل
الضمير في علم لكل أو لله وكذلك في صلاته وتسبيحه والله عليم بما يفعلون ولله ملك السموات والأرض وإلى الله
المصير والصلاة الدعاء ولا يبعد أن يلهم الله الطير دعاءه وتسبيحه كما ألهمها سائر العلوم الدقيقة
التي لا يكاد العقلاء يهتدون إليها يزجي سحابا ثم يؤلف بينه ثم يجعله ركاما فترى الودق يخرج يسوق
ومنه البضاعة المزجاة التي يزجيها كل أحد لا يرضاها والسحاب يكون واحدا كالعماء وجمعا كالرباب
ومعنى تأليف الواحد أن يكون قزعا فيضم بعضه إلى بعض وجاز بينه وهو واحد لأن المعنى بين أجزائه كما قيل
في قوله بين الدخول فحومل والركام المتراكم بعضه فوق بعض والودق المطر من خلاله من فتوقه ومخارجه
جمع خلل كجبال في جبل وقرئ من خلله وينزل من السماء من جبال فيها من برد فيصيب به من يشاء ويصرفه عن من
يشاء يكاد سنا برقه يذهب بالأبصار يقلب الله الليل والنهار إن في ذلك لعبرة لأولي الأبصار وينزل بالتشديد
ويكاد سنا على الإدغام وبرقه جمع برقة وهي المقدار من البرق كالغرفة واللقمة وبرقه بضمتين للإتباع
كما قيل في جمع فعلة فعلات كظلمات وسناء برقه على المد المقصور بمعنى الضوء والممدود بمعنى العلو
والارتفاع من قولك سني للمرتفع ويذهب بالأبصار على زيادة الباء كقوله ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة
عن أبي جعفر المدني وهذا من تعديد الدلائل على ربوبيته وظهور أمره حيث ذكر تسبيح من في السموات
والأرض وكل ما يطير بين السماء والأرض ودعاءهم له وابتهالهم إليه وأنه سخر السحاب التسخير الذي
وصفه وما يحدث فيه من أفعاله حتى ينزل المطر منه وأنه يقسم رحمته بين خلقه ويقبضها ويبسطها على
ما تقتضيه حكمته ويريهم البرق في السحاب الذي يكاد يخطف أبصارهم ليعتبروا ويحذروا ويعاقب
بين الليل والنهار ويخالف بينهما بالطول والقصر وما هذه إلا براهين في غاية الوضوح على وجوده وثباته
ودلائل منادية على صفاته لمن نظر وفكر وتبصر وتدبر   متى رأى رسول الله صلى الله
عليه وسلم تسبيح من في السموات ودعاءهم وتسبيح الطير ودعاءه وتنزيل المطر من جبال برد في السماء
حتى قيل ألم تر   علمه من جهة إخبار الله إياه بذلك على طريق الوحي   ما الفرق بين من
الأولى والثانية والثالثة في قوله من السماء من جبال فيها من برد   الأولى لابتداء الغاية
والثانية للتبعيض والثالثة للبيان أو الأوليان للابتداء والآخرة للتبعيض ومعناه أنه ينزل
البرد من السماء من جبال فيها وعلى الأول مفعول ينزل من جبال   ما معنى من جبال فيها من
برد   فيه معنيان أحدهما أن يخلق الله في السماء جبال برد كما خلق في الأرض جبال حجر و

الثاني أن يريد الكثرة بذكر الجبال كما يقال فلان يملك جبالا من ذهب والله خلق كل دابة من ماء فمنهم من يمشي على
بطنه ومنهم من يمشي على رجلين ومنهم من يمشي على أربع يخلق الله ما يشاء إن الله على كل شيء قدير لقد أنزلنا آيات مبينات
والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم وقرئ خلق كل دابة ولما كان اسم الدابة موقعا على المميز وغير المميز
غلب المميز فأعطي ما وراءه حكمه كأن الدواب كلهم مميزون فمن ثم قيل فمنهم وقيل من يمشي في الماشي على
بطن والماشي على أربع قوائم   لم نكر الماء في قوله من ماء   لأن المعنى أنه خلق كل دابة من
نوع من الماء مختص بتلك الدابة أو خلقها من ماء مخصوص وهو النطفة ثم خالف بين المخلوقات من النطفة
فمنها هوام ومنها بهائم ومنها ناس ونحوه قوله يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الأكل
فما باله معرفا في قوله وجعلنا من الماء كل شيء حي   قصد ثم معنى آخر وهو أن أجناس الحيوان كلها
مخلوقة من هذا الجنس الذي هو جنس الماء وذلك أنه هو الأصل وإن تخللت بينه وبينها وسائط قالوا
خلق الملائكة من ريح خلقها من الماء والجن من نار خلقها منه وآدم من تراب خلقه منه   لم جاءت
الأجناس الثلاثة على هذا الترتيب   قدم ما هو أعرف في القدرة وهو الماشي بغير آلة مشي من أرجل
أو قوائم ثم الماشي على رجلين ثم الماشي على أربع   لم سمي الزحف على البطن مشيا   على سبيل
الاستعارة كما قالوا في الأمر المستمر قد مشى هذا الأمر ويقال فلان لا يتمشى له أمر ونحوه استعارة
الشفة مكان الجحفلة والمشفر مكان الشفة ونحو ذلك أو على طريق المشاكلة لذكر الزاحف مع الماشين
ويقولون آمنا بالله وبالرسول وأطعنا ثم يتولى فريق منهم من بعد ذلك وما أولئك بالمؤمنين إشارة إلى القائلين
آمنا وأطعنا أو إلى الفريق المتولي منهم فمعناه على الأول إعلام من الله بأن جميعهم منتف عنهم الإيمان لا الفريق
المتولي وحده وعلى الثاني إعلام بأن الفريق المتولي لم يكن ما سبق لهم من الإيمان إيمانا إنما كان ادعاء
باللسان من غير مواطأة القلب لأنه لو كان صادرا عن صحة معتقد وطمأنينة نفس لم يتعقبه التولي
والإعراض والتعريف في قوله بالمؤمنين دلالة على أنهم ليسوا بالمؤمنين الذين عرفت وهم الثابتون المستقيمون
على الإيمان الموصوفون في قوله تعالى إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا ومعنى وإذا دعوا
إلى الله ورسوله إلى رسول الله كقولك أعجبني زيد وكرمه تريد كرم زيد ومنه قوله غلسته قبل القطا
وفرطه أراد قبل فرط القطا ليحكم بينهم إذا فريق منهم معرضون وإن يكن لهم الحق يأتوا إليه مذعنين أفي قلوبهم مرض
أم ارتابوا أم يخافون أن يحيف الله عليهم ورسوله روي أنها نزلت في بشر المنافق وخصمه اليهودي حين اختصما
في أرض فجعل اليهودي يجره إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم والمنافق يجره إلى كعب بن الأشرف ويقول إن
محمدا يحيف علينا وروي أن المغيرة بن وائل كان بينه وبين علي بن أبي طالب رضي الله عنه خصومة في ماء

وأرض فقال المغيرة: أما محمد فلست آتيه ولا أحاكم إليه فإنه يبغضني وأنا أخاف أن يحيف علي. إليه
صلة بأتوك لأن أتى وجاء قد جاءا معديين بإلى أو يتصل بمذعنين لأنه في معنى مسرعين في الطاعة.
وهذا أحسن لتقدم صلته ودلالته على الاختصاص والمعنى أنهم لمعرفتهم أنه ليس معك إلا الحق المر
والعدل البحت يزورون عن المحاكمة إليك إذا ركبهم الحق لئلا تنتزعه من أحداقهم بقضائك عليهم لخصومهم
وإن ثبت لهم حق على خصم أسرعوا إليك ولم يرضوا إلا بحكومتك لتأخذ لهم ما ذاب لهم في ذمة الخصم. ثم
قسم الأمر في صدودهم عن حكومته إذا كان الحق عليهم بين أن يكونوا مرضى القلوب منافقين أو مرتابين في
أمر نبوته أو خائفين الحيف في قضائه. ثم أبطل خوفهم حيفه بقوله بل أولئك هم الظالمون أي لا يخافون أن
يحيف عليهم لمعرفتهم بحاله وإنما هم ظالمون يريدون أن يظلموا من له الحق عليهم ويتم لهم جحوده. وذلك شيء
لا يستطيعونه في مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم فمن ثم يأبون المحاكمة إليه. وعن الحسن. إنما كان قول
المؤمنين إذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم أن يقولوا سمعنا وأطعنا وأولئك هم المفلحون. قول المؤمنين بالرفع
والنصب أقوى لأن أولى الاسمين بكونه اسما لكان أوغلهما في التعريف وأن يقولوا أوغل لأنه لا سبيل عليه
للتنكير بخلاف قول المؤمنين وكان هذا من قبيل كان في قوله ما كان لله أن يتخذ من ولد ما يكون لنا أن نتكلم
بهذا. وقرئ ليحكم على البناء للمفعول   إلا أن أسند يحكم ولا بد له من فاعل   هو مسند إلى
مصدره لأن معناه ليفعل الحكم بينهم ومثله جمع بينهما وألف بينهما لقد تقطع بينكم فيمن قرأ بينكم منصوبا
أي وقع التقطع بينكم. وهذه القراءة مجاوبة لقوله دعوا. قرئ ويتقه بكسر القاف والهاء مع الوصل وبغير
وصل وبسكون الهاء وبسكون القاف وكسر الهاء شبه تقه بكتف فخفف كقوله
قالت سليمى اشتر لنا سويقا. ولقد جمع الله سبحانه في هذه الآية أسباب الفوز. وعن ابن عباس في تفسيرها
ومن يطع الله في فرائضه ورسوله في سننه ويخش الله على ما مضى من ذنوبه ويتقه فيما يستقبل. وعن بعض الملوك أنه
سأل عن آية كافية فتليت له هذه الآية. فأولئك هم الفائزون. وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن أمرتهم ليخرجن قل لا
تقسموا. جهد أيمانهم مستعار من جهد نفسه إذا بلغ أقصى وسعها وذلك إذا بالغ في اليمين وبلغ غاية
شدتها ووكادتها. وعن ابن عباس: من قال بالله فقد جهد يمينه. وأصل أقسم جهد اليمين أقسم يجهد اليمين
جهدا فحذف الفعل وقدم المصدر فوضع موضعه مضافا إلى المفعول كقوله فضرب الرقاب وحكم
هذا المنصوب حكم الحال كأنه قال جاهدين أيمانهم. وطاعة معروفة خبر مبتدأ محذوف أو مبتدأ محذوف
الخبر أي أمركم والذي يطلب منكم طاعة معروفة معلومة لا يشك فيها ولا يرتاب كطاعة الخلص من
المؤمنين الذين طابق باطن أمرهم ظاهره لا أيمان تقسمون بها بأفواهكم وقلوبكم على خلافها أو طاعتكم

طاعة معروفة بأنها بالقول دون الفعل أو طاعة معروفة أمثل وأولى بكم من هذه الأيمان الكاذبة. وقرأ
اليزيدي طاعة معروفة بالنصب على معنى أطيعوا طاعة. إن الله خبير بما تعملون يعلم ما في ضمائركم ولا يخفى عليه
شيء من سرائركم وإنه فاضحكم لا محالة ومجازيكم على نفاقكم. قل أطيعوا الله وأطيعوا الرسول فإن تولوا فإنما عليه
ما حمل وعليكم ما حملتم وإن تطيعوه تهتدوا وما على الرسول إلا البلاغ المبين. صرف الكلام عن الغيبة إلى الخطاب على
طريقة الالتفات وهو أبلغ في تبكيتهم. يريد فإن تتولوا فما ضررتموه وإنما ضررتم أنفسكم فإن الرسول ليس عليه
إلا ما حمله الله وكلفه من أداء الرسالة فإذا أدى فقد خرج عن عهدة تكليفه وأما أنتم فعليكم ما كلفتم
من التلقي بالقبول والإذعان فإن لم تفعلوا وتوليتم فقد عرضتم نفوسكم لسخط الله وعذابه وإن أطعتموه
فقد أحرزتم نصيبكم من الخروج عن الضلالة إلى الهدى. فالنفع والضرر عائدان إليكم وما الرسول إلا ناصح
وهاد وما عليه إلا أن يبلغ ما له نفع في قبولكم ولا عليه ضرر في توليكم. والبلاغ بمعنى التبليغ كالأداء بمعنى
التأدية ومعنى المبين كونه مقرونا بالآيات والمعجزات. وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض
كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا. الخطاب لرسول الله
صلى الله عليه وسلم ولمن معه ومنكم للبيان كالتي في آخر سورة الفتح. وعدهم الله أن ينصر الإسلام على
الكفر ويورثهم الأرض ويجعلهم خلفاء كما فعل ببني إسرائيل حين أورثهم مصر والشام بعد إهلاك
الجبابرة وأن يمكن الدين المرتضى وهو دين الإسلام وتمكينه تثبيته وتوطيده وأن يؤمن سربهم ويزيل
عنهم الخوف الذي كانوا عليه وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه مكثوا بمكة عشر سنين
خائفين ولما هاجروا كانوا بالمدينة يصبحون في السلاح ويمسون فيه حتى قال رجل: ما يأتي علينا يوم
نأمن فيه ونضع السلاح. فقال عليه السلام: لا تغبرون إلا يسيرا حتى يجلس الرجل منكم في الملأ العظيم
محتبيا ليس فيه حديدة. فأنجز الله وعده وأظهرهم على جزيرة العرب وافتتحوا بلاد المشرق والمغرب
ومزقوا ملك الأكاسرة وملكوا خزائنهم واستولوا على الدنيا. ثم خرج الذين على خلاف سيرتهم فكفروا
بتلك الأنعم وفسقوا وذلك قوله عليه السلام: الخلافة بعدي ثلاثون سنة ثم يملك الله من يشاء
فيصير ملكا. ثم تصير بزيزى قطع سبيل وسفك دماء وأخذ أموال بغير حقها. وقرئ كما استخلف
على البناء للمفعول وليبدلنهم بالتشديد.   أين القسم المتلقى باللام والنون في ليستخلفنهم
هو محذوف تقديره وعدهم الله وأقسم ليستخلفنهم أو نزل وعد الله في تحققه منزلة القسم
فتلقي بما يتلقى به القسم كأنه أقسم الله ليستخلفنهم   ما محل يعبدونني لا يشركون بي شيئا
إن جعلته استئنافا لم يكن له محل كأن قائلا قال ما لهم يستخلفون ويؤمنون فقال يعبدونني ونحن

وان جعلته حالا عن وعدهم اى وعدهم الله ذلك فى حال عبادتهم واخلاصهم فمحله النصب ومن كفر يريد كفران
النعمة كقوله فكفرت بانعم الله فاولئك هم الفاسقون اى هم الكاملون فى فسقهم حيث كفروا تلك النعمة العظيمة
وجسروا على غمطها هل فى هذه الآية دليل على امر الخلفاء الراشدين اوضح دليل وابينه
لان المستخلفين الذين آمنوا وعملوا الصالحات هم هم واقيموا الصلوة وآتوا الزكوة واطيعوا الرسول لعلكم ترحمون
معطوف على اطيعوا الله واطيعوا الرسول وليس ببعيد ان يقع بين المعطوف والمعطوف عليه فاصل وان طال لان
حق المعطوف ان يكون غير المعطوف عليه وكررت طاعة الرسول تاكيدا لوجوبها وقرئ لا يحسبن الذين كفروا
بالياء وفيه اوجه ان يكون معجزين فى الارض هما المفعولان والمعنى لا يحسبن الذين كفروا احدا يعجز الله فى
الارض حتى يطمعوا هم فى مثل ذلك وهذا معنى قوى جيد وان يكون فيه ضمير الرسول لتقدم ذكره فى قوله و
اطيعوا الرسول وان يكون الاصل لا يحسبنهم الذين كفروا معجزين ثم حذف الضمير الذى هو المفعول الاول
وكان الذى سوغ ذلك ان الفاعل والمفعولين لما كانت لشىء واحد اقتنع بذكر اثنين عن ذكر الثالث وعطف
قوله ومأويهم النار ولبئس المصير على لا يحسبن الذين كفروا معجزين كانه قيل الذين كفروا لا يفوتون الله ومأويهم
النار والمراد بهم المقسمون جهد ايمانهم يا ايها الذين آمنوا ليستأذنكم الذين ملكت ايمانكم والذين لم يبلغوا الحلم منكم
امر بان يستأذن العبيد وقيل العبيد والاماء والاطفال الذين لم يحتلموا من الاحرار ثلث مرات فى اليوم
والليلة قبل صلوة الفجر لانه وقت القيام من المضاجع وطرح ما ينام فيه من الثياب ولبس ثياب اليقظة و
بالظهيرة لانها وقت وضع الثياب للقائلة وبعد صلوة العشاء لانه وقت التجرد من ثياب اليقظة و
الالتحاف بثياب النوم وسمى كل واحدة من هذه الاحوال عورة لان الناس يختل تسترهم وتحفظهم فيها و
العورة الخلل ومنها اعور الفارس واعور المكان والاعور المختل العين ثم عذرهم فى ترك الاستيذان وراء
هذه المرات وبين وجه العذر فى قوله ليس عليكم ولا عليهم جناح بعدهن طوافون عليكم بعضكم على بعض كذلك يبين
الله لكم الآيات والله عليم حكيم طوافون عليكم يعنى ان بكم وبهم حاجة الى المخالطة والمداخلة يطوفون عليكم
للخدمة وتطوفون عليهم للاستخدام فلو جزم الامر بالاستيذان فى كل وقت لادى الى الحرج وروى
ان مدلج بن عمرو كان غلاما انصاريا ارسله رسول الله صلى الله عليه وسلم وقت الظهر الى عمر رضى الله عنه
ليدعوه فدخل عليه وهو نائم وقد انكشف عنه ثوبه فقال عمر لوددت ان الله عز وجل نهى آباءنا وابناءنا
وخدمنا ان لا يدخلوا علينا هذه الساعات الا باذن ثم انطلق معه الى النبى عليه السلام فوجده وقد
انزلت عليه هذه الآية وهى احدى الآيات المنزلة بسبب عمر وقيل نزلت فى اسماء بنت ابى مرثد قالت
انا لندخل على الرجل والمراة ولعلهما يكونان فى لحاف واحد وقيل دخل عليها غلام لها كبير فى وقت كرهت

من قبل صلوة الفجر وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة ومن بعد صلوة العشاء ثلث عورات لكم

دخوله فاتت رسول الله فقالت ان خدمنا وغلماننا يدخلون علينا فى حال نكرهها وعن ابى عمرو الحلم
بالسكون وقرئ ثلث عورات بالنصب بدلا عن ثلث مرات اى اوقات ثلث عورات وعن الاعمش عورات على
لغة هذيل ما محل ليس عليكم اذا رفعت ثلث عورات كان ذلك فى محل الرفع على الوصف والمعنى
هن ثلث عورات مخصوصة بالاستيذان فاذا نصبت لم يكن له محل وكان كلاما مقررا للامر بالاستيذان
فى تلك الاحوال خاصة بم ارتفع بعضكم بالابتداء وخبره على بعض على معنى طائف على بعض
وحذف لان طوافون يدل عليه ويجوز ان ترتفع بيطوف مضمرا لتلك الدلالة واذا بلغ الاطفال منكم الحلم فليستأذنوا
كما استأذن الذين من قبلهم كذلك يبين الله لكم آياته والله عليم حكيم الاطفال منكم اى من الاحرار دون المماليك الذين
من قبلهم يريد الذين بلغوا الحلم من قبلهم وهم الرجال او الذين ذكروا من قبلهم فى قوله يا ايها الذين آمنوا لا تدخلوا
بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا الآية والمعنى ان الاطفال مأذون لهم فى الدخول بغير اذن الا فى العورات
الثلث فاذا اعتاد الاطفال ذلك ثم خرجوا من حد الطفولة بان يحتلموا او يبلغوا السن التى يحكم فيها عليهم
بالبلوغ وجب ان يفطموا عن تلك العادة ويحملوا على ان يستأذنوا فى جميع الاوقات كما الرجال الكبار الذين
لم يعتادوا الدخول عليكم الا باذن وهذا مما الناس منه فى غفلة وهو عندهم كالشريعة المنسوخة وعن
ابن عباس آية لا يؤمن بها اكثر الناس آية الاذن وانى لآمر جاريتى ان تستأذن على وسأله عطاء
استأذن على اختى قال نعم وان كانت فى حجرك تمونها وتلا هذه الآية وعنه ثلاث آيات جحدهن الناس
الاذن كله وقوله ان اكرمكم عند الله اتقيكم فقال ناس اعظمكم بيتا وقوله واذا حضر القسمة وعن ابن مسعود
عليكم ان تستأذنوا على آبائكم وامهاتكم واخواتكم وعن الشعبى ليست منسوخة فقيل ان الناس لا يعملون
بها فقال الله المستعان وعن سعيد بن جبير يقولون هى منسوخة لا والله ما هى منسوخة ولكن الناس
تهاونوا بها ما السن التى يحكم فيها بالبلوغ قال ابو حنيفة رحمه الله ثمانى عشرة سنة
فى الغلام وسبع عشرة فى الجارية وعامة العلماء على خمس عشرة فيهما وعن على رضى الله عنه انه كان يعتبر القامة
ويقدره بخمسة اشبار وبه اخذ الفرزدق ما زال مذ عقدت يداه ازاره وسما فادرك خمسة الاشبار
واعتبر غيره الانبات وعن عثمان رضى الله عنه انه سئل عن غلام فقال هل اخضر ازاره والقواعد من النساء
اللاتى لا يرجون نكاحا فليس عليهن جناح ان يضعن ثيابهن غير
متبرجات بزينة وان يستعففن خير لهن والله سميع عليم القاعد التى قعدت عن الحيض والولد لكبرها لا يطمعن فيه والمراد بالثياب الثياب الظاهرة
كالملحفة والجلباب الذى فوق الخمار غير متبرجات بزينة غير مظهرات زينة يريد الزينة الخفية التى
ارادها فى قوله ولا يبدين زينتهن الا لبعولتهن او غير قاصدات بالوضع التبرج ولكن التخفف اذا احتجن اليه

والاستعفاف من الوضع خير لهن، لما ذكر الجائز عقبه بالمستحب بعثاً منه على اختيار أفضل الأعمال وأحسنها
كقوله وأن تعفوا أقرب للتقوى وأن تصدقوا خير لكم ما حقيقة التبرج تكلّف إظهار ما يجب
إخفاؤه من قولهم سفينة بارج لا غطاء عليها والبرج سعة العين يرى بياضها محيطاً بسوادها كله لا
يغيب منه شيء، إلا أنه اختص بأن تتكشف المرأة للرجال بإبداء زينتها وإظهار محاسنها وبدا وبرز بمعنى
ظهر من أخوات تبرج وتبلج كذلك ليس على الأعمى حرج ولا على الأعرج حرج ولا على المريض حرج ولا على أنفسكم أن تأكلوا
من بيوتكم أو بيوت آبائكم أو بيوت أمهاتكم أو بيوت إخوانكم أو بيوت أخواتكم أو بيوت أعمامكم أو بيوت عماتكم أو بيوت أخوالكم
أو بيوت خالاتكم أو ما ملكتم مفاتحه كان المؤمنون يذهبون بالضعفاء وذوي العاهات إلى بيوت أزواجهم
وأولادهم وإلى بيوت قراباتهم وأصدقائهم فيطعمونهم منها فخالج قلوب المطعَمين والمطعِمين ريبة في ذلك وخافوا
أن يلحقهم فيه حرج وكرهوا أن يكون أكلاً بغير حق لقوله تعالى ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل فقيل لهم ليس
على الضعفاء ولا على أنفسكم يعني عليكم وعلى من في مثل حالكم من المؤمنين حرج في ذلك وعن عكرمة كانت
الأنصار في أنفسها قزازة فكانت لا تأكل من هذه البيوت إذا استغنوا وقيل كان هؤلاء يتوقون
مجالسة الناس ومؤاكلتهم لما عسى يؤدي إلى الكراهة من قبلهم ولأن الأعمى ربما سبقت يده إلى ما سبقت
عين أكيله إليه وهو لا يشعر والأعرج يتفسح في مجلسه ويأخذ أكثر من موضعه فيضيق على جليسه والمريض لا يخلو
من رائحة تؤذي أو جرح يبض أو أنف يذن ونحو ذلك وقيل كانوا يخرجون إلى الغزو ويخلفون الضعفاء
في بيوتهم ويدفعون إليهم المفاتيح ويأذنون لهم أن يأكلوا من بيوتهم فكانوا يتحرجون يحكى عن الحارث بن عمرو
أنه خرج غازياً وخلف مالك بن زيد في بيته وماله فلما رجع رآه مجهوداً فقال ما أصابك قال لم يكن عندي
شيء ولم يحل لي أن آكل من مالك فقيل ليس على هؤلاء الضعفاء حرج فيما تحرجوا عنه ولا عليكم أن تأكلوا
من هذه البيوت وهذا كلام صحيح وكذلك إذا فسر بأن هؤلاء ليس عليهم حرج في القعود عن الغزو ولا عليكم
أن تأكلوا من البيوت المذكورة لالتقاء الطائفتين في أن كل واحدة منهما منفي عنها الحرج ومثال هذا
أن يستفتيك مسافر عن الإفطار في رمضان وحاج مفرد عن تقديم الحلق على النحر فقلت ليس على المسافر
حرج أن يفطر ولا عليك يا حاج أن تقدم الحلق على النحر هلا ذكر الأولاد دخل ذكرهم تحت
قوله من بيوتكم لأن ولد الرجل بعضه وحكمه حكم نفسه وفي الحديث إن أطيب ما يأكل المرء من كسبه
وإن ولده من كسبه ومعنى من بيوتكم من البيوت التي فيها أزواجكم وعيالكم ولأن الولد أقرب ممن عدد
من القرابات فإذا كان سبب الرخصة هو القرابة كان الذي هو أقرب منهم أولى ما معنى أو ما ملكتم
مفاتحه أموال الرجل إذا كان له عليها قيم ووكيل يحفظها له أن يأكل من ثمر بستانه ويشرب من

لبن ماشيته، وملك المفاتح كونها في يده وحفظه، وقيل بيوت المماليك لأن مال العبد لمولاه وقرئ مفتاحه
ما معنى أو صديقكم معناه أو بيوت أصدقائكم والصديق يكون واحداً وجمعاً وكذلك
الخليط والقطين والعدو. يحكى عن الحسن أنه دخل داره وإذا حلقة من أصدقائه وقد استلوا سلالاً من
تحت سريره فيها الخبيص وأطايب الأطعمة وهم مكبون عليها يأكلون فتهللت أسارير وجهه سروراً وضحك
وقال هكذا وجدناهم هكذا وجدناهم يريد كبراء الصحابة ومن لقيهم من البدريين وكان الرجل منهم يدخل
دار صديقه وهو غائب فيسأل جاريته كيسه فيأخذ ما شاء فإذا حضر مولاها فأخبرته أعتقها سروراً بذلك
وعن جعفر بن محمد من عظم حرمة الصديق أن جعله الله من الأنس والثقة والانبساط وطرح الحشمة بمنزلة
النفس والأب والأخ والابن وعن ابن عباس الصديق أكبر من الوالدين إن الجهنميين لما استغاثوا لم
يستغيثوا بالآباء والأمهات فقالوا فما لنا من شافعين ولا صديق حميم وقالوا إذا دل ظاهر الحال على رضى
المالك قام ذلك مقام الإذن الصريح وربما سمج الاستئذان وثقل كمن قدم إليه طعام فاستأذن
صاحبه في الأكل منه ليس عليكم جناح أن تأكلوا جميعاً أو أشتاتاً فإذا دخلتم بيوتاً من هذه البيوت لتأكلوا فسلموا
على أنفسكم فابدءوا بالسلام على أهلها الذين هم منكم ديناً وقرابة تحية من عند الله مباركة طيبة كذلك يبين
الله لكم الآيات لعلكم تعقلون أي ثابتة بأمره مشروعة من لدنه أو لأن التسليم والتحية طلب سلامة و
حياة للمسلَّم عليه والمحيّى من عند الله ووصفها بالبركة والطيب لأنها دعوة مؤمن لمؤمن يرجى بها
من الله زيادة الخير وطيب الرزق وعن أنس قال خدمت رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر سنين و
روي تسع سنين فما قال لي لشيء فعلته لم فعلته ولا قال لي لشيء كسرته لم كسرته وكنت واقفاً على رأسه
أصب الماء على يديه فرفع رأسه فقال ألا أعلمك ثلاث خصال تنتفع بها قلت بلى بأبي وأمي يا رسول
الله قال متى لقيت من أمتي أحداً فسلم عليه يطل عمرك وإذا دخلت بيتك فسلم عليهم يكثر خير بيتك
وصل صلاة الضحى فإنها صلاة الأبرار الأوابين وقالوا إن لم يكن في البيت أحد فليقل السلام علينا
من ربنا السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين السلام على أهل البيت ورحمة الله وعن ابن عباس
إذا دخلت المسجد فقل السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين تحية من عند الله وانتصب تحية بسلموا
لأنها في معنى تسليماً كقولك قعدت جلوساً إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله وإذا كانوا معه على أمر جامع
لم يذهبوا حتى يستأذنوه أراد عز وجل أن يريهم عظم الجناية في ذهاب الذاهب عن مجلس رسول الله صلى الله
عليه وسلم بغير إذنه إذا كانوا معه على أمر جامع فجعل ترك ذهابهم حتى يستأذنوه ثالث الإيمان بالله
والإيمان برسوله وجعلهما كالتشبيب له والبساط لذكره وذلك مع تصدير الجملة بإنما وإيقاع المؤمنين

مبتداء مخبرا عنه بموصول احاطت صلته بذكر الايمانين ثم عقبه بما يزيده توكيدا وتشديدا حيث اعاده على اسلوب آخر وهو قوله ان الذين يستاذنونك اولئك الذين يؤمنون بالله ورسوله وضمنه شيئا آخر وهو انه جعل الاستيذان كالمصداق لصحة الايمانين وعرض بحال المنافقين وتسللهم لواذا ومعنى قوله لم يذهبوا حتى يستاذنوه لم يذهبوا حتى يستاذنوه ويأذن لهم الا ترى كيف علق الامر بعد وجود استيذانهم بمشيئته واذنه لمن استصوب ان ياذن له والامر الجامع الذي يجمع له الناس فوصف الامر بالجمع على سبيل المجاز وذلك نحو مقاتلة عدو او تشاور في خطب مهم او تضام لارهاب مخالف او تماسح في حلف وغير ذلك او الامر الذي يعم بضرره او بنفعه وقرئ امر جميع وفي قوله اذا كانوا معه على امر جامع انه خطب جليل لا بد لرسول الله فيه من ذوي راي وقوة يظاهرونه عليه ويعاونونه ويستضيء بآرائهم ومعارفهم وتجاربهم في كفايته فمفارقة احدهم في مثل تلك الحال مما يشق على قلبه ويشعب عليه رايه فمن ثم غلظ عليهم وضيق عليهم الامر في الاستيذان مع العذر المبسوط ومساس الحاجة اليه واعتراض ما يهمهم ويعنيهم وذلك قوله لبعض شانهم فاذن لمن شئت منهم واستغفر لهم الله ان الله غفور رحيم وذكر الاستغفار للمستاذنين دليل على ان الاحسن الافضل ان لا يحدثوا انفسهم بالذهاب ولا يستاذنوا فيه وقيل نزلت في حفر الخندق وكان قوم يتسللون بغير اذن وقالوا كذلك ينبغي ان يكون الناس مع ائمتهم ومقدميهم في الدين والعلم يظاهرونهم ولا يخذلونهم في نازلة من النوازل ولا يتفرقون عنهم والامر في الاذن مفوض الى الامام ان شاء اذن وان شاء لم ياذن على حسب ما اقتضاه رايه لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا قد يعلم الله الذين اذا احتاج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى اجتماعكم عنده لامر فدعاكم فلا تفرقوا عنه الا باذنه ولا تقيسوا دعاءه اياكم على دعاء بعضكم بعضا ورجوعكم عن المجمع بغير اذن الداعي او لا تجعلوا تسميته ونداءه بينكم كما يسمي بعضكم بعضا ويناديه باسمه الذي سماه به ابواه ولا تقولوا يا محمد ولكن يا نبي الله ويا رسول الله مع التوقير والتعظيم والصوت المخفوض والتواضع ويحتمل لا تجعلوا دعاء الرسول ربه مثل ما يدعو صغيركم كبيركم وفقيركم غنيكم يساله حاجة فربما اجابه وربما رده فان دعوات رسول الله مسموعة مستجابة يتسللون قليلا قليلا ونظير تسلل تدرج وتدخل واللواذ الملاوذة وهو ان يلوذ هذا بذاك وذاك بهذا يعني يتسللون عن الجماعة في الخفية على سبيل الملاوذة واستتار بعضهم ببعض ولواذا حال اي ملاوذين وقيل كان بعضهم يلوذ بالرجل اذا استاذن فياذن له فينطلق الذي لم يؤذن له معه وقرئ لواذا بالفتح يقال خالفه الى الامر اذا ذهب اليه دونه ومنه قوله تعالى وما اريد ان اخالفكم الى ما انهاكم عنه وخالفه عن الامر اذا صد عنه دونه ومعنى الذين يخالفون عن امره الذين يصدون عن امره دون المؤمنين وهم المنافقون فحذف المفعول لان الغرض ذكر المخالف والمخالف عنه الضمير في امره لله سبحانه او للرسول

عليه السلام والمعنى عن طاعته ودينه ان تصيبهم فتنة محنة في الدنيا او يصيبهم عذاب اليم في الآخرة وعن ابن عباس فتنة قتل وعن عطاء زلازل واهوال وعن جعفر بن محمد يسلط عليهم سلطان جائر الا ان لله ما في السموات والارض قد يعلم ادخل قد ليؤكد علمه بما هم عليه من المخالفة عن الدين والنفاق ومرجع توكيد العلم الى توكيد الوعيد وذلك ان قد اذا دخلت على المضارع كانت بمعنى ربما فوافقت ربما في خروجها الى معنى التكثير في نحو قوله

فان تمس مهجور الفناء فربما اقام به بعد الوفود وفود

ونحوه قول زهير

اخي ثقة لا تهلك الخمر ماله ولكنه قد يهلك المال نائله

والمعنى ان جميع ما في السموات والارض مختصة به خلقا وملكا وعلما فكيف يخفى عليه احوال المنافقين وان كانوا يجتهدون في سترها عن العيون واخفائها وسينبئهم يوم القيمة بما ابطنوا من سوء اعمالهم وسيجازيهم حق جزائهم والخطاب والغيبة في قوله قد يعلم ما انتم عليه ويوم يرجعون اليه فينبئهم بما عملوا والله بكل شيء عليم يجوز ان يكونا جميعا للمنافقين على طريقة الالتفات ويجوز ان يكون ما انتم عليه عاما ويرجعون للمنافقين والله اعلم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة النور اعطي من الاجر عشر حسنات بعدد كل مؤمن ومؤمنة فيما مضى وفيما بقي

سورة الفرقان مكية وهي سبعون وسبع آيات

بسم الله الرحمن الرحيم تبارك الذي نزل الفرقان على عبده البركة كثرة الخير وزيادته ومنها تبارك الله وفيه معنيان تزايد خيره وتكاثر او تزايد عن كل شيء وتعالى عنه في صفاته وافعاله والفرقان مصدر فرق بين الشيئين اذا فصل بينهما وسمي به القرآن لفصله بين الحق والباطل او لانه لم ينزل جملة واحدة ولكن مفروقا مفصولا بين بعضه وبعض في الانزال الا ترى الى قوله وقرآنا فرقناه لتقرأه على الناس على مكث ونزلناه تنزيلا وقد جاء الفرق بمعناه قال

ومشركي كافر بالفرق

وعن ابن الزبير على عباده وهم رسول الله وامته كما قال لقد انزلنا اليكم قولوا آمنا بالله وما انزل الينا والضمير في ليكون لعبده او للفرقان ويعضد رجوعه الى القرآن قراءة ابن الزبير للعالمين للجن والانس نذيرا اي مخوفا او انذارا كالنكير بمعنى الانكار ومنه قوله فكيف كان عذابي ونذر الذي له ملك السموات والارض ولم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في الملك رفع على الابدال من الذي نزل او رفع على المدح او نصب عليه فان قلت كيف جاز الفصل بين البدل والمبدل منه قلت ما فصل بينهما بشيء لان المبدل منه صلته نزل وليكون تعليل له فكان المبدل منه لا يتم الا به فان قلت في الخلق معنى التقدير فما معنى قوله وخلق كل شيء فقدره تقديرا كانه وقدر كل شيء فقدره قلت المعنى انه احدث كل شيء احداثا مراعى فيه التقدير والتسوية فقدره وهيأه لما يصلح له مثاله انه خلق الانسان على هذا الشكل المقدر المسوى الذي تراه فقدره للتكاليف والمصالح المنوطة به في بابي الدين والدنيا وكذلك كل حيوان وجماد جاء به

على الجبلة المستوية المقدرة بأمثلة الحكمة والتدبير فقدره لأمر ما ومصلحة مطابقا لما قدر له غير متجاف
عنه أو سمي إحداث الله خلقا لأنه لا يحدث شيئا لحكمته إلا على وجه التقدير من غير تفاوت فإذا قيل
خلق الله كذا فهو بمنزلة قولك أحدث وأوجد من غير نظر إلى وجه الاشتقاق فكأنه قيل وأوجد كل شيء
فقدره في إيجاده لم يوجده متفاوتا وقيل فجعل له غاية ومنتهى ومعناه فقدره للبقاء إلى أمد معلوم و
اتخذوا من دونه آلهة لا يخلقون شيئا وهم يخلقون الخلق بمعنى الافتعال كما في قوله إنما تعبدون من دون الله
أوثانا وتخلقون إفكا والمعنى أنهم آثروا على عبادة الله سبحانه عبادة آلهة لا عجز أبين من عجزهم لا يقدرون
على شيء من أفعال الله ولا من أفعال العباد حيث لا يفتعلون شيئا وهم يفتعلون لأن عبدتهم يصنعونهم بالنحت
والتصوير ولا يملكون موتا ولا حياة ولا نشورا وقال الذين كفروا إن هذا إلا إفك افتراه وأعانه عليه أي لا يستطيعون
لأنفسهم دفع ضرر عنها وجلب نفع إليها وهم يستطيعون وإذا عجزوا عن الافتعال ودفع الضرر وجلب النفع
التي يقدر عليها العباد كانوا عن الموت والحياة والنشور التي لا يقدر عليها إلا الله أعجز قوم آخرون هم
اليهود وقيل عداس مولى حويطب بن عبد العزى ويسار مولى العلاء بن الحضرمي وأبو فكيهة الرومي
قال ذلك النضر بن الحارث بن عبد الدار جاء وأتى يستعملان في معنى فعل فيعديان تعديته وقد يكون على معنى
وردوا كما تقول جئت المكان ويجوز أن يحذف الجار ويوصل الفعل وظلمهم أن جعلوا العربي يتلقن من العجمي
الرومي كلاما عربيا أعجز بفصاحته جميع فصحاء العرب والزور أن بهتوه بنسبة ما هو بريء منه إليه
وقالوا أساطير الأولين اكتتبها فهي تملى عليه بكرة وأصيلا أساطير الأولين ما سطره المتقدمون من نحو أحاديث
رستم واسفنديار جمع أسطار وأسطورة كأحدوثة اكتتبها كتبها لنفسه وأخذها كما تقول استكب الماء و
اصطبه إذا سكبه وصبه لنفسه وأخذه وقرئ اكتتبها على البناء للمفعول والمعنى اكتتبها كاتب له لأنه
كان أميا لا يكتب بيده وذلك من تمام إعجازه ثم حذفت اللام فأفضى الفعل إلى الضمير فصار اكتتبها إياه
كاتب كقوله واختار موسى قومه ثم بني الفعل للضمير الذي هو إياه فانقلب مرفوعا مستترا بعد أن كان
بارزا منصوبا وبقي ضمير الأساطير على حاله فصار اكتتبها كما ترى كيف قيل اكتتبها فهي تملى عليه
وإنما يقال أمليت عليه فهو يكتتبها فيه وجهان أحدهما أراد اكتتابها أو طلبه فهي تملى عليه أو كتبت له
وهو أمي فهي تملى عليه أي تلقى عليه من كتابه يتحفظها لأن صورة الإلقاء على الحافظ كصورة الإلقاء على الكاتب
وعن الحسن أنه قول الله سبحانه يكذبهم وإنما يستقيم أن لو فتحت الهمزة للاستفهام الذي في معنى الإنكار
ووجهه أن يكون نحو قوله أفرح إن أرزأ الكرام وحق الحسن أن يقف على الأولين بكرة وأصيلا أي
دائما أو في الخفية قبل أن ينتشر الناس وحين يأوون إلى مساكنهم أي يعلم كل سر خفي في السموات والأرض

فقد جاءوا ظلما وزورا

قل أنزله الذي يعلم السر

إنه كان غفورا رحيما ومن جملته ما تسرون أنتم من الكيد لرسوله مع علمكم أن ما تقولونه باطل وزور وكذلك
باطن أمر رسول الله وبراءته مما تبهتونه به وهو يجازيكم ويجازيه على ما علم منكم وعلم منه كيف طابق قوله
إنه كان غفورا رحيما هذا المعنى لما كان ما تقدمه في معنى الوعيد عقبه بما يدل على القدرة عليه لأنه
لا يوصف بالمغفرة والرحمة إلا القادر على العقوبة أو هو تنبيه على أنهم استوجبوا بمكابرتهم هذه أن يصب
عليهم العذاب صبا ولكن صرف ذلك عنهم أنه غفور رحيم يمهل ولا يعاجل ما لهذا الرسول وقعت اللام في
المصحف مفصولة عن هذا خارجة عن أوضاع الخط العربي وخط المصحف سنة لا تغير وفي هذا استهانة
وتصغير لشأنه وتسميته بالرسول سخرية منهم وطنز كأنهم قالوا ما لهذا الزاعم أنه رسول ونحوه قول فرعون
إن رسولكم الذي أرسل إليكم لمجنون أي إن صح أنه رسول الله فما باله حاله مثل حالنا يأكل الطعام ويمشي
في الأسواق لولا أنزل إليه ملك فيكون معه نذيرا أو يلقى إليه كنز أو تكون له جنة يأكل منها وقال الظالمون إن
تتبعون إلا رجلا كما نأكل ويتردد في الأسواق لطلب المعاش كما نتردد يعنون أنه كان يجب أن يكون
ملكا مستغنيا عن الأكل والتعيش ثم نزلوا عن اقتراحهم أن يكون ملكا إلى اقتراح أن يكون إنسانا معه ملك
حتى يتساندا في الإنذار والتخويف ثم نزلوا أيضا فقالوا وإن لم يكن مرفودا بملك فليكن مرفودا بكنز
يلقى إليه من السماء يستظهر به ولا يحتاج إلى تحصيل المعاش ثم نزلوا فاقتنعوا بأن يكون رجلا له بستان
يأكل منه ويرتزق كالدهاقين والمياسير أو يأكلون هم من ذلك البستان فينتفعون به في دنياهم ومعاشهم
وأراد بالظالمين إياهم بأعيانهم وضع الظاهر موضع المضمر ليسجل عليهم بالظلم فيما قالوا وقرئ فيكون
بالرفع أو يكون له جنة بالياء ونأكل بالنون ما وجها الرفع والنصب في فيكون النصب
لأنه جواب لولا بمعنى هلا وحكمه حكم الاستفهام والرفع على أنه معطوف على أنزل ومحله الرفع ألا تراك
تقول لولا ينزل بالرفع وقد عطف عليه يلقى وتكون مرفوعين ولا يجوز النصب فيهما لأنهما في حكم الواقع بعد
لولا ولا يكون إلا مرفوعا والقائلون هم كفار قريش النضر بن الحارث وعبد الله بن أبي أمية ونوفل
بن خويلد ومن ضامهم مسحورا سحر فغلب على عقله أو ذا سحر وهو الرئة عنوا أنه بشر لا ملك انظر كيف
ضربوا لك الأمثال أي قالوا فيك تلك الأقوال واخترعوا لك تلك الصفات والأحوال النادرة من نبوة
مشتركة بين إنسان وملك وإلقاء كنز عليك من السماء وغير ذلك فبقوا متحيرين ضلالا لا يجدون قولا
يستقرون عليه أو فضلوا عن الحق فلا يجدون طريقا إليه تبارك الذي إن شاء جعل لك خيرا من ذلك جنات
تجري من تحتها الأنهار ويجعل لك قصورا تكاثر خير الذي إن شاء وهب لك في الدنيا خيرا مما قالوا وهو
أن يعجل لك مثل ما وعدك في الآخرة من الجنات والقصور وقرئ ويجعل بالرفع عطفا على جعل لأن

فلا يستطيعون سبيلا

الشرط اذا وقع ماضيا جاز في جزائه الجزم والرفع كقوله وان اتاه خليل يوم مسألة يقول لا غائب
مالي ولا حرم ويجوز في ويجعل لك اذا ادغمت ان يكون اللام في تقدير الجزم والرفع جميعا وقرئ بالنصب
على انه جواب الشرط بالواو بل كذبوا بالساعة واعتدنا لمن كذب بالساعة سعيرا عطف على ما حكى عنهم يقول بل اتوا
باعجب من ذلك كله وهو تكذيبهم بالساعة ويجوز ان يتصل بما يليه كانه قال بل كذبوا بالساعة فكيف يلتفتون
الى هذا الجواب وكيف يصدقون بتعجيل مثل ما وعدك في الآخرة وهم لا يؤمنون بالآخرة السعير النار
الشديدة الاستعار وعن الحسن انه اسم من اسماء جهنم اذا رأتهم من قولهم دورهم تتراءى وتتناظر
(من مكان بعيد)
ومن قوله عليه السلام لا تتراءى ناراهما كأن بعضها يرى بعضا على سبيل المجاز والمعنى اذا كانت منهم بمرأى
الناظر في البعد سمعوا لها تغيظا وزفيرا واذا القوا منها مكانا ضيقا مقرنين دعوا هنالك ثبورا صوت غليانها
وشبه ذلك بصوت المتغيظ والزافر ويجوز ان يراد اذا رأتهم زبانيتها تغيظوا وزفروا غضبا على الكفار
وشهوة للانتقام منهم الكرب مع الضيق كما ان الروح مع السعة ولذلك وصف الله الجنة بان عرضها
السموات والارض وجاء في الاحاديث ان لكل مؤمن من القصور والجنان كذا وكذا ولقد جمع الله على اهل
النار انواع التضييق والارهاق حيث القاهم في مكان ضيق يتراصون فيه تراصا كما روي عن ابن عباس
في تفسيره انه يضيق عليهم كما يضيق الزج في الرمح وهم مع ذلك الضيق مسلسلون مقرنون في السلاسل
قرنت ايديهم الى اعناقهم في الجوامع وقيل يقرن مع كل كافر شيطانه في سلسلة وفي ارجلهم الاصفاد
والثبور الهلاك ودعاؤه ان يقال واثبوراه اي تعال يا ثبور فهذا حينك وزمانك لا تدعوا اليوم ثبورا
واحدا اي يقال لهم ذلك وهم احقاء بان يقال لهم وان لم يكن ثمة قول ومعنى وادعوا ثبورا كثيرا انكم وقعتم
فيما ليس ثبوركم فيه واحدا انما هو ثبور كثير اما لان العذاب انواع والوان كل نوع منها ثبور لشدته
وفظاعته او لانهم كلما نضجت جلودهم بدلوا غيرها فلا غاية لهلاكهم قل اذلك خير ام جنة الخلد التي وعد
المتقون كانت لهم جزاء ومصيرا لهم فيها ما يشاؤن خالدين كان على ربك وعدا مسئولا الراجع الى الموصولين محذوف
يعني وعدها المتقون وما يشاؤنه وانما قيل كانت لان ما وعده الله وحده فهو في تحققه كانه قد كان
او كان مكتوبا في اللوح قبل ان برأهم بازمنة متطاولة ان الجنة جزاؤهم ومصيرهم ما معنى قوله
(برأهم)
كانت لهم جزاء ومصيرا هو كقوله نعم الثواب وحسنت مرتفقا فمدح الثواب ومكانه كما قال بئس الشراب
وساءت مرتفقا فذم العقاب ومكانه لان النعيم لا يتم للمتنعم الا بطيب المكان وسعته وموافقته للمراد و
الشهوة والا تنغص وكذلك العقاب يتضاعف بغثاثة الموضع وضيقه وظلمته وجمعه لاسباب الاجتواء والكراهة
فلذلك ذكر المصير مع ذكر الجزاء والضمير في كان لما يشاؤن والوعد الموعود اي كان ذلك موعودا واجبا على

ربك انجازه حقيقا ان يسأل ويطلب لانه جزاء واجر مستحق وقيل قد سأله الناس والملائكة
في دعواتهم ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة ربنا وادخلهم جنات
عدن التي وعدتهم ويوم يحشرهم فيقول كلاهما بالنون والياء وقرئ يحشرهم بكسر الشين وما يعبدون من دون
الله فيقول أانتم اضللتم عبادي هؤلاء ام هم ضلوا السبيل يريد المعبودين من الملائكة والمسيح وعزير وعن الكلبي
الاصنام ينطقها الله ويجوز ان يكون عاما لهم جميعا كيف صح استعمال ما في العقلاء (هو موضوع)
على العموم للعقلاء وغيرهم بدليل قولك اذا رأيت شبحا من بعيد ما هو فاذا قيل لك انسان قلت ح من هو
ويدلك قولهم من لما يعقل او اريد به الوصف كانه قيل ومعبوديهم الا تراك تقول اذا اردت السؤال عن
صفة زيد ما زيد تعني اطويل ام قصير افقيه ام طبيب ما فائدة انتم وهم وهلا قيل أضللتم عبادي
هؤلاء ام ضلوا السبيل ليس السؤال عن الفعل ووجوده لانه لولا وجوده لما توجه هذا العتاب وانما
هو عن متوليه فلا بد من ذكره وايلائه حرف الاستفهام حتى يعلم انه المسئول عنه فالله سبحانه
قد سبق علمه بالمسئول عنه فما فائدة هذا السؤال فائدته ان يجيبوا بما اجابوا به حتى يبكت عبدتهم
بتكذيبهم اياهم فيبهتوا وينخذلوا وتزيد حسرتهم ويكون ذلك نوعا مما يلحقهم من غضب الله وعذابه ويغتبط المؤمنون
ويفرحوا بحالهم ونجاتهم من فضيحة اولئك وليكون حكاية ذلك في القرآن لطفا للمكلفين وفيه كسر بين لقول
من يزعم ان الله يضل عباده على الحقيقة حيث يقول للمعبودين من دونه أانتم اضللتموهم ام هم ضلوا
بانفسهم فيتبرؤن من اضلالهم ويستعيذون به ان يكونوا مضلين ويقولون بل انت تفضلت من غير سابقة
على هؤلاء وآبائهم تفضل جواد كريم فجعلوا النعمة التي حقها ان تكون سبب الشكر سبب الكفر ونسيان الذكر
وكان ذلك سبب هلاكهم فاذا برأت الملائكة والرسل انفسهم من نسبة الاضلال الذي هو عمل الشياطين
اليهم واستعاذوا منه فهم لربهم الغني العدل اشد تبرئة وتنزيها منه ولقد نزهوه حين اضافوا اليه
التفضل بالنعمة والتمتيع بها واسندوا نسيان الذكر والتسبب به للبوار الى الكفرة فشرحوا الاضلال المجازي
الذي اسنده الله الى ذاته في قوله يضل من يشاء ولو كان هو المضل على الحقيقة لكان الجواب العتيد
ان يقولوا بل انت اضللتهم والمعنى أانتم اوقعتموهم في الضلال عن طريق الحق ام هم ضلوا عنه بانفسهم
وضل مطاوع اضله وكان القياس ضل عن السبيل الا انهم تركوا الجار كما تركوه في هداه الطريق و
الاصل الى الطريق او للطريق وقولهم اضل البعير في معنى جعله ضالا اي ضائعا لما كان اكثر ذلك بتفريط
من صاحبه وقلة احتياط في حفظه قيل اضله سواء كان منه فعل او لم يكن قالوا سبحانك ما كان ينبغي لنا
ان نتخذ من دونك من اولياء ولكن متعتهم وآباءهم حتى نسوا الذكر وكانوا قوما بورا سبحانك تعجب منهم قد تعجبوا

مما قيل لهم لانهم ملائكة وانبياء معصومون فما ابعدهم عن الاضلال الذي مختص بابليس وجنوده او نطقوا
بسبحانك ليدلوا على انهم المسبحون المقدسون الموسومون بذلك فكيف يليق بحالهم ان يضلوا عباده او قصدوا
به تنزيهه عن الانداد وان يكون له ملك او نبي او غيرهما ندا ثم قالوا ما كان يصح لنا ولا يستقيم ونحن معصومون
ان نتولى احدا دونك فكيف يصح لنا ان نحمل غيرنا على ان يتولونا دونك او ما كان ينبغي لنا ان نكون امثال الشياطين
في توليهم الكفار كما تولاهم الكفار قال الله تعالى فقاتلوا اولياء الشيطان يريد الكفرة وقال والذين
كفروا اولياؤهم الطاغوت وقرا ابو جعفر المدني نتخذ على البناء للمفعول وهذا الفعل اعني اتخذ يتعدى
الى مفعول واحد كقولك اتخذ وليا والى مفعولين كقولك اتخذ فلانا وليا قال الله تعالى ام اتخذوا
آلهة من الارض وقال واتخذ الله ابرهيم خليلا فالقراءة الاولى من المتعدي الى واحد وهو من اولياء
والاصل ان نتخذ اولياء فزيدت من لتاكيد معنى النفي والثانية من المتعدي الى مفعولين فالاول ما
بني له الفعل والثاني من اولياء ومن للتبعيض اي لا نتخذ بعض اولياء وتنكير اولياء من حيث انهم مخصوصون
وهم الجن والاصنام والذكر ذكر الله والايمان به او القرآن والشرائع والبور الهلاك يوصف به الواحد
والجمع ويجوز ان يكون جمع بائر كعائذ وعوذ فقد كذبوكم بما تقولون فما يستطيعون صرفا ولا نصرا ومن يظلم منكم
نذقه عذابا كبيرا هذه المفاجاة بالاحتجاج والالزام حسنة رائعة وخاصة اذا انضم اليها الالتفات وحذف
القول ونحوها قوله عز وعلا يا اهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم على فترة من الرسل ان تقولوا ما جاءنا
من بشير ولا نذير فقد جاءكم بشير ونذير وقول القائل قالوا خراسان اقصى ما يراد بنا
ثم القفول فقد جئنا خراسانا وقرئ تقولون بالتاء والياء فمعنى من قرا بالتاء فقد كذبوكم بقولكم انهم
آلهة ومعنى من قرا بالياء فقد كذبوكم بقولهم سبحانك ما كان ينبغي لنا ان نتخذ من دونك من اولياء
هل يختلف حكم الباء مع التاء والياء اي والله هي مع التاء كقوله بل كذبوا بالحق والجار
والمجرور بدل من الضمير كانه قيل فقد كذبوا بما تقولون وهي مع الياء كقولك كتبت بالقلم وقرئ يستطيعون
بالتاء والياء ايضا يعني فما تستطيعون انتم يا كفار صرف العذاب عنكم وقيل الصرف التوبة وقيل
الحيلة من قولهم انه ليتصرف اي يحتال او فما يستطيع آلهتكم ان يصرفوا عنكم العذاب او ان يحتالوا لكم و
ما ارسلنا قبلك من المرسلين الا انهم لياكلون الطعام ويمشون في الاسواق وجعلنا بعضكم لبعض الخطاب على
العموم للمكلفين والعذاب الكبير لاحق بكل من ظلم والكافر ظالم لقوله ان الشرك لظلم عظيم والفاسق
ظالم لقوله ومن لم يتب فاولئك هم الظالمون وقرئ يذقه بالياء وفيه ضمير الله او ضمير مصدر يظلم
الجملة بعد الا صفة لموصوف محذوف والمعنى وما ارسلنا قبلك احدا من المرسلين الا آكلين وماشين

وانما حذف اكتفاء بالجار والمجرور اعني من المرسلين ونحوه قوله عز من قائل وما منا الا له مقام معلوم
على معنى وما منا احد وقرئ ويمشون على البناء للمفعول اي تمشيهم حوائجهم او الناس ولو قرئ يمشون لكان
اوجه لولا الرواية وقيل هو احتجاج على من قال مال هذا الرسول ياكل الطعام ويمشي في الاسواق فتنة
اي محنة وابتلاء وهذا تصبير لرسول الله صلى الله عليه وسلم على ما قالوه واستبدعوه من اكله الطعام و
مشيه في الاسواق بعدما احتج عليهم بسائر الرسل يقول وجرت عادتي وموجب حكمتي على ابتلاء بعضكم ايها
الناس ببعض والمعنى انه ابتلى المرسلين بالمرسل اليهم وبمناصبتهم لهم العداوة واقاويلهم الخارجة عن حد الانصاف
وانواع اذاهم وطلب منهم الصبر الجميل ونحوه ولتسمعن من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين اشركوا
اذى كثيرا وان تصبروا وتتقوا فان ذلك من عزم الامور وموقع اتصبرون وكان ربك بصيرا بعد ذكر الفتنة
موقع ايكم بعد الابتلاء في قوله ليبلوكم ايكم احسن عملا بصيرا عالما بالصواب فيما يبتلي به وغيره
فلا يضيقن صدرك ولا يستخفنك اقاويلهم فان في صبرك عليها سعادتك وفوزك في الدارين و
قيل هو تسلية له عما عيروه به من الفقر حين قالوا او يلقى اليه كنز او تكون له جنة وانه جعل الاغنياء
فتنة للفقراء لينظر هل يصبرون وانها حكمته ومشيئته يغني من يشاء ويفقر من يشاء وقيل جعلناك
فتنة لهم لانك لو كنت غنيا صاحب كنوز وجنان لكان ميلهم اليك وطاعتهم لك للدنيا او ممزوجة بالدنيا
فانما بعثناك فقيرا لتكون طاعة من يطيعك خالصة لوجه الله من غير طمع دنياوي وقيل كان ابو جهل
والوليد بن المغيرة والعاص بن وائل ومن في طبقتهم يقولون ان اسلمنا وقد اسلم قبلنا عمار وصهيب
وبلال وفلان وفلان ترفعوا علينا ادلالا بالسابقة فهو افتتان بعضهم ببعض وقال الذين لا يرجون
لقاءنا لولا انزل علينا الملائكة او نرى ربنا لقد استكبروا اي لا ياملون لقاءنا بالخير لانهم كفرة او لا يخافون
لقاءنا بالشر والرجاء في لغة تهامة الخوف وبه فسر قوله تعالى لا ترجون لله وقارا جعلت الصيرورة الى
جزائه بمنزلة لقائه او كان ملقيا اقترحوا من الآيات ان ينزل الله عليهم الملائكة فتخبرهم بان محمدا صادق
حتى يصدقوه او يروا الله جهرة فيامرهم بتصديقه واتباعه ولا يخلو اما ان يكونوا عالمين بان الله لا
يرسل الملائكة الى غير الانبياء وان الله لا يصح ان يرى وانما علقوا ايمانهم بما لا يكون واما ان لا يكونوا
عالمين بذلك وانما ارادوا التعنت باقتراح آيات سوى الآيات التي نزلت وقامت بها الحجة عليهم كما
فعل قوم موسى قالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة ما معنى في انفسهم معناه انهم
اضمروا الاستكبار عن الحق وهو الكفر والعناد في قلوبهم واعتقدوه كما قال ان في صدورهم الا كبر ما هم
ببالغيه وعتوا عتوا كبيرا وتجاوزوا الحد في الظلم يقال عتا علينا فلان وقد وصف العتو بالكبير

فبالغ في افراطه يعني انهم لم يجسروا على هذا القول العظيم الا لانهم بلغوا غاية الاستكبار واقصى العتو واللام جواب قسم محذوف وهذه الجملة في حسن استينافها غاية وفي اسلوبها قول القائل

وجارة جساس ابانا بنابها كليبا غلت ناب كليب بواؤها

وفي فحوى هذا الفعل دليل على التعجب من غير لفظ تعجب الا ترى ان المعنى ما اشد استكبارهم وما اكبر عتوهم وما اغلى نابا بواؤها كليب يوم يرون الملائكة منصوب باحد شيئين اما بما دل عليه لا بشرى اي يوم يرون الملائكة يمنعون البشرى او يعدمونها ويومئذ للتكرير واما باضمار اذكر اي اذكر يوم يرون الملائكة ثم قال لا بشرى يومئذ للمجرمين وقوله للمجرمين اما ظاهر في موضع ضمير واما لانه عام فقد تناولهم لعمومه ويقولون حجرا محجورا وقدمنا الى ما عملوا من عمل حجرا محجورا ذكره سيبويه في باب المصادر غير المنصرفة المنصوبة بافعال متروك اظهارها نحو معاذ الله وقعدك وعمرك وهذه كلمة كانوا يتكلمون بها عند لقاء عدو موتور او هجوم نازلة او نحو ذلك يضعونها موضع الاستعاذة قال سيبويه ويقول الرجل للرجل اتفعل كذا وكذا فيقول حجرا وهي من حجره اذا منعه لان المستعيذ طالب من الله ان يمنع المكروه فلا يلحقه فكان المعنى اسأل الله ان يمنع ذلك منعا ويحجره حجرا ومجيئه على فعل او فعل في قراءة الحسن تصرف فيه لاختصاصه بموضع واحد كما كان قعدك وعمرك كذلك وانشدت لبعض الرجاز

قالت وفيها حيدة وذعر عوذ بربي منكم وحجر

فاذ قد ثبت انه من باب المصادر فما معنى وصفه بمحجور جاءت هذه الصفة لتأكيد معنى الحجر كما قالوا ذيل ذائل والذيل الهوان وموت مائت والمعنى في الآية انهم يطلبون نزول الملائكة ويقترحونه وهم اذا راوهم عند الموت او يوم القيامة كرهوا لقاءهم وفزعوا منهم لانهم لا يلقونهم الا بما يكرهون وقالوا عند رؤيتهم ما كانوا يقولونه عند لقاء العدو الموتور والشدة النازلة وقيل هو من قول الملائكة ومعناه حراما محرما عليكم الغفران والجنة او البشرى اي جعل الله ذلك حراما عليكم ليس ههنا قدوم ولا ما يشبه القدوم ولكن مثلت حال هؤلاء واعمالهم التي عملوها في كفرهم من صلة رحم واغاثة ملهوف وقرى ضيف ومن على اسير وغير ذلك من مكارمهم ومحاسنهم بحال قوم خالفوا سلطانهم واستعصوا عليه فقدم الى اشيائهم وقصد الى ما تحت ايديهم فافسدها ومزقها كل ممزق ولم يترك لها اثرا ولا عثيرا فجعلناه هباء والهباء ما يخرج من الكوة مع ضوء الشمس شبيه بالغبار وفي امثالهم اقل من الهباء منثورا الهباء شبهه بالهباء في قلته وحقارته عنده وانه لا ينتفع به ثم بالمنثور منه لانك تراه منتظما مع الضوء فاذا حركت الريح رأيته قد تناثر وذهب كل مذهب ونحوه قوله كعصف لم يكف ان شبههم بالعصف حتى جعله موصوفا بالاكال ولم يكف ان شبه عملهم بالهباء حتى جعله متناثرا او مفعول ثالث لجعلناه اي فجعلناه جامعا لحقارة الهباء والتناثر كقوله كونوا قردة خاسئين اي جامعين للمسخ والخسء ولام الهباء واو بدليل الهبوة المستقر المكان الذي

اصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا

يكونون فيه في اكثر اوقاتهم يتجالسون ويتحادثون والمقيل المكان الذي يأوون اليه للاسترواح الى ازواجهم والتمتع بمغازلتهن وملامستهن كما ان المترفين في الدنيا يعيشون على ذلك الترتيب وروي انه يفرغ من الحساب في نصف ذلك اليوم فيقيل اهل الجنة في الجنة واهل النار في النار وفي معناه قوله عز وعلا ان اصحاب الجنة اليوم في شغل فاكهون هم وازواجهم في ظلال على الارائك متكئون قيل في تفسير الشغل افتضاض الابكار ولا نوم في الجنة وانما سمي مكان دعتهم واسترواحهم الى الحور مقيلا على طريق التشبيه وفي لفظ الاحسن رمز الى ما يتزين به مقيلهم من حسن الوجوه وملاحة الصور الى غير ذلك من التحاسين والتزين يوم تشقق السماء بالغمام ونزل الملائكة تنزيلا وقرئ تشقق والاصل تتشقق فحذف بعضهم التاء وغيره ادغمها ولما كان انشقاق السماء كما تقول شق السنام بالشفرة وانشق بها ونظيره السماء منفطر به اي وقوله بن فولك انشقت الارض بالنبات وانشقت عن النبات معنى انشقت به ان الله شقها بطلوعه فانشقت به ومعنى انشقت عنه ان التربة ارتفعت عنه عند طلوعه والمعنى ان السماء تتفتح بغمام يخرج منها وفي الغمام الملائكة ينزلون وفي ايديهم صحائف الاعمال وروي تنشق سماء سماء وتنزل الملائكة الى الارض وقيل هو غمام ابيض رقيق مثل الضبابة ولم يكن الا لبني اسرائيل في تيههم وفي معناه قوله هل ينظرون الا ان يأتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة وقرئ وننزل الملائكة وننزل وننزل الملائكة ونزل الملائكة ونزلت الملائكة وانزل الملائكة ونزل الملائكة ونزل الملائكة على حذف النون الذي هو فاء الفعل من تنزل قراءة اهل مكة الملك يومئذ الحق للرحمن وكان يوما على الكافرين عسيرا ويوم يعض الظالم على يديه يقول يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلا الحق الثابت لان كل ملك يزول يومئذ ويبطل ولا يبقى الا ملكه عض اليدين والانامل والسقوط في اليد واكل البنان وحرق الاسنان والارم وقرعها كنايات عن الغيظ والحسرة لانها من روادفهما فتذكر الرادفة ويدل بها على المردوف فيرتفع الكلام به في طبقة الفصاحة ويجد السامع عنده في نفسه من الروعة والاستحسان ما لا يجده عند لفظ المكني عنه وقيل نزلت في عقبة بن ابي معيط بن عبد شمس وكان يكثر مجالسة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل اتخذ ضيافة فدعا اليها رسول الله فابى ان يأكل من طعامه حتى ينطق بالشهادتين ففعل وكان ابي بن خلف صديقه فعاتبه وقال صبأت يا عقبة قال لا ولكن آلى ان لا يأكل من طعامي وهو في بيتي فاستحييت منه فشهدت له والشهادة ليست في نفسي فقال وجهي من وجهك حرام ان لقيت محمدا فلم تطأ قفاه وتبزق في وجهه وتلطم عينه فوجده ساجدا في دار الندوة ففعل ذلك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا القاك خارجا من مكة الا علوت راسك بالسيف

فقتل يوم بدر امر عليا رضي الله عنه بقتله وقيل قتله عاصم بن ثابت بن افلح الانصاري وقال
يا محمد الى من الصبية قال الى النار وطعن رسول الله صلى الله عليه وسلم ابيا باحد فرجع الى مكة فمات
واللام في الظالم يجوز ان يكون للعهد يراد به عقبة خاصة ويجوز ان يكون للجنس فيتناول عقبة وغيره
تمنى ان لو صحب الرسول وسلك معه طريقا واحدا من طرق الحق ولم يتشعب به طرق الضلالة والهوى
او اراد اني كنت ضالا لم يكن لي سبيل قط فليتني حصلت لنفسي في صحبة الرسول سبيلا وقرئ يا ويلتى
بالياء وهو الاصل لان الرجل ينادي ويلته وهي هلكته يقول لها تعالي فهذا اوانك وانما قلبت الياء الفا
كما في صحارى ومدارى ليتني لم اتخذ فلانا خليلا فلان كناية عن الاعلام كما ان الهن كناية عن الاجناس
فان اريد بالظالم عقبة فالمعنى ليتني لم اتخذ ابيا خليلا فكنى عن اسمه وان اريد به الجنس فكل من اتخذ
من المضلين خليلا كان لخليله اسم علم لا محالة فجعله كناية عنه لقد اضلني عن الذكر بعد اذ جاءني وكان
الشيطان للانسان خذولا عن الذكر عن ذكر الله او القرآن او موعظة الرسول ويجوز ان يريد نطقه بشهادة
الحق وعزمه على الاسلام والشيطان اشارة الى خليله سماه شيطانا لانه اضله كما يضل الشيطان ثم
خذله ولم ينفعه في العاقبة او اراد ابليس وانه هو الذي حمله على مخالة المضل ومخالفة الرسول ثم
خذله او اراد الجنس وكل من تشيطن من الجن والانس ويحتمل ان يكون وكان الشيطان حكاية كلام الظالم
وان يكون كلام الله وقال الرسول يا رب ان قومي اتخذوا هذا القرآن اتخذت يقرا على الادغام و
الاظهار والادغام اكثر الرسول محمد صلى الله عليه وسلم وقومه قريش حكى الله عنه شكواه
قومه اليه وفي هذه الحكاية تعظيم للشكاية وتخويف لقومه لان الانبياء كانوا اذا التجأوا اليه وشكوا
اليه قومهم حل بهم العذاب ولم ينظروا ثم اقبل عليه مسليا ومواسيا وواعدا النصرة عليهم فقال وكذلك
كان كل نبي قبلك مبتلى بعداوة قومه وكفاك هاديا الى طريق قهرهم والانتصار منهم وناصرا لك عليهم مهجورا
تركوه وصدوا عنه وعن الايمان به وعن النبي صلى الله عليه وسلم من تعلم القرآن وعلق مصحفا
لم يتعاهده ولم ينظر فيه جاء يوم القيامة متعلقا به يقول يا رب العالمين عبدك هذا اتخذني
مهجورا اقض بيني وبينه وقيل هو من هجر اذا هذى اي جعلوه مهجورا فيه فحذف الجار وهو على وجهين
احدهما زعمهم انه هذيان وباطل واساطير الاولين والثاني انهم كانوا اذا سمعوه هجروا فيه كقوله لا
تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه ويجوز ان يكون المهجور بمعنى الهجر كالمجلود والمعقول والمعنى اتخذوه
هجرا والعدو يجوز ان يكون واحدا وجمعا كقوله فانهم عدو لي وقيل المعنى وقال الرسول يوم القيامة
وكفى بربك هاديا ونصيرا وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة نزل ههنا بمعنى انزل لا غير
وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا من المجرمين

كخبر بمعنى اخبر والا كان متدافعا وهذا ايضا من اعتراضاتهم واقتراحاتهم الدالة على شرادهم عن الحق
وتجافيهم عن اتباعه قالوا هلا انزل عليه دفعة في وقت واحد كما انزلت الكتب الثلاثة وماله انزل على
التفاريق والقائلون قريش وقيل اليهود وهذا فضول من القول ومماراة بما لا طائل تحته لان امر
الاعجاز والاحتجاج به لا يختلف بنزوله جملة واحدة او مفرقا وقوله كذلك لنثبت به فؤادك جواب لهم
اي كذلك انزل مفرقا والحكمة فيه ان نقوي بتفريقه فؤادك حتى تعيه وتحفظه لان المتلقن انما
يقوى قلبه على حفظ العلم شيئا بعد شيء وجزءا عقيب جزء ولو القي عليه جملة واحدة لبعل به وتعيا
بحفظه والرسول صلى الله عليه وسلم فارقت حاله حال موسى وداود وعيسى عليهم السلام حيث كان
اميا لا يقرا ولا يكتب وهم كانوا قارئين كاتبين فلم يكن له بد من التلقن والتحفظ فانزل عليه منجما في
عشرين سنة وقيل في ثلث وعشرين ايضا وكان ينزل على حسب الحوادث وجوابات السائلين ولان بعضه
منسوخ وبعضه ناسخ ولا يتاتى ذلك الا فيما انزل مفرقا … ذلك في كذلك يجب ان يكون اشارة
الى شيء تقدمه والذي تقدم هو انزاله جملة فكيف فسرته بكذلك نزلناه مفرقا … لان قولهم
لولا انزل عليه جملة معناه لم انزل مفرقا والدليل على فساد هذا الاعتراض انهم عجزوا عن ان ياتوا بنجم
واحد من نجومه وتحدوا بسورة واحدة من اصغر السور فابرزوا صفحة عجزهم وسجلوا به على انفسهم
حين لاذوا بالمناصبة وفزعوا الى المحاربة ثم قالوا هلا نزل جملة واحدة كانهم قدروا على تفاريقه
حتى يقدروا على جملته ورتلناه ترتيلا معطوف على الفعل الذي تعلق به كذلك كانه قال كذلك فرقناه
ورتلناه ومعنى ترتيله ان قدره اية بعد اية ووقفة عقيب وقفة ويجوز ان يكون المعنى وامرنا
بترتيل قراءته وذلك قوله ورتل القرآن ترتيلا اي اقرأه بترسل وتثبت ومنه حديث عائشة رضي الله عنها
في صفة قراءته لا كسردكم هذا لو اراد السامع ان يعد حروفه لعدها واصله الترتيل في الاسنان
وهو تفليجها يقال ثغر رتل ومرتل ويشبه بنور الاقحوان في تفليجه وقيل هو ان نزله مع كونه
متفرقا على تمكث وتمهل في مدة متباعدة وهي عشرون سنة ولم يفرقه في مدة متقاربة ولا ياتونك
بمثل الا جئناك بالحق واحسن تفسيرا الذين يحشرون على وجوههم الى جهنم اولئك شر مكانا واضل سبيلا بسؤال
عجيب من سؤالاتهم الباطلة كانه مثل في البطلان الا اتيناك نحن بالجواب الحق الذي لا محيد عنه
وبما هو احسن معنى ومؤدى من سؤالهم ولما كان التفسير هو التكشيف عما يدل عليه الكلام وضع
موضع معناه فقالوا تفسير هذا الكلام كيت وكيت كما قيل معناه كذا وكذا ولا ياتونك بحال و
صفة عجيبة يقولون هلا كانت هذه صفتك وحالك نحو ان يقرن بك ملك ينذر معك او يلقى اليك

كنت أو يكون لك جنة أو ينزل عليك القرآن جملة إلا أعطيناك نحن من الأحوال ما يحق لك في حكمتنا ومشيئتنا أن تعطاه وما هو أحسن تكشيفا لما بعثت عليه ودلالة على صحته يعني أن تنزيله مفرقا وتحديهم بأن يأتوا ببعض تلك التفاريق كلما نزل شيء منها أدخل في الإعجاز وأنور للحجة من أن ينزل كله جملة ويقال لهم جيئوا بمثل هذا الكتاب في فصاحته مع بعد ما بين طرفيه كأنه قيل لهم إن حاملكم على هذه السؤالات أنكم تضللون سبيله وتحتقرون مكانه ومنزلته ولو نظرتم بعين الإنصاف وأنتم من المسحوبين على وجوههم إلى جهنم لعلمتم أن مكانكم شر من مكانه وسبيلكم أضل من سبيله وفي طريقته قوله قل هل أنبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله من لعنه الله وغضب عليه الآية ويجوز أن يراد بالمكان الشرف والمنزلة وأن يراد الدار والمسكن كقوله أي الفريقين خير مقاما وأحسن نديا ووصف السبيل بالضلال من المجاز الحكمي وعن النبي صلى الله عليه وسلم يحشر الناس يوم القيامة على ثلاثة أثلاث ثلث على الدواب وثلث على وجوههم وثلث على أقدامهم ينسلون نسلا ولقد آتينا موسى الكتاب وجعلنا معه أخاه هرون وزيرا فقلنا اذهبا إلى القوم الذين كذبوا بآياتنا فدمرناهم تدميرا وقوم نوح لما كذبوا الرسل أغرقناهم الوزارة لا تنافي النبوة فقد كان يبعث في الزمن الواحد أنبياء ويؤمرون بأن يوازر بعضهم بعضا والمعنى فذهبا إليهم فكذبوهما فدمرناهم كقوله اضرب بعصاك البحر فانفلق أي فضرب فانفلق أراد اختصار القصة فذكر حاشيتيها أولها وآخرها لأنهما المقصود من القصة بطولها أعني إلزام الحجة ببعثة الرسل واستحقاق التدمير بتكذيبهم وعن علي رضي الله عنه فدمرتهم وعنه فدمراهم وقرئ فدمرانهم على التأكيد بالنون الثقيلة كأنهم كذبوا نوحا ومن قبله من الرسل صريحا أو كان تكذيبهم لواحد منهم تكذيبا للجميع أو لم يروا بعثة الرسل أصلا كالبراهمة وجعلناهم وجعلنا إغراقهم أو قصتهم للناس آية وأعتدنا للظالمين عذابا أليما للظالمين إما أن يعني بهم قوم نوح وأصله وأعتدنا لهم إلا أنه قصد تظليمهم فأظهر وإما أن يتناولهم بعمومه وعادا وثمود وأصحاب الرس وقرونا بين ذلك كثيرا وكلا عطف عادا على هم في جعلناهم أو على الظالمين لأن المعنى ووعدنا الظالمين وقرئ وثمود على تأويل القبيلة وأما المنصرف فعلى تأويل الحي أو لأنه اسم الأب الأكبر وقيل في أصحاب الرس كانوا قوما من عبدة الأصنام أصحاب آبار ومواشي فبعث الله إليهم شعيبا فدعاهم إلى الإسلام فتمادوا في طغيانهم وفي إيذائه فبيناهم حول الرس وهو البئر غير المطوية عن أبي عبيدة انهارت بهم فخسف بهم وبديارهم وقيل الرس قرية بفلج اليمامة قتلوا نبيهم فهلكوا وهم بقية ثمود قوم صالح وقيل هم أصحاب النبي حنظلة بن صفوان كانوا

مبتلين بالعنقاء وهي أعظم ما يكون من الطير سميت لطول عنقها وكانت تسكن جبلهم الذي يقال له فتخ وهي تنقض على صبيانهم فتخطفهم إن أعوزها الصيد فدعا عليها حنظلة فأصابتها الصاعقة ثم إنهم قتلوا حنظلة فأهلكوا وقيل هم أصحاب الأخدود والرس هو الأخدود وقيل الرس بأنطاكية قتلوا فيها حبيبا النجار وقيل كذبوا نبيهم ورسوه في بئر أي دسوه فيها بين ذلك أي بين ذلك المذكور وقد يذكر الذاكر أشياء مختلفة ثم يشير إليها بذلك ويحسب الحاسب أعدادا متكاثرة ثم يقول فذلك كيت وكيت على معنى فذلك المحسوب أو المعدود ضربنا له الأمثال وكلا تبرنا تتبيرا ولقد أتوا على القرية التي أمطرت مطر السوء بينا له القصص العجيبة من قصص الأولين ووصفنا لهم ما أجروا إليه من تكذيب الأنبياء وجرى عليهم من عذاب الله وتدميره والتتبير التفتيت والتكسير ومنه التبر وهو كسار الذهب والفضة والزجاج وكلا الأول منصوب بما دل عليه ضربنا له الأمثال وهو أنذرنا أو حذرنا والثاني بتبرنا لأنه فارغ له أراد بالقرية سدوم من قرى قوم لوط وكانت خمسا أهلك الله أربعا بأهلها وبقيت واحدة ومطر السوء الحجارة يعني أن قريشا مروا مرارا كثيرة في متاجرهم إلى الشام على تلك القرية التي أهلكت بالحجارة من السماء أفلم يكونوا يرونها في مرار مرورهم ينظرون إلى آثار عذاب الله ونكاله ويذكرون بل كانوا لا يرجون قوما كفرة بالبعث لا يتوقعون نشورا وعاقبة فوضع الرجاء موضع التوقع لأنه إنما يتوقع العاقبة من يؤمن فمن ثم لم ينظروا ولم يذكروا ومروا بها كما مرت ركابهم أو لا يأملون نشورا كما يأمله المؤمنون لطمعهم في الوصول إلى ثواب أعمالهم أو لا يخافون على اللغة التهامية وإذا رأوك إن يتخذونك إلا هزوا أهذا الذي بعث الله رسولا إن كاد ليضلنا عن آلهتنا لولا أن صبرنا عليها إن الأولى نافية والثانية مخففة من الثقيلة واللام هي الفارقة بينهما واتخذه هزوا في معنى استهزأ به والأصل اتخذوه موضع هزؤ أو مهزوءا به أهذا محكي بعد القول المضمر وهذا استصغار وبعث الله رسولا وإخراجه في معرض التسليم والإقرار وهم على غاية الجحود والإنكار سخرية واستهزاء ولو لم يستهزئوا لقالوا أهذا الذي زعم أو ادعى أنه مبعوث من عند الله رسولا وقولهم إن كاد ليضلنا دليل على فرط مجاهدة رسول الله في دعوتهم وبذله قصارى الوسع والطاقة في استعطافهم مع عرض الآيات والمعجزات عليهم حتى شارفوا بزعمهم أن يتركوا دينهم إلى دين الإسلام لولا فرط لجاجهم واستمساكهم بعبادة آلهتهم ولولا في مثل هذا الكلام جار من حيث المعنى لا من حيث الصيغة مجرى التقييد للحكم المطلق وسوف يعلمون حين يرون العذاب وعيد ودلالة على أنهم لا يفوتونه وإن طالت مدة الإمهال ولا بد للوعيد أن يلحقهم فلا يغرنهم التأخير وقوله من أضل سبيلا كالجواب

عن قولهم ان كاد ليضلنا لانه نسبة لرسول الله الى الضلال من حيث لا يضل غيره الا من هو ضال في نفسه
ويروى انه من قول ابي جهل لعنه الله من كان في طاعة الهوى في دينه يتبعه في كل ما يأتي ويذر
لا يتبصر دليلا ولا يصغي الى برهان فهو عابد هواه وجاعله الهه فيقول لرسوله هذا الذي لا يرى
معبودا الا هواه كيف تستطيع ان تدعوه الى الهدى افتتوكل عليه وتجبره على الاسلام وتقول لا بد
ان تسلم شئت او ابيت ولا اكراه في الدين وهذا كقوله وما انت عليهم بجبار لست عليهم بمصيطر ويروى
ان الرجل منهم كان يعبد الحجر فاذا رأى احسن منه رمى به واخذ آخر ومنهم الحارث بن قيس السهمي ارأيت
من اتخذ الهه هواه افانت تكون عليه وكيلا ام تحسب ان اكثرهم يسمعون او يعقلون ان هم الا كالانعام بل هم اضل
سبيلا ام هذه منقطعة معناه بل اتحسب كأن هذه المذمة اشد من التي تقدمتها حتى حقت بالاضراب
عنها اليها وهي كونهم مسلوبي الاسماع والعقول لانهم لا يلقون الى استماع الحق اذنا ولا الى تدبره
عقلا ومشبهين بالانعام لكن هي مثل في الغفلة والضلالة ثم ارجح ضلالة منها لم اخر
هواه والاصل قولك اتخذ الهوى الها قلت لا تقديم المفعول الثاني على الاول للعناية كما تقول
علمت منطلقا زيدا لفضل عنايتك بالمنطلق ما معنى ذكر المثل كان فهم من لم يصده
عن الاسلام الا داء واحد وهو حب الرياسة وكفى به داء عضالا كيف جعلوا اضل من الانعام
لان الانعام تنقاد لاربابها التي تعلفها وتتعهدها وتعرف من يحسن اليها ممن يسيء اليها
وتطلب ما ينفعها وتجتنب ما يضرها وتهتدي لمراعيها ومشاربها وهؤلاء لا ينقادون لربهم ولا
يعرفون احسانه اليهم من اساءة الشيطان الذي هو عدوهم ولا يطلبون الثواب الذي هو اعظم المنافع
ولا يتقون العقاب الذي هو اشد المضار والمهالك ولا يهتدون للحق الذي هو المشرع الهني
والعذب الروي الم تر الى ربك كيف الم تنظر الى صنع ربك وقدرته ومعنى مد الظل ان جعله يمتد و
ينبسط فينتفع به الناس ولو شاء لجعله ساكنا اي لاصقا باصل كل مظل من جبل وبناء وشجرة غير
منبسط فلم ينتفع به احد سمى انبساط الظل وامتداده تحركا منه وعدم ذلك سكونا ومعنى كون الشمس
دليلا ان الناس يستدلون بالشمس وباحوالها في مسيرها على احوال الظل من كونه ثابتا في مكان وزائلا
ومتسعا ومتقلصا فيبنون حاجتهم الى الظل واستغناءهم عنه على حسب ذلك وقبضه اليه انه ينسخه
بضح الشمس ثم قبضناه الينا قبضا يسيرا اي على مهل وفي هذا القبض اليسير شيئا بعد شيء من المنافع
ما لا يعد ولا يحصر ولو قبض دفعة واحدة لتعطلت مرافق الناس بالظل والشمس جميعا
ثم في هذين الموضعين كيف موقعهما موقعهما لبيان تفاضل الامور الثلثة كأن الثاني اعظم

ثم جعلنا الشمس عليه دليلا

من الاول والثالث اعظم منهما تشبيها لتباعد ما بينهما في الفضل بتباعد ما بين الحوادث في الوقت ووجه
آخر وهو انه مد الظل حين بنى السماء كالقبة المضروبة ودحى الارض تحتها فالقت القبة ظلها على
الارض فينانا ما في اديمه جوب لعدم النير ولو شاء لجعله ساكنا مستقرا على تلك الحالة ثم خلق الشمس
وجعلها على ذلك الظل اي سلطها عليه ونصبها دليلا متبوعا له كما يتبع الدليل في الطريق فهو يزيد بها وينقص
ويمتد ويتقلص ثم نسخه بها فقبضه قبضا سهلا يسيرا غير عسير ويحتمل ان يريد قبضه عند قيام الساعة بقبض
اسبابه وهي الاجرام التي تلقي الظل فيكون قد ذكر اعدامه باعدام اسبابه كما ذكر انشاءه بانشاء اسبابه
وقوله قبضناه الينا يدل عليه وكذلك قوله يسيرا كما قال ذلك حشر علينا يسير وهو الذي جعل لكم الليل لباسا
والنوم سباتا وجعل النهار نشورا وهو الذي ارسل الرياح شبه ما يستر من ظلام الليل باللباس الساتر و
السبات الموت والمسبوت الميت لانه مقطوع الحياة وهذا كقوله وهو الذي يتوفاكم بالليل هلا
فسرته بالراحة النشور في مقابلته يأباه اباء العيوف الورد وهو مرنق وهذه الآية مع دلالتها
على القدرة الخالق فيها اظهار لنعمته على خلقه لان الاحتجاب بستر الليل كم فيه لكثير من الناس فوائد دينية
ودنياوية والنوم واليقظة وشبههما بالموت والحياة اي عبرة فيها لمن اعتبر وعن لقمان انه قال لابنه يا بني
كما تنام فتوقظ كذلك تموت فتنشر قرئ الريح والرياح نشرا احياء ونشرا جمع نشور وهي المحيية ونشرا
تخفيف نشر وبشرا تخفيف بشر جمع بشور وبشرى وبين يدي رحمته استعارة مليحة اي قدام المطر
وانزلنا من السماء ماء طهورا لنحيي به بلدة ميتا ونسقيه مما خلقنا انعاما واناسي كثيرا طهورا بليغا في طهارته و
عن احمد بن يحيى هو ما كان طاهرا في نفسه مطهرا لغيره فان كان ما قاله شرحا لبلاغته في الطهارة كان
سديدا ويعضده قوله تعالى وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به والا فليس فعول من التفعيل في شيء و
الطهور على وجهين في العربية صفة واسم غير صفة فالصفة قولك ماء طهور كقولك طاهر والاسم قولك لما
يتطهر به طهور كالوضوء والوقود لما يتوضأ به ويوقد به النار وقولهم تطهرت طهورا حسنا كقولك
وضوءا حسنا ذكره سيبويه ومنه قوله عليه السلام لا صلوة الا بطهور اي بطهارة ما الذي
يزيل عن الماء اسم الطهور تيقن مخالطة النجاسة او غلبتها على الظن تغير احد اوصافه الثلثة
او لم يتغير او استعماله في البدن لاداء عبادة عند ابي حنيفة رحمه الله وعند مالك بن انس رحمه الله ما
لم يتغير احد اوصافه فهو طهور فما تقول في قوله عليه السلام حين سئل عن بئر بضاعة فقال
الماء طهور لا ينجسه شيء الا ما غير لونه او طعمه او ريحه قال الواقدي كان بئر بضاعة طريقا
للماء الى البساتين وانما قال ميتا لان البلدة في معنى البلد في قوله فسقناه الى بلد ميت وانه غير جار

على الفعل كفعول ومفعال ومفعيل وقرئ نسقيه بالفتح وسقى واسقى لغتان وقيل اسقاه جعل له سقيا
الاناسى جمع انسى او انسان ونحوه ظرابى فى ظربان على قلب النون ياء والاصل اناسين وظرابين وقرئ
بالتخفيف بحذف ياء افاعيل كقولك اناعم فى اناعيم انزال الماء موصوفا بالطهارة وتعليله بالاحياء
والسقى يؤذن بان الطهارة شرط فى صحة ذلك كما تقول حملنى الامير على فرس جواد لاصيد عليه الوحش
لما كان سقى الاناسى من جملة ما انزل له الماء وصفه بالطهور اكراما لهم وتتميما للمنة عليهم وبيانا ان
من حقهم حين اراد الله لهم الطهارة واراد هم عليها ان يؤثروها فى بواطنهم ثم فى ظواهرهم وان يربؤا بانفسهم
عن مخالطة القاذورات كلها كما ربأ بهم ربهم لم خص الانعام من بين ما خلق من الحيوان الشارب
لان الطير والوحش تبعد فى طلب الماء فلا يعوزها الشرب بخلاف الانعام لانها قنية الاناسى و
عامة منافعهم متعلقة بها فكان الانعام عليهم بسقى انعامهم كالانعام بسقيهم فما معنى تنكير الانعام
والاناسى ووصفها بالكثرة معنى ذلك ان علية الناس وجلهم منيخون بالقرب من الاودية والانهار
ومنابع الماء فبهم غنية عن سقى الماء واعقابهم وهم كثير منهم لا يعيشهم الا ما ينزل الله من رحمته وسقيا
سمائه وكذلك قوله لنحيى به بلدة ميتا يريد بعض بلاد هؤلاء المتبعدين عن مظان الماء فلم قدم احياء
الارض وسقى الانعام على سقى الاناسى لان حياة الاناسى بحياة ارضهم وحياة انعامهم فقدم ما
هو سبب حياتهم وتعيشهم على سقيهم ولانهم اذا ظفروا بما يكون سقيا ارضهم ومواشيهم لم يعدموا سقياهم
ولقد صرفناه بينهم ليذكروا فابى اكثر الناس الا كفورا يريد ولقد صرفنا هذا القول بين الناس فى القرآن وفى سائر
الكتب والصحف التى انزلت على الرسل وهو ذكر انشاء السحاب وانزال القطر ليفكروا ويعتبروا ويعرفوا
حق النعمة فيه ويشكروا فابى اكثرهم الا كفران النعمة وجحودها وقلة الاكتراث لها وقيل صرفنا المطر بينهم فى
البلدان المختلفة والاوقات المتغايرة وعلى الصفات المتفاوتة من وابل وطل وجود ورذاذ وديمة ورهام
فابوا الا الكفور وان يقولوا مطرنا بنوء كذا ولا يذكروا صنع الله ورحمته وعن ابن عباس ما من عام اقل مطرا من
عام ولكن الله قسم ذلك بين عباده على ما شاء وتلا هذه الآية وروى ان الملائكة يعرفون عدد المطر ومقداره
فى كل عام لانه لا يختلف ولكن تختلف فيه البلاد وينتزع من ههنا جواب فى تنكير البلدة والانعام والاناسى كانه
قال لنحيى به بعض البلاد الميتة ونسقيه بعض الانعام والاناسى وذلك البعض كثير هل يكفر من
ينسب المطر الى الانواء ان كان لا يراها الا من الانواء ويجحد ان تكون هى والانواء من خلق الله
فهو كافر وان كان يرى ان الله خالقها وقد نصب الانواء دلائل وامارات عليها لم يكفر ولو شئنا لبعثنا فى
كل قرية نذيرا فلا تطع الكافرين وجاهدهم به يقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولو شئنا لخففنا عنك اعباء نذارة

جميع القرى ولبعثنا فى كل قرية نبيا ينذرها وانما قصرنا الامر عليك وعظمناك به واجللناك وفضلناك على
سائر الرسل فقابل ذلك بالتشدد والتصبر ولا تطع الكافرين فيما يريدونك عليه وانما اراد بهذا تهييجه وتهييج
المؤمنين وتحريكهم والضمير للقرآن او لترك الطاعة الذى يدل عليه ولا تطع والمراد ان الكفار يجدون ويجتهدون
فى توهين امرك فقابلهم من جدك واجتهادك وعضك على نواجذك بما تغلبهم به وتعلوهم وجعله جهادا كبيرا لما
يحتمل فيه من المشاق العظام ويجوز ان يرجع الضمير فى به الى ما دل عليه ولو شئنا لبعثنا فى كل قرية نذيرا من
كونه نذير كافة القرى لانه لو بعث فى كل قرية نذيرا لوجبت على كل نذير مجاهدة قريته فاجتمعت على رسول الله
تلك المجاهدات كلها فكبر جهاده من اجل ذلك وعظم فقال وجاهدهم بسبب كونك نذير كافة القرى جهادا كبيرا
جامعا لكل مجاهدة وهو الذى مرج البحرين هذا عذب فرات وهذا ملح اجاج وجعل بينهما سمى الماءين الكثيرين
الواسعين بحرين والفرات البليغ العذوبة حتى يضرب الى الحلاوة والاجاج نقيضه ومرجهما خلاهما متجاورين
متلاصقين وهو بقدرته يفصل بينهما ويمنعهما التمازج وهذا من عظيم اقتداره وفى كلام بعضهم وبحران احدهما مع
الآخر ممزوج وماء العذب منه بالاجاج ممزوج برزخا حائلا من قدرته كقوله عز وعلا بغير عمد ترونها يريد بغير عمد مرئية
وهو قدرته وقرئ ملح على فعل وقيل كانه حذف من مالح تخفيفا كما قال وصليانا بردا يريد باردا
وحجرا محجورا ما معناه هى الكلمة التى يقولها المتعوذ وقد فسرناها وهى ههنا واقعة على سبيل المجاز كان
كل واحد من البحرين يتعوذ من صاحبه ويقول له حجرا محجورا كما قال لا يبغيان اى لا يبغى احدهما على صاحبه بالممازجة
فانتفاء البغى ثمة كالتعوذ ههنا جعل كل واحد منهما فى صورة الباغى على صاحبه فهو يتعوذ منه وهى من احسن
الاستعارات واشهدها على البلاغة وهو الذى خلق من الماء بشرا فجعله نسبا وصهرا اراد فقسم البشر قسمين ذوى
نسب اى ذكورا ينسب اليهم فيقال فلان بن فلان وفلانة بنت فلان وذوات صهر اى اناثا يصاهر بهن
ونحوه قوله تعالى فجعل منه الزوجين الذكر والانثى وكان ربك قديرا حيث خلق من النطفة الواحدة بشرا
نوعين ذكرا وانثى ويعبدون من دون الله ما لا ينفعهم ولا يضرهم وكان الكافر على ربه ظهيرا الظهير والمظاهر كالعوين
والمعاون وفعيل بمعنى مفاعل غير عزيز والمعنى ان الكافر يظاهر الشيطان على ربه بالعداوة والشرك روى
انها نزلت فى ابى جهل ويجوز ان يراد بالظهير الجماعة كقوله والملائكة بعد ذلك ظهير كما جاء الصديق و
الخليط ويريد بالكافر الجنس وان بعضهم مظاهر لبعض على اطفاء نور دين الله وقيل معناه وكان الذى
يفعل هذا الفعل وهو عبادة ما لا ينفع ولا يضر على ربه هينا مهينا من قولهم ظهرت به اذا خلفته خلف
ظهرك لا يلتفت اليه وهذا نحو قوله تعالى لا خلاق لهم فى الآخرة ولا يكلمهم ولا ينظر اليهم مثال الا من شاء واستثنائه
عن الاجر قول ذى شفقة عليك قد سعى اليك فى تحصيل مال ما اطلب منك ثوابا على ما سعيت الا ان تحفظ المال

والمراد انه فعل من شاء

وما ارسلناك الا مبشرا و نذيرا قل ما اسألكم عليه من اجر

تضييعه فليس حفظك المال لنفسك من جنس الثواب ولكن صورته صورة الثواب وسماه باسمه فأفاد فائدتين إحداهما
قلع شبهة الطمع في الثواب من أصله كأنه يقول لك إن كان حفظك لمالك ثوابا فإني أطلب الثواب والثانية إظهار
الشفقة البالغة وأنك إن حفظت مالك اعتد لحفظك ثوابا ورضي به كما يرضى المثاب بالثواب ولعمري إن رسول الله
صلى الله عليه وسلم كان مع المبعوث إليهم بهذا الصدد وفوقه. لمن شاء أن يتخذ إلى ربه سبيلا وتوكل على الحي الذي لا يموت وسبح
بحمده وكفى به بذنوب عباده خبيرا. ومعنى اتخاذهم إلى الله سبيلا تقربهم إليه وطلبهم عنده الزلفى بالإيمان والطاعة
وقيل المراد التقرب بالصدقة والنفقة في سبيل الله. أمره بأن يثق به ويسند أمره إليه في استكفاء شرورهم
مع التمسك بقاعدة التوكل وأساس الالتجاء وهو طاعته وعبادته وتنزيهه وتحميده وعرفه أن الحي الذي لا يموت
حقيق بأن يتوكل عليه وحده ولا يتكل على غيره من الأحياء الذين يموتون وعن بعض السلف أنه قرأها فقال لا
يصح لذي عقل أن يثق بعدها بمخلوق ثم أراد أن ليس إليه من أمر عباده شيء آمنوا أم كفروا وأنه خبير بأحوالهم
كاف في جزاء أعمالهم. الذي خلق السماوات والأرض وما بينهما في ستة أيام يعني في مدة مقدارها هذه المدة لأنه
لم يكن حينئذ نهار ولا ليل وقيل ستة أيام من أيام الآخرة وكل يوم ألف سنة والظاهر أنها من أيام الدنيا
وعن مجاهد أولها يوم الأحد وآخرها الجمعة ووجهه أن يسمي الله تعالى لملائكته تلك الأيام المقدرة بهذه
الأسماء فلما خلق الشمس وأدارها وترتب أمر العالم على ما هو عليه جرت التسمية على هذه الأيام وأما الداعي إلى هذا
العدد أعني الستة دون سائر الأعداد فلا نشك أنه داعي حكمة لعلمنا أنه لا يقدر تقديرا إلا بداعي حكمة وإن
كنا لا نطلع عليه ولا نهتدي إلى معرفته ومن ذلك تقدير الملائكة الذين هم أصحاب النار تسعة عشر و
حملة العرش ثمانية والشهور اثني عشر والسماوات سبعا والأرض كذلك والصلوات خمسا وأعداد النصب
والحدود والكفارات وغير ذلك والإقرار بدواعي الحكمة في جميع أفعاله وبأن ما قدره حق هو الإيمان
وقد نص عليه في قوله وما جعلنا أصحاب النار إلا ملائكة وما جعلنا عدتهم إلا فتنة للذين كفروا ليستيقن
الذين أوتوا الكتاب ويزداد الذين آمنوا إيمانا ولا يرتاب الذين أوتوا الكتاب والمؤمنون وليقول الذين في
قلوبهم مرض والكافرون ماذا أراد الله بهذا مثلا ثم قال وما يعلم جنود ربك إلا هو وهو الجواب أيضا في
أن لم يخلقها في لحظة وهو قادر على ذلك وعن سعيد بن جبير إنما خلقها في ستة أيام وهو يقدر على أن
يخلقها في لحظة تعليما لخلقه الرفق والتثبت وقيل اجتمع خلقها يوم الجمعة فجعله الله عيدا للمسلمين
ثم استوى على العرش الرحمن
الذي خلق مبتدأ والرحمن خبره أو هو صفة للحي والرحمن خبر مبتدأ محذوف أو بدل عن المستتر في استوى
وقرئ الرحمن بالجر صفة للحي وقرئ فسل والباء في به صلة سل كقوله سأل سائل بعذاب واقع
كما تكون عن صلته في نحو قوله ثم لتسألن يومئذ عن النعيم فسأل به كقولك اهتم به واعتنى به واشتغل به

وسأل عنه كقولك بحث عنه وفتش عنه ونقر عنه أو صلة خبيرا وتجعل خبيرا مفعول سل يريد فسل عنه رجلا
عارفا يخبرك برحمته أو فسل رجلا خبيرا به وبرحمته أو فسل بسؤاله خبيرا كقولك رأيت به أسدا أي برؤيته
والمعنى إن سألته وجدته خبيرا أو تجعله حالا عن الهاء تريد فسل عنه عالما بكل شيء وقيل الرحمن اسم
من أسماء الله مذكور في الكتب المتقدمة ولم يكونوا يعرفونه. وإذا قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا. فقيل فسل بهذا
الاسم من يخبرك من أهل الكتاب حتى تعرف من ينكره ومن ثم كانوا يقولون ما نعرف الرحمن إلا الذي باليمامة
يعنون مسيلمة وكان يقال له رحمن اليمامة. وما الرحمن أنسجد لما تأمرنا وزادهم نفورا يجوز أن يكون سؤالا
عن المسمى به لأنهم ما كانوا يعرفونه بهذا الاسم والسؤال عن المجهول بما ويجوز أن يكون سؤالا عن معناه لأنه لم يكن
مستعملا في كلامهم كما استعمل الرحيم والمرحوم والراحم أو لأنهم أنكروا إطلاقه على الله. لما تأمرنا أي للذي
تأمرناه بمعنى تأمرنا بسجوده على قوله أمرتك الخير أو لأمرك لنا وقرئ بالياء كأن بعضهم قال لبعض أنسجد لما
يأمرنا محمد أو يأمرنا المسمى بالرحمن ولا نعرف ما هو وفي زادهم ضمير اسجدوا للرحمن لأنه هو المقول. تبارك
الذي جعل في السماء بروجا وجعل فيها سراجا وقمرا منيرا. البروج منازل الكواكب السبعة السيارة الحمل
والثور والجوزاء والسرطان والأسد والسنبلة والميزان والعقرب والقوس والجدي والدلو والحوت
سميت بالبروج التي هي القصور العالية لأنها لهذه الكواكب كالمنازل لسكانها واشتقاق البرج من
التبرج لظهوره والسراج الشمس كقوله وجعل الشمس سراجا وقرئ سرجا وهي الشمس والكواكب الكبار
معها وقرأ الحسن والأعمش وقمرا منيرا وهي جمع ليلة قمراء كأنه قال وذا قمر منيرا لأن الليالي تكون قمرا
بالقمر فأضافه إليها ونظيره في بقاء حكم المضاف بعد سقوطه وقيام المضاف إليه مقامه قول
حسان بردى يصفق بالرحيق السلسل يريد ماء بردى ولا يبعد أن يكون القمر بمعنى القمر كالرشد
والرشد والعرب والعرب. وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة لمن أراد أن يذكر أو أراد شكورا. الخلفة من
خلف كالركبة من ركب وهي الحالة التي يخلف عليها الليل والنهار كل واحد منهما الآخر والمعنى جعلهما
ذوي خلفة أي ذوي عقبة يعقب هذا ذاك وذاك هذا ويقال الليل والنهار يختلفان كما يقال
يعتقبان ومنه قوله تعالى واختلاف الليل والنهار ويقال بفلان خلفة واختلاف إذا اختلف
كثيرا إلى متبرزه وقرئ يذكر ويذكر وعن أبي بن كعب يتذكر والمعنى لينظر في اختلافهما
الناظر فيعلم أن لا بد لانتقالهما من حال إلى حال وتغيرهما من ناقل ومغير ويستدل بذلك على عظم
قدرته ويشكر الشاكر على النعمة فيهما من السكون بالليل والتصرف بالنهار كما قال عز وجل ومن
رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله أو ليكونا وقتين للمتذكرين والشاكرين

من فاته فى احدهما ورده من العبادة قام به فى الآخر وعن الحسن من فاته عمله من التذكر والشكر بالنهار
كان له فى الليل مستعتب وعباد الرحمن مبتداء خبره فى آخر السورة كانه قيل وعباد الرحمن الذين هذه
صفاتهم اولئك يجزون الغرفة ويجوز ان يكون خبره الذين يمشون فى الارض واضافه الى الرحمن تخصيصا
وتفضيلا وقرئ وعباد الرحمن وقرئ يمشون هونا حال او صفة للمشى بمعنى هينين او مشيا هينا
الا ان فى وضع المصدر موضع الصفة مبالغة والهون الرفق واللين ومنه الحديث احبب حبيبك
هونا ما وقوله المومنون هينون لينون والمثل اذا عز اخوك فهن ومعناه اذا عاسر فياسر والمعنى
انهم يمشون بسكينة ووقار وتواضع لا يضربون باقدامهم ولا يخفقون بنعالهم اشرا وبطرا ولذلك كره
بعض العلماء الركوب فى الاسواق ولقوله يمشون فى الاسواق واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما تسلما منكم
لا نجاهلكم ومتاركة لا خير بيننا ولا شر اى نتسلم منكم تسلما فاقيم السلام مقام التسلم وقيل قالوا سدادا
من القول يسلمون فيه من الايذاء والاثم والمراد بالجهل السفه وقلة الادب وسوء الرعة من قوله
الا لا يجهلن احد علينا فنجهل فوق جهل الجاهلينا وعن ابى العالية نسخها آية القتال ولا حاجة
الى ذلك لان الاغضاء عن السفهاء وترك المقابلة مستحسن فى الادب والمروة والشريعة واسلم للعرض
والورع والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما والذين يقولون ربنا اصرف عنا عذاب جهنم ان عذابها كان البيتوتة
خلاف الظلول وهى ان يدركك الليل نمت او لم تنم وقالوا من قرأ شيئا من القرآن فى صلوة وان قل فقد
بات ساجدا وقائما وقيل هما الركعتان بعد المغرب والركعتان بعد العشاء والظاهر انه وصف لهم
باحياء الليل او اكثره يقال فلان يظل صائما ويبيت قائما غراما هلاكا وخسرانا ملحا لازما قال
يوم النسار ويوم الجفار كانا عذابا وكانا غراما وقال ان يعاقب يكن غراما وان يعط جزيلا
فانه لا يبالى ومنه الغريم لالحاحه والزامه وصفهم باحياء الليل ساجدين وقائمين ثم عقبه بذكر
دعوتهم هذه ايذانا بانهم مع اجتهادهم خائفون مبتهلون الى الله فى صرف العذاب عنهم كقوله والذين
يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة انها ساءت مستقرا ومقاما ساءت فى حكم بئست وفيها ضمير مبهم يفسره
مستقرا والمخصوص بالذم محذوف معناه ساءت مستقرا ومقاما هى وهذا الضمير هو الذى ربط
الجملة باسم ان وجعلها خبرا لها ويجوز ان يكون ساءت بمعنى احزنت وفيها ضمير اسم ان ومستقرا حال او
تمييز والتعليلان يصح ان يكونا متداخلين ومترادفين وان يكونا من كلام الله وحكاية لقولهم والذين اذا
انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما قرئ يقتروا بكسر التاء وضمها ويقتروا بتخفيف التاء
وتشديدها والقتر والاقتار والتقتير التضييق الذى هو نقيض الاسراف والاسراف مجاوزة الحد

فى النفقة وصفهم بالقصد الذى هو بين الغلو والتقصير وبمثله امر رسوله صلى الله عليه وسلم ولا تجعل
يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط وقيل الاسراف انما هو الانفاق فى المعاصى فاما فى
القرب فلا اسراف وسمع رجل رجلا يقول لا خير فى الاسراف فقال لا اسراف فى الخير وعن عمر بن عبد العزيز
انه شكر عبد الملك بن مروان حين زوجه ابنته واحسن اليه فقال وصلت الرحم وفعلت و
صنعت وجاء بكلام حسن فقال ابن لعبد الملك انما هو كلام اعد لهذا المقام فسكت عبد الملك
فلما كان بعد ايام دخل عليه والابن حاضر فساله عن نفقته واحواله فقال الحسنة بين السيئتين
فعرف عبد الملك انه اراد ما فى هذه الآية فقال لابنه يا بنى افهذا مما اعد ايضا وقيل اولئك
اصحاب محمد كانوا لا ياكلون طعاما للتنعم واللذة ولا يلبسون ثوبا للجمال والزينة ولكن كانوا ياكلون
ما يسد جوعتهم ويعينهم على عبادة ربهم ويلبسون ما يستر عوراتهم ويكنهم من الحر والقر وقال
عمر رضى الله عنه كفى سرفا ان لا يشتهى رجل شيئا الا اشتراه فاكله والقوام العدل بين الشيئين لاستقامة
الطرفين واعتدالهما ونظيره القوام السواء من الاستواء وقرئ قواما بالكسر وهو ما يقام به الشيء
يقال انت قوامنا بمعنى ما تقام به الحاجة لا يفضل عنها ولا ينقص والمنصوبان اعنى بين ذلك قواما جائز
ان يكونا خبرين معا وان يجعل بين ذلك لغوا وقواما مستقرا وان يكون الظرف خبرا وقواما حالا مؤكدة
واجاز الفراء ان يكون بين ذلك اسم كان على انه مبنى لاضافته الى غير متمكن كقوله
لم يمنع الشرب منها غير ان نطقت وهو من جهة الاعراب لا باس به ولكن المعنى ليس بقوى لان ما بين الاسراف
والتقتير قوام لا محالة فليس فى الخبر الذى هو معتمد الفائدة فائدة والذين لا يدعون مع الله الها آخر ولا
يقتلون النفس التى حرم الله الا بالحق ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق اثاما حرم الله اى حرمها والمعنى
حرم قتلها والا بالحق متعلق بهذا القتل المحذوف او بلا يقتلون ونفى هذه المقبحات العظام عن
الموصوفين بتلك الخلال العظيمة فى الدين للتعريض بما كان عليه اعداء المومنين من قريش وغيرهم كانه
قيل والذين براهم الله وطهرهم مما انتم عليه والقتل بغير حق يدخل فيه الوأد وغيره وعن ابن مسعود
قلت يا رسول الله اى الذنب اعظم قال ان تجعل لله ندا وهو خلقك قلت ثم اى قال ان تقتل ولدك
خشية ان ياكل معك قلت ثم اى قال ان تزنى بحليلة جارك فانزل الله تصديقه وقرئ يلق فيه
اثاما وقرئ يلقى باثبات الالف وقد مر مثله والاثام جزاء الاثم بوزن الوبال والنكال ومعناهما
قال جزى الله ابن عروة حيث امسى عقوقا والعقوق له اثام وقيل هو الاثم ومعناه يلق
جزاء اثام وقرأ ابن مسعود اياما اى شدائد يقال يوم ذو ايام لليوم العصيب يضاعف له العذاب

يوم القيمة ويخلد فيه مهانا الا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا فاولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات وكان الله غفورا
رحيما بدل من يلق لانهما فى معنى واحد كقوله متى تاتنا تلمم بنا فى ديارنا تجد حطبا جزلا ونارا تاججا
وقرئ يضعف ونضعف له العذاب بالنون ونصب العذاب وقرئ بالرفع على الاستيناف او على
الحال وكذلك يخلد وقرئ ويخلد على البناء للمفعول مخففا ومثقلا من الاخلاد والتخليد وقرئ و
تخلد بالتاء على الالتفات يبدل مخفف ومثقل وكذلك سيئاتهم ما معنى مضاعفة
العذاب وابدال الحسنات سيئات اذا ارتكب المشرك معاصي مع الشرك عذب على الشرك وعلى
المعاصي جميعا فتضاعف العقوبة لمضاعفة المعاقب عليه وابدال السيئات حسنات انه يمحوها
بالتوبة ويثبت مكانها الحسنات الايمان والطاعة والتقوى وقيل يبدلهم بالشرك ايمانا وبقتل المسلمين
قتل المشركين وبالزنا عفة واحصانا ومن تاب وعمل صالحا فانه يتوب الى الله متابا يريد ومن يترك المعاصي
ويندم عليها ويدخل فى العمل الصالح فانه بذلك تائب الى الله متابا مرضيا عنده مكفرا للخطايا محصلا
للثواب او فانه تائب متابا الى الله الذي يعرف حق التائبين ويفعل بهم ما يستوجبون والذي يحب
التوابين ويحب المتطهرين وفى كلام بعض العرب لله افرح بتوبة العبد من المضل الواجد والظمآن
الوارد والعقيم الوالد او فانه يرجع الى الله والى ثوابه مرجعا حسنا واى مرجع والذين لا يشهدون الزور
واذا مروا باللغو مروا كراما يحتمل انهم ينفرون عن محاضر الكذابين ومجالس الخطائين فلا يحضرونها
ولا يقربونها تنزها عن مخالطة الشر واهله وصيانة لدينهم عما يثلمه لان مشاهدة الباطل
شركة فيه ولذلك قيل فى النظارة الى كل ما لم تسوغه الشريعة هم شركاء فاعليه فى الاثم
لان حضورهم ونظرهم دليل الرضى به وسبب وجوده والزيادة فيه لان الذي سلط على فعله هو
استحسان النظارة ورغبتهم فى النظر اليه وفى مواعظ عيسى بن مريم صلوات الله عليه اياكم ومجالسة
الخطائين ويحتمل انهم لا يشهدون شهادة الزور فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه
وعن قتادة مجالس الباطل وعن ابن الحنفية اللهو والغناء وعن مجاهد اعياد المشركين
اللغو كل ما ينبغي ان يلغى ويطرح والمعنى واذا مروا باهل اللغو والمشتغلين به مروا معرضين
عنهم مكرمين انفسهم عن التوقف عليهم والخوض معهم كقوله واذا سمعوا اللغو اعرضوا عنه وقالوا
لنا اعمالنا ولكم اعمالكم سلام عليكم لا نبتغي الجاهلين وعن الحسن لم تسفههم المعاصي وقيل
اذا سمعوا من الكفار الشتم والاذى اعرضوا وصفحوا وقيل اذا ذكروا النكاح كنوا عنه والذين اذا
ذكروا بايات ربهم لم يخروا عليها صما وعميانا لم يخروا عليها ليس بنفي للخرور وانما هو اثبات له ونفي للصمم

والعمى كما يقول لا يلقاني زيد مسلما هو نفي للاسلام لا للقاء والمعنى انهم اذا ذكروا بها اكبوا عليها
حرصا على استماعها واقبلوا على المذكر بها وهم فى اكبابهم عليها سامعون باذان واعية مبصرون
بعيون راعية لا كالذين يذكرون بها فتراهم مكبين عليها مقبلين على من يذكر بها مظهرين الحرص
الشديد على استماعها وهم كالصم العميان حيث لا يعونها ولا يتبصرون ما فيها كالمنافقين واشباههم
والذين يقولون ربنا هب لنا من ازواجنا وذرياتنا قرة اعين واجعلنا للمتقين اماما قرئ ذريتنا وذرياتنا
وقرة اعين وقرات اعين سالوا ربهم ان يرزقهم ازواجا واعقابا عمالا لله يسرون بمكانهم
وتقر بهم عيونهم وعن محمد بن كعب ليس شيء اقر لعين المؤمن من ان يرى زوجته واولاده مطيعين
لله وعن ابن عباس هو الولد اذا راه يكتب الفقه وقيل سالوا ان يلحق الله بهم ازواجهم وذريتهم فى الجنة
ليتم لهم سرورهم اراد ائمة فاكتفى بالواحد لدلالته على الجنس ولعدم اللبس كقوله ثم نخرجكم طفلا او
اراد واجعل كل واحد منا اماما او اراد جمع آم كصائم وصيام او اراد واجعلنا اماما واحدا لاتحادنا
واتفاق كلمتنا وعن بعضهم فى الاية ما يدل على ان الرياسة فى الدين يجب ان تطلب ويرغب فيها وقيل
نزلت هذه الايات فى العشرة المبشرين بالجنة من فى قوله من ازواجنا ما هى يحتمل
ان تكون بيانية كانه قيل هب لنا قرة اعين ثم بينت القرة وفسرت بقوله من ازواجنا وذرياتنا و
معناه ان يجعلهم الله لنا قرة اعين وهو من قولهم رايت منك اسدا اى انت اسد وان تكون ابتدائية
على معنى هب لنا من جهتهم ما تقر به عيوننا من طاعة وصلاح لم قال قرة اعين فنكر
وقلل اما التنكير فلاجل تنكير القرة لان المضاف لا سبيل الى تنكيره الا بتنكير المضاف اليه
كانه قال هب لنا منهم سرورا وفرحا وانما قيل اعين دون عيون لانه اراد اعين المتقين
وهى قليلة بالاضافة الى عيون غيرهم قال الله تعالى وقليل من عبادى الشكور ويجوز ان يقال فى
تنكير اعين انها اعين خاصة وهى اعين المتقين اولئك يجزون الغرفة بما صبروا ويلقون فيها
تحية وسلاما المراد يجزون الغرفات وهى العلالى فى الجنة فوحد اقتصارا على الواحد الدال على
الجنس والدليل على ذلك قوله فى الغرفات آمنون وقراءة من قرأ وهم فى الغرفة بما صبروا بصبرهم
على الطاعات وعن الشهوات وعلى اذى الكفار ومجاهدتهم وعلى الفقر وغير ذلك واطلاقه لاجل
الشياع فى كل مصبور عليه وقرئ يلقون كقوله ولقاهم نضرة ويلقون كقوله يلق اثاما التحية
دعاء بالتعمير والسلام دعاء بالسلامة يعنى ان الملائكة يحيونهم ويسلمون عليهم او يحيى بعضهم
بعضا ويسلم عليه او يعطون التبقية والتخليد مع السلامة من كل آفة اللهم وفقنا لطاعتك و

اجعلنا مع اهل رحمتك وارزقنا مما ترزقهم في دار رضوانك خالدين فيها حسنت مستقرا ومقاما
قل ما يعبأ بكم ربي لولا دعاؤكم لما وصف عباده العباد وعدد صالحاتهم وحسناتهم واثنى عليهم من
اجلها ووعدهم الرفع من درجاتهم في الجنة اتبع ذلك بيان انه انما اكترث لاولئك وعبأ بهم واعلا
ذكرهم ووعدهم ما وعدهم لاجل عبادتهم فامر رسوله ان يصرح للناس ويجزم لهم القول بان
الاكتراث لهم عند ربهم انما هو للعبادة وحدها لا لمعنى آخر ولولا عبادتهم لم يكترث لهم البتة ولم يعتد
بهم ولم يكونوا عنده شيئا يبالى به والدعاء العبادة وما متضمنة لمعنى الاستفهام وهي في محل
النصب وهي عبارة عن المصدر كانه قيل واي عبء يعبأ بكم لولا دعاؤكم يعني انكم لا تستاهلون
شيئا من العبء بكم لولا عبادتكم وحقيقة قولهم ما عبأت به ما اعتددت به من فوادح همومي ومما
يكون عبئا علي كما تقول ما اكترثت له اي ما اعتددت به من كوارثي ومما يهمني وقال الزجاج
في تاويل يعبأ بكم ربي اي وزن يكون لكم عنده ويجوز ان تكون ما نافية فقد كذبتم فسوف يكون لزاما
يقول اذا اعلمتكم ان حكمي اني لا اعتد بعبادي الا لعبادتهم فقد خالفتم بتكذيبكم حكمي فسوف
يلزمكم اثر تكذيبكم حتى يكبكم في النار ونظيره في الكلام ان يقول الملك لمن استعصى عليه ان من
عادتي ان احسن الى من يطيعني ويتبع امري فقد عصيت فسوف ترى ما احل بك بسبب عصيانك و
قيل معناه ما يصنع بكم ربي لولا دعاؤه اياكم الى الاسلام وقيل ما يصنع بعذابكم لولا دعاؤكم
معه الهة الى من يتوجه هذا الخطاب الى الناس على الاطلاق ومنهم مؤمنون
عابدون ومكذبون عاصون فخوطب بما وجد في جنسهم من العبادة والتكذيب وقرئ فقد
كذب الكافرون وقيل يكون العذاب لزاما وعن مجاهد هو القتل يوم بدر وانه لوزم بين القتلى
لزاما وقرئ لزاما بالفتح بمعنى اللزوم كالثبات والثبوت والوجه ان ترك اسم كان غير منطوق به
بعدما علم انه مما توعد به لاجل الابهام وتناول ما لا يكتنهه الوصف والله اعلم عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الفرقان لقي الله يوم القيامة وهو مؤمن بان الساعة
آتية لا ريب فيها وادخل الجنة بغير نصب

سورة الشعراء مكية الا قوله والشعراء الى آخر السورة وهي مائتان وسبع وعشرون آية في رواية وفي رواية ست وعشرون آيات

بسم الله الرحمن الرحيم طسم تلك بتفخيم الالف وامالتها
واظهار النون وادغامها الكتاب المبين الظاهر اعجازه وصحة انه من عند الله والمراد به السورة
او القرآن والمعنى آيات هذا المؤلف من الحروف المبسوطة تلك آيات الكتاب المبين لعلك باخع

نفسك البخع ان يبلغ بالذبح البخاع بالباء وهو عرق مستبطن الفقار وذلك اقصى حد الذابح و
لعل للاشفاق يعني اشفق على نفسك ان تقتلها حسرة على ما فاتك من اسلام قومك ان لا يكونوا مؤمنين
لئلا يؤمنوا او لامتناع ايمانهم او خيفة ان لا يؤمنوا وعن قتادة باخع نفسك على الاضافة ان نشأ ننزل عليهم
من السماء آية فظلت اعناقهم لها خاضعين اراد آية ملجئة الى الايمان قاسرة عليه فظلت معطوف على الجزاء
الذي هو ننزل لانه لو قيل انزلنا لكان صحيحا ونظيره فاصدق واكن كانه قيل اصدق وقد قرئ لو شئنا
لانزلنا وقرئ فتظل اعناقهم كيف صح مجيء خاضعين خبرا عن الاعناق اصل
الكلام فظلوا لها خاضعين فاقحمت الاعناق لبيان موضع الخضوع وترك الكلام على اصله كقولهم ذهبت
اهل اليمامة كان الاهل غير مذكور ولما وصفت بالخضوع الذي هو للعقلاء قيل خاضعين كقوله ساجدين
وقيل اعناق الناس رؤساؤهم ومقدموهم شبهوا بالاعناق كما قيل لهم الرؤوس والنواصي والصدور
قال في محفل من نواصي الناس مشهود وقيل جماعات الناس يقال جاءنا عنق من الناس لفوج منهم و
قرئ فظلت اعناقهم لها خاضعة وعن ابن عباس نزلت هذه الآية فينا وفي بني امية قال ستكون لنا عليهم
الدولة فتذل لنا اعناقهم بعد صعوبة ويلحقهم هوان بعد عزة وما يأتيهم من ذكر من الرحمن محدث الا كانوا
عنه معرضين فقد كذبوا اي وما يجدد لهم الله بوحيه موعظة وتذكيرا الا جددوا اعراضا عنه وكفرا به
كيف خولف بين الالفاظ والغرض واحد وهو الاعراض والتكذيب والاستهزاء انما
خولف بينها لاختلاف الاغراض كانه قيل حين اعرضوا عن الذكر فقد كذبوا به وحين كذبوا به فقد خف
عندهم قدره وصار عرضة للاستهزاء والسخرية لان من كان قابلا للحق مقبلا عليه كان مصدقا به
لا محالة ولم يظن به التكذيب ومن كان مصدقا به كان موقرا له فسيأتيهم انباء ما كانوا به يستهزئون اولم يروا
الى الارض كم انبتنا فيها من كل زوج كريم وعيد لهم وانذار بانهم سيعلمون اذا مسهم عذاب الله يوم بدر ويوم القيامة
ما الشيء الذي كانوا يستهزئون به وهو القرآن وسيأتيهم انباؤه واحواله التي كانت خافية عليهم
وصف الزوج وهو الصنف من النبات بالكرم والكريم صفة لكل ما يرضى ويحمد في بابه يقال وجه كريم
اذا رضي في حسنه وجماله وكتاب كريم مرضي في معانيه وفوائده قال حتى يشق الصفوف من كرمه
اي من كونه مرضيا في شجاعته وبأسه والنبات الكريم المرضي فيما يتعلق به من المنافع ان في ذلك في انبات
تلك الاصناف لآية على ان منبتها قادر على احياء الموتى وقد علم الله ان اكثرهم مطبوع على قلوبهم غير مرجو
ايمانهم وما كان اكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز في انتقامه من الكفرة الرحيم لمن تاب وآمن وعمل صالحا
ما معنى الجمع بين كم وكل ولو قيل كم انبتنا فيها من زوج كريم قد دل كل على الاحاطة بازواج النبات

على سبيل التفصيل وكم على ان هذا المحيط متكاثر مفرط الكثرة فهذا معنى الجمع بينهما وبه نبه على كمال قدرته
فما معنى وصف الزوج بالكريم يحتمل معنيين احدهما ان النبات على نوعين نافع وضار
فذكر كثرة ما انبت في الارض من جميع اصناف النبات النافع وخلى ذكر الضار والثاني ان يعم جميع النبات
نافعه وضاره ويصفهما جميعا بالكرم وينبه على انه ما انبت شيئا الا وفيه فائدة لان الحكيم لا يفعل فعلا
الا لغرض صحيح ولحكمة بالغة وان غفل عنها الغافلون ولم يتوصل الى معرفتها العاقلون فحين ذكر الازواج
ودل عليها بكلمتي الكثرة والاحاطة وكانت بحيث لا يحصيها الا عالم الغيب كيف قال ان في ذلك لآية و
هلا قال آيات فيه وجهان ان يكون ذلك مشارا به الى مصدر انبتنا فكأنه قال ان في الانبات لآية
اي آية وان يراد ان في كل واحد من تلك الازواج لآية وقد سبقت لهذا الوجه نظائر واذ نادى ربك موسى ان
ائت القوم الظالمين قوم فرعون سجل عليهم بالظلم بان قدم القوم الظالمين ثم عطفهم عليهم عطف بيان كأن معنى
القوم الظالمين وترجمته قوم فرعون وكأنهما عبارتان تعتقبان على مؤدى واحد ان شاء ذاكرهم عبر عنهم بالقوم
الظالمين وان شاء عبر بقوم فرعون وقد استحقوا هذا الاسم من جهتين من جهة ظلمهم انفسهم بكفرهم وشرارتهم و
من جهة ظلمهم لبني اسرائيل باستعبادهم لهم قرئ الا يتقون بكسر النون بمعنى الا يتقونني فحذفت النون لاجتماع
النونين والياء للاكتفاء بالكسرة بم تعلق قوله الا يتقون هو كلام مستأنف اتبعه عز وجل
ارساله اليهم للانذار والتسجيل عليهم بالظلم تعجيبا لموسى عليه السلام من حالهم التي شنعت في الظلم والعسف
ومن امنهم العواقب وقلة خوفهم وحذرهم من ايام الله ويحتمل ان يكون لا يتقون حالا من الضمير في الظالمين
اي يظلمون غير متقين الله وعقابه فادخلت همزة الانكار على الحال واما من قرأ الا تتقون على الخطاب
فعلى طريقة الالتفات اليهم وجبههم وضرب وجوههم بالانكار والغضب عليهم كما ترى من يشكو من ركب جناية
الى بعض اخصائه والجاني حاضر فاذا اندفع في الشكاية وحر مزاجه وحمي غضبه قطع مباثة صاحبه واقبل على
الجاني يوبخه ويعنف به ويقول له الم تتق الله الم تستحي من الناس ما فائدة هذا الالتفات و
الخطاب مع موسى عليه السلام في وقت المناجاة والملتفت اليهم غيب لا يشعرون اجراء ذلك في
تكليم المرسل اليهم في معنى اجرائه بحضرتهم والقائه الى مسامعهم لانه مبلغه ومنهيه وناشره بين الناس وله
فيه لطف وحث على زيادة التقوى وكم من آية انزلت في شأن الكافرين وفيها اوفر نصيب للمؤمنين تدبرا
لها واعتبارا بموردها وفي الا يتقون بالياء وكسر النون وجه آخر وهو ان يكون المعنى الا يا ناس اتقون
كقوله الا يا اسجدوا قال رب اني اخاف ان يكذبون ويضيق صدري ولا ينطلق لساني ويضيق وينطلق بالرفع لانهما
معطوفان على خبر ان وبالنصب لعطفهما على صلة ان والفرق بينهما في المعنى ان الرفع يفيد ان فيه ثلاث علل

خوف التكذيب وضيق الصدر وامتناع انطلاق اللسان والنصب على ان خوفه متعلق بهذه الثلاثة
في النصب تعليق الخوف بالامور الثلاثة وفي جملتها نفي انطلاق اللسان وحقيقة الخوف
انما هي غم يلحق الانسان لامر سيقع وذلك كان واقعا فكيف جاز تعليق الخوف به قد علق
الخوف بتكذيبهم وبما يحصل له بسببه من ضيق الصدر والحبسة في اللسان زائدة على ما كان به على ان
تلك الحبسة التي كانت به قد زالت بدعوته وقيل بقيت منها بقية يسيرة اعتذارك هذا
يرده الرفع لان المعنى اني خائف ضيق الصدر غير منطلق اللسان يجوز ان يكون هذا قبل
الدعوة واستجابتها ويجوز ان يريد القدر اليسير الذي بقي به ويجوز ان لا يكون مع حل العقدة من
لسانه من الفصحاء المصاقع الذين اوتوا سلاطة الالسنة وبسطة المقال وهارون كان بتلك
الصفة فاراد ان يقرن به ويدل عليه قوله عز وجل واخي هارون هو افصح مني لسانا فارسل الى هارون
ارسل اليه جبرئيل واجعله نبيا وآزرني به واشدد به عضدي وهذا كلام مختصر وقد بسطه
في غير هذا الموضع وقد احسن في الاختصار حيث قال فارسل الى هارون فجاء بما يتضمن معنى
الاستنباء ومثله في تقصير الطويلة والحسن قوله تعالى فقلنا اذهبا الى القوم الذين كذبوا بآيا تنا
فدمرناهم تدميرا حيث اقتصر على ذكر طرفي القصة اولها وآخرها وهما الانذار والتدمير
ودل بذكرهما على ما هو الغرض من القصة الطويلة كلها وهو انهم كذبوا بآيات الله فاراد الزام
الحجة عليهم فبعث اليهم رسولين فكذبوهما فاهلكهم كيف ساغ لموسى عليه السلام ان
يأمره الله بامر فلا يتقبله بسمع وطاعة من غير توقف وتشبث بعلل وقد علم ان الله من ورائه
قد امتثل وتقبل ولكنه التمس من ربه ان يعضده باخيه حتى يتعاونا على تنفيذ امره
وتبليغ رسالته فمهد قبل التماسه عذره فيما التمسه ثم التمس بعد ذلك وتمهيد العذر في التماس
المعين على تنفيذ الامر ليس بتوقف في امتثال الامر ولا بتعلل فيه وكفى بطلب العون دليلا على
التقبل لا على التعلل اراد بالذنب قتله القبطي وقيل كان خباز فرعون واسمه فاتون يعني
ولهم علي تبعة ذنب وهي قود ذلك القتل فاخاف ان يقتلون به فحذف المضاف او سمى تبعة الذنب
ذنبا كما سمى جزاء السيئة سيئة قد ابيت ان تكون تلك الثلاث عللا وجعلتها تمهيدا
للعذر فيما التمسه فما قولك في هذه الرابعة هذه استدفاع للبلية المتوقعة وفرق
من ان يقتل قبل اداء الرسالة فكيف يكون تعللا والدليل عليه ما جاء بعده من كلمة الردع و
الموعد بالكلاءة والدفع جمع الله له الاستجابتين معا في قوله قال كلا فاذهبا بآياتنا كلا فاذهبا

لأنه استدفعه بلاءين فوعده الدفع بردعه عن الخوف والتمس منه الموازرة بأخيه فأجابه بقوله
اذهبا اى اذهب انت والذى طلبته وهو هارون . علام عطف قوله فاذهبا
على الفعل الذى يدل عليه كلا كانه قيل ارتدع يا موسى عما تظن فاذهب انت وهارون وقوله معكم
مستمعون من مجاز الكلام يريد انا لكما ولعدوكما كالناصر الظهير لكما عليه اذا حضر واستمع ما يجرى
بينكما وبينه فاظهركما واغلبكما واكسر شوكته عنكما وانكسه ويجوز ان يكونا خبرين لان او يكون
مستمعون مستقرا ومعكم لغوا . لم جعلت مستمعون قرينة معكم فى كونه من باب المجاز والله
تعالى يوصف على الحقيقة بانه سميع وسامع . ولكن لا يوصف بالمستمع على الحقيقة لان الاستماع
جار مجرى الاصغاء والاستماع من السمع بمنزلة النظر من الرؤية ومنه قوله تعالى قل اوحى الى انه
استمع نفر من الجن فقالوا انا سمعنا قرآنا عجبا ويقال استمع الى حديثه وسمع حديثه اى اصغى اليه
وادركه بحاسة السمع ومنه قوله عليه السلام من استمع الى حديث قوم وهم له كارهون صب فى
اذنيه البرم فأتيا فرعون فقولا انا رسول رب العالمين . هلا ثنى الرسول كما ثنى فى قوله
انا رسولا ربك . الرسول يكون بمعنى المرسل وبمعنى الرسالة فجعله ثم بمعنى المرسل فلم يكن بد
من تثنيته وجعله ههنا بمعنى الرسالة فجازت التسوية فيه اذا وصف به الواحد والتثنية والجمع كما
يفعل فى الصفة بالمصادر نحو صوم وزور قال ألكنى اليها وخير الرسول اعلمهم بنواحى الخبر
فجعله للجماعة والشاهد فى الرسول بمعنى الرسالة قوله لقد كذب الواشون ما فهت عندهم
بسر ولا ارسلتهم برسول ويجوز ان يوحد لان حكمهما لتساندهما واتفاقهما على شريعة واحدة
واتحادهما لذلك وللاخوة كان حكما واحدا فكانهما رسول واحد او اريد ان كل واحد منا ان ارسل
معنا بنى اسرائيل ان بمعنى اى ارسل لتضمن الرسول معنى الارسال وتقول ارسلت اليك ان افعل
كذا لما فى الارسال من معنى القول كما فى المناداة والكتابة ونحو ذلك ومعنى هذا الارسال التخلية
والاطلاق كقولك ارسل البازى يريد خلهم يذهبوا معنا الى فلسطين وكانت مسكنهما ويروى انهما
انطلقا الى باب فرعون فلم يؤذن لهما سنة حتى قال البواب ان ههنا انسانا يزعم انه رسول رب العالمين
فقال ائذن له لعلنا نضحك منه فاديا اليه الرسالة فعرف موسى فقال له الم نربك فينا وليدا ولبثت
فينا . حذف فأتيا فرعون فقالا ذلك لانه معلوم لا يشتبه وهذا النوع من الاختصار كثير فى التنزيل
الوليد الصبى لقرب عهده من الولادة وفى رواية عن ابى عمرو من عمرك بسكون الميم سنين قيل
مكث عندهم ثلثين سنة وقيل وكز القبطى وهو ابن ثنتى عشرة سنة وفر منهم على اثرها والله اعلم بصحيح ذلك

وعن الشعبى فعلتك بالكسر وهى قتلة القبطى لانه قتله بالوكزة وهو ضرب من القتل واما
الفعلة فلانها كانت وكزة واحدة . عدد عليه نعمته من تربيته وتبليغه مبلغ الرجال ووبخه بما جرى
على يده من قتل خبازه وعظم ذلك وفظعه بقوله وفعلت فعلتك التى فعلت وانت من الكافرين يجوز ان يكون
حالا اى قتلته وانت لذلك من الكافرين بنعمتى او وانت اذ ذاك ممن تكفرهم الساعة وقد افترى عليه او
جهل امره لانه كان يعايشهم بالتقية فان الله عز وعلا عاصم من يريد ان يستنبئه من كل كبيرة ومن
بعض الصغائر فما بال الكفر ويجوز ان يكون قوله وانت من الكافرين حكما عليه بانه من الكافرين بالنعم و
من كانت عادته كفران النعم لم يكن قتل خواص المنعم عليه بدعا منه او بانه من الكافرين بفرعون والهيته
او من الذين كانوا يكفرون فى دينهم فقد كانت لهم آلهة يعبدونهم يشهد لذلك قوله تعالى ويذرك و
آلهتك وقرئ والاهتك قال فعلتها اذا وانا فاجابه موسى عليه السلام بان تلك الفعلة انما فرطت منه
وهو من الضالين اى الجاهلين وقراءة ابن مسعود من الجاهلين مفسرة والمعنى من الفاعلين فعل
اولى الجهل والسفه كما قال يوسف لاخوته هل علمتم ما فعلتم بيوسف واخيه اذ انتم جاهلون او المخطئين
كمن يقتل خطأ من غير تعمد للقتل او الذاهبين عن الصواب او الناسين من قوله ان تضل احداهما
فتذكر احداهما الاخرى وكذب فرعون ودفع الوصف بالكفر عن نفسه وبرأ ساحته بان وضع
الضالين موضع الكافرين ربأ بمحل من رشح للنبوة عن تلك الصفة ثم كر على امتنانه عليه بالتربية
فابطله من اصله واستأصله من سنخه وأبى ان تسمى نعمته الا نقمة حيث بين ان حقيقة انعامه
عليه تعبيد بنى اسرائيل لان تعبيدهم وقصدهم بذبح ابنائهم هو السبب فى حصوله عنده وتربيته فكانه
امتن عليه بتعبيد قومه اذا حققت وتعبيدهم تذليلهم واتخاذهم عبيدا يقال عبدت الرجل و
اعبدته اذا اتخذته عبدا قال علام يعبدنى قومى وقد كثرت فيهم اباعر ما شاؤا وعبدان
اذن جواب وجزاء معا والكلام وقع جوابا لفرعون فكيف وقع جزاء . قول
فرعون وفعلت فعلتك فيه معنى انك جازيت نعمتى بما فعلت فقال له موسى فعلتها مجازيا لك تسليما
لقوله لان نعمته كانت عنده جديرة بان تجازى بنحو ذلك الجزاء . لم جمع الضمير فى منكم وخفتكم
مع افراده فى تمنها وعبدت . الخوف والفرار لم يكونا منه وحده ولكن منه ومن ملئه المؤتمرين
بقتله بدليل قوله ان الملأ يأتمرون بك ليقتلوك واما الامتنان فمنه وحده وكذلك التعبيد فوهب
لى ربى حكما وجعلنى من المرسلين . تلك نعمة تمنها على اشارة الى ماذا وان عبدت بنى اسرائيل
ما محلها من الاعراب . تلك اشارة الى خصلة شنعاء مبهمة لا يدرى ما هى الا بتفسيرها ومحل

أن عبدت الرفع عطف بيان لتلك ونظيره قوله تعالى وقضينا اليه ذلك الأمر أن دابر هؤلاء مقطوع
والمعنى تعبيدك بني إسرائيل نعمة تمنها علي وقال الزجاج ويجوز أن يكون أن في موضع نصب المعنى إنما
صارت نعمة علي لأن عبدت بني إسرائيل اي لو لم تفعل ذلك لكفلني أهلي ولم يلقوني في اليم لما قال
له بوابه إن ههنا من يزعم أنه رسول رب العالمين قال له عند دخوله قال فرعون وما رب العالمين قال رب
السموات والأرض وما رب العالمين يريد أي شيء رب العالمين وهذا السؤال لا يخلو إما أن يريد به أي
شيء هو من الأشياء التي شوهدت وعرفت أجناسها فأجاب بما يستدل به عليه من أفعاله الخاصة
ليعرفه أنه ليس بشيء مما شوهد وعرف من الأجرام والأعراض وأنه شيء مخالف لجميع الأشياء ليس
كمثله شيء وأما أن يريد به أي شيء هو على الإطلاق تفتيشا عن حقيقته الخاصة ما هي فأجابه
بأن الذي إليه سبيل وهو الكافي في معرفته معرفة ثباته بصفاته استدلالا بأفعاله الخاصة على
ذلك وأما التفتيش عن حقيقته الخاصة التي هي فوق فطر العقول فتفتيش عما لا سبيل إليه والسائل
عنه متعنت غير طالب للحق والذي يليق بحال فرعون ويدل عليه أن يكون الكلام سؤاله هذا إنكارا
لأن يكون للعالمين رب سواه لادعائه الإلهية فلما أجاب موسى بما أجاب عجب قومه من جوابه حيث
نسب الربوبية إلى غيره فلما ثنى بتقرير قوله جننه إلى قومه وطنز به حيث سماه رسولهم فلما ثلث
بتقرير آخر احتد واحتدم وقال لئن اتخذت إلها غيري وهذا يدل على صحة هذا الوجه الأخير
كيف قيل وما بينهما على التثنية والمرجوع إليه مجموع   أريد وما بين الجنسين فعل
بالمضمر ما فعل بالظاهر من قال في الهيجا جمالين   ما معنى قوله إن كنتم موقنين وأين عن
فرعون وملائه الإيقان   معناه إن كان يرجى منكم الإيقان الذي يؤدي إليه النظر الصحيح
نفعكم هذا الجواب وإلا لم ينفع أو إن كنتم موقنين بشيء قط فهذا أولى ما توقنون به لظهوره
وإنارة دليله   ومن كان حوله   أشراف قومه قيل كانوا خمسمائة رجل عليهم الأساور
وكانت للملوك خاصة   ذكر السموات والأرض وما بينهما قد استوعب به الخلائق كلها فما معنى
ذكرهم وذكر آبائهم بعد ذلك وذكر المشرق والمغرب   قد عم أولا ثم خصص من العام للبيان
أنفسهم وآباءهم لأن أقرب المنظور فيه من العاقل نفسه ومن ولد منه وما شاهد وعاين من
الدلائل على الصانع والناقل من هيئة إلى هيئة وحال إلى حال من وقت ميلاده إلى وقت وفاته ثم
خصص المشرق والمغرب لأن طلوع الشمس من أحد الخافقين وغروبها في الآخر على تقدير مستقيم
في فصول السنة وحساب مستو من أظهر ما استدل به ولظهوره انتقل إلى الاحتجاج به خليل الله عن

قال لمن حوله ألا تستمعون قال ربكم ورب آبائكم الأولين قال إن رسولكم الذي أرسل إليكم لمجنون قال رب المشرق والمغرب وما بينهما

عن الاحتجاج بالإحياء والإماتة على نمروذ بن كنعان فبهت الذي كفر وقرئ رب المشارق الذي
أرسل إليكم بفتح الهمزة   كيف قال أولا إن كنتم موقنين وآخرا إن كنتم تعقلون   لاين أولا
فلما رأى منهم شدة الشكيمة في العناد وقلة الإصغاء إلى عرض الحجج خاشن وعارض إن رسولكم لمجنون
بقوله إن كنتم تعقلون   ألم يكن لأسجننك أخصر من قال لئن اتخذت إلها غيري لأجعلنك من المسجونين
ومؤديا مؤداه   أما أخصر فنعم وأما مؤد مؤداه فلا لأن معناه لأجعلنك واحدا ممن عرفت
حالهم في سجوني وكان من عادته أن يأخذ من يريد سجنه فيطرحه في هوة ذاهبة في الأرض بعيدة العمق
فردا لا يبصر فيها ولا يسمع فكان ذلك أشد من القتل وأشد الواو في قوله قال أولو جئتك واو الحال
دخلت عليها همزة الاستفهام معناه أتفعل ذلك ولو جئتك بشيء مبين قال فأت به إن كنت من الصادقين
أنه لا يأتي بالمعجزة إلا الصادق في دعواه لأن المعجزة تصديق من الله لمدعي النبوة والحكيم لا
يصدق الكاذب ومن العجب أن مثل فرعون لم يخف عليه هذا وخفي على ناس من أهل القبلة حيث جوزوا
القبيح على الله حتى لزمهم تصديق الكاذبين بالمعجزات وتقديره إن كنت من الصادقين في دعواك أتيت
به فحذف الجزاء لأن الأمر بالإتيان به يدل عليه فألقى عصاه فإذا هي ثعبان مبين ونزع يده فإذا هي
بيضاء ثعبان مبين ظاهر الثعبانية لا شيء يشبه الثعبان كما يكون الأشياء المزورة بالشعوذة
والسحر وروي أنها انقلبت حية ارتفعت في السماء قدر ميل ثم انحطت مقبلة إلى فرعون و
جعلت تقول يا موسى مرني بما شئت ويقول فرعون أسألك بالذي أرسلك إلا أخذتها فأخذها
فعادت عصا للناظرين دليل على أن بياضها كان شيئا يجتمع النظارة على النظر إليه لخروجه عن
العادة وكان بياضا نوريا روي أن فرعون لما أبصر الآية الأولى قال فهل غيرها فأخرج يده
فقال له ما هذه قال يدك فما فيها فأدخلها في إبطه ثم نزعها ولها شعاع يكاد يغشي الأبصار ويسد
الأفق قال للملإ حوله   ما العامل في حوله   هو منصوب نصبين نصب في اللفظ و
نصب في المحل فالعامل في النصب اللفظي ما يقدر في الظرف والعامل في النصب المحلي وهو النصب
على الحال قال ولقد تحير فرعون لما أبصر الآيتين وبقي لا يدري أي طرفيه أطول حتى زل عنه ذكر دعوى
الإلهية وحط عن منكبيه كبرياء الربوبية وارتعدت فرائصه وانتفخ سحره خوفا وفرقا و
بلغت به الاستكانة لقومه الذين هم بزعمه عبيده وهو إلههم أن طفق يؤامرهم ويعترف لهم بما حذره
منه وتوقعه وأحس به من جهة موسى وغلبته على ملكه وأرضه وقوله إن هذا لساحر عليم قول باهت
إذا غلب ومتمحل إذا لزم يريد أن يخرجكم من أرضكم بسحره فماذا تأمرون قالوا أرجه وأخاه وابعث في المدائن

أي جائيا بالمعجزة وفي قوله

تأمرون من المؤامرة وهي المشاورة أو من الأمر الذي هو ضد النهي جعلوا لعبيد آمرين وربهم مأمورا لما
استولى عليه من فرط الدهش والحيرة وماذا منصوب إما لكونه في معنى المصدر وإما لأنه مفعول به من
قوله أمرتك الخير قرئ أرجئه وأرجه بالهمزة والتخفيف وهما لغتان يقال أرجأته وأرجيته إذا أخرته
ومنه المرجئة وهم الذين لا يقطعون بوعيد الفساق ويقولون هم مرجون لأمر الله والمعنى أخره و
مناظرته لوقت اجتماع السحرة وقيل احبسه حاشرين شرطا يحشرون السحرة وعارضوا قوله إن هذا
لساحر بقولهم يأتوك بكل سحار عليم فجمع السحرة لميقات يوم معلوم وقيل للناس بكل سحار فجاءوا بكلمة الإحاطة
وصفة المبالغة ليطامنوا من نفسه ويسكنوا بعض قلقه وقرأ الأعمش بكل ساحر اليوم المعلوم
يوم الزينة وميقاته وقت الضحى لأنه الوقت الذي وقته لهم موسى عليه السلام من يوم الزينة في قوله
موعدكم يوم الزينة وأن يحشر الناس ضحى والميقات ما وقت به أي حدد من زمان أو مكان ومنه مواقيت
الإحرام هل أنتم مجتمعون استبطاء لهم في الاجتماع والمراد منه استعجالهم واستحثاثهم كما يقول الرجل
لغلامه هل أنت منطلق إذا أراد أن يحرك منه ويحثه على الانطلاق كأنما يخيل له أن الناس قد
انطلقوا وهو واقف ومنه قول تأبط شرا هل أنت باعث دينار لحاجتنا أو عبد رب أخا عون
ابن مخراق يريد ابعثه إلينا سريعا ولا تبطئ به لعلنا نتبع السحرة إن كانوا هم الغالبين فلما جاء السحرة
قالوا لفرعون أئن لنا لأجرا إن كنا نحن الغالبين قال نعم أي في دينهم إن غلبوا موسى ولا نتبع موسى في دينه
وليس غرضهم باتباع السحرة وإنما الغرض الكلي أن لا يتبعوا موسى فساقوا الكلام مساق الكناية لأنهم
إذا اتبعوهم لم يكونوا متبعين لموسى وقرئ نعم بالكسر وهما لغتان ولما كان قوله إن لنا لأجرا في معنى
جزاء الشرط لدلالته عليه وكان قوله وإنكم إذا لمن المقربين معطوفا عليه ومدخلا في حكمه دخلت إذا
قارة في مكانها الذي تقتضيه من الجواب والجزاء وعدهم أن يجمع لهم إلى الثواب على سحرهم الذي قدروا
أنهم يغلبون به موسى القربة عنده والزلفى قال لهم موسى ألقوا ما أنتم ملقون فألقوا حبالهم وعصيهم
وقالوا بعزة فرعون وهي من أيمان الجاهلية وهكذا كل حلف بغير الله ولا يصح في الإسلام
إلا الحلف بالله معلقا ببعض أسمائه أو صفاته كقولك بالله والرحمن وربي ورب العرش وعزة الله و
جلال الله وعظمة الله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تحلفوا بآبائكم ولا بأمهاتكم ولا بالطواغيت ولا
تحلفوا إلا بالله ولا تحلفوا بالله إلا وأنتم صادقون ولقد استحدث الناس في هذا الباب في إسلامهم
جاهلية نسيت لها الجاهلية الأولى وذلك أن الواحد منهم لو أقسم بأسماء الله كلها وصفاته على شيء
لم يقبل منه ولم يعتد بها حتى يقسم برأس سلطانه فإذا أقسم به فتلك عندهم جهد اليمين التي ليس وراءها حلف

إنا لنحن الغالبون فألقى موسى عصاه فإذا هي تلقف ما يأفكون ما يقلبونه عن وجهه وحقيقته بسحرهم وكيدهم ويزورونه
فيخيلون في حبالهم وعصيهم أنها حيات تسعى بالتمويه على الناظرين أو إفكهم سمى تلك الأشياء إفكا مبالغة روي
أنهم قالوا إن يك ما جاء به موسى سحرا فلن يغلب وإن يك من عند الله فلن يخفى علينا فلما قذف عصاه فتلقفت
ما أتوا به علموا أنه من الله فآمنوا وعن عكرمة أصبحوا سحرة وأمسوا شهداء وإنما عبر عن الخرور بالإلقاء
لأنه ذكر مع الإلقاءات فسلك به طريق المشاكلة وفيه أيضا مع مراعاة المشاكلة أنهم حين رأوا ما رأوا لم
يتمالكوا أن رموا بأنفسهم إلى الأرض ساجدين قالوا آمنا برب موسى وهرون قال آمنتم له قبل أن آذن لكم إنه
لكبيركم الذي علمكم السحر كأنهم أخذوا فطرحوا طرحا فاعل الإلقاء ما هو لو صرح
هو الله عز وجل بما خولهم من التوفيق أو إيمانهم أو ما عاينوا من المعجزة الباهرة ولك أن لا تقدر فاعلا
لأن ألقوا بمعنى خروا وسقطوا رب موسى وهرون عطف بيان لرب العالمين لأن فرعون لعنه الله كان
يدعي الربوبية فأرادوا أن يعزلوه ومعنى إضافته إليهما في ذلك المقام أنه الذي يدعو إليه هذان
والذي أجرى على أيديهما ما أجرى فلسوف تعلمون أي وبال ما فعلتم لأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف و
لأصلبنكم أجمعين قالوا لا ضير إنا إلى ربنا منقلبون إنا نطمع أن يغفر لنا ربنا خطايانا أن كنا أول المؤمنين الضر
والضير والضور واحد أرادوا لا ضرر علينا في ذلك بل لنا فيه أعظم النفع لما يحصل لنا في الصبر عليه لوجه
الله من تكفير الخطايا والثواب العظيم مع الأعواض الكثيرة أو لا ضير علينا فيما تتوعدنا به من القتل أنه لا بد
لنا من الانقلاب إلى ربنا بسبب من أسباب الموت والقتل أهون أسبابه وأرجاها أو لا ضير علينا في
قتلك إنك إن قتلتنا انقلبنا إلى ربنا انقلاب من يطمع في مغفرته ويرجو رحمته لما رزقنا من السبق إلى الإيمان
وخبر لا محذوف والمعنى لا ضير في ذلك أو علينا أن كنا معناه لأن كنا وكانوا أول جماعة مؤمنين
من أهل زمانهم أو من رعية فرعون أو من أهل المشهد وقرئ إن كنا بالكسر وهو من الشرط الذي
يجيء به المدل بأمره المتحقق لصحته وهم كانوا متحققين أنهم أول المؤمنين ونظيره قول العامل لمن يؤخر
جعله إن كنت عملت لك فوفني حقي ومنه قوله عز وجل إن كنتم خرجتم جهادا في سبيلي وابتغاء مرضاتي
مع علمه أنهم لم يخرجوا إلا لذلك وأوحينا إلى موسى أن أسر بعبادي قرئ أسر بقطع الهمزة ووصلها وسر
إنكم متبعون علل الأمر بالإسراء باتباع فرعون وجنوده آثارهم والمعنى أني بنيت تدبير أمركم
وأمرهم على أن تتقدموا ويتبعوكم حتى يدخلوا مدخلكم ويسلكوا مسلككم من طريق البحر فأطبقه
عليهم فأهلكهم وروي أنه مات في تلك الليلة في كل بيت من بيوتهم ولد فاشتغلوا بموتاهم
حتى خرج موسى بقومه وروي أن الله أوحى إلى موسى أن اجمع بني إسرائيل كل أربعة أبيات

فألقي السحرة

العالمين رب

في بيت ثم اذبحوا الجداء واضربوا بدمائها على أبوابكم فإني سآمر الملائكة أن لا يدخلوا بيتا على بابه دم وسآمرهم
بقتل أبكار القبط واخبزوا خبزا فطيرا فإنه أسرع لكم ثم أسر بعبادي حتى تنتهي إلى البحر فيأتيك أمري فأرسل
فرعون في المدائن حاشرين في أثره ألف ألف وخمسمائة ألف ملك مسور مع كل ملك ألف وخرج فرعون
في جمع عظيم وكانت مقدمته سبعمائة ألف كل رجل على حصان وعلى رأسه بيضة وعن ابن عباس خرج
فرعون في ألف ألف حصان سوى الإناث فلذلك استقل قوم موسى وكانوا ستمائة ألف وسبعين ألفا
وسماهم شرذمة قليلين إن هؤلاء لشرذمة قليلون وإنهم لنا لغائظون وإنا لجميع حاذرون محكية بعد قول مضمر
والشرذمة الطائفة القليلة ومنها قولهم ثوب شراذم للذي بلي وتقطع قطعا ذكرهم بالاسم الدال
على القلة ثم جعلهم قليلا بالوصف ثم جمع القليل فجعل كل حزب منهم قليلا واختار جمع السلامة الذي هو
للقلة وقد يجمع القليل على أقلة وقلل ويجوز أن يريد بالقلة الذلة والقماءة ولا يريد قلة العدد
والمعنى أنهم لقلتهم لا يبالى بهم ولا يتوقع غلبتهم وعلوهم ولكنهم يفعلون أفعالا تغيظنا وتضيق
صدورنا ونحن قوم من عادتنا التيقظ والحذر واستعمال الحزم في الأمور فإذا خرج علينا خارج
سارعنا إلى حسم فساده وهذه معاذير اعتذر بها إلى أهل المدائن لئلا يظن به ما يكسر من قهره
وسلطانه وقرئ حذرون وحاذرون وحادرون بالدال غير المعجمة فالحذر اليقظ والحاذر الذي
يجدد حذره وقيل المؤدي في السلاح وإنما يفعل ذلك حذرا واحتياطا لنفسه والحادر السمين
القوي قال أحب الصبي السوء من أجل أمه وأبغضه من بغضها وهو حادر أراد أنهم أقوياء
أشداء وقيل مدججون في السلاح قد كسبهم ذلك حدارة في أجسامهم فأخرجناهم من جنات وعيون و
كنوز ومقام كريم وعن مجاهد سماها كنوزا لأنهم لم ينفقوا منها في طاعة الله والمقام المكان يريد
المنازل الحسنة والمجالس البهية وعن الضحاك المنابر وقيل السرر في الحجال كذلك وأورثناها
بني إسرائيل يحتمل ثلاثة أوجه النصب على أخرجناهم مثل ذلك الإخراج الذي وصفنا والجر على أنه
وصف لمقام أي مقام كريم مثل ذلك المقام الذي كان لهم والرفع على أنه خبر لمبتدأ محذوف أي الأمر
كذلك فأتبعوهم فلحقوهم وقرئ فاتبعوهم مشرقين داخلين في وقت الشروق من شرقت الشمس شروقا
إذا طلعت فلما تراءى الجمعان قال أصحاب موسى إنا لمدركون قال كلا إن معي ربي سيهدين طريق النجاة من
إدراكهم وإضرارهم وقرئ فلما تراءت الفئتان إنا لمدّركون بتشديد الدال وكسر الراء من ادّرك
الشيء إذا تتابع ففني ومنه قوله تعالى بل ادّارك علمهم في الآخرة قال الحسن جهلوا علم الآخرة
وفي معناه بيت الحماسة أبعد بني أمي الذين تتابعوا أرجي الحياة أم من الموت أجزع والمعنى إنا

لمتدارِكون في الهلاك على أيديهم حتى لا يبقى منا أحد فأوحينا إلى موسى أن اضرب بعصاك البحر فانفلق فكان كل
فرق كالطود العظيم الفرق الجزء المتفرق منه وقرئ كل فلق والمعنى واحد والطود الجبل العظيم المنطاد
في السماء وأزلفنا ثم الآخرين حيث انفلق البحر الآخرين قوم فرعون أي قربناهم من بني إسرائيل أو أدنينا
بعضهم من بعض وجمعناهم حتى لا ينجو منهم أحد أو قدمناهم إلى البحر وقرئ وأزلقنا بالقاف أي
أزللنا أقدامهم والمعنى أذهبنا عزهم كقوله تداركتما عبسا وقد ثل عرشها وذبيان إذ زلت
بأقدامها النعل ويحتمل أن يجعل الله طريقهم في البحر على خلاف ما جعله لبني إسرائيل يبسا فيزلقهم فيه
عن عطاء بن السائب أن جبريل كان بين بني إسرائيل وبين آل فرعون وكان يقول لبني إسرائيل ليلحق آخركم
أولكم ويستقبل القبط فيقول رويدكم ليلحق آخركم فلما انتهى موسى إلى البحر قال له مؤمن آل فرعون و
كان بين يدي موسى أين أمرت فهذا البحر أمامك وقد غشيك آل فرعون قال أمرت بالبحر ولا يدري موسى
ما يصنع فأوحى الله إليه أن اضرب بعصاك البحر فضربه فصار فيه اثنا عشر طريقا لكل سبط طريق
وروي أن يوشع قال يا كليم الله أين أمرت فقد غشينا فرعون والبحر أمامنا قال موسى هاهنا فخاض
يوشع الماء وضرب موسى بعصاه البحر فدخلوا وروي أن موسى قال عند ذلك يا من كان قبل كل شيء
والمكون لكل شيء والكائن بعد كل شيء ويقال هذا البحر هو بحر القلزم وقيل هو بحر من وراء
مصر يقال له إساف وأنجينا موسى ومن معه أجمعين ثم أغرقنا الآخرين إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين
إن في ذلك لآية أية آية وآية لا توصف وقد عاينها الناس وشاع أمرها فيهم وما تنبه عليها أكثرهم
ولا آمن بالله وبنو إسرائيل الذين كانوا أصحاب موسى المخصوصين بالإنجاء فقد سألوا بقرة يعبدونها
واتخذوا العجل وطلبوا رؤية الله جهرة وإن ربك لهو العزيز الرحيم المنتقم من أعدائه الرحيم بأوليائه
واتل عليهم نبأ إبراهيم إذ قال لأبيه وقومه كان إبراهيم صلوات الله عليه يعلم أنهم عبدة أصنام ولكنه سألهم
أن ما يعبدون ليريهم أن ما يعبدونه ليس من استحقاق العبادة في شيء كما تقول للتاجر ما مالك وأنت تعلم أن ماله الرقيق
ثم تقول له الرقيق جمال وليس بمال ما تعبدون سؤال عن المعبود فحسب وكان القياس أن
يقولوا أصناما كقوله ويسألونك ماذا ينفقون قل العفو ماذا قال ربكم قالوا الحق ماذا أنزل ربكم قالوا
خيرا وهؤلاء قد جاؤوا بقصة أمرهم كاملة كالمبتهجين بها والمفتخرين فاشتملت على جواب
إبراهيم وعلى ما قصدوه من إظهار ما في نفوسهم من الابتهاج والافتخار ألا تراهم كيف عطفوا على قولهم
نعبد فقالوا نعبد أصناما فنظل لها عاكفين ولم يقتصروا على زيادة نعبد وحده ومثاله أن تقول
لبعض الشطار ما تلبس في بلادك فيقول ألبس البرد الأتحمي فأجر ذيله بين جواري الحي وإنما قال

نظل لانهم كانوا يعبدونها بالنهار دون الليل قال هل يسمعونكم اذ تدعون او ينفعونكم او يضرون قالوا بل وجدنا
آباءنا كذلك يفعلون قال افرايتم ما كنتم تعبدون انتم وآباؤكم الاقدمون لابد في يسمعونكم من تقدير حذف المضاف
معناه هل يسمعون دعاءكم وقرأ قتادة يُسمعونكم اي هل يُسمعونكم الجواب عن دعائكم وهل يقدرون على ذلك
وجاء مضارعا مع ايقاعه في اذ على حكاية الحال الماضية ومعناه استحضروا الاحوال الماضية التي كنتم تدعونها
فيها وقولوا هل سمعوا او اسمعوا قط وهذا ابلغ في التبكيت لما اجابوا بجواب المقلدين لآبائهم قال لهم رقوا امر
تقليدكم هذا الى اقصى غاياته وهي عبادة الاقدمين الاولين من آبائكم فان التقدم والاولية لا يكون برهانا
على الصحة والباطل لا ينقلب حقا بالقدم وما عبادة من عبد هذه الاصنام الا عبادة اعداء له ومعنى
العداوة قوله تعالى كلا سيكفرون بعبادتهم ويكونون عليهم ضدا ولان المغري على عبادتها اعدى اعداء
الانسان وهو الشيطان وانما قال فانهم عدو لي تصويرا للمسئلة في نفسه على معنى اني فكرت في امري فرايت
عبادتي لها عبادة للعدو فاجتنبتها وآثرت عبادة من الخير كله منه واراهم بذلك انها نصيحة نصح بها
نفسه اولا وبنى عليها تدبير امره لينظروا فيقولوا ما نصحنا ابرهيم الا بما نصح به نفسه وما اراد لنا الا
ما اراد لروحه ليكون ادعى لهم الى القبول وابعث على الاستماع منه ولو قال فانه عدو لكم لم يكن بتلك
المثابة ولانه دخل في باب من التعريض وقد يبلغ التعريض للمنصوح ما لا يبلغه التصريح لانه يتامل فيه فربما
قاده التامل الى التقبل ومنه ما يحكى عن الشافعي رضي الله عنه ان رجلا واجهه بشيء فقال لو كنت بحيث
انت لاحتجت الى ادب وسمع رجل ناسا يتحدثون في الحجر فقال ما هو بيتي ولا بيتكم والعدو والصديق
يجيآن في معنى الوحدة والجماعة قال وقوم علي ذوي ميرة اراهم عدوا وكانوا صديقا
ومنه قوله تعالى وهم لكم عدو شبها بالمصادر للموازنة كالقبول والولوع والحنين والصهيل الا رب
العالمين الذي خلقني استثناء منقطع كانه قال ولكن رب العالمين فهو يهدين والذي هو يطعمني ويسقين
واذا مرضت فهو يشفين والذي يميتني ثم يحيين والذي اطمع ان يغفر لي خطيئتي يوم الدين يريد انه حين اتم
خلقه ونفخ فيه الروح عقب ذلك هدايته المتصلة التي لا تنقطع الى كل ما يصلحه ويعنيه والا فمن هداه
ان يغتذي بالدم في البطن امتصاصا ومن هداه الى معرفة الثدي عند الولادة والى معرفة مكانه ومن
هداه لكيفية الارتضاع الى غير ذلك من هدايات المعاش والمعاد وانما قال مرضت دون امرضني لان
كثيرا من اسباب المرض يحدث بتفريط من الانسان في مطاعمه ومشاربه وغير ذلك ومن ثم قالت الحكماء
لو قيل لاكثر الموتى ما سبب آجالكم لقالوا التخم وقرئ خطاياي والمراد ما يندر منه من بعض الصغائر
لان الانبياء معصومون مختارون على العالمين وقيل هو قوله اني سقيم وقوله بل فعله كبيرهم و

لسارة هي اختي وما هي الا معاريض كلام وتخيلات للكفرة وليست بخطايا يطلب لها الاستغفار
اذا لم يندر منهم الا الصغائر وهي تقع مكفرة فما له اثبت لنفسه خطيئة او خطايا وطمع ان يغفر له
الجواب ما سبق لي ان استغفار الانبياء تواضع منهم لربهم وهضم لانفسهم ويدل عليه قوله اطمع
ولم يجزم القول بالمغفرة وفيه تعليم لاممهم وليكون لطفا لهم في اجتناب المعاصي والحذر منها وطلب المغفرة
مما يفرط منهم لم علق مغفرة الخطيئة بيوم الدين وانما تغفر في الدنيا لان اثرها يتبين
يومئذ وهو الآن خفي لا يعلم رب هب لي حكما والحقني بالصالحين واجعل لي لسان صدق في الآخرين واجعلني من
ورثة جنة النعيم واغفر لابي انه كان من الضالين ولا تخزني يوم يبعثون يوم لا ينفع مال ولا بنون الحكم الحكمة
او الحكم بين الناس بالحق وقيل النبوة لان النبي ذو حكمة وذو حكم بين عباد الله والالحاق بالصالحين
ان يوفقه لعمل ينتظم به في جملتهم او يجمع بينه وبينهم في الجنة ولقد اجابه حيث قال وانه في الآخرة لمن
الصالحين والاخزاء من الخزي وهو الهوان او من الخزاية وهي الحياء وهذا ايضا من نحو استغفارهم
مما علموا انه مغفور وفي يبعثون ضمير العباد لانه معلوم او ضمير الضالين وان يجعل من جملة الاستغفار
لابيه يعني ولا تخزني يوم يبعث الضالون وابي منهم الا من اتى الله الا حال من اتى الله بقلب
سليم وهو من قولهم تحية بينهم ضرب وجيع وما ثوابه الا السيف وبيانه ان يقال لك هل لزيد مال
وبنون فتقول ماله وبنوه سلامة قلبه تريد نفي المال والبنين عنه واثبات سلامة القلب بدلا
عن ذلك وان شئت حملت الكلام على المعنى وجعلت المال والبنين في معنى الغنى كانه قيل يوم لا ينفع
غنى الا غنى من اتى الله بقلب سليم لان غنى الرجل في دينه بسلامة قلبه كما ان غناه في دنياه بماله وبنيه
ولك ان تجعل الاستثناء منقطعا ولا بد لك مع ذلك من تقدير المضاف وهو الحال والمراد بها سلامة
القلب وليست هي من جنس المال والبنين حتى يؤول المعنى الى ان المال والبنين لا ينفعان وانما ينفع
سلامة القلب ولو لم يقدر المضاف لم يتحصل للاستثناء معنى وقد جعل من مفعولا لينفع
اي لا ينفع مال ولا بنون الا رجلا سلم قلبه مع ماله حيث انفقه في طاعة الله ومع بنيه حيث ارشدهم
الى الدين وعلمهم الشرائع ويجوز على هذا الا من اتى الله بقلب سليم من فتنة المال والبنين ومعنى سلامة
القلب سلامته من آفات الكفر والمعاصي ومما اكرم الله به خليله ونبه على جلالة محله في الاخلاص
ان حكى استثناءه هذا حكاية راض باصابته فيه ثم جعله صفة له في قوله وان من شيعته لابرهيم
اذ جاء ربه بقلب سليم ومن بدع التفاسير تفسير بعضهم السليم باللديغ من خشية الله وقول آخر هو
الذي سلم وسلّم واسلم وسالم واستسلم وما احسن ما رتب ابرهيم عليه السلام كلامه مع المشركين

حين سألهم أولاً عما يعبدون سؤال مقرر لا مستفهم ثم أنحى على آلهتهم فأبطل أمرها بأنها لا تضر ولا
تنفع ولا تبصر ولا تسمع وعلى تقليدهم آباءهم الأقدمين فكسره وأخرجه من أن يكون شبهة فضلاً أن يكون
حجة ثم صور المسألة في نفسه دونهم حتى تخلص منها إلى ذكر الله عز وعلا فعظم شأنه وعدد نعمته من
لدن خلقه وإنشائه إلى حين وفاته مع ما يرجى في الآخرة من رحمته ثم أتبع ذلك أن دعاه بدعوات المخلصين و
ابتهل إليه ابتهال الأوابين ثم وصله بذكر يوم القيمة وثواب الله وعقابه وما يدفع إليه المشركين يومئذ
من الندم والحسرة على ما كانوا فيه من الضلال وتمني الكرة إلى الدنيا ليؤمنوا ويطيعوا ﴿وأزلفت الجنة للمتقين
وبرزت الجحيم للغاوين وقيل لهم أينما كنتم تعبدون من دون الله هل ينصرونكم أو ينتصرون﴾ الجنة تكون قريبة من
موقف السعداء ينظرون إليها ويغتبطون بأنهم المحشورون إليها والنار تكون بارزة مكشوفة للأشقياء
بمرأى منهم يتحسرون على أنهم المسوقون إليها قال الله تعالى وأزلفت الجنة للمتقين غير بعيد وقال فلما
رأوه زلفة سيئت وجوه الذين كفروا يجمع عليهم الغموم كلها والحسرات فتجعل النار بمرأى منهم فيهلكون
غماً في كل لحظة ويوبخون على إشراكهم فيقال لهم أين آلهتكم هل ينفعونكم بنصرتهم لكم أو هل ينفعون
أنفسهم بانتصارهم لأنهم وآلهتهم وقود النار وهو قوله ﴿فكبكبوا فيها هم﴾ أي الآلهة ﴿والغاوون﴾ و
عبدتهم الذين برزت لهم الجحيم والكبكبة تكرير الكب جعل التكرير في اللفظ دليلاً على التكرير في المعنى
كأنه إذا ألقي في جهنم ينكب مرة بعد مرة حتى يستقر في قعرها اللهم أجرنا منها يا خير مستجار ﴿و
جنود إبليس أجمعون قالوا وهم فيها يختصمون تالله إن كنا لفي ضلال مبين إذ نسويكم برب العالمين وما أضلنا إلا
المجرمون﴾ شياطينه أو متبعوه من عصاة الجن والإنس يجوز أن ينطق الله الأصنام حتى يصح التقاول
والتخاصم ويجوز أن يجري ذلك بين العصاة والشياطين والمراد بالمجرمين الذين أضلوهم رؤساؤهم
وكبراؤهم كقوله ربنا إنا أطعنا سادتنا وكبراءنا فأضلونا السبيلا وعن السدي الأولون
الذين اقتدينا بهم وعن ابن جريج إبليس وابن آدم القاتل لأنه أول من سن القتل وأنواع المعاصي
﴿فما لنا من شافعين﴾ كما نرى المؤمنين لهم شفعاء من الملائكة والنبيين ﴿ولا صديق﴾ كما نرى لهم أصدقاء
لأنه لا يتصادق في الآخرة إلا المؤمنون وأما أهل النار فبينهم التعادي والتباغض قال الله
تعالى الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين أو فما لنا من شافعين ولا صديق حميم من
الذين كنا نعدهم شفعاء وأصدقاء لأنهم كانوا يعتقدون في أصنامهم أنهم شفعاؤهم عند الله
وكان لهم الأصدقاء من شياطين الإنس أو أرادوا أنهم وقعوا في مهلكة علموا أن الشفعاء والأصدقاء
لا ينفعونهم ولا يدفعون عنهم فقصدوا بنفيهم نفي ما يتعلق بهم من النفع لأن ما لا ينفع حكمه حكم المعدوم

والحميم من الاحتمام وهو الاهتمام وهو الذي يهمه ما يهمك أو من الحامة بمعنى الخاصة وهو الصديق الخاص
لم جمع الشافع ووحد الصديق لكثرة الشفعاء في العادة وقلة الصديق ألا ترى
أن الرجل إذا امتحن بإرهاق ظالم نهضت جماعة وافرة من أهل بلده لشفاعته رحمة له وحسبة
وإن لم يسبق له بأكثرهم معرفة وأما الصديق وهو الصادق في ودادك الذي يهمه ما أهمك فأعز من
بيض الأنوق وعن بعض الحكماء أنه سئل عن الصديق فقال اسم لا معنى له ﴿فلو أن لنا كرة فنكون من المؤمنين
إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين وإن ربك لهو العزيز الرحيم كذبت قوم نوح المرسلين إذ قال لهم أخوهم نوح
ألا تتقون إني لكم رسول أمين﴾ الكرة الرجعة إلى الدنيا ولو في مثل هذا الموضع في معنى التمني كأنه
قيل فليت لنا كرة وذلك لما بين معنيي لو وليت من التلاقي في التقدير ويجوز أن يكون على أصلها و
يحذف الجواب وهو لفعلنا كيت وكيت القوم مؤنثة وتصغيرها قويمة ونظير قوله المرسلين والمراد
نوح عليه السلام قولك فلان يركب الدواب ويلبس البرود وما له إلا دابة وبرد وقيل أخوهم لأنه
كان منهم من قول العرب يا أخا بني تميم يريدون يا واحداً منهم ومنه بيت الحماسة

لا يسألون أخاهم حين يندبهم في النائبات على ما قال برهانا كان أميناً فيهم مشهوراً بالأمانة كمحمد صلى
الله عليه في قريش ﴿وأطيعون﴾ في نصحي لكم وفيما أدعوكم إليه من الحق ﴿وما أسألكم عليه من أجر إن أجري إلا على رب
العالمين﴾ عليه على هذا الأمر وعلى ما أنا فيه يعني دعاءه ونصحه ومعنى ﴿فاتقوا الله وأطيعون﴾ فاتقوا الله
في طاعتي وكرره ليؤكده عليهم ويقرره في نفوسهم مع تعليق كل واحد منهما بعلة جعل علة الأول
كونه أميناً فيما بينهم وفي الثاني حسم طمعه عنهم ﴿قالوا أنؤمن لك واتبعك الأرذلون قال﴾ وقرئ وأتباعك
جمع تابع كشاهد وأشهاد أو جمع تبع كبطل وأبطال والواو للحال وحقها أن يضمر بعدها قد في
واتبعك وقد جمع الأرذل على الصحة وعلى التكسير في قوله الذين هم أراذلنا والرذالة والنذالة
الخسة والدناءة وإنما استرذلوهم لاتضاع نسبهم وقلة نصيبهم من الدنيا وقيل كانوا من
أهل الصناعات الدنية كالحياكة والحجامة والصناعة لا تزري بالديانة وهكذا كانت قريش
تقول في أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وما زالت أتباع الأنبياء كذلك حتى صارت من
سماتهم وأماراتهم ألا ترى إلى هرقل حين سأل أبا سفيان عن أتباع رسول الله فلما قال ضعفاء الناس
وأراذلهم قال ما زالت أتباع الأنبياء كذلك وعن ابن عباس هم الغاغة وعن عكرمة الحاكة والأساكفة
وعن مقاتل السفلة ﴿وما علمي بما كانوا يعملون إن حسابهم إلا على ربي﴾ وأي شيء علمي والمراد انتفاء علمه بإخلاص
أعمالهم لله واطلاعه على سر أمرهم وباطنه وإنما قال هذا لأنهم قد طعنوا مع استرذالهم في إيمانهم

فاتقوا الله وأطيعون

وانهم لم يؤمنوا عن نظر وبصيرة وانما آمنوا بهوى وبديهة كما حكى الله عنهم في قولهم الذين هم اراذلنا
بادي الرأي ويجوز ان يتغابى لهم نوح عليه السلام فيفسر قولهم الارذلين بما هو الرذالة عنده من سوء الاعمال
وفساد العقائد ولا يلتفت الى ما هو الرذالة عندهم ثم يبني جوابه على ذلك فيقول ما علي الا اعتبار
الظواهر دون التفتيش عن اسرارهم والشق عن قلوبهم وان كان لهم عمل سيء فالله محاسبهم ومجازيهم
عليه وما انا الا منذر لا محاسب ولا مجاز لو تشعرون ذلك ولكنكم تجهلون فتساقون مع الجهل حيث
سيركم وقصد بذلك رد اعتقادهم وانكار ان يسمى المؤمن رذلا وان كان افقر الناس واوضعهم
نسبا فان الغنى غنى الدين والنسب نسب التقوى وما انا بطارد المؤمنين ان انا الا نذير مبين قالوا لئن
لم تنته يا نوح لتكونن من المرجومين قال رب ان قومي كذبون فافتح بيني وبينهم فتحا ونجني ومن معي من المؤمنين
يريد ليس من شأني ان اتبع شهواتكم واطيب نفوسكم بطرد المؤمنين الذين صح ايمانهم طمعا في ايمانكم
وما علي الا ان انذركم انذارا بينا بالبرهان الصحيح الذي يتميز به الحق من الباطل ثم انتم اعلم
بشأنكم ليس هذا اخبارا بالتكذيب لعلمه ان عالم الغيب والشهادة اعلم ولكنه اراد اني لا ادعوك
عليهم لما غاظوني وآذوني وانما ادعوك لاجلك ولاجل دينك ولانهم كذبوني في وحيك ورسالتك
فاحكم بيني وبينهم والفتاحة الحكومة والفتاح الحاكم لانه يفتح المستغلق كما سمي فيصلا لانه
يفصل بين الخصومات فانجيناه ومن معه في الفلك المشحون ثم اغرقنا بعد الباقين ان في ذلك لآية وما كان
اكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم كذبت عاد المرسلين اذ قال لهم اخوهم هود الا تتقون اني لكم رسول امين
فاتقوا الله واطيعون وما اسألكم عليه من اجر ان اجري الا على رب العالمين الفلك السفينة وجمعه فلك
قال الله تعالى وترى الفلك فيه مواخر فالواحد بوزن قفل والجمع بوزن اسد كسروا فعلا
على فعل كما كسروا فعلا على فعل لانهما اخوان في قولك العرب والعرب والرشد والرشد فقالوا
اسد واسد وفلك وفلك ونظيره بعير هجان وابل هجان ودرع دلاص ودروع دلاص فالواحد
بوزن كناز والجمع بوزن كرام والمشحون المملوء يقال شحنها عليهم خيلا ورجالا اتبنون بكل ريع آية تعبثون
وتتخذون مصانع قرئ بكل ريع بالكسر والفتح وهو المكان المرتفع قال المسيب بن علس
في الآل يرفعها ويخفضها ريع يلوح كانه سحل ومنه قولهم كم ريع ارضك وهو ارتفاعها والآية
العلم وكانوا ممن يهتدون بالنجوم في اسفارهم فاتخذوا في طرقهم اعلاما طوالا فعبثوا بذلك
لانهم كانوا مستغنين عنها بالنجوم وعن مجاهد بنوا بكل ريع بروج الحمام والمصانع مآخذ الماء
وقيل القصور المشيدة والحصون لعلكم تخلدون ترجون الخلود في الدنيا او تشبه حالكم حال من

يخلد وفي حرف ابي كأنكم وقرئ تخلدون بضم التاء مخففا ومشددا واذا بطشتم بطشتم جبارين فاتقوا
الله واطيعون واتقوا الذي بسيف او سوط كان ذلك ظلما وعلوا وقيل الجبار الذي يقتل ويضرب على
الغضب وعن الحسن تبادرون تعجيل العذاب لا تتثبتون متفكرين في العواقب بالغ في تنبيههم
على نعم الله حيث اجملها ثم فصلها مستشهدا بعلمهم وذلك انه ايقظهم عن سنة غفلتهم عنها حيث قال
امدكم بما تعلمون امدكم بانعام وبنين وجنات وعيون اني اخاف عليكم عذاب يوم عظيم قالوا سواء علينا اوعظت
ام لم تكن من الواعظين ان هذا الا خلق الاولين وما نحن بمعذبين فكذبوه فاهلكناهم ان في ذلك لآية
وما كان اكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم كذبت ثمود المرسلين اذ قال لهم اخوهم صالح الا تتقون اني
لكم رسول امين فاتقوا الله واطيعون وما اسألكم عليه من اجر ان اجري الا على رب العالمين ثم عددها عليهم
وعرفهم المنعم بتعديد ما يعلمون من نعمته وانه كما قدر ان يتفضل عليكم بهذه النعمة فهو قادر على
الثواب والعقاب فاتقوه ونحوه قوله تعالى ويحذركم الله نفسه والله رؤوف بالعباد
كيف قرن البنين بالانعام هم الذين يعينونهم على حفظها والقيام عليها لو قيل اوعظت
ام لم تعظ كان اخصر والمعنى واحد ليس المعنى بواحد وبينهما فرق لان المراد سواء علينا افعلت هذا
الفعل الذي هو الوعظ ام لم تكن اصلا من اهله ومباشريه فهو ابلغ في قلة اعتدادهم بوعظه من قولك
ام لم تعظ من قرأ خلق الاولين بالفتح فمعناه ان ما جئت به اختلاق الاولين وتخرصهم كما قالوا اساطير
الاولين او ما خلقنا هذا الا خلق القرون الخالية نحيا كما حيوا ونموت كما ماتوا ولا بعث ولا حساب ومن
قرأ خلق بضمتين وبواحدة فمعناه ما هذا الذي نحن عليه من الدين الا خلق الاولين وعادتهم كانوا يدينونه
ويعتقدونه ونحن بهم مقتدون او ما هذا الذي نحن عليه من الحياة والموت الا عادة لم يزل عليها الناس
في قديم الدهر او ما هذا الذي جئت به من الكذب الا عادة الاولين كانوا يلفقون مثله ويسطرونه
أتتركون يجوز ان يكون انكارا لان يتركوا مخلدين في نعيمهم لا يزالون عنه وان يكون تذكيرا بالنعمة في
تخلية الله اياهم وما يتنعمون فيه من الجنات وغير ذلك مع الامن والدعة فيما ها هنا اي في الذي استقر
في هذا المكان من النعيم ثم فسره بقوله في جنات وعيون وزروع ونخل طلعها هضيم وتنحتون من الجبال بيوتا فارهين
فاتقوا الله واطيعون وهذا ايضا اجمال ثم تفصيل لم قال ونخل بعد قوله في جنات والجنة تتناول
النخل اول شيء كما يتناول النعم الابل كذلك من بين الازواج حتى انهم ليذكرون الجنة ولا
يقصدون الا النخل كما يذكرون النعم ولا يريدون الا الابل قال زهير تسقي جنة سحقا
فيه وجهان ان يخص النخل بافراده بعد دخوله في جملة سائر الشجر تنبيها على انفراده عنها

نعيمهم
آمنين

بفضله عليها وان يريد بالجنات غيرها من الشجر لان اللفظ يصلح لذلك ثم يعطف عليها النخل الطلعة
هي التي تطلع من النخلة كنصل السيف في جوفه شماريخ القنو والقنو اسم للخارج من الجذع كما هو بعرجونه
وشماريخه والهضيم اللطيف الضامر من قولهم كشح هضيم وطلع اناث النخل فيه لطف وفي طلع
الفحاحيل جفاء وكذلك طلع البرني الطف من طلع اللون فذكرهم نعمة الله في ان وهب لهم اجود
النخل وانفعه لان الاناث ولادة التمر والبرني اجود التمر واطيبه ويجوز ان يريد ان نخيلهم اصابت
جودة المنابت وسعة الماء وسلمت من العاهات فحملت الحمل الكثير واذا كثر الحمل هضم واذا قل جاء فاخرا
وقيل الهضيم اللين النضيج كانه قال ونخل قد ارطب ثمره وقرا الحسن تنحتون بفتح الحاء و
قرئ فرهين وفارهين والفراهة الكيس والنشاط ومنه خيل فرهة استعير لامتثال الامر و
ارتسامه طاعة الامر المطاع او جعل الامر مطاعا على المجاز الحكمي والمراد الآمر ومنه قولهم لك علي امرة
مطاعة وقوله تعالى واطيعوا امري ما فائدة قوله ولا تطيعوا امر المسرفين الذين يفسدون في
الارض ولا يصلحون قالوا انما انت من المسحرين ما انت الا بشر مثلنا فات باية ان كنت من الصادقين قال
هذه ناقة لها شرب ولكم شرب يوم معلوم ولا يصلحون فائدته ان فسادهم فساد مصمت ليس
معه شيء من الصلاح كما يكون حال بعض المفسدين مخلوطة ببعض الصلاح المسحر الذي سحر
كثيرا حتى غلب على عقله وقيل هو من السحر وهو الرئة وانه بشر الشرب النصيب من الماء نحو السقي
والقيت للحظ من السقي والقوت وقرئ بالضم روي انهم قالوا نريد ناقة عشراء تخرج من
هذه الصخرة فتلد سقبا فقعد صالح يتفكر فقال له جبريل صل ركعتين وسل ربك الناقة
ففعل فخرجت الناقة وبركت بين ايديهم ونتجت سقبا مثلها في العظم وعن ابي موسى رايت مصدرها
فاذا هو ستون ذراعا وعن قتادة اذا كان يوم شربها شربت ماءهم كله ولهم شرب يوم لا تشرب
فيه الماء ولا تمسوها بسوء فياخذكم عذاب يوم عظيم فعقروها فاصبحوا نادمين بسوء بضرب او عقر
او غير ذلك عظم اليوم بحلول العذاب فيه ووصف اليوم به ابلغ من وصف العذاب لان الوقت
اذا عظم بسببه كان موقعه من العظم اشد وروي ان مسطعا الجاها الى مضيق في شعب فرماها
بسهم فاصاب رجلها فسقطت ثم ضربها قدار وروي ان عاقرها قال لا اعقرها حتى ترضوا
اجمعين فكانوا يدخلون على المراة في خدرها فيقولون اترضين فتقول نعم وكذلك صبيانهم
لم اخذهم العذاب وقد ندموا لم يكن ندمهم ندم تائبين ولكن ندم خائفين ان يعاقبوا
على العقر عقابا عاجلا كمن يرى في بعض الامور رايا فاسدا ويبني عليه ثم يندم ويتحسر كندامة الكسعي

او ندموا ندم تائبين ولكن في غير وقت التوبة وذلك عند معاينة العذاب وقال عز وجل وليست التوبة
للذين يعملون السيئات الاية وقيل كانت ندامتهم على ترك الولد وهو بعيد فاخذهم العذاب ان في ذلك
لاية وما كان اكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم كذبت قوم لوط المرسلين اذ قال لهم اخوهم لوط الا تتقون اني
لكم رسول امين فاتقوا الله واطيعون وما اسالكم عليه من اجر ان اجري الا على رب العالمين اتاتون الذكران من
العالمين واللام في العذاب اشارة الى عذاب يوم عظيم اراد بالعالمين الناس اي اتاتون من بين اولاد
آدم على فرط كثرتهم وتفاوت اجناسهم وغلبة اناثهم على ذكورهم في الكثرة ذكرانهم كان الاناث
قد اعوزتكم او اتاتون انتم من بين من عداكم من العالمين الذكران يعني انكم يا قوم لوط وحدكم
مختصون بهذه الفاحشة والعالمون على هذا القول كل ما ينكح من الحيوان وتذرون ما خلق لكم ربكم
من ازواجكم يصلح ان يكون تبيينا لما خلق وان يكون للتبعيض ويراد بما خلق العضو المباح منهن
وفي قراءة ابن مسعود ما اصلح لكم ربكم من ازواجكم وكانهم كانوا يفعلون مثل ذلك بنسائهم العادي
المتعدي في ظلمه المتجاوز فيه الحد ومعناه ان تكونوا هذه المعصية على عظمها بل انتم قوم عادون في
جميع المعاصي فهذا من جملة ذاك او بل انتم قوم احقاء بان توصفوا بالعدوان حيث ارتكبتم مثل
هذه العظيمة قالوا لئن لم تنته يا لوط عن نهينا وتقبيح امرنا لتكونن من المخرجين من جملة من اخرجناه
من بين اظهرنا وطردناه من بلدنا ولعلهم كانوا يخرجون من اخرجوه على اسوا حال من تعنيف
به واحتباس املاكه وكما يكون حال الظلمة اذا اجلوا بعض من يغضبون عليه وكما كان يفعل
اهل مكة بمن يريد المهاجرة قال اني لعملكم من القالين ومن القالين ابلغ من ان يقول اني
لعملكم قال كما تقول فلان من العلماء فيكون ابلغ من قولك فلان عالم لانك تشهد له بكونه معدودا
في زمرتهم ومعروفة مساهمته لهم في العلم ويجوز ان يريد من الكاملين في قلاكم والقلى البغض الشديد
كانه بغض يقلي الفؤاد والكبد وفي هذا دليل على عظم المعصية والمراد القلى من حيث الدين و
التقوى وقد تقوى همة الدين في دين الله حتى يقرب كراهته للمعاصي من الكراهة الجبلية رب نجني
واهلي مما يعملون من عقوبة عملهم وهو الظاهر ويحتمل ان يريد بالتنجية العصمة فما معنى
قوله فنجيناه واهله اجمعين الا عجوزا في الغابرين ثم دمرنا الآخرين معناه انه عصمه واهله من
ذلك الا العجوز فانها كانت غير معصومة منه لكونها راضية ومعينة عليه ومحرشة والراضي بالمعصية
في حكم العاصي كان اهله مؤمنين ولولا ذلك لما طلب لهم النجاة فكيف استثنيت الكافرة
منهم الاستثناء انما وقع من الاهل وفي هذا الاسم لها معهم شركة بحق الزواج وان لم تشاركهم

فى الغابرين صفة لها كانه قيل الا عجوزا غابرة ولم يكن الغبور صفتها وقت تنجيتهم
معناه الا عجوزا مقدرا غبورها ومعنى الغابرين فى العذاب والهلاك غير الناجين قيل انها هلكت
مع من خرج من القرية بما امطر عليهم من الحجارة المراد بتدميرهم الايتفاك بهم وامطرنا عليهم مطرا فساء وأما الامطار
فعن قتادة امطر الله على شذاذ القوم حجارة من السماء فاهلكهم وعن ابن زيد لم يرض بالايتفاك حتى
اتبعه مطرا من حجارة وفاعل ساء مطر المنذرين ولم يرد بالمنذرين قوما باعيانهم انما هو للجنس والمخصوص
بالذم محذوف وهو مطرهم ان فى ذلك لآية وما كان اكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم كذب اصحاب
الايكة المرسلين اذ قال لهم شعيب الا تتقون انى لكم رسول امين فاتقوا الله واطيعون وما اسئلكم عليه من اجر ان اجرى الا
على رب العالمين اوفوا الكيل ولا تكونوا من المخسرين قرئ اصحاب الايكة بالهمزة وبتخفيفها وبالجر على الاضافة
وهو الوجه ومن قرأ بالنصب وزعم ان ليكة بوزن ليلة اسم بلد فتوهم قاد اليه خط المصحف حيث
وجدت مكتوبة فى هذه السورة وفى سورة صاد بغير الف وفى المصحف اشياء كتبت على خلاف
قياس الخط المصطلح عليه وانما كتبت فى هاتين السورتين على حكم لفظ اللافظ كما يكتب اصحاب النحو
لان ولولى على هذه الصورة لبيان لفظ المخفف وقد كتبت فى سائر القرآن على الاصل والقصة واحدة
على ان ليكة اسم لا يعرف وروى ان اصحاب الايكة كانوا اصحاب شجر ملتف وكان شجرهم الدوم
هلا قيل اخوهم شعيب كما فى سائر المواضع قالوا ان شعيبا لم يكن من اصحاب الايكة
وفى الحديث ان شعيبا اخا مدين ارسل اليهم والى اصحاب الايكة الكيل على ثلثة اضرب واف وطفيف
وزائد فامر بالواجب الذى هو الايفاء ونهى عن المحرم الذى هو التطفيف ولم يذكر الزائد وكان
تركه عن الامر والنهى دليل على انه ان فعله فقد احسن وان لم يفعله فلا عليه وزنوا بالقسطاس المستقيم
ولا تبخسوا الناس اشياءهم ولا تعثوا فى الارض مفسدين وقرئ بالقسطاس مضموما ومكسورا وهو الميزان
وقيل القرسطون فان كان من القسط وهو العدل وجعلت العين مكررة فوزنه فعلاس والا
فهو رباعى وقيل هو بالرومية العدل يقال بخسته حقه اذا نقصته اياه ومنه قيل للمكس البخس وهو
عام فى كل حق ثبت لاحد ان لا يهضم وفى كل ملك ان لا يغصب عليه مالكه ولا يتحيف منه ولا يتصرف
فيه الا باذنه تصرفا شرعيا يقال عثى فى الارض وعثى وعاث وذلك نحو قطع الطريق والغارة و
اهلاك الزروع وكانوا يفعلون ذلك مع توليهم انواع الفساد فنهوا عن ذلك واتقوا الله الذى خلقكم
والجبلة الاولين قالوا انما انت من المسحرين وما انت الا بشر مثلنا وان نظنك لمن الكاذبين وقرئ الجبلة
بوزن الابلة والجبلة بوزن الخلقة ومعناهن واحد اى ذوى الجبلة وهو كقولك والخلق الاولين

هل اختلف المعنى بادخال الواو ههنا وتركها فى قصة ثمود اذا ادخلت الواو فقد
قصد معنيان كلاهما مناف للرسالة عندهم التسحير والبشرية وان الرسول لا يجوز ان يكون مسحرا ولا
يجوز ان يكون بشرا واذا تركت الواو فلم يقصد الا معنى واحد وهو كونه مسحرا ثم قرر بكونه بشرا مثلهم
ان المخففة من الثقيلة ولامها كيف تفرقتا على فعل الظن وثانى مفعوليه اصلهما
ان يتفرقا على المبتدأ والخبر كقولك ان زيدا لمنطلق فلما كان البابان اعنى باب كان وباب ظننت
من جنس باب المبتدأ والخبر فعل ذلك فى البابين فقيل ان كان زيد لمنطلقا وان ظننته لمنطلقا فاسقط
علينا كسفا من السماء ان كنت من الصادقين قرئ كسفا بالسكون والحركة وكلاهما جمع كسفة
نحو قطع وسدر وقيل الكسف والكسفة كالريع والريعة وهى القطعة وكسفه قطعه والسماء السحاب
او المظلة وما كان طلبهم ذلك الا لتصميمهم على الجحود والتكذيب ولو كان فيهم ادنى ميل الى التصديق
لما اخطروه ببالهم فضلا ان يطلبوه والمعنى ان كنت صادقا انك نبى فادع الله ان يسقط علينا كسفا
من السماء ربى اعلم بما تعملون فكذبوه فاخذهم عذاب يوم الظلة انه كان عذاب يوم عظيم ان فى ذلك لآية
وما كان اكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم يريد ان الله اعلم باعمالكم وبما تستوجبون عليها من
العقاب ان اراد ان يعاقبكم باسقاط كسف من السماء فعل وان اراد عقابا بآخر فاله الحكم والمشية
فاخذهم الله بنحو ما اقترحوا من عذاب الظلة ان ارادوا بالسماء السحاب وان ارادوا المظلة
فقد خالف بهم عن مقترحهم يروى انه حبس عنهم الريح سبعا وسلط عليهم الومد فاخذ بانفاسهم
لا ينفعهم ظل ولا ماء ولا سرب فاضطروا الى ان خرجوا الى البرية فاظلتهم سحابة وجدوا لها
بردا ونسيما فاجتمعوا تحتها فامطرت عليهم نارا فاحترقوا وروى ان شعيبا بعث الى امتين
اصحاب مدين واصحاب الايكة فاهلكت مدين بصيحة جبريل واصحاب الايكة بعذاب يوم
الظلة كيف كرر فى هذه السورة فى اول كل قصة وآخرها ما كرر كل قصة منها
كتنزيل برأسه ومنها من الاعتبار مثل ما فى غيرها وكانت كل واحدة منها تدلى بحق فى ان يفتتح بما
افتتحت به صاحبتها وان تختتم بما اختتمت به ولان فى التكرير تقريرا للمعانى فى الانفس وتثبيتا لها
فى الصدور الا ترى انه لا طريق الى تحفظ العلوم الا ترديد ما يراد تحفظه منها وكلما زاد ترديده
كان امكن له فى القلب وارسخ فى الفهم واثبت للذكر وابعد للنسيان ولان هذه القصص طرقت
بها آذان وقر عن الانصات للحق وقلوب غلف عن تدبره فكوثرت بالوعظ والتذكير وروجعت
بالترديد والتكرير لعل ذلك يفتح اذنا او يفتق ذهنا او يصقل عقلا طال عهده بالصقل ويجلو

نهاراً فقد غطى عليه تراكم الصداء وإنه لتنزيل رب العالمين وإن هذا التنزيل يعني ما نزل من هذه القصص
والآيات والمراد بالتنزيل المنزل والباء في نزل به الروح الأمين ونزل به الروح على القراءتين للتعدية و
معنى نزل به الروح جعل الله الروح نازلاً به على قلبك أي حفظكه وفهمك إياه وأثبته في قلبك إثبات
ما لا ينسى كقوله تعالى سنقرئك فلا تنسى لتكون من المنذرين بلسان عربي مبين وإنه لفي زبر الأولين أولم يكن
لهم آية أن يعلمه علماء بني إسرائيل بلسان إما أن يتعلق بالمنذرين فيكون المعنى لتكون من الذين أنذروا
بهذا اللسان وهم خمسة هود وصالح وشعيب وإسمعيل ومحمد عليهم السلام وإما أن يتعلق بنزل
فيكون المعنى نزله باللسان العربي لتنذر به لأنه لو نزله باللسان الأعجمي لتجافوا عنه أصلاً ولقالوا
ما نصنع بما لا نفهمه فيتعذر الإنذار به وفي هذا الوجه أن تنزيله بالعربية التي هي لسانك ولسان قومك
تنزيل له على قلبك لأنك تفهمه وتفهمه قومك ولو كان أعجمياً لكان نازلاً على سمعك دون قلبك لأنك تسمع
أجراس حروف لا تفهم معانيها ولا تعيها وقد يكون الرجل عارفاً بعدة لغات فإذا كلم بلغته التي لقنها
أولاً ونشأ عليها وتطبع بها لم يكن قلبه إلا إلى معاني الكلام يتلقاها بقلبه ولا يكاد يفطن للألفاظ كيف
جرت وإن كلم بغير تلك اللغة وإن كان ماهراً بمعرفتها كان نظره أولاً في ألفاظها ثم في معانيها فهذا تقرير
أنه نزل على قلبه لنزوله بلسان عربي مبين وإنه وإن القرآن يعني ذكره مثبت في سائر الكتب السماوية
وقيل إن معانيه فيها وبه يحتج لأبي حنيفة رحمه الله في جواز القراءة بالفارسية في الصلوة على أن القرآن
قرآن إذا ترجم بغير العربية حيث قيل وإنه لفي زبر الأولين لكون معانيه فيها وقيل الضمير لرسول الله
صلى الله عليه وسلم وكذلك في أن يعلمه وليس بواضح وقرئ يكن بالتذكير وآية بالنصب على أنها خبره
وأن يعلمه هو الاسم وقرئ تكن بالتأنيث وجعلت آية اسماً وأن يعلمه خبراً وليست كالأولى لوقوع
النكرة اسماً والمعرفة خبراً وقد خرج لها وجه آخر ليتخلص من ذلك فقيل في تكن ضمير القصة و
آية أن يعلمه جملة واقعة موقع الخبر ويجوز على هذا أن يكون لهم آية هي جملة الشأن وأن يعلمه بدلاً
عن آية ويجوز مع نصب الآية تأنيث تكن كقوله ثم لم تكن فتنتهم إلا أن قالوا ومنه بيت لبيد
فمضى وقدمها وكانت عادة منه إذا هي عردت إقدامها وقرئ تعلمه بالتاء وعلماء بني إسرائيل
عبد الله بن سلام وغيره قال الله تعالى وإذا يتلى عليهم قالوا آمنا به إنه الحق من ربنا إنا كنا من قبله
مسلمين كتب في المصحف علمؤا بواو قبل الألف خط على لغة من يميل الألف إلى
الواو وعلى هذه اللغة كتبت الصلوة والزكوة والربوا ولو نزلناه على بعض الأعجمين فقرأه عليهم ما كانوا به
مؤمنين كذلك الأعجم الذي لا يفصح وفي لسانه عجمة واستعجام والأعجمي مثله إلا أن فيه لزيادة ياء

النسبة زيادة تأكيد وقرأ الحسن الأعجميين ولما كان من يتكلم بلسان غير لسانهم لا يفقهون كلامه قالوا له
أعجم وأعجمي شبهوه بمن لا يفصح ولا يبين وقالوا لكل ذي صوت من البهائم والطيور وغيرها أعجم قال حميد
ولا عربياً شاقه صوت أعجما سلكناه في قلوب المجرمين لا يؤمنون به حتى يروا العذاب الأليم أدخلناه ومكناه
والمعنى إنا أنزلنا هذا القرآن على رجل عربي بلسان عربي فسمعوا به وفهموه وعرفوا فصاحته و
أنه معجز لا يعارض بكلام مثله وانضم إلى ذلك اتفاق علماء أهل الكتب المنزلة قبله على البشارة قبله
بإنزاله وتحلية المنزل عليه وصفته في كتبهم وقد تضمنت معانيه وقصصه وصح بذلك أنها من عند الله
وليست بأساطير كما زعموا فلم يؤمنوا به وجحدوه وسموه شعراً تارة وأخرى وقالوا هو من تلفيق محمد (سحراً صح)
وافترائه ولو نزلناه على بعض الأعاجم الذي لا يحسن العربية فضلاً أن يقدر على نظم مثله فقرأه عليهم
هكذا فصيحاً معجزاً متحدى به لكفروا به كما كفروا ولتمحلوا لجحودهم عذراً ولسموه سحراً ثم قال كذلك
سلكناه أي مثل هذا السلك سلكناه في قلوبهم وهكذا مكناه وقررناه فيها وعلى مثل هذه الحال و
هذه الصفة من الكفر والتكذيب له وضعناه فيها فكيف ما فعل بهم وصنع وعلى أي وجه دبر أمرهم
فلا سبيل إلى أن يتغيروا عما هم عليه من جحوده وإنكاره كما قال ولو نزلنا عليك كتاباً في قرطاس فلمسوه
بأيديهم لقال الذين كفروا إن هذا إلا سحر مبين كيف أسند السلك بصفة التكذيب إلى
ذاته أراد به الدلالة على تمكنه مكذباً في قلوبهم أشد التمكن وأثبته فجعله بمنزلة أمر قد
جبلوا عليه وفطروا ألا ترى إلى قولهم هو مجبول على الشح يريدون تمكن الشح فيه لأن الأمور الخلقية
أثبت من العارضة والدليل عليه أنه أسند ترك الإيمان به إليهم على عقبه وهو قوله لا يؤمنون به
ما موقع لا يؤمنون به من قوله سلكناه في قلوب المجرمين موقعه منه موقع الموضح والملخص لأنه
مسوق لثباته مكذباً مجحوداً في قلوبهم فأتبع ما يقرر هذا المعنى من أنهم لا يزالون على التكذيب به و
جحوده حتى يعاينوا الوعيد ويجوز أن يكون حالاً أي سلكناه فيها غير مؤمن به وقرأ الحسن فتأتيهم
بالتاء يعني الساعة وبغتة بالتحريك وفي حرف أبي ويروه بغتة ما معنى التعقيب في قوله
فيأتيهم بغتة وهم لا يشعرون فيقولوا ليس المعنى ترادف رؤية العذاب ومفاجأته وسؤال النظرة
فيه في الوجود وإنما المعنى ترتبها في الشدة كأنه قيل لا يؤمنون بالقرآن حتى تكون رؤيتهم للعذاب فما
هو أشد منها وهو لحوقه بهم مفاجأة فما هو أشد منه وهو سؤالهم النظرة ومثال ذلك أن تقول لمن
تعظه إن أسأت مقتك الصالحون فمقتك الله فإنك لا تقصد بهذا الترتيب أن مقت الله يوجد عقيب
مقت الصالحين وإنما قصدك إلى ترتيب شدة الأمر على المسيء وأنه يحصل له بسبب الإساءة مقت الصالحين

فما هو أشد من مقتهم وهو مقت الله وترى ثم يقع في هذا الأسلوب فيحل موقعه هل نحن منظرون أفبعذابنا يستعجلون
تبكيت لهم بإنكار وتهكم ومعناه كيف يستعجل العذاب من هو معرض لعذاب يسأل فيه من جنس ما هو فيه اليوم
من النظرة والإمهال طرفة عين فلا يجاب إليها ويحتمل أن يكون هذا حكاية حال ماضية ووجه آخر متصل
بما بعده وذلك أن استعجالهم بالعذاب إنما كان لاعتقادهم أنه غير كائن ولا لاحق بهم وأنهم ممتعون بأعمار طوال
في سلامة وأمن فقال عز وعلا أفبعذابنا يستعجلون أشرا وبطرا واستهزاء واتكالا على الأمل الطويل
ثم قال هب أن الأمر كما يعتقدون من تمتيعهم وتعميرهم فإذا لحقهم الوعيد بعد ذلك ما ينفعهم حينئذ ما مضى من
طول أعمارهم وطيب معايشهم وعن ميمون بن مهران أنه لقي الحسن في الطواف وكان يتمنى لقاءه فقال له
عظني فلم يزده على تلاوة هذه الآية فقال ميمون لقد وعظت فأبلغت ما أغنى عنهم ما كانوا يمتعون وقرئ
يمتعون بالتخفيف وما أهلكنا من قرية إلا لها منذرون ذكرى وما كنا ظالمين وما تنزلت به الشياطين وما ينبغي لهم
وما يستطيعون إنهم عن السمع لمعزولون فلا تدع مع الله إلها آخر فتكون من المعذبين منذرون رسل ينذرونهم
ذكرى منصوبة بمعنى تذكرة إما لأن أنذر وذكر متقاربان فكأنه قيل مذكرون تذكرة وإما لأنها حال من
الضمير في منذرون أي ينذرونهم ذوي تذكرة وإما لأنها مفعول له على معنى أنهم ينذرون لأجل الموعظة
والتذكرة أو مرفوعة على أنها خبر مبتدأ محذوف بمعنى هذه ذكرى والجملة اعتراضية أو صفة بمعنى
منذرون ذوو ذكرى أو جعلوا ذكرى لإمعانهم في التذكرة وإطنابهم فيها ووجه آخر وهو أن يكون ذكرى
متعلقة بأهلكنا مفعولا له والمعنى وما أهلكنا من أهل قرية ظالمين إلا بعد ما ألزمناهم الحجة بإرسال
المنذرين إليهم ليكون إهلاكهم تذكرة وعبرة لغيرهم فلا يعصوا مثل عصيانهم وما كنا ظالمين فنهلك قوما
غير ظالمين وهذا الوجه عليه المعول كيف عزلت الواو عن الجملة بعد إلا ولم تعزل عنها في
قوله وما أهلكنا من قرية إلا ولها كتاب معلوم الأصل عزل الواو لأن الجملة صفة لقرية
وإذا زيدت فلتأكيد وصل الصفة بالموصوف كما في قوله سبعة وثامنهم كلبهم كانوا يقولون إن
محمدا كاهن وما يتنزل عليه من جنس ما يتنزل به الشياطين على الكهنة فكذبوا بأن ذلك مما لا يتسهل
للشياطين ولا يقدرون عليه لأنهم مرجومون بالشهب معزولون عن استماع كلام أهل السماء وقرأ
الحسن الشياطون ووجهه أنه رأى آخره كآخر يبرين وفلسطين فتخير بين أن يجري الإعراب على النون
وبين أن يجريه على ما قبله فيقول الشياطين والشياطون كما تخيرت العرب بين أن يقولوا هذه يبرون
ويبرين وفلسطون وفلسطين وحقه أن يشتقه من الشيطوطة وهي الهلاك كما قيل له الباطل وعن
الفراء غلط الشيخ في قراءته الشياطون ظن أنها النون التي على هجاءين فقال النضر بن شميل إن جاز

أفرأيت إن متعناهم سنين ثم جاءهم ما كانوا يوعدون

أن يحتج بقول العجاج ورؤبة فهلا جاز أن يحتج بقول الحسن وصاحبه يريد محمد بن السميفع مع أنا
نعلم أنهما لم يقرآ به إلا وقد سمعا فيه قد علم أن ذلك لا يكون ولكنه أراد أن يحرك منه لازدياد الإخلاص
والتقوى وفيه لطف لسائر المكلفين كما قال ولو تقول علينا بعض الأقاويل فإن كنت في شك مما أنزلنا
إليك فيه وجهان أحدهما أن يؤمر بإنذار الأقرب فالأقرب من قومه ويبتدئ في ذلك بمن هو أولى بالبداءة

وأنذر عشيرتك الأقربين

ثم بمن يليه وأن يقدم إنذارهم على إنذار غيرهم كما روي عنه عليه السلام أنه لما دخل مكة قال كل ربا في
الجاهلية موضوع تحت قدمي هاتين وأول ما أضعه ربا العباس والثاني أن يؤمر بأن لا يأخذه
ما يأخذ القريب للقريب من العطف والرأفة ولا يحابيهم في الإنذار والتخويف وروي أنه صعد الصفا
لما نزلت فنادى الأقرب فالأقرب فخذا فخذا وقال يا بني عبد المطلب يا بني هاشم يا بني عبد مناف
يا عباس عم النبي ويا صفية عمة رسول الله إني لا أملك لكم من الله شيئا سلوني من مالي ما شئتم
وروي أنه جمع بني عبد المطلب وهم يومئذ أربعون رجلا الرجل منهم يأكل الجذعة ويشرب العس
على رجل شاة وقعب من لبن فأكلوا وشربوا حتى صدروا ثم أنذرهم فقال يا بني عبد المطلب لو
أخبرتكم أن بسفح هذا الجبل خيلا أكنتم مصدقي قالوا نعم قال فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد
وروي أنه قال يا بني عبد المطلب يا بني هاشم يا بني عبد مناف افتدوا أنفسكم من النار فإني لا
أغني عنكم شيئا ثم قال يا عائشة بنت أبي بكر ويا حفصة بنت عمر ويا فاطمة بنت محمد ويا صفية عمة محمد
اشترين أنفسكن من النار فإني لا أغني عنكن شيئا واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين الطائر إذا
أراد أن ينحط للوقوع كسر جناحه وخفضه وإذا أراد أن ينهض للطيران رفع جناحه فجعل خفض جناحه
عند الانحطاط مثلا في التواضع ولين الجانب ومنه قول بعضهم وأنت الشهير بخفض الجناح
فلا تك في رفعه أجدلا ينهاه عن التكبر بعد التواضع المتبعون للرسول هم المؤمنون والمؤمنون
هم المتبعون للرسول فما معنى قوله لمن اتبعك من المؤمنين فيه وجهان أن يسميهم قبل الدخول في
الإيمان مؤمنين لمشارفتهم ذلك وأن يريد بالمؤمنين المصدقين بألسنتهم وهم صنفان صنف صدق
واتبع رسول الله فيما جاء به وصنف ما وجد منه إلا التصديق فحسب ثم إما أن يكونوا منافقين
أو فاسقين والمنافق والفاسق لا يخفض لهما الجناح والمعنى من المؤمنين من عشيرتك وغيرهم يعني
أنذر عشيرتك فإن اتبعوك وأطاعوك فاخفض لهم جناحك فإن عصوك فقل إني بريء مما تعملون ولم يتبعوك
فتبرأ منهم ومن أعمالهم من الشرك بالله وغيره وتوكل على الله يكفك شر من يعصيك منهم ومن غيرهم
والتوكل تفويض الرجل أمره إلى من يملك أمره ويقدر على نفعه وضره وقالوا المتوكل من إن دهمه

امر لم يحاول دفعه عن نفسه بما هو معصية لله فعلى هذا اذا وقع الانسان فى محنة ثم سأل غيره خلاصه لم يخرج
من حد التوكل لانه لم يحاول دفع ما نزل به عن نفسه بمعصية الله. وفى مصاحف اهل المدينة والشام فتوكل
وبه قرأ نافع وابن عامر وله محملان فى العطف ان يعطف على فقل او فلا تدع. على العزيز الرحيم على الذى
يقهر اعداءك بعزته وينصرك عليهم برحمته. الذى يراك حين تقوم وتقلبك فى الساجدين ثم اتبع كونه رحيما
على رسوله ما هو من اسباب الرحمة وهو ذكر ما كان يفعله فى جوف الليل من قيامه للتهجد وتقلبه فى تصفح
احوال المتهجدين من اصحابه ليطلع عليهم من حيث لا يشعرون ويستبطن سر امرهم وكيف يعبدون
الله وكيف يعملون لآخرتهم كما يحكى انه حين نسخ فرض قيام الليل طاف تلك الليلة ببيوت اصحابه لينظر
ما يصنعون لحرصه عليهم وعلى ما يوجد منهم من فعل الطاعات وتكثير الحسنات فوجدها كبيوت الزنابير
لما سمع منها من دندنتهم بذكر الله والتلاوة والمراد بالساجدين المصلون. وقيل معناه يراك حين تقوم
للصلوة بالناس جماعة وتقلبه فى الساجدين تصرفه فيما بينهم بقيامه وركوعه وسجوده وقعوده اذا امهم
وعن مقاتل انه سأل ابا حنيفة رحمه الله هل تجد الصلوة فى الجماعة فى القرآن فقال لا يحضرنى فتلا
له هذه الآية. ويحتمل انه لا يخفى عليه حالك كلما قمت وتقلبت مع الساجدين فى كفاية امور الدين. انه هو
السميع لما تقوله العليم بما تنويه وتعمله. وقيل هو تقلب بصره فيمن يصلى خلفه من قوله عليه السلام اتموا
الركوع والسجود فوالله انى لاراكم من خلف ظهرى اذا ركعتم وسجدتم. وقرئ ويقلبك. هل انبئكم على
من تنزل الشياطين تنزل على كل افاك اثيم هم الكهنة والمتنبئة كشق وسطيح ومسيلمة وطليحة. يلقون
السمع هم الشياطين كانوا قبل ان يحجبوا بالرجم يستمعون الى الملإ الاعلى فيختطفون بعض ما يتكلمون
به مما اطلعوا عليه من الغيوب ثم يوحون به الى اوليائهم من اولئك واكثرهم كاذبون فيما يوحون به اليهم
لانهم يسمعونهم ما لم يسمعوا. وقيل يلقون الى اوليائهم السمع اى المسموع من الملائكة. وقيل الافاكون
يلقون السمع الى الشياطين فيتلقون وحيهم اليهم او يلقون المسموع من الشياطين الى الناس و
اكثر الافاكين كاذبون يفترون على الشياطين ما لم يوحوا اليهم وترى اكثرها يحكون به باطلا
وزورا. وفى الحديث الكلمة يخطفها الجنى فيقرها فى اذن وليه فيزيد فيها اكثر من مائة كذبة. و
القر الصب. كيف دخل حرف الجر على من المتضمنة لمعنى الاستفهام والاستفهام له صدر
الكلام الا ترى الى قولك اعلى زيد مررت ولا تقول على ازيد مررت. ليس معنى التضمن ان الاسم
دل على معنيين معا معنى الاسم ومعنى الحرف وانما معناه ان الاصل امن فحذف حرف الاستفهام
واستمر الاستعمال على حذفه كما حذف من هل والاصل اهل قال ... اهل راونا بسفح القاع ذى الاكم

فاذا ادخلت حرف الجر على من فقدر الهمزة قبل حرف الجر فى ضميرك كانك تقول اعلى من تنزل الشياطين
كقولك اعلى زيد مررت. يلقون ما محله. يجوز ان يكون فى محل النصب على الحال اى تنزل
ملقين السمع وفى محل الجر صفة لكل افاك لانه فى معنى الجمع وان لا يكون له محل بان يستأنف كان قائلا
قال لم تنزل على الافاكين فقيل يفعلون كيت وكيت. كيف قيل واكثرهم كاذبون بعد ما قضى
عليهم ان كل واحد منهم افاك. الافاكون هم الذين يكثرون الافك ولا يدل ذلك على انهم لا ينطقون الا
بالافك فاراد ان هؤلاء الافاكين قل من يصدق منهم فيما يحكى عن الجنى واكثرهم مفتر عليه
وانه لتنزيل رب العالمين وما تنزلت به الشياطين هل انبئكم على من تنزل الشياطين لم فرق
بينهن وهن اخوات. اريد التفريق بينهن بآيات ليست فى معناهن ليرجع الى المجئ بهن وتطرية ذكر
ما فيهن كرة بعد كرة فيدل بذلك على ان المعنى الذى نزلن فيه من المعانى التى اشتدت كراهة الله
لخلافها ومثاله ان يحدث الرجل بحديث وفى صدره اهتمام بشئ منه وفضل عناية فتراه يعيد ذكره
ولا ينفك عن الرجوع اليه. والشعراء مبتدأ ويتبعهم الغاوون خبره ومعناه انه لا يتبعهم على باطلهم وكذبهم
وفضول قولهم وما هم عليه من الهجاء وتمزيق الاعراض والقدح فى الانساب والنسيب بالحرم والغزل
والابتهار ومدح من لا يستحق المدح ولا يستحسن ذلك منهم ولا يطرب على قولهم الا الغاوون والسفهاء و
الشطار. وقيل الغاوون الراوون وقيل الشياطين وقيل هم شعراء قريش عبد الله بن الزبعرى
وهبيرة بن ابى وهب المخزومى ومسافع بن عبد مناف وابو عزة الجمحى ومن ثقيف امية بن ابى الصلت
قالوا نحن نقول مثل قول محمد وكانوا يهجونه ويجتمع اليهم الاعراب من قومهم يستمعون اشعارهم و
اهاجيهم. وقرأ عيسى بن عمر والشعراء بالنصب على اضمار فعل يفسره الظاهر قال ابو عبيد كان
الغالب عليه حب النصب قرأ حمالة الحطب والسارق والسارقة وسورة انزلناها. وقرئ يتبعهم بالتخفيف
ويتبعهم بسكون العين تشبيها لبعه بعضد. الم تر انهم فى كل واد يهيمون ذكر الوادى والهيوم فيه تمثيل
لذهابهم فى كل شعب من القول واعتسافهم وقلة مبالاتهم بالغلو فى المنطق ومجاوزة حد القصد
فيه حتى يفضلوا اجبن الناس على عنترة واشحهم على حاتم وان يبهتوا البرئ ويفسقوا التقى و
عن الفرزدق ان سليمان بن عبد الملك سمع قوله: فبتن بجانبى مصرعات وبت افض اغلاق الختام
فقال قد وجب عليك الحد فقال يا امير المؤمنين قد درأ الله عنى الحد بقوله وانهم يقولون ما لا يفعلون
استثنى الشعراء المؤمنين الصالحين الذين يكثرون ذكر الله وتلاوة القرآن وكان ذلك اغلب عليهم
من الشعر واذا قالوا شعرا قالوه فى توحيد الله والثناء عليه والحكمة والموعظة والزهد والآداب الحسنة

ومدح رسول الله صلى الله عليه وسلم والصحابة وصلحاء الأمة وما لا بأس به من المعاني التي لا يتلطخون فيها بذنب
ولا يتلبسون بشائنة ولا منقصة وكان هجاؤهم على سبيل الانتصار ممن يهجوهم قال الله تعالى لا يحب الله الجهر
بالسوء من القول الا من ظلم وذلك من غير اعتداء ولا زيادة على ما هو جواب لقوله تعالى فمن اعتدى عليكم فاعتدوا
عليه بمثل ما اعتدى عليكم وعن عمرو بن عبيد ان رجلا من العلوية قال له ان صدري ليجيش بالشعر فقال
فما يمنعك منه فيما لا بأس به والقول فيه ان الشعر باب من الكلام فحسنه كحسن الكلام وقبيحه كقبيح الكلام وقيل
المستثنين عبد الله بن رواحة وحسان بن ثابت والكعبان كعب بن مالك وكعب بن زهير والذين
كانوا ينافحون عن رسول الله ويكافحون هجاة قريش وعن كعب بن مالك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
اهجهم فوالذي نفسي بيده لهو اشد عليهم من النبل وكان يقول لحسان قل وروح القدس معك الا الذين آمنوا
وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيرا وانتصروا من بعد ما ظلموا ختم السورة بآية ناطقة بما لا شيء اهيب منه
واهول ولا انكى لقلوب المتأملين ولا اصدع لاكباد المتدبرين وذلك قوله وسيعلم وما فيه من
الوعيد البليغ وقوله الذين ظلموا واطلاقه وقوله اي منقلب ينقلبون وابهامه وقد تلاها ابو بكر لعمر
رضي الله عنهما حين عهد اليه وكان السلف الصالح يتواعظون بها ويتناذرون شدتها وتفسير الظلم بالكفر
تعليل ولأن تخاف فتبلغ الأمن خير من ان تأمن فتبلغ الخوف وقرأ ابن عباس اي منفلت
ينفلتون ومعناها ان الذين ظلموا يطمعون ان ينفلتوا من عذاب الله وسيعلمون ان ليس لهم وجه
من وجوه الانفلات وهو النجاة اللهم اجعلنا ممن جعل هذه الآية بين عينيه فلم يغفل عنها وعلم ان من عمل
سيئة فهو من الذين ظلموا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الشعراء كان له من الأجر
عشر حسنات بعدد من صدق بنوح وكذب به وهود وشعيب وابراهيم وبعدد من كذب بعيسى وصدق
بمحمد

سورة النمل مكية وهي ثلاث وتسعون آية وقيل اربع وتسعون

بسم الله الرحمن الرحيم طس قرئ بالتفخيم والامالة تلك آيات القرآن وكتاب مبين اشارة الى
آيات السورة والكتاب المبين اما اللوح وابانته انه قد خط فيه كل ما هو كائن فهو يبينه للناظرين فيه
ابانة واما السورة واما القرآن وابانتهما انهما يبينان ما اودعاه من العلوم والحكم والشرائع وان اعجازهما
ظاهر مكشوف واضافة الآيات الى القرآن والكتاب المبين على سبيل التفخيم لها والتعظيم لان المضاف
الى العظيم يعظم بالاضافة اليه   لم نكر الكتاب المبين   ليبهم بالتنكير فيكون افخم له كقوله تعالى
في مقعد صدق عند مليك مقتدر   ما وجه عطفه على القرآن اذا اريد به القرآن   كما
يعطف احدى الصفتين على الاخرى في قولك هذا فعل السخي والجواد الكريم لان القرآن هو المنزل المبارك

المصدق لما بين يديه وكان حكمه حكم الصفات المستقلة بالمدح فكأنه قيل تلك الآيات آيات المنزل
المبارك وآيات كتاب مبين وقرأ ابن ابي عبلة وكتاب مبين بالرفع على تقدير وآيات كتاب مبين فحذف المضاف
واقيم المضاف اليه مقامه   ما الفرق بين هذا وبين قوله الر تلك آيات الكتاب وقرآن مبين
لا فرق بينهما الا ما بين المعطوف والمعطوف عليه من التقدم والتأخر وذلك على ضربين ضرب
جار مجرى التثنية لا يترجح فيه جانب على جانب وضرب فيه ترجح فالاول نحو قوله وقولوا حطة وادخلوا الباب
سجدا ومنه ما نحن بصدده والثاني نحو قوله شهد الله انه لا اله الا هو والملائكة واولوا العلم هدى وبشرى
للمؤمنين الذين يقيمون الصلوة ويؤتون الزكوة في محل النصب والرفع فالنصب على الحال اي هادية ومبشرة
والعامل فيها ما في تلك من معنى الاشارة والرفع على ثلاثة اوجه على هي هدى وبشرى وعلى البدل من
الآيات وعلى ان يكون خبرا بعد خبر اي جمعت انها آيات وانها هدى وبشرى والمعنى في كونها هدى
للمؤمنين انها زائدة في هداهم قال الله فاما الذين آمنوا فزادتهم ايمانا   وهم بالآخرة هم يوقنون
كيف يتصل بما قبله   يحتمل ان يكون من جملة صلة الموصول ويحتمل ان تتم الصلة عنده ويكون جملة
اعتراضية كأنه قيل وهؤلاء الذين يؤمنون ويعملون الصالحات من اقامة الصلوة وايتاء الزكوة هم الموقنون
بالآخرة وهو الوجه ويدل عليه انه عقد جملة ابتدائية وكرر فيها المبتدأ الذي هو هم حتى صار معناها
وما يوقن بالآخرة حق الايقان الا هؤلاء الجامعون بين الايمان والعمل الصالح لان خوف العاقبة
يحملهم على تحمل المشاق   كيف اسند تزيين اعمالهم الى ذاته وقد اسنده الى الشيطان في قوله
وزين لهم الشيطان اعمالهم   بين الاسنادين فرق وذلك ان اسناده الى الشيطان حقيقة

ان الذين لا يؤمنون بالآخرة زينا لهم اعمالهم فهم يعمهون

واسناده الى الله عز وجل مجاز وله طريقان في علم البيان احدهما ان يكون من المجاز الذي يسمى الاستعارة
والثاني ان يكون من المجاز الحكمي فالطريق الاول انه لما متعهم بطول العمر وسعة الرزق وجعلوا انعام
الله بذلك عليهم واحسانه اليهم ذريعة الى اتباع شهواتهم وبطرهم وايثارهم الروح والترفه ونفارهم
عما يلزمهم فيه التكاليف الصعبة والمشاق المتعبة فكأنه زين لهم بذلك اعمالهم واليه اشارت
الملائكة صلوات الله عليهم في قولهم ولكن متعتهم وآباءهم حتى نسوا الذكر والطريق الثاني ان امهاله
الشيطان وتخليته حتى يزين لهم ملابسة ظاهرة للتزيين فاسند اليه لان المجاز الحكمي يصححه
بعض الملابسات وقيل هي اعمال الخير التي وجب عليهم ان يعملوها زينها لهم الله فعموا عنها وضلوا
ويعزى الى الحسن والعمه التحير والتردد كما يكون حال الضال عن الطريق وعن بعض الاعراب انه
دخل السوق وما ابصرها قط فقال رأيت الناس عمهين اراد مترددين في اعمالهم واشغالهم

أولئك الذين لهم سوء العذاب القتل والأسر يوم بدر وهم في الآخرة هم الأخسرون أشد الناس خسرانا
لأنهم لو آمنوا لكانوا من الشهداء على جميع الأمم فخسروا ذلك مع خسران النجاة وثواب الله وإنك لتلقى القرآن
لتؤتاه وتلقنه من لدن من عند أي حكيم وأي عليم وهذا معنى مجيئهما نكرتين وهذه الآية بساط وتمهيد
لما يريد أن يسوق بعدها من الأقاصيص وما في ذلك من لطائف حكمته ودقائق علمه إذ قال موسى لقومه
إني آنست نارا سآتيكم منها بخبر أو آتيكم بشهاب قبس لعلكم تصطلون إذ منصوب بمضمر وهو اذكر كأنه قال على
إثر ذلك خذ من آثار حكمته وعلمه قصة موسى ويجوز أن ينتصب بعليم وروي أنه لم يكن مع موسى عليه السلام
غير امرأته وقد كنى الله عنها بالأهل فتبع ذلك ورود الخطاب على لفظ الجمع وهو قوله امكثوا الشهاب
الشعلة والقبس النار المقبوسة وأضاف الشهاب إلى القبس لأنه يكون قبسا وغير قبس ومن
قرأ بالتنوين جعل القبس بدلا أو صفة لما فيه من معنى القبس والخبر ما يخبر به عن حال الطريق لأنه كان
قد ضله سآتيكم منها بخبر ولعلي آتيكم منها بخبر كالمتدافعين لأن أحدهما ترج والآخر تيقن
قد يقول الراجي إذا قوي رجاؤه سأفعل كذا وسيكون كذا مع تجويزه الخيبة كيف جاء
بسين التسويف عدة لأهله أنه يأتيهم به وإن أبطأ أو كانت المسافة بعيدة فلم جاء بأو
دون الواو بنى الرجاء على أنه إن لم يظفر بحاجتيه جميعا لم يعدم واحدة منهما إما هداية
الطريق وإما اقتباس النار ثقة بعادة الله أنه لا يكاد يجمع بين حرمانين على عبده وما أدراه حين قال
ذلك أنه ظافر على النار بحاجتيه الكليتين جميعا وهما عز الدنيا وعز الآخرة أن هي المفسرة لأن
النداء فيه معنى القول والمعنى قيل له بورك هل يجوز أن تكون المخففة من الثقيلة وتقديره
نودي بأنه بورك والضمير ضمير الشأن لا لأنه لا بد من قد فعلى إضمارها
لا يصح لأنها علامة لا تحذف ومعنى بورك من في النار ومن حولها بورك من في مكان النار ومن حول
مكانها ومكانها البقعة التي حصلت فيها وهي البقعة المباركة المذكورة في قوله تعالى نودي من
شاطئ الوادي الأيمن في البقعة المباركة ويدل عليه قراءة أبي تباركت الأرض ومن حولها وعنه
بوركت النار والذي بوركت له البقعة وبورك من فيها وحواليها حدوث أمر ديني فيها وهو
تكليم الله موسى واستنباؤه له وإظهار المعجزات عليه ورب خير يتجدد في بعض البقاع فينشر
الله بركة ذلك الخير في أقاصيها ويبث آثار يمنه في أباعدها فكيف بمثل ذلك الأمر العظيم الذي
جرى في تلك البقعة وقيل المراد بالمبارك فيهم موسى والملائكة الحاضرون والظاهر أنه عام في كل
من كان في تلك الأرض وفي ذلك الوادي وحواليها من أرض الشام ولقد جعل الله أرض بالبركات

في قوله ونجيناه ولوطا إلى الأرض التي باركنا فيها للعالمين وحقت أن تكون كذلك فهي مبعث الأنبياء
صلوات الله عليهم ومهبط الوحي إليهم وكفاتهم أحياء وأمواتا فما معنى ابتداء خطاب الله موسى
بذلك عند مجيئه هي بشارة له بأنه قد قضي أمر عظيم تنتشر منه في أرض الشام كلها البركة وسبحان الله
رب العالمين تعجيب لموسى من ذلك وإيذان بأن ذلك الأمر مريده ومكونه رب العالمين تنبيها على أن الكائن
من جلائل الأمور وعظائم الشؤون يا موسى إنه الهاء في إنه يجوز أن يكون ضمير الشأن والشأن أنا الله مبتدأ
وخبر والعزيز الحكيم صفتان للخبر وأن يكون راجعا إلى ما دل عليه ما قبله يعني أن مكلمك أنا والله بيان
لأنا والعزيز الحكيم صفتان للمبين وهذا تمهيد لما أراد أن يظهره على يده من المعجزة يريد أنا القوي
القادر على ما يبعد من الأوهام كقلب العصا حية الفاعل كل ما أفعله بحكمة وتدبير وألق عصاك فلما رآها
تهتز كأنها جان ولى مدبرا ولم يعقب يا موسى لا تخف علام عطف قوله وألق عصاك
على بورك لأن المعنى نودي أن بورك من في النار وأن ألق عصاك كلاهما تفسير لنودي والمعنى قيل له بورك
من في النار وقيل له ألق عصاك والدليل على ذلك قوله عز من قائل وأن ألق عصاك بعد قوله أن يا موسى
إني أنا الله على تكرير حرف التفسير كما تقول كتبت إليك أن حج وأن اعتمر وإن شئت أن حج واعتمر
قرأ الحسن جأن على لغة من يجد في الهرب من التقاء الساكنين فيقول شأبة ودأبة ومنها قراءة
عمرو بن عبيد ولا الضألين لم يعقب لم يرجع يقال عقب المقاتل إذا كر بعد الفرار قال
فما عقبوا إذ قيل هل من معقب ولا نزلوا يوم الكريهة منزلا وإنما رعب لظنه أن ذلك لأمر أريد
به ويدل عليه إني لا يخاف لدي المرسلون إلا من ظلم ثم بدل حسنا بعد سوء فإني غفور رحيم وأدخل يدك
في جيبك تخرج بيضاء من غير سوء وإلا بمعنى لكن لأنه لما أطلق نفي الخوف عن الرسل كان ذلك مظنة
لطروء الشبهة فاستدرك ذلك والمعنى ولكن من ظلم منهم أي فرطت منه صغيرة مما يجوز على الأنبياء
كالذي فرط من آدم ويونس وداود وسليمان وإخوة يوسف ومن موسى عليه السلام بوكزة القبطي
ويوشك أن يقصد بهذا التعريض بما وجد من موسى وهو من التعريضات التي يلطف مأخذها و
سماه ظلما كما قال موسى رب إني ظلمت نفسي فاغفر لي والحسن والسوء حسن التوبة وقبح الذنب وقرئ
ألا من ظلم بحرف التنبيه وعن أبي عمرو في رواية عصمة حسنا في تسع آيات إلى فرعون وقومه إنهم كانوا
قوما فاسقين كلام مستأنف وحرف الجر فيه يتعلق بمحذوف والمعنى اذهب في تسع آيات إلى فرعون
ونحوه فقلت إلى الطعام فقال منهم فريق نحسد الإنس الطعاما ويجوز أن يكون المعنى وألق عصاك
وأدخل يدك في تسع آيات أي في جملة تسع آيات وعدادهن ولقائل أن يقول كانت الآيات إحدى عشرة

ثنتان منها اليد والعصا والتسع الفلق والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم والطمسة والجدب
في بواديهم والنقصان في مزارعهم فلما جاءتهم آياتنا مبصرة قالوا هذا سحر مبين وجحدوا بها المبصرة الظاهرة
البينة جعل الإبصار لها وهو في الحقيقة لمتأمليها لأنهم لابسوها وكانوا بسبب منها بنظرهم وتفكرهم
فيها ويجوز أن يراد بحقيقة الإبصار كل ناظر فيها من كافة أولي العقل وأن يراد إبصار فرعون و
ملائه لقوله واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا فانظر كيف كان عاقبة المفسدين أو جعلت كأنها تبصر فتهدي
لأن العمي لا يقدر على الاهتداء فضلا أن تهدي غيرها ومنه قولهم كلمة عيناء وكلمة عوراء لأن
الكلمة الحسنة ترشد والسيئة تغوي ونحوه قوله تعالى لقد علمت ما أنزل هؤلاء إلا رب السموات و
الأرض بصائر فوصفها بالبصارة كما وصفها بالإبصار وعن علي بن الحسين وقتادة مبصرة وهي
نحو مجبنة ومبخلة ومجفرة أي مكانا يكثر فيه التبصر الواو في واستيقنتها واو الحال وقد بعدها
مضمرة والعلو الكبر والترفع عن الإيمان بما جاء به موسى كقوله فاستكبروا وكانوا قوما عالين
فقالوا أنؤمن لبشرين مثلنا وقومهما لنا عابدون وقرئ عليا وعليا بالضم والكسر كما قرئ عتيا
وفائدة ذكر الأنفس أنهم جحدوا بألسنتهم واستيقنوها في قلوبهم وضمائرهم والاستيقان أبلغ
من الإيقان وأي ظلم أفحش من ظلم من اعتقد واستيقن أنها آيات بينة واضحة جاءت من عند الله
ثم كابر بتسميتها سحرا بينا مكشوفا لا شبهة فيه و لقد آتينا داود وسليمان علما وقالا الحمد لله الذي
فضلنا على كثير من عباده المؤمنين وورث سليمان داود وقال علما طائفة من العلم أو علما سنيا غزيرا
أليس هذا موضع الفاء دون الواو كقولك أعطيته فشكر ومنعته فصبر بلى
ولكن عطفه بالواو إشعار بأن ما قالاه بعض ما أحدث فيهما إيتاء العلم وشيء من مواجبه فأضمر
ذلك ثم عطف عليه التحميد كأنه قال ولقد آتيناهما علما فعملا به وعلماه وعرفا حق النعمة فيه
والفضيلة وقالا الحمد لله الذي فضلنا والكثير المفضل عليه من لم يؤت علما أو من لم يؤت مثل
علمهما وفيه أنهما فضلا على كثير وفضل عليهما كثير وفي الآية دليل على شرف العلم وإنافة محله و
تقدم حملته وأهله وأن نعمة العلم من أجل النعم وأجزل القسم وأن من أوتيه فقد أوتي فضلا
على كثير من عباد الله كما قال والذين أوتوا العلم درجات وما سماهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
ورثة الأنبياء إلا لمداناتهم لهم في الشرف والمنزلة لأنهم القوام بما بعثوا من أجله وفيها أنه يلزمهم
لهذه النعمة الفاضلة لوازم منها أن يحمدوا الله على ما أوتوه من فضلهم على غيرهم وفيها التذكير
بالتواضع وأن يعتقد العالم أنه إن فضل على كثير فقد فضل عليه مثلهم وما أحسن قول عمر رضي الله عنه

كل الناس أفقه من عمر وورث منه النبوة والملك دون سائر بنيه وكانوا تسعة عشر وكان داود أكثر تعبدا
وسليمان أقضى وأشكر لنعمة الله وقال يا أيها الناس علمنا منطق الطير وأوتينا من كل شيء تشهيرا لنعمة الله
وتنويها بها واعترافا بمكانها ودعاء للناس إلى التصديق بذكر المعجزة التي هي علم منطق الطير وغير ذلك
مما أوتيه من عظائم الأمور والمنطق كل ما يصوت به من المفرد والمؤلف والمفيد وغير المفيد و
قد ترجم يعقوب كتابه بإصلاح المنطق وما أصلح فيه إلا مفردات الكلم وقالت العرب نطقت الحمامة
وكل صنف من الطير يتفاهم أصواته والذي علمه سليمان من منطق الطير هو ما يفهم بعضه من بعض
من معانيه وأغراضه ويحكى أنه مر على بلبل في شجرة يحرك رأسه ويميل ذنبه فقال لأصحابه أتدرون
ما يقول قالوا الله ونبيه أعلم قال يقول أكلت نصف تمرة فعلى الدنيا العفاء وصاحت فاختة
فأخبر أنها تقول ليت ذا الخلق لم يخلقوا وصاح طاووس فقال يقول كما تدين تدان وصاح هدهد
فقال يقول استغفروا الله يا مذنبون وصاح طيطوى فقال يقول كل حي ميت وكل جديد بال و
صاح خطاف فقال يقول قدموا خيرا تجدوه وصاحت رخمة فقال تقول سبحان ربي الأعلى ملء سمائه
وأرضه وصاح قمري فأخبر أنه يقول سبحان ربي الأعلى وقال الحدأة تقول كل شيء هالك إلا الله والقطاة
تقول من سكت سلم والببغاء تقول ويل لمن الدنيا همه والديك يقول اذكروا الله يا غافلون والنسر
يقول يا ابن آدم عش ما شئت فآخرك الموت والعقاب يقول في البعد من الناس أنس والضفدع
يقول سبحان ربي القدوس وأراد بقوله كل شيء كثرة ما أوتي كما تقول فلان يقصده كل أحد
ويعلم كل شيء تريد كثرة قصاده ورجوعه إلى غزارة في العلم واستكثار منه ومثله قوله
وأوتيت من كل شيء إن هذا لهو الفضل المبين قول وارد على سبيل الشكر والمحمدة كما قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم أنا سيد ولد آدم ولا فخر أي أقول هذا القول شكرا ولا أقوله فخرا
كيف قال علمنا وأوتينا وهو من كلام المتكبرين فيه وجهان أحدهما أن يريد نفسه وأباه و
الثاني أن هذا النون يقال لها نون الواحد المطاع وكان ملكا مطاعا فكلم أهل طاعته على صفته و
حاله التي كان عليها وليس التكبر من لوازم ذلك وقد يتعلق بتجمل الملك وتفخيمه وإظهار آيينه و
سياسته مصالح فيعود تكلف ذلك واجبا وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعل نحوا من ذلك
إذا وفد عليه وفد واحتاج أن يرجح في عين عدو ألا ترى كيف أمر العباس بأن يحبس أبا سفيان
حتى يمر عليه الكتائب وحشر لسليمان جنوده من الجن والإنس والطير فهم يوزعون حتى إذا أتوا على واد النمل
قالت نملة يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون روي أن معسكره

كان مائة فرسخ في مائة فرسخ خمسة وعشرون للجن وخمسة وعشرون للإنس وخمسة وعشرون للطير وخمسة
وعشرون للوحش وكان له ألف بيت من قوارير على الخشب فيها ثلاثمائة منكوحة وسبعمائة سرية وقد
نسجت له الجن بساطا من ذهب وإبريسم فرسخا في فرسخ وكان يوضع منبره في وسطه وهو من ذهب
فيقعد عليه وحوله ستمائة ألف كرسي من ذهب وفضة فيقعد الأنبياء على كراسي الذهب والعلماء
على كراسي الفضة وحولهم الناس وحول الناس الجن والشياطين وتظله الطير بأجنحتها حتى لا يقع
عليه الشمس وترفع ريح الصبا البساط فتسير به مسيرة شهر ويروى أنه كان يأمر الريح العاصف
تحمله ويأمر الرخاء تسيره فأوحى الله إليه وهو يسير بين السماء والأرض إني قد زدت في ملكك
لا يتكلم أحد بشيء إلا ألقته الريح في سمعك فيحكى أنه مر بحراث فقال لقد أوتي آل داود ملكا عظيما
فألقته الريح في أذنه فنزل ومشى إلى الحراث وقال إنما مشيت إليك لئلا تتمنى ما لا تقدر عليه ثم قال
لتسبيحة واحدة يقبلها الله خير مما أوتي آل داود. يوزعون يحبس أولهم على آخرهم أي توقف سلاف
العسكر حتى تلحقهم التوالي فيكونوا مجتمعين لا يتخلف منهم أحد وذلك للكثرة العظيمة. قيل هو واد
بالشام كثير النمل   لم عدى أتوا بعلى   يتوجه على معنيين أحدهما أن إتيانهم كان
من فوق فأتى بحرف الاستعلاء كما قال أبو الطيب: ولشد ما قربت عليك الأنجم. لما كان قربا من
فوق والثاني أن يراد قطع الوادي وبلوغ آخره من قولهم أتى على الشيء إذا أنفده وبلغ آخره كأنهم أرادوا
أن ينزلوا عند منقطع الوادي لأنهم ما دامت الريح تحملهم في الهواء لا يخاف حطمهم وقرئ نملة يا أيها
النمل بضم الميم وبضم النون والميم وكان الأصل النمل بوزن الرجل والنمل الذي عليه الاستعمال
تخفيف عنه كقولهم السبع في السبع. قيل كانت تمشي وهي عرجاء تتكاوس فنادت يا أيها النمل الآية
فسمع سليمان كلامها من ثلاثة أميال وقيل كان اسمها طاخية. وعن قتادة أنه دخل الكوفة فالتفت
عليه الناس فقال سلوني عما شئتم وكان أبو حنيفة رحمه الله حاضرا وهو غلام حدث فقال سلوه
عن نملة سليمان أكانت ذكرا أم أنثى فسألوه فأفحم فقال أبو حنيفة كانت أنثى فقيل له من أين عرفت
فقال من كتاب الله وهو قوله قالت نملة ولو كانت ذكرا لقال قال نملة وذلك أن النملة مثل الحمامة
والشاة في وقوعها على الذكر والأنثى فيميز بينهما بعلامة نحو قولهم حمامة ذكر وحمامة أنثى وهو وهي
وقرئ مسكنكم ولا يحطمنكم بتخفيف النون وقرئ لا يحطّمنكم بفتح الحاء وكسرها وأصله يحتطمنكم
ولما جعلها قائلة والنمل مقولا لهم كما يكون في أولي العقل أجرى خطابهم مجرى خطابهم   لا يحطمنكم
يحتمل أن يكون جوابا للأمر وأن يكون نهيا بدلا من الأمر والذي جوز أن يكون بدلا منه أنه في معنى   [illegible]

لا يكونوا حيث أنتم فيحطمكم على طريقة لا أرينك ههنا أراد لا يحطمنكم جنود سليمان فجاء بما هو أبلغ ونحوه
عجبت من نفسي ومن إشفاقها ومعنى فتبسم ضاحكا من قولها وقال رب تبسم ضاحكا تبسم شارعا في الضحك و
آخذا فيه يعني أنه قد تجاوز حد التبسم إلى الضحك وكذلك ضحك الأنبياء وأما ما روي أن رسول الله صلى الله
عليه وسلم ضحك حتى بدت نواجذه فالغرض المبالغة في وصف ما وجد منه من الضحك النبوي وإلا فبدو النواجذ
على الحقيقة إنما يكون عند الاستغراب وقرأ ابن السميفع ضحكا   ما أضحكه من قولها
شيئان إعجابه بما دل من قولها على ظهور رحمته ورحمة جنوده وشفقتهم وعلى شهرة حاله وحالهم في باب
التقوى وذلك قولها وهم لا يشعرون يعني أنهم لو شعروا لم يفعلوا وسروره بما آتاه الله مما لم يؤت أحدا
من إدراكه بسمعه ما همس به بعض الحكل الذي هو مثل في الصغر والقلة ومن إحاطته بمعناه ولذلك
اشتمل دعاؤه على استيزاع الله شكر ما أنعم به عليه من ذلك وعلى استيفائه لزيادة العمل الصالح و
التقوى وحقيقة أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي وعلى والدي وأن أعمل صالحا ترضاه اجعلني أزع
شكر نعمتك عندي وأكفه وأرتبطه لا ينفلت عني حتى لا أنفك شاكرا وإنما أدرج ذكر والديه لأن
النعمة على الولد نعمة على الوالدين خصوصا النعمة الراجعة إلى الدين فإنه إذا كان تقيا نفعهما بدعائه
وشفاعته وبدعاء المؤمنين لهما كلما دعوا له وقالوا رضي الله عنك وعن والديك وروي أن النملة أحست
بصوت الجنود ولا تعلم أنهم في الهواء فأمر سليمان عليه السلام الريح فوقفت لئلا يذعرن حتى دخلن
مساكنهن ثم دعا بالدعوة ومعنى وأدخلني برحمتك في عبادك الصالحين وتفقد الطير فقال ما لي لا أرى
الهدهد أم كان من الغائبين واجعلني من أهل الجنة أم هي المنقطعة نظر إلى مكان الهدهد فلم يبصره فقال
ما لي لا أراه على معنى أنه لا يراه وهو حاضر لساتر ستره أو غير ذلك ثم لاح له أنه غائب فأضرب عن
ذلك وأخذ يقول أهو غائب كأنه يسأل عن صحة ما لاح له ونحوه قولهم إنها لإبل أم شاء وذكر من قصة
الهدهد أن سليمان حين تم له بناء بيت المقدس تجهز للحج بحشره فوافى الحرم وأقام به ما شاء وكان
يقرب كل يوم طول مقامه بخمسة آلاف ناقة وخمسة آلاف بقرة وعشرين ألف شاة ثم عزم على السير
إلى اليمن فخرج من مكة صباحا يؤم سهيلا فوافى صنعاء وقت الزوال وذلك مسيرة شهر فرأى
أرضا حسناء أعجبته خضرتها فنزل ليتغدى ويصلي فلم يجدوا الماء وكان الهدهد قناقنه وكان
يرى الماء من تحت الأرض كما يرى الماء في الزجاجة فيجيء الشياطين فيسلخونها كما يسلخ الإهاب و
يستخرجون الماء فتفقده لذلك وحين نزل سليمان حلق الهدهد فرأى هدهدا واقعا فانحط
إليه فوصف له ملك سليمان وما سخر له من كل شيء وذكر له صاحبه ملك بلقيس وأن تحت يدها

اثنى عشر الف قائد تحت يد كل قائد مائة الف وذهب معه لينظر فما رجع الا بعد العصر وذكر انه وقعت
نفحة من الشمس على رأس سليمان فنظر فاذا موضع الهدهد خال فدعا عريف الطير وهو النسر فسأله
عنه فلم يجد عنده علمه ثم قال لسيد الطير وهو العقاب عليّ به فارتفعت فنظرت فاذا هو مقبل فقصدته
فناشدها الله وقال بحق الله الذي قواك واقدرك علي الا رحمتني فتركته وقالت ثكلتك امك ان
نبي الله قد حلف ليعذبنك قال وما استثنى قالت بلى او ليأتيني بعذر مبين فلما قرب من سليمان
ارخى ذنبه وجناحه يجرهما على الارض تواضعا له فلما دنا منه اخذ برأسه فمده اليه فقال يا نبي الله
اذكر وقوفك بين يدي الله فارتعد سليمان وعفا عنه ثم سأله تعذيبه ان يؤدب بما يحتمله حاله ليعتبر به
ابناء جنسه وقيل كان عذاب سليمان للطير ان ينتف ريشه ويشمسه وقيل ان يطلى بالقطران و
يشمس وقيل ان يلقى للنمل يأكله وقيل ايداعه القفص وقيل التفريق بينه وبين الفه وقيل
لالزمنه صحبة الاضداد وعن بعضهم اضيق السجون معاشرة الاضداد وقيل لالزمنه خدمة
اقرانه   من اين حل تعذيب الهدهد   يجوز ان يبيح الله له ذلك لما رأى فيه من المصلحة و
المنفعة كما اباح ذبح البهائم والطيور للاكل وغيره من المنافع واذا سخر له الطير ولم يتم ما سخر من اجله
الا بالتأديب والسياسة جاز ان يباح له ما يستصلح به   وقرئ ليأتينني وليأتين والسلطان الحجة
والعذر   قد حلف على احد ثلاثة اشياء فحلفه على فعليه لا مقال فيه ولكن كيف صح حلفه
على فعل الهدهد ومن اين درى انه يأتي بسلطان حتى يقول او ليأتيني بسلطان   لما نظم الثلاثة باو
في الحكم الذي هو الحلف آل كلامه الى قولك ليكونن احد الامور يعني ان كان الاتيان بالسلطان لم يكن
تعذيب ولا ذبح وان لم يكن كان احدهما وليس في هذا ادعاء دراية على انه يجوز ان يتعقب حلفه
بالفعلين وحي من الله بانه سيأتيه بسلطان مبين فثلث بقوله او ليأتيني بسلطان مبين عن دراية
وايقان   فمكث قرئ بفتح الكاف وضمها غير بعيد فقال غير زمان بعيد كقولك عن قريب ووصف مكثه
بقصر المدة للدلالة على اسراعه خوفا من سليمان وليعلم كيف كان الطير مسخرا له ولبيان ما اعطي
من المعجزة الدالة على نبوته وعلى قدرة الله عز وجل   احطت بما لم تحط به وجئتك من سبا بنبأ يقين
بادغام الطاء في التاء باطباق وغير اطباق الهم الله الهدهد فكافح سليمان بهذا الكلام على ما اوتي
من فضل النبوة والحكمة والعلوم الجمة والاحاطة بالمعلومات الكثيرة ابتلاء له في علمه وتنبيها على ان
في ادنى خلقه واضعفه من احاط علما بما لم يحط به لتتحاقر اليه نفسه وليتصاغر اليه علمه ويكون لطفا
له في ترك الاعجاب الذي هو فتنة العلماء واعظم بها فتنة والاحاطة بالشيء علما ان يعلم من جميع

جهاته لا يخفى منه معلوم قالوا وفيه دليل على بطلان قول الرافضة ان الامام لا يخفى عليه شيء ولا يكون في زمانه
احد اعلم منه   سبا قرئ بالصرف ومنعه وقد روي بسكون الباء وعن ابن كثير في رواية سبا بالالف كقولهم
ذهبوا ايدي سبا وهو سبا بن يشجب بن يعرب بن قحطان فمن جعله اسما للقبيلة لم يصرف ومن جعله اسما
للحي او الاب الاكبر صرف قال   من سبا الحاضرين مأرب اذ يبنون من دون سيله العرما   وقال
الواردون وتيم في ذرى سبا   قد عض اعناقهم جلد الجواميس ثم سميت مدينة مأرب بسبا وبينها
وبين صنعاء مسيرة ثلث كما سميت معافر بمعافر بن اد ويحتمل ان يراد المدينة والقوم والنبأ الخبر الذي
له شان   وقوله من سبا بنبا من جنس الكلام الذي سماه المحدثون البديع وهو من محاسن الكلام
التي يتعلق باللفظ بشرط ان يجيء مطبوعا او يصنعه عالم بجوهر الكلام يحفظ معه صحة المعنى وسداده
ولقد جاء ههنا زائدا على الصحة فحسن وبدع لفظا ومعنى الا ترى انه لو وضع مكان بنبا بخبر لكان المعنى
صحيحا وهو كما جاء اصح لما في النبأ من الزيادة التي يطابقها وصف الحال   اني وجدت امرأة تملكهم واوتيت
من كل شيء ولها عرش عظيم   المرأة بلقيس بنت شراحيل وكان ابوها ملك ارض اليمن كلها وقد ولده اربعون
ملكا ولم يكن له ولد غيرها فغلبت على الملك وكانت هي وقومها مجوسا يعبدون الشمس والضمير في
تملكهم راجع الى سبا فان اريد به القوم فالامر ظاهر وان اريدت المدينة فمعناه تملك اهلها وقيل
في وصف عرشها كان ثمانين ذراعا في ثمانين وسمكه ثمانين وقيل ثلاثين مكان ثمانين وكان من ذهب
وفضة مكللا بانواع الجواهر وكانت قوائمه من ياقوت احمر واخضر ودر وزمرد وعليه سبعة ابيات
على كل بيت باب مغلق   كيف استعظم عرشها مع ما كان يرى من ملك سليمان فاستعظم لها
ذلك العرش ويجوز ان لا يكون لسليمان مثله وان عظمت مملكته في كل شيء كما يكون لبعض امراء الاطراف
شيء لا يكون مثله للملك الذي يملك عليهم امرهم ويستخدمهم ومن حق القصاص من يقف على قوله ولها عرش
ثم يبتدئ عظيم وجدتها يريد امر عظيم ان وجدتها وقومها يسجدون للشمس فر من استعظام
من دون الله
الهدهد عرشها فوقع في عظيمة وهي مسخ كتاب الله   فكيف قال واوتيت من كل شيء
مع قول سليمان واوتينا من كل شيء كانه سوى بينهما   بينهما فرق بين لان سليمان عطف
قوله على ما هو معجزة من الله وهو تعليم منطق الطير فرجع اولا الى ما اوتي من النبوة والحكمة واسباب
الدين ثم الى الملك واسباب الدنيا وعطفه الهدهد على الملك فلم يرد الا ما اوتيت من اسباب
الدنيا اللائقة بحالها فبين الكلامين بون بعيد   كيف خفي على سليمان مكانها وكانت
المسافة بين محطه وبين بلدها قريبة وهي مسيرة ثلث بين صنعاء ومأرب   لعل الله عز وجل

وزين لهم الشيطان أعمالهم

أخفى عنه ذلك لمصلحة رآها كما أخفى مكان يوسف على يعقوب. ... من أين للهدهد التهدي إلى معرفة الله ووجوب السجود له وإنكار سجودهم للشمس وإضافته إلى الشيطان وتزيينه. ... لا يبعد أن يلهمه الله كما ألهمه وغيره من الطيور وسائر الحيوان المعارف اللطيفة التي لا تكاد العقلاء الرجاح العقول يهتدون لها ومن أراد استقراء ذلك فعليه بكتاب الحيوان خصوصا في زمن نبي سخرت له الطيور وعلم منطقها وجعل ذلك معجزة له. فصدهم عن السبيل فهم لا يهتدون من قرأ بالتشديد أراد فصدهم عن السبيل لئلا يسجدوا فحذف الجار مع أن ويجوز أن تكون لا مزيدة ويكون المعنى فهم لا يهتدون إلى أن يسجدوا ومن قرأ بالتخفيف فهو ألا يا اسجدوا ألا للتنبيه ويا حرف النداء ومناداه محذوف كما حذفه من قال

ألا يا اسلمي يا دار مي على البلى

وفي حرف عبد الله وهي قراءة الأعمش هلا وهلا بقلب الهمزتين هاء وعن عبد الله هلا تسجدون بمعنى ألا تسجدون على الخطاب وفي قراءة أبي ألا تسجدون لله الذي يخرج الخبء في السموات والأرض ويعلم ما يخفون وما يعلنون من السماء والأرض ويعلم سركم وما تعلنون وسمي المخبوء بالمصدر وهو النبات والمطر وغيرهما مما خبأه عز وعلا من غيوبه. وقرئ الخب على تخفيف الهمزة بالحذف والخبا على تخفيفها بالقلب وهي قراءة ابن مسعود ومالك بن دينار ووجهها أن تخرج على لغة من يقول في الوقف هذا الخبو ورأيت الخبا ومررت بالخبي ثم أجرى الوصل مجرى الوقف لا على لغة من يقول الكماة والحماة لأنها ضعيفة مسترذلة. وقرئ يخفون ويعلنون بالياء والتاء. وقيل من أحطت إلى العظيم هو كلام الهدهد وقيل كلام رب العزة. وفي إخراج الخبء أمارة على أنه من كلام الهدهد لهندسته ومعرفته الماء تحت الأرض وذلك بإلهام من يخرج الخبء في السموات والأرض جلت قدرته ولطف علمه ولا يكاد تخفى على ذي الفراسة النظار بنور الله مخايل كل مختص بصناعة أو فن من العلم في روائه ومنطقه وشمائله ولهذا ورد ما عمل عبد عملا إلا ألقى الله عليه رداء عمله.

السجدة التلاوة واجبة في القراءتين جميعا أو في إحداهما. ... هي واجبة فيهما جميعا لأن مواضع السجدة إما أمر بها أو مدح لمن أتى بها أو ذم لمن تركها وإحدى القراءتين أمر بالسجود والأخرى ذم للتارك وقد اتفق أبو حنيفة والشافعي رحمهما الله على أن سجدات القرآن أربع عشرة وإنما اختلفا في سجدة ص فهي عند أبي حنيفة سجدة تلاوة وعند الشافعي سجدة شكر وفي سجدتي سورة الحج وما ذكره الزجاج من وجوب السجدة مع التخفيف دون التشديد فغير مرجوع إليه. هل يفرق الواقف بين القراءتين. ... نعم إذا خفف وقف على فهم لا يهتدون ثم ابتدأ ألا يا اسجدوا وإن شاء وقف على ألا يا ثم ابتدأ اسجدوا وإذا شدد لم يقف إلا على العرش العظيم. كيف سوى الهدهد بين عرش بلقيس وعرش الله في الوصف بالعظيم. ... بين الوصفين بون عظيم لأن وصف عرشها بالعظم تعظيم له بالإضافة إلى عروش أبناء جنسها من الملوك ووصف عرش الله بالعظم تعظيم له بالنسبة إلى سائر ما خلق الله من السموات والأرض. الله لا إله إلا هو رب العرش العظيم. وقرئ العظيم بالرفع. قال سننظر من النظر الذي هو التأمل والتصفح أصدقت أم كنت من الكاذبين وأراد أم كذبت إلا أن كنت من الكاذبين أبلغ لأنه إذا كان معروفا بالانخراط في سلك الكاذبين كان كاذبا لا محالة وإذا كان كاذبا اتهم بالكذب فيما أخبر به فلم يوثق به. اذهب بكتابي هذا فألقه إليهم ثم تول عنهم فانظر ماذا يرجعون. تول عنهم تنح عنهم إلى مكان قريب تتوارى فيه ليكون ما يقولونه بمسمع منك ويرجعون من قوله يرجع بعضهم إلى بعض القول. فيقال دخل عليها من كوة فألقى الكتاب إليها وتوارى في الكوة. ... لم قال فألقه إليهم على لفظ الجمع. ... لأنه قال وجدتها وقومها يسجدون للشمس فقال فألقه إلى الذين هذا دينهم اهتماما منه بأمر الدين واشتغالا به عن غيره وبنى الخطاب في الكتاب على لفظ الجمع لذلك. قالت يا أيها الملأ إني ألقي إلي كتاب كريم إنه من سليمان وإنه بسم الله الرحمن الرحيم. كريم حسن مضمونه وما فيه أو وصفته بالكريم لأنه من عند ملك كريم أو مختوم قال عليه السلام كرم الكتاب ختمه وكان عليه السلام يكتب إلى العجم فقيل له إنهم لا يقبلون إلا كتابا عليه خاتم فاصطنع خاتما وعن ابن المقفع من كتب إلى أخيه كتابا ولم يختمه فقد استخف به وقيل مصدر ببسم الله الرحمن هو استئناف وتبيين لما ألقي إليها كأنها لما قالت إني ألقي إلي كتاب كريم قيل لها ممن هو وما هو فقالت إنه من سليمان وإنه كيت وكيت وقرأ عبد الله وإنه من سليمان وإنه عطفا على إني وقرئ أنه من سليمان وأنه بالفتح على أنه بدل من كتاب كأنه قيل ألقي إلي أنه من سليمان ويجوز أن تريد لأنه من سليمان ولأنه كأنها عللت كرمه بكونه من سليمان وتصديره باسم الله وقرأ أبي أن من سليمان وأن بسم الله على أن المفسرة وأن في أن لا تعلوا علي وأتوني مسلمين مفسرة أيضا لا تعلوا لا تتكبروا كما يفعل الملوك وقرأ ابن عباس بالغين معجمة من الغلو وهو مجاوزة الحد. يروى أن نسخة الكتاب من عبد الله سليمان بن داود إلى بلقيس ملكة سبأ السلام على من اتبع الهدى أما بعد فلا تعلوا علي وأتوني مسلمين وكانت كتب الأنبياء جملا لا يطيلون ولا يكثرون وطبع الكتاب بالمسك وختمه بخاتمه فوجدها الهدهد راقدة في قصرها بمأرب وكانت إذا رقدت غلقت الأبواب ووضعت المفاتيح تحت رأسها فدخل من كوة وطرح الكتاب على نحرها وهي مستلقية و

قيل نقرها فانتبهت فزعة وقيل اتاها والقادة والجنود حواليها فرفرف ساعة والناس ينظرون
حتى رفعت راسها فالقى الكتاب في حجرها وكانت قارئة كاتبة عربية من نسل تبع بن شراحيل الحميري
فلما رات الخاتم ارتعدت وخضعت وقالت لقومها ما قالت مسلمين منقادين او مؤمنين قالت يا ايها الملأ
افتوني في امري ما كنت الفتوى الجواب في الحادثة اشتقت على طريق الاستعارة من الفتاء في السن
والمراد بالفتوى ههنا الاشارة عليها بما عندهم فيما حدث لها من الراي والتدبير وقصدت بالانقطاع
اليهم والرجوع الى استشارتهم واستطلاع آرائهم استعطافهم وتطييب نفوسهم ليمالئوها ويقوموا معها
قاطعة امرا فاصلة وفي رواية ابن مسعود قاضية اي لا ابت امرا الا بمحضركم وقيل كان اهل
مشورتها ثلثمائة وثلاثة عشر رجلا كل واحد على عشرة آلاف ارادوا بالقوة قوة الاجساد وقوة
الآلات والعدد وبالباس النجدة والبلاء في الحرب حتى تشهدون قالوا نحن اولوا قوة واولوا بأس شديد
والامر اليك اي هو موكول اليك ونحن مطيعون لك فمرينا بامرك نطعك ولا نخالفك كانهم اشاروا عليها
بالقتال او ارادوا نحن من ابناء الحرب لا من ابناء الراي والمشورة وانت ذات الراي والتدبير
فانظري ماذا تامرين نرى تتبع رايك لما احست منهم الميل الى المحاربة رات من الراي الميل الى الصلح
والابتداء بما هو احسن ورتبت الجواب فزيفت اولا ما ذكروه واريتهم الخطأ فيه قالت ان الملوك
اذا دخلوا قرية عنوة وقهرا افسدوها وجعلوا اعزة اهلها اذلة اي خربوها ومن ثمة قالوا
للفساد الخربة واذلوا اعزتها واهانوا اشرافها وقتلوا واسروا فذكرت لهم عاقبة الحرب
وسوء مغبتها ثم قالت وكذلك يفعلون ارادت وهذه عادتهم المستمرة الثابتة التي لا تتغير
لانها كانت في بيت الملك القديم فسمعت نحو ذلك ورات ثم ذكرت بعد ذلك حديث الهدية وما رات من
الراي السديد وقيل هو تصديق من الله لقولها وقد يتعلق الساعون في الارض بالفساد بهذه الآية
ويجعلونها حجة لانفسهم ومن استباح حراما فقد كفر فاذا احتج له بالقرآن على وجه التحريف فقد جمع
بين كفرين واني مرسلة اليهم بهدية فناظرة بم يرجع المرسلون فلما جاء سليمان قال اتمدونن بمال اي مرسلة رسلا
بهدية اصانعه بها عن ملكي فناظرة ما يكون منه حتى اعمل على حسب ذلك فروى انها بعثت خمسمائة
غلام عليهم ثياب الجواري وحليهن الاساور والاطواق والقرطة راكبي خيل مغشاة بالديباج
محلاة اللجم والسروج بالذهب المرصع بالجواهر وخمسمائة جارية على رماك في زي الغلمان والف لبنة
من ذهب وفضة وتاجا مكللا بالدر والياقوت والمرتفع والمسك والعنبر وحقة فيها درة عذراء و
جزعة معوجة الثقب وبعثت رجلين من اشراف قومها المنذر بن عمرو وآخر ذا راي وعقل وقالت

ان كان نبيا ميز بين الغلمان والجواري وثقب الدرة ثقبا مستويا وسلك في الخرزة خيطا ثم قالت
للمنذر ان نظر اليك نظر غضبان فهو ملك فلا يهولنك وان رايته بشا لطيفا فهو نبي فاقبل الهدهد
فاخبر سليمان فامر الجن فضربوا لبن الذهب والفضة وفرشوه في ميدان بين يديه طوله سبعة فراسخ
وجعلوا حول الميدان حائطا شرفه من الذهب والفضة وامر باحسن الدواب في البر والبحر فربطوها
عن يمين الميدان ويساره على اللبن وامر باولاد الجن وهم خلق كثير فاقيموا عن اليمين واليسار ثم قعد
على سريره والكراسي من جانبيه واصطفت الشياطين صفوفا فراسخ والانس صفوفا فراسخ والوحش
والسباع والطيور والهوام كذلك فلما دنا القوم ونظروا بهتوا وراوا الدواب تروث على اللبن
فتقاصرت اليهم نفوسهم ورموا بما معهم ولما وقفوا بين يديه نظر اليهم بوجه طلق وقال ما وراءكم
وقال اين الحق واخبره جبريل بما فيه فقال لهم ان فيه كذا وكذا ثم امر بالارضة فاخذت شعرة و
نفذت فيها فجعل رزقها في الشجرة واخذت دودة بيضاء الخيط بفيها ونفذت فيها فجعل رزقها
في الفواكه ودعا بالماء فكانت الجارية تاخذ الماء بيدها فتجعله في الاخرى ثم تضرب به وجهها
والغلام كما ياخذه يضرب به وجهه ثم رد الهدية وقال للمنذر ارجع اليهم فقالت هو نبي وما لنا به
طاقة فشخصت اليه في اثني عشر الف قيل تحت كل قيل الوف وفي قراءة ابن مسعود فلما جاؤا اتمدونني
وقرئ بحذف الياء والاكتفاء بالكسرة وبالادغام كقوله اتحاجوني وبنون واحدة اتمدوني والهدية
اسم المهدى كما ان العطية اسم المعطى فتضاف الى المهدي والمهدى له تقول هذه هدية فلان تريد
هي التي اهداها او اهديت اليه والمضاف اليه ههنا هو المهدى اليه والمعنى ان ما عندي خير مما
عندكم وذلك ان الله آتاني الدين الذي فيه الحظ الاوفر والغنى الاوسع وآتاني من الدنيا ما لا
يستزاد عليه فكيف يرضى مثلي بان يمد بمال ويصانع به بل انتم قوم لا تعلمون الا ظاهرا من الحيوة
الدنيا فلذلك تفرحون بما تزادون ويهدى اليكم لان ذلك مبلغ همتكم وحالي خلاف حالكم وما ارضى
منكم بشيء ولا افرح به الا بالايمان وترك المجوسية فما الفرق بين قولك اتمدونني بمال وانا
اغنى منك وبين ان تقوله بالفاء اذا قلته بالواو فقد جعلت مخاطبي عالما بزيادتي عليه في الغنى
واليسار وهو مع ذلك يمدني بالمال واذا قلته بالفاء فقد جعلته ممن خفيت عليه حالي فانا اخبره
الساعة بما لا احتاج معه الى امداده كاني اقول له انكر عليك ما فعلت فاني غني عنه وعليه ورد قوله
فما آتاني الله خير مما آتاكم فما وجه الاضراب لما انكر عليهم الامداد وعلل انكاره
اضرب عن ذلك الى بيان السبب الذي حملهم عليه وهو انهم لا يعرفون سبب رضى ولا فرح الا ان يهدى اليهم

حظ من الدنيا التي لا يعلمون غيرها ويجوز ان تجعل الهدية مضافة الى المهدى ويكون المعنى التي اهديتموها
بل انتم بهديتكم هذه تفرحون فرح افتخار على الملوك بانكم قدرتم على اهداء مثلها ويحتمل ان تكون
عبارة عن الرد كانه قال بل انتم من حقكم ان تاخذوا هديتكم وتفرحوا لها ارجع اليهم فلنأتينهم
بجنود لا قبل لهم بها ولنخرجنهم منها اذلة وهم صاغرون قال يا ايها الملأ ايكم يأتيني بعرشها قبل ان يأتوني مسلمين قال
عفريت من الجن انا آتيك به قبل ان تقوم من مقامك واني عليه خطاب للرسول وقيل للهدهد محملا كتابا
آخر لا قبل لا طاقة وحقيقة القبل المقاومة والمقابلة اي لا يقدرون ان يقابلوهم وقرا ابن
مسعود لا قبل لهم بهم والضمير في منها لسبا والذل ان يذهب عنهم ما كانوا فيه من العز والملك والصغار
ان يقعوا في اسر واستعباد ولا يقتصر بهم على ان يرجعوا سوقة بعد ان كانوا ملوكا يروى انها امرت
عند خروجها الى سليمان عليه السلام فجعل عرشها في آخر سبعة ابيات بعضها في بعض في آخر قصر
من قصور سبعة لها وغلقت الابواب ووكلت به حرسا يحفظونه ولعله اوحي الى سليمان عليه
السلام باستيثاقها من عرشها فاراد ان يغرب عليها ويريها بذلك بعض ما خصه الله به من اجراء
العجائب على يديه مع اطلاعها على عظيم قدرة الله وعلى ما يشهد لنبوة سليمان ويصدقها وعن قتادة
اراد ان ياخذه قبل ان تسلم لعلمه انها اذا اسلمت لم يحل له اخذه مالها وقيل اراد ان يؤتى به
فينكر ويغير ثم ينظر اتثبته ام تنكره اختبارا لعقلها وقرئ عفرية والعفر والعفريت
والعفرية والعفراة والعفارية من الرجال الخبيث المنكر الذي يعفر اقرانه ومن الشياطين الخبيث
المارد وقيل كان اسمه ذكوان لقوي على حمله امين آتي به كما هو لا اختزل منه شيئا ولا ابدله قال
الذي عنده علم من الكتاب انا آتيك به رجل كان عنده اسم الله الاعظم وهو يا حي يا قيوم وقيل يا الهنا
واله كل شيء الها واحدا لا اله الا انت وقيل يا ذا الجلال والاكرام وعن الحسن الله والرحمن
وقيل هو آصف بن برخيا كاتب سليمان وكان صديقا عالما وقيل اسمه اسطوم وقيل هو جبريل
وقيل ملك ايد الله به سليمان وقيل هو سليمان نفسه كانه استبطأ العفريت فقال له انا اريك
ما هو اسرع مما تقول وعن ابن لهيعة بلغني انه الخضر عليه السلام علم من الكتاب من الكتاب المنزل
وهو علم الوحي والشرائع وقيل هو اللوح والذي عنده علم منه جبريل وآتيك في الموضعين يجوز
ان يكون فعلا واسم فاعل الطرف تحريكك اجفانك اذا نظرت فوضع موضع النظر ولما كان الناظر
موصوفا بارسال الطرف في نحو قوله وكنت اذا ارسلت طرفك رائدا لقلبك يوما اتعبتك المناظر
وصف برد الطرف ووصف الطرف بالارتداد ومعنى قوله قبل ان يرتد اليك طرفك انك ترسل طرفك الى

شيء فقبل ان ترده ابصرت العرش بين يديك ويروى ان آصف قال لسليمان مد عينيك حتى ينتهي
طرفك فمد عينيه فنظر نحو اليمن ودعا آصف فغار العرش في مكانه ثم نبع عند مجلس سليمان بالشام
بقدرة الله تعالى قبل ان يرد طرفه ويجوز ان يكون هذا مثلا لاستقصار مدة المجيء به كما تقول لصاحبك
افعل ذلك في لحظة وفي ردة طرف والتفت ترني وما اشبه ذلك تريد السرعة فلما رآه مستقرا عنده قال هذا
من فضل ربي ليبلوني أأشكر ام اكفر ومن شكر فانما يشكر لنفسه ومن كفر فان ربي غني كريم يشكر لنفسه لانه
يحط عنها عبء الواجب ويصونها عن سمة الكفران ويرتبط به ويستمد المزيد وقيل الشكر قيد للنعمة
الموجودة وصيد للنعمة المفقودة وفي كلام بعض المتقدمين ان كفران النعمة بوار وقلما اقشعت نافرة
فرجعت في نصابها فاستدع شاردها بالشكر واستدم راهنها بكرم الجوار واعلم ان سبوغ ستر الله
متقلص عما قريب اذا انت لم ترج لله وقارا غني عن الشكر كريم بالانعام على من يكفر نعمته والذي
قاله سليمان عليه السلام عند رؤية العرش شاكرا لربه جرى على شاكلة ابناء جنسه من انبياء الله والمخلصين
من عباده يتلقون النعم القادمة بحسن الشكر كما يشيعون النعم المودعة بجميل الصبر قال نكروا لها عرشها ننظر اتهتدي
ام تكون من الذين لا يهتدون نكروا اجعلوه متنكرا متغيرا عن هيئته وشكله كما يتنكر الرجل للناس لئلا يعرفوه قالوا
وسعوه وجعلوا مقدمه مؤخره واعلاه اسفله وقرئ ننظر بالجزم على الجواب وبالرفع على الاستئناف اتهتدي
لمعرفته او للجواب الصواب اذا سئلت عنه او للدين والايمان بنبوة سليمان اذا رأت تلك المعجزة البينة من تقدم
عرشها وقد خلفته واغلقت عليه الابواب ونصبت عليه الحراس فلما جاءت قيل اهكذا عرشك قالت كانه هو
واوتينا العلم من قبلها وكنا مسلمين هكذا ثلاث كلمات حرف التنبيه وكاف التشبيه واسم الاشارة لم يقل اهذا
عرشك ولكن امثل هذا عرشك لئلا يكون تلقينا فقالت كانه هو ولم تقل هو هو ولا ليس به وذلك من رجاحة
عقلها حيث لم تقطع في المحتمل واوتينا العلم من كلام سليمان وملائه علام عطف هذا الكلام و
بم اتصل لما كان المقام الذي سئلت فيه عن عرشها واجابت بما اجابت به مقاما اجرى فيه سليمان
وملاؤه ما يناسب قولهم واوتينا العلم نحو ان يقولوا عند قولها كانه هو قد اصابت في جوابها وطبقت المفصل
وهي عاقلة لبيبة وقد رزقت الاسلام وعلمت قدرة الله وصحة النبوة بالآيات التي تقدمت عند
وفدة المنذر وبهذه الآية العجيبة من امر عرشها عطفوا على ذلك قولهم واوتينا نحن العلم بالله وبقدرته
وبصحة ما جاء من عنده قبل علمها ولم نزل على دين الاسلام شكرا لله على فضلهم عليها وسبقهم الى
العلم بالله والاسلام قبلها وصدها ما كانت تعبد من دون الله انها كانت من قوم كافرين عن التقدم الى
الاسلام عبادة الشمس ونشوؤها بين ظهراني الكفرة ويجوز ان يكون من كلام بلقيس موصولا بقولها

كانه هو والمعنى واوتينا العلم بالله وبقدرته وبصحة نبوة سليمان قبل هذه المعجزة او قبل هذه الحالة تعني
ما تبينت من الآيات عند وفدة المنذر ودخلنا في الاسلام ثم قال الله تعالى وصدها قبل ذلك عما دخلت
فيه ضلالها عن سواء السبيل وقيل وصدها الله او سليمان عما كانت تعبد بتقدير حذف الجار وايصال
الفعل وقرئ انها بالفتح على انه بدل من فاعل صد او بمعنى لانها قيل لها ادخلي الصرح فلما رأته حسبته لجة و
كشفت عن ساقيها قال انه صرح ممرد من قوارير قالت رب اني ظلمت نفسي واسلمت مع سليمان لله رب العالمين الصرح
القصر وقيل صحن الدار وقرا ابن كثير سأقيها بالهمز ووجهه انه سمع سؤوقا فاجرى عليه الواحد والممرد
المملس وروي ان سليمان امر قبل قدومها فبني له على طريقها قصر من زجاج ابيض واجرى من تحته الماء
والقى فيه من دواب البحر السمك وغيره ووضع سريره في صدره فجلس عليه وعكف عليه الطير والجن والانس
وانما فعل ذلك ليزيدها استعظاما لامره وتحققا لنبوته وثباتا على الدين وزعموا ان الجن كرهوا ان
يتزوجها فتفضي اليه باسرارهم لانها كانت بنت جنية وقيل خافوا ان يولد له منها ولد يجتمع له فطنة الجن
والانس فيخرجون من ملك سليمان الى ملك هو اشد وافظع فقالوا له ان في عقلها شيئا وهي شعراء
الساقين ورجلها كحافر الحمار فاختبر عقلها بتنكير العرش واتخذ الصرح ليتعرف ساقها ورجلها فكشفت
عنهما فاذا هي احسن الناس ساقا وقدما الا انها شعراء ثم صرف بصره وناداها انه صرح ممرد من قوارير
وقيل هي السبب في اتخاذ النورة امر بها الشياطين فاتخذوها واستنكحها سليمان واحبها واقرها على
ملكها وامر الجن فبنوا لها سيلحين وغمدان وكان يزورها في الشهر مرة فيقيم عندها ثلثة ايام وولدت
له وقيل بل زوجها ذا تبع ملك همدان وسلطه على اليمن وامر زوبعة امير جن اليمن ان يطيعه فبنى
له المصانع ولم يزل اميرا حتى مات سليمان ظلمت نفسي تريد بكفرها فيما تقدم وقيل حسبت ان سليمان
يغرقها في اللجة فقالت ظلمت نفسي بسوء ظني بسليمان ولقد ارسلنا الى ثمود اخاهم صالحا ان اعبدوا
الله فاذا هم فريقان يختصمون قال يا قوم لم تستعجلون بالسيئة قبل الحسنة لولا وقرئ ان اعبدوا بالضم على
اتباع النون الباء فريقان فريق مؤمن وفريق كافر وقيل اريد بالفريقين صالح وقومه قبل ان يؤمن
منهم احد يختصمون يقول كل فريق الحق معي السيئة العقوبة والحسنة التوبة ما معنى استعجالهم
بالسيئة قبل الحسنة وانما يكون ذلك اذا كانتا متوقعتين احداهما قبل الاخرى كانوا يقولون
لجهلهم ان العقوبة التي يعدها صالح ان وقعت على زعمه تبنا حينئذ واستغفرنا مقدرين ان
التوبة مقبولة في ذلك الوقت وان لم تقع فنحن على ما نحن عليه فخاطبهم صالح على حسب قولهم واعتقادهم
ثم قال لهم هلا تستغفرون الله قبل نزول العذاب لعلكم ترحمون تنبيها لهم على الخطاء فيما قالوه و

قالوا اطيرنا بك وبمن معك

تجهيلا فيما اعتقدوه كان الرجل يخرج مسافرا فيمر بطائر فيزجره فان مر سانحا تيمن وان مر بارحا
تشاءم فلما نسبوا الخير والشر الى الطائر استعير لما كان سببهما من قدر الله وقسمته او من عمل العبد الذي
هو السبب في الرحمة والنقمة ومنه قالوا طائر الله لا طائرك اي قدر الله الغالب الذي ينسب اليه الخير والشر
لا طائرك الذي تتشاءم به وتتيمن فلما قالوا اطيرنا بكم اي تشاءمنا وكانوا قد قحطوا قال طائركم عند الله
اي سببكم الذي يجيء منه خيركم وشركم عند الله وهو قدره وقسمته ان شاء رزقكم وان شاء
حرمكم ويجوز ان يريد عملكم مكتوب عند الله فمنه نزل بكم ما نزل عقوبة لكم وفتنة ومنه قوله طائركم معكم
وكل انسان الزمناه طائره في عنقه وقرئ تطيرنا بكم على الاصل ومعنى تطير به تشاءم به وتطير منه نفر منه
بل انتم قوم تفتنون تختبرون او تعذبون او يفتنكم الشيطان بوسوسته اليكم الطيرة وكان في المدينة تسعة
رهط يفسدون في الارض المدينة الحجر وانما جاز تمييز التسعة بالرهط لانه في معنى الجماعة فكانه قيل
تسعة انفس والفرق بين الرهط والنفر ان الرهط من الثلثة الى العشرة او من السبعة الى العشرة و
النفر من الثلثة الى التسعة واسماؤهم عن وهب الهذيل بن عبد رب غنم بن غنم رباب بن مهرج مصدع بن
مهرج عمير بن كردبة عاصم بن مخرمة سبيط بن صدقة سمعان بن صفي قدار بن سالف وهم الذين
سعوا في عقر الناقة وكانوا عتاة قوم صالح وكانوا من ابناء اشرافهم ولا يصلحون يعني ان شانهم الا
الفساد البحت الذي لا يخلط بشيء من الصلاح كما ترى بعض المفسدين قد يندر منه بعض الصلاح قالوا
تقاسموا بالله لنبيتنه واهله ثم لنقولن لوليه تقاسموا يحتمل ان يكون امرا وخبرا في محل الحال باضمار
قد اي قالوا متقاسمين وقرئ تقسموا وقرئ لتبيتنه بالتاء والياء والنون فتقاسموا مع النون
والتاء يصح فيه الوجهان ومع الياء لا يصح فيه الا ان يكون خبرا والتقاسم والتقسم كالتظاهر و
التظهر التحالف والبيات مباغتة العدو ليلا وعن الاسكندر انه اشير عليه بالبيات فقال
ليس من آيين الملوك استراق الظفر وقرئ مهلك بفتح الميم واللام وكسرها من هلك ومهلك بضم الميم
من اهلك ويحتمل المصدر والمكان والزمان كيف يكونون صادقين وقد جحدوا ما فعلوا فاتوا
بالخبر على خلاف المخبر عنه كانهم اعتقدوا انهم اذا بيتوا صالحا وبيتوا اهله فجمعوا بين البياتين
ثم قالوا ما شهدنا مهلك اهله وانا لصادقون فذكروا احدهما كانوا صادقين لانهم فعلوا البياتين
جميعا لا احدهما وفي هذا دليل قاطع على ان الكذب قبيح عند الكفرة الذين لا يعرفون الشرع
ونواهيه ولا يخطر ببالهم الا ترى انهم قصدوا قتل نبي الله ولم يرضوا لانفسهم بان يكونوا كاذبين
حتى سووا للصدق في خبرهم حيلة يتفصون بها عن الكذب ومكروا مكرا ومكرنا مكرا وهم لا يشعرون فانظر

كيف كان عاقبة مكرهم مكرهم ما أخفوه من تدبير الفتك بصالح وأهله ومكر الله إهلاكهم من حيث لا يشعرون
شبه بمكر الماكر على سبيل الاستعارة روي أنه كان لصالح مسجد في الحجر في شعب يصلي فيه فقالوا زعم
صالح أنه يفرغ منا إلى ثلاث فنحن نفرغ منه ومن أهله قبل الثلاث فخرجوا إلى الشعب وقالوا إذا جاء يصلي
قتلناه ثم رجعنا إلى أهله فقتلناهم فبعث الله صخرة من الهضب حيالهم فبادروا فطبقت الصخرة عليهم
فم الشعب فلم يدر قومهم أين هم ولم يدروا ما فعل بقومهم وعذب الله كلا منهم في مكانه ونجى صالحا
ومن معه وقيل جاؤوا بالليل شاهري سيوفهم وقد أرسل الله الملائكة ملء دار صالح فدمغوهم بالحجارة
يرون الحجارة ولا يرون الرامي إنا دمرناهم وقومهم أجمعين استئناف ومن قرأ بالفتح رفعه بدلا من العاقبة
أو خبر مبتدأ محذوف تقديره هي تدميرهم أو نصبه على معنى لأنا أو على أنه خبر كان أي كان عاقبة مكرهم
الدمار فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا إن في ذلك لآية لقوم يعلمون وأنجينا الذين آمنوا وكانوا يتقون خاوية
حال عمل فيها ما دل عليه تلك وقرأ عيسى بن عمر خاوية بالرفع على خبر المبتداء المحذوف ولوطا إذ قال لقومه
أتأتون الفاحشة واذكر لوطا أو وأرسلنا لوطا لدلالة ولقد أرسلنا عليه وإذ بدل على الأول ظرف
على الثاني وأنتم تبصرون أئنكم لتأتون الرجال شهوة من دون النساء من بصر القلب أي تعلمون أنها فاحشة
لم تسبقوا إليها وأن الله إنما خلق الأنثى للذكر ولم يخلق الذكر للذكر ولا الأنثى للأنثى فهي
مضادة لله في حكمته وحكمه وعلمكم بذلك أعظم لذنوبكم وأدخل في القبح والسماجة وفيه دليل على أن
القبيح من الله أقبح منه من عباده لأنه أعلم العالمين وأحكم الحاكمين أو تبصرونها بعضكم من بعض لأنهم
كانوا في ناديهم يرتكبونها معالنين بها لا يتستر بعضهم من بعض خلاعة ومجانة وانهماكا في المعصية
وكأن أبا نواس بنى على مذهبهم قوله فبح باسم من تأتي ودعني من الكنى فلا خير في اللذات من دونها
ستر أو تبصرون آثار العصاة قبلكم وما نزل بهم فسرت تبصرون بالعلم وبعده بل أنتم
قوم تجهلون فكيف يكونون علماء جهلاء أراد تفعلون فعل الجاهلين بأنها فاحشة مع علمكم
بذلك أو تجهلون العاقبة أو أراد بالجهل السفاهة والمجانة التي كانوا عليها تجهلون صفة
لقوم والموصوف لفظه لفظ الغائب فهلا طابقت الصفة الموصوف فقرئ بالياء دون التاء وكذلك
بل أنتم قوم تفتنون اجتمعت الغيبة والمخاطبة فغلبت المخاطبة لأنها أقوى وأرسخ أصلا
من الغيبة فما كان جواب قومه إلا أن قالوا أخرجوا آل لوط من قريتكم إنهم أناس وقرأ الأعمش جواب قومه
بالرفع والمشهورة أحسن يتطهرون يتنزهون عن القاذورات كلها فينكرون هذا العمل القذر
ويغيظنا إنكارهم وعن ابن عباس هو استهزاء فأنجيناه وأهله إلا امرأته قدرناها قدرنا كونها

من الغابرين كقوله قدرنا إنها لمن الغابرين فالتقدير واقع على الغبور في المعنى وأمطرنا عليهم مطرا
فساء مطر المنذرين قل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى آلله خير أما يشركون أمر رسوله صلى الله عليه وسلم أن يتلو
هذه الآيات الناطقة بالبراهين على وحدانيته وقدرته على كل شيء وحكمته وأن يستفتح بتحميده و
السلام على أنبيائه والمصطفين من عباده وفيه تعليم حسن وتوقيف على أدب جميل وبعث على التيمن
بالذكرين والتبرك بهما والاستظهار بمكانهما على قبول ما يلقى إلى السامعين وإصغائهم إليه وإنزاله
من قلوبهم المنزلة التي يبغيها المسمع ولقد توارث العلماء والخطباء والوعاظ كابرا عن كابر هذا
الأدب فحمدوا الله وصلوا على رسوله أمام كل علم مفاد وقبل كل عظة وتذكرة وفي مفتتح كل خطبة
وتبعهم المترسلون فأجروا عليه أوائل كتبهم في الفتوح والتهاني وغير ذلك من الحوادث التي لها شأن
وقيل هو متصل بما قبله وأمر بالتحميد على الهالكين من كفار الأمم والصلاة على الأنبياء وأشياعهم الناجين
وقيل هو خطاب للوط عليه السلام وأن يحمد الله على هلاك قومه ويسلم على من اصطفاه الله ونجاه من هلكتهم
وعصمه من ذنوبهم معلوم أن لا خير فيما أشركوه أصلا حتى يوازن بينه وبين من هو خالق كل
خير ومالكه وإنما هو إلزام لهم وتبكيت وتهكم بحالهم وذلك أنهم آثروا عبادة الأصنام على عبادة
الله ولا يؤثر عاقل شيئا على شيء إلا لداع يدعوه إلى إيثاره من زيادة خير ومنفعة فقيل لهم
مع العلم بأنه لا خير فيما آثروه وأنهم لم يؤثروه لزيادة الخير ولكن هوى وعبثا لينبهوا على الخطاء
المفرط والجهل المورط وإضلالهم التمييز ونبذهم المعقول وليعلموا أن الإيثار يجب أن يكون للخير
الزائد ونحوه ما حكاه عن فرعون أم أنا خير من هذا الذي هو مهين مع علمه أنه ليس لموسى مثل أنهاره
التي كانت تجري تحته ثم عدد سبحانه الخيرات والمنافع التي هي آثار رحمته وفضله كما عددها في موضع
آخر ثم قال هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شيء وقرئ تشركون بالتاء والياء وعن رسول الله
صلى الله عليه وسلم أنه كان إذا قرأها قال بل الله خير وأبقى وأجل وأكرم ما الفرق بين
أم وأم في أما يشركون وأمن خلق السموات والأرض وأنزل لكم من السماء ماء تلك متصلة لأن المعنى
أيهما خير وهذه منقطعة بمعنى بل والهمزة لما قال آلله خير أم الآلهة قال بل أمن خلق السموات
والأرض خير تقريرا لهم بأن من قدر على خلق العالم خير من جماد لا يقدر على شيء وقرأ الأعمش
أمن بالتخفيف ووجهه أن يجعل بدلا من الله كأنه قال أمن خلق السموات والأرض خير أم ما تشركون
أي نكتة في نقل الإخبار عن الغيبة إلى التكلم عن ذاته في قوله فأنبتنا به حدائق ذات بهجة
تأكيد معنى اختصاص الفعل بذاته والإيذان بأن إنبات الحدائق المختلفة الأصناف والألوان

والطعوم والروائح والاشكال مع حسنها وبهجتها بماء واحد لا يقدر عليه الا هو وحده الا ترى كيف رشح معنى الاختصاص بقوله ما كان لكم ان تنبتوا شجرها ومعنى الكينونة الانبغاء اراد ان تأتى ذلك محال من غيره وكذلك قوله بل هم بعد الخطاب ابلغ في تخطئة رأيهم والحديقة البستان عليه حائط من الاحداق وهو الاحاطة وقيل ذات لان المعنى جماعة حدائق ذات بهجة كما يقال النساء ذهبت والبهجة الحسن لان الناظر يبتهج به أإله مع الله أغيره يقرن به ويجعل شريكا له وقرئ آإلها مع الله بمعنى أتدعون او أتشركون ولك ان تحقق الهمزتين وتوسط بينهما مدة وتخرج الثانية بين بين بل هم قوم يعدلون به غيره او يعدلون عن الحق الذي هو التوحيد أمن جعل الارض قرارا وجعل خلالها انهارا وجعل لها رواسي وجعل بين البحرين وما بعده بدل من أمن خلق فكان حكمها حكمه قرارا دحاها وسواها للاستقرار عليها حاجزا كقوله برزخا أإله مع الله بل اكثرهم لا يعلمون الضرورة الحالة المحوجة الى اللجاء والاضطرار افتعال منها يقال اضطره الى كذا والفاعل والمفعول مضطر والمضطر الذي احوجه مرض او فقر او نازلة من نوازل الدهر الى اللجاء والتضرع الى الله وعن ابن عباس هو المجهود وعن السدي الذي لا حول له ولا قوة وقيل المذنب اذا استغفر قد عم المضطرين بقوله أمن يجيب المضطر اذا دعاه وكم من مضطر يدعو فلا يجاب الاجابة موقوفة على ان يكون المدعو به مصلحة ولهذا لا يحسن دعاء العبد الا شارطا فيه المصلحة واما المضطر فمتناول للجنس مطلقا يصلح لكله ولبعضه فلا طريق الى الجزم على احدهما الا بدليل وقد قام الدليل على البعض وهو الذي اجابته مصلحة فبطل التناول على العموم ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الارض خلفاء فيها وذلك توارثهم سكناها والتصرف فيها قرنا بعد قرن او اراد بالخلافة الملك والتسلط أإله مع الله قليلا ما يذكرون وقرئ يذكرون بالياء مع الادغام وبالتاء مع الادغام والحذف وما مزيدة اي يذكرون تذكرا قليلا والمعنى نفي التذكر والقلة تستعمل في معنى النفي أمن يهديكم في ظلمات البر والبحر ومن يرسل الرياح بشرا بين يدي رحمته أإله مع الله تعالى الله عما يشركون يهديكم بالنجوم في السماء والعلامات في الارض اذا جن الليل عليكم مسافرين في البر والبحر كيف قيل لهم أمن يبدأ الخلق ثم يعيده وهم منكرون للاعادة قد ازيحت علتهم بالتمكين من المعرفة والاقرار فلم يبق لهم عذر في الانكار ومن يرزقكم من السماء الماء ومن الارض النبات أإله مع الله قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين ان مع الله الها فاين دليلكم عليه لم رفع اسم الله و الله يتعالى ان يكون ممن في السموات والارض جاء على لغة بني تميم حيث يقولون ما في الدار احد الا حمار يريدون ما فيها الا حمار كأن احدا لم يذكر ومنه قوله عشية ما تغني الرماح مكانها

ولا النبل الا المشرفي المصمم وقولهم ما اتاني زيد الا عمرو وما اعانه اخوانكم الا اخوانه ما الداعي الى اختيار المذهب التميمي على الحجازي دعت اليه نكتة سرية حيث اخرج المستثنى مخرج قوله الا اليعافير بعد قوله ليس بها انيس ليؤول المعنى الى قولك ان كان الله ممن في السموات والارض فهم يعلمون الغيب يعني ان علمهم الغيب في استحالته كاستحالة ان يكون الله منهم كما ان معنى ما في البيت ان كانت اليعافير انيسا ففيها انيس بتا للقول بخلوها عن الانيس هلا زعمت ان الله ممن في السموات والارض كما يقول المتكلمون الله في كل مكان على معنى ان علمه في الاماكن كلها فكأن ذاته فيها حتى لا تحمله على مذهب بني تميم يأبى ذلك ان كونه في السموات والارض مجاز وكونهم فيهن حقيقة وارادة المتكلم بعبارة واحدة حقيقة ومجازا غير صحيحة على ان قولك من في السموات والارض وجمعك بينه وبينهم في اطلاق اسم واحد فيه ايهام تسوية والايهامات مزالة عنه وعن صفاته الا ترى كيف قال عليه السلام لمن قال ومن يعصهما فقد غوى بئس خطيب القوم انت وعن عائشة رضي الله عنها من زعم انه يعلم ما في غد فقد اعظم على الله الفرية والله تعالى يقول قل لا يعلم من في السموات والارض الغيب الا الله وعن بعضهم اخفى غيبه عن الخلق ولم يطلع عليه احدا لئلا يأمن احد من عبيده مكره وقيل نزلت في المشركين حين سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن وقت الساعة وما يشعرون ايان يبعثون ايان بمعنى متى ولو سمي به لكان فعالا من آن يئين ولا نصرف وقرئ ايان بكسر الهمزة بل ادارك علمهم في الآخرة قرئ بل أدرك بل ادارك بل تدارك بل أأدرك بهمزتين بل آأدرك بالف بينهما بل ادرك بالتخفيف والنقل بل ادّرك بفتح اللام وتشديد الدال واصله بل ادرك على الاستفهام بلى ادرك ام تدارك ام ادرك فهذه ثنتا عشرة قراءة وادارك اصله تدارك فادغمت التاء في الدال وادرك افتعل ومعنى ادرك علمهم انتهى وتكامل وادارك تتابع واستحكم وهو على وجهين احدهما ان اسباب استحكام العلم وتكامله بان القيامة كائنة لا ريب فيها قد حصلت لهم ومكنوا من معرفته وهم شاكون جاهلون وذلك قوله بل هم في شك منها بل هم منها عمون يريد المشركين ممن في السموات والارض لانهم لما كانوا في جملتهم نسب فعلهم الى الجميع كما يقال بنو فلان فعلوا كذا وانما فعله ناس منهم ان الآية سيقت لاختصاص الله بعلم الغيب وان العباد لا علم لهم بشيء منه وان وقت بعثهم ونشورهم من جملة الغيب وهم لا يشعرون به فكيف لائم هذا المعنى وصف المشركين بانكارهم البعث مع استحكام اسباب العلم والتمكن من المعرفة لما ذكر ان العباد لا يعلمون الغيب ولا يشعرون البعث الكائن ووقته الذي يكون فيه وكان هذا بيانا لعجزهم ووصفا لقصور علمهم وصل به ان عندهم

عجزاً أبلغ منه وهو أنهم يقولون للكائن الذي لا بد أن يكون وهو وقت جزاء أعمالهم لا يكون مع أن عندهم
أسباب معرفة كونه واستحكام العلم به والوجه الثاني أن وصفهم باستحكام العلم وتكامله تهكم بهم كما تقول
لأجهل الناس ما أعلمك على سبيل الهزء وذلك حيث شكوا وعموا عن إثباته الذي الطريق إلى علمه مسلوك فضلاً
أن يعرفوا وقت كونه الذي لا طريق إلى معرفته وفي أدرك علمهم وادّارك وجه آخر وهو أن يكون أدرك
بمعنى انتهى وفني من قولك أدركت الثمرة لأن تلك غايتها التي عندها تعدم وقد فسره الحسن باضمحل
علمهم وتدارك من تدارك بنو فلان إذا تتابعوا إلى الهلاك   فما وجه قراءة من قرأ بل أأدرك على
الاستفهام   هو استفهام على وجه الإنكار لإدراك علمهم وكذلك من قرأ أم أدرك وأم تدارك
لأنها أم التي بمعنى بل والهمزة   فمن قرأ بلى أدرك وبلى أأدرك   لما جاء ببلى بعد قوله وما
يشعرون كان معناه بلى يشعرون ثم فسر الشعور بقوله أدرك علمهم في الآخرة على سبيل التهكم الذي
معناه المبالغة في نفي العلم فكأنه قال شعورهم بوقت الآخرة أنهم لا يعلمون كونها فيرجع إلى نفي الشعور
على أبلغ ما يكون وأما من قرأ بلى أأدرك على الاستفهام فمعناه بلى يشعرون متى يبعثون ثم أنكر علمهم بكونها
وإذا أنكر علمهم بكونها لم يتحصل لهم شعور بوقت كونها لأن العلم بوقت الكائن تابع للعلم بكون الكائن في
الآخرة في شأن الآخرة ومعناها   هذه الإضرابات الثلاث ما معناها   ما هي
إلا تنزيل لأحوالهم وصفهم أولاً بأنهم لا يشعرون وقت البعث ثم بأنهم لا يعلمون أن القيامة كائنة ثم بأنهم
يخبطون في شك ومرية فلا يزيلونه والإزالة مستطاعة ألا ترى أن من لم يسمع اختلاف المذاهب و
تضليل أربابها بعضهم لبعض كان أمره أهون ممن سمع بها وهو جاثم لا يتشخص به طلب التمييز بين الحق والباطل
ثم بما هو أسوأ حالاً وهو العمى وأن يكون مثل البهيمة قد عكف همه على بطنه وفرجه لا يخطر بباله حقاً
ولا باطلاً ولا يفكر في عاقبة وقد جعل الآخرة مبدأ عماهم ومنشأه فلذلك عداه بمن دون عن لأن
الكفر بالعاقبة والجزاء هو الذي جعلهم كالبهائم لا يتدبرون ولا يتبصرون وقال الذين كفروا أإذا
كنا تراباً وآباؤنا أئنا لمخرجون لقد وعدنا هذا نحن وآباؤنا من قبل إن هذا إلا أساطير الأولين قل سيروا في الأرض
فانظروا كيف كان عاقبة المجرمين   العامل في إذا ما دل عليه أئنا لمخرجون وهو نخرج لأن بين يدي عمل
اسم الفاعل فيه عقاباً وهي همزة الاستفهام وإن ولام الابتداء وواحدة منها كافية فكيف إذا اجتمعن
والمراد الإخراج من الأرض أو من حال الفناء إلى الحياة وتكرير حرف الاستفهام بإدخاله على إذا وإن
جميعاً إنكار على إنكار وجحود عقيب جحود ودليل على كفر مؤكد مبالغ فيه والضمير في أئنا لهم ولآبائهم
لأن كونهم تراباً قد تناولهم وآباءهم   قدم في هذه الآية هذا على نحن وآباؤنا وفي آية أخرى قدم

نحن وآباؤنا على هذا   التقديم دليل على أن المقدم هو الغرض المتعمد بالذكر وأن الكلام إنما سيق
لأجله ففي إحدى الآيتين دل على أن اتخاذ البعث هو الذي تعمد بالكلام وفي الأخرى على أن اتخاذ المبعوث بذلك الصدد
لم يلحق علامة التأنيث بفعل العاقبة لأن تأنيثها غير حقيقي ولأن المعنى كيف آخر أمرهم وأراد بالمجرمين
الكافرين وإنما عبر عن الكفر بلفظ الإجرام ليكون لطفاً للمسلمين في ترك الجرائم وتخوف عاقبتها ألا ترى إلى قوله فدمدم
عليهم ربهم بذنبهم وقوله مما خطيئاتهم أغرقوا ولا تحزن عليهم ولا تكن لأنهم لم يتبعوك ولم يسلموا فيسلموا وهم قومه
قريش كقوله لعلك باخع نفسك على آثارهم إن لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفاً في ضيق مما يمكرون في حرج صدر
من مكرهم وكيدهم لك ولا تبال بذلك فإن الله يعصمك من الناس يقال ضاق الشيء ضيقاً وضيقاً بالفتح
والكسر وقد قرئ بهما والضيق أيضاً تخفيف الضيّق قال الله تعالى ضيقاً حرجاً قرئ مخففاً ومثقلاً ويجوز
أن يراد في أمر ضيق من مكرهم ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين قل عسى أن يكون ردف لكم بعض الذي
تستعجلون   استعجلوا العذاب الموعود فقيل لهم عسى أن يكون ردفكم بعضه وهو عذاب يوم بدر فزيدت
اللام للتأكيد كالباء في ولا تلقوا بأيديكم أو ضمن معنى فعل يتعدى باللام نحو دنا لكم وأزف لكم ومعناه
تبعكم ولحقكم وقد عدي بمن قال   فلما ردفنا من عمير وصحبه تولوا سراعاً والمنية تعنق
يعني دنونا من عمير وقرأ الأعرج ردف لكم بوزن ذهب وهما لغتان والكسر أفصح وعسى ولعل وسوف
في وعد الملوك ووعيدهم يدل على صدق الأمر وجده ولا مجال للشك بعده وإنما يعنون بذلك إظهار
وقارهم وأنهم لا يعجلون بالانتقام لإدلالهم بقهرهم وغلبتهم ووثوقهم بأن عدوهم لا يفوتهم وأن
الرمزة إلى الأغراض كافية من جهتهم فعلى ذلك وعد الله ووعيده وإن ربك لذو فضل على الناس ولكن
أكثرهم لا يشكرون وإن ربك ليعلم ما تكن صدورهم وما يعلنون   الفضل والفاضلة الإفضال ولفلان
فواضل في قومه وفضول ومعناه أنه مفضل عليهم بتأخير العقوبة وأنه لا يعاجلهم بها وأكثرهم لا يعرفون
حق النعمة فيه ولا يشكرونه ولكنهم بجهلهم يستعجلون وقوع العقاب وهم قريش   قرئ تكن يقال
كننت الشيء وأكننته إذا سترته وأخفيته يعني أنه يعلم ما يخفون وما يعلنون من عداوة رسول
الله ومكايدهم   وهو معاقبهم على ذلك بما يستوجبونه وما من غائبة في السماء والأرض إلا في كتاب مبين إن
هذا القرآن يقص على بني إسرائيل أكثر الذي هم فيه يختلفون وإنه لهدى ورحمة للمؤمنين إن ربك يقضي بينهم
بحكمه وهو العزيز العليم فتوكل على الله إنك على الحق المبين   سمي الشيء الذي يغيب ويخفى خافية وغائبة
وكانت التاء فيهما بمنزلتها في العافية والعاقبة ونظائرهما النطيحة والرمية والذبيحة في أنهما
أسماء غير صفات ويجوز أن يكونا صفتين وتاؤهما للمبالغة في قولهم ويل للشاعر من راوية السوء

كأنه قال وما من شيء شديد الغيبوبة والخفاء إلا وقد علمه الله وأحاط به وأثبته في اللوح المبين الظاهر
البين لمن ينظر فيه من الملائكة قد اختلفوا في المسيح فتحزبوا فيه أحزابا ووقع بينهم التناكر في أشياء
كثيرة حتى لعن بعضهم بعضا وقد نزل القرآن ببيان ما اختلفوا فيه لو أنصفوا وأخذوا به وأسلموا يريد اليهود
والنصارى للمؤمنين لمن أنصف منهم وآمن أي من بني إسرائيل أو منهم ومن غيرهم بينهم بين من آمن بالقرآن
وكفر به ما معنى يقضي بحكمه ولا يقال زيد يضرب بضربه ويمنع بمنعه معناه بما يحكم به
وهو عدله لأنه لا يقضي إلا بالعدل فسمى المحكوم به حكما أو أراد بحكمته ويدل عليه قراءة من قرأ بحكمه
وهو العزيز فلا يرد قضاؤه العليم بمن يقضي له وبمن يقضي عليه أو العزيز في انتقامه من المبطلين
العليم بالفصل بينهم وبين المحقين أمره بالتوكل على الله وقلة المبالاة بأعداء الدين وعلل التوكل بأنه
على الحق الأبلج الذي لا يتعلق به الظن والشك وفيه بيان أن صاحب الحق حقيق بالوثوق بصنع الله و
بنصرته وأن مثله لا يخذل إنك لا تسمع الموتى ولا تسمع الصم الدعاء يشبه أن يكون تعليلا
آخر للتوكل فما وجه ذلك وجهه أن الأمر بالتوكل جعل مسببا عما كان يغيظ رسول الله من
جهة المشركين وأهل الكتاب من ترك اتباعه وتشييع ذلك بالعداوة والأذى فلازم ذلك أن يعلل
توكل متوكل مثله بأن اتباعهم أمر قد يئس منه فلم يبق إلا الاستنصار عليهم لعداوتهم واستكفاء
شرورهم وأذاهم وشبهوا بالموتى وهم أحياء صحاح الحواس لأنهم إذا سمعوا ما يتلى عليهم من آيات الله
فكانوا أقماع القول لا تعيه آذانهم وكان سماعهم كلا سماع كانت حالهم لانتفاء جدوى السماع كحال
الموتى الذين فقدوا مصحح السماع وكذلك تشبيههم بالصم الذين ينعق بهم فلا يسمعون وشبهوا بالعمي
حيث يضلون الطريق ولا يقدر أحد أن ينزع ذلك عنهم ويجعلهم هداة بصراء إلا الله عز وجل
ما معنى قوله إذا ولوا مدبرين هو تأكيد لحال الأصم لأنه إذا تباعد عن الداعي بأن يولي عنه مدبرا كان
أبعد عن إدراك صوته وقرئ ولا يسمع الصم وما أنت بهادي العمي عن ضلالتهم على الأصل وتهدي العمي
وعن ابن مسعود وما أن تهدي العمي وهداه عن الضلال كقولك سقاه عن العيمة أي أبعده عنها
بالسقي وأبعده عن الضلال بالهدى إن تسمع إلا من يؤمن بآياتنا أي ما يجدي إسماعك إلا على الذين علم
الله أنهم يؤمنون بآياته أي يصدقون بها فهم مسلمون أي مخلصون من قوله بلى من أسلم وجهه يعني جعله
سالما لله خالصا له وإذا وقع القول عليهم أخرجنا لهم دابة من الأرض تكلمهم سمي معنى القول ومؤداه بالقول
وهو ما وعدوا من قيام الساعة والعذاب ووقوعه حصوله والمراد مشارفة الساعة وظهور أشراطها
وحين لا ينفع التوبة ودابة الأرض الجساسة جاء في الحديث أن طولها ستون ذراعا لا يدركها طالب

ولا يفوتها هارب وروي لها أربع قوائم وزغب وريش وجناحان وعن ابن جريج في وصفها رأس ثور وعين خنزير
وأذن فيل وقرن إيل وعنق نعامة وصدر أسد ولون نمر وخاصرة هر وذنب كبش وخف بعير وما بين المفصلين
اثنا عشر ذراعا بذراع آدم عليه السلام وروي لا تخرج إلا رأسها ورأسها يبلغ عنان السماء أو يبلغ السحاب وعن
أبي هريرة فيها من كل لون وما بين قرنيها فرسخ للراكب وعن الحسن لا يتم خروجها إلا بعد ثلاثة أيام وعن علي رضي
الله عنه أنها تخرج ثلاثة أيام والناس ينظرون فلا تخرج إلا ثلثها وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه سئل من أين تخرج
الدابة فقال من أعظم المساجد حرمة على الله يعني المسجد الحرام وروي أنها تخرج ثلاث خرجات تخرج بأقصى اليمن ثم
تتكمن ثم تخرج بالبادية ثم تتكمن دهرا طويلا فبينا الناس في أعظم المساجد حرمة وأكرمها على الله فما يهولهم
إلا خروجها من بين الركن حذاء دار بني مخزوم عن يمين الخارج من المسجد فقوم يهربون وقوم يقفون نظارة
وقيل تخرج من الصفا فتكلمهم بالعربية بلسان ذلق فتقول إن الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون يعني أن الناس
كانوا لا يوقنون بخروجي لأن خروجها من الآيات وتقول ألا لعنة الله على الظالمين وعن السدي تكلمهم ببطلان
الأديان كلها سوى دين الإسلام وعن ابن عمر تستقبل المغرب فتصرخ صرخة تنفذه ثم تستقبل المشرق ثم
الشام ثم اليمن فتفعل مثل ذلك وروي تخرج من أجياد وروي بينا عيسى عليه السلام يطوف بالبيت ومعه
المسلمون إذ تضطرب الأرض تحتهم تحرك القنديل وتنشق الصفا مما يلي المسعى فتخرج الدابة من الصفا ومعها
عصا موسى وخاتم سليمان فتضرب المؤمن في مسجده أو فيما بين عينيه بعصا موسى وخاتم سليمان فتنكت
نكتة بيضاء فتفشو تلك النكتة في وجهه حتى يضيء لها وجهه أو فيترك وجهه كأنه كوكب دري وتكتب
بين عينيه مؤمن وتنكت الكافر بالخاتم في أنفه فتفشو النكتة حتى يسود لها وجهه وتكتب بين عينيه
كافر وروي فتجلو وجه المؤمن بالعصا وتخطم أنف الكافر بالخاتم ثم تقول لهم يا فلان أنت من أهل
الجنة ويا فلان أنت من أهل النار وقرئ تكلمهم من الكلم وهو الجرح والمراد به الوسم بالعصا والخاتم ويجوز
أن تكون تكلمهم أيضا من الكلم على معنى التكثير يقال فلان مكلم أي مجرح ويجوز أن يستدل بالتخفيف
على أن المراد بالتكليم التجريح كما فسر لنحرقنه بقراءة علي رضي الله عنه لنحرقنه وأن يستدل بقراءة
أبي تنبئهم وبقراءة ابن مسعود تكلمهم بأن الناس على أنه من الكلام والقراءة بإن مكسورة حكاية لقول
الدابة إما لأن الكلام بمعنى القول أو بإضمار القول أي تقول الدابة ذلك أو هي حكاية لقوله تعالى
عند ذلك إذا كانت حكاية لقول الدابة فكيف تقول بآياتنا قولها حكاية لقول الله
أو على معنى بآيات ربنا أو لاختصاصها بالله وأثرتها عنده وأنها من خواص خلقه أضافت آيات الله
إلى نفسها كما يقول بعض خاصة الملك خيلنا وبلادنا وإنما هي خيل مولاه وبلاده ومن قرأ بالفتح فعلى حذف

الجار أي تكلمهم بأن. ويوم نحشر من كل أمة فوجا ممن يكذب بآياتنا فهم يوزعون حتى إذا جاءوا قال أكذبتم بآياتي ولم تحيطوا
بها علما. فهم يوزعون يحبس أولهم على آخرهم حتى يجتمعوا فيكبكبوا في النار وهذه عبارة عن كثرة العدد وتباعد
أطرافه كما وصفت جنود سليمان بذلك وكذلك قوله فوجا لأن الفوج الجماعة الكثيرة ومنه قوله يدخلون
في دين الله أفواجا وعن ابن عباس أبو جهل والوليد بن المغيرة وشيبة بن ربيعة يساقون بين يدي أهل مكة
وكذلك يحشر قادة سائر الأمم بين أيديهم إلى النار. أي فرق بين من الأولى والثانية
الأولى للتبعيض والثانية للتبيين كقوله من الأوثان. الواو للحال كأنه قال أكذبتم بها بادي الرأي
من غير فكر ولا نظر يؤدي إلى إحاطة العلم بكنهها وأنها حقيقة بالتصديق أو بالتكذيب أو للعطف
أي أجحدتموها ومع جحودكم لم تلقوا أذهانكم لتحققها وتبصرها فإن المكتوب إليه قد يجحد أن يكون
الكتاب من عند من كتبه ولا يدع مع ذلك أن يقرأه ويتفهم مضامينه ويحيط بمعانيه. أم ماذا كنتم
تعملون بها للتبكيت لا غير وذلك أنهم لم يعملوا إلا التكذيب فلا يقدرون أن يكذبوا ويقولوا قد صدقنا
بها وليس إلا التصديق بها أو التكذيب ومثاله أن تقول لراعيك وقد عرفته رويعي سوء أتأكل
نعمي أم ماذا تعمل بها فتجعل ما تبتدئ به وتجعله أصل كلامك وأساسه هو الذي صح عندك من أكله
وفساده وترمي بقولك أم ماذا تعمل بها مع علمك أنه لا يعمل بها إلا الأكل لتبهته وتعلمه علمك بأنه لا يجيء
منه إلا أكلها وأنه لا يقدر أن يدعي الحفظ والإصلاح لما شهر من خلاف ذلك أو أراد أما كان لكم عمل
في الدنيا إلا الكفر والتكذيب بآيات الله أم ماذا كنتم تعملون من غير ذلك يعني أنه لم يكن لهم عمل غيره
كأنهم لم يخلقوا إلا للكفر والمعصية وإنما خلقوا للإيمان والطاعة يخاطبون بهذا قبل كبهم في النار
ثم يكبون فيها وذلك قوله ووقع القول عليهم بما ظلموا فهم لا ينطقون يريد أن العذاب الموعود يغشاهم
بسبب ظلمهم وهو التكذيب بآيات الله فيشغلهم عن النطق والاعتذار كقوله هذا يوم لا ينطقون. ألم
يروا أنا جعلنا الليل ليسكنوا فيه والنهار مبصرا إن في ذلك لآيات لقوم يؤمنون. جعل الإبصار للنهار وهو لأهله
ما للتقابل لم يراع في قوله ليسكنوا ومبصرا حيث كان أحدهما علة والآخر حالا. هو
مراعى من حيث المعنى وهكذا النظم المطبوع غير المتكلف لأن معنى مبصرا ليبصروا فيه طرق التقلب
في المكاسب. ويوم ينفخ في الصور ففزع من في السموات ومن في الأرض. لم قيل ففزع دون
فيفزع. لنكتة وهي الإشعار بتحقق الفزع وثبوته وأنه كائن لا محالة واقع على أهل السموات
والأرض لأن الفعل الماضي يدل على وجود الفعل وكونه مقطوعا به والمراد فزعهم عند النفخة الأولى
حين يصعقون. إلا من شاء الله وكل أتوه داخرين. إلا من ثبت الله قلبه من الملائكة قالوا هم جبريل

وميكائيل وإسرافيل وملك الموت وقيل الشهداء وعن الضحاك الحور وخزنة النار وحملة العرش وعن
جابر منهم موسى لأنه صعق مرة ومثله قوله تعالى ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الأرض إلا من
شاء الله. وقرئ أتوه وأتاه ودخرين فالجمع على المعنى والتوحيد على اللفظ والداخر والدخر الصاغر
وقيل معنى الإتيان حضورهم الموقف بعد النفخة الثانية ويجوز أن يراد رجوعهم إلى أمره وانقيادهم
له. وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب. جامدة من جمد في مكانه إذا لم يبرح تجمع الجبال فتسير كما
تسير الريح السحاب فإذا نظر إليها الناظر حسبها واقفة ثابتة في مكان واحد وهي تمر مرا حثيثا كما
يمر السحاب وهكذا الأجرام العظام المتكاثرة العدد إذا تحركت لا يكاد يتبين حركتها كما قال
النابغة في صفة جيش: بأرعن مثل الطود تحسب أنهم ... وقوف لحاج والركاب تهملج. صنع الله من
المصادر المؤكدة كقوله وعد الله وصبغة الله إلا أن مؤكده محذوف وهو الناصب ليوم ينفخ والمعنى
ويوم ينفخ في الصور وكان كيت وكيت أثاب الله المحسنين وعاقب المجرمين ثم قال صنع الله
يريد به الإثابة والمعاقبة وجعل هذا الصنع من جملة الأشياء التي أتقنها وأتى بها على الحكمة والصواب
حيث قال صنع الله الذي أتقن كل شيء يعني أن مقابلته الحسنة بالثواب والسيئة بالعقاب من جملة إحكامه
للأشياء وإتقانه لها وإجرائه لها على قضايا الحكمة. إنه خبير بما يفعلون عالم بما يفعل العباد وبما
يستوجبون عليه فيكافئهم على حسب ذلك. من جاء بالحسنة فله خير منها وهم من فزع يومئذ آمنون ومن جاء
بالسيئة فكبت وجوههم في النار هل تجزون إلا ما كنتم تعملون. ثم لخص ذلك بقوله من جاء بالحسنة إلى آخر
الآيتين فانظر إلى بلاغة هذا الكلام وحسن نظمه وترتيبه ومكانة إضماره ورصانة تفسيره وأخذ
بعضه بحجزة بعض كأنما أفرغ إفراغا واحدا ولأمر ما أعجز القوى وأخرس الشقاشق ونحو هذا
المصدر إذا جاء عقيب كلام جاء كالشاهد بصحته والمنادي على سداده وأنه ما كان ينبغي أن يكون إلا
كما قد كان ألا ترى إلى قوله صنع الله وصبغة الله ووعد الله وفطرة الله بعد ما وسمها بإضافتها
إليه بسمة التعظيم كيف تلاها بقوله الذي أتقن كل شيء ومن أحسن من الله صبغة إن الله
لا يخلف الميعاد لا تبديل لخلق الله. وقرئ تفعلون على الخطاب. فله خير منها يريد الأضعاف وأن
العمل يتقضى والثواب يدوم وشتان ما بين فعل العبد وفعل السيد وقيل فله خير منها أي
له خير حاصل من جهتها وهو الجنة وعن ابن عباس الحسنة كلمة الشهادة. وقرئ يومئذ مفتوحا
مع الإضافة لأنه أضيف إلى غير متمكن ومنصوبا مع تنوين فزع. ما الفرق بين الفزعين
الفزع الأول هو ما لا يخلو منه أحد عند الإحساس بشدة تقع وهول يفجأ من رعب

وهيبة وان كان المحسن يا من لحاق الضرر به كما يدخل الرجل على الملك بصدر هياب وقلب وجاب وان كانت ساعة اعزاز وتكرمة واحسان وتولية واما الثاني فالخوف من العذاب فمن قرأ من فزع بالتنوين ما معناه يحتمل معنيين من فزع واحد وهو خوف العقاب واما ما يلحق الانسان من التهيب والرعب لما يرى من الاهوال والعظائم فلا يخلون منه لان البشرية تقتضي ذلك وفي الاخبار والآثار ما يدل عليه ومن فزع شديد مفرط الشدة لا يكتنهه الوصف امن يعدى بالجار وبنفسه كقوله تعالى أفأمنوا مكر الله وقيل السيئة الاشراك يعبر عن الجملة بالوجه والرأس والرقبة فكأنه قيل فكبوا في النار كقوله فكبكبوا فيها ويجوز ان يكون ذكر الوجوه ايذانا بانهم يكبون على وجوههم فيها منكوسين هل تجزون يجوز فيه الالتفات وحكاية ما يقال لهم عند الكب باضمار القول إنما أمرت أن أعبد رب هذه البلدة الذي حرمها وله كل شيء وأمرت أن أكون من المسلمين امر رسوله بان يقول امرت ان اخص الله وحده بالعبادة ولا اتخذ له شريكا كما فعلت قريش وان اكون من الحنفاء الثابتين على ملة الاسلام وأن أتلو القرآن من التلاوة او من التلو كقوله واتبع ما يوحى اليك والبلدة مكة حرسها الله اختصها من بين سائر البلاد باضافة اسمه اليها لانها احب بلاده اليه واكرمها عليه واعظمها عنده وهكذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين خرج في مهاجره فلما بلغ الحزورة استقبلها بوجهه الكريم فقال اني اعلم انك احب بلاد الله الى الله ولولا ان اهلك اخرجوني ما خرجت واشار اليها اشارة تعظيم لها وتقريب دالا على انها موطن نبيه ومهبط وحيه ووصف ذاته بالتحريم الذي هو خاص وصفها فاجزل بذلك قسمها في الشرف والعلو ووصفها بانها محرمة لا ينتهك حرمتها الا ظالم مضاد لربه ومن يرد فيه بالحاد بظلم نذقه من عذاب اليم لا يختلى خلاها ولا يعضد شجرها ولا ينفر صيدها واللاجي اليها آمن وجعل دخول كل شيء تحت ربوبيته وملكوته كالتابع لدخولها تحتهما وفي ذلك اشارة الى ان ملكا ملك مثل هذه البلدة العظيم الشان قد ملكها وملك اليها كل شيء اللهم بارك لنا في سكناها وآمنا فيها شر كل ذي شر ولا تنقلنا من جوار بيتك الا الى دار رحمتك وقرئ التي حرمها واتل عليهم هذا القرآن عن أبي وأن اتل عن ابن مسعود فمن اهتدى فإنما يهتدي لنفسه باتباعه اياي فيما انا بصدده من توحيد الله ونفي الانداد عنه والدخول في الملة الحنيفية واتباع ما انزل علي من الوحي فمنفعة اهتدائه راجعة اليه لا الي ومن ضل فقل إنما أنا من المنذرين ومن لم يتبعني فلا علي وما انا الا رسول منذر وما على الرسول الا البلاغ وقل الحمد لله سيريكم آياته فتعرفونها وما ربك بغافل عما تعملون ثم

امره ان يحمد الله على ما خوله من نعمة النبوة التي لا توازيها نعمة وان يهدد اعداءه بما سيريهم الله من آياته التي تلجئهم الى المعرفة والاقرار بانها آيات الله وذلك حين لا ينفعهم المعرفة يعني في الآخرة عن الحسن وعن الكلبي الدخان وانشقاق القمر وما حل بهم من نقمات الله في الدنيا وقيل هو كقوله سنريهم آياتنا في الآفاق وفي انفسهم الآية وكل عمل يعملونه فالله عالم به غير غافل عنه لان الغفلة والسهو لا يجوزان على عالم الذات وهو من وراء جزاء العاملين وقرئ تعملون بالتاء والياء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ طس سليمان كان له من الاجر عشر حسنات بعدد من صدق سليمان وكذب به وهود وشعيب وصالح وابراهيم ويخرج من قبره وهو ينادي لا اله الا الله ه

سورة القصص مكية وهي ثمان وثمانون آية

بسم الله الرحمن الرحيم طسم تلك آيات الكتاب المبين نتلوا عليك من نبإ موسى وفرعون مفعول نتلو اي نتلو عليك بعض خبرهما بالحق محقين كقوله تنبت بالدهن لقوم يؤمنون لمن سبق في علمنا انه يؤمن لان التلاوة انما ينتفع بها هؤلاء دون غيرهم إن فرعون جملة مستأنفة كالتفسير للمجمل كأن قائلا قال وكيف نبأهما فقال ان فرعون علا في الأرض يعني ارض مملكته قد طغى فيها وجاوز الحد في الظلم والعسف وجعل أهلها شيعا فرقا يشيعونه على ما يريد ويطيعونه لا يملك احد منهم ان يلوي عنقه قال الاعشى وبلدة يرهب الجواب دلجتها حتى تراه عليها يبتغي الشيعا او يشيع بعضهم بعضا في طاعته او اصنافا في استخدامه يسخر صنفا في بناء وصنفا في حرث وصنفا في حفر ومن لم يستعمله ضرب عليه الجزية او فرقا مختلفة قد اغرى بينهم العداوة وهم بنو اسرائيل والقبط يستضعف طائفة منهم يذبح أبناءهم ويستحيي نساءهم والطائفة المستضعفة بنو اسرائيل وسبب ذبح الابناء ان كاهنا قال له يولد مولود في بني اسرائيل يذهب ملكك على يده وفيه دليل بين على ثخانة حمق فرعون فانه ان صدق الكاهن لم يدفع القتل الكائن وان كذب فما وجه القتل ويستضعف حال من الضمير في وجعل او صفة لشيعا او كلام مستأنف ويذبح بدل من يستضعف وقوله إنه كان من المفسدين بيان ان القتل ما كان الا فعل المفسدين فحسب لانه فعل لا طائل تحته صدق الكاهن او كذب علام عطف قوله ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم وعطفه على نتلو ويستضعف غير سديد هي جملة معطوفة على قوله إن فرعون علا في الأرض لانها نظيرة تلك في وقوعها تفسيرا لنبإ موسى وفرعون واقتصاصا له ونريد حكاية حال ماضية ويجوز ان يكون حالا من يستضعف اي

يستضعفهم فرعون ونحن نريد ان نمن عليهم كيف يجتمع استضعافهم وارادة الله المنة عليهم واذا اراد الله شيئا كان ولم يتوقف الى امر آخر لما كانت منة الله بخلاصهم من فرعون قريبة الوقوع جعلت ارادة وقوعها كأنها مقارنة لاستضعافهم ائمة مقدمين في الدين والدنيا يطأ الناس اعقابهم وعن ابن عباس قادة يقتدى بهم في الخير وعن مجاهد دعاة الى الخير وعن قتادة ولاة كقوله وجعلكم ملوكا الوارثين يرثون فرعون وقومه ملكهم وكل ما كان لهم ونمكن لهم في الارض ونري فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون واوحينا الى ام موسى ان ارضعيه فاذا خفت عليه فالقيه في اليم ولا تخافي ولا تحزني انا رادوه اليك وجاعلوه من المرسلين مكن له اذا جعل له مكانا يقعد عليه او يرقد فوطأه ومهده ونظيره ارض له ومعنى التمكين لهم في الارض وهي ارض مصر والشام ان يجعلها بحيث لا تنبو بهم ولا تغث عليهم كما كانت في ايام الجبابرة وينفذ امرهم ويطلق ايديهم ويسلطهم وقرئ ويرى فرعون وهامان وجنودهما اي يرون منهم ما حذروه من ذهاب ملكهم وهلاكهم على يد مولود منهم اليم البحر وقيل هو نيل مصر ما المراد بالخوفين حتى اوجب احدهما ونهى عن الآخر اما الاول فالخوف عليه من القتل لانه كان اذا صاح خاف ان يسمع الجيران صوته فينموا عليه واما الثاني فالخوف من الغرق ومن الضياع ومن الوقوع في يد بعض العيون المبثوثة من قبل فرعون في تطلب الولدان وغير ذلك من المخاوف ما الفرق بين الخوف والحزن الخوف غم يلحق الانسان لمتوقع والحزن غم يلحقه لواقع وهو فراقه والاخطار به فنهيت عنهما جميعا واومنت بالوحي اليها ووعدت ما يسليها ويطامن قلبها ويملؤها غبطة وسرورا وهو رده اليها وجعله من المرسلين وروي انه ذبح في طلب موسى تسعون الف وليد وروي انها حين اقربت وضربها الطلق وكانت بعض القوابل الموكلات بحبالى بني اسرائيل مصافية لها فقالت لها لينفعني حبك اليوم فعالجتها فلما وقع الى الارض هالها نور بين عينيه وارتعش كل مفصل منها ودخل حبه قلبها ثم قالت ما جئتك الا لاقتل مولودك واخبر فرعون ولكني وجدت لابنك حبا ما وجدت مثله فاحفظيه فلما خرجت جاء عيون فرعون فلفته في خرقة ووضعته في تنور مسجور لم تعلم ما تصنع لما طاش من عقلها فطلبوا فلم يلقوا شيئا فخرجوا وهي لا تدري مكانه فسمعت بكاء من التنور فانطلقت اليه وقد جعل الله النار عليه بردا وسلاما فلما الح فرعون في طلب الولدان اوحى الله اليها فالقته في اليم وقد روي انها ارضعته ثلاثة اشهر في تابوت من بردي مطلي بالقار من داخله فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا ان فرعون وهامان وجنودهما اللام في ليكون هي لام كي التي معناها التعليل كقولك جئتك

> ارضعيه فاذا خفت عليه

لتكرمني سواء بسواء ولكن معنى التعليل فيها وارد على طريق المجاز دون الحقيقة لانه لم يكن داعيهم الى الالتقاط ان يكون لهم عدوا وحزنا ولكن المحبة والتبني غير ان ذلك لما كان نتيجة التقاطهم له وثمرته شبه بالداعي الذي يفعل الفاعل الفعل لاجله وهو الاكرام الذي هو نتيجة المجيء والتأدب الذي هو ثمرة الضرب في قوله ضربته ليتأدب وتحريره ان هذه اللام حكمها حكم الاسد حيث استعيرت لما يشبه التعليل كما يستعار الاسد لمن يشبه الاسد وقرئ وحزنا وهما لغتان كالعدم والعدم كانوا خاطئين في كل شيء فليس خطؤهم في تربية عدوهم ببدع منهم او كانوا مذنبين مجرمين فعاقبهم الله بان ربى عدوهم ومن هو سبب هلاكهم على ايديهم وقرئ خاطين تخفيف خاطئين او خاطين الصواب الى الخطأ روي انهم حين التقطوا التابوت عالجوا فتحه فلم يقدروا عليه فعالجوا كسره فاعياهم فدنت آسية فرأت في جوف التابوت نورا فعالجته ففتحته فاذا بصبي نوره بين عينيه وهو يمص ابهامه لبنا فاحبوه وكانت لفرعون بنت برصاء وقالت له الاطباء لا تبرأ الا من قبل البحر يوجد فيه شبه انسان دواؤها ريقه فلطخت البرصاء برصها بريقه فبرأت وقيل لما نظرت الى وجهه برأت فقالت ان هذه لنسمة مباركة فهذا احد ما عطفهم عليه فقال الغواة من قومه هو الصبي الذي نحذر منه فأذن لنا في قتله فهم بذلك فقالت آسية قرة عين لي ولك فقال فرعون لك لا لي وروي في حديث لو قال هو قرة عين لي كما هو لك لهداه الله كما هداها وهذا على سبيل الفرض والتقدير اي لو كان غير مطبوع على قلبه كآسية لقال مثل قولها ولاسلم كما اسلمت هذا ان صح الحديث تأويله والله اعلم بصحته وروي انها قالت له لعله من قوم آخرين ليس من بني اسرائيل قرة عين خبر مبتدإ محذوف ولا يقوى ان تجعله مبتدأ ولا تقتلوه خبرا ولو نصب لكان اقوى وقراءة ابن مسعود دليل على انه خبر قرأ لا تقتلوه قرة عين لي ولك بتقديم لا تقتلوه عسى ان ينفعنا او نتخذه ولدا فان فيه مخايل اليمن ودلائل النفع لاهله وذلك لما عاينت من النور وارتضاع الابهام وبرء البرصاء ولعلها توسمت في سيماه النجابة المؤذنة بكونه نفاعا او نتبناه فانه اهل للتبني ولان يكون ولدا لبعض الملوك وهم لا يشعرون حال وذو حالها آل فرعون وتقدير الكلام فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا وقالت امرأة فرعون كذا وهم لا يشعرون انهم على خطأ عظيم في التقاطه ورجاء النفع منه وتبنيه وقوله ان فرعون جملة اعتراضية واقعة بين المعطوف والمعطوف عليه مؤكدة لمعنى خطئهم وما احسن نظم هذا الكلام عند المرتاض بعلم محاسن النظم واصبح فؤاد ام موسى فارغا صفرا من العقل والمعنى انها سمعت بوقوعه في يد فرعون

> وقالت امرأة فرعون

طار عقلها لما دهمها من فرط الجزع والدهش ونحوه قوله تعالى وافئدتهم هواء اى جوف لا عقول فيها
ومنه بيت حسان الا ابلغ ابا سفيان عني فانت مجوف نخب هواء وذلك ان القلوب مراكز
العقول الا ترى الى قوله فتكون لهم قلوب يعقلون بها ويدل عليه قراءة من قرا فزعا وقرئ قرعا خاليا
من قولهم اعوذ بالله من صفر الاناء وقرع الفناء وفرغا من قولهم دماؤهم بينهم فرغ اى هدر يعني
بطل قلبها وذهب وبقيت لا قلب لها من شدة ما ورد عليها لتبدي به لتصحر به والضمير لموسى والمراد
بامره وقصته وانه ولدها لولا ان ربطنا على قلبها بالهام الصبر كما يربط على الشيء المنفلت ليقر و
يطمئن لتكون من المؤمنين من المصدقين بوعد الله وهو قوله انا رادوه اليك ويجوز واصبح فؤادها
فارغا من الهم حين سمعت ان فرعون عطف عليه وتبناه ان كادت لتبدي بانه ولدها لانها لم تملك
نفسها فرحا وسرورا بما سمعت لولا انا طامنا قلبها وسكنا قلقه الذي حدث به من شدة الفرح
والابتهاج لتكون من المؤمنين الواثقين بوعد الله لا بتبني فرعون وتعطفه وقرئ موسى بالهمز جعلت
الضمة في جارة الواو وهي الميم كانها فيها فهمزت كما تهمز واو وجوه وقالت لاخته قصيه فبصرت به عن
جنب وهم لا يشعرون قصيه اتبعي اثره وتتبعي خبره وقرئ فبصرت بالكسر يقال بصرت به عن جنب
وعن جنابة بمعنى عن بعد وقرئ عن جانب وعن جنب والجنب الجانب يقال قعد الى جنبه والى جانبه
اى نظرت اليه مزورة متجانفة مخاتلة وهم لا يحسون بانها اخته وكان اسمها مريم وحرمنا عليه
المراضع من قبل فقالت هل ادلكم على اهل بيت يكفلونه لكم التحريم استعارة للمنع لان من حرم عليه الشيء
فقد منعه الا ترى الى قولهم محظور وحجر وذلك لان الله منعه ان يرضع ثديا فكان لا يقبل ثدي
مرضع قط حتى اهمهم ذلك والمراضع جمع مرضع وهي المراة التي ترضع او جمع مرضع وهو موضع
الرضاع يعني الثدي او الرضاع من قبل من قبل قصصها اثره روي انها لما قالت وهم له ناصحون
قال هامان انها لتعرفه وتعرف اهله فقالت انما اردت وهم للملك ناصحون والنصح اخلاص العمل
من شائب الفساد فانطلقت الى امها بامرهم فجاءت بها والصبي على يد فرعون يعلله شفقة
عليه وهو يبكي يطلب الرضاع فحين وجد ريحها استانس والتقم ثديها فقال لها فرعون ومن انت
منه فقد ابى كل ثدي الا ثديك فقالت اني امراة طيبة الريح طيبة اللبن لا اوتى بصبي الا قبلني
فدفعه اليها واجرى عليها وذهبت به الى بيتها وانجز الله وعده في الرد فعندها ثبت واستقر
في علمها ان سيكون نبيا وذلك قوله كي تقر عينها ولا تحزن ولتعلم ان وعد الله حق يريد وليثبت علمها
ويتمكن كيف حل لها ان تاخذ الاجر على ارضاع ولدها ما كانت تاخذه على انه اجر

على الارضاع ولكنه مال حربي كانت تاخذه على وجه الاستباحة وقوله ولكن اكثرهم لا يعلمون داخل تحت علمها
المعنى لتعلم ان وعد الله حق ولكن اكثر الناس لا يعلمون انه حق فيرتابون ويشبه التعريض بما فرط منها
حين سمعت بخبر موسى فجزعت واصبح فؤاد ام موسى فارغا يروى انها حين لقفت التابوت في اليم
جاءها الشيطان فقال لها يا ام موسى كرهت ان يقتل فرعون موسى فتوجري ثم ذهبت فتوليت
قتله فلما اتاها الخبر بان فرعون اصابه قالت وقع في يد العدو فنسيت وعد الله ويجوز
ان يتعلق ولكن بقوله ولتعلم ومعناه ان الرد انما كان لهذا الغرض الديني وهو علمها بصدق
وعد الله ولكن الاكثر لا يعلمون بان هذا هو الغرض الاصلي الذي ما سواه تبع له من قرة العين
وذهاب الحزن ولما بلغ اشده واستوى اتيناه حكما وعلما وكذلك نجزي المحسنين واستوى واعتدل وتم
استحكامه وبلغ المبلغ الذي لا يزاد عليه كما قال لقيط واستحملوا امركم لله دركم
شزرا المريرة لا قحما ولا ضرعا وذلك اربعون سنة ويروى انه لم يبعث نبي الا على راس اربعين
العلم التورية والحكم السنة وحكمة الانبياء سنتهم قال الله تعالى واذكرن ما يتلى في بيوتكن من
آيات الله والحكمة وقيل اتيناه سيرة الحكماء العلماء وسمتهم قبل البعث فكان لا يفعل فعلا يستجهل
فيه ودخل المدينة على حين غفلة من اهلها فوجد فيها رجلين يقتتلان هذا من شيعته وهذا المدينة مصر
وقيل مدينة منف من ارض مصر وحين غفلتهم ما بين العشائين وقيل وقت القائلة وقيل يوم عيد
لهم هم مشتغلون بلهوهم وقيل لما شب واخذ يتكلم بالحق وينكر عليهم فاخافوه فلا يدخل قرية
الا على تغفل وقرا سيبويه فاستغاثه من شيعته ممن شايعه على دينه من بني اسرائيل وقيل هو
السامري من عدوه من مخالفيه من القبط وهو فاتون وكان يتسخر الاسرائيلي لحمل الحطب الى مطبخ
فرعون فوكزه موسى والوكز الدفع باطراف الاصابع وقيل بجمع الكف وقرا ابن مسعود فلكزه
باللام فقضى عليه فقتله قال هذا من عمل الشيطان انه عدو مضل مبين جعل قتل الكافر من عمل الشيطان وسماه ظلما لنفسه واستغفر
منه لانه قتله قبل ان يؤذن له في القتل فكان ذنبا يستغفر منه وعن ابن جريج ليس لنبي
ان يقتل ما لم يؤمر قال رب اني ظلمت نفسي فاغفر لي فغفر له انه هو الغفور الرحيم
قال رب بما انعمت علي يجوز ان يكون قسما جوابه محذوف تقديره اقسم بانعامك علي بالمغفرة لاتوبن
فلن اكون ظهيرا للمجرمين فاصبح في المدينة خائفا وان يكون استعطافا كانه قال رب اعصمني بحق ما انعمت
علي من المغفرة فلن اكون ان عصمتني ظهيرا للمجرمين واراد بمظاهرة المجرمين اما صحبة فرعون
وانتظامه في جملته وتكثيره سواده حيث كان يركب بركوبه كالولد مع الوالد وكان يسمى ابن فرعون

وإما مظاهرة من أدت مظاهرته إلى الجرم والإثم كمظاهرة الإسرائيلي المؤدية إلى القتل الذي لم يحل له
وعن ابن عباس لم يستثن فابتلي به مرة أخرى يعني لم يقل فلن أكون إن شاء الله وهذا نحو قوله ولا تركنوا
إلى الذين ظلموا وعن عطاء أن رجلا قال له إن أخي يضرب بقلمه ولا يعدو رزقه قال فمن الرأس يعني من
يكتب له قال خالد بن عبد الله القسري قال فأين قول موسى وتلا هذه الآية وفي الحديث ينادي مناد
يوم القيامة أين الظلمة وأشباه الظلمة وأعوان الظلمة حتى من لاق لهم دواة أو برى لهم قلما فيجمعون في
تابوت من حديد فيرمى به في جهنم وقيل معناه بما أنعمت علي من القوة فلن أستعملها إلا في مظاهرة
أوليائك وأهل طاعتك والإيمان بك ولا أدع قبطيا يغلب أحدا من بني إسرائيل يترقب فإذا الذي استنصره
بالأمس يستصرخه قال له موسى إنك لغوي مبين فلما أن أراد أن يبطش بالذي المكروه وهو الاستقادة منه أو الإخبار
وما يقال فيه ووصف الإسرائيلي بالغي لأنه كان سبب قتل رجل وهو يقاتل آخر وقرئ يبطش بالضم و
الذي هو عدو لهما القبطي لأنه ليس على دينهما ولأن القبط كانوا أعداء بني إسرائيل قال يا موسى أتريد أن تقتلني
كما قتلت نفسا بالأمس إن تريد إلا أن تكون جبارا في الأرض وما تريد أن تكون من المصلحين وجاء من أقصى المدينة رجل
يسعى قال يا موسى إن الملأ يأتمرون بك ليقتلوك فاخرج إني لك من الناصحين فخرج منها خائفا والجبار الذي
يفعل ما يريد من الضرب والقتل بظلم لا ينظر في العواقب ولا يدفع بالتي هي أحسن وقيل المتعظم الذي
لا يتواضع لأمر الله ولما قال هذا أفشى على موسى فانتشر الحديث في المدينة ورقي إلى فرعون وهموا
بقتله قيل الرجل مؤمن آل فرعون وكان ابن عم فرعون ويسعى يجوز ارتفاعه وصفا لرجل وانتصابه
حالا عنه لأنه قد تخصص بأن وصف بقوله من أقصى المدينة وإذا جعل صلة لجاء لم يجز في يسعى إلا
الوصف والائتمار التشاور يقال الرجلان يتآمران ويأتمران لأن كل واحد منهما يأمر صاحبه بشيء
أو يشير عليه بأمر والمعنى يتشاورون بسببك لك بيان وليس بصلة الناصحين يترقب التعرض له في
الطريق وأن يلحق قال رب نجني من القوم الظالمين ولما توجه تلقاء مدين قصدها ونحوها ومدين
قرية شعيب عليه السلام سميت بمدين بن إبراهيم ولم تكن في سلطان فرعون وبينها وبين مصر مسيرة ثمان و
كان موسى عليه السلام لا يعرف إليها الطريق قال ابن عباس خرج وليس له علم بالطريق إلا حسن ظنه بربه
قال عسى ربي أن يهديني سواء السبيل وسطه ومعظم نهجه وقيل خرج حافيا لا يعيش إلا بورق الشجر فما وصل
حتى سقط خف قدميه وقيل جاءه ملك على فرس بيده عنزة فانطلق به إلى مدين ولما ورد ماء مدين ماءهم
الذي يستقون منه وكان بئرا فيما روي وورده مجيئه والوصول إليه وجد عليه وجد فوق شفيره و
مستقاه أمة جماعة كثيفة العدد من الناس من أناس مختلفين من دونهم في مكان أسفل من مكانهم امرأتين
يسقون ووجد

تذودان قال والذود الطرد والدفع وإنما كانتا تذودان لأن على الماء من هو أقوى منهما فلا تتمكنان من
السقي وقيل كانتا تكرهان المزاحمة على الماء وقيل لئلا تختلط أغنامهما بأغنامهم وقيل تذودان عن وجوههما
نظر الناظر لتسترهما ما خطبكما ما شأنكما وحقيقته ما مخطوبكما أي مطلوبكما من الذياد فسمي المخطوب خطبا كما
سمي المشؤون شأنا في قولك ما شأنك يقال شأنت شأنه أي قصدت قصده قالتا لا نسقي حتى يصدر الرعاء و
أبونا شيخ كبير وقرئ لا نسقي ونصدر والرعاء بضم النون والياء والراء والرعاء اسم جمع كالرخاء والثناء و
أما الرعاء بالكسر فقياس كصيام وقيام كبير كبير السن فسقى لهما ثم تولى إلى الظل فقال رب فسقى غنمهما لأجلهما
وروي أن الرعاة كانوا يضعون على رأس البئر حجرا لا يقله إلا سبعة رجال وقيل عشرة وقيل أربعون و
قيل جماعة فأقله وحده وروي أنه سألهم دلوا من ماء فأعطوه دلوهم وقالوا استق بها وكانت لا ينزعها
إلا أربعون فاستقى بها وصبها في الحوض ودعا بالبركة وروى غنمهما وأصدرهما وروي أنه دفعهم عن
الماء حتى سقى لهما وقيل كانت بئر أخرى عليها الصخرة وإنما فعل هذا رغبة في المعروف وإغاثة
للملهوف والمعنى أنه وصل إلى ذلك الماء وقد ازدحمت عليه أمة من أناس مختلفة متكاثفة العدد و
رأى الضعيفتين من ورائهم مع غنيمتهما مترقبتين لفراغهم فما أخطأت همته في دين الله تلك الفرصة
مع ما كان به من النصب وسقوط خف القدم والجوع ولكنه رحمهما فأغاثهما وكفاهما أمر السقي في مثل
تلك الزحمة بقوة قلبه وقوة ساعده وما آتاه الله من الفضل في متانة الفطرة ورصانة الجبلة وفيه
مع إرادة اقتصاص أمره وما أوتي من البطش والقوة وما لم يغفل عنه على ما كان به من انتهاز فرصة
الاحتساب ترغيب في الخير وانتهاز فرصه وبعث على الاقتداء في ذلك بالصالحين والأخذ بسيرهم
ومذاهبهم   لم ترك المفعول غير مذكور في قوله يسقون وتذودان ولا نسقي   لأن
الغرض هو الفعل لا المفعول ألا ترى أنه إنما رحمهما لأنهما كانتا على الذياد وهم على السقي ولم يرحمهما لأن
مذودهما غنم ومسقيهم إبل مثلا وكذلك قولهما لا نسقي حتى يصدر الرعاء المقصود فيه السقي لا
المسقي   كيف طابق جوابهما سؤاله   سألهما عن سبب الذياد فقالتا السبب في ذلك
أنا امرأتان ضعيفتان مستورتان لا نقدر على مساجلة الرجال ومزاحمتهم فلا بد لنا من تأخير السقي
إلى أن يفرغوا وما لنا رجل يقوم بذلك وأبونا شيخ كبير قد أضعفه الكبر فلا يصلح للقيام به أبلتا
إليه عذرهما في توليهما السقي بأنفسهما   كيف ساغ لنبي الله الذي هو شعيب عليه السلام أن
يرضى لابنتيه بسقي الماشية   الأمر في نفسه ليس بمحظور فالدين لا يأباه وأما المروءة فالناس
مختلفون في ذلك والعادات متباينة فيه وأحوال العرب فيه خلاف أحوال العجم ومذهب البدو فيه

غير مذهب اهل الحضر خصوصا اذا كانت الحالة حالة ضرورة انى لما انزلت الى من خير فقير لاى شىء انزلت الى قليل او كثير غث او سمين لفقير وانما عدى فقير باللام لانه ضمن معنى سائل وطالب وقيل ذكر ذلك وان خضرة البقل تترآى فى بطنه من الهزال ما سال الله الا اكلة ويحتمل ان يريد انى فقير من الدنيا لاجل ما انزلت الى من خير الدين وهو النجاة من الظالمين لانه كان عند فرعون فى ملك وثروة قال ذلك رضى بالبدل السنى وفرحا به وشكرا له وكان الظل ظل سمرة فجاءته احديهما تمشى على استحياء قالت ان ابى يدعوك ليجزيك اجر ما سقيت لنا فلما جاءه وقص عليه القصص قال لا تخف نجوت من القوم الظالمين

على استحياء فى موضع الحال اى مستحيية متخفرة وقيل قد استترت بكم درعها روى انهما لما رجعتا الى ابيهما قبل الناس واغنامهما حفل بطان قال لهما ما اعجلكما قالتا وجدنا رجلا صالحا رحمنا فسقى لنا فقال لاحديهما اذهبى فادعيه لى فتبعها موسى فالزقت الريح ثوبها بجسدها فوصفته فقال لها امشى خلفى وانعتى لى الطريق فلما قص عليه قصته قال لا تخف فلا سلطان لفرعون بارضنا

كيف ساغ لموسى عليه السلام ان يعمل بقول امراة وان يمشى معها وهى اجنبية

اما العمل بقول امراة فكما نعمل بقول الواحد حرا كان او عبدا ذكرا كان او انثى فى الاخبار وما كانت الا مخبرة عن ابيها بانه يدعوه ليجزيه واما مماشاته امراة اجنبية فلا باس بها فى نظائر تلك الحال مع ذلك الاحتياط والتورع

كيف صح له اخذ الاجر على البر والمعروف

يجوز ان يكون قد فعل ذلك لوجه الله وعلى سبيل البر والمعروف وقبل اطعام شعيب واحسانه لا على سبيل اخذ الاجر ولكن على سبيل التقبل لمعروف مبتدا كيف وقد قص عليه قصصه وعرفه انه من بيت النبوة من اولاد يعقوب ومثله حقيق بان يضيف ويكرم خصوصا فى دار نبى من انبياء الله وليس بمنكر ان يفعل ذلك لاضطرار الفقر والفاقة طلبا للاجر وقد روى ما يعضد كلا القولين روى انها لما قالت ليجزيك كره ذلك ولما قدم اليه الطعام امتنع وقال انا اهل بيت لا نبيع ديننا بطلاع الارض ذهبا ولا ناخذ على المعروف ثمنا حتى قال شعيب هذه عادتنا مع كل من ينزل بنا وعن عطاء بن السائب رفع صوته بدعائه ليسمعهما فلذلك قيل له ليجزيك اجر ما سقيت لنا اى جزاء سقيك والقصص مصدر كالعلل سمى به المقصوص كبراهما كانت تسمى صفراء والصغرى صفيراء وصفراء هى التى ذهبت به وطلبت الى ابيها ان يستاجره وهى التى تزوجها وعن ابن عباس ان شعيبا احفظته الغيرة فقال وما علمك بقوته وامانته فذكرت اقلال الحجر ونزع الدلو وانه صوب راسه حتى بلغته رسالته وامرها بالمشى خلفه وقولها ان خير من استاجرت

القوى الامين كلام حكيم جامع لا يزاد عليه لانه اذا اجتمعت هاتان الخصلتان اعنى الكفاية والامانة فى القائم بامرك فقد فرغ بالك وتم مرادك وقد استغنت بارسال هذا الكلام الذى سياقه سياق المثل والحكمة ان تقول استاجره لقوته وامانته

كيف جعل خير من استاجرت اسما لان والقوى الامين خبرا

هو مثل قوله
الا ان خير الناس حيا وهالكا ... اسير ثقيف عندهم فى السلاسل

فى ان العناية هى سبب التقديم وقد صدقت حتى جعل لها ما هو احق بان يكون خبرا اسما وورود الفعل بلفظ الماضى للدلالة على انه امر قد جرب وعرف ومنه قولهم اهون ما اعملت لسان ممح وعن ابن مسعود افرس الناس ثلاثة بنت شعيب وصاحب يوسف فى قوله عسى ان ينفعنا وابو بكر فى عمر روى انه انكحه صفراء وقوله قال انى اريد ان انكحك احدى ابنتى هاتين على ان هاتين فيه دليل على انه كانت له غيرهما تاجرنى من اجرته اذا كنت له اجيرا كقولك ابوته اذا كنت له ابا وثمانى حجج ظرفه او من اجرته كذا اذا اثبته اياه ومنه تعزية رسول الله صلى الله عليه وسلم اجركم الله ورحمكم وثمانى حجج مفعول به ومعناه رعية ثمانى حجج

كيف صح ان ينكحه احدى ابنتيه من غير تمييز

لم يكن ذلك عقدا للنكاح ولكن مواعدة ومواصفة امر قد عزم عليه ولو كان عقدا لقال قد انكحتك ولم يقل انى اريد ان انكحك

كيف صح ان يمهرها اجارة نفسه فى رعية الغنم ولا بد من تسليم ما هو مال الا ترى الى ابى حنيفة رحمه الله كيف منع ان يتزوج امراة بان يخدمها سنة وجوز ان يتزوجها بان يخدمها عبده سنة او يسكنها داره سنة لانه فى الاول مسلم نفسه وليس بمال وفى الثانى هو مسلم مالا وهو العبد او الدار

الامر على مذهب ابى حنيفة كما ذكرت واما الشافعى رحمة الله عليه فقد جوز التزوج على الاجارة لبعض الاعمال والخدمة اذا كان المستاجر له او المخدوم فيه امرا معلوما ولعل ذلك كان جائزا فى تلك الشريعة ويجوز ان يكون المهر شيئا آخر وانما اراد ان يكون راعى غنمه هذه المدة واراد ان ينكحه ابنته فذكر له المرادين وعلق الانكاح بالرعية على معنى انى افعل هذا اذا فعلت ذلك على وجه المعاهدة لا على وجه المعاقدة ويجوز ان يستاجره لرعية ثمانى سنين بمبلغ معلوم ويوفيه اياه ثم ينكحه ابنته به ويجعل قوله على ان تاجرنى ثمانى حجج عبارة عما جرى بينهما فان اتممت عشرا عمل عشر حجج فمن عندك فاتمامه من عندك والمعنى فهو من عندك لا من عندى يعنى لا الزمكه ولا احتمه عليك ولكنك ان فعلته فهو منك تفضل وتبرع والا فلا عليك وما اريد ان اشق عليك بالزام اتم الاجلين وايجابه

ما حقيقة قولهم شققت عليه وشق عليه الامر

حقيقته ان الامر اذا تعاظمك فكانه شق عليك ظنك باثنين تقول تارة اطيقه و

تارة لا أطيقه أو وعده المساهلة والمسامحة من نفسه وأنه لا يشق عليه فيما استأجره له من رعي غنمه
ولا يفعل نحو ما يفعل المعاسرون من المسترعين من المناقشة في مراعاة الأوقات والمداقة في استيفاء
الأعمال وتكليف الرعاة أشغالا خارجة من حد الشرط وهكذا كان الأنبياء عليهم السلام آخذين بالأسمح
في معاملات الناس ومنه الحديث كان رسول الله صلى الله عليه وسلم شريكي فكان خير شريك لا يداري و
لا يشاري ولا يماري وقوله ستجدني إن شاء الله من الصالحين يدل على ذلك يريد بالصلاح حسن المعاملة و
وطاءة الخلق ولين الجانب ويجوز أن يريد الصلاح على العموم ويدخل تحته حسن المعاملة و
المراد باشتراط مشيئة الله فيما وعد من الصلاح الاتكال على توفيقه فيه ومعونته لا أنه يستعمل الصلاح
إن شاء الله وإن شاء استعمل خلافه قال ذلك مبتدأ وبيني وبينك أيما الأجلين قضيت خبره وهو إشارة
إلى ما عاهده عليه شعيب يريد ذلك الذي قلته وعاهدتني فيه وشارطتني عليه قائم بيننا جميعا
لا يخرج كلانا عنه لا أنا عما شرطت علي ولا أنت عما شرطت على نفسك ثم قال أي أجل قضيت من الأجلين
أطولهما الذي هو العشر أو أقصرهما الذي هو الثماني فلا عدوان علي والله على ما نقول وكيل أي لا يعتدى
علي في طلب الزيادة عليه تصور العدوان إنما هو في أحد الأجلين الذي هو الأقصر
وهو المطالبة بتتمة العشر فما معنى تعليق العدوان بهما جميعا معناه كما أني إن طولبت بالزيادة
على العشر كان عدوانا لا شك فيه فكذلك إن طولبت بالزيادة على الثماني أراد بذلك تقرير أمر الخيار
وأنه ثابت مستقر وأن الأجلين على السواء إما هذا وإما هذا من غير تفاوت بينهما في القضاء و
أما التتمة فموكولة إلى رأيي إن شئت أتيت بها وإلا لم أجبر عليها وقيل معناه فلا أكون معتديا
وهو في نفي العدوان عن نفسه كقولك لا إثم علي ولا تبعة علي وفي قراءة ابن مسعود أي الأجلين
ما قضيت وقرئ أيما بسكون الياء كقوله تنظرت نصرا والسماكين أيهما علي من الغيث استهلت
مواطره وعن ابن قطيب عدوان بالكسر ما الفرق بين موقعي ما المزيدة في القراءتين و
وقعت في المستفيضة مؤكدة لإبهام أي زائدة في شياعها وفي الشاذة تأكيدا للقضاء كأنه
أي الأجلين صممت على قضائه وجردت عزيمتي له الوكيل الذي وكل إليه الأمر ولما استعمل في
موضع الشاهد والمهيمن والمقيت عدي بعلى لذلك وروي أن شعيبا كانت عنده عصي الأنبياء
فقال لموسى بالليل ادخل ذلك البيت فخذ عصا من تلك العصي فأخذ عصا هبط بها آدم من الجنة
ولم يزل الأنبياء يتوارثونها حتى وقعت إلى شعيب فمسها وكان مكفوفا فضن بها فقال غيرها فما
وقع في يده إلا هي سبع مرات فعلم أن له شأنا وقيل أخذها جبريل بعد موت آدم فكانت معه

حتى لقي بها موسى ليلا وقيل أودعها شعيبا ملك في صورة رجل فأمر بنته أن تأتيه بعصا فأتته بها
فردها سبع مرات فلم يقع في يدها غيرها فدفعها إليه ثم ندم لأنها وديعة فتبعه فاختصما فيها
ورضيا أن يحكم بينهما أول طالع فأتاهما الملك فقال ألقياها فمن رفعها فهي له فعالجها الشيخ فلم يطقها و
رفعها موسى وعن الحسن ما كانت إلا عصا من الشجر اعترضها اعتراضا وعن الكلبي الشجرة التي منها نودي
شجرة العوسج ومنها كانت عصاه ولما أصبح قال له شعيب إذا بلغت مفرق الطريق فلا تأخذ على يمينك
فإن الكلأ وإن كانت بها أكثر إلا أن فيها تنينا أخشاه عليك وعلى الغنم فأخذت الغنم ذات اليمين
ولم يقدر على كفها فمشى على أثرها فإذا عشب وريف لم ير مثله فنام فإذا بالتنين قد أقبل فحاربته
العصا حتى قتلته وعادت إلى جنب موسى دامية فلما أبصرها دامية والتنين مقتولا ارتاح لذلك
ولما رجع إلى شعيب مس الغنم فأخبره موسى ففرح وعلم أن لموسى والعصا شأنا وقال إني وهبت
لك من نتاج غنمي كل أدرع ودرعاء فأوحي إليه في المنام أن اضرب بعصاك مستقى الغنم ففعل
ثم سقى فما أخطأت واحدة إلا وضعت أدرع ودرعاء فوفى له بشرطه سئل رسول الله صلى
الله عليه وسلم أي الأجلين قضى موسى فقال أبعدهما وأبطأهما وروي أنه قضى أوفاهما وتزوج
صغراهما وهذا خلاف الرواية التي سبقت وسار بأهله آنس من جانب الطور نارا قال لأهله امكثوا إني
آنست نارا لعلي آتيكم منها بخبر أو جذوة من النار لعلكم تصطلون فلما أتاها نودي الجذوة باللغات الثلاث
وقرئ بهن جميعا العود الغليظ كانت في رأسه نار أو لم تكن قال كثير
باتت حواطب ليلى يلتمسن لها جزل الجذى غير خوار ولا دعر وقال
وألقى على قيس من النار جذوة شديدا عليه حرها والتهابها من الأولى والثانية لابتداء
الغاية أي أتاه النداء من شاطئ الوادي الأيمن في البقعة المباركة من قبل الشجرة ومن الشجرة أن يا موسى
إني أنا الله رب العالمين وأن ألق عصاك فلما رآها تهتز كأنها جان ولى مدبرا ولم يعقب يا موسى أقبل
ولا تخف إنك من الآمنين اسلك يدك في جيبك تخرج بيضاء من غير سوء بدل من قوله من شاطئ الوادي
بدل الاشتمال لأن الشجرة كانت نابتة على الشاطئ كقوله لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم وقرئ البقعة
بالضم والفتح والرهب بفتحتين وضمتين وفتح وسكون وضم وسكون من الخوف ما معنى قوله واضمم
إليك جناحك من الرهب فيه معنيان أحدهما أن موسى عليه السلام لما قلب الله العصا حية
فزع واضطرب فاتقاها بيده كما يفعل الخائف من الشيء فقيل له إن اتقاءك بيدك فيه غضاضة
عند الأعداء فإذا ألقيتها فكما تنقلب حية فأدخل يدك تحت عضدك مكان اتقائك بها ثم أخرجها

بيضاء ليحصل الأمران اجتناب الإنسان بمنزلة جناحي الطائر وإذا أدخل يده اليمنى تحت عضد يده اليسرى فقد
ضم جناحه إليه والثاني أن يراد بضم جناحه إليه تجلّده وضبطه نفسه وتشدّده عند انقلاب العصا حيّة حتى
لا يضطرب ولا يرهب استعارة من فعل الطائر لأنه إذا خاف نشر جناحيه وأرخاهما وإلا فجناحاه مضمومان
إليه مشمّران ومنه ما يحكى عن عمر بن عبد العزيز أن كاتبا له كان يكتب بين يديه فانفلتت منه فلتة ريح فخجل
وانكسر فقام وضرب بقلمه الأرض فقال له عمر خذ قلمك واضمم إليك جناحك وليفرخ روعك فإني ما سمعتها
من أحد أكثر مما سمعتها من نفسي ومعنى قوله من الرهب من أجل الرهب أي إذا أصابك الرهب عند
رؤية الحية فاضمم إليك جناحك جعل الرهب الذي كان يصيبه سببا وعلة فيما أمر به من ضم جناحه
إليه ومعنى واضمم إليك جناحك وقوله اسلك يدك في جيبك على أحد التفسيرين واحد ولكن خولف بين
العبارتين وإنما كرر المعنى الواحد لاختلاف الغرضين وذلك أن الغرض في أحدهما خروج اليد بيضاء
وفي الثاني إخفاء الرهب فإن قلت قد جعل الجناح وهو اليد في أحد الموضعين مضموما وفي الآخر مضموما
إليه وذلك قوله واضمم إليك جناحك وقوله واضمم يدك إلى جناحك فما التوفيق بينهما قلت المراد بالجناح
المضموم هو اليد اليمنى وبالمضموم إليه اليد اليسرى وكل واحدة من يمنى اليدين ويسراهما جناح و
من بدع التفاسير أن الرهب الكم بلغة حمير وأنهم يقولون أعطني مما في رهبك وليت شعري كيف
صحته في اللغة وهل سمع من الأثبات الثقات الذين ترتضى عربيتهم ثم ليت شعري كيف موقعه في
الآية وكيف تطبيقه المفصل كسائر كلمات التنزيل على أن موسى صلوات الله عليه ما كان عليه ليلة
المناجاة إلا زرمانقة من صوف لا كمين لها فذانك قرئ مخففا ومشددا فالمخفف مثنى ذاك
والمشدد مثنى ذلك برهانان من ربك إلى فرعون وملائه إنهم كانوا قوما فاسقين قال رب إني قتلت منهم
نفسا فأخاف أن يقتلون وأخي هرون هو أفصح مني لسانا حجتان بينتان نيرتان فإن قلت لم سميت الحجة
برهانا قلت لبياضها وإنارتها من قولهم للمرأة البيضاء برهرهة بتكرير العين واللام معا و
الدليل على زيادة النون قولهم أبره الرجل إذا جاء بالبرهان ونظيره تسميتهم إياها سلطانا من
السليط وهو الزيت لإنارتها فأرسله معي ردءا يصدقني يقال ردأته أعنته والردء اسم ما يعان به
فعل بمعنى مفعول به كما أن الدفء اسم لما يدفأ به قال سلامة بن جندل
وردئي كل أبيض مشرفي شحيذ الحد عضب ذي فلول وقرئ ردا بالتخفيف كما قرئ الخب
ردا يصدقني بالرفع والجزم صفة وجواب نحو وليا يرثني سواء فإن قلت تصديق أخيه ما الفائدة
فيه قلت ليس الغرض بتصديقه أن يقول صدقت أو يقول للناس صدق موسى وإنما هو أن يلخص

بلسانه الحق ويبسط القول فيه ويجادل به الكفار كما يفعل الرجل المنطيق ذو العارضة فذلك جار مجرى
التصديق المفيد كما يصدق القول بالبرهان ألا ترى إلى قوله وأخي هرون هو أفصح مني لسانا فأرسله معي
وفضل الفصاحة إنما يحتاج إليه لذلك لا لقوله صدقت فإن سحبان وباقلا يستويان فيه أو يصل جناح
كلامه بالبيان حتى يصدقه القوم الذين يخاف تكذيبهم فأسند التصديق إلى هرون لأنه السبب فيه إسنادا
مجازيا ومعنى الإسناد المجازي أن التصديق حقيقة في المصدق فإسناده إليه حقيقة وليس في السبب
تصديق ولكن استعير له الإسناد لأنه لابس التصديق بالتسبب كما لابسه الفاعل بالمباشرة والدليل
على هذا الوجه قوله إني أخاف أن يكذبون وقراءة من قرأ ردءا يصدقوني وفيها تقوية للقراءة بجزم يصدقني
قال سنشد عضدك بأخيك العضد قوام اليد وبشدتها تشتد قال طرفة أبني لبيني لستم بيد
إلا يدا ليست لها عضد ويقال في دعاء الخير شد الله عضدك وفي ضده فت الله في عضدك و
معنى سنشد عضدك بأخيك سنقويك به ونعينك فإما أن يكون ذلك لأن اليد تشتد بشدة
العضد والجملة تقوى بشدة اليد على مزاولة الأمور وإما لأن الرجل شبه باليد في اشتدادها
باشتداد العضد فجعل كأنه يد مشتدة بعضد شديدة ونجعل لكما سلطانا غلبة وتسلطا أو حجة
واضحة فلا يصلون إليكما بآياتنا متعلق بنحو ما تعلق به في تسع آيات أي اذهبا بآياتنا أو بنجعل لكما
سلطانا أي نسلطكما بآياتنا أو بلا يصلون أي تمتنعون منهم بآياتنا أو هو بيان للغالبون لا صلة
لامتناع تقدم الصلة على الموصول ولو تأخر لم يكن إلا صلة له ويجوز أن يكون قسما جوابه لا يصلون
مقدما عليه أو من لغو القسم قالوا ما هذا إلا سحر مفترى سحر تعمله أنت ثم تفتريه على الله أو سحر ظاهر
افتراؤه أو موصوف بالافتراء كسائر أنواع السحر وليس بمعجزة من عند الله وما سمعنا بهذا في آبائنا الأولين
في آبائنا حال منصوبة عن هذا أي كائنا في زمانهم وأيامهم يريد ما حدثنا بكونه فيهم ولا يخلو من
أن يكونوا كاذبين في ذلك وقد سمعوا وعلموا بنحوه أو يريدوا أنهم لم يسمعوا بمثله في فظاعته أو ما كان
الكهان يخبرون بظهور موسى ومجيئه بما جاء وهذا دليل أنهم حجوا وبهتوا ولما وجدوا ما تدفعون به
ما جاءهم من الآيات إلا قولهم هذا سحر وبدعة لم يسمعوا بمثلها وقال موسى ربي أعلم بمن جاء بالهدى
من عنده ومن تكون له يقول ربي أعلم منكم بحال من أهله الله للفلاح الأعظم حيث جعله نبيا وبعثه
بالهدى ووعده حسنى العقبى يعني نفسه ولو كان كما تزعمون كاذبا ساحرا مفتريا لما أهله لذلك لأنه
غني حكيم لا يرسل الكاذبين ولا ينبئ الساحرين ولا يفلح عنده الظالمون وعاقبة الدار هي العاقبة
المحمودة والدليل عليه قوله عز وعلا أولئك لهم عقبى الدار جنات عدن وقوله وسيعلم الكافر

لمن عقبى الدار والمراد بالدار الدنيا وعاقبتها وعقباها ان يختم للعبد بالرحمة والرضوان وتلقي الملائكة
بالبشرى عند الموت العاقبة المحمودة والمذمومة كلتاهما يصح ان تسمى عاقبة الدار لان الدنيا
اما ان تكون خاتمتها بخير او بشر فلم اختصت خاتمتها بالخير بهذه التسمية دون خاتمتها بالشر
قلت قد وضع الله سبحانه الدنيا مجازا الى الآخرة واراد بعباده ان لا يعملوا فيها الا الخير وما خلقهم الا
لاجله ليتلقوا خاتمة الخير وعاقبة الصدق ومن عمل فيها خلاف ما وضعها الله له فقد حرف فاذن
عاقبتها الاصلية هي عاقبة الخير واما عاقبة السوء فلا اعتداد بها لانها من نتائج تحريف الفجار وقرأ
ابن كثير قال موسى بغير واو وكذلك هو في مصاحف اهل مكة وهي قراءة حسنة لان الموضع موضع سؤال و
بحث عما اجابهم به موسى عند تسميتهم مثل تلك الآيات الباهرة سحرا مفترى ووجه الاخرى انهم قالوا
ذلك وقال موسى هذا ليوازن الناظر بين القول والقول ويتبصر فساد احدهما وصحة الآخر ٥
وبضدها تتبين الاشياء وقرئ يكون بالتاء والياء انه لا يفلح الظالمون وقال فرعون يا ايها الملأ ما
علمت لكم من اله غيري روي انه لما امر ببناء الصرح جمع هامان العمال حتى اجتمع خمسون الف بناء
سوى الاتباع والاجراء وامر بطبخ الآجر والجص ونجر الخشب وضرب المسامير فشيدوه حتى بلغ
ما لم يبلغه بنيان احد من الخلق فكان الباني لا يقدر ان يقوم على رأسه يبني فبعث الله جبريل عند
غروب الشمس فضربه بجناحه فقطعه ثلاث قطع وقعت قطعة على عسكر فرعون فقتلت الف الف رجل
ووقعت قطعة في البحر وقطعة في المغرب ولم يبق احد من عماله الا قد هلك ويروى في هذه
القصة ان فرعون ارتقى فوقه فرمى بنشابة نحو السماء فاراد الله ان يفتنهم فردت اليه وهي
ملطوخة بالدم فقال قد قتلت اله موسى فعندها بعث الله جبريل لهدمه والله اعلم بصحته
قصد بنفي علمه باله غيره نفي وجوده ومعناه ما لكم من اله غيري كما قال عز وجل قل اتنبئون الله
بما لا يعلم في السموات ولا في الارض معناه بما ليس فيهن وذلك لان العلم تابع للمعلوم لا يتعلق به
الا على ما هو عليه فاذا كان الشيء معدوما لم يتعلق به موجودا فمن ثم كان انتفاء العلم بوجوده
لانتفاء وجوده وعبر عن انتفاء وجوده بانتفاء العلم بوجوده ويجوز ان يكون على ظاهره وان
الها غيره غير معلوم عنده ولكنه مظنون بدليل قوله واني لاظنه من الكاذبين واذا ظنه موسى كاذبا
في اثباته الها غيره ولم يعلمه كاذبا فقد ظن ان في الوجود الها غيره ولو لم يكن المخذول ظانا ظنا
كاليقين بل عالما بصحة قول موسى عليه السلام لقول موسى له لقد علمت ما انزل هؤلاء الا رب السموات
والارض بصائر لما تكلف ذلك البنيان العظيم ولما تعب في بنائه ما تعب لعله يطلع بزعمه الى الله

موسى وان كان جاهلا مفرط الجهل به وبصفاته حيث حسب انه في مكان كما كان هو في مكان وانه يطلع
اليه كما كان يطلع اليه اذا قعد في عليته وانه ملك السماء كما انه ملك الارض ولا ترى بينة اثبت شهادة
على افراط جهله وغباوته وجهل ملائه وغباوتهم من انهم راموا نيل اسباب السموات بصرح يبنونه وليت
شعري اكان يلبس على اهل بلاده ويضحك من عقولهم حيث صادفهم اغبى الناس واخلاهم من الفطن
واشبههم بالبهائم بذلك ام كان في نفسه بتلك الصفة وان صح ما حكي من رجوع النشابة اليه ملطوخة بالدم
فتهكم به بالفعل كما جاء التهكم بالقول في غير موضع من كتاب الله بنظرائه من الكفرة ويجوز ان يفسر الظن
على القول الاول باليقين كقوله فقلت لهم ظنوا بالفي مدجج ويكون بناء الصرح مناقضة لما ادعاه
من العلم واليقين وقد خفيت على قومه لغباوتهم وبلههم او لم تخف عليهم ولكن كلا كان يخاف على نفسه سوطه
وسيفه وانما قال اوقد لي يا هامان على الطين فاجعل لي صرحا ولم يقل اطبخ لي الآجر واتخذه لانه اول
من عمل الآجر فهو يعلمه الصنعة ولان هذه العبارة احسن طباقا لفصاحة القرآن وعلو طبقته و
اشبه بكلام الجبابرة وامر هامان وهو وزيره ورديفه بالايقاد على الطين منادى باسمه بيا في وسط الكلام
دليل التعظم والتجبر وعن عمر رضي الله عنه انه حين سافر الى الشام ورأى القصور المشيدة بالآجر قال
ما علمت ان احدا بنى بالآجر غير فرعون لعلي اطلع الى اله موسى واني لاظنه من الكاذبين والطلوع والاطلاع
الصعود يقال طلع الجبل واطلع بمعنى واستكبر هو وجنوده في الارض بغير الحق وظنوا انهم الينا لا يرجعون الاستكبار
بالحق انما هو لله عز وجل وهو المتكبر على الحقيقة اي المتبالغ في كبرياء الشأن قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم فيما حكى عن ربه الكبرياء ردائي والعظمة ازاري فمن نازعني واحدا منهما القيته في النار
وكل مستكبر سواه فاستكباره بغير الحق يرجعون بالضم والفتح فاخذناه وجنوده فنبذناهم في اليم
فانظر كيف كان عاقبة الظالمين من الكلام الفخم الذي دل به على عظمة شأنه وكبرياء سلطانه شبههم استحقارا
لهم واستقلالا لعددهم وان كانوا الكثير الكثر والجم الغفير بحصيات اخذهن آخذ في كفه فطرحهن
في البحر ونحو ذلك قوله وجعلنا فيها رواسي شامخات وحملت الارض والجبال فدكتا دكة واحدة وما
قدروا الله حق قدره والارض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه وما هي الا
تصويرات وتمثيلات لاقتداره وان كل مقدور وان عظم وجل فهو مستصغر الى جنب قدرته
ما معنى قوله وجعلناهم ائمة يدعون الى النار معناه ودعوناهم ائمة دعاة الى النار
وقلنا انهم ائمة دعاة الى النار كما يدعى خلفاء الحق ائمة دعاة الى الجنة وهو من قولك جعله بخيلا
وفاسقا اذا دعاه وقال انه بخيل وفاسق ويقول اهل اللغة في تفسير فسقه وبخله جعله بخيلا

وفاسقا ومنه قوله عز وعلا وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا ومعنى دعوتهم الى النار دعوتهم
الى موجباتها من الكفر والمعاصي ويوم القيمة لا ينصرون كما ينصر الائمة الدعاة الى الجنة ويجوز خذلناهم
حتى كانوا ائمة الكفر ومعنى الخذلان منع الالطاف وانما يمنعها من علم انها لا ينفع فيه وهو المصمم على
الكفر الذي لا تغني عنه الآيات والنذر ومجراه مجرى الكناية لان منع الالطاف يردف التصميم
والغرض بذكره التصميم نفسه فكانه قيل صمموا على الكفر حتى كانوا ائمة فيه دعاة اليه والى سوء عاقبته
واى فائدة في ترك المردوف الى الرادفة ذكر الرادفة يدل على وجود المردوف فيعلم
وجود المردوف مع الدليل الشاهد بوجوده فيكون اقوى لاثباته من ذكره الا ترى انك تقول لولا انه
مصمم على الكفر مقطوع امره مبتوت حكمه لما منعت منه الالطاف فبذكر منع الالطاف يحصل العلم
بوجود التصميم على الكفر وزيادة وهو قيام الحجة على وجوده وينصر هذا الوجه قوله ويوم القيمة لا
ينصرون كانه قيل وخذلناهم في الدنيا وهم يوم القيمة مخذولون كما قال واتبعناهم في هذه الدنيا
لعنة اى طردا وابعادا عن الرحمة ويوم القيمة هم من المقبوحين اى من المطرودين المبعدين
ولقد آتينا موسى الكتاب من بعد ما اهلكنا القرون الاولى بصائر للناس وهدى ورحمة بصائر نصب
على الحال والبصيرة نور القلب الذي يستبصر به كما ان البصر نور العين الذي تبصر به يريد آتيناه
التورية انوارا للقلوب لانها كانت عمياء لا تستبصر ولا تعرف حقا من باطل وارشادا لانهم كانوا يخبطون
في ضلال ورحمة لانهم لو عملوا بها وصلوا الى نيل الرحمة لعلهم يتذكرون ارادة ان يتذكروا شبهت
الارادة بالترجي فاستعير لها ويجوز ان يراد ترجي موسى لتذكرهم كقوله لعله يتذكر وما كنت
بجانب الغربي اذ قضينا الى موسى الامر وما كنت من الشاهدين الغربي المكان الواقع في شق الغرب
وهو المكان الذي وقع فيه ميقات موسى من الطور وكتب الله له في الالواح والامر المقضي الى موسى
الوحي الذي اوحي اليه والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم يقول وما كنت حاضر المكان الذي
اوحينا فيه الى موسى ولا كنت من جملة الشاهدين للوحي اليه او على الوحي اليه وهم نقباؤه الذين
اختارهم للميقات حتى تقف من جملة المشاهدة على ما جرى من امر موسى في ميقاته وكتبه التورية
له في الالواح وغير ذلك كيف يتصل قوله ولكنا انشانا قرونا بهذا الكلام ومن اي وجه يكون
استدراكا له اتصاله به وكونه استدراكا له من حيث ان معناه ولكنا انشانا بعد عهد الوحي
الى عهدك قرونا كثيرة فتطاول عليهم على آخرهم وهو القرن الذي انت فيهم العمر اى امد انقطاع الوحي
واندرست العلوم فوجب ارسالك اليهم فارسلناك وكسبناك العلم بقصص الانبياء وقصة موسى

كانه قال وما كنت شاهدا لموسى وما جرى عليه ولكنا اوحيناه اليك فذكر سبب الوحي الذي
هو اطالة الفترة ودل به على المسبب على عادة الله في اختصاراته فاذن هذا الاستدراك شبيه الاستدراكين
بعده وما كنت ثاويا اى مقيما في اهل مدين وهم شعيب والمؤمنون به تتلو عليهم آياتنا ولكنا كنا مرسلين
تقرؤها عليهم تعلما منهم والآيات التي فيها قصة شعيب وقومه ولكنا ارسلناك واخبرناك بها وعلمناكها
وما كنت بجانب الطور اذ نادينا يريد مناداة موسى ليلة المناجاة وتكليمه ولكن علمناك رحمة و
قرئ رحمة من ربك لتنذر قوما ما اتاهم من نذير من قبلك لعلهم يتذكرون ما اتاهم نذير في زمان الفترة بينك
وبين عيسى وهو خمسمائة وخمسون سنة ونحوه قوله لتنذر قوما ما انذر آباؤهم ولولا ان تصيبهم مصيبة
بما قدمت ايديهم فيقولوا ربنا لولا ارسلت الينا رسولا فنتبع آياتك ونكون من المؤمنين لولا الاولى امتناعية
وجوابها محذوف والثانية تحضيضية واحدى الفائين للعطف والاخرى جواب لولا لكونها في حكم
الامر من قبل ان الامر باعث على الفعل والباعث والمحضض من واد واحد والمعنى ولولا انهم قائلون
اذا عوقبوا بما قدموا من الشرك والمعاصي هلا ارسلت الينا رسولا محتجين علينا بذلك لما ارسلنا اليهم
يعني ان ارسال الرسول اليهم انما هو ليلزموا الحجة ولا يلزموها كقوله لئلا يكون للناس على الله حجة
بعد الرسل ان تقولوا ما جاءنا من بشير ولا نذير لولا ارسلت الينا رسولا فنتبع آياتك
كيف استقام هذا المعنى وقد جعلت العقوبة هي السبب في الارسال لا القول لدخول حرف
الامتناع عليها دونه القول هو المقصود بان يكون سببا لارسال الرسل ولكن العقوبة
لما كانت هي السبب للقول وكان وجوده بوجودها جعلت العقوبة كانها سبب الارسال بواسطة
القول فادخلت عليها لولا وجيء بالقول معطوفا عليها بالفاء المعطية معنى السببية ويؤول
معناه الى قولك ولولا قولهم هذا اذا اصابتهم مصيبة لما ارسلنا ولكن اختيرت هذه الطريقة لنكتة
وهي انهم لو لم يعاقبوا مثلا على كفرهم وقد عاينوا ما الجئوا به الى العلم اليقين لم يقولوا لولا ارسلت
الينا رسولا وانما السبب في قولهم هذا هو العقاب لا غير لا التاسف على ما فاتهم من الايمان بخالقهم
وفي هذا من الشهادة القوية على استحكام كفرهم ورسوخه فيهم ما لا يخفى كقوله تعالى ولو ردوا
لعادوا لما نهوا عنه ولما كانت اكثر الاعمال تزاول بالايدي جعل كل عمل معبرا عنه باجتراح
الايدي وتقديم الايدي وان كان من اعمال القلوب وهذا من الاتساع في الكلام وتصيير الاقل تابعا
للاكثر وتغليب الاكثر على الاقل فلما جاءهم الحق وهو الرسول المصدق بالكتاب المعجز مع سائر المعجزات
وقطعت معاذيرهم وسد طريق احتجاجهم من عندنا قالوا لولا اوتي مثل ما اوتي موسى من الكتاب المنزل

دفعة واحدة ومن قلب العصا حية وفلق البحر وغيرهما من الآيات فجاؤا بالاقتراحات المبنية على التعنت
والعناد كما قالوا لولا انزل عليه كنز او جاء معه ملك وما اشبه ذلك اولم يكفروا يعني ابناء جنسهم ومن
مذهبهم مذهبهم وعنادهم عنادهم وهم الكفرة في زمن موسى بما اوتي موسى وعن الحسن قد كان للعرب اصل
في ايام موسى فمعناه على هذا اولم يكفر آباؤهم وقالوا في موسى وهرون ساحران تظاهرا اي تعاونا
وقرئ اظاهرا على الادغام وسحران بمعنى ذوا سحر او جعلوهما سحرين مبالغة في وصفهما بالسحر او ارادوا
نوعان من السحر بكل بكل واحد منهما ثم علقت قوله من قبل في هذا التفسير
باولم يكفروا ولي ان اعلقه باوتي فينقلب المعنى الى ان اهل مكة الذين قالوا هذه
المقالة كما كفروا بمحمد عليه السلام وبالقرآن فقد كفروا بموسى وبالتوراة وقالوا في موسى ومحمد ساحران
تظاهرا وقالوا انا بكل كافرون او في الكتابين سحران تظاهرا وذلك حين بعثوا الرهط الى رؤساء
اليهود بالمدينة يسألونهم عن محمد عليه السلام فاخبروهم انه نعته وصفته وانه في كتابهم فرجع
الرهط الى قريش فاخبروهم بقول اليهود فقالوا عند ذلك ساحران تظاهرا قل فأتوا بكتاب من عند الله
هو اهدى منهما مما انزل على موسى ومما انزل علي هذا الشرط من نحو ما ذكرت انه شرط المدل بالامر
المتحقق لصحته لان امتناع الاتيان بكتاب اهدى من الكتابين امر معلوم متحقق لا مجال فيه
للشك ويجوز ان يقصد بحرف الشك التهكم بهم ما الفرق بين فعل الاستجابة في الآية و
بينه في قوله فلم يستجبه عند ذاك مجيب حيث عدي بغير اللام هذا الفعل يتعدى الى
الدعاء بنفسه والى الداعي باللام ويحذف الدعاء اذا عدي الى الداعي في الغالب فيقال استجاب الله
دعاءه او استجاب له ولا يكاد يقال استجاب له دعاءه واما البيت فمعناه فلم يستجب دعاءه على حذف
المضاف فالاستجابة يقتضي دعاء ولا دعاء ههنا قوله فأتوا بكتاب امر بالاتيان
والامر بعث على الفعل ودعاء اليه فكانه قال فان لم يستجيبوا دعاءك الى الاتيان بالكتاب الاهدى
فاعلم انهم قد الزموا ولم يبق لهم حجة الا اتباع الهوى ثم قال فاعلم انما يتبعون اهواءهم ومن اضل
ممن اتبع هواه ومن اضل ممن لا يتبع في دينه الا هواه بغير هدى من الله اي مطبوعا على قلبه ممنوع
الالطاف ان الله لا يهدي القوم الظالمين اي لا يلطف بالقوم الثابتين على الظلم الذين اللاطف بهم
عابث وقوله بغير هدى في موضع الحال يعني مخذولا مخلى بينه وبين هواه ولقد وصلنا لهم القول لعلهم
يتذكرون الذين آتيناهم الكتاب قرئ وصلنا بالتشديد والتخفيف والمعنى ان القرآن اتاهم متتابعا
متواصلا وعدا ووعيدا وقصصا وعبرا ومواعظ ونصائح ارادة ان يتذكروا فيفلحوا او نزل عليهم

نزولا متصلا بعضه في اثر بعض كقوله وما يأتيهم من ذكر من الرحمن محدث الا كانوا عنه معرضين نزلت
في مؤمني اهل الكتاب وعن رفاعة بن قرظة نزلت في عشرة انا احدهم وقيل في اربعين من مسلمي اهل
الانجيل اثنان وثلاثون جاؤا مع جعفر من ارض الحبشة وثمانية من الشام والضمير من في
قبله للقرآن اي فرق بين الاستئنافين فبين انه وانا الاول تعليل للايمان به لان
كونه حقا من الله حقيق بان يؤمن به والثاني بيان لقوله آمنا به لانه يحتمل ان يكون ايمانا قريب
العهد وبعيده فاخبروا ان ايمانهم به متقادم لان آباءهم القدماء قرأوا في الكتب الاول ذكره وابناؤهم
من بعدهم من قبله هم به يؤمنون واذا يتلى عليهم قالوا آمنا به انه الحق من ربنا انا كنا من قبله من قبل وجوده و
نزوله مسلمين كائنين على دين الاسلام لان الاسلام صفة كل موحد مصدق للوحي اولئك يؤتون
اجرهم مرتين بما صبروا بصبرهم على الايمان بالتوراة والايمان بالقرآن او بصبرهم على الايمان بالقرآن قبل
نزوله وبعد نزوله او بصبرهم على اذى المشركين واهل الكتاب ونحوه يؤتكم كفلين من رحمته
ويدرؤن بالحسنة السيئة بالطاعة السيئة المتقدمة او بالحلم الاذى ومما رزقناهم ينفقون واذا سمعوا اللغو
اعرضوا عنه وقالوا لنا اعمالنا ولكم اعمالكم سلام عليكم توديع ومتاركة وعن الحسن كلمة حلم من المؤمنين
لا نبتغي الجاهلين لا نريد مخالطتهم وصحبتهم من خاطبوا بقولهم ولكم اعمالكم اللاغين
الذين دل عليهم قوله واذا سمعوا اللغو انك لا تهدي من احببت لا تقدر ان تدخل في الاسلام كل من
احببت ان يدخل فيه من قومك وغيرهم ولكن الله يهدي يدخل في الاسلام من يشاء وهو الذي علم انه غير
مطبوع على قلبه وان الالطاف تنفع فيه فيقرن به الطافه حتى يدعوه الى القبول وهو اعلم بالمهتدين بالقابلين
من الذين لا يقبلون وقالوا ان نتبع الهدى معك نتخطف من ارضنا اولم نمكن لهم حرما آمنا قال الزجاج اجمع المسلمون
انها نزلت في ابي طالب وذلك ان ابا طالب قال عند موته يا معشر بني هاشم اطيعوا محمدا وصدقوه تفلحوا
وترشدوا فقال النبي صلى الله عليه وسلم يا عم تأمرهم بالنصيحة لانفسهم وتدعها لنفسك قال فما
تريد يا ابن اخي قال اريد منك كلمة واحدة فانك في آخر يوم من ايام الدنيا ان تقول لا اله الا الله اشهد
لك بها عند الله قال يا ابن اخي قد علمت انك لصادق ولكني اكره ان يقال جزع عند الموت ولولا ان تكون
عليك وعلى بني ابيك غضاضة ومسبة بعدي لقلتها ولا قررت بها عينك عند الفراق لما ارى من
شدة وجدك ونصيحتك ولكني سوف اموت على ملة الاشياخ عبد المطلب وهاشم وعبد مناف
قالت قريش وقيل ان القائل الحارث بن عثمان بن نوفل بن عبد مناف نحن نعلم انك على الحق ولكنا
نخاف ان اتبعناك وخالفنا العرب بذلك وانما نحن اكلة رأس اي قليلون ان يتخطفونا فالقمهم الله

الحجر بانه مكّن لهم في الحرم الذي آمنه بحرمة البيت وآمن قطّانه بحرمته وكانت العرب في الجاهلية حولهم يتغاورون
ويتناحرون وهم آمنون في حرمهم لا يخافون وبحرمة البيت هم قارّون بواد غير ذي زرع والثمرات والارزاق
تجبى اليهم من كل اوب فاذا خوّلهم الله ما خوّلهم من الامن والرزق بحرمة البيت وحدها وهم كفرة عبدة
اصنام فكيف يستقيم ان يعرّضهم للتخوّف والتخطّف ويسلبهم الامن اذا ضمّوا الى حرمة البيت حرمة
الاسلام واسناد الامن الى اهل الحرم حقيقة والى الحرم مجاز يجبى اليه ثمرات كل شيء رزقا من لدنا تجلب
او تجمع قرئ بالتاء والياء وقرئ تجنى بالنون من الجنى وتعديته بالى كقولك يجنى الى فيه ويجنى الى الخافة
وثمرات بضمتين وبضمة وسكون ومعنى الكلية الكثرة كقوله واوتيت من كل شيء ولكن اكثرهم لا يعلمون
متعلق بقوله من لدنا اي قليل منهم يقرون بان ذلك رزق من عند الله واكثرهم جهلة لا يعلمون ذلك
ولا يفطنون له ولو علموا انه من الله لعلموا ان الامن والخوف من عنده ولما خافوا التخطف اذا آمنوا به
وخلعوا انداده   م انتصب رزقا   ان جعلته مصدرا جاز ان ينتصب بمعنى ما قبله
لان معنى يجبى اليه ثمرات كل شيء ويرزق ثمرات كل شيء واحد وان يكون مفعولا له وان جعلته بمعنى
مرزوق كان حالا من الثمرات لتخصصها بالاضافة كما ينتصب عن النكرة المتخصصة بالصفة وكم اهلكنا
من قرية هذا تخويف لاهل مكة من سوء عاقبة قوم كانوا في مثل حالهم من انعام الله عليهم بالرقود
في ظلال الامن وخفض العيش فغمطوا النعمة وقابلوها بالاشر والبطر فدمرهم الله وخرب ديارهم و
انتصب معيشتها اما بحذف الجار وايصال الفعل كقوله واختار موسى قومه واما على الظرف بنفسها
كقولك زيد ظني مقيم او بتقدير حذف الزمان المضاف اصله بطرت ايام معيشتها كخفوق النجم و
مقدم الحاج واما بتضمين بطرت معنى كفرت وغمطت وقيل البطر سوء احتمال الغنى وهو ان لا يحفظ
حق الله فيه فتلك مساكنهم لم تسكن من بعدهم الا قليلا من السكنى قال ابن عباس لم يسكنها الا المسافر ومار
الطريق يوما او ساعة ويحتمل ان شؤم معاصي المهلكين بقي اثره في ديارهم فكل من سكنها من
اعقابهم لم يبق فيها الا قليلا وكنا نحن الوارثين لتلك المساكن من ساكنيها اي تركناها على حال لا يسكنها
احد او خربناها وسويناها بالارض تتخلف الآثار عن اصحابها حينا ويدركها الفناء فيتبع
وما كان ربك مهلك القرى حتى يبعث في امها رسولا يتلو عليهم آياتنا وما كنا مهلكي القرى الا واهلها ظالمون وما
اوتيتم من شيء فمتاع الحياة الدنيا وزينتها وما كانت عادة ربك ان يهلك القرى في كل وقت حتى يبعث
في القرية التي هي امها اي اصلها وقصبتها التي هي اعمالها وتوابعها رسولا لالزام الحجة وقطع المعذرة
مع علمه انهم لا يؤمنون او وما كان في حكم الله وسابق قضائه ان يهلك القرى في الارض حتى يبعث في

في ام القرى يعني مكة رسولا وهو محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم خاتم الانبياء وقرئ امها بضم الهمزة و
كسرها لاتباع الجر وهذا بيان لعدله وتقدسه عن الظلم حيث اخبر بانه لا يهلكهم الا اذا استحقوا الاهلاك
بظلمهم ولا يهلكهم مع كونهم ظالمين الا بعد تأكيد الحجة والالزام ببعثة الرسل ولا يجعل علمه باحوالهم حجة عليهم
ونزّه ذاته ان يهلكهم وهم غير ظالمين كما قال وما كان ربك ليهلك القرى بظلم واهلها مصلحون فنص في
قوله بظلم انه لو اهلكهم وهم مصلحون لكان ذلك ظلما منه وان حاله في غناه وحكمته منافية للظلم دل على
ذلك بحرف النفي مع لامه كما قال وما كان الله ليضيع ايمانكم واي شيء اصبتموه من اسباب الدنيا
فما هو الا تمتع وزينة اياما قلائل وهي مدة الحياة المنقضية وما عند الله وهو ثوابه خير في نفسه من ذلك
وابقى لان بقاءه دائم سرمدا افلا يعقلون وقرئ بالياء وهو ابلغ في الموعظة افمن وعدناه وعدا حسنا فهو لاقيه
كمن متعناه متاع الحياة الدنيا ثم هو يوم القيامة من المحضرين وعن ابن عباس ان الله خلق الدنيا وجعل
اهلها ثلثة اصناف المؤمن والمنافق والكافر فالمؤمن يتزود والمنافق يتزين والكافر يتمتع هذه
الآية تقرير وايضاح للتي قبلها والوعد الحسن الثواب لانه منافع دائمة على وجه التعظيم والاستحقاق
واي شيء احسن منها ولذلك سمى الله الجنة بالحسنى ولاقيه لقوله ولقاهم نضرة وسرورا وعكسه
فسوف يلقون غيا من المحضرين من الذين احضروا النار ونحوه لكنت من المحضرين فكذبوه فانهم لمحضرون
قيل نزلت في رسول الله صلى الله عليه وسلم وابي جهل وقيل في علي وحمزة وابي جهل وقيل في عمار بن
ياسر والوليد بن المغيرة   فسر لي الفاءين وثم ثم اخبرني عن مواقعها   قد ذكر
في الآية التي قبلها متاع الحياة الدنيا وما عند الله وتفاوتهما ثم عقبه بقوله افمن وعدناه على
معنى ابعد هذا التفاوت الظاهر يسوّى بين ابناء الآخرة وابناء الدنيا فهذا معنى الفاء الاولى
وبيان موقعها واما الثانية فللتسبيب لان لقاء الموعود مسبب عن الوعد الذي هو الضمان في
الخير واما ثم فلتراخي حال الاحضار عن حال التمتيع لا لتراخي وقته عن وقته وقرئ ثم هو
بسكون الهاء كما قيل عضد في عضد تشبيها للمنفصل بالمتصل وسكون الهاء في فهو وهو ولهو
احسن لان الحرف الواحد لا ينطق به وحده فهو كالمتصل شركائي مبني على زعمهم وفيه تهكم
زعم يطلب مفعولين كقوله ولم ازعمك عن ذاك معزلا فاين هما   محذوفان
تقديره الذين كنتم تزعمونهم شركائي ويجوز حذف المفعولين في باب ظننت ولا يصح الاقتصار على
احدهما قال الذين حق عليهم القول الشياطين او ائمة الكفر ورؤوسه ومعنى حق عليهم القول وجب عليهم
مقتضاه وثبت وهو قوله لاملأن جهنم من الجنة والناس اجمعين ربنا هؤلاء مبتدأ والذين

ويوم يناديهم فيقول اين

الذين كنتم تزعمون

اغويناهم صفته والراجع الى الموصول محذوف واغويناهم الخبر والكاف صفة مصدر محذوف تقديره
اغويناهم فغووا غيا مثل ما غوينا يعنون انا لم نغو الا باختيارنا لا ان فوقنا مغوين اغوونا بقسر
منهم والجاء او دعونا الى الغي وسولوه لنا فهؤلاء كذلك غووا باختيارهم لان اغواءنا لهم لم يكن الا وسوسة
وتسويلا لا قسرا والجاء فلا فرق اذا بين غينا وغيهم وان كان تسويلنا داعيا لهم الى الكفر فقد كان
في مقابلته دعاء الله لهم الى الايمان بما وضع فيهم من ادلة العقل وما بعث اليهم من الرسل وانزل عليهم
من الكتب المشحونة بالوعد والوعيد والمواعظ والزواجر وناهيك بذلك صارفا عن الكفر وداعيا
الى الايمان وهذا معنى ما حكاه الله عن الشيطان ان الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فاخلفتكم
وما كان لي عليكم من سلطان الا ان دعوتكم فاستجبتم لي فلا تلوموني ولوموا انفسكم والله عز و
جل قدم هذا المعنى اول شيء حيث قال لابليس ان عبادي ليس لك عليهم سلطان الا من اتبعك
من الغاوين تبرأنا اليك منهم ومما اختاروه من الكفر بانفسهم هوى منهم للباطل ومقتا للحق لا بقوة
منا على استكراههم ولا سلطان ما كانوا ايانا يعبدون انما كانوا يعبدون اهواءهم ويطيعون شهواتهم
واخلاء الجملتين من العاطف لكونهما مقررتين لمعنى الجملة الاولى وقيل ادعوا شركاءكم فدعوهم فلم
يستجيبوا لهم ورأوا العذاب لو انهم كانوا يهتدون لوجه من وجوه الحيل يدفعون به العذاب او لو انهم
كانوا مهتدين مؤمنين لما رأوه او تمنوا لو كانوا مهتدين او تحيروا عند رؤيته وسدروا فلا يهتدون
طريقا حكى اولا ما يوبخهم به من اتخاذهم له شركاء ثم ما يقوله الشياطين او ائمتهم عند توبيخهم
لانهم اذا وبخوا بعبادة الآلهة اعتذروا بان الشياطين هم الذين استغووهم وزينوا لهم عبادتها
ثم ما يشبه الشماتة بهم من استغاثتهم آلهتهم وخذلانهم لهم وعجزهم عن نصرتهم ثم ما يبكتون
به من الاحتجاج عليهم بارسال الرسل وازاحة العلل ويوم يناديهم فيقول ماذا اجبتم المرسلين فعميت عليهم الانباء
كالعمى عليهم جميعا لا تهتدي اليهم فهم لا يتساءلون لا يسأل بعضهم بعضا كما يتساءل الناس في المشكلات
لانهم يتساوون جميعا في عمى الانباء عليهم والعجز عن الجواب وقرئ فعميت والمراد بالنبأ الخبر
عما اجاب به المرسل اليه رسوله واذا كانت الانبياء لهول ذلك اليوم يتتعتعون في الجواب عن
مثل هذا السؤال ويفوضون الامر الى علم الله وذلك قوله تعالى يوم يجمع الله الرسل فيقول ما
ذا اجبتم قالوا لا علم لنا انك انت علام الغيوب فما ظنك بالضلال من اممهم فاما من تاب وآمن وعمل
صالحا فعسى ان يكون من المفلحين من المشركين من الشرك وجمع بين الايمان والعمل الصالح فعسى ان يفلح عند الله
وعسى من الكرام تحقيق ويجوز ان يراد ترجي التائب وطمعه كانه قال فليطمع ان يفلح وربك يخلق

ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة سبحان الله وتعالى عما يشركون الخيرة من التخير كالطيرة من التطير تستعمل
بمعنى المصدر وهو التخير وبمعنى المتخير كقولهم محمد خيرة الله من خلقه ما كان لهم الخيرة بيان لقوله و
يختار لان معناه ويختار ما يشاء ولهذا لم يدخل العاطف والمعنى ان الخيرة لله في افعاله وهو
اعلم بوجوه الحكمة فيها ليس لاحد من خلقه ان يختار عليه قيل السبب فيه قول الوليد بن المغيرة لولا
نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم يعني لا يبعث الله الرسل باختيار المرسل اليهم وقيل
معناه ويختار الذي لهم فيه الخيرة اي يختار للعباد ما هو خير لهم واصلح وهو اعلم بمصالحهم من
انفسهم من قولهم في الامرين ليس فيهما خيرة لمختار فاين الراجع من الصلة الى الموصول اذا
جعلت ما موصولة اصل الكلام ما كان لهم فيه الخيرة فحذف فيه كما حذف منه في قوله ان
ذلك لمن عزم الامور لانه مفهوم سبحان الله اي الله بريء من اشراكهم وما يحملهم عليه من الجراءة على
الله واختيارهم عليه ما لا يختار وربك يعلم ما تكن صدورهم من عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم
وحسده وما يعلنون من مطاعنهم فيه وقولهم هلا اختير عليه غيره في النبوة وهو الله وهو المستأثر بالالهية
المختص بها ولا اله الا هو تقرير لذلك كقولك الكعبة القبلة لا قبلة الا هي له الحمد في الاولى والآخرة
الحمد في الدنيا ظاهر فما الحمد في الآخرة هو قولهم الحمد لله الذي اذهب
عنا الحزن الحمد لله الذي صدقنا وعده وقيل الحمد لله رب العالمين والتحميد هناك على وجه
اللذة لا الكلفة وفي الحديث يلهمون التسبيح والتقديس وله الحكم واليه ترجعون القضاء بين عباده
قل ارأيتم ان جعل الله عليكم الليل سرمدا الى يوم القيمة من اله غير الله يأتيكم بضياء افلا تسمعون قل ارأيتم
ان جعل الله عليكم النهار سرمدا الى يوم القيمة من اله غير الله يأتيكم ارأيتم وقرئ ارايتم بحذف الهمزة
وليس بحذف قياسي ومعناه اخبروني من يقدر على هذا والسرمد الدائم المتصل من السرد
وهو المتابعة ومنه قولهم في الاشهر الحرم ثلاثة سرد وواحد فرد والميم مزيدة ووزنه فعمل
ونظيره دلامص من الدلاص هلا قيل بنهار تتصرفون فيه كما قيل بليل تسكنون فيه
ذكر الضياء وهو ضوء الشمس لان المنافع التي تتعلق به متكاثرة ليس التصرف في المعاش وحده
والظلام ليس بتلك المنزلة ومن ثم قرن بالضياء افلا تسمعون لان السمع يدرك ما لا يدركه
البصر من ذكر منافعه ووصف فوائده وقرن بالليل افلا تبصرون لان غيرك يبصر من منفعة
الظلام ما تبصره انت من السكون ونحوه ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من
فضله ولعلكم تشكرون زاوج بين الليل والنهار لاغراض ثلاثة لتسكنوا في احدهما وهو الليل ولتبتغوا

من فضل الله في الآخر وهو النهار ولإرادة شكركم. وقد سلكت بهذه الآية طريقة اللف. ويوم يناديهم
فيقول أين شركائي الذين كنتم تزعمون. في تكرير التوبيخ باتخاذ الشركاء إيذان بأن لا شيء أجلب لغضب
الله من الإشراك به كما لا شيء أدخل في مرضاته من توحيده. اللهم فكما أدخلتنا في أهل توحيدك
فأدخلنا في الناجين من وعيدك. ونزعنا وأخرجنا من كل أمة شهيدا وهو نبيهم لأن أنبياء الأمم شهداء
عليهم يشهدون بما كانوا عليه. فقلنا للأمة هاتوا برهانكم فيما كنتم عليه من الشرك ومخالفة الرسول
فعلموا حينئذ أن الحق لله ولرسله لا لهم ولشياطينهم وضل عنهم وغاب عنهم غيبة الشيء الضائع
ما كانوا يفترون من الباطل والكذب. إن قارون كان من قوم موسى. قارون اسم أعجمي مثل هارون
ولم ينصرف للعجمة والتعريف ولو كان فاعولا من قرن لانصرف. وقيل معنى كونه من قومه أنه آمن به
وقيل كان إسرائيليا ابن عم لموسى هو قارون بن يصهر بن قاهث بن لاوي بن يعقوب وموسى بن
عمران بن قاهث وقيل كان موسى ابن أخيه وكان يسمى المنور لحسن صورته وكان أقرأ بني إسرائيل
للتوراة ولكنه نافق كما نافق السامري وقال إذا كانت النبوة لموسى والمذبح والقربان إلى هارون
فما لي. وروي أنه لما جاوز بهم موسى البحر وصارت الرسالة والحبورة لهارون يقرب القربان و
يكون رأسا فيهم وكان القربان إلى موسى فجعله موسى إلى أخيه وجد قارون في نفسه وحسدهما
فقال لموسى الأمر لكما ولست على شيء إلى متى أصبر قال موسى هذا صنع الله قال والله لا أصدقك
حتى تأتي بآية فأمر رؤساء بني إسرائيل أن يجيء كل واحد بعصاه فحزمها وألقاها في القبة
التي كان الوحي ينزل عليه فيها وكانوا يحرسون عصيهم بالليل فأصبحوا وإذا بعصا هارون تهتز
ولها ورق أخضر وكانت من شجر اللوز فقال قارون ما هو بأعجب مما تصنع من السحر. فبغى
عليهم من البغي وهو الكبر والبذخ تبذخ عليهم بكثرة ماله وولده وقيل زاد عليهم في الثياب شبرا
وآتيناه من الكنوز ما إن مفاتحه لتنوء بالعصبة أولي القوة إذ قال له قومه لا تفرح إن الله لا يحب الفرحين
المفاتح جمع مفتح بالكسر وهو ما يفتح به وقيل هي الخزائن وقياس واحدها مفتح بالفتح و
يقال ناء به الحمل إذا أثقله حتى أماله والعصبة الجماعة الكثيرة والعصابة مثلها واعصوصبوا
اجتمعوا وقيل كانت تحمل مفاتيح خزائنه ستون بغلا لكل خزانة مفتاح ولا يزيد المفتاح
على إصبع وكانت من جلود قال أبو رزين يكفي الكوفة مفتاح وقد بولغ في ذكر ذلك بلفظ الكنوز
والمفاتح والنوء والعصبة وأولي القوة. وقرأ بديل بن ميسرة لينوء بالياء ووجهه أن
يفسر المفاتح بالخزائن ويعطيها حكم ما أضيفت إليه للملابسة والاتصال كقولك ذهبت أهل اليمامة

الظلم قيل ملّكه فرعون على بني إسرائيل فظلمهم وقيل من البغي وهو صح

ومحل إذ منصوب بتنوء. لا تفرح كقوله ولا تفرحوا بما آتاكم وقول القائل ولست بمفراح إذا
الدهر سرني. وذلك أنه لا يفرح بالدنيا إلا من رضي بها واطمأن وأما من قلبه إلى الآخرة ويعلم أنه
مفارق ما فيه عن قريب لم تحدثه نفسه بالفرح وما أحسن ما قال القائل
أشد الغم عندي في سرور تيقن عنه صاحبه انتقالا. وابتغ فيما آتاك الله من الغنى والثروة الدار الآخرة
بأن تفعل أفعال الخير من أصناف الواجب والمندوب إليه وتجعله زادك إلى الآخرة. ولا تنس نصيبك
وهو أن تأخذ ما يكفيك ويصلحك منه. وأحسن إلى عباد الله كما أحسن الله إليك أو أحسن بشكرك و
طاعتك لله كما أحسن إليك. ولا تبغ الفساد في الأرض إن الله لا يحب المفسدين والفساد في الأرض ما
كان عليه من الظلم والبغي. وقيل إن القائل موسى صلوات الله عليه وقرئ واتبع. قال إنما أوتيته على
علم عندي أولم يعلم أن الله قد أهلك من قبله من القرون من هو أشد منه قوة. على علم أي على استحقاق و
استيجاب لما في من العلم الذي فضلت به على الناس وذلك أنه كان أعلم بني إسرائيل بالتوراة
وقيل هو علم الكيمياء عن سعيد بن المسيب كان موسى عليه السلام يعلم علم الكيمياء فأفاد
يوشع بن نون ثلثه وكالب بن يوفنا ثلثه وقارون ثلثه فخدعهما قارون حتى أضاف علمهما
إلى علمه فكان يأخذ الرصاص والنحاس فيجعلهما ذهبا وقيل علم الله موسى علم الكيمياء فعلمه
موسى أخته فعلمته أخته قارون وقيل هو بصره بأنواع التجارة والدهقنة وسائر المكاسب
وقيل عندي معناه في ظني كما تقول الأمر عندي كذا كأنه قال إنما أوتيته على علم كقوله تعالى
ثم إذا خولناه نعمة منا قال إنما أوتيته على علم ثم زاد عندي أي هو في ظني ورأيي هكذا. يجوز
أن يكون إثباتا لعلمه بأن الله قد أهلك من القرون قبله من هو أقوى منه وأغنى لأنه قد قرأه
في التوراة وأخبر به موسى وسمعه من حفاظ التواريخ والأيام كأنه قيل أولم يعلم في جملة ما عنده
من العلم هذا حتى لا يغتر بكثرة ماله وقوته. ويجوز أن يكون نفيا لعلمه بذلك لأنه لما قال أوتيته
على علم عندي فتنفج بالعلم وتعظم به قيل أعنده مثل ذلك العلم الذي ادعاه ورأى نفسه به
مستوجبة لكل نعمة ولم يعلم هذا العلم النافع حتى يقي به نفسه مصارع الهالكين. وأكثر جمعا للمال
أو أكثر جماعة وعددا. ما وجه اتصال قوله ولا يسأل عن ذنوبهم المجرمون فخرج على قومه
في زينته بما قبله. لما ذكر قارون من أهلك من قبله من القرون الذين كانوا أقوى منه و
أغنى قال على سبيل التهديد له والله مطلع على ذنوب المجرمين لا يحتاج إلى سؤالهم عنها و
استعلامهم وهو قادر على أن يعاقبهم عليها كقوله والله خبير بما تعملون والله عليم بما تعملون و

وما أشبه ذلك في زينته قال الحسن في الحمرة والصفرة وقيل خرج على بغلة شهباء عليه الأرجوان
وعليها سرج من ذهب ومعه أربعة آلاف على زيّه وقيل عليهم وعلى خيولهم الديباج الأحمر وعن
يمينه ثلثمائة غلام وعن يساره ثلثمائة جارية بيض عليهن الحلي والديباج وقيل في تسعين ألفاً عليهم
المعصفرات وهو أول يوم رأى فيه المعصفر كان المتمنون قوماً مسلمين وإنما تمنوه على سبيل الرغبة
في اليسار والاستغناء كما هو عادة البشر وعن قتادة تمنوه ليتقربوا به إلى الله وينفقوه في سبل
الخير وقيل كانوا قوماً كفاراً قال الذين يريدون الحيوة الدنيا الغابط هو الذي يتمنى مثل نعمة صاحبه
من غير أن تزول عنه والحاسد هو الذي يتمنى أن تكون نعمة صاحبه له دونه فمن الغبطة قوله تعالى
يا ليت لنا مثل ما أوتي قارون إنه لذو حظ عظيم ومن الحسد قوله ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض
وقيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم هل يضر الغبط فقال لا إلا كما يضر العضاه الخبط و
الحظ الجد وهو البخت والدولة وصفوه بأنه رجل مجدود مبخوت يقال فلان ذو حظ وحظيظ
ومحظوظ وما الدنيا إلا أحاظ وجدود وقال الذين أوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير لمن آمن وعمل
صالحاً ولا يلقيها إلا الصابرون ويلك أصله الدعاء بالهلاك ثم استعمل في الزجر والردع والبعث
على ترك ما لا يرتضى كما استعمل لا أبا لك وأصله الدعاء على الرجل بالإقراف في الحث على الفعل و
الراجع في ولا يلقيها للكلمة التي تكلم بها العلماء أو للثواب لأنه في معنى المثوبة أو الجنة أو
للسيرة والطريقة وهي الإيمان والعمل الصالح الصابرون على الطاعات وعن الشهوات وعلى ما قسم
الله من القليل عن الكثير فخسفنا به وبداره الأرض فما كان له من فئة ينصرونه من دون الله وما كان كان
قارون يؤذي نبي الله موسى صلوات الله عليه كل وقت وهو يداريه للقرابة التي بينهما حتى نزلت
الزكوة فصالحه عن كل ألف دينار على دينار وعن كل ألف درهم على درهم فحسبه فاستكثره فشحت
به نفسه فجمع بني إسرائيل وقال إن موسى أرادكم على كل شيء وهو يريد أن يأخذ أموالكم فقالوا
أنت كبيرنا وسيدنا فمر بما شئت قال نبرطل فلانة البغي حتى ترميه بنفسها فترفضه بنو إسرائيل
فجعل لها ألف دينار وقيل طستاً من ذهب وقيل طستاً من ذهب مملوءة ذهباً وقيل حكمها فلما كان
يوم عيد قام موسى فقال يا بني إسرائيل من سرق قطعناه ومن افترى جلدناه ومن زنى وهو
غير محصن جلدناه وإن أحصن رجمناه فقال قارون وإن كنت أنت قال وإن كنت أنا قال فإن
بني إسرائيل يزعمون أنك فجرت بفلانة فأحضرت فناشدها موسى بالذي فلق البحر وأنزل
التورية أن تصدق فتداركها الله فقالت كذبوا بل جعل لي قارون جعلاً على أن أقذفك بنفسي

فخر موسى ساجداً يبكي وقال يا رب إن كنت رسولك فاغضب لي فأوحى إليه أن مر الأرض بما شئت
فإنها مطيعة لك فقال يا بني إسرائيل إن الله بعثني إلى قارون كما بعثني إلى فرعون فمن كان معه
فليلزم مكانه ومن كان معي فليعتزل فاعتزلوا جميعاً غير رجلين ثم قال يا أرض خذيهم فأخذتهم
إلى الركب ثم قال خذيهم فأخذتهم إلى الأوساط ثم قال خذيهم فأخذتهم إلى الأعناق وقارون
وأصحابه يتضرعون إلى موسى ويناشدونه بالله والرحم وموسى لا يلتفت إليهم لشدة غضبه
ثم قال خذيهم فانطبقت عليهم وأوحى الله إلى موسى ما أفظك استغاثوا بك مراراً فلم ترحمهم أما و
عزتي لو إياي دعوا مرة واحدة لوجدوني قريباً مجيباً فأصبحت بنو إسرائيل يتناجون بينهم إنما
دعا موسى على قارون ليستبد بداره وكنوزه فدعا الله حتى خسف الله بداره وأمواله من المنتصرين
من المنتقمين من موسى أو من الممتنعين من عذاب الله يقال نصره من عدوه فانتصر أي منعه منه
فامتنع قد يذكر الأمس ولا يراد به اليوم الذي قبل يومك ولكن الوقت المستقرب على طريق
الاستعارة وأصبح الذين تمنوا مكانه بالأمس يقولون ويكأن الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر لولا أن
من الله علينا لخسف بنا مكانه منزلته من الدنيا وي مفصولة عن كأن وهي كلمة تنبه على الخطأ وتندم
ومعناه أن القوم قد تنبهوا على خطئهم في تمنيهم وقولهم يا ليت لنا مثل ما أوتي قارون وتندموا
ثم قالوا وي كأنه لا يفلح الكافرون أي ما أشبه الحال بأن الكافرين لا ينالون الفلاح وهو مذهب
الخليل وسيبويه قال وي كأن من يكن له نشب يحبب ومن يفتقر يعش عيش ضر وحكى الفراء
أن أعرابية قالت لزوجها أين ابنك فقال ويكأنه وراء البيت وعند الكوفيين أن ويك بمعنى ويلك
وأن المعنى ألم تعلم أنه لا يفلح الكافرون ويجوز أن تكون الكاف كاف الخطاب مضمومة إلى وي
كقوله ويك عنتر أقدم وأنه بمعنى لأنه واللام لبيان المقول لأجله هذا القول أو لأنه لا يفلح
الكافرون كان ذلك وهو الخسف بقارون ومن الناس من يقف على وي ويبتدي كأنه ومنهم من
يقف على ويك وقرأ الأعمش لولا من الله علينا وقرئ لخسف بنا وفيه ضمير الله ولا نخسف بنا
كقولك انقطع به ولتخسف به تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً في الأرض ولا فساداً تعظيم لها
وتفخيم لشأنها يعني تلك التي سمعت بذكرها وبلغك وصفها ولم يعلق الموعد بترك العلو والفساد
ولكن بترك إرادتهما وميل القلوب إليهما كما قال ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فعلق الوعيد بالركون
وعن علي رضي الله عنه أن الرجل ليعجبه أن يكون شراك نعله أجود من شراك نعل صاحبه فيدخل
تحتها وعن الفضيل أنه قرأها ثم قال ذهبت الأماني ههنا وعن عمر بن عبد العزيز أنه كان يرددها

حتى قبض. ومن الطماع من يجعل العلو لفرعون والفساد لقارون متعلقا بقوله إن فرعون علا
في الأرض ولا تبغ الفساد في الأرض ويقول من لم يكن مثل فرعون وقارون فله تلك الدار الآخرة
ولا يتدبر قوله والعاقبة للمتقين كما تدبره علي والفضيل وعمر رضي الله عنهم. من جاء بالحسنة فله خير منها ومن جاء
بالسيئة فلا يجزى معناه فلا يجزون فوضع الذين عملوا السيئات موضع الضمير لأن في إسناد عمل السيئة
إليهم مكررا فضل تهجين بحالهم وزيادة تبغيض للسيئة إلى قلوب السامعين. إلا ما كانوا يعملون إلا مثل
ما كانوا يعملون وهذا من فضله العظيم وكرمه الواسع أن لا يجزي السيئة إلا بمثلها ويجزي الحسنة
بعشر أمثالها وبسبعمائة وهو معنى قوله فله خير منها. إن الذي فرض عليك القرآن أوجب عليك تلاوته
وتبليغه والعمل بما فيه يعني أن الذي حملك صعوبة هذا التكليف لمثيبك عليها ثوابا لا يحيط به الوصف
لرادك بعد الموت إلى معاد أي معاد وإلى معاد ليس لغيرك من البشر وتنكير المعاد لذلك وقيل
المراد به مكة ووجه تنكيره أنها كانت في ذلك اليوم معادا له شأن ومرجعا له اعتداد لغلبة رسول
الله صلى الله عليه وسلم عليها وقهره لأهلها ولظهور عز الإسلام وأهله وذل الشرك وحزبه والسورة
مكية فكأن الله وعده وهو بمكة في أذى وغلبة من أهلها أنه يهاجر به منها ويعيده إليها ظاهرا
ظافرا وقيل نزلت عليه حين بلغ الجحفة في مهاجره وقد اشتاق إلى مولده ومولد آبائه وحرم إبراهيم
فنزل جبريل فقال له أتشتاق إلى مكة قال نعم فأوحاها إليه. كيف اتصل قوله قل ربي
أعلم بما قبله. لما وعد رسوله الرد إلى معاد قال قل للمشركين ربي أعلم من جاء بالهدى يعني نفسه
وما يستحقه من الثواب في معاده ومن هو في ضلال مبين يعنيهم وما يستحقونه من العقاب في معادهم
قوله وما كنت ترجوا أن يلقى إليك الكتاب إلا رحمة من ربك فلا تكونن ظهيرا للكافرين ولا يصدنك
عن آيات الله. إلا رحمة من ربك. ما وجه الاستثناء فيه. هذا كلام محمول على المعنى كأنه قيل
وما ألقي عليك الكتاب إلا رحمة من ربك ألقي إليك. وقرئ يصدنك من أصده بمعنى صده وهو
لغة كلب وقال: أناس أصدوا الناس بالسيف عنهم صدود السواقي عن أنوف الحرام. بعد إذ
أنزلت إليك وادع إلى ربك ولا تكونن من المشركين. بعد وقت إنزاله وإذ تضاف إليه أسماء الزمان
كقولك حينئذ وليلتئذ ويومئذ وما أشبه ذلك. ولا تدع مع الله إلها آخر لا إله إلا هو كل شيء هالك
والنهي عن مظاهرة الكافرين ونحو ذلك من باب التهييج الذي سبق ذكره. إلا وجهه له الحكم وإليه
ترجعون. إلا إياه والوجه يعبر به عن الذات. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ طسم
القصص كان له من الأجر بعدد من صدق موسى وكذب ولم يبق ملك في السموات والأرض إلا شهد له

يوم القيمة أنه كان صادقا إن كل شيء هالك إلا وجهه له الحكم وإليه ترجعون

سورة العنكبوت مكية وهي تسع وستون آية

بسم الله الرحمن الرحيم الم أحسب الناس. الحسبان لا يصح تعلقه بمعاني المفردات ولكن بمضامين
الجمل ألا ترى أنك لو قلت حسبت زيدا وظننت الفرس لم يكن شيئا حتى تقول حسبت زيدا عالما وظننت
الفرس جوادا لأن قولك زيد عالم أو الفرس جواد كلام دال على مضمون فأردت الإخبار عن ذلك المضمون
ثابتا عندك على وجه الظن لا اليقين فلم تجد بدا في العبارة عن ثباته عندك على ذلك الوجه من ذكر شطري
الجملة مدخلا عليهما فعل الحسبان حتى يتم لك غرضك. فأين الكلام الدال على المضمون الذي
يقتضيه الحسبان في الآية. هو في قوله أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون وذلك أن تقديره
أحسبوا تركهم غير مفتونين لقولهم آمنا فالترك أول مفعولي حسب ولقولهم آمنا هو الخبر وأما غير مفتونين
فتتمة الترك لأنه من الترك الذي هو بمعنى التصيير كقوله: فتركته جزر السباع ينشنه. ألا ترى أنك
قبل المجيء بالحسبان تقدر أن تقول تركهم غير مفتونين لقولهم آمنا على تقدير حاصل ومستقر قبل اللام.
أن يقولوا هو علة تركهم غير مفتونين. فكيف يصح أن يقع خبر مبتدأ. كما تقول خروجه
لمخافة الشر وضربه للتأديب وقد كان التأديب والمخافة في قولك خرجت مخافة الشر وضربته
تأديبا تعليلين وتقول أيضا حسبت خروجه لمخافة الشر وظننت ضربه للتأديب فتجعلهما مفعولين
كما جعلتهما مبتدأ وخبرا. والفتنة الامتحان بشدائد التكليف من مفارقة الأوطان ومجاهدة
الأعداء وسائر الطاعات الشاقة وهجر الشهوات والملاذ وبالفقر والقحط وأنواع المصائب
في الأنفس والأموال وبمصابرة الكفار على أذاهم وكيدهم وضرارهم. والمعنى أحسب الذين أجروا
كلمة الشهادة على ألسنتهم وأظهروا القول بالإيمان أنهم يتركون لذلك غير ممتحنين بل يمتحنهم الله
بضروب المحن حتى يبلو صبرهم وثبات أقدامهم وصحة عقائدهم ونصوع نياتهم ليتميز المخلص
من غير المخلص والراسخ في الدين من المضطرب والمتمكن من العابد على حرف كما قال لتبلون في
أموالكم وأنفسكم ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيرا وإن
تصبروا وتتقوا فإن ذلك من عزم الأمور. وروي أنها نزلت في ناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه
وسلم قد جزعوا من أذى المشركين وقيل في عمار بن ياسر وكان يعذب في الله وقيل في ناس أسلموا
بمكة فكتب إليهم المهاجرون لا يقبل منكم إسلامكم حتى تهاجروا فخرجوا فتبعهم المشركون فقاتلوهم
فمنهم من قتل ومنهم من نجا وقيل في مهجع بن عبد الله مولى عمر بن الخطاب رضي الله عنه وهو أول قتيل

من المسلمين يوم بدر رماه عامر بن الحضرمي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم سيد الشهداء مهجع وهو اول
من يدعى الى باب الجنة من هذه الامة فجزع عليه ابواه وامرأته ولقد فتنا الذين من قبلهم موصول باحسب او
بلا يفتنون كقولك الا يمتحن فلان وقد امتحن من هو خير منه يعني ان اتباع الانبياء قبلهم قد اصابهم من الفتن
والمحن نحو ما اصابهم او ما هو اشد منه فصبروا كما قال وكاين من نبي قتل معه ربيون كثير فما وهنوا الاية
وعن النبي صلى الله عليه وسلم قد كان من قبلكم يؤخذ فيوضع المنشار على راسه فيفرق فرقتين ما يصرفه
ذلك عن دينه ويمشط بامشاط الحديد ما دون عظمه من لحم وعصب ما يصرفه ذلك عن دينه فليعلمن الله
بالامتحان الذين صدقوا في الايمان وليعلمن الكاذبين فيه كيف وهو عالم بذلك فيما لم يزل

معدوما وله يعلمه صح

لم يزل يعلمه موجودا الا اذا وجد والمعنى وليميزن الصادق منهم من الكاذب ويجوز ان يكون وعدا ووعيدا
كانه قال وليثيبن الذين صدقوا وليعاقبن الكاذبين وقرأ علي رضي الله عنه والزهري وليعلمن
من الاعلام اي وليعرفنهم الله الناس من هم او ليسمنهم بعلامة يعرفون بها من بياض الوجوه و
سوادها وكحل العيون وزرقتها ام حسب الذين يعملون السيئات ان يسبقونا ان يفوتونا يعني ان الجزاء
يلحقهم لا محالة وهم لم يطمعوا في الفوت ولم يحدثوا به نفوسهم ولكنهم لغفلتهم وقلة فكرهم في العاقبة
واصرارهم على المعاصي في صورة من يقدر ذلك ويطمع فيه ونظيره وما هم بمعجزين في الارض ولا تحسبن
الذين كفروا سبقوا انهم لا يعجزون اين مفعولا حسب اشتمال صلة ان على مسند
ومسند اليه سد مسد المفعولين كقوله ام حسبتم ان تدخلوا الجنة ويجوز ان يضمن حسب معنى قدر
وام منقطعة ومعنى الاضراب فيها ان هذا الحسبان ابطل من الحسبان الاول لان ذاك يقدر انه لا يمتحن

هذا صح

لايمانه وهذا يظن انه لا يجازى بمساويه ساء ما يحكمون بئس الذي يحكمونه حكمهم هذا او بئس حكما يحكمونه
حكمهم هذا فحذف المخصوص بالذم لقاء الله مثل للوصول الى العاقبة من تلقي ملك الموت والبعث
والحساب والجزاء مثلت تلك الحال بحال عبد قدم على سيده بعد عهد طويل وقد اطلع مولاه على ما كان
يأتي ويذر فاما ان يلقاه ببشر وترحيب لما رضي من افعاله او بضد ذلك لما سخطه منها فمعنى قوله من كان
يرجو لقاء الله من كان يأمل تلك الحال وان يلقى فيها الكرامة من الله والبشرى فان اجل الله وهو الموت
لآت لا محالة فليبادر العمل الصالح الذي يصدق رجاءه ويحقق امله ويكتسب به القربة عند الله
والزلفى وهو السميع العليم الذي لا يخفى عليه شيء مما يقوله عباده ومما يفعلونه فهو حقيق بالتقوى و
الخشية وقيل يرجو يخاف من قول الهذلي في صفة عسال اذا لسعته الدبر لم يرج لسعها
فان اجل الله لآت كيف وقع جوابا للشرط اذا علم ان لقاء الله عنيت به تلك الحال

الممثلة والوقت الذي يقع فيه تلك الحال هو الاجل المضروب للموت فكانه قال من كان يرجو لقاء الله فان
لقاء الله لآت لان الاجل واقع فيه اللقاء كما تقول من كان يرجو لقاء الملك فان يوم الجمعة قريب اذا علم
انه يقعد للناس يوم الجمعة ومن جاهد نفسه في منعها ما تأمر به وحملها على ما تأباه فانما يجاهد لنفسه
ان الله لغني عن العالمين لها لان منفعة ذلك راجعة اليها وانما امر الله ونهى رحمة لعباده وهو الغني
عنهم وعن طاعتهم والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنكفرن عنهم سيئاتهم ولنجزينهم اما ان يريد قوما مسلمين
صالحين قد اساؤا في بعض اعمالهم وسيئاتهم مغمورة بحسناتهم فهو يكفرها عنهم اي يسقط عقابها
بثواب الحسنات ويجزيهم احسن الذي كانوا يعملون اي احسن جزاء اعمالهم واما قوما مشركين آمنوا
وعملوا الصالحات فالله عز وجل يكفر سيئاتهم بان يسقط عقاب ما تقدم لهم من الكفر والمعاصي
ويجزيهم احسن جزاء اعمالهم في الاسلام ووصى حكمه حكم امر في معناه وتصرفه يقال وصيت زيدا
بان يفعل خيرا كما تقول امرته بان يفعل ومنه بيت الاصلاح وذبيانية وصت بنيها
بان كذب القراطف والقروف كما لو قال امرتهم بان ينهبوها ومنه قوله تعالى ووصى بها ابرهيم
بنيه اي وصاهم بكلمة التوحيد وامرهم بها وقولك وصيت زيدا بعمرو معناه وصيته بتعهد عمرو
ومراعاته ونحو ذلك وكذلك معنى قوله ووصينا الانسان بوالديه حسنا وصيناه بايتاء والديه حسنا
او بايلاء والديه حسنا اي فعلا ذا حسن او ما هو في ذاته حسن لفرط حسنه كقوله وقولوا للناس
حسنا وقرئ حسنا واحسانا ويجوز ان يجعل حسنا من باب قولك زيدا باضمار اضرب اذا رايته
متهيئا للضرب فتنصبه باضمار اولهما او افعل بهما لان التوصية دالة عليه وما بعده
مطابق له كانه قال اولهما معروفا ولا تطعهما في الشرك اذا حملاك عليه وعلى هذا التفسير
ان وقف على بوالديه وابتدا حسنا حسن الوقف وعلى التفسير الاول لا بد من اضمار القول
معناه وقلنا ان جاهداك ايها الانسان لتشرك بي ما ليس لك به علم اي لا علم لك بالهيته والمراد
بنفي العلم نفي المعلوم كانه قال لتشرك بي شيئا لا يصح ان يكون الها ولا يستقيم وصاه بوالديه
وامره بالاحسان اليهما ثم نبهه بنهيه عن طاعتهما اذا اراداه على ما ذكر على ان كل حق وان عظم
ساقط اذا جاء حق الله وانه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق ثم قال الي مرجعكم مرجع من آمن منكم
ومن اشرك فاجازيكم حق جزائكم وفيه شيئان احدهما ان الجزاء الي فلا تحدث نفسك بجفوة
والديك وعقوقهما لشركهما ولا تحرمهما برك ومعروفك في الدنيا كما اني لا امنعهما رزقي والثاني
التحذير من متابعتهما على الشرك والحث على الثبات والاستقامة في الدين بذكر المرجع والوعيد

روى ان سعد بن ابى وقاص الزهرى حين اسلم قالت امه وهى حمنة بنت ابى سفيان بن امية بن عبد شمس
يا سعد بلغنى انك قد صبأت فوالله لا يظلنى سقف بيت من الضح والريح وان الطعام والشراب على
حرام حتى تكفر بمحمد وكان احب ولدها اليها فابى سعد وبقيت ثلثة ايام كذلك فجاء سعد
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وشكا اليه فنزلت هذه الآية والتى فى لقمان والتى فى الاحقاف فامره
رسول الله ان يداريها ويترضاها بالاحسان وروى انها نزلت فى عياش بن ابى ربيعة المخزومى
وذلك انه هاجر مع عمر بن الخطاب رضى الله عنه حتى نزلا المدينة فخرج ابو جهل بن هشام والحارث بن
هشام اخواه لامه اسماء بنت مخرمة امراة من بنى تميم من بنى حنظلة فنزلا بعياش وقالا له ان من
دين محمد صلى الله عليه وسلم صلة الارحام وبر الوالدين وقد تركت امك لا تطعم ولا تشرب ولا تأوى
بيتا حتى تراك وهى اشد حبا لك منا فاخرج معنا وفتلا منه فى الذروة والغارب فاستشار عمر
فقال هما يخدعانك ولك الى ان اقسم مالى بينى وبينك فما زالا به حتى اطاعهما وعصى عمر فقال عمر اما اذ
عصيتنى فخذ ناقتى فليس فى الدنيا بعير يلحقها فان رابك منهم ريب فارجع فلما انتهوا الى البيداء
قال ابو جهل ان ناقتى قد كلت فاحملنى معك قال نعم فنزل ليوطئ لنفسه وله فاخذاه وشداه
وثاقا وجلداه كل واحد مائة جلدة وذهبا به الى امه فقالت لا تزال فى عذاب حتى ترجع عن دين
محمد فنزلت فلا تطعهما الى مرجعكم فانبئكم بما كنتم تعملون والذين آمنوا وعملوا الصالحات لندخلنهم فى
الصالحين فى جملتهم والصلاح من ابلغ صفات المؤمنين وهو متمنى انبياء الله قال الله تعالى
حكاية عن سليمان وادخلنى برحمتك فى عبادك الصالحين وقال فى ابرهيم وانه فى الآخرة لمن
الصالحين او فى مدخل الصالحين وهى الجنة وهذا نحو قوله ومن يطع الله والرسول فاولئك مع
الذين انعم الله عليهم الآية ~~والذين آمنوا وعملوا الصالحات~~ ومن الناس من يقول آمنا بالله فاذا اوذى
فى الله جعل فتنة الناس كعذاب الله ولئن جاء نصر من ربك ليقولن انا كنا معكم اوليس الله باعلم هم
ناس كانوا يؤمنون بالسنتهم فاذا مسهم اذى من الكفار وهو المراد بفتنة الناس كان ذلك صارفا لهم
عن الايمان كما ان عذاب الله صارف للمؤمنين عن الكفر او كما يجب ان يكون عذاب الله صارفا واذا
نصر الله المؤمنين وغنمهم اعترضوهم وقالوا انا كنا معكم اى مشايعين لكم فى دينكم ثابتين عليه
ثباتكم ما قدر احد ان يفتننا فاعطونا نصيبنا من المغنم ثم اخبر سبحانه انه اعلم بما فى صدور
العالمين من العالمين بما فى صدورهم ومن ذلك ما تكن صدور هؤلاء من النفاق وهذا اطلاع منه
للمؤمنين على ما ابطنوه وليعلمن الله الذين آمنوا وليعلمن المنافقين ثم وعد المؤمنين واوعد المنافقين

وقرئ ليقولن بفتح اللام وقال الذين كفروا للذين آمنوا اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم وما هم بحاملين من خطاياهم
من شىء انهم لكاذبون امروهم باتباع سبيلهم وهى طريقتهم التى كانوا عليها فى دينهم وامروا انفسهم بحمل
خطاياهم فعطف الامر على الامر وارادوا ليجتمع هذان الامران فى الحصول ان تتبعوا سبيلنا وان نحمل
خطاياكم والمعنى تعليق الحمل بالاتباع وهذا قول صناديد قريش كانوا يقولون لمن آمن منهم لا نبعث نحن
ولا انتم فان عسى كان ذلك فانا نتحمل عنكم الاثم وترى فى المتسمين بالاسلام من يستن باولئك فيقول
لصاحبه اذا اراد ان يشجعه على ارتكاب بعض العظائم افعل هذا واثمه فى عنقى وكم من مغرور بمثل هذا
الضمان من ضعفة العامة وجهلتهم ومنه ما يحكى ان ابا جعفر المنصور رفع اليه بعض اهل الحشو
حوائجه فلما قضاها قال يا امير المؤمنين بقيت الحاجة العظمى قال وما هى قال شفاعتك يوم القيمة
فقال له عمرو بن عبيد اياك وهؤلاء فانهم قطاع الطريق فى المأمن   كيف سماهم كاذبين و
انما ضمنوا شيئا علم الله انهم لا يقدرون على الوفاء به وضامن ما لم يعلم اقتداره على الوفاء به لا يسمى كاذبا
لا حين ضمن ولا حين عجز لانه فى الحالين لا يدخل تحت حد الكاذب وهو المخبر عن الشىء لا على ما هو عليه
شبه الله حالهم حيث علم ان ما ضمنوه لا طريق لهم الى ان يفوا به فكان ضمانهم عنده لا على ما
عليه المضمون بالكاذبين الذين خبرهم لا على ما عليه المخبر عنه ويجوز ان يريد انهم كاذبون لانهم قالوا ذلك
وقلوبهم على خلافه كالكاذبين الذين يعدون الشىء وفى قلوبهم نية الخلف وليحملن اثقالهم اى اثقال
انفسهم واثقالا مع اثقالهم يعنى واثقالا اخر غير الخطايا التى ضمنوا للمؤمنين حملها وهى اثقال الذين
كانوا سببا فى ضلالهم وليسألن سؤال تقريع يوم القيمة عما كانوا يفترون اى يختلقون من الاكاذيب
والاباطيل وقرئ من خطيئاتهم ولقد ارسلنا نوحا الى قومه فلبث فيهم الف سنة الا خمسين عاما فاخذهم
الطوفان وهم ظالمون فانجيناه واصحاب السفينة كان عمر نوح عليه السلام الفا وخمسين سنة بعث على
راس اربعين ولبث فى قومه تسعمائة وخمسين وعاش بعد الطوفان ستين وعن وهب انه عاش
الفا واربعمائة سنة   هلا قيل تسعمائة وخمسون سنة   ما اورده الله احكم لانه
لو قيل كما قلت لجاز ان يتوهم اطلاق هذا العدد على اكثره وهذا التوهم زائل مع مجيئه كذلك و
كانه قيل تسعمائة وخمسين سنة كاملة وافية العدد الا ان ذلك اخصر واعذب لفظا واملأ
بالفائدة وفيه نكتة اخرى وهى ان القصة مسوقة لذكر ما ابتلى به نوح عليه السلام من امته وما
كابده من طول المصابرة تسلية لرسول الله وتثبيتا له فكان ذكر راس العدد الذى لا راس اكبر منه
اوقع واوصل الى الغرض من استطالة السامع مدة صبره   فلم جاء المميز اولا بالسنة

وثانيًا بالعام   لان تكريرا للفظ الواحد في الكلام الواحد حقيق بالاجتناب في البلاغة الا اذا
وقع ذلك لاجل غرض ينتحيه المتكلم من تفخيم او تهويل او تنويه او نحو ذلك   والطوفان ما اطاف و
احاط بكثرة وغلبة من سيل او ظلام ليل او نحوها قال العجاج   وغم طوفان الظلام الاثبا   اصحاب
السفينة كانوا ثمانية وسبعين نفسا نصفهم ذكور ونصفهم اناث منهم اولاد نوح سام وحام
ويافث ونساؤهم   وعن محمد بن اسحق كانوا عشرة خمسة رجال وخمس نسوة   وقد روي عن النبي
صلى الله عليه وسلم كانوا ثمانية نوح واهله وبنوه الثلاثة   وجعلناها آية للعالمين والضمير في
جعلناها للسفينة او للحادثة والقصة   وابرهيم اذ قال لقومه اعبدوا الله واتقوه ذلكم خير لكم   نصب
ابرهيم باضمار اذكر وابدل عنه اذ بدل الاشتمال لان الاحيان تشتمل على ما فيها او هو معطوف
على نوحا واذ ظرف لارسلنا يعني ارسلناه حين بلغ من السن والعلم مبلغا صلح فيه لان يعظ
قومه وينصحهم ويعرض عليهم الحق ويامرهم بالعبادة والتقوى وقرا ابرهيم النخعي وابو حنيفة
وابرهيم بالرفع على معنى ومن المرسلين ابرهيم   ان كنتم تعلمون ان كان فيكم علم بما هو خير لكم مما هو شر
لكم او ان نظرتم بعين الدراية المبصرة دون عين الجهل العمياء علمتم انه خير لكم   انما تعبدون من
دون الله اوثانا وتخلقون افكا ان الذين تعبدون من دون الله لا يملكون لكم رزقا   وقرئ تخلقون من خلق
بمعنى التكثير في خلق وتخلقون من تخلق بمعنى تكذب وتخرص وقرئ افكا وفيه وجهان ان يكون
مصدرا نحو كذب ولعب والافك مخفف منه كالكذب واللعب من اصلهما وان يكون صفة على
فعل اي خلقا افكا ذا افك وباطل واختلاقهم الافك تسميتهم الاوثان آلهة وشركاء لله
او شفعاء اليه او سمى الاصنام افكا وعملهم لها ونحتهم خلقا للافك   لم نكر الرزق
ثم عرفه   لانه اراد لا يستطيعون ان يرزقوكم شيئا من الرزق   فابتغوا عند الله الرزق
كله فانه هو الرازق وحده لا يرزق غيره   واعبدوه واشكروا له اليه ترجعون   وقرئ بفتح التاء فاستعدوا
للقائه والشكر له على انعمه   وان تكذبوا فقد كذب امم من قبلكم وما على الرسول الا البلاغ المبين
اولم يروا كيف يبدئ الله الخلق ثم يعيده ان ذلك على الله يسير   وان تكذبوني فلا تضروني فان تكذيبكم
فان الرسل قبلي قد كذبتهم اممهم وما ضروهم وانما ضروا انفسهم حيث حل بهم ما حل بسبب تكذيب
الرسل واما الرسول فقد تم امره حين بلغ البلاغ المبين الذي زال معه الشك وهو اقترانه
بآيات الله ومعجزاته او وان كنت مكذبا فيما بينكم فلي في سائر الانبياء اسوة وسلوة حيث كذبوا
وعلى الرسول ان يبلغ وما عليه ان يصدق ولا يكذب وهذه الآية والآيات التي بعدها الى قوله

فما كان جواب قومه محتملة ان تكون من جملة قول ابرهيم صلوات الله عليه لقومه وان تكون آيات وقعت معترضة
في شان رسول الله صلى الله عليه وسلم وشان قريش بين اول قصة ابرهيم وآخرها   اذا كانت من
قول ابرهيم فما المراد بالامم قبله   قوم شيث وادريس ونوح وغيرهم وكفى بقوم نوح امة في
معنى امم جمة مكذبة ولقد عاش ادريس الف سنة في قومه الى ان رفع الى السماء وآمن به الف انسان منهم
على عدد سنيه واعقابهم على التكذيب   فما تصنع بقوله قل سيروا في الارض   هي حكاية كلام
الله حكاه ابرهيم لقومه كما يحكي رسولنا عليه السلام كلام الله على هذا المنهاج في اكثر القرآن
فاذا كانت خطابا لقريش فما وجه توسطها بين طرفي قصة ابرهيم والجملة او الجمل الاعتراضية لا بد
لها من اتصال بما وقعت معترضة فيه الا تراك لا تقول مكة وزيد قائم خير بلاد الله
ايراد قصة ابرهيم ليس الا ارادة للتنفيس عن رسول الله وان يكون مسلاة له ومتفرجا بان اباه
ابرهيم خليل الله كان ممنوا بنحو ما مني به من شرك قومه وعبادتهم الاوثان فاعترض بقوله وان
تكذبوا على معنى انكم يا معشر قريش ان تكذبوا محمدا فقد كذب ابرهيم قومه وكل امة نبيها لان
قوله فقد كذب امم من قبلكم لا بد من تناوله لامة ابرهيم وهو كما ترى اعتراض واقع متصل
ثم سائر الآيات الواطئة عقيبها من اذيالها وتوابعها لكونها ناطقة بالتوحيد ودلائله وهدم الشرك
وتوهين قواعده وصفة قدرة الله وسلطانه ووضوح حجته وبرهانه   قرئ ترووا بالياء والتاء
ويبدئ ويبدأ   وقوله ثم يعيده ليس بمعطوف على يبدئ وليست الرؤية واقعة عليه وانما هو اخبار
على حياله بالاعادة بعد الموت كما وقع النظر في قوله كيف بدأ الخلق ثم الله ينشئ النشأة الآخرة ان
الله على كل شيء قدير يعذب من يشاء ويرحم من يشاء واليه تقلبون على البدء دون الانشاء ونحوه قولك
ما زلت اوثر فلانا واستخلفه على من اخلفه   هو معطوف بحرف العطف فلا بد له من
معطوف عليه فما هو   هو جملة قوله اولم يروا كيف يبدئ الله الخلق وكذلك واستخلفه
معطوف على جملة قوله ما زلت اوثر فلانا ذلك يرجع الى ما يرجع هو في قوله وهو اهون عليه من معنى
بعيد دل بقوله النشأة الآخرة على انهما نشأتان وان كل واحدة منهما انشاء اي ابتداء واختراع
واخراج من العدم الى الوجود لا تفاوت بينهما الا ان الآخرة انشاء بعد انشاء مثله والاولى
ليست كذلك وقرئ النشأة والنشاءة كالرأفة والرآفة   ما معنى الافصاح باسمه مع ايقاعه
مبتدأ في قوله ثم الله ينشئ النشأة الآخرة بعد اضماره في قوله كيف بدأ الخلق وكان القياس
ان يقال كيف بدأ الله الخلق ثم ينشئ النشأة الآخرة   الكلام معهم كان واقعا في الاعادة

وفيها كانت تصطك الركب فلما قررهم في الابداء بانه من الله احتج عليهم بان الاعادة انشاء مثل الابداء
فاذا كان الله الذي لا يعجزه شيء هو الذي لم يعجزه الابداء فهو الذي وجب ان لا يعجزه الاعادة
فكانه قال ثم ذاك الذي انشأ النشأة الاولى هو الذي ينشئ النشأة الآخرة فللدلالة وعلى التنبيه
على هذا المعنى ابرز اسمه واوقعه مبتدأ يعذب من يشاء تعذيبه ويرحم من يشاء رحمته ومتعلق
المشيئتين مفسر مبين في مواضع من القرآن وهو من يستوجبهما من الكافر والفاسق اذا لم يتب ومن
المعصوم والتائب تقلبون تردون وترجعون وما انتم بمعجزين ربكم اى لا تفوتونه ان هربتم من حكمه
وقضائه في الارض الفسيحة ولا في السماء وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير التي هي افسح منها وابسط
لو كنتم فيها كقوله ان استطعتم ان تنفذوا من اقطار السموات والارض فانفذوا وقيل ولا من في
السماء كما قال حسان امن يهجو رسول الله منكم ويمدحه وينصره سواء ويحتمل ان يراد لا
تعجزونه كيف ما هبطتم في مهاوي الارض واعماقها او علوتم في البروج والقلاع الذاهبة في السماء
كقوله ولو كنتم في بروج مشيدة او لا تعجزون امره الجاري في السماء والارض ان يجري عليكم فيصيبكم
ببلاء يظهر من الارض او ينزل من السماء والذين كفروا بآيات الله ولقائه اولئك بآيات الله بدلائله على
وحدانيته وكتبه ومعجزاته ولقائه والبعث يئسوا من رحمتي واولئك لهم عذاب اليم وعيد اى ييأسون
يوم القيمة كقوله ويوم تقوم الساعة يبلس المجرمون او هو وصف لحالهم لان المؤمن انما يكون
راجيا خاشيا فاما الكافر فلا يخطر بباله رجاء ولا خوف او شبه حالهم في انتفاء الرحمة عنهم
بحال من يئس من الرحمة وعن قتادة ان الله ذم قوما هانوا عليه فقال اولئك يئسوا من رحمتي
وقال انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون فينبغي للمؤمن ان لا ييأس من روح الله ولا من
رحمته وان لا يأمن عذابه وعقابه صفة المؤمن ان يكون راجيا لله خائفا فما كان جواب قومه الا ان
قالوا اقتلوه او حرقوه فانجاه الله من النار ان في ذلك لآيات لقوم يؤمنون وقال انما اتخذتم من دون الله
اوثانا مودة بينكم في الحيوة الدنيا ثم يوم القيمة يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضا ومأويكم النار و
ما لكم من ناصرين قرئ جواب قومه بالنصب والرفع قالوا قال بعضهم لبعض او قاله واحد منهم
وكان الباقون راضين فكانوا جميعا في حكم القائلين وروى انه لم ينتفع في ذلك اليوم بالنار
يعني يوم القي ابرهيم في النار وذلك لذهاب حرها قرئ على النصب بغير اضافة وباضافة
وعلى الرفع كذلك فالنصب على وجهين على التعليل اى لتتوادوا بينكم وتتواصلوا لاجتماعكم على
عبادتها واتفاقكم عليها وائتلافكم كما يتفق الناس على مذهب فيكون ذلك سبب تحابهم وتصادقهم

وان يكون مفعولا ثانيا كقوله واتخذ الهه هواه اى اتخذتم الاوثان سبب المودة بينكم على تقدير حذف
المضاف او اتخذتموها مودة بينكم بمعنى مودودة بينكم كقوله تعالى ومن الناس من يتخذ من دون الله
اندادا يحبونهم كحب الله وفي الرفع وجهان ان يكون خبرا لان على ان ما موصولة وان يكون خبر
مبتدأ محذوف والمعنى ان الاوثان مودة بينكم اى مودودة او سبب مودة وعن عاصم مودة
بينكم بفتح بينكم مع الاضافة كما قرئ لقد تقطع بينكم ففتح وهو فاعل وقرأ ابن مسعود اوثانا
انما مودة بينكم في الحيوة الدنيا اى انما تتوادون عليها او تودونها في الحيوة الدنيا ثم يوم القيمة
يقوم بينكم التلاعن والتباغض والتعادي يتلاعن العبدة ويتلاعن العبدة والاصنام كقوله
عز وعلا ويكونون عليهم ضدا فآمن له لوط كان لوط ابن اخت ابرهيم وهو اول من آمن له حين رأى النار
لم تحرقه وقال يعني ابرهيم اني مهاجر من كوثى وهي من سواد الكوفة الى حران ثم منها الى فلسطين ومن ثمه قالوا
لكل نبي هجرة ولابرهيم هجرتان وكان معه في هجرته لوط وامرأته سارة وهاجر وهو ابن خمس وسبعين سنة الى
ربي الى حيث امرني بالهجرة اليه انه هو العزيز الذي يمنعني من اعدائي الحكيم الذي لا يأمرني الا بما هو مصلحتي ووهبنا
له اسحق ويعقوب وجعلنا في ذريته النبوة والكتاب وآتيناه اجره في الدنيا وانه في الآخرة لمن الصالحين اجره الثناء
الحسن والصلوة عليه آخر الدهر والذرية الطيبة والنبوة وان اهل الملل كلهم يتولونه
ما بال اسمعيل لم يذكر وذكر اسحق وعقبه قد دل عليه في قوله وجعلنا في ذريته النبوة والكتاب
فلم يخل الدليل لشهرة امره وعلو قدره ما المراد بالكتاب قصد به جنس الكتاب حتى دخل
تحته ما نزل على ذريته من الكتب الاربعة التي هي التورية والزبور والانجيل والفرقان ولوطا اذ قال لقومه انكم
لتأتون الفاحشة معطوف على ابرهيم او على ما عطف عليه والفاحشة الفعلة البالغة في القبح وما سبقكم
بها من احد من العالمين جملة مستأنفة مقررة لفاحشة تلك الفعلة كان قائلا قال لم كانت فاحشة
فقيل لان احدا قبلهم لم يقدم عليها اشمئزازا منها في طباعهم لافراط قبحها حتى اقدم عليها قوم لوط لخبث
طينتهم وقذر طباعهم قالوا لم ينز ذكر على ذكر قبل قوم لوط قط وقرئ انكم بغير استفهام في الاول دون
الثاني قال ابو عبيد وجدته في الامام بحرف واحد بغير ياء ورأيت الثاني بحرفين الياء والنون وتقطعون
السبيل وتأتون في ناديكم المنكر فما كان جواب قومه الا ان قالوا ائتنا بعذاب الله وقطع السبيل عمل قطاع
الطريق من قتل الانفس واخذ الاموال وقيل اعتراضهم السابلة بالفاحشة وعن الحسن قطع النسل باتيان
ما ليس بحرث والمنكر عن ابن عباس هو الحذف بالحصا والرمي بالبنادق والفرقعة ومضغ العلك و
السواك بين الناس وحل الازار والسباب والفحش في المزاح وعن عائشة رضي الله عنها كانوا يتحابقون

من م

انكم لتأتون الرجال

وقيل السخرية بمن مرّ بهم وقيل المجاهرة في ناديهم بذلك العمل وكل معصية فاظهارها اقبح من سترها ولذلك جاء من خرق جلباب الحياء فلا غيبة له ولا يقال للمجلس نادٍ الا ما دام فيه اهله فاذا قاموا عنه لم يكن ناديا ان كنت من الصادقين فيما تعدنا من نزول العذاب قال رب انصرني على القوم المفسدين ولما جاءت رسلنا ابرهيم كانوا يفسدون الناس بحملهم على ما كانوا عليه من المعاصي والفواحش طوعا وكرها ولانهم ابتدعوا الفاحشة وسنّوها فيمن بعدهم وقال الله تعالى الذين كفروا وصدّوا عن سبيل الله زدناهم عذابا فوق العذاب بما كانوا يفسدون فاراد لوط عليه السلام ان يشتد غضب الله عليهم فذكر لذلك صفة المفسدين في دعائه بالبشرى هي البشارة بالولد والنافلة وهما اسحق ويعقوب قالوا انا مهلكوا اهل هذه القرية ان اهلها واضافة مهلكوا اضافة تخفيف لا تعريف والمعنى الاستقبال والقرية سدوم التي قيل فيها اجور من قاضي سدوم كانوا ظالمين معناه ان الظلم قد استمر منهم ايجاده في الايام السالفة وهم عليه مصرون وظلمهم كفرهم والوان معاصيهم قال ان فيها لوطا قالوا نحن اعلم بمن فيها لننجينه واهله الا امرأته كانت من الغابرين ان فيها لوطا ليس اخبارا لهم بكونه فيها وانما هو جدال في شأنه لانهم لما عللوا اهلاك اهلها بظلمهم اعترض عليهم بان فيها من هو بريء من الظلم واراد بالجدال اظهار الشفقة عليه وما يجب للمؤمن من التحزن لاخيه والتشمر في نصرته وحياطته والخوف من ان يمسه اذى او يلحقه ضرر قال قتادة لا يرى المؤمن ان لا يحوطا المؤمن الا ترى الى جوابهم بانهم اعلم منه بمن فيها يعنون نحن اعلم منك واخبر بحال لوط وحال قومه وامتيازه منهم الامتياز البين وانه لا يستأهل ما يستأهلون فخفض على نفسك وهون عليك الخطب وقرئ لننجينه بالتشديد والتخفيف وكذلك منجوك ولما ان جاءت رسلنا لوطا سيء بهم وضاق بهم ذرعا وقالوا لا تخف ولا تحزن انا منجوك واهلك الا امرأتك كانت من الغابرين ان صلة اكدت وجود الفعلين مترتبا احدهما على الآخر في وقتين متجاورين لا فاصل بينهما كانهما وجدا في جزء واحد من الزمان كانه قيل كما احس بمجيئهم فاجأته المساءة من غير ريث خيفة عليهم من قومه وضاق بهم ذرعا وضاق بشأنهم وبتدبير امرهم ذرعه اي طاقته وقد جعلت العرب ضيق الذراع والذرع عبارة عن فقد الطاقة كما قالوا رحب الذراع بكذا اذا كان مطيقا له والاصل فيه ان الرجل اذا طالت ذراعه نال ما لا يناله القصير الذراع فضرب ذلك مثلا في العجز والقدرة انا منزلون على اهل هذه القرية رجزا من السماء بما كانوا يفسقون الرجز والرجس العذاب من قولهم ارتجز وارتجس اذا اضطرب لما يلحق المعذب من القلق والاضطراب وقرئ منزلون مخففا ومشددا ولقد تركنا منها من القرية آية بينة هي آثار منازلهم الخربة وقيل بقية الحجارة وقيل الماء الاسود على وجه الارض وقيل الخبر عما صنع

بهم لقوم يعقلون يتعلق بتركنا او ببينة والى مدين اخاهم شعيبا فقال يا قوم اعبدوا الله وارجوا اليوم الآخر ولا تعثوا في الارض مفسدين وارجوا وافعلوا ما ترجون به العاقبة فاقيم المسبب مقام السبب والمراد اشتراط ما تسوغه من الايمان كما يؤمر الكافر بالشرعيات على ارادة الشرط وقيل هو من الرجاء بمعنى الخوف فكذبوه فاخذتهم الرجفة فاصبحوا والرجفة الزلزلة الشديدة وعن الضحاك صيحة جبريل لان القلوب رجفت لها في دارهم في بلدهم وارضهم او في ديارهم فاكتفى بالواحد لانه لا يلبس جاثمين باركين على الركب ميتين وعادا وثمودا منصوب باضمار اهلكنا لان قوله فاخذتهم الرجفة يدل عليه لانه في معنى الاهلاك وقد تبين لكم ذلك يعني ما وصفه من اهلاكهم من جهة مساكنهم اذا نظرتم اليها عند مروركم بها وكان اهل مكة يمرون عليها في اسفارهم فيبصرونها وزين لهم الشيطان اعمالهم فصدهم عن السبيل وكانوا مستبصرين عقلاء متمكنين من النظر والافتكار ولكنهم لم يفعلوا او كانوا متبينين ان العذاب نازل بهم لان الله قد بين لهم على السنة الرسل ولكنهم لجوا حتى هلكوا وقارون وفرعون وهامان ولقد جاءهم موسى بالبينات فاستكبروا في الارض وما كانوا سابقين فكلا اخذنا بذنبه فمنهم من ارسلنا عليه حاصبا ومنهم من اخذته الصيحة ومنهم من خسفنا به الارض ومنهم من اغرقنا وما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا انفسهم يظلمون سابقين فائتين ادركهم امر الله فلم يفوتوه الحاصب لقوم لوط وهي الريح عاصف فيها حصباء وقيل ملك كان يرميهم والصيحة لمدين وثمود والخسف لقارون والغرق لقوم نوح وفرعون مثل الذين اتخذوا من دون الله اولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتا الغرض تشبيه ما اتخذوه متكلا ومعتمدا في دينهم وتولوه من دون الله بما هو مثل عند الناس في الوهن وضعف القوة وهو نسج العنكبوت الا ترى الى مقطع التشبيه وهو قوله وان اوهن البيوت لبيت العنكبوت لو كانوا يعلمون وكل احد يعلم وهن بيت العنكبوت **قلت** معناه لو كانوا يعلمون ان هذا مثلهم وان امر دينهم بالغ هذه الغاية من الوهن ووجه آخر وهو انه اذا صح تشبيه ما اعتمدوه في دينهم ببيت العنكبوت وقد صح ان اوهن البيوت بيت العنكبوت فقد تبين ان دينهم اوهن الاديان لو كانوا يعلمون او اخرج الكلام بعد تصحيح التشبيه مخرج المجاز وكانه قال وان اوهن ما يعتمد عليه في الدين عبادة الاوثان لو كانوا يعلمون ولقائل ان يقول مثل المشرك الذي يعبد الوثن بالقياس الى المؤمن الذي يعبد الله مثل عنكبوت يتخذ بيتا بالاضافة الى رجل يبني بيتا بآجر وجص او ينحته من صخر وكما ان اوهن البيوت اذا استقريتها بيتا بيتا بيت العنكبوت كذلك اضعف الاديان اذا استقريتها دينا دينا عبادة الاوثان لو كانوا يعلمون ان الله يعلم ما يدعون من دونه من شيء قرئ تدعون بالتاء والياء

وهذا توكيد للمثل وزيادة عليه حيث لم يجعل ما يدعونه شيئا وهو العزيز الحكيم فيه تجهيل لهم حيث
عبدوا ما ليس بشيء لانه جماد ليس معه مصحح العلم والقدرة اصلا وتركوا عبادة القادر القاهر على كل شيء
الحكيم الذي لا يفعل شيئا الا بحكمة وتدبير وتلك الامثال نضربها للناس وما يعقلها الا العالمون خلق
الله السموات والارض كان الجهلة والسفهاء من قريش يقولون ان رب محمد يضرب المثل بالذباب و
العنكبوت ويضحكون من ذلك فلذلك قال وما يعقلها الا العالمون اى لا يعقل صحتها وحسنها وفائدتها
الا هم لان الامثال والتشبيهات انما هي الطرق الى المعاني المحتجبة في الاستار حتى تبرزها وتكشف
عنها وتصورها للافهام كما صور هذا التشبيه الفرق بين حال المشرك وحال الموحد وعن النبي
صلى الله عليه وسلم انه تلا هذه الاية فقال العالم من عقل عن الله فعمل بطاعته واجتنب سخطه بالحق اى
بالغرض الصحيح الذي هو حق لا باطل وهو ان يكونا مساكن عباده وعبرة للمعتبرين منهم ودلائل على
عظم قدرته الا ترى الى قوله ان في ذلك لاية للمؤمنين ونحوه قوله تعالى وما خلقنا السماء والارض وما
بينهما باطلا ثم قال ذلك ظن الذين كفروا اتل ما اوحي اليك من الكتاب واقم الصلوة ان الصلوة تنهى عن
الفحشاء والمنكر الصلوة تكون لطفا في ترك المعاصي فكانها ناهية عنها كم من مصل يرتكب
ولا تنهاه صلوته الصلوة التي هي الصلوة عند الله المستحق بها الثواب ان يدخل فيها
مقدما للتوبة النصوح متقيا لقوله تعالى انما يتقبل الله من المتقين ويصليها خاشعا بالقلب
في الجوارح فقد روي عن حاتم كانه رجلي على الصراط والجنة عن يميني والنار عن يساري وملك الموت
من فوقي واصلي بين الخوف والرجاء ثم يحوطها بعد ان يصليها فلا يحبطها فهي الصلوة التي تنهى عن
الفحشاء والمنكر وعن ابن عباس من لم تامره صلوته بالمعروف وتنهه عن المنكر لم يزدد بصلوته
من الله الا بعدا وعن الحسن من لم تنهه صلوته عن الفحشاء فليست صلوته بصلوة وهي وبال عليه
وقيل من كان مراعيا للصلوة جره ذلك الى ان ينتهي عن السيئات يوما ما فقد روي انه قيل لرسول
الله صلى الله عليه وسلم ان فلانا يصلي بالنهار ويسرق بالليل فقال ان صلوته لتردعه وروي
ان فتى من الانصار كان يصلي معه الصلوات ولا يدع شيئا من الفواحش الا ركبه فوصف له
فقال ان صلوته ستنهاه فلم يلبث ان تاب وعلى كل حال فان المراعي للصلوة لا بد ان يكون
ابعد من الفحشاء والمنكر ممن لا يراعيها وايضا فكم من مصلين تنهاهم الصلوة عن الفحشاء و
المنكر واللفظ لا يقتضي ان لا يخرج واحد من المصلين عن قضيتها كما تقول ان زيدا ينهى عن المنكر
فليس غرضك انه ينهى عن جميع المناكير وانما تريد ان هذه الخصلة موجودة فيه وحاصلة منه من

غير اقتضاء للعموم ولذكر الله اكبر يريد وللصلوة اكبر من غيرها من الطاعات وسماها بذكر الله كما قال
فاسعوا الى ذكر الله وانما قال ولذكر الله ليستقل بالتعليل كانه قال وللصلوة اكبر لانها ذكر الله
او ولذكر الله عند الفحشاء والمنكر وذكر نهيه عنهما ووعيده عليهما اكبر وكان اولى بان ينهى من اللطف
الذي في الصلوة وعن ابن عباس ولذكر الله اياكم برحمته اكبر من ذكركم اياه بطاعته والله يعلم
ما تصنعون من الخير والطاعة فيثيبكم احسن الثواب ولا تجادلوا اهل الكتاب الا بالتي هي احسن بالخصلة
التي هي احسن وهي مقابلة الخشونة باللين والغضب بالكظم والسورة بالاناة كما قال ادفع بالتي
هي احسن الا الذين ظلموا منهم فافرطوا في الاعتداء والعناد ولم يقبلوا النصح ولم ينفع فيهم الرفق
فاستعملوا معهم الغلظة وقيل الا الذين آذوا رسول الله وقيل الا الذين اثبتوا الولد والشريك
وقالوا يد الله مغلولة وقيل معناه ولا تجادلوا الداخلين في الذمة المؤدين للجزية الا
بالتي هي احسن الا الذين ظلموا فنبذوا الذمة ومنعوا الجزية فان اولئك مجادلتهم بالسيف
وعن قتادة الاية منسوخة بقوله تعالى قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الاخر ولا مجادلة
اشد من السيف وقوله وقولوا امنا بالذي انزل الينا وانزل اليكم والهنا والهكم واحد ونحن له مسلمون
من جنس المجادلة بالتي هي احسن وعن النبي صلى الله عليه وسلم ما حدثكم اهل الكتاب فلا تصدقوهم
ولا تكذبوهم وقولوا امنا بالله وكتبه ورسله فان كان باطلا لم تصدقوهم وان كان حقا لم تكذبوهم
وكذلك ومثل ذلك الانزال انزلنا اليك الكتاب اى انزلناه مصدقا لسائر الكتب السماوية تحقيقا
لقوله امنا بالذي انزل الينا وانزل اليكم وقيل وكما انزلنا الكتب الى من قبلك انزلنا اليك الكتاب
فالذين آتيناهم الكتاب هو عبد الله بن سلام ومن آمن معه يؤمنون به ومن هؤلاء من يؤمن به ومن
هؤلاء من اهل مكة وقيل اراد بالذين اوتوا الكتاب الذين تقدموا عهد رسول الله من اهل الكتاب
ومن هؤلاء ممن في عهده منهم وما يجحد باياتنا الا الكافرون مع ظهورها وزوال الشبهة عنها الا
المتوغلون في الكفر المصممون عليه وقيل هم كعب بن الاشرف واصحابه وما كنت تتلو من قبله من
كتاب ولا تخطه بيمينك وانت امي ما عرفك احد قط بتلاوة كتاب ولا خط اذا لو كان شيء
من ذلك اى من التلاوة والخط لارتاب المبطلون من اهل الكتاب وقالوا الذي نجده في كتبنا امي
لا يكتب ولا يقرأ وليس به او لارتاب مشركوا مكة وقالوا لعله تعلمه او كتبه بيده
لم سماهم مبطلين ولو لم يكن اميا وقالوا ليس بالذي نجده في كتبنا لكانوا صادقين محقين و
لكان اهل مكة ايضا على حق في قولهم لعله تعلمه او كتبه فانه رجل قارئ كاتب

سماهم مبطلين لانهم كفروا به وهو امي بعيد من الريب وكانه قال هؤلاء المبطلون في كفرهم به لو لم يكن
اميا لارتابوا اشد الريب فحين ليس بقارئ كاتب فلا وجه لارتيابهم وشيء آخر وهو ان سائر
الانبياء لم يكونوا اميين ووجب الايمان بهم وبما جاءوا به لكونهم مصدقين من جهة الحكيم بالمعجزات
فهب انه قارئ كاتب فما لهم لم يؤمنوا به من الوجه الذي آمنوا منه بموسى وعيسى على ان المنزلين
ليسا بمعجزين وهذا المنزل معجز فاذن هم مبطلون حيث لم يؤمنوا به وهو امي ومبطلون لو لم يؤمنوا
به وهو غير امي   ما فائدة قوله بيمينك   ذكر اليمين وهي الجارحة التي يزاول بها الخط
زيادة تصوير لما نفي عنه من كونه كاتبا الا ترى انك اذا قلت في الاثبات رايت الامير يخط هذا الكتاب
بيمينه كان اشد لاثباتك انه تولى كتبته فكذلك النفي بل هو بل القرآن آيات بينات في صدور الذين
اوتوا العلم وما يجحد باياتنا الا الظالمون العلماء به وحفاظه وهما من خصائص القرآن كون آياته
بينات الاعجاز وكونه محفوظا في الصدور يتلوه اكثر الامة ظاهرا بخلاف سائر الكتب فانها لم
تكن معجزات وما كانت تقرأ الا من المصاحف ومنه ما جاء في صفة هذه الامة صدورهم
اناجيلهم وما يجحد بايات الله الواضحة الا المتوغلون في الظلم المكابرون وقرئ آية وآيات

وقالوا لولا انزل عليه آيات

ارادوا هلا انزل عليه آية مثل ناقة صالح ومائدة عيسى ونحو ذلك من ربه قل انما الآيات عند الله
ينزل ايتها شاء ولو شاء ان ينزل ما يقترحونه لفعل وانما انا نذير مبين كلفت الانذار
وابانته بما اعطيت من الآيات وليس لي ان اتخير على الله آياته فاقول انزل علي آية كذا دون
آية كذا مع علمي ان الغرض من الآية ثبوت الدلالة والآيات كلها في حكم آية واحدة في ذلك ثم قال
اولم يكفهم انا انزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم ان في ذلك آية مغنية عن سائر الآيات ان كانوا طالبين
للحق غير متعنتين هذا القرآن الذي يدوم تلاوته عليهم في كل مكان وزمان فلا يزال معهم آية ثابتة
لا تزول ولا تضمحل كما تزول كل آية بعد كونها وتكون في مكان دون مكان ان في مثل هذه
الآية الموجودة في كل مكان وزمان الى آخر الدهر لرحمة وذكرى لنعمة عظيمة لا تشكر وتذكرة
لقوم يؤمنون وقيل اولم يكفهم يعني اليهود انا انزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم بتحقيق ما في
ايديهم من نعتك ونعت دينك وقيل ان ناسا من المسلمين اتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بكتف
قد كتبوا فيها بعض ما يقول اليهود فلما ان نظر اليها القاها وقال كفى بها حماقة قوم او
ضلالة قوم ان يرغبوا عما جاءهم به نبيهم الى ما جاء به غير نبيهم فنزلت والوجه ما ذكرنا قل كفى بالله
بيني وبينكم شهيدا اني قد بلغتكم ما ارسلت به اليكم وانذرتكم وانكم قابلتموني بالجحد والتكذيب

يعلم ما في السموات والارض فهو مطلع على امري وامركم وعالم بحقي وباطلكم والذين آمنوا بالباطل منكم وهو ما تعبدون
من دون الله وكفروا بالله وآياته اولئك هم الخاسرون المغبونون في صفقتهم حيث اشتروا الكفر بالايمان الا ان
الكلام ورد مورد الانصاف كقوله وانا او اياكم لعلى هدى او في ضلال مبين وكقول حسان
فشركما لخيركما الفداء وروي ان كعب بن الاشرف واصحابه قالوا يا محمد من يشهد لك بانك رسول الله فنزلت
ويستعجلونك بالعذاب كان استعجال العذاب استهزاء منهم وتكذيبا والنضر بن الحارث هو الذي قال اللهم امطر
علينا حجارة من السماء كما قال اصحاب الايكة فاسقط علينا كسفا من السماء ولولا اجل مسمى قد سماه الله وبينه
في اللوح لعذابهم واوجبت الحكمة تاخيره الى ذلك الاجل المسمى لجاءهم العذاب عاجلا والمراد بالاجل الآخرة لما روي
ان الله عز وجل وعد رسول الله ان لا يعذب قومه ولا يستاصلهم وان يؤخر عذابهم الى يوم القيمة وقيل يوم بدر
وقيل وقت فنائهم باجالهم وليأتينهم بغتة وهم لا يشعرون يستعجلونك بالعذاب وان جهنم لمحيطة بالكافرين لمحيطة
اي ستحيط بهم يوم يغشاهم العذاب او هي محيطة بهم في الدنيا لان المعاصي التي توجبها محيطة بهم او لانها
مآلهم ومرجعهم لا محالة فكانها الساعة محيطة بهم ويوم يغشاهم على هذا منصوب بمضمر اي يوم يغشاهم
العذاب كان كيت وكيت ومن فوقهم ومن تحت ارجلهم كقوله لهم من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل ويقول
قرئ بالنون والياء ذوقوا ما كنتم تعملون اي جزاءه يا عبادي الذين آمنوا ان ارضي واسعة معنى الآية ان
المؤمن اذا لم يتسهل له العبادة في بلد هو فيه ولم يتمش له امر دينه كما يحب فليهاجر عنه الى بلد يقدر
انه فيه اسلم قلبا واصح دينا واكثر عبادة واحسن خشوعا ولعمري ان البقاع تتفاوت في ذلك التفاوت الكثير
ولقد جربنا وجرب اولونا فلم نجد فيما درنا وداروا اعون على قهر النفس وعصيان الشهوة واجمع للقلب
المتلفت واضم للهم المنتشر واحث على القناعة واطرد للشيطان وابعد من كثير من الفتن واضبط
للامر الديني في الجملة من سكنى حرم الله وجوار بيت الله فلله الحمد على ما سهل من ذلك وقرب ورزق
من الصبر واوزع من الشكر وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم من فر بدينه من ارض الى ارض وان
كان شبرا من الارض استوجب الجنة وكان رفيق ابرهيم ومحمد وقيل هي في المستضعفين بمكة الذين
نزل فيهم الم تكن ارض الله واسعة فتهاجروا فيها وانما كان ذلك لان امر دينهم ما كان يستتب لهم بين
ظهراني الكفرة فاياي فاعبدون في المتكلم نحو اياه ضربته في الغائب واياك عضتك في المخاطب والتقدير
فاياي فاعبدوا فاعبدون   ما معنى الفاء في فاعبدون وتقدم المفعول   الفاء جواب
شرط محذوف لان المعنى ان ارضي واسعة فان لم تخلصوا العبادة لي في ارض فاخلصوها لي في غيرها ثم حذف
الشرط وعوض من حذفه تقديم المفعول مع افادة تقديمه معنى الاختصاص والاخلاص لما امر عباده

بالحرص على العبادة وصدق الاهتمام بها حتى يتطلبوا لها اوفق البلاد وان شسعت ابتغه قوله كل نفس
ذائقة الموت اى واجدة مرارته وكربه كما يجد الذائق طعم المذوق ومعناه انكم ميتون فواصلون الى الجزاء
ومن كانت هذه عاقبته لم يكن له بد من التزود لها والاستعداد بجهده لنبوئنهم لننزلنهم من الجنة غرفا تجري
من تحتها الانهار خالدين فيها نعم اجر العاملين علالي وقرئ لنثوينهم من الثواء وهو النزول للاقامة يقال
ثوى في المنزل واثوى غيره وثوى غير متعد فاذا تعدى بزيادة همزة النقل لم يتجاوز مفعولا واحدا نحو
ذهب واذهبته والوجه في تعديته الى ضمير المؤمنين والى الغرف اما اجراؤه مجرى لننزلنهم ونبوئنهم
او حذف الجار وايصال الفعل او تشبيه الظرف الموقت بالمبهم وقرأ يحيى بن وثاب فنعم بزيادة الفاء الذين
صبروا وعلى ربهم يتوكلون على مفارقة الاوطان والهجرة لاجل الدين وعلى اذى المشركين وعلى المحن والمصائب
وعلى الطاعات وعن المعاصي ولم يتوكلوا في جميع ذلك الا على الله لما امر رسول الله صلى الله عليه وسلم من اسلم
بمكة بالهجرة خافوا الفقر والضيعة فكان يقول الرجل منهم كيف اقدم بلدة ليست لي فيها معيشة
فنزلت والدابة كل نفس دبت على وجه الارض عقلت او لم تعقل وكاين من دابة لا تحمل رزقها لا تطيق ان
تحمله لضعفها عن حمله الله يرزقها واياكم اى لا يرزق تلك الدواب الضعاف الا الله ولا يرزقكم
ايضا ايها الاقوياء الا هو وان كنتم مطيقين لحمل ارزاقكم وكسبها لانه لو لم يقدركم ولم يقدر لكم
اسباب الكسب لكنتم اعجز من الدواب التي لا تحمل وعن الحسن لا تحمل رزقها لا تدخره انما تصبح
فيرزقها الله وعن ابن عيينة ليس شيء يخبأ الا الانسان والنملة والفارة وعن بعضهم رايت
البلبل يحتكر في حضنيه ويقال للعقعق مخابئ الا انه ينساها وهو السميع لقولكم نخشى الفقر
والضيعة العليم بما في ضمائركم ولئن سالتهم من خلق السموات والارض وسخر الشمس والقمر ليقولن الله
الضمير في سالتهم لاهل مكة فانى يؤفكون فكيف يصرفون عن توحيد الله وان لا يشركوا به مع اقرارهم
بانه خالق السموات والارض الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر له قدر الرزق وقتره بمعنى اذا ضيقه
الذي رجع اليه الضمير في قوله ويقدر له من يشاء كان بسط الرزق وقتره جعلا لواحد
يحتمل الوجهين جميعا ان يريد ويقدر لمن يشاء فوضع الضمير موضع من يشاء لان من
يشاء مبهم غير معين فكان الضمير مبهما مثله وان يريد تعاقب الامرين على واحد على حسب المصلحة
ان الله بكل شيء عليم يعلم ما يصلح العباد وما يفسدهم ولئن سالتهم من نزل من السماء ماء فاحيا به الارض من
بعد موتها ليقولن الله استحمد رسول الله على انه ممن اقر بنحو ما اقروا به ثم نفعه ذلك في توحيد الله
ونفي الانداد والشركاء عنه ولم يكن اقرارا عاطلا كاقرار المشركين وعلى انهم اقروا بما هو حجة عليهم حيث

نسبوا النعمة الى الله وقد جعلوا العبادة للصنم ثم قال بل اكثرهم لا يعقلون ما يقولون وما فيه
من الدلالة على بطلان الشرك وصحة التوحيد او لا يعقلون ما تريد بقولك الحمد لله ولا يفطنون لم
لم حمدت الله عند مقالتهم وما هذه الحيوة الدنيا الا لهو ولعب هذه فيها ازدراء للدنيا وتصغير
لامرها وكيف لا يصغرها وهي لا تزن عنده جناح بعوضة يريد ما هي لسرعة زوالها عن اهلها وموتهم
عنها الا كما يلعب الصبيان ساعة ثم يتفرقون وان الدار الاخرة لهي الحيوان اى ليس فيها الا حياة
مستمرة دائمة خالدة لا موت فيها فكانها في ذاتها حياة والحيوان مصدر حيي وقياسه حييان
فقلبت الياء الثانية واوا كما قالوا حيوة في اسم رجل وبه سمي ما فيه حيوة حيوانا قالوا اشتق من
من الموتان ولا تشتق من الحيوان وفي بناء الحيوان زيادة معنى ليس في بناء الحيوة وهي في بناء فعلان
من معنى الحركة والاضطراب كالنزوان والنفضان واللهبان وما اشبه ذلك والحياة حركة
كما ان الموت سكون فمجيئه على بناء دال على معنى الحركة مبالغة في معنى الحيوة ولذلك اختيرت على
الحياة في هذا الموضع المقتضي للمبالغة لو كانوا يعلمون فلم يؤثروا الحياة الدنيا عليها
بم اتصل قوله فاذا ركبوا بمحذوف دل عليه ما وصفهم به وشرح من امرهم معناه هم على ما وصفوا
به من الشرك والعناد فاذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين كائنين في صورة من يخلص الدين
لله من المؤمنين حيث لا يذكرون الا الله ولا يدعون معه الها اخر وفي تسميتهم مخلصين ضرب
من التهكم فلما نجاهم الى البر اذا هم يشركون وامنوا عادوا الى حال الشرك واللام في ليكفروا بما اتيناهم
محتملة ان تكون لام كي وكذلك في وليتمتعوا فيمن قرأها بالكسر والمعنى انهم يعودون الى شركهم
ليكونوا بالعود الى شركهم كافرين بنعمة النجاة قاصدين التمتع بها والتلذذ لا غير على خلاف ما هو
عادة المؤمنين المخلصين على الحقيقة اذا انجاهم الله ان يشكروا نعمة الله في انجائهم ويجعلوا
نعمة النجاة ذريعة الى ازدياد الطاعة لا الى التمتع والتلذذ وان يكون لام الامر وقراءة من قرأ
وليتمتعوا بالسكون تشهد له ونحوه قوله تعالى اعملوا ما شئتم انه بما تعملون بصير
كيف جاز ان يامر الله تعالى بالكفر وبان يعمل العصاة ما شاؤا وهو ناه عن ذلك ومتوعد عليه
هو مجاز عن الخذلان والتخلية وان ذلك الامر متسخط الى غاية ومثاله ان ترى الرجل
قد عزم على امر وعندك ان ذلك الامر خطأ وانه يؤدي الى ضرر عظيم فتبالغ في نصحه واستنزاله
عن رايه فاذا لم تر منه الا الاباء والتصميم حردت عليه وقلت انت وشانك وافعل ما شئت فلا تريد
بهذا حقيقة الامر وكيف والامر بالشيء مريد له وانت شديد الكراهة متحسر ولكنك كانك تقول له فاذ

قد أبيت قبول النصيحة فأنت أهل ليقال لك افعل ما شئت وتبعث عليه ليتبين لك إذا فعلت صحة
رأي الناصح وفساد رأيك. أولم يروا أنا جعلنا حرما آمنا ويتخطف الناس من حولهم أفبالباطل يؤمنون وبنعمة الله يكفرون
كانت العرب حول مكة يغزو بعضهم بعضا ويتغاورون ويتناهبون وأهل مكة قارّون آمنون فيها لا
يغزون ولا يغار عليهم مع قلتهم وكثرة العرب فذكّرهم الله هذه النعمة الخاصة ووبخهم بأنهم يؤمنون
بالباطل الذي هم عليه ومثل هذه النعمة المكشوفة الظاهرة وغيرها من النعم التي لا يقدر عليها إلا
الله وحده مكفورة عندهم. ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو كذب بالحق: افتراؤهم على الله كذبا زعمهم أن لله
شريكا وتكذيبهم بما جاءهم من الحق كفرهم بالرسول والكتاب وفي قوله لما جاءه تسفيه لهم يعني لم يتلعثموا
في تكذيبه وقت سمعوه ولم يفعلوا كما يفعل المراجيح العقول المتثبتون في الأمور يسمعون الخبر فيستعملون
فيه الروية والفكر ويستأنون إلى أن يصح لهم صدقه أو كذبه. أليس تقرير لثوائهم في جهنم كقوله
ألستم خير من ركب المطايا. قال بعضهم ولو كان استفهاما ما أعطاه الخليفة مائة من الإبل. وحقيقته
أن الهمزة همزة الإنكار دخلت على النفي فرجع إلى معنى التقرير فهما وجهان أحدهما ألا يثوون في جهنم ولا يستوجبون
الثواء فيها وقد افتروا مثل هذا الكذب على الله وكذبوا بالحق هذا التكذيب والثاني ألم يصح عندهم أن في
جهنم مثوى للكافرين حتى اجترؤوا مثل هذه الجرأة. والذين جاهدوا: أطلق المجاهدة ولم يقيدها بمفعول
ليتناول كل ما يجب مجاهدته من النفس الأمارة بالسوء والشيطان وأعداء الدين. فينا: في حقنا ومن
أجلنا ولوجهنا. لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين: لنزيدنهم هداية إلى سبيل الخير وتوفيقا كقوله
والذين اهتدوا زادهم هدى. وعن أبي سليمان الداراني: والذين جاهدوا فيما علموا لنهدينهم إلى ما
لم يعلموا. وعن بعضهم من عمل بما يعلم وفّق لما لا يعلم. وقيل إن الذي نرى من جهلنا بما لا نعلم إنما هو
تقصيرنا فيما نعلم. لمع المحسنين: لناصرهم ومعينهم. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة
العنكبوت كان له من الأجر عشر حسنات بعدد كل المؤمنين والمنافقين

سورة الروم مكية إلا قوله فسبحان الله وهي ستون آية وقيل تسع وخمسون

بسم الله الرحمن الرحيم الم غلبت الروم في أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون
في بضع سنين: القراءة المشهورة الكثيرة غلبت بضم الغين وسيغلبون بفتح الياء. والأرض أرض العرب
لأن الأرض المعهودة عند العرب أرضهم والمعنى غلبوا في أدنى أرض العرب وهي أطراف الشام أو أراد أرضهم
على إنابة اللام مناب المضاف إليه أي في أدنى أرض عدوهم. قال مجاهد هي أرض الجزيرة وهي أدنى أرض
الروم إلى فارس. وعن ابن عباس الأردن وفلسطين. وقرئ في أداني الأرض. والبضع ما بين الثلاث إلى العشر

عن الأصمعي. وقيل احتربت الروم وفارس بين أذرعات وبصرى فغلبت فارس الروم فبلغ الخبر مكة فشق
على رسول الله والمسلمين لأن فارس مجوس لا كتاب لهم والروم أهل كتاب وفرح المشركون وشمتوا وقالوا أنتم و
النصارى أهل كتاب ونحن وفارس أميون وقد ظهر إخواننا على إخوانكم ولنظهرن نحن عليكم فنزلت فقال لهم
أبو بكر رضي الله عنه لا يقرر الله أعينكم فوالله لتظهرن الروم على فارس بعد بضع سنين فقال له أبي بن خلف
كذبت يا أبا فصيل اجعل بيننا أجلا أناحبك عليه والمناحبة المراهنة فناحبه على عشر قلائص من كل واحد
منهما وجعل الأجل ثلاث سنين فأخبر أبو بكر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال البضع ما بين الثلاث إلى
التسع فزايده في الخطر ومادّه في الأجل فجعلاها مائة قلوص إلى تسع سنين ومات أبي من جرح رسول
الله صلى الله عليه وسلم وظهرت الروم على فارس يوم الحديبية وذلك عند رأس سبع سنين وقيل كان
النصر يوم بدر للفريقين فأخذ أبو بكر الخطر من ذرية أبي وجاء به إلى رسول الله فقال تصدق به وهذه
الآية من الآيات البينة الشاهدة على صحة النبوة وأن القرآن من عند الله لأنها إنباء عن علم الغيب الذي
لا يعلمه إلا الله. وقرئ غلبهم بسكون اللام والغلْب والغلَب مصدران كالجلْب والجلَب والحلْب والحلَب
وقرئ غلبت الروم بالفتح وسيغلبون بالضم ومعناه أن الروم غلبوا على ريف الشام وسيغلبهم
المسلمون في بضع سنين وعند انقضاء هذه المدة أخذ المسلمون في جهاد الروم وإضافة غلبهم تختلف
باختلاف القراءتين فهي في إحداهما إضافة المصدر إلى المفعول وفي الثانية إضافته إلى الفاعل و
مثالها محرم عليكم إخراجهم. ولن يخلف الله وعده. كيف صحت المناحبة وإنما هي قمار؟
عن قتادة أنه كان ذلك قبل تحريم القمار ومن مذهب أبي حنيفة رحمه الله ومحمد أن العقود
الفاسدة من عقود الربا وغيرها جائزة في دار الحرب بين المسلمين والكفار وقد احتجا على صحة ذلك
بما عقده أبو بكر رضي الله عنه بينه وبين أبي بن خلف. لله الأمر من قبل ومن بعد: أي في أول الوقتين وفي
آخرهما حين غلبوا وحين يغلبون كأنه قيل من قبل كونهم غالبين وهو وقت كونهم مغلوبين
ومن بعد كونهم مغلوبين وهو وقت كونهم غالبين يعني أن كونهم مغلوبين أولا وغالبين آخرا ليس
إلا بأمر الله وقضائه وتلك الأيام نداولها بين الناس. وقرئ من قبلٍ ومن بعدٍ على الجر من غير تقدير
مضاف إليه واقتطاعه كأنه قيل قبلا وبعدا بمعنى أولا وآخرا. ويومئذ: ويوم تغلب الروم على
فارس ويحل ما وعده الله من غلبتهم. يفرح المؤمنون بنصر الله: وتغليبه من له كتاب على من لا كتاب له
وغيظ من شمت بهم من كفار مكة. وقيل نصر الله هو إظهار صدق المؤمنين فيما أخبروا به المشركين
من غلبة الروم. وقيل نصر الله أنه ولّى بعض الظالمين بعضا وفرّق بين كلمهم حتى تفانوا وتناقصوا

وقل مولا شوكة مولا وفى ذلك قوة للاسلام وعن ابى سعيد الخدرى وافق ذلك يوم بدر وفى هذا
اليوم نصر المؤمنون ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم ينصر عليكم تارة وينصركم اخرى وعد الله لا يخلف
الله وعده ولكن اكثر الناس لا يعلمون مصدر مؤكد كقولك على الف درهم عرفا لان معناه اعترف لك بها
اعترافا ووعد الله ذلك وعدا لان ما سبقه فى معنى وعد ذمهم الله عز وجل بانهم عقلاء فى امور
الدنيا بله فى امر الدين وذلك انهم كانوا اصحاب تجارات ومكاسب وعن الحسن بلغ من حذق احدهم انه
ياخذ الدرهم فينقره باصبعه فيعلم اردى هو ام جيد وقوله يعلمون بدل من قوله لا يعلمون وفى
هذا الابدال من النكتة انه ابدله منه وجعله بحيث يقوم مقامه ويسد مسده ليعلمك انه لا فرق
بين عدم العلم الذى هو الجهل وبين وجود العلم الذى لا يتجاوز الدنيا وقوله ظاهرا من الحيوة الدنيا
يفيد ان للدنيا ظاهرا وباطنا فظاهرها ما يعرفه الجهال من التمتع بزخارفها والتنعم بملاذها و
باطنها وحقيقتها انها مجاز الى الاخرة يتزود منها اليها بالطاعة والاعمال الصالحة وفى تنكير الظاهر
انهم لا يعلمون الا ظاهرا واحدا من جملة ظواهرها وهم عن الاخرة وهم الثانية يجوز ان يكون مبتدأ وغافلون
خبره والجملة خبر هم الاولى وان يكون تكريرا للاولى وغافلون خبر للاولى واية كانت فذكرها
مناد على انهم معدن الغفلة عن الاخرة ومقرها ومحلها وانها منهم تنبع واليهم ترجع اولم يتفكروا فى
انفسهم يحتمل ان يكون ظرفا كانه قيل اولم يحدثوا التفكر فى انفسهم اى فى قلوبهم الفارغة من الفكر و
التفكر لا يكون الا فى القلوب ولكنه زيادة تصوير لحال المتفكرين كقولك اعتقده فى قلبك واضمره فى
نفسك وان يكون صلة للتفكر كقولك تفكر فى الامر واجال فيه فكره ما خلق الله السموات والارض وما
بينهما وما خلق متعلق بالقول المحذوف معناه اولم يتفكروا فيقولوا هذا القول وقيل معناه
فيعلموا لان فى الكلام دليلا عليه الا بالحق واجل مسمى اى ما خلقها باطلا وعبثا بغير غرض صحيح و
حكمة بالغة ولا لتبقى خالدة وانما خلقها مقرونة بالحق مصحوبة بالحكمة وبتقدير اجل مسمى لا بد
لها من ان تنتهى اليه وهو قيام الساعة ووقت الحساب والثواب والعقاب الا ترى الى قوله افحسبتم
انما خلقناكم عبثا وانكم الينا لا ترجعون كيف سمى تركهم غير راجعين اليه عبثا والباء فى قوله
الا بالحق مثلها فى قولك دخلت عليه بثياب السفر واشترى الفرس بسرجه ولجامه تريد اشتراه
وهو ملتبس بالسرج واللجام غير منفك عنهما وكذلك المعنى ما خلقها الا وهى ملتبسة بالحق مقترنة
به   اذا جعلت فى انفسهم صلة للتفكر فما معناه   معناه اولم يتفكروا فى انفسهم
التى هى اقرب اليهم من غيرها من المخلوقات وهم اعلم واخبر باحوالها منهم باحوال ما عداها فتدبروا

ما اودعها الله ظاهرا وباطنا من غرائب الحكم الدالة على التدبير دون الاهمال وانه لا بد لها من
انتهاء الى وقت يجازيها فيه الحكيم الذى دبر امرها على الاحسان احسانا وعلى الاساءة مثلها حتى
يعلموا عند ذلك ان سائر الخلائق كذلك امرها جار على الحكمة والتدبير وانه لا بد لها من الانتهاء
الى ذلك الوقت وان كثيرا من الناس بلقاء ربهم لكافرون والمراد بلقاء ربهم الاجل المسمى اولم يسيروا فى
الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم تقرير لسيرهم فى البلاد ونظرهم الى اثار المدمرين من
عاد وثمود وغيرهم من الامم العاتية ثم اخذ يصف لهم احوالهم وانهم كانوا اشد منهم قوة واثاروا الارض
وحرثوها قال الله تعالى لا ذلول تثير الارض وقيل لبقر الحرث المثيرة وقالوا سمى ثورا لاثارته الارض
وبقرة لانها تبقرها اى تشقها وعمروها يعنى اولئك المدمرون اكثر مما عمروها من عمارة اهل مكة واهل
مكة اهل واد غير ذى زرع ما لهم اثارة ارض اصلا ولا عمارة لها راسا فما هو الا تهكم بهم وبضعف
حالهم فى دنياهم لان معظم ما يستظهر به اهل الدنيا ويتباهون به امر الدهقنة وهم ايضا
ضعاف القوى فقوله كانوا اشد منهم قوة اى من عاد وثمود واضرابهم من هذا القبيل كقوله اولم
يروا ان الله الذى خلقهم هو اشد منهم قوة وان كان هذا ابلغ لانه خالق القوى والقدر فما
كان تدميره اياهم ظلما لهم لان حاله منافية للظلم ولكنهم ظلموا انفسهم حيث عملوا ما اوجب
تدميرهم وجاءتهم رسلهم بالبينات فما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا انفسهم يظلمون ثم كان عاقبة الذين اساءوا
السوأى ان كذبوا بايات الله وكانوا بها يستهزءون قرئ عاقبة بالنصب والرفع والسوأى تانيث الاسوأ
وهو الاقبح كما ان الحسنى تانيث الاحسن والمعنى انهم عوقبوا فى الدنيا بالدمار ثم كانت عاقبتهم
السوأى الا انهم وضع المظهر موضع المضمر اى العقوبة التى هى اسوأ العقوبات فى الاخرة و
هى جهنم التى اعدت للكافرين وان كذبوا بمعنى لان كذبوا ويجوز ان يكون ان بمعنى اى لانه
اذا كان تفسير الاساءة التكذيب والاستهزاء كانت فى معنى القول نحو نادى وكتب وما اشبه ذلك
ووجه اخر ان يكون اساءوا السوأى بمعنى اقترفوا الخطيئة التى هى اسوأ الخطايا وان كذبوا
عطف بيان لها وخبر كان محذوف كما يحذف جواب لما ولو ارادة الابهام الله يبدأ الخلق ثم
يعيده ثم اليه ترجعون اى الى ثوابه وعقابه وقرئ بالياء والتاء ويوم تقوم الساعة يبلس المجرمون ولم
يكن لهم من شركائهم شفعاء الابلاس ان يبقى بائسا ساكتا متحيرا يقال ناظرته فابلس اذا لم ينبس وييئس
من ان يحتج ومنه الناقة المبلاس التى لا ترغو وقرئ يبلس بفتح اللام من ابلسه اذا اسكته
من شركائهم من الذين عبدوهم من دون الله وكانوا بشركائهم كافرين اى يكفرون بالهيتهم ويجحدونها

أو كانوا في الدنيا كافرين بسببهم وكتب شفعواء في المصحف بواو قبل الألف كما كتب علمواء بني إسرائيل
وكذلك كتبت السوأى بألف قبل الياء إثباتاً للهمزة على صورة الحرف الذي منه حركتها ويوم تقوم الساعة
يومئذ يتفرقون فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فهم الضمير في يتفرقون للمسلمين والكافرين لدلالة ما بعده
عليه وعن الحسن هو تفرق المسلمين والكافرين هؤلاء في عليين وهؤلاء في أسفل سافلين وعن قتادة فرقة
لا اجتماع بعدها في روضة في بستان وهي الجنة والتنكير لإبهام أمرها وتفخيمه والروضة عند العرب
كل أرض ذات نبات وماء وفي أمثالهم أحسن من بيضة في روضة يريدون بيضة النعامة يحبرون
يسرون يقال حبره إذا سره سروراً تهلل له وجهه وظهر فيه أثره ثم اختلفت فيه الأقاويل لاحتماله
جميع وجوه المسار فعن مجاهد يكرمون وعن قتادة ينعمون وعن ابن كيسان يحلون وعن أبي بكر بن عياش
التيجان على رؤوسهم وعن وكيع السماع في الجنة وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه ذكر الجنة و
ما فيها من النعيم وفي آخر القوم أعرابي فقال يا رسول الله هل في الجنة من سماع قال نعم يا أعرابي إن في
الجنة لنهراً حافتاه الأبكار من كل بيضاء خوصانية يتغنين بأصوات لم يسمع الخلائق بمثلها قط
فذلك أفضل نعيم الجنة قال الراوي فسألت أبا الدرداء بم يتغنين قال بالتسبيح وروي أن في
الجنة لأشجاراً عليها أجراس من فضة فإذا أراد أهل الجنة السماع بعث الله ريحاً من تحت العرش فيقع
في تلك الأشجار فتحرك تلك الأجراس بأصوات لو سمعها أهل الدنيا لماتوا طرباً وأما الذين كفروا وكذبوا بآياتنا
ولقاء الآخرة فأولئك في العذاب محضرون لا يغيبون عنه ولا يخفف عنهم كقوله وما هم بخارجين منها
لا يفتر عنهم فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون وله الحمد في السموات والأرض لما ذكر الوعد والوعيد
أتبعه ذكر ما يوصل إلى الوعد وينجي من الوعيد والمراد بالتسبيح ظاهره الذي هو تنزيه الله من السوء
والثناء عليه بالخير في هذه الأوقات لما يتجدد فيها من نعمة الله الظاهرة وقيل الصلاة وقيل لابن عباس
هل تجد الصلوات الخمس في القرآن قال نعم وتلا هذه الآية تمسون صلاتا المغرب والعشاء وتصبحون
صلاة الفجر وعشياً صلاة العصر وحين تظهرون صلاة الظهر وقوله وعشياً متصل بقوله حين
تمسون وقوله وله الحمد في السموات والأرض اعتراض بينهما ومعناه أن على المميزين كلهم من أهل
السموات والأرض أن يحمدوه لم ذهب الحسن إلى أن الآية مدنية لأنه كان
يقول فرضت الصلوات الخمس بالمدينة وكان الواجب بمكة ركعتين في غير وقت معلوم والقول
الأكثر أن الخمس إنما فرضت بمكة وعن عائشة رضي الله عنها فرضت الصلاة ركعتين فلما قدم رسول
الله المدينة أقرت صلاة السفر وزيد في صلاة الحضر وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم من سره

أن يكال له بالقفيز الأوفى فليقل فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون الآية وعنه عليه السلام من
قال حين يصبح فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون إلى قوله وكذلك تخرجون أدرك ما فاته في يومه
ومن قالها حين يمسي أدرك ما فاته في ليلته وفي قراءة عكرمة حيناً تمسون وحيناً تصبحون والمعنى تمسون فيه
وتصبحون فيه كقوله يوماً لا تجزي نفس عن نفس شيئاً بمعنى فيه يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ويحيي
الأرض بعد موتها الحي من الميت الطائر من البيضة والميت من الحي البيضة من الطائر وإحياء الأرض
إخراج النبات وكذلك تخرجون ومثل ذلك الإخراج تخرجون من القبور وتبعثون والمعنى أن الإبداء و
الإعادة متساويان في قدرة من هو قادر على الطرد والعكس من إخراج الميت من الحي وإخراج الحي من
الميت وإحياء الميت وإماتة الحي وقرئ الميت بالتشديد وتخرجون بفتح التاء ومن آياته أن خلقكم من تراب
لأنه خلق أصلهم منه وإذا للمفاجأة وتقديره ثم فاجأتم وقت كونكم بشراً منتشرين في الأرض كقوله
وبث منهما رجالاً كثيراً ونساء ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لأن حواء خلقت من ضلع آدم
والنساء بعدها خلقن من أصلاب الرجال أو من شكل أنفسكم وجنسها لا من جنس آخر وذلك لما بين الاثنين
من جنس واحد من الإلف والسكون وما بين الجنسين المختلفين من التنافر لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة
ورحمة إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون وجعل بينكم التوادد والتراحم بعصمة الزواج بعد أن لم يكن بينكم سابقة
معرفة ولا لقاء ولا سبب يوجب التعاطف من قرابة أو رحم وعن الحسن المودة كناية عن الجماع والرحمة عن
الولد كما قال ورحمة منا وقال ذكر رحمة ربك عبده ويقال سكن إليه إذا مال إليه كقولهم انقطع إليه واطمأن
إليه ومنه السكن وهو الإلف المسكون إليه فعل بمعنى مفعول وقيل إن المودة والرحمة من قبل الله وإن
الفرك من قبل الشيطان ومن آياته خلق السموات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم إن في ذلك لآيات للعالمين
ومن آياته منامكم بالليل والنهار وابتغاؤكم من فضله إن في ذلك لآيات لقوم يسمعون الألسنة اللغات أو أجناس
النطق وأشكاله خالف عز وعلا بين هذه الأشياء حتى لا تكاد تسمع منطقين متفقين في همس واحد ولا
جهارة ولا حدة ولا رخاوة ولا فصاحة ولا لكنة ولا نظم ولا أسلوب ولا غير ذلك من صفات النطق وأحواله
وكذلك الصور وتخطيطها والألوان وتنويعها ولاختلاف ذلك وقع التعارف وإلا فلو اتفقت وتشاكلت
وكانت ضرباً واحداً لوقع التجاهل والالتباس ولتعطلت مصالح كثيرة وربما رأيت توأمين يشتبهان
في الحلية فيعروك الخطأ في التمييز بينهما وتعرف حكمة الله في المخالفة بين الحلى وفي ذلك آية بينة
حيث ولدوا من أب واحد وفرعوا من أصل فذ وهم على الكثرة التي لا يعلمها إلا الله مختلفون متفاوتون
وقرئ للعالمين بفتح اللام وكسرها ويشهد للكسر قوله تعالى وما يعقلها إلا العالمون هذا من باب اللف

إذا أنتم بشر تنتشرون

وترتيبه ومن آياته منامكم وابتغاؤكم من فضله بالليل والنهار الا انه فصل بين القرينين الاولين بالقرينين الآخرين لانهما زمانان والزمان والواقع فيه كشيء واحد مع اعانة اللف على الاتحاد ويجوز ان يراد منامكم في الزمانين وابتغاؤكم فيهما والظاهر هو الاول لتكرره في القرآن واسد المعاني ما دل عليه القرآن يسمعونه في الآذان الواعية ومن آياته يريكم البرق في يريكم وجهان اضمار ان وانزال الفعل منزلة المصدر وبهما فسر المثل تسمع بالمعيدي خير من ان تراه وقول القائل وقالوا ما تشاء فقلت الهو الى الاصباح آثر ذي اثير خوفا من الصاعقة او من الاخلاف وطمعا في الغيث وقيل خوفا للمسافر وطمعا في الحاضر وهما منصوبان على المفعول له من حق المفعول له ان يكون فعلا لفاعل الفعل المعلل والخوف والطمع ليسا كذلك

فيه وجهان احدهما ان المفعولين فاعلون في المعنى لانهم راءون فكأنه قيل يجعلكم رائين البرق خوفا وطمعا والثاني ان يكون على تقدير حذف المضاف اي ارادة خوف وارادة طمع فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه ويجوز ان يكونا حالين اي خائفين وطامعين وينزل من السماء ماء فيحيي به الارض بعد موتها ان في ذلك لآيات لقوم يعقلون وقرئ ينزل بالتشديد ومن آياته ان تقوم السماء والارض بامره ثم اذا دعاكم دعوة من الارض اذا انتم تخرجون قيام السموات والارض واستمساكهما بغير عمد بامره اي بقوله كونا قائمتين والمراد باقامته لهما وارادته لكونهما على صفة القيام دون الزوال وقوله اذا دعاكم بمنزلة قوله يريكم في ايقاع الجملة موقع المفرد على المعنى كانه قال ومن آياته قيام السموات والارض ثم خروج الموتى من القبور اذا دعاكم دعوة واحدة يا اهل القبور اخرجوا والمراد سرعة وجود ذلك من غير توقف ولا تلبث كما يجيب الداعي المطاع مدعوه كما قال القائل دعوت كليبا دعوة فكانما دعوت به ابن الطود او هو اسرع يريد بابن الطود الصدى او الحجر اذا تدهدى وانما عطف هذا على قيام السموات والارض بثم بيانا لعظم ما يكون من ذلك الامر واقتداره على مثله وهو ان يقول يا اهل القبور قوموا فلا تبقى نسمة من الاولين والآخرين الا قامت تنظر كما قال عز وعلا ثم نفخ فيه اخرى فاذا هم قيام ينظرون قولك دعوته من مكان كذا كما يجوز ان يكون مكانك يجوز ان يكون مكان صاحبك تقول دعوت زيدا من اعلى الجبل فنزل علي ودعوته من اسفل الوادي فطلع الي بم تعلق من الارض ابالفعل ام بالمصدر هيهات اذا جاء نهر الله بطل نهر معقل ما الفرق بين اذا واذا الاولى للشرط والثانية للمفاجاة وهي تنوب مناب الفاء في جواب الشرط وقرئ تخرجون بضم التاء وفتحها وله من في السموات والارض كل له قانتون وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده قانتون منقادون لوجود افعاله فيهم لا يمتنعون عليه وهو اهون عليه فيما يجب عندكم وينقاس على اصولكم ويقتضيه معقولكم لان من اعاد منكم صنعة شيء

كانت اسهل عليه واهون من انشائها وتعتذرون للصانع اذا خطئ في بعض ما ينشئه بقولكم اول الغزو اخرق وتسمون الماهر في صناعته معاودا تعنون انه عاودها كرة بعد اخرى حتى مرن عليها وهانت عليه لم ذكر الضمير في قوله وهو اهون والمراد به الاعادة معناه وان يعيده اهون عليه لم اخرت الصلة في قوله وهو اهون عليه وقدمت في قوله وهو علي هين هنالك قصد الاختصاص وهو محزه فقيل هو علي هين وان كان مستصعبا عندكم ان يولد بين هم وعاقر واما ههنا فلا معنى للاختصاص كيف والامر مبني على ما يعقلون من ان الاعادة اسهل من الابتداء فلو قدمت الصلة لتغير المعنى ما بال الاعادة استعظمت في قوله ثم اذا دعاكم حتى كأنها فضلت على قيام السموات والارض بامره ثم هونت بعد ذلك الاعادة في نفسها عظيمة ولكنها هونت بالقياس الى الانشاء وقيل الضمير في عليه للخلق ومعناه ان البعث اهون على الخلق من الانشاء لان تكوينه في حد الاستحكام والتمام اهون عليه واقل تعبا وكدا من ان يتنقل في احوال ويتدرج فيها الى ان يبلغ ذلك الحد وقيل الاهون بمعنى الهين ووجه آخر وهو ان الانشاء من قبيل التفضل الذي يتخير فيه الفاعل بين ان يفعله وان لا يفعله والاعادة من قبيل الواجب الذي لا بد له من فعله لانها لجزاء الاعمال وجزاؤها واجب والافعال اما محال والمحال ممتنع اصلا خارج عن المقدور واما ما يصرف الحكيم عن فعله صارف وهو القبيح وهو رديف المحال لان الصارف يمنع وجود الفعل كما تمنعه الاحالة واما تفضل والتفضل حالة بين بين للفاعل ان يفعله وان لا يفعله واما واجب ولا بد من فعله ولا سبيل الى الاخلال به فكان الواجب ابعد الافعال من الامتناع واقربها من الحصول فلما كانت الاعادة من قبيل الواجب كانت ابعد الافعال من الامتناع واذا كانت ابعدها من الامتناع كانت ادخلها في التأتي والتسهل فكانت اهون منها واذا كانت اهون منها كانت اهون من الانشاء وله المثل الاعلى في السموات والارض اي الوصف الاعلى الذي ليس لغيره مثله قد عرف به ووصف في السموات والارض على السنة الخلائق والسنة الدلائل وهو انه القادر الذي لا يعجز عن شيء من انشاء واعادة وغيرهما من المقدورات ويدل عليه قوله وهو العزيز الحكيم اي القاهر لكل مقدور الحكيم الذي يجري كل فعل على قضايا حكمته وعلمه وعن مجاهد المثل الاعلى قول لا اله الا الله ومعناه وله الوصف الاعلى الذي هو الوصف بالوحدانية ويعضده قوله ضرب لكم مثلا من انفسكم هل لكم وقال الزجاج وله المثل الاعلى في السموات والارض اي قوله وهو اهون عليه قد ضربه لكم مثلا فيما يصعب ويسهل يريد التفسير الاول

اى فرق بين من الاولى والثانية والثالثة فى قوله من انفسكم مما ملكت ايمانكم من شركاء ... الاولى للابتداء
كانه قال اخذ مثلا وانتزعه من اقرب شىء منكم وهى انفسكم ولم يبعده والثانية للتبعيض والثالثة
مزيدة لتاكيد الاستفهام الجارى مجرى النفى ومعناه هل ترضون لانفسكم وعبيدكم امثالكم بشر كبشر
وعبيد كعبيد ان يشارككم بعضهم فيما رزقناكم فانتم فيه سواء تخافونهم كخيفتكم انفسكم من الاموال و
وغيرها تكونون انتم وهم فيه على السواء من غير تفصلة بين حر وعبيد تهابون ان تستبدوا بتصرف
دونهم وان تفتاتوا بتدبير عليهم كما يهاب بعضكم بعضا من الاحرار فاذا لم ترضوا بذلك لانفسكم
فكيف ترضون لرب الارباب ومالك الاحرار والعبيد ان تجعلوا بعض عبيده له شركاء كذلك اى
مثل ذلك التفصيل نفصل الآيات لقوم يعقلون بل اتبع اى نبينها لان التمثيل مما يكشف المعانى
ويوضحها لانه بمنزلة التصوير والتشكيل لها الا ترى كيف صور الشرك بالصورة المشوهة
الذين ظلموا اهواءهم اى اشركوا كقوله تعالى ان الشرك لظلم عظيم بغير علم اى اتبعوا اهواءهم جاهلين
لان العالم اذا ركب هواه ربما ردعه علمه وكفه واما الجاهل فيهيم على وجهه كالبهيمة لا يكفه شىء
فمن يهدى من اضل الله من خذله ولم يلطف به لعلمه انه ممن لا لطف له فمن يقدر على هداية مثله
وقوله وما لهم من ناصرين دليل على ان المراد بالاضلال الخذلان فاقم وجهك للدين فقوم وجهك له
وعدله غير ملتفت عنه يمينا ولا شمالا وهو تمثيل لاقباله على الدين واستقامته عليه وثباته و
اهتمامه باسبابه فان من اهتم بالشىء عقد عليه طرفه وسدد اليه نظره وقوم له وجهه مقبلا
به عليه حنيفا حال من المامور او من الدين فطرة الله التى فطر الناس عليها الزموا فطرة الله او عليكم
فطرة الله وانما اضمرته على خطاب الجماعة لقوله منيبين اليه ومنيبين حال من الضمير فى الزموا
وقوله واتقوه واقيموا ولا تكونوا معطوف على هذا المضمر والفطرة الخلقة الا ترى الى قوله لا تبديل
لخلق الله والمعنى انه خلقهم قابلين للتوحيد ودين الاسلام غير نابين عنه ولا منكرين له لكونه مجاوبا
للعقل مساوقا للنظر الصحيح حتى لو تركوا لما اختاروا عليه دينا آخر ومن غوى منهم فباغواء شياطين
الانس والجن ومنه قوله عليه السلام كل عبادى خلقت حنفاء فاجتالتهم الشياطين عن دينهم و
امروهم ان يشركوا بى غيرى وقوله كل مولود يولد على الفطرة حتى يكون ابواه هما اللذان يهودانه
وينصرانه لا تبديل لخلق الله اى ما ينبغى ان تبدل تلك الفطرة او تغير ... لم وحد الخطاب
اولا ثم جمع ... خوطب رسول الله صلى الله عليه وسلم اولا وخطاب الرسول خطاب لامته مع
ما فيه من التعظيم للامام ثم جمع بعد ذلك للبيان والتلخيص ذلك الدين القيم ولكن اكثر الناس لا يعلمون

منيبين اليه واتقوه واقيموا الصلوة ولا تكونوا من المشركين من الذين بدل من المشركين فارقوا دينهم تركوا
دين الاسلام وقرئ فرقوا دينهم اى جعلوه اديانا مختلفة لاختلاف اهوائهم وكانوا شيعا فرقا كل
واحدة تشايع امامها الذى اضلها كل حزب بما لديهم منهم فرح بمذهبه مسرور يحسب باطله حقا و
يجوز ان يكون من الذين منقطعا مما قبله ومعناه من المفارقين دينهم كل حزب فرحين بما لديهم ولكنه رفع فرحون
على الوصف لكل كقوله وكل خليل غير هاضم نفسه واذا مس الناس ضر دعوا ربهم منيبين اليه ثم اذا اذاقهم
منه رحمة اذا فريق منهم بربهم يشركون الضر الشدة من هزال او مرض او قحط او غير ذلك والرحمة الخلاص
من الشدة واللام فى ليكفروا بما آتيناهم مجاز مثلها فى ليكون لهم عدوا فتمتعوا نظير اعملوا ما شئتم
فسوف تعلمون وبال تمتعكم وقرا ابن مسعود وليتمتعوا ام انزلنا عليهم سلطانا فهو يتكلم بما كانوا به يشركون
واذا اذقنا الناس رحمة السلطان الحجة وتكلمه مجاز كما تقول كتابه ناطق بكذا وهذا مما نطق به القرآن و
معناه الدلالة والشهادة كانه قال فهو يشهد بشركهم وبصحته وما فى بما كانوا مصدرية اى بكونهم بالله
يشركون ويجوز ان تكون موصولة ويرجع الضمير اليها ومعناه فهو يتكلم بالامر الذى بسببه يشركون ويحتمل
ان يكون المعنى ام انزلنا عليهم ذا سلطان اى ملكا معه برهان فذلك الملك يتكلم بالبرهان الذى
بسببه يشركون واذا اذقناهم رحمة اى نعمة من مطر او سعة او صحة [فرحوا بها] وان تصبهم سيئة بما قدمت ايديهم
اذا هم يقنطون اولم يروا ان الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر ان فى ذلك لآيات لقوم يؤمنون اى بلاء من
جدب او ضيق او مرض والسبب فيها شؤم معاصيهم قنطوا من الرحمة ثم انكر عليهم بانهم قد علموا انه
هو الباسط القابض فما لهم يقنطون من رحمته وما لهم لا يرجعون اليه تائبين من المعاصى التى عوقبوا بالشدة
من اجلها حتى يعيد اليهم رحمته فآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل ذلك خير للذين حق ذى القربى
صلة الرحم وحق المسكين وابن السبيل نصيبهما من الصدقة المسماة لهما وقد احتج ابو حنيفة رحمه
الله بهذه الآية فى وجوب النفقة للمحارم اذا كانوا محتاجين عاجزين عن الكسب وعند الشافعى رحمه
الله لا نفقة بالقرابة الا على الولد والوالدين قاس سائر القرابات على ابن العم لانه لا ولاد بينهم
كيف تعلق قوله فآت ذا القربى بما قبله حتى جىء بالفاء ... لما ذكر ان السيئة اصابتهم
بما قدمت ايديهم اتبعه ذكر ما يجب ان يفعل وما يجب ان يترك يريدون وجه الله واولئك هم المفلحون
يحتمل ان يراد بوجهه ذاته او جهته وجانبه اى يقصدون بمعروفهم اياه خالصا وحقه كقوله تعالى
الا ابتغاء وجه ربه الاعلى او يقصدون جهة التقرب الى الله لا جهة اخرى والمعنيان متقاربان
ولكن الطريقة مختلفة وما آتيتم من ربا ليربوا فى اموال الناس فلا يربوا عند الله هذه الآية فى معنى قوله

عز وجل يمحق الله الربوا ويربي الصدقات سواء بسواء يريد وما اعطيتم اكلة الربوا من ربوا ليربوا في اموالهم ليزيدوا ويزكوا في اموالهم فلا يزكو عند الله ولا يبارك فيه وما آتيتم من زكوة تريدون وجه الله اي صدقة تبتغون به وجهه خالصا لا تطلبون به مكافاة ولا رياء ولا سمعة فاولئك هم المضعفون ذووا الاضعاف من الحسنات ونظير المضعف المقوي والموسر لذي القوة واليسار وقرئ بفتح العين وقيل نزلت في ثقيف وكانوا يربون وقيل المراد ان يهب الرجل للرجل او يهدي له ليعوضه اكثر مما وهب او اهدى فليست تلك الزيادة بحرام ولكن المعوض لا يثاب على تلك الزيادة وقالوا الربوا ربوان فالحرام كل قرض يؤخذ فيه اكثر منه او يجر منفعة والذي ليس بحرام ان يستدعي بهبته او بهديته اكثر منها وفي الحديث المستغزر يثاب من هبته وقرئ وما آتيتم من ربوا بمعنى وما غشيتموه او رهقتموه من اعطاء ربوا وقرئ لتربوا اي لتزيدوا في اموالهم كقوله ويربي الصدقات اي يزيدها وقوله فاولئك هم المضعفون التفات حسن كانه قال لملائكته وخواص خلقه فاولئك الذين يريدون وجه الله بصدقاتهم هم المضعفون فهو امدح لهم من ان يقول فانتم المضعفون والمعنى المضعفون به لانه لا بد من ضمير يرجع الى ما ووجه آخر وهو ان يكون تقديره فمؤتوه اولئك هم المضعفون والحذف لما في الكلام من الدليل عليه وهذا اسهل ماخذا والاول املأ بالفائدة الله مبتداء وخبره الذي خلقكم ثم رزقكم ثم يميتكم ثم يحييكم اي الله هو فاعل هذه الافعال الخاصة التي لا يقدر على شيء منها احد غيره ثم قال هل من شركائكم الذين اتخذتموهم انداد اله من الاصنام وغيرها من يفعل شيئا قط من تلك الافعال حتى يصح ما ذهبتم اليه ثم استبعد حاله من حال شركائهم ويجوز ان يكون الذي خلقكم صفة للمبتداء والخبر هل من شركائكم وقوله من ذلكم من شيء سبحانه وتعالى عما يشركون هو الذي ربط الجملة بالمبتداء لان معناه من افعاله ومن الاولى والثانية والثالثة كل واحدة منهن مستقلة بتاكيد لتعجيز شركائهم وتجهيل عبدتهم ظهر الفساد في البر والبحر نحو الجدب والقحط وقلة الريع في الزراعات والربح في التجارات ووقوع الموتان في الناس والدواب وكثرة الحرق والغرق واخفاق الصيادين والغاصة ومحق البركات من كل شيء وقلة المنافع في الجملة وكثرة المضار وعن ابن عباس اجدبت الارض وانقطعت مادة البحر وقالوا اذا انقطع القطر عميت دواب البحر وعن الحسن ان المراد بالبحر مدن البحر وقراه التي على شاطئه وعن عكرمة العرب تسمي الامصار البحار وقرئ في البر والبحور بما كسبت ايدي الناس بسبب معاصيهم وذنوبهم كقوله تعالى وما اصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم وعن ابن عباس ظهر الفساد في البر بقتل ابن آدم اخاه وفي البحر بان جلندي كان ياخذ كل سفينة غصبا وعن قتادة كان ذلك قبل البعث فلما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم رجع الراجعون عن الضلال والظلم

ويجوز ان يريد ظهور الشر والمعاصي بكسب الناس ذلك فان قلت ما معنى قوله ليذيقهم بعض الذي عملوا لعلهم يرجعون قلت اما على التفسير الاول فظاهر وهو ان الله قد افسد اسباب دنياهم ومحقها ليذيقهم وبال بعض اعمالهم في الدنيا قبل ان يعاقبهم بجميعها في الآخرة لعلهم يرجعون عما هم عليه واما على الثاني فاللام مجاز على معنى ان ظهور الشرور بسببهم مما استوجبوا به ان يذيقهم الله وبال اعمالهم ارادة الرجوع فكانهم انما افسدوا وتسببوا لفشو المعاصي في الارض لاجل ذلك وقرئ لنذيقهم بالنون قل سيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة الذين من قبل ثم اكد تسبب المعاصي لغضب الله ونكاله حيث امرهم بان يسيروا فينظروا كيف اهلك الله الامم واذاقهم سوء العاقبة بمعاصيهم ودل بقوله كان اكثرهم مشركين على ان الشرك وحده لم يكن سبب تدميرهم وان ما دونه من المعاصي يكون سببا لذلك فاقم وجهك للدين القيم من قبل ان ياتي يوم لا مرد له من الله يومئذ يصدعون القيم البليغ الاستقامة الذي لا يتاتى فيه عوج من الله اما ان يتعلق بياتي فيكون المعنى من قبل ان ياتي من الله يوم لا يرده احد كقوله فلا يستطيعون ردها او بمرد على معنى لا يرده هو بعد ان يجيء به ولا رد له من جهته والمرد مصدر بمعنى الرد يصدعون اي يتفرقون كقوله ويوم تقوم الساعة يومئذ يتفرقون من كفر فعليه كفره كلمة جامعة لما لا غاية وراءه من المضار لان من ضاره كفره فقد احاطت به كل مضرة ومن عمل صالحا فلانفسهم يمهدون اي يسوون لانفسهم ما يسويه لنفسه الذي يمهد فراشه ويوطئه لئلا يصيبه في مضجعه ما ينبيه عليه وينغص عليه مرقده من نتوء او قضض او بعض ما يؤذي الراقد ويجوز ان يريد فعلى انفسهم يشفقون من قولهم في المشفق ام فرشت فانامت وتقديم الظرف في الموضعين للدلالة على ان ضرر الكفر لا يعود الا على الكافر لا يتعداه ومنفعة الايمان والعمل الصالح ترجع الى المؤمن لا تتجاوزه ليجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات متعلق بيمهدون تعليل له من فضله مما يتفضل عليهم بعد توفية الواجب من الثواب وهذا يشبه الكناية لان الفضل تبع للثواب فلا يكون الا بعد حصول ما هو تبع له او اراد من عطائه وهو ثوابه لان الفضول والفواضل هي الاعطية عند العرب وتكرير الذين آمنوا وعملوا الصالحات وترك الضمير الى الصريح لتقرير انه لا يفلح عنده الا المؤمن الصالح وقوله انه لا يحب الكافرين تقرير بعد تقرير على الطرد والعكس ومن آياته ان يرسل الرياح مبشرات وليذيقكم من رحمته الرياح هي الجنوب والشمال والصبا وهي رياح الرحمة واما الدبور فريح العذاب ومنه قوله عليه السلام اللهم اجعلها رياحا ولا تجعلها ريحا وقد عدد الاغراض في ارسالها وانه ارسلها للبشارة بالغيث ولاذاقة الرحمة وهي نزول المطر وحصول الخصب الذي يتبعه والروح الذي مع هبوب الريح وزكاء الارض قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا كثرت المؤتفكات زكت الارض وازالة العفونة من الهواء وتذرية الحبوب وغير ذلك ولتجري الفلك في البحر عند هبوبها وانما زاد بامره لان الريح قد تهب ولا تكون مؤاتية فلا بد من ارساء السفن و

والاحتيال لحبسها وربما عصفت فاغرقتها ولتبتغوا من فضله يريد تجارة البحر ولتشكروا نعمة الله فيها ... بم تعلق وليذيقكم فيه وجهان ان يكون معطوفا على مبشرات على المعنى كانه قيل ليبشركم وليذيقكم وان يتعلق بمحذوف تقديره وليذيقكم وليكون كذا وكذا ارسلناها ولقد ارسلنا من قبلك رسلا الى قومهم فجاءوهم بالبينات فانتقمنا من الذين اجرموا اختصر الطريق الى الغرض بان ادرج تحت ذكر الانتصار والنصر ذكر الفريقين وقد اخلى الكلام اولا عن ذكرهما وقوله وكان حقا علينا نصر المؤمنين تعظيم للمؤمنين ورفع من شانهم وتاهيل لكرامة سنية واظهار لفضل سابقة ومزية حيث جعلهم مستحقين على الله ان ينصرهم مستوجبين عليه ان يظهرهم ويظفرهم وقد يوقف على حقا ومعناه وكان الانتقام منهم حقا ثم يبتدا علينا نصر المؤمنين وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من امرئ مسلم يرد عن عرض اخيه الا كان حقا على الله ان يرد عنه نار جهنم يوم القيمة ثم تلا قوله وكان حقا علينا نصر المؤمنين الله الذي يرسل الرياح فتثير سحابا فيبسطه في السماء كيف يشاء فيبسطه متصلا تارة ويجعله كسفا اى قطعا تارة فترى الودق يخرج من خلاله في التارتين جميعا والمراد بالسماء سمت السماء وشقها كقوله وفرعها في السماء فاذا اصاب به من يشاء من عباده اذا هم يستبشرون بإصابة العباد اصابة بلادهم واراضيهم وان كانوا من قبل ان ينزل عليهم من قبله لمبلسين من باب التكرير والتوكيد كقوله تعالى فكان عاقبتهما انهما في النار خالدين فيها ومعنى التوكيد فيه الدلالة على ان عهدهم بالمطر قد تطاول وبعد فاستحكم ياسهم وتمادى ابلاسهم فكان الاستبشار على قدر اغتمامهم بذلك فانظر الى آثار رحمة الله كيف يحيي الارض بعد موتها قرئ اثر وآثار على الوحدة والجمع وقرا ابو حيوة وغيره كيف تحيي اى الرحمة ان ذلك لمحيي الموتى يعني ان ذلك القادر الذي يحيي الارض بعد موتها هو الذي يحيي الناس بعد موتهم وهو على كل شيء قدير من المقدورات قادر وهذا من جملة المقدورات بدليل الانشاء ولئن ارسلنا ريحا فراوه مصفرا لظلوا من بعده يكفرون فانك لا تسمع الموتى ولا تسمع الصم الدعاء اذا ولوا مدبرين وما انت بهادي العمي عن ضلالتهم ان تسمع الا من يؤمن باياتنا فهم مسلمون فراوه فراوا اثر رحمة الله لان رحمة الله هي الغيث واثرها النبات ومن قرا بالجمع رجع الضمير الى معناه لان معنى آثار الرحمة النبات واسم النبات يقع على القليل والكثير لانه مصدر سمي به ما ينبت ولئن هي اللام الموطئة للقسم دخلت على حرف الشرط ولظلوا جواب القسم سد مسد الجوابين اعني جواب القسم وجواب الشرط ومعناه ليظلن ذمهم الله عز وجل بانه اذا حبس عنهم القطر قنطوا من رحمته وضربوا اذقانهم على صدورهم مبلسين فاذا اصابهم برحمته ورزقهم المطر استبشروا وابتهجوا فاذا ارسل ريحا فضرب زروعهم بالصفار ضجوا وكفروا بنعمة الله فهم في جميع هذه

الاحوال على الصفة المذمومة كان عليهم ان يتوكلوا على الله وفضله فقنطوا وان يشكروا نعمته ويحمدوه عليها فلم يزيدوا على الفرح والاستبشار وان يصبروا على بلائه فكفروا والريح التي اصفر لها النبات يجوز ان يكون حرورا وحرجفا فكلتاهما مما يصوح له النبات ويصبح هشيما وقال مصفرا لان تلك صفرة حادثة وقيل فراوا السحاب مصفرا لانه اذا كان كذلك لم يمطر وقرئ بفتح الضاد وضمها وهما لغتان والضم اقوى في القراءة لما روى ابن عمر قال قرات على رسول الله صلى الله عليه وسلم من ضعف فاقرأني من ضعف وقوله خلقكم من ضعف كقوله خلق الانسان من عجل يعني ان اساس امركم وما عليه جبلتكم وبنيتكم الضعف وخلق الانسان ضعيفا اى ابتداناكم في اول الامر ضعافا وذلك حال الطفولة والنشاء حتى بلغتم وقت الاحتلام والشبيبة وتلك حال القوة الى الاكتهال وبلوغ الاشد ثم رددتم الى اصل حالكم وهو الضعف بالشيخوخة والهرم وقيل من ضعف من النطف لقوله من ماء مهين وهذا الترديد في الاحوال المختلفة والتغيير من هيئة الى هيئة وصفة الى صفة اظهر دليل واعدل شاهد على الصانع العليم القدير ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة الساعة القيامة سميت بذلك لانها تقوم في آخر ساعة من ساعات الدنيا او لانها تقع بغتة وبديهة كما تقول في ساعة لمن تستعجله وجرت علما لها كالنجم للثريا والكوكب للزهرة وارادوا لبثهم في الدنيا او في القبور او فيما بين فناء الدنيا الى البعث وفي الحديث ما بين فناء الدنيا الى وقت البعث اربعون قالوا لا نعلم اهي اربعون سنة ام اربعون الف سنة وذلك وقت يفنون فيه وينقطع عذابهم وانما يقدرون وقت لبثهم بذلك على وجه استقصارهم له او ينسون او يكذبون او يخمنون كذلك كانوا يؤفكون اى مثل ذلك الصرف كانوا يصرفون عن الصدق والتحقيق في الدنيا وهكذا كانوا يبنون امرهم على خلاف الحق او مثل ذلك الافك كانوا يؤفكون في الاغترار بما تبين لهم الآن انه ما كان الا ساعة وقال الذين اوتوا العلم والايمان لقد لبثتم الفائلون هم الملائكة والانبياء والمؤمنون في كتاب الله الى يوم البعث في اللوح او في علم الله وقضائه او فيما كتبه اى اوجبه بحكمته ردوا ما قالوه وحلفوا عليه واطلعوهم على الحقيقة ثم وصلوا ذلك بتقريعهم على انكار البعث بقولهم فهذا يوم البعث ولكنكم كنتم لا تعلمون انه حق لتفريطكم في طلب الحق واتباعه ما هذه الفاء وما حقيقتها ... هي التي في قوله فقد جئنا خراسانا وحقيقتها انها جواب شرط يدل عليه الكلام كانه قال ان صح ما قلتم من ان خراسان اقصى ما يراد بنا فقد جئنا خراسان وآن لنا ان نخلص وكذلك ان كنتم منكرين البعث فهذا يوم البعث اى فقد تبين بطلان قولكم و قرا الحسن يوم البعث بالتحريك فيومئذ لا ينفع الذين ظلموا معذرتهم ولا هم يستعتبون لا ينفع قرئ بالتاء والياء

ثم جعل من بعد ضعف قوة ثم جعل من بعد قوة ضعفا وشيبة يخلق ما يشاء ونحو

يستعتبون من قولك استعتبني فلان فأعتبته أي استرضاني فأرضيته وذلك إذا كنت جانيا عليه وحقيقة
أعتبته أزلت عتبه ألا ترى إلى قوله غضبت تميم أن تقتل عامر يوم النسار فأعتبوا بالصيلم كيف جعلهم غضابا
ثم قال فأعتبوا أي أزيل غضبهم والغضب في معنى العتب والمعنى لا يقال لهم أرضوا ربكم بتوبة وطاعة و
مثله قوله تعالى لا يخرجون منها ولا هم يستعتبون كيف جعلوا غير مستعتبين في بعض الآيات
وغير معتبين في بعضها وهو قوله وإن يستعتبوا فما هم من المعتبين أما كونهم غير مستعتبين فهذا
معناه وأما كونهم غير معتبين فمعناه أنهم غير راضين بما هم فيه فشبهت حالهم بحال قوم جني عليهم فهم
عاتبون على الجاني غير راضين منه فإن يستعتبوا الله أي يسألوه إزالة ما هم فيه فما هم من المجابين
إلى إزالته ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل ولئن جئتهم بآية ليقولن الذين كفروا إن أنتم إلا مبطلون
ولقد وصفنا كل صفة كأنها مثل في غرابتها وقصصنا عليهم كل قصة عجيبة الشأن كصفة المبعوثين
يوم القيمة وقصتهم وما يقولون وما يقال لهم وما لا ينفع من اعتذارهم ولا يسمع من استعتابهم و
لكنهم لقسوة قلوبهم ومج أسماعهم حديث الآخرة إذا جئتهم بآية من آيات القرآن قالوا جئتنا بزور
وباطل ثم قال مثل ذلك الطبع يطبع الله على قلوب الذين لا يعلمون الجهلة ومعنى طبع الله منع الألطاف التي
تنشرح لها الصدور حتى تقبل الحق وإنما يمنعها من علم أنها لا تجدي عليه ولا تغني عنه كما يمنع الواعظ
الموعظة من يتبين له أن الموعظة تلغو ولا تنجع فيه فوقع ذلك كناية عن قسوة قلوبهم وركوب الصدأ
والرين إياها فكأنه قال كذلك تقسو وتصدأ قلوب الجهلة حتى يسموا المحقين مبطلين وهم
أعرق خلق الله في تلك الصفة فاصبر على عداوتهم إن وعد الله بنصرتك وإظهار دينك على الدين كله
حق لا بد من إنجازه والوفاء به ولا يستخفنك الذين لا يوقنون ولا يحملنك على الخفة والقلق
جزعا مما يقولون ويفعلون فإنهم قوم شاكون ضالون لا يستبدع منهم ذلك وقرئ بتخفيف
النون وقرأ ابن أبي إسحاق ويعقوب ولا يستحقنك أي لا يفتننك فيملكوك ويكونوا أحق بك
من المؤمنين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الروم كان له من الأجر عشر حسنات
بعدد كل ملك سبح الله بين السماء والأرض وأدرك ما ضيع في يومه وليلته

سورة لقمان مكية وهي أربع وثلاثون آية وقيل ثلاث وثلاثون

بسم الله الرحمن الرحيم الم تلك آيات الكتاب الحكيم ذي الحكمة أو وصف بصفة
الله عز وجل على الإسناد المجازي ويجوز أن يكون الأصل الحكيم قائله فحذف المضاف وأقيم
المضاف إليه مقامه فبانقلابه مرفوعا بعد الجر استكن في الصفة المشبهة هدى ورحمة

بالنصب على الحال من الآيات والعامل فيها ما في تلك من معنى الإشارة وبالرفع على أنه خبر بعد خبر
أو خبر مبتدأ محذوف للمحسنين الذين يقيمون الصلوة ويؤتون الزكوة وهم بالآخرة هم يوقنون أولئك على هدى
من ربهم وأولئك هم المفلحون للذين يعملون الحسنات وهي التي ذكرها من إقامة الصلوة وإيتاء الزكوة
والإيقان بالآخرة ونظيره قول أوس الألمعي الذي يظن بك الظن كأن قد رأى وقد سمعا
حكي عن الأصمعي أنه سئل عن الألمعي فأنشده ولم يزد أو للذين يعملون جميع ما يحسن من الأعمال ثم
خص منهم القائمين بهذه الثلاث لفضل اعتداده بها ومن الناس من يشتري لهو الحديث اللهو كل باطل
ألهى عن الخير وعما يعني ولهو الحديث نحو السمر بالأساطير والأحاديث التي لا أصل لها والتحدث بالخرافات
والمضاحيك وفضول الكلام وما لا ينبغي من كان وكان ونحو الغناء وتعلم الموسيقار وما أشبه ذلك
وقيل نزلت في النضر بن الحارث وكان يتجر إلى فارس فيشتري كتب الأعاجم فيحدث بها قريشا
ويقول إن كان محمد يحدثكم بحديث عاد وثمود فأنا أحدثكم بأحاديث رستم وبهرام و
الأكاسرة وملوك الحيرة فيستملحون حديثه ويتركون استماع القرآن وقيل كان يشتري المغنيات
فلا يظفر بأحد يريد الإسلام إلا انطلق به إلى قينته فيقول أطعميه واسقيه وغنيه ويقول هذا
خير مما يدعوك إليه محمد من الصلوة والصيام وأن تقاتل بين يديه وفي حديث النبي عليه السلام
لا يحل بيع المغنيات ولا شراؤهن ولا التجارة فيهن ولا أثمانهن وعنه ما من رجل يرفع صوته
بالغناء إلا بعث الله شيطانين أحدهما على هذا المنكب والآخر على هذا المنكب فلا يزالان
يضربانه حتى يكون هو الذي يسكت وقيل الغناء منفدة للمال مسخطة للرب مفسدة للقلب
ما معنى إضافة اللهو إلى الحديث معناها التبيين وهي الإضافة بمعنى من و
أن يضاف الشيء إلى ما هو منه كقولك جبة خز وباب ساج والمعنى من يشتري اللهو من الحديث
لأن اللهو يكون من الحديث ومن غيره فبين بالحديث والمراد بالحديث الحديث المنكر كما جاء في الحديث
الحديث في المسجد يأكل الحسنات كما تأكل البهيمة الحشيش ويجوز أن تكون الإضافة بمعنى من
التبعيضية كأنه قيل ومن الناس من يشتري بعض الحديث الذي هو اللهو منه وقوله يشتري
إما من الشراء على ما روي عن النضر من شراء كتب الأعاجم أو من شراء القيان وإما من قوله و
اشتروا الكفر بالإيمان أي استبدلوه منه واختاروه عليه وعن قتادة اشتراؤه استحبابه
يختار حديث الباطل على حديث الحق ليضل عن سبيل الله بغير علم وقرئ ليضل بضم الياء وفتحها وسبيل
الله دين الإسلام أو القرآن القراءة بالضم بينة لأن النضر كان غرضه باشتراء اللهو

ان يصد الناس عن الدخول في الاسلام واستماع القرآن ويضلهم عنه فما القراءة بالفتح فيه معنيان
احدهما ليثبت على ضلاله الذي كان عليه ولا يصدف عنه ويزيد فيه ويمده فان المخذول كان شديد
الشكيمة في عداوة الدين وصد الناس عنه والثاني ان يوضع ليضل موضع ليضل من قبل ان من
اضل كان ضالا لا محالة فدل بالرديف على المردوف ما معنى قوله بغير علم لما جعله
مشتريا لهو الحديث بالقرآن قال يشتري بغير علم بالتجارة وبغير بصيرة بها حيث يستبدل الضلال
بالهدى والباطل بالحق ونحوه قوله تعالى فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين اي وما كانوا مهتدين للتجارة
بصراء بها ويتخذها هزوا اولئك لهم عذاب مهين وقرئ ويتخذها بالنصب والرفع عطفا على يشتري او
ليضل والضمير للسبيل لانها مؤنثة كقوله تعالى وتصدون عن سبيل الله من آمن به وتبغونها عوجا واذا تتلى
عليه آياتنا ولى مستكبرا كأن لم يسمعها ولى مستكبرا زاما لا يعبأ بها ولا يرفع بها راسا تشبيه حاله في
ذلك حال من لم يسمعها وهو سامع كأن في اذنيه وقرا اي ثقلا ولا وقر فيهما وقرئ بسكون الذال
ما محل الجملتين المصدرتين بكأن الاولى حال من مستكبرا والثانية من لم يسمعها
ويجوز ان يكونا استئنافين والاصل في كأن المخففة كأنه والضمير ضمير الشان فبشره بعذاب اليم ان الذين
آمنوا وعملوا الصالحات لهم جنات النعيم خالدين فيها وعد الله حقا مصدران مؤكدان الاول مؤكد
لنفسه والثاني مؤكد لغيره لان قوله لهم جنات النعيم في معنى وعدهم الله جنات النعيم فاكد
معنى الوعد بالوعد واما حقا فدال على معنى الثبات اكد به معنى الوعد ومؤكدهما جميعا قوله لهم جنات
النعيم وهو العزيز الذي لا يغلبه شيء ولا يعجزه يقدر على الشيء وضده فيعطي النعم من يشاء و
البؤس وهو الحكيم لا يشاء الا ما توجبه الحكمة والعدل خلق السموات والارض بغير عمد ترونها والقى
في الارض رواسي ان تميد بكم وبث فيها من كل دابة وانزلنا من السماء ماء فانبتنا فيها من كل زوج كريم
ترونها الضمير فيه للسموات وهو استشهاد برؤيتهم لها غير معمودة على قوله بغير عمد كما تقول لصاحبك
انا بلا سيف ولا رمح تراني ما محلها من الاعراب لا محل لها لانها مستانفة او هي
في محل الجر صفة للعمد اي بغير عمد مرئية يعني انه عمدها بعمد لا ترى وهي امساكها بقدرته هذا خلق
الله فاروني ماذا خلق الذين من دونه بل الظالمون في ضلال مبين اشارة الى ما ذكر من مخلوقاته
والخلق بمعنى المخلوق والذين من دونه آلهتهم بكتهم بان هذه الاشياء العظيمة مما خلقه الله و
انشاه فاروني ما خلقته آلهتكم حتى استوجبوا عندكم العبادة ثم اضرب عن تبكيتهم الى التسجيل
عليهم بالتورط في ضلال ليس بعده ضلال ولقد آتينا لقمان الحكمة ان اشكر لله ومن يشكر فانما يشكر

لنفسه ومن كفر فان الله غني حميد هو لقمان بن باعوراء ابن اخت ايوب او ابن خالته وقيل كان من اولاد آزر و
عاش الف سنة وادرك داود عليه السلام واخذ منه العلم وكان يفتي قبل مبعث داود فلما بعث قطع
الفتوى فقيل له فقال الا اكتفي اذ كفيت وقيل كان قاضيا في بني اسرائيل واكثر الاقاويل انه كان حكيما
ولم يكن نبيا وعن ابن عباس لقمان لم يكن نبيا ولا ملكا ولكن كان راعيا اسود فرزقه الله العتق ورضي
قوله ووصيته فقص امره في القرآن لتمسكوا بوصيته وقال عكرمة والشعبي كان نبيا وقيل خير
بين النبوة والحكمة فاختار الحكمة وعن ابن المسيب كان اسود من سودان مصر خياطا وعن مجاهد كان
عبدا اسود غليظ الشفتين متشقق القدمين وقيل كان نجارا وقيل راعيا وقيل كان يحتطب
لمولاه كل يوم حزمة وعنه انه قال لرجل ينظر اليه ان كنت تراني اسود فقلبي ابيض وروي ان رجلا
وقف عليه في مجلسه فقال الست الذي ترعى معي في مكان كذا قال بلى قال ما بلغ بك ما ارى قال صدق
الحديث والصمت عما لا يعنيني وروي انه دخل على داود عليه السلام وهو يسرد الدرع وقد لين الله له
الحديد كالطين فاراد ان يساله فادركته الحكمة فسكت فلما اتمها لبسها وقال نعم لبوس الحرب انت
فقال الصمت حكم وقليل فاعله فقال له داود بحق ما سميت حكيما وروي ان مولاه امره بذبح شاة
وبان يخرج منها اطيب مضغتين فاخرج اللسان والقلب ثم امره بمثل ذلك بعد ايام وان يخرج
اخبث مضغتين فاخرج اللسان والقلب فساله عن ذلك فقال هما اطيب ما فيها اذا طابا واخبث
ما فيها اذا خبثا وعن سعيد بن المسيب انه قال لاسود لا تحزن فانه كان من خير الناس ثلاثة من
السودان بلال ومهجع مولى عمر ولقمان ان هي المفسرة لان ايتاء الحكمة في معنى القول وقد نبه
الله سبحانه على ان الحكمة الاصلية والعلم الحقيقي هو العمل بهما وعبادة الله والشكر له حيث
فسر ايتاء الحكمة بالبعث على الشكر غني غير محتاج الى الشكر حميد حقيق بان يحمد وان لم يحمده احد
قيل كان اسم ابنه انعم وقال الكلبي اشكم وقيل كان ابنه وامراته كافرين فما زال بهما حتى اسلما واذ
قال لقمان لابنه وهو يعظه يا بني لا تشرك بالله ان الشرك لظلم عظيم لان التسوية بين من لا نعمة الا هي
منه ومن لا نعمة منه البتة ولا يتصور ان يكون منه ظلم لا يكتنه عظمه ووصينا الانسان بوالديه حملته
امه اي حملته تهن وهنا على وهن كقولك رجع عودا على بدء بمعنى يعود عودا على بدء وهو في موضع الحال
والمعنى انها تضعف ضعفا فوق ضعف اي تتزايد ضعفها ويتضاعف لان الحمل كلما ازداد وعظم
ازدادت ثقلا وضعفا وقرئ وهنا على وهن بالتحريك عن ابي عمرو وقال وهن يوهن ووهن يهن
وفصاله في عامين وقرئ وفصله ان اشكر تفسير لوصينا لي ولوالديك الى المصير وان جاهداك على ان تشرك بي

ما ليس لك به علم اراد بنفي العلم به نفيه اى لا تشرك بي ما ليس بشيء يريد الاصنام كقوله ما يدعون من دونه
من شيء فلا تطعهما وصاحبهما في الدنيا معروفا صحابا او مصاحبا معروفا حسنا بخلق جميل وحلم واحتمال
وبر وصلة وما يقتضيه الكرم والمروة واتبع سبيل من اناب الي يريد واتبع سبيل المؤمنين في دينك و
لا تتبع سبيلهما فيه وان كنت مامورا بحسن مصاحبتهما في الدنيا ثم الي مرجعكم فانبئكم بما كنتم تعملون يا بني
انها ان تك مثقال حبة من خردل فتكن في صخرة او في السموات او في الارض يات بها الله ان الله لطيف خبير يا بني
اقم الصلوة وامر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما اصابك ان ذلك من عزم الامور مرجعك ومرجعهما
فاجازيك على ايمانك واجازيهما على كفرهما علم بذلك حكم الدنيا وما يجب على الانسان في صحبتهما ومعاشرتهما
من مراعاة حق الابوة وتعظيمه وما لهما من المواجب التي لا يسوغ الاخلال بها ثم بين حكمهما وحالهما في
الاخرة وروي انها نزلت في سعد بن ابي وقاص وامه وفي القصة انها مكثت ثلثا لا تطعم ولا تشرب
حتى شجروا فاها بعود وروي انه قال لو كانت لها سبعون نفسا فخرجت لما ارتددت الى الكفر
هذا الكلام كيف وقع في اثناء وصية لقمان هو كلام اعترض به على سبيل الاستطراد
تاكيدا لما في وصية لقمان من النهي عن الشرك فا فقوله حملته امه وهنا على وهن وفصاله
في عامين كيف اعترض به بين المفسر والمفسر لما وصى بالوالدين ذكر ما تكابده الام وتعانيه من
المشاق والمتاعب في حمله وفصاله هذه المدة المتطاولة ايجابا للتوصية بالوالدة خصوصا وتذكيرا
بحقها العظيم مفردا ومن ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لمن قال له من ابر امك ثم امك ثم
امك ثم قال بعد ذلك ثم اباك وعن بعض العرب انه حمل امه الى الحج على ظهره وهو يقول في حدائه بنفسه
احمل امي وهي الحمالة ترضعني الدرة والعلالة ولا يجازى والد فعاله ما معنى
توقيت الفصال بالعامين المعنى في توقيته بهذه المدة انها الغاية التي لا تتجاوز والامر
فيما دون العامين موكول الى اجتهاد الام ان علمت انه يقوى على الفطام فلها ان تفطمه ويدل
عليه قوله عز وعلا والوالدات يرضعن اولادهن حولين كاملين لمن اراد ان يتم الرضاعة وبه استشهد
الشافعي رحمه الله على ان مدة الرضاع سنتان لا يثبت حرمة الرضاع بعد انقضائهما وهو مذهب
ابي يوسف ومحمد واما عند ابي حنيفة رحمه الله فمدة الرضاع ثلثون شهرا وعن ابي حنيفة ان فطمته
قبل العامين فاستغنى بالطعام ثم ارضعته لم يكن رضاعا وان اكل اكلا ضعيفا لم يستغن به
عن الرضاع ثم ارضعته فهو رضاع محرم قرئ مثقال حبة بالنصب والرفع فمن نصب كان الضمير
للهنة من الاساءة والاحسان اى ان كانت مثلا في الصغر والقماءة كحبة الخردل فكانت مع صغرها

في اخفى موضع واحرزه كجوف الصخرة او حيث كانت في العالم العلوي او السفلي يات بها الله يوم القيمة
فيحاسب بها عاملها ان الله لطيف يتوصل علمه الى كل خفي خبير عالم بكنهه وعن قتادة لطيف
باستخراجها خبير بمستقرها ومن قرا بالرفع كان ضمير القصة وانما انث المثقال لاضافته الى الحبة
كما قال كما شرقت صدر القناة من الدم وروي ان ابن لقمان قال له ارايت الحبة تكون في مقل
البحر اى في مغاصه يعلمها الله فقال ان الله يعلم اصغر الاشياء في اخفى الامكنة لان الحبة في
الصخرة اخفى منها في الماء وقيل الصخرة هي التي تحت الارض وهي السجين يكتب فيها اعمال الكفار
وقرئ فتكن بكسر الكاف من وكن الطائر يكن اذا استقر في وكنته وهي مقره ليلا واصبر على ما
اصابك يجوز ان يكون عاما في كل ما يصيبه من المحن وان يكون خاصا بما يصيبه فيما امر به من الامر
بالمعروف والنهي عن المنكر من اذى من يبعثهم على الخير وينكر عليهم الشر ان ذلك مما عزمه الله
من الامور اى قطعه قطع ايجاب والزام ومنه الحديث لا صيام لمن لم يعزم الصيام من الليل اى
لم يقطعه بالنية الا ترى الى قوله لمن لم يبيت الصيام ومنه ان الله يحب ان يؤخذ برخصه كما يحب
ان يؤخذ بعزائمه وقولهم عزمة من عزمات ربنا ومنه عزمات الملوك وذلك ان يقول الملك لبعض
من تحت يده عزمت عليك الا فعلت كذا اذا قال ذلك لم يكن للمعزوم عليه بد من فعله ولا مندوحة
في تركه وحقيقته انه من تسمية المفعول بالمصدر واصله من معزومات الامور اى مقطوعاتها
ومفروضاتها ويجوز ان يكون مصدرا في معنى الفاعل اصله من عازمات الامور من قوله تعالى
فاذا عزم الامر كقولك جد الامر وصدق القتال وناهيك بهذه الاية مؤذنة بقدم هذه الطاعات
وانها كانت مامورا بها في سائر الامم وان الصلوة لم تزل عظيمة الشان سابقة القدم على ما سواها
موصى بها في الاديان كلها ولا تصعر خدك للناس ولا تمش في الارض مرحا ان الله لا يحب كل مختال فخور تصاعر
وتصعر بالتشديد والتخفيف يقال اصعر خده وصعره وصاعره كقولك اعلاه وعلاه وعالاه بمعنى
والصعر والصيد داء يصيب البعير يلوي منه عنقه والمعنى اقبل على الناس بوجهك تواضعا
ولا تولهم شق وجهك وصفحته كما يفعله المتكبرون اراد ولا تمش تمرح مرحا واوقع المصدر موقع
الحال بمعنى مرحا ويجوز ان يريد لا تمش لاجل المرح والاشر اى لا يكن غرضك في المشي البطالة والاشر
كما يمشي كثير من الناس لذلك لا لكفاية مهم ديني او دنيوي ونحوه قوله تعالى ولا تكونوا كالذين
خرجوا من ديارهم بطرا ورئاء الناس والمختال مقابل للماشي مرحا وكذلك الفخور للمصعر خده كبرا
واقصد في مشيك واعدل فيه حتى يكون مشيا بين مشيين لا تدب دبيب المتماوتين ولا تثب وثب

الشطار قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سرعة المشي تذهب بهاء المؤمن واما قول عايشة رضي الله عنها
في عمر رضي الله عنه كان اذا مشى اسرع فانما ارادت السرعة المرتفعة عن دبيب المتماوت وقرئ واقصد
بقطع الهمزة اي سدد في مشيك من اقصد الرامي اذا سدد سهمه نحو الرمية واغضض من صوتك وانقص منه و
اقصر من قولك فلان يغض من فلان اذا قصر به ووضع منه ان انكر الاصوات لصوت الحمير اوحشها من
قولك شيء نكر اذا انكرته النفوس واستوحشت منه ونفرت والحمار مثل في الذم البليغ والشتيمة
وكذلك نهاقه ومن استفحاشهم لذكره مجردا وتفاديهم من اسمه انهم يكنون عنه ويرغبون عن التصريح به
فيقولون الطويل الاذنين كما يكنى عن الاشياء المستقذرة وقد عد في مساوي الآداب ان يجري ذكر
الحمار في مجلس قوم من اولي المروة ومن العرب من لا يركب الحمار استنكافا وان بلغت منه الرجلة فتشبيه
الرافعين اصواتهم بالحمير وتمثيل اصواتهم بالنهاق ثم اخلاء الكلام من لفظ التشبيه واخراجه مخرج الاستعارة
وان جعلوا حميرا وصوتهم نهاقا مبالغة شديدة في الذم والتهجين وافراط في التثبيط عن رفع الصوت
والترغيب عنه وتنبيه على انه من كراهة الله بمكان   لم وحد صوت الحمير ولم يجمع   ليس
المراد ان يذكر صوت كل واحد من آحاد هذا الجنس حتى يجمع وانما المراد ان كل جنس من الحيوان الناطق له صوت
وانكر اصوات هذه الاجناس هذا الجنس فوجب توحيده الم تروا ان الله سخر لكم ما في السموات وما في الارض واسبغ
عليكم نعمه ظاهرة وباطنة ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير ما في السموات الشمس والقمر
والنجوم والسحاب وغير ذلك وما في الارض البحار والانهار والمعادن والدواب وما لا يحصى واسبغ
قرئ بالسين والصاد وهكذا كل سين اجتمع معه الغين والخاء والقاف تقول في سلخ صلخ وفي سقر
صقر وفي سابغ صابغ وقرئ نعمه ونعمة ونعمة   ما النعمة   كل نفع قصد به الاحسان
والله عز وعلا خلق العالم كله نعمة لانه اما حيوان واما غير حيوان فما ليس بحيوان نعمة على الحيوان والحيوان نعمة
من حيث ان ايجاده حيا نعمة عليه لانه لولا ايجاده حيا لما صح منه الانتفاع وكل ما ادى الى الانتفاع وصححه فهو نعمة
لم كان خلق العالم مقصودا به الاحسان   لانه لا يخلقه الا لغرض والا كان عبثا والعبث
لا يجوز عليه ولا يجوز ان يكون لغرض راجع اليه من نفع لانه غني غير محتاج الى المنافع فلم يبق الا ان يكون لغرض راجع
الى الحيوان وهو نفعه   فما معنى الظاهرة والباطنة   الظاهرة كل ما يعلم بالمشاهدة والباطنة
ما لا يعلم الا بدليل او لا يعلم اصلا فكم في بدن الانسان من نعمة لا يعلمها ولا يهتدي الى العلم بها وقد اكثروا
في ذلك فعن مجاهد الظاهرة ظهور الاسلام والنصرة على الاعداء والباطنة الامداد من الملائكة وعن الحسن الظاهرة
الاسلام والباطنة الستر وعن الضحاك حسن الصورة وامتداد القامة وتسوية الاعضاء والباطنة المعرفة

وقيل الظاهرة البصر والسمع واللسان وسائر الجوارح الظاهرة والباطنة القلب والعقل والفهم وما اشبه
ذلك ويروى في دعاء موسى اللهم دلني على اخفى نعمتك على عبادك فقال اخفى نعمتي عليهم النفس ويروى ان
ايسر ما يعذب به اهل النار الاخذ بالانفاس واذا قيل لهم اتبعوا ما انزل الله قالوا بل نتبع ما عليه آباءنا اولو
وجدنا
كان الشيطان يدعوهم الى عذاب السعير ومن يسلم وجهه الى الله وهو محسن فقد استمسك بالعروة الوثقى قرأ علي بن
ابي طالب رضي الله عنه ومن يسلّم بالتشديد يقال اسلم امرك وسلّم امرك الى الله   ما له عدي بالى
وقد عدي باللام في قوله بلى من اسلم وجهه لله   معناه مع اللام انه جعل وجهه وهو ذاته ونفسه
سالما لله اي خالصا له ومعناه مع الى انه سلم اليه نفسه كما يسلم المتاع الى الرجل اذا دفع اليه والمراد التوكل
عليه والتفويض اليه فقد استمسك بالعروة الوثقى من باب التمثيل مثلت حال المتوكل بحال من اراد ان يتدلى
من شاهق فاحتاط لنفسه بان استمسك باوثق عروة من حبل متين مامون انقطاعه والى الله عاقبة الامور
اي هي صائرة اليه ومن كفر فلا يحزنك كفره الينا مرجعهم فننبئهم بما عملوا ان الله عليم بذات الصدور قرئ يحزنك
ويحزنك من حزن واحزن والذي عليه الاستعمال المستفيض احزنه ويحزنه والمعنى لا يهمنك كفر من
كفر وكيده للاسلام فان الله عز وجل دافع كيده في نحره ومنتقم منه ومعاقبه على عمله ان الله يعلم
ما في صدور عباده فيفعل بهم على حسبه نمتعهم قليلا ثم نضطرهم الى عذاب غليظ شبه الزامهم
التعذيب وارهاقهم اياه باضطرار المضطر الى الشيء الذي لا يقدر على الانفكاك منه والغلظ مستعار
من الاجرام الغليظة والمراد الشدة والثقل على المعذب ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن
الله قل الحمد لله الزام لهم على اقرارهم بان الذي خلق السموات والارض هو الله وحده وانه لا يجب ان يكون
له الحمد والشكر وان لا يعبد معه غيره ثم قال بل اكثرهم لا يعلمون ان ذلك يلزمهم واذا نبهوا عليه لم
يتنبهوا لله ما في السموات والارض ان الله هو الغني الحميد ان الله هو الغني عن حمد الحامدين المستحق
للحمد وان لم يحمدوه ولو ان ما في الارض من شجرة اقلام والبحر يمده من بعده سبعة ابحر ما نفدت كلمات الله ان الله
عزيز حكيم قرئ والبحر بالنصب عطفا على اسم ان وبالرفع عطفا على محل ان ومعمولها على ولو ثبت كون
الاشجار اقلاما وثبت البحر ممدودا بسبعة ابحر او على الابتداء والواو للحال على معنى ولو ان الاشجار
اقلام في حال كون البحر ممدودا وفي قراءة ابن مسعود وبحر يمده على التنكير ويجب ان يحمل هذا
على الوجه الاول وقرئ يمده ويمده وبالتاء والياء   كان مقتضى الكلام ان يقال ولو ان
الشجر اقلام والبحر مداد   اغنى عن ذكر المداد قوله يمده لانه من قولك مد الدواة وامدها
جعل البحر الاعظم بمنزلة الدواة وجعل الابحر السبعة مملوءة مدادا فهي تصب فيه مدادها

ابدا صبا لا ينقطع والمعنى ولو ان اشجار الارض اقلام والبحر ممدود بسبعة ابحر وكتبت بتلك الاقلام
وبذلك المداد كلمات الله لما نفدت كلماته ونفدت الاقلام والمداد كقوله عز وجل قل لو كان البحر مدادا لكلمات
ربي لنفد البحر قبل ان تنفد كلمات ربي زعمت ان قوله والبحر يمده حال في احد وجهي الرفع وليس
فيه ضمير راجع الى ذي الحال هو كقوله وقد اغتدي والطير في وكناتها وجئت والجيش مصطف
وما اشبه ذلك من الاحوال التي حكمها حكم الظروف ويجوز ان يكون المعنى وبحرها والضمير للارض
لم قيل من شجرة على التوحيد دون اسم الجنس الذي هو شجر اريد تفصيل الشجر وتقصيها شجرة
شجرة حتى لا يبقى من جنس الشجر ولا واحدة الا قد بريت اقلاما الكلمات جمع قلة والموضع
موضع التكثير لا التقليل فهلا قيل كلم الله معناه ان كلماته لا تفي بكتبتها البحار فكيف بكلمه وعن
ابن عباس انها نزلت جوابا لليهود لما قالوا قد اوتينا التوراة وفيها كل الحكمة وقيل ان المشركين
قالوا ان هذا يعنون الوحي كلام سينفد فاعلم الله ان كلامه لا ينفد وهذه الآية عند بعضهم
مدنية وانها نزلت بعد الهجرة وقيل هي مكية وانما امر اليهود وفد قريش ان يقولوا لرسول الله
الست تتلو فيما انزل عليك انا قد اوتينا التوراة وفيها علم كل شيء ان الله عزيز لا يعجزه شيء حكيم
لا يخرج عن علمه وحكمته شيء ومثله لا ينفد كلماته وحكمه ما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة الا كخلقها
وبعثها اي سواء في قدرته القليل والكثير والواحد والجميع لا يتفاوت وذلك انه انما كانت يتفاوت
النفس الواحدة والنفوس الكثيرة العدد ان لو شغله شان عن شان وفعل عن فعل وقد تعالى
عن ذلك ان الله سميع بصير يسمع كل صوت ويبصر كل مبصر في حالة واحدة لا يشغله ادراك بعضها عن
ادراك بعض فكذلك الخلق والبعث الم تر ان الله يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل وسخر الشمس والقمر
كل كل واحد من الشمس والقمر يجري في فلكه ويقطعه الى وقت معلوم الشمس الى آخر السنة والقمر الى
آخر الشهر وعن الحسن الاجل المسمى يوم القيمة لانه لا ينقطع جريهما الا حينئذ دل ايضا بالليل
والنهار وتعاقبهما وزيادتهما ونقصانهما وجري النيرين في فلكيهما كل ذلك على تقدير وحساب و
باحاطته بجميع اعمال الخلق على عظم قدرته وحكمته يجري لاجل مسمى ويجري الى اجل مسمى وان
الله بما تعملون خبير اهو من تعاقب الحرفين كلا ولا يسلك هذه الطريقة الا بليد الطبع
ضيق العطن ولكن المعنيين اعني الانتهاء والاختصاص كل واحد منهما ملائم لصحة الغرض لان
قولك يجري الى اجل مسمى معناه يبلغه وينتهي اليه وقولك يجري لاجل مسمى تريد يجري لادراك اجل
مسمى تجعل الجري مختصا بادراك اجل مسمى الا ترى ان جري الشمس مختص بآخر السنة وجري

القمر بآخر الشهر فكلا المعنيين غير ناب به موضعه ذلك بان الله هو الحق وان ما يدعون من دونه الباطل
الذي وصف من عجائب قدرته وحكمته التي يعجز عنها الاحياء القادرون العالمون فكيف بالجماد الذي
يدعونه من دون الله انما هو بسبب انه هو الحق الثابت الالهية وان من دونه باطل الالهية وان الله
هو العلي الشان الكبير السلطان او ذلك الذي اوحي اليك من هذه الآيات بسبب بيان ان الله هو الحق
وان الها غيره باطل وان الله هو العلي الكبير عن ان يشرك به الم تر ان الفلك تجري قرئ الفلك بضم
اللام وكل فعل يجوز فيه فعل كما يجوز في كل فعل فعل على مذهب التعويض وبنعمات الله بسكون العين
وعين فعلات يجوز فيه الكسر والفتح والسكون بنعمة الله باحسانه ورحمته ليريكم من آيات الله ان في
ذلك لآيات لكل صبار على بلائه شكور لنعمائه وهما صفتا المؤمن فكانه قال ان في ذلك لآيات لكل مؤمن
واذا غشيهم موج كالظلل دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم الى البر يرتفع الموج ويتراكب فيعود
مثل الظلل والظلة كل ما اظلك من جبل او سحاب او غيرهما وقرئ كالظلال جمع ظلة كقلة وقلال
فمنهم مقتصد وما يجحد بآياتنا الا كل ختار كفور متوسط في الكفر والظلم خفض من غلوائه وانزجر
بعض الانزجار او مقتصد في الاخلاص الذي كان عليه في البحر يعني ان ذلك الاخلاص الحادث عند
الخوف لا يبقى لاحد قط والمقتصد قليل نادر وقيل مؤمن قد ثبت على ما عاهد عليه الله في البحر
والختر اشد الغدر ومنه قولهم انك لا تمد لنا شبرا من غدر الا مددنا لك باعا من ختر قال
وانك لو رايت ابا عمير ملات يديك من غدر وختر يا ايها الناس اتقوا ربكم واخشوا يوما لا يجزي والد عن ولده
لا يجزي لا يقضي عنه شيئا ومنه قيل للمتقاضي المتجازي وفي الحديث في جذعة ابن نيار تجزي
عنك ولا تجزي عن احد بعدك وقرئ لا يجزئ لا يغني يقال اجزات عنك مجزا فلان والمعنى لا
يجزي فيه فحذف والغرور الشيطان وقيل الدنيا وقيل تمنيكم في المعصية المغفرة وعن سعيد بن
جبير الغرة بالله ان يتمادى الرجل في المعصية ويتمنى على الله المغفرة وقيل ذكرك لحسناتك
ونسيانك لسيآتك غرة وقرئ بضم الغين وهو مصدر غره غرورا جعل الغرور غارا كما قيل
جد جده او اريد زينة الدنيا لانها غرور قوله ولا مولود هو جاز عن والده شيئا ان
وعد الله حق فلا تغرنكم الحيوة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور وارد على طريق من التوكيد لم يرد عليه ما هو
معطوف عليه الامر كذلك لان الجملة الاسمية آكد من الفعلية وقد انضم الى ذلك قوله هو
وقوله مولود والسبب في مجيئه على هذا السنن ان الخطاب للمؤمنين وعليتهم قبض آباؤهم على الكفر
وعلى الدين الجاهلي فاريد حسم اطماعهم واطماع الناس فيهم ان ينفعوا آباءهم في الآخرة وان يشفعوا

لهم وان يغنوا عنهم من الله شيئا فلذلك جيء به على الطريق الآكد ومعنى التوكيد في لفظ المولود ان الواحد
منهم لو شفع للأب الأدنى الذي ولد منه لم تقبل شفاعته فضلا ان يشفع لمن فوقه من اجداده لان
الولد يقع على الولد وولد الولد بخلاف المولود فانه لمن ولد منك روي ان رجلا من محارب وهو
الحارث بن عمرو بن حارثة اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله اخبرني عن الساعة
متى قيامها واني قد القيت حباتي في الارض وقد ابطأت عنا السماء فمتى تمطر واخبرني عن امرأتي
فقد اشتملت ما في بطنها اذكر ام انثى واني علمت ما عملت امس فما اعمل غدا وهذا مولدي قد عرفته فاين
اموت فنزلت وعن النبي صلى الله عليه وسلم مفاتح الغيب خمس وتلا هذه الآية وعن ابن عباس من ادعى
علم هذه الخمسة فقد كذب اياكم والكهانة فان الكهانة تدعو الى الشرك والشرك واهله في النار و
عن المنصور انه اهمه معرفة مدة عمره فرأى في منامه كأن خيالا اخرج يده من البحر واشار اليه
بالاصابع الخمس فاستفتى العلماء في ذلك فتأولوها بخمس سنين وبخمسة اشهر وبغير ذلك حتى قال
ابو حنيفة رحمه الله تأويلها ان مفاتح الغيب خمس لا يعلمها الا الله وان ما طلبت معرفته لا سبيل لك اليه
ان الله عنده علم الساعة ايان مرساها وينزل الغيث في ابانه من غير تقديم ولا تأخير وفي بلد لا يتجاوزه
به ويعلم ما في الارحام اذكر ام انثى اتام ام ناقص وكذلك ما سوى ذلك من الاحوال وما تدري نفس
برة او فاجرة ماذا تكسب غدا من خير او شر وربما كانت عازمة على خير فعملت شرا وعازمة على شر
فعملت خيرا وما تدري نفس بأي ارض تموت اين تموت وربما اقامت بارض وضربت اوتادها وقالت
لا ابرحها واقبر فيها فترمي بها مرامي القدر حتى تموت في مكان لم يخطر ببالها ولا حدثتها به ظنونها
وروي ان ملك الموت مر على سليمان عليه السلام فجعل ينظر الى رجل من جلسائه يديم النظر اليه فقال
الرجل من هذا قال ملك الموت فقال كأنه يريدني وسأل سليمان ان يحمله على الريح ويلقيه ببلاد الهند
ففعل ثم قال ملك الموت لسليمان دوام نظري اليه كان تعجبا منه لاني امرت ان اقبض روحه بالهند
وهو عندك وجعل العلم لله والدراية للعبد لما في الدراية من معنى الختل والحيلة والمعنى
انها لا تعرف وان اعملت حيلها ما يلصق بها ويختص ولا يتخطاها ولا شيء اخص بالانسان من
كسبه وعاقبته فاذا لم يكن له طريق الى معرفتهما كان من معرفة ما عداهما ابعد وقرئ بأية
ارض وشبه سيبويه تأنيث اي بتأنيث كل في كلتهن قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
من قرأ سورة لقمن كان له لقمان رفيقا يوم القيمة واعطي من الحسنات عشرا بعدد من عمل بالمعروف
ونهى عن المنكر

سورة السجدة مكية وهي ثلثون آية وقيل تسع وعشرون

بسم الله الرحمن الرحيم الم على انها اسم السورة مبتدأ خبره تنزيل الكتاب وان جعلتها تعديدا
للحروف ارتفع تنزيل الكتاب بانه خبر مبتدأ محذوف او هو مبتدأ خبره لا ريب فيه والوجه ان يرتفع
بالابتداء وخبره من رب العالمين ولا ريب فيه اعتراض لا محل له والضمير في فيه راجع الى مضمون الجملة كأنه
قيل لا ريب في ذلك اي في كونه منزلا من رب العالمين ويشهد لوجاهته قوله ام يقولون افتراه لان قولهم
هذا مفترى انكار لان يكون من رب العالمين وكذلك قوله بل هو الحق من ربك وما فيه من تقرير انه
من الله وهذا اسلوب صحيح محكم اثبت اولا ان تنزيله من رب العالمين وان ذلك ما لا ريب فيه
ثم اضرب عن ذلك الى قوله ام يقولون افتراه لان ام هي المنقطعة الكائنة بمعنى بل والهمزة انكارا لقولهم
وتعجيبا منه لظهور امره في عجز بلغائهم عن مثل ثلث آيات منه ثم اضرب عن الانكار الى اثبات انه الحق
من ربك ونظيره ان يعلل العالم في مسألة بعلة صحيحة جامعة قد احترز فيها انواع الاحترازات كقول
المتكلمين النظر اول الافعال الواجبة على الاطلاق التي لا يعرى عن وجوبها مكلف ثم يعترض عليه فيها
ببعض ما وقع احترازه منه فيرده بتلخيص انه احترز من ذلك ثم يعود الى تقرير كلامه وتمشيته
كيف نفى ان يرتاب في انه من الله وقد اثبت ما هو اطم من الريب وهو قولهم افتراه
معنى لا ريب فيه ان لا مدخل للريب في انه تنزيل الله لان نافي الريب ومميطه معه لا ينفك عنه و
هو كونه معجزا للبشر ومثله ابعد شيء من الريب واما قولهم افتراه فاما قول متعنت مع علمه انه
من الله لظهور الاعجاز له او جاهل يقوله قبل التأمل والنظر لانه سمع الناس يقولونه لتنذر قوما
ما اتاهم من نذير من قبلك كقوله ما انذر آباؤهم وذلك ان قريشا لم يبعث الله اليهم رسولا قبل
محمد صلى الله عليه وسلم فاذا لم يأتهم نذير لم تقم عليهم حجة اما قيام الحجة بالشرائع
التي لا يدرك علمها الا بالرسل فلا واما قيامها بمعرفة الله وتوحيده وحكمته فنعم لان ادلة العقل
الموصلة الى ذلك معهم في كل زمان لعلهم يهتدون فيه وجهان ان يكون على الترجي من رسول الله
كما كان لعله يتذكر على الترجي من موسى وهارون وان يستعار لفظ الترجي للارادة الله
الذي خلق السموات والارض وما بينهما في ستة ايام ثم استوى على العرش ما معنى قوله ما لكم من
دونه من ولي ولا شفيع افلا تتذكرون هو على معنيين احدهما انكم اذا جاوزتم رضاه
لم تجدوا لانفسكم وليا اي ناصرا ينصركم ولا شفيعا يشفع لكم والثاني ان الله وليكم الذي
يتولى مصالحكم وشفيعكم اي ناصركم على سبيل المجاز لان الشفيع ينصر المشفوع له فهو
كقوله وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير فاذا خذلكم لم يبق لكم ولي ولا نصير يدبر الامر من السماء

الى الارض الامر المأمور به من الطاعات والاعمال الصالحة ينزله مدبرا من السماء الى الارض ثم
لا يعمل به ولا يصعد اليه ذلك المأمور به خالصا كما يريده ويرتضيه الا في مدة متطاولة لقلة عمال
الله والخلص من عباده وقلة الاعمال الصالحة لانه لا يوصف بالصعود الا الخالص ودل عليه قوله
على اثره قليلا ما تشكرون او يدبر امر الدنيا كلها من السماء الى الارض لكل يوم من ايام الله وهو
الف سنة كما قال وان يوما عند ربك كالف سنة مما تعدون ثم يعرج اليه اى يصير اليه ويثبت
عنده ويكتب في صحف ملائكته كل وقت من اوقات هذه المدة ما يرتفع من ذلك الامر ويدخل
تحت الوجود الى ان تبلغ المدة آخرها ثم يدبر ايضا ليوم آخر وهلم جرا الى ان تقوم الساعة
وقيل ينزل الوحى مع جبريل من السماء الى الارض ثم يرجع اليه ما كان من قبول الوحى او رده مع
جبريل وذلك في وقت هو في الحقيقة الف سنة لان المسافة مسيرة الف سنة في الهبوط و
الصعود لان ما بين السماء والارض مسيرة خمسمائة عام وهو يوم من ايامكم لسرعة جبريل لانه
يقطع مسيرة الف سنة في يوم واحد وقيل يدبر امر الدنيا من السماء الى الارض الى ان تقوم
الساعة ثم يعرج اليه ذلك الامر كله اى يصير اليه ليحكم فيه في يوم كان مقداره الف سنة وهو
يوم القيامة وقرا ابن ابي عبلة يعرج على البناء للمفعول وقرئ مما تعدون بالتاء والياء ذلك
عالم الغيب والشهادة العزيز الرحيم الذى احسن كل شئ حسنه لانه ما من شئ خلقه الا وهو مرتب على
ما اقتضته الحكمة واوجبته المصلحة فجميع المخلوقات حسنة وان تفاوتت الى حسن و
احسن كما قال لقد خلقنا الانسان في احسن تقويم وقيل علم كيف يخلقه من قوله قيمة كل امرئ
ما يحسن وحقيقته يحسن معرفته اى يعرفه معرفة حسنة بتحقيق واتقان خلقه وبدأ
خلق الانسان من طين وقرئ خلقه على البدل اى احسن خلق كل شئ وخلقه على الوصف اى
كل شئ خلقه فقد احسنه ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين ثم سواه ونفخ فيه من روحه و
جعل لكم السمع والابصار والافئدة قليلا ما تشكرون سميت الذرية نسلا لانها تنسل منه اى تنفصل
منه وتخرج من صلبه ونحوه قولهم للولد سليل ونجل وسواه قومه كقوله في احسن تقويم ودل
باضافة الروح الى ذاته على انه خلق عجيب لا يعلم كنهه الا هو كقوله ويسألونك عن الروح الآية
كانه قال ونفخ فيه من الشئ الذى اختص هو به وبمعرفته وقالوا قيل القائل ابى بن خلف و
لرضاهم بقوله اسند اليهم جميعا وقرئ ائنا وانا على الاستفهام وتركه وضللنا صرنا ترابا
وذهبنا مختلطين بتراب الارض لا نتميز منه كما يضل الماء في اللبن او غبنا في الارض بالدفن

فيها من قوله وآب مضلوه بعين جلية وقرا على وابن عباس رضى الله عنهما ضللنا بكسر اللام يقال
ضل يضل وضل يضل وقرا الحسن صللنا من صل اللحم واصل اذا انتن وقيل صرنا من جنس الصلة
وهى الارض [illegible] بم انتصب الظرف في أإذا ضللنا في الارض [illegible] بما يدل عليه قوله انا لفي خلق جديد
وهو نبعث او يجدد خلقنا بل هم بلقاء ربهم كافرون لقاء ربهم هو الوصول الى العاقبة من تلقى ملك الموت
وما وراءه فلما ذكر كفرهم بالانشاء اضرب عنه الى ما هو ابلغ في الكفر وهو انهم كافرون بجميع ما يكون في
العاقبة لا بالانشاء وحده الا ترى كيف خوطبوا بتوفى ملك الموت وبالرجوع الى ربهم بعد ذلك
مبعوثين للحساب والجزاء وهذا معنى لقاء الله على ما ذكرنا قل يتوفاكم ملك الموت الذى وكل بكم ثم الى
ربكم ترجعون والتوفى استيفاء النفس وهو الروح قال الله تعالى الله يتوفى الانفس وقال اخرجوا
انفسكم وهو ان يقبض كلها لا يترك منها شئ من قولك توفيت حقى من فلان واستوفيته اذا اخذته
وافيا كاملا من غير نقصان والتفعل والاستفعال يلتقيان في مواضع منه تقضيته واستقضيته
وتعجلته واستعجلته وعن مجاهد حويت لملك الموت الارض وجعلت له مثل الطست يتناول منها
حيث يشاء وعن قتادة يتوفاهم ومعه اعوان من الملائكة وقيل ملك الموت يدعو الارواح فتجيبه
ثم يامر اعوانه بقبضها ولو ترى اذ المجرمون ناكسوا رؤسهم عند ربهم يجوز ان يكون خطابا لرسول الله و
فيه وجهان ان يراد به التمنى كانه قال وليتك ترى كقوله عليه السلام للمغيرة لو نظرت اليها
والتمنى لرسول الله صلى الله عليه وسلم كما كان الترجى له في لعلهم يهتدون لانه تجرع منهم الغصص
ومن عداوتهم وضرارهم فجعل الله له تمنى ان يراهم على تلك الصفة الفظيعة من الحياء والخزى و
الغم ليشمت بهم وان يكون لو الامتناعية قد حذف جوابها وهو لرايت امرا فظيعا او لرايت اسوأ حال
ترى ويجوز ان يخاطب به كل احد كما تقول فلان لئيم ان اكرمته اهانك وان احسنت اليه اساء
اليك فلا تريد به مخاطبا بعينه فكانك قلت ان اكرم وان احسن اليه ولو واذ كلاهما للمضى وانما
جاز ذلك لان المترقب من الله بمنزلة الموجود والمقطوع به في تحققه ولا يقدر لترى ما يتناوله
كانه قيل ولو يكون منك الرؤية واذ ظرف له يستغيثون بقولهم ربنا ابصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل
صالحا انا موقنون فلا يغاثون يعنى ابصرنا صدق وعدك ووعيدك وسمعنا منك تصديق رسلك
او كنا عميا وصما فابصرنا وسمعنا فارجعنا هى الرجعة الى الدنيا ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها
على طريق الالجاء والقسر ولكننا بنينا الامر على الاختيار دون الاضطرار فاستحبوا العمى على
الهدى فحقت كلمة العذاب على اهل العمى دون البصراء الا ترى الى ما عقبه به من قوله ولكن حق القول

مني لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين فذوقوا بما نسيتم لقاء يومكم هذا إنا نسيناكم وذوقوا عذاب الخلد بما
كنتم تعملون لآتينا كل نفس هداها على طريق الإلجاء والقسر فذوقوا بما نسيتم فجعل ذوق العذاب نتيجة
فعلهم من نسيان العاقبة وقلة الفكر فيها وترك الاستعداد لها والمراد بالنسيان خلاف التذكر
يعني أن الانهماك في الشهوات أذهلكم وألهاكم عن تذكر العاقبة وسلط عليكم نسيانها ثم قال
إنا نسيناكم على المقابلة أي جازيناكم جزاء نسيانكم وقيل هو بمعنى الترك أي تركتم الفكر في العاقبة
فتركناكم من الرحمة وفي استئناف قوله إنا نسيناكم وبناء الفعل على أن واسمها تشديد في الانتقام
منهم والمعنى فذوقوا هذا أي ما أنتم فيه من نكس الرؤوس والخزي والغم بسبب نسيان اللقاء وذوقوا
العذاب المخلد في جهنم بسبب ما عملتم من المعاصي والكبائر الموبقة إنما يؤمن بآياتنا الذين إذا ذكروا بها
خروا سجدا إذا ذكروا بها أي وعظوا سجدوا تواضعا لله وخشوعا وشكرا على ما رزقهم من الإسلام
وسبحوا بحمد ربهم ونزهوا الله من نسبة القبائح إليه وأثنوا عليه حامدين له وهم لا يستكبرون كما يفعل
من يصر مستكبرا كأن لم يسمعها ومثله قوله إن الذين أوتوا العلم من قبله إذا يتلى عليهم يخرون
للأذقان سجدا ويقولون سبحان ربنا تتجافى جنوبهم ترتفع وتتنحى عن المضاجع عن الفرش ومواضع
النوم يدعون ربهم خوفا وطمعا ومما رزقناهم ينفقون داعين ربهم عابدين له لأجل خوفهم من سخطه
وطمعهم في رحمته وهم المتهجدون عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في تفسيرها قيام العبد من الليل
وعن الحسن أنه التهجد وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا جمع الله الأولين والآخرين يوم القيامة
جاء مناد ينادي بصوت يسمع الخلائق كلهم سيعلم أهل الجمع اليوم من أولى بالكرم ثم يرجع
فينادي ليقم الذين كانت تتجافى جنوبهم عن المضاجع فيقومون وهم قليل ثم يرجع فينادي ليقم
الذين كانوا يحمدون الله في البأساء والضراء فيقومون وهم قليل فيسرحون جميعا إلى الجنة ثم
يحاسب سائر الناس وعن أنس بن مالك كان أناس من أصحاب رسول الله يصلون من صلاة المغرب
إلى صلاة العشاء الآخرة فنزلت فيهم وقيل هم الذين يصلون صلاة العتمة لا ينامون عنها فلا
تعلم نفس ما أخفي لهم على البناء للمفعول ما أخفى لهم على البناء للفاعل وهو الله سبحانه لما
أخفي لهم وما نخفي لهم وما أخفيت لهم الثلاثة للمتكلم وهو الله سبحانه وما بمعنى الذي أو بمعنى أي
وقرئ من قرة أعين وقرات أعين والمعنى لا تعلم النفوس كلهن ولا نفس واحدة منهن لا
ملك مقرب ولا نبي مرسل أي نوع عظيم من الثواب ادخر الله لأولئك أخفاه من جميع
خلائقه لا يعلمه إلا هو مما تقر به عيونهم ولا مزيد على هذه العدة ولا مطمح وراءها ثم قال جزاء بما كانوا

يعملون لحسم أطماع المتمنين وعن النبي صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى أعددت لعبادي الصالحين ما
لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر بله ما أطلعتهم عليه اقرؤوا إن شئتم فلا تعلم نفس
ما أخفي لهم من قرة أعين وعن الحسن أخفى القوم أعمالا في الدنيا فأخفى الله لهم ما لا عين رأت ولا أذن
سمعت أفمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا أما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم كان مؤمنا وكان فاسقا محمولان
لا يستوون
على لفظ من ولا يستوون محمول على المعنى بدليل قوله فأما الذين آمنوا وأما الذين فسقوا ونحوه قوله تعالى
ومنهم من يستمع إليك حتى إذا خرجوا من عندك جنات المأوى نوع من الجنان قال عز وجل ولقد رآه نزلة
أخرى عند سدرة المنتهى عندها جنة المأوى سميت بذلك لما روي عن ابن عباس قال تأوي إليها أرواح
الشهداء وقيل هي عن يمين العرش وقرئ جنة المأوى على التوحيد نزلا عطاء بأعمالهم والنزل عطاء النازل
ثم صار عاما بما كانوا يعملون وأما الذين فسقوا فمأواهم النار كلما أرادوا أن يخرجوا منها أعيدوا فيها وقيل لهم ذوقوا
عذاب النار الذي كنتم به تكذبون فمأواهم النار أي ملجأهم ومنزلهم ويجوز أن يراد فجنة مأواهم النار أي
النار لهم مكان جنة المأوى للمؤمنين كقوله فبشرهم بعذاب أليم ولنذيقنهم من العذاب الأدنى عذاب
دون
الدنيا من القتل والأسر وما محنوا به من السنة سبع سنين وعن مجاهد عذاب القبر والعذاب الأكبر
عذاب الآخرة أي نذيقهم عذاب الدنيا قبل أن يصلوا إلى الآخرة لعلهم يرجعون أي يتوبون عن الكفر
أو لعلهم يريدون الرجوع ويطلبونه كقوله فارجعنا نعمل صالحا وسميت إرادة الرجوع رجوعا كما سميت
إرادة القيام قياما في قوله تعالى إذا قمتم إلى الصلاة ويدل عليه قراءة من قرأ يرجعون على البناء للمفعول
من أين صح تفسير الرجوع بالتوبة ولعل من الله إرادة وإذا أراد الله شيئا كان ولم يمتنع
وتوبتهم مما لا يكون لأنها لو كانت مما تكون لم يكونوا ذائقين العذاب الأكبر إرادة الله
يتعلق بأفعاله وأفعال عباده فإذا أراد الله شيئا من أفعاله كان ولم يمتنع للاقتدار وخلوص
الداعي وأما أفعال عباده فإما أن يريدها وهم مختارون لها أو مضطرون إليها بقسره وإلجائه
فإن أرادها وقد قسرهم فحكمها حكم أفعاله وإن أرادها على أن يختاروها وهو عالم أنهم لا يختارونها
لم يقدح ذلك في اقتداره كما لا يقدح في اقتدارك إرادتك أن يختار عبدك طاعتك وهو لا يختارها
لأن اختياره لا يتعلق بقدرتك وإذا لم يتعلق بقدرتك لم يكن فقده دالا على عجزك وروي في
نزولها أنه شجر بين علي بن أبي طالب رضي الله عنه والوليد بن عقبة بن أبي معيط يوم بدر كلام فقال
له الوليد اسكت فإنك صبي أنا أشب منك شبابا وأجلد منك جلدا وأذرب منك لسانا وأحد
منك سنانا وأشجع منك جنانا وأملأ منك حشوا في الكتيبة فقال له علي اسكت فإنك فاسق فنزلت

عامة للمؤمنين والفاسقين فتنا ولها وكل من في مثل حالهما وعن الحسن بن علي أنه قال للوليد كيف تشتم
عليا وقد سماه الله مؤمنا في عشر آيات وسماك فاسقا ثم في قوله ثم أعرض عنها إنا من المجرمين منتقمون للاستبعاد
والمعنى أن الإعراض عن مثل آيات الله في وضوحها وإنارتها وإرشادها إلى سواء السبيل والفوز بالسعادة
العظمى بعد التذكير بها مستبعد في العقل والعدل كما تقول لصاحبك وجدت مثل تلك الفرصة ثم لم تنتهزها
استبعادا لتركه الانتهاز ومنه ثم في بيت الحماسة لا يكشف الغماء إلا ابن حرة يرى غمرات الموت ثم
يزورها استبعد أن يزور غمرات الموت بعد أن رآها واستيقنها واطلع على شدتها هلا
قيل إنا منه منتقمون لما جعله أظلم كل ظالم ثم توعد المجرمين عامة بالانتقام منهم فقد دل على
إصابة الأظلم النصيب الأوفر من الانتقام ولو قاله بالضمير لم يفد هذه الفائدة ولقد آتينا موسى الكتاب
فلا تكن في مرية من لقائه وجعلناه هدى لبني إسرائيل الكتاب للجنس والضمير في لقائه له ومعناه إنا آتينا
موسى مثل ما آتيناك من الكتاب ولقيناه مثل ما لقيناك من الوحي فلا تك في شك من أنك لقيت مثله و
لقيت نظيره كقوله فإن كنت في شك مما أنزلنا إليك فاسأل الذين يقرءون الكتاب من قبلك ونحو قوله من لقائه
وإنك لتلقى القرآن من لدن حكيم عليم وقوله ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا وجعلنا الكتاب
المنزل على موسى هدى لقومه وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا الناس ويدعونهم إلى ما في التوراة من دين الله
وشرائعه لصبرهم وإيقانهم بالآيات وكذلك لنجعلن الكتاب المنزل إليك هدى ونورا ولنجعلن من
أمتك أئمة يهدون مثل تلك الهداية لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون عليه من نصرة الدين وثبتوا عليه من اليقين
وقيل من لقائك موسى ليلة الإسراء أو يوم القيامة وقيل من لقاء موسى الكتاب أي من تلقيه له بالرضا
والقبول وقرئ لما صبروا ولما صبروا أي لصبرهم وعن الحسن صبروا عن الدنيا وقيل إنما جعل الله
التوراة هدى لبني إسرائيل خاصة ولم يتعبد بما فيها ولد إسماعيل إن ربك هو يفصل بينهم يقضي فيميز
المحق في دينه من المبطل يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون أولم يهد لهم الواو في أولم يهد للعطف على معطوف
عليه منوي من جنس المعطوف والضمير في لهم لأهل مكة وقرئ بالنون والياء والفاعل ما دل عليه
كم أهلكنا من قبلهم من القرون لأن كم لا يقع فاعلة لا يقال جاءني كم رجل تقديره أولم يهد لهم كثرة إهلاكنا القرون أو هذا
الكلام كما هو بمضمونه ومعناه كقولك يعصم لا إله إلا الله الدماء والأموال ويجوز أن يكون فيه
ضمير الله بدلالة القراءة بالنون والقرون عاد وثمود وقوم لوط يمشون في مساكنهم إن في ذلك لآيات أفلا
يسمعون يعني أهل مكة يمرون في متاجرهم على ديارهم وبلادهم وقرئ يمشّون بالتشديد أولم يروا أنا
نسوق الماء إلى الأرض الجرز الأرض التي جرز نباتها أي قطع إما لعدم الماء وإما لأنه رعي وأزيل ولا يقال

للتي لا تنبت كالسباخ جرز ويدل عليه قوله فنخرج به زرعا وعن ابن عباس أنها أرض اليمن وعن مجاهد هي أبين
به بالماء تأكل منه من الزرع أنعامهم من عصفه وأنفسهم من حبه وقرئ يأكل بالياء أفلا يبصرون ويقولون متى هذا
الفتح النصر أو الفصل بالحكومة من قوله ربنا افتح بيننا وكان المسلمون يقولون إن الله سيفتح لنا على المشركين
أو يفتح بيننا وبينهم فإذا سمع المشركون قالوا متى هذا الفتح أي في أي وقت يكون إن كنتم صادقين في
أنه كائن ويوم الفتح يوم القيامة وهو يوم الفصل بين المؤمنين وأعدائهم ويوم نصرهم عليهم وقيل هو
يوم بدر وعن مجاهد والحسن يوم فتح مكة قل يوم الفتح لا ينفع الذين كفروا إيمانهم ولا هم ينظرون قد سألوا عن وقت الفتح فكيف ينطبق هذا الكلام
جوابا على سؤالهم كان غرضهم في السؤال عن وقت الفتح استعجالا منهم على وجه التكذيب والاستهزاء
فأجيبوا على حسب ما عرف من غرضهم في سؤالهم فقيل لهم لا تستعجلوا به ولا تستهزءوا فكأني بكم وقد حصلتم في
ذلك اليوم وآمنتم فلم ينفعكم الإيمان واستنظرتم في إدراك العذاب فلم تنظروا فإن قلت فمن فسره بيوم الفتح
أو بيوم بدر كيف يستقيم على تفسيره أن لا ينفعهم الإيمان وقد نفع الطلقاء يوم فتح مكة وناسا
يوم بدر قلت المراد أن المقتولين منهم لا ينفعهم إيمانهم في حال القتل كما لم ينفع فرعون إيمانه عند
إدراك الغرق فأعرض عنهم وانتظر النصرة عليهم وهلاكهم إنهم منتظرون الغلبة عليكم وهلاككم كقوله
فتربصوا إنا معكم متربصون وقرأ ابن السميفع منتظَرون بفتح الظاء ومعناه وانتظر هلاكهم
فإنهم أحقاء بأن ينتظر هلاكهم يعني أنهم هالكون لا محالة أو وانتظر ذلك فإن الملائكة في السماء
ينتظرونه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ الم تنزيل وتبارك الذي بيده الملك أعطي من
الأجر كأنما أحيا ليلة القدر وقال من قرأ الم تنزيل في بيته لم يدخل الشيطان بيته ثلاثة أيام

بسم الله الرحمن الرحيم عن زر قال قال لي أبي بن كعب كم تعدون سورة الأحزاب قلت ثلاثا
وسبعين آية قال فوالذي يحلف به أبي بن كعب إن كانت لتعدل سورة البقرة ولقد قرأنا منها آية
الرجم الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة نكالا من الله والله عزيز حكيم أراد أبي أن
ذلك من جملة ما نسخ من القرآن وأما ما يحكى أن تلك الزيادة كانت في صحيفة في بيت عائشة
رضي الله عنها فأكلتها الداجن فمن تأليفات الملاحدة والروافض جعل نداءه بالنبي والرسول في
قوله يا أيها النبي اتق الله يا أيها النبي لم تحرم يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك وترك نداءه باسمه كما قال
يا آدم يا موسى يا عيسى يا داود كرامة له وتشريفا وربئا بمحله وتنويها بفضله إن لم يوقع
اسمه في النداء فقد أوقعه في الإخبار في قوله محمد رسول الله وما محمد إلا رسول ذاك

لتعليم الناس أنه رسول الله وتلقين لهم أن يسموه بذلك ويدعوه له فلا تفاوت بين النداء والإخبار ألا ترى
إلى ما لم يقصد به التعليم والتلقين من الإخبار كيف ذكره بنحو ما ذكره في النداء لقد جاءكم رسول من أنفسكم
وقال الرسول يا رب لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة والله ورسوله أحق أن يرضوه النبي أولى بالمؤمنين
من أنفسهم إن الله وملائكته يصلون على النبي ولو كانوا يؤمنون بالله والنبي اتق الله واثبت على
ما أنت عليه من التقوى واثبت عليه وازدد منه وذلك لأن التقوى باب لا يبلغ آخره ولا تطع الكافرين
والمنافقين إن الله كان عليما حكيما لا تساعدهم على شيء ولا تقبل لهم رأيا ولا مشورة وجانبهم واحترس
منهم فإنهم أعداء الله وأعداء المؤمنين لا يريدون إلا المضارة والمضادة وروي أن رسول الله صلى
الله عليه وسلم لما هاجر إلى المدينة وكان يحب إسلام اليهود قريظة والنضير وبني قينقاع وقد تابعه
ناس منهم على النفاق فكان يلين لهم جانبه ويكرم صغيرهم وكبيرهم وإذا أتى منهم قبيح تجاوز عنه وكان
يسمع منهم فنزلت وروي أن أبا سفيان بن حرب وعكرمة بن أبي جهل وأبا الأعور السلمي قدموا عليه
في الموادعة التي كانت بينه وبينهم وقام معهم عبد الله بن أبي ومعتب بن قشير والجد بن قيس فقالوا
لرسول الله ارفض ذكر آلهتنا وقل إنها تشفع وتنفع وندعك وربك فشق ذلك على رسول الله وعلى
المؤمنين وهموا بقتلهم فنزلت أي اتق الله في نقض العهد ونبذ الموادعة ولا تطع الكافرين من أهل مكة و
المنافقين من أهل المدينة فيما طلبوا إليك وروي أن أهل مكة دعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أن
يرجع عن دينه ويعطوه شطر أموالهم وأن يزوجه شيبة بن ربيعة بنته وخوفه منافقو المدينة أنهم
يقتلونه إن لم يرجع فنزلت إن الله كان عليما بالصواب من الخطاء والمصلحة من المفسدة حكيما لا يفعل شيئا
ولا يأمر به إلا بداعي الحكمة واتبع ما يوحى إليك من ربك في ترك طاعة الكافرين والمنافقين وغير ذلك
إن الله كان عليما حكيما واتبع ما يوحى إليك من ربك إن الله كان بما يعملون خبيرا الذي يوحي إليك خبير بما تعملون
فموح إليك ما يصلح به أعمالكم فلا حاجة بكم إلى الاستماع من الكفرة وقرئ يعملون بالياء أي بما يعمل
المنافقون من كيدهم لكم ومكرهم بكم وتوكل على الله وكفى وأسند أمرك إليه وكله إلى تدبيره وكيلا
حافظا موكولا إليه كل أمر ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه وما جعل أزواجكم اللائي تظاهرون
منهن أمهاتكم ما جمع الله قلبين في جوف ولا زوجية وأمومة في امرأة ولا بنوة ودعوة في رجل والمعنى
أن الله سبحانه كما لم ير في حكمته أن يجعل للإنسان قلبين لأنه لا يخلو إما أن يفعل بأحدهما مثل ما
يفعل بالآخر من أفعال القلوب فأحدهما فضلة غير محتاج إليها وإما أن يفعل بهذا غير ما يفعل
بذلك فذلك يؤدي إلى اتصاف الجملة بكونه مريدا كارها عالما ظانا موقنا شاكا في حالة واحدة

أيضا أن تكون المرأة الواحدة أما لرجل زوجا له لأن الأم مخدومة مخفوض لها جناح الذل والزوجة
مستخدمة متصرف فيها بالاستفراش وغيره كالمملوكة وهما حالتان متنافيتان وأن يكون الرجل الواحد
دعيا لرجل وابنا له لأن البنوة أصالة في النسب وعراقة فيه والدعوة إلصاق عارض بالتسمية لا غير
ولا يجتمع في الشيء الواحد أن يكون أصيلا غير أصيل وهذا مثل ضربه الله تعالى في زيد بن حارثة
وهو رجل من كلب سبي صغيرا وكانت العرب في الجاهلية يتغاورون ويتسابون فاشتراه حكيم
ابن حزام لعمته خديجة فلما تزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم وهبته له وطلبه أبوه وعمه
فخير فاختار رسول الله فأعتقه وكانوا يقولون زيد بن محمد فأنزل الله تعالى هذه الآية ما كان
محمد أبا أحد من رجالكم وقيل كان أبو معمر رجلا من أحفظ العرب وأرواهم فقيل له ذو القلبين
وقيل هو جميل بن أسد الفهري وكان يقول إن لي قلبين أفهم بأحدهما أكثر مما يفهم محمد فروي
أنه انهزم يوم بدر فمر بأبي سفيان وهو معلق إحدى نعليه بيده والأخرى في رجله فقال له ما
فعل الناس فقال هم بين مقتول وهارب فقال له ما بال إحدى نعليك في رجلك والأخرى في يدك
فقال ما ظننت إلا أنهما في رجلي فأكذب الله قوله وقولهم وضربه مثلا في الظهار والتبني وعن
ابن عباس كان المنافقون يقولون لمحمد قلبان فأكذبهم الله وقيل سها في صلاته فقالت اليهود
له قلبان قلب مع أصحابه وقلب معكم وعن الحسن نزلت في أن الواحد يقول نفس تأمرني و
نفس تنهاني والتنكير في رجل وإدخال من الاستغراقية على قلبين تأكيدان لما قصد من المعنى كأنه
قال ما جعل الله لأمة الرجال ولا لواحد منهم قلبين البتة في جوفه   أي فائدة في ذكر
الجوف   الفائدة فيه كالفائدة في قوله القلوب التي في الصدور وذلك ما يحصل للسامع من
زيادة التصور والتجلي للمدلول عليه لأنه إذا سمع به صور لنفسه جوفا يشتمل على قلبين فكان أسرع
إلى الإنكار قرئ اللائي بياء وهمزة مكسورتين واللاي بياء ساكنة بعد الهمزة وتظاهرون من
ظاهر وتظاهرون من اظاهر بمعنى تظاهر وتظهرون من اظهر بمعنى تظهر وتظهرون من ظهر بمعنى
ظاهر كعقد بمعنى عاقد وتظهرون من ظهر بلفظ فعل من الظهور ومعنى ظاهر من امرأته قال
لها أنت علي كظهر أمي ونحوه في العبارة عن اللفظ لبى المحرم إذا قال لبيك وأفف الرجل إذا قال
أف وأخوات له   فما وجه تعديته بأخواته بمن   كان الظهار طلاقا عند أهل
الجاهلية فكانوا يتجنبون المرأة المظاهر منها كما يتجنبون المطلقة وكان قولهم تظاهر منها و
تباعد منها بجهة الظهار وتظهر منها تحرز منها وظاهر منها حاذر منها وظهر منها وحش منها وظهر

منها خلص منها ونظيره آلى من امرأته لما ضمن معنى التباعد منها عدي بمن والا فآلى في اصله الذي هو بمعنى حلف واقسم ليس هذا بحكمه ما معنى قولهم انت علي كظهر امي ارادوا ان يقولوا انت علي حرام كبطن امي فكنوا عن البطن بالظهر لانه عمود البطن ومنه حديث عمر يجيء به احدهم على عمود بطنه اراد على ظهره ووجه آخر وهو ان اتيان المرأة وظهرها الى السماء كان محرما عندهم محظورا وكان اهل المدينة يقولون اذا اتيت المرأة ووجهها الى الارض جاء الولد احول فلقصد المطلق منهم الى التغليظ في تحريم امرأته عليه شبهها بالظهر ثم لم يقنع بذلك حتى جعله ظهر امه فلم يترك الدعي فعيل بمعنى مفعول وهو الذي يدعى ولدا فما له جمع على افعلاء وباب ما كان منه بمعنى فاعل كتقي واتقياء وشقي واشقياء ولا يكون ذلك في نحو رمي وسمي ان شذوذه عن القياس كشذوذ قتلاء واسراء والطريق في مثل ذلك التشبيه اللفظي وما جعل ادعياءكم ذلكم النسب هو قولكم بافواهكم هذا ابني لا غير من غير ان يواطيه اعتقاد لصحته وكونه حقا والله عز وجل لا يقول الا ما هو حق ظاهره وباطنه ولا يهدي الا سبيل الحق ثم قال ما هو حق وهدى الى ما هو سبيل الحق وهو قوله وهو يهدي السبيل ادعوهم لآبائهم هو اقسط عند الله ادعوهم لآبائهم وبين ان دعاءهم لآبائهم هو ادخل الامرين في القسط والعدل وفي فصل هذه الجمل ووصلها من الحسن والفصاحة ما لا يغبى على عالم بطرق النظم وقرأ قتادة وهو الذي يهدي السبيل وقيل كان الرجل في الجاهلية اذا اعجبه جلد الرجل وظرفه ضمه الى نفسه وجعل له مثل نصيب الذكر من اولاده في ميراثه وكان ينسب اليه فيقال فلان بن فلان فان لم تعلموا آباءهم فاخوانكم في الدين ومواليكم وليس عليكم جناح فيما اخطأتم به لهم آباء تنسبونهم اليهم فهم اخوانكم في الدين واولياؤكم في الدين فقولوا هذا اخي وهذا مولاي يريد الاخوة في الدين والولاية فيه ولكن ما تعمدت قلوبكم ما تعمدت في محل الجر عطفا على ما اخطأتم ويجوز ان يكون مرتفعا على الابتداء والخبر محذوف تقديره ولكن ما تعمدت قلوبكم فيه الجناح والمعنى لا اثم عليكم فيما فعلتموه من ذلك مخطئين جاهلين قبل ورود النهي ولكن الاثم فيما تعمدتموه بعد النهي او لا اثم عليكم اذا قلتم لولد غيركم يا بني على سبيل الخطأ وسبق اللسان ولكن اذا قلتموه متعمدين ويجوز ان يراد العفو عن الخطأ دون العمد على طريق العموم كقوله عليه السلام ما اخشى عليكم الخطأ ولكن اخشى عليكم العمد وقوله وضع عن امتي الخطأ والنسيان وما اكرهوا عليه ثم تناول لعمومه خطأ التبني وعمده فاذا وجد التبني فما حكمه اذا كان المتبنى مجهول النسب واصغر سنا من المتبني ثبت نسبه منه وان كان عبدا له عتق مع ثبوت النسب

وان كان لا يولد مثله لمثله لم يثبت النسب ولكنه يعتق عند ابي حنيفة رحمه الله وعند صاحبيه لا يعتق واما المعروف النسب فلا يثبت نسبه بالتبني وان كان عبدا عتق وكان الله غفورا رحيما لعفوه عن الخطأ وعن العمد اذا تاب العامد النبي اولى بالمؤمنين في كل شيء من امور الدين والدنيا من انفسهم ولهذا اطلق ولم يقيد فيجب عليهم ان يكون احب اليهم من انفسهم وحكمه انفذ عليهم من حكمها وحقه آثر لديهم من حقوقها وشفقتهم عليه اقدم من شفقتهم عليها وان يبذلوها دونه ويجعلوها فداءه اذا اعضل خطب ووقاءه اذا لقحت حرب وان لا يتبعوا ما تدعوهم اليه نفوسهم ولا ما تصرفهم عنه ويتبعوا كل ما دعاهم اليه رسول الله وصرفهم عنه لان كل ما دعا اليه فهو ارشاد لهم الى نيل النجاة والظفر بسعادة الدارين وما صرفهم عنه فاخذ بحجزهم لئلا يتهافتوا فيما يرمي بهم الى الشقاوة وعذاب النار او هو اولى بهم على معنى انه ارأف بهم واعطف عليهم وانفع لهم كقوله تعالى بالمؤمنين رؤوف رحيم وعن النبي صلى الله عليه وسلم ما من مؤمن الا انا اولى به في الدنيا والآخرة اقرؤوا ان شئتم النبي اولى بالمؤمنين من انفسهم فايما مؤمن هلك وترك مالا فليرثه عصبته من كانوا وان ترك دينا او ضياعا فالي وفي قراءة ابن مسعود النبي اولى بالمؤمنين من انفسهم وهو اب لهم وقال مجاهد كل نبي فهو ابو امته ولذلك صار المؤمنون اخوة لان النبي صلى الله عليه وسلم ابوهم في الدين وازواجه امهاتهم تشبيه لهن بالامهات في بعض الاحكام وهو وجوب تعظيمهن وتحريم نكاحهن قال الله تعالى ولا ان تنكحوا ازواجه من بعده ابدا وهن فيما وراء ذلك بمنزلة الاجنبيات ولذلك قالت عائشة رضي الله عنها لسنا امهات النساء تعني انهن انما كن امهات الرجال لكونهن محرمات عليهم كتحريم امهاتهم والدليل على ذلك ان هذا التحريم لم يتعد الى بناتهن وكذلك لم يثبت لهن سائر احكام الامهات واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض كان المسلمون في صدر الاسلام يتوارثون بالولاية في الدين وبالهجرة لا بالقرابة كما كانت تتألف قلوب قوم باسهام لهم في الصدقات ثم نسخ ذلك لما دجا الاسلام وعز اهله وجعل التوارث بحق القرابة في كتاب الله في اللوح او فيما اوحى الله الى نبيه وهو هذه الآية او في آية المواريث او فيما فرض الله كقوله كتاب الله عليكم من المؤمنين والمهاجرين يجوز ان يكون بيانا لاولي الارحام اي الاقرباء من هؤلاء بعضهم اولى بان يرث بعضا من الاجانب ويجوز ان يكون لابتداء الغاية اي اولوا الارحام بحق القرابة اولى بالميراث من المؤمنين بحق الولاية في الدين ومن المهاجرين بحق الهجرة الا ان تفعلوا الى اوليائكم معروفا كان ذلك في الكتاب مسطورا ثم استثنى ان تفعلوا من اعم العام في معنى النفع والاحسان كما تقول القريب اولى من الاجنبي الا في الوصية تريد انه احق منه في كل نفع من ميراث وهبة وهدية وصدقة و

غير ذلك الا في الوصية والمراد بفعل المعروف التوصية لانه لا وصية لوارث وعدي تفعلوا بالى لانه في
معنى تسدوا وتزلوا والمراد بالاولياء المؤمنون والمهاجرون للولاية في الدين ذلك اشارة الى ما ذكر
في الآيتين جميعا وتفسير الكتاب كما مر آنفا والجملة مستانفة كالخاتمة لما ذكر من الاحكام واذكر اذ حين
اخذنا من النبيين جميعا ميثاقهم بتبليغ الرسالة والدعاء الى الدين القيم ومنك خصوصا ومن نوح وابرهيم وموسى
وعيسى ابن مريم واخذنا منهم ميثاقا غليظا وانما فعلنا ذلك ليسأل الله الصادقين يوم القيامة عند تواقف
الاشهاد المؤمنين الذين صدقوا عهدهم ووفوا به من جملة من اشهدهم على انفسهم الست بربكم قالوا
بلى عن صدقهم عهدهم وشهادتهم فيشهد لهم الانبياء بانهم صدقوا عهدهم وشهادتهم فيشهد لهم الانبياء
بانهم صدقوا عهدهم وشهادتهم وكانوا مؤمنين او ليسأل المصدقين للانبياء عن تصديقهم لان من
قال للصادق صدقت كان صادقا في قوله او ليسأل الانبياء ما الذي اجابتهم به اممهم وتاويل
مسألة الرسل تبكيت الكافرين بهم كقوله أانت قلت للناس اتخذوني وامي الهين من دون الله

لم قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم على نوح فمن بعده هذا العطف لبيان فضيلة الانبياء
الذين هم مشاهيرهم وذراريهم فلما كان محمد صلى الله عليه وسلم افضل هؤلاء المفضلين قدم عليهم لبيان
انه افضلهم ولولا ذلك لقدم من قدم زمانه فقد قدم عليه نوح في الآية التي هي اخت هذه
وهي قوله شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي اوحينا اليك ثم قدم على غيره مورد
هذه الآية على طريقة خلاف طريقة تلك وذلك ان الله عز وجل انما اوردها لوصف دين الاسلام
بالاصالة والاستقامة فكانه قال شرع لكم الدين الاصيل الذي بعث عليه نوح في العهد القديم
وبعث عليه محمد خاتم الانبياء في العهد الحديث وبعث عليه من توسط بينهما من الانبياء المشاهير

فماذا اراد بالميثاق الغليظ اراد به ذلك الميثاق بعينه معناه واخذنا منهم بذلك
الميثاق ميثاقا غليظا والغلظ استعارة من وصف الاجرام والمراد عظم الميثاق وجلالة شانه
في بابه وقيل الميثاق الغليظ اليمين بالله على الوفاء بما حملوا علام عطف قوله واعد للكافرين
على اخذنا من النبيين لان المعنى ان الله اكد على الانبياء الدعوة الى دينه لاجل اثابة
المؤمنين واعد للكافرين عذابا اليما او على ما دل عليه ليسأل الصادقين كانه قال فاثاب المؤمنين
واعد للكافرين يا ايها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذكروا ما انعم الله به عليكم يوم الاحزاب و
هو يوم الخندق اذ جاءتكم جنود وهم الاحزاب فارسل الله عليهم ريح الصبا قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم نصرت بالصبا واهلكت عاد بالدبور وجنودا لم تروها وكان الله بما تعملون بصيرا وهم الملائكة و

فارسلنا عليهم ريحا

كانوا الفا بعث الله عليهم صبا باردة في ليلة شاتية فاخصرتهم وسفت التراب في وجوههم وامر الملائكة
فقلعت الاوتاد وقطعت الاطناب واطفأت النيران واكفأت القدور وماجت الخيل بعضها في بعض
وقذف في قلوبهم الرعب وكبرت الملائكة في جوانب عسكرهم فقال طليحة بن خويلد الاسدي اما
محمد فقد بداكم بالسحر فالنجاء النجاء فانهزموا من غير قتال وحين سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم باقبالهم
ضرب الخندق على المدينة واشار عليه بذلك سلمان الفارسي ثم خرج في ثلثة آلاف من المسلمين فضرب
معسكره والخندق بينه وبين القوم وامر بالذراري والنساء فرفعوا في الآطام واشتد الخوف وظن
المؤمنون كل ظن ونجم النفاق من المنافقين حتى قال معتب بن قشير كان محمد يعدنا كنوز كسرى و
قيصر لا نقدر ان نذهب الى الغائط قريش فاقبلت في عشرة آلاف من الاحابيش وبني كنانة و
اهل تهامة وقائدهم ابو سفيان وخرج غطفان في الف ومن تابعهم من اهل نجد وقائدهم عيينة بن
حصن وعامر بن الطفيل في هوازن وضامتهم اليهود من قريظة والنضير ومضى على الفريقين قريب
من شهر لا حرب بينهم الا الترامي بالنبل والحجارة حتى انزل الله النصر تعلون قريبا لنا والياء اذ
جاؤكم من فوقكم من اعلى الوادي من قبل المشرق بنو غطفان ومن اسفل منكم من اسفل الوادي
من قبل المغرب قريش تحزبوا وقالوا سنكون جملة واحدة حتى نستاصل محمدا واذ زاغت الابصار و
بلغت القلوب الحناجر مالت عن سننها ومستوى نظرها حيرة وشخوصا وقيل عدلت عن كل شئ
فلم تلتفت الا الى عدوها لشدة الروع الحنجرة راس الغلصمة وهي منتهى الحلقوم والحلقوم مدخل
الطعام والشراب قالوا اذا انتفخت الرئة من شدة الفزع او الغضب او الغم الشديد ربت وارتفع
القلب بارتفاعها الى راس الحنجرة ومن ثم قيل للجبان انتفخ سحره ويجوز ان يكون ذلك مثلا في اضطراب
القلوب ووجيبها وان لم تبلغ الحناجر حقيقة وتظنون بالله الظنونا هنالك ابتلي المؤمنون وزلزلوا
زلزالا شديدا واذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله خطاب للذين آمنوا ومنهم
الثبت القلوب والاقدام والضعاف القلوب الذين هم على حرف والمنافقون الذين لم يوجد منهم
الايمان الا بالسنتهم فظن الاولون بالله انه يبتليهم ويفتنهم فخافوا الزلل وضعف الاحتمال واما
الآخرون فظنوا بالله ما حكي عنهم وعن الحسن ظنوا ظنونا مختلفة ظن المنافقون ان المسلمين
يستاصلون وظن المؤمنون انهم يبتلون وقرئ الظنون بغير الف في الوصل والوقف وهو
القياس وبزيادة الف في الوقف زادوها في الفاصلة كما زادها في القافية من قال
اقلي اللوم عاذل والعتابا وكذلك الرسولا والسبيلا وقرئ بزيادتها في الوصل ايضا اجراء له مجرى

الوقف قال أبو عبيد وهن كلهن في الإمام بالألف وعن أبي عمرو إشمام زاي زلزلوا وقرئ زلزالا بالفتح
والمعنى أن الخوف أزعجهم أشد الإزعاج إلا غرورا قيل قائله معتب حين رأى الأحزاب قال يعدنا
محمد فتح فارس والروم وأحدنا لا يقدر أن يتبرز فرقا ما هذا إلا وعد غرور وإذ قالت طائفة منهم
يا أهل يثرب طائفة منهم هم أوس بن قيظي ومن وافقه على رأيه وعن السدي عبد الله بن أبي وأصحابه
ويثرب اسم المدينة وقيل أرض وقعت المدينة في ناحية منها لا مقام لكم قرئ بضم الميم وفتحها أي
لا قرار لكم ههنا ولا مكان تقومون فيه أو تقيمون فارجعوا إلى المدينة أمروهم بالهرب من عسكر رسول
الله صلى الله عليه وسلم وقيل قالوا لهم ارجعوا كفارا وأسلموا محمدا وإلا فليست يثرب لكم بمكان ويستأذن فريق
منهم النبي يقولون إن بيوتنا عورة وما هي بعورة إن يريدون إلا فرارا قرئ عورة بسكون الواو وكسرها
فالعورة الخلل والعورة ذات العورة يقال عور المكان عورا إذا بدا فيه خلل يخاف منه العدو
والسارق ويجوز أن يكون عورة تخفيف عورة اعتذروا أن بيوتهم معرضة للعدو ممكنة للسراق
لأنها غير محرزة ولا محصنة فاستأذنوه ليحصنوها ثم يرجعوا إليه فأكذبهم الله بأنهم لا يخافون
ذلك وإنما يريدون الفرار ولو دخلت عليهم المدينة وقيل بيوتهم من قولك دخلت على فلان داره من
أقطارها من جوانبها يريد ولو دخلت هذه العساكر المتحزبة التي يفرون خوفا منها مدينتهم و
بيوتهم من نواحيها كلها وانثالت على أهاليهم وأولادهم ناهبين سابين ثم سئلوا عند ذلك الفزع
وتلك الرجفة الفتنة أي الردة والرجعة إلى الكفر ومقاتلة المسلمين لأتوها لجاؤوها وفعلوها
وقرئ لآتوها لأعطوها وما تلبثوا بها وما ألبثوا إعطاءها إلا يسيرا ريثما يكون السؤال والجواب من
غير توقف أو وما لبثوا بالمدينة بعد ارتدادهم إلا يسيرا فإن الله يهلكهم والمعنى أنهم يتعللون
بإعوار بيوتهم ويتمحلون ليفروا عن نصرة رسول الله والمؤمنين وعن مصافة الأحزاب الذين ملأوهم
هولا ورعبا وهؤلاء الأحزاب كما هم لو كبسوا عليهم أرضهم وديارهم وعرض عليهم الكفر وقيل
كونوا على المسلمين لسارعوا وما تعللوا بشيء وما ذاك إلا لمقتهم الإسلام وشدة بغضهم لأهله وحبهم
الكفر وتهالكهم على حزبه وعن ابن عباس عاهدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة العقبة أن يمنعوه
مما يمنعون منه أنفسهم وقيل هم قوم غابوا عن بدر فقالوا لئن أشهدنا الله قتالا لنقاتلن و
عن محمد بن إسحق عاهدوا يوم أحد أن لا يفروا بعد ما نزل فيهم ما نزل ولقد كانوا عاهدوا الله
من قبل لا يولون الأدبار وكان عهد الله مسئولا مطلوبا مقتضى حتى يوفى به لن ينفعكم الفرار مما
لا بد لكم منه من نزول حتف أنف أو قتل وإن نفعكم الفرار مثلا فمتعتم بالتأخير لم يكن ذلك

التمتيع إلا زمانا قليلا وعن بعض المروانية أنه مر بحائط مائل فأسرع فتليت له هذه الآية فقال ذلك
القليل نطلب   كيف جعلت الرحمة قرينة السوء في العصمة ولا عصمة إلا من السوء
معناه أو يصيبكم بسوء إن أراد بكم رحمة فاختصر الكلام وأجري مجرى قوله متقلدا سيفا ورمحا
أو حمل الثاني على الأول لما في العصمة من معنى المنع قد يعلم الله المعوقين منكم والقائلين لإخوانهم هلم إلينا
ولا يأتون البأس المعوقين المثبطين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم المنافقون كانوا يقولون لإخوانهم
من ساكني المدينة من أنصار رسول الله صلى الله عليه وسلم ما محمد وأصحابه إلا أكلة رأس ولو كانوا لحما
لالتهمهم أبو سفيان وأصحابه فخلوهم وهلموا إلينا أي قربوا أنفسكم إلينا وهي لغة أهل الحجاز يسوون
فيه بين الواحد والجمع وأما تميم فيقولون هلم يا رجل وهلموا يا رجال وهو صوت سمي به فعل متعد
مثل احضر وقرب قل هلم شهداءكم إلا قليلا إلا إتيانا قليلا يخرجون مع المؤمنين يوهمونهم أنهم
معهم ولا تراهم يبارزون ويقاتلون إلا شيئا قليلا إذا اضطروا إليه كقوله ما قاتلوا إلا قليلا
أشحة عليكم فإذا جاء الخوف رأيتهم في وقت الحرب أضناء بكم يترفرفون عليكم كما يفعل الرجل بالذاب
عنه المناضل دونه عند الخوف ينظرون إليك في تلك الحالة كما ينظر المغشي عليه من معالجة سكرات
الموت حذرا وخورا ولواذا بك تدور أعينهم كالذي يغشى عليه من الموت فإذا ذهب الخوف وحيزت
الغنائم ووقعت القسمة نقلوا ذلك الشح وتلك الضنة والرفرفة عليكم إلى الخير وهو المال
والغنيمة ونسوا تلك الحالة الأولى واجترؤوا عليكم وضربوكم بألسنتهم وقالوا وفروا
قسمتنا فإنا قد شاهدناكم وقاتلنا معكم وبمكاننا غلبتم عدوكم وبنا نصرتم عليه ونصب أشحة
على الحال أو على الذم وقرئ أشحة بالرفع وصلقوكم بالصاد على الخير أولئك لم يؤمنوا فأحبط الله
أعمالهم   هل يثبت للمنافق عمل حتى يرد عليه الإحباط   لا ولكنه تعليم لمن
عسى يظن أن الإيمان باللسان إيمان وإن لم يواطئه القلب وأن ما يعمل المنافق من الأعمال
يجدي عليه فبين أن إيمانه ليس بإيمان وأن كل عمل يوجد منه باطل وفيه بعث على إتقان
المكلف أساس أمره وهو الإيمان الصحيح وتنبيه على أن الأعمال الكثيرة من غير تصحيح المعرفة
كالبناء على غير أساس وأنها مما يذهب عند الله هباء منثورا   ما معنى قوله وكان
ذلك على الله يسيرا وكل شيء عليه يسير   معناه أن أعمالهم حقيقة بالإحباط تدعو إليه
الدواعي ولا يصرف عنه صارف يحسبون الأحزاب لم يذهبوا أن الأحزاب لم ينهزموا وقد انهزموا
فانصرفوا عن الخندق إلى المدينة لما نزل بهم من الخوف الشديد ودخلهم من الجبن المفرط وإن يأت

الاحزاب يودوا لو انهم بادون في الاعراب كرة ثانية تمنوا لخوفهم مما منوا به هذه الكرة انهم خارجون
الى البدو حاصلون بين الاعراب يسألون عن انبائكم كل قادم منهم من جانب المدينة عن اخباركم وعما
جرى عليكم ولو كانوا فيكم ما قاتلوا الا قليلا ولم يرجعوا الى المدينة وكان قتال لم يقاتلوا الا تعلة
رياء وسمعة وقرئ بدى على فعل جمع باد كغاز وغزى وفي رواية صاحب الاقليد بديا بوزن
عدي ويتساءلون اى يتساءلون ومعناه يقول بعضهم لبعض ماذا سمعت ماذا بلغك او يتساءلون
الاعراب كما تقول رأيت الهلال وتراءيناه كان عليكم ان تواسوا رسول الله بانفسكم فتوازروه وتثبتوا
معه كما آساكم بنفسه في الصبر على الجهاد والثبات في مرحى الحرب حتى كسرت رباعيته يوم احد و
شج وجهه فما حقيقة قوله لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة وقرئ أسوة بالضم
فيه وجهان احدهما انه في نفسه اسوة حسنة اى قدوة وهو المؤتسى به اى المقتدى به كما تقول
في البيضة عشرون منا حديدا اى هي في نفسها هذا المبلغ من الحديد والثاني ان فيه خصلة من حقها
ان يؤتسى به وتتبع وهي المواساة بنفسه لمن كان يرجو الله بدل من لكم كقوله للذين استضعفوا لمن آمن
منهم يرجو الله واليوم الآخر من قولك رجوت زيدا وفضله اى فضل زيد او يرجو ايام الله واليوم الآخر
خصوصا والرجاء بمعنى الامل او الخوف وذكر الله كثيرا ولما رأى المؤمنون الاحزاب وقرن الرجاء بالطاعات
الكثيرة والتوفر على الاعمال الصالحة والمؤتسي برسول الله من كان كذلك وعدهم الله ان يزلزلوا
حتى يستغيثوه ويستنصروه في قوله ام حسبتم ان تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا
من قبلكم فلما جاء الاحزاب وشخص بهم واضطربوا ورعبوا الرعب الشديد قالوا هذا ما وعدنا
الله ورسوله وصدق الله ورسوله وما زادهم وايقنوا بالجنة والنصر وعن ابن عباس قال النبي
صلى الله عليه وسلم لاصحابه ان الاحزاب سائرون اليكم تسعا او عشرا اى في آخر تسع ليال
او عشر فلما رأوهم قد اقبلوا للميعاد قالوا ذلك وهذا اشارة الى الخطب او البلاء الا ايمانا
بالله وبمواعيده وتسليما لقضاياه وأقداره من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه نذر
رجال من الصحابة انهم اذا لقوا حربا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثبتوا او قاتلوا حتى يستشهدوا
وهم عثمان بن عفان وطلحة بن عبيد الله وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل وحمزة ومصعب
ابن عمير وغيرهم فمنهم من قضى نحبه يعني حمزة ومصعبا ومنهم من ينتظر يعني عثمان وطلحة وفي
الحديث من احب ان ينظر الى شهيد يمشي على وجه الارض فلينظر الى طلحة وما قضاء
النحب وقع عبارة عن الموت لان كل حي لا بد له من ان يموت فكأنه نذر لازم في رقبته

فاذا مات فقد قضى نحبه اى نذره وقوله فمنهم من قضى نحبه يحتمل موته شهيدا ويحتمل وفاءه بنذره
من الثبات مع رسول الله فما حقيقة قوله صدقوا ما عاهدوا الله عليه يقال صدقني
اخوك وكذبني اذا قال لك الصدق والكذب واما المثل صدقني سن بكره فمعناه صدقني في سن
بكره بطرح الجار وايصال الفعل فلا يخلو ما عاهدوا الله عليه اما ان يكون بمنزلة السن في طرح الجار
واما ان يجعل المعاهد عليه مصدوقا على المجاز كأنهم قالوا للمعاهد عليه سنفي بك وهم وافون به فقد
صدقوه ولو كانوا ناكثين لكذبوه ولكان مكذوبا وما بدلوا تبديلا ليجزي الله الصادقين بصدقهم ويعذب
المنافقين ان شاء العهد ولا غيروه لا المستشهد ولا من ينتظر الشهادة ولقد ثبت طلحة مع رسول
الله صلى الله عليه وسلم يوم احد حتى اصيبت يده فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اوجب طلحة و
فيه تعريض بمن بدلوا من اهل النفاق ومرض القلوب جعل المنافقون كأنهم قصدوا عاقبة السوء
وارادوها بتبديلهم كما قصد الصادقون عاقبة الصدق بوفائهم لان كلا الفريقين مسوق الى عاقبته من
الثواب والعقاب وكأنما استويا في طلبها والسعي لتحصيلها ويعذبهم ان شاء اذا لم يتوبوا او يتوب عليهم
ان الله كان غفورا رحيما ورد الله الذين كفروا الاحزاب بغيظهم مغيظين كقوله تنبت بالدهن لم ينالوا خيرا غير
ظافرين وهما حالان بتداخل او تعاقب ويجوز ان تكون الثانية بيانا للاولى او استئنافا وكفى الله المؤمنين
القتال بالريح والملائكة وكان الله قويا عزيزا وانزل الذين ظاهروهم الاحزاب من اهل الكتاب من صياصيهم
وقذف في قلوبهم الرعب فريقا تقتلون وتأسرون فريقا واورثكم ارضهم وديارهم واموالهم من حصونهم والصيصية
ما تحصن به يقال لقرن الثور والظبي صيصية ولشوكة الديك وهي مخلبه التي في ساقه لانه يتحصن بها
روي ان جبريل عليه السلام اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم صبيحة الليلة التي انهزم فيها الاحزاب
ورجع المسلمون الى المدينة ووضعوا سلاحهم على فرسه الحيزوم والغبار على وجه الفرس وعلى السرج
فقال ما هذا يا جبريل قال من متابعة قريش فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يمسح الغبار عن
وجه الفرس وعن سرجه فقال يا رسول الله ان الملائكة لم تضع السلاح ان الله يأمرك بالسير الى
بني قريظة وانا عامد اليهم فان الله داقهم دق البيض على الصفا وانهم لكم طعمة فأذن في الناس
ان من كان سامعا مطيعا فلا يصلين العصر الا في بني قريظة فما صلى كثير من الناس العصر الا بعد
العشاء الآخرة لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم فحاصرهم خمسا وعشرين ليلة حتى جهدهم الحصار
فقال لهم رسول الله تنزلون على حكمي فأبوا فقال على حكم سعد بن معاذ فرضوا به فقال سعد حكمت فيهم
ان تقتل مقاتلتهم وتسبى ذراريهم ونساؤهم فكبر النبي صلى الله عليه وسلم وقال لقد حكمت بحكم الله

من فوق سبعة ارقعة ثم استنّ لهم وخندق في سوق المدينة خندقا وقدّمهم فضرب اعناقهم و(بين)
هم ثمانمائة الى تسعمائة وقيل كانوا ستمائة مقاتل وسبعمائة اسير وقرئ الرعب بسكون العين وضمها
وتاسرون بضم السين وروى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم جعل عقارهم للمهاجرين دون
الانصار فقالت الانصار في ذلك فقال انكم في منازلكم وقال عمر رضي الله عنه اما تخمّس كما خمّست يوم بدر
قال لا انما جعلت هذه لي طعمة دون الناس قال رضينا بما صنع الله ورسوله وارضا لم تطؤها وكان الله
على كل شيء قديرا عن الحسن فارس والروم وعن قتادة كنا نحدث انها مكة وعن مقاتل هي خيبر وعن عكرمة
كل ارض تفتح الى يوم القيمة ومن بدع التفاسير انه اراد نساءهم يا ايها النبي قل لازواجك ان كنتنّ تردن
الحيوة الدنيا وزينتها فتعالين امتعكنّ واسرحكنّ سراحا جميلا وان كنتن تردن الله ورسوله والدار الآخرة
فان الله اعدّ للمحسنات منكنّ اجرا عظيما اردن شيئا من الدنيا من ثياب وزيادة نفقة وتغايرن فغمّ ذلك
رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت فبدأ بعائشة وكانت احبهن اليه فخيّرها وقرأ عليها القرآن
فاختارت الله ورسوله والدار الآخرة فرئي الفرح في وجه رسول الله ثم اختارت جميعهن اختيارها
فشكر لهن الله ذلك فانزل لا يحل لك النساء من بعد ولا ان تبدل بهن من ازواج وروى انه
قال لعائشة اني ذاكر لك امرا ولا عليك ان لا تعجلي فيه حتى تستأمري ابويك ثم قرأ عليها القرآن
فقالت أفي هذا استأمر ابوي فاني اريد الله ورسوله والدار الآخرة وروى انها قالت لا تخبر
ازواجك اني اخترتك فقال انما بعثني الله مبلغا ولم يبعثني متعنتا ما حكم التخيير
في الطلاق اذا قال لها اختاري فقالت اخترت نفسي او قال اختاري نفسك فقالت اخترت
لا بد من ذكر النفس في قول المخيّر او المخيّرة وقعت طلقة بائنة عند ابي حنيفة واصحابه
رحمهم الله واعتبروا ان يكون ذلك في المجلس قبل القيام او الاشتغال بما يدل على الاعراض واعتبر
الشافعي رحمه الله اختيارها على الفور وهي عنده طلقة رجعية وهو مذهب عمر وابن مسعود
واذا اختارت زوجها لم يقع شيء باجماع فقهاء الامصار وعن عائشة رضي الله عنها خيّرنا رسول
الله صلى الله عليه وسلم فاخترناه ولم يعدّه طلاقا وروى أفكان طلاقا وعن علي رضي الله عنه
اذا اختارت زوجها فواحدة رجعية وان اختارت نفسها فواحدة بائنة وروى عنه ايضا انها
ان اختارت زوجها فليس بشيء اصل تعال ان يقوله من في المكان المرتفع لمن في المكان المستوطي
ثم كثر حتى استوت في استعماله الامكنة ومعنى تعالين اقبلن بارادتكن واختياركن
لاحد الامرين ولم يرد نهوضهن اليه بانفسهن كما تقول اقبل يخاصمني وذهب يكلمني وقام

يهددني امتعكنّ اعطكنّ متعة الطلاق المتعة في الطلاق واجبة ام لا
المطلقة التي لم يدخل بها ولم يفرض لها في العقد متعتها واجبة عند ابي حنيفة واصحابه رحمهم الله
واما سائر المطلقات فمتعتهن مستحبة وعن الزهري متعتان احدهما يقضي بها السلطان من طلق
قبل ان يفرض ويدخل بها والثانية حق على المتقين من طلق بعد ما يفرض ويدخل وخاصمت
امرأة الى شريح في المتعة فقال ان كنت من المتقين ولم يجبره (متعتها) وعن سعيد بن جبير المتعة حق
مفروض وعن الحسن لكل مطلقة متعة الا المختلعة والملاعنة والمتعة درع وخمار وملحفة
على حسب السعة والاقتار الا ان يكون نصف مهرها اقل من ذلك فيجب لها الاقل منهما ولا ينقص من
خمسة دراهم لان اقل المهر عشرة دراهم فلا ينقص من نصفها ما وجه قراءة من قرأ امتعكنّ
واسرحكنّ بالرفع وجه الاستيناف سراحا جميلا من غير ضرار طلاقا بالسنة منكن
للبيان لا للتبعيض الفاحشة السيئة البليغة في القبح وهي الكبيرة والمبينة الظاهر فحشها و
المراد كل ما اقترفن من الكبائر وقيل هي عصيانهن رسول الله ونشوزهن وطلبهن منه ما يشق
عليه او ما يضيق به ذرعه ويغتم لاجله وقيل الزنا والله عاصم رسوله من ذلك كما مر في حديث
الافك وانما ضوعف عذابهن لان ما قبح من سائر النساء كان اقبح منهن واقبح لان زيادة قبح
المعصية تتبع زيادة الفضل والمرتبة وزيادة النعمة على العاصي من المعصي وليس لاحد من النساء
مثل فضل نساء النبي ولا على احد منهن مثل ما لله عليهن من النعمة والجزاء يتبع الفعل وكون
الجزاء عقابا يتبع كون الفعل قبيحا فمتى ازداد قبحا ازداد عقابه شدة ولذلك كان ذم العقلاء
للعاصي العالم اشد منه للعاصي الجاهل لان المعصية من العالم اقبح ولذلك فضل حد الاحرار
على حد العبيد حتى ان ابا حنيفة واصحابه رحمهم الله لا يرون الرجم على الكافر وكان ذلك على الله يسيرا
ايذان بان كونهن نساء النبي ليس بمغن عنهن شيئا وكيف يغني عنهن وهو سبب مضاعفة العذاب
فكان داعيا الى تشديد الامر عليهن غير صارف عنه قرئ يأت بالتاء والياء مبيَّنة بفتح الياء
وكسرها من بيّن بمعنى تبيّن يضاعف ويضعّف على البناء للمفعول ويضاعف ونضعّف بالياء و
النون ومن يقنت منكن لله ورسوله وتعمل صالحا نؤتها اجرها مرتين واعتدنا لها رزقا كريما وقرئ
تقنت وتعمل بالتاء والياء ونؤتها بالياء والنون والقنوت الطاعة وانما ضوعف اجرهن
لطلبهن رضى رسول الله بحسن الخلق وطيب المعاشرة والقناعة وتوفرهن على عبادة الله
والتقوى يا نساء النبي احد في الاصل بمعنى وحد وهو الواحد ثم وضع في النفي العام مستويا

يا نساء النبي من يأت منكن بفاحشة مبينة يضاعف لها العذاب ضعفين

فيه المذكر والمؤنث والواحد وما وراءه ومعنى قوله لستن كأحد من النساء لستن كجماعة واحدة من
جماعات النساء اي اذا تقصيت امة النساء جماعة جماعة لم توجد منهن جماعة واحدة تساويكن
في الفضل والسابقة ومثله قوله عز وجل والذين آمنوا بالله ورسله ولم يفرقوا بين احد منهم يريد
بين جماعة واحدة منهم تسوية بين جميعهم في انهم على الحق المبين ان اتقيتن ان اردتن التقوى وان
كنتن متقيات فلا تخضعن بالقول فلا تجبن بقولكن خاضعا اي لينا خنثا مثل كلام المريبات و
المومسات فيطمع الذي في قلبه مرض اي ريبة وفجور وقرئ بالجزم عطفا على محل فعل النهي على انهن
نهين عن الخضوع بالقول ونهي المريض القلب عن الطمع كانه قيل لا تخضعن فلا يطمع وعن ابن محيصن
انه قرأ بكسر الميم وسبيله ضم الياء مع كسرها واسناد الفعل الى ضمير القول اي فيطمع القول المريب
وقلن قولا معروفا بعيدا من طمع المريب بجد وخشونة من غير تخنيث او قولا حسنا مع كونه خشنا
وقرن في بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الاولى بكسر القاف من وقر يقر وقارا او من قر
يقر حذفت الاولى من راءي اقررن ونقلت كسرتها الى القاف كما تقول ظلن وقرن بفتحها
واصله اقررن فحذفت الراء والقيت فتحتها على ما قبلها كقولك ظلن وذكر ابو الفتح الهمداني
في كتاب التبيان وجها آخر قال قار يقار اذا اجتمع ومنه القارة لاجتماعها الا ترى الى قول
عضل والديش اجتمعوا فكونوا قارة والجاهلية الاولى هي القديمة التي يقال لها الجاهلية الجهلاء
وهي الزمن الذي ولد فيه ابرهيم كانت المرأة تلبس الدرع من اللؤلؤ فتمشي وسط الطريق تعرض نفسها
على الرجال وقيل ما بين آدم ونوح وقيل بين ادريس ونوح وقيل زمن داود وسليمان والجاهلية
الاخرى ما بين عيسى ومحمد عليهما السلام ويجوز ان تكون الجاهلية الاولى جاهلية الكفر قبل الاسلام
والجاهلية الاخرى جاهلية الفسوق والفجور في الاسلام فكان المعنى ولا تحدثن بالتبرج جاهلية
في الاسلام تتشبهن بها باهل جاهلية الكفر ويعضده ما روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال لابي الدرداء ان فيك جاهلية قال جاهلية كفر ام اسلام فقال بل جاهلية كفر واقمن
الصلوة وآتين الزكوة واطعن الله ورسوله انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم
تطهيرا واذكرن ما يتلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة امرهن امرا خاصا بالصلوة والزكوة ثم
جاء به عاما في جميع الطاعات لان هاتين الطاعتين البدنية والمالية هما اصل سائر الطاعات
من اعتنى بهما حق اعتنائه جرتاه الى ما وراءهما ثم بين انه انما نهاهن وامرهن ووعظهن
لئلا يقارف اهل بيت رسول الله المآثم وليتصونوا عنها بالتقوى واستعار للذنوب الرجس

وللتقوى الطهر لان عرض المقترف للمقبحات يتلوث بها ويتدنس كما يتلوث بدنه بالارجاس
واما المحسنات فالعرض معها نقي مصون كالثوب الطاهر وفي هذه الاستعارة ما ينفر اولي الالباب
عما كرهه الله لعباده ونهاهم عنه ويرغبهم فيما رضيه لهم وامرهم به واهل البيت منصوب على النداء
او على المدح وفي هذا دليل بين على ان نساء النبي من اهل بيته ثم ذكرهن ان بيوتهن مهابط الوحي
وامرهن ان لا ينسين ما يتلى فيها من الكتاب الجامع بين امرين هو آيات بينات تدل على صدق
النبوة لانه معجز بنظمه وهو حكمة وعلوم وشرائع ان الله كان لطيفا خبيرا حين علم ما ينفعكم
ويصلحكم في دينكم فانزله عليكم او علم من يصلح لنبوته ومن يصلح لان يكونوا اهل بيته او حيث
جعل الكلام الواحد جامعا بين الغرضين روي ان ازواج النبي صلى الله عليه وسلم قلن يا رسول الله
ذكر الله الرجال في القرآن بخير فما فينا خير نذكر به انا نخاف ان لا تقبل منا طاعة وقيل السائلة
ام سلمة وروي انه لما نزل في نساء النبي صلى الله عليه وسلم ما نزل قال نساء المسلمين فما نزل فينا
شيء فنزلت ان المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات والقانتين والقانتات والصادقين والصادقات
والصابرين والصابرات والخاشعين والخاشعات والمتصدقين والمتصدقات والصائمين والصائمات و
الحافظين فروجهم والحافظات والذاكرين الله كثيرا والذاكرات اعد الله لهم مغفرة واجرا عظيما والمسلم الداخل
في السلم بعد الحرب المنقاد الذي لا يعاند او المفوض امره الى الله المتوكل عليه من اسلم وجهه الى
الله والمؤمن المصدق بالله ورسوله وبما يجب ان يصدق به والقانت القائم بالطاعة الدائم
عليها والصادق الذي يصدق في نيته وقوله وعمله والصابر الذي يصبر على الطاعات وعن
المعاصي والخاشع المتواضع لله بقلبه وجوارحه وقيل الذي اذا صلى لم يعرف من عن يمينه و
شماله والمتصدق الذي يزكي ماله ولا يخل بالنوافل وقيل من تصدق في اسبوع بدرهم
فهو من المتصدقين ومن صام الايض من كل شهر فهو من الصائمين والذاكر الله كثيرا من
لا يكاد يخلو من ذكر الله بقلبه او لسانه او بهما وقراءة القرآن والاشتغال بالعلم من الذكر
وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من استيقظ من نومه وايقظ امرأته فصليا جميعا
ركعتين كتبا من الذاكرين الله كثيرا والذاكرات والمعنى والحافظاتها والذاكراته فحذف
لان الظاهر يدل عليه اي فرق بين العطفين اعني عطف الاناث على الذكور و
عطف الزوجين على الزوجين العطف الاول نحو قوله ثيبات وابكارا في انهما جنسان
مختلفان اذا اشتركا في حكم لم يكن بد من توسيط العاطف بينهما واما العطف الثاني فمن عطف

وما كان لمؤمن ولا مؤمنة

الصفة على الصفة بحرف الجمع فكان معناه ان الجامعين والجامعات لهذه الطاعات اعد الله
لهم ﴿وما كان لمؤمن ولا مؤمنة﴾ خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم زينب بنت جحش بنت عمته اميمة
بنت عبد المطلب على مولاه زيد بن حارثة فابت وابى اخوها عبد الله فنزلت فقالا رضينا يا رسول
الله فانكحها اياه وساق عنه اليها مهرها ستين درهما وخمارا وملحفة ودرعا وازارا وخمسين مدا
من طعام وثلثين صاعا من تمر وقيل ام كلثوم بنت عقبة بن ابى معيط وهى اول من هاجر من
النساء وهبت نفسها للنبى فقال قد قبلت وزوجها زيدا فسخطت هى واخوها وقالا انما اردنا
رسول الله فزوجنا عبده والمعنى وما صح لرجل ولا امراة من المؤمنين ﴿اذا قضى الله ورسوله﴾ اى
رسول الله او لان قضاء رسول الله هو قضاء الله ﴿امرا ان تكون لهم الخيرة من امرهم ومن يعص الله و
رسوله فقد ضل ضلالا مبينا﴾ واذ تقول من الامور ان يختاروا من امرهم ما شاؤا بل من حقهم ان
يجعلوا رايهم تبعا لرايه واختيارهم تلوا لاختياره   كان من حق الضمير ان يوحد كما تقول
ما جاءنى من رجل ولا امراة الا كان من شانه كذا   نعم ولكنهما وقعا تحت النفى فعما كل مؤمن
ومؤمنة فرجع الضمير على المعنى لا على اللفظ وقرئ تكون بالتاء والياء والخيرة ما يتخير ﴿للذى انعم
الله عليه﴾ بالاسلام الذى هو اجل النعم وبتوفيقك لعتقه ومحبته واختصاصه ﴿وانعمت عليه﴾ بما وفقك الله
فيه وهو متقلب فى نعمة الله ونعمة رسوله وهو زيد بن حارثة ﴿امسك عليك زوجك واتق الله وتخفى فى نفسك
ما الله مبديه وتخشى الناس والله احق ان تخشاه﴾ يعنى زينب بنت جحش وذلك ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم ابصرها بعد ما انكحها اياه فوقعت فى نفسه فقال سبحان الله مقلب القلوب وذلك
ان نفسه كانت تجفو عنها قبل ذلك لا تريدها ولو ارادها لاختطبها وسمعت زينب بالتسبيحة
فذكرتها لزيد ففطن والقى الله فى نفسه كراهة صحبتها والرغبة عنها لرسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال لرسول الله انى اريد ان افارق صاحبتى فقال ما لك ارابك منها شئ قال لا والله ما رايت
منها الا خيرا ولكنها تتعظم على لشرفها وتؤذينى فقال له امسك عليك زوجك واتق الله ثم طلقها
بعد فلما اعتدت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما اجد احدا اوثق فى نفسى منك اخطب على
زينب فقال زيد فانطلقت فاذا هى تخمر عجينها فلما رايتها عظمت فى صدرى حتى ما استطيع ان
انظر اليها حين علمت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكرها فوليتها ظهرى وقلت يا زينب ابشرى
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكرها فوليتها ظهرى ليخطبك ففرحت وقالت ما انا بصانعة
شيئا حتى اوامر ربى فقامت الى مسجدها ونزل القرآن ﴿فلما قضى زيد منها وطرا زوجناكها لكى﴾

فتزوجها رسول الله ودخل بها وما اولم على امراة من نسائه ما اولم عليها ذبح شاة و
اطعم الناس الخبز واللحم حتى امتد النهار   ماذا اراد الله بقوله ﴿واتق الله﴾   اراد
واتق الله فلا تطلقها وقصد نهى تنزيه لا تحريم لان الاولى ان لا يطلق وقيل اراد واتق الله فلا
تذمها بالنسبة الى الكبر واذى الزوج   ما الذى اخفى فى نفسه   تعلق قلبه بها
وقيل مودة مفارقة زيد اياها وقيل علمه بان زيدا سيطلقها وسينكحها لان الله قد اعلمه بذلك
وعن عائشة رضى الله عنها لو كتم رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا مما اوحى اليه لكتم هذه الآية
فماذا اراد الله منه ان يقوله حين قال له زيد اريد مفارقتها وكان من الهجنة ان
يقول له افعل فانى اريد نكاحها   كان الذى اراد منه عز وجل ان يصمت عند ذلك او يقول له
انت اعلم بشانك حتى لا يخالف سره فى ذلك علانيته لان الله يريد من الانبياء تساوى الظاهر
والباطن والتصلب فى الامور والتجاوب فى الاحوال والاستمرار على طريقة مستتبة كما جاء فى حديث
ارادة رسول الله قتل عبد الله بن ابى سرح واعتراض عثمان بشفاعته له ان عمر قال له لقد كان عينى
الى عينك هل تشير الى فاقتله فقال ان الانبياء لا تومض ظاهرهم وباطنهم واحد
كيف عاتبه الله فى ستر ما استهجن التصريح به ولا يستهجن النبى التصريح بشئ الا والشئ فى
نفسه مستهجن وقالة الناس لا يتعلق الا بما يستقبح فى العقول والعادات وما له لم يعاتبه
فى نفس الامر ولم يامره بقمع الشهوة وكف النفس ان تنازع الى زينب وتتبعها ولم يعصم نبيه عن
تعلق الهجنة به وما يعرضه للقالة   كم من شئ يتحفظ منه الانسان ويستحيى من
اطلاع الناس عليه وهو فى نفسه مباح متسع وحلال مطلق لا مقال فيه ولا عيب عند الله وربما
كان الدخول فى ذلك المباح سلما الى حصول واجبات يعظم اثرها فى الدين ويجل ثوابها ولو لم يتحفظ
منه لاطلق كثير من الناس السنتهم الا من اوتى فضلا وعلما ودينا ونظرا فى حقائق الامور ولبوبها
دون قشورها الا ترى انهم كانوا اذا طعموا فى بيوت رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوا مرتكزين
فى مجالسهم لا يريمون مستانسين بالحديث وكان رسول الله يؤذيه قعودهم ويضيق صدره حديثهم
والحياء يصده ان يامرهم بالانتشار حتى نزلت ان ذلكم كان يؤذى النبى فيستحيى منكم والله
لا يستحيى من الحق ولو ابرز رسول الله مكنون ضميره وامرهم ان ينتشروا لشق عليهم و لكان بعض
القالة فهذا من ذاك القبيل لان طموح قلب الانسان الى بعض مشتهياته من امراة او غيرها غير
موصوف بالقبح فى العقل ولا فى الشرع لانه ليس بفعل الانسان ولا وجوده باختياره وتناول المباح

بالطريق الشرعي ليس بقبيح ايضا ومنوخطبة زينب ونكاحها من غير استنزال زيد عنها ولا طلب اليه وهو
اقرب اليه من زر قميصه ان يواسيه بمفارقتها مع قوة العلم بان نفس زيد لم يكن من التعلق بها في شيء بل
كانت تجفو عنها ونفس رسول الله متعلقة بها ولم يكن مستنكرا عندهم ان ينزل الرجل عن امرأته لصديقه
ولا مستهجنا اذا نزل عنها ان ينكحها الآخر فان المهاجرين حين دخلوا المدينة آساهم الانصار بكل شيء حتى
ان الرجل منهم اذا كانت له امرأتان نزل عن احديهما وانكحها المهاجر واذا كان الامر مباحا في جميع جهاته ولم يكن
فيه وجه من وجوه القبح ولا مفسدة ولا مضرة بزيد ولا باحد بل كان مستجرا مصالح ناهيك بواحدة منها ان بنت
عمة رسول الله امنت الايمة والضيعة ونالت الشرف وعادت اما من امهات المسلمين الى ما ذكر الله عز وجل
من المصلحة العامة في قوله لكيلا يكون على المؤمنين حرج في ازواج ادعيائهم اذا قضوا منهن وطرا فبالحري ان يعاتب
الله رسوله حين كتمه وبالغ في كتمه بقوله امسك عليك زوجك واتق الله وان لا يرضى له الا اتحاد الضمير والظاهر
والثبات في مواطن الحق حتى يقتدى به المؤمنون فلا يستحيوا من المكافحة بالحق وان كان مرا

الواو في وتخفي في نفسك وتخشى الناس والله احق ان تخشاه واو الحال اي تقول لزيد امسك عليك
زوجك مخفيا في نفسك ارادة ان لا يمسكها وتخفي خاشيا قالة الناس وتخشى الناس حقيقا في
ذلك بان تخشى الله او واو العطف كانه قيل واذ تجمع بين قولك امسك واخفاء خلافه وخشية الناس
والله احق ان تخشاه حتى لا تفعل مثل ذلك اذا بلغ البالغ حاجته من شيء له فيه همة قيل قضى منه
وطره والمعنى فلما لم يبق لزيد فيها حاجة وتقاصرت عنها همته وطابت عنها نفسه وطلقها وانقضت
عدتها زوجناكها وقراءة اهل البيت زوجتكها وقيل لجعفر بن محمد اليس تقرأ على غير ذلك فقال
لا والذي لا اله الا هو ما قرأتها على ابي الا كذلك ولا قرأها الحسن بن علي رضي الله عنهما على ابيه الا كذلك
ولا قرأها علي بن ابي طالب على النبي صلى الله عليه وسلم الا كذلك وكان امر الله مفعولا جملة اعتراضية
يعني وكان امر الله الذي يريد ان يكونه مفعولا مكونا لا محالة وهو مثل لما اراد كونه من تزويج
رسول الله زينب ومن نفي الحرج على المؤمنين في اجراء ازواج المتبنين مجرى ازواج البنين في
تحريمهن عليهم بعد انقطاع علائق الزواج بينهم وبينهن ويجوز ان يراد بامر الله المكون لانه مفعول
بكن وهو امر ما كان على النبي من حرج فيما فرض الله له قسم له واوجب من قولهم فرض لفلان في الديوان
كذا ومنه فروض العسكر لرزقاتهم سنة الله اسم موضوع موضع المصدر كقولهم تربا وجندلا
مؤكدا لقوله ما كان على النبي من حرج كانه قيل سن الله ذلك سنة في الانبياء الماضين وهو ان لا
يحرج عليهم في الاقدام على ما اباح لهم ووسع عليهم في باب النكاح وغيره وقد كانت تحتهم المهائر والسراري

وكانت لداود مائة امرأة وثلثمائة سرية ولسليمان ثلثمائة وسبعمائة في الذين خلوا من قبل وكان امر الله
قدرا مقدورا في الانبياء الذين مضوا الذين يبلغون رسالات الله ويخشونه ولا يخشون احدا الا الله وكفى بالله
حسيبا يحتمل وجوه الاعراب الجر على الوصف للانبياء والرفع والنصب على المدح على هم الذين يبلغون او على
اعني الذين يبلغون وقرئ رسالة الله قدرا مقدورا قضاء مقضيا وحكما مبتوتا ووصف الانبياء
بانهم لا يخشون الا الله تعريض بعد التصريح في قوله وتخشى الناس والله احق ان تخشاه حسيبا كافيا
للمخاوف او محاسبا على الصغيرة والكبيرة فيجب ان يكون حق الخشية من مثله ما كان محمد ابا احد من رجالكم
ولكن رسول الله اي لم يكن ابا رجل منكم على الحقيقة حتى يثبت بينه وبينه ما يثبت بين الاب وولده من حرمة
الصهر والنكاح ولكن كان رسول الله وكل رسول ابو امته فيما يرجع الى وجوب التوقير والتعظيم له عليهم ووجوب
الشفقة والنصيحة لهم عليه لا في سائر الاحكام الثابتة بين الآباء والابناء وزيد واحد من رجالكم الذين
ليسوا باولاده حقيقة فكان حكمه حكمكم والادعاء والتبني من باب الاختصاص والتقريب لا غير وكان خاتم
النبيين يعني انه لو كان له ولد بالغ مبلغ الرجال لكان نبيا ولم يكن هو خاتم الانبياء كما يروى انه قال في ابراهيم
حين توفي لو عاش لكان نبيا اما كان ابا للطاهر والطيب والقاسم وابراهيم
قد اخرجوا من حكم النفي بقوله من رجالكم من وجهين احدهما ان هؤلاء لم يبلغوا مبلغ الرجال
والثاني انه قد اضاف الرجال اليهم وهؤلاء رجاله لا رجالهم اما كان ابا للحسن و
الحسين بلى ولكنهما لم يكونا رجلين حينئذ وهما ايضا من رجاله لا من رجالهم وشيء آخر
وهو انه انما قصد ولده خاصة لا ولد ولده لقوله وخاتم النبيين الا ترى ان الحسن والحسين
رضي الله عنهما قد عاشا الى ان نيف احدهما على الاربعين والآخر على الخمسين وقرئ ولكن رسول
الله بالنصب عطفا على ابا احد وبالرفع على ولكن هو رسول الله ولكن بالتشديد على حذف الخبر تقديره
ولكن رسول الله من عرفتموه اي لم يعش له ولد ذكر وخاتم بفتح التاء بمعنى الطابع وبكسرها
بمعنى الطابع وفاعل الختم ويقويه قراءة ابن مسعود ولكن نبيا ختم النبيين
كيف كان آخر الانبياء وعيسى ينزل في آخر الزمان معنى كونه آخر الانبياء انه لا ينبأ احد
بعده وعيسى ممن نبئ قبله وحين ينزل ينزل عاملا على شريعة محمد مصليا الى قبلته كانه بعض
امته وكان الله بكل شيء عليما يا ايها الذين آمنوا اذكروا الله اثنوا عليه بضروب الثناء من التقديس و
التحميد والتهليل والتكبير وما هو اهله واكثروا ذلك وسبحوه بكرة واصيلا اي في كافة الاوقات
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر الله على فم كل مسلم وروي في قلب كل مسلم وعن قتادة قولوا

ذكر الكثير

سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر ولا حول ولا قوة الا بالله وعن مجاهد هذه كلمات
يقولها الطاهر والجنب والفعلان اعني اذكروا وسبحوه موجهان الى البكرة والاصيل كقولك صم وصل
يوم الجمعة والتسبيح من جملة الذكر وانما اخصه من بين انواعه اختصاص جبريل وميكائيل من بين
الملائكة ليبين فضله على سائر الاذكار لان معناه تنزيه ذاته عما لا يجوز عليه من الصفات والافعال وتبرئته
من القبائح ومثال فضله على غيره من الاذكار فضل وصف العبد بالنزاهة من ادناس المعاصي والطهر من
ارجاس المآثم على سائر اوصافه من كثرة الصلوة والصيام والتوفر على الطاعات كلها والاشتمال على
العلوم والاشتهار بالفضائل ويجوز ان يريد بالذكر واكثاره تكثير الطاعات والاقبال على الطاعات
فان كل طاعة وكل خير من جملة الذكر ثم خص من ذلك التسبيح بكرة واصيلا وهي الصلوة في جميع اوقاتها
لفضل الصلوة على غيرها او صلوة الفجر والعشائين لان اداءها اشق ومراعاتها اشد لما كان من شان
المصلي ان ينعطف في ركوعه وسجوده استعير لمن ينعطف على غيره حنوا عليه وترؤفا كعائد المريض في انعطافه
عليه والمرأة في حنوها على ولدها ثم كثر حتى استعمل في الرحمة والترؤف ومنه قولهم صلى الله عليك
اي ترحم عليك وترأف قوله هو الذي يصلي عليكم اي فسرته بيترحم عليكم ويترأف فما تصنع
بقوله وملائكته وما معنى صلاتهم هي قولهم اللهم صل على المؤمنين جعلوا لكونهم مستجابي الدعوة
كانهم فاعلون الرحمة والرأفة ونظيره قولك حياك الله اي احياك وابقاك وحييتك اي دعوت لك بان
يحييك الله لانك لاتكالك على اجابة دعوتك كانك تبقيه على الحقيقة وكذلك عمرك الله وعمرتك وسقاك
الله وسقيتك وعليه قوله تعالى ان الله وملائكته يصلون على النبي يا ايها الذين آمنوا صلوا عليه اي ادعوا
الله بان يصلي عليه والمعنى هو الذي يترحم عليكم ويترأف حيث يدعوكم الى الخير ويامركم باكثار الذكر
والتوفر على الصلوة والطاعة ليخرجكم من ظلمات المعصية الى نور الطاعة وكان بالمؤمنين رحيما
(في الهامش: من الظلمات الى النور)
دليل على ان المراد بالصلوة الرحمة وروي انه لما نزل قوله ان الله وملائكته يصلون على النبي قال
ابو بكر رضي الله عنه ما خصك الله يا رسول الله بشرف الا وقد اشركنا فيه فنزلت تحيتهم يوم يلقونه
سلام واعد لهم اجرا كريما من اضافة المصدر الى المفعول اي يحيون يوم القيامة بسلام فيجوز ان يعظمهم
الله تعالى بسلامه عليهم كما يفعل بهم سائر انواع التعظيم وان يكون مثلا كاللقاء على ما فسرنا ويجوز
قيل هو سلام ملك الموت والملائكة معه عليهم وبشارتهم بالجنة وقيل سلام الملائكة عند الخروج من
القبور وقيل عند دخول الجنة كما قال والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم والاجر الكريم
الجنة يا ايها النبي انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا وبشر المؤمنين بان لهم من الله

فضلا كبيرا شاهدا على من بعثت اليهم وعلى تكذيبهم وتصديقهم اي مقبولا قولك عند الله لهم وعليهم كما يقبل قول
الشاهد العدل في الحكم وكيف كان شاهدا وقت الارسال وانما يكون شاهدا عند تحمل الشهادة
او عند ادائها هي حال مقدرة كمسئلة الكتاب مررت برجل معه صقر صائدا به غدا اي مقدرا به
الصيد غدا قد فهم من قولك انا ارسلناك داعيا انه ماذون له في الدعاء فما فائدة قوله باذنه
لم يرد به حقيقة الاذن وانما جعل الاذن مستعارا للتسهيل والتيسير لان الدخول في حق المالك متعذر فاذا
صودف الاذن تسهل وتيسر فلما كان الاذن تسهيلا لما تعذر من ذلك وضع موضعه وذلك ان دعاء
اهل الشرك والجاهلية الى التوحيد والشرائع امر في غاية الصعوبة والتعذر فقيل باذنه للايذان بان الامر
صعب لا يتاتى ولا يستطاع الا اذا سهله الله ويسره ومنه قولهم في الشحيح انه غير ماذون له في الانفاق
اي غير مسهل له الانفاق لكونه شاقا عليه داخلا في حد التعذر جلى به الله ظلمات الكفر واهتدى
به الضالون كما يجلى ظلام الليل بالسراج المنير ويهتدى به او امد الله بنور نبوته نور البصائر كما يمد بنور
السراج نور الابصار ووصفه بالانارة لان من السراج ما لا يضيء اذا قل سليطه ودقت فتيلته و
في كلام بعضهم ثلثة تضني رسول بطيء وسراج لا يضيء ومائدة ينتظر لها من يجيء وسئل بعضهم عن
الموحشين فقال ظلام ساتر وسراج فاتر وقيل وذا سراج منير او وتاليا سراجا منيرا ويجوز
(في الهامش: وبشر المؤمنين بان لهم فضلا كبيرا)
على هذا التفسير ان يعطف على كاف ارسلناك الفضل ما يتفضل به عليهم زيادة على الثواب واذا ذكر
المتفضل به عليهم زيادة على الثواب وكبره فما ظنك بالثواب ويجوز ان يريد بالفضل الثواب من قولهم
للعطايا فضول وفواضل وان يريد ان لهم فضلا كبيرا على سائر الامم وذلك الفضل من جهة الله وانه آتاهم
ما فضلوهم به ولا تطع الكافرين والمنافقين ودع معناه الدوام والثبات على ما كان عليه او التهييج اذاهم
يحتمل اضافته الى الفاعل والمفعول يعني ودع ان تؤذيهم بضرر او قتل وخذ بظاهرهم وحسابهم على الله في
باطنهم او ودع ما يؤذونك به ولا تجازهم عليه حتى تؤمر وعن ابن عباس هي منسوخة باية السيف وتوكل
على الله فانه يكفيكهم وكفى به مفوضا اليه ولقائل ان يقول وصفه الله بخمسة اوصاف وقابل كلا
منها بخطاب مناسب له قابل الشاهد بقوله وبشر المؤمنين لانه يكون شاهدا على امته وهم يكونون
شهداء على سائر الامم وهو الفضل الكبير والمبشر بالاعراض عن الكافرين والمنافقين لانه اذا اعرض
عنهم اقبل جميع اقباله على المؤمنين وهو مناسب للبشارة والنذير بدع اذاهم لانه اذا ترك اذاهم في
الحاضر والاذى لابد له من عقاب عاجل او آجل كانوا منذرين به في المستقبل والداعي الى الله بتيسيره
(في الهامش: وكفى بالله)
بقوله وتوكل على الله لانه من توكل على الله يسر عليه كل عسير والسراج المنير بالاكتفاء به وكيلا لان

من أمارة الله برهانا على جميع خلقه كان جديرا بأن يكتفى به عن جميع خلقه. يا أيها الذين آمنوا إذا نكحتم المؤمنات، النكاح الوطء وتسمية العقد نكاحا لملابسته له من حيث إنه طريق إليه، ونظيره تسميتهم الخمر إثما لأنها سبب في اقتراف الإثم، ونحوه في علم البيان قول الراجز: أسنمة الآبال في سحابه، سمى الماء بأسنمة الآبال لأنه سبب سمن الإبل وارتفاع أسنمتها. ولم يرد لفظ النكاح في كتاب الله إلا في معنى العقد لأنه في معنى الوطء من باب التصريح به، ومن آداب القرآن الكناية عنه بلفظ الملامسة والمماسة والقربان والتغشي والإتيان. لم خص المؤمنات والحكم الذي نطقت به الآية يستوي فيه المؤمنات والكتابيات؟ في اختصاصهن تنبيه على أن أصل أمر المؤمن والأولى به أن يتخير لنطفته، وأن لا ينكح إلا مؤمنة عفيفة، ويتنزه عن مزاوجة الفواسق فما بال الكوافر، ويستنكف أن يدخل تحت لحاف واحد عدوة الله ووليه، فالتي في سورة المائدة تعليم ما هو جائز غير محرم من نكاح المحصنات من الذين أوتوا الكتاب، وهذه فيها تعليم ما هو الأولى بالمؤمن من نكاح المؤمنات. ما فائدة ثم في قوله ثم طلقتموهن من قبل أن تمسوهن؟ فائدته نفي التوهم عمن عسى يتوهم تفاوت الحكم بين أن يطلقها وهي قريبة العهد من النكاح وبين أن يبعد عهدها بالنكاح وتتراخى بها المدة في حبالة الزوج ثم يطلقها. إذا خلا بها خلوة يمكنه معها المساس هل يقوم ذلك مقام المساس؟ نعم عند أبي حنيفة وأصحابه حكم الخلوة الصحيحة حكم المساس. وقوله فما لكم عليهن من عدة تعتدونها دليل على أن العدة حق واجب على النساء للرجال. تعتدونها تستوفون عددها من قولك عد الدراهم فاعتدها، كقولك كلته فاكتاله ووزنته فاتزنه. وقرئ تعتدونها مخففا أي تعتدون فيها كقوله ويوم شهدناه. والمراد بالاعتداء ما في قوله ولا تمسكوهن ضرارا لتعتدوا. ما هذا التمتيع أواجب أم مندوب إليه؟ إن كانت غير مفروض لها كانت المتعة واجبة، ولا تجب المتعة عند أبي حنيفة إلا لها وحدها دون سائر المطلقات، وإن كانت مفروضا لها فالمتعة مختلف فيها، فبعض على الندب والاستحباب ومنهم أبو حنيفة رحمه الله، وبعض على الوجوب. فمتعوهن وسرحوهن سراحا جميلا من غير ضرار ولا منع واجب. يا أيها النبي إنا أحللنا لك أزواجك اللاتي آتيت أجورهن وما ملكت يمينك، أجورهن مهورهن لأن المهر أجر على البضع، وإيتاؤها إما إعطاؤها عاجلا وإما فرضها وتسميتها في العقد. لم قال اللاتي آتيت أجورهن ومما أفاء الله عليك واللاتي هاجرن معك، وما فائدة هذه التخصيصات؟ قد اختار الله لرسوله الأفضل الأولى واستحبه بالأطيب الأزكى كما اختصه بغيرها من الخصائص وآثره بما سواها من الأثر، وذلك أن تسمية المهر في العقد أولى

وأفضل من ترك التسمية وإن وقع العقد جائزا، وله أن يماسها وعليه مهر المثل إن دخل بها والمتعة إن لم يدخل بها، وسوق المهر إليها عاجلا أفضل من أن يسميه ويؤجل، وكان التعجيل ديدن السلف وسنتهم وما لا يعرف بينهم غيره، وكذلك الجارية إذا كانت سبية مالكها وخطبة سيفه ورمحه ومما غنمه الله من دار الحرب أحل وأطيب مما يشترى من شق الجلب، والسبي على ضربين سبي طيبة وسبي خبثة، فسبي الطيبة ما سبي من أهل الحرب، وأما من كان له عهد فالمسبي منهم سبي خبثة، ويدل عليه قوله تعالى مما أفاء الله عليك، وبنات عمك وبنات عماتك وبنات خالك وبنات خالاتك اللاتي هاجرن معك، لأن فيء الله لا يطلق إلا على الطيب دون الخبيث، كما أن رزق الله يجب إطلاقه على الحلال دون الحرام، وكذلك اللاتي هاجرن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرائبه غير المحارم أفضل من غير المهاجرات معه. وعن أم هاني بنت أبي طالب: خطبني رسول الله فاعتذرت إليه فعذرني، ثم أنزل الله هذه الآية فلم أحل له لأني لم أهاجر معه، كنت من الطلقاء. وأحللنا لك من وقع لها أن تهب لك نفسها ولا تطلب مهرا من النساء المؤمنات إن اتفق ذلك، ولذلك نكرها. واختلف في اتفاق ذلك، فعن ابن عباس لم يكن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم أحد منهن بالهبة، وقيل الموهوبات أربع: ميمونة بنت الحارث، وزينب بنت خزيمة أم المساكين الأنصارية، وأم شريك بنت جابر، وخولة بنت حكيم. وامرأة مؤمنة إن وهبت نفسها للنبي إن أراد النبي أن يستنكحها خالصة لك من دون المؤمنين، قرئ إن وهبت على الشرط، وقرأ الحسن أن بالفتح على التعليل بتقدير حذف اللام، ويجوز أن يكون مصدرا محذوفا معه الزمان كقولك اجلس ما دام زيد جالسا بمعنى وقت دوامه جالسا ووقت هبتها نفسها، وقرأ ابن مسعود بغير أن. ما معنى الشرط الثاني مع الأول؟ هو تقييد له، شرط في الإحلال هبتها نفسها وفي الهبة إرادة استنكاح رسول الله صلى الله عليه وسلم، كأنه قال أحللناها لك إن وهبت نفسها لك وأنت تريد أن تستنكحها، لأن إرادته هي قبول الهبة وما به تتم. لم عدل عن الخطاب إلى الغيبة في قوله نفسها للنبي إن أراد النبي ثم رجع إلى الخطاب؟ للإيذان بأنه مما خص به وأوثر، ومجيئه على لفظ النبي للدلالة على أن الاختصاص تكرمة له لأجل النبوة، وتكريره تفخيم له وتقرير لاستحقاقه الكرامة لنبوته. واستنكاحها طلب نكاحها والرغبة فيه. وقد استشهد به أبو حنيفة رحمه الله على جواز عقد النكاح بلفظ الهبة، لأن رسول الله وأمته سواء في الأحكام إلا فيما خصه الدليل. وقال الشافعي رحمه الله لا يصح، وقد خص رسول الله صلى الله عليه وسلم بمعنى الهبة ولفظها جميعا لأن اللفظ تابع للمعنى، والمدعي للاشتراك في اللفظ يحتاج إلى الدليل. وقال الحسن

ابو

الكرخي إن عقد النكاح بلفظ الإجارة جائز لقوله اللاتي آتيت أجورهن وقال أبو بكر الرازي لا يصح
لأن الإجارة عقد مؤقت وعقد النكاح مؤبد فهما متنافيان خالصة مصدر مؤكد كوعد الله و
صبغة الله أي خلص لك إحلال ما أحللنا لك خالصة بمعنى خلوصا والفاعل والفاعلة في المصادر غير
عزيزين كالخارج والقاعد والعافية والكاذبة والدليل على أنها وردت في أثر الإحلالات الأربع مخصوصة
برسول الله على سبيل التوكيد لها قوله قد علمنا ما فرضنا عليهم في أزواجهم وما ملكت أيمانهم بعد قوله من دون
المؤمنين وهي جملة اعتراضية وقوله لكيلا يكون عليك حرج متصل بخالصة لك من دون المؤمنين ومعنى
هذه الجملة الاعتراضية أن الله قد علم ما يجب فرضه على المؤمنين في الأزواج والإماء وعلى أي حد
وصفة يجب أن يفرض عليهم ففرضه وعلم المصلحة في اختصاص رسول الله صلى الله عليه وسلم بما اختصه
به ففعل ومعنى لكيلا يكون عليك حرج لئلا يكون عليك ضيق في دينك حيث اختصصناك بالتنزيه
واختيار ما هو أولى وأفضل وفي دنياك حيث أحللنا لك أجناس المنكوحات وزدنا لك الواهبة
نفسها وقرئ خالصة بالرفع أي ذاك خلوص لك وخصوص من دون المؤمنين ومن جعل خالصة
نعتا للمرأة فعلى مذهبه هذه المرأة خالصة لك من دونهم وكان الله غفورا للواقع في الحرج إذا تاب
رحيما بالتوسعة على عباده روي أن أمهات المؤمنين حين تغايرن وابتغين زيادة النفقة و
غظن رسول الله هجرهن شهرا ونزل التخيير فأشفقن أن يطلقهن فقلن يا رسول الله افرض لنا من
نفسك ومالك ما شئت وروي أن عائشة رضي الله عنها قالت إني أرى ربك يسارع في هواك ترجي
إليك من تشاء منهن وتؤوي إليك من تشاء ومن ابتغيت ممن عزلت فلا جناح عليك ترجي بهمز وغير همز
تؤخر وتؤوي تضم بمعنى تترك مضاجعة من تشاء منهن وتضاجع من تشاء أو تطلق من
تشاء وتمسك من تشاء أو لا تقسم لأيتهن شئت وتقسم لمن شئت أو تترك تزوج من شئت من
نساء أمتك وتتزوج من شئت وعن الحسن كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا خطب امرأة لم يكن
لأحد أن يخطبها حتى يدعها وهذه قسمة جامعة لما هو الغرض لأنه إما أن يطلق وإما أن يمسك
فإذا أمسك ضاجع أو ترك وقسم أو لم يقسم وإذا طلق وعزل فإما أن يخلي المعزولة لا يبتغيها
أو يبتغيها وروي أنه أرجى منهن سودة وجويرية وصفية وميمونة وأم حبيبة فكان
يقسم لهن ما شاء كما شاء وكانت ممن آوى إليه عائشة وحفصة وأم سلمة وزينب أرجى خمسا
وآوى أربعا وروي أنه كان يسوي مع ما أطلق له وخير فيه إلا سودة فإنها وهبت ليلتها
لعائشة وقالت لا تطلقني حتى أحشر في نسائك ذلك التفويض إلى مشيئتك أدنى إلى قرة عيونهن
أن تقر أعينهن

ولا يحزن ويرضين بما آتيتهن كلهن وقلة حزنهن ورضاهن جميعا لأنه إذا سوى بينهن في الإيواء والإرجاء
والعزل والابتغاء وارتفع التفاضل ولم يكن لإحداهن مما تريد ومما لا تريد إلا مثل ما للأخرى وعلمن
أن هذا التفويض من عند الله وبوحيه اطمأنت نفوسهن وذهب التنافس والتغاير وحصل الرضى و
قرت العيون وسلت القلوب والله يعلم ما في قلوبكم فيه وعيد لمن لم ترض منهن بما دبر الله من ذلك وفوض
إلى مشيئة رسوله وبعث على تواطؤ قلوبهن والتصافي بينهن والتوافق على طلب رضى رسول الله وما فيه
طيب نفسه وقرئ تقر أعينهن بضم التاء ونصب الأعين وتقر أعينهن على البناء للمفعول وكان
الله عليما بذات الصدور حليما لا يعاجل بالعقاب فهو حقيق بأن يتقى ويحذر كلهن تأكيد لنون يرضين
وقرأ ابن مسعود ويرضين كلهن بما آتيتهن على التقديم وقرئ كلهن تأكيدا لهن في آتيتهن لا يحل لك النساء
وقرئ بالتذكير لأن تأنيث الجمع غير حقيقي وإذا جاز بغير فصل في قوله تعالى وقال نسوة كان
مع الفصل أجوز من بعد من بعد التسع لأن التسع نصاب رسول الله من الأزواج كما أن الأربع
نصاب أمته منهن فلا يحل له أن يتجاوز النصاب ولا أن تبدل بهن ولا أن تستبدل بهؤلاء التسع
أزواجا أخر بكلهن أو بعضهن أراد الله لهن كرامة وجزاء على ما اخترن ورضين فقصر رسول
الله صلى الله عليه وسلم عليهن وهن التسع اللاتي مات عنهن عائشة بنت أبي بكر حفصة بنت عمر
أم حبيبة بنت أبي سفيان سودة بنت زمعة أم سلمة بنت أبي أمية وصفية بنت حيي الخيبرية
ميمونة بنت الحارث الهلالية زينب بنت جحش الأسدية جويرية بنت الحارث المصطلقية من أزواج
ولو أعجبك حسنهن إلا ما ملكت يمينك وكان الله على كل شيء من في من أزواج لتأكيد النفي وفائدته استغراق
جنس الأزواج بالتحريم وقيل معناه لا يحل لك النساء من بعد النساء اللاتي نص إحلالهن لك من
الأجناس الأربعة من الأعرابيات والغرائب أو من الكتابيات أو من الإماء بالنكاح وقيل في تحريم التبدل
هو من البدل الذي كان في الجاهلية كان يقول الرجل للرجل بادلني بامرأتك وأبادلك بامرأتي فينزل
كل واحد منهما عن امرأته لصاحبه ويحكى أن عيينة بن حصين دخل على النبي صلى الله عليه وسلم وعنده
عائشة من غير استئذان فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا عيينة أين الاستئذان قال
يا رسول الله ما استأذنت على رجل قط ممن مضى منذ أدركت ثم قال من هذه الجميلة إلى جنبك
فقال عليه السلام هذه عائشة أم المؤمنين قال عيينة أفلا أنزل لك عن أحسن الخلق فقال صلى
الله عليه وسلم إن الله قد حرم ذلك فلما خرج قالت عائشة من هذا يا رسول الله قال أحمق مطاع
وإنه على ما ترين لسيد قومه وعن عائشة رضي الله عنها ما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أحل

له النساء يعني أن الآية قد نسخت ولا يخلو نسخها إما أن يكون بالسنة وإما بقوله إنا أحللنا لك أزواجك
وترتيب النزول ليس على ترتيب المصحف ولو أعجبك في موضع الحال من الفاعل وهو الضمير في تبدل لا من
المفعول الذي هو من أزواج لأنه موغل في التنكير وتقديره مفروضا إعجابك بهن وقيل هي أسماء بنت
عميس الخثعمية امرأة جعفر بن أبي طالب والمراد أنها ممن أعجبه حسنهن واستثنى ممن حرم عليه الإماء
رقيبا حافظا مهيمنا وهو تحذير عن مجاوزة حدوده وتخطي حلاله إلى حرامه يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت
النبي إلا أن يؤذن في معنى الظرف تقديره وقت أن يؤذن لكم وغير ناظرين حال من لا تدخلوا وقع الاستثناء
على الوقت والحال معا كأنه قيل لا تدخلوا بيوت النبي إلا وقت الإذن ولا تدخلوها إلا غير ناظرين وهؤلاء
قوم كانوا يتحينون طعام رسول الله صلى الله عليه وسلم فيدخلون ويقعدون منتظرين لإدراكه ومعناه لا
تدخلوا يا هؤلاء المتحينون للطعام إلا أن يؤذن لكم إلى طعام غير ناظرين إناه وإلا فلو لم يكن لهؤلاء
خصوصا لما جاز لأحد أن يدخل بيوت النبي إلا أن يؤذن له إذنا خاصا وهو الإذن إلى الطعام فحسب
وعن ابن أبي عبلة أنه قرأ غير ناظرين مجرورا صفة لطعام وليس بالوجه لأنه جرى على غير ما هو له فمن
حق ضمير ما هو له أن يبرز إلى اللفظ فيقال غير ناظرين إياه أنتم كقولك هند زيد ضاربته هي وإنى
الطعام إدراكه يقال أنى الطعام إنى كقولك قلاه قلى ومنه قوله من حميم آن بالغ إناه وقيل إناه
وقته أي غير ناظرين وقت الطعام وساعة أكله وروي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أولم
على زينب بتمر وسويق وشاة وأمر أنسا أن يدعو بالناس فترادفوا أفواجا يأكل فوج فيخرج ثم يدخل
فوج إلى أن قال يا رسول الله دعوت حتى ما أجد أحدا أدعوه فقال ارفعوا طعامكم وتفرق الناس
وبقي ثلاثة نفر يتحدثون فأطالوا فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم ليخرجوا فانطلق إلى حجرة عائشة
فقال السلام عليكم أهل البيت فقالوا وعليك السلام يا رسول الله كيف وجدت أهلك وطاف
بالحجرات فسلم عليهن ودعون له ورجع فإذا الثلاثة جلوس يتحدثون وكان رسول الله صلى الله
عليه وسلم شديد الحياء فتولى فلما رأوا متوليا خرجوا فرجع فنزلت ولكن إذا دعيتم فادخلوا فإذا طعمتم فانتشروا
ولا مستأنسين لحديث نهوا عن أن يطيلوا الجلوس يستأنس بعضهم ببعض لأجل حديث يحدثه به أو عن
أن يستأنسوا حديث أهل البيت واستئناسه تسمعه وتوجسه وهو مجرور معطوف على ناظرين و
قيل هو منصوب على ولا تدخلوها مستأنسين إن ذلكم كان يؤذي النبي لا بد في قوله فيستحيي منكم
من تقدير المضاف أي من إخراجكم بدليل قوله والله لا يستحيي من الحق يعني أن إخراجكم حق ما ينبغي أن
يستحيى منه ولما كان الحياء مما يمنع الحيي من بعض الأفعال قيل لا يستحيي من الحق بمعنى لا يمتنع منه

ولا يتركه ترك الحيي منكم وهذا أدب أدب الله به الثقلاء وعن عائشة رضي الله عنها حسبك في
الثقلاء أن الله تعالى لم يحتملهم وقال فإذا طعمتم فانتشروا وقرئ لا يستحيي بياء واحدة الضمير في
إذا سألتموهن لنساء النبي صلى الله عليه وسلم ولم يذكرن لأن الحال ناطقة بذكرهن متاعا حاجة فاسألوهن
من وراء حجاب ذلكم أطهر لقلوبكم وقلوبهن فسلوهن المتاع قيل إن عمر رضي الله عنه كان يحب ضرب الحجاب
عليهن محبة شديدة وكان يذكره كثيرا ويود أن ينزل فيه وكان يقول لو أطاع فيكن ما رأتكن
عين وقال يا رسول الله يدخل عليك البر والفاجر فلو أمرت أمهات المؤمنين بالحجاب فنزلت
وروي أنه مر عليهن وهن مع النساء في المسجد فقال لئن احتجبن فإن لكن على النساء فضلا كما
أن لزوجكن على الرجال الفضل فقالت زينب يا ابن الخطاب إنك لتغار علينا والوحي ينزل في بيوتنا
فلم يلبثوا إلا يسيرا حتى نزلت وقيل إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يطعم ومعه بعض أصحابه
فأصابت يد رجل منهم يد عائشة فكره النبي عليه السلام ذلك فنزلت آية الحجاب وذكر أن بعضهم قال
أننهى أن نكلم بنات عمنا إلا من وراء حجاب لئن مات محمد لأتزوجن فلانة فأعلم الله أن ذلك محرم
وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده أبدا إن ذلكم كان عند الله عظيما وما صح لكم إيذاء
رسول الله ولا نكاح أزواجه من بعده وسمى نكاحهن بعده عظيما عنده وهو من أعلام تعظيم الله لرسوله
وإيجاب حرمته حيا وميتا وإعلامه بذلك مما طيب به نفسه وسر قلبه واستغزر شكره فإن
نحو هذا مما يحدث به الرجل نفسه ولا يخلي منه فكره ومن الناس من تفرط غيرته على حرمته حتى
يتمنى لها الموت لئلا تنكح من بعده وعن بعض الفتيان أنه كانت له جارية لا يرى لها شغفا واستهتارا
الدنيا صح
فنظر إليها ذات يوم فتنفس الصعداء وانتحب فعلا نحيبه مما ذهب به فكره هذا المذهب
فلم يزل به ذلك حتى قتلها تصورا لما عسى يتفق من بقائها بعده وحصولها تحت يد غيره وعن بعض
الفقهاء أن الزوج الثاني في هدم الثلاث يجري مجرى العقوبة فصين رسول الله عما يلاحظ ذلك
إن تبدوا شيئا من نكاحهن على ألسنتكم أو تخفوه فإن الله كان بكل شيء عليما لا جناح عليهن في آبائهن ولا أبنائهن
ولا إخوانهن ولا أبناء إخوانهن ولا أبناء أخواتهن ولا نسائهن ولا ما ملكت أيمانهن في صدوركم فإن
الله يعلم ذلك فيعاقبكم به وإنما جاء به على أثر ذلك عاما لكل باد وخاف ليدخل تحته نكاحهن و
غيره ولأنه على هذه الطريقة أهول وأجزل روي أنه لما نزلت آية الحجاب قال الآباء والأبناء و
الأقارب يا رسول الله أو نحن أيضا نكلمهن من وراء حجاب فنزلت لا جناح عليهن أي لا إثم عليهن
في أن لا يحتجبن من هؤلاء ولم يذكر العم والخال لأنهما يجريان مجرى الوالدين وقد جاءت تسمية العم

العم أبا قال الله تعالى وإله آبائك إبرهيم وإسمعيل وإسحق وإسمعيل عم يعقوب قيل وكره الاحتجاب عنهما لأنهما
يصفانهما لأبنائهما وأبناؤهما غير محارم ثم نقل الكلام من الغيبة إلى الخطاب وفي هذا النقل ما يدل على فضل
تشديد فقيل واتقين الله فيما أمرتن من الاحتجاب وأنزل فيه الوحي من الاستتار واحتطن فيه وفيما
استثني منه ما قدرتن واحفظن حدودهما واسلكن طريق التقوى في حفظهما وليكن عملكن في الحجب
أحسن مما كان وأنتن غير محتجبات ليفضل سركن علنكن إن الله كان على كل شيء من السر والعلن
وظاهر الحجاب وباطنه شهيدا لا يتفاوت في علمه الأحوال إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين
آمنوا قرئ وملائكته بالرفع عطفا على محل إن واسمها وهو ظاهر على مذهب الكوفيين ووجهه
عند البصريين أن يحذف الخبر لدلالة يصلون عليه صلوا عليه وسلموا تسليما أي قولوا الصلوة على الرسول
والسلام ومعناه الدعاء بأن يترحم عليه الله ويسلم الصلوة على رسوله واجبة أم
مندوب إليها بل واجبة وقد اختلفوا في حال وجوبها فمنهم من أوجبها كلما جرى ذكره
وفي الحديث من ذكرت عنده فلم يصل علي فدخل النار فأبعده الله ويروى أنه قيل يا رسول الله
أرأيت قول الله تعالى إن الله وملائكته يصلون على النبي فقال عليه السلام هذا من العلم المكنون
ولولا أنكم سألتموني عنه ما أخبرتكم إن الله وكل بي ملكين فلا أذكر عند عبد مسلم فيصلي علي إلا
قال ذانك الملكان غفر الله لك وقال الله وملائكته جوابا لذينك الملكين آمين ولا أذكر عند
عبد مسلم فلا يصلي علي إلا قال ذانك الملكان لا غفر الله لك وقال الله وملائكته لذينك الملكين
آمين ومنهم من قال تجب في كل مجلس مرة وإن تكرر ذكره كما قيل في آية السجدة وتشميت العاطس و
كذلك في كل دعاء في أوله وآخره ومنهم من أوجبها في العمر مرة وكذا قال في إظهار الشهادتين والذي
يقتضيه الاحتياط الصلوة عند كل ذكر لما ورد من الأخبار فالصلوة عليه في الصلوة
أهي شرط في جوازها أم لا أبو حنيفة وأصحابه رحمهم الله لا يرونها شرطا وعن إبرهيم
النخعي كانوا يكتفون عن ذلك يعني الصحابة بالتشهد وهو السلام عليك أيها النبي وأما الشافعي
رحمه الله فقد جعلها شرطا فما تقول في الصلوة على غيره القياس جواز الصلوة
على كل مؤمن لقوله هو الذي يصلي عليكم وملائكته وقوله وصل عليهم إن صلوتك سكن لهم وقوله عليه
السلام اللهم صل على آل أبي أوفى ولكن للعلماء تفصيلا في ذلك وهو أنها إن كانت على سبيل التبع كقولك
صلى الله على النبي وآله فلا كلام فيها وأما إذا أفرد غيره من أهل البيت بالصلوة كما يفرد هو فمكروه لأن
ذلك صار شعارا لذكر رسول الله لأنه يؤدي إلى الاتهام بالرفض وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من

كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يقفن مواقف التهم إن الذين يؤذون الله ورسوله فيه وجهان أحدهما
أن يعبر بإيذائهما عن فعل ما يكرهانه ولا يرضيانه من الكفر والمعاصي وإنكار النبوة ومخالفة الشريعة
وما كانوا يصيبون به رسول الله من أنواع المكروه على سبيل المجاز وإنما جعلته مجازا فيهما جميعا وحقيقة
الإيذاء صحيحة في رسول الله لئلا أجعل العبارة الواحدة معطية معنى المجاز والحقيقة والثاني أن
يراد يؤذون رسول الله وقيل في أذى الله هو قول اليهود والنصارى والمشركين يد الله مغلولة و
ثالث ثلثة والمسيح ابن الله والملائكة بنات الله والأصنام شركاؤه وقيل قول الذين يلحدون في أسمائه
وصفاته وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما حكى عن ربه شتمني ابن آدم ولم ينبغ له أن يشتمني وآذاني
ولم ينبغ له أن يؤذيني فأما شتمه إياي فقوله إني اتخذت ولدا وأما أذاه فقوله إن الله لا يعيدني
بعد أن بدأني وعن عكرمة فعل أصحاب التصاوير الذين يرومون تكوين خلق مثل خلق الله و
قيل في أذى رسول الله قولهم ساحر شاعر كاهن مجنون وقيل كسر رباعيته وشج وجهه يوم أحد وقيل
طعنهم عليه في نكاح صفية بنت حيي وأطلق إيذاء الله ورسوله وقيد إيذاء المؤمنين والمؤمنات
لأن أذى الله ورسوله لا يكون إلا غير حق أبدا وأما أذى المؤمنين والمؤمنات فمنه ومنه لعنهم الله
في الدنيا والآخرة وأعد لهم عذابا مهينا والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا
بهتانا وإثما مبينا ومعنى بغير ما اكتسبوا بغير جناية واستحقاق للأذى وقيل نزلت في ناس
من المنافقين يؤذون عليا رضي الله عنه ويسمعونه وقيل في الذين أفكوا على عائشة رضي الله عنها
وقيل في زناة كانوا يتبعون النساء وهن كارهات وعن الفضيل لا يحل لك أن تؤذي كلبا أو
خنزيرا بغير حق فكيف وكان ابن عون لا يكري الحوانيت إلا من أهل الذمة لما فيه من الروعة عند
كر الحول يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين الجلباب ثوب واسع أوسع من الخمار ودون
الرداء تلويه المرأة على رأسها وتبقي منه ما ترسله على صدرها وعن ابن عباس الرداء الذي يستر من
فوق إلى أسفل وقيل الملحفة وكل ما يستتر به من كساء أو غيره قال أبو زبيد
مجلبب من سواد الليل جلبابا ومعنى يدنين عليهن من جلابيبهن يرخينها عليهن ويغطين بها وجوههن
وأعطافهن يقال إذا زل الثوب عن وجه المرأة أدني ثوبك على وجهك وذلك أن النساء كن في
أول الإسلام على هجيراهن في الجاهلية متبذلات تبرز المرأة في درع وخمار لا فصل بين الحرة والأمة
وكان الفتيان وأهل الشطارة يتعرضون إذا خرجن بالليل إلى مقاضي حوائجهن في النخيل والغيطان
للإماء وربما تعرضوا للحرة بعلة الأمة يقولون حسبناها أمة فأمرن أن يخالفن بزيهن عن زي الإماء

يلبسن الاردية والملاحف وسترن الرؤوس والوجوه ليحتشمن ويهبن فلا يطمع فيهن طامع وذلك قوله ذلك
ادنى ان يعرفن فلا يؤذين اى اولى واجدر بان يعرفن فلا يتعرض لهن ولا يلقين ما يكرهن
ما معنى من فى من جلابيبهن   هو للتبعيض الا ان معنى التبعيض محتمل وجهين احدهما ان
يتجلببن ببعض ما لهن من الجلابيب والمراد ان لا تكون المرأة متبذلة فى درع وخمار كالامة والماهنة ولها
جلبابان فصاعدا فى بيتها والثانى ان ترخى المرأة بعض جلبابها وفضله على وجهها تتقنع حتى تتميز من
الامة وعن ابن سيرين سألت عبيدة السلمانى عن ذلك فقال ان تضع رداءها فوق الحاجب ثم تديره
حتى تضعه على انفها وعن السدى ان تغطى احدى عينيها وجبهتها والشق الآخر الا العين وعن
الكسائى يتقنعن بملاحفهن منضمة عليهن اراد بالانضمام معنى الادناء وكان الله غفورا رحيما لما
سلف منهن من التفريط مع التوبة لان هذا مما يمكن معرفته بالعقل لئن لم ينته المنافقون والذين فى
قلوبهم مرض قوم كان فيهم ضعف ايمان وقلة ثبات عليه وقيل هم الزناة واهل الفجور من قوله تعالى
فيطمع الذى فى قلبه مرض والمرجفون فى المدينة لنغرينك بهم ثم لا يجاورونك فيها الا قليلا ناس كانوا
يرجفون باخبار السوء عن سرايا رسول الله فيقولون هزموا وقتلوا وجرى عليهم كيت وكيت
فيكسرون بذلك قلوب المؤمنين يقال ارجف بكذا اذا اخبر به على غير حقيقة لكونه خبرا متزلزلا
غير ثابت من الرجفة وهى الزلزلة والمعنى لئن لم ينته المنافقون عن عداوتهم وكيدهم
والفسقة عن فجورهم والمرجفون عما يؤلفون من اخبار السوء لنأمرنك بان تفعل بهم الافاعيل
التى تسوؤهم وتنوءهم ثم بان تضطرهم الى طلب الجلاء عن المدينة والى ان لا يساكنوك فيها الا
زمنا قليلا ريثما يرتحلون ويتلقطون انفسهم فسمى ذلك اغراء وهو التحريش على سبيل المجاز
ملعونين اينما ثقفوا اخذوا وقتلوا تقتيلا نصب على الشتم او الحال اى لا يجاورونك الا ملعونين
دخل حرف الاستثناء على الظرف والحال معا كما مر فى قوله الا ان يؤذن لكم غير ناظرين ولا
يصح ان ينتصب عن اخذوا لان ما بعد كلمة الشرط لا يعمل فيما قبلها وقيل فى قليلا هو منصوب
على الحال ايضا ومعناه لا يجاورونك الا اقلاء اذلاء ملعونين   ما معنى لا يجاورونك
لا يجاورونك عطف على لنغرينك لانه يجوز ان يجاب به القسم الا ترى الى صحة قولك لئن
لم ينتهوا لا يجاورونك   اما كان من حق لا يجاورونك ان يعطف بالفاء وان يقال
لنغرينك بهم فلا يجاورونك   لو جعل الثانى مسببا عن الاول لكان الامر كما قلت و
لكنه جعل جوابا آخر للقسم معطوفا على الاول وانما عطف بثم لان الجلاء عن الاوطان كان

اعظم عليهم واعظم من جميع ما اصيبوا به فتراخت حاله عن حال المعطوف عليه سنة الله فى الذين خلوا من
قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا نصب فى موضع مصدر مؤكد اى سن الله فى الذين ينافقون الانبياء
ان يقتلوا حيثما ثقفوا وعن مقاتل يعنى كما قتل اهل بدر واسروا يسألك الناس عن الساعة قل انما
علمها عند الله وما يدريك لعل الساعة تكون قريبا ان الله لعن الكافرين واعد لهم سعيرا خالدين فيها ابدا لا
يجدون وليا ولا نصيرا كان المشركون يسألون رسول الله صلى الله عليه وسلم عن وقت قيام الساعة
استعجالا على سبيل الهزء واليهود يسألونه امتحانا لان الله تعالى عمى وقتها فى التورية وفى كل كتاب
فامر رسول الله ان يجيبهم بانه علم قد استأثر الله به لم يطلع عليه ملكا ولا نبيا ثم بين لرسوله انها
قريبة الوقوع تهديدا للمستعجلين واسكاتا للممتحنين قريبا شيئا قريبا او لان الساعة فى معنى اليوم
او فى زمان قريب السعير النار المسعورة الشديدة الايقاد يوم تقلب وجوههم فى النار يقولون
يا ليتنا اطعنا الله واطعنا الرسولا وقرئ تقلب على البناء للمفعول وتقلب بمعنى تتقلب ونقلب اى
نقلب نحن وتقلب على ان الفعل للسعير ومعنى تقليبها تصريفها فى الجهات كما ترى البضعة تدور
فى القدر اذا غلت فترامى بها الغليان من جهة الى جهة او تغييرها عن احوالها وتحويلها عن هيئاتها
او طرحها فى النار مقلوبين منكوسين وخصت الوجوه بالذكر لان الوجه اكرم موضع على الانسان
من جسده ويجوز ان يكون الوجه عبارة عن الجملة وناصب الظرف يقولون او محذوف وهو اذكر
واذا نصب بالمحذوف كان يقولون حالا وقالوا ربنا انا اطعنا سادتنا وكبراءنا فاضلونا السبيلا قرئ
سادتنا وساداتنا وهم رؤساء الكفر الذين لقنوهم الكفر وزينوه لهم يقال ضل السبيل واضله
اياه وزيادة الالف لاطلاق الصوت جعلت فواصل الآى كقوافى الشعر وفائدتها الوقف و
الدلالة على ان الكلام قد انقطع وان ما بعده مستأنف ربنا آتهم ضعفين من العذاب والعنهم لعنا كبيرا
وقرئ كثيرا تكثيرا لاعداد اللعائن وكبيرا ليدل على اشد اللعن واعظمه ضعفين ضعفا لضلاله
وضعفا لاضلاله يعترفون ويستغيثون ويتمنون ولا ينفعهم شئ من ذلك يا ايها الذين آمنوا لا تكونوا
كالذين آذوا موسى فبرأه الله مما قالوا وكان عند الله وجيها يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا لا تكونوا كالذين
آذوا موسى نزلت فى شأن زيد وزينب وما سمع فيه من قالة بعض الناس وقيل فى اذى موسى عليه السلام
هو حديث المومسة التى ارادها قارون على قذفه بنفسها وقيل اتهامهم اياه بقتل هارون
وكان قد خرج معه الى الجبل فمات هناك فحملته الملائكة ومروا به عليهم ميتا فابصروه حتى عرفوا
انه غير مقتول وقيل احياه الله فاخبرهم ببراءة موسى وقيل قرفوه بعيب فى جسده من برص او ادرة

فاطلعهم الله على انه بريء منه وجيها ذا جاه ومنزلة عنده فلذلك كان يميط عنه التهم ويدفع الاذى
ويحافظ عليه لئلا يلحقه وصم ولا يوصف بنقيصة كما يفعل الملك بمن له عنده قربة ووجاهة وقرأ ابن
مسعود والاعمش وابو حيوة وكان عبد الله وجيها قال ابن خالويه صليت خلف ابن شنبوذ في
شهر رمضان فسمعته يقرأها وقراءة العامة اوجه لانها مفصحة عن وجاهته عند الله كقوله عند
ذي العرش مكين وهذه ليست كذلك   قوله مما قالوا معناه من قولهم او من مقولهم لان ما اما مصدرية
او موصولة وايهما كان فكيف تصح البراءة منه   المراد بالقول او المقول مؤداه ومضمونه وهو
الامر المعيب الا ترى انهم سموا السبة بالقالة والقالة بمعنى القول قولا سديدا يصلح لكم اعمالكم ويغفر
لكم ذنوبكم قاصدا الى الحق والسداد القصد الى الحق والقول بالعدل يقال سدد السهم نحو الرمية
اذا لم يعدل به عن سمتها كما قالوا سهم قاصد والمراد نهيهم عما خاضوا فيه من حديث زينب من غير قصد
وعدل في القول والبعث على ان يسد قولهم في كل باب لان حفظ اللسان وسداد القول رأس الخير
كله والمعنى راقبوا الله في حفظ السنتكم وتسديد قولكم فانكم اذا فعلتم ذلك اعطاكم الله ما هو
غاية الطلبة من تقبل حسناتكم والاثابة عليها ومن مغفرة سيئاتكم وتكفيرها وقيل اصلاح الاعمال
التوفيق في المجيء بها صالحة مرضية وهذه الآية مقررة للتي قبلها بنيت تلك على النهي عما يؤذي رسول
الله وهذه على الامر باتقاء الله في حفظ اللسان ليترادف عليهم النهي والامر مع اتباع النهي ما يتضمن
الوعيد من قصة موسى واتباع الامر الوعد البليغ فيقوى الصارف عن الاذى والداعي الى تركه لما قال
ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزا عظيما وعلق بالطاعة الفوز العظيم اتبعه قوله انا عرضنا الامانة
على السموات والارض وهو يريد بالامانة الطاعة فعظم امرها وفخم شانها وفيه وجهان احدهما
ان هذه الاجرام العظام من السموات والارض والجبال قد انقادت لامر الله عز وعلا انقياد
مثلها وهو ما يتأتى من الجمادات واطاعت له الطاعة التي تصح منها وتليق بها حيث لم تمتنع على مشيئته
وارادته ايجادا وتكوينا وتسوية على هيآت مختلفة واشكال متنوعة كما قال اتينا طائعين و
اما الانسان فلم يكن حاله فيما يصح منه من الطاعة ويليق به من الانقياد لاوامر الله ونواهيه وهو
حيوان عاقل صالح للتكليف مثل حال تلك الجمادات فيما يصح منها ويليق بها من الانقياد وعدم
الامتناع والمراد بالامانة الطاعة لانها لازمة الوجود كما ان الامانة لازمة الاداء وعرضها
على الجمادات واباؤها واشفاقها مجاز واما حمل الامانة فمن قولك فلان حامل للامانة ومحتمل لها
تريد انه لا يؤديها الى صاحبها حتى تزول عن ذمته ويخرج عن عهدتها لان الامانة كأنها راكبة للمؤتمن

عليها وهو حاملها الا تراهم يقولون ركبته الديون ولي عليه حق فاذا اداها لم تبق راكبة له ولا هو حاملا
لها ونحوه قولهم لا يملك مولى لمولى نصرا يريدون انه يبذل له النصرة ويسامحه بها ولا يمسكها كما يمسكها الخاذل
ومنه قول القائل اخوك الذي لا يملك الحس نفسه وترفض عند المحفظات الكتائف اي لا يمسك
الرقة والعطف امساك المالك الضنين ما في يده بل يبذل ذلك ويسمح به ومنه قولهم ابغض حق اخيك لانه
اذا احبه لم يخرجه الى اخيه ولم يؤده واذا ابغضه اخرجه واداه فمعنى فابين ان يحملنها واشفقن منها وحملها
الانسان فابين الا ان يؤدينها وابى الانسان الا ان يكون محتملا لها لا يؤديها ثم وصفه بالظلم لكونه
تاركا لاداء الامانة وبالجهل لخطائه ما يسعده مع تمكنه منه وهو اداؤها والثاني ان ما كلفه الانسان
بلغ من عظمه وثقل محمله انه عرض على اعظم ما خلق الله من الاجرام واقواه واشده ان يتحمله ويستقل به
فابى حمله والاستقلال به واشفق منه وحمله الانسان على ضعفه ورخاوة قوته انه كان ظلوما جهولا
حيث حمل الامانة ثم لم يف بها وضمنها ثم خاس بضمانه فيها ونحو هذا من الكلام كثير في لسان العرب وما
جاء القرآن الا على طرقهم واساليبهم من ذلك قولهم لو قيل للشحم اين تذهب لقال اسوي العوج وكم وكم لهم
من امثال على السنة البهائم والجمادات وتصور مقاولة الشحم محال ولكن الغرض ان السمن في الحيوان
مما يحسن قبيحه كما ان العجف مما يقبح حسنه فصور اثر السمن فيه تصويرا هو اوقع في نفس السامع و
هي به آنس وله اقبل وعلى حقيقته اوقف وكذلك تصوير عظم الامانة وصعوبة امرها وثقل محملها
والوفاء بها   قد علم وجه التمثيل في قولهم للذي لا يثبت على راي واحد اراك تقدم رجلا
وتؤخر اخرى لانه مثلت حاله في تميله وترجحه بين الرايين وتركه المضي على احدهما بحال من يتردد في
ذهابه فلا يجمع رجليه للمضي في وجهه وكل واحد من الممثل والممثل به شيء مستقيم داخل تحت
الصحة والمعرفة وليس كذلك ما في الآية فان عرض الامانة على الجماد واشفاقه محال في نفسه غير
مستقيم فكيف صح بناء التمثيل على المحال وما مثال هذا الا ان تشبه شيئا والمشبه به غير معقول
الممثل به في الآية وفي قولهم لو قيل للشحم اين تذهب وفي نظائره مفروض والمفروضات
تتخيل في الذهن كما المحققات مثلت حال التكليف في صعوبته وثقل محمله بحاله المفروضة لو عرضت
على السموات والارض والجبال فابين ان يحملنها واشفقن منها ليعذب المنافقين والمنافقات والمشركين
والمشركات ويتوب الله على المؤمنين والمؤمنات وكان الله غفورا رحيما واللام في ليعذب لام التعليل على طريق
المجاز لان التعذيب نتيجة حمل الامانة كما ان التأديب في ضربته للتأديب نتيجة الضرب وقرأ الاعمش
ويتوب ليجعل العلة قاصرة على فعل الحامل ويبتدئ ويتوب الله ومعنى قراءة العامة ليعذب

الله خاطل الأمانة ويتوب على غيره ممن لم يحملها لانه اذا تيب على الولي كان ذلك نوعا من عذاب الغادر

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الأحزاب وعلمها اهله وما ملكت يمينه اعطي الأمان من

عذاب القبر

سورة سبا مكية وهي اربع وخمسون آية

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي له ما في السموات وما في الأرض ما في السموات والأرض كله نعمة
من الله وهو حقيق بان يحمد ويثنى عليه من اجله ولما قال الحمد لله ثم وصف ذاته بالانعام بجميع النعم الدنيوية
كان معناه انه المحمود على نعم الدنيا كما تقول احمد اخاك الذي كساك وحملك تريد احمده على كسوته وحملانه
ولما قال وله الحمد في الآخرة علم انه المحمود على نعم الآخرة وهي الثواب كان الفرق بين الحمدين
ان الحمد في الدنيا واجب لانه على نعمة متفضل بها وهو الطريق الى تحصيل نعمة الآخرة وهي
الثواب واما الحمد في الآخرة فليس بواجب لانه على نعمة واجبة الإيصال الى مستحقها انما هو تتمة سرور المؤمنين
وتكملة اغتباطهم يلتذون به كما يلتذ من به العطاش بالماء البارد وهو الحكيم الذي احكم امور الدارين
ودبرها بحكمته الخبير بكل كائن يكون ثم ذكر مما يحيط به علما يعلم ما يلج في الأرض من الغيث كقوله فسلكه
ينابيع في الأرض ومن الكنوز والدفائن والأموات وجميع ما هي له كفات وما يخرج منها من الشجر والنبات
وماء العيون والغلة والدواب وغير ذلك وما ينزل من السماء من الأمطار والثلوج والبرد والصواعق
والأرزاق والملائكة وانواع البركات والمقادير كما قال وفي السماء رزقكم وما توعدون وما يعرج فيها من
الملائكة واعمال العباد وهو مع كثرة نعمته وسبوغ فضله الرحيم الغفور للمفرطين في اداء مواجب
شكرها وقرأ علي بن ابي طالب رضي الله عنه ننزل بالنون والتشديد وقال الذين كفروا لا تأتينا الساعة
قل بلى وربي لتأتينكم عالم الغيب لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض ولا اصغر من ذلك ولا اكبر
الا في كتاب مبين وقولهم لا تأتينا الساعة نفي للبعث وانكار لمجيء الساعة او استبطاء لما وعدوه من قيامها
على سبيل الهزء والسخرية كقولهم متى هذا الوعد اوجب ما بعد النفي ببلى على معنى ان ليس الأمر الا اتيانها
ثم اعيد ايجابه مؤكدا بما هو الغاية في التوكيد والتشديد وهو التوكيد باليمين بالله عز وجل ثم امد
التوكيد القسمي امدادا بما اتبع المقسم به من الوصف بما وصف به الى قوله ليجزي لان عظمة حال
المقسم به تؤذن بقوة حال المقسم عليه وشدة ثباته واستقامته لانه بمنزلة الاستشهاد على الأمر و
كلما كان المستشهد به اعلى كعبا وابين فضلا وارفع منزلة كانت الشهادة اقوى واكد والمستشهد
عليه اثبت وارسخ هل للوصف الذي وصف به المقسم به وجه اختصاص بهذا المعنى
نعم وذلك ان قيام الساعة من مشاهير الغيوب وادخلها في الخفية واولها مسارعة الى

القلب اذا قيل عالم الغيب فحين اقسم باسمه على اثبات قيام الساعة وانه كائن لا محالة ثم وصف بما
يرجع الى علم الغيب وانه لا يفوت علمه شيء من الخفيات اندرج تحته احاطته بوقت قيام الساعة فجاء ما
تطلبه من وجه الاختصاص مجيئا واضحا الناس قد انكروا اتيان الساعة وجحدوه فهب انه
حلف لهم باغلظ الايمان واقسم عليه جهد القسم فيمين من هو في معتقدهم مفتر على الله كذبا كيف يكون مصححة
لما انكروه هذا لو اقتصر على اليمين ولم يتبعها الحجة القاطعة والبينة الساطعة وهو قوله ليجزي
الذين آمنوا وعملوا الصالحات اولئك لهم مغفرة ورزق كريم فقد وضع الله في العقول وركب في الغرائز وجوب
الجزاء وان المحسن لا بد له من ثواب والمسيء لا بد له من عقاب وقوله ليجزي متصل بقوله لتأتينكم
تعليلا له وقرئ لتأتينكم بالتاء والياء ووجه من قرأ بالياء ان يكون ضميره للساعة بمعنى اليوم
او يسند الى عالم الغيب اي ليأتينكم امره كما قال هل ينظرون الا ان تأتيهم الملائكة او يأتي ربك وقال
او يأتي امر ربك وقرئ عالم الغيب وعلام الغيب بالجر صفة لربي وعالم الغيب
بالرفع على المدح ولا يعزب بالضم والكسر في الزاي من العزوب وهو البعد يقال روض عزيب بعيد من الناس
مثقال ذرة مقدار اصغر نملة ذلك اشارة الى مثقال ذرة وقرئ ولا اصغر من ذلك
ولا اكبر بالرفع على اصل الابتداء وبالفتح على نفي الجنس كقولك لا حول ولا قوة الا بالله بالرفع والنصب وهو
كلام منقطع عما قبله هل يصح عطف المرفوع على مثقال ذرة كانه قيل لا يعزب عنه
مثقال ذرة واصغر واكبر وزيادة لا لتأكيد النفي وعطف المفتوح على ذرة بانه فتح في موضع الجر لامتناع
الصرف كانه قيل لا يعزب عنه مثقال ذرة ولا مثقال اصغر من ذلك ولا اكبر يأبى ذلك
حرف الاستثناء الا اذا جعلت الضمير في عنه للغيب وجعلت الغيب اسما للخفيات قبل ان تكتب
في اللوح لان اثباتها في اللوح نوع من البروز عن الحجاب على معنى انه لا ينفصل عن الغيب شيء ولا
يزل عنه الا مسطورا في اللوح والذين سعوا في آياتنا معجزين اولئك لهم عذاب من رجز اليم وقرئ معجزين
واليم بالرفع والجر وعن قتادة الرجز سوء العذاب ويرى الذين اوتوا العلم في موضع الرفع اي ويعلم
اولوا العلم يعني اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن يطأ اعقابهم من امته او علماء اهل الكتاب
الذين اسلموا مثل كعب الاحبار وعبد الله بن سلام الذي انزل اليك من ربك هو الحق وهما مفعولان ليرى وهو فصل
ومن قرأ الحق بالرفع جعله مبتدأ والحق خبرا والجملة في موضع المفعول الثاني وقيل يرى في موضع
النصب معطوف على ليجزي اي وليعلم اولوا العلم عند مجيء الساعة انه الحق علما لا يزاد عليه في
الايقان ويحتجوا به على الذين كذبوا وتولوا ويجوز ان يريد وليعلم من لم يؤمن من الاحبار انه

هو الحق فيزدادوا حسرة وغما ويهدي إلى صراط العزيز الحميد وقال الذين كفروا قريش قال بعضهم لبعض
هل ندلكم على رجل يعنون محمدا صلى الله عليه وسلم يحدثكم بأعجوبة من الأعاجيب أنكم تبعثون وتنشؤون
خلقا جديدا بعد أن تكونوا رفاتا وترابا ويمزق أجسادكم البلى ينبئكم إذا مزقتم كل ممزق إنكم لفي خلق
جديد كل ممزق أي يفرق قلكم ويبدد أجزاءكم كل تبديد أفترى على الله كذبا أم به جنة بل الذين لا يؤمنون
بالآخرة في العذاب والضلال البعيد أفلم يروا إلى ما بين أيديهم وما خلفهم من السماء والأرض إن نشأ نخسف
بهم الأرض أو نسقط عليهم كسفا من السماء أهو مفتر على الله كذبا فيما ينسب إليه من ذلك أم به جنون يوهمه
ذلك ويلقيه على لسانه ثم قال سبحانه ليس محمد من الافتراء والجنون في شيء وهو مبرأ منهما بل هؤلاء
القائلون الكافرون بالبعث واقعون في عذاب النار وفيما يؤديهم إليه من الضلال عن الحق وهم غافلون عن
ذلك وذلك أجن الجنون وأشده إطباقا على عقولهم جعل وقوعهم في العذاب رسيلا لوقوعهم في الضلال
كأنهما كائنان في وقت واحد لأن الضلال لما كان العقاب من لوازمه وموجباته جعلا كأنهما في الحقيقة
مقترنان وقرأ زيد بن علي ينبئكم   قد جعلت الممزق مصدرا كبيت الكتاب
ألم تعلم مسرحي القوافي فلا عيا بهن ولا اجتلابا   فهل يجوز أن يكون مكانا   نعم معناه ما حصل
من الأموات في بطون الطير والسباع وما مرت به السيول فذهبت به كل مذهب وما سفته الرياح
فطرحته كل مطرح   ما العامل في إذا   ما دل عليه إنكم لفي خلق جديد وقد سبق نظيره
الجديد فعيل بمعنى فاعل أو مفعول   هو عند البصريين بمعنى فاعل تقول جد فهو
جديد كحد فهو حديد وقل فهو قليل وعند الكوفيين بمعنى مفعول من جده إذا قطعه وقالوا هو الذي
جده الناسج الساعة في الثوب ثم شاع ويقولون ولهذا ملحفة جديد وهي عند البصريين كقوله
كقوله إن رحمة الله قريب ونحو ذلك   لم أسقطت الهمزة في قوله أفترى دون قوله آلسحر
وكلتاهما همزة وصل   القياس الطرح ولكن أمرا اضطرهم إلى ترك إسقاطها في نحو آلسحر وهو خوف
التباس الاستفهام بالخبر لكون همزة الوصل مفتوحة كهمزة الاستفهام   ما معنى وصف
الضلال بالبعيد   هو من الإسناد المجازي لأن البعيد صفة الضال إذا بعد عن الجادة
وكلما ازداد عنها بعدا كان أضل   كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مشهورا علما في
قريش وكان إنباؤه بالبعث شائعا عندهم فما معنى قولهم هل ندلكم على رجل ينبئكم فنكروه لهم وعرضوا
عليهم الدلالة عليه كما يدل على مجهول في أمر مجهول   كانوا يقصدون بذلك الطنز والسخرية
فأخرجوه مخرج التحلي ببعض الأحاجي التي يتحاجى بها للضحك والتلهي متجاهلين به وبأمره أعموا فلم ينظروا

إلى السماء والأرض وأنهما حيثما كانوا وأينما ساروا أمامهم وخلفهم محيطتان بهم لا يقدرون أن ينفذوا من أقطارهما
وأن يخرجوا عما هم فيه من ملكوت الله ولم يخافوا أن يخسف الله بهم أو يسقط عليهم كسفا لتكذيبهم الآيات وكفرهم
بالرسول وبما جاء به كما فعل بقارون وأصحاب الأيكة إن في ذلك النظر إلى السماء والأرض والفكر فيهما وما
تدلان عليه من قدرة الله لآية ودلالة لكل عبد منيب وهو الراجع إلى ربه المطيع له لأن المنيب لا يخلو من
النظر في آيات الله على أنه قادر على كل شيء من البعث ومن عقاب من يكفر به قرئ يشأ ويخسف و
يسقط بالياء لقوله أفترى على الله كذبا وبالنون لقوله ولقد آتينا وكسفا بفتح السين وسكونه وقرأ
الكسائي نخسف بهم بالإدغام وليست بقوية ولقد آتينا داود منا فضلا يا جبال إما أن يكون بدلا من فضلا
وإما من آتينا بتقدير قولنا يا جبال أو قلنا يا جبال وقرئ أوبي وأوبي من التأويب والأوب أي
رجعي معه التسبيح أو ارجعي معه في التسبيح كلما رجع فيه لأنه إذا رجعه فقد رجع فيه ومعنى تسبيح
الجبال أن الله يخلق فيها تسبيحا كما خلق الكلام في الشجرة فيسمع منها ما يسمع من المسبح معجزة
لداود عليه السلام وقيل كان ينوح على ذنبه بترجيع وتحزين وكانت الجبال تسعده على نوحه بأصدائها
والطير بأصواتها وقرئ والطير رفعا ونصبا عطفا على لفظ الجبال ومحلها وجوزوا أن ينتصب مفعولا معه
وأن يعطف على فضلا بمعنى وسخرنا له الطير   أي فرق بين هذا النظم وبين أن يقال و
آتينا داود منا فضلا تأويب الجبال معه والطير   كم بينهما ألا ترى إلى ما فيه من الفخامة التي لا
تخفى ومن الدلالة على عزة الربوبية وكبرياء الإلهية حيث جعلت الجبال منزلة منزلة العقلاء
الذين إذا أمرهم أطاعوا وأذعنوا وإذا دعاهم سمعوا وأجابوا إشعارا بأنه ما من حيوان وجماد
وناطق وصامت إلا وهو منقاد لمشيئته غير ممتنع على إرادته وألنا له الحديد أن اعمل سابغات وجعلناه
له لينا كالطين والعجين والشمع يصرفه بيده كيف شاء من غير نار ولا ضرب بمطرقة وقيل لان
الحديد في يده لما أوتي من شدة القوة وقرئ صابغات وهي الدروع الواسعة الضافية و
هو أول من اتخذها وكانت قبل صفائح وقيل كان يبيع الدرع بأربعة آلاف فينفق منها على
نفسه وعياله ويتصدق على الفقراء وقيل كان يخرج حين ملك بني إسرائيل متنكرا فيسأل الناس
عن نفسه ويقول لهم ما تقولون في داود فيثنون عليه فقيض الله له ملكا في صورة آدمي فسأله
على عادته فقال نعم الرجل لولا خصلة فيه فريع داود فسأله فقال لولا أنه يطعم عياله من بيت
المال فسأل عند ذلك ربه أن يسبب له ما يستغني به عن بيت المال فعلمه صنعة الدروع و
قدر في السرد لا تجعل المسامير دقاقا فتقلق ولا غلاظا فتفصم الحلق والسرد نسج الدروع واعملوا صالحا

الضمير لداود وأهله إني بما تعملون بصير ولسليمان الريح فيمن نصب ولسليمان الريح مسخرة فيمن رفع وكذلك فيمن قرأ الرياح بالرفع غدوها شهر ورواحها شهر جريها بالغداة مسيرة شهر وجريها بالعشي كذلك وقرئ غدوتها وروحتها. وعن الحسن كان يغدو فيقيل باصطخر ثم يروح فيكون رواحه بكابل ويحكى أن بعضهم رأى مكتوبا في منزل بناحية دجلة كتبه بعض أصحاب سليمان نحن نزلناه وما بنيناه ومبنيا وجدناه غدونا من اصطخر فقلناه ونحن رائحون منه فبائتون بالشام إن شاء الله وأسلنا له عين القطر ومن الجن من يعمل بين يديه والقطر النحاس المذاب من القطران لماذا أراد بعين القطر

أراد بها معدن النحاس ولكنه أساله كما ألان الحديد لداود فنبع كما ينبع الماء من العين فلذلك سماه عين القطر باسم ما آل إليه كما قال إني أراني أعصر خمرا وقيل كان يسيل في الشهر ثلاثة أيام بإذن ربه بأمره ومن يزغ منهم ومن يعدل عن أمرنا نذقه من عذاب السعير الذي أمرناه به من طاعة سليمان وقرئ يزغ من أزاغه وعذاب السعير عذاب الآخرة عن ابن عباس وعن السدي كان معه ملك بيده سوط من نار كلما استعصى عليه ضربه من حيث لا يراه الجني يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل وجفان كالجواب وقدور المحاريب المساكن والمجالس الشريفة المصونة عن الابتذال سميت محاريب لأنه يحامى عليها ويذب عنها وقيل هي المساجد والتماثيل صور الملائكة والنبيين والصالحين كانت تعمل في المساجد من نحاس وصفر وزجاج ورخام ليراها الناس فيعبدوا نحو عبادتهم كيف استجاز سليمان عليه السلام عمل التصاوير هذا مما يجوز أن تختلف فيه الشرائع لأنه ليس من مقبحات العقل كالظلم والكذب وعن أبي العالية لم يكن اتخاذ الصور إذ ذاك محرما ويجوز أن يكون غير صور الحيوان كصور الأشجار وغيرها لأن التمثال كل ما صور على مثل صورة غيره من حيوان وغير حيوان أو تصور محذوفة الرؤس وروي أنهم عملوا له أسدين في أسفل كرسيه ونسرين فوقه فإذا أراد أن يصعد بسط الأسدان له ذراعيهما وإذا قعد أظله النسران بأجنحتهما والجوابي الحياض الكبار قال

تروح على آل المحلق جفنة كجابية الشيخ العراقي تفهق

لأن الماء يجبى فيها أي يجمع جعل الفعل لها مجازا وهي من الصفات الغالبة كالدابة قيل كان يقعد على الجفنة ألف رجل وقرئ بحذف الياء اكتفاء بالكسرة كقوله يوم يدع الداع راسيات ثابتات على الأثافي لا تنزل عنها لعظمها اعملوا آل داود حكاية ما قيل لآل داود وانتصب شكرا على أنه مفعول له أي اعملوا لله واعبدوه على وجه الشكر لنعمائه وفيه دليل على أن العبادة يجب أن تؤدى على طريق الشكر أو على الحال أي شاكرين أو على تقدير اشكروا شكرا لأن اعملوا فيه معنى اشكروا من حيث أن العمل للمنعم شكر له

ويجوز أن ينتصب باعملوا مفعولا به معناه إنا سخرنا لكم الجن يعملون لكم ما شئتم فاعملوا أنتم شكرا على طريق المشاكلة وقليل من عبادي الشكور المتوفر على أداء الشكر الباذل وسعه فيه قد شغل به قلبه ولسانه وجوارحه اعتقادا واعترافا وكدحا وأكثر أوقاته وعن ابن عباس من يشكر على أحواله كلها وعن السدي من يشكر على الشكر وقيل من يرى عجزه عن الشكر وعن داود عليه السلام أنه جزأ ساعات الليل والنهار على أهله فلم تكن تأتي ساعة من الساعات إلا وإنسان من آل داود قائم يصلي وعن عمر رضي الله عنه أنه سمع رجلا يقول اللهم اجعلني من القليل فقال عمر ما هذا الدعاء فقال الرجل إني سمعت الله يقول وقليل من عبادي الشكور فأنا أدعوه أن يجعلني من ذلك القليل فقال عمر كل الناس أعلم من عمر فلما قضينا عليه الموت ما دلهم على موته إلا دابة الأرض تأكل منسأته فلما خر قرئ فلما قضي عليه الموت ودابة الأرض الأرضة وهي الدويبة التي يقال لها السرفة والأرض فعلها فأضيفت إليه يقال أرضت الخشبة أرضا إذا أكلتها الأرضة وقرئ بفتح الراء من أرضت الخشبة أرضا وهو من باب فعلته ففعل كقولك أكلت القوادح الأسنان أكلا فأكلت أكلا والمنسأة العصا لأنه ينسأ بها أي يطرد ويؤخر وقرئ بفتح الميم وبتخفيف الهمزة قلبا وحذفا وكلاهما ليس بقياس ولكن إخراج الهمزة بين بين هو التخفيف القياسي ومنساءته على مفعالة كما يقال في الميضأة ميضاءة ومن ساته أي من طرف عصاه سميت بسأة القوس على الاستعارة وفيها لغتان كقولهم قحة وقحة وقرئ أكلت منسأته تبينت الجن من تبين الشيء إذا ظهر وتجلى وأن مع صلتها بدل من الجن بدل الاشتمال كقولك تبين زيد جهله والظهور له في المعنى أي ظهر أن الجن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين أو علم الجن كلهم علما بينا بعد التباس الأمر على عامتهم وضعفتهم وتوهمهم أن كبارهم يصدقون في ادعائهم علم الغيب أو علم المدعون علم الغيب منهم عجزهم وأنهم لا يعلمون الغيب وإن كانوا عالمين قبل ذلك بحالهم وإنما أريد التهكم بهم كما تتهكم بمدعي الباطل إذا دحضت حجته وظهر إبطاله بقولك هل تبينت أنك مبطل وأنت تعلم أنه لم يزل لذلك متبينا وقرئ تبينت الجن على البناء للمفعول على أن المتبين في المعنى هو أن مع ما في صلتها لأنه بدل وفي قراءة أبي تبينت الإنس وعن الضحاك تباينت الإنس بمعنى تعارفت وتعالمت والضمير في كانوا للجن في قوله ومن الجن من يعمل بين يديه أي علمت الإنس أن لو كان الجن يصدقون فيما يوهمونهم من علم الغيب ما لبثوا وفي قراءة ابن مسعود تبينت الإنس أن الجن لو كانوا يعلمون الغيب روي أنه كان من عادة سليمان أن يعتكف في مسجد بيت المقدس المدد الطوال فلما دنا أجله لم يصبح إلا رأى في

محرابه شجرة نابتة قد انطقها الله فيسألها لأي شيء انت فتقول لكذا حتى اصبح ذات يوم فرأى
الخروبة فسألها فقالت نبتت لخراب هذا المسجد فقال ما كان الله ليخربه وانا حي انت التي على وجهك
هلاكي وخراب بيت المقدس فنزعها وغرسها في حائط له فقال اللهم عمّ على الجن موتي حتى يعلم الناس
انهم لا يعلمون الغيب لانهم كانوا يسترقون السمع ويموّهون على الانس انهم يعلمون الغيب وقال لملك
الموت اذا امرت بي فاعلمني فقال أمرت بك وقد بقيت من عمرك ساعة فدعا الشياطين فبنوا عليه
صرحا من قوارير ليس له باب فقام يصلي متكئا على عصاه فقبض روحه وهو متكئ عليها وكانت
الشياطين تجتمع حول محرابه اينما صلى فلم يكن شيطان ينظر اليه الا احترق فمر به شيطان فلم يسمع
صوته ثم رجع فلم يسمع فنظر فاذا سليمان قد خر ميتا ففتح عنه فاذا العصا قد اكلتها الارضة
فارادوا ان يعرفوا وقت موته فوضعوا الارضة على العصا فاكلت منها في يوم وليلة مقدارا
فحسبوا على ذلك النحو فوجدوه قد مات منذ سنة وكانوا يعملون بين يديه ويحسبونه حيا فايقن
الناس انهم لو علموا الغيب لما لبثوا في العذاب سنة وروي ان داود اسس بناء بيت المقدس
في موضع فسطاط موسى عليه السلام فمات قبل ان يتمه فوصى به الى سليمان فامر الشياطين
باتمامه فلما بقي من عمره سنة سال ان يعمى عليهم موته حتى يفرغوا منه وليبطل دعواهم علم الغيب
وروي ان افريدون جاء ليصعد كرسيه فلما دنا ضرب الاسدان ساقه فكسراها فلم يجسر احد
بعده ان يدنو منه وكان عمر سليمان ثلثا وخمسين سنة ملك وهو ابن ثلث عشرة سنة فبقي
في ملكه اربعين سنة وابتدا بناء بيت المقدس لاربع مضين من ملكه لقد كان لسبإ في مساكنهم آية جنتان
عن يمين وشمال قرئ لسبإ بالصرف ومنعه وقلب الهمزة الفا ومسكنهم بفتح الكاف وكسرها
وهو موضع سكناهم وهو بلدهم وارضهم التي كانوا مقيمين فيها او مسكن كل واحد منهم وقرئ
مساكنهم وجنتان بدل من آية او خبر مبتدا محذوف تقديره الآية جنتان وفي الرفع
معنى المدح يدل عليه قراءة من قرأ جنتين بالنصب على المدح ما معنى كونهما آية
لم يجعل الجنتين في انفسهما آية وانما جعل قصتهما وان اهلهما اعرضوا عن شكر الله عليهما فخربهما و
ابدلهم عنهما الخمط والاثل آية وعبرة لهم ليعتبروا ويتعظوا فلا يعودوا الى ما كانوا عليه من الكفر
وغمط النعم ويجوز ان يجعلهما آية اي علامة دالة على الله وعلى قدرته واحسانه ووجوب
شكره كيف عظم الله جنتي اهل سبا وجعلهما آية ورب قرية من قريات العراق
يحتف بها من الجنان ما شئت لم يرد بستانين اثنين فحسب وانما اراد جماعتين من

البساتين جماعة عن يمين بلدهم واخرى عن شمالها وكل واحدة من الجماعتين في تقاربها وتضامها
كانها جنة واحدة كما تكون بلاد الريف العامرة وبساتينها او اراد بستاني كل رجل منهم عن يمين
مسكنه وشماله كما قال جعلنا لاحدهما جنتين من اعناب كلوا من رزق ربكم اما حكاية لما قال لهم
انبياء الله المبعوثون اليهم او لما قال لهم لسان الحال او هم احقاء بان يقال لهم ذلك ولما قال كلوا من رزق
ربكم واشكروا له اتبعه قوله بلدة طيبة ورب غفور يعني هذه البلدة التي فيها رزقكم بلدة طيبة و
ربكم الذي رزقكم وطلب شكركم رب غفور لمن شكره وعن ابن عباس كانت اخصب البلاد
واطيبها تخرج المراة وعلى راسها المكتل فتعمل بيديها وتسير بين تلك الشجر فيمتلئ المكتل مما يتساقط
فيه من الثمر طيبة لم تكن سبخة وقيل لم يكن فيها بعوض ولا ذباب ولا برغوث ولا عقرب ولا حية
وقرئ بلدة طيبة ورب غفورا بالنصب على المدح وعن ثعلب معناه اسكن واعبد فاعرضوا فارسلنا
عليهم سيل العرم وبدلناهم بجنتيهم جنتين ذواتي اكل خمط واثل وشيء من سدر قليل ذلك العرم الجرذ
الذي نقب عليهم السكر ضربت لهم بلقيس الملكة بسد ما بين الجبلين بالصخر والقار فحقنت به ماء
العيون والامطار وتركت فيه خروقا على مقدار ما يحتاجون اليه في سقيهم فلما طغوا وقيل بعث
الله اليهم ثلثة عشر نبيا يدعونهم الى الله ويذكرونهم نعمته عليهم فكذبوهم وقالوا ما نعرف لله نعمة
سلط الله على سدهم الخلد فنقبه من اسفله فغرقهم وقيل العرم جمع عرمة وهي الحجارة المركومة
ويقال للكدس من الطعام عرمة والمراد المسناة التي عقدوها سكرا وقيل العرم اسم الوادي
وقيل العرم المطر الشديد وقرئ العرم بسكون الراء وعن الضحاك كانوا في الفترة التي بين
عيسى ومحمد عليهما السلام وقرئ اكل بالضم والسكون وبالتنوين والاضافة والاكل الثمر والخمط
شجر الاراك وعن ابي عبيدة كل شجر ذي شوك وقال الزجاج كل نبت اخذ طعما من مرارة حتى
لا يمكن اكله والاثل شجر يشبه الطرفاء اعظم منه واجود عودا ووجه من نون ان اصله
ذواتي اكل اكل خمط فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه او وصف الاكل بالخمط كانه
قيل ذواتي اكل بشع ومن اضاف وهو ابو عمرو وحده فلان اكل الخمط في معنى البرير فكانه قيل
ذواتي برير والاثل والسدر معطوفان على اكل لا على خمط لان الاثل لا اكل له وقرئ و
اثلا وشيئا بالنصب عطفا على جنتين وتسمية البدل جنتين لاجل المشاكلة وفيه ضرب من التهكم
وعن الحسن قلل السدر لانه اكرم ما بدلوا وقرئ وهل يجازى وهل نجازي بالنون وهل يجازي
والفاعل الله وحده وهل يجزى والمعنى ان مثل هذا الجزاء لا يستحقه الا الكافر وهو العقاب

العاجل وقيل المؤمن تكفر سيئاته بحسناته والكافر يحبط عمله فيجازى بجميع ما يفعله من السوء ووجه آخر وهو ان الجزاء عام لكن مكافاة يستعمل تارة في معنى المعاقبة واخرى في معنى الاثابة فلما استعمل في معنى المعاقبة في قوله جزيناهم بما كفروا بمعنى عاقبناهم بكفرهم قيل وهل نجازى الا الكفور بمعنى وهل نعاقب وهو الوجه الصحيح وليس لقائل ان يقول لم قيل وهل نجازى الا الكفور على اختصاص الكفور بالجزاء والجزاء عام للكافر والمؤمن لانه لم يرد الجزاء العام انما اراد الخاص وهو العقاب لا يجوز ان يراد العموم وليس بموضعه الا ترى انك لو قلت جزيناهم بما كفروا وهل نجازى الا الكافر والمؤمن لم يصح ولم يسد كلاما فتبين ان ما تخيل من السؤال مضمحل وان الصحيح الذى لا يجوز غيره ما جاء عليه كلام الله الذى لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وجعلنا بينهم وبين القرى التى باركنا فيها هى قرى الشام قرى ظاهرة متواصلة يرى بعضها من بعض لتقاربها فهى ظاهرة لاعين الناظرين او راكبة متن الطريق ظاهرة للسابلة لم تبعد عن مسالكهم حتى تخفى عليهم وقدرنا فيها السير قيل كان الغادى منهم يقيل في قرية والرائح يبيت في قرية الى ان يبلغ الشام لا يخاف جوعا ولا عطشا ولا عدوا ولا يحتاج الى حمل زاد ولا ماء سيروا فيها وقلنا لهم سيروا ولا قول ثم ولكنهم لما مكنوا من السير وسويت لهم اسبابه فكانهم امروا بذلك واذن لهم فيه ما معنى قوله ليالى واياما معناه سيروا فيها ان شئتم بالليل وان شئتم بالنهار فان الامن لا يختلف باختلاف الاوقات او سيروا فيها آمنين لا تخافون وان تطاولت مدة سفركم فيها وامتدت اياما وليالى او سيروا فيها لياليكم وايامكم مدة اعماركم فانكم في كل حين وزمان لا تلقون فيها الا الامن فقالوا ربنا باعد بين اسفارنا وظلموا انفسهم فجعلناهم قرئ ربنا باعد بين اسفارنا وبعد وياربنا على الدعاء بطروا النعمة وبشموا من طيب العيش وملوا العافية فطلبوا الكد والتعب كما طلب بنو اسرائيل البصل والثوم مكان المن والسلوى وقالوا لو كان جنى جناننا ابعد كان اجدر ان نشتهيه وتمنوا ان يجعل الله بينهم وبين الشام مفاوز ليركبوا الرواحل فيها ويتزودوا الازواد فعجل الله لهم الاجابة وقرئ ربنا بعد بين اسفارنا وبعد بين اسفارنا على النداء واسناد الفعل الى بين ورفعه به كما تقول سير فرسخان وبوعد بين اسفارنا وقرئ ربنا باعد بين اسفارنا وبين سفرنا وبعد برفع ربنا على الابتداء والمعنى خلاف الاول وهو استبعاد مسايرهم على قصرها ودنوها لفرط تنعمهم وترفههم كانهم يتشاجون على ربهم ويتحازنون عليه احاديث يتحدث الناس بهم ويتعجبون من احوالهم ومزقناهم كل ممزق ان في ذلك لآيات لكل

تفريقا اتخذه الناس مثلا مضروبا يقولون ذهبوا ايدى سبا وتفرقوا ايادى سبا قال كثير ايادى سبا ياعز ما كنت بعدكم ولم يحل بالعينين بعدك منظر لحق غسان بالشام وانمار بيثرب وجذام بتهامة والازد بعمان صبار عن المعاصي شكور للنعم ولقد صدق عليهم ابليس ظنه فاتبعوه قرئ صدق بالتشديد والتخفيف ورفع ابليس ونصب الظن فمن شدد فعلى حقق عليهم ظنه او وجده صادقا ومن خفف فعلى صدق في ظنه او صدق يظن ظنا نحو فعلته جهدك وبنصب ابليس ورفع الظن فمن شدد فعلى وجد ظنه صادقا ومن خفف فعلى قال له ظنه الصدق حين خيله اغواءهم يقولون صدقك ظنك وبالتخفيف ورفعهما على صدق عليهم ظن ابليس ولو قرئ بالتشديد مع رفعهما لكان على المبالغة في صدق كقوله صدقت فيهم ظنوني ومعناه انه حين وجد آدم ضعيف العزم قد اصغى الى وسوسته قال ان ذريته اضعف عزما منه وظن بهم اتباعه وقال لاضلنهم ولاغوينهم وقيل ظن ذلك عند اخبار الله الملائكة انه يجعل فيها من يفسد فيها والضمير في عليهم في اتبعوه اما لاهل سبا او لبنى آدم وقلل المؤمنين بقوله الا فريقا لانه قليل بالاضافة الى الكفار كما قال لاحتنكن ذريته الا قليلا ولا تجد اكثرهم شاكرين من المؤمنين وما كان له عليهم من تسلط واستيلاء بالوسوسة والاستغواء الا لنعلم من يؤمن بالآخرة ممن هو منها في شك وربك على كل شيء حفيظ الا لغرض صحيح وحكمة بينة وذلك ان يتميز المؤمن بالآخرة من الشاك فيها وعلل التسليط بالعلم والمراد ما تعلق به العلم وقرئ ليعلم على البناء للمفعول حفيظ محافظ عليه وفعيل ومفاعل متآخيان قل لمشركى قومك ادعوا الذين زعمتم من دون الله من الاصنام والملائكة وسميتموهم باسمه كما تدعون الله والتجئوا اليهم فيما يعروكم كما تلتجئون اليه وانتظروا استجابتهم لدعائكم ورحمتهم كما تنتظرون ان يستجيب لكم ويرحمكم ثم اجاب عنهم بقوله لا يملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الارض من خير او شر او نفع او ضر وما لهم فيهما من شرك في هذين الجنسين من شركة في الخلق ولا في الملك كقوله ما اشهدتهم خلق السموات والارض وما له منهم من ظهير من عون يعينه على تدبير خلقه يريد انهم على هذه الصفة من العجز والبعد عن احوال الربوبية فكيف يصح ان يدعوا كما يدعى ويرجوا كما يرجى اين مفعولا زعم احدهما الضمير المحذوف الراجع منه الى الموصول واما الثانى فلا يخلو اما ان يكون من دون الله او لا يملكون او محذوفا فلا يصح الاول لان قولك هم من دون الله لا يلتئم كلاما ولا الثانى لانهم ما كانوا يزعمون ذلك وكيف يتكلمون بما هو حجة عليهم وبما لو قالوه لقالوا ما هو حق وتوحيد فبقى ان يكون محذوفا تقديره زعمتموهم آلهة من دون الله فحذف الراجع الى الموصول كما حذف في قوله اهذا الذى

بعث الله استخفافا لطول الموصول بصلته وحذف الهة لانه موصوف صفته من دون الله والموصوف يجوز حذفه واقامة الصفة مقامه اذا كان مفهوما فاذن مفعولا زعم محذوفان جميعا بسببين مختلفين تقول الشفاعة لزيد على معنى انه الشافع كما تقول الكرم لزيد وعلى معنى انه المشفوع له كما تقول القيام لزيد فاحتمل قوله ولا تنفع الشفاعة عنده الا لمن اذن له ان يكون على احد هذين الوجهين اى لا تنفع الشفاعة الا كائنة لمن اذن له اى لشفيعه او هي اللام الثانية في قولك اذن لزيد لعمرو اى لاجله فكانه قيل الا لمن وقع الاذن للشفيع لاجله وهذا وجه لطيف وهو الوجه وهذا تكذيب لقولهم هؤلاء شفعاؤنا عند الله

ثم اتصل قوله حتى اذا فزع عن قلوبهم ولاى شيء وقعت حتى غاية بما فهم من هذا الكلام من ان ثم انتظارا للاذن وتوقفا وتمهلا وفزعا من الراجين للشفاعة والشفعاء هل يؤذن لهم او لا يؤذن وانه لا يطلق الاذن الا بعد ملي من الزمان وطول من التربص ومثل هذه الحال دل عليه قوله عز من قائل رب السموات والارض وما بينهما الرحمن لا يملكون منه خطابا يوم يقوم الروح والملائكة صفا لا يتكلمون الا من اذن له الرحمن وقال صوابا كانه قيل يتربصون ويتوقفون مليا فزعين وهلين حتى اذا فزع عن قلوبهم اى كشف الفزع عن قلوب الشافعين والمشفوع لهم بكلمة يتكلم بها رب العزة في اطلاق الاذن تباشروا بذلك وسال بعضهم بعضا ماذا قال ربكم قالوا قال الحق اى القول الحق وهو الاذن بالشفاعة لمن ارتضى وعن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم فاذا اذن لمن اذن ان يشفع فزعته الشفاعة وقرئ اذن له اى اذن له الله واذن له على البناء للمفعول وقرا الحسن فزع بمعنى فزع وقرئ فزع على البناء للفاعل وهو الله وحده وفرغ اى نفى الوجل عنها وافنى من قولهم فرغ الزاد اذا لم يبق منه شيء ثم ترك ذكر الوجل واسند الى الجار والمجرور كما تقول دفع الى زيد اذا علم ما المدفوع وقد يخفف واصله فرغ الوجل عنها اى انتفى عنها وفنى ثم حذف الفاعل واسند الى الجار والمجرور وقرئ افرنقع عن قلوبهم بمعنى انكشف عنها وعن ابي علقمة انه هاج به المرار فالتف عليه الناس فلما افاق قال ما لكم تكأكأتم علي تكأكؤكم على ذي جنة افرنقعوا عني والكلمة مركبة من حروف المفارقة مع زيادة العين كما ركب اقمطر من حروف القمط مع زيادة الراء وقرئ الحق بالرفع اى مقوله الحق وهو العلي الكبير ذو العلو والكبرياء ليس لملك ولا نبي ان يتكلم ذلك اليوم الا باذنه وان يشفع الا لمن ارتضى امره بان يقررهم بقوله قل من يرزقكم من السموات والارض قل الله من يرزقكم ثم امره بان يتولى الاجابة والاقرار عنهم بقوله يرزقكم الله وذلك للاشعار بانهم مقرون به بقلوبهم الا انهم ربما ابوا ان يتكلموا به لان الذي تمكن في صدورهم من العناد وحب الشرك قد الجم افواههم عن النطق بالحق مع علمهم بصحته ولانهم ان تفوهوا بان الله

رازقهم لزمهم ان يقال لهم فما لكم لا تعبدون من يرزقكم وتؤثرون عليه من لا يقدر على الرزق الا ترى الى قوله قل من يرزقكم من السماء والارض امن يملك السمع والابصار حتى قال فسيقولون الله ثم قال فماذا بعد الحق الا الضلال وكانهم كانوا يقرون بالسنتهم مرة ومرة كانوا يتلعثمون عنادا وضرارا وحذرا من الزام الحجة ونحوه قوله عز وعلا قل من رب السموات والارض قل الله قل افاتخذتم من دونه اولياء لا يملكون لانفسهم نفعا ولا ضرا وامره ان يقول لهم بعد الالزام والالجام الذي ان لم يزد على اقرارهم بالسنتهم لم يتقاصر عنه وانا او اياكم لعلى هدى او في ضلال مبين ومعناه ان احد الفريقين من الذين يتوحدون الرازق من السموات والارض بالعبادة ومن الذين يشركون به الجماد الذي لا يوصف بالقدرة لعلى احد الامرين من الهدى والضلال وهذا من الكلام المنصف الذي كل من سمعه من موال او مناف قال لمن خوطب به قد انصفك صاحبك وفي درجه بعد تقدمة ما قدم من التقرير البليغ دلالة غير خفية على من هو من الفريقين على الهدى ومن هو في الضلال المبين ولكن التعريض والتورية افضل بالمجادل الى الغرض واهجم به على الغلبة مع قلة شغب الخصم وفل شوكته بالهوينا ونحوه قول الرجل لصاحبه قد علم الله الصادق مني ومنك وان احدنا لكاذب ومنه بيت حسان

اتهجوه ولست له بكفو فشركما لخيركما الفداء

كيف خولف بين حرفي الجر الداخلين على الحق والضلال لان صاحب الحق كانه مستعل على فرس جواد يركضه حيث شاء والضال كانه منغمس في ظلام مرتبك فيه لا يدري اين يتوجه وفي قراءة ابي وانا او اياكم اما على هدى او في ضلال مبين قل لا تسألون عما اجرمنا ولا نسأل عما تعملون قل يجمع بيننا ربنا ثم يفتح بيننا بالحق وهو الفتاح العليم هذا ادخل في الانصاف وابلغ فيه من الاول حيث اسند الاجرام الى انفسهم والعمل الى المخاطبين وان اراد بالاجرام الصغائر والزلات التي لا يخلو منها مؤمن وبالعمل الكفر والمعاصي العظام وفتح الله بينهم وهو حكمه وفصله انه يدخل هؤلاء الجنة واولئك النار قل اروني الذين الحقتم به شركاء كلا ما معنى قوله اروني وكان يراهم ويعرفهم اراد بذلك ان يريهم الخطأ العظيم في الحاق الشركاء بالله وان يقايس على اعينهم بينه وبين اصنامهم ليطلعهم على حالة الاشراك به وكلا ردع لهم عن مذهبهم بعد ما كسره بابطال المقايسة كما قال ابراهيم اف لكم ولما تعبدون من دون الله بعد ما حجهم وقد نبه على تفاحش غلطهم وان لم يقدروا الله حق قدره بقوله هو الله العزيز الحكيم كانه قال اين الذين الحقتم به شركاء من هذه الصفات وهو راجع الى الله وحده او هو ضمير الشان كما في قوله قل هو الله احد وما ارسلناك الا كافة للناس بشيرا ونذيرا ولكن اكثر الناس

لا يعلمون. إلا كافة للناس إلا إرسالة عامة لهم محيطة بهم لأنها إذا شملتهم فقد كفتهم أن يخرج منها أحد منهم
وقال الزجاج المعنى أرسلناك جامعا للناس في الإنذار والإبلاغ فجعله حالا من الكاف وحق التاء
على هذا أن يكون للمبالغة كتاء الراوية والعلامة ومن جعله حالا من المجرور متقدما عليه فقد أخطأ
لأن تقدم حال المجرور عليه في الإحالة بمنزلة تقدم المجرور على الجار وكم ترى ممن يرتكب هذا الخطأ
ثم لا يقنع به حتى يضم إليه أن يجعل اللام بمعنى إلى لأنه لا يستوي له الخطأ الأول إلا بالخطأ الثاني
فلا بد له من ارتكاب الخطايين ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين قل لكم ميعاد يوم لا تستأخرون عنه
ساعة ولا تستقدمون قرئ ميعاد يوم وميعاد يوم وميعاد يوما والميعاد ظرف الوعد من
مكان أو زمان وهو ههنا الزمان والدليل عليه قراءة من قرأ ميعاد يوم فأبدل منه اليوم
فإن قلت ما تأويل من أضافه إلى يوم أو نصب يوما قلت أما الإضافة فإضافة تبيين كما تقول سحق ثوب
وبعير سانية وأما نصب اليوم فعلى التعظيم بإضمار فعل تقديره لكم ميعاد أعني يوما وأريد يوما من صفته
كيت وكيت ويجوز أن يكون الرفع على هذا أعني التعظيم فإن قلت كيف انطبق هذا جوابا على سؤالهم
قلت ما سألوا عن ذلك وهم منكرون له إلا تعنتا لا استرشادا فجاء الجواب على طريق التهديد مطابقا لمجيء السؤال
على سبيل الإنكار والتعنت وأنهم مرصدون ليوم يفاجئهم فلا يستطيعون تأخرا عنه ولا تقدما عليه
وقال الذين كفروا لن نؤمن بهذا القرآن ولا بالذي بين يديه ولو ترى إذ الظالمون موقوفون عند ربهم يرجع
بعضهم إلى بعض القول يقول الذين استضعفوا للذين استكبروا لولا أنتم لكنا مؤمنين قال الذين استكبروا
للذين استضعفوا أنحن صددناكم عن الهدى الذي بين يديه ما نزل قبل القرآن من كتب الله يروى
أن كفار مكة سألوا أهل الكتاب فأخبروهم أنهم يجدون صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم
في كتبهم فأغضبهم ذلك وقرنوا إلى القرآن جميع ما تقدمه من كتب الله في الكفر فكفروا بها جميعا
وقيل الذي بين يديه يوم القيامة والمعنى أنهم جحدوا أن يكون القرآن من الله أو أن يكون لما دل
عليه من الإعادة للجزاء حقيقة ثم أخبر عن عاقبة أمرهم ومآلهم في الآخرة فقال لرسوله عليه السلام
أو للمخاطب ولو ترى في الآخرة موقفهم وهم يتجاذبون أطراف المحاورة ويتراجعونها بينهم لرأيت
العجب فحذف الجواب والمستضعفون الأتباع والمستكبرون الرؤوس والمقدمون أولي الاسم
أعني نحن حرف الإنكار لأن الغرض إنكار أن يكونوا هم الصادين لهم عن الإيمان وإثبات أنهم هم الذين
صدوا بأنفسهم عنه وأنهم أتوا من قبل اختيارهم كأنهم قالوا أنحن أجبرناكم وحلنا بينكم وبين كونكم
ممكنين مختارين بعد إذ جاءكم بعد أن صممتم على الدخول في الإيمان وصحت نياتكم في اختياره بل أنتم

موضع المحاسبة

انكارا لهم كانوا صادين لهم عن الايمان واثبتوا انهم هم الذين صدوا انفسهم حيث اعرضوا عن الهدى و آثروا التقليد عليه و لذلك بنوا الانكار على الاسم

منعتم أنفسكم حظها وآثرتم الضلالة على الهدى وأطعتم آمر الشهوة دون آمر النهى فكنتم مجرمين
كافرين لاختياركم لا لقولنا وتسويلنا إذ وإذا من الظروف اللازمة للظرفية فلم وقعت
إذ مضافا إليها فقد اتسع في الزمان ما لم يتسع في غيره فأضيف إليها الزمان كما أضيف إلى الجمل
في قولك جئتك بعد إذ جاء زيد وحينئذ ويومئذ وكان ذلك أوان الحجاج أمير وحين خرج زيد وقال
الذين استضعفوا للذين استكبروا لما أنكر المستكبرون بقولهم أنحن صددناكم أن يكونوا هم السبب في
كفر المستضعفين وأثبتوا بقولهم بل كنتم مجرمين أن ذلك بكسبهم واختيارهم كر عليهم المستضعفون
بقولهم بل مكر الليل والنهار إذ تأمروننا أن نكفر بالله ونجعل له أندادا وأسروا الندامة لما رأوا العذاب
فأبطلوا إضرابهم بإضرابهم كأنهم قالوا ما كان الإجرام من جهتنا بل من جهة مكركم لنا دائبا ليلا ونهارا
وحملكم إيانا على الشرك واتخاذ الأنداد ومعنى مكر الليل والنهار مكركم في الليل والنهار فاتسع
في الظرف بإجرائه مجرى المفعول به وإضافة المكر إليه أو جعل ليلهم ونهارهم ماكرين على الإسناد المجازي
وقرئ بل مكر الليل والنهار بالتنوين ونصب الظرفين وبل مكر الليل والنهار بالرفع والنصب أي
تكرون الإغواء مكرا دائبا لا تفترون عنه ما وجه الرفع والنصب هو مبتدأ
أو خبر على معنى بل سبب ذلك مكركم أو مكركم سبب ذلك والنصب على بل تكرون الإغواء مكر الليل
والنهار لم قيل قال الذين استكبروا بغير عاطف وقيل وقال الذين استضعفوا
لأن الذين استضعفوا مر أولا كلامهم فجيء بالجواب محذوف العاطف على طريقة الاستئناف ثم جيء بكلام
آخر للمستضعفين فعطف على كلامهم الأول من صاحب الضمير في وأسروا
الجنس المشتمل على النوعين من المستكبرين والمستضعفين وهم الظالمون في قوله إذ الظالمون موقوفون
يندم المستكبرون على ضلالهم وإضلالهم والمستضعفون على ضلالهم واتباعهم وجعلنا الأغلال في
أعناق الذين كفروا هل يجزون إلا ما كانوا يعملون وما أرسلنا في قرية من نذير إلا قال مترفوها إنا بما أرسلتم
به كافرون وقالوا نحن أكثر أموالا وأولادا في أعناق الذين كفروا أي في أعناقهم فجاء بالصريح للتنويه
بذمهم وللدلالة على ما استحقوا به الأغلال وعن قتادة أسروا الكلام بذلك بينهم وقيل أسروا
الندامة أظهروها وهو من الأضداد هذه تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم مما مني به من
قومه من التكذيب والكفر بما جاء به والمنافسة بكثرة الأموال والأولاد والمفاخرة بالدنيا و
زخارفها والتكبر بذلك على المؤمنين والاستهانة بهم من أجله وقولهم أي الفريقين خير مقاما و
أحسن نديا وأنه لم يرسل قط إلى أهل قرية من نذير إلا قالوا له مثل ما قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم

الندامة على الضلال والاضلال واخفاها كل صاحبه مخافة التعبير او اظهروها فانه من الاضداد اذا الهمز تصلح للاثبات و السلب كما في اشكيته

ولو لم يكن الله راضيا بما نحن عليه من الدين والعمل لم يعطنا الاموال والاولاد

أهل مكة وكاثروه بنحو ما كاثروا به وقاسوا أمر الآخرة الموهومة أو المفروضة عندهم على أمر الدنيا واعتقدوا
أنهم لو لم يكرموا على الله لما رزقهم ولولا أن المؤمنين هانوا عليه لما حرمهم فعلى قياسهم ذلك قالوا وما نحن بمعذبين
قل إن ربي يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر ولكن أكثر الناس لا يعلمون أرادوا أنهم أكرم على الله من أن يعذبهم
نظرا إلى أحوالهم في الدنيا وقد أبطل الله حسبانهم بأن الرزق فضل من الله يقسمه كما يشاء على حسب ما يراه
من المصالح فربما وسع على العاصي وضيق على المطيع وربما عكس وربما وسع عليهما وضيق عليهما فلا ينقاس
عليه أمر الثواب الذي مبناه على الاستحقاق وقدر الرزق تضييقه قال الله تعالى ومن قدر عليه رزقه
وقرئ يقدر بالتشديد والتخفيف وما أموالكم ولا أولادكم أراد وما جماعة أموالكم ولا جماعة أولادكم
بالتي تقربكم وذلك أن الجمع المكسر عقلاؤه وغير عقلائه سواء في حكم التأنيث ويجوز أن يكون التي هي
التقوى وهي المقربة عند الله زلفى وحدها أي ليست أموالكم بتلك الموضوعة للتقريب وقرأ الحسن باللاتي
تقربكم لأنها جماعات وقرئ بالذي يقربكم أي بالشيء الذي يقربكم والزلفى والزلفة كالقربى والقربة
ومحلها النصب أي يقربكم قربة كقوله أنبتكم من الأرض نباتا إلا من آمن وعمل صالحا فأولئك لهم جزاء الضعف
بما عملوا وهم في الغرفات آمنون والذين يسعون في آياتنا معاجزين أولئك في العذاب محضرون استثناء من كم
في تقربكم والمعنى أن الأموال لا تقرب أحدا إلا المؤمن الصالح الذي ينفقها في سبيل الله ~~والأولاد لا~~
~~تقرب أحدا إلا المؤمن الصالح الذي ينفقها في سبيل الله~~ والأولاد لا تقرب أحدا إلا من علمهم الخير و
فقههم في الدين ورشحهم للصلاح والطاعة جزاء الضعف من إضافة المصدر إلى المفعول أصله فأولئك لهم
أن يجازوا الضعف ثم جزاء الضعف ثم جزاء الضعف ومعنى جزاء الضعف أن تضاعف لهم حسناتهم الواحدة
عشرا وقرئ جزاء الضعف على فأولئك لهم الضعف جزاء وجزاء الضعف على أن يجازوا الضعف وجزاء
الضعف مرفوعان الضعف بدل من جزاء وقرئ في الغرفات بضم الراء وفتحها وسكونها وفي الغرفة قل
إن ربي يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر له وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه فهو يعوضه لا معوض
سواه إما عاجلا بالمال أو بالقناعة التي هي كنز لا ينفد وإما آجلا بالثواب الذي كل خلف دونه و
عن مجاهد من كان عنده من هذا المال ما يقيمه فليقتصد فإن الرزق مقسوم ولعل ما قسم له قليل و
هو ينفق نفقة الموسع عليه فينفق جميع ما في يده ثم يبقى طول عمره في فقر ولا يتأولن وما أنفقتم
من شيء فهو يخلفه فإن هذا في الآخرة ومعنى الآية ما كان من خلف فهو منه وهو خير الرازقين وأعلاهم
رب العزة لأن كل ما رزق غيره من سلطان يرزق جنده أو سيد يرزق عبده أو رجل يرزق عياله فهو
من رزق الله أجراه على أيدي هؤلاء وهو خالق الرزق وخالق الأسباب التي بها ينتفع المرزوق بالرزق

وعن بعضهم الحمد لله الذي أعطاني وجعلني ممن يشتهي فكم من مشته لا يجد وواجد لا يشتهي ويوم نحشرهم
جميعا ثم نقول للملائكة أهؤلاء إياكم كانوا يعبدون قالوا سبحانك أنت ولينا من دونهم هذا الكلام خطاب
للملائكة وتقريع للكفار وارد على المثل السائر إياك أعني واسمعي يا جاره ونحوه قوله عز وعلا أأنت
قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله وقد علم سبحانه كون الملائكة وعيسى منزهين برآء
مما وجه عليهم من السؤال الوارد على طريق التقرير والغرض أن يقول ويقولوا ويسأل ويجيبوا فيكون
تقريعهم أشد وتعييرهم أبلغ وخجلهم أعظم وهوانهم ألزم ويكون اقتصاص ذلك لطفا لمن سمعه زاجرا
لمن اقتص عليه والموالاة خلاف المعاداة ومنها اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وهي مفاعلة من الولي
وهو القرب كما أن المعاداة من العدوى وهو البعد والولي يقع على الموالي والموالى جميعا والمعنى أنت
الذي نواليه من دونهم إذ لا موالاة بيننا وبينهم فبينوا بإثبات موالاة الله ومعاداة الكفار براءتهم
من الرضى بعبادتهم لهم لأن من كان على هذه الصفة كانت حاله منافية لذلك بل كانوا يعبدون الجن
أكثرهم بهم مؤمنون فاليوم لا يملك بعضكم لبعض نفعا ولا ضرا ونقول للذين ظلموا ذوقوا عذاب النار التي كنتم بها
تكذبون يريدون الشياطين حيث أطاعوهم في عبادة غير الله وقيل صورت لهم الشياطين صور قوم
من الجن وقالوا هذه صور الملائكة فاعبدوها وقيل كانوا يدخلون في أجواف الأصنام إذا عبدت
فيعبدون بعبادتها وقرئ نحشرهم ونقول بالنون والياء الأمر في ذلك اليوم لله وحده لا يملك فيه
أحد منفعة ولا مضرة لأحد لأن الدار دار ثواب وعقاب والمثيب والمعاقب هو الله فكانت حالها
خلاف حال الدنيا التي هي دار تكليف والناس فيها مخلى بينهم يتضارون وينافعون والمراد أنه
لا ضار ولا نافع يومئذ إلا هو ثم ذكر معاقبته الظالمين بقوله ونقول للذين ظلموا معطوفا على
لا يملك وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات قالوا ما هذا إلا رجل يريد أن يصدكم عما كان يعبد آباؤكم وقالوا ما
هذا إلا إفك مفترى الإشارة الأولى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم والثانية إلى القرآن والثالثة
إلى الحق والحق أمر النبوة كله ودين الإسلام كما هو وفي قوله وقال الذين كفروا وفي أن لم يقل
وقالوا وفي قوله للحق لما جاءهم وما في اللامين من الإشارة إلى القائلين والمقول فيه وما في لما من المبادهة
بالكفر دليل على صدور الكلام عن إنكار عظيم وغضب شديد وتعجيب من أمرهم بليغ كأنه قال وقال
أولئك الكفرة المتمردون بجرأتهم على الله ومكابرتهم لمثل ذلك الحق النير قبل أن يذوقوه إن هذا
إلا سحر مبين فبتوا القضاء على أنه سحر ثم بتوا على أنه بين ظاهر كل عاقل تأمله سماه سحرا وما آتيناهم
من كتب يدرسونها وما أرسلنا إليهم قبلك من نذير فيها برهان على صحة الشرك ولا أرسلنا إليهم نذيرا

ينذرهم بالعقاب ان لم يشركوا كما قال عز وجل ام انزلنا عليهم سلطانا فهو يتكلم بما كانوا به يشركون او
وصفهم بانهم قوم اميون اهل جاهلية لا ملة لهم وليس لهم عهد بانزال كتاب ولا بعثة رسول كما قال ام
آتيناهم كتابا من قبله فهم به مستمسكون فليس لتكذيبهم وجه متشبث به ولا شبهة متعلق كما يقول اهل
الكتاب وان كانوا مبطلين نحن اهل كتب وشرائع ومستندون الى رسل من رسل الله ثم توعدهم على
تكذيبهم بقوله وكذب الذين من قبلهم وما بلغوا معشار ما آتيناهم تقدموهم من الامم والقرون الخالية كما كذبوا
وما بلغ هؤلاء بعض ما آتينا اولئك من طول الاعمار وقوة الاجرام وكثرة الاموال فحين كذبوا رسلهم
جاءهم انكاري بالتدمير والاستيصال ولم يغن عنهم استظهارهم بما هم به مستظهرون فما بال هؤلاء
وقرئ يدّرسونها من التدريس وهو تكرير الدرس او من درّس الكتاب ودرّس الكتب ويدّرسونها بتشديد
الدال يفتعلون من الدرس والمعشار كالمرباع وهما العشر والربع فان قلت فما معنى فكذبوا رسلي و
هو مستغنى عنه بقوله وكذب الذين من قبلهم قلت لما كان معنى قوله وكذب الذين من قبلهم و
فعل الذين من قبلهم التكذيب واقدموا عليه جعل تكذيب الرسل مسببا عنه ونظيره ان يقول القائل
اقدم فلان على الكفر فكفر بمحمد صلى الله عليه وسلم ويجوز ان ينعطف على قوله ما بلغوا كقولك ما بلغ زيد
معشار فضل عمرو فيفضل عليه فكيف كان نكير للمكذبين الاولين فليحذروا من مثله قل انما اعظكم بواحدة
بخصلة واحدة وقد فسرها بقوله ان تقوموا على انه عطف بيان لها واراد بقيامهم اما القيام عن مجلس
رسول الله صلى الله عليه وسلم وتفرقهم عن مجتمعهم عنده واما القيام الذي لا يراد به المثول على القدمين
ولكن الانتصاب في الامر والنهوض فيه بالهمة والمعنى انما اعظكم بواحدة ان فعلتموها اصبتم الحق
وتخلصتم وهي ان تقوموا لوجه الله خالصا متفرقين اثنين اثنين وواحدا واحدا ثم تتفكروا في امر محمد وما
جاء به اما الاثنان فيتفكران ويعرض كل واحد منهما محصول فكره على صاحبه وينظران فيه نظر متصادقين
متناصفين لا يميل بهما اتباع هوى ولا ينبض لهما عرق عصبية حتى يهجم بهما الفكر الصالح والنظر
الصحيح على جادة الحق وسننه وكذلك الفرد يفكر في نفسه بعدل ونصفة من غير ان يكابرها
ويعرض فكره على عقله وذهنه وما استقر عنده من عادات العقلاء ومجاري احوالهم والذي
اوجب تفرقهم مثنى وفرادى ان الاجتماع مما يشوش الخواطر ويعمي البصائر ويمنع من الروية و
يخلط القول ومع ذلك يقل الانصاف ويكثر الاعتساف ويثور عجاج التعصب ولا يسمع الا نصرة المذهب
وأراهم بقوله ما بصاحبكم من جنة ان هو الا نذير لكم ان هذا الامر العظيم الذي تحته ملك الدنيا والآخرة جميعا
لا يتصدى لادعاء مثله الا رجلان اما مجنون لا يبالي بافتضاحه اذا طولب بالبرهان فعجز بل لا يدري ما

الافتضاح وما عاقبة العواقب واما عاقل راجح العقل مرشح للنبوة مختار من اهل الدنيا لا يدعيه الا
بعد صحة عنده بحجته وبرهانه والا فما يجدي على العاقل دعوى شيء لا بينة له عليه وقد علمتم ان محمدا
صلى الله عليه وسلم ما به من جنة بل علمتموه ارجح قريش عقلا وارزنهم حلما واثقبهم ذهنا واصلهم رأيا و
اصدقهم قولا وانزههم نفسا واجمعهم لما يحمد عليه الرجال ويمدحون به فكان مظنة لان تظنوا به الخير
وترجحوا فيه جانب الصدق على جانب الكذب واذا فعلتم ذلك كفاكم ان تطالبوه بان يأتيكم بآية فاذا اتى بها
تبين انه نذير مبين فان قلت ما بصاحبكم بم يتعلق قلت يجوز ان يكون كلاما مستأنفا تنبيها من الله
عز وجل على طريقة النظر في امر رسول الله صلى الله عليه وسلم ويجوز ان يكون المعنى ثم تتفكروا فتعلموا ما
بصاحبكم من جنة وقد جوز بعضهم ان تكون ما استفهامية بين يدي عذاب شديد كقوله عليه السلام
بعثت في نسم الساعة قل ما سألتكم من اجر فهو لكم جزاء الشرط الذي هو قوله ما سألتكم من اجر تقديره اي
شيء سألتكم من اجر كقوله ما يفتح الله للناس من رحمة وفيه معنيان احدهما نفي مسألة الاجر راسا
كما يقول الرجل لصاحبه ان اعطيتني شيئا فخذه وهو يعلم انه لم يعطه شيئا ولكنه يريد البت لتعليقه
الاخذ بما لم يكن والثاني ان يريد بالاجر ما اراد في قوله قل ما اسألكم عليه من اجر الا من شاء ان يتخذ الى
ربه سبيلا وفي قوله لا اسألكم عليه اجرا الا المودة في القربى لان اتخاذ السبيل الى الله نصيبهم و
ما فيه نفعهم وكذلك المودة في القرابة لان القرابة قد انتظمته واياهم ان اجري الا على الله وهو على كل شيء
شهيد حفيظ مهيمن يعلم اني لا اطلب الاجر على نصيحتكم ودعائكم اليه الا منه ولا اطمع منكم في شيء
قل ان ربي القذف والرمي تزجية السهم ونحوه بدفع واعتماد ويستعاران من حقيقتهما لمعنى الالقاء
ومنه قوله تعالى وقذف في قلوبهم الرعب ان اقذفيه في التابوت ومعنى يقذف بالحق يلقيه و
ينزله الى انبيائه او يرمي به الباطل فيدمغه ويزهقه علام الغيوب رفع محمول على محل ان واسمها او
على المستكن في يقذف او هو خبر مبتدا محذوف وقرئ بالنصب صفة لربي او على المدح و
قرئ الغيوب بالحركات الثلاث فالغيوب كالبيوت والغيوب كالصبور وهو الامر الذي غاب وخفي جدا
الحي اما ان يبدئ فعلا او يعيد فاذا هلك لم يبق له ابداء ولا اعادة فجعلوا قولهم لا يبدئ و
لا يعيد مثلا في الهلاك ومنه قول عبيد اقفر من اهله عبيد فاليوم لا يبدي ولا يعيد
والمعنى جاء الحق وهلك الباطل كقوله جاء الحق وزهق الباطل وعن ابن مسعود دخل النبي صلى
الله عليه وسلم مكة وحول الكعبة ثلثمائة وستون صنما فجعل يطعنها بعود نبعة ويقول جاء الحق وزهق
الباطل ان الباطل كان زهوقا جاء الحق وما يبدئ الباطل وما يعيد والحق القرآن وقيل الاسلام وقيل

السيف وقيل الباطل ابليس اى ما يبدئ خلقا ولا يعيده المنشئ والباعث هو الله وعن الحسن لا يبدئ لاهله خيرا ولا يعيده اى لا ينفعهم فى الدنيا والآخرة وقال الزجاج اى شئ يبدئ ابليس ويعيده فجعله للاستفهام وقيل للشيطان الباطل لانه صاحب الباطل ولانه هالك كما قيل له الشيطان من شاط اذا هلك قل ان ضللت اضل بفتح اللام مع كسرها وضللت اضل بكسرها مع فتحها وهما لغتان نحو ظللت اظل وظللت اظل وقرى اضل بكسر الهمزة مع فتح العين اين التقابل بين قوله فانما اضل على نفسى وقوله وان اهتديت فبما يوحى الى ربى وانما يستقيم ان يقال فانما اضل على نفسى وان اهتديت فانما اهتدى لها كقوله من عمل صالحا فلنفسه ومن اساء فعليها فمن اهتدى فلنفسه ومن ضل فانما يضل عليها او يقال فانما اضل بنفسى هما متقابلان من جهة المعنى لان النفس كل ما عليها فهو بها اعنى ان كل ما هو وبال عليها وضار لها فهو بها وبسببها لانها الامارة بالسوء وما لها مما ينفعها فبهداية ربها وتوفيقه وهذا حكم عام لكل مكلف وانما امر رسوله ان يسنده الى نفسه لان الرسول اذا دخل تحته مع جلالة محله وسداد طريقته كان غيره اولى به انه سميع قريب يدرك قول كل ضال ومهتد وفعله لا يخفى عليه منهما شئ ولو ترى اذ فزعوا جوابه محذوف بمعنى لرايت امرا عظيما وحالا هائلة ولو واذ والافعال التى هى فزعوا واخذوا وحيل بينهم كلها للمضى والمراد بها الاستقبال لان ما الله فاعله فى المستقبل بمنزلة ما قد كان ووجد لتحققه ووقت الفزع وقت البعث وقيام الساعة وقيل وقت الموت وقيل يوم بدر وعن ابن عباس نزلت فى خسف البيداء وذلك ان ثمانين الفا يغزون الكعبة ليخربوها فاذا دخلوا البيداء خسف بهم فلا فوت واخذوا فلا يفوتون الله ولا يسبقونه وقرى فلا فوت والاخذ من مكان قريب من الموقف الى النار اذا بعثوا ومن ظهر الارض الى بطنها اذا ماتوا او من صحراء بدر الى القليب او من تحت اقدامهم اذا خسف بهم علام عطف واخذوا فيه وجهان العطف على فزعوا اى فزعوا واخذوا فلا فوت لهم او على لا فوت على معنى اذ فزعوا فلم يفوتوا واخذوا وقرى واخذ وهو معطوف على محل لا فوت ومعناه فلا فوت هناك وهناك اخذ وقالوا آمنا به وانى لهم التناوش آمنا به بمحمد صلى الله عليه وسلم لمرور ذكره فى قوله ما بصاحبكم من جنة والتناول والتناوش اخوان الا ان التناوش تناول سهل لشئ قريب يقال ناشه ينوشه وتناوشه القوم ويقال تناوشوا فى الحرب ناش بعضهم بعضا وهذا تمثيل لطلبهم ما لا يكون وهو ان ينفعهم ايمانهم فى ذلك الوقت كما نفع المؤمنين ايمانهم فى الدنيا مثلت حالهم بحال من يريد ان يتناول الشئ من غلوة كما يتناوله الآخر من قيس ذراع تناولا سهلا لا تعب فيه وقرى التناؤش بالهمز التناول من بعد من قولهم نأشت اذا ابطأت وتأخرت ومنه البيت تمنى نئيشا ان يكون اطاعنى اى اخيرا من مكان بعيد

قد كفروا به من قبل ويقذفون بالغيب معطوف على قد كفروا على حكاية الحال الماضية يعنى وكانوا يتكلمون بالغيب ويأتون به من مكان بعيد وهو قولهم فى رسول الله صلى الله عليه وسلم شاعر ساحر كذاب وهذا تكلم بالغيب والامر الخفى لانهم لم يشاهدوا منه سحرا ولا شعرا ولا كذبا وقد اتوا بهذا الغيب من جهة بعيدة من حاله لان ابعد شئ مما جاء به الشعر والسحر وابعد شئ من عادته التى عرفت بينهم وجربت الكذب والزور وقرى ويقذفون بالغيب على البناء للمفعول اى يأتيهم به شياطينهم ويلقنونهم اياه وان شئت فعلقه بقوله وقالوا آمنا به على انه مثلهم فى طلبهم تحصيل ما عطلوه من الايمان فى الدنيا بقولهم آمنا فى الآخرة وذلك مطلب مستبعد بمن يقذف شيئا من مكان بعيد لا مجال للظن فى لحوقه حيث يريد ان يقع فيه لكونه غائبا عنه شاحطا والغيب الشئ الغائب ويجوز ان يكون الضمير للعذاب الشديد فى قوله بين يدى عذاب شديد وكانوا يقولون وما نحن بمعذبين ان كان الامر كما تصفون من قيام الساعة والعقاب والثواب ونحن اكرم على الله من ان يعذبنا قايسين امر الآخرة على امر الدنيا فهذا كان قذفهم بالغيب وهو غيب ومقذوف به من جهة بعيدة لان دار الجزاء لا تنقاس على دار التكليف وحيل بينهم وبين ما يشتهون من نفع الايمان يومئذ والنجاة به من النار والفوز بالجنة او من الرد الى الدنيا كما حكى عنهم ارجعنا نعمل صالحا كما فعل باشياعهم باشباههم من كفرة الامم ومن كان مذهبه مذهبهم من قبل انهم كانوا فى شك مريب اما من اراب اذا اوقعه فى الريبة والتهمة او من اراب الرجل اذا صار ذا ريبة ودخل فيها وكلاهما مجاز الا ان بينهما فرقا وهو ان المريب من الاول منقول ممن يصح ان يكون مريبا من الاعيان الى المعنى والمريب من الثانى منقول من صاحب الشك الى الشك كما تقول شعر شاعر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة سبا لم يبق رسول ولا نبى الا كان له يوم القيامة رفيقا ومصافحا والله اعلم واحكم

سورة الملائكة مكية وهى خمس واربعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله فاطر السموات والارض مبتدئهما ومبتدعهما وعن مجاهد عن ابن عباس ما كنت ادرى ما فاطر السموات والارض حتى اختصم الى اعرابيان فى بئر فقال احدهما انا فطرتها اى ابتداتها وقرى الذى فطر السموات والارض وجعل الملائكة وقرى جاعل الملائكة بالرفع على المدح رسلا بضم السين وسكونه اولى اجنحة واولو اسم جمع لذو كما ان اولاء اسم جمع لذا ونظيرهما فى المتمكنة المخاض والخلفة مثنى وثلاث ورباع صفات لاجنحة وانما لم تنصرف لتكرر العدل فيها وذلك انها عدلت عن الفاظ الاعداد عن صيغ الى صيغ اخر كما عدل عمر عن عامر

وحذاءٍ عن حاذمة وعن تكرير إلى غير تكرير وأما الوصفية فلا تفترق الحال فيها بين المعدولة والمعدول عنها ألا تراك تقول مررت بنسوة أربع وبرجال ثلثة فلا يعرّج عليها والمعنى أن من الملائكة خلقاً أجنحتهم اثنان اثنان أي لكل واحد منهم جناحان وخلقاً أجنحتهم ثلثة ثلثة وخلقاً أجنحتهم أربعة أربعة يزيد في الخلق ما يشاء أي يزيد في خلق الأجنحة وفي غيره ما تقتضيه مشيئته وحكمته والأصل الجناحان لأنهما بمنزلة اليدين ثم الثالث والرابع زيادة على الأصل وذلك أقوى للطيران وأعون عليه فإن قلت قياس الشفع من الأجنحة أن يكون في كل شق نصفه فما صورة الثلثة قلت لعل الثالث يكون في وسط الظهر بين الجناحين يمدهما بقوة أو لعله لغير الطيران فقد مر بي في بعض الكتب أن صنفاً من الملائكة لهم ستة أجنحة فجناحان يلفون بهما أجسادهم وجناحان يطيرون بهما في الأمر من أمور الله وجناحان مرخيان على وجوههم حياء من الله وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه رأى جبريل ليلة المعراج وله ستمائة جناح وروي أنه سأل جبريل أن يتراءى له في صورته فقال إنك لن تطيق ذلك قال إني أحب أن تفعل فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في ليلة مقمرة فأتاه جبريل في صورته فغشي على رسول الله ثم أفاق وجبريل عليه السلام مسنده وإحدى يديه على صدره والأخرى بين كتفيه فقال سبحان الله ما كنت أرى أن شيئاً من الخلق هكذا فقال جبريل لو رأيت إسرافيل له اثنا عشر جناحاً جناح منها بالمشرق وجناح بالمغرب وإن العرش على كاهله وإنه ليتضاءل الأحايين لعظمة الله حتى يعود مثل الوصع وهو العصفور الصغير وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله يزيد في الخلق ما يشاء هو الوجه الحسن والصوت الحسن والشعر الحسن وقيل الخط الحسن وعن قتادة الملاحة في العينين والآية مطلقة تتناول كل زيادة في الخلق من طول قامة واعتدال صورة وتمام في الأعضاء وقوة في البطش وحصافة في العقل وجزالة في الرأي وجرأة في القلب وسماحة في النفس وذلاقة في اللسان ولباقة في التكلم وحسن تأتٍّ في مزاولة الأمور وما أشبه ذلك مما لا يحيط به الوصف إن الله على كل شيء قدير ما يفتح الله للناس استعير الفتح للإطلاق والإرسال ألا ترى إلى قوله فلا مرسل له مكان لا فاتح له يعني أي شيء يطلق الله من رحمة فلا ممسك لها وما يمسك فلا مرسل له أي من نعمة رزق أو مطر أو صحة أو أمن أو غير ذلك من صنوف نعمائه التي لا يحاط بعددها وتنكير الرحمة للإشاعة والإبهام كأنه قال من أية رحمة كانت سماوية أو أرضية فلا أحد يقدر على إطلاقه لم أنث الضمير أولاً ثم ذكّره وهو راجع في الحالين إلى الاسم المتضمن معنى الشرط هما لغتان الحمل

على المعنى وعلى اللفظ والمتكلم على الخيرة فيهما فأنث على معنى الرحمة وذكّر على أن لفظ المرجوع إليه لا تأنيث فيه ولأن الأول فسر بالرحمة فحسن اتباع الضمير التفسير ولم يفسر الثاني فترك على أصل التذكير وقرئ فلا مرسل لها لا بد للثاني من تفسير فما تفسيره يحتمل أن يكون تفسيره مثل تفسير الأول ولكنه ترك لدلالة عليه وأن يكون مطلقاً في كل ما يمسكه من غضبه ورحمته وإنما فسر الأول دون الثاني للدلالة على أن رحمته سبقت غضبه فما تقول فيمن فسر الرحمة بالتوبة وعزاه إلى ابن عباس أراد بالتوبة الهداية لها والتوفيق فيها وهو الذي أراده ابن عباس إن قاله فمقبول وإن أراد أنه إن شاء أن يتوب العاصي تاب وإن لم يشأ لم يتب فمردود لأن الله تعالى يشاء التوبة أبداً ولا يجوز عليه أن لا يشاءها من بعده من بعد إمساكه كقوله فمن يهديه من بعد الله فبأي حديث بعد الله أي من بعد هدايته وبعد آياته وهو العزيز الغالب القادر على الإرسال والإمساك الحكيم الذي يرسل ويمسك ما تقتضي الحكمة إرساله وإمساكه يا أيها الناس اذكروا نعمة الله عليكم هل من خالق غير الله ليس المراد بذكر النعمة ذكرها باللسان فقط ولكن به وبالقلب وحفظها من الكفران والغمط وشكرها بمعرفة حقها والاعتراف بها وطاعة موليها ومنه قول الرجل لمن أنعم عليه اذكر أيادي عندك يريد حفظها وشكرها والعمل على موجبها والخطاب عام للجميع لأن جميعهم مغمورون في نعمة الله وعن ابن عباس يريد أهل مكة اذكروا نعمة الله عليكم حيث أسكنكم حرمه ومنعكم من جميع العالم والناس يتخطفون من حولكم وعنه نعمة الله العافية وقرئ غير الله بالحركات الثلث فالجر والرفع على الوصف لفظاً ومحلاً والنصب على الاستثناء ما محل يرزقكم من السماء والأرض يحتمل أن يكون له محل إذا أوقعته صفة لخالق وأن لا يكون له محل إذا رفعت محل من خالق بإضمار يرزقكم وأوقعت يرزقكم تفسيراً له أو جعلته كلاماً مبتدأ بعد قوله هل من خالق غير الله هل فيه دليل على أن الخالق لا يطلق على غير الله عز وجل نعم إن جعلت يرزقكم كلاماً مبتدأ وهو الوجه الثالث من الأوجه الثلاثة وأما على الوجهين الآخرين وهما الوصف والتفسير فقد تقيد فيهما بالرزق من السماء والأرض وخرج من الإطلاق فكيف يستشهد به على اختصاصه بالإطلاق والرزق من السماء المطر ومن الأرض النبات لا إله إلا هو جملة مفصولة لا محل لها مثل يرزقكم في الوجه الثالث ولو وصلتها كما وصلت يرزقكم لم يساعد عليه المعنى لأن قولك هل من خالق آخر سوى الله لا إله إلا ذلك الخالق غير مستقيم لأن قولك هل من خالق سوى الله إثبات لله فلو ذهبت تقول ذلك

كنت مناقضًا بالنفي بعد الإثبات فأنى تؤفكون فمن أي وجه تصرفون عن التوحيد إلى الشرك نعى به على
قريش سوء تلقيهم لآيات الله وتكذيبهم بها وسلى رسوله بأن له في الأنبياء قبله أسوة ثم جاء بما يشتمل
على الوعد والوعيد من رجوع الأمور إلى حكمه ومجازاة المكذب والمكذَّب بما يستحقانه وقرئ ترجع
بضم التاء وفتحها ما وجه صحة جزاء الشرط ومن حق الجزاء أن يتعقب الشرط وهذا
سابق له معناه وإن يكذبوك فتأس بتكذيب رسل من قبلك فوضع فقد كذبت رسل
من قبلك موضع فتأس استغناء بالسبب عن المسبب أعني بالتكذيب عن التأسي ما معنى
التنكير في رسل معناه فقد كذبت رسل أي رسل ذوو عدد كثير وأولو آيات ونذر
وأهل أعمار طوال وأصحاب صبر وعزم وما أشبه ذلك وهذا أسلى له وأحث على المصابرة يا أيها
الناس إن وعد الله بالجزاء بالثواب والعقاب حق فلا تغرنكم الحياة الدنيا فلا تغرنكم فلا تخدعنكم
الدنيا ولا يذهلنكم التمتع بها والتلذذ بمنافعها عن العمل للآخرة وطلب ما عند الله ولا يغرنكم بالله
الغرور ولا يقولن لكم اعملوا ما شئتم فإن الله غفور يغفر كل كبيرة ويعفو عن كل خطيئة والغرور
الشيطان لأن ذلك ديدنه وقرئ بالضم وهو مصدر غرّه كاللزوم والنهوك أو جمع غارّ كقاعد
وقعود إن الشيطان لكم عدو أخبرنا عز وجل أن الشيطان لنا عدو مبين واقتص علينا قصته
وما فعل بأبينا آدم صلوات الله عليه وكيف انتدب لعداوة جنسنا من قبل وجوده وبعده ونحن
على ذلك نتولاه ونطيعه فيما يريد منا مما فيه هلاكنا فوعظنا عز وجل بأنه كما علمتم عدو لكم الذي
لا عدو أعرق في العداوة منه وأنتم تعاملونه معاملة من لا علم له بحاله فاتخذوه عدوًا في عقائدكم
وأفعالكم ولا يوجدن منكم ما يدل إلا على معاداته ومناصبته في سركم وجهركم ثم لخص سر
أمره وخطأ من اتبعه بأن غرضه الذي يؤمه في دعوة شيعته ومتبعي خطواته هو أن يوردهم
مورد الشقوة والهلاك وأن يكونوا من أصحاب السعير ثم كشف الغطاء وقشر اللحاء ليقطع الأطماع
الفارغة والأماني الكاذبة فبنى الأمر كله على الإيمان والعمل وتركهما إنما يدعو حزبه ليكونوا من
أصحاب السعير الذين كفروا لهم عذاب شديد والذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة وأجر كبير لما ذكر
أفمن زين له سوء عمله فرآه حسنا يعني أفمن زين له سوء عمله من هذين الفريقين كمن لم يزين له
وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا فقال فإن الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء فلا تذهب
نفسك عليهم حسرات ومعنى تزيين العمل والإضلال واحد وهو أن يكون العاصي على صفة لا تجدي

عليه المصالح حتى يستوجب بذلك خذلان الله وتخليته وشأنه فعند ذلك يهيم في الضلال ويطلق
آمر النهي ويعتنق طاعة الهوى حتى يرى القبيح حسنًا والحسن قبيحًا كأنما غلب على عقله وسلب
تمييزه ويقعد تحت قول أبي نواس اسقني حتى تراني حسنا عندي القبيح وإذا خذل الله
المصممين على الكفر وخلاهم وشأنهم فإن على الرسول أن لا يهتم بأمرهم ولا يلقي بالًا إلى ذكرهم ولا يحزن
ولا يتحسر عليهم اقتداء بسنة الله في خذلانهم وتخليتهم وذكر الزجاج أن المعنى أفمن زين له سوء عمله
ذهبت نفسك عليهم حسرة فحذف الجواب لدلالة فلا تذهب نفسك عليه أو أفمن زين له سوء عمله
كمن هداه الله فحذف لدلالة فإن الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء عليهم حسرات مفعول له
يعني فلا تهلك نفسك للحسرات وعليهم صلة تذهب كما تقول هلك عليه حبًا ومات عليه حزنًا أو هو بيان
للمتحسر عليه ولا يجوز أن يتعلق بحسرات لأن المصدر لا يتقدم عليه صلته ويجوز أن يكون حالًا
كأن كلها صارت حسرات لفرط التحسر كما قال جرير مشق الهواجر لحمهن مع السرى
حتى ذهبن كلاكلًا وصدورا يريد رجعن كلاكلًا وصدورًا أي لم يبق إلا كلاكلها وصدورها و
منه قوله فعلى إثرهم تساقط نفسي حسرات وذكرهم لي سقام وقرئ فلا تذهب نفسك إن الله
عليم بما يصنعون وعيد لهم بالعقاب على سوء صنيعهم والله الذي أرسل الرياح وقرئ أرسل الريح
لم جاء فتثير سحابًا فسقناه إلى بلد ميت فأحيينا به الأرض بعد موتها كذلك النشور على المضارعة
دون ما قبله وما بعده ليحكي الحال التي تقع فيها إثارة الرياح السحاب وتستحضر الصورة
البديعة الدالة على القدرة الربانية هكذا يفعلون بفعل فيه نوع تميز وخصوصية بحال تستغرب
أو تهم المخاطب أو غير ذلك كما قال تأبط شرا بأني قد لقيت الغول تهوي
بسهب كالصحيفة صحصحان فأضربها بلا دهش فخرت صريعًا لليدين وللجران لأنه
قصد إلى أن يصور لقومه الحالة التي تشجع فيها بزعمه على ضرب الغول كأنه يبصرهم إياها ويطلعهم
على كنهها مشاهدة للتعجيب من جراءته على كل هول وثباته عند كل شدة وكذلك سوق السحاب
إلى البلد الميت وإحياء الأرض بعد موتها لما كانا من الدلائل على القدرة الباهرة قيل فسقنا
وأحيينا معدولًا بهما عن لفظ الغيبة إلى ما هو أدخل في الاختصاص وأدل عليه والكاف في
كذلك في محل الرفع أي مثل إحياء الموات نشور الأموات روي أنه قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم
كيف يحيي الله الموتى وما آية ذلك في خلقه فقال هل مررت بوادي أهلك محلًا ثم مررت به يهتز
خضرًا فقال نعم فقال فكذلك يحيي الله الموتى وتلك آيته في خلقه وقيل يحيي الله الخلق بما يرسله

فتل من يريد ان يعلم لمن العزة فلته ٥ وفتل من يريد العزة فليتعزز بطاعة الله

من تحت العرش لمني الرجال نبتت منه اجساد الخلق من كان يريد العزة كان الكافرون يتعززون بالاصنام
كما قال عز وجل واتخذوا من دون الله آلهة ليكونوا لهم عزا والذين آمنوا بالسنتهم من غير مواطاة قلوبهم
كانوا يتعززون بالمشركين كما قال الذين يتخذون الكافرين اولياء من دون المؤمنين ايبتغون عندهم
العزة فان العزة لله جميعا فبين ان لا عزة الا لله ولاوليائه وقال ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين
والمعنى فليطلبها عند الله فوضع قوله فلله العزة جميعا موضعه استغناء به عنه لدلالته عليه لان الشيء
لا يطلب الا عند صاحبه ومالكه ونظيره قولك من اراد النصيحة فهي عند الابرار تريد فليطلبها عندهم
الا انك اقمت ما يدل عليه مقامه ومعنى فلله العزة جميعا ان العزة كلها مختصة بالله عزة الدنيا و
عزة الآخرة ثم عرف ان ما تطلب به العزة هو الايمان والعمل الصالح بقوله اليه يصعد الكلم الطيب
والعمل الصالح يرفعه والكلم الطيب لا اله الا الله عن ابن عباس يعني ان هذه الكلم لا تقبل ولا تصعد
الى السماء فتكتب حيث تكتب الاعمال المقبولة كما قال عز وجل ان كتاب الابرار لفي عليين الا اذا قرن
بها العمل الصالح الذي يحققها ويصدقها فرفعها واصعدها وقيل الرافع الكلم والمرفوع العمل
لانه لا يقبل عمل الا من موحد وقيل الرافع الله والمرفوع العمل وقيل الكلم الطيب كل ذكر من تكبير
وتسبيح وتهليل وقراءة قرآن ودعاء واستغفار وغير ذلك وعن النبي صلى الله عليه وسلم هو قول الرجل
سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر اذا قالها العبد عرج بها الملك الى السماء فحيا بها وجه
الرحمن فاذا لم يكن عمل صالح لم تقبل منه وفي الحديث لا يقبل الله قولا الا بعمل ولا يقبل قولا وعملا الا
بنية ولا يقبل قولا وعملا ونية الا باصابة السنة وعن ابن المقفع قول بلا عمل كثريد بلا دسم وسحاب
بلا مطر وقوس بلا وتر وقرئ اليه يصعد الكلم الطيب على البناء للمفعول واليه يصعد الكلم
الطيب على تسمية الفاعل من اصعد والمصعد هو الرجل اي يصعد الى الله عز وجل الكلم الطيب
واليه يصعد الكلام الطيب وقرئ والعمل الصالح يرفعه بنصب العمل والرافع الكلم او الله
عز وعلا والذين يمكرون السيئات لهم عذاب شديد مكر فعل غير متعد لا يقال
مكر فلان عمله فبم نصب السيئات هذه صفة للمصدر او لما في حكمه كقوله ولا يحيق
المكر السيء الا باهله اصله والذين مكروا المكرات السيئات او اصناف المكر السيئات وعنى بهن
مكرات قريش حين اجتمعوا في دار الندوة وتداوروا الرأي في احدى ثلاث مكرات يمكرونها مع
رسول الله صلى الله عليه وسلم اما اثباته او قتله او اخراجه كما حكى الله سبحانه عنهم واذ يمكر بك
الذين كفروا ليثبتوك او يقتلوك او يخرجوك ومكر اولئك هو يبور يعني ومكر اولئك الذين مكروا
يبطل ويهلك في الآخرة ٥

الشرف والمنعة ٥

بيان لما يطلب به العزة وهو التوحيد والعمل الصالح وصعودهما الى الله مجاز عن قبوله اياهما او صعود الكتبة بصحيفتهما ٥

قال كعب الاحبار حين حضر عمر الوفاة والله لو دعا عمر ربه ان يؤخر اجله لاخر فقيل له ان الله يقول اذا جاء اجلهم الاية فقال هذا اذا حضر الاجل فاما قبل ذلك فيجوز الزيادة والنقصان وقرا وما يعمر الاية ٥

المكرات الثلاث هو خاصة يبور اي يكسد ويفسد دون مكر الله بهم حين اخرجهم من مكة وقتلهم واثبتهم
في قليب بدر فجمع عليهم مكراتهم جميعا وحقق فيهم قوله ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين وقوله ولا يحيق
المكر السيء الا باهله والله خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم جعلكم ازواجا وما تحمل من انثى ولا تضع الا بعلمه
ازواجا اصنافا او ذكرانا واناثا كقوله او يزوجهم ذكرانا واناثا وعن قتادة زوج بعضكم بعضا بعلمه
في موضع الحال اي الا معلومة له وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره الا في كتاب ما معنى قوله وما يعمر من معمر معناه وما يعمر
من احد وانما سماه معمرا بما هو صائر اليه الانسان اما معمر اي طويل العمر او منقوص
العمر اي قصيره فاما ان يتعاقب عليه التعمير وخلافه فكيف صح قوله وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره
هذا من الكلام المتسامح فيه ثقة في تأويله بافهام السامعين واتكالا على تسديدهم معناه
بعقولهم وانه لا يلتبس عليهم احالة الطول والقصر في عمر واحد وعليه كلام الناس المستفيض يقولون
لا يثيب الله عبدا ولا يعاقبه الا بحق وما تنعمت بلدا ولا اجتويته الا قل فيه ثوائي وفيه تأويل
آخر وهو انه لا يطول عمر انسان ولا يقصر الا في كتاب وصورته ان يكتب في اللوح ان حج فلان او
غزا فعمره اربعون سنة وان حج وغزا فعمره ستون سنة فاذا جمع بينهما فبلغ الستين فقد عمر واذا
افرد احدهما فلم يتجاوز به الاربعين فقد نقص من عمره الذي هو الغاية وهو الستون واليه اشار
رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله ان الصدقة والصلة تعمران الديار وتزيدان في الاعمار و
عن كعب انه قال حين طعن عمر رضي الله عنه لو ان عمر دعا الله لاخر في اجله فقيل لكعب اليس
قد قال الله اذا جاء اجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون قال فقد قال الله تعالى وما يعمر
من معمر وقد استفاض على الالسنة اطال الله بقاءك وفسح في مدتك وما اشبهه وعن سعيد بن
جبير يكتب في الصحيفة عمره كذا وكذا سنة ثم يكتب في اسفل ذلك ذهب يوم ذهب يومان
حتى يأتي على آخره وعن قتادة المعمر من بلغ ستين سنة والمنقوص من عمره من يموت قبل ستين سنة
والكتاب اللوح عن ابن عباس ويجوز ان يراد بكتاب الله علم الله او صحيفة الانسان وقرئ ولا
ينقص على تسمية الفاعل من عمره بالتخفيف ان ذلك على الله يسير وما يستوي البحران هذا عذب فرات
سائغ شرابه وهذا ملح اجاج ضرب البحرين العذب والملح مثلين للمؤمن والكافر ثم قال على سبيل
الاستطراد في صفة البحرين وما علق بهما من نعمته وعطائه ومن كل اي ومن كل واحد منهما تأكلون لحما
طريا وهو السمك وتستخرجون حلية تلبسونها وهي اللؤلؤ والمرجان وترى الفلك فيه مواخر لتبتغوا
من فضله ولعلكم تشكرون يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل وسخر الشمس والقمر كل يجري لاجل مسمى

اشارة الى الحفظ والزيادة والنقص

ضرب مثل للمؤمن والكافر والفرات الذي يكسر العطش والسائغ الذي يسهل انحداره والاجاج الذي يحرق بملوحته ٥

بالتجارة ٥

على ذلك وحرف الترجي باعتبار ما يقتضيه ظاهر

هي مدة دورة او منتهاه او يوم القيمة ٥

تها

شواق للماء بجريها يقال مخرت السفينة الماء ويقال للسحاب بنات مخر لانها تمخر الهواء والسفن الذى اشتقت منه السفينة قريب من المخر لانها تسفن الماء كانها تقشره كما تمخره من فضله من فضل الله ولم يجر له ذكر فى الآية ولكن فيما قبلها ولو لم يجر لم يشكل لدلالة المعنى عليه وحرف الرجاء مستعار لمعنى الارادة الا ترى كيف سلك به مسلك لام التعليل كانما قيل لتبتغوا ولتشكروا والفرات الذى يكسر العطش والسائغ المرئ السهل الانحدار لعذوبته وقرئ سيغ بوزن سيد وسيغ بالتخفيف وملح على فعل والاجاج الذى يحرق بملوحته ويحتمل غير طريقة الاستطراد وهو ان يشبه الجنسين بالبحرين ثم يفضل البحر الاجاج على الكافر بانه قد شارك العذب فى منافع من السمك واللؤلؤ وجرى الفلك فيه والكافر خلو من النفع فهو فى طريقة قوله تعالى ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهى كالحجارة او اشد قسوة ثم قال وان من الحجارة لما يتفجر منه الانهار وان منها لما يشقق فيخرج منه الماء وان منها لما يهبط من خشية الله ذلكم مبتدأ والله ربكم له الملك اخبار مترادفة او والله ربكم خبران وله الملك جملة مبتدأة واقعة فى قران قوله والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير ويجوز فى حكم الاعراب ايقاع اسم الله صفة لاسم الاشارة او عطف بيان وربكم خبرا لولا ان المعنى يأباه والقطمير لفافة النواة وهى القشرة الرقيقة الملتفة عليها ان تدعوا الاوثان لم يسمعوا دعاءكم لانهم جماد ولو سمعوا على سبيل الفرض والتمثيل لما استجابوا لكم لانهم لا يدعون ما تدعون لهم من الالهية ويتبرؤن منها وقيل ما نفعوكم ويوم القيمة يكفرون بشرككم باشراككم لهم وعبادتكم اياهم تقولون ما كنتم ايانا تعبدون ولا ينبئك مثل خبير ولا يخبرك بالامر مخبر هو مثل خبير عالم به يريد ان الخبير بالامر وحده هو الذى يخبرك بالحقيقة دون سائر المخبرين به والمعنى ان هذا الذى اخبرتكم به من حال الاوثان هو الحق لانى خبير بما اخبرت به وقرئ تدعون بالتاء والياء يا ايها الناس انتم الفقراء الى الله والله هو الغنى الحميد ان يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد وما ذلك على الله بعزيز لم عرف الفقراء قصد بذلك ان يريهم انهم لشدة افتقارهم اليه هم جنس الفقراء وان كانت الخلائق كلهم مفتقرين اليه من الناس وغيرهم لان الفقر مما يتبع الضعف وكلما كان الفقير اضعف كان افقر وقد شهد الله سبحانه على الانسان بالضعف فى قوله وخلق الانسان ضعيفا وقال الله الذى خلقكم من ضعف ولو نكر لكان المعنى انتم بعض الفقراء قد قوبل الفقراء بالغنى فما فائدة الحميد لما اثبت فقرهم اليه وغناه عنهم وليس كل غنى نافعا بغناه الا اذا كان الجواد منعما واذا جاد وانعم حمده المنعم عليهم واستحق عليهم الحمد ذكر الحميد ليدل على انه الغنى النافع بغناه خلقه الجواد

المنعم عليهم المستحق بانعامه عليهم ان يحمدوه الحميد على السنة مؤمنيهم بعزيز بممتنع وهذا غضب عليهم لاتخاذهم له اندادا وكفرهم بآياته ومعاصيهم كما قال وان تتولوا يستبدل قوما غيركم وعن ابن عباس يخلق بعدكم من يعبده لا يشرك به شيئا الوزر والوقر اخوان ووزر الشئ اذا حمله والوازرة صفة للنفس والمعنى ان كل نفس يوم القيمة لا تحمل الا وزرها الذى اقترفته لا تؤخذ نفس بذنب نفس كما تأخذ جبابرة الدنيا بالولى والجار بالجار هلا قيل ولا تزر نفس وزر اخرى ولم قيل وازرة لان النفوس الوازرات لا ترى منهن واحدة الا حاملة وزرها لا وزر غيرها كيف توفق بين هذا وبين قوله وليحملن اثقالهم واثقالا مع اثقالهم تلك الآية فى الضالين المضلين وانهم يحملون اثقال اضلالهم لناس مع اثقال ضلالهم وذلك كله اوزارهم ما فيها شئ من وزر غيرهم الا ترى كيف كذبهم الله تعالى فى قولهم اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم بقوله وما هم بحاملين من خطاياهم من شئ ما الفرق بين معنى قوله ولا تزر وازرة وزر اخرى ومعنى وان تدع مثقلة الى حملها لا يحمل منه شئ الاول فى الدلالة على عدل الله فى حكمه وانه لا يؤاخذ نفسا بغير ذنبها والثانى فى ان لا غياث يومئذ لمن استغاث حتى ان نفسا قد اثقلتها الاوزار وبهظتها لو دعت الى ان يخفف بعض وقرها لم تجب ولم تغث وان كان المدعو بعض قرابتها من اب او ولد او اخ الام اسند كان فى ولو كان ذا قربى الى المدعو المفهوم من قوله وان تدع مثقلة فلم ترك ذكر المدعو ليعم ويشمل كل مدعو فكيف استقام اضمار العام ولا يصح ان يكون العام ذا قربى للمثقلة هو من العموم الكائن على طريق البدل ما تقول فيمن قرأ ولو كان ذو قربى على كان التامة كقوله وان كان ذو عسرة نظم الكلام احسن ملاءمة للناقصة لان المعنى على ان المثقلة ان دعت احدا الى حملها لا يحمل منه شئ وان كان مدعوها ذا قربى وهو معنى صحيح ملتئم ولو قلت ولو وجد ذو قربى لتفكك وخرج من اتساقه والتئامه على ان ههنا ما ساغ ان يستتر له ضمير فى الفعل بخلاف ما اوردته انما تنذر الذين يخشون ربهم بالغيب حال من الفاعل او المفعول اى يخشون ربهم غائبين عن عذابه او يخشون عذابه غائبا عنهم وقيل بالغيب فى السر وهذه صفة الذين كانوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من اصحابه كانت عادتهم المستمرة ان يخشوا الله وهم الذين اقاموا الصلوة وتركوها منارا منصوبا وعلما مرفوعا يعنى انما تقدر على انذار هؤلاء وتحذيرهم من قومك وعلى تحصيل منفعة

الإنذار فيهم دون متمرديهم وأهل عنادهم ومن تزكى فإنما يتزكى لنفسه ومن تطهر بفعل الطاعات
وترك المعاصي وقرئ ومن ازكى فإنما يزكى وهو اعتراض مؤكد لخشيتهم وإقامتهم الصلوة
لأنهما من جملة التزكي والى الله المصير وعد للمتزكين بالثواب كيف اتصل قوله إنما
تنذر بما قبله لما غضب عليهم في قوله إن يشأ يذهبكم أتبعه الإنذار بيوم القيمة وذكر
أهوالها ثم قال إنما تنذر كأن رسول الله صلى الله عليه وسلم أسمعهم ذلك فلم ينفع فنزل إنما تنذر أو أخبره
الله تعالى بعلمه فيهم وما يستوي الأعمى والبصير ولا الظلمات ولا النور ولا الظل ولا الحرور وما يستوي الأحياء
ولا الأموات الأعمى والبصير مثل للكافر والمؤمن كما ضرب البحرين مثلا لهما أو للصنم والله عز وعلا و
الظلمات والنور والظل والحرور مثلان للحق والباطل وما يؤديان إليه من الثواب والعقاب والأحياء
والأموات مثل للذين دخلوا في الإسلام والذين لم يدخلوا فيه وأصروا على الكفر والحرور السموم إلا
أن السموم تكون بالنهار والحرور بالليل والنهار وقيل بالليل لا المقرونة بواو العطف
ما هي إذا وقعت الواو في النفي قرنت بها لتأكيد معنى النفي هل من فرق بين
هذه الواوات بعضها ضمت شفعا إلى شفع وبعضها وترا إلى وتر إن الله يسمع من يشاء وما
أنت بمسمع من في القبور يعني أنه قد علم من يدخل في الإسلام ممن لا يدخل فيه فيهدي الذي قد علم
أن الهداية تنفع فيه ويخذل من علم أنها لا تنفع فيه وأما أنت فخفي عليك أمرهم فلذلك تحرص
وتتهالك على إسلام قوم من المخذولين ومثلك في ذلك مثل من يريد أن يسمع المقبورين وذلك ما
لا سبيل إليه ثم قال إن أنت إلا نذير أي ما عليك إلا أن تبلغ وتنذر فإن كان المنذر ممن يسمع الإنذار
نفع وإن كان من المصرين فلا عليك ويحتمل أن الله يسمع من يشاء أنه قادر على أن يهدي
المطبوع على قلوبهم على وجه القسر والإلجاء وغيرهم على وجه الهداية والتوفيق وأما أنت فلا حيلة
لك في المطبوع على قلوبهم الذين هم بمنزلة الموتى بالحق حال من أحد الضميرين يعني محقا أو محقين
أو صفة للمصدر أي إرسالا مصحوبا بالحق أو صلة لبشير ونذير على بشيرا بالوعد الحق ونذيرا
بالوعيد الحق وإن من أمة إلا خلا فيها نذير وإن يكذبوك فقد كذب الذين من قبلهم جاءتهم رسلهم والأمة
الجماعة الكثيرة قال الله تعالى وجد عليه أمة من الناس ويقال لأهل كل عصر أمة وفي حدود
المتكلمين الأمة هم المصدقون بالرسول دون المبعوث إليهم وهم الذين يعتبر إجماعهم والمراد
ههنا أهل العصر كم من أمة في الفترة بين عيسى ومحمد عليهما السلام ولم يخل فيها نذير

إذا كانت آثار النذارة باقية لم تخل من نذير إلى أن يندرس وحين اندرست آثار نذارة عيسى بعث
الله محمدا صلى الله عليه وسلم كيف اكتفى بذكر النذير عن البشير في آخر الآية بعد ذكرهما
لما كانت النذارة مشفوعة بالبشارة لا محالة دل ذكرها على ذكرها لا سيما وقد اشتملت الآية على
ذكرهما بالبينات بالشواهد على صحة النبوة وهي المعجزات وبالزبر وبالصحف وبالكتاب المنير نحو التورية و
الإنجيل والزبور ثم أخذت الذين كفروا فكيف كان نكير ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فأخرجنا به ثمرات
مختلفا ألوانها لما كانت هذه الأشياء في جنسهم أسند المجيء بها إليهم إسنادا مطلقا وإن كان بعضها في
جميعهم وهي البينات وبعضها في بعضهم وهي الزبر وفيه مسلاة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ألوانها
أجناسها من الرمان والتفاح والتين والعنب وغيرها مما لا يحصر أو هيآتها من الحمرة والصفرة
والخضرة ونحوها ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها والجدد الخطط والطرائق قال لبيد
أو مذهب جدد على ألواحه ويقال جدة الحمار للخطة السوداء على ظهره وقد يكون للظبي جدتان
مسكيتان تفصلان بين لوني ظهره وبطنه وغرابيب سود معطوف على بيض أو على جدد كأنه قيل ومن
الجبال مخطط ذو جدد ومنها ما هو على لون واحد غرابيب وعن عكرمة هي الجبال الطوال السود
والغربيب تأكيد للأسود يقال أسود غربيب وأسود حلكوك وهو الذي أبعد في السواد و
أغرب فيه ومنه الغراب ومن حق التأكيد أن يتبع المؤكد كقولك أصفر فاقع وأبيض يقق
ووجهه أن يضمر المؤكد قبله ويكون الذي بعده تفسيرا لما أضمر كقول النابغة
والمؤمن العائذات الطير وإنما يفعل ذلك لزيادة التوكيد حيث يدل على المعنى من طريقي الإظهار
والإضمار جميعا ولا بد من تقدير حذف المضاف في قوله ومن الجبال جدد بمعنى ومن الجبال ذو جدد
بيض وحمر وسود حتى يؤول إلى قولك ومن الجبال مختلف ألوانه كما قال ثمرات مختلفا ألوانها
ومن الناس والدواب والأنعام مختلف ألوانه يعني ومنهم بعض مختلف ألوانه وقرئ ألوانها و
قرأ الزهري جدد بالضم جمع جديدة وهي الجدة يقال جديدة وجدد وجدائد كسفينة و
سفن وسفائن وقد فسر بها قول أبي ذؤيب جون السراة له جدائد أربع وروي عنه جدد
بفتحتين وهو الطريق الواضح المسفر وضعه موضع الطرائق والخطوط الواضحة المنفصل بعضها
من بعض وقرئ والدواب مخففا ونظير هذا التخفيف قراءة من قرأ ولا الضالين لأن كل واحد
منهما فرار من التقاء الساكنين فحرك ذاك أولهما وحذف هذا آخرهما وقوله كذلك أي كاختلاف الثمرات
والجبال المراد العلماء به الذين علموه بصفاته وعدله وتوحيده وما يجوز عليه وما لا يجوز فعظموه

وقدروه حق قدره وخشوه حق خشيته ومن ازداد به علما ازداد منه خوفا ومن كان علمه به اقل كان آمن
وفي الحديث اعلمكم بالله اشدكم خشية وعن مسروق كفى بالمرء علما ان يخشى وكفى بالمرء جهلا ان يعجب بعلمه
وقال رجل للشعبي افتني ايها العالم فقال العالم من خشي الله وقيل نزلت في ابي بكر الصديق رضي
الله عنه وقد ظهرت عليه الخشية حتى عرفت فيه هل يختلف المعنى اذا قدم المفعول في هذا
الكلام او اخر لا بد من ذلك فانك اذا قدمت اسم الله واخرت العلماء كان المعنى ان الذين
يخشون الله من بين عباده هم العلماء دون غيرهم واذا عملت على العكس انقلب المعنى الى انهم لا يخشون الا
الله كقوله ولا يخشون احدا الا الله وهما معنيان مختلفان ما وجه اتصال هذا الكلام بما قبله
لما قال الم تر بمعنى الم تعلم ان الله انزل من السماء ماء وعدد آيات الله واعلام قدرته
وآثار صنعه وما خلق من الفطر المختلفة الاجناس وما يستدل به عليه وعلى صفاته اتبع ذلك انما
يخشى الله من عباده العلماء كانه قال انما يخشاه مثلك ومن على صفتك ممن عرفه حق معرفته وعلمه كنه
علمه وعن النبي صلى الله عليه وسلم انا ارجو ان اكون اتقاكم لله واعلمكم به ما وجه قراءة من قرأ
انما يخشى اللهُ من عباده العلماءَ وهو عمر بن عبد العزيز ويحكى عن ابي حنيفة رحمه الله الخشية
في هذه القراءة استعارة انما يجلهم ويعظمهم كما يجل المهيب المخشي من الرجال من بين جميع عباده ان الله
عزيز غفور تعليل لوجوب الخشية لدلالته على عقوبة العصاة وقهرهم واثابة اهل الطاعة و
العفو عنهم والمعاقب المثيب حقه ان يخشى ان الذين يتلون كتاب الله واقاموا الصلوة وانفقوا
مما رزقناهم سرا وعلانية يرجون تجارة لن تبور يتلون كتاب الله يداومون على تلاوته وهي شانهم و
ديدنهم وعن مطرف هي آية القراء وعن الكلبي يأخذون بما فيه وقيل يعلمون ما فيه ويعملون به وعن
السدي هم اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضي عنهم وعن عطاء هم المؤمنون يرجون خبر ان و
التجارة طلب الثواب بالطاعة وليوفيهم متعلق بلن تبور اي تجارة ينتفي عنها الكساد وتنفق
عند الله ليوفيهم بنفاقها عنده اجورهم وهي ما استحقوه من الثواب ويزيدهم من التفضل على المستحق
وان شئت جعلت يرجون في موضع الحال على وانفقوا راجين ليوفيهم اي فعلوا جميع ذلك من التلاوة
واقامة الصلوة والانفاق في سبيل الله لهذا الغرض وخبر ان قوله انه غفور شكور على معنى انه غفور
لهم شكور لاعمالهم والشكر مجاز عن الاثابة والذي اوحينا اليك من الكتاب هو الحق الكتاب القرآن
ومن للتبيين او الجنس ومن للتبعيض مصدقا حال مؤكدة لان الحق لا ينفك عن هذا التصديق
لما بين يديه لما تقدمه من الكتب ان الله بعباده لخبير بصير يعني انه خبرك وابصر احوالك فرآك

اهلا لان يوحى اليك مثل هذا الكتاب المعجز الذي هو عيار على سائر الكتب ما معنى قوله ثم
اورثنا الكتاب فيه وجهان احدهما انا اوحينا اليك القرآن ثم اورثناه من بعدك اي حكمنا
بتوريثه او قال اورثناه وهو يريد نورثه لما عليه اخبار الله الذين اصطفينا من عبادنا وهم امته
من الصحابة والتابعين وتابعيهم ومن بعدهم الى يوم القيمة لان الله اصطفاهم على سائر الامم و
جعلهم امة وسطا ليكونوا شهداء على الناس واختصهم بكرامة الانتماء الى افضل رسل الله وحمل الكتاب
الذي هو افضل كتب الله ثم قسمهم الى ظالم لنفسه مجرم وهو المرجا لامر الله ومنهم مقتصد ومنهم سابق
بالخيرات باذن الله ذلك هو الفضل الكبير ومقتصد وهو الذي خلط عملا صالحا وآخر سيئا وسابق من
السابقين والوجه الثاني انه قدم ارساله في كل امة رسولا وانهم كذبوا رسلهم وقد جاؤهم بالبينات
والزبر والكتاب المنير ثم قال ان الذين يتلون كتاب الله فاثنى على التالين لكتبه العاملين بشرايعه
من بين المكذبين بها من سائر الامم واعترض بقوله والذي اوحينا اليك من الكتاب هو الحق ثم قال ثم
اورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا اي من بعد اولئك المذكورين يريد بالمصطفين من عباده
اهل الملة الحنيفية فكيف جعلت جنات عدن يدخلونها يحلون فيها من اساور من ذهب و
لؤلؤا ولباسهم فيها حرير بدلا من الفضل الكبير الذي هو السبق بالخيرات المشار اليه بذلك
لما كان السبب في نيل الثواب نزل منزلة المسبب كانه هو الثواب فابدلت عنه جنات عدن
وفي اختصاص السابقين بعدل التقسيم بذكر ثوابهم والسكوت عن الآخرين ما فيه من وجوب الحذر فليحذر
المقتصد وليهلك الظالم لنفسه حذرا وعليهما بالتوبة النصوح المخلصة من عذاب الله ولا يغترا
بما رواه عمر رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم سابقنا سابق ومقتصدنا ناج و
ظالمنا مغفور له فان شرط ذلك صحة التوبة لقوله عسى الله ان يتوب عليهم وقوله اما يعذبهم و
اما يتوب عليهم ولقد نطق القرآن بذلك في مواضع ومن استقرأها اطلع على حقيقة الامر ولم
يعلل نفسه بالخدع وقرئ سباق ومعنى باذن الله بتيسيره وتوفيقه لم قدم الظالم
ثم المقتصد ثم السابق للايذان بكثرة الفاسقين منهم وغلبتهم وان المقتصدين
قليل بالاضافة اليهم والسابقون اقل من القليل وقرئ جنة عدن على الافراد كانها جنة مختصة
بالسابقين وجنات عدن بالنصب على اضمار فعل يفسره الظاهر اي يدخلون جنات عدن يدخلونها
ويدخلونها على البناء للمفعول ويحلون من حليت المرأة فهي حال ولؤلؤا معطوفا على محل من
اساور ومن داخلة للتبعيض اي يحلون بعض اساور من ذهب كانه بعض سابق لسائر الابعاض

كما يسبق المسبوق زون به غيرهم وقيل ان ذلك الذهب في صفاء اللؤلؤ ولولؤا بتخفيف الهمزة الاولى وقرئ الحزن والمراد حزن المتقين وهو ما اهمهم من خوف سوء العاقبة كقوله تعالى انا كنا قبل في اهلنا مشفقين فمن الله علينا ووقانا عذاب السموم وعن ابن عباس حزن الاعراض والآفات وعنه حزن الموت وعن الضحاك حزن ابليس ووسوسته وقيل هم المعاش وقيل حزن زوال النعم وقد اكثروا حتى قال بعضهم كراء الدار ومعناه انه يعم كل حزن من احزان الدين والدنيا حتى هذا وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس على اهل لا اله الا الله وحشة في قبورهم ولا في محشرهم ولا في مسيرهم وكاني باهل لا اله الا الله يخرجون من قبورهم وهم ينفضون التراب عن وجوههم و يقولون الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن ان ربنا لغفور شكور وذكر الشكور دليل على ان القوم كثير والحسنات الذي احلنا دار المقامة بمعنى الاقامة يقال اقمت اقامة ومقاما ومقامة من فضله من عطائه وافضاله من قولهم لفلان فضول على قومه وفواضل وليس من الفضل الذي هو التفضل لان الثواب بمنزلة الاجر المستحق والتفضل كالتبرع لا يمسنا فيها نصب ولا يمسنا فيها لغوب وقرئ لغوب بالفتح وهو اسم ما يلغب منه اي لا نتكلف عملا يلغبنا او مصدر كالقبول والولوع او صفة للمصدر كانه لغوب لغوب كقولك موت مائت ما الفرق بين النصب واللغوب النصب التعب والمشقة التي تصيب المنتصب للامر المزاول له و اما اللغوب فما يلحقه من الفتور بسبب النصب فالنصب نفس المشقة والكلفة واللغوب نتيجته وما يحدث منه من الكلال والفترة والذين كفروا لهم نار جهنم لا يقضى عليهم فيموتوا جواب النفي و نصبه باضمار ان وقرئ فيموتون عطفا على يقضى وادخالا له في حكم النفي اي لا يقضى عليهم الموت فلا يموتون كقوله ولا يؤذن لهم فيعتذرون ولا يخفف عنهم من عذابها كذلك مثل ذلك الجزاء يجزى وقرئ يجازى ونجزي كل كفور بالنون وهم يصطرخون فيها ربنا اخرجنا نعمل صالحا يصطرخون يتصارخون يفتعلون من الصراخ وهو الصياح بجهد وشدة قال كصرخة حبلى اسلمتها قبيلها واستعمل في الاستغاثة بجهد المستغيث صوته هلا اكتفى بصالحا كما اكتفى به في قوله فارجعنا نعمل صالحا وما فائدة زيادة غير الذي كنا نعمل على انه يوهم انهم يعملون صالحا آخر غير الصالح الذي عملوه فائدة زيادته التحسر على ما عملوه من غير الصالح مع الاعتراف به واما الوهم فزائل بظهور حالهم في الكفر وركوب المعاصي ولانهم كانوا يحسبون انهم على سيرة صالحة كما قال الله تعالى وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا فقالوا اخرجنا نعمل

صالحا غير الذي كنا نحسبه صالحا فنعمله اولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر توبيخ من الله يعني فيقول لهم وقرئ ما يذكر فيه من اذكر على الادغام وهو متناول لكل عمر تمكن فيه المكلف من اصلاح شانه وان قصر الا ان التوبيخ في المتطاول اعظم وعن النبي صلى الله عليه وسلم العمر الذي اعذر الله فيه الى ابن آدم ستون سنة وعن مجاهد ما بين العشرين الى الستين وقيل ثماني عشرة وسبع عشرة والنذير الرسول وقيل الشيب وقرئ وجاءتكم النذر علام عطف وجاءكم النذير على معنى اولم نعمركم لان لفظه لفظ استخبار ومعناه معنى اخبار كانه قيل قد عمرناكم وجاءكم النذير فذوقوا فما للظالمين من نصير ان الله عالم غيب السموات والارض انه عليم بذات الصدور كالتعليل لانه اذا علم ما في الصدور وهو اخفى ما يكون فقد علم كل غيب في العالم وذات الصدور مضمراتها وهي تانيث ذو نحو قول ابي بكر رضي الله عنه ذو بطن خارجة جارية وقوله لتغني عني ذا انائك اجمعا المعنى ما في بطنها من الحبل وما في انائك من الشراب لان الحبل والشراب يصحبان البطن والاناء الا ترى الى قولهم معها حبل وكذلك المضمرات تصحب الصدور وهي معها وذو موضوع لمعنى الصحبة هو الذي جعلكم خلائف في الارض فمن كفر فعليه كفره ولا يزيد الكافرين كفرهم عند ربهم الا مقتا ولا يزيد الكافرين كفرهم الا خسارا قل ارأيتم شركاءكم الذين تدعون من دون الله يقال للمستخلف خليفة وخليف فالخليفة يجمع خلائف والخليف خلفاء والمعنى انه جعلكم خلفاءه في ارضه قد ملككم مقاليد التصرف فيها وسلطكم على ما فيها واباح لكم منافعها لتشكروه بالتوحيد والطاعة فمن كفر منكم وغمط مثل هذه النعمة السنية فوبال كفره راجع عليه وهو مقت الله الذي ليس وراءه خزي وصغار وخسار الآخرة الذي ما بعده خسار والمقت اشد البغض ومنه قيل لمن ينكح امراة ابيه مقتي لكونه ممقوتا في كل قلب وهو خطاب للناس وقيل هو خطاب لمن بعث اليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم اي جعلكم امة خلفت من قبلها ورأت وشاهدت فيمن سلف ما ينبغي ان تعتبر به فمن كفر منكم فعليه جزاء كفره من مقت الله وخسار الآخرة كما ان ذلك حكم من قبلكم اروني ماذا خلقوا من الارض بدل من ارأيتم لان معنى ارأيتم اخبروني كانه قال اخبروني عن هؤلاء الشركاء وعما استحقوا به الالهية والشركة اروني اي جزء من اجزاء الارض استبدوا بخلقه دون الله ام لهم شرك في السموات ام مع الله شركة في خلق السموات ام معهم كتاب من عند الله ينطق بانهم شركاؤه فهم على حجة وبرهان من ذلك الكتاب او يكون الضمير في آتيناهم للمشركين كقوله ام انزلنا عليهم سلطانا ام آتيناهم كتابا من قبله بل ان يعد الظالمون بعضهم وهم الرؤساء بعضا وهم الاتباع الا غرورا وهو قولهم هؤلاء شفعاؤنا عند الله

وقرئ بينات إن الله يمسك السموات والأرض أن تزولا كراهة أن تزولا أو يمنعهما من أن تزولا لأن الإمساك
منع ولئن زالتا إن أمسكهما من أحد من بعده إنه كان حليما غفورا غير معاجل بالعقوبة حيث يمسكهما وكانتا
جديرتين بأن تهدا هدا لعظم كلمة الشرك كما قال تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الأرض منه و
قرئ ولو زالتا وإن أمسكهما جواب القسم في ولئن زالتا سد مسد الجوابين ومن الأولى مزيدة لتأكيد النفي
والثانية للابتداء من بعده من بعد إمساكه وعن ابن عباس أنه قال لرجل مقبل من الشام من لقيت به قال
كعبا قال وما سمعته يقول قال سمعته يقول إن السموات على منكب ملك قال كذب كعب أما ترك يهوديته
بعد ثم قرأ هذه الآية وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جاءهم نذير ليكونن أهدى من إحدى الأمم فلما جاءهم نذير
ما زادهم إلا نفورا بلغ قريشا قبل مبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أهل الكتاب كذبوا رسلهم فقالوا
لعن الله اليهود والنصارى أتتهم الرسل فكذبوهم فوالله لئن أتانا رسول الله لنكونن أهدى من إحدى
الأمم فلما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم كذبوه وفي إحدى الأمم وجهان أحدهما من بعض الأمم والثاني
من الأمة التي يقال فيها هي إحدى الأمم تفضيلا لها على غيرها في الهدى والاستقامة ما زادهم إسناد مجازي
لأنه هو السبب في أن زادوا أنفسهم نفورا عن الحق وابتعادا عنه كقوله فزادتهم رجسا إلى رجسهم استكبارا
بدل من نفورا أو مفعول له على معنى فما زادهم إلا أن نفروا استكبارا وعلوا في الأرض أو حال بمعنى
مستكبرين وماكرين برسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين ويجوز أن يكون ومكر السيء معطوفا على
نفورا ما وجه قوله ومكر السيء أصله وأن مكروا السيء أي المكر السيء ثم
مكر السيء ثم ومكرا السيء والدليل عليه قوله ولا يحيق المكر السيء إلا بأهله ومعنى يحيق يحيط و
ينزل وقرئ ولا يحيق المكر السيء أي ولا يحيق الله ولقد حاق بهم يوم بدر وعن
النبي صلى الله عليه وسلم لا تمكروا ولا تعينوا ماكرا فإن الله تعالى يقول ولا يحيق المكر السيء
إلا بأهله ولا تبغوا ولا تعينوا باغيا يقول الله تعالى إنما بغيكم على أنفسكم وعن كعب أنه
قال لابن عباس قرأت في التوراة من حفر مهواة وقع فيها قال أنا وجدت ذلك في كتاب الله
فقرأ الآية وفي أمثال العرب من حفر لأخيه جبا وقع فيه منكبا وقرأ حمزة ومكر السيء
بإسكان الهمزة وذلك لاستثقاله الحركات مع الياء والهمزة ولعله اختلس فظن سكونا أو
وقف وقفة خفيفة ثم ابتداء ولا يحيق وقرأ ابن مسعود ومكرا سيئا فهل ينظرون إلا سنة
الأولين فلن تجد لسنة الله تبديلا ولن تجد لسنة الله تحويلا أولم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة
الذين من قبلهم وكانوا أشد منهم قوة سنة الأولين إنزال العذاب على الذين كذبوا برسلهم من الأمم

قبلهم وجعل استقبالهم لذلك انتظارا له منهم وبين أن عادته التي هي الانتقام من مكذبي الرسل
عادة لا يبدلها ولا يحولها أي لا يغيرها وأن ذلك مفعول لا محالة واستشهد عليهم بما كانوا يشاهدونه
في مسايرهم ومتاجرهم في رحلتهم إلى الشام والعراق واليمن من آثار الماضين وعلامات هلاكهم ودمارهم
وما كان الله ليعجزه من شيء في السموات ولا في الأرض إنه كان عليما قديرا ليعجزه ليسبقه ويفوته ولو يؤاخذ الله
الناس بما كسبوا بما اقترفوا من معاصيهم ما ترك على ظهرها على ظهر الأرض من دابة من نسمة تدب عليها يريد
بني آدم وقيل ما ترك بني آدم وغيرهم من سائر الدواب بشؤم ذنوبهم وعن ابن مسعود كاد الجعل
يعذب في جحره بذنب ابن آدم ثم تلا هذه الآية وعن أنس أن الضب ليموت هزلا في جحره بذنب
ابن آدم وقيل يحبس المطر فيهلك كل شيء ولكن يؤخرهم إلى أجل مسمى إلى يوم القيمة فإذا جاء
أجلهم فإن الله كان بعباده بصيرا وعيد بالجزاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة
الملائكة دعته ثمانية أبواب الجنة أن ادخل من أي باب شئت

سورة يس مكية وهي ثلث وثمانون آية

بسم الله الرحمن الرحيم يس والقرآن قرئ ياسين بالفتح كأين وكيف أو بالنصب على اتل
ياسين وبالكسر على الأصل كجير وبالرفع على هذه ياسين أو بالضم كحيث وفخمت الألف وأميلت
وعن ابن عباس معناه يا إنسان في لغة طيء والله أعلم بصحته وإن صح فوجهه أن يكون أصله
يا أنيسين فكثر النداء به على ألسنتهم حتى اقتصروا على شطره كما قالوا في القسم م الله في ايمن الله
الحكيم ذي الحكمة أو لأنه دليل ناطق بالحكمة كالحي أو لأنه كلام حكيم فوصف بصفة المتكلم به
على صراط مستقيم خبر بعد خبر أو صلة للمرسلين أي حاجة إليه خبرا كان أو صلة و
قد علم أن المرسلين لا يكونون إلا على صراط مستقيم ليس الغرض بذكره ما ذهبت إليه من تمييز
من أرسل على صراط مستقيم عن غيره ممن ليس على صفته وإنما الغرض وصفه ووصف ما جاء به من الشريعة
فجمع بين الوصفين في نظام واحد كأنه قال إنك لمن المرسلين الثابتين على طريق ثابت وأيضا فإن التنكير
فيه دال على أنه أرسل من بين الصرط المستقيمة على صراط مستقيم لا يكتنه وصفه وقرئ
تنزيل العزيز الرحيم بالرفع على أنه خبر مبتدأ محذوف وبالنصب على أعني وبالجر على البدل من القرآن
لتنذر قوما ما أنذر آباؤهم قوما غير منذر آباؤهم على الوصف ويكون لتنذر قوما ما أتاهم من
نذير من قبلك وما أرسلنا إليهم قبلك من نذير وقد فسر ما أنذر آباؤهم على إثبات الإنذار ووجه
ذلك أن يجعل ما مصدرية لتنذر قوما إنذار آبائهم أو موصولة منصوبة على المفعول الثاني لتنذر

قوما ما أنذر آباؤهم من العذاب كقوله إنا أنذرناكم عذابا قريبا أي فرق بين تعلق قوله فهم غافلون على أن عدم إنذارهم هو سبب غفلتهم وعلى الثاني بقوله إنك لمن المرسلين لتنذر كما تقول أرسلتك الى فلان لتنذره فإنه غافل أو فهو غافل فكيف يكونون منذرين غير منذرين لمناقضة هذا ما في الآي الأخر لا مناقضة لأن الآي في نفي إنذارهم لا في نفي إنذار آبائهم وآباؤهم القدماء من ولد إسمعيل وكانت النذارة فيهم ففي أحد التفسيرين أن آباءهم لم ينذروا وهو الظاهر فما تصنع به أريد آباؤهم الأدنون دون الأباعد لقد حق القول على أكثرهم فهم لا يؤمنون إنا جعلنا في أعناقهم أغلالا القول قوله لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين يعني تعلق بهم هذا القول وثبت عليهم ووجب لأنهم ممن علم أنهم يموتون على الكفر ثم مثل تصميمهم على الكفر وأنه لا سبيل الى ارعوائهم بأن جعلهم كالمغلولين المقمحين في أنهم لا يلتفتون الى الحق ولا يعطفون أعناقهم نحوه ولا يطأطئون رؤوسهم له وكالحاصلين بين سدين لا يبصرون ما قدامهم وما خلفهم في أن لا تأمل لهم ولا تبصر وأنهم متعامون عن النظر في آيات الله ما معنى قوله فهي الى الأذقان معناه فالأغلال واصلة الى الأذقان ملزوزة إليها وذلك أن طوق الغل الذي في عنق المغلول يكون في ملتقى طرفيه تحت الذقن حلقة فيها رأس العمود نادرا من الحلقة الى الذقن فلا يخليه يطأطئ رأسه ويوطئ قذاله فلا يزال مقمحا والمقمح الذي يرفع رأسه ويغض بصره يقال قمح البعير فهو قامح إذا روي فرفع رأسه ومنه شهرا قماح لأن الإبل ترفع رؤوسها عن الماء لبرده فيهما وهما الكانونان ومنه اقتمحت السويق فما قولك فيمن جعل الضمير للأيدي وزعم أن الغل لما كان جامعا لليد والعنق وبذلك يسمى جامعة كان ذكر الأعناق دالا على ذكر الأيدي الوجه ما ذكرت لك والدليل عليه قوله فهم مقمحون ألا ترى كيف جعل الإقماح نتيجة قوله فهي الى الأذقان ولو كان الضمير للأيدي لم يكن معنى التسبب في الإقماح ظاهرا على أن هذا الإضمار فيه ضرب من التعسف وترك الظاهر الذي يدعو المعنى اليه الى الباطن الذي يجفو عنه ترك للحق الأبلج الى الباطل اللجلج فقد قرأ ابن عباس في أيديهم وابن مسعود في أيمانهم فهل تجوز على هاتين القراءتين أن تجعل الضمير للأيدي أو للأيمان يأبى ذلك وإن ذهب بالإضمار المتعسف ظهور كون الضمير للأغلال وسداد المعنى عليه كما ذكرت وجعلنا من بين أيديهم سدا ومن خلفهم سدا وقرئ سدا بالفتح والضم وقيل ما كان من عمل الناس فبالفتح وما كان من خلق الله فبالضم فأغشيناهم فهم لا يبصرون وسواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون إنما تنذر من اتبع الذكر وخشي الرحمن بالغيب فبشره بمغفرة وأجر كريم فأغشيناهم أبصارهم أي غطيناها وجعلنا عليها غشاوة عن أن تطمح الى مرئي وعن مجاهد فأغشيناهم فألبسنا أبصارهم غشاوة وقرئ بالعين من العشا وقيل نزلت في بني مخزوم وذلك أن أبا جهل حلف لئن رأى محمدا يصلي ليرضخن رأسه فأتاه وهو يصلي ومعه حجر ليدمغه فلما رفع يديه انثنتا الى عنقه ولزق الحجر بيده حتى فكوه عنها بجهد فرجع الى قومه فأخبرهم فقال مخزومي آخر أنا أقتله بهذا الحجر فذهب فأعمى الله بصره قد ذكر ما دل على انتفاء إيمانهم مع ثبوت الإنذار ثم قفاه بقوله إنما تنذر وإنما كانت تصح هذه التقفية لو كان الإنذار منفيا مطلقا كما قلت ولكن لما كان ذلك نفيا للإيمان مع وجود الإنذار وكان معناه أن البغية المرومة بالإنذار غير حاصلة وهي الإيمان قفى بقوله إنما تنذر على معنى إنما تحصل البغية بإنذارك من غير هؤلاء المنذرين وهم المتبعون للذكر وهو القرآن أو الوعظ الخاشون ربهم إنا نحن نحيي الموتى نبعثهم بعد مماتهم وعن الحسن إحياؤهم أن يخرجهم من الشرك الى الإيمان ونكتب ما قدموا وآثارهم وكل شيء أحصيناه في إمام مبين ما أسلفوا من الأعمال الصالحة وغيرها وما هلكوا عنه من أثر حسن كعلم علموه أو كتاب صنفوه أو حبيس حبسوه أو بناء بنوه من مسجد أو رباط أو قنطرة أو نحو ذلك أو سيئ كوظيفة وظفها بعض الظلام على المسلمين وسكة أحدثها فيها تخسيرهم وشيء أحدث فيه صد عن ذكر الله من ألحان وملاه وكذلك كل سنة حسنة أو سيئة يستن بها ونحوه قوله عز وجل ينبأ الإنسان يومئذ بما قدم وأخر أي قدم من أعماله وأخر من آثاره وقيل هي آثار المشائين الى المساجد وعن جابر أردنا النقلة الى المسجد والبقاع حوله خالية فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتانا في ديارنا وقال يا بني سلمة بلغني أنكم تريدون النقلة الى المسجد فقلنا نعم بعد علينا المسجد والبقاع حوله خالية فقال عليكم دياركم فإنما تكتب آثاركم قال فما وددنا حضرة المسجد لما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن عمر بن عبد العزيز لو كان الله مغفلا شيئا لأغفل هذه الآثار التي تعفيها الرياح والإمام اللوح وقرئ ويكتب ما قدموا وآثارهم على البناء للمفعول وكل شيء بالرفع واضرب لهم مثلا أصحاب القرية إذ جاءها مثل لهم مثلا من قولهم عندي من هذا الضرب كذا أي من هذا المثال وهذه الأشياء على ضرب واحد أي على مثال واحد والمعنى واضرب لهم مثلا مثل أصحاب القرية أي اذكر لهم قصة عجيبة قصة أصحاب القرية والمثل الثاني بيان للأول وانتصاب إذ بأنه بدل من أصحاب القرية والقرية أنطاكية والمرسلون رسل عيسى صلوات الله عليه الى أهلها بعثهم دعاة الى الحق وكانوا عبدة أوثان أرسل إليهم اثنين فلما قربا من المدينة رأيا شيخا يرعى غنيمات له وهو حبيب النجار صاحب يس فسألهما فأخبراه فقال أمعكما آية فقالا نشفي المريض ونبرئ الأكمه والأبرص وكان له ولد مريض سنتين فمسحاه فقام فآمن حبيب وفشا الخبر فشفي على أيديهما خلق ورقي حديثهما الى الملك وقال لهما ألنا إله سوى آلهتنا قالا نعم من أوجدك وآلهتك فقال حتى أنظر في أمركما فتبعهما

الناس وضربوهما وقيل حبسا ثم بعث عيسى شمعون فدخل متنكرا وعاشر حاشية الملك حتى استأنسوا به
ورفعوا خبره الى الملك فأنس به فقال له ذات يوم بلغني انك حبست رجلين فهل سمعت ما يقولانه قال لا حال
الغضب بيني وبين ذلك فدعاهما فقال شمعون من ارسلكما قالا الله الذي خلق كل شيء وليس له شريك
فقال صفاه واوجزا قالا يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد قال وما آيتكما قالا ما يتمنى الملك فدعا بغلام
مطموس العينين فدعوا الله حتى انشق له بصره واخذا بندقتين فوضعاهما في حدقتيه فكانتا مقلتين
ينظر بهما فقال له شمعون أرأيت لو سألت الهك حتى يصنع مثل هذا فيكون لك وله الشرف قال ليس لي
عنك سر ان الهنا لا يبصر ولا يسمع ولا يضر ولا ينفع وكان شمعون يدخل معهم على الصنم فيصلي ويتضرع
ويحسبون انه منهم ثم قال ان قدر الهكما على احياء ميت آمنا به فدعوا بغلام مات من سبعة ايام
فقام وقال اني ادخلت في سبعة اودية من النار وانا احذركم ما انتم فيه فآمنوا وقال فتحت
ابواب السماء فرأيت شابا حسن الوجه يشفع لهؤلاء الثلاثة قال الملك ومن هم قال شمعون وهذان
فتعجب الملك فلما رأى شمعون ان قوله قد اثر فيه نصحه فآمن وآمن قوم ومن لم يؤمن صاح عليهم جبريل فهلكوا
فعززنا بثالث فقالوا انا اليكم مرسلون فقوينا يقال المطر يعزز الارض اذا لبدها وشدها وتعزز
لحم الناقة وقرئ بالتخفيف من عزه يعزه اذا غلبه اى فغلبنا وقهرنا بثالث وهو شمعون
لم يترك ذكر المفعول به لان الغرض ذكر المعزز به وهو شمعون وما لطف فيه من التدبير حتى
عز الحق وذل الباطل واذا كان الكلام منصبا الى غرض من الاغراض جعل سياقه له وتوجهه اليه كان
ما سواه مرفوضا مطرحا ونظيره قولك حكم السلطان اليوم بالحق الغرض المسوق اليه قولك بالحق
فلذلك رفضت ذكر المحكوم له والمحكوم عليه قالوا ما انتم الا بشر مثلنا وما انزل الرحمن من شيء ان انتم الا تكذبون
انما رفع بشر ونصب في قوله ما هذا بشرا لان الا تنقض النفي فلا يبقى لما المشبهة بليس شبه
فلا يبقى له عمل لم قيل قالوا ربنا يعلم انا اليكم مرسلون اولا وانا اليكم لمرسلون آخرا
لان الاول ابتداء اخبار والثاني جواب عن انكار وقوله ربنا يعلم جار مجرى القسم في التوكيد وكذلك
قولهم شهد الله وعلم الله وانما حسن منهم هذا الجواب الوارد على طريق التوكيد والتحقيق مع قولهم
وما علينا الا البلاغ المبين اى الظاهر المكشوف بالآيات الشاهدة لصحته والا فلو قال المدعي والله
اني لصادق فيما ادعي ولم يحضر البينة كان قبيحا قالوا انا تطيرنا بكم لئن لم تنتهوا لنرجمنكم وليمسنكم
منا عذاب اليم تطيرنا بكم تشاءمنا بكم وذلك انهم كرهوا دينهم ونفرت منه نفوسهم وعادة
الجهال ان يتيمنوا بكل شيء مالوا اليه واشتهوه وآثروه وقبلته طباعهم ويتشاءموا بما نفروا

عنه وكرهوه فان اصابهم نعمة او بلاء قالوا ببركة هذا وبشؤم هذا كما حكى الله عن القبط وان تصبهم
سيئة يطيروا بموسى ومن معه وعن مشركي مكة وان تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك وقيل حبس عنهم
القطر فقالوا ذلك وعن قتادة ان اصابنا شيء كان من اجلكم قالوا طائركم معكم وقرئ طيركم
اى سبب شؤمكم معكم وهو كفركم او اسباب شؤمكم معكم وهي كفركم ومعاصيكم وقرأ الحسن اطيركم
اى تطيركم وقرئ ائن ذكرتم بهمزة الاستفهام وحرف الشرط وآين ذكرتم بالف بينهما بمعنى
أتتطيرون ان ذكرتم وقرئ أأن ذكرتم بهمزة الاستفهام وان الناصبة بمعنى أتطيرتم لان ذكرتم و
قرئ ان وان بغير استفهام بمعنى الاخبار اى تطيرتم لان ذكرتم او ان ذكرتم تطيرتم وقرئ اين
ذكرتم على التخفيف اى شؤمكم معكم حيث جرى ذكركم واذا شئم المكان بذكرهم كان بحلولهم فيه اشأم
بل انتم قوم مسرفون في العصيان فمن ثم اتاكم الشؤم لا من قبل رسل الله وتذكيرهم او بل انتم مسرفون
في ضلالكم متمادون في غيكم حيث تتشاءمون بمن يجب التبرك به من رسل الله وجاء من اقصى المدينة رجل
يسعى قال يا قوم اتبعوا المرسلين هو حبيب بن اسرائيل النجار وكان ينحت الاصنام وهو ممن آمن
برسول الله صلى الله عليه وسلم وبينهما ستمائة سنة كما آمن به تبع الاكبر وورقة بن نوفل وغيرهما
ولم يؤمن بنبي احد الا بعد ظهوره وقيل كان في غار يعبد الله فلما بلغه خبر الرسل اتاهم واظهر
دينه وقاول الكفرة فقالوا او انت تخالف ديننا فوثبوا عليه فقتلوه وقيل توطؤه بارجلهم
حتى خرج قصبه من دبره وقيل رجموه وهو يقول اللهم اهد قومي وقبره في سوق انطاكية فلما قتل
غضب الله عليهم فاهلكوا بصيحة جبريل وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم سباق الامم ثلاثة
لم يكفروا بالله طرفة عين علي بن ابي طالب وصاحب يس ومؤمن آل فرعون اتبعوا من لا يسألكم
اجرا وهم مهتدون كلمة جامعة في الترغيب فيهم اى لا تخسرون معهم شيئا من دنياكم وتربحون صحة
دينكم فينتظم لكم خير الدنيا وخير الآخرة ثم ابرز الكلام في معرض المناصحة لنفسه وهو يريد
مناصحتهم ليتلطف بهم ويداريهم ولانه ادخل في امحاض النصح حيث لا يريد لهم الا ما يريد لروحه
ولقد وضع قوله وما لي لا اعبد الذي فطرني مكان وما لكم لا تعبدون الذي فطركم الا ترى الى
قوله واليه ترجعون ولولا انه قصد ذلك لقال الذي فطرني واليه ارجع وقد ساقه ذلك المساق الى
ان قال أأتخذ من دونه آلهة ان يردن الرحمن بضر لا تغن عني شفاعتهم شيئا ولا ينقذون اني اذا لفي
ضلال مبين اني آمنت بربكم فاسمعون يريد فاسمعوا قولي واطيعوني فقد نبهتكم على الصحيح الذي
لا معدل عنه ان العبادة لا تصح الا لمن منه مبتداكم واليه مرجعكم وما ادفع العقول وانكرها

لأن تستجيبوا على عبادته عبادة أشياء إن أرادكم بضر وشفع لكم هؤلاء لم تنفع شفاعتهم ولم يمكنوا من أن يكونوا شفعاء عنده ولم يقدروا على إنقاذكم منه بوجه من الوجوه أنكم في هذا الاستحباب لواقعون في ضلال ظاهر بين لا يخفى على ذي عقل وتمييز وقيل لما نصح قومه أخذوا يرجمونه فأسرع نحو الرسل قبل أن يقتل فقال لهم إني آمنت بربكم فاسمعون أي اسمعوا إيماني تشهدوا لي به وفي إن يردن الرحمن بضر بمعنى أن يوردني ضرا أي يجعلني موردا للضر أي لما قتل قيل ادخل الجنة وعن قتادة أدخله الله الجنة وهو فيها حي يرزق أراد قوله تعالى بل أحياء عند ربهم يرزقون فرحين وقيل معناه البشرى بدخول الجنة وأنه من أهلها كيف مخرج هذا القول في علم البيان مخرجه مخرج الاستئناف لأن هذا من مظان المسألة عن حاله عند لقاء ربه كان قائلا قال كيف كان لقاء ربه بعد ذلك التصلب في نصرة دينه والتسخي لوجهه بروحه فقيل قيل ادخل الجنة ولم يقل قيل له لانصباب الغرض إلى المقول وعظمه لا إلى المقول له مع كونه معلوما وكذلك قال يا ليت قومي يعلمون مرتب على تقدير سؤال سائل عما وجد من قوله عند ذلك الفوز العظيم وإنما تمنى علم قومه بحاله ليكون علمهم بها سببا في اكتساب مثلها لأنفسهم بالتوبة عن الكفر والدخول في الإيمان والعمل الصالح المفضيين بأهلها إلى الجنة وفي حديث مرفوع نصح قومه حيا وميتا وفيه تنبيه عظيم على وجوب كظم الغيظ والحلم عن أهل الجهل والترأف على من أدخل نفسه في غمار الأشرار وأهل البغي والتشمر في تخليصه والتلطف في افتدائه والاشتغال بذلك عن الشماتة والدعاء عليه ألا ترى كيف تمنى الخير لقتلته والباغين له الغوائل وهم كفرة عبدة أصنام ويجوز أن يتمنى ذلك ليعلموا أنهم كانوا على خطأ عظيم في أمره وأنه كان على صواب ونصيحة وشفقة وأن عداوتهم لم تكسبه إلا فوزا ولم تعقبه إلا سعادة لأن في ذلك زيادة غبطة وتضاعف لذة وسرور والأول أوجه وقرئ المكرمين ما في قوله بما غفر لي ربي وجعلني من المكرمين وما أنزلنا على قومه من بعده من جند من السماء أي الماءات هي المصدرية أو الموصولة أي بالذي غفره لي من الذنوب ويحتمل أن تكون استفهامية يعني بأي شيء غفر لي ربي يريد ما كان منه معهم من المصابرة لإعزاز الدين حتى قتل إلا أن قولك بم غفر لي بطرح الألف أجود وإن كان إثباتها جائزا يقال قد علمت بما صنعت هذا وبم صنعت المعنى أن الله كفى أمرهم بصيحة ملك ولم ينزل لإهلاكهم جندا من جنود السماء كما فعل يوم بدر والخندق وما معنى قوله وما كنا منزلين معناه وما كان يصح في حكمتنا أن ننزل في إهلاك قوم حبيب جندا من السماء وذلك لأن الله عز وجل أجرى هلاك

قوم على بعض الوجوه دون بعض وما ذاك إلا بناء على ما اقتضته الحكمة وأوجبته المصلحة ألا ترى إلى قوله فمنهم من أرسلنا عليه حاصبا ومنهم من أخذته الصيحة ومنهم من خسفنا به الأرض ومنهم من أغرقنا فلم أنزل الجنود من السماء يوم بدر والخندق قال فأرسلنا عليهم ريحا وجنودا لم تروها بألف من الملائكة مردفين بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين بخمسة آلاف من الملائكة مسومين إنما كان يكفي ملك واحد فقد أهلكت مدائن قوم لوط بريشة من جناح جبريل وبلاد ثمود وقوم صالح بصيحة ولكن الله فضل محمدا صلى الله عليه وسلم بكل شيء على كبار الأنبياء وأولي العزم من الرسل فضلا على حبيب النجار وأولاه من أسباب الكرامة والإعزاز ما لم يوله أحدا فمن ذلك أنه أنزل له جنودا من السماء وكأنه أشار بقوله وما أنزلنا وما كنا منزلين إلى أن إنزال الجنود من عظائم الأمور التي لا يؤهل لها إلا مثلك وما كنا نفعله بغيرك إن كانت إلا صيحة واحدة فإذا هم خامدون يا حسرة على العباد ما يأتيهم من رسول إلا كانوا به يستهزؤون إن كانت الأخذة أو العقوبة إلا صيحة وقرأ أبو جعفر المدني بالرفع على كان التامة أي ما وقعت إلا صيحة والقياس والاستعمال على تذكير الفعل لأن المعنى ما وقع شيء إلا صيحة ولكنه نظر إلى ظاهر اللفظ وأن الصيحة في حكم فاعل الفعل ومثلها قراءة الحسن فأصبحوا لا ترى إلا مساكنهم وبيت ذي الرمة

وما بقيت إلا الضلوع الجراشع

وقرأ ابن مسعود إلا زقية واحدة من زقا الطائر يزقو ويزقي إذا صاح ومنه المثل أثقل من الزواقي خامدون خمدوا كما تخمد النار فتعود رمادا كما قال لبيد

وما المرء إلا كالشهاب وضوئه يحور رمادا بعد إذ هو ساطع

يا حسرة على العباد نداء للحسرة عليهم كأنما قيل لها تعالي يا حسرة فهذه من أحوالك التي حقك أن تحضري فيها وهي حال استهزائهم بالرسل والمعنى أنهم أحقاء بأن يتحسر عليهم المتحسرون ويتلهف على حالهم المتلهفون أو هم متحسر عليهم من جهة الملائكة والمؤمنين من الثقلين ويجوز أن يكون من الله عز وجل على سبيل الاستعارة في معنى تعظيم ما جنوه على أنفسهم ومحنوها وفرط إنكاره له وتعجيبه منه وقراءة من قرأ يا حسرتا تعضد هذا الوجه لأن المعنى يا حسرتي وقرئ يا حسرة العباد على الإضافة إليهم لاختصاصها بهم من حيث أنها موجهة إليهم ويا حسره على العباد على إجراء الوصل مجرى الوقف ألم يروا كم أهلكنا قبلهم من القرون ألم يعلموا وهو معلق عن العمل في كم لأن كم لا يعمل فيها عامل قبلها كانت للاستفهام أو للخبر لأن أصلها الاستفهام إلا أن معناه نافذ في الجملة كما نفذ في قولك ألم يروا أن زيدا لمنطلق وإن لم يعمل في لفظه وأنهم إليهم لا يرجعون بدل من كم أهلكنا

على المعنى لا على اللفظ تقديره ألم يروا كثرة إهلاكنا القرون من قبلهم كونهم غير راجعين إليهم
وعن الحسن كسر إن على الاستئناف وفي قراءة ابن مسعود ألم يروا من أهلكنا والبدل على هذه القراءة
بدل اشتمال وهذا مما يرد قول أهل الرجعة ويحكى عن ابن عباس أنه قيل له إن قوما يزعمون أن عليا
مبعوث قبل يوم القيامة فقال بئس القوم نحن إذن نكحنا نساءه وقسمنا ميراثه قرئ لما بالتخفيف
على أن ما صلة للتأكيد وإن مخففة من الثقيلة وهي متلقاة باللام لا محالة ولما بالتشديد بمعنى إلا
كالتي في مسألة الكتاب نشدتك بالله لما فعلت وإن نافية والتنوين في كل هو الذي يقع عوضا من المضاف
إليه كقولك مررت بكل قائما والمعنى أن كلهم محشورون مجموعون محضرون للحساب يوم القيامة وقيل
محضرون معذبون   كيف أخبر عن كل بجميع ومعناهما واحد   ليس بواحد لأن
كلا يفيد معنى الإحاطة وأن لا ينفلت منهم أحد والجميع معناه الاجتماع وأن المحشر يجمعهم
والجميع فعيل بمعنى مفعول يقال حي جميع وجاؤوا جميعا وآية لهم الأرض الميتة أحييناها وأخرجنا منها حبا
القراءة بالميتة أشيع لسلسها على اللسان وأحييناها استئناف بيان لكون الأرض الميتة آية وكذلك
نسلخ ويجوز أن يوصف الأرض والليل بالفعل لأنه أريد بهما الجنسان مطلقين لا أرض وليل بأعيانهما
فعوملا معاملة النكرات في وصفهما بالأفعال ونحوه ولقد أمر على اللئيم يسبني وقوله فمنه يأكلون
بتقديم الظرف للدلالة على أن الحب هو الشيء الذي يتعلق به معظم العيش ويقوم بالارتزاق منه
صلاح الإنس وإذا قل جاء القحط ووقع الضر وإذا فقد حضر الهلاك ونزل البلاء وجعلنا فيها
جنات من نخيل وأعناب وفجرنا فيها من العيون ليأكلوا من ثمره وما عملته أيديهم أفلا يشكرون قرئ وفجرنا
بالتثقيل والتخفيف والفجر والتفجير كالفتح والتفتيح لفظا ومعنى وقرئ ثمره بفتحتين و
ضمتين وضمة وسكون والضمير لله تعالى والمعنى ليأكلوا مما خلقه الله من الثمر ومما عملته أيديهم
من الغرس والسقي والآبار وغير ذلك من الأعمال إلى أن بلغ الثمر منتهاه وإبان أكله يعني أن الثمر
في نفسه فعل الله وخلقه وفيه آثار من كد بني آدم وأصله من ثمرنا كما قال وجعلنا وفجرنا فنقل
الكلام من التكلم إلى الغيبة على طريقة الالتفات ويجوز أن يرجع إلى النخيل ويترك الأعناب غير مرجوع
إليها لأنه علم أنها في حكم النخيل فيما علق به من أكل ثمره ويجوز أن يراد من ثمر المذكور وهو الجنات
كما قال رؤبة فيها خطوط من بياض وبلق كأنه في الجلد توليع البهق فقيل له فقال أردت كأن
ذاك ولك أن تجعل ما نافية على أن الثمر خلق الله ولم تعمله أيدي الناس ولا يقدرون عليه وقرئ
على الوجه الأول وما عملت من غير راجع وهي في مصاحف أهل الكوفة كذلك وفي مصاحف أهل الحرمين

والبصرة والشام مع الضمير سبحان الذي خلق الأزواج الأجناس والأصناف كلها مما تنبت الأرض ومن
أنفسهم ومما لا يعلمون ومن أزواج لم يطلعهم الله عليها ولا توصلوا إلى معرفتها بطريق من طرق العلم ولا
يبعد أن يخلق الله تعالى من الخلائق الحيوان والجماد ما لم يجعل للبشر طريقا إلى العلم به لأنه لا حاجة بهم
في دينهم ودنياهم إلى ذلك العلم ولو كانت بهم إليه حاجة لأعلمهم بما لا يعلمون كما أعلمهم بوجود ما لا يعلمون و
عن ابن عباس لم يسمهم وفي الحديث ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر بله ما أطلعتهم
عليه فأعلمنا بوجوده وأعداده ولم يعلمنا به ما هو ونحوه فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين وفي الإعلام
بكثرة ما خلق مما علم ومما جهل ما دل على عظم قدرته واتساع ملكه وآية لهم الليل نسلخ منه النهار فإذا هم مظلمون سلخ
جلد الشاة إذا كشطه عنها وأزاله ومنه سلخ الحية لخرشائها فاستعير لإزالة الضوء وكشفه عن
مكان الليل وملقى ظله مظلمون داخلون في الظلام يقال أظلمنا كما تقول أعتمنا وأدجينا والشمس تجري
لمستقر لها لحد لها موقت مقدر تنتهي إليه من فلكها في آخر السنة شبه بمستقر المسافر إذا قطع مسيره
أو لمنتهى لها من المشارق والمغارب لأنها تتقصاها مشرقا مشرقا ومغربا مغربا حتى تبلغ أقصاها ثم
ترجع فذلك حدها ومستقرها لأنها لا تعدوه أو لحد لها من مسيرها كل يوم في مرأى عيوننا وهو
المغرب وقيل مستقرها أجلها الذي أقر الله عليه أمرها في جريها فاستقرت عليه وهو
آخر السنة وقيل الوقت الذي تستقر فيه وينقطع جريها وهو يوم القيامة وقرئ تجري إلى
مستقر لها وقرأ ابن مسعود لا مستقر لها أي لا تزال تجري لا تستقر وقرئ لا مستقر لها على أن
لا بمعنى ليس ذلك تقدير العزيز العليم أي ذلك الجري على ذلك التقدير والحساب الدقيق الذي تكل الفطن
عن استخراجه وتتحير الأفهام في استنباطه ما هو إلا تقدير الغالب بقدرته على كل مقدور والمحيط
علما بكل معلوم قرئ والقمر رفعا على الابتداء أو عطفا على الليل يريد ومن آياته القمر ونصبا بفعل
يفسره قدرناه ولا بد في قدرناه منازل من تقدير مضاف لأنه لا معنى لتقدير نفس القمر منازل والمعنى
قدرنا مسيره منازل وهي ثمانية وعشرون منزلا ينزل القمر كل ليلة في واحد منها لا يتخطاه ولا
يتقاصر عنه على تقدير مستو لا يتفاوت يسير فيها من ليلة المستهل إلى الثامنة والعشرين
ثم يستتر ليلتين أو ليلة إذا نقص الشهر وهذه المنازل هي مواقع النجوم التي نسبت إليها
العرب الأنواء المستمطرة وهي الشرطان البطين الثريا الدبران الهقعة الهنعة الذراع
النثرة الطرف الجبهة الزبرة الصرفة العواء السماك الغفر الزباني الإكليل القلب
الشولة النعائم البلدة سعد الذابح سعد بلع سعد السعود سعد الأخبية فرغ الدلو المقدم

فرغ الدلو المؤخر الرشا فاذا كان في آخر منازله دق واستقوس وكالعرجون القديم وهو عود العذق
ما بين شماريخه الى منبته من النخلة وقال الزجاج هو فعلون من الانعراج وهو الانعطاف وقرئ العرجون
بوزن الفرجون وهما لغتان كالبزيون والبزيون والقديم المحول واذا قدم دق وانحنى واصفر
فشبه به من ثلاثة اوجه وقيل اقل مدة الموصوف بالقديم الحول فلو ان رجلا قال كل مملوك لي قديم
فهو حر او كتب ذلك في وصيته عتق منهم من مضى له حول او اكثر لا الشمس ينبغي لها ان تدرك القمر ولا
الليل سابق النهار وقرئ سابق النهار على الاصل والمعنى ان الله تعالى قسم لكل واحد من الليل
والنهار وآيتيهما قسما من الزمان وضرب له حدا معلوما ودبر امرهما على التعاقب فلا ينبغي للشمس
اي لا يتسهل لها ولا يصح ولا يستقيم لوقوع التدبير على المعاقبة وان جعل لكل واحد من النيرين
سلطان على حياله ان تدرك القمر فيجتمع معه في وقت واحد وتداخله في سلطانه فتطمس نوره
ولا يسبق الليل النهار يعني آية الليل آية النهار وهما النيران ولا يزال الامر على هذا الترتيب
الى ان يبطل الله ما دبر من ذلك وينقض ما الف فيجمع بين الشمس والقمر ويطلع الشمس من مغربها
لم جعلت الشمس غير مدركة والقمر غير سابق لان الشمس لا تقطع فلكها
الا في سنة والقمر يقطع فلكه في شهر فكانت الشمس جديرة ان توصف بالادراك لتباطؤ سيرها عن
سير القمر والقمر خليقا بان يوصف بالسبق لسرعة سيره وكل في فلك يسبحون التنوين فيه عوض من
المضاف اليه والمعنى وكلهم والضمير للشموس والاقمار على ما سبق ذكره وآية لهم انا حملنا ذريتهم في
الفلك المشحون وخلقنا لهم ذريتهم اولادهم ومن يهمهم حمله وقيل اسم الذرية يقع على النساء لانهن
مزارعها وفي الحديث انه نهى عن قتل الذراري يعني النساء من مثله من مثل الفلك ما يركبون من الابل
وهي سفائن البر وقيل الفلك المشحون سفينة نوح ومعنى حمل الله ذرياتهم فيها انه حمل فيها
آباءهم الاقدمين وفي اصلابهم هم وذرياتهم وانما ذكر ذرياتهم دونهم لانه ابلغ في الامتنان عليهم
وادخل في التعجيب من قدرته في حمل اعقابهم الى يوم القيامة في سفينة نوح ومن مثله من مثل
ذلك الفلك ما يركبون من السفن والزوارق وان نشأ نغرقهم فلا صريخ لهم لا صريخ لا مغيث او لا
اغاثة يقال اتاهم الصريخ ولا هم ينقذون لا ينجون من الموت بالغرق الا رحمة منا
ومتاعا ولتمتيع بالحياة الى حين الى اجل يموتون فيه لا بد لهم منه بعد النجاة من موت الغرق ولقد
احسن من قال ولم اسلم لكي ابقى ولكن سلمت من الحمام الى الحمام وقرأ الحسن نغرقهم واذا قيل
لهم اتقوا ما بين ايديكم وما خلفكم كقوله افلم يروا الى ما بين ايديهم وما خلفهم من السماء والارض وعن

مجاهد

مجاهد ما تقدم من ذنوبكم وما تأخر وعن قتادة ما بين ايديكم من الوقائع التي ابتليت بها الامم المكذبة بانبيائها
وما خلفكم من امر الساعة لعلكم ترحمون لتكونوا على رجاء رحمة الله وجواب اذا محذوف مدلول عليه بقوله وما تأتيهم
من آية من آيات ربهم الا كانوا عنها معرضين كانه قال واذا قيل لهم اتقوا اعرضوا ثم قال ودأبهم الاعراض عند
كل آية وموعظة واذا قيل لهم انفقوا مما رزقكم الله قال الذين كفروا للذين آمنوا انطعم من لو يشاء الله اطعمه كانت
الزنادقة منهم يسمعون المؤمنين يعلقون افعال الله بمشيئته فيقولون لو شاء الله لاغنى فلانا ولو شاء
لاعزه ولو شاء لكان كذا فاخرجوا هذا الجواب مخرج الاستهزاء بالمؤمنين وبما كانوا يقولونه من تعليق الامور
بمشيئة الله ومعناه انطعم المقول فيه هذا القول بينكم وذلك انهم كانوا دافعين ان يكون الغنى والفقر
من الله لانهم معطلة لا يؤمنون بالصانع وعن ابن عباس كان بمكة زنادقة فاذا امروا بالصدقة على
المساكين قالوا لا والله ايفقره الله ونطعمه نحن وقيل كانوا يوهمون ان الله تعالى لما كان قادرا على اطعامهم
ولم يشأ اطعامهم فنحن احق بذلك نزلت في مشركي قريش حين قال فقراء اصحاب رسول الله اعطونا
مما زعمتم من اموالكم انها لله يعنون قوله وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والانعام نصيبا فحرموهم وقالوا
لو شاء الله لاطعمكم ان انتم الا في ضلال مبين قول الله لهم او حكاية قول المؤمنين لهم او هو من جملة جوابهم للمؤمنين
ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين ما ينظرون الا صيحة واحدة تأخذهم وقرئ وهم يخصمون بادغام
التاء في الصاد مع فتح الخاء وكسرها واتباع الياء الخاء ويختصمون على الاصل ويخصمون من خصمه
والمعنى انها تبغتهم وهم في امنهم وغفلتهم عنها لا يخطرونها ببالهم مشتغلين بخصوماتهم في متاجرهم و
معاملاتهم وسائر ما يتخاصمون فيه ويتشاجرون ومعنى يخصمون يخصم بعضهم بعضا وقيل
تأخذهم وهم عند انفسهم يخصمون في الحجة في انهم لا يبعثون فلا يستطيعون توصية ولا الى اهلهم يرجعون
ان يوصوا في شيء من امورهم بوصية ولا يقدرون على الرجوع الى منازلهم واهاليهم بل يموتون
حيث يفجأهم الصيحة ونفخ في الصور فاذا هم من الاجداث الى ربهم قرئ الصور بسكون الواو وهو
القرن او جمع صورة وحركها بعضهم والاجداث القبور وقرئ بالفاء ينسلون يعدون بكسر
السين وضمها وهي النفخة الثانية قالوا يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا وقرئ يا ويلتنا وعن ابن مسعود
من اهبنا من هب من نومه اذا انتبه واهبه غيره وقرئ من هبنا بمعنى من اهبنا وعن بعضهم اراد هب
بنا فحذف الجار واوصل الفعل وقرئ من بعثنا ومن هبنا على من الجارة والمصدر وهذا مبتدأ و
ما وعد خبره وما مصدرية او موصولة ويجوز ان يكون هذا صفة للمرقد وما وعد خبر مبتدأ محذوف اي
هذا وعد الرحمن او مبتدأ محذوف الخبر اي ما وعد الرحمن وصدق المرسلون حق عليكم وعن مجاهد للكفار

هجعة يجدون فيها طعم النوم فاذا صيح باهل القبور قالوا من بعثنا واما هذا ما وعد الرحمن فكلام الملائكة
عن ابن عباس وعن الحسن كلام المتقين وقيل كلام الكافرين يتذكرون ما سمعوه من الرسل فيجيبون به
انفسهم او بعضهم بعضا اذا جعلت ما مصدرية كان المعنى هذا وعد الرحمن وصدق المرسلين
على تسمية الموعود والمصدوق فيه بالوعد والصدق فما وجه قوله وصدق المرسلون اذا جعلتها موصولة
تقديره هذا الذي وعده والذي صدقه المرسلون بمعنى والذي صدق فيه المرسلون من قولهم
صدقوهم الحديث والقتال ومنه صدقني سن بكره من بعثنا من مرقدنا سؤال عن الباعث
فكيف طابقه ذلك جوابا معناه بعثكم الرحمن الذي وعدكم البعث وانبأكم به الرسل
الا انه جيء به على طريقة سيئت بها قلوبهم ونعيت اليهم احوالهم وذكروا كفرهم وتكذيبهم واخبروا
بوقوع ما انذروا به وكانه قيل لهم ليس بالبعث الذي عرفتموه وهو بعث النائم من مرقده حتى يهمكم
السؤال عن الباعث ان هذا هو البعث الاكبر ذو الاهوال والافزاع وهو الذي وعده الله في كتبه
المنزلة على السنة رسله الصادقين ان كانت الا صيحة واحدة قرئت منصوبة ومرفوعة فاذا هم جميع لدينا
محضرون فاليوم لا تظلم نفس شيئا ولا تجزون الا ما كنتم تعملون ان اصحاب الجنة اليوم في شغل فاكهون حكاية
لما يقال في ذلك اليوم وفي مثل هذه الحكاية زيادة تصوير للموعود وتمكين له في النفوس وترغيب
في الحرص عليه وعلى ما يثمره في شغل في اي شغل وفي شغل لا يوصف وما ظنك بشغل من سعد
بدخول الجنة التي هي دار المتقين ووصل الى نيل الغبطة وذلك الملك الكبير والنعيم المقيم ووقع
في تلك الملاذ التي اعدها الله للمرتضين من عباده ثوابا لهم على اعمالهم مع كرامة وتعظيم وذلك
بعد الوله والصبابة والتفصي من مشاق التكليف ومضايق التقوى والخشية وتخطي الاهوال
وتجاوز الاخطار وجواز الصراط ومعاينة ما لقي العصاة من العذاب وعن ابن عباس في
افتضاض الابكار وعنه في ضرب الاوتار وعن ابن كيسان في التزاور وقيل في ضيافة الله و
عن الحسن شغلهم عما فيه اهل النار التنعم بما هم فيه وعن الكلبي هم في شغل عن اهاليهم من اهل
النار لا يهمهم امرهم ولا يذكرونهم لئلا يدخل عليهم تنغيص في نعيمهم قرئ في شغل بضمتين
وضمة وسكون وفتحتين وفتحة وسكون والفاكه والفكه المتنعم المتلذذ ومنه الفاكهة لانه
مما يتلذذ به وكذلك الفكاهة وهي المزاحة وقرئ فاكهون وفكهون بكسر الكاف وضمها
كقولهم رجل حدث وحدث ونطس ونطس وقرئ فاكهين وفكهين على انه حال والظرف مستقر
هم وازواجهم في ظلال على الارائك متكئون لهم فيها فاكهة ولهم ما هم يحتمل ان يكون مبتدأ وان يكون

فاكهون متلذذون في النعمة من الفكاهة وفي شغل وابهامه تعظيم لما هم فيه من البهجة والتلذذ وتنبيه على انه ما يحيط به الافهام ويعزب عن كنهه الكلام

للموعود وتمكينا له في النفوس وكذا قوله ان اصحاب الادب

تاكيدا للضمير في شغل وفي فاكهون على ان ازواجهم يشاركنهم في ذلك الشغل والتفكه و
الاتكاء على الارائك تحت الظلال وقرئ في ظلل والاريكة السرير في الحجلة وقيل الفراش فيها
وقرا ابن مسعود متكئين يدعون يفتعلون من الدعاء اي يدعون به لانفسهم كقولك اشتوى
واجتمل اذا شوى وجمل لنفسه قال لبيد فاشتوى ليلة ريح واجتمل ويجوز ان يكون بمعنى
يتداعونه كقولك ارتموه وتراموه وقيل يتمنون من قولهم ادع على ما شئت بمعنى تمنه علي وفلان
في خير ما ادعى اي في خير ما تمنى قال الزجاج وهو من الدعاء اي ما يدعو به اهل الجنة ياتيهم وسلام
بدل مما يدعون كانه قال لهم سلام يقال لهم قولا من جهة رب رحيم والمعنى ان الله يسلم عليهم
بواسطة الملائكة او بغير واسطة مبالغة في تعظيمهم وذلك متمناهم ولهم ذلك لا يمنعونه قال
ابن عباس والملائكة يدخلون عليهم بالتحية من رب العالمين وقيل ما يدعون مبتدأ وخبره سلام
بمعنى ولهم ما يدعون سلام خالص لا شوب فيه وقولا مصدر مؤكد لقوله ولهم ما يدعون سلام
اي عدة من رب رحيم والاوجه ان ينتصب على الاختصاص وهو من مجازه وقرئ سلم وهو بمعنى
السلام في المعنيين وعن ابن مسعود سلاما نصب على الحال اي لهم مرادهم خالصا وامتازوا اليوم ايها
المجرمون وانفردوا عن المؤمنين وكونوا على حدة وذلك حين يحشر المؤمنون ويسار بهم الى الجنة ونحوه
قوله تعالى ويوم تقوم الساعة يومئذ يتفرقون فاما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فهم في
روضة يحبرون واما الذين كفروا الآية يقال مازه فانماز وامتاز وعن قتادة اعتزلوا عن
كل خير وعن الضحاك لكل كافر بيت من النار يكون فيه لا يرى ولا يرى ومعناه ان بعضهم يمتاز
عن بعض الم اعهد اليكم يا بني آدم ان لا تعبدوا الشيطان انه لكم عدو مبين وان اعبدوني العهد
الوصية وعهد اليه اذا وصاه وعهد الله اليهم ما ركز فيهم من ادلة العقل وانزل عليهم من دلائل
السمع وعبادة الشيطان طاعته فيما يوسوس به اليهم ويزينه لهم وقرئ اعهد بكسر الهمزة
وباب فعل كله يجوز في حروف مضارعته الكسر الا في الياء واعهد بكسر الهاء وقد جوز الزجاج
ان يكون من باب نعم ينعم وضرب يضرب واحهد بالحاء واحد وهي لغة تميم ومنه قولهم دحا
محا هذا صراط مستقيم اشارة الى ما عهد اليهم فيه من معصية الشيطان وطاعة الرحمن اذ لا
صراط اقوم منه ونحو التنكير فيه ما في قول كثير لئن كان يهدى برد انيابها العلى
لافقر مني انني لفقير بليغ الفقر حقيق بان اوصف به لكمال شرائطه في والا لم يستقم معنى
البيت وكذلك قوله هذا صراط مستقيم يريد صراط بليغ في بابه بليغ في استقامته جامع لكل شرط

اي يقول الله او يقال لهم قولا كائنا من جهته بمعنى ان الله يسلم عليهم

انه لكلام تعليل للمنع عن عبادته بالطاعة فيما يحملهم عليه

ما نصب لهم من الحجج العقلية والسمعية الآمرة بعبادته الزاجرة عن عبادة غيره وجعله عبادة الشيطان لانه الآمر بها والمزين لها

يجب أن يكون عليه ويجوز أن يراد بهذا بعض الصرط المستقيمة توبيخا لهم على العدول عنه والتفادي عن سلوكه كما يتفادى الناس عن الطريق المعوج الذي يؤدي إلى الضلالة والتهلكة كأنه قيل أقل أحوال الطريق الذي هو أقوم الطرق أن يعتقد فيه كما يعتقد في الطريق الذي لا يضل السالك كما يقول الرجل لولده وقد نصحه النصح البالغ الذي ليس بعده هذا فيما أظن قول نافع غير ضار توبيخا له على الإعراض عن نصائحه ولقد أضل منكم جبلا كثيرا أفلم تكونوا تعقلون هذه جهنم التي كنتم توعدون اصلوها اليوم بما كنتم تكفرون قرئ جبلا بضمتين وضمة وسكون وضمتين وتشديد وكسرتين وكسرة وسكون وكسرتين وتشديد وهذه لغات في معنى الخلق وقرئ جبلا جمع جبلة كفطر وخلق وفي قراءة علي رضي الله عنه جيلا واحد الأجيال يروى أنهم يجحدون ويخاصمون فيشهد عليهم جيرانهم وأهاليهم وعشائرهم فيحلفون ما كانوا مشركين فحينئذ يختم على أفواههم وتكلم أيديهم وأرجلهم وفي الحديث تقول العبد يوم القيمة إني لا أجيز علي شاهدا إلا من نفسي فيختم على فيه ويقال لأركانه انطقي فتنطق بأعماله ثم يخلى بينه وبين الكلام فيقول بعدا لكن وسحقا فعنكن كنت أناضل اليوم نختم على أفواههم وتكلمنا أيديهم وتشهد أرجلهم بما كانوا يكسبون وقرئ يختم على أفواههم وتتكلم أيديهم وقرئ ولتكلمنا أيديهم ولتشهد بلام الأمر والجزم على أن الله يأمر الأعضاء بالكلام والشهادة ولو نشاء لطمسنا على أعينهم الطمس تعفية شق العين حتى تعود ممسوحة فاستبقوا الصراط فأنى يبصرون لا يخلو من أن يكون على حذف الجار وإيصال الفعل والأصل فاستبقوا إلى الصراط أو يضمن معنى ابتدروا أو يجعل الصراط مسبوقا لا مسبوقا إليه أو ينتصب على الظرف والمعنى أنه لو شاء لمسح أعينهم فلو راموا أن يستبقوا إلى الطريق المهيع الذي اعتادوا سلوكه إلى مساكنهم وإلى مقاصدهم المألوفة التي ترددوا إليها كثيرا كما كانوا يستبقون إليه ساعين في متصرفاتهم موضعين في أمور دنياهم لم يقدروا وتعايا عليهم أن يبصروا ويعلموا جهة السلوك فضلا عن غيره أو لو نشاء لأعماهم فلو أرادوا أن يمشوا مستبقين في الطريق المألوف كما كان ذلك هجيراهم لم يستطيعوا أو لو شاء لأعماهم فلو طلبوا أن يخلفوا الصراط الذي اعتادوا المشي فيه لعجزوا ولم يعرفوا طريقا يعني أنهم لا يقدرون إلا على سلوك الطريق المعتاد دون ما وراءه من سائر الطرق والمسالك كما ترى العميان يهتدون فيما ألفوا وضروا به من المقاصد دون غيرها ولو نشاء لمسخناهم على مكانتهم فما استطاعوا مضيا ولا يرجعون وقرئ مكاناتهم والمكان والمكانة واحد كالمقامة والمقام أي لمسخناهم مسخا يجمدهم مكانهم لا يقدرون أن يبرحوا بإقبال ولا إدبار ولا مضي ولا رجوع واختلف في المسخ فعن ابن عباس لمسخناهم قردة وخنازير وقيل حجارة وعن

قتادة لأقعدناهم على أرجلهم وأزمناهم وقرئ مضيا بالحركات الثلث فالمضي والمضي كالعتي والعتي والمضي كالصبي ومن نعمره ننكسه في الخلق نقلبه فيه فنخلقه على عكس ما خلقناه قبل وذلك أنا خلقناه على ضعف في جسد وخلو من عقل وعلم ثم جعلناه يتزايد وينتقل من حال إلى حال ويرتقي من درجة إلى درجة إلى أن يبلغ أشده ويستكمل قوته ويعقل ويعلم ما له وعليه فإذا انتهى نكسناه في الخلق فجعلناه يتناقص حتى يرجع في حال شبيهة بحال الصبي في ضعف جسده وقلة عقله وخلوه من العلم كما ينكس السهم فيجعل أعلاه أسفله قال عز وجل منكم من يرد إلى أرذل العمر لكيلا يعلم من بعد علم شيئا ثم رددناه أسفل سافلين وهذه دلالة على أن من ينقلهم من الشباب إلى الهرم ومن القوة إلى الضعف ومن رجاحة العقل إلى الخرف وقلة التمييز ومن العلم إلى الجهل بعد ما نقلهم خلاف هذا النقل وعكسه قادر على أن يطمس على أعينهم ويمسخهم على مكانتهم ويفعل بهم ما شاء وأراد وقرئ بكسر الكاف وننكسه من التنكيس والإنكاس أفلا تعقلون قرئ بالتاء والياء كانوا يقولون لرسول الله صلى الله عليه وسلم شاعر وروي أن القائل عقبة بن أبي معيط فقيل وما علمناه الشعر أي وما علمناه بتعليم القرآن الشعر على معنى أن القرآن ليس بشعر وما هو من الشعر في شيء وأين هو عن الشعر والشعر إنما هو كلام موزون مقفى يدل على معنى فأين الوزن والتقفية وأين المعاني التي ينتحيها الشعراء عن معانيه وأين نظم كلامهم عن نظمه وأساليبه فإذن لا مناسبة بينه وبين الشعر إذا حققت اللهم إلا أن لفظه عربي كما أن ذاك كذلك وما ينبغي له وما يصح له ولا يتطلب لو طلبه أي جعلناه بحيث لو أراد قرض الشعر لم يتأت له ولم يتسهل كما جعلناه أميا لا يتهدى للخط لا يحسنه لتكون الحجة أثبت والشبهة أدحض وعن الخليل كان الشعر أحب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من كثير من الكلام ولكن كان لا يتأتى له فقوله أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب وقوله هل أنت إلا إصبع دميت وفي سبيل الله ما لقيت ما هو إلا كلام من جنس كلامه الذي كان يرمي به على السليقة من غير صنعة فيه ولا تكلف إلا أنه اتفق من غير قصد إلى ذلك ولا التفات منه إليه أن جاء موزونا كما يتفق في كثير من إنشاءات الناس في خطبهم ورسائلهم ومحاوراتهم أشياء موزونة ولا يسميها أحد شعرا ولا يخطر ببال المتكلم ولا السامع أنه شعر وإذا فتشت في كل كلام عن نحو ذلك وجدت الواقع في أوزان البحور غير عزيز على أن الخليل ما كان يعد المشطور من الرجز شعرا ولما نفى أن يكون القرآن من جنس الشعر قال إن هو إلا ذكر وقرآن مبين يعني ما هو إلا ذكر من الله يوعظ به الإنس والجن كما قال إن هو إلا ذكر للعالمين وما هو إلا قرآن كتاب سماوي يقرأ في المحاريب ويتلى في المتعبدات وينال بتلاوته والعمل بما فيه فوز الدارين

فكم بينه وبين الشعر الذي هو من همزات الشياطين. لينذر القرآن أو الرسول. وقرئ لتنذر بالتاء ولينذر
من نذر به إذا علمه. من كان حيا أي عاقلا متأملا لأن الغافل كالميت أو معلوما منه أنه يؤمن فيحيى بالإيمان
ويحق القول وتجب كلمة العذاب على الكافرين الذين لا يتأملون ولا يتوقع منهم الإيمان. أولم يروا أنا خلقنا لهم
مما عملت أيدينا مما تولينا نحن إحداثه ولم يقدر على توليه غيرنا وإنما قال ذلك لبدائع الفطرة والحكمة
فيها التي لا يصح أن يقدر عليها إلا هو وعمل الأيدي استعارة من عمل من يعملون بالأيدي. أنعاما فهم لها
مالكون أي خلقناها لأجلهم فملكناها إياهم فهم متصرفون فيها تصرف الملاك مختصون بالانتفاع بها
لا يزاحمون أو فهم لها ضابطون قاهرون من قوله: أصبحت لا أحمل السلاح ولا أملك رأس البعير إن نفرا
أي لا أضبطه. وهو من جملة النعم الظاهرة وإلا فمن كان يقدر عليها لولا تذليله وتسخيره لها كما قال
القائل: يصرفه الصبي بكل وجه ويحبسه على الخسف الجرير وتضربه الوليدة بالهراوى
فلا غير لديه ولا نكير. ولهذا ألزم الله سبحانه الراكب أن يشكر هذه النعمة ويسبح بقوله: سبحان
الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين. وذللناها لهم فمنها ركوبهم ومنها يأكلون. وقرئ ركوبهم وركوبتهم وهما
ما يركب كالحلوب والحلوبة. وقيل الركوب جمع. وقرئ ركوبهم أي ذو ركوبهم أو فمن منافعها ركوبهم.
ولهم فيها منافع من الجلود والأوبار والأصواف وغير ذلك. ومشارب من اللبن أفلا يشكرون.
ذكرها مجملة وقد فصلها في قوله: وجعل لكم من جلود الأنعام بيوتا الآية. والمشارب جمع مشرب وهو
موضع الشرب أو الشرب. واتخذوا من دون الله آلهة لعلهم ينصرون لا يستطيعون نصرهم وهم لهم جند محضرون.
اتخذوا الآلهة طمعا في أن يتقووا بهم ويعتضدوا بمكانهم والأمر على عكس ما قدروا حيث هم جند
لآلهتهم معدون محضرون يخدمونهم ويذبون عنهم ويغضبون لهم والآلهة لا استطاعة بهم ولا
قدرة على النصر أو اتخذوهم لينصروهم عند الله ويشفعوا لهم والأمر على خلاف ما توهموا حيث هم يوم
القيامة جند معدون لهم محضرون لعذابهم لأنهم يجعلون وقودا للنار. فلا يحزنك قولهم إنا نعلم ما
يسرون وما يعلنون. قرئ فلا يحزنك بفتح الياء وضمها من حزنه وأحزنه والمعنى فلا يهمنك تكذيبهم
وأذاهم وجفاهم فإنا عالمون بما يسرون من عداوتهم وما يعلنون وإنا مجازوهم عليه فحق مثلك أن
يتسلى بهذا الوعيد ويستحضر في نفسه صورة حاله وحالهم في الآخرة حتى ينقشع عنه الهم ولا يرهقه
الحزن.   ما تقول فيمن يقول إن قرأ قارئ أنا نعلم بالفتح انتقضت صلاته وإن اعتقد ما يعطيه
من المعنى كفر.   فيه وجهان أحدهما أن يكون على حذف لام التعليل وهو كثير في القرآن والشعر
وفي كل كلام وقياس مطرد وهذا معناه ومعنى الكسر سواء وعليه تلبية رسول الله صلى الله عليه وسلم

إن الحمد والنعمة لك كسر أبو حنيفة وفتح الشافعي وكلاهما تعليل. والثاني أن يكون بدلا من قولهم كأنه
قيل فلا يحزنك أنا نعلم ما يسرون وما يعلنون. وهذا المعنى قائم مع المكسورة إذا جعلتها مفعولة
للقول فقد تبين أن تعلق الحزن بكون الله عالما وعدم تعلقه لا يدور على كسر إن وفتحها ولا تقدر
البدل كما أنك تفصل بتقدير معنى التعليل إذا كسرت ولا تقدر معنى المفعولية ثم إن قدرته كاسرا
أو فاتحا على ما عظم فيه الخطب ذلك القائل فما فيه إلا نهي رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الحزن على كون
الله عالما بسرهم وعلانيتهم وليس النهي عن ذلك مما يوجب شيئا. ألا ترى إلى قوله فلا تكونن ظهيرا للكافرين
ولا تكونن من المشركين ولا تدع مع الله إلها آخر. أولم ير الإنسان أنا خلقناه من نطفة. قبح الله عز وجل
إنكارهم البعث تقبيحا لا ترى أعجب منه وأبلغ وأدل على تمادي كفر الإنسان وإفراطه في جحود النعم وعقوق
الأيادي وتوغله في الخسة وتغلغله في القحة حيث قرره بأن عنصره الذي خلقه منه هو أخس شيء
وأمهنه وهو النطفة المذرة الخارجة من الإحليل الذي هو قناة النجاسة ثم عجب من حاله بأن يتصدى
مثله على مهانة أصله ودناءة أوله لمخاصمة الجبار وبروز صفحته لمجادلته ويركب متن الباطل ويلج و
يمحك ويقول من يقدر على إحياء الميت بعدما رمت عظامه ثم يكون خصامه في ألزم وصف له وألصقه
به وهو كونه منشأ من موات وهي المكابرة التي لا مطمح وراءها. وروي أن جماعة من كفار قريش منهم
أبي بن خلف الجمحي وأبو جهل والعاص بن وائل والوليد بن المغيرة تكلموا في ذلك فقال لهم أبي ألا
ترون إلى ما يقول محمد إن الله تعالى يبعث الأموات ثم قال واللات والعزى لأصيرن إليه ولأخصمنه
وأخذ عظما باليا فجعل يفتته بيده ويقول يا محمد أترى الله يحيي هذا بعد ما رم قال صلى الله عليه
وسلم نعم ويبعثك ويدخلك جهنم. وقيل معنى فإذا هو خصيم مبين فإذا هو بعدما كان ماء مهينا
رجل مميز منطيق قادر على الخصام مبين معرب عما في نفسه فصيح كما قال أومن ينشأ في الحلية
وهو في الخصام غير مبين. وضرب لنا مثلا ونسي خلقه قال من يحيي العظام وهي رميم.
مثلا   لما دل عليه من قصة عجيبة شبيهة بالمثل وهي إنكار قدرة الله على إحياء الموتى أو
لما فيه من التشبيه لأن ما أنكر من قبيل ما يوصف الله تعالى بالقدرة عليه بدليل النشأة الأولى فإذا
قيل من يحيي العظام على طريق الإنكار لأن يكون ذلك مما يوصف الله تعالى بكونه قادرا عليه كان تعجيزا
لله وتشبيها له بخلقه في أنهم غير موصوفين بالقدرة عليه. والرميم اسم لما بلي من العظام غير صفة
كالرمة والرفات فلا يقال لم لم يؤنث وقد وقع خبرا لمؤنث ولا هو فعيل بمعنى فاعل أو مفعول. ولقد
استشهد بهذه الآية من يثبت الحياة في العظام ويقول إن عظام الميتة نجسة لأن الموت يؤثر فيها

من قبل ان الحياة تحلها واما اصحاب ابي حنيفة فهي عندهم طاهرة وكذلك الشعر والعصب ويزعمون ان الحيوة لا تحلها فلا يؤثر فيها الموت ويقولون المراد باحياء العظام في الآية ردها الى ما كانت عليه غضة رطبة في بدن حي حساس وهو بكل خلق عليم يعلم كيف يخلق لا يتعاظمه شيء من خلق المنشآت والمعادات ومن اجناسها وانواعها وجلائلها ودقائقها ثم ذكر من بدائع خلقه الذي جعل لكم من الشجر الاخضر مع مضادة النار للماء وانطفائها به وهي الزناد التي توري بها الاعراب واكثرها من المرخ والعفار يقطع الرجل منها عصيتين مثل السواكين وهما خضراوان يقطر منهما الماء فيسحق المرخ وهو ذكر على العفار وهي انثى فينقدح النار باذن الله وعن ابن عباس ليس من شجرة الا وفيها نار الا العناب قالوا ولذلك يتخذ منه كذينقات القصارين الاخضر على اللفظ وقرئ الخضراء على المعنى ونحوه قوله تعالى من شجر من زقوم فمالئون منها البطون فشاربون عليه من الحميم فاذا انتم منه توقدون أوليس الذي خلق السموات والارض بقادر على ان يخلق مثلهم بلى من قدر على خلق السموات والارض مع عظم شأنهما فهو على خلق الاناسي اقدر وفي معناه قوله تعالى لخلق السموات والارض اكبر من خلق الناس وقرئ يقدر وقوله ان يخلق مثلهم يحتمل معنيين ان يخلق مثلهم في الصغر والقماءة بالاضافة الى السموات والارض او ان يعيدهم لان المعاد مثل للمبتدأ وليس به وهو الخلاق الكثير المخلوقات العليم الكثير المعلومات وقرئ الخالق انما امره انما شأنه اذا اراد شيئا اذا دعاه داعي حكمة الى تكوينه ولا صارف ان يقول له كن ان يكونه من غير توقف فيكون المحدث اي فهو كائن موجود لا محالة ما حقيقة قوله ان يقول له كن هو مجاز من الكلام وتمثيل لانه لا يمتنع عليه شيء من المكونات وانه بمنزلة المامور المطيع اذا ورد عليه امر الآمر المطاع فما وجه القراءتين في فيكون اما الرفع فلانها جملة من مبتدأ وخبر لان تقديرها فهو يكون معطوفة على مثلها وهي امره ان يقول له كن واما النصب فللعطف على يقول والمعنى انه لا يجوز عليه شيء مما يجوز على الاجسام اذا فعلت شيئا مما تقدر عليه من المباشرة بمحال القدرة واستعمال الآلات وما يتبع ذلك من المشقة والتعب واللغوب انما امره وهو القادر العالم لذاته ان يخلص داعيه الى الفعل فيتكون فمثله كيف يعجز عن مقدور حتى يعجز عن الاعادة فسبحان الذي تنزيه له مما وصفه به المشركون وتعجيب من ان يقولوا فيه ما قالوا بيده ملكوت كل شيء هو مالك كل شيء والمتصرف فيه بمواجب مشيئته وقضايا حكمته وقرئ ملكة كل شيء ومملكة كل شيء وملك كل شيء والمعنى واحد واليه ترجعون بضم التاء وفتحها وعن ابن عباس كنت لا اعلم ما روي

في فضائل يس وقراءتها كيف خصت بذلك فاذا انه لهذه الآية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لكل شيء قلبا وقلب القرآن يس من قرأ يس يريد بها وجه الله غفر الله له واعطي من الاجر كأنما قرأ القرآن اثنتين وعشرين مرة وايما مسلم قرئ عنده اذا نزل به ملك الموت سورة يس نزل بكل حرف فيها عشرة املاك يقومون بين يديه صفوفا يصلون عليه ويستغفرون له ويشهدون غسله ويتبعون جنازته ويصلون عليه ويشهدون دفنه وايما مسلم قرأ يس وهو في سكرات الموت لم يقبض ملك الموت روحه حتى يجيئه رضوان خازن الجنة بشربة من شراب الجنة يشربها وهو على فراشه فيقبض ملك الموت روحه وهو ريان ويمكث في قبره وهو ريان لا يحتاج الى حوض من حياض الانبياء حتى يدخل الجنة وهو ريان لا يحتاج الى حوض من حياض الانبياء وقال عليه السلام ان في القرآن سورة يشفع قارئها ويغفر لمستمعها الا وهي سورة يس

سورة والصافات مكية وهي مائة واحدى وثمانون وقيل واثنتان وثمانون آية

بسم الله الرحمن الرحيم والصافات صفا فالزاجرات زجرا فالتاليات ذكرا ان الهكم لواحد

اقسم سبحانه بطوائف الملائكة او بنفوسهم الصافات اقدامها في الصلوة من قوله عز وجل وانا لنحن الصافون او اجنحتها في الهواء واقفة منتظرة لامر الله فالزاجرات السحاب سوقا فالتاليات لكلام الله المنزلة وغيرها وقيل الصافات الطير من قوله تعالى والطير صافات والزاجرات كل ما زجر عن المعاصي والتاليات كل من تلا كتاب الله ويجوز ان يقسم بنفوس العلماء العمال الصافات اقدامها في التهجد وسائر الصلوات وصفوف الجماعات فالزاجرات بالمواعظ والنصائح فالتاليات آيات الله والدارسات شرائعه او بنفوس قواد الغزاة في سبيل الله التي تصف الصفوف وتزجر الخيل للجهاد وتتلو الذكر مع ذلك لا يشغلها تلك الشواغل كما يحكى عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه ما حكم الفاء اذا جاءت عاطفة في الصفات اما ان يدل على ترتب معانيها في الوجود كقوله يا لهف زيابة للحارث الصابح فالغانم فالآيب كأنه قال الذي صبح فغنم فآب واما على ترتبها في التفاوت من بعض الوجوه كقولك خذ الافضل فالاكمل واعمل الاحسن فالاجمل واما على ترتب موصوفاتها في ذلك كقولك رحم الله المحلقين فالمقصرين فعلى هذه القوانين الثلاثة تنساق امر الفاء العاطفة في الصفات فعلى اي هذه القوانين هي فيما انت بصدده ان وحدت الموصوف كانت للدلالة على ترتب الصفات

في التفاضل وان ثلثته فهي للدلالة على ترتب الموصوفات فيه بيان ذلك انك اذا اجريت هذه الاوصاف
على الملائكة وجعلتهم جامعين لها فعطفها بالفاء يفيد ترتبا لها في الفضل اما ان يكون الفضل للصف
ثم للزجر ثم للتلاوة واما على العكس وكذلك ان اردت العلماء وقواد الغزاة وان اجريت الصفة
الاولى على طوائف والثانية والثالثة على اخر فقد افادت ترتب الموصوفات في الفضل اعني
ان الطوائف الصافات ذات فضل والزاجرات افضل والتاليات ابهر فضلا او على العكس و
كذلك اذا اردت بالصافات الطير وبالزاجرات كل ما يزجر عن معصية وبالتاليات كل نفس
تتلو الذكر فان الموصوفات مختلفة وقرئ بادغام التاء في الصاد والزاي والذال رب السموات
والارض وما بينهما ورب المشارق خبر بعد خبر او خبر مبتدا محذوف والمشارق ثلثمائة وستون
مشرقا وكذلك المغارب تشرق الشمس كل يوم في مشرق منها وتغرب في مغرب ولا تطلع ولا تغرب
في واحد يومين فاذا اراد بقوله رب المشرقين ورب المغربين اراد مشرقي الصيف
والشتاء ومغربيهما انا زينا السماء الدنيا القربى منكم والزينة مصدر كالنسبة واسم لما يزان به
الشيء كالليقة اسم لما تلاق به الدواة ويحتملهما قوله بزينة الكواكب فان اردت المصدر فعلى اضافته
الى الفاعل اي بان زانتها الكواكب واصله بزينة الكواكب او على اضافته الى المفعول اي بان زان الله
الكواكب وحسنها لانها انما زينت السماء لحسنها في انفسها واصله بزينة الكواكب وهي قراءة ابي بكر
والاعمش وابن وثاب وان اردت الاسم فللاضافة وجهان ان تقع الكواكب بيانا للزينة لان الزينة
مبهمة في الكواكب وغيرها مما يزان به وان يراد ما زينت به الكواكب وجاء عن ابن عباس بزينة الكواكب
بضوء الكواكب ويجوز ان يراد اشكالها المختلفة كشكل الثريا وبنات نعش والجوزاء وغير ذلك
ومطالعها ومساريها وقرئ على هذا المعنى بزينة الكواكب بتنوين زينة وجر الكواكب على الابدال
ويجوز في نصب الكواكب ان يكون بدلا من محل بزينة وحفظا مما حمل على المعنى لان المعنى انا
خلقنا الكواكب زينة للسماء وحفظا من الشيطان كما قال ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح
وجعلناها رجوما للشياطين ويجوز ان يقدر الفعل المعلل كانه قيل وحفظا من كل شيطان
زيناها بالكواكب وقيل وحفظناها حفظا والمارد الخارج من الطاعة المتملس منه لا يسمعون
الى الملا الاعلى الضمير في لا يسمعون لكل شيطان لانه في معنى الشياطين وقرئ بالتخفيف
والتشديد واصله يتسمعون والتسمع تطلب السماع يقال تسمع فسمع او فلم يسمع
وعن ابن عباس هم يتسمعون ولا يسمعون وبهذا ينصر التخفيف على التشديد

يسمعون كيف اتصل بما قبله لا يخلو من ان يتصل بما قبله على ان يكون صفة لكل شيطان
او استينافا فلا تصح الصفة لان الحفظ من شياطين لا يسمعون ولا يتسمعون لا معنى له وكذلك
الاستيناف لان سائلا لو سال لم تحفظ من الشياطين فاجيب بانهم لا يسمعون لم يستقم فبقي
ان يكون كلاما منقطعا مبتدا اقتصاصا لما عليه حال المسترقة للسمع وانهم لا يقدرون ان
يسمعوا الى كلام الملائكة او يتسمعوا وهم مقذوفون بالشهب مدحورون عن ذلك الا من امهل حتى خطف
خطفة واسترق استراقة فعندها تعاجله الملائكة باتباع الشهاب الثاقب هل
يصح قول من زعم ان اصله لئلا يسمعوا فحذفت اللام كما حذفت في قولك جئتك ان تكرمني
فبقي ان لا يسمعوا فحذفت ان واهدر عملها كما في قول القائل الا ايهذا الزاجري احضر الوغا
كل واحد من هذين الحذفين غير مردود على انفراده فاما اجتماعهما فمنكر من المنكرات على ان
صون القرآن عن مثل هذا التعسف واجب اي فرق بين سمعت فلانا يتحدث وسمعت
اليه يتحدث وسمعت حديثه والى حديثه المعدى بنفسه يفيد الادراك والمعدى بالى
يفيد الاصغاء مع الادراك والملا الاعلى الملائكة لانهم يسكنون السموات والانس والجن هم الملا
الاسفل لانهم سكان الارض وعن ابن عباس هم الكتبة من الملائكة وعنه اشراف الملائكة ويقذفون
من كل جانب من جميع جوانب السماء من اي جهة صعدوا للاستراق دحورا مفعول له اي ويقذفون
للدحور وهو الطرد او مدحورين على الحال او لان القذف والطرد متقاربان في المعنى فكانه
قيل يدحرون او قذفا وقرأ ابو عبد الرحمن السلمي بفتح الدال على قذفا دحورا طرودا او على
انه قد جاء مجيء القبول والولوع ولهم عذاب واصب والواصب الدائم وصب الامر وصوبا يعني
انهم في الدنيا مرجومون بالشهب وقد اعد لهم في الآخرة نوع من العذاب دائم غير منقطع الا من
في محل الرفع بدل من الواو في لا يسمعون اي لا يسمع الشياطين الا الشيطان الذي خطف
الخطفة وقرئ خطف بكسر الخاء والطاء وتشديدها وخطف بفتح الخاء وكسر الطاء وتشديدها
واصلها اختطف وقرئ فاتبعه وفاتبعه شهاب ثاقب الهمزة وان خرجت الى معنى التقرير فهي
بمعنى الاستفهام في اصلها فلذلك قيل فاستفتهم اي استخبرهم اهم اشد خلقا ولم يقل فقررهم
والضمير لمشركي مكة وقيل نزلت في ابي الاشد بن كلدة وكني بذلك لشدة بطشه وقوته ام من خلقنا
يريد ما ذكر من خلائقه من الملائكة والسموات والارض والمشارق والكواكب والشهب الثواقب و
الشياطين المردة وغلب اولي العقل على غيرهم فقال من خلقنا والدليل عليه قوله بعد عد هذه

الأشياء فاستفتهم أهم أشد خلقاً أم من خلقنا بالفاء المعقبة وقوله أم من خلقنا مطلقاً من غير تقييد بالبيان اكتفاء ببيان ما تقدمه كأنه قال خلقنا كذا وكذا من عجائب الخلق وبدائعه فاستفتهم أهم أشد خلقاً أم الذي خلقناه من ذلك ويقطع به قراءة من قرأ أم من عددنا بالتخفيف والتشديد وأشد خلقاً يحتمل أقوى خلقاً من قولهم شديد الخلق وفي خلقه شدة وأصعب خلقاً وأشقه على معنى الرد لإنكارهم البعث والنشأة الأخرى وأن من هان عليه خلق هذه الخلائق العظيمة ولم يصعب عليه اختراعها كان خلق البشر عليه أهون وخلقهم من طين لازب إما شهادة عليهم بالضعف والرخاوة لأن ما يصنع من الطين غير موصوف بالصلابة والقوة أو احتجاج عليهم بأن الطين اللازب الذي خلقوا منه تراب فمن أين استنكروا أن يخلقوا من تراب مثله حيث قالوا أإذا كنا تراباً وهذا المعنى يعضده ما يتلوه من ذكر إنكارهم البعث وقيل من خلقنا من الأمم الماضية وليس هذا القول بملائم وقرئ لازم ولاتب والمعنى واحد والتاء في لاتب لشديد الإلصاق. بل عجبت من قدرة الله على هذه الخلائق العظيمة وهم يسخرون منك ومن تعجبك ومما تريهم من آثار قدرة الله أو من إنكارهم البعث وهم يسخرون من أمر البعث وقرئ بضم التاء أي بلغ من عظم آياتي وكثرة خلائقي أني عجبت منها فكيف بعبادي وهؤلاء بجهلهم وعنادهم يسخرون من آياتي أو عجبت من أن ينكروا البعث ممن هذه أفعاله وهم يسخرون ممن يصف الله بالقدرة عليه. كيف يجوز العجب على الله تعالى وإنما هو روعة تعتري الإنسان عند استعظام الشيء والله تعالى لا يجوز عليه الروعة. فيه وجهان أحدهما أن يجرد العجب لمعنى الاستعظام والثاني أن يخيل العجب ويفرض وقد جاء في الحديث عجب ربكم من إلّكم وقنوطكم وسرعة إجابته إياكم وكان شريح يقرأ بالفتح ويقول إن الله لا يعجب من شيء وإنما يعجب من لا يعلم فقال إبراهيم النخعي إن شريحاً كان يعجبه علمه وعبد الله أعلم يريد عبد الله بن مسعود وكان يقرأ بالضم وقيل معناه قل يا محمد بل عجبت. وإذا ذكروا لا يذكرون ودأبهم أنهم إذا وعظوا بشيء لا يتعظون به وإذا رأوا آية من آيات الله البينة كانشقاق القمر ونحوه يستسخرون يبالغون في السخرية أو يستدعي بعضهم من بعض أن يسخر منها وقالوا إن هذا إلا سحر مبين أإذا متنا وكنا تراباً وعظاماً أإنا لمبعوثون أوآباؤنا الأولون وآباؤنا معطوف على محل إن واسمها أو على الضمير في مبعوثون والذي جوز العطف عليه الفصل بهمزة الاستفهام والمعنى أيبعث أيضاً آباؤنا على زيادة الاستبعاد يعنون أنهم أقدم فبعثهم أبعد وأبطل وقرئ أو آباؤنا قل نعم وقرئ نعم بكسر العين وهما لغتان وقرئ قال نعم أي الله أو الرسول والمعنى نعم تبعثون وأنتم داخرون صاغرون فإنما هي زجرة واحدة جواب شرط مقدر تقديره

إذا كان ذلك فما هي إلا زجرة واحدة وهي لا ترجع إلى شيء إنما هي مبهمة موضحها خبرها ويجوز فإنما البعثة زجرة واحدة وهي النفخة الثانية والزجرة الصيحة من قولك زجر الراعي الإبل والغنم إذا صاح عليها فريعت لصوته ومنه زجراً إلى غروة السباع إذا أشفقن أن يختلطن بالغنم يريد تصويته بها فإذا هم أحياء بصراء ينظرون يحتمل أن يكون هذا يوم الدين إلى قوله احشروا من كلام الكفرة بعضهم مع بعض وأن يكون من كلام الملائكة لهم وأن يكون وقالوا يا ويلنا هذا يوم الدين كلام الكفرة وهذا يوم الفصل الذي كنتم به تكذبون من كلام الملائكة جواباً لهم ويوم الدين اليوم الذي ندان فيه أي نجازى بأعمالنا ويوم الفصل يوم القضاء والفرق بين الهدى والضلالة احشروا الذين ظلموا خطاب الله للملائكة أو خطاب بعضهم مع بعض وأزواجهم وضرباءهم عن النبي صلى الله عليه وسلم وهم نظراؤهم وأشباههم من العصاة أهل الزنا مع أهل الزنا وأهل السرقة مع أهل السرقة وقيل قرناؤهم من الشياطين وقيل نساؤهم اللاتي على دينهم فاهدوهم إلى صراط الجحيم وقفوهم إنهم مسؤولون ما لكم لا تناصرون فعرفوهم طريق النار حتى يسلكوها هذا تهكم بهم وتوبيخ لهم بالعجز عن التناصر بعد ما كانوا على خلاف ذلك في الدنيا متعاضدين متناصرين بل هم اليوم مستسلمون قد أسلم بعضهم بعضاً وخذله عن عجز فكلهم مستسلم غير منتصر وقرئ لا تناصرون ولا تتناصرون بالإدغام وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون قالوا إنكم كنتم تأتوننا عن اليمين فلأن اليمين لما كانت أشرف العضوين وأمتنهما وكانوا يتيمنون بها فبها يصافحون ويماسحون ويناولون ويتناولون ويزاولون أكثر الأمور ويتشاءمون بالشمال ولذلك سموها الشؤمى كما سموا أختها اليمنى وتيمنوا بالسانح وتطيروا من البارح وكان الأعسر معيباً عندهم وعضدت الشريعة ذلك فأمرت بمباشرة أفاضل الأمور باليمين وأراذلها بالشمال وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب التيامن في كل شيء وجعلت اليمين لكاتب الحسنات والشمال لكاتب السيئات ووعد المحسن أن يؤتى كتابه بيمينه والمسيء أن يؤتاه بشماله استعيرت لجهة الخير وجانبه فقيل أتاه عن اليمين أي من قبل الخير وناحيته فصده عنه وأضله وجاء في بعض التفاسير من أتاه الشيطان من جهة اليمين أتاه من قبل الدين فلبس عليه الحق ومن أتاه من جهة الشمال أتاه من قبل الشهوات ومن أتاه من بين يديه أتاه من قبل التكذيب بالقيامة وبالثواب والعقاب ومن أتاه من خلفه خوفه الفقر على نفسه وعلى من يخلف بعده فلم يصل رحماً ولم يؤد زكاة.

قولهم أتاه من جهة الخير وناحيته مجاز في نفسه فكيف جعلت اليمين مجازاً عن المجاز.

من المجاز ما غلب في الاستعمال حتى لحق بالحقائق وهذا من ذاك ولك أن تجعلها مستعارة

للمقوة والقهر لأن اليمين موصوفة بالقوة وبها يقع البطش والمعنى انكم كنتم تأتوننا عن القوة و
القهر وتقصدوننا عن السلطان والغلبة حتى تحملونا على الضلال وتقسروننا عليه وهذا من خطاب
الأتباع لرؤسائهم والغواة لشياطينهم بل لم تكونوا مؤمنين بل ابيتم انتم الايمان واعرضتم مع تمكنكم
به مختارين له على الكفر غير ملجئين وما كان لنا عليكم من سلطان تسلط نسلبكم به تمكنكم واختياركم
بل كنتم قوما طاغين مختارين الطغيان فحق علينا فلزمنا قول ربنا إنا لذائقون يعني وعيد الله بأنا ذائقون
لعذابه لا محالة لعلمه بحالنا واستحقاقنا بها العقوبة ولو حكى الوعيد كما هو لقال انكم لذائقون
ولكنه عدل به الى لفظ المتكلم لأنهم متكلمون بذلك عن انفسهم ونحوه قول القائل لقد زعمت هوازن
قل مالي ولو حكى قولها لقال قل مالك ومنه قول المحلف للحالف احلف لأخرجن ولتخرجن
الهمزة لحكاية لفظ الحالف والتاء لاقبال المحلف على المحلف فأغويناكم فدعوناكم الى الغي دعوة
محصلة للبغية لقبولكم لها واستحبابكم الغي على الرشد إنا كنا غاوين فأردنا اغواءكم لتكونوا امثالنا
فإنهم فإن الأتباع والمتبوعين جميعا يومئذ يوم القيامة في العذاب مشتركون كما كانوا مشتركين في الغواية
إنا كذلك مثل ذلك الفعل نفعل بالمجرمين بكل مجرم يعني ان سبب العقوبة هو الاجرام فمن ارتكبه استوجبه
إنهم كانوا اذا سمعوا بكلمة التوحيد نفروا واستكبروا وأبوا الا الشرك إذا قيل لهم لا اله الا الله يستكبرون
ويقولون أئنا لتاركوا آلهتنا لشاعر مجنون يعني محمدا صلى الله عليه وسلم بل جاء بالحق رد على المشركين
وصدق المرسلين كقوله مصدقا لما بين يديه وقرئ إنكم لذائقوا العذاب الأليم بالنصب على تقدير
النون كقوله ولا ذاكر الله الا قليلا وبتقديرها للتنوين وقرئ لذائقون على الأصل وما تجزون
إلا ما كنتم تعملون الا مثل ما عملتم جزاء سيئا بعمل سيئ إلا عباد الله المخلصين ولكن عباد الله
على الاستثناء المنقطع أولئك لهم رزق معلوم فواكه فسر الرزق المعلوم بالفواكه وهي كل
ما يتلذذ به ولا يتقوت لحفظ الصحة يعني ان رزقهم كله فواكه لأنهم مستغنون عن حفظ الصحة
بالأقوات بأنهم أجسام محكمة مخلوقة للأبد فكل ما يأكلونه يأكلونه على سبيل التلذذ ويجوز
ان يراد رزق معلوم منعوت بخصائص خلق عليها من طيب طعم ورائحة ولذة وحسن منظر
وقيل معلوم الوقت كقوله ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا وعن قتادة الرزق المعلوم الجنة وقوله
في جنات يأباه وقوله وهم مكرمون هو الذي يقوله العلماء في حد الثواب على سبيل التعظيم والمدح
وهو من أعظم ما يجب ان تتوق اليه نفوس ذوي الهمم كما ان من اعظم ما يجب ان تنفر عنه نفوسهم
هوان أهل النار وصغارهم في جنات النعيم على سرر متقابلين يطاف عليهم بكأس التقابل أتم للسرور

وآنس وقيل لا ينظر بعضهم الى قفا بعض يقال للزجاجة فيها الخمر كأس وتسمى الخمر نفسها كأسا قال
وكأس شربت على لذة وعن الأخفش كل كأس في القرآن فهي الخمر وكذا في تفسير ابن عباس من معين من شراب
معين او من نهر معين وهو الجاري على وجه الأرض الظاهر للعيون وصف بما يوصف به الماء لأنه يجري في
الجنة في أنهار كما يجري الماء قال الله تعالى وأنهار من خمر بيضاء صفة للكأس لذة اما ان توصف باللذة
كأنها نفس اللذة وعينها او هي تأنيث اللذ يقال لذ الشيء فهو لذ ولذيذ ووزنه فعل كقولك رجل
طب قال ولذ كطعم الصرخدي تركته بأرض العدى من خشية الحدثان يريد النوم لا
فيها غول ولا هم عنها ينزفون الغول من غاله يغوله غولا اذا اهلكه وافسده ومنه الغول التي في تكاذيب
العرب وفي امثالهم الغضب غول الحلم وينزفون على البناء للمفعول من نزف الشارب اذا ذهب عقله
ويقال للسكران نزيف ومنزوف ويقال للمطعون نزف فمات اذا خرج دمه كله ونزحت الركية
حتى نزفتها اذا لم يترك فيها ماء وفي امثالهم اجبن من المنزوف ضرطا وقرئ ينزفون من أنزف
الشارب اذا ذهب عقله او شرابه قال لعمري لئن أنزفتم او صحوتم لبئس الندامى كنتم آل أبجرا
ومعناه صار ذا نزف ونظيره اقشع السحاب وقشعته الريح واكب الرجل وكببته وحقيقتهما
دخلا في القشع والكب وفي قراءة طلحة بن مصرف ينزفون بضم الزاي من نزف ينزف كقرب
يقرب اذا سكر والمعنى لا فيها فساد قط من انواع الفساد التي تكون في شرب الخمر من
مغص وصداع او خمار او عربدة او لغو او تأثيم او غير ذلك ولا هم يسكرون وهو اعظم مفاسدها
فأفرده وأفرده بالذكر وعندهم قاصرات الطرف عين قصرن ابصارهن على ازواجهن لا يمددن
طرفا الى غيرهم كقوله تعالى عربا والعين النجل العيون كأنهن بيض مكنون شبههن ببيض
النعام المكنون في الأداحي وبها تشبه العرب النساء وتسميهن بيضات الخدور
علام عطف قوله فأقبل بعضهم على بعض على يطاف عليهم والمعنى يشربون فيتحادثون
على الشراب كعادة الشرب قال وما بقيت من اللذات الا احاديث الكرام على المدام فيقبل
بعضهم على بعض يتساءلون عما جرى لهم وعليهم في الدنيا الا انه جيء به ماضيا على عادة الله في اخباره
قال قائل منهم اني كان لي قرين يقول أئنك لمن المصدقين أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا قرئ من
المصدقين من التصديق ومن المصدقين من مشدد الصاد من التصدق وقيل نزلت في رجل تصدق
بماله لوجه الله فاحتاج فاستجدى بعض اخوانه فقال واين مالك قال تصدقت به ليعوضني
الله في الآخرة خيرا منه فقال أئنك من المصدقين بيوم الدين او من المتصدقين لطلب الثواب

والله لا أعطيك شيئاً. لمدينون: لمجزيون، من الدين وهو الجزاء، أو لمسوسون مربوبون، يقال دانه ساسه، ومنه الحديث: العاقل من دان نفسه. قال يعني ذلك القائل: هل أنتم مطلعون إلى النار لأريكم ذلك القرين. قيل إن في الجنة كوى ينظر أهلها منها إلى أهل النار، وقيل القائل الله عز وجل، وقيل بعض الملائكة يقول لأهل الجنة: هل تحبون أن تطلعوا فتعلموا أين منزلتكم من منزلة أهل النار. وقرئ مطلعون فاطّلع، وفاطّلع بالتشديد على لفظ الماضي والمضارع المنصوب، ومُطلِعون فأُطلع، وفأطلع بالتخفيف على لفظ الماضي والمضارع المنصوب، يقال طلع علينا فلان واطّلع وأطلع بمعنى واحد، والمعنى هل أنتم مطلعون إلى القرين فأطّلع أنا أيضاً، أو عرض عليهم الاطلاع فاعترضوه فاطّلع هو بعد ذلك، وإن جعلت الإطلاع من أطلعه غيره، فالمعنى أنه لما شرط في اطلاعه اطلاعهم وهو من آداب المجالسة أن لا يستبد بشيء دون جلسائه فكأنهم مطلعوه. وقيل الخطاب على هذا للملائكة. وقرئ مطلعونِ بكسر النون، أراد مطلعون إياي، فوضع المتصل موضع المنفصل كقوله: هم الفاعلون الخير والآمرونه، أو شبّه اسم الفاعل في ذلك بالمضارع لتآخ بينهما، كأنه قال تطلعون، وهو ضعيف لا يقع إلا في الشعر. في سواء الجحيم: في وسطها، يقال تعبت حتى انقطع سوائي. وعن أبي عبيدة قال لي عيسى بن عمر: كنت أكتب يا أبا عبيدة حتى ينقطع سوائي. قال تالله إن كدت لتردين، وإن مخففة من الثقيلة، وهي تدخل على كاد كما تدخل على كان، ونحوه إن كاد ليضلنا، واللام هي الفارقة بينها وبين النافية، والإرداء الإهلاك، وفي قراءة عبد الله لتغوين. ونعمة ربي هي العصمة والتوفيق في الاستمساك بعروة الإسلام والبراءة من قرين السوء، أو إنعام الله بالثواب وكونه من أهل الجنة. لكنت من المحضرين: من الذين أحضروا العذاب كما أحضرته أنت وأمثالك. الذي عطفت عليه الفاء محذوف، معناه أنحن مخلدون منعمون فما نحن بميتين ولا معذبين. وقرئ بمائتين. والمعنى أن هذه حال المؤمنين وصفتهم وما قضى الله به لهم للعلم بأعمالهم أن لا يذوقوا إلا الموتة الأولى، بخلاف الكفار فإنهم فيما يتمنون فيه الموت كل ساعة. قيل لبعض الحكماء: ما شر من الموت؟ قال: الذي يتمنى فيه الموت. يقوله المؤمن تحدثاً بنعمة الله واغتباطاً بحاله وبمسمع من قرينه ليكون توبيخاً له يزيد به تعذباً، وليحكيه الله فيكون لنا لطفاً وزاجراً. ويجوز أن يكون قولهم جميعاً، وكذلك قوله: وما نحن بمعذبين إن هذا لهو الفوز العظيم، أي إن هذا الأمر الذي نحن فيه. وقيل هو من قول الله عز وجل تقريراً لقولهم وتصديقاً لقوله. وقرئ: لهو الرزق العظيم، وهو ما رزقوه من السعادة. لمثل هذا فليعمل العاملون. تمت قصة المؤمن وقرينه، ثم رجع إلى ذكر الرزق المعلوم فقال: أذلك الرزق خير نزلاً أي خير

حاصلاً أم شجرة الزقوم. وأصل النزل الفضل والريع في الطعام، يقال طعام كثير النزل، فاستعير للحاصل من الشيء، وحاصل الرزق المعلوم اللذة والسرور، وحاصل شجرة الزقوم الألم والغم. وانتصاب نزلاً على التمييز، ولك أن تجعله حالاً كما تقول أثمر النخلة خير بلحاً أم رطباً، يعني أن الرزق المعلوم نزل أهل الجنة، وأهل النار نزلهم شجرة الزقوم، فأيهما خير في كونه نزلاً. والنزل ما يقام للنازل بالمكان من الرزق، ومنه أنزال الجند لأرزاقهم، كما يقال لما يقام لساكن الدار السكن. ومعنى الأول أن للرزق المعلوم نزلاً ولشجرة الزقوم نزلاً، فأيهما خير نزلاً. ومعلوم أنه لا خير في شجرة الزقوم، ولكن المؤمنين لما اختاروا ما أدى إلى الرزق المعلوم، واختار الكافرون ما أدى إلى شجرة الزقوم، قيل لهم ذلك توبيخاً على سوء اختيارهم. إنا جعلناها فتنة للظالمين: محنة وعذاباً لهم في الآخرة، أو ابتلاءً لهم في الدنيا، وذلك أنهم قالوا كيف يكون في النار شجرة والنار تحرق الشجر، فكذبوا. وقيل منبتها في قعر جهنم وأغصانها ترتفع إلى دركاتها. والطلع للنخلة، فاستعير لما طلع من شجرة الزقوم من حملها، إما استعارة لفظية أو معنوية. كأنه رؤوس الشياطين، وشبه برؤوس الشياطين دلالة على تناهيه في الكراهة وقبح المنظر، لأن الشيطان مكروه مستقبح في طباع الناس لاعتقادهم أنه شر محض لا يخلطه خير، فيقولون في القبيح الصورة كأنه وجه شيطان، كأنه رأس شيطان، وإذا صوره المصورون جاؤوا بصورته على أقبح ما يقدر وأهوله، كما أنهم اعتقدوا في الملك أنه خير محض لا شر فيه فشبهوا به الصورة الحسنة، قال الله تعالى: ما هذا بشراً إن هذا إلا ملك كريم. وهذا تشبيه تخييلي. وقيل الشيطان حية عرفاء قبيحة المنظر هائلة جداً. وقيل إن شجراً يقال له الأستن خشناً منتناً مراً منكر الصورة يسمى ثمره رؤوس الشياطين، وما سمت العرب هذا الثمر برؤوس الشياطين إلا قصداً إلى أحد التشبيهين، ولكنه بعد التسمية بذلك رجع أصلاً ثالثاً يشبه به. فإنهم لآكلون منها: من الشجرة، أي من طلعها. فمالئون بطونهم لما يغلبهم من الجوع الشديد، أو يقسرون على أكلها وإن كرهوها ليكون باباً من العذاب، فإذا شبعوا غلبهم العطش فيسقون شراباً من غساق أو صديد، ثم إن لهم عليها لشوباً من حميم: شوبه أي مزاجه من حميم يشوي وجوههم ويقطع أمعاءهم، كما قال في صفة أصحاب الجنة: ومزاجه من تسنيم. وقرئ لشوباً بالضم، وهو اسم ما يشاب به، والأول تسمية بالمصدر. ما معنى حرف التراخي في قوله ثم إن لهم عليها لشوباً، وفي قوله ثم إن مرجعهم؟ في الأول وجهان: أحدهما أنهم يملؤون البطون من شجر الزقوم وهو حار يحرق بطونهم ويعطشهم، فلا يسقون إلا بعد ملي تعذباً بذلك العطش

ثم يسقون عليه من ماء حميم وهو الشراب المشوب بالحميم والثاني انه ذكر الطعام بتلك الكراهة والبشاعة ثم ذكر
الشراب بما هو اكره وابشع فجاء بثم للدلالة على تراخي حال الشراب عن حال الطعام ومباينة صفته
لصفته في الزيادة عليه ومعنى الثالث انهم يذهب بهم عن مقارهم ومنازلهم في الجحيم وهي الدركات التي
اسكنوها الى شجرة الزقوم فياكلون الى ان يتملأوا ويسقون بعد ذلك ثم يرجعون الى دركاتهم ومعنى
التراخي في ذلك بين وقرئ ثم ان منقلبهم ثم ان مصيرهم ثم ان منقلبهم لالى الجحيم انهم الفوا آباءهم
ضالين فهم على آثارهم يهرعون علل استحقاقهم للوقوع في تلك الشدائد كلها بتقليد الآباء في الدين واتباعهم
اياهم على الضلال وترك اتباع الدليل والاهراع الاسراع الشديد كانهم يحثون حثا وقيل اسراع
فيه شبه بالرعدة ولقد ضل قبلهم اكثر الاولين ولقد ارسلنا فيهم منذرين قبل قومك قريش منذرين انبياء
حذروهم العواقب فانظر كيف كان عاقبة المنذرين الذين انذروا وحذروا واي اهلكوا جميعا الا عباد الله
المخلصين الذين آمنوا منهم واخلصوا لله دينهم او اخلصهم الله لدينه على القراءتين ولقد نادانا نوح فلنعم
المجيبون ونجيناه واهله من الكرب العظيم وجعلنا ذريته لما ذكر ارسال المنذرين في الامم الخالية
وسوء عاقبة المنذرين اتبع ذلك ذكر نوح ودعائه اياه حين ايس من قومه واللام الداخلة على
نعم جواب قسم محذوف والمخصوص بالمدح محذوف وتقديره فوالله لنعم المجيبون نحن والجمع دليل
العظمة والكبرياء والمعنى انا اجبناه احسن الاجابة واوصلها الى مراده وبغيته من نصرته
على اعدائه والانتقام منهم بابلغ ما يكون هم الباقين هم الذين بقوا وحدهم وقد فني غيرهم فقد
روي انه مات كل من كان معه في السفينة غير ولده وهم الذين بقوا متناسلين الى يوم القيمة
قال قتادة الناس كلهم من ذرية نوح وكان لنوح عليه السلام ثلثة اولاد سام وحام ويافث
فسام ابو العرب وفارس والروم وحام ابو السودان من المشرق الى المغرب ويافث ابو الترك
ويأجوج ومأجوج وتركنا عليه في الآخرين من الامم هذه الكلمة وهي سلام على نوح يعني يسلمون عليه
تسليما ويدعون له وهو من الكلام المحكي كقولك قرأت سورة انزلناها فما معنى قوله
في العالمين معناه الدعاء بثبوت هذه التحية فيهم جميعا وان لا يخلو احد منهم منها كانه
قيل ثبت الله التسليم على نوح وادامه في الملائكة والثقلين يسلمون عليه عن آخرهم انا كذلك نجزي
المحسنين انه من عبادنا المؤمنين ثم اغرقنا الآخرين علل مجازاة نوح عليه السلام بتلك الكرامة السنية
من تبقية ذكره وتسليم العالمين عليه الى آخر الدهر بانه كان محسنا ثم علل كونه محسنا بانه كان عبدا
مؤمنا ليريك جلالة محل الايمان وانه القصارى من صفات المدح والتعظيم ويرغبك في تحصيله

والازدياد منه وان من شيعته لابراهيم اذ جاء ربه من شيعته ممن شايعه على اصول الدين وان اختلفت
شرائعهما او شايعه على التصلب في دين الله ومصابرة المكذبين ويجوز ان يكون بين شريعتيهما
اتفاق في اكثر الاشياء وعن ابن عباس من اهل دينه وعلى سنته وما كان بين نوح وابراهيم الا نبيان
هود وصالح وكان بين نوح وابراهيم الفان وستمائة واربعون سنة بم تعلق الظرف
قلت بما في الشيعة من معنى المشايعة يعني وان ممن شايعه على دينه وتقواه حين جاء ربه بقلب سليم
لابراهيم او بمحذوف وهو اذكر بقلب سليم من جميع آفات القلوب وقيل من الشرك ولا معنى للتخصيص
لانه مطلق فليس بعض الآفات اولى من بعض فيتناولها كلها ما معنى المجيء بقلبه ربه
قلت معناه انه اخلص لله قلبه وعرف ذلك منه فضرب المجيء مثلا لذلك اذ قال لابيه وقومه ماذا تعبدون
أئفكا آلهة دون الله تريدون أئفكا مفعول له تقديره أتريدون آلهة من دون الله افكا وانما قدم المفعول
على الفعل للعناية وقدم المفعول له على المفعول به لانه كان الاهم عنده ان يكافحهم بانهم على افك وباطل
في شركهم ويجوز ان يكون مفعولا به يعني أتريدون افكا ثم فسر الافك بقوله آلهة من دون
الله على انها افك في انفسها ويجوز ان يكون حالا يعني أتريدون آلهة من دون الله آفكين فما ظنكم
برب العالمين فنظر نظرة بمن هو الحقيق بالعبادة لان من كان ربا للعالمين استحق عليهم ان يعبدوه
حتى تركتم عبادته الى عبادة الاصنام والمعنى انه لا يقدر في وهم ولا ظن ما يصد عن عبادته او
فما ظنكم اي شيء هو من الاشياء حتى جعلتم الاصنام له اندادا او فما ظنكم به ماذا يفعل بكم
وكيف يعاقبكم وقد عبدتم غيره في النجوم في علم النجوم او في كتابها او في احكامها وعن بعض الملوك
انه سئل عن مشتهاه فقال حبيب انظر اليه ومحتاج انظر له وكتاب انظر فيه كان القوم
نجامين فاوهمهم انه استدل بامارة في علم النجوم على انه يسقم فقال اني سقيم فتولوا عنه مدبرين
اي مشارف للسقم وهو الطاعون وكان اغلب الاسقام عليهم وكانوا يخافون العدوى ليتفرقوا
عنه فهربوا منه الى عيدهم وتركوه في بيت الاصنام ليس معه احد ففعل بالاصنام ما فعل
كيف جاز له ان يكذب قلت قد جوزه بعض الناس في المكيدة في الحرب والتقية وارضاء
الزوج والصلح بين المتخاصمين والمتهاجرين والصحيح ان الكذب حرام الا اذا عرض وورى
والذي قاله ابراهيم صلوات الله عليه معراض من الكلام وقد نوى به ان من في عنقه الموت سقيم و
منه المثل كفى بالسلامة داء وقول لبيد فدعوت ربي بالسلامة جاهدا ليصحني فاذا السلامة داء
وقد مات رجل فجأة فالتف عليه الناس فقالوا مات وهو صحيح فقال اعرابي اصحيح من الموت في عنقه

وقيل اراد اني سقيم النفس لكفركم فراغ الى آلهتهم فذهب اليها في خفية من روغة الثعلب الى آلهتهم
الى اصنامهم التي هي في زعمهم آلهة كقوله اين شركائي فقال الا تأكلون ما لكم لا تنطقون استهزاء بها وبالانحطاط بها
عن حال عبدتها فراغ عليهم فاقبل عليهم مستخفيا كأنه قال فضربهم ضربا لان راغ عليهم في معنى ضربهم
او فراغ عليهم يضربهم ضربا او فراغ عليهم ضربا بمعنى ضاربا وقرئ صفقا وسفقا ومعناهما الضرب ومعنى
ضربا باليمين ضربا شديدا قويا لان اليمين اقوى الجارحتين واشدهما وقيل بالقوة والمتانة وقيل
بسبب الحلف وهو قوله تالله لاكيدن اصنامكم فاقبلوا اليه يزفون يسرعون من زفيف النعام
ويزفون من ازف اذا دخل في الزفيف او من ازفه اذا حمله على الزفيف اي يزف بعضهم بعضا
ويزفون على البناء للمفعول اي يحملون على الزفيف ويزفون من وزف يزف اذا اسرع ويزفون من
زفاه اذا حداه كأن بعضهم يزفو بعضا لتسارعهم اليه بين هذا وبين قوله تعالى من
فعل هذا بآلهتنا انه لمن الظالمين قالوا سمعنا فتى يذكرهم يقال له ابراهيم كالتناقض حيث ذكر
ههنا انهم ادبروا عنه خيفة العدوى فلما ابصروه يكسرهم اقبلوا اليه متبادرين ليكفوه ويوقعوا به
وذكر ثم انهم سألوا عن الكاسر حتى قيل لهم سمعنا ابراهيم يذمهم فلعله هو الكاسر ففي احدهما انهم شاهدوه
يكسرها وفي الآخر انهم استدلوا بذمه على انه الكاسر فيه وجهان احدهما ان يكون الذين
ابصروه وزفوا اليه نفرا منهم دون جمهورهم وكبرائهم فلما رجع الجمهور والعلية من عيدهم الى بيت
الاصنام ليأكلوا الطعام الذي وضعوه عندها لتبرك عليه ورأوها مكسورة اشمأزوا من ذلك وسألوا
من فعل هذا بها لم ينم عليه اولئك النفر نميمة صريحة ولكن على سبيل التورية والتعريض بقولهم سمعنا فتى
يذكرهم لبعض الصوارف والثاني ان يكسرها ويذهب ولا يشعر بذلك احد ويكون اقبالهم اليه يزفون
بعد رجوعهم عن عيدهم وسؤالهم عن الكاسر وقولهم فأتوا به على اعين الناس قال اتعبدون ما تنحتون
والله خلقكم وما تعملون يعني خلقكم وخلق ما تعملونه من الاصنام كقوله بل ربكم رب السموات والارض
الذي فطرهن اي فطر الاصنام كيف يكون الشيء الواحد مخلوقا لله معمولا لهم حيث
اوقع خلقه وعملهم عليها جميعا هذا كما يقال عمل النجار الباب والكرسي وعمل الصائغ
السوار والخلخال والمراد عمل اشكال هذه الاشياء وصورها دون جواهرها والاصنام جواهر
واشكال فخالق جواهرها الله وعاملوا اشكالها الذين يشكلونها بنحتهم وحذفهم بعض اجزائها
حتى يستوي التشكل الذي يريدونه فما انكرت ان يكون ما مصدرية لا موصولة ويكون المعنى
والله خلقكم وعملكم كما تقول المجبرة اقرب ما يبطل به هذا السؤال بعد بطلانه بحجج العقول

والكتاب ان معنى الآية يأباه اباء جليا وينبو عنه نبوا ظاهرا وذلك ان الله عز وجل قد احتج عليهم
بان العابد والمعبود جميعا خلق الله فكيف يعبد المخلوق المخلوق على ان العابد منهما هو الذي عمل صورة
المعبود وشكله ولولاه لما قدر ان يصور نفسه ويشكلها ولو قلت والله خلقكم وخلق عملكم لم يكن
محتجا عليهم ولا كان لكلامك طباق وشيء آخر وهو ان قوله ما تعملون ترجمة عن قوله ما تنحتون وما في
ما تنحتون موصولة لا مقال فيها فلا يعدل بها عن اختها الا متعسف متعصب لمذهبه من غير نظر في علم البيان
ولا تبصر لنظم القرآن اجعلها موصولة حتى لا يلزمني ما الزمت واريد وما تعملونه من اعمالكم
بل الالزامان في عنقك لا يفكهما الا الاذعان للحق وذلك انك وان جعلتها موصولة فانك في ارادتك
بها العمل غير محتج على المشركين كحالك وقد جعلتها مصدرية وايضا فانك قاطع بذلك الوصلة بين ما تعملون
وما تنحتون حيث تخالف بين المرادين بهما فتريد بما تنحتون الاعيان التي هي الاصنام وبما تعملون المعاني
التي هي الاعمال وفي ذلك فك النظم وتبتيره كما اذا جعلتها مصدرية قالوا ابنوا له بنيانا فالقوه في الجحيم فارادوا
به كيدا فجعلناهم الاسفلين الجحيم النار الشديدة الوقود وقيل كل نار على نار وجمر فوق جمر فهي جحيم والمعنى ان الله غلبه
عليهم في المقامين جميعا واذلهم بين يديه ارادوا ان يغلبوه بالحجة فلقنه الله والهمه ما القمهم به الحجر وقهرهم
فمالوا الى المكر فابطل الله مكرهم وجعلهم الاذلين الاسفلين لم يقدروا عليه وقال اني ذاهب اراد بذهابه الى
ربه مهاجرته الى حيث امره بالمهاجرة اليه من ارض الشام كما قال اني مهاجر الى ربي سيهدين سيرشدني الى
ما فيه صلاحي في ديني ويعصمني ويوفقني كما قال موسى عليه السلام كلا ان معي ربي سيهدين كأن الله وعده
وقال له ساهديك فاجرى كلامه على سنن موعد ربه او بناه على عادة الله معه في هدايته وارشاده او اظهر
بذلك توكله وتفويضه امره الى الله ولو قصد الرجاء لقال كما قال موسى عليه السلام عسى ربي ان يهديني
سواء السبيل رب هب لي من الصالحين هب لي بعض الصالحين يريد الولد لان لفظ الهبة غلب في الولد
وان كان قد جاء في الاخ في قوله تعالى ووهبنا له من رحمتنا اخاه هرون نبيا قال عز وجل ووهبنا
له اسحق ويعقوب ووهبنا له يحيى وقال علي بن ابي طالب رضي الله عنه لابن عباس حين هنأه بولده
علي ابي الاملاك شكرت الواهب وبورك لك في الموهوب ولذلك وقعت التسمية بهبة الله وبموهوب و
وهب وموهب وقد انطوت البشارة على ثلاث على ان الولد غلام ذكر وانه يبلغ اوان الحلم وانه يكون
حليما واي حلم اعظم من حلمه حين عرض عليه ابوه الذبح فقال ستجدني ان شاء الله من الصابرين ثم استسلم
لذلك وقيل ما نعت الله الانبياء عليهم السلام باقل مما نعتهم بالحلم وذلك لعزة وجوده ولقد نعت الله به ابراهيم
في قوله ان ابراهيم لاواه حليم ان ابراهيم لحليم اواه منيب لان الحادثة شهدت بحلمهما جميعا فلما بلغ ان يسعى معه

مثل المشي الى الجبل او شب حتى بلغ سعيه سعي ابيه
والمعنى بلغ ان يتصرف معه ويعينه في عمله

فى اشغاله وحوائجه ... معه السعي بم يتعلق ... لا يخلو ان يتعلق ببلغ او بالسعي او بمحذوف
فلا يصح تعلقه ببلغ لاقتضائه بلوغهما معا حد السعي ولا بالسعي لان صلة المصدر لا يتقدم عليه فبقي ان
يكون بيانا كانه لما قال فلما بلغ السعي اى الحد الذى يقدر فيه على السعي قيل مع من فقال مع ابيه و
المعنى فى اختصاص الاب لانه ارفق الناس به واعطفهم عليه وغيره ربما عنف به فى الاستسعاء فلا يحتمله
لانه لم تستحكم قوته ولم يصلب عوده وكان اذ ذاك ابن ثلث عشرة سنة والمراد انه على غضاضة
سنه وتقلبه فى حد الطفولة كان فيه من رصانة الحلم وفسحة الصدر ما جرأه على احتمال تلك البلية
العظيمة والاجابة بذلك الجواب الحكيم انى فى المنام فقيل له اذبح ابنك ورؤيا الانبياء وحى كالوحى فى
اليقظة فلهذا قال انى ارى فى المنام انى اذبحك فذكر تأويل الرؤيا كما تقول الممتحن وقد راى انه
راكب فى سفينة رايت فى المنام انى ناج من هذه المحنة وقيل راى ليلة التروية كان قائلا يقول له
ان الله يأمرك بذبح ابنك هذا فلما اصبح روى فى ذلك من الصباح الى الرواح امن الله هذا الحلم ام من
الشيطان فمن ثم سمى يوم التروية فلما امسى راى مثل ذلك فعرف انه من الله فمن ثم سمى يوم عرفة ثم
راى مثله فى الليلة الثالثة فهم بنحره فسمى اليوم يوم النحر وقيل ان الملائكة بشرته بغلام
عليم قال هو اذن ذبيح الله فلما ولد وبلغ حد السعي معه قيل له اوف بنذرك فانظر ماذا ترى
من الرأى على وجه المشاورة وقرئ ماذا ترى اى ماذا تبصر من رأيك وتبديه وماذا ترى على البناء للمفعول
اى ماذا تريك نفسك من الرأى قال يا ابت افعل ما تؤمر ستجدنى ان شاء الله من الصابرين افعل ما تؤمر اى
ما تؤمر به فحذف الجار كما حذف من قوله امرتك الخير فافعل ما امرت به او امرك على اضافة
المصدر الى المفعول وتسمية المأمور به امرا وقرئ ما تؤمر به ... لم شاوره فى امر هو حتم
من الله ... لم يشاوره ليرجع الى رأيه ومشورته ولكن ليعلم ما عنده فيما نزل به من بلاء الله
فيثبت قدمه ويصبره ان جزع ويأمن عليه الزلل ان صبر وسلم وليعلمه حتى يراجع نفسه فيوطنها
ويهون عليها ويلقى البلاء وهو كالمستأنس به ويكتسب المثوبة بالانقياد لامر الله قبل نزوله ولان
المغافصة بالذبح مما يستسمج وليكون سنة فى المشاورة فقد قيل لو شاور آدم الملائكة فى اكله
من الشجرة لما فرط منه ذلك ... لم كان ذلك فى المنام دون اليقظة ... كما ارى يوسف
عليه السلام سجود ابويه واخوته له فى المنام من غير وحى الى ابيه وكما وعد رسول الله صلى الله عليه وسلم
دخول المسجد الحرام فى المنام وما سوى ذلك من منامات الانبياء وذلك لتقوية الدلالة على كونهم صادقين
مصدوقين لان الحال اما حال يقظة او حال منام فاذا تظاهرت الحالتان على الصدق كان ذلك اقوى

للدلالة من انفراد احدهما ... فلما اسلما يقال سلم لامر الله واسلم واستسلم بمعنى واحد وقد قرئ بهن جميعا
اذا انقاد له وخضع واصلها من قولك سلم هذا لفلان اذا خلص له ومعناه سلم من ان ينازع فيه وقولهم
سلم لامر الله واسلم منقولان منه وحقيقة معناهما اخلص نفسه لله وجعلها سالمة له خالصة و
كذلك معنى استسلم استخلص نفسه لله وعن قتادة فى اسلما اسلم هذا ابنه وهذا نفسه وتله للجبين
صرعه على شقه فوقع احد جنبيه على الارض تواضعا على مباشرة الامر بصبر وجلد ليرضيا الرحمن و
يخزيا الشيطان وروى ان ذلك المكان عند الصخرة التى بمنى وعن الحسن فى الموضع المشرف على مسجد منى
وعن الضحاك فى المنحر الذى ينحر فيه اليوم ... اين جواب لما ... هو محذوف تقديره فلما
اسلما وتله للجبين وناديناه ان يا ابرهيم قد صدقت الرؤيا كان ما كان مما ينطق به الحال ولا يحيط به الوصف
من استبشارهما واغتباطهما وحمدهما لله وشكرهما على ما انعم به عليهما من دفع البلاء العظيم بعد حلوله
وما اكتسبا فى تضاعيفه بتوطين الانفس عليه من الثواب والاعواض ورضوان الله الذى ليس وراءه
مطلوب وقوله انا كذلك نجزى المحسنين تعليل لتخويل ما خولهما من الفرج بعد الشدة والظفر بالبغية
بعد اليأس ان هذا لهو البلاء المبين الاختبار البين الذى يتميز فيه المخلصون من غيرهم او المحنة
البينة الصعوبة التى لا محنة اصعب منها وفديناه بذبح عظيم وتركنا عليه فى الآخرين سلام على ابرهيم
الذبح اسم ما يذبح وعن ابن عباس هو الكبش الذى قربه هابيل فتقبل منه وكان يرعى فى الجنة
حتى فدى به اسمعيل وعن الحسن فدى بوعل اهبط عليه من ثبير وعن ابن عباس لو تمت تلك
الذبيحة لصارت سنة وذبح الناس ابناءهم عظيم ضخم الجثة سمين وهى السنة فى الاضاحى
وقوله عليه السلام استسمنوا ضحاياكم فانها على الصراط مطاياكم وقيل لانه وقع فداء لولد ابرهيم
وروى انه هرب من ابرهيم عند الجمرة فرماه بسبع حصيات حتى اخذه فبقيت سنة فى الرمى وروى
انه رمى الشيطان حين تعرض له بالوسوسة عند ذبح ولده وروى انه لما ذبحه قال جبريل الله اكبر
الله اكبر فقال الذبيح لا اله الا الله والله اكبر فقال ابرهيم الله اكبر ولله الحمد فبقى سنة و
يحكى فى قصة الذبيح انه حين اراد ذبحه قال يا بنى خذ الحبل والمدية وانطلق بنا الى
الشعب نحتطب فلما توسطا شعب ثبير اخبره بما امر فقال له اشدد رباطى لا اضطرب و
اكفف عنى ثيابك لا ينتضح عليها شىء من دمى فينتقص اجرى وتراه امى فتحزن واشحذ شفرتك
واسرع امرارها على حلقى حتى تجهز على ليكون اهون فان الموت شديد واقرأ على امى سلامى
وان رأيت ان ترد قميصى على امى فافعل فانه عسى ان يكون اسهل لها فقال ابرهيم نعم العون انت

يا بنيّ بامر الله ثم اقبل عليه يقبّله وقد ربطه وهما يبكيان ثم وضع السكين على حلقه فلم يعمل لان الله ضرب صفيحة نحاس على حلقه فقال له كبّني على وجهي فانك اذا نظرت في وجهي رحمتني وادركتك رقّة تحول بينك وبين امر الله ففعل ثم وضع السكين على قفاه فانقلب السكين ونودي يا ابرهيم قد صدّقت الرؤيا فنظر فاذا جبريل معه كبش اقرن املح فكبّر جبريل والكبش وابرهيم وابنه واتى المنحر من منى وقيل لما وصل موضع السجود الى الارض جاء الفرج وقد استشهد ابو حنيفة رحمه الله بهذه الاية فيمن نذر ذبح ولده انه يلزمه ذبح شاة من كان الذبيح من ولديه قد اختلف فيه فعن ابن عباس وابن عمر ومحمد بن كعب القرظي وجماعة من التابعين انه اسمعيل والحجة فيه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال انا ابن الذبيحين وقال له اعرابي يا ابن الذبيحين فتبسم فسئل عن ذلك فقال ان عبد المطلب لما حفر بئر زمزم نذر لله لئن سهّل الله له امرها ليذبحنّ احد ولده فخرج السهم على عبد الله فمنعه اخواله وقالوا له افد ابنك بمائة من الابل ففداه بمائة من الابل والثاني اسمعيل وعن محمد بن كعب القرظي قال كان مجتهد بني اسرائيل يقول اذا دعا اللهم اله ابرهيم واسمعيل و اسرائيل فقال موسى يا رب ما لمجتهد بني اسرائيل اذا دعا قال اللهم اله ابرهيم واسمعيل واسرائيل وانا بين اظهرهم قد اسمعتني كلامك واصطفيتني برسالتك قال يا موسى لم يحبّني حبّ ابرهيم قط ولا خيّر بيني وبين شيء قط الا اختارني واما اسمعيل فانه جاد بدم نفسه واما اسرائيل فانه لم ييأس من روحي في شدّة نزلت به ويدل عليه ان الله تعالى لما اتمّ قصة الذبيح قال وبشّرناه باسحق وعن محمد بن كعب انه قال لعمر بن عبد العزيز هو اسمعيل فقال عمر ان هذا شيء ما كنت انظر فيه واني لاراه كما قلت ثم ارسل الى يهودي قد اسلم فسأله فقال ان اليهود لتعلم انه اسمعيل ولكنهم يحسدونكم معشر العرب ويدل عليه ان قرني الكبش كانا منوطين في الكعبة في ايدي بني اسمعيل الى ان احترق البيت وعن الاصمعي قال سألت ابا عمرو بن العلاء عن الذبيح فقال يا اصيمعي اين عزب عنك عقلك ومتى كان اسحق بمكة وانما كان اسمعيل بمكة وهو الذي بنى البيت مع ابيه والمنحر بمكة ومما يدل عليه ان الله عز وجل وصفه بالصبر دون اسحق في قوله واسمعيل وادريس وذا الكفل كل من الصابرين وهو صبره على الذبح ووصفه بصدق الوعد في قوله انه كان صادق الوعد لانه وعد اباه من نفسه الصبر على الذبح فوفى به ولان الله بشّره باسحق ومن وراء اسحق يعقوب فلو كان الذبيح اسحق لكان خلفا للموعد في يعقوب وعن علي بن ابي طالب وابن مسعود والعباس وعطاء وعكرمة وجماعة من التابعين انه اسحق والحجة فيه ان الله تعالى اخبر عن خليله ابرهيم حين هاجر الى الشام

فكيف يأمره بذبح اسحق وقد وعد له بنافلة منه

بانه استوهبه ولدا ثم اتبع ذلك البشارة بغلام حليم ثم ذكر رؤياه بذبح ذلك الغلام المبشر به ويدل عليه كتاب يعقوب الى يوسف من يعقوب اسرائيل الله ابن اسحق ذبيح الله ابن ابرهيم خليل الله قد اوحي الى ابرهيم صلوات الله عليه في المنام بان يذبح ولده ولم يذبح وقيل له قد صدّقت الرؤيا وانما كان يصدّقها لو صحّ منه الذبح ولم يصحّ قد بذل وسعه وفعل ما يفعل الذابح من بطحه على شقّه وامرار الشفرة على حلقه ولكن الله سبحانه جاء بما منع الشفرة ان تمضي فيه وهذا لا يقدح في فعل ابرهيم الا ترى انه لا يسمّى عاصيا ولا مفرّطا بل يسمّى مطيعا ومجتهدا كما لو مضت فيه الشفرة وفرت الاوداج وانهرت الدم وليس هذا من ورود النسخ على المأمور به قبل الفعل ولا قبل اوان الفعل في شيء كما يسبق الى بعض الاوهام حتى يشتغل بالكلام فيه الفادي الله تعالى هو المفتدى منه لانه الآمر بالذبح فكيف يكون فاديا حتى قال وفديناه هو ابرهيم عليه السلام والله تعالى وهب الكبش ليفدي به وانما قال وفديناه اسنادا للفداء الى السبب الذي هو الممكّن من الفداء بهبته فاذا كان ما اتى به ابرهيم من البطح وامرار الشفرة في حكم الذبح فما معنى الفداء والفداء انما هو التخليص من الذبح ببدل قد علم الله ان حقيقة الذبح لم تحصل من فري الاوداج وانهار الدم فوهب الله له الكبش ليقيم ذبحه مقام تلك الحقيقة حتى لا تحصل تلك الحقيقة في نفس اسمعيل ولكن في نفس الكبش بدلا منه اي فائدة في تحصيل تلك الحقيقة وقد استغنى عنها بقيام ما وجد من ابرهيم مقام الذبح من غير نقصان الفائدة في ذلك ان يوجد ما منع منه في بدله حتى يكمل منه الوفاء بالمنذور وايجاد المأمور من كل وجه لم قيل هنا كذلك نجزي المحسنين وفي غيرها من القصص انا كذلك قد سبقه في هذه القصة انا كذلك وكانما استخف بطرحه اكتفاء بذكره مرّة عن ذكره ثانية انه من عبادنا المؤمنين وبشّرناه باسحق نبيا من الصالحين نبيا حال مقدّرة كقوله ادخلوها خالدين فرق بين هذا وبين قوله فادخلوها خالدين وذلك ان المدخول موجود مع وجود الدخول والخلود غير موجود معهما فقدّرت مقدّرين الخلود فكان مستقيما وليس كذلك المبشّر به فانه معدوم وقت وجود البشارة وعدم المبشّر به اوجب عدم حاله لا محالة لان الحال حلية والحلية لا تقوم الا بالمحلّى وهذا المبشّر به الذي هو اسحق حين وجد لم توجد النبوة ايضا بوجوده بل تراخت عنه مدّة متطاولة فكيف يجعل نبيا حالا مقدّرة والحال صفة الفاعل والمفعول عند وجود الفعل منه او به فالخلود وان لم يكن صفتهم عند دخول الجنة فتقديرها صفتهم لان المعنى

قيل جعل مصدقا لانه قد اتى بما امكنه والمطلوب استلامهما لامر الله وقد فعلا وقيل كان رأى في المنام معالجة الذبح ولم ير اراقة الدم وقد فعل في اليقظة ما رأى في النوم فلذلك قال صدقت الرؤيا

من جعل الذبيح اسمعيل قال بشّر بعد هذه القصة باسحق نبيا جزاء لطاعته ومن جعل الذبيح اسحق قال بشّر ابرهيم بنبوة اسحق وقيل بشّر مرتين حين ولد وحين بعث

مقضيا نبوته مقدرا كونه وبهذا الاعتبار وقعا حالين ولا حاجة الى وجود المبشر به وقت البشارة فان وجود ذي الحال غير شرط بل الشرط مقارنة تعلق الفعل به لاعتبار المعنى به الحال فلا حاجة الى تقدير مضاف يجعل عاملا فيهما مثل وبشرناه بوجود اسحق اي بان يوجد اسحق نبيا من الصالحين ومع ذلك لا يصير نظير قوله فادخلوها خالدين فان الداخلين مقدرين خلودهم وقت الدخول واسحق لم يكن مقدرا نبوة نفسه وصلاحها حيثما يوجد ومن فسر الكلام باسحق جعل المقصود من البشارة نبوته وفي ذكر الصلاح بعد النبوة تعظيم لشأنه وايماء بانه الغاية لها لتضمنها معنى الكمال و التكميل بالفعل على الاطلاق

مقدرين الخلود وليس كذلك النبوة فانه لا سبيل الى ان تكون موجودة او مقدرة وقت وجود البشارة باسحق لعدم اسحق هذا سؤال دقيق السلك ضيق المسلك والذي يحل الاشكال انه لابد من تقدير مضاف محذوف وذلك قوله وبشرناه بوجود اسحق نبيا اى بان يوجد مقدرة نبوته فالعامل في الحال الوجود لا فعل البشارة وبذلك يرجع نظير قوله تعالى فادخلوها خالدين من الصالحين حال ثانية وورودها على سبيل الثناء والتقريظ لان كل نبي لابد ان يكون من الصالحين وعن قتادة بشره الله بنبوة اسحق بعد ما امتحنه بذبحه وهذا جواب من يقول الذبيح اسحق لصاحبه عن تعلقه بقوله وبشرناه باسحق قالوا ولا يجوز ان يبشره الله بمولده ونبوته معا لان الامتحان بذبحه لا يصح مع علمه بانه سيكون نبيا وباركنا عليه وعلى اسحق ومن ذريتهما وقرئ وبركنا اى افضنا عليهما بركات الدين والدنيا كقوله وآتيناه اجره في الدنيا وانه في الآخرة لمن الصالحين وقيل باركنا على ابرهيم في اولاده وعلى اسحق بان اخرجنا انبياء بني اسرائيل من صلبه وقوله محسن وظالم لنفسه نظيره قال ومن ذريتي قال لا ينال عهدي الظالمين وفيه تنبيه على ان الخبث والطيب لا يجري امرهما على العرق والعنصر فقد يلد البر الفاجر والفاجر البر وهذا مما يهدم امر الطبائع والعناصر وعلى ان الظلم في اعقابهما لم يعد عليهما بعيب ولا نقيصة وان المرء انما يعاب بسوء فعله ويعاتب على ما اجترحت يداه لا على ما وجد من اصله او فرعه مبين ولقد مننا على موسى وهرون ونجيناهما وقومهما من الكرب العظيم من الغرق او من سلطان فرعون وقومه وغشمهم ونصرناهم فكانوا هم الغالبين الضمير لهما ولقومهما في قوله ونجيناهما وقومهما وآتيناهما الكتاب المستبين البليغ في بيانه وهو التورية كما قال انا انزلنا التورية فيها هدى ونور وقال من جوز ان يكون التورية عربية ان يشتق من ورى الزند فوعلة منه على ان التاء مبدلة من واو وهديناهما الصراط المستقيم صراط اهل الاسلام وهي صراط الذين انعم الله عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين وتركنا عليهما في الآخرين سلام على موسى وهرون انا كذلك نجزي المحسنين انهما من عبادنا المؤمنين وان الياس لمن المرسلين اذ قال لقومه الا تتقون اتدعون بعلا وتذرون احسن الخالقين قرئ الياس بكسر الهمزة والياس على لفظ الوصل وقيل هو ادريس النبي وقرأ ابن مسعود وان ادريس في موضع الياس وقرئ ادراس وقيل هو الياس بن ياسين من ولد هرون اخي موسى اتدعون بعلا اتعبدون بعلا وهو علم لصنم كان لهم كمناة وهبل وقيل كان من ذهب وكان طوله عشرين ذراعا وله اربعة اوجه فتنوا به وعظموه حتى اخدموه اربعمائة سادن وجعلوهم انبياءه فكان الشيطان

يدخل في جوف بعل ويتكلم بشريعة الضلالة والسدنة يحفظونها ويعلمونها الناس وهم اهل بعلبك من بلاد الشام وبه سميت مدينتهم بعلبك وقيل البعل الرب بلغة اليمن يقال من بعل هذه الدار اى من ربها والمعنى اتعبدون بعض البعول وتتركون عبادة الله الله ربكم ورب آبائكم الاولين فكذبوه فانهم لمحضرون الا عباد الله المخلصين وتركنا عليه في الآخرين سلام على الياسين انا كذلك نجزي المحسنين انه من عبادنا المؤمنين وان لوطا لمن المرسلين اذ نجيناه واهله اجمعين الا عجوزا في الغابرين ثم دمرنا الآخرين قرئ بالرفع على الابتداء وبالنصب على البدل وكان حمزة اذا وصل نصب واذا وقف رفع وقرئ على الياسين وادريسين وادراسين وادرسين على انها لغات في الياس وادريس ولعل لزيادة الياء والنون في السريانية معنى وقرئ على الياسين بالوصل على انه جمع يراد به الياس وقومه كقولهم الخبيبون والمهلبون فهلا حملت على هذا الياسين على القطع واخواته لو كان جمعا لعرف بالالف واللام واما من قرأ على آل ياسين فعلى ان ياسين اسم ابي الياس اضيف اليه الآل وانكم لتمرون عليهم مصبحين داخلين في الصباح يعني تمرون على منازلهم في متاجركم الى الشام ليلا ونهارا فما فيكم عقول تعتبرون بها وبالليل افلا تعقلون وان يونس لمن المرسلين اذ ابق الى الفلك المشحون فساهم فكان من المدحضين قرئ يونس بضم النون وكسرها وسمي هربه من قومه بغير اذن ربه اباقا على طريقة المجاز والمساهمة المقارعة ويقال استهم القوم اذا اقترعوا والمدحض المغلوب المقروع وحقيقته المزلق عن مقام الظفر والغلبة وروى انه حين ركب في السفينة وقفت فقالوا هاهنا عبد آبق من سيده وفيما يزعم البحارون ان السفينة اذا كان فيها آبق لم تجر فاقترعوا فخرجت القرعة على يونس فقال انا الآبق وزج بنفسه في الماء فالتقمه الحوت وهو مليم داخل في الملامة يقال رب لائم مليم اى يلوم غيره وهو احق منه باللوم وقرئ مليم بفتح الميم من ليم فهو مليم كما جاء مشيب في مشوب مبنيا على شيب ونحوه مدعي بناء على دعي فلولا انه كان من المسبحين من الذاكرين الله كثيرا بالتسبيح والتقديس وقيل هو قوله في بطن الحوت لا اله الا انت سبحانك اني كنت من الظالمين وقيل من المصلين وعن ابن عباس كل تسبيح في القرآن فهو صلوة وعن قتادة كان كثير الصلوة في الرخاء قال وكان يقال ان العمل الصالح يرفع صاحبه اذا عثر واذا صرع وجد متكأ وهذا ترغيب من الله عز وجل في اكثار المؤمن من ذكره بما هو اهله واقباله على عبادته وجمع همه لتقييد نعمته بالشكر في وقت المهلة والفسحة لينفعه ذلك عنده في المضايق والشدائد للبث في بطنه الظاهر لبثه فيه حيا الى يوم يبعثون البعث وعن قتادة لكان

بطن الحوت له قبرا الى يوم القيمة وروى انه حين ابتلعه اوحى الله الى الحوت انى جعلت بطنك له سجنا ولم اجعله لك طعاما واختلف فى مقدار لبثه فعن الكلبى اربعون يوما وعن الضحاك عشرون وعن عطاء سبعة وعن بعضهم ثلثة وعن الحسن لم يلبث الا قليلا ثم اخرج من بطنه بعيد الوقت الذى التقم فيه وروى ان الحوت سار مع السفينة رافعا راسه يتنفس فيه يونس ويسبح ولم يفارقهم حتى انتهوا الى البر فلفظه سالما لم يتغير منه شىء فاسلموا وروى ان الحوت قذفه بساحل قرية من الموصل والعراء المكان الخالى لا شجر فيه ولا شىء يغطيه وهو سقيم اعتل مما حل به وروى انه عاد بدنه كبدن الصبى حين يولد وانبتنا عليه شجرة من يقطين واليقطين كل ما ينسدح على وجه الارض ولا يقوم على ساق كشجر البطيخ والقثاء والحنظل وهو يفعيل من قطن بالمكان اذا اقام به وقيل هو الدباء وفائدة الدباء ان الذباب لا يجتمع عنده وقيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم انك لتحب القرع قال اجل هى شجرة اخى يونس وقيل هى التين وقيل شجرة الموز تغطى بورقها واستظل باغصانها وافطر على ثمارها وقيل كان يستظل بالشجرة وكانت وعلة تختلف اليه فيشرب من لبنها وروى انه مر زمان على الشجرة فيبست فبكى جزعا فاوحى اليه بكيت على شجرة ولا تبكى على مائة الف فى يد الكافر

ما معنى انبتنا عليه شجرة انبتناها فوقه مظلة له كما يطنب البيت على الانسان

وارسلناه الى مائة الف المراد به ما سبق من ارساله الى قومه وهم اهل نينوى وقيل هو ارسال ثان بعد ما جرى عليه الى الاولين او الى غيرهم وقيل اسلموا فسالوه ان يرجع اليهم فابى لان النبى اذا هاجر عن قومه لم يرجع اليهم مقيما فيهم وقال لهم ان الله باعث اليكم نبيا او يزيدون فى مراى الناظر اى اذا راها الراى قال هى مائة الف او اكثر والغرض الوصف بالكثرة فامنوا فمتعناهم الى حين الى اجل مسمى وقرئ ويزيدون بالواو وحتى حين فاستفتهم الربك البنات ولهم البنون معطوف على مثله فى اول السورة وان تباعدت بينهما المسافة امر رسوله باستفتاء قريش عن وجه انكار البعث اولا ثم ساق الكلام موصولا بعضه ببعض ثم امره باستفتائهم عن وجه القسمة الضيزى التى قسموها حيث جعلوا لله الاناث ولانفسهم الذكور فى قولهم الملائكة بنات الله مع كراهتهم الشديدة لهن ووادهم واستنكافهم من ذكرهن وقد ارتكبوا ثلثة انواع من الكفر احدها التجسيم لان الولادة مختصة بالاجسام والثانى تفضيل انفسهم على ربهم حين جعلوا اوضع الجنسين له وارفعهما لهم كما قال واذا بشر احدهم بما ضرب للرحمن مثلا ظل وجهه مسودا وهو كظيم او من ينشؤا فى الحلية وهو فى الخصام غير مبين والثالث انهم استهانوا باكرم خلق الله واقربهم اليه حيث

انثوهم ولو قيل لاقلهم وادناهم فيك انوثة او شكلك شكل النساء للبس لقائله جلد النمر ولانقلبت حماليقه وذلك فى اهاجيهم بين مكشوف فكرر الله سبحانه الانواع كلها مرات ودل على فظاعتها فى ايات وقالوا اتخذ الرحمن ولدا لقد جئتم شيئا ادا تكاد السموات يتفطرن منه وقالوا اتخذ الرحمن ولدا سبحانه بديع السموات والارض انى يكون له ولد الا انهم من افكهم ليقولون ولد الله وجعلوا له من عباده جزءا ويجعلون لله البنات سبحانه ولهم ما يشتهون ام له البنات ولكم البنون ويجعلون لله ما يكرهون اصطفى البنات على البنين ام اتخذ مما يخلق بنات واصفاكم بالبنين وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا ام خلقنا الملائكة اناثا وهم شاهدون لم قال وهم شاهدون فخص علم المشاهدة ما هو الا استهزاء بهم وتجهيل وكذلك قوله اشهدوا خلقهم ونحوه ما اشهدتهم خلق السموات والارض ولا خلق انفسهم وذلك انهم كما لم يعلموا ذلك بطريق المشاهدة لم يعلموا بخلق الله علمه فى قلوبهم ولا باخبار صادق ولا بطريق استدلال ونظر ويجوز ان يكون المعنى انهم يقولون ذلك كالقائل قولا عن ثلج صدر وطمانينة نفس لافراط جهلهم كانهم قد شاهدوا خلقهم الا انهم من افكهم ليقولون ولد الله وانهم لكاذبون وقرئ ولد الله اى الملائكة ولده والولد فعل بمعنى مفعول يقع على الواحد والجمع والمذكر والمؤنث تقول هذه ولدى وهؤلاء ولدى اصطفى البنات على البنين بفتح الهمزة استفهام على طريقة الانكار والاستبعاد فكيف صحت قراءة ابى جعفر بكسر الهمزة على الاثبات جعله من كلام الكفرة بدلا عن قولهم ولد الله وقد قرا بها حمزة والاعمش وهذه القراءة وان كان هذا محملها فهى ضعيفة والذى اضعفها ان الانكار قد اكتنف هذه الجملة من جانبيها وذلك قوله وانهم لكاذبون ما لكم كيف تحكمون افلا تذكرون فمن جعلها للاثبات فقد اوقعها دخيلة بين نسيبين وقرئ تذكرون من ذكر ام لكم سلطان مبين اى حجة نزلت عليكم من السماء وخبر بان الملائكة بنات الله فاتوا بكتابكم ان كنتم صادقين الذى انزل عليكم اى ذلك كقوله ام انزلنا عليهم سلطانا فهو يتكلم بما كانوا به يشركون وهذه الايات صادرة عن سخط عظيم وانكار فظيع واستبعاد لاقاويلهم شديد وما الاساليب التى وردت عليها الا ناطقة بتسفيه احلام قريش وتجهيل نفوسها واستركاك عقولها مع استهزاء وتهكم وتعجب من ان يخطر مخطر مثل ذلك على بال ويحدث به نفسا فضلا ان يجعله معتقدا ويتظاهر به مذهبا وجعلوا بينه وبين الجنة واراد الملائكة نسبا وهو زعمهم انهم بناته والمعنى وجعلوا بما قالوا نسبة بين الله وبينهم واثبتوا له بذلك جنسية جامعة له وللملائكة لم سميت الملائكة جنة

قالوا الجنس واحد ولكن من خبث من الجن ومرد وكان شرا كله فهو شيطان ومن طهر منهم ونسك
وكان خيرا كله فهو ملك فذكرهم في هذا الموضع باسم جنسهم وانما ذكرهم بهذا الاسم وضعا منهم وتقصيرا
بهم وان كانوا معظمين في انفسهم ان يبلغوا منزلة المناسبة التي اضافوها اليهم وفيه اشارة الى ان من
صفته الاجتنان والاستتار وهو من صفات الاجرام لا يصلح ان يناسب من لا يجوز عليه ذلك ومثاله
ان تسوي بين الملك وبين بعض خواصه ومقربيه فيقول لك اتسوي بيني وبين عبدي واذا ذكره
في غير هذا المقام وقره وكناه والضمير في ولقد علمت الجنة انهم لمحضرون للكفرة والمعنى انهم يقولون
ما يقولون في الملائكة وقد علم الملائكة انهم في ذلك كاذبون مفترون وانهم محضرون النار معذبون
بما يقولون والمراد المبالغة في التكذيب حيث اضيف الى علم الذين ادعوا لهم تلك النسبة وقيل قالوا ان
الله صاهر الجن فخرجت الملائكة وقيل قالوا ان الله والشيطان اخوان وعن الحسن اشركوا الجن
في طاعة الله ويجوز اذا فسر الجنة بالشياطين ان يكون الضمير في انهم لمحضرون لهم والمعنى ان الشياطين
عالمون ان الله يحضرهم النار ويعذبهم ولو كانوا مناسبين له او شركاء في وجوب الطاعة لما عذبهم
سبحان الله عما يصفون الا عباد الله المخلصين استثناء منقطع من المحضرين معناه ولكن المخلصين ناجون
وسبحان الله اعتراض بين الاستثناء وبين ما وقع منه ويجوز ان يقع الاستثناء من الواو في يصفون
اي يصفه هؤلاء بذلك ولكن المخلصين برآء من ان يصفوه به والضمير في عليه لله عز وجل ومعناه
فانكم ومعبودكم ما انتم وهم جميعا بفاتنين على الله الا اصحاب النار الذين سبق في علمه انهم بسوء اعمالهم
يستوجبون ان يصلوها كيف يفتنونهم على الله يفسدونهم عليه باغوائهم واستهوائهم
من قولهم فتن فلان على فلان امرأته كما تقول افسدها عليه وخببها عليه ويجوز ان يكون الواو في و
ما تعبدون بمعنى مع مثلها في قولهم كل رجل وضيعته فكما جاز السكوت على كل رجل وضيعته وان
كل رجل وضيعته جاز ان يسكت على قوله فانكم وما تعبدون لان قوله وما تعبدون ساد مسد الخبر
لان معناه فانكم مع ما تعبدون والمعنى فانكم مع آلهتكم اي فانكم قرناؤهم واصحابهم لا تبرحون
تعبدونها ثم قال ما انتم عليه اي على ما تعبدون بفاتنين بباعثين او حاملين على طريق الفتنة والاضلال
الا من هو صال الجحيم ضال مثلكم او يكون في اسلوب قوله فانك والكتاب الى علي كدابغة وقد حلم الاديم
وقرأ الحسن صال الجحيم بضم اللام وفيه ثلاثة اوجه احدها ان يكون جمعا وسقوط واوه
لالتقاء الساكنين هي ولام التعريف كيف استقام الجمع مع قوله من هو من
موحد اللفظ مجموع المعنى فحمل هو على لفظه والصالون على معناه كما حمل في مواضع من التنزيل على

لفظ من ومعناه في آية واحدة والثاني ان يكون اصله صائل على القلب ثم يقال صال في صائل كقولهم شاك
في شائك والثالث ان تحذف لام صال تخفيفا ويجرى الاعراب على عينه كما حذفت من قولهم ما باليت به
بالة واصلها بالية من بالى كعافية من عافى ونظيره قراءة من قرأ وجنى الجنتين دان وله الجوار المنشآت
باجراء الاعراب على العين وما منا الا له مقام معلوم فحذف الموصوف واقيمت الصفة مقامه
كقوله انا ابن جلا وطلاع الثنايا بكفي كان من ارمى البشر مقام معلوم في العبادة والانتهاء الى امر
الله مقصور عليه لا يتجاوزه كما روي فمنهم راكع لا يقيم صلبه وساجد لا يرفع راسه وانا لنحن الصافون نصف
اقدامنا في الصلاة او اجنحتنا في الهواء منتظرين ما نؤمر وقيل نصف اجنحتنا حول العرش داعين للمؤمنين
وقيل ان المسلمين اصطفوا في الصلاة منذ نزلت هذه الآية وليس يصطف احد من اهل الملل في صلاتهم
غير المسلمين وانا لنحن المسبحون المنزهون او المصلون والوجه ان يكون هذا وما قبله من قوله سبحان
الله عما يصفون من كلام الملائكة حتى يتصل بذكرهم في قوله ولقد علمت الجنة كانه قيل ولقد علم الملائكة
وشهدوا ان المشركين مفترون عليهم في مناسبة رب العزة وقالوا سبحان الله فنزهوه عن ذلك و
استثنوا عباد الله المخلصين وبرأوهم منه وقالوا للكفرة فاذا صح ذلك فانكم وآلهتكم لا تقدرون
ان تفتنوا على الله احدا من خلقه وتضلوه الا من كان مثلكم ممن علم الله لكفرهم لا لتقديره وارادته تعالى
الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا انهم من اهل النار وكيف نكون مناسبين لرب العزة ويجمعنا و
اياه جنسية واحدة وما نحن الا عبيد اذلاء بين يديه لكل منا مقام من الطاعة لا يستطيع ان يزل
عنه ظفرا خشوعا لعظمته وتواضعا لجلاله ونحن الصافون اقدامنا لعبادته واجنحتنا مذعنين
خاضعين مسبحين ممجدين وكما يجب على العباد لربهم وقيل هو من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم يعني
وما من المسلمين احد الا له مقام معلوم يوم القيمة على قدر عمله من قوله تعالى عسى ان يبعثك ربك مقاما
محمودا ثم ذكر اعمالهم وانهم الذين يصطفون في الصلوة ويسبحون الله وينزهونه عما يضيف اليه من
لا يعرفه مما لا يجوز عليه وان كانوا ليقولون هم مشركو قريش كانوا يقولون لو ان عندنا ذكرا من الاولين
لكنا عباد الله المخلصين اي كتابا من كتب الاولين الذين نزل عليهم التوراة والانجيل لاخلصنا العبادة
لله ولما كذبنا كما كذبوا ولا خالفنا كما خالفوا فجاءهم الذكر الذي هو سيد الاذكار والكتاب الذي هو
معجز من بين الكتب فكفروا به ونحوه فلما جاءهم نذير ما زادهم الا نفورا فسوف يعلمون مغبة تكذيبهم
وما يحل بهم من الانتقام وان هي المخففة من الثقيلة واللام هي الفارقة وفي ذلك انهم كانوا يقولونه
مؤكدين للقول جادين فيه فكم بين اوله وآخره ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين الكلمة قوله انهم

لهم المنصورون وإن جندنا لهم الغالبون وإنما سماها كلمة وهي كلمات عدة لأنها لما انتظمت في معنى واحد كانت في حكم كلمة مفردة وقرئ كلماتنا والمراد الوعد بعلوهم على عدوهم في مقام الحجاج وملاحم القتال في الدنيا وعلوهم عليهم يوم القيامة كما قال تعالى والذين اتقوا فوقهم يوم القيمة ولا يلزم انهزامهم في بعض المشاهد وما جرى عليهم من القتل فإن الغلبة كانت لهم ولمن بعدهم في العاقبة وكفى بمشاهد رسول الله صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين مثلاً يحتذى عليها وعبرة يعتبر بها وعن الحسن ما غلب نبي في حرب ولا قتل فيها ولأن قاعدة أمرهم وأساسه والغالب منه الظفر والنصرة وإن وقع في تضاعيف ذلك شوب من الابتلاء والمحنة والحكم للغالب وعن ابن عباس إن لم ينصروا في الدنيا نصروا في الآخرة وفي قراءة ابن مسعود على عبادنا على تضمين سبقت معنى حقت فتول عنهم فأعرض عنهم وأغض عما هم حتى حين إلى مدة يسيرة وهي مدة الكف عن القتال وعن السدي إلى يوم بدر وقيل إلى الموت وقيل إلى يوم القيمة وأبصرهم وما يقضى عليهم من الأسر والقتل والعذاب في الآخرة فسوف يبصرونك وما يقضى لك من النصرة والتأييد والثواب في العاقبة والمراد بالأمر بإبصارهم على الحال المنتظرة الموعودة الدلالة على أنها كائنة واقعة لا محالة وأن كينونتها قريبة كأنها قدام ناظريك وفي ذلك تسلية له وتنفيس عنه وقوله فسوف يبصرون للوعيد كما سلف لا للتبعيد أفبعذابنا يستعجلون فإذا نزل بساحتهم فإذا نزل العذاب النازل بهم بعدما أنذروه فأنكروه بجيش أنذر بهجومه قومه بعض نصاحهم فلم يلتفتوا إلى إنذاره ولا أخذوا أهبتهم ولا دبروا أمرهم تدبيراً ينجيهم حتى أناخ بفنائهم بغتة فشن عليهم الغارة وقطع دابرهم وكانت عادة مغاويرهم أن يغيروا صباحاً فسميت الغارة صباحاً وإن وقعت في وقت آخر وما فصحت هذه الآية ولا كانت لها الروعة التي تحس بها ويروقك موردها على نفسك وطبعك إلا لمجيئها على طريقة التمثيل وقرأ ابن مسعود فبئس صباح وقرئ نزل بساحتهم على إسناده إلى الجار والمجرور كقولك ذهب بزيد ونزل على ونزل العذاب والمعنى فساء صباح المنذرين صباحهم واللام في المنذرين مبهم في جنس من أنذروا لأن ساء وبئس يقتضيان ذلك وقيل هو نزول رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الفتح بمكة وعن أنس أنه لما أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم خيبر وكانوا خارجين إلى مزارعهم ومعهم المساحي قالوا محمد والخميس ورجعوا إلى حصنهم فقال عليه السلام الله أكبر خربت خيبر إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين وتول عنهم حتى حين وأبصر فسوف يبصرون ليكون تسلية على تسلية وتأكيداً لوقوع الميعاد إلى تأكيد وفيه فائدة زائدة وهي إطلاق الفعلين معاً عن التقييد بالمفعول وأنه يبصر وهم يبصرون ما لا يحيط به الذكر من صنوف المسرة وأنواع المساءة وقيل أريد بأحدهما عذاب الدنيا وبالآخر عذاب

سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين أضيف الرب إلى العزة لاختصاصه بها كأنه قيل ذو العزة كما تقول صاحب صدق لاختصاصه بالصدق ويجوز أن يراد أنه ما من عزة إلا وهو ربها ومالكها كقوله تعز من تشاء اشتملت السورة على ذكر ما قاله المشركون في الله ونسبوا إليه مما هو منزه عنه وما عاناه المرسلون من جهتهم وما خولوه في العاقبة من النصرة عليهم فختمها بجوامع ذلك من تنزيه ذاته عما وصفه به المشركون والتسليم على المرسلين والحمد لرب العالمين على ما قيض لهم من حسن العواقب والغرض تعليم المؤمنين أن يقولوا ذلك ولا يخلوا به ولا يغفلوا عن مضمنات كتابه الكريم ومودعات قرآنه المجيد وعن علي رضي الله عنه من أحب أن يكتال بالمكيال الأوفى من الأجر يوم القيمة فليكن آخر كلامه إذا قام من مجلسه سبحان ربك إلى آخر السورة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ والصافات أعطي من الأجر عشر حسنات بعدد كل جني وشيطان وتباعدت عنه مردة الشياطين وبرئ من الشرك وشهد له حافظاه يوم القيمة أنه كان مؤمناً

سورة ص مكية وهي ست وثمانون وقيل ثمان وثمانون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

صاد على الوقف وهي قراءة الأكثر وقرئ بالكسر والفتح لالتقاء الساكنين ويجوز أن ينتصب بحذف حرف القسم وإيصال فعله كقولهم الله لأفعلن بالنصب أو بإضمار حرف القسم والفتح في موضع الجر كقولهم الله لأفعلن بالجر وامتناع الصرف للتعريف والتأنيث لأنها بمعنى السورة وقد صرفها من قرأ صاد بالجر والتنوين على تأويل الكتاب والتنزيل وقيل فيمن كسر هو من المصاداة وهي المعارضة والمعادلة ومنها الصدى وهو ما يعارض الصوت في الأماكن الخالية من الأجسام الصلبة ومعناه عارض القرآن بعملك فاعمل بأوامره وانته عن نواهيه

قوله ص والقرآن ذي الذكر بل الذين كفروا في عزة وشقاق كلام ظاهره متناف غير منتظم فما وجه انتظامه فيه وجهان أحدهما أن يكون قد ذكر اسم هذا الحرف من حروف المعجم على سبيل التحدي والتنبيه على الإعجاز كما مر في أول الكتاب ثم أتبعه القسم محذوف الجواب لدلالة التحدي عليه كأنه قال والقرآن ذي الذكر إنه لكلام معجز والثاني أن يكون ص خبر مبتدأ محذوف على أنها اسم للسورة كأنه قال هذه ص يعني هذه السورة التي أعجزت العرب والقرآن ذي الذكر كما تقول هذا حاتم والله تريد هذا هو المشهور بالسخاء والله وكذلك إذا أقسم بها كأنه قال أقسمت بصاد والقرآن ذي الذكر إنه لمعجز ثم قال بل الذين كفروا في عزة واستكبار عن الإذعان لذلك والاعتراف بالحق وشقاق لله ورسوله وإذا جعلتها مقسماً بها وعطفت عليها والقرآن ذي الذكر

جاز لك ان تريد بالقرآن التنزيل كله وان تريد السورة بعينها ومعناه اقسم بالسورة الشريفة و
القرآن ذى الذكر كما تقول مررت بالرجل الكريم وبالنسمة المباركة ولا تريد بالنسمة غير الرجل والذكر
الشرف والشهرة من قولك فلان مذكور وانه لذكر لك ولقومك او الذكرى والموعظة او ذكر
ما يحتاج اليه فى الدين من الشرايع وغيرها كاقاصيص الانبياء والوعد والوعيد والتنكير فى عزة وشقاق
للدلالة على شدتهما وتفاقمهما وقرئ فى غرة اى فى غفلة عما يجب عليهم من النظر واتباع الحق كم اهلكنا
من قبلهم من قرن وعيد لذوى العزة والشقاق فنادوا فدعوا واستغاثوا وعن الحسن فنادوا
بالتوبة ولات هى لا المشبهة بليس زيدت تاء التانيث كما زيدت على رب وثم للتوكيد وتغير بذلك
حكمها حيث لم تدخل الا على الاحيان ولم يبرز الا احد مقتضييها اما الاسم واما الخبر وامتنع بروزهما
جميعا وهذا مذهب الخليل وسيبويه وعند الاخفش انها لا النافية للجنس زيدت عليها التاء و
خصت بنفى الاحيان وحين مناص منصوب بها كانك قلت ولا حين مناص لهم وعنه ان ما ينتصب
بعده بفعل مضمر اى ولا ارى حين مناص ويرتفع بالابتداء اى ولا حين مناص كائن لهم وعندهما ان
النصب على ولات الحين حين مناص اى وليس الحين حين مناص والرفع على ولات حين مناص حاصلا
لهم وقرئ حين مناص بالكسر ومثله قول ابى زبيد الطائى طلبوا صلحنا ولات اوان
فاجبنا ان لات حين بقاء ما وجه الكسر فى اوان شبه باذ فى قوله
وانت اذ صحيح فى انه زمان قطع منه المضاف اليه وعوض التنوين لان الاصل ولات اوان صلح
فان قلت فما تقول فى حين مناص والمضاف اليه قائم قلت نزل قطع المضاف اليه من مناص
لان اصله حين مناصهم منزلة قطعه من حين لاتحاد المضاف والمضاف اليه وجعل تنوينه عوضا
من الضمير المحذوف ثم بنى الحين لكونه مضافا الى غير متمكن وقرئ ولات بكسر التاء على البناء كجير
فان قلت كيف يوقف على لات قلت يوقف عليها بالتاء كما تقف على الفعل الذى يتصل به
تاء التانيث واما الكسائى فيقف بالهاء كما يقف على الاسماء المؤنثة واما قول ابى عبيد ان
التاء داخلة على حين فلا وجه له واستشهاده بان التاء ملتزقة بحين فى الامام لا متشبث به
فكم وقعت فى المصحف اشياء خارجة عن قياس الخط والمناص المنجا والفوت يقال ناصه ينوصه
اذا فاته واستناص طلب المناص قال حارثة بن بدر غمر الجراء اذا قصرت عنانه
بيدى استناص ورام جرى المسحل وعجبوا ان جاءهم منذر منهم رسول من انفسهم وقال الكافرون
هذا ساحر كذاب ولم يقل وقالوا اظهارا للغضب عليهم ودلالة على ان هذا القول لا يجسر عليه

الا الكافرون المتوغلون فى الكفر المنهمكون فى الغى الذين قال فيهم اولئك هم الكافرون حقا وهل ترى
كفرا اعظم وجهلا ابلغ من ان يسموا من صدقه الله بوحيه كاذبا ويتعجبوا من التوحيد وهو الحق الذى
لا يصح غيره ولا يتعجبوا من الشرك وهو الباطل الذى لا وجه لصحته روى ان اسلام عمر رضى الله عنه
فرح به المؤمنون فرحا شديدا وشق على قريش وبلغ منهم فاجتمع خمسة وعشرون نفسا من صناديدهم
ومشوا الى ابى طالب وقالوا انت شيخنا وكبيرنا وقد علمت ما فعل هؤلاء السفهاء يريدون الذين دخلوا
فى الاسلام وجئناك لتقضى بيننا وبين ابن اخيك فاستحضر ابو طالب رسول الله وقال يا ابن اخى هؤلاء
قومك يسألونك السؤال فلا تمل كل الميل على قومك فقال صلى الله عليه وسلم ماذا تسألوننى قالوا ارفضنا
وارفض ذكر آلهتنا وندعك والهك فقال ارايتم ان اعطيتكم ما سألتم امعطى انتم كلمة واحدة
تملكون بها العرب وتدين لكم بها العجم قالوا نعم وعشرا اى نعطيكها وعشر كلمات معها فقال قولوا لا اله الا
الله فقاموا وقالوا اجعل الآلهة الها واحدا ان هذا لشىء عجاب اى بليغ فى العجب وقرئ عجاب بالتشديد
كقوله مكرا كبارا وهو ابلغ من المخفف ونظيره كريم وكرام وكرام وقوله اجعل الآلهة الها واحدا
مثل قوله وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا فى ان معنى الجعل التصيير فى القول على سبيل
الدعوى والزعم كانه قال اجعل الجماعة واحدا فى قوله لان ذلك فى الفعل محال وانطلق الملأ منهم ان
الملأ اشراف قريش يريد وانطلقوا عن مجلس ابى طالب بعد ما بكتهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجواب
العتيد قائلين بعضهم لبعض امشوا واصبروا فلا حيلة لكم فى دفع امر محمد ان هذا الامر لشىء يراد اى يريده
الله تعالى ويحكم بامضائه وما اراد الله كونه فلا مرد له ولا ينفع فيه الا الصبر او ان هذا الامر
لشىء من نوائب الدهر يراد بنا فلا انفكاك لنا منه او ان دينكم لشىء يراد اى يطلب ليؤخذ منكم
وتغلبوا عليه وان بمعنى اى لان المنطلقين عن مجلس التقاول لا بد لهم من ان يتكلموا ويتفاوضوا فيما
جرى لهم فكان انطلاقهم مضمنا معنى القول ويجوز ان يراد بالانطلاق الاندفاع فى القول وانهم
قالوا امشوا اى اكثروا واجتمعوا من مشت المراة اذا كثرت ولادتها ومنه الماشية للتفاؤل
كما قيل لها الفاشية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ضموا فواشيكم والمعنى واصبروا على آلهتكم
واصبروا على عبادتها والتمسك بها حتى لا تزالوا عنها وقرئ وانطلق الملأ منهم امشوا بغير ان على اضمار
القول وعن ابن مسعود وانطلق الملأ منهم يمشون ان اصبروا ما سمعنا بهذا فى الملة الآخرة فى ملة عيسى
التى هى آخر الملل لان النصارى يدعونها وهم مثلثة غير موحدة او فى ملة قريش التى ادركنا
عليها آباءنا او ما سمعنا بهذا كائنا فى الملة الآخرة على ان يجعل فى الملة الآخرة حالا من هذا ولا تعلقه

يعنى يجوز ان يكون حالا من هذا
اى ما سمعنا من اهل الكتاب
ولا الكهان بالتوحيد
كائنا فى الملة المترقبة

بما سمعنا كما في الوجهين والمعنى انا لم نسمع من اهل الكتاب ولا من الكهان انه يحدث في الملة الآخرة توحيد
الله ما هذا الا اختلاق اي افتعال وكذب انكروا ان يختص بالشرف من بين اشرافهم ورؤسائهم وينزل عليه
الكتاب من بينهم كما قالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم وهذا الانكار ترجمة عما كانت
تغلي به صدورهم من الحسد على ما اوتي من شرف النبوة من بينهم أأنزل عليه الذكر من بيننا بل هم في شك
من القرآن يقولون في انفسهم اما واما وقولهم ان هذا الا اختلاق كلام مخالف لاعتقادهم فيه يقولونه
على سبيل الحسد من ذكري بل لما يذوقوا عذاب بعد واذا ذاقوه زال عنهم ما بهم من الشك والحسد يعني
انهم لا يصدقون به الا ان يمسهم العذاب مضطرين الى تصديقه ام عندهم خزائن رحمة ربك يعني ما هم
بمالكي خزائن الرحمة حتى يصيبوا بها من شاؤا ويصرفوها عمن شاؤا ويتخيروا للنبوة بعض صناديدهم
ويترفعوا بها عن محمد عليه السلام وانما الذي يملك الرحمة وخزائنها العزيز القاهر على خلقه
الوهاب الكثير المواهب المصيب بها مواقعها الذي يقسمها على ما تقتضيه حكمته وعدله كما قال اهم يقسمون
رحمة ربك نحن قسمنا ثم رشح هذا المعنى فقال ام لهم ملك السموات والارض وما بينهما حتى يتكلموا في الامور
الربانية والتدابير الالهية التي تختص بها رب العزة والكبرياء ثم تهكم بهم غاية التهكم فقال وان
كانوا يصلحون لتدبير الخلائق والتصرف في قسمة الرحمة وكانت عندهم الحكمة التي يميزون بها بين من
هو حقيق بايتاء النبوة دون من لا تحق له فليرتقوا في الاسباب فليصعدوا في المعارج والطرق التي
يتوصل بها الى العرش حتى يستووا عليه ويدبروا امر العالم وملكوت الله وينزلوا الوحي الى من
يختارون ويستصوبون ثم خسأهم خساءة عن ذلك بقوله جند ما هنالك مهزوم من الاحزاب يريد ما هم
الا جند من الكفار المتحزبين على رسل الله مهزوم مكسور عما قريب فلا تبال بما يقولون ولا تكترث
بما به يهذون وما مزيدة وفيها معنى الاستعظام كما في قول امرئ القيس وحديث ما على قصره
الا انه على سبيل الهزء وهنالك اشارة الى حيث وضعوا فيه انفسهم من الانتداب لمثل ذلك القول العظيم
من قولهم لمن ينتدب لامر ليس من اهله لست هنالك كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وفرعون ذو الاوتاد
اصله من ثبات البيت المطنب باوتاده قال   والبيت لا يبتنى الا على عمد
ولا عماد اذا لم ترس اوتاد   واستعير لثبات العز والملك واستقامة الامر كما قال الاسود
في ظل ملك ثابت الاوتاد   وقيل كان يشبح المعذب بين اربع سوار كل طرف من اطرافه الى سارية
مضروب فيه وتد من حديد ويتركه حتى يموت وقيل كان يمده بين اربعة اوتاد في الارض ويرسل
عليه العقارب والحيات وقيل كانت له اوتاد وحبال يلعب بها بين يديه وثمود وقوم لوط واصحاب

الايكة اولئك الاحزاب قصد بهذه الاشارة الاعلام بان الاحزاب الذين جعل الجند المهزوم منهم هم
وانهم الذين وجد منهم التكذيب ولقد ذكر تكذيبهم اولا في الجملة الخبرية على وجه الابهام ثم جاء بالجملة
الاستثنائية فاوضحه فيها بان كل واحد من الاحزاب كذب جميع الرسل لانهم اذا كذبوا واحدا منهم فقد
كذبوهم جميعا ان كل الا كذب الرسل فحق عقاب وفي تكرير التكذيب وايضاحه بعد ابهامه والتنويع في
تكريره بالجملة الخبرية اولا وبالاستثنائية ثانيا وما في الاستثنائية من الوضع على سبيل التوكيد والتخصيص
انواع من المبالغة المسجلة عليهم باستحقاق اشد العذاب وابلغه ثم قال فحق عقاب اي فوجب
لذلك ان اعاقبهم حق عقابهم وما ينظر هؤلاء الا صيحة واحدة وهؤلاء اهل مكة ويجوز ان يكون اشارة
الى جميع الاحزاب لاستحضارهم بالذكر او لانهم كالحضور عند الله والصيحة النفخة ما لها من فواق
وقرئ بالضم ما لها من توقف مقدار فواق وهو ما بين حلبتي الحالب ورضعتي الراضع يعني اذا
جاء وقتها لم تستأخر هذا القدر من الزمان كقوله فاذا جاء اجلهم لا يستأخرون ساعة وعن ابن عباس
ما لها من رجوع وترداد من افاق المريض اذا رجع الى الصحة وفواق الناقة ساعة يرجع الدر الى
ضرعها يريد انها نفخة واحدة فحسب لا تثنى ولا تردد القط القسط من الشيء لانه قطعة منه
من قطه اذا قطعه ويقال لصحيفة الجائزة قط لانها قطعة من القرطاس وقد فسر بهما قوله تعالى
وقالوا ربنا عجل لنا قطنا قبل يوم الحساب عجل لنا قطنا اي نصيبنا من العذاب الذي وعدته كقوله
ويستعجلونك بالعذاب وقيل ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم وعد الله المؤمنين الجنة فقالوا
على سبيل الهزء عجل لنا نصيبنا منها او عجل لنا صحيفة اعمالنا ننظر فيها   كيف
تطابق قوله اصبر على ما يقولون وقوله واذكر عبدنا داود ذا الايد حتى عطف احدهما على صاحبه
كأنه قال لنبيه عليه السلام اصبر على ما يقولون وعظم معصية الله في اعينهم بذكر قصة
داود وهو انه نبي من انبياء الله قد اولاه ما اولاه من النبوة والملك لكرامته عليه وزلفته لديه
ثم زل زلة فبعث الله اليه الملائكة ووبخه عليها على طريق التمثيل والتعريض حتى فطن لما وقع فيه
فاستغفر واناب ووجد منه ما يحكى من بكائه الدائم وغمه الواصب ونقش جنايته في بطن كفه
حتى لا يزال يجدد الندم عليها فما الظن بكم مع كفركم ومعاصيكم او قال له صلى الله عليه وسلم اصبر على
ما يقولون وصن نفسك وحافظ عليها ان تزل فيما كلفت من مصابرتهم وتحمل اذاهم واذكر
اخاك داود وكرامته على الله كيف زل تلك الزلة اليسيرة فلقي من توبيخ الله وتظليمه ونسبته الى البغي
ما لقي ذا الايد ذا القوة في الدين المضطلع بمشاقه وتكاليفه كان على نهوضه باعباء النبوة والملك

يصوم يوما ويفطر يوما وهو اشد الصوم ويقوم نصف الليل يقال فلان ايد وذو ايد وذو آد واياد كل شيء ما يتقوى به اواب تواب رجاع الى مرضاة الله ما دلك على ان الايد القوة في الدين قوله تعالى انه اواب لانه تعليل لذي الايد والاشراق ووقت الاشراق وهو حين تشرق الشمس اى تضيء ويصفو شعاعها وهو وقت الضحى واما شروقها فطلوعها تقول شرقت الشمس ولما تشرق وعن ام هاني دخل علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فدعا بوضوء فتوضأ ثم صلى صلوة الضحى وقال يا ام هاني هذه صلوة الاشراق وعن طاوس عن ابن عباس قال هل تجدون ذكر صلوة الضحى في القرآن قالوا لا فقرأ انا سخرنا الجبال معه يسبحن بالعشي والاشراق وقال كانت صلوة يصليها داود عليه السلام وعنه ما عرفت صلوة الضحى الا بهذه الآية وعنه لم تزل في نفسي من صلوة الضحى شيء حتى طلبتها فوجدتها في هذه الآية يسبحن بالعشي والاشراق وكان لا يصلي صلوة الضحى ثم صلاها بعد وعن كعب انه قال لابن عباس اني لا اجد في كتب الله صلوة بعد طلوع الشمس فقال انا اوجدك ذلك في كتاب الله يعني هذه الآية ويحتمل ان يكون من اشرق القوم اذا دخلوا في الشروق ومنه قوله تعالى فاخذتهم الصيحة مشرقين وقول اهل الجاهلية اشرق ثبير ويراد وقت صلوة الفجر لانتهائه بالشروق ويسبحن في معنى مسبحات على الحال هل من فرق بين يسبحن ومسبحات نعم وما اختير يسبحن على مسبحات الا لذلك وهو الدلالة على حدوث التسبيح من الجبال شيئا بعد شيء وحالا بعد حال وكان السامع محاضر تلك الحال يسمعها تسبح ومثله قول الاعشى الى ضوء نار في يفاع تحرق ولو قال محرقة لم يكن شيئا وقوله والطير محشورة في مقابلة يسبحن الا انه لما لم يكن في الحشر ما كان في التسبيح من ارادة الدلالة على الحدوث شيئا بعد شيء جيء به اسما لا فعلا وذلك انه لو قيل وسخرنا الطير يحشرن على ان الحشر يوجد من حاشرها شيئا بعد شيء والحاشر هو الله عز وجل لكان خلفا لان حشرها جملة واحدة ادل على القدرة وعن ابن عباس كان اذا سبح جاوبته الجبال بالتسبيح واجتمعت اليه الطير فسبحت فذلك حشرها وقرئ والطير محشورة بالرفع كل له اواب كل واحد من الجبال والطير لاجل داود اى لاجل تسبيحه مسبح لانها كانت تسبح بتسبيحه ووضع الاواب موضع المسبح اما لانها كانت ترجع التسبيح والمرجع رجاع لانه يرجع الى فعله رجوعا بعد رجوع واما لان الاواب وهو التواب الكثير الرجوع الى الله وطلب مرضاته من عادته ان يكثر ذكر الله ويديم تسبيحه وتقديسه وقيل الضمير لله اى كل من داود والجبال والطير لله اواب اى مسبح مرجع للتسبيح وشددنا ملكه قويناه قال الله تعالى

(حاشية: يصوم يوما ويفطر يوما)
(حاشية: رجاع الى مرضات الله وهو تعليل للايد دليل على ان المراد به القوة في الدين)
(حاشية: حال وضع موضع مسبحات لاستحضار الحال الماضية والدلالة على تجدد التسبيح حالا بعد حال)
(حاشية: وقت الاشراق هو حين تشرق الشمس اى تضيء ويصفو شعاعها وهو وقت الضحى وقال هذه صلوة الاشراق)
(حاشية: الله من عجائب والمالم اسماع المطابقة بين الحالين لان الحشر جملة ادل على القدرة منه مدرجا)
(حاشية: والفرق بينه وبين ما قبله انه يدل على الموافقة في التسبيح وهذا على المداومة عليها او كل منها ومن داود دائم للتسبيح)
(حاشية: بالهيبة والنصرة وكثرة الجنود)

سنشد عضدك وقرئ شددنا على المبالغة قيل كان يبيت حول محرابه اربعون الف مستلئم يحرسونه وقيل الذي شد الله به ملكه وقذف في قلوب قومه الهيبة ان رجلا ادعى عنده على آخر بقرة وعجز عن اقامة البينة فاوحى الله اليه في المنام ان اقتل المدعى عليه فقال هذا منام فاعيد الوحي في اليقظة فاعلم الرجل فقال ان الله لم ياخذني بهذا الذنب ولكن بانى قتلت ابا هذا غيلة فقتله فقال الناس ان اذنب احد ذنبا اظهره الله عليه فقتله فهابوه وآتيناه الحكمة الزبور وعلم الشرائع وقيل كل كلام وافق الحق فهو حكمة الفصل التمييز بين الشيئين وقيل للكلام البين فصل بمعنى المفصول كضرب الامير لانهم قالوا كلام ملتبس وفي كلامه لبس والملتبس المختلط فقيل في نقيضه فصل اى مفصول بعضه من بعض فمعنى فصل الخطاب البين من الكلام الملخص الذي يتبينه من يخاطب به لا يلتبس عليه ومن فصل الخطاب وملخصه ان لا يخطئ صاحبه مظان الفصل والوصل فلا يقف في كلمة الشهادة على المستثنى منه ولا يتلو قوله فويل للمصلين الا موصولا بما بعده ولا والله يعلم وانتم حتى يصله بقوله لا تعلمون ونحو ذلك وكذلك مظان العطف وتركه والاضمار والاظهار والحذف والتكرار وان شئت كان الفصل بمعنى الفاصل كالصوم والزور واردت بفصل الخطاب الفاصل من الخطاب الذي يفصل بين الصحيح والفاسد والحق والباطل والصواب والخطاء وهو كلامه في القضايا والحكومات وتدابير الملك والمشورات وعن علي بن ابي طالب رضي الله عنه البينة على المدعي واليمين على المدعى عليه وهو من الفصل بين الحق والباطل ويدخل فيه قول بعضهم هو قوله اما بعد لانه يفتتح اذا تكلم في الامر الذي له شان بذكر الله وتحميده فاذا اراد ان يخرج الى الغرض المسوق اليه فصل بينه وبين ذكر الله بقوله اما بعد ويجوز ان يراد الخطاب القصد الذي ليس فيه اختصار مخل ولا اشباع ممل ومنه ما جاء في صفة كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم فصل لا نزر ولا هذر كان اهل زمان داود عليه السلام يسال بعضهم بعضا ان ينزل له عن امراته فيتزوجها اذا اعجبته وكانت لهم عادة في المواساة بذلك قد اعتادوها وقد روينا ان الانصار كانوا يواسون المهاجرين بمثل ذلك فاتفق ان عين داود وقعت على امراة رجل يقال له اوريا فاحبها فساله النزول له عنها فاستحيى ان يرده ففعل فتزوجها وهي ام سليمان فقيل له انك مع عظم منزلتك وارتفاع مرتبتك وكبر شانك وكثرة نسائك لم يكن ينبغي لك ان تسال رجلا ليس له الا امراة واحدة النزول بل كان الواجب عليك مغالبة هواك وقهر نفسك والصبر على ما امتحنت به وقيل خطبها اوريا ثم خطبها داود فآثره اهلها فكان ذنبه ان خطب على خطبة اخيه المؤمن مع كثرة نسائه واما ما يذكر ان داود تمنى منزلة

(حاشية: اى لابس اللامة وهو الدرع)
(حاشية: النبوة وكمال العلم واتقان العمل)
(حاشية: تمييز الحق عن الباطل والكلام الملخص الذى يتبينه من يخاطب به على المقصود من غير التباس)
(حاشية: براعى فيه مظان الفصل والوصل والعطف والاستئناف والاضمار والاظهار والحذف والتكرار ونحو ذلك)

آبائه ابرهيم واسحق ويعقوب فقال يا رب ان آبائي قد ذهبوا بالخير كله فاوحى اليه انهم ابتلوا
ببلايا فصبروا عليها قد ابتلي ابرهيم بنمرود وذبح ولده واسحاق بذبحه وذهاب بصره ويعقوب
بالحزن على يوسف فسأل الابتلاء فاوحى اليه انك لمبتلى في يوم كذا فاحترس فلما حان ذلك اليوم دخل
محرابه واغلق بابه وجعل يصلي ويقرا الزبور فجاءه الشيطان في صورة حمامة من ذهب فمد يده
ليأخذها لابن له صغير فطارت فامتد اليها فطارت فوقعت في كوة فتبعها فابصر امراة جميلة قد
نقضت شعرها فغطى بدنها وهي امراة اوريا وهو من غزاة البلقاء فكتب الى ايوب ابن صوريا وهو
صاحب بعث البلقاء ان ابعث اوريا وقدمه على التابوت وكان من يتقدم على التابوت لا يحل له
ان يرجع حتى يفتح الله على يده او يستشهد ففتح الله على يده وسلم فامر برده مرة اخرى وثالثة حتى
قتل فاتاه خبر قتله فلم يحزن كما كان يحزن على الشهداء وتزوج امراته فهذا ونحوه مما يقبح ان
يحدث به عن بعض المتسمين بالصلاح من افناء المسلمين فضلا عن بعض اعلام الانبياء وعن سعيد بن
المسيب والحارث الاعور ان علي بن ابي طالب رضي الله عنه قال من حدثكم بحديث داود على ما يرويه القصاص
جلدته مائة وستين جلدة وهو حد الفرية على الانبياء وروي انه حدث بذلك عمر بن عبد العزيز وعنده
رجل من اهل الحق فكذب المحدث به وقال ان كانت القصة على ما في كتاب الله فما ينبغي ان يلتمس خلافها
واعظم بان يقال غير ذلك وان كانت على ما ذكرت وكف الله عنها سترا على نبيه فما ينبغي اظهارها عليه
فقال عمر لسماعي هذا الكلام احب الي مما طلعت عليه الشمس والذي يدل عليه المثل الذي ضربه الله
لقصته عليه السلام ليس الا طلبه الى زوج المراة ان ينزل له عنها فحسب لم جاءت على طريقة
التمثيل والتعريض دون التصريح لكونها ابلغ في التوبيخ من قبل ان التامل اذا اداه الى
الشعور بالمعرض به كان اوقع في نفسه واشد تمكنا من قلبه واعظم اثرا فيه واجلب لاحتشامه وحيائه
وادعى الى التنبه على الخطا فيه بان يباده به صريحا مع مراعاة حسن الادب بترك المجاهرة الا ترى
الى الحكماء كيف اوصوا في سياسة الولد اذا وجدت منه هنة منكرة بان يعرض له بانكارها
عليه ولا يصرح وان يحكى له حكاية ملاحظة لحاله اذا تاملها استسمج حال صاحب الحكاية فاستسمج
حال نفسه وذلك ازجر له لانه ينصب ذلك مثالا لحاله ومقياسا لشانه فيتصور قبح ما وجد منه
بصورة مكشوفة مع انه اصون لما بين الوالد والولد من حجاب الحشمة فلم كان ذلك على
وجه التحاكم اليه ليحكم بما حكم به من قوله لقد ظلمك بسؤال نعجتك الى نعاجه حتى يكون محجوجا بحكمه
ومعترفا على نفسه بظلمه وهل اتيك نبؤ الخصم ظاهره الاستفهام ومعناه الدلالة على انه من الانباء العجيبة

في الاصل مصدر ولذلك اطلق للجمع

استفهام معناه التعجب والتشويق

التي حقها ان تشيع ولا تخفى على احد والتشويق الى استماعه والخصم الخصماء وهو يقع على الواحد والجمع
كالضيف قال الله تعالى حديث ضيف ابرهيم المكرمين لانه مصدر في اصله تقول خصمه خصما كما تقول ضافه
ضيفا هذا جمع وقوله خصمان تثنية فكيف استقام ذلك معنى خصمان فريقان خصمان
والدليل عليه قراءة من قرا خصمان بغى بعضهم على بعض ونحوه قوله تعالى هذان خصمان اختصموا
فما تصنع بقوله ان هذا اخي وهو دليل على اثنين هذا قول البعض المراد بقوله بعضنا
على بعض فقد جاء في الرواية انه بعث اليه ملكان معناه ان التحاكم كان بين ملكين
ولا يمنع ذلك ان يصحبهما آخرون فاذا كان التحاكم بين اثنين كيف سماهم جميعا خصما في
قوله نبأ الخصم وخصمان لما كان صحب كل واحد من المتحاكمين في صورة الخصم صحت التسمية
بم انتصب اذ لا يخلو اما ان ينتصب باتاك او بالنبا او بمحذوف فلا يسوغ ان
متعلق بمحذوف اي نبأ تحاكم الخصم اذ تسوروا او النبأ على ان المراد به الواقع في عهد داود
ينتصب باتاك لان اتيان النبا رسول الله لا يقع الا في عهده لا في عهد داود ولا بالنبا لان النبا الواقع
في عهد داود لا يصح اتيانه رسول الله وان اردت بالنبا القصة في نفسها لم يكن ناصبا فبقي ان ينتصب
بمحذوف تقديره وهل اتيك نبا تحاكم الخصم ويجوز ان ينتصب بالخصم لما فيه من معنى الفعل واما اذ الثانية
فبدل من الاولى تسوروا المحراب تصعدوا سوره ونزلوا اليه والسور الحائط المرتفع ونظيره في الابنية
تفعل من السور كتسنم من السنام
تسنمه اذا علا سنامه وتذراه اذا علا ذروته روي ان الله تعالى بعث اليه ملكين في صورة انسانين فطلبا
ان يدخلا عليه فوجداه في يوم عبادته فمنعهما الحرس فتسورا عليه المحراب فلم يشعر الا وهما بين يديه جالسان
اذ دخلوا على داود ففزع منهم قال ابن عباس ان داود عليه السلام جزا زمانه اربعة اجزاء يوما للعبادة ويوما
للقضاء ويوما للاشتغال بخواص اموره ويوما لجميع بني اسرائيل فيعظهم ويبكيهم فجاءوا في غير يوم القضاء
ففزع منهم ولانهم نزلوا عليه من فوق وفي يوم الاحتجاب والحرس حوله لا يتركون من يدخل عليه قالوا لا تخف
خصمان خبر مبتدا محذوف اي نحن خصمان بغى بعضنا على بعض فاحكم بيننا بالحق ولا تشطط ولا تجر
وقرئ ولا تشطط اي ولا تبعد عن الحق وقرئ ولا تشطط ولا تشاطط وكلها من معنى الشطط وهو
مجاوزة الحد وتخطي الحق واهدنا الى سواء الصراط وسطه ومحجته ضربه مثلا لعين الحق ومحضه
ان هذا اخي بدل من هذا او خبر لان والمراد اخوة الدين او اخوة الصداقة والالفة او اخوة الشركة
بالدين او الصحبة
والخلطة لقوله تعالى وان كثيرا من الخلطاء وكل واحدة من هذه الاخوات تدلي بحق مانع من الاعتداء و
الظلم وقرئ له تسع وتسعون بفتح التاء ونعجة بكسر النون وهذا من اختلاف اللغات نحو نطع ونطع ولقوة
ولقوة ولي نعجة واحدة فقال اكفلنيها ملكنيها وحقيقته اجعلني اكفلها كما اكفل ما تحت يدي وعزني

هي الانثى من الضان
وقد يكنى بها عن المراة
والكناية والتمثيل
فيما يساق للتعريض
ابلغ في المقصود

مضاف اي قصة نبا الخصم او بالخصم لما الى آخره لا باتى لان اتيانه الرسول لم يكن في عهده

تسور عليه ملائكة على صور انسان في يوم خلوة

في الخطاب غلبني يقال عزه يعزه قال قطاة عزها شرك فباتت تجاذبه وقد علق الجناح يريد جاءني بحجاج لم اقدر ان اورد عليه ما ارده به واراد بالخطاب مخاطبة المحاج المجادل او اراد خطبت المراة وخطبها هو فخاطبني خطابا اي غالبني في الخطبة فغلبني حيث زوجها دوني وقرئ وعازني من المعازة وهي المغالبة وقرا ابو حيوة وعزني بتخفيف الزاي طلبا للخفة وهو تخفيف غريب وكانه قاسه على نحو ظلت ومست

ما معنى ذكر النعاج كان تحاكمهم في نفسه تمثيلا وكلامهم تمثيلا لان التمثيل ابلغ في التوبيخ لما ذكرنا وللتنبيه على انه امر يستحيى من كشفه فيكنى عنه كما يكنى عما يستسمج الافصاح به وللستر على داود عليه السلام والاحتفاظ بحرمته ووجه التمثيل ان مثلت قصة اوريا مع داود بقصة رجل له نعجة واحدة ولخليطه تسع وتسعون فاراد صاحبه تتمة المائة فطمع في نعجة خليطه واراده على الخروج من ملكها وحاجه محاجة حريص على بلوغ مراده والدليل عليه قوله وان كثيرا من الخلطاء وانما خص هذه القصة لما فيها من الرمز الى الغرض بذكر النعجة

انما يستقيم طريقة التمثيل اذا فسرت الخطاب بالجدال فان فسرته بالمفاعلة من الخطبة لم يستقم

الوجه مع هذا التفسير ان اجعل النعجة استعارة عن المراة كما استعاروا لها الشاة في نحو قوله يا شاة ما قنص لمن حلت له فرميت غفلة عينه عن شاته وشبهها بالنعجة من قال كنعاج الملا تعسفن رملا

لولا ان الخلطاء يابون الا ان يضرب داود الخلطاء ابتداء مثلا لهم ولقصتهم

الملائكة عليهم السلام كيف صح منهم ان يخبروا عن انفسهم بما لم يتلبسوا منه بقليل ولا كثير ولا هو من شانهم

هو تصوير للمسالة وفرض لها فصوروها في انفسهم وكانوا في صورة الاناسي كما تقول في تصوير المسائل زيد له اربعون شاة وعمرو له اربعون وانت تشير اليهما فخلطاها وحال عليها الحول كم يجب فيها وما لزيد وعمرو سبد ولا لبد وتقول ايضا في تصويرها لي اربعون شاة ولك اربعون فخلطناها وما لكما من الاربعين اربعة ولا ربعها

ما وجه قراءة ابن مسعود ولي نعجة انثى

يقال امراة انثى للحسناء الجميلة والمعنى وصفها بالعراقة في لين الانوثة وفتورها وذلك املح لها وازيد في تكسرها وتثنيها الا ترى الى وصفهم لها بالكسول والمكسال وقوله فتور القيام قطيع الكلام وقوله تمشي رويدا تكاد تنغرف قال لقد ظلمك بسؤال نعجتك الى نعاجه وان كثيرا من الخلطاء ليبغي بعضهم على بعض الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات لقد ظلمك جواب قسم محذوف وفي ذلك استنكار لفعل خليطه وتهجين لطمعه والسؤال مصدر مضاف الى المفعول كقوله من دعاء الخير وقد ضمن معنى الاضافة فعدي تعديتها كانه قيل باضافة نعجتك الى نعاجه على وجه السؤال والطلب

كيف ساغ الى تصديق احد الخصمين حتى ظلم الآخر قبل استماع كلامه

ما قال ذلك الا بعد اعتراف صاحبه ولكنه لم يحك في القرآن لانه معلوم

ويروى انه قال انا اريد ان آخذها منه واكمل بها نعاجي مائة فقال داود ان رمت ذلك ضربنا منك هذا وهذا واشار الى طرف الانف والجبهة فقال يا داود انت احق ان يضرب منك هذا وهذا وانت فعلت كيت وكيت ثم نظر داود فلم ير احدا فعرف ما وقع فيه والخلطاء الشركاء الذين خلطوا اموالهم الواحد خليط وهي الخلطة وقد غلبت في الماشية والشافعي رحمه الله يعتبرها فاذا كان الرجلان خليطين في ماشية بينهما غير مقسومة او لكل واحد منهما ماشية على حدة الا ان مراحهما ومسقاهما وموضع حلبهما والراعي والكلب واحد والفحولة مختلطة فهما يزكيان زكاة الواحد فان كانت لهما اربعون شاة فعليهما شاة وان كانوا ثلاثة ولهم مائة وعشرون لكل واحد اربعون فعليهم واحدة كما لو كانت لواحد وعند ابي حنيفة رحمه الله لا يعتبر الخلطة والخليط والمنفرد عنده واحد ففي اربعين بين خليطين لا شيء عنده وفي مائة وعشرين بين ثلاثة ثلاث شياه

فهذه الخلطة ما تقول فيها

عليهما شاة واحدة فيجب على ذي النعجة اداء جزء من مائة جزء من الشاة عند الشافعي وعند ابي حنيفة لا شيء عليه

ماذا اراد بذكر الخلطاء في ذلك المقام

قصد به الموعظة الحسنة والترغيب في ايثار عادة الخلطاء الصلحاء الذين حكم لهم بالقلة وان يكره اليهم الظلم والاعتداء الذي عليه الكثير مع التاسف على حالهم وان يسلي المظلوم عما جرى عليه من خليطه وان له في اكثر الخلطاء اسوة وقرئ ليبغي بفتح الياء على تقدير النون الخفيفة وحذفها كقوله اضرب عنك الهموم طارقها وهو جواب قسم محذوف وليبغ بحذف الياء اكتفاء منها بالكسرة وما في وقليل ما هم للابهام وفيه تعجب من قلتهم وان اردت ان تتحقق فائدتها وموقعها فاطرحها من قول امرئ القيس وحديث ما على قصره وانظر هل بقي له معنى قط وظن داود لما كان الظن الغالب يداني العلم استعير له ومعناه وعلم داود وايقن انما فتناه اي ابتليناه لا محالة بامراة اوريا هل يثبت ام يزل وقرئ فتناه بالتشديد للمبالغة وافتناه من قوله لئن فتنتني لهي بالامس افتنت وفتناه وفتناه على ان الالف ضمير الملكين وعبر بالراكع عن الساجد لانه ينحني ويخضع كالساجد وبه استشهد ابو حنيفة واصحابه رحمهم الله في سجدة التلاوة على ان الركوع يقوم مقام السجود وعن الحسن لانه لا يكون ساجدا حتى يركع ويجوز ان يكون قد استغفر الله لذنبه واحرم بركعتي الاستغفار والانابة فيكون المعنى وخر للسجود راكعا اي مصليا لان الركوع يجعل عبارة عن الصلاة واناب ورجع الى الله بالتوبة والتنصل وروي انه بقي ساجدا اربعين يوما وليلة لا يرفع راسه الا لصلاة مكتوبة او ما لا بد منه ولا يرقا دمعه حتى نبت العشب من دمعه الى راسه ولم يشرب ماء الا وثلثاه دمع وجهد نفسه

راغبًا الى الله في العفو حتى كاد يهلك واشتغل بذلك عن الملك حتى وثب ابن له يقال له ايشا الى ملكه ودعا
الى نفسه واجتمع اليه اهل الزيغ من بني اسرائيل فلما غفر له حاربه فهزمه وروي انه نقش خطيئته في كفه
حتى لا ينساها وقيل ان الخصمين كانا من الانس وكانت الخصومة على الحقيقة بينهما اما كانا خليطين
في الغنم واما كان احدهما موسرا وله نسوان كثيرة من المهائر والسراري والثاني معسرا ما له الا امرأة واحدة
فاستنزله عنها وانما فزع لدخولهما عليه في غير وقت الحكومة ان يكونا مغتالين وما كان ذنب داود الا
انه صدق احدهما على الآخر وظلمه قبل مسئلته فغفرنا له ذلك وان له عندنا لزلفى وحسن مآب يا داود انا
جعلناك خليفة في الارض اي استخلفناك على الملك في الارض كمن يستخلفه بعض السلاطين على بعض البلاد
ويملكه عليها ومنه قولهم خلفاء الله في ارضه او جعلناك خليفة ممن كان قبلك من الانبياء القائمين بالحق
وفيه دليل على ان حاله بعد التوبة بقيت على ما كانت عليه لم تتغير فاحكم بين الناس بالحق اي بحكم الله اذ كنت
خليفته ولا تتبع الهوى هوى النفس في قضائك وغيره مما تتصرف فيه من اسباب الدين والدنيا فيضلك
الهوى فيكون سببا لضلالك عن سبيل الله عن دلائله التي نصبها في العقول وعن شرائعه التي شرعها واوحى
بها ان الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب متعلق بنسوا اي بنسيانهم
يوم الحساب او بقوله لهم اي لهم عذاب يوم القيمة بسبب نسيانهم وهو ضلالهم عن سبيل الله و
عن بعض خلفاء بني مروان انه قال لعمر بن عبد العزيز او للزهري هل سمعت ما بلغنا قال و
ما هو قال بلغنا ان الخليفة لا يجري عليه القلم ولا يكتب عليه معصية فقال يا امير المؤمنين
الخلفاء افضل ام الانبياء ثم تلا هذه الآية وما خلقنا السماء والارض وما بينهما باطلا خلقا باطلا
لا لغرض صحيح وحكمة بالغة او مبطلين عابثين كقوله وما خلقنا السماء والارض وما بينهما لاعبين
ما خلقناهما الا بالحق وتقديره ذوي باطل او عبثا فوضع باطلا موضعه كما وضعوا هنيئا موضع
المصدر وهو صفة اي ما خلقناهما وما بينهما للعبث واللعب ولكن للحق المبين وهو ان خلقنا
نفوسا اودعناها العقل والتمييز ومنحناها التمكين وازحنا عللها ثم عرضناها للمنافع العظيمة
بالتكليف واعددنا لها عاقبة وجزاء على حسب اعمالهم ذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا
من النار ام نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الارض ام نجعل المتقين كالفجار كتاب انزلناه
اليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر اولوا الالباب وذلك اشارة الى خلقها باطلا والظن بمعنى المظنون
اي خلقها للعبث لا للحكمة هو مظنون الذين كفروا   اذا كانوا مقرين بان الله خالق
السموات والارض وما بينهما بدليل قوله ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله فهم جعلوا

ظانين انه خلقها للعبث لا للحكمة   لما كان انكارهم للبعث والحساب والثواب والعقاب
مؤديا الى ان خلقها عبث وباطل جعلوا كانهم يظنون ذلك ويقولونه لان الجزاء هو الذي سيقت اليه الحكمة
في خلق العالم من راسها فمن جحده فقد جحد الحكمة من اصلها ومن جحد الحكمة في خلق العالم فقد
سفه الخالق وظهر بذلك انه لا يعرفه ولا يقدره حق قدره فكان اقراره بكونه خالقا كلا اقرار. ام
منقطعة ومعنى الاستفهام فيها الانكار والمراد انه لو بطل الجزاء كما يقول الكافرون لاستوت عند
الله احوال من اصلح وافسد واتقى وفجر ومن سوى بينهم كان سفيها ولم يكن حكيما. وقرئ مباركا
وليتدبروا على الاصل ولتدبروا على الخطاب وتدبر الآيات التفكر فيها والتامل الذي يؤدي الى
معرفة ما يدبر ظاهرها من التأويلات الصحيحة والمعاني الحسنة لان من اقتنع بظاهر المتلو لم يحل
منه بكثير طائل وكان مثله كمثل من له لقحة درور لا يحلبها ومهرة نثور لا يستولدها وعن الحسن
قد قرأ هذا القرآن عبيد وصبيان لا علم لهم بتأويله حفظوا حروفه وضيعوا حدوده حتى ان
احدهم ليقول والله لقد قرأت القرآن فما اسقطت حرفا منه وقد والله اسقطه كله ما يرى
للقرآن عليه اثر في خلق ولا عمل والله ما هو بحفظ حروفه واضاعة حدوده والله ما هؤلاء بالحكماء
ولا الوزعة لا كثر الله في الناس مثل هؤلاء اللهم اجعلنا من العلماء المتدبرين واعذنا من القراء
المتكبرين ووهبنا لداود سليمان نعم العبد انه اواب اذ عرض عليه بالعشي الصافنات الجياد وقرئ
ونعم العبد على الاصل والمخصوص بالمدح محذوف وعلل كونه ممدوحا بكونه اوابا رجاعا اليه بالتوبة
او مسبحا مؤوبا للتسبيح مرجعا له لان كل مؤوب اواب والصافن الذي في قوله
ألف الصفون فما يزال كأنه مما يقوم على الثلاث كسيرا وقيل الذي يقوم على طرف سنبك يد او
رجل وهو المتخيم واما الصافن فالذي يجمع بين يديه وعن النبي صلى الله عليه وسلم من سره ان يقوم
الناس له صفونا فليتبوأ مقعده من النار اي واقفين كما يخدم الجبابرة   ما معنى وصفها
بالصفون   الصفون لا يكاد يكون في الهجن وانما هو في العراب الخلص وقيل وصفها بالصفون
والجودة ليجمع لها بين الوصفين المحمودين واقفة وجارية يعني اذا وقفت كانت ساكنة مطمئنة في
مواقفها واذا جرت كانت سراعا خفافا في جريها وروي ان سليمان عليه السلام غزا اهل دمشق و
نصيبين فاصاب الف فرس وقيل ورثها من ابيه واصابها ابوه من العمالقة وقيل خرجت من
البحر لها اجنحة فقعد يوما بعد ما صلى الاولى على كرسيه واستعرضها فلم تزل تعرض عليه حتى
غربت الشمس وغفل عن العصر او عن ورد من الذكر كان له وقت العشي وتهيبوه فلم يعلموه فاغتم لما فاته

فاستردها وعقرها مقربا لله وبقي مائة فما في ايدي الناس من الجياد فمن نسلها وقيل لما عقرها
ابدله الله خيرا منها وهي الريح تجري بامره   ما معنى فقال اني احببت حب الخير عن ذكر ربي حتى
توارت بالحجاب   احببت مضمن معنى فعل يتعدى بعن كانه قيل انبت حب الخير عن ذكر ربي
او جعلت حب الخير مجزيا او مغنيا عن ذكر ربي وذكر ابو الفتح الهمداني في كتاب التبيان ان احببت
بمعنى لزمت من قوله مثل بعير السوء اذ احبا وليس بذاك والخير المال كقوله ان ترك خيرا وقوله
انه لحب الخير لشديد والمال الخيل التي شغلته او سمى الخيل خيرا كانها نفس الخير لتعلق الخير بها قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم الخيل معقود بنواصيها الخير الى يوم القيمة وقال في زيد الخيل حين وفد
عليه واسلم ما وصف لي رجل فرايته الا كان دون ما بلغني الا زيد الخيل وسماه زيد الخير وسال رجل
بلالا عن قوم يستبقون من السابق فقال رسول الله فقال له الرجل اردت الخيل فقال وانا اردت الخير
والتواري بالحجاب مجاز في غروب الشمس عن تواري الملك او المخباة بحجابهما والذي دل على ان الضمير
للشمس مرور ذكر العشي ولا بد للمضمر من جري ذكر او دليل ذكر وقيل الضمير للصافنات اي حتى توارت
بحجاب الليل يعني الظلام ومن بدع التفاسير ان الحجاب جبل دون قاف بمسيرة سنة تغرب الشمس من
ورائه ردوها علي فطفق مسحا فجعل يمسح مسحا اي يمسح السيف بسوقها واعناقها يعني يقطعها تقول
مسح علاوته اذا ضرب عنقه ومسح المسفر الكتاب اذا قطع اطرافه بسيفه وعن الحسن كسف عراقيبها
وضرب اعناقها اراد بالكسف القطع ومنه الكسف في القاب الزحاف في العروض ومن قاله بالشين
المعجمة فمصحف وقيل مسحها بيده استحسانا لها واعجابا بها   بم اتصل قوله ردوها علي
بمحذوف تقديره قال ردوها علي فاضمر واضمر ما هو جواب له كان قائلا قال فماذا قال سليمان
لانه موضع مقتض للسؤال اقتضاء ظاهرا وهو اشتغال نبي من انبياء الله بامر الدنيا حتى تفوته
الصلوة عن وقتها بالسوق والاعناق وقرئ بالسؤوق بهمز الواو لضمتها كما في ادؤر ونظيره
الغؤور في مصدر غارت الشمس واما من قرا بالسؤق فقد جعل الضمة في السين كانها في
الواو للتلاصق كما قيل مؤسى ونظير ساق وسوق اسد واسد وقرئ بالساق اكتفاء
بالواحد عن الجمع لامن الالباس قيل فتن سليمان بعد ما ملك عشرين سنة وملك بعد الفتنة
عشرين سنة وكان من فتنته انه ولد له ابن فقالت الشياطين ان عاش لم ننفك من السخرة
فسبيلنا ان نقتله او نخبله فعلم ذلك فكان يغذوه في السحابة فما راعه الا ان القي على
كرسيه ميتا فتنبه على خطائه في ان لم يتوكل فيه على ربه فاستغفر ربه وتاب الله وروي

عن النبي صلى الله عليه وسلم قال سليمان لاطوفن الليلة على سبعين امراة كل واحدة تاتي
بفارس يجاهد في سبيل الله ولم يقل ان شاء الله فطاف عليهن فلم تحمل الا امراة واحدة جاءت
بشق رجل والذي نفسي بيده لو قال ان شاء الله لجاهدوا في سبيل الله فرسانا اجمعون فذلك قوله
ولقد فتنا سليمان وهذا ونحوه مما لا باس به واما ما يروى من حديث الخاتم والشيطان وعبادة الوثن
في بيت سليمان فالله اعلم بصحته حكوا ان سليمان بلغه خبر صيدون وهي مدينة في بعض الجزائر
وان بها ملكا عظيم الشان لا يقوى عليه لتحصنه بالبحر فخرج اليه تحمله الريح حتى اناخ بها بجنوده من الجن
والانس فقتل ملكها واصاب بنتا له اسمها جرادة من احسن الناس وجها فاصطفاها لنفسه واسلمت و
احبها وكانت لا يرقا دمعها حزنا على ابيها فامر الشياطين فمثلوا لها صورة ابيها فكستها مثل كسوته
وكانت تغدو اليها وتروح مع ولائدها يسجدن له كعادتهن في ملكه فاخبر آصف سليمان
بذلك فكسر الصورة وعاقب المراة ثم خرج وحده الى فلاة وفرش الرماد فجلس عليه تائبا الى الله
متضرعا وكانت له ام ولد يقال لها امينة اذا دخل للطهارة او لاصابة امراة وضع خاتمه عندها
يوما فاتاها الشيطان صاحب البحر وهو الذي دل سليمان على الماس حين امر ببناء بيت المقدس
واسمه صخر على صورة سليمان فقال يا امينة خاتمي فتختم به وجلس على كرسي سليمان وعكفت عليه
الطير والجن والانس وغير سليمان عن هيئته فاتى امينة لطلب الخاتم فانكرته وطردته
فعرف ان الخطيئة قد ادركته فكان يدور على البيوت يتكفف واذا قال انا سليمان حثوا
عليه التراب وسبوه ثم عمد الى السماكين ينقل لهم السمك فيعطونه كل يوم سمكتين فمكث على
ذلك اربعين صباحا عدد ما عبد الوثن في بيته فانكر آصف وعظماء بني اسرائيل حكم الشيطان
وسال آصف نساء سليمان فقلن ما يدع امراة منا في دمها ولا يغتسل من جنابة وقيل بل نفذ
حكمه في كل شيء الا فيهن ثم طار الشيطان وقذف الخاتم في البحر فابتلعته سمكة و
وقعت السمكة في يد سليمان فبقر بطنها فاذا هو بالخاتم فتختم به ووقع ساجدا ورجع
اليه ملكه وجاب صخرة لصخر فجعله فيها وسد عليه باخرى ثم اوثقها بالحديد والرصاص و
قذفه في البحر وقيل لما افتتن كان يسقط الخاتم من يده لا يتماسك فيها فقال له آصف
انك مفتون بذنبك فالخاتم لا يقر في يدك فتب الى الله ولقد ابى العلماء المتقنون قبوله
وقالوا هذا من اباطيل اليهود والشياطين لا يتمكنون من مثل هذه الافاعيل وتسليط الله
اياهم على عباده حتى يقعوا في تغيير الاحكام وعلى نساء الانبياء حتى يفجروا بهن قبيح واما

واظهر ما قيل فيه ما روي مرفوعا انه قال لاطوفن ... وقيل ولد له ابن ... قيل انه غزا صيدون

فعلى هذا الجسد صخر سمي به وهو جسم لا روح فيه لانه كان متمثلا بما لم يكن كذلك والخطيئة تغافله عن حال اهله

اصل احببت ان يعدى بعلى لانه بمعنى آثرت لكن لما انيب مناب انبت عدي بعن

اتخاذ التماثيل فيجوز ان تختلف فيه الشرايع الا ترى الى قوله من محاريب وتماثيل واما السجود للصورة فلا يظن بنبي الله ان ياذن فيه واذا كان بغير علمه فلا عليه والقينا على كرسيه جسدا ثم اناب قال رب اغفر لي وهب لي ملكا لا ينبغي لاحد من بعدي انك انت الوهاب فسخرنا له الريح تجري بامره ناب عن افادة انابة الشيطان منابه بنوا اظاهرا قدم الاستغفار على استيهاب الملك جريا على عادة الانبياء و الصالحين في تقديمهم امر دينهم على امور دنياهم لا ينبغي و لا يتسهل ولا يكون ومعنى من بعدي دوني اما يشبه الحسد والحرص على الاستبداد بالنعمة ان يستعطي الله ما لا يعطيه غيره كان سليمان عليه السلام ناشيا في بيت الملك والنبوة ووارثا لهما فاراد ان يطلب من ربه معجزة فطلب على حسب الفه ملكا زايدا على الممالك زيادة خارقة للعادة بالغة حد الاعجاز ليكون ذلك دليلا على نبوته قاهرا للمبعوث اليهم ولن يكون معجزة حتى يخرق العادات فذلك معنى قوله لا ينبغي لاحد من بعدي وقيل كان ملكا عظيما فخاف ان يعطى مثله احد فلا يحافظ على حدود الله فيه كما قالت الملائكة اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك وقيل ملكا لا اسلبه ولا يقوم غيري فيه مقامي كما سلبته مرة واقيم مقامي غيري ويجوز ان يقال علم الله فيما اختصه به من ذلك الملك العظيم مصالح في الدين وعلم انه لا يضطلع باعبائه غيره واوجبت الحكمة استيهابه به فامره ان يستوهبه اياه فاستوهبه بامر من الله على الصفة التي علم الله انه لا يضبطه عليها الا هو وحده دون ساير عباده او اراد ان يقول ملكا عظيما فقال لا ينبغي لاحد من بعدي ولم يقصد بذلك الا عظم الملك وسعته كما تقول لفلان ما ليس لاحد من الفضل والمال وربما كان للناس امثال ذلك ولكنك تريد تعظيم ما عنده وعن الحجاج انه قيل له انك حسود فقال احسد مني من قال هب لي ملكا لا ينبغي لاحد من بعدي وهذا من جراته على الله وشيطنته كما حكي عنه طاعتنا اوجب من طاعة الله لانه شرط في طاعته فقال فاتقوا الله ما استطعتم واطلق طاعتنا فقال و اولي الامر منكم قرئ الريح والرياح رخاء لينة طيبة لا تزعزع وقيل طيعة لا تمتنع عليه حيث اصاب حيث قصد واراد حكى الاصمعي عن العرب اصاب الصواب فاخطا الجواب وعن روبة ان رجلين من اهل اللغة قصداه ليسالاه عن هذه الكلمة فخرج اليهما فقال اين تصيبان فقالا هذه طلبتنا ورجعا ونقال اصاب الله بك خيرا والشياطين عطف على الريح وكل بناء وغواص بدل من الشياطين وآخرين مقرنين في الاصفاد هذا عطاؤنا فامنن عطف على كل داخل في حكم البدل وهو بدل الكل من الكل كانوا يبنون له ما شاء من الابنية ويغوصون له فيستخرجون اللؤلؤ

وهو اول من استخرج الدر من البحر وكان يقرن مردة الشياطين بعضهم مع بعض في القيود والسلاسل للتاديب والكف عن الفساد وعن السدي كان يجمع ايديهم الى اعناقهم مغللين في الجوامع والصفد القيد وسمي به العطاء لانه ارتباط للمنعم عليه ومنه قول علي رضي الله عنه من برك فقد اسرك ومن جفاك فقد اطلقك ومنه قول القايل غل يدا مطلقها وارق رقبة معتقها وقال حبيب ان العطاء اسار وتبعه من قال ومن وجد الاحسان قيدا تقيدا وفرقوا بين الفعلين فقالوا صفده قيده واصفده اعطاه كوعده واوعده اي هذا الذي اعطيناك من الملك والمال والبسطة عطاؤنا بغير حساب يعني جما كثيرا لا يكاد يقدر على حسبه وحصره فامنن من المنة وهي العطاء اي فاعط منه ما شئت او امسك مفوضا اليك التصرف فيه وفي قراءة ابن مسعود هذا فامنن او امسك عطاؤنا بغير حساب او هذا التسخير عطاؤنا فامنن على من شئت من الشياطين بالاطلاق وامسك من شئت منهم في الوثاق بغير حساب اي لا حساب عليك في ذلك وان له عندنا لزلفى وحسن مآب واذكر عبدنا ايوب اذ نادى ربه اني مسني الشيطان بنصب ايوب عطف بيان و اذ بدل اشتمال منه اني مسني حكاية لكلامه الذي ناداه بسببه ولو لم يحك لقال بانه مسه لانه غايب و قرئ بنصب بضم النون وفتحها مع سكون الصاد وبفتحهما وضمهما فالنصب والنصب كالرشد و الرشد والنصب على اصل المصدر والنصب تثقيل نصب والمعنى واحد وهو التعب والمشقة و العذاب الالم يريد مرضه وما كان يقاسي فيه من انواع الوصب وقيل النصب في البدن والعذاب في ذهاب الاهل والمال لم نسبه الى الشيطان ولا يجوز ان يسلطه الله على انبيائه ليقضي من اتعابهم وتعذيبهم وطره ولو قدر على ذلك لم يدع صالحا الا وقد نكبه واهلكه وقد تكرر في القرآن انه لا سلطان له الا الوسوسة فحسب لما كانت وسوسته اليه وطاعته له فيما وسوس سببا فيما مسه الله به من النصب والعذاب نسبه اليه وقد راعى الادب في ذلك حيث لم ينسبه الى الله في دعائه مع انه فاعله ولا يقدر عليه الا هو وقيل اراد ما كان يوسوس به اليه في مرضه من تعظيم ما نزل به من البلاء ويغريه على الكراهة والجزع فالتجا الى الله في ان يكفيه ذلك بكشف البلاء او بالتوفيق في دفعه ورده بالصبر الجميل وروي انه كان يعوده ثلثة من المومنين فارتد احدهم فسال عنه فقيل القى اليه الشيطان ان الله لا يبتلي الانبياء والصالحين و ذكر في سبب بلائه ان رجلا استغاثه على ظالم فلم يغثه وقيل كانت مواشيه في ناحية ملك كافر فداهنه ولم يغزه وقيل اعجب بكثرة ماله اركض برجلك حكاية لما اجيب به ايوب اي اضرب

وقيل لسواله امتحانا للصبر فيكون اعترافا بالذنب

برجلك الارض وعن قتادة هي ارض الجابية فضربها فنبعت عين فقيل هذا مغتسل بارد وشراب اى هذا ما

تغتسل به وتشرب منه فيبرأ باطنك وظاهرك وينقلب ما بك قلبة وقيل نبعت له عينان فاغتسل من احديهما

وشرب من الاخرى فذهب الداء من ظاهره وباطنه باذن الله وقيل ضرب برجله اليمنى فنبعت عين حارة

فاغتسل منها ثم باليسرى فنبعت باردة فشرب منها ووهبنا له اهله ومثلهم معهم رحمة منا وذكرى لاولى الالباب

وخذ بيدك ضغثا فاضرب به ولا تحنث انا وجدناه صابرا نعم العبد انه اواب رحمة وذكرى مفعول لهما والمعنى ان

الهبة كانت للرحمة وللتذكير اولى الالباب لانهم اذا سمعوا بما انعمنا به عليه لصبره رغبهم فى الصبر على البلاء

وعاقبة الصابرين وما يفعل الله بهم وخذ معطوف على اركض والضغث الحزمة الصغيرة من حشيش او

ريحان او غير ذلك وعن ابن عباس قبضة من الشجر كان حلف فى مرضه ليضربن امرأته مائة اذا برأ فحلل الله

يمينه باهون شىء عليه وعليها لحسن خدمتها اياه ورضاه عنها وهذه الرخصة باقية وعن النبى صلى الله عليه و

سلم انه اتى بمخدج قد خبث بامة فقال خذوا عثكالا فيه مائة شمراخ فاضربوه بها ضربة ويجب ان يصيب

المضروب كل واحد من المائة اما اطرافها قائمة واما اعراضها مبسوطة مع وجود صورة الضرب وكان السبب

فى يمينه انها ابطأت عليه ذاهبة فى حاجة فحرج صدره وقيل باعت ذوابتيها برغيفين وكانتا متعلق ايوب

اذا قام وقيل قال لها الشيطان اسجدى لى سجدة فارد عليكم مالكم واولادكم فهمت بذلك فادركتها العصمة

فذكرت ذلك له فحلف وقيل سألته ان يقرب للشيطان بعناق وجدناه صابرا علمناه صابرا

كيف وجده صابرا وقد شكا اليه ما به واسترحمه الشكوى الى الله عز وعلا لا تسمى جزعا ولقد قال

يعقوب عليه السلام انما اشكو بثى وحزنى الى الله عز وعلا لا يسمى وكذلك شكوى العليل الى الطبيب وذلك

ان اصبر الناس على البلاء لا يخلو من تمنى العافية وطلبها فاذا صح ان يسمى صابرا مع تمنى العافية

وطلب الشفاء فليسم صابرا مع اللجاء الى الله والدعاء بكشف ما به ومع التعالج ومشاورة الاطباء على

ان ايوب عليه السلام كان يطلب الشفاء خيفة على قومه من الفتنة حيث كان الشيطان يوسوس اليهم كما

كان يوسوس اليه انه لو كان نبيا لما ابتلى بمثل ما ابتلى به وارادة القوة على الطاعة فقد بلغ امره الى ان لم يبق

منه الا القلب واللسان ويروى انه قال فى مناجاته الهى قد علمت انه لم يخالف لسانى قلبى ولم يتبع

قلبى بصرى ولم يهبنى ما ملكت يمينى ولم آكل الا ومعى يتيم ولم ابت شبعان ولا كاسيا ومعى جائع او عريان

فكشف الله عنه واذكر عبادنا ابرهيم واسحق ويعقوب عطف بيان لعبادنا ومن قرأ عبدنا جعل ابرهيم وحده

عطف بيان له ثم عطف ذريته على عبدنا وهى اسحق ويعقوب كقراءة ابن عباس واله ابيك ابرهيم واسمعيل و

اسحق لما كانت اكثر الاعمال تباشر بالايدى غلبت فقيل فى كل عمل هذا مما عملت ايديهم وان كان عملا لا يتأتى

فيه المباشرة بالايدى او كان العمال جذما لا ايدى لهم وعلى ذلك ورد قوله عز وعلا اولى الايدى والابصار

يريد اولى الاعمال والفكر كان الذين لا يعملون اعمال الآخرة ولا يجاهدون فى الله ولا يفكرون افكار

ذوى الديانات ولا يستبصرون فى حكم الزمنى الذين لا يقدرون على اعمال جوارحهم والمسلوبى العقول

الذين لا استبصار بهم وفيه تعريض بكل من لم يكن من عمال الله ولا من المستبصرين فى دين الله وتوبيخ على

تركهم المجاهدة والتأمل مع كونهم متمكنين منها وقرئ اولى الايادى على جمع الجمع وفى قراءة ابن مسعود

اولى الايد على طرح الياء والاكتفاء بالكسرة وتفسيره بالايد من التأييد قلق غير متمكن انا اخلصناهم

جعلناهم لنا خالصين بخالصة بخصلة خالصة لا شوب فيها ثم فسرها بذكرى الدار شهادة لذكرى

الدار بالخلوص والصفاء وانتفاء الكدورة عنها وقرئ على الاضافة والمعنى بما خلص من ذكرى الدار على انهم

لا يشوبون ذكرى الدار بهم آخر انما همهم ذكرى الدار لا غير ومعنى ذكرى الدار ذكراهم الآخرة دائبا ونسيانهم

اليها ذكرى الدنيا او تذكيرهم الآخرة وترغيبهم فيها وتزهيدهم فى الدنيا كما هو شأن الانبياء وديدنهم وقيل ذكرى

الدار الثناء الجميل فى الدنيا ولسان الصدق الذى ليس لغيرهم فان قلت ما معنى اخلصناهم بخالصة

معناه اخلصناهم بسبب هذه الخصلة وبانهم من اهلها او اخلصناهم بتوفيقهم لها واللطف بهم فى

اختيارها ويعضد الاول قراءة من قرأ بخالصتهم وانهم عندنا لمن المصطفين الاخيار لمن المصطفين

المختارين من بين ابناء جنسهم والاخيار جمع خير او خير على التخفيف كالاموات فى جمع ميت او ميت و

اذكر اسمعيل واليسع كان حرف التعريف دخل على يسع وقرئ والليسع كأن حرف التعريف دخل على ليسع

فيعل من اللسع وذا الكفل والتنوين فى وكل عوض من المضاف اليه معناه وكلهم من الاخيار هذا

ذكر اى هذا نوع من الذكر وهو القرآن لما اجرى ذكر الانبياء واتمه وهو باب من ابواب التنزيل و

نوع من انواعه واراد ان يذكر على عقبه بابا آخر وهو ذكر الجنة واهلها قال هذا ذكر ثم قال وان للمتقين

لحسن مآب كما يقول الجاحظ فى كتبه فهذا باب ثم يشرع فى باب آخر ويقول الكاتب اذا فرغ من فصل

من كتابه واراد الشروع فى آخر هذا وقد كان كيت وكيت والدليل عليه انه لما اتم ذكر اهل الجنة

واراد ان يعقبه بذكر اهل النار قال هذا وان للطاغين وقيل معناه هذا شرف وذكر جميل يذكرون

به ابدا وعن ابن عباس هذا ذكر من مضى من الانبياء جنات عدن معرفة لقوله جنات عدن التى

وعد الرحمن وانتصابها على انها عطف بيان لحسن مآب ومفتحة حال والعامل فيها ما فى للمتقين

من معنى الفعل وفى مفتحة ضمير الجنات لهم والابواب بدل من الضمير تقديره مفتحة هى الابواب

كقولهم ضرب زيد اليد والرجل وهو من بدل الاشتمال وقرئ جنات عدن مفتحة بالرفع على ان

جنات عدن مبتدأ ومفتحة خبره او كلاهما خبر مبتدأ محذوف اى هو جنات عدن هى مفتحة لهم متكئين
فيها يدعون فيها بفاكهة كثيرة وشراب وعندهم قاصرات الطرف اتراب هذا ما توعدون كان اللدات سمين
اترابا لان التراب مسهن فى وقت واحد وانما جعلن على سن واحد لان التحاب بين الاقران اثبت وقيل هن
اتراب لازواجهن اسنانهن كاسنانهم قرئ توعدون بالتاء والياء ليوم الحساب لاجل يوم الحساب
كما تقول هذا ما تدخرونه ليوم الحساب اى ليوم تجزى كل نفس ما عملت ان هذا لرزقنا ما له من نفاد
هذا وان للطاغين لشر مآب جهنم يصلونها فبئس المهاد كقوله لهم من جهنم مهاد ومن فوقهم غواش شبه
ما تحتهم من النار بالمهاد الذى يفترشه النائم اى هذا حميم فليذوقوه او العذاب هذا فليذوقوه
ثم ابتدأ فقال هو حميم وغساق او هذا فليذوقوه بمنزلة فاياى فارهبون اى ليذوقوا هذا فليذوقوه
والغساق بالتخفيف والتشديد ما يغسق من صديد اهل النار يقال غسقت العين اذا سال
دمعها وقيل الحميم يحرق بحره والغساق يحرق ببرده وقيل لو قطرت قطرة فى المشرق لنتنت اهل
المغرب ولو قطرت منه قطرة فى المغرب لنتنت اهل المشرق وعن الحسن الغساق عذاب لا يعلمه
الا الله ان الناس اخفوا لله طاعة فاخفى لهم ثوابا فى قوله فلا تعلم نفس ما اخفى لهم واخفوا
معصية فاخفى لهم عقوبة وآخر ومذوقات اخر من شكله هذا المذوق من مثله فى الشدة والفظاعة
ازواج اجناس وقرئ واخر اى وعذاب آخر او مذوق آخر وازواج صفة لآخر لانه يجوز ان يكون
ضروبا او صفة للثلاثة وهى حميم وغساق وآخر من شكله وقرئ من شكله بالكسر وهى لغة واما الغنج
فبالكسر لا غير هذا فوج مقتحم معكم هذا جمع كثيف قد اقتحم معكم النار اى دخل النار فى صحبتكم وقرانكم
والاقتحام ركوب الشدة والدخول فيها والقحمة الشدة وهذه حكاية كلام الطاغين بعضهم مع بعض
اى يقولون هذا والمراد بالفوج اتباعهم الذين اقتحموا معهم الضلالة فيقتحمون معهم العذاب لا مرحبا بهم
دعاء منهم على اتباعهم تقول لمن تدعو له مرحبا اى اتيت رحبا من البلاد لا ضيقا او رحبت بلادك رحبا
ثم يدخل عليه لا فى دعاء السوء وبهم بيان للمدعو عليهم انهم صالوا النار تعليل لاستيجابهم الدعاء
عليهم ونحوه قوله تعالى كلما دخلت امة لعنت اختها وقيل هذا فوج مقتحم معكم كلام الخزنة لرؤساء
الكفرة فى اتباعهم ولا مرحبا بهم انهم صالوا النار كلام الرؤساء وقيل هذا كله كلام الخزنة قالوا اى
الاتباع بل انتم لا مرحبا بكم يريدون الدعاء الذى دعوتم به علينا انتم احق به وعللوا ذلك بقولهم
انتم قدمتموه لنا والضمير للعذاب او لصليهم ما معنى تقديمهم العذاب لهم
المقدم هو عمل السوء قال الله تعالى وذوقوا عذاب الحريق ذلك بما قدمت ايديكم ولكن الرؤساء

لما كانوا السبب فيه باغوائهم وكان العذاب جزاءهم عليه قيل انتم قدمتموه لنا فجعل الرؤساء هم المقدمين و
جعل الجزاء هو المقدم فجمع بين مجازين لان العاملين هم المقدمون فى الحقيقة لا رؤساؤهم والعمل هو المقدم
لا جزاؤه فالذى جعل قوله لا مرحبا بهم من كلام الخزنة ما يصنع بقوله بل انتم لا مرحبا بكم والمخاطبون
اعنى رؤساءهم لم يتكلموا بما يكون هذا جوابا له كانه قيل هذا الذى دعا به علينا الخزنة انتم يا رؤساء
احق به منا لاغوائكم ايانا وتسببكم فيما نحن فيه من العذاب وهذا صحيح كما لو زين قوم لقوم بعض المساوى
فارتكبوه فقيل للمزينين اخزى الله هؤلاء ما اسوأ فعلهم فقال المزين لهم للمزينين بل انتم اولى بالخزى
منا فلولا انتم لم نرتكب ذلك قالوا هم الاتباع ايضا من قدم لنا هذا فزده عذابا ضعفا اى مضاعفا
ومعناه ذا ضعف ونحوه قوله تعالى ربنا هؤلاء اضلونا فآتهم عذابا ضعفا وهو ان يزيد على عذابه مثله
فيصير ضعفين كقوله عز وجل ربنا آتهم ضعفين من العذاب وجاء فى التفسير عذابا ضعفا حيات وافاعى
فى النار وقالوا الضمير للطاغين ما لنا لا نرى رجالا يعنون فقراء المسلمين الذين لا يؤبه لهم كنا نعدهم
من الاشرار من الاراذل الذين لا خير فيهم ولا جدوى ولانهم كانوا على خلاف دينهم وكانوا عندهم اشرارا
اتخذناهم سخريا قرئ بلفظ الاخبار على انه صفة لرجالا مثل قوله كنا نعدهم من الاشرار وبهمزة الاستفهام
على انه انكار على انفسهم وتأنيب لها فى الاستسخار منهم وقوله ام زاغت عنهم الابصار له وجهان من الاتصال
احدهما ان يتصل بقوله ما لنا اى ما لنا لا نراهم فى النار كانهم ليسوا فيها بل ازاغت عنهم ابصارنا فلا نراهم وهم
فيها قسموا امرهم بين ان يكونوا من اهل الجنة وبين ان يكونوا من اهل النار الا انه خفى عليهم مكانهم والوجه
الثانى ان يتصل باتخذناهم سخريا اما ان تكون ام متصلة على معنى اى الفعلين فعلنا بهم الاستسخار
منهم ام الازدراء بهم والتحقير وان ابصارنا كانت تعلو عنهم وتقتحمهم على معنى انكار الامرين جميعا
على انفسهم وعن الحسن كل ذلك قد فعلوا اتخذوهم سخريا وزاغت عنهم ابصارهم محقرة لهم واما ان
تكون منقطعة بعد مضى اتخذناهم سخريا على الخبر او الاستفهام كقولك انها لابل ام شاء وازيد عندك
ام عندك عمرو ولك ان تقدر همزة الاستفهام محذوفة فيمن قرأ بغير همزة لان ام تدل عليها فلا يفترق
القراءتان اثبات همزة الاستفهام وحذفها وقيل الضمير فى وقالوا لصناديد قريش كابى جهل والوليد
واضرابهما والرجال عمار وصهيب وبلال واشباههم وقرئ سخريا بالضم والكسر ان ذلك الذى
حكينا عنهم لحق لا بد ان يتكلموا به ثم بين ما هو فقال تخاصم اهل النار وقرئ بالنصب على انه
صفة لذلك لان اسماء الاشارة توصف باسماء الاجناس لم سمى ذلك تخاصما
شبه تقاولهم وما يجرى بينهم من السؤال والجواب بما يجرى بين المتخاصمين من نحو ذلك ولان قول الرؤساء

لا مرحبا بهم وقول أتباعهم بل أنتم لا مرحبا بكم من باب الخصومة فسمى التقاول كله تخاصما لأجل اشتماله
على ذلك قل يا محمد لمشركي مكة ما أنا إلا رسول منذر أنذركم عذاب الله وأقول لكم إن دين الحق توحيد الله
وأن يعتقد أن لا إله إلا الله إنما أنا منذر أنذركم عذاب الله وما من إله إلا الله الواحد بلا ند ولا شريك القهار لكل شيء وأن الملك
والربوبية له في العالم كله   الذي لا يغلب إذا عاقب العصاة وهو مع ذلك   لذنوب من
التجأ إليه وقل لهم ما أنا إلا منذر لكم ما أعلم وأنا أنذركم عقوبة من هذه صفته فإن مثله حقيق بأن
يخاف عقابه كما هو حقيق بأن يرجى ثوابه رب السموات والأرض وما بينهما العزيز الغفار قل هو نبأ عظيم أي
هذا الذي أنبأتكم به من كوني رسولا منذرا وأن الله واحد لا شريك له نبأ عظيم لا يعرض عن مثله إلا
غافل شديد الغفلة ثم احتج لصحة نبوته بأن ما ينبئ به عن الملإ الأعلى واختصامهم أمر ما كان له به من
علم قط ثم علمه ولم يسلك الطريق الذي يسلكه الناس في علم ما لم يعلموا وهو الأخذ من أهل العلم وقراءة
الكتب فعلم أن ذلك لم يحصل له إلا بالوحي من الله أنتم عنه معرضون ما كان لي من علم بالملإ الأعلى إذ يختصمون
إن يوحى إلي إلا أنما أنا نذير أي لأنما أنا نذير ومعناه ما يوحى إلي إلا للإنذار فحذف اللام وانتصب
بإفضاء الفعل إليه ويجوز أن يرتفع على معنى ما يوحى إلي إلا هذا وهو أن أنذر وأبلغ ولا أفرط
في ذلك أي ما أومر إلا بهذا الأمر وحده وليس إلي غير ذلك وقرئ إنما بالكسر على الحكاية أي إلا هذا
القول وهو أن أقول لكم إنما أنا نذير مبين ولا أدعي شيئا وقيل النبأ العظيم قصص آدم و
الإنباء به من غير سماع من أحد وعن ابن عباس القرآن وعن الحسن يوم القيامة   م يتعلق
إذ يختصمون   بمحذوف لأن المعنى ما كان لي من علم بكلام الملإ الأعلى وقت اختصامهم إذ قال
ربك للملائكة إني خالق بشرا من طين فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين وإذ قال ربك
بدل من إذ يختصمون   ما المراد بالملإ الأعلى   أصحاب القصة الملائكة وآدم و
إبليس لأنهم كانوا في السماء وكان التقاول بينهم   ما كان التقاول بينهم إنما كان بين الله و
بينهم لأن الله سبحانه هو الذي قال لهم وقالوا له فأنت بين أمرين إما أن تقول الملأ الأعلى هؤلاء و
كان التقاول بينهم فلم يكن التقاول بينهم وإما أن تقول التقاول كان بين الله وبينهم فقد جعلته من الملإ
الأعلى   كانت مقاولة الله سبحانه بواسطة ملك فكان المقاول في الحقيقة هو الملك المتوسط
فصح أن التقاول كان بين الملائكة وآدم وإبليس وهم الملأ الأعلى والمراد بالاختصام التقاول على ما سبق
كيف صح أن يقول لهم إني خالق بشرا وما عرفوا ما البشر ولا عهدوا به قبل   وجهه
أن يكون قد قال إني خالق خلقا من صفته كيت وكيت ولكنه حين حكاه اقتصر على الاسم فإذا سويته

لا يغلب إذا عاقب

الذي يغفر ما يشاء لمن يشاء من الذنوب وفي هذه الأوصاف تقرير للتوحيد ووعد للموحدين ووعيد للمشركين وتثنية ما يشعر بالوعد وتقديمه لأن المدعو به أولا

لهم

خلقه وعدلته ونفخت فيه من روحي وأحييته وجعلته حساسا متنفسا فقعوا فخروا له فسجد الملائكة
كلهم أجمعون إلا إبليس استكبر كل للإحاطة وأجمعون للاجتماع فأفادا معا أنهم سجدوا عن آخرهم ما بقي منهم
ملك إلا سجد وأنهم سجدوا جميعا في وقت واحد غير متفرقين في أوقات   كيف ساغ السجود لغير الله
الذي لا يسوغ هذا السجود لغير الله على وجه العبادة فأما على وجه التكرمة والتبجيل فلا يأباه
العقل إلا أن يعلم الله فيه مفسدة فينهى عنه   كيف استثني إبليس من الملائكة وهو من الجن
قد أمر بالسجود معهم فغلبوا عليه في قوله فسجد الملائكة ثم استثني كما يستثنى الواحد منهم استثناء
متصلا وكان من الكافرين أريد وجود كفره ذلك الوقت وإن لم يكن قبله كافرا لأن كان مطلق في جنس
الأوقات الماضية فهو صالح لأيها شئت ويجوز أن يراد وكان من الكافرين في الأزمنة الماضية في علم الله
ما وجه قوله خلقت بيدي   قد سبق لنا أن ذا اليدين يباشر أكثر أعماله بيديه
فغلب العمل باليدين على سائر الأعمال التي تباشر بغيرهما حتى قيل في عمل القلب هو مما عملت يداك وحتى
قيل لمن لا يدي له يداك أوكتا وفوك نفخ وحتى لم يبق فرق بين قولك هذا مما عملته وهذا مما عملته
يداك ومنه قوله تعالى مما عملت أيدينا ولما خلقت بيدي   فما معنى قوله قال يا إبليس ما منعك
أن تسجد لما خلقت بيدي   الوجه الذي استنكر له إبليس السجود لآدم واستنكف منه أنه سجود
لمخلوق فذهب بنفسه وتكبر أن يكون سجوده لغير الخالق وانضم إلى ذلك أن آدم مخلوق من طين
وهو مخلوق من نار ورأى للنار فضلا على الطين فاستعظم أن يسجد لمخلوق مع فضله عليه في المنصب
وزل عنه أن الله سبحانه حين أمر به أعز عباده عليه وأقربهم منه زلفى وهم الملائكة وهم أحق بأن يذهبوا
بأنفسهم عن التواضع للبشر الضئيل ويستنكفوا من السجود له من غيرهم ثم لم يفعلوا وتبعوا أمر الله و
جعلوه قدام أعينهم ولم يلتفتوا إلى التفاوت بين الساجد والمسجود له تعظيما لأمر ربهم وإجلالا
لخطابه كان هو مع انحطاطه عن مراتبهم حرى بأن يقتدي بهم ويقتفي أثرهم ويعلم أنهم في السجود لمن
هو دونهم بأمر الله أوغل في عبادته منهم في السجود لما فيه من طرح الكبرياء وخفض الجناح فقيل له ما منعك
أن تسجد لما خلقت بيدي أي ما منعك من السجود لشيء هو كما تقول مخلوق خلقته بيدي لا شك في كونه
مخلوقا امتثالا لأمري وإعظاما لخطابي كما فعلت الملائكة فذكر له ما تركه من السجود مع ذكر العلة التي
تشبث بها في تركه وقيل له لم تركته مع وجود هذه العلة وقد أمرك الله به يعني كان عليك أن تعتبر
أمر الله ولا تعتبر هذه العلة ومثاله أن يأمر الملك وزيره أن يزور بعض سقاط الحشم فيمتنع
اعتبارا لسقوطه فيقول له ما منعك أن تتواضع لمن لا يخفى علي سقوطه يريد هلا اعتبرت أمري و

خطاني وترك اعتبار سقوطه وفيه اني خلقته بيدي فانا اعلم بحاله ومع ذلك امرت الملائكة بان يسجدوا
له لداعي حكمة دعاني اليه من انعام عليه بالتكرمة السنية وابتلاء للملائكة فمن انت حتى يصرفك عن
السجود له ما لم يصرفني عن الامر بالسجود له وقيل معنى لما خلقت بيدي لما خلقت بغير واسطة وقرئ
بيدي كما قرئ بمصرخي وبيدي على التوحيد استكبرت ام كنت من العالين ممن علوت وفقت فاجاب بانه
من العالين حيث قال انا خير منه وقيل استكبرت الآن ام لم تزل مذ كنت من المستكبرين ومعنى الهمزة
التقرير وقرئ استكبرت بحذف حرف الاستفهام لان ام تدل عليه او بمعنى الاخبار هذا على سبيل الاولى
اي لو كان مخلوقا من نار لما سجدت له لانه مخلوق مثلي فكيف اسجد لمن هو دوني لانه من طين والنار تغلب الطين
وتاكله وقد جرت الجملة الثانية من الاولى وهي خلقتني من نار وخلقته من طين مجرى المعطوف عطف البيان
من المعطوف عليه في البيان والايضاح قال فاخرج منها فانك رجيم وان عليك منها من الجنة وقيل من
السموات وقيل من الخلقة التي انت فيها لانه كان يفتخر بخلقته فغير الله خلقته فاسود بعدما كان ابيض
وقبح بعد ما كان حسنا واظلم بعد ما كان نورانيا والرجيم المرجوم ومعناه المطرود كما قيل له المدحور
والملعون لان من طرد رمي بالحجارة على اثره والرجم الرمي بالحجارة او لان الشياطين يرجمون بالشهب

قوله لعنتي الى يوم الدين كان لعنة ابليس غايتها يوم الدين ثم ينقطع كيف ينقطع
وقد قال الله تعالى فاذن مؤذن بينهم ان لعنة الله على الظالمين ولكن المعنى ان عليه اللعنة
في الدنيا فاذا كان يوم الدين اقترن له باللعنة ما ينسى عنده اللعنة فكانها انقطعت

ما الوقت المعلوم الذي اضيف اليه اليوم الوقت الذي يقع فيه النفخة الاولى ويومه اليوم
الذي وقت النفخة جزء من اجزائه ومعنى المعلوم انه معلوم عند الله معين لا يستقدم
ولا يستاخر قال رب فانظرني الى يوم يبعثون قال فانك من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم قال فبعزتك
اقسام بعزة الله وهي سلطانه وقهره لاغوينهم اجمعين الا عبادك منهم المخلصين قال فالحق والحق
منصوبين على ان الاول مقسم به كالله في ان عليك الله ان تبايعا وجوابه لاملان جهنم منك
وممن تبعك والحق اقول اعتراض بين المقسم به والمقسم عليه ومعناه ولا اقول الا الحق والمراد
بالحق اما اسمه عز وعلا الذي في قوله ان الله هو الحق المبين او الحق الذي هو نقيض الباطل عظمه
الله باقسامه به ومرفوعين على ان الاول مبتدا محذوف الخبر كقوله لعمرك اي فالحق قسمي لاملان
والحق اقول اي اقوله كقوله كله لم اصنع ومجرورين على ان الاول مقسم به قد اضمر حرف قسمه
كقولك الله لافعلن والحق اقول اي ولا اقول الا الحق على حكاية لفظ المقسم به ومعناه التوكيد و

التشديد وهذا الوجه جائز في المنصوب والمرفوع ايضا وهو وجه دقيق حسن وقرئ برفع الاول وجره
مع نصب الثاني وتخريجه على ما ذكرنا منك من جنسك وهم الشياطين وممن تبعك منهم من ذرية آدم
اجمعين تاكيد لماذا لا يخلو اما ان يؤكد به الضمير في منهم او الكاف في منك مع من تبعك
ومعناه لاملان جهنم من المتبوعين والتابعين اجمعين لا اترك منهم احدا او لاملانها من الشياطين
وممن تبعهم من جميع الناس لا تفاوت في ذلك بين ناس وناس بعد وجود الاتباع منهم من اولاد الانبياء و
غيرهم قل ما اسالكم عليه من اجر الضمير للقرآن او للوحي وما انا من المتكلفين من الذين يتصنعون
ويتحلون بما ليسوا من اهله وما عرفتموني قط متصنعا ولا مدعيا ما ليس عندي حتى انتحل النبوة واتقول
القرآن ان هو الا ذكر من الله للعالمين للثقلين اوحي الي فانا ابلغه وعن رسول الله صلى الله عليه
وسلم للمتكلف ثلث علامات ينازع من فوقه ويتعاطى ما لا ينال ويقول ما لا يعلم ولتعلمن نباه بعد
حين اي ما ياتيكم عند الموت او يوم القيامة او عند ظهور الاسلام وفشوه من صحة خبره وانه الحق
والصدق وفيه تهديد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة ص كان له بوزن كل جبل
سخره الله لداود عشر حسنات وعصمه ان يصر على ذنب صغير او كبير

سورة الزمر مكية الا قوله قل يا عبادي الذين اسرفوا الآية وتسمى سورة الغرف وهي خمس وسبعون آية وقيل ثنتان وسبعون

بسم الله الرحمن الرحيم تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم انا انزلنا اليك الكتاب بالحق فاعبد
الله بالرفع على انه مبتدا اخبر عنه بالظرف او خبر مبتدا محذوف والجار صلة التنزيل كما تقول
نزل من عند الله او غير صلة كقولك هذا الكتاب من فلان الى فلان وهو على هذا خبر بعد خبر
او خبر مبتدا محذوف تقديره هذا تنزيل الكتاب هذا من الله او حال من التنزيل عمل فيها معنى الاشارة
وبالنصب على اضمار فعل نحو اقرا والزم ما المراد بالكتاب الظاهر على الوجه الاول
انه القرآن وعلى الثاني انه السورة مخلصا له الدين ممحضا له الدين من الشرك والرياء بالتوحيد وتصفية السر
وقرئ الدين بالرفع وحق من رفعه ان يقرا مخلصا بفتح اللام كقوله واخلصوا دينهم لله حتى يطابق
قوله الا لله الدين الخالص والخالص والمخلص واحد الا ان يصف الدين بصفة صاحبه على الاسناد المجازي
كقولهم شعر شاعر واما من جعل مخلصا حالا من العابد وله الدين مبتدا وخبرا فقد جاء باعراب رجع
به الكلام الى قولك لله الدين الا لله الدين الخالص اي هو الذي وجب اختصاصه بان يخلص له الطاعة من
كل شائبة كدر لاطلاعه على الغيوب والاسرار ولانه الحقيق بذلك الخلوص لخلوص نعمته عن استجرار المنفعة بها و

عن قتادة الدين الخالص شهادة ان لا اله الا الله وعن الحسن الاسلام والذين اتخذوا من دونه اولياء يحتمل المتخذين وهم الكفرة والمتخذين وهم الملائكة وعيسى واللات والعزى عن ابن عباس فالضمير في اتخذوا على الاول راجع الى الذين وعلى الثاني الى المشركين ولم يجر ذكرهم لكونه مفهوما والراجع الى الذين محذوف والمعنى والذين اتخذهم المشركون اولياء والذين اتخذوا في موضع الرفع على الابتداء فالخبر اما هو على الاول اما ان الله يحكم بينهم او ما اضمر من القول قبل قوله ما نعبدهم وعلى الثاني ان الله يحكم بينهم فاذا كان ان الله يحكم بينهم الخبر فما موضع القول المضمر يجوز ان يكون في موضع الحال اي قائلين ذلك ويجوز ان يكون بدلا من الصلة فلا يكون له محل كما ان المبدل منه كذلك وقرأ ابن مسعود باظهار القول قالوا ما نعبدهم وفي قراءة ابي ما نعبدكم الا لتقربونا على الخطاب حكاية لما خاطبوا به آلهتهم وقرئ نعبدهم بضم النون اتباعا للعين كما تتبعها الهمزة في الامر والتنوين في عذاب اركض والضمير في بينهم لهم ولاوليائهم والمعنى ان الله يحكم بينهم في ما هم فيه يختلفون بانه يدخل الملائكة وعيسى الجنة ويدخلهم النار مع الحجارة التي نحتوها وعبدوها من دون الله يعذبهم بها حيث يجعلهم واياها حصب جهنم واختلافهم ان الذين يعبدون موحدون وهم مشركون واولئك يعادونهم ويلعنونهم وهم يرجون شفاعتهم وتقريبهم الى الله زلفى وقيل كان المسلمون اذا قالوا لهم من خلق السموات والارض اقروا وقالوا الله فاذا قالوا لهم فما لكم تعبدون الاصنام قالوا ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى فالضمير في بينهم عائد اليهم والى المسلمين والمعنى ان الله يحكم يوم القيمة بين المتنازعين من الفريقين ان الله لا يهدي من هو كاذب كفار المراد بمنع الهداية منع اللطف تسجيلا عليهم بان لا لطف لهم وانهم في علم الله من الهالكين وقرئ كذاب وكذوب وكذبهم قولهم في بعض من اتخذوا من دون الله اولياء بنات الله ولذلك عقبه محتجا عليهم بقوله لو اراد الله ان يتخذ ولدا لاصطفى مما يخلق ما يشاء يعني لو اراد اتخاذ الولد لامتنع ولم يصح لكونه محالا ولم يتأت الا ان يصطفي من خلقه بعضه ويختصهم ويقربهم كما يختص الرجل ولده ويقربه وقد فعل ذلك بالملائكة فافتتنتم به وغركم اختصاصه اياهم فزعمتم انهم اولاده جهلا منكم به وبحقيقته المخالفة لحقائق الاجسام والاعراض كانه قال لو اراد اتخاذ الولد لم يزد على ما فعل من اصطفاء ما يشاء من خلقه وهم الملائكة الا انكم لجهلكم به حسبتم اصطفاءهم اتخاذهم اولادا ثم تماديتم في جهلكم وسفهكم فجعلتموهم بنات فكنتم كذابين كفارين متبالغين في الافتراء على الله وملائكته غالين في الكفر ثم قال سبحانه هو الله الواحد القهار خلق السموات والارض بالحق يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل وسخر الشمس والقمر كل يجري

الا ليقربونا الى الله زلفى

لاجل مسمى سبحانه فنزه ذاته عن ان يكون له احد ما نسبوا اليه من الاولاد والاولياء ودل على ذلك بما نبا فيه وهو انه واحد فلا يجوز ان يكون له صاحبة واذا لم يكن له صاحبة وفيه انه غلاب لكل شيء من الاشياء آلهتهم فهو يغلبهم فكيف يكونون له اولياء او شركاء ثم دل بخلق السموات والارض وتكوير كل واحد من الملوين على الآخر وتسخير النيرين وجريهما لاجل مسمى وبث الناس على كثرة عددهم من نفس واحدة وخلق الانعام على انه واحد لا يشارك قهار لا يغالب والتكوير اللف واللي يقال كار العمامة على راسه وكورها وفيه اوجه منها ان الليل والنهار خلفة يذهب هذا ويغشى مكانه هذا واذا غشي مكانه فكانما البسه ولف عليه كما يلف اللباس على اللابس ومنه قول ذي الرمة في وصف السراب

تلوى الثنايا باحقيها حواشيه لي الملاء بابواب التفاريج

ومنها ان كل واحد منهما يغيب الآخر اذا طرأ عليه فشبه في تغييبه اياه بشيء ظاهر لف عليه ما غيبه عن مطامح الابصار ومنها ان هذا يكر على هذا كرورا متتابعا فشبه بتتابع اكوار العمامة بعضها على اثر بعض الا هو العزيز الغفار الغالب القادر على عقاب المصرين الغفار لذنوب التائبين او الغالب الذي لا يقدر على ان يعاجلهم بالعقوبة وهو يحلم عنهم ويؤخرهم الى اجل مسمى فسمى الحلم عنهم مغفرة

قوله تعالى خلقكم من نفس واحدة ثم جعل منها زوجها وما يعطيه من معنى التراخي ما وجهه هما آيتان من جملة الآيات التي عددها دالا على وحدانيته وقدرته تشعيب هذا الخلق الفائت للحصر من نفس آدم وخلق حواء من قصيراه الا ان احديهما جعلها الله عادة مستمرة والاخرى لم يجر بها العادة ولم يخلق انثى غير حواء من قصيرى رجل فكانت ادخل في كونها آية واجلب لعجب السامع فعطفها بثم على الآية الاولى للدلالة على مباينتها لها فضلا ومزية وتراخيها عنها فيما يرجع الى زيادة كونها آية فهو من التراخي في الحال والمنزلة لا من التراخي في الوجود وقيل ثم متعلق بمعنى واحدة كانه قيل خلقكم من نفس وحدت ثم شفعها الله بزوج وقيل اخرج ذرية آدم من ظهره كالذر ثم خلق بعد ذلك حواء وانزل لكم من الانعام وقضى لكم وقسم لكم لان قضاياه وقسمه موصوفة بالنزول من السماء حيث كتب في اللوح كل كائن يكون وقيل لا تعيش الا بالنبات والنبات لا يقوم الا بالماء وقد انزل الماء فكانه انزلها وقيل خلقها في الجنة ثم انزلها ثمانية ازواج ذكرا وانثى من الابل والبقر والضان والمعز والزوج اسم لواحد معه آخر فاذا انفرد فهو فرد ووتر قال الله تعالى فجعل منه الزوجين الذكر والانثى يخلقكم في بطون امهاتكم خلقا من بعد خلق حيوانا سويا من بعد عظام مكسوة لحما من بعد عظام عارية من بعد مضغ من بعد

في ظلمات ثلث

علقا من بعد نطفة والظلمات الثلث البطن والرحم والمشيمة وقيل الصلب والرحم والبطن
ذلكم الذي هذه افعاله هو الله ربكم فانى تصرفون فكيف يعدل بكم عن عبادته الى عبادة غيره ان تكفروا
فان الله غني عنكم عن ايمانكم وانتم المحتاجون اليه لاستضراركم بالكفر واستنفاعكم بالايمان ولا يرضى
لعباده الكفر رحمة لهم لانه يوقعهم في الهلكة وان تشكروا يرضه لكم اي يرض الشكر لكم
لانه سبب فوزكم وفلاحكم فاذن ما كره كفركم ولا رضي شكركم الا لكم ولصلاحكم لا لان منفعة
ترجع اليه لانه الغني الذي لا يجوز عليه الحاجة ولقد تمحل بعض الغواة ليثبت لله ما نفاه عن
ذاته من الرضى لعباده الكفر فقال هذا من العام الذي اريد به الخاص وما اراد الا عباده الذين
عناهم في قوله ان عبادي ليس لك عليهم سلطان يريد المعصومين كقوله عينا يشرب بها عباد الله تعالى الله
عما يقول الظالمون وقرئ يرضه بضم الهاء بوصل وبغير وصل وسكونها ولا تزر وازرة وزر اخرى ثم الى ربكم
مرجعكم فينبئكم بما كنتم تعملون انه عليم بذات الصدور واذا مس الانسان ضر دعا ربه منيبا اليه ثم اذا خوله نعمة
منه نسي ما كان يدعوا اليه من قبل خوله اعطاه قال ابو النجم اعطى فلم يبخل ولم يبخل
كوم الذرى من خول المخول وفي حقيقته وجهان احدهما جعله خائل مال من قولهم هو خائل مال
وخال مال اذا كان متعهدا له حسن القيام به ومنه ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه كان يتخول
اصحابه بالموعظة والثاني جعله يخول من خال يخول اذا اختال وافتخر وفي معناه قول العرب
ان الغني طويل الذيل مياس ما كان يدعو اليه اي نسي الضر الذي كان يدعو الله الى كشفه وقيل
نسي ربه الذي كان يتضرع اليه ويبتهل اليه وما بمعنى من كقوله وما خلق الذكر والانثى وجعل لله
اندادا ليضل عن سبيله وقرئ ليضل بفتح الياء وضمها يعني ان نتيجة جعله لله اندادا ضلاله عن سبيل
الله او اضلاله والنتيجة قد تكون غرضا في الفعل وقد تكون غير غرض وقوله قل تمتع بكفرك قليلا
انك من اصحاب النار تمتع بكفرك من باب الخذلان والتخلية كانه قيل له اذ قد ابيت قبول ما امرت به من
الايمان والطاعة فمن حقك ان لا تؤمر به بعد ذلك وتؤمر بتركه مبالغة في خذلانه وتخليته و
شانه لانه لا مبالغة في الخذلان اشد من ان يبعث على عكس ما امر به ونظيره في المعنى قوله متاع
قليل ثم ماويهم جهنم وقرئ امن هو قانت بالتخفيف على ادخال همزة الاستفهام على من وبالتشديد
على ادخال ام عليه ومن مبتدا خبره محذوف تقديره امن هو قانت كغيره وانما حذف لدلالة الكلام
عليه وهو جري ذكر الكافر قبله وقوله بعده قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون وقيل
معناه امن هو قانت افضل ام من هو كافر او اهذا افضل ام من هو قانت على الاستفهام المتصل و

والقانت القائم بما يجب عليه من الطاعة ومنه قوله عليه السلام افضل الصلوة القنوت وهو القيام فيها ومنه
القنوت في الوتر لانه دعاء المصلي قائما اناء الليل ساجدا وقائما يحذر الاخرة ويرجو رحمة ربه قل هل يستوي الذين
يعلمون والذين لا يعلمون انما يتذكر اولوا الالباب قل يا عبادي الذين امنوا اتقوا ربكم للذين احسنوا ساجدا حال و
قرئ ساجد وقائم على انه خبر بعد خبر والواو للجمع بين الصفتين وقرئ ويحذر عذاب الاخرة واراد بالذين
لا يعلمون العاملين من علماء الديانة كانه جعل من لا يعمل غير عالم وفيه ازدراء عظيم بالذين يقتنون العلوم
ثم لا يقنتون ويفتنون فيها ثم يفتنون بالدنيا فهم عند الله جهلة حيث جعل القانتين هم العلماء و
يجوز ان يرد على سبيل التشبيه اي كما لا يستوي العالمون والجاهلون كذلك لا يستوي القانتون والعاصون
وقيل نزلت في عمار بن ياسر وابي حذيفة بن المغيرة المخزومي وعن الحسن انه سئل عن رجل يتمادى
في المعاصي ويرجو فقال هذا تمن وانما الرجاء قوله فتلا هذه الاية وقرئ انما يذكر بالادغام
في هذه الدنيا حسنة متعلق باحسنوا لا بحسنة معناه الذين احسنوا في هذه الدنيا فلهم حسنة في الاخرة
وهي دخول الجنة اي حسنة غير مكتنهة بالوصف وقد علقه السدي بحسنة ففسر الحسنة بالصحة
والعافية اذا علق الظرف باحسنوا فاعرابه ظاهر فما معنى تعليقه بحسنة ولا يصح ان
يقع صفة لها لتقدمه هو صفة لها اذا تاخر فاذا تقدم كان بيانا لمكانها فلم يخل التقدم
بالتعلق وان لم يكن التعلق وصفا وارض الله واسعة اي لا عذر للمفرطين في الاحسان البتة حتى
ان اعتلوا باوطانهم وبلادهم وانهم لا يتمكنون فيها من التوفر على الاحسان وصرف الهمم اليه قيل لهم فان
ارض الله واسعة وبلاده كثيرة فلا تجتمعوا مع العجز وتحولوا الى بلاد اخر واقتدوا بالانبياء والصالحين
في مهاجرتهم الى غير بلادهم ليزدادوا احسانا الى احسانهم وطاعة الى طاعتهم وقيل هو للذين كانوا في
بلد المشركين فامروا بالمهاجرة عنه كقوله تعالى الم تكن ارض الله واسعة فتهاجروا فيها وقيل هي
ارض الجنة انما يوفى الصابرون اجرهم والصابرون الذين صبروا على مفارقة اوطانهم وعشائرهم
وعلى غيرها من تجرع الغصص واحتمال البلايا في طاعة الله وازدياد الخير بغير حساب لا يحاسبون
عليه وقيل بغير مكيال وغير ميزان يغرف لهم غرفا وهو تمثيل للتكثير وعن ابن عباس لا يهتدي
اليه حساب الحساب ولا يعرف وعن النبي صلى الله عليه وسلم ينصب الله الموازين يوم القيمة
فيؤتى باهل الصلوة فيوفون اجورهم بالموازين ويؤتى باهل الصدقة فيوفون اجورهم بالموازين
ويؤتى باهل الحج فيوفون اجورهم بالموازين ويؤتى باهل البلاء فلا ينصب لهم ميزان ولا ينشر
لهم ديوان ويصب لهم الاجر صبا قال الله تعالى انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب حتى يتمنى اهل العافية

فى الدنيا ان اجتنابهم تعرّض بالمغاربى مما يذهب به اهل البلاء من الفضل قل انى امرت ان اعبد الله مخلصا
له الدين باخلاص الدين وامرت لاجل ان اكون اول المسلمين اى مقدّمهم وسابقهم فى الدنيا والآخرة والمعنى
ان الاخلاص له السبقة فى الدين فمن اخلص كان سابقا كيف عطف امرت على امرت وهما
واحد ليسا بواحد لاختلاف جهتيهما وذلك ان الامر بالاخلاص وتكليفه شئ والامر به ليحرز
القائم به قصب السبق فى الدين شئ واذا اختلف وجها الشئ وصفتاه ينزل بذلك منزلة شيئين مختلفين
ولك ان تجعل اللام مزيدة مثلها فى اردت لان افعل ولا تزاد الا مع ان خاصة دون الاسم الصريح كانها
زيدت عوضا من ترك الاصل الى ما يقوم مقامه كما عوض السين فى اسطاع عوضا من ترك الاصل
الذى هو اطوع والدليل على هذا الوجه مجيئه بغير لام فى قوله وامرت ان اكون من المسلمين وامرت ان
اكون من المؤمنين وامرت ان اكون اول من اسلم وفى معناه اوجه ان اكون اول من اسلم فى
زمانى ومن قومى لانه اول من خالف دين آبائه وخلع الاصنام وحطمها وان اكون اول الذين دعوتهم
الى الاسلام اسلاما وان اكون اول من دعا نفسه الى ما دعا اليه غيره لاكون مقتدى به فى قولى وفعلى جميعا
ولا تكون صفتى صفة الملوك الذين يامرون بما لا يفعلون وان افعل ما استحق به الاولية من
اعمال السابقين دلالة على السبب بالمسبب يعنى ان الله امرنى ان اخلص له الدين من الشرك والرياء
وكل شوب بدليلى العقل والوحى فان عصيت ربى بمخالفة الدليلين استوجبت عذابه فلا اعصيه
ولا اتابع امركم وذلك حين دعوه الى دين آبائه ما معنى التكرير فى قوله قل انى امرت ان
اعبد الله مخلصا له الدين وقوله قل انى اخاف ان عصيت ربى عذاب يوم عظيم قل الله اعبد مخلصا له
دينى ليس بتكرير لان الاول للاخبار بانه مامور من جهة الله باحداث العبادة والاخلاص
والثانى اخبار بانه يخص الله وحده دون غيره بعبادته مخلصا له دينه ولدلالته على ذلك قدّم المعبود
على فعل العبادة واخّر فى الاول فالكلام اولا واقع فى الفعل نفسه وايجاده وثانيا فيمن يفعل
الفعل لاجله ولذلك رتب عليه قوله فاعبدوا ما شئتم من دونه والمراد بهذا الامر الوارد على وجه
التخيير المبالغة فى الخذلان والتخلية على ما حققت فيه القول مرتين قل ان الخاسرين الكاملين
فى الخسران الجامعين لوجوهه واسبابه هم الذين خسروا انفسهم لوقوعها فى هلكة لا هلكة بعدها
وخسروا اهليهم لانهم ان كانوا من اهل النار فقد خسروهم كما خسروا انفسهم وان كانوا من اهل الجنة
فقد ذهبوا عنهم ذهابا لا رجوع اليهم بعده وقيل وخسروهم لانهم لم يدخلوا مدخل المؤمنين الذين
لهم اهل فى الجنة يعنى وخسروا اهليهم الذين كانوا يكونون لهم لو آمنوا ولقد وصف خسرانهم بغاية

القطاعة فى قوله يوم القيمة الا ذلك هو الخسران المبين حيث استانف الجملة وصدرها بحرف التنبيه
ووسّط الفصل بين المبتدا والخبر وعرّف الخسران ونعته بالمبين لهم من فوقهم ظلل من النار ومن
تحتهم ظلل ومن تحتهم اطباق من النار وهى ظلل لآخرين ذلك يخوف الله به عباده العذاب هو الذى
يتوعد به الله عباده ويخوفهم ليجتنبوا ما يوقعهم فيه يا عباد فاتقون ولا تتعرضوا لما يوجب سخطى
وهذه عظة من الله ونصيحة بالغة وقرئ يا عبادى والذين اجتنبوا الطاغوت الطاغوت فعلوت
من الطغيان كالملكوت والرحموت الا ان فيها قلبا بتقديم اللام على العين اطلقت على الشيطان او
الشياطين لكونها مصدرا وفيها مبالغات وهى التسمية بالمصدر كان عين الشيطان طغيان و
ان البناء بناء مبالغة فان الرحموت الرحمة الواسعة والملكوت الملك المبسوط والقلب وهو للاختصاص
اذ لا يطلق على غير الشيطان والمراد بها ههنا الجمع وقرئ الطواغيت لهم البشرى فبشر عبادى هى البشارة
بالثواب كقوله لهم البشرى فى الحيوة الدنيا وفى الآخرة الله عز وجل يبشرهم بذلك فى وحيه على السنة
رسله وتتلقاهم الملائكة عند حضور الموت مبشرين وحين يحشرون قال الله تعالى يوم ترى المؤمنين
والمؤمنات يسعى نورهم بين ايديهم وبايمانهم بشراكم اليوم جنات واراد بعباده الذين يستمعون
القول فيتبعون احسنه الذين اجتنبوا وانابوا لا غيرهم وانما اراد بهم ان يكونوا مع الاجتناب و
الانابة على هذه الصفة فوضع الظاهر موضع الضمير اراد ان يكونوا نقادا فى الدين يميزون بين الحسن
والاحسن والفاضل والافضل فاذا اعترضهم امران واجب وندب اختاروا الواجب وكذلك
المباح والندب حراصا على ما هو اقرب عند الله واكثر ثوابا ويدخل تحته المذاهب واختيار اثبتها
على السبك واقواها عند السبر وابينها دليلا او امارة وان لا تكون فى مذهبك كما قال القائل
ولا تكن مثل عير قيد فانقادا يريد المقلد وقيل يستمعون القرآن وغيره فيتبعون القرآن
وقيل يستمعون اوامر الله فيتبعون احسنها نحو القصاص والعفو والانتصار والاغضاء والابداء
والاخفاء لقوله وان تعفوا اقرب للتقوى وان تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم وعن ابن
عباس هو الرجل يجلس مع القوم فيسمع الحديث فيه محاسن ومساو فيحدث باحسن ما سمع و
يكف عما سواه ومن الوقفة من يقف على فبشر عبادى ويبتدئ الذين يستمعون برفعه
على الابتداء وخبره اولئك اصل الكلام امن حق عليه كلمة العذاب فانت تنقذه جملة شرطية
دخل عليها همزة الانكار والفاء فاء الجزاء ثم دخلت الفاء التى فى اولها للعطف على محذوف يدل
عليه الخطاب تقديره اانت مالك امرهم فمن حق عليه العذاب فانت تنقذه والهمزة الثانية هى الاولى

ان يعبدوها وانابوا الى الله

ان يعبدوها بدل من الطاغوت بدل الاشتمال صح

كررت لتوكيد معنى الإنكار والاستبعاد ووضع من في النار موضع الضمير فالآية على هذا جملة
واحدة ووجه آخر وهو أن تكون الآية جملتين أولئك هم الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب أفمن
حق عليه كلمة العذاب فأنت تخلصه أفأنت تنقذ من في النار وإنما جاز حذف فأنت تخلصه لأن
أفأنت تنقذ يدل عليه نزل استحقاقهم العذاب وهم في الدنيا منزلة دخولهم النار حتى نزل اجتهاد
رسول الله صلى الله عليه وسلم وكده نفسه في دعائهم إلى الإيمان منزلة إنقاذهم من النار وقوله
أفأنت تنقذ يفيد أن الله تعالى هو الذي يقدر على الإنقاذ من النار وحده لا يقدر على ذلك
أحد غيره فكما لا تقدر أنت أن تنقذ الداخل في النار من النار لا تقدر أن تخلصه مما هو فيه
من استحقاق العذاب بتحصيل الإيمان فيه لكن الذين اتقوا ربهم لهم غرف من فوقها غرف علالي بعضها
فوق بعض ما معنى قوله مبنية معناه والله أعلم أنها بنيت بناء المنازل التي
على الأرض وسويت تسويتها تجري من تحتها الأنهار كما تجري من تحت المنازل من غير تفاوت بين العلو
والسفل وعد الله لا يخلف الله الميعاد مصدر مؤكد لأن قوله لهم غرف في معنى وعدهم الله ذلك
ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء هو المطر وقيل كل ماء في الأرض فهو من السماء ينزل منها إلى
الصخرة ثم يقسمه الله فسلكه فأدخله ونظمه ينابيع في الأرض عيونا ومسالك ومجاري كالعروق
في الأجساد ثم يخرج به زرعا مختلفا ألوانه ثم يهيج فتراه مصفرا ثم يجعله حطاما مختلفا ألوانه هيئاته
من خضرة وحمرة وصفرة وبياض وغير ذلك أو أصنافه من بر وشعير وسمسم وغيرها يهيج يتم جفافه
عن الأصمعي لأنه إذا تم جفافه حان له أن يثور عن منابته ويذهب حطاما فتاتا ودرينا إن
في ذلك لذكرى لأولي الألباب لتذكيرا وتنبيها على أنه لا بد من صانع حكيم وأن ذلك كائن عن تقدير
وتدبير لا عن تعطيل وإهمال ويجوز أن يكون مثلا للدنيا كقوله إنما مثل الحياة الدنيا واضرب لهم مثل
الحياة الدنيا وقرئ مصفارا أفمن شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربه فويل للقاسية قلوبهم
أفمن عرف الله أنه من أهل اللطف فلطف به حتى انشرح صدره للإسلام ورغب فيه وقبله كمن
لا لطف له فهو حرج الصدر قاسي القلب ونور الله هو لطفه وقرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه
الآية فقيل كيف انشراح الصدر قال إذا دخل النور القلب انشرح وانفسح فقيل يا رسول الله فما علامة
ذلك قال الإنابة إلى دار الخلود والتجافي عن دار الغرور والتأهب للموت قبل نزول الموت وهو
نظير قوله أمن هو قانت في حذف الخبر من ذكر الله أولئك في ضلال مبين الله نزل أحسن الحديث من
أجل ذكر الله أي إذا ذكر الله عندهم أو آياته اشمأزوا وازدادت قلوبهم قساوة كقوله فزادتهم رجسا

وقرئ عن ذكر الله ما الفرق بين من وعن في هذا إذا قلت قسا قلبه من ذكر
الله فالمعنى ما ذكرت من أن القسوة من أجل الذكر وبسببه وإذا قلت عن ذكر الله فالمعنى غلظ عن
قبول الذكر وجفا عنه ونظيره سقاه من العيمة أي من أجل عطشه وسقاه عن العيمة إذا أرواه حتى
أبعده عن العطش عن ابن مسعود أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ملوا ملة فقالوا له حدثنا
فنزلت وإيقاع اسم الله مبتدأ وبناء نزل عليه فيه تفخيم لأحسن الحديث ورفع منه واستشهاد
على حسنه وتأكيد لاستناده إلى الله وأنه من عنده وأن مثله لا يجوز أن يصدر إلا عنه وتنبيه على أنه وحي
معجز مباين لسائر الأحاديث وكتابا بدل من أحسن الحديث ويحتمل أن يكون حالا منه ومتشابها مطلق
في مشابهة بعضه بعضا فكان متناولا لتشابه معانيه في الصحة والإحكام والبناء على الحق والصدق
ومنفعة الخلق وتناسب ألفاظه وتناصفها في التخير والإصابة وتجاوب نظمه وتأليفه في الإعجاز و
التبكيت ويجوز أن يكون مثاني تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم بيانا لكونه
متشابها لأن القصص المكررة لا تكون إلا متشابهة والمثاني جمع مثنى بمعنى مردد ومكرر لما
ثني من قصصه وأنبائه وأحكامه وأوامره ونواهيه ووعده ووعيده ومواعظه وقيل لأنه يثنى
في التلاوة فلا يمل كما جاء في وصفه لا يتفه ولا يتشان ولا يخلق على كثرة الرد ويجوز أن يكون
جمع مثنى مفعل من التثنية بمعنى التكرير والإعادة كما كان قوله تعالى ثم ارجع البصر كرتين بمعنى
كرة بعد كرة وكذلك لبيك وسعديك وحنانيك كيف وصف الواحد بالجمع
إنما صح ذلك لأن الكتاب جملة ذات تفاصيل وتفاصيل الشيء هي جملته لا غير ألا تراك
تقول القرآن أسباع وأخماس وسور وآيات فكذلك تقول أقاصيص وأحكام ومواعظ مكررات و
نظيره قولك الإنسان عظام وعروق وأعصاب إلا أنك تركت الموصوف إلى الصفة وأصله كتابا
متشابها فصولا مثاني ويجوز أن يكون كقولك برمة أعشار وثوب أخلاق ويجوز أن لا يكون
مثاني صفة ويكون منتصبا على التمييز من متشابها كما تقول رأيت رجلا حسنا شمائل والمعنى متشابهة
مثانيه ما فائدة التثنية والتكرير النفوس أنفر شيء عن حديث الوعظ والنصيحة
فما لم يكرر عليها عودا عن بدء لم يرسخ فيها ولم يعمل عمله ومن ثم كانت عادة رسول الله صلى الله عليه و
سلم أن يكرر عليهم ما كان يعظ به وينصح ثلاث مرات وسبعا ليركزه في قلوبهم ويغرسه في صدورهم
اقشعر الجلد إذا تقبض تقبضا وتركيبه من حروف القشع وهو الأديم اليابس مضموما إليها حرف رابع
وهو الراء ليكون رباعيا ودالا على معنى زائد يقال اقشعر جلده من الخوف وقف شعره وهو مثل في

في شدة الخوف فيجوز أن يريد به الله سبحانه التمثيل تصويرا لإفراط خشيتهم وأن يريد التحقيق و
المعنى أنهم إذا سمعوا بالقرآن وبآيات وعيده أصابتهم خشية تقشعر منها جلودهم ثم إذا ذكروا
الله ورحمته وجوده بالمغفرة لانت جلودهم وقلوبهم وزال عنها ما كان بها من الخشية والقشعريرة
ما وجه تعدية تلين بإلى ضمن معنى فعل متعد بإلى كأنه قيل سكنت واطمأنت
إلى ذكر الله لينة غير منقبضة راجية غير خاشية لم اقتصر على ذكر الله من غير ذكر الرحمة
لأن أصل أمره الرحمة والرأفة ورحمته هي سابقة غضبه فلأصالة رحمته إذا ذكر لم يخطر
بالبال قبل كل شيء من صفاته إلا كونه رؤوفا رحيما لم ذكرت الجلود وحدها أولا ثم
قرنت بها القلوب ثانيا إذا ذكرت الخشية التي محلها القلوب فكأنه قيل تقشعر جلودهم
من آيات الوعيد وتخشى قلوبهم في أول وهلة فإذا ذكروا الله ومبنى أمره على الرأفة والرحمة
استبدلوا بالخشية رجاء في قلوبهم وبالقشعريرة لينا في جلودهم ذلك إشارة إلى الكتاب و
هو هدى الله يهدي به من يشاء يعني عباده المتقين حتى يخشوا تلك الخشية ويرجوا ذلك
الرجاء كما قال هدى للمتقين ومن يضلل الله ومن يخذله من الفساق والفجرة فما له من هاد أو ذلك
الكائن من الخشية والرجاء هدى الله أي أثر هداه وهو لطفه فسماه هدى لأنه حاصل بالهدى
يهدي به بهذا الأثر من يشاء من عباده يعني من صحب أولئك ورآهم خاشعين راجين فكان
ذلك مرغبا لهم في الاقتداء بسيرتهم وسلوك طريقتهم ومن يضلل الله ومن لم يؤثر فيه ألطافه
لقسوة قلبه وإصراره على فجوره فما له من هاد من مؤثر فيه بشيء قط يقال اتقاه بدرقته
استقبله بها فوقى بها نفسه إياه واتقاه بيده وتقديره أفمن يتقي بوجهه سوء العذاب يوم القيامة
كمن أمن العذاب فحذف الخبر كما حذف في نظائره وسوء العذاب شدته ومعناه أن الإنسان
إذا لقي مخوفا من المخاوف استقبله بيده وطلب أن يقي بها وجهه لأنه أعز أعضائه عليه والذي
يلقى في النار يلقى مغلولة يداه إلى عنقه فلا يتهيأ له أن يتقي النار إلا بوجهه الذي كان
يتقي المخاوف بغيره وقاية له ومحاماة عليه وقيل المراد بالوجه الجملة وقيل نزلت في أبي جهل
وقال لهم خزنة النار وقيل للظالمين ذوقوا وبال ما كنتم تكسبون كذب الذين من قبلهم فأتاهم العذاب
من حيث لا يشعرون من الجهة التي لا يحتسبون ولا يخطر ببالهم أن الشر يأتيهم منها بينا هم آمنون
رافهون إذ فوجئوا من مأمنهم فأذاقهم الله الخزي في الحياة الدنيا ولعذاب الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون ولقد
ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل لعلهم يتذكرون والخزي الذل والصغار كالمسخ والخسف والقتل و

الجلاء وما أشبه ذلك من نكال الله قرآنا عربيا حال مؤكدة كقولك جاءني زيد رجلا صالحا وإنسانا عاقلا
ويجوز أن ينتصب على المدح غير ذي عوج مستقيما بريئا من التناقض والاختلاف فهلا قيل مستقيما
أو غير معوج فيه فائدتان إحداهما نفي أن يكون فيه عوج قط كما قال ولم يجعل له عوجا
والثاني أن لفظ العوج مختص بالمعاني دون الأعيان وقيل المراد بالعوج الشك واللبس وأنشد
وقد أتاك يقين غير ذي عوج من الإله وقول غير مكذوب لعلهم يتقون ضرب الله مثلا رجلا فيه شركاء متشاكسون
ورجلا واضرب لقومك مثلا وقل لهم ما تقولون في رجل من المماليك قد اشترك فيه شركاء بينهم اختلاف و
تنازع كل واحد منهم يدعي أنه عبده فهم يتجاذبونه ويتعاورونه في مهن شتى ومشاده وإذا عنت له
حاجة تدافعوه فهو متحير في أمره سادر قد تشعبت الهموم قلبه وتوزعت أفكاره لا يدري أيهم يرضي
بخدمته وعلى أيهم يعتمد في حاجته وفي آخر قد سلم لمالك واحد وخلص له فهو معتنق لما لزمه من
خدمته معتمد عليه فيما يصلحه فهمه واحد وقلبه مجتمع أي هذين العبدين أحسن حالا وأحمد شأنا
والمراد تمثيل حال من يثبت آلهة شتى وما يلزمه على قضية مذهبه من أن يدعي كل واحد منهم عبوديته
ويتشاكسوا في ذلك ويتغالبوا كما قال الله تعالى ولعلا بعضهم على بعض ويبقى هو متحيرا ضائعا لا يدري
أيهم يعبد وعلى ربوبية أيهم يعتمد وممن يطلب رزقه وممن يلتمس رفقه فهمه شعاع وقلبه
أوزاع وحال من لم يثبت إلا إلها واحدا فهو قائم بما كلفه عارف بما أرضاه وما أسخطه متفضل
عليه في عاجله مؤمل للثواب في آجله وفيه صلة شركاء كما تقول اشتركوا فيه والتشاكس والتشاخص
الاختلاف تقول تشاكست أحواله وتشاخصت أسنانه سلما لرجل خالصا له وقرئ سلما بفتح الفاء
والعين وفتح الفاء وكسرها مع سكون العين وهي مصادر سلم والمعنى ذا سلامة لرجل أي ذا خلوص له
من الشركة من قولهم سلمت له الضيعة وقرئ بالرفع على الابتداء أي وهناك رجل سالم لرجل
وإنما جعله رجلا ليكون أفطن لما شقي به أو سعد فإن المرأة والصبي قد يغفلان عن ذلك هل
يستويان مثلا هل يستويان صفة على التمييز والمعنى هل تستوي صفتاهما وحالاهما وإنما اقتصر
على التمييز على الواحد لبيان الجنس وقرئ مثلين كقوله وأكثر أموالا وأولادا مع قوله أشد منهم قوة
ويجوز فيمن قرأ مثلين أن يكون الضمير في يستويان للمثلين لأن التقدير مثل رجل ومثل رجل و
المعنى هل يستويان فيما يرجع إلى الوصفية كما تقول كفى بهما رجلين الحمد لله الواحد الذي لا شريك له
دون كل معبود سواه أي يجب أن يكون الحمد متوجها إليه وحده والعبادة فقد ثبت أنه لا إله إلا
هو بل أكثرهم لا يعلمون فيشركون به غيره كانوا يتربصون برسول الله صلى الله عليه وسلم موته فأخبر

انّ الموت يعمّهم فلا معنى للتربّص وشماتة الباقى بالفانى وعن قتادة نعى الى نبيه نفسه ونعى اليكم انفسكم
وقرئ مائت ومائتون والفرق بين الميت والمائت ان الميت صفة لازمة كالسيد واما المائت فصفة
حادثة تقول زيد مائت غدا كما تقول سائد غدا اى سيموت وسيسود واذا قلت زيد ميت فكما تقول حى فى
نقيضه فيما يرجع الى اللزوم والثبوت والمعنى فى قوله انك ميت وانهم ميتون انك واياهم وان كنتم احياء فانتم
فى عداد الموتى لان ما هو كائن فكأن قد كان ثم انكم ثم انك واياهم فغلب ضمير المخاطب على ضمير الغيب يوم
القيامة عند ربكم تختصمون فتحتج انت عليهم بانك بلغت فكذبوا واجتهدت فى الدعوة فلجّوا فى العناد
ويعتذرون بما لا طائل تحته يقول الاتباع اطعنا سادتنا وكبراءنا ويقول السادة اغوتنا الشياطين
وآباؤنا الاقدمون وقد حمل على اختصام الجميع وان الكفار يخاصم بعضهم بعضا حتى يقال لهم لا تختصموا
لدىّ والمؤمنين الكافرين يبكتونهم بالحجج واهل القبلة يكون بينهم الخصام قال عبد الله بن عمر لقد
عشنا برهة من دهرنا ونحن نرى ان هذه الآية نزلت فينا وفى اهل الكتاب قلنا كيف نختصم ونبينا واحد
وديننا واحد وكتابنا واحد حتى رأيت بعضنا يضرب وجوه بعض بالسيف فعرفت انها نزلت فينا وقال
ابو سعيد الخدرى كنا نقول ربنا واحد ونبينا واحد وديننا واحد فما هذه الخصومة فلما كان يوم صفين
وشد بعضنا على بعض بالسيوف قلنا نعم هو هذا وعن ابرهيم النخعى قالت الصحابة ما خصومتنا ونحن
اخوان فلما قتل عثمان رضى الله عنه قالوا هذه خصومتنا وعن ابى العالية نزلت فى اهل القبلة والوجه
الذى يدل عليه كلام الله هو ما قدمت اولا الا ترى الى قوله فمن اظلم ممن كذب على الله وقوله والذى
جاء بالصدق وصدق به وما هو الا بيان وتفسير للذين يكون بينهم الخصومة كذب على الله افترى
عليه باضافة الولد والشريك اليه وكذب بالصدق بالامر الذى هو الصدق بعينه وهو ما جاء به محمد
صلى الله عليه وسلم اذ جاءه فاجأه بالتكذيب لما سمع به من غير وقفة لاعمال روية او اهتمام بتمييز بين حق
وباطل كما يفعل اهل النصفة فيما يسمعون اليس فى جهنم مثوى للكافرين اى لهؤلاء الذين كذبوا
على الله وكذبوا بالصدق واللام فى الكافرين اشارة اليهم والذى جاء بالصدق وصدق به هو رسول
الله صلى الله عليه وسلم جاء بالحق وآمن به واراد به اياه ومن تبعه كما اراد بموسى اياه وقومه فى
قوله ولقد آتينا موسى الكتاب لعلهم يهتدون فلذلك قال اولئك هم المتقون الا ان هذا فى الصفة
وذاك فى الاسم ويجوز ان يريد والفوج او الفريق الذى جاء بالصدق وصدق به وهم الرسول الذى جاء
بالصدق وصحابته الذين صدقوا به وقرئ وصدق به بالتخفيف اى صدق به الناس ولم يكذبهم يعنى
اداه اليهم كما نزل عليه من غير تحريف وقيل وصار صادقا به اى بسببه لان القرآن معجزة والمعجزة تصديق

من الحكيم الذى لا يفعل القبيح لمن يجريها على يده ولا يجوز ان يصدق الا الصادق فيصير لذلك
صادقا بالمعجزة وقرئ وصدّق به ما معنى اضافة الاسوأ لهم ما يشاؤن عند ربهم ذلك
جزاء المحسنين ليكفر الله عنهم اسوأ الذى عملوا ويجزيهم اجرهم باحسن الذى كانوا يعملون والاحسن الى الذين عملوا
وما معنى التفضيل فيهما اما الاضافة فما هى من اضافة افعل الى الجملة التى يفضل عليها و
لكن من اضافة الشئ الى ما هو بعضه من غير تفضيل كقولك الاشج اعدل بنى مروان واما التفضيل فايذان
بان الشئ الذى يفرط منهم من الصغائر والزلات المكفرة هو عندهم الاسوأ لاستعظامهم المعصية
والحسن الذى يعملونه هو عند الله الاحسن لحسن اخلاصهم فيه فلذلك ذكر سيئهم بالاسوأ وحسنهم
بالاحسن وقرئ اسواء الذى عملوا جمع سوء اليس الله بكاف عبده ادخلت همزة الانكار على كلمة النفى
فافيد معنى اثبات الكفاية وتقريرها وقرئ بكاف عبده وهو رسول الله صلى الله عليه وسلم وبكاف
عباده وهم الانبياء عليهم السلام وذلك ان قريشا قالت لرسول الله صلى الله عليه وسلم انا نخاف ان تخبلك
آلهتنا وانا نخشى عليك معرتها لعيبك اياها ويروى انه بعث خالدا الى العزى ليكسرها فقال له
سادنها احذركها يا خالد ان لها شدة لا يقوم لها شئ فعمد خالد اليها فهشم انفها فقال الله
عز وجل اليس الله بكاف نبيه ان يعصمه من كل سوء ويدفع عنه كل بلاء فى مواطن الخوف وفى هذا تهكم
بهم لانهم خوفوه ما لا يقدر على نفع ولا ضر او اليس الله بكاف انبياءه ولقد قالت اممهم نحو ذلك
فكفاهم الله وذلك قول قوم هود ان نقول الا اعتراك بعض آلهتنا بسوء ويجوز ان يريد العبد
والعباد على الاطلاق لانه كافيهم فى الشدائد وكافل مصالحهم وقرئ بكافى عباده على الاضافة و
يكافى عباده ويكافى يحتمل ان يكون غير مهموز مفاعلة من الكفاية كقولك يجازى فى يجزى وهو ابلغ من
كفى لبنائه على لفظ المغالبة والمباراة وان يكون مهموزا من المكافأة وهى المجازاة لما تقدم من قوله و
يجزيهم اجرهم ويخوفونك بالذين من دونه اراد الاوثان التى اتخذوها آلهة من دونه ومن يضلل الله
فما له من هاد ومن يهد الله فما له من مضل اليس الله بعزيز ذى انتقام ينتقم من اعدائه وفيه وعيد
لقريش ووعد للمؤمنين بانه ينتقم لهم منهم وينصرهم عليهم ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن
الله قل افرأيتم ما تدعون من دون الله ان ارادنى الله بضر هل هن قرئ كاشفات ضره وممسكات
رحمته بالتنوين على الاصل وبالاضافة للتخفيف لم فرض المسئلة دونهم
لانهم خوفوه معرة الاوثان وتخبيلها فامر بان يقررهم اولا بان خالق العالم هو الله وحده ثم يقول
لهم بعد التقرير فان ارادنى خالق العالم الذى اقررتم به بضر من مرض او فقر او غير ذلك من النوازل

بغالب منيع صح

فى نفسه صح

او برحمة من صحة او غنى او نحوهما هل هؤلاء اللاتى تدعون فيمونى اياهن كاشفات عنى ضره او ممسكات
رحمته حتى اذا القمهم الحجر وقطعهم حتى لا يحيروا ببنت شفة قال قل حسبى الله كافيا لمعرة اوثانكم عليه
يتوكل المتوكلون وفيه تهكم ويروى ان النبى صلى الله عليه وسلم سألهم فسكتوا فنزل قل حسبى الله
لم قيل كاشفات وممسكات على التانيث بعد قوله ويخوفونك بالذين من دونه
انثى وكن اناثا وهن اللات والعزى ومناة قال الله تعالى افرايتم اللات والعزى ومناة الثالثة
الاخرى الكم الذكر وله الانثى ليضعفها ويعجزها زيادة تضعيف وتعجيز عما طالبهم به من كشف الضر و
امساك الرحمة لان الانوثة من باب اللين والرخاوة كما ان الذكورة من باب الشدة والصلابة كانه قال
الاناث اللاتى هن اللات والعزى ومناة اضعف مما تدعون لهن واعجز وفيه تهكم ايضا قل يا قوم
اعملوا على مكانتكم على حالكم التى انتم عليها وجهتكم من العداوة التى تمكنتم منها والمكانة بمعنى المكان
فاستعيرت عن العين للمعنى كما يستعار هنا وحيث للزمان وهما للمكان حق الكلام فانى
عامل على مكانتى فلم حذف للاختصار ولما فيه من زيادة الوعيد والايذان بان حاله لا تقف
وتزداد كل يوم قوة وشدة لان الله ناصره ومعينه ومظهره على الدين كله الا ترى الى قوله فسوف
تعلمون كيف توعدهم بكونه منصورا عليهم غالبا عليهم فى الدنيا والآخرة لانهم اذا اتاهم الخزى والعذاب
فذلك عزه وغلبته من حيث ان الغلبة تتم له بعز عزيز من اوليائه وبذل ذليل من اعدائه من
يأتيه عذاب يخزيه ويحل عليه عذاب مقيم انا انزلنا عليك الكتاب يخزيه مثل مقيم فى وقوعه صفة للعذاب
اى عذاب مخز له وهو يوم بدر وعذاب دائم وهو عذاب النار وقرئ مكاناتكم للناس بالحق فمن
اهتدى فلنفسه ومن ضل فانما يضل عليها وما انت عليهم بوكيل لاجلهم ولاجل حاجتهم اليه ليبشروا
وينذروا فيقوى دواعيهم الى اختيار الطاعة على المعصية ولا حاجة لى فى ذلك وانا الغنى فمن اختار الهدى
فقد نفع نفسه ومن اختار الضلالة فقد ضرها وما وكلت عليهم لتجبرهم على الهدى فان التكليف مبنى
على الاختيار دون الاجبار الله يتوفى الانفس حين موتها الانفس الجمل كما هى وتوفيها اماتتها وهو
ان يسلب ما هى به حية حساسة دراكة من صحة اجزائها وسلامتها لانها عند سلب الصحة كان ذاتها
قد سلبت والتى لم تمت فى منامها يريد ويتوفى الانفس التى لم تمت فى منامها اى يتوفاها حين تنام تشبيها
للنائمين بالموتى ومنه قوله تعالى وهو الذى يتوفاكم بالليل حيث لا يميزون ولا يتصرفون كما ان الموتى
كذلك فيمسك الانفس التى قضى عليها الموت الحقيقى اى لا يردها فى وقتها حية ويرسل الاخرى النائمة
الى اجل مسمى الى وقت ضربه لموتها وقيل يتوفى الانفس يستوفيها ويقبضها وهى الانفس التى تكون

معها الحيوة والحركة ويتوفى الانفس التى لم تمت فى منامها وهى انفس التمييز قالوا فالتى تتوفى فى النوم هى
نفس التمييز لا نفس الحيوة لان نفس الحيوة اذا زالت زال معها النفس والنائم يتنفس ورووا عن ابن عباس
فى ابن آدم نفس وروح بينهما مثل شعاع الشمس فالنفس التى بها العقل والتمييز والروح التى بها النفس
والتحرك فاذا نام العبد قبض الله نفسه ولم يقبض روحه والصحيح ما ذكرت اولا لان الله عز وعلا
علق التوفى والموت والمنام جميعا بالانفس وما عنوا بنفس الحيوة والحركة ونفس العقل والتمييز غير
متصف بالموت والنوم وانما الجملة هى التى تموت وهى التى تنام ان فى ذلك ان فى توفى الانفس مائتة و
نائمة وامساكها وارسالها الى اجل مسمى لآيات على قدرة الله وعلمه لقوم يتفكرون يجيلون افكارهم و
يعتبرون وقرئ قضى عليها الموت على البناء للمفعول ام اتخذوا بل اتخذ قريش والهمزة للانكار من
دون الله من دون اذنه شفعاء حين قالوا هؤلاء شفعاؤنا عند الله ولا يشفع عنده احد الا باذنه الا
ترى الى قوله قل لله الشفاعة جميعا اى هو مالكها فلا يستطيع احد شفاعة الا بشرطين ان يكون
المشفوع له مرتضى وان يكون الشفيع مأذونا له وههنا الشرطان مفقودان جميعا قل اولو كانوا معناه
ايشفعون ولو كانوا لا يملكون شيئا ولا يعقلون اى ولو كانوا على هذه الصفة لا يملكون شيئا قط حتى يملكوا
الشفاعة ولا عقل لهم له ملك السموات والارض تقرير لقوله لله الشفاعة جميعا لانه اذا كان له الملك كله
والشفاعة من الملك كان مالكا لها ثم اتصل قوله ثم اليه ترجعون بما يليه معناه له
ملك السموات والارض اليوم ثم اليه ترجعون يوم القيمة فلا يكون الملك فى ذلك اليوم الا له فله ملك الدنيا
والآخرة واذا ذكر الله وحده اشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة مدار المعنى على قوله وحده اى اذا افرد
الله بالذكر ولم يذكر معه آلهتهم اشمأزوا اى نفروا وانقبضوا واذا ذكر الذين من دونه اذا هم يستبشرون
قل اللهم فاطر السموات والارض عالم الغيب والشهادة انت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون وهم آلهتهم ذكر
الله معهم او لم يذكر استبشروا لافتتانهم بها ونسيانهم حق الله الى هواهم فيها واذا قيل لا اله الا
الله وحده لا شريك له نفروا لان فيه نفيا لآلهتهم وقيل اراد استبشارهم بما سبق اليه لسان
رسول الله صلى الله عليه وسلم من ذكر آلهتهم حين قرأ والنجم عند باب الكعبة فسجد وسجدوا معه لفرحهم ولقد
تقابل الاستبشار والاشمئزاز اذ كل واحد منهما غاية فى بابه لان الاستبشار ان يمتلئ قلبه سرورا
حتى ينبسط له بشرة وجهه ويتهلل والاشمئزاز ان يمتلئ غما وغيظا حتى يظهر الانقباض فى اديم وجهه
ما العامل فى اذا ذكر العامل فى اذا المفاجأة تقديره وقت ذكر الذين من دونه
فاجأوا وقت الاستبشار بجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم بهم وبشدة شكيمتهم فى الكفر والعناد

قيل

قل اللهم الشفاعة جميعا

فقيل له ادع الله باسمائه العظمى وقل انت وحدك تقدر على الحكم بيني وبينهم ولا حيلة لغيرك فيهم وفيه وصف
لحالهم واعذار لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتسلية له ووعيد لهم وعن الربيع بن خثيم وكان قليل الكلام
انه اخبر بقتل الحسين رضي الله عنه وسخط على قاتله وقالوا الآن يتكلم فما زاد على ان قال آه او قد فعلوا وقرأ
هذه الآية وروى انه قال على اثره قتل من كان صلى الله عليه وسلم يجلسه في حجره ويضع فاه على فمه ولو ان
للذين ظلموا ما في الارض جميعا ومثله معه لافتدوا به من سوء العذاب يوم القيامة وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون وبدا
لهم من الله وعيد لا كنه لفظاعته وشدته وهو نظير قوله في الوعد فلا تعلم نفس ما اخفي لهم والمعنى وظهر لهم
من سخط الله وعذابه ما لم يكن قط في حسابهم ولم يحدثوا به نفوسهم وقيل عملوا اعمالا حسبوها حسنات
فاذا هي سيئات وعن سفيان الثوري انه قرأها فقال ويل لاهل الرياء ويل لاهل الرياء وجزع محمد بن
المنكدر عند موته فقيل له فقال اخشى آية من كتاب الله وتلاها فانا اخشى ان يبدو لي من الله ما لم
احتسبه وبدا لهم سيئات ما كسبوا اي سيئات اعمالهم التي كسبوها او سيئات كسبهم حين تعرض صحائفهم و
كانت خافية عليهم كقوله احصاه الله ونسوه او اراد بالسيئات انواع العذاب التي يجازون بها على ما كسبوا
فسماها سيئات كما قال وجزاء سيئة سيئة مثلها وحاق بهم ما كانوا به يستهزءون ونزل بهم واحاط جزاء
هزئهم فاذا مس الانسان ضر دعانا ثم اذا خولناه نعمة منا قال انما اوتيته التخويل مختص بالتفضل يقال خولني
اذا اعطاك على غير جزاء على علم اي على علم مني اني سأعطاه لما فيّ من فضل واستحقاق او على علم من
الله بي وباستحقاقي او على علم مني بوجوه الكسب كما قال قارون على علم عندي لم ذكر الضمير
في اوتيته وهو للنعمة ذهابا به الى المعنى لان قوله نعمة منا شيئا من النعمة وقسما منها
ويحتمل ان يكون ما في انما موصولة لا كافة فيرجع اليها الضمير على معنى ان الذي اوتيته على علم بل هي
فتنة ولكن اكثرهم لا يعلمون انكار لقوله كانه قال ما خولناك ما خولناك من النعمة لما تقول بل هي فتنة
اي ابتلاء وامتحان لك اتشكر ام تكفر كيف ذكر الضمير ثم انثه حملا على
المعنى اولا وعلى اللفظ آخرا ولان الخبر لما كان مؤنثا اعني فتنة ساغ تانيث المبتدا لاجله لانه في
معناه كقولهم ما جاءت حاجتك وقرئ بل هو فتنة على وفق انما اوتيته ما السبب في عطف
هذه الآية بالفاء وعطف مثلها في اول السورة بالواو السبب في ذلك ان هذه وقعت مسببة
عن قوله واذا ذكر الله وحده اشمأزت على معنى انهم يشمئزون عن ذكر الله ويستبشرون بذكر الآلهة
فاذا مس احدهم ضر دعا من اشمأز من ذكره دون من استبشر بذكره وما بينهما من الآي اعتراض
حق الاعتراض ان يؤكد المعترض بينه وبينه ما في الاعتراض من دعاء رسول الله

صلى الله عليه وسلم ربه بامر منه وقوله انت تحكم بينهم ثم ما عقبه من الوعيد العظيم تأكيد لانكار اشمئزازهم واستبشارهم
ورجوعهم الى الله في الشدائد دون آلهتهم كأنه قيل قل يا رب لا يحكم بيني وبين هؤلاء الذين يجترئون عليك
مثل هذه الجراءة ويرتكبون مثل هذا المنكر الا انت وقوله ولو ان للذين ظلموا متناول لهم او لكل ظالم ان جعل
مطلقا او اياهم خاصة ان عنيتهم به كانه قيل ولو ان لهؤلاء الظالمين ما في الارض جميعا ومثله معه لافتدوا
به حين احكم عليهم بسوء العذاب وهذه الاسرار والنكت لا يبرزها الا علم النظم والا بقيت محتجبة
في اكمامها واما الآية الاولى فلم تقع مسببة وما هي الا جملة ناسبت جملة قبلها فعطفت عليها بالواو
كقولك قام زيد وقعد عمرو من اي وجه وقعت مسببة والاشمئزاز عن ذكر الله ليس بمقتض
لالتجائهم اليه بل هو مقتض لصدودهم عنه في هذا التسبيب لطف وبيانه انك تقول زيد مؤمن
بالله فاذا مسه الضر التجأ اليه فهذا تسبيب ظاهر لا لبس فيه ثم تقول زيد كافر بالله فاذا مسه الضر
التجأ اليه فتجيء بالفاء مجيئك به ثمة كأن الكافر حين التجأ الى الله التجاء المؤمن اليه مقيم كفره مقام
الايمان ومجريه مجراه في جعله سببا في الالتجاء فانت تحكي ما عكس فيه الكافر الا ترى انك تقصد بهذا
الكلام الانكار والتعجب من فعله قد الضمير في قالها راجع الى قوله انما اوتيته على علم لانها كلمة او جملة
من القول وقرئ قد قاله على معنى القول والكلام الذين من قبلهم هم قارون وقومه حيث قال
انما اوتيته على علم عندي وقومه راضون بها فكأنهم قالوها ويجوز ان يكون في الامم الخالية آخرون قائلون
مثلها فما اغنى عنهم ما كانوا يكسبون من متاع الدنيا ويجمعون منه فاصابهم سيئات ما كسبوا والذين ظلموا من هؤلاء
من مشركي قومك سيصيبهم سيئات ما كسبوا وما هم بمعجزين مثل ما اصاب اولئك فقتل صناديدهم ببدر وحبس
عنهم الرزق فقحطوا سبع سنين ثم بسط لهم فمطروا سبع سنين فقيل لهم اولم يعلموا انه لا قابض و
لا باسط الا الله عز وجل ان الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر ان في ذلك لآيات لقوم يؤمنون قل يا عبادي
الذين اسرفوا على انفسهم جنوا عليها بالاسراف في المعاصي والغلو فيها لا تقنطوا من رحمة الله قرئ بفتح النون
وكسرها وضمها ان الله يغفر الذنوب جميعا انه هو الغفور الرحيم يعني بشرط التوبة وقد تكرر ذكر هذا الشرط
في القرآن فكان ذكره فيما ذكر فيه ذكرا له فيما لم يذكر فيه لان القرآن في حكم كلام واحد ولا يجوز فيه التناقض
وفي قراءة ابن عباس وابن مسعود يغفر الذنوب جميعا لمن يشاء والمراد بمن يشاء من تاب لان مشيئة الله
تابعة لحكمته وعدله لا لملكه وجبروته وقيل في قراءة النبي صلى الله عليه وسلم وفاطمة رضي الله عنها
يغفر الذنوب جميعا ولا يبالي ونظير نفي المبالاة نفي الخوف في قوله ولا يخاف عقباها وقيل قال

قال اهل مكة يزعم محمد انّ من عبد الاوثان وقتل النفس التى حرّم الله لم يغفر له فكيف ولم نهاجر وعبدنا
الاوثان وقتلنا النفس التى حرّم الله فنزلت وروى انه اسلم عيّاش بن ابى ربيعة والوليد بن الوليد ونفر
معهما ثم فتنوا وعذّبوا فافتتنوا فكنا نقول لا يقبل الله لهم صرفا ولا عدلا ابدا فنزلت فكتب بها عمر رضى الله عنه
اليهم فاسلموا وهاجروا وقيل نزلت فى وحشىّ قاتل حمزة رضى الله عنه وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما احبّ
انّ لى الدنيا وما فيها بهذه الآية فقال رجل يا رسول الله ومن اشرك فسكت ساعة ثم قال الا ومن اشرك ثلث مرات
وانيبوا الى ربكم وتوبوا اليه واسلموا له من قبل ان ياتيكم العذاب واخلصوا له العمل وانما ذكر الانابة على اثر المغفرة
لئلا يطمع طامع فى حصولها بغير توبة وللدلالة على انها شرط فيها لازم لا تحصل من دونه واتبعوا احسن ما انزل اليكم
من ربكم من قبل ان ياتيكم العذاب بغتة مثل قوله الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه وانتم لا تشعرون
اى يفجأكم وانتم غافلون كانكم لا تخشون شيئا لفرط غفلتكم وسهوكم ان تقول نفس كراهة ان تقول
لم نكّرت لانّ المراد بعض الانفس وهى نفس الكافر ويجوز ان يراد نفس متميزة من الانفس اما
باللجاج فى الكفر شديد او بعذاب عظيم ويجوز ان يراد التكثير كما قال الاعشى ورب بقيع لو هتفت بجوّه
اتانى كريم ينفض الراس مغضبا وهو يريد افواجا من الكرام ينصرونه لا كريما واحدا ونظيره ربّ بلد
قطعت وربّ بطل قارعت وقد اختلس الطعنة ولا يقصد الا التكثير وقرى يا حسرتى على الاصل ويا حسرتاى
على الجمع بين العوض والمعوض منه والجنب الجانب يقال انا فى جنب فلان وجانبه وناحيته وفلان لين الجنب
والجانب ثم قالوا فرط فى جنبه وفى جانبه يريدون فى حقه قال سابق البربرى
اما تتقين الله فى جنب وامق له كبد حرّى عليك تقطع وهذا من باب الكناية لانك اذا اثبتّ الامر فى مكان
الرجل وحيزه فقد اثبتّه فيه الا ترى الى قوله انّ السماحة والمروة والندى فى قبة ضربت على ابن الحشرج
ومنه قول الناس لمكانك فعلت كذا يريدون لاجلك وفى الحديث من الشرك الخفى ان يصلى الرجل لمكان
الرجل وكذلك فعلت هذا من جهتك فمن حيث لم يبق فرق فيما يرجع الى اداء الغرض بين ذكر المكان وتركه
قيل فرطت فى جنب الله على معنى فى ذات الله فرجع كلامك الى ان ذكر الجنب كلا ذكر سوى ما يعطى
من حسن الكناية وبلاغتها فكانه قيل فرطت فى الله فما معنى فرطت فى الله لا بدّ من تقدير مضاف
محذوف سواء ذكر الجنب او لم يذكر والمعنى فرطت فى طاعة الله وعبادة الله وما اشبه ذلك وفى حرف عبد الله و
حفصة فى ذكر الله وما فى ما فرطت مصدرية مثلها فى بما رحبت وان كنت لمن الساخرين قال قتادة لم يكفه ان
ضيّع طاعة الله حتى سخر من اهلها ومحل وان كنت النصب على الحال كانه قال فرطت وانا ساخر اى فرطت فى حال

سخريتى وروى انه كان فى بنى اسرائيل عالم ترك علمه وفسق اتاه ابليس فقال له تمتع من الدنيا ثم تب فاطاعه و
كان له مال فانفقه فى الفجور فاتاه ملك الموت فى الذّ ما كان فقال يا حسرتى على ما فرطت فى جنب الله ذهب عمرى
فى طاعة الشيطان واسخطت ربى فندم حين لم ينفعه الندم فانزل الله خبره فى القرآن او تقول لو ان الله
هدانى لا يخلو اما ان يريد به الهداية بالالجاء او بالالطاف او بالوحى فالالجاء خارج عن الحكمة ولم يكن من
اهل الالطاف فيلطف به واما الوحى فقد كان ولكنه اعرض ولم يتبعه حتى يهتدى وانما يقول هذا تحيّرا
فى امره وتعللا بما لا يجدى عليه كما حكى عنهم التعلل باغواء الرؤساء والشياطين ونحو ذلك ونحوه لو هدانا
الله لهديناكم وقوله لكنت من المتقين او تقول حين ترى العذاب لو ان لى كرة فاكون من المحسنين بلى قد جاءتك آياتى
ردّ من الله عليه معناه بلى قد هديت بالوحى فكذبت بها واستكبرت وكنت من الكافرين ويوم القيمة ترى الذين
كذبوا على الله وجوههم مسودة اليس فى جهنم مثوى للمتكبرين عن قوله وآثرت الكفر على الايمان والضلالة على الهدى
وقرى بكسر التاء على مخاطبة النفس هلا قرن الجواب بما هو جواب له وهو قوله لو ان الله هدانى
ولم يفصل بينهما باية لانه لا يخلو اما ان يقدم على احدى القرائن الثلث فيفرق بينهن واما ان يوخر
القرينة الوسطى فلم يحسن الاول لما فيه من تبتير النظم بالجمع بين القرائن واما الثانى فلما فيه من نقض
الترتيب وهو التحسر على التفريط فى الطاعة ثم التعلل بفقد الهداية ثم تمنى الرجعة فكان الصواب
ما جاء عليه وهو انه حكى اقوال النفس على ترتيبها ثم اجاب من بينها عما اقتضى الجواب
كيف صح ان يقع بلى جوابا لغير منفى لو ان الله هدانى فيه معنى ما هديت كذبوا على الله وصفوه
بما لا يجوز عليه وهو متعال عنه فاضافوا اليه الولد والشريك وقالوا هؤلاء شفعاؤنا وقالوا لو شاء
الرحمن ما عبدناهم وقالوا والله امرنا بها ولا يبعد عنه قوم يسفهونه بفعل القبائح ويجوزون ان يخلق
خلقا لا لغرض ويولم لا لعوض ويظلمونه بتكليف ما لا يطاق ويجسمونه بكونه مرئيا معاينا مدركا بالحاسة
ويثبتون له يدا وقدما وجنبا مستترين بالبلكفة ويجعلون له اندادا باثباتهم معه قدماء وجوههم
مسودة فى موضع الحال ان كان ترى من رؤية البصر ومفعول ثان ان كان من رؤية القلب وينجى الله
الذين اتقوا وقرى وينجى وينجى بمفازتهم بفلاحهم يقال فاز بكذا اذا افلح به وظفر بمراده منه وتفسير
المفازة قوله لا يمسهم السوء ولا هم يحزنون كانه قيل وما مفازتهم فقيل لا يمسهم السوء اى ينجيهم بنفى
السوء والحزن عنهم او بسبب منجاتهم من قوله تعالى فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب اى بمنجاة
منه لان النجاة من اعظم الفلاح وسبب منجاتهم العمل الصالح ولهذا فسر ابن عباس رضى الله عنهما المفازة بالاعمال
الحسنة ويجوز بسبب فلاحهم لان العمل الصالح سبب الفلاح وهو دخول الجنة ويجوز ان يسمى العمل الصالح

في نفسه مفازة لانه سببها وقرئ بمفازاتهم على ان لكل متق مفازة لا يمسهم ما محله من الاعراب
على التفسيرين اما على التفسير الاول فلا محل له لانه كلام مستانف واما على الثاني فمحله النصب على
الحال الله خالق كل شيء وهو على كل شيء وكيل له مقاليد السموات والارض اى هو مالك امرها وحافظها وهو من باب
الكناية لان حافظ الخزائن ومدبر امرها هو الذي يملك مقاليدها ومنه قولهم فلان القيت اليه مقاليد
الملك وهي المفاتيح ولا واحد لها من لفظها وقيل مقليد ويقال اقليد واقاليد والكلمة اصلها فارسية
فما للكتاب العربي المبين وللفارسية التعريب احالها عربية كما اخرج الاستعمال
المهمل من كونه مهملا ثم اتصل قوله والذين كفروا بآيات الله بقوله وينجي الله
الذين اتقوا اى ينجي الله المتقين بمفازاتهم والذين كفروا هم الخاسرون واعترض بينهما بانه خالق للاشياء
كلها وهو مهيمن عليها فلا يخفى عليه شيء من اعمال المكلفين فيها وما يستحقون عليها من الجزاء وقد جعل
متصلا بما يليه على ان كل شيء في السموات والارض فالله خالقه وفاتح بابه والذين كفروا وجحدوا ان يكون
الامر كذلك اولئك هم الخاسرون وقيل سال عثمان رضي الله عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم عن تفسير قوله له
مقاليد السموات والارض فقال يا عثمان ما سالني عنها احد قبلك تفسيرها لا اله الا الله والله اكبر وسبحان
الله وبحمده واستغفر الله ولا حول [ولا قوة] الا بالله هو الاول والآخر والظاهر والباطن بيده الخير يحيي ويميت وهو
على كل شيء قدير وتاويله على هذا ان لله هذه الكلمات يوحد بها ويمجد وهي مفاتيح خير السموات
والارض من تكلم بها من المتقين اصابه والذين كفروا بآيات الله وكلمات توحيده وتمجيده اولئك هم الخاسرون
قل افغير الله منصوب باعبد وتامروني اعتراض ومعناه افغير الله اعبد بامركم وذلك حين قال له
المشركون استلم بعض آلهتنا ونؤمن بالهك او ينصب بما يدل عليه جملة قوله تامروني اعبد ايها الجاهلون
لانه في معنى تعبدونني وتقولون لي اعبده والاصل تامرونني ان اعبد فحذف ان ورفع الفعل كما في
قوله الا ايهذا الزاجري احضر الوغى الا تراك تقول افغير الله تقولون لي اعبده وافغير الله تقولون
لي اعبد فكذلك افغير الله تامرونني ان اعبده وافغير الله تامرونني ان اعبد والدليل على صحة
هذا الوجه قراءة من قرا اعبد بالنصب وقرئ تامرونني على الاصل وتامروني على ادغام النون
او حذفها وقرئ ليحبطن عملك وليحبطن على البناء للمفعول ولنحبطن بالنون وبالياء اى ليحبطن الله
او الشرك الموحى اليهم جماعة فكيف قال لئن اشركت على التوحيد معناه اوحي
اليك لئن اشركت ليحبطن عملك والى الذين من قبلك مثله او اوحي اليك والى كل واحد منهم لئن اشركت
كما تقول كسانا حلة اى كل واحد ما الفرق بين اللامين الاولى موطئة للقسم

ولقد اوحي اليك والى الذين من قبلك

المحذوف والثانية لام الجواب وهذا الجواب ساد مسد الجوابين اعني جوابي القسم والشرط
كيف صح هذا الكلام مع علم الله تعالى ان رسله لا يشركون ولا تحبط اعمالهم هو على
سبيل الفرض والمحالات يصح فرضها لاغراض فكيف بما ليس بمحال الا ترى الى قوله ولو شاء ربك لآمن من
في الارض كلهم جميعا يعني على سبيل الالجاء وان يكون ذلك لامتناع الداعي اليه ووجود الصارف عنه
ما معنى قوله ولتكونن من الخاسرين يحتمل ولتكونن من الخاسرين بسبب حبوط العمل
ويحتمل ولتكونن في الآخرة من جملة الخاسرين الذين خسروا انفسهم ان مت على الردة ويجوز ان يكون
غضب الله على الرسول اشد فلا يمهله بعد الردة الا ترى الى قوله اذا لاذقناك ضعف الحياة وضعف
الممات بل الله فاعبد رد لما امروه به من استلام بعض آلهتهم كانه قال لا تعبد ما امروك بعبادته بل ان كنت
عاقلا فاعبد الله فحذف الشرط وجعل تقديم المفعول عوضا منه وكن من الشاكرين على ما انعم به
عليك من ان جعلك سيد ولد آدم وجوز الفراء نصبه بفعل مضمر هذا معطوف عليه تقديره بل الله
اعبد فاعبد لما كان العظيم من الاشياء اذا عرفه الانسان حق معرفته وقدره في نفسه حق تقديره
وعظمه حق تعظيمه قيل وما قدروا الله حق قدره وقرئ بالتشديد على معنى وما عظموه كنه تعظيمه
ثم نبههم على عظمته وجلالة شانه على طريقة التخييل فقال والارض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات
بيمينه والغرض من هذا الكلام اذا اخذته كما هو بجملته ومجموعه تصوير عظمته والتوقيف على كنه جلاله
لا غير من غير ذهاب بالقبضة ولا باليمين الى جهة حقيقة او جهة مجاز وكذلك حكم ما يروى ان جبريل
صلوات الله عليه جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا ابا القاسم ان الله تعالى يمسك السموات يوم
القيامة على اصبع والارضين على اصبع والجبال على اصبع والشجر على اصبع والثرى على اصبع وسائر الخلق
على اصبع ثم يهزهن فيقول انا الملك فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم تعجبا مما قال ثم قرا تصديقا
له وما قدروا الله حق قدره الآية وانما ضحك افصح العرب وتعجب لانه لم يفهم منه الا ما يفهمه علماء البيان
من غير تصور امساك ولا اصبع ولا هز ولا شيء من ذلك ولكن فهمه وقع اول شيء وآخره على الزبدة
والخلاصة التي هي الدلالة على القدرة الباهرة وان الافعال العظام التي تتحير فيها الاذهان
ولا تكتنهها الاوهام هينة عليه هوانا لا يوصل السامع الى الوقوف عليه الا اجراء العبارة في
مثل هذه الطريقة من التخييل ولا ترى بابا في علم البيان ادق ولا الطف من هذا الباب ولا انفع
واعون على تعاطي تاويل المشتبهات من كلام الله في القرآن وسائر الكتب السماوية وكلام الانبياء فان
اكثره وعليته تخييلات قد زلت فيها الاقدام قديما وما اتي الزالون الا من قلة عنايتهم بالبحث والتنقير

حتى تعلموا ان في عداد العلوم الدقيقة علماً لو قدروه حق قدره لما خفي عليهم ان العلوم كلها مفتقرة
اليه وعيال عليه اذ لا يحل عقدها المورّبة ولا يفك قيودها المكربة الا هو وكم آية من آيات التنزيل
وحديث من احاديث الرسول قد ضيم وسيم الخسف بالتأويلات الغثة والوجوه الرثة لان من تأول
ليس من هذا العلم في عير ولا نفير ولا يعرف قبيلاً منه من دبير والمراد بالارض الارضون السبع يشهد
لذلك شاهدان قوله جميعاً وقوله والسموات ولان الموضع موضع تعظيم وتفخيم فهو مقتض للمبالغة ومع
القصد الى الجمع وتأكيده بالجميع اتبع الجميع مؤكده قبل مجيء الخبر ليعلم اول الامر ان الخبر الذي يرد لا يقع
عن ارض واحدة ولكن عن الاراضي كلهن والقبضة المرة من القبض فقبضت قبضة من اثر الرسول و
القبضة بالضم المقدار المقبوض بالكف ويقال ايضاً اعطني قبضة من كذا تريد معنى القبضة تسمية
بالمصدر كما روي انه نهى عن خطفة السبع وكلا المعنيين محتمل والمعنى والارضون جميعاً قبضته اي
ذوات قبضته يقبضهن قبضة واحدة يعني ان الارضين مع عظمهن وبسطتهن لا يبلغن الا قبضة
واحدة من قبضاته كانه يقبضها قبضة بكف واحدة كما تقول الجزور اكلة لقمان والقلة جرعته
اي ذات اكلته وذات جرعته تريد انهما لا تفيان الا باكلة فذة من اكلاته وجرعة فردة من جرعاته
واذا اريد معنى القبضة فظاهر لان المعنى ان الارضين بجملتها مقدار ما يقبضه بكف واحدة
ما وجه قراءة من قرأ قبضته بالنصب جعلها ظرفاً مشبهاً للموقت بالمبهم مطويات
من الطي الذي هو ضد النشر كما قال يوم نطوي السماء كطي السجل وعادة طاوي السجل ان يطويه
بيمينه وقيل قبضته ملكه بلا مدافع ولا منازع وبيمينه بقدرته وقيل مطويات بيمينه مفنيات
بقسمه لانه اقسم ان يفنيها ومن اشتم رائحة من علم هذا فليعرض عليه هذا التأويل ليتلهى بالتعجب
منه ومن قائله ثم يبكي حمية لكلام الله المعجز بفصاحته وما مني به من امثاله واثقل منه على الروح
واصدع للكبد تدوين العلماء قوله واستحسانهم له وحكايته على فروع المنابر واستجلاب الاهتزاز
به من السامعين وقرئ مطويات على نظم السموات في حكم الارض ودخولها تحت القبضة ونصب مطويات
على الحال سبحانه وتعالى عما يشركون ما ابعد من هذه قدرته وعظمته وما اعلاه عما يضاف اليه من
الشركاء اخرى ما محلها من الاعراب يحتمل الرفع والنصب اما الرفع فعلى قوله فاذا
نفخ في الصور نفخة واحدة ثم نفخ فيه اخرى وانما حذفت لدلالة اخرى عليها ولكونها معلومة بذكرها
في غير مكان فاذا هم قيام وقرئ قياماً ينظرون يقلبون ابصارهم في الجهات نظر المبهوت اذا فاجأه خطب
وقيل ينظرون ماذا يفعل بهم ويجوز ان يكون القيام بمعنى الوقوف والجمود في مكان لتحيرهم قد

استعار الله عز وجل النور للحق والقرآن والبرهان في مواضع من التنزيل وهذا من ذاك والمعنى
واشرقت الارض بنور ربها ووضع الكتاب وجيء بالنبيين والشهداء وقضي بينهم بالحق وهم لا يظلمون ووفيت
كل نفس ما عملت وهو اعلم بما يفعلون بما يقيمه فيها من الحق والعدل ويبسطه من القسط في الحساب و
وزن الحسنات والسيئات وينادي عليه بانه مستعار اضافته الى اسمه لانه هو الحق العدل واضافة اسمه
الى الارض لانه يزينها حيث ينشر فيها عدله وينصب فيها موازين قسطه ويحكم بالحق بين اهلها و
لا ترى ازين للبقاع من العدل ولا اعمر لها منه وفي هذه الاضافة ان ربها وخالقها هو الذي يعدل
فيها وانما يجور فيها غير ربها ثم ما عطف على اشراق الارض من وضع الكتاب والمجيء بالنبيين والشهداء
والقضاء بالحق وهو النور المذكور وترى الناس يقولون للملك العادل اشرقت الآفاق بعدلك
واضاءت الدنيا بقسطك كما تقولون اظلمت البلاد بجور فلان وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
الظلم ظلمات يوم القيمة وكما فتح الآية باثبات العدل ختمها بنفي الظلم وقرئ واشرقت على البناء
للمفعول من شرقت بالضوء تشرق اذا امتلأت به واغتصت واشرقها الله كما تقول ملأ الارض
عدلاً وطبقها عدلاً والكتاب صحائف الاعمال ولكنه اكتفى باسم الجنس وقيل اللوح المحفوظ و
الشهداء الذين يشهدون للامم وعليهم من الحفظة والاخيار وقيل المستشهدون في سبيل الله
وسيق الذين كفروا الى جهنم زمراً حتى اذا جاؤها فتحت ابوابها وقال لهم خزنتها الم يأتكم رسل منكم يتلون عليكم
آيات ربكم وينذرونكم لقاء يومكم هذا قالوا بلى ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين الزمر الافواج المتفرقة بعضها
في اثر بعض وقد تزمروا قال حتى احزألت زمر بعد زمر وقيل في زمر الذين اتقوا هي الطبقات
المختلفة الشهداء والزهاد والعلماء والقراء وغيرهم وقرئ نذر منكم لم اضيف اليهم
اليوم ارادوا لقاء وقتكم هذا وهو وقت دخولهم النار لا يوم القيمة وقد جاء استعمال
اليوم والايام مستفيضاً في اوقات الشدة قالوا بلى اتونا وتلوا علينا ولكن وجبت علينا كلمة الله
لاملأن لسوء اعمالنا كما قالوا غلبت علينا شقوتنا وكنا قوماً ضالين فذكروا عملهم الموجب لكلمة
العذاب وهو الكفر والضلال قيل ادخلوا ابواب جهنم خالدين فيها فبئس اللام في المتكبرين للجنس
لان مثوى المتكبرين فاعل بئس وبئس فاعلها اسم معرف بلام الجنس او مضاف الى مثله والمخصوص
بالذم محذوف تقديره فبئس مثوى المتكبرين جهنم وسيق الذين اتقوا ربهم الى الجنة زمراً حتى التي
تحكى بعدها الجمل والجملة المحكية بعدها هي الشرطية الا ان جزاءها محذوف وانما حذف لانه في
صفة ثواب اهل الجنة فدل بحذفه على انه شيء لا يحيط به الوصف وحق موقعه ما بعد خالدين

وقيل حتى إذا جاؤها وفتحت أبوابها أي مع فتح أبوابها وقيل أبواب جهنم لا تفتح إلا عند دخول
دخول أهلها فيها وأما أبواب الجنة فمتقدم فتحها بدليل قوله جنات عدن مفتحة لهم الأبواب فلذلك
جيء بالواو كأنه قيل حتى إذا جاؤها وقد فتحت أبوابها كيف عبر بالذهاب بالفريقين
جميعا بلفظ السوق المراد بسوق أهل النار طردهم إليها بالهوان والعنف كما يفعل بالأسارى و
الخارجين على السلطان إذا سيقوا إلى حبس أو قتل والمراد بسوق أهل الجنة سوق مراكبهم لأنه لا يذهب
بهم إلا راكبين وحثها إسراعا بهم إلى دار الكرامة والرضوان كما يفعل بمن يشرف ويكرم من الوافدين
على بعض الملوك فشتان ما بين السوقين وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم من دنس المعاصي وطهرتم
من خبث الخطايا فادخلوها جعل دخول الجنة مسببا عن الطيب والطهارة فما هي إلا دار الطيبين ومثوى
الطاهرين لأنها دار طهرها الله من كل دنس وطيبها من كل قذر فلا يدخلها إلا مناسب لها موصوف
بصفتها فما أبعد أحوالنا من تلك المناسبة وما أضعف سعينا في اكتساب تلك الصفة إلا أن
يهب لنا الوهاب الكريم توبة نصوحا تنقي أنفسنا من درن الذنوب وتميط وضر هذه القلوب خالدين
مقدرين الخلود وقالوا الحمد لله الذي صدقنا وعده وأورثنا الأرض نتبوأ من الجنة الأرض عبارة عن
المكان الذي أقاموا فيه واتخذوه مقرا ومتبوأ وقد أورثوها أي ملكوها وجعلوا ملوكها وأطلق تصرفهم
فيها كما يشاؤن تشبيها بحال الوارث وتصرفه فيما يرثه واتساعه فيه وذهابه في إنفاقه طولا و
عرضا ما معنى قوله حيث نشاء وهل يتبوأ أحدهم مكان غيره يكون لكل واحد
منهم جنة لا توصف سعة وزيادة على الحاجة فيتبوأ من جنته حيث يشاء ولا يحتاج إلى جنة غيره
فنعم أجر العاملين وترى الملائكة حافين محدقين من حوله من حول العرش يسبحون بحمد ربهم يقولون سبحان
الله والحمد لله متلذذين لا متعبدين وقضي إلام يرجع الضمير في قوله بينهم بالحق
يجوز أن يرجع إلى العباد كلهم وأن إدخال بعضهم النار وبعضهم الجنة لا يكون إلا قضاء
بالحق والعدل وأن يرجع إلى الملائكة على أن ثوابهم وإن كانوا معصومين جميعا لا يكون على سنن واحد
ولكن يفاضل بينهم على حسب تفاضلهم في أعمالهم فهو القضاء بينهم بالحق قوله وقيل
الحمد لله رب العالمين من القائل ذلك المقضي بينهم إما جميع العباد وإما الملائكة كأنه
قيل وقضي بينهم بالحق وقالوا الحمد لله على قضائه بيننا بالحق وإنزال كل منا منزلته التي هي حقه
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الزمر لم يقطع الله رجاءه يوم القيامة وأعطاه
الله ثواب الخائفين الذين خافوا وعن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقرأ

كل ليلة بني إسرائيل والزمر

سورة المؤمن مكية

قال الحسن إلا قوله وسبح بحمد ربك
لأن الصلوات نزلت بالمدينة وقد قيل في الحواميم كلها إنها مكيات عن ابن عباس وابن الحنفية

وهي خمس وثمانون آية وقيل ثنتان وثمانون

بسم الله الرحمن الرحيم حم تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم قرئ بإمالة الحا وبتفخيمها و
بتسكين الميم وفتحها ووجه الفتح التحريك لالتقاء الساكنين وإيثار أخف الحركات نحو أين وكيف
أو النصب بإضمار اقرأ ومنع الصرف للتأنيث والتعريف أو للتعريف وأنها على زنة أعجمي نحو قابيل و
هابيل التوب والثوب والأوب أخوات في معنى الرجوع والطول الفضل والزيادة يقال لفلان على فلان
طول والإفضال يقال طال عليه وتطول إذا تفضل كيف اختلفت هذه الصفات تعريفا و
تنكيرا والموصوف معرفة يقتضي أن يكون مثله معارف أما غافر الذنب وقابل التوب فمعرفتان
لأنه لم يرد بهما حدوث الفعلين وأنه يغفر الذنب ويقبل التوب الآن أو غدا حتى يكونا في تقدير الانفصال
فيكون إضافتهما غير حقيقية وإنما أريد ثبوت ذلك ودوامه فكان حكمهما حكم إله الخلق ورب العرش
وأما شديد العقاب فأمره مشكل لأنه في تقدير شديد عقابه لا ينفك من هذا التقدير وقد جعله
الزجاج بدلا وفي كونه بدلا وحده بين الصفات نبو ظاهر والوجه أن يقال لما صودف بين هؤلاء
المعارف هذه النكرة الواحدة فقد آذنت بأن كلها أبدال غير أوصاف ومثال ذلك قصيدة جاءت
تفاعيلها كلها مستفعلن فهي محكوم عليها بأنها من الرجز فإن وقع فيها جزء واحد على متفاعلن
كانت من الكامل ولقائل أن يقول هي صفات وإنما حذف الألف واللام من شديد العقاب ليزاوج
ما قبله وما بعده لفظا فقد غيروا كثيرا من كلامهم عن قوانينه لأجل الازدواج حتى قالوا ما يعرف
سحادليه من عنادليه فثنوا ما هو وتر لأجل ما هو شفع على أن الخليل قال في قولهم ما يحسن
بالرجل مثلك أن يفعل ذاك وما يحسن بالرجل خير منك أن يفعل إنه على نية الألف واللام كما كان
الجماء الغفير على نيتهما طرح الألف واللام ومما سهل ذلك الأمن من اللبس وجهالة الموصوف ويجوز
أن يقال قد تعمد تنكيره وإبهامه للدلالة على فرط الشدة وعلى ما لا شيء أدهى منه وأمر لزيادة
الإنذار ويجوز أن يقال هذه النكتة هي الداعية إلى اختيار البدل على الوصف إذا سلكت طريقة
الإبدال ما بال الواو في قوله وقابل التوب فيها نكتة جليلة وهي إفادة الجمع
للمذنب التائب بين رحمتين بين أن تقبل توبته فيكتبها له طاعة من الطاعات وأن يجعلها محاءة
للذنوب كأن لم يذنب كأنه قال جامع المغفرة والقبول وروي أن عمر رضي الله عنه افتقد رجلا ذا بأس

شديد من أهل الشام فقيل له تتابع في هذا الشراب فقال عمر لكاتبه اكتب من عمر إلى فلان سلام
عليك وأنا أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو بسم الله الرحمن الرحيم حم إلى قوله إليه المصير و
ختم الكتاب وقال لرسوله لا تدفعه إليه حتى تجده صاحيا ثم أمر من عنده بالدعاء له بالتوبة فلما
أتته الصحيفة جعل يقرؤها ويقول قد وعدني الله أن يغفر لي وحذرني عقابه فلم يبرح يرددها
حتى بكى ثم نزع فأحسن النزوع وحسنت توبته فلما بلغ عمر أمره قال هكذا فاصنعوا إذا رأيتم
أخاكم قد زل زلة فسددوه ووفقوه وادعوا له الله أن يتوب عليه ولا تكونوا أعوانا للشياطين
عليه ذي الطول لا إله إلا هو إليه المصير ما يجادل في آيات الله إلا الذين كفروا سجل على المجادلين في آيات الله
بالكفر والمراد الجدال بالباطل من الطعن فيها والقصد إلى إدحاض الحق وإطفاء نور الله وقد دل على
ذلك في قوله وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق فأما الجدال فيها لإيضاح ملتبسها وحل مشكلها
ومقادحة أهل العلم في استنباط معانيها ورد أهل الزيغ بها وعنها فأعظم جهاد في سبيل الله
وقوله صلى الله عليه وسلم إن جدالا في القرآن كفر وإيراده منكرا وإن لم يقل إن الجدال تمييز منه
بين جدال وجدال من أين تسبب لقوله فلا يغررك تقلبهم في البلاد كذبت قبلهم قوم نوح و
الأحزاب من بعدهم ما قبله من حيث إنهم لما كانوا مشهودا عليهم من قبل الله بالكفر والكافر
لا أحد أشقى منه عند الله وجب على من تحقق ذلك أن لا ترجح أحوالهم في عينه ولا يغره إقبالهم
في دنياهم وتقلبهم في البلاد بالتجارات النافقة والمكاسب المربحة وكانت قريش كذلك يتقلبون
في بلاد الشام واليمن ولهم الأموال يتجرون فيها ويتربحون فإن مصير ذلك وعاقبته إلى الزوال
ووراءه شقاوة الأبد ثم ضرب لتكذيبهم وعداوتهم للرسل وجدالهم بالباطل وما ادخر لهم من
سوء العاقبة مثلا ما كان من نحو ذلك من الأمم وما أخذهم به من عقابه وأحله بساحتهم من انتقامه
وقرئ لا يغرك. الأحزاب الذين تحزبوا على الرسل وناصبوهم وهم عاد وثمود وفرعون وغيرهم
وهمت كل أمة من هذه الأمم التي هي قوم نوح والأحزاب برسولهم وقرئ برسولها ليأخذوه وجادلوا
بالباطل ليدحضوا به الحق ليتمكنوا منه ومن الإيقاع به وإصابته بما أرادوا من تعذيب أو قتل ويقال
للأسير أخيذ فأخذتهم يعني أنهم قصدوا أخذه فجعلت جزاءهم على إرادة أخذه أن أخذتهم فكيف
كان عقاب فإنكم تمرون على بلادهم ومساكنهم فتعاينون أثر ذلك وهذا تقرير فيه معنى التعجيب
وكذلك حقت كلمة ربك على الذين كفروا أنهم أصحاب النار الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم
أنهم أصحاب النار في محل الرفع بدل من كلمة ربك أي مثل ذلك الوجوب وجب على الكفرة كونهم من

أصحاب النار ومعناه كما وجب إهلاكهم في الدنيا بالعذاب المستأصل كذلك وجب إهلاكهم بعذاب النار
في الآخرة أو في محل النصب بحذف لام التعليل وإيصال الفعل والذين كفروا قريش ومعناه كما وجب
إهلاك أولئك الأمم كذلك وجب إهلاك هؤلاء لأن علة واحدة تجمعهم أنهم أصحاب النار وقرئ كلمات
روي أن حملة العرش أرجلهم في الأرض السفلى ورؤوسهم قد خرقت العرش وهم خشوع لا يرفعون
طرفهم وعن النبي صلى الله عليه وسلم لا تتفكروا في عظم ربكم ولكن تفكروا فيما خلق الله من الملائكة
فإن خلقا من الملائكة يقال له إسرافيل زاوية من زوايا العرش على كاهله وقدماه في الأرض السفلى و
قد مرق رأسه من سبع سموات وإنه ليتضاءل من عظمة الله حتى يصير كأنه الوصع وفي الحديث إن الله
تعالى أمر جميع الملائكة أن يغدوا ويروحوا بالسلام على حملة العرش تفضيلا لهم على سائر الملائكة وقيل
خلق الله العرش من جوهرة خضراء وبين القائمتين من قوائمه خفقان الطير المسرع ثمانين ألف عام وقيل
حول العرش سبعون ألف صف من الملائكة يطوفون به مهللين مكبرين ومن ورائهم سبعون ألف صف
قيام قد وضعوا أيديهم على عواتقهم رافعين أصواتهم بالتهليل والتكبير ومن ورائهم مائة ألف صف
قد وضعوا الأيمان على الشمائل ما منهم أحد إلا وهو يسبح بما لا يسبح به الآخر وقرأ ابن عباس العرش
بضم العين ما فائدة قوله ويؤمنون به ولا يخفى على أحد أن حملة العرش ومن حوله من الملائكة
الذين يسبحون بحمد ربهم مؤمنون فائدته إظهار شرف الإيمان وفضله والترغيب فيه كما وصف
الأنبياء في غير موضع من كتابه بالصلاح لذلك وكما عقب أعمال الخير بقوله ثم كان من الذين آمنوا
فأبان بذلك فضل الإيمان وفائدة أخرى وهي التنبيه على أن الأمر لو كان كما يقول المجسمة
لكان حملة العرش ومن حوله مشاهدين معاينين ولما وصفوا بالإيمان لأنه إنما يوصف بالإيمان الغائب
فلما وصفوا به على سبيل الثناء عليهم علم أن إيمانهم وإيمان من في الأرض وكل من غاب عن ذلك المقام سواء
في أن إيمان الجميع بطريق النظر والاستدلال لا غير وأنه لا طريق إلى معرفته إلا هذا وأنه منزه عن
صفات الأجرام وقد روعي التناسب في قوله ويؤمنون به ويستغفرون للذين آمنوا كأنه قيل ويؤمنون
ويستغفرون لمن في مثل حالهم وصفتهم وفيه تنبيه على أن الاشتراك في الإيمان يجب أن يكون أدعى
شيء إلى النصيحة وأبعثه على إمحاض الشفقة وإن تفاوتت الأجناس وتباعدت الأماكن فإنه لا تجانس
بين ملك وإنسان ولا بين سماوي وأرضي قط ثم لما جاء جامع الإيمان جاء معه التجانس الكلي و
التناسب الحقيقي حتى استغفر من حول العرش لمن فوق الأرض قال الله تعالى ويستغفرون لمن
في الأرض أي يقولون ربنا وهذا المضمر محتمل أن يكون بيانا ليستغفرون مرفوع المحل مثله وأن يكون حالا

تعالى الله عن المكان فكيف صح أن يقال وسعت كل شيء رحمة وعلماً الرحمة والعلم
هما اللذان وسعا كل شيء في المعنى والأصل وسع كل شيء رحمتك وعلمك ولكن أزيل الكلام عن أصله
بأن أسند الفعل إلى صاحب الرحمة والعلم وأخرجا منصوبين على التمييز للإغراق في وصفه بالرحمة والعلم
كأن ذاته رحمة وعلم واسعان كل شيء قد ذكر الرحمة والعلم فوجب أن يكون ما بعد الفاء مشتملا
على حديثهما جميعا وما ذكر إلا الغفران وحده معناه فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك وقهم عذاب الجحيم
ربنا وأدخلهم جنات عدن التي وعدتهم ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم علمت منهم التوبة واتباع سبيلك
وسبيل الله سبيل الحق التي نهجها لعباده ودعا إليها إنك أنت العزيز الحكيم أي الملك الذي لا يغلب وأنت مع
ملكك وعزتك لا تفعل شيئا إلا بداعي الحكمة وموجب حكمتك أن تفي بوعدك وقهم السيئات ومن تق
السيئات يومئذ فقد رحمته وذلك هو الفوز العظيم أي العقوبات أو جزاء السيئات فحذف المضاف على أن السيئات
هي الصغائر أو الكبائر المتوب عنها والوقاية منها التكفير أو قبول التوبة فما الفائدة في
استغفارهم لهم وهم تائبون صالحون موعودون المغفرة والله لا يخلف الميعاد هذا بمنزلة
الشفاعة وفائدته زيادة الكرامة والثواب وقرئ جنة عدن وصلح بضم اللام والفتح أفصح يقال
صلح فهو صالح وصلح فهو صليح وذرياتهم إن الذين كفروا ينادون أي ينادون يوم القيامة فيقال لهم لمقت الله أكبر
والتقدير لمقت الله أنفسكم أكبر من مقتكم أنفسكم فاستغنى بذكرها مرة وإذ تدعون إلى الإيمان
منصوب بالمقت الأول والمعنى أنه يقال لهم يوم القيامة كان الله يمقت أنفسكم الأمارة بالسوء والكفر
حين كان الأنبياء يدعونكم إلى الإيمان فتأبون قبوله وتختارون عليه الكفر أشد مما تمقتونهن
اليوم وأنتم في النار إذا أوقعتكم فيها باتباعكم هواهن وعن الحسن لما رأوا أعمالهم الخبيثة مقتوا
أنفسهم فنودوا لمقت الله وقيل معناه لمقت الله إياكم الآن أكبر من مقت بعضكم لبعض كقوله
يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضا وإذ تدعون إلى الإيمان فتكفرون قالوا ربنا تعليل والمقت أشد
البغض فوضع في موضع أبلغ الإنكار وأشده أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين إماتتين وإحياءتين
أو موتتين وحياتين وأراد بالإماتتين خلقهم أمواتا أولا وإماتتهم عند انقضاء آجالهم وبالإحياءتين الإحياءة
الأولى وإحياءة البعث وناهيك تفسيرا لذلك قوله تعالى وكنتم أمواتا فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم
وكذا عن ابن عباس كيف صح أن يسمى خلقهم أمواتا إماتة كما صح أن يقول سبحان
من صغر جسم البعوضة وكبر جسم الفيل وقولك للحفار ضيق فم الركية ووسع أسفلها وليس ثم نقل
من كبر إلى صغر ولا من صغر إلى كبر ولا من ضيق إلى سعة ولا من سعة إلى ضيق وإنما أردت الإنشاء على تلك الصفات

والسبب في صحته أن الصغر والكبر جائزان على المصنوع الواحد من غير ترجح لأحدهما وكذلك الضيق و
السعة فإذا اختار الصانع أحد الجائزين وهو متمكن منهما على السواء فقد صرف المصنوع عن الجائز الآخر
فجعل صرفه عنه كنقله منه ومن جعل الإماتتين التي بعد حياة الدنيا لزمه إثبات ثلاث إحياءات وهو خلاف
ما في القرآن إلا أن يتمحل فيجعل إحداها غير معتد بها أو يزعم أن الله يحييهم في القبور وتستمر بهم تلك الحياة
فلا يموتون بعدها ويعدهم في المستثنين من الصعقة في قوله إلا من شاء الله كيف تسبب
هذا لقوله فاعترفنا بذنوبنا قد أنكروا البعث فكفروا وتبع ذلك من الذنوب ما لا يحصى لأن من
لم يخش العاقبة تخرق في المعاصي فلما رأوا الإماتة والإحياء قد تكررا عليهم علموا بأن الله قادر على الإعادة
قدرته على الإنشاء فاعترفوا بذنوبهم التي اقترفوها من إنكار البعث وما تبعه من معاصيهم فهل إلى
خروج أي إلى نوع من الخروج سريع أو بطيء من سبيل قط أم اليأس واقع دون ذلك فلا خروج ولا سبيل إليه
وهذا كلام من غلب عليه اليأس والقنوط وإنما يقولون ذلك تعللا وتحيرا ولهذا جاء الجواب على حسب
ذلك وهو قوله ذلكم بأنه إذا دعي الله وحده كفرتم وإن يشرك به تؤمنوا أي ذلكم الذي أنتم فيه وأن لا سبيل لكم إلى خروج
قط بسبب كفركم بتوحيد الله وإيمانكم بالإشراك به فالحكم لله حيث حكم عليكم بالعذاب السرمد وقوله
العلي الكبير دلالة على الكبرياء والعظمة وعلى أن عقاب مثله لا يكون إلا كذلك وهو الذي يطابق كبرياءه
ويناسب جبروته وقيل كأن الحرورية أخذوا قولهم لا حكم إلا لله من هذا هو الذي يريكم آياته من الريح و
السحاب والرعد والبرق والصواعق ونحوها وينزل لكم من السماء رزقا والرزق المطر لأنه سببه وما يتذكر إلا من ينيب وما يتعظ
وما يعتبر بآيات الله إلا من يتوب من الشرك ويرجع إلى الله فإن المعاند لا سبيل إلى تذكره و
اتعاظه ثم قال للمنيبين فادعوا الله أي اعبدوه مخلصين له الدين من الشرك وإن غاظ ذلك أعداءكم
ممن ليس على دينكم ولو كره الكافرون رفيع الدرجات ذو العرش يلقي الروح ثلاثة أخبار لقوله هو مترتبة
على قوله الذي يريكم أو أخبار مبتدأ محذوف وهي مختلفة تعريفا وتنكيرا وقرئ رفيع الدرجات
بالنصب على المدح ورفيع الدرجات كقوله ذي المعارج وهي مصاعد الملائكة إلى أن تبلغ العرش و
هي دليل على عزته وملكوته وعن ابن جبير سماء فوق سماء والعرش فوقهن ويجوز أن يكون عبارة عن
رفعة شأنه وعلو سلطانه كما أن ذا العرش عبارة عن ملكه وقيل هي درجات ثوابه التي ينزلها
أولياءه في الجنة الروح من أمره على من يشاء من عباده الذي هو سبب الحياة من أمره يريد الوحي الذي
هو أمر بالخير وبعث عليه فاستعار له الروح كما قال أومن كان ميتا فأحييناه لينذر يوم التلاق
لينذر الله أو الملقى عليه وهو الرسول أو الروح وقرئ لتنذر أي لتنذر الروح لأنها تؤنث أو على خطاب

الرسول وقرئ لينذر يوم التلاق على البناء للمفعول ويوم التلاق يوم القيمة لان الخلائق تلتقي فيه وقيل
يلتقي فيه اهل السماء واهل الارض وقيل المعبود والعابد يوم هم بارزون ظاهرون لا يسترهم شيء من
جبل او اكمة او بناء لان الارض بارزة قاع صفصف ولا عليهم ثياب انما هم عراة مكشوفون كما جاء في الحديث
يحشرون عراة عزلا حفاة لا يخفى على الله منهم شيء اى من اعمالهم واحوالهم وعن ابن مسعود لا يخفى عليه
منهم شيء قوله لا يخفى على الله منهم شيء بيان وتقرير لبروزهم والله تعالى لا يخفى عليه
منهم شيء برزوا او لم يبرزوا فما معناه معناه انهم كانوا يتوهمون في الدنيا اذا استتروا
بالحيطان والحجب ان الله لا يراهم ويخفى عليه اعمالهم فهم اليوم صائرون من البروز والانكشاف الى حال لا
يتوهمون فيها مثل ما كانوا يتوهمونه قال الله تعالى ولكن ظننتم ان الله لا يعلم كثيرا مما تعملون وقال يستخفون
من الناس ولا يستخفون من الله وذلك لعلمهم ان الناس يبصرونهم وظنهم ان الله لا يبصرهم وهو
معنى قوله وبرزوا لله الواحد القهار لمن الملك اليوم لله الواحد القهار حكاية لما يسأل عنه في ذلك
اليوم ولما يجاب به ومعناه انه ينادي مناد فيقول لمن الملك اليوم فيجيبه اهل المحشر لله الواحد القهار
وقيل يجمع الله الخلائق يوم القيمة في صعيد واحد بارض بيضاء كانها سبيكة فضة لم يعص الله فيها قط
فاول ما يتكلم به ان ينادي مناد لمن الملك اليوم لله الواحد القهار اليوم تجزى كل نفس بما كسبت لا ظلم اليوم
ان الله سريع الحساب الآية فهذا يقتضي ان يكون المنادي هو المجيب لما قرر ان الملك لله وحده في ذلك
اليوم عدد نتائج ذلك وهي ان كل نفس تجزى ما كسبت وان الظلم مأمون لان الله ليس بظلام للعبيد
وان الحساب لا يبطئ لان الله لا يشغله حساب عن حساب فيحاسب الخلق كله في وقت واحد وهو
اسرع الحاسبين وعن ابن عباس اذا اخذ في حسابهم لم يقل اهل الجنة الا فيها ولا اهل النار الا فيها
وانذرهم يوم الآزفة اذ القلوب لدى الحناجر كاظمين ما للظالمين من حميم الآزفة القيمة سميت لازوفها
اى لقربها ويجوز ان يريد يوم الآزفة وقت الخطة الآزفة وهي مشارفتهم دخول النار فعند ذلك
ترتفع قلوبهم عن مقارها فتلصق بحناجرهم فلا هي تخرج فيموتوا ولا ترجع الى مواضعها فيتنفسوا و
يتروحوا ولكنها معترضة كالشجا كما قال فلما رأوه زلفة سيئت وجوه الذين كفروا
كاظمين بم انتصب هو حال عن اصحاب القلوب على المعنى لان المعنى اذ قلوبهم لدى
حناجرهم كاظمين عليها ويجوز ان يكون حالا عن القلوب وان القلوب كاظمة على غم وكرب فيها مع
بلوغها الحناجر وانما جمع الكاظم جمع السلامة لانه وصفها بالكظم الذي هو من افعال العقلاء كما قال
رأيتهم لي ساجدين وقال فظلت اعناقهم لها خاضعين ويعضده قراءة من قرأ كاظمون ويجوز ان

يكون حالا عن قوله وانذرهم اى وانذرهم مقدرين او مشارفين الكظم كقوله فادخلوها خالدين
الحميم المحب المشفق والمطاع مجاز في المشفع لان حقيقة الطاعة نحو حقيقة الامر في انها لا تكون الا لمن
فوقك ما معنى قوله ولا شفيع يطاع يحتمل ان يتناول النفي الشفاعة والطاعة معا
وان يتناول الطاعة دون الشفاعة كما تقول ما عندي كتاب يباع فهو محتمل نفي البيع وحده و
ان عندك كتابا الا انك لا تبيعه ونفيهما جميعا وان لا كتاب عندك ولا كونه مبيعا ونحوه ولا ترى الضب
بها ينجحر يريد نفي الضب وانجحاره فعلى اى الاحتمالين يجب حمله على على نفي الامرين
جميعا من قبل ان الشفعاء هم اولياء الله واولياء الله لا يحبون ولا يرضون الا من احبه الله و
رضيه وان الله لا يحب الظالمين فلا يحبونهم واذا لم يحبوهم لم ينصروهم ولم يشفعوا لهم قال الله تعالى
وما للظالمين من انصار وقال ولا يشفعون الا لمن ارتضى ولان الشفاعة لا تكون الا في زيادة
التفضل واهل التفضل وزيادته انما هم اهل الثواب بدليل قوله ويزيدهم من فضله وعن الحسن
والله ما يكون لهم شفيع البتة الغرض حاصل بذكر الشفيع ونفيه فما الفائدة في ذكر
هذه الصفة ونفيها في ذكرها فائدة جليلة وهي انها ضمت اليه ليقام انتفاء الموصوف
مقام الشاهد على انتفاء الصفة لان الصفة لا تتأتى بدون موصوفها فيكون ذلك ازالة لتوهم
وجود الموصوف بيانه انك اذا عوتبت على القعود عن الغزو فقلت ما لي فرس اركبه ولا معي
سلاح احارب به فقد جعلت عدم الفرس وفقد السلاح علة مانعة من الركوب والمحاربة كانه
تقول كيف يتأتى مني الركوب والمحاربة ولا فرس لي ولا سلاح معي فكذلك قوله ولا شفيع يطاع
معناه كيف يتأتى التشفيع ولا شفيع فكان ذكر التشفيع والاستشهاد على عدم تأتيه بعدم الشفيع
وضعا لانتفاء الشفيع موضع الامر المعروف غير المنكر الذي لا ينبغي ان يتوهم خلافه الخائنة
صفة للنظرة او مصدر بمعنى الخيانة كالعافية بمعنى المعافاة والمراد استراق النظر الى ما لا يحل
كما يفعل اهل الريب ولا يحسن ان يراد الخائنة من الاعين لان قوله وما تخفي الصدور لا يساعد
عليه بم اتصل قوله يعلم خائنة الاعين هو خبر من اخبار هو في قوله هو الذي
يريكم مثل يلقي الروح ولكن يلقي الروح قد علل بقوله لينذر يوم التلاق ثم استطرد ذكر
احوال يوم التلاق الى قوله ولا شفيع يطاع فبعد لذلك عن اخواته وما تخفي الصدور والله يقضي
بالحق يعني والذي هذه صفاته واحواله لا يقضي الا بالحق والعدل لاستغنائه عن الظلم وآلهتكم
والذين يدعون من دونه لا يقضون بشيء وهذا تهكم بهم لان ما لا يوصف بالقدرة لا يقال فيه

يقضي او لا يقضي ان الله هو السميع البصير تقرير لقوله يعلم خائنة الاعين وما تخفي الصدور
ووعيد لهم بانه يسمع ما يقولون ويبصر ما يعملون وانه يعاقبهم عليه وتعريض بما يدعون من دون الله
وانها لا تسمع ولا تبصر وقرئ تدعون بالتاء والياء اولم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين
كانوا من قبلهم كانوا هم اشد منهم قوة وآثارا في الارض فاخذهم الله بذنوبهم وما كان لهم من الله من واق ذلك بانهم
كانت تاتيهم رسلهم بالبينات فكفروا فاخذهم الله انه قوي شديد العقاب ولقد ارسلنا موسى بآياتنا هم
في كانوا هم اشد منهم فصل من حق الفصل ان لا يقع الا بين معرفتين فما باله واقعا بين معرفة
وغير معرفة وهو اشد منهم قد ضارع المعرفة في انه لا يدخله الالف واللام فاجري
مجراه وقرئ منكم وهي في مصاحف اهل الشام وآثارا يريد حصونهم وقصورهم وعددهم وما يوصف
بالشدة من آثارهم او اراد واكثر آثارا كقوله متقلدا سيفا ورمحا وسلطان مبين وحجة ظاهرة
وهي المعجزات الى فرعون وهامان وقارون فقالوا ساحر كذاب فسموا السلطان المبين سحرا وكذبا
فلما جاءهم بالحق من عندنا بالنبوة اما كان قتل الابناء واستحياء النساء من قبل خيفة ان
يولد المولود الذي انذرته الكهنة بظهوره وزوال ملكه على يده قد كان ذلك القتل حتى و
هذا قتل آخر وعن ابن عباس في قوله قالوا اقتلوا ابناء الذين آمنوا معه واستحيوا نساءهم وما كيد
الكافرين الا اعيدوا عليهم القتل كالذي كان اولا يريد ان هذا قتل غير القتل الاول في ضلال في
ضياع وذهاب باطلا لم يجد عليهم يعني انهم باشروا قتلهم اولا فما اغنى عنهم ونفذ قضاء الله
باظهار من خافوه فما يغني عنهم هذا القتل الثاني وكان فرعون قد كف عن قتل الولدان فلما بعث
موسى واحس بانه قد وقع اعاده عليهم غيظا وحنقا وظنا منه انه يصدهم بذلك عن مظاهرة موسى
وما علم ان كيده ضائع في الكرتين جميعا وقال فرعون ذروني اقتل موسى كانوا اذا هم بقتله كفوه
بقولهم ليس بالذي تخافه وهو اقل من ذلك واضعف وما هو الا بعض السحرة ومثله لا يقاوم الا
ساحر مثله ويقولون اذا قتلته ادخلت الشبهة على الناس واعتقدوا انك عجزت عن مظاهرته
بالحجة والظاهر ان فرعون لعنه الله كان قد استيقن انه نبي وان ما جاء به آيات وما هو بسحر ولكن
الرجل كان فيه خب وجربزة وكان قتالا سفاكا للدماء في اهون شيء فكيف لا يقتل من احس منه
بانه هو الذي يثل عرشه ويهدم ملكه ولكنه كان يخاف ان هم بقتله ان يعاجل بالهلاك وقوله
وليدع ربه اني اخاف شاهد صدق على فرط خوفه منه ومن دعوته ربه وكان قوله ذروني اقتل
موسى تمويها على قومه وايهاما انهم هم الذين يكفونه وما كان يكفه الا ما في نفسه من هول الفزع

ان يبدل دينكم ان يغير ما انتم عليه وكانوا يعبدونه ويعبدون الاصنام بدليل قوله ويذرك وآلهتك وان
يظهر في الارض الفساد والفساد في الارض التفاتن والتهارج الذي يذهب معه الامن وتتعطل المزارع
والمكاسب والمعايش ويهلك الناس قتلا وضياعا كانه قال اني اخاف ان يفسد عليكم دينكم بدعوتكم
الى دينه او يفسد عليكم دنياكم بما يظهر من الفتن بسببه وفي مصاحف اهل الحجاز وان يظهر بالواو و
معناه اني اخاف فساد دينكم ودنياكم معا وقرئ يظهر من اظهر والفساد منصوب اي يظهر موسى
الفساد وقرئ يظهر بتشديد الظاء والهاء من تظهر بمعنى تظاهر اي تتابع وتعاون لما سمع
موسى عليه السلام بما اجراه فرعون من حديث قتله قال لقومه اني عذت بربي وربكم بالله الذي
هو ربي وربكم وقوله وربكم بعث لهم على ان يقتدوا به فيعوذوا بالله عياذه ويعتصموا بالتوكل عليه
اعتصامه وقال من كل متكبر لتشمل استعاذته فرعون وغيره من الجبابرة وليكون على طريقة التعريض
فيكون ابلغ واراد بالتكبر الاستكبار عن الاذعان للحق وهو اقبح استكبار وادله على دناءة
صاحبه ومهانة نفسه وعلى فرط ظلمه وعسفه وقال لا يؤمن بيوم الحساب لانه اذا اجتمع في الرجل
التجبر والتكذيب بالجزاء وقلة المبالاة بالعاقبة فقد استكمل اسباب القسوة والجراءة على الله
وعباده ولم يترك عظيمة الا ارتكبها وعذت ولذت اخوان وقرئ عت بالادغام وقال رجل مؤمن
وقرئ رجل بسكون الجيم كما يقال عضد في عضد وكان قبطيا ابن عم لفرعون آمن بموسى سرا و
قيل كان اسرائيليا ومن آل فرعون صفة لرجل او صلة ليكتم اي يكتم ايمانه من آل فرعون واسمه
سمعان او حبيب وقيل خربيل او حزبيل والظاهر انه كان من آل فرعون فان المؤمنين من بني اسرائيل
لم يقلوا ولم يعزوا والدليل عليه قول فرعون ابناء الذين آمنوا معه وقول المؤمن فمن ينصرنا
من باس الله ان جاءنا دليل ظاهر على انه يتنصح لقومه اتقتلون رجلا ان يقول لان يقول وهذا
انكار منه عظيم وتبكيت شديد كانه قال اترتكبون الفعلة الشنعاء التي هي قتل نفس محرمة
وما لكم علة قط في ارتكابها الا كلمة الحق التي نطق بها وهي قوله ربي الله مع انه لم يحضر لتصحيح
قوله بينة واحدة ولكن بينات عدة من عند من نسب اليه الربوبية وهو ربكم لا ربه وحده و
هو استدراج لهم الى الاعتراف به وليلين بذلك جماحهم ويكسر من سورتهم ولك ان تقدر مضافا
محذوفا اي وقت ان يقول والمعنى اتقتلونه ساعة سمعتم منه هذا القول من غير روية و
لا فكر في امره وقوله وقد جاءكم بالبينات من ربكم بالبينات يريد بالبينات العظيمة التي عهدتموها
وشهدتموها ثم اخذهم بالاحتجاج على طريقة التقسيم فقال لا يخلو من ان يكون كاذبا او صادقا

فان يك كاذبا فعليه كذبه اى يعود عليه كذبه ولا يتخطاه ضرره وان يك صادقا يصبكم بعض ما يعدكم ان تعرضتم له   لم قال بعض الذى يعدكم وهو نبى صادق لا بد لما يعدهم ان يصيبهم كله لا بعضه   لانه احتاج فى مقاولة خصوم موسى ومناكريه الى ان يلاوصهم ويداريهم ويسلك معهم طريق الانصاف فى القول ويأتيهم من جهة المناصحة فجاء بما علم انه اقرب الى تسليمهم لقوله وادخل فى تصديقهم له وقبولهم منه فقال وان يك صادقا يصبكم بعض الذى يعدكم وهو كلام المنصف فى مقاله غير المشتط فيه ليسمعوا منه ولا يردوا عليه وذلك انه حين فرضه صادقا فقد اثبت انه صادق فى جميع ما يعد ولكنه اردفه يصبكم بعض الذى يعدكم ليهضمه بعض حقه فى ظاهر الكلام فيريهم انه ليس بكلام من اعطاه حقه وافيا فضلا ان يتعصب له او يرمى بالحصا من ورائه وتقديم الكاذب على الصادق من هذا القبيل وكذلك قوله ان الله لا يهدى من هو مسرف كذاب   فعن ابى عبيدة انه فسر البعض بالكل وانشد بيت لبيد

تراك امكنة اذا لم ارضها   او يرتبط بعض النفوس حمامها

ان صحت الرواية عنه فقد حق فيه قول المازنى فى مسئلة العلقى كان اجفى من ان يفقه ما اقول له ان الله لا يهدى من هو مسرف يحتمل انه ان كان مسرفا كذابا خذله ولم يستقم له امر فيتخلصون منه وانه لو كان مسرفا كذابا لما هداه الله للنبوة ولما عضده بالبينات وقيل ما تولى ابو بكر من رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اشد من ذلك طاف بالبيت فلقوه حين فرغ فاخذوا بمجامع ردائه فقالوا له انت الذى تنهانا عما كان يعبد آباؤنا فقال انا ذاك فقام ابو بكر رضى الله عنه فالتزمه من ورائه وقال اتقتلون رجلا ان يقول ربى الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم رافع صوته بذلك وعيناه تسفحان حتى ارسلوه وعن جعفر الصادق ان مؤمن آل فرعون قال ذلك سرا وابو بكر قاله ظاهرا يا قوم لكم الملك اليوم ظاهرين فى الارض فى ارض مصر عالين فيها على بنى اسرائيل يعنى ان لكم ملك مصر وقد علوتم الناس وقهرتموهم فلا تفسدوا امركم على انفسكم ولا تتعرضوا لبأس الله وعذابه فانه لا قبل لكم به ان جاءكم ولا يمنعكم منه احد وقال ينصرنا وجاءنا لانه منهم فى القرابة وليعلمهم بان الذى ينصحهم به هو مساهم لهم فيه فمن ينصرنا من بأس الله ان جاءنا قال فرعون ما اريكم الا ما ارى اى ما اشير عليكم برأى الا بما ارى من قتله يعنى لا استصوب الا قتله وهذا الذى تقولونه غير صواب وما اهديكم بهذا الرأى الا سبيل الرشاد يريد سبيل الصواب والصلاح او ما اعلمكم الا ما اعلم من الصواب ولا ادخر منه شيئا ولا اسر عنكم خلاف ما اظهر يعنى ان لسانه وقلبه متواطئان على ما

يقول وقد كذب فقد كان مستشعرا للخوف الشديد من جهة موسى ولكنه كان يتجلد ولولا استشعاره لم يستشر احدا ولم يقف الامر على الاشارة وقرئ الرشاد فعال من رشد بالكسر كعلام او من رشد بالفتح كعباد وقيل هو من ارشد كجبار من اجبر وليس بذاك لان فعالا من افعل لم يجئ الا فى عدة احرف نحو دراك وسآر وقصار وجبار ولا يصح القياس على القليل ويجوز ان يكون نسبة الى الرشد كعواج وبتات غير منظور فيه الى فعل وقال الذى آمن يا قوم انى اخاف عليكم مثل يوم الاحزاب مثل ايامهم لانه لما اضافه الى الاحزاب وفسرهم بقوم نوح وعاد وثمود ولم يلبس ان كل حزب كان له يوم دمار اقتصر على الواحد من الجمع لان المضاف اليه اغنى عن ذلك كقوله كلوا فى بعض بطنكم تعفوا وقال الزجاج مثل يوم حزب حزب ودأب هؤلاء دؤبهم فى عملهم من الكفر والتكذيب وسائر المعاصى وكون ذلك دائبا دائما منهم لا يفترون عنه ولا بد من حذف مضاف يريد مثل جزاء دأبهم ثم انتصب مثل دأب قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم مثل الثانى   بانه عطف بيان المثل الاول لان آخر ما تناولته الاضافة قوم نوح ولو قلت اهلك الله الاحزاب قوم نوح وعاد وثمود لم يكن الا عطف بيان لاضافة قوم الى الاعلام فسرى ذلك الحكم الى اول ما تناولته الاضافة وما الله يريد ظلما للعباد يعنى ان تدميرهم كان عدلا وقسطا لانهم استوجبوه باعمالهم وهو ابلغ من قوله وما ربك بظلام للعبيد حيث جعل المنفى ارادة الظلم لان من كان عن ارادة الظلم بعيدا كان عن الظلم ابعد وحيث نكر الظلم كانه نفى ان يريد ظلما ما لعباده ويجوز ان يكون معناه كمعنى قوله ولا يرضى لعباده الكفر اى لا يريد لهم ان يظلموا يعنى انه دمرهم لانهم كانوا ظالمين ويا قوم انى اخاف عليكم يوم التناد يوم التنادى ما حكى الله فى سورة الاعراف من قوله ونادى اصحاب الجنة اصحاب النار ونادى اصحاب النار اصحاب الجنة ويجوز ان يكون تصايحهم بالويل والثبور وقرئ بالتشديد وهو ان يند بعضهم من بعض كقوله يوم يفر المرء من اخيه وعن الضحاك اذا سمعوا زفير النار ندوا هربا فلا يأتون قطرا من الاقطار الا وجدوا الملائكة صفوفا فبينا هم يموج بعضهم فى بعض اذ سمعوا مناديا اقبلوا الى الحساب تولون مدبرين عن قتادة منصرفين عن موقف الحساب الى النار وعن مجاهد فارين عن النار غير معجزين ما لكم من الله من عاصم ومن يضلل الله فما له من هاد ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات فما زلتم فى شك مما جاءكم به حتى اذا هلك هو يوسف بن يعقوب عليهما السلام وقيل هو يوسف بن ابرهيم بن يوسف ابن يعقوب اقام فيهم نبيا عشرين سنة وقيل ان فرعون موسى هو فرعون يوسف عمر الى زمنه وقيل هو فرعون آخر وبخهم بان يوسف اتاكم بالمعجزات فشككتم فيها ولم تزالوا شاكين كافرين حتى اذا قبض

قلتم لن يبعث الله من بعده رسولا حكما من عند انفسكم من غير برهان وتقدمة عزم منكم على تكذيب الرسل فاذا
جاءكم رسول جحدتم وكذبتم بناء على حكمكم الباطل الذي اسستموه وليس قولهم لن يبعث الله من بعده رسولا
بتصديق لرسالة يوسف وكيف وقد شكوا فيها وكفروا بها وانما هو تكذيب لرسالة من بعده مضموم الى
تكذيب رسالته وقرئ الن يبعث الله على ادخال همزة الاستفهام على حرف النفي كان بعضهم يقرر بعضا
بنفي البعث ثم قال كذلك يضل الله من هو مسرف مرتاب اى مثل هذا الخذلان يخذل الله كل مسرف
في عصيانه مرتاب في دينه الذين يجادلون في آيات الله بدل من من هو مسرف   كيف جاز ابداله
منه وهو جمع وذاك موحد   لانه لا يريد مسرفا واحدا وكانه قال كل مسرف   فما فاعل
كبر   ضمير من هو مسرف   اما قلت هو جمع ولهذا ابدلت منه الذين يجادلون
بلى هو جمع في المعنى واما اللفظ فموحد فحمل البدل على معناه والضمير الراجع اليه على لفظه و
ليس ببدع ان يحمل على اللفظ تارة وعلى المعنى اخرى وله نظائر ويجوز ان يرفع الذين يجادلون على
الابتداء ولا بد في هذا الوجه من حذف مضاف يرجع اليه الضمير في كبر تقديره جدال الذين يجادلون
كبر مقتا ويحتمل ان يكون الذين يجادلون مبتداء وبغير سلطان اتاهم خبرا وفاعل كبر مقتا عند الله
وعند الذين آمنوا قوله كذلك اى كبر مقتا مثل ذلك الجدال ويطبع الله على كل قلب متكبر جبار كلام
مستانف ومن قال كبر مقتا عند الله جدالهم فقد حذف الفاعل والفاعل لا يصح حذفه وفي
كبر مقتا ضرب من التعجب والاستعظام لجدالهم والشهادة على خروجه من حد اشكاله من الكبائر
وقرئ قلب بالتنوين ووصف القلب بالتكبر والتجبر لانه مركزهما ومنبعهما كما تقول رات العين
وسمعت الاذن ونحوه قوله عز وجل فانه آثم قلبه وان كان الآثم هو الجملة ويجوز ان يكون
على حذف المضاف اى على كل ذي قلب متكبر تجعل الصفة لصاحب القلب وقال فرعون يا هامان ابن
لي صرحا لعلي ابلغ الاسباب قيل الصرح البناء الظاهر الذي لا يخفى على الناظر وان بعد اشتقوه
من صرح الشيء اذا ظهر اسباب السموات فاطلع الى اله موسى واني لاظنه كاذبا طرقها وابوابها وما يؤدي
اليها وكل ما اداك الى شيء فهو سبب اليه كالرشاء ونحوه   فما فائدة هذا التكرير ولو قيل لعلي
ابلغ اسباب السموات   اذا ابهم الشيء ثم اوضح كان تفخيما لشانه فلما اراد تفخيم ما امل بلوغه
من اسباب السموات ابهمها ثم اوضحها ولانه لما كان بلوغها امرا عجيبا اراد ان يورده على نفس متشوقة
اليه ليعطيه السامع حقه من التعجب فابهمه ليشوق اليه نفس هامان ثم اوضحه وقرئ فاطلع بالنصب
على جواب الترجي تشبيها للترجي بالتمني ومثل ذلك التزيين وذلك الصد زين لفرعون سوء عمله و

صد عن السبيل والمزين اما الشيطان بوسوسته كقوله وزين لهم الشيطان اعمالهم فصدهم عن السبيل
او الله تعالى على وجه التسبيب لانه مكن الشيطان وامهله ومثله زينا لهم اعمالهم فهم يعمهون وقرئ وزين
له سوء عمله على البناء للفاعل والفعل لله عز وجل دل عليه قوله الى اله موسى وصد بفتح الصاد وضمها وكسرها
على نقل حركة الفاء الى العين كما قيل قيل وما كيد فرعون الا في تباب والتباب الخسران والهلاك وصد
مصدر معطوف على سوء عمله وصد وامثاله وقومه وقال الذي آمن يا قوم اتبعون اهدكم سبيل الرشاد
فاجمل لهم ثم فسر فافتتح بذم الدنيا وتصغير شانها لان الاخلاد اليها هو اصل الشر كله ومنه يتشعب
جميع ما يؤدي الى سخط الله ويجلب الشقاوة في العاقبة وثنى بتعظيم الآخرة والاطلاع على حقيقتها
وانها هي الوطن والمستقر وذكر الاعمال سيئها وحسنها وعاقبة كل منهما ليثبط عما يتلف وينشط لما يزلف
ثم وازن بين الدعوتين دعوته الى دين الله الذي ثمرته النجاة ودعوتهم الى اتخاذ الانداد الذي عاقبته
النار وحذر وانذر واجتهد في ذلك واحتشد لا جرم ان الله استثناه من آل فرعون وجعله حجة عليهم
وعبرة للمعتبرين وهو قوله فوقاه الله سيئات ما مكروا وحاق بآل فرعون سوء العذاب وفي هذا ايضا
دليل بين على ان الرجل كان من آل فرعون والرشاد نقيض الغي وفيه تعريض شبيه بالتصريح ان ما عليه فرعون
وقومه هو سبيل الغي يا قوم انما هذه الحياة الدنيا متاع وان الآخرة هي دار القرار من عمل سيئة فلا يجزى
الا مثلها لان الزيادة على مقدار جزاء السيئة قبيحة لانها ظلم واما الزيادة على مقدار جزاء الحسنة
فحسنة لانها فضل ومن عمل صالحا من ذكر او انثى وهو مؤمن فاولئك يدخلون الجنة يرزقون فيها
وقرئ يدخلون ويدخلون بغير حساب واقع في مقابلة الا مثلها يعني ان جزاء السيئة له حساب
وتقدير لئلا يزيد على الاستحقاق فاما جزاء العمل الصالح فبغير تقدير وحساب بل ما شئت من
الزيادة على الحق والكثرة والسعة   لم كرر نداء قومه ولم جاء بالواو في النداء الثالث دون
الثاني   اما تكرير النداء ففيه زيادة تنبيه لهم وايقاظ عن سنة الغفلة وفيه انهم قومه و
عشيرته وهم فيما يوبقهم وهو يعلم وجه خلاصهم ونصيحتهم عليه واجبة فهو يتحزن لهم ويتلطف بهم و
يستدعي بذلك ان لا يتهموه فان سرورهم سروره وغمهم غمه وينزلوا على تنصيحه لهم كما كرر ابراهيم
صلوات الله عليه في نصيحة ابيه يا ابت واما المجيء بالواو العاطفة فلان الثاني داخل على كلام هو
بيان للمجمل وتفسير له فاعطي الداخل عليه حكمه في امتناع دخول الواو واما الثالث فداخل على كلام
ليس بتلك المثابة يقال دعاه الى كذا ودعاه له كما يقال هداه الى الطريق وهداه له ويا قوم ما لي ادعوكم
الى النجاة وتدعونني الى النار تدعونني لاكفر بالله واشرك به ما ليس لي به علم وانا ادعوكم الى العزيز الغفار بعلم

اى بربوبيته والمراد بنفى العلم نفى المعلوم كانه قال واشرك به ما ليس بإله كيف يصح ان يعلم الها لا جرم
سيأ قه على مذهب البصريين ان يجعل لا ردا لما دعاه اليه قومه وجرم فعل بمعنى حق وان مع ما فى حيزه
فاعله اى حق ووجب بطلان دعوته او بمعنى كسب من قوله تعالى ولا يجرمنكم شنآن قوم ان تعتدوا
اى كسب ذلك لدعائه اليه بطلان دعوته على معنى انه ما حصل من ذلك الا ظهور بطلان دعوته ويجوز ان يقال
ان لا جرم نظير لا بد فعل من الجرم وهو القطع كما ان بدا فعل من التبديد وهو التفريق فكما ان معنى
لا بد ان تفعل كذا بمعنى لا بعد لك من فعله فكذلك لا جرم ان لهم النار اى لا قطع لذلك بمعنى انهم ابدا
يستحقون النار لا انقطاع لاستحقاقهم ولا قطع لبطلان دعوة الاصنام اى لا تزال باطلة لا ينقطع
ذلك فينقلب حقا وروى عن العرب لا جرم انه يفعل بضم الجيم وسكون الراء بزنة بد وفعل وفعل اخوان
كرشد ورشد وعدم وعدم ليس له دعوة معناه ان ما تدعونني اليه ليس له دعوة الى نفسه قط اى من
حق المعبود بالحق ان يدعو العباد الى طاعته ثم يدعو العباد اليها اظهارا لدعوة ربهم وما تدعون اليه
والى عبادته لا يدعو هو الى ذلك ولا يدعى الربوبية ولو كان حيوانا ناطقا لضج من دعائكم وقوله فى الدنيا
ولا فى الآخرة يعنى انه فى الدنيا جماد لا يستطيع شيئا من دعاء وغيره وفى الآخرة اذا انشأه الله حيوانا
تبرأ من الدعاة اليه ومن عبدته وقيل معناه ليس له استجابة دعوة ينفع فى الدنيا وفى الآخرة او دعوة
مستجابة جعلت الدعوة التى لا استجابة لها ولا منفعة كلا دعوة او سميت الاستجابة باسم الدعوة
كما سمى الفعل المجازى عليه باسم الجزاء فى قولهم كما تدين تدان قال الله تعالى له دعوة الحق والذين يدعون
من دونه لا يستجيبون لهم بشيء وان مردنا الى الله وان المسرفين هم اصحاب النار المسرفين عن قتادة المشركين
وعن مجاهد السفاكين للدماء بغير حلها وقيل الذين غلب شرهم خيرهم هم المسرفون وقرئ فستذكرون
اى فسيذكر بعضكم بعضا ما اقول لكم وافوض امرى الى الله لانهم توعدوه ان الله بصير بالعباد
فوقاه الله سيئات ما مكروا شدائد مكرهم وما هموا به من الحاق انواع العذاب بمن خالفهم وقيل نجا مع موسى
وحاق بآل فرعون ما هموا به من تعذيب المسلمين ورجع عليهم كيدهم النار بدل من سوء العذاب او خبر
مبتدا محذوف كان قائلا قال ما سوء العذاب فقيل هو النار او مبتدا خبره يعرضون عليها وفى هذا
الوجه تعظيم للنار وتهويل من عذابها وعرضهم عليها احراقهم بها يقال عرض الامام الاسارى على السيف
اذا قتلهم به وقرئ النار بالنصب وهى تعضد الوجه الاخير وتقديره يدخلون النار يعرضون عليها و
يجوز ان ينتصب على الاختصاص غدوا وعشيا فى هذين الوقتين يعذبون بالنار وفيما بين ذلك الله اعلم
بحالهم فاما ان يعذبوا بجنس آخر من العذاب او ينفس عنهم ويجوز ان تكون غدوا وعشيا عبارة عن الدوام

يوم تقوم

هذا ما دامت الدنيا فاذا قامت الساعة قيل لهم ادخلوا يا آل فرعون اشد العذاب واذ يتحاجون فى النار فيقول
الضعفاء للذين استكبروا انا كنا لكم تبعا... عذاب جهنم وقرئ ادخلوا آل فرعون اى يقال للخزنة جهنم ادخلوهم
قوله فحاق بآل فرعون سوء العذاب معناه انه رجع عليهم ما هموا به من المكر بالمسلمين كقول العرب
من حفر لاخيه جبا وقع فيه منكبا فاذا فسر سوء العذاب بنار جهنم لم يكن مكرهم راجعا عليهم لانهم لا يعذبون
بجهنم يجوز ان يهم الانسان بان يغرق قوما فيحرق بالنار ويسمى ذلك حيقا لانه هم بسوء فاصابه
ما يقع عليه اسم السوء ولا يشترط فى الحيق ان يكون الحائق ذلك السوء بعينه ويجوز ان يهم فرعون لما سمع
انذار المسلمين بالنار وقول المؤمن وان المسرفين هم اصحاب النار فيفعل نحو ما فعل نمروذ ويعذبهم بالنار
فحاق به مثل ما اضمره وهم بفعله ويستدل بهذه الآية على اثبات عذاب القبر واذكر وقت يتحاجون
تبعا فهل انتم مغنون عنا نصيبا من النار قال الذين استكبروا انا كل فيها ان الله تبعا كخدم فى جمع خادم او
ذوى تبع اى اتباع او وصفا بالمصدر وقرئ كلا على التاكيد لاسم ان وهو معرفة والتنوين عوض من
المضاف اليه يريد انا كلنا او كلنا فيه هل يجوز ان يكون كلا حالا قد عمل فيها فيها لا
لان الظرف لا يعمل فى الحال متقدمة كما يعمل فى الظرف متقدما تقول كل يوم لك ثوب ولا تقول قائما فى الدار
زيد قد حكم بين العباد قضى بينهم وفصل بان ادخل اهل الجنة الجنة واهل النار النار وقال الذين فى النار
لخزنة جهنم للقوام بتعذيب اهلها هلا قيل الذين فى النار لخزنتها لان فى
ذكر جهنم تهويلا وتفظيعا ويحتمل ان جهنم هى ابعد النار قعرا من قولهم بئر جهنام بعيدة القعر
وقولهم فى النابغة جهنام تسمية بها لزعمهم انه يلقى الشعر على لسان المنتسب له فهو بعيد الغور فى علمه
بالشعر كما قال ابو نواس فى خلف الاحمر قليذم من العيالم الخسف وفيها اغنى الكفار
والطغاة فلعل الملائكة الموكلين بعذاب اولئك اجوب دعوة لزيادة قربهم من الله فلهذا تعمدهم اهل
النار بطلب الدعوة منهم ادعوا ربكم يخفف عنا يوما من العذاب قالوا اولم تك تاتيكم رسلكم بالبينات قالوا بلى
اولم تك تاتيكم الزام للحجة وتوبيخ وانهم خلفوا وراءهم اوقات الدعاء والتضرع وعطلوا الاسباب
التى يستجيب الله لها الدعوات قالوا فادعوا وما دعاء الكافرين الا فى ضلال انتم فانا لا نجترئ على ذلك و
لا نشفع الا بشرطين كون المشفوع له غير ظالم والاذن فى الشفاعة مع مراعاة وقتها وذلك قبل
الحكم الفاصل بين الفريقين وليس قولهم فادعوا لرجاء المنفعة ولكن للدلالة على الخيبة وان الملك المقرب
اذا لم يسمع دعاؤه فكيف يسمع دعاء الكافر انا لننصر رسلنا والذين آمنوا فى الحيوة الدنيا ويوم يقوم
الاشهاد اى فى الدنيا والآخرة يعنى انهم يغلبونهم فى الدارين جميعا بالحجة والظفر على مخالفيهم وان غلبوا فى

بعض الاحابين امتحانا من الله فالعاقبة لهم وينتقم الله ممن يبغضهم من اعدائهم ولو بعد حين والاشهاد جمع شاهد
كصاحب واصحاب يريد الحفظة من الملائكة والانبياء والمومنين من امة محمد صلى الله عليه وسلم لتكونوا
شهداء على الناس واليوم الثاني بدل من اليوم الاول يحتمل انهم يعتذرون بمعذرة ولكنها لا تنفع
لانها باطلة وانهم لو جاؤا بمعذرة لم تكن مقبولة لقوله ولا يؤذن لهم فيعتذرون يوم لا ينفع الظالمين
معذرتهم ولهم اللعنة من رحمة الله ولهم سوء الدار اى سوء دار الآخرة وهو عذابها وقرئ يقوم
ولا ينفع بالتاء والياء ولقد آتينا موسى الهدى يريد بالهدى جميع ما آتاه الله في باب الدين من المعجزات
والتورية والشرائع وأورثنا بني اسرائيل من بعده الكتاب اى التورية هدى وذكرى ارشادا وتذكرة
وانتصابهما على المفعول له او على الحال لاولي الالباب واولوا الالباب المومنون به العاملون بما فيه فاصبر
ان وعد الله حق واستغفر لذنبك وسبح بحمد ربك يعني ان نصرة الرسل في ضمان الله وضمان الله لا يخلف و
استشهد بموسى وما آتاه من اسباب الهدى والنصرة على فرعون وجنوده وابقاء آثار هداه في بني اسرائيل
والله ناصرك كما نصرهم ومظهرك على الدين كله ومبلغ ملكك مشارق الارض ومغاربها فاصبر على
ما يجرعك قومك من الغصص فان العاقبة لك وما سبق به وعدي من نصرتك واعلاء كلمتك حق واقبل
على التقوى واستدرك الفرطات بالاستغفار ودم على عبادة ربك والثناء عليه بالعشي والابكار وقيل
هما صلاتا العصر والفجر ان الذين يجادلون في آيات الله بغير سلطان اتاهم ان في صدورهم الا كبر الا تكبر
وتعظم وهو ارادة التقدم والرياسة وان لا يكون احد فوقهم ولذلك عادوك ودفعوا آياتك خيفة
ان تتقدمهم ويكونوا تحت يدك وامرك ونهيك لان النبوة تحتها كل ملك ورياسة او ارادة ان يكون لهم
النبوة دونك حسدا ويدل عليه قوله لو كان خيرا ما سبقونا اليه او ارادة دفع الآيات بالجدال ما هم ببالغيه
اى ببالغي موجب الكبر ومقتضيه وهو متعلق ارادتهم من الرياسة او النبوة او دفع الآيات وقيل
المجادلون هم اليهود وكانوا يقولون يخرج صاحبنا المسيح ابن داود يريدون الدجال ويبلغ سلطانه
البر والبحر وتسير معه الانهار وهو آية من آيات الله فيرجع الينا الملك فسمى الله تمنيهم ذلك كبرا
ونفى ان يبلغوا متمناهم فاستعذ بالله فالتجئ اليه من كيد من يحسدك ويبغي عليك انه هو السميع
لما تقول وتقولون البصير بما تعمل ويعملون فهو ناصرك عليهم وعاصمك من شرهم كيف
اتصل قوله لخلق السموات والارض اكبر من خلق الناس ولكن اكثر الناس بما قبله ان مجادلتهم في
آيات الله كانت مشتملة على انكار البعث وهو اصل المجادلة ومدارها فحجوا بخلق السموات والارض لانهم
كانوا مقرين بان الله خالقها بانها خلق عظيم لا يقادر قدره وخلق الناس بالقياس اليه شيء قليل

وتركنا عليه

مهين فمن قدر على خلقها مع عظمها كان على خلق الانسان مع مهانته اقدر وهو ابلغ من الاستشهاد بخلق
مثله لا يعلمون لانهم لا ينظرون ولا يتأملون لغلبة الغفلة عليهم واتباعهم اهواءهم وما يستوي الاعمى والبصير
والذين آمنوا وعملوا الصالحات ولا المسيء قليلا ما ضرب الاعمى والبصير مثلا للمحسن والمسيء وقرئ يتذكرون
بالياء والتاء اعم ان الساعة لآتية لا ريب فيها لا بد من مجيئها ولا محالة وليس بمرتاب فيها لانه لا بد من
جزاء ولكن اكثر الناس لا يومنون لا يصدقون بها وقال ربكم ادعوني اعبدوني والدعاء بمعنى
العبادة كثير في القرآن ويدل عليه قوله ان الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم والاستجابة
الاثابة وفي تفسير مجاهد اعبدوني اثبكم وعن الحسن وقد سئل عنها اعملوا وابشروا فانه حق
على الله ان يستجيب الذين آمنوا وعملوا الصالحات ويزيدهم من فضله وعن الثوري انه قيل له ادع الله
فقال ان ترك الذنوب هو الدعاء وفي الحديث اذا شغل عبدي طاعتي عن الدعاء اعطيته افضل ما
اعطي السائلين وروى النعمان بن بشير عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الدعاء هو العبادة وقرأ هذه
الآية ويجوز ان يريد الدعاء والاستجابة على ظاهرهما ويريد بعبادتي دعائي لان الدعاء باب من
العبادة ومن افضل ابوابها يصدقه قول ابن عباس افضل العبادة الدعاء وعن كعب اعطى الله هذه الامة
ثلث خلال لم يعطهن الا نبيا مرسلا كان يقول لكل نبي انت شاهدي على خلقي وقال لهذه الامة لتكونوا
شهداء على الناس وكان يقول ما عليك من حرج وقال لنا ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج وكان يقول
ادعني استجب لك وقال لنا ادعوني استجب لكم وعن ابن عباس وحدوني اغفر لكم وهذا تفسير للدعاء
بالعبادة ثم للعبادة بالتوحيد داخرين صاغرين الله الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصرا
ان الله لذو فضل على الناس ولكن اكثر الناس لا يشكرون مبصرا من الاسناد المجازي لان الابصار في الحقيقة
لاهل النهار لم قرن الليل بالمفعول له والنهار بالحال وهلا كانا حالين او مفعولا لهما
فيراعى حق المقابلة هما متقابلان من حيث المعنى لان كل واحد منهما يؤدي مؤدى الآخر
ولانه لو قيل لتبصروا فيه فاتت الفصاحة التي في الاسناد المجازي ولو قيل ساكنا والليل يجوز ان
يوصف بالسكون على الحقيقة الا ترى الى قولهم ليل ساج وساكن لا ريح فيه لم يتميز الحقيقة من المجاز
فهلا قيل لمفضل او لمتفضل لان الغرض تنكير الفضل وان يجعل فضلا لا يوازيه
فضل وذاك انما يستوي بالاضافة فلو قيل ولكن اكثرهم فلا يتكرر ذكر الناس
في هذا التكرير تخصيص لكفران النعمة بهم وانهم هم الذين يكفرون فضل الله ولا يشكرونه
كقوله ان الانسان لكفور ان الانسان لربه لكنود ان الانسان لظلوم كفار ذلكم المعلوم المتميز

بالافعال الخاصة التى لا يشاركه فيها احد هو الله ربكم خالق كل شىء لا اله الا هو اخبار مترادفة اى هو
الجامع لهذه الاوصاف من الالهية والربوبية وخلق كل شىء وانشائه لا يمتنع عليه شىء والوحدانية لا
ثانى له فانى تؤفكون فكيف ومن اى وجه يصرفون عن عبادته الى عبادة الاوثان ثم ذكر ان كل من جحد
بآيات الله ولم يتأملها ولم يكن فيه همة طلب الحق وخشية العاقبة افك كما افكوا وقرئ خالق كل شىء نصبا
على الاختصاص ويؤفكون بالياء والتاء كذلك يؤفك الذين كانوا بآيات الله يجحدون الله الذى جعل لكم الارض قرارا
هذه ايضا دلالة اخرى على تميزه بافعال خاصة وهى انه جعل الارض مستقرا والسماء بناء اى قبة
ومنه ابنية العرب لمضاربهم لان السماء فى منظر العين كقبة مضروبة على وجه الارض وصوركم فاحسن
صوركم ورزقكم من الطيبات ذلكم الله ربكم فتبارك الله رب العالمين هو الحى لا اله الا هو فاحسن صوركم
قرئ بكسر الصاد والمعنى واحد قيل لم يخلق حيوانا احسن صورة من الانسان وقيل لم يخلقهم منكوسين
كالبهائم كقوله فى احسن تقويم فادعوه فاعبدوه مخلصين له الدين اى الطاعة عن الشرك والرياء قائلين
الحمد لله رب العالمين قل انى نهيت ان اعبد الذين تدعون من دون الله لما جاءنى البينات من ربى وامرت ان اسلم
لرب العالمين وعن ابن عباس من قال لا اله الا الله فليقل على اثرها الحمد لله رب العالمين
اما نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن عبادة الاوثان بادلة العقل حتى جاءته البينات من ربه
بلى ولكن البينات لما كانت مقوية لادلة العقل ومؤكدة لها ومضمنة ذكرها نحو قوله اتعبدون
ما تنحتون والله خلقكم وما تعملون واشباه ذلك من التنبيه على ادلة العقل كان ذكر البينات ذكر الادلة
العقل والسمع جميعا وانما ذكر ما يدل على الامرين جميعا لان ذكر تناصر الادلة ادلة العقل وادلة
السمع اقوى فى ابطال مذهبهم وان كانت ادلة العقل وحدها كافية هو الذى خلقكم من تراب
ثم من نطفة ثم من علقة ثم يخرجكم طفلا ثم لتبلغوا اشدكم متعلق بفعل محذوف تقديره ثم يبقيكم
لتبلغوا وكذلك ثم لتكونوا شيوخا ومنكم من يتوفى من قبل واما ولتبلغوا اجلا مسمى فمعناه ويفعل ذلك
لتبلغوا اجلا مسمى وهو وقت الموت وقيل يوم القيمة وقرئ شيوخا بكسر الشين وشيخا على التوحيد
كقوله طفلا والمعنى كل واحد منكم او اقتصر على الواحد لان الغرض بيان الجنس من قبل من قبل الشيخوخة
او من قبل هذه الاحوال اذا خرج سقطا ولعلكم تعقلون ما فى ذلك من العبر والحجج هو الذى يحيى ويميت فاذا
قضى امرا فانما يقول له كن فيكون الم تر الى الذين يجادلون فى آيات الله انى يصرفون الذين كذبوا فاذا قضى امرا فانما
يكون من غير كلفة ولا معاناة جعل هذا نتيجة من قدرته على الاحياء والاماتة وسائر ما ذكر من افعاله
الدالة على ان مقدورا لا يمتنع عليه كانه قال فلذلك من الاقتدار اذا قضى امرا كان اهون شىء واسرعه

بالكتاب بالقرآن وبما ارسلنا به رسلنا من الكتب وهل قوله فسوف يعلمون اذ الاغلال فى اعناقهم
الا مثل قولك سوف اصوم امس المعنى على اذا الا ان الامور المستقبلة لما كانت فى اخبار الله
تعالى متيقنة مقطوعا بها عبر عنها بلفظ ما كان ووجد والمعنى على الاستقبال وعن ابن عباس والسلاسل
يسحبون بالنصب وفتح الياء على عطف الجملة الفعلية على الاسمية وعنه والسلاسل يسحبون بجر السلاسل
ووجهه انه لو قيل اذا اعناقهم فى الاغلال مكان قوله اذ الاغلال فى اعناقهم لكان صحيحا مستقيما فلما كانتا عبارتين
معتقبتين حمل قوله والسلاسل على العبارة الاخرى ونظيره مشائيم ليسوا مصلحين عشيرة ولا ناعب
كانه قيل بمصلحين وقرئ وبالسلاسل يسحبون فى الحميم ثم فى النار يسجرون من سجر التنور اذا ملأه بالوقود
ومنه السجير كانه سجر بالحب اى ملئ ومعناه انهم فى النار فهى محيطة بهم وهم مسجورون بالنار مملوءة بها
اجوافهم ومنه قوله تعالى نار الله الموقدة التى تطلع على الافئدة اللهم اجرنا من نارك فانا عائذون
بجوارك ثم قيل لهم اين ما كنتم تشركون من دون الله قالوا ضلوا عنا غابوا عن عيوننا فلا نراهم ولا ينتفع بهم
اما ذكرت فى تفسير قوله تعالى انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم انهم مقرونون
بآلهتهم فكيف يكونون معهم وقد ضلوا عنهم يجوز ان يضلوا عنهم اذا وبخوا وقيل لهم اين ما كنتم
تشركون من دون الله يغيثوكم ويشفعوا لكم وان يكونوا معهم فى سائر الاوقات وان يكونوا
معهم فى جميع اوقاتهم الا انهم لما لم ينفعوهم فكانهم ضالون عنهم بل لم نكن ندعوا من قبل شيئا اى تبين لنا
انهم لم يكونوا شيئا وما كنا نعبد بعبادتهم شيئا كما تقول حسبت ان فلانا شىء فاذا هو ليس بشىء
اذا خبرته فلم تر عنده خيرا كذلك يضل الله الكافرين مثل ضلال آلهتهم عنهم يضلهم عن آلهتهم حتى لو طلبوا
الآلهة او طلبتهم الآلهة لم يتصادفوا ذلكم بما كنتم تفرحون فى الارض بغير الحق وبما كنتم تمرحون الاضلال بسبب
ما كان لكم من الفرح والمرح بغير الحق وهو الشرك وعبادة الاوثان ادخلوا ابواب جهنم خالدين فيها السبعة
المقسومة لكم قال الله تعالى لها سبعة ابواب لكل باب منهم جزء مقسوم خالدين مقدرين الخلود فبئس
مثوى المتكبرين عن الحق المستخفين به مثواكم او جهنم اليس قياس النظم ان يقال فبئس مدخل
المتكبرين كما تقول زر بيت الله فنعم المزار وصل فى المسجد الحرام فنعم المصلى الدخول الموقت
بالخلود فى معنى الثواء فاصبر ان وعد الله حق فاما نرينك بعض الذى نعدهم فاما نرينك اصله فان نرك
وما مزيدة لتاكيد معنى الشرط ولذلك الحقت النون بالفعل الا تراك لا تقول ان تكرمنى اكرمك ولكن
اما تكرمنى اكرمك لا يخلو اما ان تعطف او نتوفينك على نرينك وتشركهما فى جزاء واحد وهو
قوله فالينا يرجعون فعلى لك فاما نرينك بعض الذى نعدهم فالينا يرجعون غير صحيح وان جعلت فالينا يرجعون

مختصا بالمعطوف الذى هو نتوفينك يعنى المعطوف عليه بغير جزاء فالينا يرجعون متعلق بنتوفينك
وجزاء نرينك محذوف تقديره فاما نرينك بعض الذى نعدهم من العذاب وهو القتل يوم بدر فذاك او ان
نتوفينك قبل يوم بدر فالينا يرجعون يوم القيمة فننتقم منهم اشد الانتقام ونحوه قوله تعالى فاما نذهبن
بك فانا منهم منتقمون او نرينك الذى وعدناهم فانا عليهم مقتدرون ولقد ارسلنا رسلا من قبلك منهم من قصصنا
ومنهم من لم نقصص عليك قيل بعث الله ثمانية آلاف نبى اربعة آلاف من بنى اسرائيل واربعة آلاف من
سائر الناس وعن على رضى الله عنه بعث نبيا اسود فهو ممن لم يقصص عليه وهذا فى اقتراحهم الايات على
رسول الله صلى الله عليه وسلم عنادا يعنى انا قد ارسلنا كثيرا من الرسل وما كان لرسول لاحد منهم ان ياتى باية
الا باذن الله فمن لى بان آتى باية مما تقترحونه الا ان يشاء الله ويأذن فى الاتيان بها فاذا جاء امر الله قضى بالحق
وخسر هنالك وعيد ورد عقيب اقتراح الايات وامر الله القيامة المبطلون المعاندون الذين اقترحوا
الايات وقد اتتهم الايات فانكروها وسموها سحرا الله الذى جعل لكم الانعام الانعام الابل خاصة
لم قال لتركبوا منها ولتبلغوا عليها ولم يقل ولتأكلوا منها ولتصلوا الى منافع او هلا قال
منها تركبون ومنها تأكلون ولكم فيها منافع ولتبلغوا وتبلغون عليها حاجة فى صدوركم فى الركوب
الركوب فى الحج والغزو وفى بلوغ الحاجة الهجرة من بلد الى بلد لاقامة دين او طلب علم وهذه اغراض دينية
اما واجبة او مندوب اليها مما يتعلق به ارادة الحكيم واما الاكل واصابة المنافع فمن جنس المباح الذى
لا يتعلق به ارادته ومعنى قوله وعليها وعلى الفلك تحملون وعلى الانعام وحدها لا تحملون ولكن عليها وعلى
الفلك فى البر والبحر هلا قيل وفى الفلك كما قال قلنا احمل فيها من كل زوجين اثنين
معنى الايعاء ومعنى الاستعلاء كلاهما مستقيم لان الفلك وعاء لمن يكون فيها حمولة لمن يستعليها
فلما صح المعنيان صحت العبارتان وايضا فليطابق قوله وعليها ويزاوجه ويريكم اياته فاى آيات الله
جاءت على اللغة المستفيضة وقولك فاية آيات الله قليل لان التفرقة بين المذكر والمؤنث فى
الاسماء غير الصفات نحو حمار وحمارة غريب وهى فى اى اغرب لابهامه افلم يسيروا فى الارض فينظروا
كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا اكثر منهم واشد قوة وآثارا قصورهم ومصانعهم وقيل
مشيهم بارجلهم لعظم اجرامهم فى الارض فما اغنى عنهم ما كانوا يكسبون فلما جاءتهم رسلهم بالبينات فرحوا بما
عندهم من العلم فما اغنى عنهم ما نافية او مضمنة معنى الاستفهام ومحلها النصب والثانية موصولة
او مصدرية ومحلها الرفع يعنى اى شىء اغنى عنهم مكسوبهم او كسبهم فرحوا بما عندهم من العلم فيه وجوه
منها انه اراد العلم الوارد على طريق التهكم فى قوله بل ادرك علمهم فى الآخرة وعلمهم فى الآخرة انهم كانوا

يقولون لا نبعث ولا نعذب وما اظن الساعة قائمة ولئن رددت الى ربى لاجدن خيرا منها منقلبا وكانوا
يفرحون بذلك ويدفعون به البينات وعلم الانبياء كما قال عز وجل كل حزب بما لديهم فرحون ومنها ان
يريد علم الفلاسفة والدهريين من بنى يونان وكانوا اذا سمعوا بوحى الله دفعوه وصغروا علم الانبياء الى
علمهم وعن سقراط انه سمع بموسى صلوات الله عليه وقيل له لو هاجرت اليه فقال نحن قوم مهذبون فلا
حاجة بنا الى من يهذبنا ومنها ان يوضع قوله فرحوا بما عندهم من العلم ولا علم عندهم البتة موضع قوله
لم يفرحوا بما جاءهم من العلم مبالغة فى نفى فرحهم بالوحى الموجب لاقصى الفرح والمسرة مع تهكم بفرط
جهلهم وخلوهم من العلم ومنها ان يراد فرحوا بما عند الرسل من العلم فرح ضحك منه واستهزاء به
كانه قال استهزءوا بالبينات وبما جاءوا به من علم الوحى فرحين مرحين ويدل عليه قوله وحاق بهم ما كانوا
به يستهزءون ومنها ان يجعل الفرح للرسل ومعناه ان الرسل لما رأوا جهلهم المتمادى واستهزاءهم
بالحق وعلموا سوء عاقبتهم وما يلحقهم من العقوبة على جهلهم واستهزائهم فرحوا بما اوتوا من العلم وشكروا
الله عليه وحاق بالكافرين جزاء جهلهم واستهزائهم ويجوز ان يريد بما فرحوا به من العلم علمهم بامور
الدنيا ومعرفتهم بتدبيرها كما قال تعالى يعلمون ظاهرا من الحيوة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون
ذلك مبلغهم من العلم فلما جاءهم الرسل بعلوم الديانات وهى ابعد شىء من علمهم لبعثها على رفض
الدنيا والظلف عن الملاذ والشهوات لم يلتفتوا اليها وصغروها واستهزءوا بها واعتقدوا انه
لا علم انفع واجلب للفوائد من علمهم ففرحوا به فلما رأوا بأسنا قالوا آمنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين
البأس شدة العذاب ومنه قوله تعالى بعذاب بئيس اى فرق بين قوله فلم يك ينفعهم ايمانهم
وبينه لو قيل فلم ينفعهم ايمانهم هو من كان فى نحو قوله ما كان لله ان يتخذ من ولد والمعنى
فلم يصح ولم يستقم ان ينفعهم ايمانهم كيف ترادفت هذه الفاءات اما
قوله فما اغنى عنهم فهو نتيجة قوله كانوا اكثر منهم واما قوله فلما جاءتهم رسلهم فجار مجرى البيان و
والتفسير لقوله فما اغنى عنهم كقولك رزق زيد المال فمنع المعروف فلم يحسن الى الفقراء وقوله
فلما رأوا بأسنا آمنوا وكذلك فلم يك ينفعهم ايمانهم تابع لايمانهم لما رأوا بأس الله سنة الله بمنزلة
وعد الله وما اشبهه من المصادر المؤكدة التى قد خلت فى عباده وخسر هنالك الكافرون وهنالك
مكان مستعار للزمان اى وخسروا وقت رؤية البأس وكذلك قوله وخسر هنالك المبطلون بعد قوله
فاذا جاء امر الله قضى بالحق اى وخسروا وقت مجىء امر الله او وقت القضاء بالحق عن رسول الله صلى
الله عليه وسلم من قرأ سورة المؤمن لم يبق روح نبى ولا صديق ولا شهيد ولا مؤمن الا صلى عليه واستغفر له

سورة السجدة مكية وهي اربع وخمسون وقيل ثلث وخمسون اية

بسم الله الرحمن الرحيم ان جعلت حم اسمًا للسورة كانت فى موضع المبتداء وتنزيل من الرحمن الرحيم خبره وان جعلتها تعديدًا للحروف كان تنزيل خبرًا لمبتداء محذوف وكتاب بدل من تنزيل او خبر بعد خبر او خبر مبتداء محذوف وجوّز الزجاج ان يكون تنزيل مبتداء وكتاب خبره ووجهه ان تنزيلًا تخصّص بالصفة فساغ وقوعه مبتداء فصلت آياته ميّزت وجعلت تفاصيل فى معان مختلفة من احكام وامثال ومواعظ ووعد ووعيد وغير ذلك وقرئ فصَلت اى فرقت بين الحق والباطل او فصل بعضها من بعض باختلاف معانيها من قولك فصل من البلد قرآنا عربيا نصب على الاختصاص والمدح اى اريد بهذا الكتاب المفصّل قرآنا من صفته كيت وكيت وقيل هو نصب على الحال اى فصلت آياته فى حال كونه قرآنا عربيا لقوم يعلمون اى لقوم عرب يعلمون ما نزل عليهم من الآيات المفصلة المبيّنة بلسانهم العربى المبين لا يلتبس عليهم شيء منه م تعلق قوله لقوم يعلمون يجوز ان يتعلق بتنزيل او بفصلت اى تنزيل من الله لاجلهم او فصلت آياته لهم والاجود ان يكون صفة مثل ما قبله وما بعده اى قرآنا عربيا كائنا لقوم عرب لئلا يفرق بين الصلات والصفات بشيرا ونذيرا فاعرض اكثرهم وقرئ بشير ونذير صفة للكتاب او خبر مبتداء محذوف فهم لا يسمعون لا يقبلون ولا يطيعون من قولك تشفعت الى فلان فلم يسمع قولى ولقد سمعه ولكنه لما لم يقبله ولم يعمل بمقتضاه فكانه لم يسمعه وقالوا قلوبنا فى اكنة مما تدعونا اليه وفى آذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب والاكنة جمع كنان وهو الغطاء والوقر بالفتح الثقل وقرئ بالكسر وهذه تمثيلات لنبو قلوبهم عن تقبل الحق واعتقاده كانها فى غلف واغطية تمنع من نفوذه فيها كقوله وقالوا قلوبنا غلف ومج اسماعهم له كان بها صمما عنه ولتباعد المذهبين والدينين كان بينهم وما هم عليه وبين رسول الله وما هو عليه حجابا ساترا وحاجزا منيعا من جبل او نحوه فلا تلاقى ولا ترائى فاعمل على دينك اننا عاملون على ديننا او فاعمل فى ابطال امرنا اننا عاملون فى ابطال امرك وقرئ انا عاملون هل لزيادة من فى قوله ومن بيننا وبينك حجاب فائدة نعم لانه لو قيل بيننا وبينك حجاب لكان المعنى ان حجابا حاصل وسط الجهتين واما بزيادة من فالمعنى ان الحجاب ابتداء منا وابتداء منك فالمسافة المتوسطة لجهتنا وجهتك مستوعبة بالحجاب ولا فراغ فيها هلّا قيل على قلوبنا اكنة كما قيل وفى آذاننا ليكون الكلام على نمط واحد هو على نمط واحد لانه لا فرق فى المعنى بين قولك قلوبنا فى اكنة وعلى قلوبنا اكنة والدليل عليه قوله انا جعلنا على قلوبهم اكنة ولو قيل انا جعلنا قلوبهم فى اكنة لم يختلف المعنى وترى المطابيع منهم لا يراعون الطباق والملاحظة الا فى المعانى من اين كان قوله قل انما انا بشر مثلكم يوحى الى انما جوابا لقولهم قلوبنا فى اكنة من حيث قال لهم انى لست بملك وانما انا بشر مثلكم وقد اوحى الى دونكم فصحت بالوحى وانا بشر نبوّتى واذا صحت نبوتى وجب عليكم اتباعى وفيما يوحى الى ان الهكم اله واحد فاستقيموا اليه فاستووا اليه بالتوحيد واخلاص العبادة غير ذاهبين يمينا ولا شمالا ولا ملتفتين الى ما يسوّل لكم الشيطان من اتخاذ الاولياء والشفعاء وتوبوا اليه مما سبق لكم من الشرك واستغفروه وقرئ قال انما انا بشر وويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكاة لم خص من بين اوصاف المشركين منع الزكاة مقرونا بالكفر بالآخرة لان احب شيء الى الانسان ماله وهو شقيق روحه فاذا بذله فى سبيل الله فذاك اقوى دليل على ثباته واستقامته وصدق نيته ونصوع طويته الا ترى الى قوله عز وعلا ومثل الذين ينفقون اموالهم ابتغاء مرضات الله وتثبيتا من انفسهم اى يثبتون انفسهم ويدلون على ثباتها بانفاق الاموال وما خدع المؤلفة قلوبهم الا بلمظة من الدنيا فقرّت عصبيتهم ولانت شكيمتهم واهل الردة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ما تظاهروا الا بمنع الزكاة فنصبت لهم الحرب وجوهدوا وفيه بعث للمؤمنين على اداء الزكاة وتخويف شديد من منعها حيث جعل المنع من اوصاف المشركين وقرن بالكفر بالآخرة وقيل كانت قريش يطعمون الحاج ويحرمون من آمن برسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل لا يفعلون ما يكونون به ازكياء وهو الايمان وهم بالآخرة هم كافرون ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم اجر غير ممنون الممنون المقطوع وقيل لا يمن عليهم لانه انما يمن التفضل فاما الاجر فحق اداؤه وقيل نزلت فى المرضى والزمنى والهرمى اذا عجزوا عن الطاعة كتب لهم الاجر كاصح ما كانوا يعملون قل ائنكم لتكفرون بالذى خلق الارض فى يومين وتجعلون له اندادا ائنكم بهمزتين الثانية بين بين وآئنكم بالف بين همزتين ذلك الذى قدر على خلق الارض فى مدة يومين هو رب العالمين وجعل فيها رواسى من فوقها رواسى جبالا ثوابت ما معنى قوله من فوقها وهلّا اقتصر على قوله وجعل فيها رواسى كقوله وجعلنا فيها رواسى شامخات وجعلنا فى الارض رواسى وجعل لها رواسى لو كانت تحتها كالاساطين لها تستقر عليها او مركوزة فيها كالمسامير لمنعت من الميدان وانما اختار ارساءها فوق الارض لتكون المنافع فى الجبال معرضة لطالبيها حاضرة لمحصليها وليبصر ان الارض والجبال اثقال على اثقال كلها مفتقرة الى ممسك لا بد لها منه وهو ممسكها عز وعلا بقدرته وبارك فيها واكثر خيرها

وأنماه وقدر فيها أقواتها أرزاق أهلها ومعايشهم وما يصلحهم وفي قراءة ابن مسعود وقسم
فيها أقواتها في أربعة أيام فذلكة لمدة خلق الأرض وما فيها كأنه قال كل ذلك في أربعة أيام كاملة
مستوية بلا زيادة ولا نقصان قيل خلق الأرض في يوم الأحد ويوم الاثنين وما فيها يوم الثلاثاء
ويوم الأربعاء وقال الزجاج في أربعة أيام في تتمة أربعة أيام يريد بالتتمة اليومين وقرئ
سواء بالحركات الثلاث الجر على الوصف والنصب على استوت سواء أي استواء والرفع على هي سواء
بم تعلق قوله للسائلين بمحذوف كأنه قيل هذا الحصر لأجل من سأل في كم خلقت
الأرض وما فيها أو بقدر أي قدر فيها الأقوات لأجل الطالبين لها المحتاجين إليها من المقتاتين
وهذا الوجه الأخير لا يستقيم إلا على تفسير الزجاج هلا قيل في يومين وأي فائدة
في هذه الفذلكة إذا قال في أربعة أيام وقد ذكر أن الأرض خلقت في يومين علم أن ما فيها
خلق في يومين فبقيت المخايرة بين أن يقول في يومين وأن يقول في أربعة أيام سواء فكانت في أربعة
أيام سواء فائدة ليست في يومين وهي الدلالة على أنها كانت أياما كاملة بغير زيادة ولا نقصان
ولو قال في يومين وقد يطلق اليومان على أكثرهما لكان يجوز أن يريد باليومين الأولين والآخرين أكثرهما
ثم استوى إلى السماء وهي دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين فقضاهن سبع
سماوات في يومين من قولك استوى إلى مكان كذا إذا توجه إليه توجها لا يلوي على شيء وهو من
الاستواء الذي هو ضد الاعوجاج ونحوه قولهم استقام إليه وامتد إليه ومنه قوله تعالى
فاستقيموا إليه والمعنى ثم دعاه داعي الحكمة إلى خلق السماء بعد خلق الأرض وما فيها من
غير صارف يصرفه عن ذلك قيل كان عرشه قبل خلق السماوات والأرض على الماء فأخرج من الماء
دخانا فارتفع فوق الماء وعلا عليه فأيبس الماء فجعله أرضا واحدة ثم فتقها فجعلها أرضين
ثم خلق السماء من الدخان المرتفع ومعنى أمر السماء والأرض بالإتيان وامتثالهما أنه أراد
تكوينهما فلم يمتنعا عليه ووجدتا كما أرادهما وكانتا في ذلك كالمأمور المطيع إذا ورد عليه فعل
الآمر المطاع وهو من المجاز الذي يسمى التمثيل ويجوز أن يكون تخييلا ويبنى الأمر فيه على أن
الله كلم السماء والأرض وقال لهما ائتيا شئتما ذلك أو أبيتما فقالتا أتينا على الطوع لا على الكره و
الغرض تصوير أثر قدرته في المقدورات لا غير من غير أن يحقق شيء من الخطاب والجواب ونحوه
قول القائل قال الجدار للوتد لم تشقني قال الوتد سل من يدقني فلم يتركني ورائي الحجر
الذي ورائي لم ذكر الأرض مع السماء وانتظمها في الأمر بالإتيان والأرض مخلوقة قبل

السماء بيومين قد خلق جرم الأرض أولا غير مدحوة ثم دحاها بعد خلق السماء كما قال و
الأرض بعد ذلك دحاها فالمعنى ائتيا على ما ينبغي أن تأتيا عليه من الشكل والوصف ائتي يا أرض مدحوة
قرارا لأهلك وائتي يا سماء مقببة سقفا لهم ومعنى الإتيان الحصول والوقوع كما تقول أتى عمله
مرضيا وجاء مقبولا ويجوز أن يكون المعنى لتأت كل واحدة منكما صاحبتها الإتيان الذي أريده
وتقتضيه الحكمة والتدبير من كون الأرض قرارا للسماء وكون السماء سقفا للأرض وتنصره
قراءة من قرأ آتيا وآتينا من المؤاتاة وهي الموافقة أي لتؤات كل واحدة أختها ولتوافقها قالتا
وافقنا وساعدنا ويحتمل وافقا أمري ومشيئتي ولا تمتنعا ما معنى طوعا أو كرها
هو مثل للزوم تأثير قدرته فيهما وأن امتناعهما من تأثير قدرته محال كما يقول الجبار لمن تحت
يده لتفعلن هذا شئت أو أبيت ولتفعلنه طوعا أو كرها وانتصابهما على الحال بمعنى طائعتين
أو مكرهتين هلا قيل طائعتين على اللفظ أو طائعات على المعنى لأنها سماوات وأرضون
لما جعلن مخاطبات ومجيبات ووصفن بالطوع والكره قيل طائعين في موضع طائعات
نحو قوله ساجدين فقضاهن يجوز أن يرجع الضمير فيه إلى السماء على المعنى كما قال طائعين ونحوه
أعجاز نخل خاوية ويجوز أن يكون ضميرا مبهما مفسرا بسبع سماوات والفرق بين النصبين أن أحدهما
على الحال والثاني على التمييز قيل خلق السماوات وما فيها في يومين في يوم الخميس والجمعة وفرغ في آخر
ساعة من يوم الجمعة فخلق فيها آدم وهي الساعة التي تقوم فيها القيامة وفي هذا دليل على
ما ذكرت من أنه لو قال في يومين في موضع أربعة أيام لم يعلم أنهما يومان كاملان أم ناقصان
فلو قيل خلق الأرض في يومين كاملين وقدر فيها أقواتها في يومين كاملين أو قيل بعد ذكر
اليومين تلك أربعة سواء الذي أورده سبحانه أخصر وأفصح وأحسن طباقا لما عليه
التنزيل من مغاصات القرائح ومصاك الركب ليتميز الفاضل من الناقص والمتقدم من الناكص
وترتفع الدرجات وتتضاعف الثواب وأوحى في كل سماء أمرها ما أمر به فيها ودبره من خلق الملائكة
والنيرات وغير ذلك أو شأنها وما يصلحها وحفظا وحفظناها حفظا يعني من المسترقة بالثواقب
ويجوز أن يكون مفعولا له على المعنى كأنه قال وخلقنا المصابيح زينة وحفظا ذلك تقدير العزيز
العليم فإن أعرضوا فقل أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود إذ جاءتهم الرسل فإن أعرضوا
بعد ما تتلو عليهم من هذه الحجج على وحدانيته وقدرته فحذرهم أن تصيبهم صاعقة أي عذاب شديد
الوقع كأنه صاعقة وقرئ صعقة مثل صعقة عاد وثمود وهي المرة من الصعق أو الصعق يقال

صعقته الصاعقة صعقًا وصعق صعقًا وهو من باب فعلته ففعل من بين ايديهم ومن خلفهم اى اتوهم
من كل جانب واجتهدوا بهم واعملوا فيهم كل حيلة فلم يروا منهم الا العتو والاعراض كما حكى الله عن
الشيطان لآتينهم من بين ايديهم ومن خلفهم يعنى لآتينهم من كل جهة ولاعملن فيهم كل حيلة ويقول
استدرت بفلان من كل جانب فلم يكن لى فيه حيلة وعن الحسن انذروهم من وقائع الله فيمن قبلهم
من الامم وعذاب الآخرة لانهم اذا حذروهم ذلك فقد جاؤهم بالوعظ من جهة الزمن الماضى و
ما جرى فيه على الكفار ومن جهة المستقبل وما سيجرى عليهم وقيل معناه اذ جاءتهم الرسل من
قبلهم ومن بعدهم الرسل الذين من قبلهم ومن بعدهم كيف يوصفون بانهم جاؤهم و
كيف يخاطبونهم بقولهم انا بما ارسلتم به كافرون فقد جاءهم هود وصالح داعيين الى الايمان
بهما وبجميع الرسل ممن جاء من بين ايديهم اى من قبلهم وممن يجئ من خلفهم اى من بعدهم فكان الرسل جميعا قد
جاؤهم وقولهم انا بما ارسلتم به كافرون خطاب منهم لهود وصالح ولسائر الانبياء الذين دعوا الى الايمان
بهم ان فى ان لا تعبدوا بمعنى اى او مخففة من الثقيلة اصله بانه لا تعبدوا اى بان الشان الا الله قالوا
والحديث قولنا لكم لا تعبدوا او مفعول شاء محذوف اى لو شاء ربنا ارسال الرسل لانزل ملائكة فانا
بما ارسلتم به كافرون معناه فاذ انتم بشر ولستم بملائكة فانا لا نؤمن بكم وبما جئتم به وقولهم
ارسلتم به ليس باقرار بالارسال وانما هو على كلام الرسل وفيه تهكم كما قال فرعون ان رسولكم الذى
ارسل اليكم لمجنون روى ان ابا جهل قال فى ملأ من قريش قد التبس علينا امر محمد فلو التمستم لنا
عالما بالشعر والكهانة والسحر فكلمه ثم اتانا ببيان عن امره فقال عتبة بن ربيعة والله لقد سمعت الشعر
والكهانة والسحر وعلمت من ذلك علما وما يخفى على فاتاه فقال انت يا محمد خير ام هاشم انت
خير ام عبد المطلب انت خير ام عبد الله فبم تشتم آلهتنا وتضللنا فان كنت تريد الرياسة عقدنا
لك اللواء فكنت رئيسنا وان تك بك الباءة زوجناك عشر نسوة تختارهن اى بنات قريش
شئت وان كان بك المال جمعنا لك ما تستغنى به ورسول الله صلى الله عليه وسلم ساكت فلما فرغ
قال بسم الله الرحمن الرحيم حم الى قوله مثل صاعقة عاد وثمود فامسك عتبة على فيه وناشده بالرحم
ورجع الى اهله ولم يخرج الى قريش فلما احتبس عنهم قالوا ما نرى عتبة الا قد صبأ فانطلقوا اليه
وقالوا يا عتبة ما حبسك عنا الا انك قد صبأت فغضب واقسم لا يكلم محمدا ابدا ثم قال والله
لقد كلمته فاجابنى بشئ والله ما هو بشعر ولا كهانة ولا سحر ولما بلغ صاعقة عاد وثمود امسكت
بفيه وناشدته بالرحم ان يكف وقد علمتم ان محمدا اذا قال شيئا لم يكذب فخفت ان ينزل بكم العذاب

فاما عاد فاستكبروا فى الارض اى تعظموا فيها على اهلها بما لا يستحقون به التعظم وهو القوة وعظم
الاجرام او استعلوا فى الارض واستولوا على اهلها بغير استحقاق للولاية وقالوا من اشد منا قوة كانوا الحق
ذوى اجسام طوال وخلق عظيم وبلغ من قوتهم ان الرجل كان ينزع الصخرة من الجبل فيقتلعها بيده
القوة هى الشدة والصلابة فى البنية وهى نقيضة الضعف واما القدرة فما لاجله
يصح الفعل من الفاعل من تميز بذات او بصحة بنية وهى نقيضة العجز والله سبحانه لا يوصف بالقوة
الا على معنى القدرة فكيف صح قوله اولم يروا ان الله الذى خلقهم هو اشد منهم قوة وانما يصح اذا اريد
بالقوة شئ واحد القدرة فى الانسان هى صحة البنية والاعتدال والقوة الشدة و
الصلابة فى البنية وحقيقتها زيادة القدرة فكما صح ان يقال الله اقدر منهم جاز ان يقال اقوى منهم
على معنى انه يقدر لذاته على ما لا يقدرون عليه بازدياد قدرهم وكانوا بآياتنا يجحدون كانوا يعرفون
انها حق ولكنهم جحدوها كما يجحد المودع الوديعة وهو معطوف على فاستكبروا اى كانوا كفرة فسقة
فارسلنا عليهم ريحا صرصرا فى ايام الصرصر العاصفة التى تصرصر اى تصوت فى هبوبها وقيل
الباردة التى تحرق بشدة بردها تكرير لبناء الصر وهو البرد الذى يصر اى يجمع ويقبض نحسات
قرئ بكسر الحاء وسكونها ونحس نحسا نقيض سعد سعدا وهو نحس واما نحس فاما مخفف نحس
او صفة على فعل او وصف بمصدر لنذيقهم عذاب الخزى فى الحيوة الدنيا وقرئ لتذيقهم على ان
الاذاقة للريح او للايام النحسات واضاف العذاب الى الخزى وهو الذل والاستكانة على انه
وصف للعذاب كانه قال عذاب خزى كما تقول فعل السوء تريد الفعل السيئ والدليل عليه
قوله ولعذاب الآخرة اخزى وهو من الاسناد المجازى ووصف العذاب بالخزى ابلغ من وصفهم
به الا ترى الى البون بين قوليه هو شاعر وله شعر شاعر وهم لا ينصرون واما ثمود قرئ ثمود بالرفع والنصب
منونا وغير منون والرفع افصح لوقوعه بعد حرف الابتداء وقرئ بضم الثاء فهديناهم فدللناهم
على طريق الضلالة والرشد كقوله تعالى وهديناه النجدين فاستحبوا العمى على الهدى فاختاروا الدخول
فى الضلالة على الدخول فى الرشد اليس معنى هديته وحصلت فيه الهدى الدليل
قولك هديته فاهتدى بمعنى تحصيل البغية وحصولها كما تقول ردعته فارتدع فكيف ساغ
استعماله فى الدلالة المجردة للدلالة على انه مكنهم وازاح عللهم ولم يبق لهم عذر ولا
علة فكانه حصل البغية فيهم بتحصيل ما يوجبها ويقتضيها فاخذتهم صاعقة العذاب داهية
العذاب وقارعة العذاب والهون الهوان وصف به العذاب مبالغة او ابدله منه ولو لم يكن فى القرآن

حجة على القدرية الذين هم مجوس هذه الامة بشهادة نبيها صلى الله عليه وسلم وكفى به شاهدا الا هذه
لكفى بها حجة بما كانوا يكسبون ونجينا الذين آمنوا وكانوا يتقون ويوم يحشر قرئ يحشر على البناء للمفعول و
نحشر بالنون وضم الشين وكسرها ويحشر على البناء للفاعل اى يحشر الله عز وجل اعداء الله الكفار من
الاولين والآخرين الى النار فهم يوزعون يحبس اولهم على آخرهم اى يستوقف سوابقهم حتى يلحق بهم تواليهم
وهي عبارة عن كثرة اهل النار نسأل الله ان يجيرنا منها بسعة رحمته ما في
قوله حتى اذا ما جاؤها شهد عليهم سمعهم وابصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون وقالوا لجلودهم لم شهدتم
علينا قالوا انطقنا الله الذي انطق كل شيء وهو خلقكم اول مرة واليه ترجعون ما هي مزيدة
للتاكيد ومعنى التاكيد فيها ان وقت مجيئهم النار لا محالة ان يكون وقت الشهادة عليهم ولا وجه لان
يخلو منها ومثله قوله اثم اذا ما وقع آمنتم به اى لا بد لوقت وقوعه من ان يكون وقت ايمانهم به
شهادة الجلود بالملامسة الحرام وما اشبه ذلك مما يفضي اليها من المحرمات كيف تشهد
عليهم اعضاؤهم وكيف تنطق الله عز وجل ينطقها كما انطق الشجرة بان يخلق فيها كلاما و
قيل المراد بالجلود الجوارح وقيل هي كناية عن الفروج المراد بكل شيء كل شيء من الحيوان كما اراد به
في قوله والله على كل شيء قدير كل شيء من المقدورات والمعنى ان نطقنا ليس بعجب من قدرة الله
الذي قدر على انطاق كل حيوان وعلى خلقكم وانشائكم اول مرة وعلى اعادتكم ورجعكم الى جزائه
وانما قالوا لهم لم شهدتم علينا لما تعاظمهم من شهادتها وكبر عليهم من الافتضاح على السنة جوارحهم
وما كنتم تستترون ان يشهد عليكم سمعكم ولا ابصاركم ولا جلودكم ولكن ظننتم المعنى انكم كنتم تستترون بالحيطان
والحجب عند ارتكاب الفواحش وما كان استتاركم ذلك خيفة ان تشهد عليكم جوارحكم لانكم كنتم غير
عالمين بشهادتها عليكم بل كنتم جاحدين بالبعث والجزاء اصلا ولكنكم انما استترتم لظنكم
ان الله لا يعلم كثيرا مما تعملون وهو الخفيات من اعمالكم وذلك الظن هو الذي اهلككم وفي هذا تنبيه على
ان من حق المؤمن ان لا يذهب عنه ولا يزل عن ذهنه ان عليه من الله عينا كالئة ورقيبا مهيمنا
حتى يكون في اوقات خلواته من ربه اهيب واحسن احتشاما واوفر تحفظا وتصونا منه مع الملا
ولا ينبسط في سره مراقبة من التشبه بهؤلاء الظانين وقرئ ولكن زعمتم وذلكم رفع بالابتداء وظنكم
الذي ظننتم بربكم ارداكم فاصبحتم من الخاسرين وارداكم خبران ويجوز ان يكون ظنكم بدلا من ذلكم و
ارداكم الخبر فان يصبروا فالنار مثوى لهم لم ينفعهم الصبر ولم ينفكوا به من الثواء في النار وان
يستعتبوا فما هم من المعتبين وقيضنا لهم قرناء فزينوا لهم وان يسألوا العتبى وهي الرجوع لهم الى

ما يحبون جزعا مما هم فيه لم يعتبوا لم يعطوا العتبى ولم يجابوا اليها ونحوه قوله عز وعلا اجزعنا
ام صبرنا ما لنا من محيص وقرئ وان يستعتبوا فما هم من المعتبين اى ان سئلوا ان يرضوا ربهم فما هم
فاعلون اى لا سبيل لهم الى ذلك وقيضنا لهم وقدرنا لهم يعني لمشركي مكة يقال هذان ثوبان
قيضان اذا كانا متكافيين والمقايضة المعاوضة قرناء اخدانا من الشياطين جمع قرين كقوله
ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين كيف جاز ان يقيض لهم القرناء
من الشياطين وهو ينهاهم عن اتباع خطواتهم معناه انه خذلهم ومنعهم التوفيق لتصميمهم على
الكفر فلم يبق لهم قرناء سوى الشياطين والدليل عليه ومن يعش نقيض ما بين ايديهم وما خلفهم ما تقدم
من اعمالهم وما هم عازمون عليها او ما بين ايديهم من امر الدنيا واتباع الشهوات وما خلفهم من امر العاقبة
وان لا بعث ولا حساب وحق عليهم القول يعني كلمة العذاب في امم قد خلت من قبلهم من الجن والانس في جملة
امم ومثل في هذه ما في قوله ان تك عن احسن الصنيعة مأفوكا ففي آخرين قد افكوا يريد فانت
في جملة آخرين فانت في عداد آخرين لست في ذلك باوحد في امم ما محله محله النصب
على الحال من الضمير في عليهم اى حق عليهم القول كائنين في جملة امم انهم كانوا خاسرين تعليل لاستحقاقهم
العذاب والضمير لهم وللامم وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون قرئ و
الغوا فيه بفتح الغين وضمها يقال لغى يلغى ولغا يلغو واللغو الساقط من الكلام الذي لا طائل
تحته قال من اللغا ورفث التكلم والمعنى لا تسمعوا له اذا قرئ وتشاغلوا عند قراءته برفع
الاصوات بالخرافات والهذيان والرجز وما اشبه ذلك حتى تخلطوا على القارئ وتشوشوا عليه و
تغلبوه على قراءته كانت قريش يوصي بذلك بعضهم بعضا فلنذيقن الذين كفروا يجوز ان يريد بالذين
كفروا هؤلاء اللاغين والآمرين لهم باللغو خاصة وان يذكر الذين كفروا عامة لينطووا تحت
ذكرهم وقد ذكرنا اضافة اسوأ بما اغنى عن اعادته وعن ابن عباس عذابا شديدا يوم بدر ولنجزينهم اسوأ
الذي كانوا يعملون في الآخرة ذلك جزاء اعداء الله النار اشارة الى الاسوأ ويجب ان يكون التقدير اسوأ
جزاء الذي كانوا يعملون حتى تستقيم هذه الاشارة والنار عطف بيان للجزاء او خبر مبتدأ
محذوف ما معنى قوله لهم فيها دار الخلد معناه ان النار في نفسها دار الخلد
كقوله لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة والمعنى ان رسول الله اسوة حسنة وتقول لك في هذه
الدار دار سرور وانت تعني الدار بعينها جزاء بما كانوا بآياتنا يجحدون اى جزاء بما كانوا يلغون فيها
فذكر الجحود الذي هو سبب اللغو وقال الذين كفروا ربنا ارنا اللذين اضلانا اى الشيطانين اللذين

من الجن والانس

اضلانا نجعلهما تحت اقدامنا ليكونا من الاسفلين لان الشياطين على ضربين جني وانسي قال الله تعالى وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الانس والجن وقال الذي يوسوس في صدور الناس من الجنة والناس وقيل هما ابليس وقابيل لانهما سنا الكفر والقتل بغير حق وقرئ ارنا بسكون الراء لثقل الكسرة كما قالوا في فخذ فخذ وقيل معناه اعطنا اللذين اضلانا وحكوا عن الخليل انك اذا قلت ارني ثوبك بالكسر فالمعنى بصرنيه واذا قلته بالسكون فهو استعطاء معناه اعطني ثوبك ونظيره اشتهار الايتاء في معنى الاعطاء واصله الاحضار ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا ثم لتراخي الاستقامة عن الاقرار في المرتبة وفضلها عليه لان الاستقامة لها الشان كله ونحوه قوله تعالى انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا والمعنى ثم ثبتوا على الاقرار ومقتضياته وعن ابي بكر الصديق رضي الله عنه استقاموا فعلا كما استقاموا قولا وعنه انه تلاها ثم قال ما تقولون فيها قالوا لم يذنبوا قال حملتم الامر على اشده قالوا فما تقول قال لم يرجعوا الى عبادة الاوثان وعن عمر رضي الله عنه استقاموا على الطريقة لم يروغوا روغان الثعالب وعن عثمان رضي الله عنه اخلصوا العمل وعن علي رضي الله عنه ادوا الفرائض وقال سفيان بن عبد الله الثقفي قلت يا رسول الله اخبرني بامر اعتصم به قال قل ربي الله ثم استقم قال فقلت ما اخوف ما تخاف علي فاخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بلسان نفسه فقال هذا تتنزل عليهم الملائكة عند الموت بالبشرى وقيل البشرى في ثلاثة مواطن عند الموت وفي القبر واذا قاموا من قبورهم ان لا تخافوا ان بمعنى اي او مخففة من الثقيلة واصله بانه لا تخافوا والهاء ضمير الشان وفي قراءة ابن مسعود لا تخافوا اي يقولون لا تخافوا والخوف غم يلحق لتوقع المكروه والحزن غم يلحق لوقوعه من فوات نافع او حصول ضار والمعنى ان الله كتب لكم الامن من كل غم فلن تذوقوه ابدا وقيل لا تخافوا ما تقدمون عليه ولا تحزنوا على ما خلفتم وابشروا بالجنة التي كنتم توعدون نحن اولياؤكم في الحيوة الدنيا وفي الآخرة ولكم فيها ما تشتهي انفسكم ولكم فيها ما كما ان الشياطين قرناء العصاة واخوانهم فكذلك اولياء المتقين واحباؤهم في الدارين تدعون تتمنون والنزل رزق النزيل وهو الضيف وانتصابه على الحال من غفور رحيم ومن احسن قولا ممن دعا الى الله عن ابن عباس هو رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا الى الاسلام وعمل صالحا فيما بينه وبين ربه وجعل الاسلام نحلة له وعنه انهم اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن عائشة رضي الله عنها ما كنا نشك ان هذه الآية نزلت في المؤذنين وهي عامة في كل من جمع بين هذه الثلث ان يكون موحدا معتقدا لدين الاسلام عاملا بالخير داعيا اليه وما هم الا طبقة العالمين العاملين من اهل العدل والتوحيد الدعاة الى دين الله وقوله وقال انني من المسلمين ليس الغرض

انه تكلم بهذا الكلام ولكن جعل دين الاسلام مذهبه ومعتقده كما تقول هذا قول ابي حنيفة تريد مذهبه ولا تستوي الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي احسن فاذا الذي بينك وبينه عداوة كانه ولي حميم وما يلقاها الا الذين صبروا وما يلقاها الا ذو حظ عظيم يعني ان الحسنة والسيئة متفاوتتان في انفسهما فخذ بالحسنة التي هي احسن من اختها اذا اعترضتك حسنتان فادفع بها السيئة التي ترد عليك من بعض اعدائك ومثال ذلك رجل اساء اليك اساءة فالحسنة ان تعفو عنه والتي هي احسن ان تحسن اليه مكان اساءته اليك مثل ان يذمك فتمدحه ويقتل ولدك فتفتدي ولده من يد عدوه فانك اذا فعلت ذلك انقلب عدوك المشاق مثل الولي الحميم مصافاة لك ثم قال وما يلقى هذه الخليقة او السجية التي هي مقابلة الاساءة بالاحسان الا اهل الصبر والا رجل خير وفق لحظ عظيم من الخير فهلا قيل فادفع بالتي هي احسن هو على تقدير قائل قال فكيف اصنع فقيل ادفع بالتي هي احسن وقيل لا مزيدة والمعنى ولا تستوي الحسنة والسيئة فكان القياس على هذا التفسير ان يقال ادفع بالتي هي حسنة اجل ولكن وضع التي هي احسن موضع الحسنة ليكون ابلغ في الدفع بالحسنة لان من دفع بالحسنى هان عليه الدفع بما دونها وعن ابن عباس بالتي هي احسن الصبر عند الغضب والحلم عند الجهل والعفو عند الاساءة وفسر الحظ بالثواب وعن الحسن والله ما عظم حظ دون الجنة وقيل نزلت في ابي سفيان بن حرب وكان عدوا موذيا لرسول الله صلى الله عليه وسلم فصار وليا مصافيا واما ينزغنك من الشيطان نزغ النزغ والنسغ بمعنى وهو شبه النخس والشيطان ينزغ الانسان كانه ينخسه يبعثه على ما لا ينبغي وجعل النزغ نازغا كما قيل جد جده او اريد واما ينزغنك نازغ وصفا للشيطان بالمصدر او لتسويله والمعنى وان صرفك الشيطان عما وصيت به من الدفع بالتي هي احسن فاستعذ بالله انه هو السميع العليم من شره وامض على شانك ولا تطعه ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر لا تسجدوا للشمس ولا للقمر واسجدوا لله الذي خلقهن ان كنتم اياه تعبدون الضمير في خلقهن لليل والنهار والشمس والقمر لان حكم جماعة ما لا يعقل حكم الانثى او الاناث يقال للاقلام بريتها وبريتهن او لما قال ومن آياته كن في معنى الآيات فقيل خلقهن اين موضع السجدة عند الشافعي رحمه الله تعبدون وهي رواية مسروق عن عبد الله لذكر لفظ السجدة قبلها وعند ابي حنيفة رحمه يسأمون لانها تمام المعنى وهي عن ابن عباس وابن عمر وسعيد بن المسيب لعل ناسا منهم كانوا يسجدون للشمس والقمر كالصابئين في عبادتهم الكواكب ويزعمون انهم يقصدون بالسجود لهما السجود لله فنهوا عن هذه الواسطة وامروا ان يقصدوا بسجودهم وجه الله خالصا ان كانوا اياه يعبدون وكانوا موحدين غير مشركين

فان استكبروا فالذين عند ربك يسبحون له بالليل والنهار وهم لا يسأمون ولم يمتثلوا ما امروا به وابوا الا الواسطة فدعهم وشانهم فان الله عز سلطانه لا يعدم عابدا ولا ساجدا بالاخلاص وله العباد المقربون الذين ينزهونه بالليل والنهار عن الانداد وقوله عند ربك عبارة عن الزلفى والمكانة والكرامة وقرئ لا يسأمون بكسر الياء ومن آياته انك ترى الارض خاشعة فاذا انزلنا عليها الماء اهتزت وربت ان الذى احياها لمحيى الموتى انه على كل شئ قدير الخشوع التذلل والتقاصر فاستعير لحال الارض اذا كانت قحطة لا نبات فيها كما وصفها بالهمود فى قوله وترى الارض هامدة وهو خلاف وصفها بالاهتزاز والربو وهو الانتفاخ اذا اخصبت وتزخرفت بالنبات كانها بمنزلة المختال فى زيه وهى قبل ذلك كالذليل الكاسف البال فى الاطمار الرثة وقرئ وربأت اى ارتفعت لان النبت اذا هم ان يظهر ارتفعت له الارض ان الذين يلحدون فى آياتنا يقال الحد الحافر ولحد اذا مال عن الاستقامة فحفر فى شق فاستعير للانحراف فى تاويل آيات القرآن عن جهة الصحة والاستقامة وقرئ يلحدون ويلحدون على اللغتين وقوله لا يخفون علينا افمن يلقى فى النار خير ام من ياتى آمنا يوم القيمة اعملوا ما شئتم انه بما تعملون بصير وعيد لهم على التحريف

ثم اتصل قوله ان الذين كفروا بالذكر لما جاءهم وهو بدل من قوله ان الذين يلحدون فى آياتنا والذكر القرآن لانهم لكفرهم به طعنوا فيه وحرفوا تاويله وانه لكتاب عزيز اى منيع محمى بحماية الله لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه مثل كان الباطل لا يتطرق اليه ولا يجد اليه سبيلا من جهة من الجهات حتى يصل اليه ويتعلق به اما طعن فيه الطاعنون وتاوله المبطلون ولكن الله قد تقدم فى حمايته عن تعلق الباطل به بان قيض قوما عارضوهم بابطال تاويلهم وافساد اقاويلهم فلم يخلوا طعن طاعن الا ممحوقا ولا قول مبطل الا مضمحلا ونحوه قوله انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون تنزيل من حكيم حميد ما يقال لك الا ما قد قيل للرسل من قبلك ما يقال لك اى ما يقول لك كفار قومك الا مثل ما قال للرسل كفار قومهم من الكلمات المؤذية والمطاعن فى الكتب لمنزلة ان ربك لذو مغفرة ورحمة لانبيائه ذو عقاب لاعدائهم ويجوز ان يكون ما يقول لك الله الا مثل ما قال للرسل من قبلك والمقول هو قوله ان ربك لذو مغفرة وذو عقاب اليم فمن حقه ان يرجوه اهل طاعته ويخافه اهل معصيته والغرض تخويف العصاة ولو جعلناه قرآنا اعجميا لقالوا كانوا لتعنتهم يقولون هلا نزل القرآن بلغة العجم فقيل لو كان كما يقترحون لم يتركوا الاعتراض والتعنت وقالوا لولا فصلت آياته اى بينت ولخصت بلسان نفقهه ءاعجمى وعربى الهمزة همزة الانكار يعنى لانكروا وقالوا اقرآن اعجمى ورسول عربى او مرسل اليه عربى وقرئ اعجمى والاعجمى الذى لا يفصح ولا يفهم كلامه من اى جنس

كان والعجمى منسوب الى امة العجم وفى قراءة الحسن اعجمى بغير همزة الاستفهام على الاخبار بان القرآن اعجمى والمرسل او المرسل اليه عربى والمعنى ان آيات الله على اى طريقة جاءتهم وجدوا فيها متعنتا لان القوم غير طالبين للحق وانما يتبعون اهواءهم ويجوز فى قراءة الحسن هلا فصلت آياته تفصيلا فجعل بعضها بيانا للعجم وبعضها بيانا للعرب كيف يصح ان يراد بالعربى المرسل اليهم وهم امة العرب قلت هو على ما يجب ان يقع فى انكار المنكر لو راى كتابا عجميا كتب الى قوم من العرب يقول اكتاب عجمى ومكتوب اليه عربى وذلك لان مبنى الانكار على تنافر حالتى الكتاب والمكتوب اليه لا على ان المكتوب اليه واحد او جماعة فوجب ان يجرد لما سيق له من الغرض ولا يوصل به ما يخيل غرضا آخر الا تراك تقول وقد رايت لباسا طويلا على امراة قصيرة اللباس طويل واللابس قصير ولو قلت واللابسة قصيرة جئت بما هو لكنة وفضول قول لان الكلام لم يقع فى ذكورة اللابس وانوثته انما وقع فى غرض وراءهما قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء هو اى القرآن هدى وشفاء ارشاد الى الحق وشفاء لما فى الصدور من الظن والشك والذين لا يؤمنون فى آذانهم وقر منقطع عن ذكر القرآن فما وجه اتصاله قلت لا يخلو اما ان يكون الذين لا يؤمنون فى موضع الجر معطوفا على قوله للذين آمنوا على معنى قولك هو للذين آمنوا هدى وشفاء وهو للذين لا يؤمنون فى آذانهم وقر الا ان فيه عطفا على عاملين وان كان الاخفش يجيزه واما ان يكون مرفوعا على تقدير والذين لا يؤمنون هو فى آذانهم وقر على حذف المبتدا او فى آذانهم منه وقر وقرئ وهو عليهم عم وعمى كقوله فعميت عليكم اولئك ينادون من مكان بعيد يعنى انهم لا يقبلونه ولا يرعونه اسماعهم فمثلهم فى ذلك مثل من يصيح به من مسافة شاطة لا يسمع من مثلها الصوت فلا يسمع النداء ولقد آتينا موسى الكتاب فاختلف فيه فقال بعضهم هو حق وقال بعضهم هو باطل ولولا كلمة سبقت من ربك والكلمة السابقة هى العدة بالقيامة وان الخصومات تفصل فى ذلك اليوم ولولا ذلك لقضى بينهم فى الدنيا قال الله تعالى بل الساعة موعدهم ولكن يؤخرهم الى اجل مسمى وانهم لفى شك منه مريب من عمل صالحا فلنفسه فنفسه نفع ومن اساء فعليها فنفسه ضر وما ربك بظلام للعبيد فيعذب غير المسئ اليه يرد علم الساعة وما تخرج من ثمرة من اكمامها وما تحمل من انثى ولا تضع الا بعلمه ويوم يناديهم اى اذا سئل عنها قيل الله يعلم او لا يعلمها الا الله وقرئ من ثمرات من اكمامهن والكم بكسر الكاف وعاء الثمرة كجف الطلعة اى وما يحدث شئ من خروج ثمرة ولا حمل حامل ولا وضع واضع الا وهو عالم به يعلم عدد ايام الحمل وساعاته واحواله من الخداج والتمام والذكورة والانوثة والحسن والقبح وغير ذلك اين شركاءى اضافهم الله على زعمهم وبيانه فى قوله اين شركاءى الذين زعمتم وفيه تهكم وتقريع قالوا آذناك

فان قلت

آذناك ما منا من شهيد وضل عنهم ما كانوا يدعون من قبل اى ما منا احد اليوم وقد سمعنا وابصرنا يشهد
بانهم شركاؤك وما منا الا من هو موحد لك او ما منا من احد يشاهدهم لانهم ضلوا عنهم وضلت
عنهم آلهتهم لا يبصرونها فى ساعة التوبيخ وقيل هو كلام الشركاء اى ما منا من شهيد يشهد بما
اضافوا الينا من الشركة ومعنى ضلالهم عنهم على هذا التفسير انهم لا ينفعونهم فكانهم ضلوا عنهم وظنوا
ما لهم من محيص وايقنوا والمحيص المهرب آذناك اخبار بايذان كان منهم فاذ قد آذنوا فلم
سئلوا يجوز ان يعاد عليهم اين شركائى اعادة للتوبيخ واعادته فى القرآن على سبيل الحكاية
دليل على اعادة المحكى ويجوز ان يكون المعنى انك قد علمت من قلوبنا وعقائدنا الآن انا لا نشهد تلك
الشهادة الباطلة لانه اذا علمه من نفوسهم فكانهم اعلموه ويجوز ان يكون انشاء للايذان ولا يكون
اخبارا بايذان قد كان كما تقول اعلم الملك انه كان من الامر كيت وكيت لا يسأم الانسان من دعاء الخير
من طلب السعة فى المال والنعمة وقرا ابن مسعود من دعاء بالخير وان مسه الشر اى الضيقة والفقر
فيؤس قنوط بولغ فيه من طريقين من طريق بناء فعول ومن طريق التكرير والقنوط ان يظهر عليه اثر الياس
فيتضاءل وينكسر اى يقطع الرجاء من فضل الله وروحه وهذه صفة الكافر بدليل قوله تعالى
انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون ولئن اذقناه رحمة منا من بعد ضراء مسته ليقولن
واذا فرجنا عنه بصحة بعد مرض او سعة بعد ضيق قال هذا لى اى هذا حقى وصل الىّ لانى
استوجبته بما عندى من خير وفضل واعمال بر وهذا لى لا يزول عنى ونحوه قوله تعالى فاذا جاءتهم
الحسنة قالوا لنا هذه وما اظن الساعة قائمة ان نظن الا ظنا وما نحن بمستيقنين يريد وما اظنها
تكون وان كانت على طريق التوهم ان لى عند الله الحالة الحسنى من الكرامة والنعمة قايسا امر الآخرة
على امر الدنيا وعن بعضهم للكافر امنيتان يقول فى الدنيا ولئن رجعت الى ربى ان لى عنده للحسنى
ويقول فى الآخرة يا ليتنى كنت ترابا وقيل نزلت فى الوليد بن المغيرة فلنخبرنهم بحقيقة ما عملوا من
الاعمال الموجبة للعذاب ولنبصرنهم عكس ما اعتقدوا فيها انهم يستوجبون عليها كرامة وقربة
عند الله وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا وذلك انهم كانوا ينفقون اموالهم رئاء
الناس وطلبا للافتخار والاستكبار لا غير وكانوا يحسبون ان ما هم عليه سبب الغنى والصحة
وانهم محقوقون بذلك فلننبئن الذين كفروا بما عملوا ولنذيقنهم من عذاب غليظ واذا انعمنا على الانسان
اعرض هذا ايضا ضرب آخر من طغيان الانسان اذا اصابه الله بنعمة ابطرته النعمة وكانه لم يلق
بؤسا قط فنسى المنعم واعرض عن شكره ونأى بجانبه واذا مسه الشر فذو دعاء عريض اى ذهب

بنفسه وتكبر وتعظم وان مسه الضر والفقر اقبل على دوام الدعاء واخذ فى الابتهال والتضرع
وقد استعير العرض لكثرة الدعاء ودوامه وهو من صفة الاجرام ويستعار له الطول ايضا كما استعير
الغلظ لشدة العذاب وقرئ ونأى باماله الالف وكسر النون للاتباع وناء على القلب كما قالوا راء فى
رأى حقق لى معنى قوله ونأى بجانبه فيه وجهان ان يوضع جانبه موضع نفسه
كما ذكرنا فى قوله تعالى على ما فرطت فى جنب الله ان مكان الشئ وجهته ينزل منزلة الشئ نفسه
ومنه قوله ونفيت عنه مقام الذئب يريد ونفيت عنه الذئب ومنه ولمن خاف مقام ربه ومنه
قول الكتاب حضرة فلان ومجلسه وكتبت الى جهته والى جانبه العزيز يريدون نفسه وذاته فكانه
قال ونأى بنفسه كقولهم فى المتكبر ذهب بنفسه وذهبت به الخيلاء كل مذهب وعصفت به
الخيلاء وان يراد بجانبه عطفه ويكون عبارة عن الانحراف والازورار كما قالوا ثنى عطفه وتولى
بركنه قل ارأيتم اخبرونى ان كان القرآن من عند الله ثم يعنى ان ما انتم عليه من انكار القرآن وتكذيبه
ليس بامر صادر عن حجة قاطعة حصلتم منها على اليقين وثلج الصدور وانما هو قبل النظر واتباع
الدليل امر محتمل يجوز ان يكون من عند الله وان لا يكون من عنده وانتم لم تنظروا ولم تفحصوا فما
انكرتم ان يكون حقا وقد كفرتم به فاخبرونى من اضل منكم وانتم ابعدتم الشوط فى مشاقته
ومناصبته ولعله حق فاهلكتم انفسكم وقوله ممن هو فى شقاق بعيد موضوع موضع منكم بيانا لحالهم
وصفتهم سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى انفسهم حتى يتبين لهم انه الحق يعنى ما يسر الله عز وجل لرسول
الله صلى الله عليه وسلم وللخلفاء من بعده وانصار دينه فى آفاق الدنيا وبلاد المشرق والمغرب
عموما وفى باحة العرب خصوصا من الفتوح التى لم يتيسر امثالها لاحد من خلفاء الارض قبلهم ومن
الاظهار على الجبابرة والاكاسرة وتغليب قليلهم على كثيرهم وتسليط ضعافهم على اقويائهم واجرائه
على ايديهم امورا خارجة من المعهود خارقة للعادات ونشر دعوة الاسلام فى اقطار المعمورة و
بسط دولته فى اقاصيها والاستقراء يطلعك فى التواريخ والكتب المدونة فى مشاهد اهله
وايامهم على عجائب لا ترى وقعة من وقائعهم الا علما من اعلام الله وآية من آياته يقوى معها اليقين
ويزداد بها الايمان ويتبين ان دين الاسلام هو دين الحق الذى لا يحيد عنه الا مكابر حسه
مغالط نفسه وما الثبات والاستقامة الا صفة الحق والصدق كما ان الاضطراب والتزلزل
صفة الفرية والزور وان للباطل ريحا تخفق ثم تسكن ودولة تظهر ثم تضمحل اولم يكف
بربك فى موضع الرفع على انه فاعل كفى وانه على كل شئ شهيد بدل منه تقديره اولم يكفهم انه على كل شئ شهيد

ومعناه ان هذا الموعود من اظهار آيات الله في الآفاق وفي انفسهم سيرونه ويشاهدونه فيتبينون
عند ذلك ان القرآن تنزيل عالم الغيب الذي هو على كل شيء شهيد اي مطلع مهيمن يستوي عنده غيبه
وشهادته فيكفيهم ذلك دليلا على انه حق وانه من عنده ولو لم يكن كذلك لما قوي هذه القوة ولما نصر
حاملوه هذه النصرة ألا إنهم في مرية من لقاء ربهم ألا إنه بكل شيء وقرئ في مرية بالضم وهي الشك محيط عالم
بجمل الاشياء وتفاصيلها وظواهرها وبواطنها لا يخفى عليه خافية منهم وهو مجازيهم على كفرهم ومريتهم
في لقاء ربهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة السجدة اعطاه الله بكل حرف عشر حسنات

سورة حم عسق مكية وتسمى سورة الشورى وهي ثلث وخمسون آية

بسم الله الرحمن الرحيم قرا ابن عباس وابن مسعود حم سق كذلك يوحي اليك اي مثل ذلك الوحي
او مثل ذلك الكتاب يوحي اليك والى الذين من قبلك الله يعني ان ما تضمنته هذه السورة
من المعاني قد اوحى الله مثله في غيرها من السور واوحاه من قبلك الى رسله على معنى ان الله
تعالى كرر هذه المعاني في القرآن وفي جميع الكتب السماوية لما فيها من التنبيه البليغ واللطف العظيم
لعباده من الاولين والآخرين ولم يقل اوحى اليك ولكن على لفظ المضارع ليدل على ان ايحاء مثله
عادته وقرئ يوحى اليك على البناء للمفعول فما رافع اسم الله على هذه القراءة
ما دل عليه يوحى كان قائلا قال من الموحي فقيل الله كقراءة السلمي وكذلك زين لكثير من المشركين
قتل اولادهم شركاؤهم على البناء للمفعول ورفع شركاؤهم على معنى زينه لهم شركاؤهم
فما رافعه فيمن قرأ نوحي بالنون يرتفع بالابتداء والعزيز وما بعده اخبار
او العزيز الحكيم صفتان والظرف خبر وهو العلي العظيم تكاد السموات تكاد بالتاء والياء وينفطرن
ويتفطرن وروى يونس عن ابي عمرو قراءة غريبة تتفطرن بتاءين مع النون ونظيرها حرف نادر
روي في نوادر ابن الاعرابي الابل تتشمسن ومعناه تكدن ينفطرن من علو شان الله وعظمته
يدل عليه مجيئه بعد العلي العظيم وقيل من دعائهم له ولدا كقوله تكاد السموات يتفطرن منه
لم قال من فوقهن لان اعظم الآيات وادلها على الجلال والعظمة فوق
السموات وهي العرش والكرسي وصفوف الملائكة والمرتجة بالتسبيح والتقديس حول العرش و
ما لا يعلم كنهه الا الله من آثار ملكوته العظمى فلذلك قال ينفطرن من فوقهن اي يبتدئ
الانفطار من جهتهن الفوقانية او لان كلمة الكفر جاءت من الذين تحت السموات وكان
القياس ان يقال ينفطرن من تحتهن من الجهة التي منها جاءت الكلمة ولكنه بولغ في ذلك فجعلت

له ما في السموات وما في الارض

مؤثرة في جهة الفوق ونظيره في المبالغة قوله عز وعلا يصب من فوق رؤوسهم الحميم يصهر به ما في بطونهم
فجعل الحميم مؤثرا في اجزائهم الباطنة وقيل من فوقهن من فوق الارضين كيف صح
ان يستغفروا لمن في الارض وفيهم الكفار اعداء الله وقد قال الله تعالى اولئك عليهم لعنة الله والملائكة
فكيف يكونون لاعنين مستغفرين لهم قوله لمن في الارض ألا إن الله هو الغفور الرحيم يدل
على جنس اهل الارض وهذه الجنسية قائمة في كلهم وفي بعضهم فيجوز ان يراد به هذا وهذا وقد دل الدليل
على ان الملائكة لا تستغفر الا لاولياء الله وهم المؤمنون فما اراد الله الا اياهم ألا ترى الى قوله في سورة
المؤمن ويستغفرون للذين آمنوا وحكايته عنهم فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك كيف وصفوا
المستغفر لهم بما يستوجب به الاستغفار فما تركوا للذين لم يتوبوا من المصدقين طمعا في استغفارهم
فكيف للكفرة ويحتمل ان يقصدوا بالاستغفار طلب الحلم والغفران في قوله ان الله يمسك السموات و
الارض ان تزولا الى ان قال انه كان حليما غفورا وقوله ان ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم والمراد
الحلم عنهم وان لا يعاجلهم بالانتقام فيكون عاما قد فسرت قوله تعالى تكاد السموات
يتفطرن بتفسيرين فما وجه طباق ما بعده لهما اما في احدهما فكانه قيل تكاد السموات
ينفطرن هيبة من جلاله واحتشاما من كبريائه والملائكة الذين هم ملء السبع الطباق وحافون
حول العرش صفوفا بعد صفوف يداومون خضوعا لعظمته على عبادته وتسبيحه وتحميده و
يستغفرون لمن في الارض خوفا عليهم من سطواته واما على الثاني فكانه قيل يكدن ينفطرن من اقدام
اهل الشرك على تلك الكلمة الشنعاء والملائكة يوحدون الله وينزهونه عما لا يجوز عليه من الصفات
التي يضيفها اليه الجاهلون به حامدون له على ما اولاهم من الطافه التي علم انهم عندها يستعصمون
مختارين غير ملجئين ويستغفرون لمؤمني اهل الارض الذين تبرؤوا من تلك الكلمة ومن اهلها او
يطلبون الى ربهم ان يحلم عن اهل الارض ولا يعاجلهم بالعقاب مع وجود ذلك فيهم لما عرفوا في ذلك
من المصالح وحرصا على نجاة الخلق وطمعا في توبة الكفار والفساق منهم والذين اتخذوا من دونه
اولياء جعلوا له شركاء وانداد الله حفيظ عليهم رقيب على احوالهم واعمالهم لا يفوته منها شيء
وهو محاسبهم عليها ومعاقبهم لا رقيب عليهم الا هو وحده وما انت عليهم بوكيل يا محمد بموكل عليهم و
لا مفوض اليك امرهم ولا قسرهم على الايمان انما انت منذر فحسب وكذلك ومثل ذلك اوحينا
اليك وذلك اشارة الى معنى الآية قبلها من ان الله هو الرقيب عليهم وما انت برقيب عليهم ولكن
نذير لهم لان هذا المعنى كرره الله في كتابه في مواضع جمة والكاف مفعول به لاوحينا وقرآنا

والملائكة يسبحون بحمد ربهم ويستغفرون

عَرَبِيًّا حال من المفعول به اى اوحيناه اليك وهو قرآن عربى بيّن لا لبس فيه عليك لتفهم ما يقال لك ولا
تتجاوز حدّ الانذار ويجوز ان يكون ذلك اشارة الى مصدر اوحينا اى ومثل ذلك الايحاء البيّن
المفهم اوحينا اليك قرآنا عربيا بلسانك لتنذر يقال انذرته كذا وانذرته بكذا وقد عدى الاول اعنى
لِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى الى المفعول الاول والثانى وهو قوله وَتُنْذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ الى المفعول الثانى أُمَّ الْقُرَى
اهل ام القرى كقوله وَسْئَلِ الْقَرْيَةَ وَمَنْ حَوْلَهَا من العرب وقرئ لينذر بالياء والفعل للقرآن يوم الجمع
يوم القيمة لان الخلائق تجمع فيه قال الله تعالى يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ وقيل يجمع بين الارواح والاجساد
وقيل يجمع بين كل عامل وعمله وَلَا رَيْبَ فِيهِ اعتراض لا محلّ له فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ قرئ فريق وفريق
بالرفع والنصب فالرفع على منهم فريق ومنهم فريق والضمير للمجموعين لان المعنى يوم جمع الخلائق والنصب على الحال منهم
اى متفرقين كقوله تعالى وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ كيف يكونون مجموعين متفرقين
فى حالة واحدة هم مجموعون فى ذلك اليوم مع افتراقهم فى دارى البؤس والنعيم كما يجتمع الناس
يوم الجمعة متفرقين فى مسجدين وان اريد بالجمع جمعهم فى الموقف فالتفرق على معنى مشارفتهم للتفرق وَلَوْ
شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً اى مؤمنين كلهم على القسر والاكراه كقوله وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا وقوله
وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا والدليل على ان المعنى هو الالجاء الى الايمان قوله أَفَأَنْتَ
تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ وقوله افانت تكره بادخال همزة الانكار على المكره دون فعله دليل
على ان الله وحده هو القادر على هذا الاكراه دون غيره والمعنى ولو شاء ربك مشيئة قدرة لقسرهم
جميعا على الايمان ولكنه شاء مشيئة حكمة فكلفهم وبنى امرهم على ما يختارون ليدخل المؤمنين
فى رحمته وهم المرادون بمن يشاء الا ترى الى وضعهم فى مقابلة الظالمين ويترك الظالمين بغير ولى
ولا نصير فى عذابه وَلَكِنْ يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمُونَ مَا لَهُمْ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ أَمِ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ
معنى الهمزة فى ام الانكار فَاللَّهُ هُوَ الْوَلِيُّ هو الذى يجب ان يتولى وحده ويعتقد انه المولى و
السيد والفاء فى قوله فالله هو الولى جواب شرط مقدّر كانه قيل بعد انكار كل ولى سواه ان ارادوا وليا
بحق فالله هو الولى بالحق لا ولى سواه وَهُوَ يُحْيِي اى ومن شان هذا الولى انه يحيى الْمَوْتَى وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ
قَدِيرٌ فهو الحقيق بان يتخذ وليا دون من لا يقدر على شىء وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ حكاية
قول رسول الله للمؤمنين اى ما خالفكم فيه الكفار من اهل الكتاب والمشركين فاختلفتم انتم وهم فيه
من امر من امور الدين فحكم ذلك المختلف فيه مفوّض الى الله وهو اثابة المحقّين فيه من المؤمنين و
معاقبة المبطلين ذَلِكُمُ اللَّهُ الحاكم بينكم هو رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ فى ردّ كيد اعداء الدين وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ارجع

فى كفاية شرّهم وقيل وما اختلفتم فيه وتنازعتم فى شىء من الخصومات فتحاكموا فيه الى رسول الله صلى
الله عليه وسلم ولا تؤثروا على حكومته حكومة غيره كقوله فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ و
قيل وما اختلفتم فيه من تاويل آية واشتبه عليكم فارجعوا فى بيانه الى المحكم من كتاب الله والظاهر من
سنّة رسول الله وقيل ما وقع بينكم الخلاف فيه من العلوم التى لا تتصل بتكليفكم ولا طريق لكم الى علمه فقولوا
الله اعلم كمعرفة الروح قال الله تعالى وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي هل يجوز حمله
على اختلاف المجتهدين فى احكام الشريعة لا لان الاجتهاد لا يجوز بحضرة الرسول فَاطِرُ السَّمَاوَاتِ
وَالْأَرْضِ قرئ بالرفع والجرّ فالرفع على انه احد اخبار ذلكم او خبر مبتدا محذوف والجرّ على فحكمه الى الله
فاطر السموات وذلكم الى انيب اعتراض بين الصفة والموصوف جَعَلَ لَكُمْ خلق لكم مِنْ أَنْفُسِكُمْ من جنسكم من الناس
أَزْوَاجًا وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا اى وخلق من الانعام ازواجا ومعناه وخلق للانعام من انفسها ازواجا
يَذْرَؤُكُمْ يكثّركم يقال ذرأ الله الخلق بثّهم وكثّرهم والذرء والذرو والذرّ اخوات فِيهِ فى هذا
التدبير وهو ان جعل للناس والانعام ازواجا حتى كان بين ذكورهم واناثهم التوالد والتناسل والضمير
فى يذرؤكم يرجع الى المخاطبين والانعام مغلبا فيه المخاطبون العقلاء على الغيب مما لا يعقل وهى
من الاحكام ذات العلتين ما معنى يذرؤكم فى هذا التدبير وهلا قيل يذرؤكم به
جعل هذا التدبير كالمنبع والمعدن للبث والتكثير الا تراك تقول للحيوان فى خلق الازواج
تكثير كما قال تعالى وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ قالوا مثلك لا يبخل فنفوا البخل عن مثله وهم يريدون نفيه
عن ذاته قصدوا المبالغة فى ذلك فسلكوا به طريق الكناية لانهم اذا نفوه عمن يسدّ مسدّه وعمن هو على
اخصّ اوصافه فقد نفوه عنه ونظيره قولك للعربى العرب لا تخفر الذمم كان ابلغ من قولك انت
لا تخفر ومنه قولهم قد ايفعت لداته وبلغت اترابه يريدون ايفاعه وبلوغه وفى حديث رقيقة
بنت صيفى فى سقيا عبد المطلب الا وفيهم الطيّب الطاهر لداته والقصد الى طهارته وطيبه فاذا علم
انه من باب الكناية لم يقع فرق بين قوله ليس كالله شىء وبين قوله لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ الا ما يعطيه الكناية
من فائدتها وكانهما عبارتان متعقبتان على معنى واحد وهو نفى المماثلة عن ذاته ونحوه قوله عزّ وجلّ
بل يداه مبسوطتان فان معناه بل هو جواد من غير تصوّر يد ولا بسط لها لانها وقعت عبارة عن
الجود لا يقصدون شيئا آخر حتى انهم استعملوها فيمن لا يد له فكذلك استعمل هذا فيمن له مثل
ومن لا مثل له ولك ان تزعم ان كلمة التشبيه كررت كما كررها من قال وصاليات ككما يؤثفين
ومن قال فاصبحت مثل كعصف ماكول وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يبسط

ويقدره قدرى ويقدر انه بكل شيء عليم فاذا علم ان الغنى خير للعبد اغناه والا افقره شرع لكم من الدين ما وصى
به نوحا والذي اوحينا اليك وما وصينا به ابرهيم وموسى وعيسى دين نوح ومحمد ومن بينهما من الانبياء ثم فسر
المشروع الذي اشترك فيه هؤلاء الاعلام من رسله بقوله ان اقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه والمراد اقامة دين
الاسلام الذي هو توحيد الله وطاعته والايمان برسله وكتبه وبيوم الجزاء وسائر ما يكون الرجل باقامته
مسلما ولم يرد الشرائع التي هي مصالح الامم على حسب احوالها فانها مختلفة متفاوتة قال الله تعالى لكل
جعلنا منكم شرعة ومنهاجا ومحل ان اقيموا اما نصب بدل من مفعول شرع والمعطوفين عليه واما رفع على
الاستيناف كانه قيل وما ذلك المشروع فقيل هو اقامة الدين ونحوه قوله تعالى ان هذه امتكم امة واحدة
كبر على المشركين عظم عليهم وشق عليهم ما تدعوهم اليه من اقامة دين الله والتوحيد الله يجتبي اليه يجتلب اليه
ويجمع والضمير للدين بالتوفيق والتسديد من يشاء ويهدي اليه من ينيب من يقبل فيهم توفيقه ويجري عليهم
لطفه وما تفرقوا يعني اهل الكتاب بعد انبيائهم الا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم ان علموا ان الفرقة
ضلال وفساد وامر متوعد عليه على السنة الانبياء ولولا كلمة سبقت من ربك وهي عدة التاخير الى يوم
القيمة لقضي بينهم حين افترقوا لعظم ما اقترفوا وان الذين اورثوا الكتاب من بعدهم وهم اهل الكتاب الذين
كانوا في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم لفي شك منه مريب من كتابهم لا يؤمنون به حق الايمان وقيل كان الناس
امة واحدة مؤمنين بعد ان اهلك الله اهل الارض اجمعين بالطوفان فلما مات الاباء اختلف الابناء
فيما بينهم وذلك حين بعث الله اليهم النبيين مبشرين ومنذرين وجاءهم العلم وانما اختلفوا للبغي
بينهم وقيل وما تفرقت اهل الكتاب الا من بعد ما جاءهم العلم بمبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم
كقوله وما تفرق الذين اوتوا الكتاب الا من بعد ما جاءتهم البينة وان الذين اورثوا الكتاب من بعدهم
هم المشركون اورثوا القرآن من بعد ما اورث اهل الكتاب التورية والانجيل وقرئ ورثوا وورثوا فلذلك
فلاجل ذلك التفرق ولما حدث بسببه من تشعب الكفر شعبا فادع الى الاتفاق والائتلاف على الملة
الحنيفية القديمة واستقم عليها وعلى الدعوة عليها كما امرك الله ولا تتبع اهواءهم المختلفة وقل امنت بما انزل
الله من كتاب باي كتاب صح ان الله انزله يعني الايمان بجميع الكتب المنزلة لان المتفرقين امنوا ببعض
وكفروا ببعض كقوله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض الى قوله اولئك هم الكافرون حقا وامرت لاعدل
بينكم في الحكم اذا تخاصمتم فتحاكمتم الي لا حجة بيننا وبينكم اي لا خصومة لان الحق قد ظهر
وصرتم محجوجين به فلا حاجة الى المحاجة ومعناه لا ايراد حجة بيننا لان المتحاجين يوردون هذا حجته
وهذا حجته الله يجمع بيننا واليه المصير يوم القيمة فيفصل بيننا وبينكم لنا منكم وهذه محاجزة ومتاركة

ومتاركة بعد ظهور الحق وقيام الحجة والالزام كيف حوربوا وقد فعل بهم بعد ذلك ما فعل
من القتل وتخريب البيوت وقطع النخل والاجلاء المراد محاجزتهم في مواقف المقاولة والذين
يحاجون في الله يخاصمون في دينه من بعد ما استجيب له من بعد ما استجاب له الناس ودخلوا في الاسلام ليردوهم الى دين الجاهلية
كقوله ود كثير من اهل الكتاب لو يردونكم من بعد ايمانكم كفارا كان اليهود والنصارى يقولون للمؤمنين
كتابنا قبل كتابكم ونبينا قبل نبيكم ونحن خير منكم واولى بالحق وقيل من بعد ما استجاب الله لرسوله و
نصره يوم بدر واظهر دين الاسلام حجتهم داحضة باطلة زائلة عند ربهم وعليهم غضب ولهم عذاب شديد
الله الذي انزل الكتاب اي جنس الكتاب بالحق والميزان والعدل والسوية ومعنى انزال العدل انه انزله في
كتبه المنزلة وقيل الذي يوزن به بالحق ملتبسا بالحق مقترنا به بعيدا من الباطل او بالغرض الصحيح
كما اقتضته الحكمة او بالواجب من التحليل والتحريم وغير ذلك وما يدريك لعل الساعة في تاويل البعث
فلذلك قيل قريب او لعل مجيء الساعة قريب كيف توفق ذكر اقتراب الساعة مع انزال
الكتاب والميزان لان الساعة يوم الحساب ووضع الموازين بالقسط فكانه قيل امركم الله بالعدل
والسوية والعمل بالشرائع قبل ان يفاجئكم اليوم الذي يحاسبكم فيه ويزن اعمالكم ويوفي لمن اوفى
ويطفف لمن طفف يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها والذين امنوا مشفقون منها ويعلمون انها الحق الا ان الذين
يمارون في الساعة يمارون المجادلة لان كل واحد منهما يمري ما عند صاحبه لفي ضلال بعيد من الحق لان
قيام الساعة غير مستبعد من قدرة الله ولدلالة الكتاب المعجز على انها اتية لا ريب فيها ولشهادة
العقول على انه لا بد من دار الجزاء الله لطيف بعباده بر بليغ البر بهم قد توصل بره الى جميعهم وتوصل
من كل واحد منهم الى حيث لا يبلغه وهم احد من كلياته وجزئياته فما معنى قوله يرزق
من يشاء بعد توصل بره الى جميعهم كلهم مبرورون لا يخلو احد من بره الا ان البر اصناف
وله اوصاف والقسمة بين العباد تتفاوت على حسب تفاوت قضايا الحكمة والتدبير فيطير لبعض
العباد صنف من البر لم يطر مثله لاخر ويصيب هذا حظ له وصف ليس ذلك الوصف لحظ صاحبه
فمن قسم له منهم ما لم يقسم للاخر فقد رزقه وهو الذي اراد بقوله يرزق من يشاء كما يرزق احد الاخوين
ولدا دون الاخر على انه اصابه بنعمة اخرى لم يرزقها صاحب الولد وهو القوي الباهر القدرة الغالب
على كل شيء العزيز المنيع الذي لا يغلب من كان يريد حرث الاخرة نزد له في حرثه ومن كان يريد حرث الدنيا
نؤته منها وما له في الاخرة من نصيب سمى ما يعمله العامل مما يبتغي به الفائدة والزكاء حرثا على المجاز وفرق
بين عملي العاملين بان من عمل للاخرة وفق في عمله وضوعفت حسناته ومن كان عمله للدنيا اعطي شيئا منها

لا ما يريده ويبتغيه وهو رزقه الذي قسم له وفرغ منه وما له نصيب قط في الآخرة ولم يذكر في معنى عامل الآخرة
وله في الدنيا نصيب على أن رزقه المقسوم له واصل إليه لا محالة للاستهانة بذلك إلى جنب ما هو بصدده
من زكاء عمله وفوزه في المآب أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله معنى الهمزة في أم التقرير و
التقريع وشركاؤهم شياطينهم الذين زينوا لهم الشرك وإنكار البعث والعمل للدنيا لأنهم لا يعلمون غيرها و
هو الدين الذي شرعت لهم الشياطين وتعالى الله عن الإذن فيه والأمر به وقيل شركاؤهم أوثانهم وإنما
أضيفت إليهم لأنهم متخذوها شركاء لله فتارة تضاف إليهم لهذه الملابسة وتارة إلى الله ولما كانت
سببا لضلالتهم وافتتانهم جعلت شارعة لدين الكفر كما قال إبراهيم صلوات الله عليه إنهن أضللن كثيرا
من الناس ولولا كلمة الفصل أي القضاء السابق بتأجيل الجزاء أو ولولا العدة بأن الفصل يكون يوم القيمة
لقضي بينهم أي بين الكافرين والمؤمنين أو بين المشركين وشركائهم وقرأ مسلم بن جندب وأن الظالمين بالفتح
عطفا له على كلمة الفصل يعني ولولا كلمة الفصل وتقدير تعذيب الظالمين في الآخرة لقضي بينهم في الدنيا
لهم عذاب أليم ترى الظالمين في الآخرة مشفقين خائفين خوفا شديدا أرق قلوبهم مما كسبوا من السيئات
وهو واقع بهم يريد وباله واقع بهم وواصل إليهم لا بد لهم منه أشفقوا أو لم يشفقوا كأن روضة جنة
المؤمن أطيب بقعة فيها وأنزهها والذين آمنوا وعملوا الصالحات في روضات الجنات لهم ما يشاؤون عند
ربهم منصوب بالظرف لا بيشاؤون ذلك هو الفضل الكبير ذلك الذي يبشر الله عباده الذين آمنوا وعملوا الصالحات
وقرئ يبشر من بشره ويبشر من أبشره والأصل ذلك الثواب الذي يبشر الله به عباده فحذف
الجار كقوله واختار موسى قومه ثم حذف الراجع إلى الموصول كقوله أهذا الذي بعث الله رسولا أو
ذلك التبشير الذي يبشره الله عباده روي أنه اجتمع المشركون في مجمع لهم فقال بعضهم لبعض أترون
محمدا يسأل على ما يتعاطاه أجرا فنزلت الآية قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المودة في القربى يجوز أن يكون
استثناء متصلا أي لا أسألكم أجرا إلا هذا وهو أن تودوا أهل قرابتي ولم يكن هذا أجرا في الحقيقة
لأن قرابتهم قرابتهم فكانت صلتهم لازمة لهم في المروءة ويجوز أن يكون منقطعا أي لا أسألكم أجرا قط
ولكنني أسألكم أن تودوا قرابتي الذين هم قرابتكم ولا تؤذوهم هلا قيل إلا مودة القربى
أو إلا المودة للقربى وما معنى قوله إلا المودة في القربى جعلوا مكانا للمودة ومقرا لها
كقولك لي في آل فلان مودة ولي فيهم هوى وحب شديد تريد أحبهم وهم مكان حبي ومحله وليست
في بصلة للمودة كاللام إذا قلت إلا المودة للقربى إنما هي متعلقة بمحذوف تعلق الظرف به في
قولك المال في الكيس وتقديره إلا المودة ثابتة في القربى ومتمكنة فيها والقربى مصدر كالزلفى

والبشرى بمعنى القرابة والمراد في أهل القربى وروي أنها لما نزلت قيل يا رسول الله من قرابتك هؤلاء
الذين وجبت علينا مودتهم قال علي وفاطمة وابناهما ويدل عليه ما روي عن علي رضي الله عنه شكوت
إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم حسد الناس لي فقال أما ترضى أن تكون رابع أربعة أول من يدخل الجنة
أنا وأنت والحسن والحسين وأزواجنا عن أيماننا وشمائلنا وذريتنا خلف أزواجنا وعن النبي صلى الله
عليه وسلم حرمت الجنة على من ظلم أهل بيتي وآذاني في عترتي ومن اصطنع صنيعة إلى أحد من ولد عبد
المطلب ولم يجازه عليها فأنا أجازيه عليها غدا إذا لقيني يوم القيمة روي أن الأنصار قالوا فعلنا وفعلنا
كأنهم افتخروا فقال عباس أو ابن عباس لنا الفضل عليكم فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتاهم
في مجالسهم فقال يا معشر الأنصار ألم تكونوا أذلة فأعزكم الله بي قالوا بلى يا رسول الله قال ألم تكونوا
ضلالا فهداكم الله بي قالوا بلى يا رسول الله قال أفلا تجيبونني قالوا ما نقول يا رسول الله قال ألا تقولون
ألم يخرجك قومك فآويناك أولم يكذبوك فصدقناك أولم يخذلوك فنصرناك قال فما زال يقول حتى جثوا
على الركب وقالوا أموالنا وما في أيدينا لله ولرسوله فنزلت الآية وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
من مات على حب آل محمد مات شهيدا ألا ومن مات على حب آل محمد مات مؤمنا مستكمل الإيمان ألا ومن
مات على حب آل محمد بشره ملك الموت بالجنة ثم منكر ونكير ألا ومن مات على حب آل محمد يزف إلى الجنة
كما تزف العروس إلى بيت زوجها ألا ومن مات على حب آل محمد فتح له في قبره بابان إلى الجنة ألا ومن مات
على حب آل محمد جعل الله قبره مزار ملائكة الرحمة ألا ومن مات على حب آل محمد مات على السنة والجماعة
ألا ومن مات على بغض آل محمد جاء يوم القيمة مكتوب بين عينيه آيس من رحمة الله ألا ومن مات على بغض
آل محمد مات كافرا ألا ومن مات على بغض آل محمد لم يشم رائحة الجنة وقيل لم يكن بطن من بطون قريش
إلا بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبينهم قربى فلما كذبوه وأبوا أن يبايعوه نزلت والمعنى إلا أن تودوني وفي
في القربى أي في حق القربى ومن أجلها كما تقول الحب في الله والبغض في الله بمعنى في حقه ومن أجله يعني أنكم
قومي وأحق من أجابني وأطاعني فإذ قد أبيتم ذلك فاحفظوا حق القربى ولا تؤذوني ولا تهيجوا علي
وقيل أتت الأنصار رسول الله صلى الله عليه وسلم بمال جمعوه وقالوا يا رسول الله قد هدانا الله بك وأنت ابن
أختنا وتعروك نوائب وحقوق وما لك سعة فاستعن بهذا على ما ينوبك فنزلت ورده وقيل
القربى التقرب إلى الله أي إلا أن تحبوا الله ورسوله في تقربكم إليه بالطاعة والعمل الصالح وقرئ إلا
مودة في القربى ومن يقترف حسنة نزد له فيها حسنا إن الله غفور شكور عن السدي أنها المودة في آل
رسول الله صلى الله عليه وسلم نزلت في أبي بكر الصديق رضي الله عنه ومودته فيهم والظاهر العموم في أي حسنة كانت

الا انها لما ذكرت عقيب ذكر المودة في القربى دل ذلك على انها تناولت المودة تناولا اوليا كان سائر الحسنات
لها توابع وقرئ يزد اي يزد الله وزيادة حسنها من جهة الله مضاعفتها كقوله من ذا الذي يقرض الله قرضا
حسنا فيضاعفه له اضعافا كثيرة وقرئ حسنى وهو مصدر كالبشرى الشكور في صفة الله مجاز للاعتداد
بالطاعة وتوفية ثوابها والتفضل على المثاب ام يقولون افترى على الله كذبا فان يشا الله يختم على قلبك ويمح الله
الباطل ويحق الحق بكلماته انه عليم بذات الصدور ام منقطعة ومعنى الهمزة فيه التوبيخ كانه قيل ايتمالكون ان ينسبوا
مثله الى الافتراء ثم الى الافتراء على الله الذي هو اعظم الفرى وافحشها فان يشا الله يختم على قلبك فان يشا
الله يجعلك من المختوم على قلوبهم حتى تفتري عليه الكذب فانه لا يجترئ على افتراء الكذب على الله الا من
كان في حالهم وهذا الاسلوب مؤداه استبعاد الافتراء من مثله وانه في البعد مثل الشرك بالله والدخول
في جملة المختوم على قلوبهم ومثال هذا ان يخون بعض الامناء فيقول لعل الله خذلني لعل الله اعمى قلبي
وهو لا يريد اثبات الخذلان وعمى القلب وانما يريد استبعاد ان يخون مثله والتنبيه على انه ركب من تخوينه
امر عظيم ثم قال ومن عادة الله ان يمحو الباطل ويثبت الحق بكلماته بوحيه او بقضائه كقوله بل نقذف بالحق
على الباطل فيدمغه يعني لو كان مفتريا كما تزعمون لكشف الله افتراءه ومحقه وقذف بالحق على باطله فدمغه
ويجوز ان يكون عدة لرسول الله صلى الله عليه وسلم بانه يمحو الباطل الذي هم عليه من البهت والتكذيب ويثبت
الحق الذي انت عليه بالقرآن وبقضائه الذي لا مرد له من نصرتك عليهم ان الله عليم بما في صدرك وصدورهم
فيجري الامر على حسب ذلك وعن قتادة يختم على قلبك ينسك القرآن ويقطع عنك الوحي يعني لو افترى على الله
الكذب لفعل به ذلك وقيل يختم على قلبك يربط عليه بالصبر حتى لا يشق عليك اذاهم ان كان
قوله ويمح الله الباطل كلاما مبتدا غير معطوف على يختم فما بال الواو ساقطة في الخط
كما سقطت في قوله ويدع الانسان بالشر دعاءه وقوله سندع الزبانية على انها مثبتة في بعض المصاحف
وهو الذي يقبل التوبة عن عباده يقال قبلت منه الشيء وقبلته عنه فمعنى قبلته منه اخذته منه وجعلته
مبدا قبولي ومنشاه ومعنى قبلته عنه عزلته عنه وابنته عنه والتوبة ان يرجع عن القبيح والاخلال
بالواجب بالندم عليهما والعزم على ان لا يعاود لان المرجوع عنه قبيح واخلال بالواجب وان كان فيه لعبد حق
لم يكن بد من التفصي على طريقه وروى جابر ان اعرابيا دخل مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال اللهم
اني استغفرك واتوب اليك وكبر فلما فرغ من صلوته قال له علي رضي الله عنه يا هذا ان سرعة اللسان
بالاستغفار توبة الكذابين وتوبتك تحتاج الى التوبة فقال يا امير المؤمنين وما التوبة قال اسم يقع
على ستة معان على الماضي من الذنوب الندامة ولتضييع الفرائض الاعادة ورد المظالم واذابة النفس

في الطاعة كما ربيتها في المعصية واذاقة النفس مرارة الطاعة كما اذقتها حلاوة المعصية والبكاء بدل كل ضحك ضحكته
ويعفو عن السيئات اذا تيب عنها ومن الصغائر اذا اجتنبت الكبائر ويعلم ما يفعلون قرئ بالتاء والياء اي
يعلمه فيثيب على حسناته ويعاقب على سيآته ويستجيب الذين آمنوا وعملوا الصالحات ويستجيب لهم فحذف
اللام كما حذف في قوله واذا كالوهم اي يثيبهم على طاعتهم ويزيدهم على الثواب تفضلا او اذا دعوه استجاب
دعاءهم واعطاهم ما طلبوا وزادهم على مطلوبهم وقيل الاستجابة فعلهم اي يستجيبون له بالطاعة اذا دعاهم
اليها ويزيدهم هو من فضله والكافرون لهم عذاب شديد على ثوابهم وعن سعيد بن جبير هذا من فعلهم يجيبونه اذا
دعاهم وعن ابراهيم بن ادهم انه قيل له ما بالنا ندعو فلا نجاب قال لانه دعاكم فلم تجيبوه ثم قرا والله
يدعو الى دار السلام ويستجيب الذين آمنوا ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا من البغي وهو الظلم اي لبغى
هذا على ذاك وذاك على هذا لان الغنى مبطرة مأشرة وكفى بحال قارون عبرة ومنه قوله عليه السلام
ان اخوف ما اخاف على امتي زهرة الدنيا وكثرتها ولبعض العرب
وقد جعل الوسمي ينبت بيننا وبين بني رومان نبعا وشوحطا يعني انهم احيوا فحدثوا انفسهم بالبغي
والتفانن او من البغي وهو البذخ والكبر اي لتكبروا في الارض وفعلوا ما يتبع الكبر من العلو
فيها والفساد وقيل نزلت في قوم من اهل الصفة تمنوا سعة الرزق والغنى قال خباب بن
الارت فينا نزلت وذلك انا نظرنا الى اموال بني قريظة والنضير وبني قينقاع فتمنيناها ولكن
ينزل بقدر ما يشاء انه بعباده بقدر بتقدير يقال قدره قدرا وقدرا خبير بصير يعرف ما يؤل اليه
احوالهم فيقدر لهم ما هو اصلح لهم واقرب الى جمع شملهم فيفقر ويغني ويمنع ويعطي ويقبض ويبسط
كما توجبه الحكمة الربانية ولو اغناهم جميعا لبغوا ولو افقرهم لهلكوا قد ترى الناس
يبغي بعضهم على بعض ومنهم مبسوط لهم ومنهم مقبوض عنهم فان كان المبسوط لهم يبغون فلم بسط لهم
وان كان المقبوض عنهم يبغون فقد يكون البغي بدون البسط فلم شرطه لا شبهة في
ان البغي مع الفقر اقل ومع البسط اكثر واغلب وكلاهما سبب ظاهر للاقدام على البغي والاحجام
عنه فلو عم البسط لغلب البغي حتى ينقلب الامر الى عكس ما عليه الآن وهو الذي ينزل الغيث من
بعد ما قنطوا قرئ قنطوا بفتح النون وكسرها وينشر رحمته اي بركات الغيث ومنافعه وما يحصل به من الخصب
وعن عمر رضي الله عنه انه قيل له اشتد القحط وقنط الناس فقال مطروا اذن اراد هذه الآية ويجوز
ان يريد رحمته في كل شيء كانه قال ينزل الرحمة التي هي الغيث وينشر غيرها من الرحمة الواسعة
وهو الولي الذي يتولى عباده باحسانه الحميد المحمود على ذلك يحمده اهل طاعته ومن آياته خلق السموات

فيهما وما بث يجوز ان يكون مجرورا ومرفوعا يحمل على المضاف اليه او المضاف لم جاز فيهما من
دابة والدواب فى الارض وحدها يجوز ان ينسب الشيء الى جميع المذكور وان كان ملتبسا
ببعضه كما يقال بنو تميم فيهم شاعر مجيد او شجاع بطل وانما هو فى فخذ من افخاذهم او فصيلة من فصائلهم و
بنو فلان فعلوا كذا وانما فعله نويس منهم ومنه قوله تعالى يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان وانما يخرج من الملح و
يجوز ان يكون للملائكة عليهم السلام مشي مع الطيران فيوصف بالدبيب كما يوصف به الاناسي ولا يبعد ان
يخلق فى السموات حيوانا يمشون فيها مشي الاناسي على الارض سبحان الذي خلق ما نعلم وما لا نعلم من اصناف
الخلق وهو على جمعهم اذا يشاء قدير اذا يدخل على المضارع كما يدخل على الماضي قال الله تعالى والليل اذا يغشى
ومنه اذا يشاء وقال الشاعر واذا ما اشاء ابعث منها آخر الليل ناشطا مذعورا وما اصابكم
من مصيبة فبما كسبت ايديكم ويعفو عن كثير فى مصاحف اهل العراق فبما كسبت باثبات الفاء على تضمين
ما معنى الشرط وفى مصاحف اهل المدينة بما كسبت بغير فاء على ان ما مبتدأة وبما كسبت خبرها من غير تضمين
معنى الشرط والآية مخصوصة بالمجرمين ولا يمتنع ان يستوفي الله بعض عقاب المجرم ويعفو عن
بعض فاما من لا جرم له كالانبياء والاطفال والمجانين فهؤلاء اذا اصابهم شيء من الم او غيره فللعوض
الموفى والمصلحة وعن النبي صلى الله عليه وسلم ما من اختلاج عرق ولا خدش عود ولا نكبة حجر الا بذنب و
لما يعفو الله عنه اكثر وعن بعضهم من لم يعلم ان ما وصل اليه من الفتن والمصائب باكتسابه وان ما
عفى عنه مولاه اكثر كان قليل النظر فى احسان ربه اليه وعن آخر العبد ملازم للجنايات فى كل
اوان وجناياته فى طاعاته اكثر من جناياته فى معاصيه لان جناية المعصية من وجه وجناية الطاعة
من وجوه والله يطهر عبده من جناياته بانواع من المصائب ليخفف عنه اثقاله فى القيمة ولولا عفوه
ورحمته لهلك فى اول خطوة وعن علي رضي الله عنه وقد رفعه من عفى عنه فى الدنيا عفى عنه فى الآخرة
ومن عوقب فى الدنيا لم يثن عليه العقوبة فى الآخرة وعنه رضي الله عنه هذه ارجى آية للمؤمنين فى القرآن
وما انتم بمعجزين بفائتين ما قضى عليكم من المصائب فى الارض وما لكم من دون الله من ولي من متول بالرحمة
ولا نصير ومن آياته الجوار فى البحر الجواري السفن وقرئ الجوار كالاعلام كالجبال قالت الخنساء
كأنه علم فى رأسه نار ان يشأ يسكن الريح وقرئ الرياح فيظللن بفتح اللام وكسرها من ظل يظل و
يظل نحو ضل يضل ويضل رواكد ثوابت لا تجري على ظهره على ظهر البحر ان فى ذلك لآيات لكل صبار
على بلاء الله شكور لنعمائه وهما صفتا المؤمن المخلص فجعلهما كناية عنه وهو الذي وكل همته بالنظر
فى آيات الله فهو يستملي منها العبر او يوبقهن عطف على يسكن يهلكهن والمعنى انه ان يشأ يبتل

المسافرين فى البحر باحدى بليتين اما ان يسكن الريح فيركد الجواري على متن البحر ويمنعهن من الجري و
اما ان يرسل الريح عاصفة فيهلكهن اغراقا بسبب ما كسبوا من الذنوب ويعف عن كثير منها
علام عطف يوبقهن على يسكن لان المعنى ان يشأ يسكن الريح فيركدن او يعصفها فيغرقن بعصفها
فما معنى ادخال العفو فى حكم الايباق حيث جزم جزمه معناه او ان يشأ
يهلك ناسا وينج ناسا على طريق العفو عنهم فمن قرأ ويعفو فقد استأنف الكلام
فما وجوه القراءات الثلث فى ويعلم اما الجزم فعلى ظاهر العطف واما الرفع فعلى
الاستئناف واما النصب فللعطف على تعليل محذوف تقديره لينتقم منهم ويعلم الذين يجادلون فى آياتنا
ونحوه فى العطف على التعليل المحذوف غير عزيز فى القرآن ومنه قوله تعالى ولنجعله آية للناس وقوله
خلق السموات والارض بالحق ولتجزى كل نفس بما كسبت واما قول الزجاج النصب على اضمار ان لان قبلها
جزاء تقول ما تصنع اصنع مثله واكرمك وان شئت واكرمك على وانا اكرمك وان شئت واكرمك
جزما ففيه نظر لما اورده سيبويه فى كتابه قال واعلم ان النصب بالفاء والواو فى قوله ان تأتني آتك
واعطيك ضعيف وهو نحو من قوله وألحق بالحجاز فاستريحا فهذا يجوز وليس بحد الكلام ولا وجهه
الا انه فى الجزاء صار اقوى قليلا لانه ليس بواجب انه يفعل الا ان يكون من الاول فعل فلما ضارع الذي
لا يوجبه كالاستفهام ونحوه اجازوا فيه هذا على ضعفه ولا يجوز ان تحمل القراءة المستفيضة على وجه
ضعيف ليس بحد الكلام ولا وجهه ولو كانت من هذا الباب لما اخلى سيبويه منها كتابه وقد ذكر نظائرها
من الآيات المشكلة فكيف يصح المعنى على جزم ويعلم كأنه قال او ان يشأ
يجمع بين ثلثة امور هلاك قوم ونجاة قوم وتحذير آخرين ما لهم من محيص من محيد عن عقابه فما اوتيتم من
شيء فمتاع الحيوة الدنيا وما عند الله خير وابقى للذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون ما الاولى ضمنت معنى الشرط
فجاءت الفاء فى جوابها بخلاف الثانية عن علي رضي الله عنه اجتمع لابي بكر رضي الله عنه مال فتصدق به
كله فى سبيل الله والخير فلامه المسلمون وخطأه الكافرون فنزلت والذين يجتنبون عطف على الذين
آمنوا وكذلك ما بعده ومعنى كبائر الاثم الكبائر من هذا الجنس وقرئ كبير الاثم وعن ابن عباس
كبير الاثم هو الشرك والفواحش واذا ما غضبوا هم يغفرون اي هم الاخصاء بالغفران فى حال الغضب
لا يغول الغضب احلامهم كما يغول حلوم الناس والمجيء بهم وايقاعه مبتدأ واسناد يغفرون اليه
لهذه الفائدة ومثله هم ينتصرون والذين استجابوا لربهم نزلت فى الانصار دعاهم الله عز وجل للايمان
به وطاعته فاستجابوا له بان آمنوا به واطاعوه واقاموا الصلوات الخمس وكانوا قبل الاسلام و

الصلوة

قبل مقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة اذا كان بينهم امر اجتمعوا وتشاوروا فاثنى الله عليهم اى
لا ينفردون برأى حتى يجتمعوا عليه وعن الحسن ما تشاور قوم الا هدوا لارشد امرهم والشورى مصدر كالفتيا
بمعنى التشاور ومعنى قوله وامرهم شورى بينهم اى ذو شورى وكذلك قولهم ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم وعمر بن
الخطاب رضى الله عنه الخلافة شورى ومما رزقناهم ينفقون والذين اذا اصابهم البغى هم ينتصرون وجزاء سيئة سيئة
مثلها هو ان يقتصروا فى الانتصار على ما جعله الله تعالى لهم ولا يعتدوا وعن النخعى انه كان اذا قرأها قال
كانوا يكرهون ان يذلوا انفسهم فيجترئ عليهم الفساق اهم محمودون على الانتصار
نعم لان من اخذ حقه غير متعد حد الله وما امر به فلم يسرف فى القتل ان كان ولى دم او رد على سفيه
محاماة على عرضه وردعا له فهو مطيع وكل مطيع محمود كلتا الفعلتين الاولى وجزاؤها سيئة لانها تسوء
من تنزل به قال الله تعالى وان تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك يريد ما يسوؤهم من المصائب والبلايا
والمعنى انه يجب اذا قوبلت الاساءة ان تقابل بمثلها من غير زيادة فاذا قال اخزاك الله قال اخزاك الله
فمن عفا واصلح بينه وبين خصمه بالعفو والاغضاء كما قال فاذا الذى بينك وبينه عداوة كانه ولى حميم
فاجره على الله عدة مبهمة لا يقاس امرها فى العظم وقوله انه لا يحب الظالمين دلالة على ان الانتصار لا يكاد
يؤمن فيه تجاوز السيئة والاعتداء خصوصا فى حال الحرد والتهاب الحمية فربما كان المجازى من الظالمين
وهو لا يشعر وعن النبى صلى الله عليه وسلم اذا كان يوم القيامة نادى مناد من كان له على الله اجر فليقم قال
فيقوم خلق فيقال لهم ما اجركم على الله فيقولون نحن الذين عفونا عمن ظلمنا فيقال لهم ادخلوا الجنة باذن
الله ولمن انتصر بعد ظلمه من اضافة المصدر الى المفعول وتفسره قراءة من قرأ بعد ما ظلم فاولئك اشارة
الى معنى من دون لفظه ما عليهم من سبيل للمعاقب ولا للعائب والعائب انما السبيل على الذين يظلمون الناس
يبتدئونهم بالظلم ويبغون فى الارض يتكبرون فيها ويعلون ويفسدون بغير الحق اولئك لهم عذاب
اليم ولمن صبر على الظلم والاذى وغفر ولم ينتصر وفوض امره الى الله ان ذلك منه لمن عزم الامور
وحذف الراجع لانه مفهوم كما حذف من قولهم السمن منوان بدرهم ويحكى ان رجلا سب رجلا
فى مجلس الحسن فكان المسبوب يكظم ويعرق فيمسح العرق ثم قام فتلا هذه الآية فقال الحسن عقلها
والله وفهمها اذ ضيعها الجاهلون وقالوا العفو مندوب اليه ثم قد ينعكس الامر فى بعض
الاحوال فيرجع ترك العفو مندوبا اليه وذلك اذا احتيج الى كف زيادة البغى وقطع مادة الاذى
وعن النبى صلى الله عليه وسلم ما يدل عليه وهو ان زينب اسمعت عائشة بحضرته وكان ينهاها فلا تنتهى
فقال لعائشة دونك فانتصرى ومن يضلل الله ومن يخذل الله فما له من ولى من بعده فليس له من ناصر

يتولاه من بعد خذلانه وترى الظالمين لما رأوا العذاب يقولون هل الى مرد من سبيل وتراهم يعرضون عليها
خاشعين متضائلين متقاصرين مما يلحقهم من الذل وقد يتعلق من الذل بينظرون ويوقف على خاشعين
من طرف خفى اى يبتدئ نظرهم من تحريك لاجفانهم ضعيف خفى بمسارقة كما ترى المصبور ينظر الى
السيف وهكذا نظر الناظر الى المكاره لا يقدر ان يفتح اجفانه عليها ويملأ عينيه منها كما يفعل فى
نظره الى المحاب وقيل يحشرون عميا فلا ينظرون الا بقلوبهم وذلك نظر من طرف خفى وفيه تعسف
وقال الذين آمنوا ان الخاسرين الذين خسروا انفسهم واهليهم يوم القيمة الا ان الظالمين فى عذاب مقيم وما كان
لهم من اولياء ينصرونهم من دون الله ومن يضلل الله فما له من سبيل يوم القيمة اما ان يتعلق بخسروا ويكون
قول المؤمنين واقعا فى الدنيا واما ان يتعلق بقال اى يقولون يوم القيمة اذا رأوهم على تلك الصفة
استجيبوا لربكم من قبل ان يأتى يوم لا مرد له من الله ما لكم من ملجأ يومئذ وما لكم من نكير فان اعرضوا فما ارسلناك
عليهم حفيظا ان عليك الا البلاغ من الله من صلة لا مرد اى لا يرده الله بعد ما حكم به او من صلة يأتى
اى من قبل ان يأتى من الله يوم لا يقدر احد على رده والنكير الانكار اى ما لكم من مخلص من العذاب و
لا تقدرون ان تنكروا شيئا مما اقترفتموه ودون فى صحائف اعمالكم وانا اذا اذقنا الانسان منا رحمة
فرح بها اراد بالانسان الجمع لا الواحد لقوله وان تصبهم سيئة ولم يرد الا المجرمين لان اصابة السيئة
بما قدمت ايديهم فان الانسان كفور انما تستقيم فيهم والرحمة النعمة من الصحة والغنى والامن والسيئة
البلاء من المرض والفقر والمخاوف والكفور البليغ الكفران ولم يقل فانه كفور ليسجل على ان هذا
الجنس موسوم بكفران النعم كما قال ان الانسان لظلوم كفار ان الانسان لربه لكنود والمعنى انه يذكر البلاء
وينسى النعم ويغمطها لله ملك السموات والارض يخلق ما يشاء يهب لمن يشاء اناثا ويهب لمن يشاء الذكور او
يزوجهم لما ذكر اذاقة الانسان الرحمة واصابته بضدها اتبع ذلك ان له الملك وانه يقسم النعمة
والبلاء كيف اراد ويهب لعباده من الاولاد ما تقتضيه مشيئته فيخص بعضا بالاناث وبعضا بالذكور
وبعضا بالصنفين جميعا ويعقم آخرين فلا يهب لهم ولدا قط لم قدم الاناث
اولا على الذكور مع تقدمهم عليهن ثم رجع فقدمهم ولم عرف الذكور بعد ما نكر الاناث
لانه ذكر البلاء فى آخر الآية لان سياق الكلام انه فاعل ما يشاؤه لا ما يشاؤه الانسان فكان ذكر الاناث
اللاتى من جملة ما لا يشاؤه الانسان اهم والاهم واجب التقديم الاولى وكفران الانسان بنسيانه
الرحمة السابقة عنده ثم عقبه بذكر ملكه ومشيئته وذكر قسمة الاولاد فقدم الاناث وليلى الجنس
الذى كانت العرب تعده بلاء ذكر البلاء واخر الذكور فلما اخرهم لذلك تدارك تأخيرهم وهم احقاء

بالتقديم بتعريفهم لان التعريف تنويه وتشهير كانه قال ويهب لمن يشاء الفرسان الاعلام المذكورين الذين لا
يخفون عليكم ثم اعطى بعد ذلك كلا الجنسين حقه من التقديم والتاخير وعرف ان تقديمهن لم يكن لتقدمهن
ولكن لمقتض آخر فقال ذكرانا واناثا ويجعل من يشاء عقيما كما قال انا خلقناكم من ذكر وانثى فجعل منه الزوجين
الذكر والانثى وقيل نزلت في الانبياء صلوات الله عليهم حيث وهب لشعيب ولوط اناثا ولابرهيم ذكورا ولمحمد
ذكورا واناثا وجعل يحيى وعيسى عقيمين انه عليم بمصالح العباد قدير على تكوين ما يصلحهم وما كان لبشر وما
صح لاحد من البشر ان يكلمه الله الا وحيا او الا على ثلثة اوجه اما على طريق الوحي وهو الالهام والقذف في القلب
او المنام كما اوحى الى ام موسى والى ابرهيم عليه السلام في ذبح ولده وعن مجاهد اوحى الله الزبور الى داود عليه
السلام في صدره قال عبيد بن الابرص فاوحى الى الله ان قد تامروا بابل ابي اوفى فقمت على رجل
اي الهمني وقذف في قلبي واما على ان يسمعه كلامه الذي يخلقه في بعض الاجرام من غير ان يبصر
السامع من يكلمه لانه في ذاته غير مرئي وقوله من وراء حجاب مثل اي كما يكلم الملك المحتجب بعض خواصه
وهو من وراء الحجاب فيسمع صوته ولا يرى شخصه وذلك كما كلم موسى ويكلم الملائكة واما على ان يرسل
الله رسولا من الملائكة فيوحي الملك اليه كما كلم الانبياء غير موسى وقيل وحيا كما اوحى الى الرسل بواسطة
الملائكة او يرسل رسولا اي نبيا كما كلم امم الانبياء على السنتهم ووحيا وان يرسل مصدران واقعان موقع
الحال لان ان يرسل في معنى ارسالا ومن وراء حجاب ظرف واقع موقع الحال ايضا كقوله وعلى جنوبهم و
التقدير وما صح ان يكلم احدا الا موحيا او مسمعا من وراء حجاب او مرسلا ويجوز ان يكون وحيا موضوعا
موضع كلاما لان الوحي كلام خفي في سرعة كما تقول لا اكلمه الا جهرا والا خفاتا لان الجهر والخفات ضربان
من الكلام وكذلك ارسالا جعل الكلام على لسان الرسول بمنزلة الكلام بغير واسطة تقول قلت لفلان كذا
وانما قاله وكيلك ورسولك وقوله او من وراء حجاب معناه او اسماعا من وراء الحجاب ومن جعل وحيا في معنى ان يوحي
وعطف يرسل عليه على معنى وما كان لبشر ان يكلمه الله بان يوحي او بان يرسل فعليه ان يقدر قوله او من وراء
حجاب تقديرا يطابقهما عليه نحو او ان يسمع من وراء حجاب وقرئ او يرسل رسولا فيوحي بالرفع على ان
هو يرسل او بمعنى مرسلا عطفا على وحيا في معنى موحيا وروي ان اليهود قالت للنبي صلى الله عليه وسلم
الا تكلم الله وتنظر اليه ان كنت نبيا كما كلمه موسى ونظر اليه فانا لن نؤمن لك حتى تفعل ذلك فقال
فقال لم ينظر موسى الى الله فنزلت وعن عائشة رضي الله عنها من زعم ان محمدا راى ربه فقد اعظم على
الله الفرية ثم قالت اولم تسمعوا ربكم يقول فتلت هذه الآية باذنه ما يشاء انه علي عن صفات المخلوقين
حكيم يجري افعاله على موجب الحكمة فيكلم تارة بواسطة واخرى بغير واسطة اما الهاما واما خطابا و

كذلك اوحينا اليك روحا من امرنا ما كنت تدري ما الكتاب روحا من امرنا يريد ما اوحي اليه لان الخلق يحيون به
في دينهم كما يحيى الجسد بالروح قد علم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ما كان يدري ما القرآن
قبل نزوله عليه فما معنى قوله ولا الايمان والانبياء لا يجوز عليهم اذا عقلوا وتمكنوا من النظر والاستدلال ان
يخطئهم الايمان بالله وتوحيده ويجب ان يكونوا معصومين من ارتكاب الكبائر ومن الصغائر التي فيها تنفير قبل
المبعث وبعده فكيف لا يعصمون من الكفر الايمان اسم يتناول اشياء بعضها الطريق اليه العقل
وبعضها الطريق اليه السمع فعني به ما الطريق اليه السمع دون العقل وذاك ما كان له فيه علم حتى كسبه بالوحي
الا ترى انه فسر الايمان في قوله تعالى وما كان الله ليضيع ايمانكم بالصلوة لانها بعض ما يتناوله الايمان ولكن
جعلناه نورا نهدي به من نشاء من عبادنا من له لطف ومن لا لطف له فلا هداية تجدي عليه وانك لتهدي الى
صراط مستقيم صراط الله بدل وقرئ لتهدى اي يهديك الله وقرئ لتدعو الذي له ما في السموات وما في
الارض الا الى الله تصير الامور عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا حم عسق كان ممن تصلي عليه الملائكة
ويستغفرون له ويسترحمون له ٥

سورة الزخرف مكية وقال مقاتل الا قوله وسل من ارسلنا من قبلك من رسلنا وهي تسع وثمانون آية

بسم الله الرحمن الرحيم حم والكتاب المبين اقسم بالكتاب المبين وهو القرآن وجعل قوله انا
جعلناه قرآنا عربيا جوابا للقسم وهو من الايمان الحسنة البديعة لتناسب القسم والمقسم عليه وكونهما
من واد واحد ونظيره قول ابي تمام وثناياك انها اغريض المبين البين للذين انزل عليهم
لانه بلغتهم واساليبهم وقيل الواضح للمتدبرين وقيل المبين الذي ابان طرق الهدى من طرق الضلالة
وابان ما يحتاج اليه الامة في ابواب الديانة جعلناه بمعنى صيرناه معدى الى مفعولين او بمعنى خلقناه
الى واحد كقوله وجعل الظلمات والنور وقرآنا عربيا ولعل مستعار لمعنى الارادة لتلاحظ معناها
ومعنى الترجي اي خلقناه عربيا غير عجمي ارادة ان تعقله العرب ولئلا يقولوا لولا فصلت آياته وانه في
ام الكتاب لدينا لعلي وقرئ ام الكتاب بالكسر وهو اللوح كقوله بل هو قرآن مجيد في لوح محفوظ سمي بام
الكتاب لانه الاصل الذي اثبتت فيه الكتب منه تنقل وتستنسخ علي رفيع الشان في الكتب لكونه
معجزا من بينها حكيم ذو حكمة بالغة اي منزلته عندنا منزلة كتاب هما صفتاه وهو مثبت
في ام الكتاب هكذا افنضرب عنكم الذكر صفحا ان كنتم قوما مسرفين وكم ارسلنا من نبي في الاولين بمعنى افننحي
عنكم الذكر ونذوده عنكم على سبيل المجاز من قولهم ضرب الغرائب عن الحوض ومنه قول الحجاج ولاضربنكم

ضرب غرائب الإبل. وقال طرفة: أضرب عنك الهموم طارقها ضربك بالسيف قونس الفرس. والفاء
للعطف على محذوف تقديره أنهملكم فنضرب عنكم الذكر إنكارا لأن يكون الأمر على خلاف ما قدم من إنزاله
الكتاب وخلقه قرآنا عربيا ليعقلوه ويعملوا بمواجبه. وصفحا على وجهين: إما مصدر من صفح عنه إذا أعرض
منتصب على أنه مفعول له على معنى أفنعزل عنكم إنزال القرآن وإلزام الحجة به إعراضا عنكم. وإما بمعنى الجانب
من قولهم نظر إليه بصفح وجهه وصفح وجهه على معنى أفننحيه عنكم جانبا فينتصب على الظرف كما تقول ضعه جانبا
وامش جانبا. وتعضده قراءة من قرأ صفحا بالضم. وفي هذه القراءة وجه آخر وهو أن يكون تخفيف صفح جمع صفوح
وينتصب على الحال أي صافحين معرضين. إن كنتم: لأن كنتم. وقرئ إن كنتم وإذ كنتم. كيف
استقام إن الشرطية وقد كانوا مسرفين على البت؟ هو من الشرط الذي ذكرت أنه يصدر عن المدل
بصحة الأمر المتحقق لثبوته كما يقول الأجير إن كنت عملت لك فوفني حقي وهو عالم بذلك ولكنه يخيل في كلامه أن
تفريطك في الخروج عن الحق فعل من له شك في الاستحقاق مع وضوحه استجهالا له. وما يأتيهم من نبي إلا كانوا به يستهزئون
حكاية حال ماضية مستمرة أي كانوا على ذلك. وهذا تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم عن استهزاء قومه. فأهلكنا
الضمير في أشد منهم بطشا للقوم المسرفين لأنه صرف الخطاب عنهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يخبره عنهم.
ومضى مثل الأولين أي سلف في القرآن في غير موضع منه ذكر قصتهم وحالهم العجيبة التي حقها أن تسير مسير
المثل. وهذا وعد لرسول الله صلى الله عليه وسلم ووعيد لهم. قوله ولئن سألتهم من خلق
السموات والأرض ليقولن خلقهن العزيز العليم وما سرد من الأوصاف عقيبه إن كان من قولهم فما تصنع
بقوله الذي جعل لكم الأرض مهادا وجعل لكم فيها سبلا لعلكم تهتدون والذي نزل من السماء ماء بقدر فأنشرنا
به بلدة ميتا كذلك تخرجون. وإن كان من قول الله فما وجهه؟ هو من قول الله لا من قولهم. ومعنى
قوله ليقولن خلقهن العزيز العليم الذي من صفته كيت وكيت لينسبن خلقها إلى الذي هذه أوصافه
وليسندنه إليه. بقدر: بمقدار يسلم معه البلاد والعباد ولم يكن طوفانا. والذي خلق الأزواج كلها وجعل
لكم من الفلك والأنعام ما تركبون لتستووا على ظهوره ثم تذكروا نعمة ربكم إذا استويتم عليه وتقولوا سبحان الذي سخر لنا
هذا وما كنا له. والأزواج: الأصناف. ما تركبون أي تركبونه. يقال ركبوا الأنعام وركبوا في
الفلك. وقد ذكر الجنسين فكيف قال تركبونه؟ غلب المتعدي بغير واسطة لقوته على المتعدي بواسطة.
فقيل تركبونه. على ظهوره: على ظهور ما تركبون وهو الفلك والأنعام. والمعنى ذكر نعمة الله عليهم أن يذكروها في قلوبهم
معترفين بها مستعظمين لها ثم يحمدوا عليها بألسنتهم. وهو ما يروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان إذا
وضع رجله في الركاب قال بسم الله فإذا استوى على الدابة قال الحمد لله على كل حال سبحان الذي سخر لنا هذا

إلى قوله لمنقلبون، وكبر ثلاثا وهلل ثلاثا. وقالوا إذا ركب في السفينة قال بسم الله مجريها ومرسيها إن ربي
لغفور رحيم. وعن الحسين بن علي رضي الله عنهما أنه رأى رجلا ركب دابة فقال سبحان الذي سخر لنا هذا فقال
أبهذا أمرتم؟ فقال: وبم أمرنا؟ قال: أن تذكروا نعمة ربكم. كان قد أغفل التحميد فنبهه عليه. وهذا من حسن
مراعاتهم لآداب الله ومحافظتهم على دقائقها وجليلها، جعلنا الله من المقتدين بهم والسائرين بسيرتهم. فما أحسن
بالعاقل النظر في لطائف الصناعات فكيف بالنظر في لطائف الديانات. مقرنين: مطيقين. يقال أقرن الشيء
إذا أطاقه. قال ابن هرمة: وأقرنت ما حملتني ولقلما يطاق احتمال الصد يا دعد والهجر
وحقيقة أقرنه وجده قرينته وما يقرن به لأن الصعب لا يكون قرينة للضعيف. ألا ترى إلى قولهم
في الضعيف لا يقرن به الصعبة. وقرئ مقترنين والمعنى واحد. كيف اتصل بذلك قوله
وإنا إلى ربنا لمنقلبون؟ كم من راكب دابة عثرت به أو شمست أو تقحمت أو طاح من ظهرها فهلك
وكم من راكبين في سفينة انكسرت بهم فغرقوا. فلما كان الركوب مباشرة أمر مخطر واتصالا بسبب من
أسباب التلف كان من حق الراكب وقد اتصل بسبب من أسباب التلف أن لا ينسى عند اتصاله به يومه
وأنه هالك لا محالة فمنقلب إلى الله غير منفلت من قضائه، ولا يدع ذكر ذلك بقلبه ولسانه حتى يكون
مستعدا للقاء الله بإصلاحه من نفسه، والحذر من أن يكون ركوبه ذلك من أسباب موته في علم الله وهو غافل
عنه. ويستعيذ بالله من مقام من يقول لقرنائه تعالوا نتنزه على الخيل أو في بعض الزوارق فيركبون
حاملين مع أنفسهم أواني الخمر والمعازف فلا يزالون يسقون حتى تميل طلاهم وهم على ظهور الدواب أو
في بطون السفن وهي تجري بهم لا يذكرون إلا الشيطان ولا يمتثلون إلا أوامره. ولقد بلغني أن بعض
السلاطين ركب وهو يشرب من بلد إلى بلد بينهما مسيرة شهر فلم يصح إلا بعد ما اطمأنت به الدار فلم يشعر
بمسيره ولا أحس به. فكم بين فعل أولئك الراكبين وبين ما أمر الله به في هذه الآية. وقيل يذكرون عند
الركوب ركوب الجنازة. وجعلوا له من عباده جزءا إن الإنسان لكفور مبين متصل بقوله ولئن سألتهم أي
ولئن سألتهم عن خالق السموات والأرض ليعترفن به وقد جعلوا له مع ذلك الاعتراف من عباده جزءا
فوصفوه بصفات المخلوقين. ومعنى من عباده جزءا أن قالوا الملائكة بنات الله فجعلوهم جزءا له
وبعضا منه كما يكون الولد بضعة من والده وجزءا له. ومن بدع التفاسير تفسير الجزء بالإناث وادعاء
أن الجزء في لغة العرب اسم للإناث، وما هو إلا كذب على العرب ووضع مستحدث منحول، ولم يقنعهم
ذلك حتى اشتقوا منه أجزأت المرأة ثم صنعوا بيتا وبيتا: إن أجزأت حرة يوما فلا عجب
زوجتها من بنات الأوس مجزئة. وقرئ جزؤا بضمتين. لكفور مبين: لجحود للنعمة ظاهر جحوده

لأن نسبة الولد إليه كفر والكفر أصل الكفران كله أم اتخذ مما يخلق بنات وأصفاكم بالبنين وإذا بشر أحدهم
بما ضرب للرحمن مثلا ظل وجهه مسودا وهو كظيم أو من ينشأ في الحلية وهو في الخصام غير مبين بل اتخذ والهمزة
للإنكار تجهيلا لهم وتعجيبا من شأنهم حيث لم يرضوا بأن جعلوا لله من عباده جزءا حتى جعلوا ذلك الجزء
شر الجزأين وهو الإناث دون الذكور على أنهم أنفر خلق الله عن الإناث وأمقتهم لهن ولقد بلغ بهم المقت
إلى أن وأدوهن كأنه قيل هبوا أن إضافة اتخاذ الولد إليه جائزة فرضا وتمثيلا أما تستحيون من
الشطط في القسمة ومن ادعائكم أنه آثركم على نفسه بخير الجزأين وأعلاهما وترك له شرهما وأدناهما و
تنكير بنات وتعريف البنين وتقديمهن في الذكر عليهم لما ذكرت في قوله تعالى يهب لمن يشاء إناثا و
يهب لمن يشاء الذكور بما ضرب للرحمن مثلا بالجنس الذي جعله له مثلا أي شبها لأنه إذا جعل الملائكة
جزءا لله وبعضا منه فقد جعله من جنسه ومماثلا له لأن الولد لا يكون إلا من جنس الوالد يعني أنهم
نسبوا إليه هذا الجنس ومن حالهم أن أحدهم إذا قيل له قد ولدت لك بنت اغتم واربد وجهه غيظا
وتأسفا وهو مملوء من الكرب وعن بعض العرب أن امرأته وضعت أنثى فهجر البيت الذي فيه المرأة
فقالت ما لأبي حمزة لا يأتينا يظل في البيت الذي يلينا غضبان أن لا نلد البنينا
ليس لنا من أمرنا ما شينا وإنما نأخذ ما أعطينا والظلول بمعنى الصيرورة كما يستعمل أكثر
الأفعال الناقصة بمعناها وقرئ مسود ومسواد على أن في ظل ضميرا للمبشر ووجهه مسود
جملة واقعة موقع الخبر ثم قال أو يجعل للرحمن من الولد من هذه الصفة المذمومة صفته وهو
أنه ينشأ في الحلية أي يتربى في الزينة والنعمة وهو إذا احتاج إلى مجاثاة الخصوم ومجاراة الرجال
كان غير مبين ليس عنده بيان ولا يأتي ببرهان يحج به من يخاصمه وذلك لضعف عقول النساء و
نقصانهن عن فطرة الرجال يقال قلما تكلمت امرأة فأرادت أن تتكلم بحجتها إلا تكلمت بالحجة عليها
وفيه أنه جعل النشأ في الزينة والنعومة من المعايب والمذام وأنه من صفة ربات الحجال
فعلى الرجل أن يجتنب ذلك ويأنف منه ويربأ بنفسه عنه ويعيش كما قال عمر رضي الله عنه اخشوشنوا
واخشوشنوا واخلولقوا وتمعددوا وإن أراد أن يزين نفسه زينها من باطن بلباس التقوى وقرئ
ينشأ وينشأ ويناشأ ونظير المناشأة بمعنى الإنشاء المغالاة بمعنى الإغلاء فقد جمعوا في
كفرة ثلاث كفرات وذلك أنهم نسبوا إلى الله أخس النوعين وجعلوه من الملائكة الذين أكرم عباد
الله على الله فاستخفوا بهم واحتقروهم وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثا أشهدوا خلقهم
وقرئ عباد الرحمن وعبيد الرحمن وعند الرحمن ومثل لزلفاهم واختصاصهم وإناثا وأنثا

جمع الجمع ومعنى جعلوا سموا وقالوا إنهم إناث وقرئ أشهدوا وأشهدوا بهمزتين مفتوحة ومضمومة
وآشهدوا بألف بينهما وهذا تهكم بهم يعني أنهم يقولون ذلك من غير أن يستند قولهم إلى علم فإن الله لم
يضطرهم إلى علم ذلك ولا تطرقوا إليه باستدلال ولا أحاطوا به عن خبر يوجب العلم فلم يبق إلا أن يشاهدوا
خلقهم فأخبروا عن المشاهدة ستكتب شهادتهم التي شهدوا بها على الملائكة من أنوثتهم ويسألون وهذا وعيد
وقرئ سيكتب وسنكتب بالياء والنون وشهاداتهم وشهاداتهم ويساءلون على يفاعلون وقالوا لو شاء
الرحمن ما عبدناهم هما كفرتان أيضا مضمومتان إلى الكفرات الثلاث وهما عبادتهم الملائكة من دون الله و
زعمهم أن عبادتهم بمشيئة الله كما يقول إخوانهم المجبرة   ما أنكرت على من يقول قالوا ذلك على وجه الاستهزاء
ولو قالوه جادين لكانوا مؤمنين   لا دليل على أنهم قالوه مستهزئين وادعاء ما لا دليل عليه باطل
على أن الله تعالى قد حكى عنهم على سبيل الذم والشهادة بالكفر أنهم جعلوا له من عباده جزءا وأنه اتخذ
بنات وأصفاهم بالبنين وأنهم جعلوا الملائكة المكرمين إناثا وأنهم عبدوهم وقالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم
فلو كانوا ناطقين بها على طريق الهزء لكان النطق بالمحكيات قبل هذا المحكي الذي هو إيمان عندك لو جدوا في
النطق به مدحا لهم من قبل أنها كلمات كفر نطقوا بها على طريق الهزء فبقي أن يكونوا جادين وتشترك كلها في
أنها كلمات كفر فإن قالوا نجعل هذا الأخير وحده مقولا على وجه الهزء دون ما قبله فما بهم إلا تعويج كتاب
الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه لتسوية مذهبهم الباطل ولو كانت هذه كلمة حق نطقوا
بها هزءا لم يكن لقوله تعالى ما لهم بذلك من علم إن هم إلا يخرصون معنى لأن من قال لا إله إلا الله على طريق الهزء
كان الواجب أن ينكر عليه استهزاؤه ولا يكذب لأنه لا يجوز تكذيب الناطق بالحق جادا كان أو هازئا
ما قولك فيمن يفسر ما لهم بقولهم إن الملائكة بنات الله من علم إن هم يخرصون في ذلك لا
في تعليق عبادتهم بمشيئة الله   تمحل مبطل وتحريف مكابر ونحوه قوله تعالى سيقول الذين أشركوا
لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من شيء كذلك كذب الذين من قبلهم   الضمير في من قبله
للقرآن أو الرسول والمعنى أنهم ألصقوا عبادة غير الله بمشيئة الله قولا قالوه غير مستند إلى علم ثم قال
أم آتيناهم كتابا من قبله فهم به مستمسكون قبل هذا الكتاب نسبنا فيه الكفر والقبائح إلينا فحصل لهم
علم بذلك من جهة الوحي فاستمسكوا بذلك الكتاب واحتجوا به بل لا حجة لهم يستمسكون بها إلا قولهم
بل قالوا إنا وجدنا آباءنا على أمة على دين وقرئ إمة بالكسر وكلتاهما من الأم وهو القصد فالأمة الطريقة
التي تؤم أي تقصد كالرحلة للمرحول إليه والإمة الحالة التي يكون عليها الآم وهو القاصد و
قيل على نعمة وحالة حسنة وإنا على آثارهم مهتدون خبران أو الظرف صلة لمهتدون وكذلك ما أرسلنا

من قبلك في قرية من نذير الا قال مترفوها انا وجدنا آباءنا على امة وانا على آثارهم مقتدون مترفوها الذين
اترفتهم النعمة اي ابطرتهم فلا يحبون الا الشهوات والملاهي ويعافون مشاق الدين وتكاليفه قل
أولو جئتكم باهدى مما وجدتم عليه آباءكم قالوا انا بما ارسلتم به كافرون فانتقمنا منهم فانظر كيف كان عاقبة
المكذبين واذ قال ابرهيم لابيه وقومه انني براء مما تعبدون الا الذي فطرني فانه سيهدين وجعلها قرئ قل و
قال وجئتكم وجئناكم يعني اتتبعون آباءكم ولو جئتكم بدين اهدى من دين آبائكم قالوا انا ثابتون على
دين آبائنا لا ننفك عنه وان جئتنا بما هو اهدى واهدى قرئ براء بفتح الباء وضمها وبرئ فبرئ و
براء نحو كريم وكرام وبراء مصدر كظماء ولذلك استوى فيه الواحد والاثنان والجماعة والمذكر و
المؤنث يقال نحن البراء منك والخلاء منك الذي فطرني فيه غير وجه ان يكون منصوبا على انه استثناء
منقطع كانه قال لكن الذي فطرني فانه سيهدين وان يكون مجرورا بدلا من المجرور بمن كانه قال انني براء مما
تعبدون الا من الذي فطرني كيف تجعله بدلا وليس من جنس ما يعبدون من وجهين احدهما
ان ذات الله مخالفة لجميع الذوات فكانت مخالفة لذوات ما يعبدون والثاني ان الله تعالى غير معبود بينهم
والاوثان معبودة قالوا كانوا يعبدون مع اوثانهم وان يكون الا صفة بمعنى غير على ان ما في ما
تعبدون موصوفة تقديره انني براء من آلهة تعبدونها غير الذي فطرني فهو نظير قوله لو كان فيهما آلهة الا الله
لفسدتا ما معنى قوله سيهدين على التسويف قال مرة فهو يهدين ومرة فانه سيهدين
فاجمع بينهما وقدر كانه قال فهو يهدين وسيهدين فيدلان على استمرار الهداية في الحال والاستقبال
وجعلها وجعل ابرهيم صلوات الله عليه كلمة التوحيد التي تكلم بها وهي قوله انني براء مما تعبدون الا
الذي فطرني كلمة باقية في عقبه في ذريته فلا يزال فيهم من يوحد الله ويدعو الى توحيده لعل من اشرك
منهم يرجع بدعاء من وحد منهم ونحوه ووصى بها ابرهيم بنيه وقيل وجعلها الله وقرئ كلمة على
التخفيف وفي عقبه كذلك وفي عاقبه اي فيمن عقبه اي خلفه لعلهم يرجعون بل متعت هؤلاء يعني اهل
مكة وهم من عقب ابرهيم بالمد في العمر والنعمة فاغتروا بالمهلة وشغلوا بالتنعم واتباع الشهوات
وطاعة الشيطان عن كلمة التوحيد وآباءهم حتى جاءهم الحق ورسول مبين الرسالة واضحها بما معه
من الآيات البينة فكذبوا به وسموه ساحرا وما جاء به سحرا ولم يوجد منهم ما رجاه ابرهيم وقرئ
بل متعنا فما وجه من قرأ بل متعت بفتح التاء كان الله تعالى اعترض على ذاته
في قوله وجعلها كلمة باقية في عقبه لعلهم يرجعون فقال بل متعتهم بما متعتهم به من طول العمر والسعة
في الرزق حتى شغلهم ذلك عن كلمة التوحيد واراد بذلك الاطناب في تعييرهم لانه اذا متعهم بزيادة النعم

ومنوا القرآن

وجب عليهم ان يجعلوا ذلك سببا في زيادة الشكر والثبات على التوحيد والايمان لا ان يشركوا فيه ويجعلوا
له اندادا فمثاله ان يشكو الرجل اساءة من احسن اليه ثم يقبل على نفسه فيقول انت السبب في ذلك بمعروفك
واحسانك وغرضه بهذا الكلام توبيخ المسيء لا تقبيح فعله فقد جعل مجيء الحق والرسول
غاية التمتيع ثم اردفه قوله ولما جاءهم الحق قالوا هذا سحر وانا به كافرون فما طريقة هذا النظم ومؤداه
المراد بالتمتيع ما هو سبب له وهو اشتغالهم بالاستمتاع عن التوحيد ومقتضياته فقال عز وعلا
بل اشتغلوا عن التوحيد حتى جاءهم الحق ورسول مبين فخيل بهذه الغاية انهم تنبهوا عندها عن غفلتهم
لاقتضائها التنبه ثم ابتدأ قصتهم عند مجيء الحق فقال ولما جاءهم جاؤوا بما هو شر من غفلتهم التي كانوا
عليها وهو ان ضموا الى شركهم معاندة الحق ومكابرة الرسول ومعاداته والاستخفاف بكتاب الله و
شرائعه والاصرار على افعال الكفرة والاحتكام على حكمة الله في تخير محمد من اهل زمانه بقولهم
لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم وهي الغاية في تشويه صورة امرهم قرئ على رجل بسكون الجيم
من القريتين من احدى القريتين كقوله يخرج منهما اللؤلؤ اي من احدهما والقريتان مكة والطائف و
قيل من رجلي القريتين وهما الوليد بن المغيرة المخزومي وحبيب بن عمرو بن عمير الثقفي عن ابن عباس
وعن مجاهد عتبة بن ربيعة وكنانة بن عبد ياليل وعن قتادة الوليد بن المغيرة وعروة بن مسعود
الثقفي وكان الوليد يقول لو كان حقا ما يقول محمد لنزل هذا القرآن علي او على ابي مسعود الثقفي
وابو مسعود كنية عروة بن مسعود ما زالوا ينكرون ان يبعث الله بشرا رسولا فلما علموا بتكرير الله الحجج
ان الرسل لم يكونوا الا رجالا من اهل القرى جاؤوا بالانكار من وجه آخر وهو تحكمهم ان يكون احد
هذين وقولهم هذا القرآن ذكر له على وجه الاستهانة به وارادوا بعظم الرجل رئاسته وتقدمه
في الدنيا وعزب عن عقولهم ان العظيم من كان عند الله عظيما اهم يقسمون رحمة ربك نحن قسمنا بينهم
معيشتهم في الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضا سخريا هذه الهمزة
للانكار المستقل بالتجهيل والتعجيب من اعتراضهم وتحكمهم وان يكونوا هم المدبرين لامر النبوة والتخير
لها من يصلح لها ويقوم بها والمتولين لقسمة رحمة الله التي لا يتولاها الا هو بباهر قدرته وبالغ حكمته
ثم ضرب لهم مثلا فاعلم انهم عاجزون عن تدبير خويصة امرهم وما يصلحهم في دنياهم وان الله عز وعلا هو الذي
قسم بينهم معيشتهم وقدرها ودبر احوالهم تدبير العالم بها فلم يسو بينهم ولكن فاوت بينهم في اسباب العيش
وغاير بين منازلهم فجعل منهم اقوياء وضعفاء واغنياء ومحاويج وموالي وخدما ليصرف بعضهم بعضا في
حوائجهم ويستخدموهم في مهنهم ويتسخروهم في اشغالهم حتى يتعايشوا ويترافدوا ويصلوا الى منافعهم و

يحصلوا على مرافقهم ولو وكلهم الى انفسهم وولاهم تدبير امرهم لضاعوا وهلكوا فاذا كانوا في تدبير امر المعيشة
الدنية في الحيوة الدنيا على هذه الصفة فما ظنك بهم في تدبير امر الدين الذي هو رحمة الله الكبرى ورأفته
العظمى وهو الطريق الى حيازة حظوظ الآخرة والسلم الى حلول دار السلام ثم قال ورحمة ربك يريد وهذه
الرحمة وهي دين الله وما يتبعه من الفوز في المآب خير مما يجمعون يجمع هؤلاء من حطام الدنيا
معيشتهم ما يعيشون به من المنافع ومنهم من يعيش بالحلال ومنهم من يعيش بالحرام فاذن قد قسم الله الحرام
كما قسم الحلال الله تعالى قسم لكل عبد معيشته وهي مطاعمه ومشاربه وما يصلحه من المنافع
واذن له في تناولها ولكن شرط عليه وكلفه ان يسلك في تناولها الطرق التي شرعها فاذا سلكها فقد
تناول قسمته من المعيشة حلالا وسماها رزق الله واذا لم يسلكها تناولها حراما وليس له ان يسميها رزق
الله فالله تعالى قاسم المعايش والمنافع ولكن العباد هم الذين يكسبونها صفة الحرمة بسوء تناولهم وهو عدوله
فيه عما شرعه الله الى ما لم يشرعه ولولا ان يكون الناس امة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم بدل
اشتمال من قوله لمن يكفر ويجوز ان يكونا بمنزلة اللامين في قولك وهبت له ثوبا لقميصه وقرئ سقفا
بفتح السين وسكون القاف وبضمها وسكون القاف وبضمهما جمع سقف كرهن ورهن ورهن وعن الفراء
جمع سقيفة وسقفا بفتحتين كانه لغة في سقف وسقوفا ومعارج من فضة ومعارج والمعاريج
جمع معرج او اسم جمع لمعراج وهي المصاعد الى العلالي عليها يظهرون اي على المعارج يظهرون السطوح يعلونها
فما اسطاعوا ان يظهروه ولبيوتهم ابوابا وسررا بفتح الراء لاستثقال الضمتين مع حرفي التضعيف عليها
يتكئون وزخرفا وان كل ذلك لما متاع الحيوة الدنيا اللام هي الفارقة بين ان المخففة والنافية و
قرئ بكسر اللام اي للذي هو متاع الحيوة الدنيا كقوله مثلا ما بعوضة ولما بالتشديد بمعنى الا وان نافية و
قرئ الا وقرئ وما كل ذلك الا لما قرر خير مما يجمعون فقلل امر الدنيا وصغرها اردفه ما يقرر قلة
الدنيا عنده من قوله ولولا ان يكون الناس امة واحدة اي ولولا كراهة ان يجتمعوا على الكفر ويطبقوا
عليه لجعلنا لحقارة زهرة الدنيا عندنا للكفار سقوفا ومصاعد وابوابا وسررا كلها من فضة
وجعلنا لهم زخرفا اي زينة من كل شيء والزخرف الذهب والزينة ويجوز ان يكون الاصل سقفا
من فضة وزخرف يعني بعضها من فضة وبعضها من ذهب فنصب عطفا على محل من فضة وفي معناه قول
رسول الله صلى الله عليه وسلم لو وزنت الدنيا عند الله جناح بعوضة ما سقى الكافر منها شربة ماء
فحين لم يوسع على الكافرين للفتنة التي كان يؤدي اليها التوسعة عليهم من اطباق الناس
على الكفر لحبهم الدنيا وتهالكهم عليها فهلا وسع على المسلمين ليطبق الناس على الاسلام

التوسعة عليهم مفسدة ايضا لما تؤدي اليه من الدخول في الاسلام لاجل الدنيا والدخول في الدين لاجل الدنيا
من دين المنافقين فكانت الحكمة فيما دبر حيث جعل في الفريقين اغنياء وفقراء وغلب الفقر على الغنى
والآخرة عند ربك للمتقين قرئ ومن يعش بضم الشين وفتحها والفرق بينهما انه اذا حصلت الآفة في
بصره قيل عشي واذا نظر نظر العشي ولا آفة به قيل عشا ونظيره عرج لمن به الآفة وعرج لمن مشى مشية
العرجان من غير عرج قال الحطيئة متى تأته تعشو الى ضوء ناره اي تنظر اليها نظر العشي لما يضعف
بصرك من عظم الوقود واتساع الضوء وهو بين في قول حاتم اعشو اذا ما جارتي برزت
حتى يواري جارتي الخدر وقرئ يعشو على ان من موصولة غير مضمنة معنى الشرط وحق هذا القارئ
ان يرفع يقيض ومعنى القراءة بالفتح ومن يعم عن ذكر الرحمن وهو القرآن كقوله صم بكم عمي واما القراءة بالضم
فمعناها ومن يتعام عن ذكره اي يعرف انه الحق وهو يتجاهل ويتغابى كقوله وجحدوا بها واستيقنتها
انفسهم نقيض له شيطانا فهو له قرين نخذله ونخل بينه وبين الشيطان كقوله وقيضنا لهم قرناء الم تر
انا ارسلنا الشياطين وقرئ يقيض اي يقيض له الرحمن ويقيض له الشيطان لم جمع ضمير
من وضمير الشيطان في قوله وانهم ليصدونهم لان من مبهم في جنس العاشي وقد قيض له شيطان
مبهم في جنسه فلما جاز ان يتناولا لابهامهما غير واحدين جاز ان يرجع الضمير اليهما مجموعا عن السبيل ويحسبون
انهم مهتدون حتى اذا جاءنا العاشي وقرئ جاءانا على ان الفعل له ولشيطانه قال لشيطانه يا ليت
بيني وبينك بعد المشرقين يريد المشرق والمغرب كما قيل العمران والقمران فما بعد
المشرقين تباعدهما والاصل بعد المشرق من المغرب والمغرب من المشرق فلما غلب وجمع
المفترقين بالتثنية اضاف البعد اليهما فبئس القرين ولن ينفعكم اليوم اذ ظلمتم انكم في محل الرفع على الفاعلية
يعني ولن ينفعكم كونكم مشتركين في العذاب كما ينفع الواقعين في الامر الصعب اشتراكهم فيه لتعاونهم
في تحمل اعبائه وتقسمهم لشدته وعنائه وذلك ان كل واحد منكم به من العذاب ما لا تبلغه طاقته ولك
ان تجعل الفعل للتمني في قوله يا ليت بيني وبينك على معنى ولن ينفعكم اليوم ما انتم فيه من تمني مباعدة
القرين وقوله انكم في العذاب مشتركون تعليل اي لن ينفعكم تمنيكم لان حقكم ان تشتركوا انتم وقرناؤكم
في العذاب كما كنتم مشتركين في سببه وهو الكفر ويقويه قراءة من قرأ انكم بالكسر وقيل اذا
رأى الممنو بشدة من مني بمثلها روحه ذلك ونفس بعض كربه وهو التأسي الذي ذكرته الخنساء
اعزي النفس عنه بالتأسي فهؤلاء لا يؤسيهم اشتراكهم ولا يروحهم لعظم ما هم فيه
ما معنى قوله اذ ظلمتم معناه اذ صح ظلمكم وتبين ولم يبق لكم ولا لاحد شبهة في انكم

كنتم ظالمين وذلك يوم القيمة واذ بدل من اليوم ونظيره اذا ما انتسبنا لم تلدنى لئيمة اى تبين انى
ولد كريمة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجد ويجتهد ويكد روحه فى دعا قومه وهم لا يزيدون
على دعائه الا تصمما على الكفر وتماديا فى الغى فانكر عليه بقوله افانت تسمع الصم او تهدى العمى ومن كان
فى ضلال مبين انكار تعجيب من ان يكون هو الذى يقدر على هدايتهم واراد انه لا يقدر على ذلك منهم الا هو
وحده على سبيل الالجاء والقسر كقوله ان الله يسمع من يشاء وما انت بمسمع من فى القبور ما فى
قوله فاما نذهبن بك بمنزلة لام القسم فى انها اذا دخلت دخلت معها النون المؤكدة والمعنى فان
قبضناك قبل ان ننصرك عليهم ونشفى صدور المؤمنين منهم فانا منهم منتقمون اشد الانتقام فى الآخرة
كقوله او نتوفينك فالينا يرجعون وان اردنا ان ننجز فى حياتك ما وعدناهم من العذاب النازل بهم
ويوم بدر فهم تحت ملكتنا وقدرتنا لا يفوتوننا وصفهم بشدة الشكيمة فى الكفر والضلال ثم
اتبعه شدة الوعيد بعذاب الدنيا والآخرة او نرينك الذى وعدناهم فانا عليهم مقتدرون فاستمسك
وقرئ نرينك بالنون الخفيفة وقرئ بالذى اوحى اليك انك على صراط مستقيم على البناء للفاعل وهو
الله عز وجل والمعنى وسواء عجلنا لك الظفر والغلبة او اخرناه الى اليوم الآخر فكن متمسكا
بما اوحينا اليك وبالعمل به فانه الصراط المستقيم الذى لا يحيد عنه الا ضال شقى وزد كل يوم
صلابة فى المحاماة على دين الله ولا يخرجك الضجر بامرهم الى شىء من اللين والرخاوة فى امرك ولكن
كما يفعل الثابت الذى لا ينشطه تعجيل ظفر ولا يثبطه تأخيره وانه وان الذى اوحى اليك لذكر
لشرف لك ولقومك وسوف تسألون عنه يوم القيمة وعن قيامكم بحقه وعن تعظيمكم له وشكركم على
ان رزقتموه وخصصتم به من بين العالمين وسل من ارسلنا من قبلك من رسلنا اجعلنا من دون
الرحمن آلهة يعبدون ولقد ارسلنا موسى بآياتنا الى فرعون وملائه فقال ليس المراد بسؤال الرسل حقيقة
السؤال لاحالته ولكنه مجاز عن النظر فى اديانهم والفحص عن مللهم هل جاءت عبادة الاوثان قط فى ملة
من ملل الانبياء وكفاه نظرا وفحصا نظره فى كتاب الله المعجز المصدق لما بين يديه واخبار الله فيه بانهم
يعبدون من دون الله ما لم ينزل به سلطانا وهذه الآية فى نفسها كافية لا حاجة الى غيرها والسؤال الواقع
مجازا عن النظر حيث لا يصح السؤال على الحقيقة كثير منه مسائلة الشعراء الديار والرسوم والاطلال وقول
من قال سل الارض من شق انهارك وغرس اشجارك وجنى ثمارك فانها ان لم تجبك حوارا اجابتك اعتبارا
وقيل ان النبى صلى الله عليه وسلم جمع له الانبياء ليلة الاسراء فى بيت المقدس فامهم وقيل له سلهم
فلم يشكك ولم يسأل وقيل معناه سل امم من ارسلنا وهم اهل الكتابين التورية والانجيل وعن الفراء

هم انما يخبرونه عن كتب الرسل فاذا سألهم فكانه سأل الانبياء ما اجابوه به عند قوله انى رسول رب العالمين
محذوف دل عليه قوله فلما جاءهم باياتنا وهو مطالبتهم اياه باحضار البينة على دعواه وابراز
الآية اذا هم منها يضحكون اى يسخرون منها ويهزؤن بها ويسمونها سحرا واذا للمفاجاة
كيف جاز ان يجاب لما باذا المفاجاة   لان فعل المفاجاة معها مقدر وهو عامل النصب
فى محلها كانه قيل فلما جاءهم باياتنا فاجاؤا وقت ضحكهم   اذا جاءتهم آية من جملة التسع فما اختها
التى فضلت عليها فى الكبر من بقية الآيات   اختها التى هى آية مثلها وهذه صفة كل واحدة منها
فكان المعنى على انها اكبر من بقية الآيات على سبيل التفصيل والاستقراء واحدة بعد واحدة كما تقول هو افضل
رجل رأيته تريد تفضيله على امة الرجال الذين رأيتهم اذا قررتهم رجلا رجلا   فهو كلام متناقض
لان معناه ما من آية من التسع الا وهى اكبر من كل واحدة منها فتكون كل واحدة منها فاضلة ومفضولة فى
حالة واحدة   الغرض بهذا الكلام انهن موصوفات بالكبر لا يكدن يتفاوتن فيه وكذلك
العادة فى الاشياء التى تتلاقى فى الفضل وتتقارب منازلهم فيه التقارب اليسير ان تختلف آراء
الناس فى تفضيلها فيفضل بعضهم هذا وبعضهم ذاك فعلى هذا بنى الناس كلامهم فقالوا رأيت رجالا بعضهم
افضل من بعض وربما اختلفت آراء الرجل الواحد فيها فتارة يفضل هذا وتارة يفضل ذاك ومنه
بيت الحماسة من تلق منهم تقل لاقيت سيدهم مثل النجوم التى يسرى بها السارى ولقد
فاضلت الانمارية بين الكملة من بنيها ثم قالت لما ابصرت مراتبهم متدانية قليلة التفاوت ثكلتهم ان
كنت اعلم ايهم افضل هم كالحلقة المفرغة لا يدرى اين طرفاها واخذناهم بالعذاب لعلهم يرجعون ارادة ان
يرجعوا عن الكفر الى الايمان   لو اراد رجوعهم لكان   ارادته فعل غيره ليس الا ان
يأمره به ويطلب منه ايجاده فان كان ذلك على سبيل القسر وجد والا دار بين ان يوجد وان لا يوجد على
حسب اختيار المكلف وانما لم يكن الرجوع لان الارادة لم تكن قسرا ولم يختاروه والمراد بالعذاب السنون
والطوفان والجراد وغير ذلك وقالوا يا ايه الساحر ادع لنا ربك بما عهد عندك وقرئ يا ايه الساحر بضم
الهاء وقد سبق وجهه   كيف سموه بالساحر مع قولهم اننا لمهتدون   قولهم اننا
لمهتدون وعد منوى اخلافه وعهد معزوم على نكثه معلق بشرط ان يدعو لهم وينكشف عنهم العذاب
الا ترى الى قوله فلما كشفنا عنهم العذاب اذا هم ينكثون فما كانت تسميتهم اياه بالساحر بمنافية لقولهم
اننا لمهتدون وكانوا يقولون للعالم الماهر ساحر لاستعظامهم علم السحر ونادى فرعون فى قومه قال
يا قوم اليس لى ملك مصر وهذه الانهار تجرى من تحتى افلا تبصرون ام انا خير من هذا الذى هو مهين ولا يكاد

بما عهد عندك بعهده عندك من ان دعوتك مستجابة او بعهده عندك وهو النبوة او بما عهد عندك فوفيت به و
هو الايمان والطاعة او بما عهد عندك من كشف العذاب عمن اهتدى ونادى فرعون في قومه جعلهم محلا لندائه
وموقعا له والمعنى انه امر بالنداء في مجامعهم واماكنهم من نادى فيها بذلك فاسند النداء اليه كقولك قطع الامير
اللص اذا امر بقطعه ويجوز ان يكون عنده عظماء القبط فيرفع صوته بذلك فيما بينهم ثم ينشر عنه في
جموع القبط فكانه نودي به بينهم فقال اليس لي ملك مصر وهذه الانهار يعني انهار النيل ومعظمها اربعة
نهر الملك ونهر طولون ونهر دمياط ونهر تنيس قيل كانت تجري تحت قصره وقيل تحت سريره لارتفاعه
وقيل بين يدي في جناني وبساتيني ويجوز ان يكون الواو عاطفة للانهار على ملك مصر وتجري نصب
على الحال منها وان تكون الواو للحال واسم الاشارة مبتدا والانهار صفة لاسم الاشارة وتجري خبرا
للمبتدا وليت شعري كيف ارتقت الى دعوى الربوبية همة من تعاظم بملك مصر وعجب الناس من بدي
عظمته وامر فنودي بها في اسواق مصر وازقتها لئلا تخفى تلك الابهة والجلالة على صغير ولا كبير و
حتى يتربع في صدور الدهماء مقدار عزته وملكوته وعن الرشيد انه لما قراها قال لاولينها اخس
عبيدي فولاها الخصيب وكان على وضوئه وعن عبد الله بن طاهر انه وليها فخرج اليها فلما شارفها و
وقع عليها بصره قال اهي القرية التي افتخر بها فرعون حتى قال اليس لي ملك مصر والله لهي اقل عندي من
ان ادخلها فثنى عنانه ام انا خير ام هذه متصلة لان المعنى افلا تبصرون ام تبصرون الا انه وضع
قوله انا خير موضع تبصرون لانهم اذا قالوا له انت خير فهم عنده بصراء وهذا من انزال السبب منزلة المسبب
ويجوز ان تكون منقطعة على بل انا خير والهمزة للتقرير وذلك انه قدم تعديد اسباب الفضل والتقدم
عليهم من ملك مصر وجري الانهار تحته ونادى بذلك وملا به مسامعهم ثم قال انا خير كانه يقول اثبت
عندكم واستقر اني انا خير وهذه حالي من هذا الذي هو مهين اى ضعيف حقير وقرى اما انا خير
ولا يكاد يبين الكلام لما به من الرتة يريد انه ليس معه من العدد وآلات الملك والسياسة ما
يعتضد به وهو في نفسه مخل بما ينعت به الرجال من اللسن والفصاحة وكانت الانبياء كلهم ابيناء
بلغاء واراد بالقاء الاسورة عليه القاء مقاليد الملك اليه لانهم كانوا اذا ارادوا تسويد الرجل سوروه
بسوار وطوقوه بطوق من ذهب فلولا القي عليه اسورة من ذهب او جاء معه الملائكة مقترنين اما
مقترنين به من قولك قرنته به فاقترن به واما من اقترن بمعنى تقارنوا لما وصف نفسه بالملك و
العزة ووازن بينه وبين موسى صلوات الله عليه فوصفه بالضعف وقلة الاعضاد اعترض فقال
هلا ان كان صادقا ملكه ربه وسوده وسوره وجعل الملائكة اعضاده وانصاره وقرى اساور

جمع اسورة واساوير جمع اسوار وهو السوار واساورة على تعويض التاء من ياء اساوير وقرى القي عليه
اسورة على البناء للفاعل وهو الله عز وجل فاستخف قومه فاطاعوه انهم كانوا قوما فاسقين فاستفزهم و
حقيقته حملهم على ان يخفوا له ولما اراد منهم وكذلك استفزه من قولهم للخفيف فز فلما آسفونا انتقمنا منهم
فاغرقناهم اجمعين فجعلناهم سلفا ومثلا للآخرين آسفونا منقول من اسف اسفا اذا اشتد غضبه ومنه
الحديث في موت الفجاة رحمة للمؤمنين واخذة اسف للكافر ومعناه انهم افرطوا في المعاصي وعدوا طورهم
فاستوجبوا ان نعجل لهم عذابنا وانتقامنا وان لا نحلم عنهم وقرى سلفا جمع سالف كخدم وخادم وسلفا
بضمتين جمع سليف اى فريق قد سلف وسلفا جمع سلفة اى ثلة قد سلفت ومعناه فجعلناهم قدوة
للآخرين من الكفار يقتدون بهم في استحقاق مثل عقابهم ونزوله بهم لاتيانهم بمثل افعالهم وحديثا عجيب الشان
سائرا مسير المثل يحدثون به ويقال لهم مثلكم مثل قوم فرعون لما قرا رسول الله صلى الله عليه وسلم على
قريش انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم امتعضوا من ذلك امتعاضا شديدا فقال عبد الله
ابن الزبعرى يا محمد اخاصة لنا ولآلهتنا ام لجميع الامم فقال عليه السلام هو لكم ولآلهتكم ولجميع الامم
فقال خصمتك ورب الكعبة الست تزعم ان عيسى بن مريم نبي وتثني عليه خيرا وعلى امه وقد علمت
ان النصارى يعبدونهما وعزير يعبد والملائكة يعبدون فان كان هولاء في النار فقد رضينا ان
نكون نحن وآلهتنا معهم ففرحوا وضحكوا وسكت النبي صلى الله عليه وسلم فانزل الله تعالى ان الذين
سبقت لهم منا الحسنى ونزلت هذه الآية والمعنى ولما ضرب عبد الله بن الزبعرى عيسى بن مريم
مثلا وجادل رسول الله بعبادة النصارى اياه اذا قومك قريش منه من هذا المثل يصدون يرتفع لهم
جلبة وضجيج فرحا وجذلا وضحكا بما سمعوا منه من اسكات رسول الله صلى الله عليه وسلم بجدله
كما يرتفع لغط القوم ولجبهم اذا تعيوا بحجة ثم فتحت عليهم واما من قرا يصدون بالضم فهو من الصدود
اى من اجل هذا المثل يصدون عن الحق ويعرضون عنه وقيل من الصديد وهو الجلبة وانهما لغتان
نحو يعكف ويعكف ونظائر لهما وقالوا آلهتنا خير ام هو يعنون ان آلهتنا عندك ليست بخير من
عيسى فاذا كان عيسى من حصب جهنم كان امر آلهتنا هينا ما ضربوه اى ما ضربوا هذا المثل لك
الا جدلا الا لاجل الجدل والغلبة في القول لا لطلب الميز بين الحق والباطل بل هم قوم خصمون
لد شداد الخصومة دابهم اللجاج كقوله قوما لدا وذلك ان قوله تعالى انكم وما تعبدون ما
اريد به الا الاصنام وكذلك قوله عليه السلام هو لكم ولآلهتكم ولجميع الامم انما قصد به الاصنام ومحال
ان يقصد الانبياء والملائكة الا ان ابن الزبعرى بخبثه وخداعه وخبث دخلته لما راى كلام الله و

رسوله محتملا لفظه وجه العموم مع علمه بان المراد به اصنامهم لاغير وجد للمجادلة مساغا فصرف معناه
الى الشمول والاحاطة بكل معبود غير الله على طريق المحك والجدال وحب المغالبة والمكابرة وتوقح في ذلك
فتوقر رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى اجاب عنه ربه ان الذين سبقت لهم منا الحسنى فدل به على ان
الاية خاصة في الاصنام على ان ظاهر قوله وما تعبدون لغير العقلاء وقيل لما سمعوا قوله ان مثل
عيسى عند الله كمثل آدم قالوا نحن اهدى من النصارى لانهم عبدوا آدميا ونحن نعبد الملائكة فنزلت
وقوله أآلهتنا خير ام هو على هذا القول تفضيل لآلهتهم على عيسى لان المراد بهم الملائكة وما ضربوه لك الا جدلا
معناه وما قالوا هذا القول يعني أآلهتنا خير ام هو الا للجدال وقرئ أآلهتنا خير باثبات همزة الاستفهام
وباسقاطها لدلالة ام العديلة عليها وفي حرف ابن مسعود خير ام هذا ويجوز ان يكون جدلا حالا اى
جدلين وقيل لما نزلت ان مثل عيسى عند الله قالوا ما يريد محمد بهذا الا ان نعبده وانه يستأهل ان
يعبد وان كان بشرا كما عبدت النصارى المسيح وهو بشر ومعنى يصدون يضجون ويضجرون و
الضمير في ام هو لمحمد صلى الله عليه وسلم وغرضهم بالموازنة بينه وبين آلهتهم السخرية والاستهزاء ويجوز ان يقولوا
لما انكر عليهم قولهم الملائكة بنات الله وعبدوهم ما قلنا بدعا من القول ولا فعلنا نكرا من الفعل فان
النصارى جعلوا المسيح ابن الله وعبدوه ونحن اشف منهم قولا وفعلا فانا نسبنا اليه الملائكة وهم
نسبوا اليه الاناسي فقيل لهم مذهب النصارى شرك بالله ومذهبكم شرك مثله وما تنصلكم مما
انتم عليه بما اوردتموه الا قياس باطل بباطل وما عيسى الا عبد كسائر العبيد انعمنا عليه حيث جعلناه
آية بان خلقناه من غير سبب كما خلقنا آدم وشرفناه بالنبوة وصيرناه عبرة عجيبة كالمثل السائر
وجعلناه مثلا لبني اسرائيل ولو نشاء لقدرتنا على عجائب الامور وبدائع الفطر لجعلنا منكم لولدنا
منكم يا رجال ملائكة في الارض يخلفون يخلفونكم في الارض كما يخلفكم اولادكم كما ولدنا عيسى
من انثى من غير فحل لتعرفوا تميزنا بالقدرة الباهرة ولتعلموا ان الملائكة اجسام لا تتولد الا
من اجسام وذات القديم متعالية عن ذلك وانه وان عيسى عليه السلام لعلم للساعة اى
شرط من اشراطها تعلم به فسمى الشرط علما لحصول العلم به وقرأ ابن عباس لعلم وهو العلامة
وقرئ للعلم وقرأ ابي لذكر على تسمية ما تذكر به ذكرا كما سمى ما تعلم به علما وفي الحديث ان
عيسى عليه السلام ينزل على ثنية بالارض المقدسة يقال لها افيق وعليه ممصرتان وشعر رأسه
دهين وبيده حربة وبها يقتل الدجال فيأتي بيت المقدس والناس في صلاة الصبح والامام
يؤم بهم فيتأخر الامام فيتقدمه عيسى ويصلي خلفه على شريعة محمد عليه السلام ثم يقتل الخنازير

ويكسر الصليب ويخرب البيع والكنائس ويقتل النصارى الا من آمن به وعن الحسن ان الضمير للقرآن
وان القرآن تعلم الساعة لان فيه الاعلام به فلا تمترن بها من المرية وهي الشك واتبعون واتبعوا
هداى وشرعي او رسولي وقيل هذا امر لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان يقوله هذا صراط اى هذا الذى
ادعوكم اليه او هذا القرآن ان جعل الضمير في وانه للقرآن ولا يصدنكم الشيطان انه لكم عدو مبين
قد ابانت عداوته لكم اذ اخرج اباكم من الجنة ونزع عنه لباس النور ولما جاء عيسى بالبينات قال قد جئتكم
بالحكمة ولابين لكم بعض الذى تختلفون فيه فاتقوا الله واطيعون ان الله هو ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم
بالبينات بالمعجزات او بآيات الانجيل والشرائع البينات الواضحات بالحكمة يعني الانجيل والشرائع
هلا بين لهم كل الذى يختلفون فيه ولكن بعضه كانوا يختلفون في الديانات
وما يتعلق بالتكليف وفيما سوى ذلك مما لم يتعبدوا بمعرفته والسؤال عنه وانما بعث ليبين لهم
ما اختلفوا فيه مما يعنيهم من امر دينهم فاختلف الاحزاب من بينهم الاحزاب الفرق المتحزبة بعد عيسى
وقيل اليهود والنصارى فويل للذين ظلموا وعيد للاحزاب من بينهم الى من يرجع الضمير
فيه الى الذين خاطبهم عيسى في قوله قد جئتكم بالحكمة وهم قومه المبعوث اليهم من عذاب
يوم اليم هل ينظرون الا الساعة ان تأتيهم بدل من الساعة والمعنى هل ينظرون الا اتيان الساعة
اما ادى قوله بغتة مؤدى قوله وهم لا يشعرون فيستغنى عنه لا لان معنى قوله
وهم لا يشعرون وهم غافلون لاشتغالهم بامور دنياهم كقوله تأخذهم وهم يخصمون ويجوز ان تأتيهم
بغتة وهم فطنون الاخلاء بعضهم لبعض عدو يومئذ منصوب بعدو اى ينقطع يومئذ في ذلك
اليوم كل خلة بين المتخالين في غير ذات الله وينقلب عداوة ومقتا الا خلة المتصادقين
في الله فانها الخلة الباقية المزدادة قوة اذا رأوا ثواب التحاب في الله والتباغض في الله و
قيل الا المتقين الا المجتنبين اخلاء السوء وقيل نزلت في ابي بن خلف وعقبة بن ابي معيط
يا عبادي لا خوف عليكم اليوم ولا انتم تحزنون حكاية لما ينادى به المتقون المتحابون في الله يومئذ
الذين آمنوا منصوب المحل صفة لعبادى لانه منادى مضاف اى الذين صدقوا بآياتنا وكانوا
مسلمين مخلصين وجوههم لنا جاعلين انفسهم سالمة لطاعتنا وقيل اذا بعث الله الناس فزع
كل احد فينادي مناد يا عبادى فيرجوها الناس كلهم ثم يتبعها الذين آمنوا فييأس منها غير
المسلمين وقرئ يا عباد ادخلوا الجنة انتم وازواجكم تحبرون تسرون سرورا يظهر حباره اى
اثره على وجوهكم كقوله تعالى تعرف في وجوههم نضرة النعيم وقال الزجاج تكرمون اكراما يبالغ

فيه والحبرة المبالغة فيما وصف بجميل يطاف عليهم بصحاف من ذهب واكواب والكوب الكوز لا عروة له وفيها
الضمير للجنة ما تشتهيه الانفس وتلذ الاعين وانتم فيها خالدون وقرئ تشتهي وتشتهيه وهذا حصر
لانواع النعم لانها اما مشتهاة في القلوب او مستلذة في العيون وتلك اشارة الى الجنة المذكورة
وهي مبتدا والجنة خبر والتي اورثتموها صفة الجنة او الجنة صفة للمبتدا الذي هو اسم الاشارة
والذي اورثتموها خبر المبتدا او التي اورثتموها صفة وبما كنتم تعملون الخبر والباء تتعلق بمحذوف
كما في الظروف التي تقع اخبارا وفي الوجه الاول تتعلق باورثتموها وشبهت في بقائها على اهلها
بالميراث الباقي على الورثة وقرئ ورثتموها لكم فيها فاكهة كثيرة منها تاكلون من للتبعيض اي لا تاكلون
الا بعضها واعقابها باقية في شجرها فهي مزينة بالثمار ابدا موقرة بها لا ترى شجرة عريانة من
ثمرها كما في الدنيا وعن النبي صلى الله عليه وسلم لا ينزع رجل في الجنة من ثمرها الا نبت مكانها مثلاها
ان المجرمين في عذاب جهنم خالدون لا يفتر عنهم لا يخفف ولا ينقص من قولهم فترت عنه الحمى اذا سكنت
عنه قليلا ونقص حرها وهم فيه مبلسون والمبلس اليائس الساكت سكوت يائس من فرج وعن الضحاك
يجعل المجرم في تابوت من نار ثم يردم عليه فيبقى خالدا لا يرى ولا يرى وما ظلمناهم ولكن كانوا هم الظالمين
ونادوا يا مالك هم فصل عند البصريين عماد عند الكوفيين وقرئ وهم فيها اي في النار وقرأ علي
وابن مسعود يا مال بحذف الكاف للترخيم كقول القائل والحق يا مال غير ما تصف
وقيل لابن عباس ان ابن مسعود قرأ ونادوا يا مال فقال ما اشغل اهل النار عن الترخيم وعن
بعضهم حسن الترخيم انهم يقتطعون بعض الاسم لضعفهم وعظم ما هم فيه وقرأ ابو السرار الغنوي
يا مال بالرفع كما يقال يا حار ليقض علينا ربك من قضى عليه اذا اماته فوكزه موسى فقضى عليه والمعنى سل ربك
ان يقضي علينا كيف قال ونادوا يا مالك بعد ما وصفهم بالابلاس تلك
ازمنة متطاولة واحقاب ممتدة فتختلف بهم الاحوال فيسكتون اوقاتا لغلبة الياس عليهم و
علمهم انه لا فرج ويغوثون اوقاتا لشدة ما بهم قال انكم ماكثون لابثون وفيه استهزاء والمراد
خالدون عن ابن عباس انما يجيبهم بعد الف سنة وعن النبي صلى الله عليه وسلم يلقى على اهل النار
الجوع حتى يعدل ما هم فيه من العذاب فيقولون ادعوا مالكا فيدعون يا مالك ليقض علينا ربك لقد
جئناكم بالحق كلام الله عز وجل بدليل قراءة من قرأ لقد جئتكم ويجب ان يكون في قال ضمير الله لما سالوا
مالكا ان يسأل الله القضاء عليهم اجابهم الله بذلك ولكن اكثركم للحق كارهون لا يقبلونه وينفرون
منه ويشمئزون لان مع الباطل الدعة ومع الحق التعب ام ابرموا مشركوا مكة امرا من كيدهم ومكرهم

برسول الله صلى الله عليه وسلم فانا مبرمون كيدنا كما ابرموا كيدهم كقوله ام يريدون كيدا فالذين كفروا هم المكيدون
ام يحسبون انا لا نسمع سرهم ونجواهم وكانوا يتنادون فيتناجون في امر رسول الله صلى الله عليه وسلم
ما المراد بالسر والنجوى السر ما حدث به الرجل نفسه او غيره في مكان خال والنجوى ما تكلموا به فيما بينهم
بلى نسمعهما ونطلع عليهما ورسلنا يريد الحفظة عندهم لديهم يكتبون ذلك وعن يحيى بن معاذ الرازي من
ستر من الناس ذنوبه وابداها للذي لا يخفى عليه شيء في السموات فقد جعله اهون الناظرين اليه وهو
وثبت من علامات النفاق قل ان كان للرحمن ولد وصح ذلك ببرهان صحيح توردونه وحجة واضحة تدلون
بها فانا اول العابدين من يعظم ذلك الولد واسبقكم الى طاعته والانقياد له كما يعظم الرجل ولد
الملك لتعظيم ابيه وهذا كلام وارد على سبيل الفرض والتمثيل لغرض وهو المبالغة في نفي الولد والاطناب
فيه وان لا يترك الناطق به شبهة الا مضمحلة مع الترجمة عن نفسه بثبات القدم في باب
التوحيد وذلك انه علق العبادة بكينونة الولد وهي محال في نفسها فكان المعلق بها محالا مثلها
فهو في صورة اثبات الكينونة والعبادة وفي معنى نفيهما على ابلغ الوجوه واقواها ونظيره قول العدلي
للمجبر ان كان الله خالقا للكفر في القلوب ومعذبا عليه عذابا سرمدا فانا اول من يقول هو شيطان
وليس باله فمعنى هذا الكلام وما وضع له اسلوبه ونظمه نفي ان يكون الله خالقا للكفر وتنزيهه
عن ذلك وتقديسه ولكن على طريق المبالغة فيه من الوجه الذي ذكرنا مع الدلالة على سماجة المذهب
وضلالة الذاهب اليه والشهادة القاطعة باحالته والافصاح عن نفسه بالبراءة منه وغاية
النفار والاشمئزاز من ارتكابه ونحو هذه الطريقة قول سعيد بن جبير للحجاج حين قال له اما
والله لابدلنك بالدنيا نارا تلظى لو عرفت ان ذلك اليك ما عبدت الها غيرك وقد تمحل
الناس بما اخرجوه به من هذا الاسلوب الشريف المليء بالنكت اللطائف الفوائد المستقل
باثبات التوحيد على ابلغ وجوهه فقيل ان كان للرحمن ولد في زعمكم فانا اول العابدين الموحدين
لله المكذبين قولكم باضافة الولد اليه وقيل ان كان للرحمن ولد في زعمكم فانا اول الانفين من
ان يكون له ولد من عبد يعبد اذا اشتد انفه فهو عبد وعابد وقرأ بعضهم عبدين وقيل
هي ان النافية اي ما كان للرحمن ولد فانا اول من قال بذلك وعبد ووحد وروي ان النضر بن
عبد الدار بن قصي قال ان الملائكة بنات الله فنزلت فقال النضر الا ترون انه قد صدقني
فقال له الوليد بن المغيرة ما صدقك ولكن قال ما كان للرحمن ولد فانا اول الموحدين من اهل مكة
ان لا ولد له وقرئ ولد بضم الواو سبحان رب السموات والارض رب العرش عما يصفون ثم نزه ذاته

موصوفة بربوبية السموات والأرض والعرش عن اتخاذ الولد ليدل على أنه من صفة الأجسام ولو كان جسما
لم يقدر على خلق هذا العالم وتدبير أمره فذرهم يخوضوا في باطلهم ويلعبوا في دنياهم حتى يلاقوا يومهم
الذي يوعدون وهذا دليل على أن ما يقولونه من باب الجهل والخوض واللعب وإعلام لرسول الله صلى
الله عليه وسلم أنهم من المطبوع على قلوبهم الذين لا يرجعون البتة وإن ركب في دعوتهم كل صعب وذلول
وخذلان لهم وتخلية كقوله اعملوا ما شئتم وإيعاد بالشقاء في العاقبة وهو الذي في السماء إله وفي
الأرض إله وهو الحكيم العليم ضمن اسمه تعالى معنى وصف فلذلك علق به الظرف في قوله في السماء وفي
الأرض كما تقول هو حاتم في طي حاتم في تغلب على تضمين معنى الجواد الذي شهر به كأنك قلت هو جواد في طي
جواد في تغلب وقرئ وهو الذي في السماء الله وفي الأرض الله ومثله قوله وهو الله في السموات وفي
الأرض كأنه ضمن معنى المعبود أو المالك ونحو ذلك والراجع إلى الموصول محذوف لطول الكلام كقولهم
ما أنا بالذي قائل لك شيئا وزاده طولا أن المعطوف داخل في حيز الصلة ويحتمل أن يكون في
السماء صلة الذي وإله خبر مبتدأ محذوف على أن الجملة بيان للصلة وأن كونه في السماء على سبيل
الإلهية والربوبية لا على معنى الاستقرار وفيه نفي الآلهة التي كانت تعبد في الأرض الذي له ملك
السموات والأرض وما بينهما وعنده علم الساعة وإليه ترجعون قرئ بضم التاء وفتحها ويرجعون بياء مضمومة
وقرئ تحشرون بالتاء ولا يملك آلهتهم الذين يدعون من دونه الشفاعة إلا من شهد بالحق وهم
يعلمون ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله فأنى يؤفكون كما زعموا أنهم شفعاؤهم عند الله ولكن
من شهد بالحق وهو توحيد الله وهو يعلم ما يشهد به عن بصيرة وإيقان وإخلاص هو الذي
يملك الشفاعة وهو استثناء منقطع ويجوز أن يكون متصلا لأن في جملة الذين يدعون من دون الله
الملائكة وقرئ تدعون بالتاء وتدّعون بالتاء وتشديد الدال وقيله قرئ بالحركات الثلاث يا رب
وذكر في النصب عن الأخفش أنه حمله على أم يحسبون أنا لا نسمع سرهم ونجواهم وقيله وعنه
وقال قيله وعطفه الزجاج على محل الساعة كما تقول عجبت من ضرب زيد وعمرا وحمل الجر على
لفظ الساعة والرفع على الابتداء والخبر ما بعده وجوز عطفه على علم الساعة على تقدير حذف
المضاف معناه وعنده علم الساعة وعلم قيله والذي قالوه ليس بقوي في المعنى مع وقوع الفصل
بين المعطوف والمعطوف عليه بما لا يحسن اعتراضا ومع تنافر النظم وأقوى من ذلك وأوجه
أن يكون الجر والنصب على إضمار حرف القسم وحذفه والرفع على قولهم أيمن الله وأمانة الله ويمين الله و
لعمرك ويكون قوله إن هؤلاء قوم لا يؤمنون جواب القسم كأنه قيل وأقسم بقيله يا رب أو وقيله يا رب

قسمي إن هؤلاء قوم لا يؤمنون فاصفح عنهم وأعرض عن دعوتهم يائسا عن إيمانهم وودعهم وتاركهم وقل لهم سلام أي تسلم
منكم ومتاركة فسوف يعلمون وعيد من الله لهم وتسلية لرسوله والضمير في وقيله لرسول الله وإقسام
الله بقيله رفع منه وتعظيم لدعائه والتجائه إليه عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الزخرف كان
ممن يقال له يوم القيامة يا عبادي لا خوف عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون ادخلوا الجنة بغير حساب

سورة الدخان مكية إلا قوله إنا كاشفوا العذاب قليلا الآية وهي سبع وخمسون آية وقيل تسع وخمسون

بسم الله الرحمن الرحيم حم والكتاب المبين الواو في والكتاب واو القسم إن جعلت حم تعديدا للحروف
أو اسما للسورة مرفوعا على خبر الابتداء المحذوف وواو العطف إن كانت حم مقسما بها وقوله إنا أنزلناه
في ليلة مباركة جواب القسم والكتاب المبين القرآن والليلة المباركة ليلة القدر وقيل ليلة النصف
من شعبان ولها أربعة أسماء الليلة المباركة وليلة البراءة وليلة الصك وليلة الرحمة
وقيل بينها وبين ليلة القدر أربعون ليلة وقيل في تسميتها ليلة البراءة والصك أن البندار
إذا استوفى الخراج من أهله كتب لهم البراءة كذلك الله عز وجل يكتب لعباده المؤمنين البراءة في هذه
الليلة وقيل هي مختصة بخمس خصال تفريق كل أمر حكيم وفضيلة العبادة فيها قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم من صلى في هذه الليلة مائة ركعة أرسل الله إليه مائة ملك ثلاثون يبشرونه بالجنة
وثلاثون يؤمنونه من عذاب النار وثلاثون يدفعون عنه آفات الدنيا وعشرة يدفعون عنه مكايد
الشيطان ونزول الرحمة قال عليه السلام إن الله تعالى يرحم أمتي في هذه الليلة بعدد شعر أغنام
بني كلب وحصول المغفرة قال عليه السلام إن الله تعالى يغفر لجميع المسلمين في تلك الليلة إلا لكاهن أو ساحر
أو مشاحن أو مدمن خمر أو عاق للوالدين أو مصر على الزنى وما أعطي فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم من تمام
الشفاعة وذلك أنه سأل ليلة الثالث عشر من شعبان في أمته فأعطي الثلث منها ثم سأل ليلة الرابع عشر
فأعطي الثلثين ثم سأل ليلة الخامس عشر فأعطي الجميع إلا من شرد على الله شراد البعير ومن عادة الله في
هذه الليلة أن يزيد فيها ماء زمزم زيادة ظاهرة والقول الأكثر أن المراد بالليلة المباركة ليلة
القدر لقوله تعالى إنا أنزلناه في ليلة القدر ولمطابقة قوله فيها يفرق كل أمر حكيم لقوله تنزل الملائكة
والروح فيها بإذن ربهم من كل أمر وقوله شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن وليلة القدر في أكثر الأقاويل
في شهر رمضان ما معنى إنزال القرآن في هذه الليلة قالوا أنزل جملة واحدة
من السماء السابعة إلى السماء الدنيا وأمر السفرة الكرام بانتساخه في ليلة القدر فكان جبريل ينزله

على رسول الله صلى الله عليه وسلم نجوماً نجوماً إنا كنا منذرين فيها يفرق كل أمر حكيم ما موقع
هاتين الجملتين هما جملتان مستأنفتان ملفوفتان فسر بهما جواب القسم الذي هو قوله إنا أنزلناه
في ليلة مباركة كأنه قيل أنزلناه لأن من شأننا الإنذار والتحذير من العقاب وكان إنزالنا إياه في هذه
الليلة خصوصاً لأن إنزال القرآن من الأمور الحكيمة وهذه الليلة مفرق كل أمر حكيم والمباركة الكثيرة
الخير لما يتيح الله فيها من الأمور التي يتعلق بها منافع العباد في دينهم ودنياهم ولو لم يوجد فيها إلا إنزال القرآن
وحده لكفى به بركة ومعنى يفرق يفصل ويكتب كل أمر حكيم من أرزاق العباد وآجالهم وجميع أمرهم منها
إلى الأخرى القابلة وقيل يبدأ في استنساخ ذلك من اللوح المحفوظ في ليلة البراءة ويقع الفراغ في ليلة
القدر فيدفع نسخة الأرزاق إلى ميكائيل ونسخة الحروب إلى جبرئيل وكذلك الزلازل والصواعق والخسف
ونسخة الأعمال إلى إسماعيل صاحب سماء الدنيا وهو ملك عظيم ونسخة المصائب إلى ملك الموت وعن بعضهم
يعطى كل عامل بركات أعماله فيلقى على ألسنة الخلق مدحه وعلى قلوبهم هيبته وقرئ يفرّق بالتشديد
ويفرق كلَّ على بنائه للفاعل ونصب كل والفارق الله عز وجل وقرأ زيد بن علي نفرق بالنون كل
أمر حكيم كل شأن ذي حكمة أي مفعول على ما تقتضيه الحكمة وهو من الإسناد المجازي لأن الحكيم صفة
صاحب الأمر على الحقيقة ووصف الأمر به مجاز أمراً من عندنا نصب على الاختصاص جعل كل أمر جزلاً
فخماً بأن وصفه بالحكيم ثم زاده جزالة وكسبه فخامة بأن قال أعني بهذا الأمر أمراً حاصلاً من عندنا
كائناً من لدنا وكما اقتضاه علمنا وتدبيرنا ويجوز أن يراد به الأمر الذي هو ضد النهي ثم إما
أن يوضع موضع فرقاناً الذي هو مصدر يفرق لأن معنى الأمر والفرقان واحد من حيث إنه
إذا حكم بالشيء وكتبه فقد أمر به وأوجبه وإما أن يكون حالاً من أحد الضميرين في أنزلناه إما من ضمير
الفاعل أي أنزلناه آمرين أمراً أو من ضمير المفعول أي أنزلناه في حال كونه أمراً من عندنا بما يجب أن يفعل
إنا كنا مرسلين رحمة من ربك بم يتعلق يجوز أن يكون بدلاً من قوله إنا كنا منذرين
ورحمة من ربك مفعولاً له على معنى إنا أنزلنا القرآن لأن من شأننا إرسال الرسل بالكتب إلى عبادنا لأجل
الرحمة عليهم وأن يكون تعليلاً ليفرق أو لقوله أمراً من عندنا ورحمة مفعولاً به وقد وصف الرحمة
بالإرسال كما وصفها به في قوله وما يمسك فلا مرسل له من بعده أي يفصل في هذه الليلة كل أمر
أو تصدر الأوامر من عندنا لأن من عادتنا أن نرسل رحمتنا وفصل كل أمر من قسمة الأرزاق
وغيرها من باب الرحمة وكذلك الأوامر الصادرة من جهته عز وعلا لأن الغرض في تكليف العباد
تعريضهم للمنافع والأصل إنا كنا مرسلين رحمة منا فوضع الظاهر موضع الضمير إيذاناً بأن الربوبية

تقتضي الرحمة على المربوبين وفي قراءة زيد بن علي أمرٌ من عندنا على هو أمر وهي تنصر انتصابه على الاختصاص
وقرأ الحسن رحمةٌ من ربك على تلك رحمة وهي تنصر انتصابها بأنه مفعول له إنه هو السميع العليم وما بعده
تحقيق لربوبيته وأنها لا تحق إلا لمن هذه أوصافه رب السموات والأرض وما بينهما وقرئ رب السموات وربكم
ورب آبائكم بالجر بدلاً من ربك ما معنى الشرط الذي هو قوله إن كنتم موقنين كانوا يقرون
بأن للسموات والأرض رباً وخالقاً فقيل لهم إن إرسال الرسل وإنزال الكتب رحمة من الرب ثم قيل إن
هذا الرب هو السميع العليم الذي أنتم مقرون به ومعترفون بأنه رب السموات والأرض وما بينهما إن كان
إقراركم عن علم وإيقان كما تقول إن هذا إنعام زيد الذي تسامع الناس بكرمه واشتهروا سخاءه إن بلغك حديثه
وحدثت بقصته ثم رد أن يكونوا موقنين بقوله لا إله إلا هو يحيي ويميت ربكم ورب آبائكم الأولين بل هم في شك
يلعبون وأن إقرارهم غير صادر عن علم وتيقن ولا عن جد وحقيقة بل قول مخلوط بهزؤ ولعب
فارتقب يوم تأتي السماء مفعول به يرتقب يقال رقبته وارتقبته نحو نظرته وانتظرته واختلف في الدخان
فعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه وبه أخذ الحسن أنه دخان يأتي من السماء قبل يوم القيامة يدخل في أسماع
الكفرة حتى يكون رأس الواحد كالرأس الحنيذ ويعتري المؤمن منه كهيئة الزكام وتكون الأرض كلها كبيت أوقد
فيه ليس فيه خصاص وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم أول الآيات الدجال ونزول عيسى ابن مريم ونار تخرج
من قعر عدن أبين تسوق الناس إلى المحشر قال حذيفة يا رسول الله وما الدخان فتلا رسول
الله صلى الله عليه وسلم الآية وقال يملأ ما بين المشرق والمغرب يمكث أربعين يوماً وليلة أما المؤمن
فيصيبه كهيئة الزكمة وأما الكافر فهو كالسكران يخرج من منخريه وأذنيه ودبره وعن ابن مسعود خمس
قد مضت الروم والدخان والقمر والبطشة واللزام ويروى أنه قيل لابن مسعود إن قاصاً عند
أبواب كندة يقول إنه دخان يأتي يوم القيامة فيأخذ بأنفاس الخلق فقال من علم علماً فليقل به ومن لم يعلم
فليقل الله أعلم فإن من علم الرجل أن يقول لشيء لا يعلمه الله أعلم ثم قال ألا وسأحدثكم أن
قريشاً لما استعصت على رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا عليهم فقال اللهم اشدد وطأتك على
مضر واجعلها عليهم سنين كسني يوسف فأصابهم الجهد حتى أكلوا الجيف والعلهز وكان الرجل
يرى بين السماء والأرض الدخان وكان يحدث الرجل فيسمع كلامه ولا يراه من الدخان فمشى إليه أبو سفيان
ونفر معه وناشده الله والرحم وواعده إن دعا لهم وكشف عنهم أن يؤمنوا فلما كشف عنهم رجعوا إلى
شركهم بدخان مبين ظاهر حاله لا يشك أحد في أنه دخان يغشى الناس يشملهم ويلبسهم وهو في
محل الجر صفة لدخان هذا عذاب أليم ربنا اكشف عنا العذاب إنا مؤمنون إلى قوله إنا مؤمنون منصوب المحل

بفعل مضمر وهو يقولون ويقولون منصوب على الحال اى قائلين ذلك انا مؤمنون موعدة بالايمان ان كشف
عنهم العذاب انى لهم الذكرى كيف يذكرون ويتعظون ويفون بما وعدوه من الايمان عند كشف العذاب
وقد جاءهم رسول مبين ثم تولوا عنه وقالوا معلم مجنون وهو ما هو اعظم وادخل فى وجوب الادكار من كشف
الدخان وهو ما ظهر على رسول الله صلى الله عليه وسلم من الآيات والبينات من الكتاب المعجز وغيره من المعجزات
فلم يذكروا وتولوا عنه وبهتوه بان عداسا غلاما اعجميا لبعض ثقيف هو الذى علمه ونسبوه الى الجنون
ثم قال انا كاشفوا العذاب قليلا انكم عائدون اى ريثما نكشف عنكم العذاب تعودون الى شرككم لا تلبثون غب
الكشف على ما انتم عليه من الابتهال والتضرع كيف يستقيم على قول من جعل الدخان قبل
القيمة وقوله انا كاشفوا العذاب قليلا اذا اتت السماء بالدخان تضور المعذبون به من
الكفار والمنافقين وغوثوا وقالوا ربنا اكشف عنا العذاب انا مؤمنون منيبون فيكشفه الله عنهم بعد
اربعين فريثما يكشفه عنهم يرتدون لا يتمهلون ثم قال يوم نبطش البطشة الكبرى يريد يوم القيمة كقوله
فاذا جاءت الطامة الكبرى انا منتقمون اى ننتقم منهم فى ذلك اليوم بم انتصب يوم نبطش
بما دل عليه انا منتقمون وهو ننتقم ولا يصح ان ينتصب بمنتقمون لان ان يحجب عن ذلك وقرئ
نبطش بضم الطاء وقرا الحسن نبطش بضم النون كانه يحمل الملائكة على ان يبطشوا بهم البطشة الكبرى او
يجعل البطشة الكبرى باطشة بهم وقيل البطشة الكبرى يوم بدر وقرئ ولقد فتنا قبلهم بالتشديد
للتاكيد او لوقوعه على القوم ومعنى الفتنة انه امهلهم ووسع عليهم فى الرزق فكان ذلك سببا فى ارتكابهم
المعاصى واقترافهم الآثام او ابتلاهم بارسال موسى اليهم ليؤمنوا فاختاروا الكفر على الايمان او سلبهم
ملكهم واغرقهم قوم فرعون وجاءهم رسول كريم على الله وعلى عباده المؤمنين او كريم فى نفسه لان الله لم يبعث
نبيا الا من سراة قومه وكرامهم ان ادوا الى هى ان المفسرة لان مجئ الرسول من بعث اليهم متضمن لمعنى القول
لانه لا يجيئهم الا مبشرا ونذيرا وداعيا الى الله او المخففة من الثقيلة ومعناه وجاءهم بان الشان
والحديث ادوا الى وعباد الله مفعول به وهم بنو اسرائيل يقول ادوهم الى وارسلوهم معى كقوله
ارسل معنا بنى اسرائيل ولا تعذبهم ويجوز ان يكون نداء لهم على ادوا الى يا عباد الله ما هو واجب
لى عليكم من الايمان لى وقبول دعوتى واتباع سبيلى وعلل ذلك بانه رسول امين غير ظنين قد ائتمنه
الله على وحيه ورسالته وان لا تعلوا ان هذه مثل الاولى فى وجهيها اى لا تستكبروا على الله بالاستهانة
برسوله ووحيه او لا تستكبروا على نبى الله انى آتيكم بسلطان مبين بحجة واضحة وانى عذت بربى وربكم
ان ترجمون ان تقتلونى وقرئ عذت بالادغام ومعناه انه عائذ بربه متكل على انه يعصمه منهم ومن

كيدهم فهو غير مبال بما كانوا يتوعدونه من الرجم والقتل وان لم تؤمنوا لى فاعتزلون يريد ان لم تؤمنوا لى
فلا موالاة بينى وبين من لا يؤمن فتنحوا عنى واقطعوا اسباب الوصلة عنى او فخلوا الى كفافا لا لى ولا على
ولا تتعرضوا لى بشركم واذاكم فليس جزاء من دعاكم الى ما فيه فلاحكم ذلك فدعا ربه ان هؤلاء قوم مجرمون ان
هؤلاء بان هؤلاء اى دعا ربه بذلك قيل كان دعاؤه اللهم عجل لهم ما يستحقونه باجرامهم وقيل هو قوله
ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين وانما ذكر الله تعالى السبب الذى استوجبوا به الهلاك وهو كونهم
مجرمين وقرئ ان هؤلاء بالكسر على اضمار القول اى فدعا ربه فقال ان هؤلاء فاسر بعبادى ليلا انكم
متبعون واترك البحر رهوا انهم جند مغرقون قرئ بقطع الهمزة من اسرى ووصلها من سرى وفيه وجهان
اضمار القول بعد الفاء فقال اسر بعبادى وان يكون جواب شرط محذوف كانه قيل قال ان كان الامر
كما تقول فاسر بعبادى يعنى بنى اسرائيل فقد دبر الله ان تتقدموا وان يتبعكم فرعون وجنوده فينجى
المتقدمين ويغرق التابعين الرهو فيه وجهان احدهما انه الساكن قال الاعشى
يمشين رهوا فلا الاعجاز خاذلة ولا الصدور على الاعجاز تتكل اى مشيا ساكنا على هينة اراد موسى لما
جاوز البحر ان يضربه بعصاه فينطبق كما ضربه فانفلق فامر بان يتركه ساكنا على هيئته قارا
على حاله من انتصاب الماء وكون الطريق يبسا لا يضربه بعصاه ولا يغير منه شيئا ليدخله القبط
فاذا حصلوا فيه اطبقه الله عليهم والثانى ان الرهو الفجوة الواسعة وعن بعض العرب انه رأى جملا
فالجا فقال سبحان الله رهو بين سنامين اى اتركه مفتوحا على حاله منفرجا انهم جند وقرئ
بالفتح بمعنى لانهم والمقام الكريم ما كان لهم من المجالس والمنازل الحسنة وقيل المنابر والنعمة بالفتح من
التنعم وبالكسر من الانعام كم تركوا من جنات وعيون وزروع ومقام كريم ونعمة كانوا فيها فاكهين وفكهين

وقرئ

كذلك الكاف منصوبة على معنى مثل ذلك الاخراج اخرجناهم منها واورثناها او فى موضع الرفع على
الامر كذلك قوما آخرين ليسوا منهم فى شئ من قرابة ولا دين ولا ولاء وهم بنو اسرائيل كانوا متسخرين
مستعبدين فى ايديهم فاهلكهم الله على ايديهم واورثهم ملكهم وديارهم اذا مات رجل خطير قالت
العرب فى تعظيم مهلكه بكت عليه السماء والارض وبكته الريح واظلمت له الشمس وفى حديث رسول
الله صلى الله عليه وسلم ما من مؤمن مات فى غربة غابت فيها بواكيه الا بكت عليه السماء والارض وقال جرير
تبكى عليك نجوم الليل والقمرا وقالت الخارجية ايا شجر الخابور ما لك مورقا كانك لم تجزع على ابن طريف
وذلك على سبيل التمثيل والتخييل مبالغة فى وجوب الجزع والبكاء عليه وكذلك ما يروى عن ابن عباس
من بكاء مصلى المؤمن وآثاره فى الارض ومصاعد عمله ومهابط رزقه فى السماء تمثيل ونفى ذلك فى قوله فما

بكت عليهم السماء والأرض فيه تهكم بهم وبحالهم المنافية لحال من يعظم فقده فيقال فيه بكت عليه السماء و
الأرض وعن الحسن فما بكى عليهم الملائكة والمؤمنون بل كانوا بهلاكهم مسرورين يعني فما بكى عليهم أهل السماء
والأرض وما كانوا منظرين لما جاء وقت هلاكهم لم ينظروا إلى وقت آخر ولم يمهلوا إلى الآخرة بل عجل لهم في الدنيا
ولقد نجينا بني إسرائيل من العذاب المهين من فرعون بدل من العذاب المهين كأنه في نفسه كان عذابا مهينا
لإفراطه في تعذيبهم وإهانتهم ويجوز أن يكون المعنى من العذاب المهين واقعا من جهة فرعون وقرئ
من عذاب المهين ووجهه أن يكون تقدير قوله من فرعون من عذاب فرعون حتى يكون المهين هو فرعون و
في قراءة ابن عباس من فرعون لما وصف عذاب فرعون بالشدة والفظاعة قال من فرعون على هل تعرفونه
من هو في عتوه وشيطنته ثم عرف حاله في ذلك بقوله إنه كان عاليا من المسرفين أي كبيرا رفيع الطبقة من
بينهم فائقا لهم بليغا في إسرافه أو عاليا متكبرا كقوله إن فرعون علا في الأرض ومن المسرفين خبر ثان كأنه
قال إنه كان متكبرا مسرفا ولقد اخترناهم الضمير في اخترناهم لبني إسرائيل وعلى علم في موضع الحال أي عالمين بمكان
الخيرة وبأنهم أحقاء بأن يختاروا ويجوز أن يكون المعنى مع علم منا بأنهم يزيغون وتفرط منهم الفرطات
في بعض الأحوال على العالمين على عالمي زمانهم وقيل على الناس جميعا لكثرة الأنبياء منهم وآتيناهم من الآيات
من نحو فلق البحر وتظليل الغمام وإنزال المن والسلوى وغير ذلك من الآيات العظام التي لم يظهر الله في غيرهم
مثلها ما فيه بلاء مبين نعمة ظاهرة لأن الله تعالى يبلو بالنعمة كما يبلو بالمصيبة أو اختبار ظاهر لينظر
كيف تعملون كقوله وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم إن هؤلاء ليقولون هؤلاء إشارة إلى كفار قريش
كان الكلام واقعا في الحياة الثانية لا في الموت فهلا قيل إن هي إلا حياتنا الأولى وما
نحن بمنشرين كما قيل إن هي إلا حياتنا الدنيا وما نحن بمبعوثين وما معنى قوله إن هي إلا موتتنا الأولى
وما معنى ذكر الأولى كأنهم وعدوا موتة أخرى حتى نفوها وجحدوها وأثبتوا الأولى
معناه والله الموفق للصواب أنه قيل لهم إنكم تموتون موتة يتعقبها حياة كما تقدمتكم موتة
قد تعقبتها حياة وذلك قوله عز وجل كنتم أمواتا فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم فقالوا إن هي إلا
موتتنا الأولى يريدون ما الموتة التي من شأنها أن يتعقبها حياة إلا الموتة الأولى دون الموتة الثانية
وما هذه الصفة التي تصفون بها الموتة من تعقب الحياة لها إلا للموتة الأولى خاصة فلا فرق إذن
بين هذا وبين قوله إن هي إلا حياتنا الدنيا في المعنى يقال أنشر الله الموتى ونشرهم إذا بعثهم فأتوا
بآبائنا إن كنتم صادقين أهم خير أم قوم تبع والذين من قبلهم أهلكناهم إنهم كانوا مجرمين خطاب للذين كانوا
يعدونهم النشور من رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين أي إن صدقتم فيما تقولون فعجلوا لنا

وما نحن بمنشرين

إحياء من مات من آبائنا بسؤالكم ربكم ذلك حتى يكون دليلا على أن ما تعدوننا من قيام الساعة
وبعث الموتى حق وقيل كانوا يطلبون إليهم أن يدعوا الله فينشر لهم قصي بن كلاب ليشاوروه فإنه كان
كبيرهم ومشاورهم في النوازل ومعاظم الشؤون تبع الحميري كان مؤمنا وقومه كافرين ولذلك
ذم الله قومه ولم يذمه وهو الذي سار بالجيوش وحير الحيرة وبنى سمرقند وقيل هدمها وكان
إذا كتب قال باسم الذي ملك برا وبحرا وعن النبي صلى الله عليه وسلم لا تسبوا تبعا فإنه كان قد أسلم
وعنه عليه السلام ما أدري أكان تبع نبيا أو غير نبي وعن ابن عباس كان نبيا وقيل نظر إلى قبرين بناحية
حمير هذا قبر رضوى وقبر حبى بنتي تبع لا تشركان بالله شيئا وقيل هو الذي كسا البيت وقيل
لملوك اليمن التبابعة لأنهم يتبعون كما قيل الأقيال لأنهم يتقيلون وسمي الظل تبعا لأنه يتبع الشمس
ما معنى قوله أهم خير ولا خير في الفريقين معناه أهم خير في القوة والمنعة كقوله
تعالى أكفاركم خير من أولئكم بعد ذكر آل فرعون وفي تفسير ابن عباس أهم أشد أم قوم تبع وما
خلقنا السماء والأرض وما بينهما لاعبين ما خلقناهما إلا بالحق ولكن أكثرهم لا يعلمون إن يوم الفصل ميقاتهم أجمعين
يوم وما بينهما وما بين الجنسين وقرأ عبيد بن عمير وما بينهن وقرأ ميقاتهم بالنصب على أنه اسم إن و
يوم الفصل خبرها أي إن ميعاد حسابهم وجزائهم في يوم الفصل لا يغني مولى أي مولى كان من قرابة
أو غيرها عن أي مولى كان عن مولى شيئا من إغناء أي قليلا منه ولا هم ينصرون الضمير للموالي لأنهم في المعنى
كثير لتناول اللفظ على الإبهام والشياع كل مولى إلا من رحم في محل الرفع على البدل من الواو في ينصرون
أي لا يمنع من العذاب إلا من رحم الله ويجوز أن ينتصب على الاستثناء إنه هو العزيز لا ينصر منه من عصاه
الرحيم لمن أطاعه قرئ إن شجرة الزقوم بكسر الشين وفيها ثلاث لغات شجرة بفتح الشين وكسرها و
شيرة بالياء وروي أنه لما نزل أذلك خير نزلا أم شجرة الزقوم قال ابن الزبعرى إن أهل اليمن
يدعون أكل الزبد والتمر الزقوم فدعا أبو جهل بتمر وزبد وقال تزقموا فإن هذا هو الذي يخوفكم
به محمد فنزل إن شجرة الزقوم طعام الأثيم وهو الفاجر الكثير الآثام وعن أبي الدرداء أنه كان يقرئ
رجلا فكان يقول طعام اليتيم فقال قل طعام الفاجر يا هذا وبهذا يستدل على أن إبدال كلمة مكان كلمة
جائز إذا كانت مؤدية معناها ومنه أجاز أبو حنيفة رحمه الله القراءة بالفارسية على شريطة و
هي أن تؤدي القارئ المعاني على كمالها من غير أن يخرم منها شيئا قالوا وهذه الشريطة
تشهد أنها إجازة كلا إجازة لأن في كلام العرب خصوصا القرآن الذي هو معجز بفصاحته و
غرابة نظمه وأساليبه من لطائف المعاني والأغراض ما لا يستقل بأدائه لسان من فارسية وغيرها

وما كان أبو حنيفة يحسن الفارسية فلم يكن ذلك منه عن تحقق وتبصر وروى علي بن الجعد عن أبي يوسف
عن أبي حنيفة مثل قول صاحبيه في انكار القراءة بالفارسية كالمهل قرئ بضم الميم وفتحها وهو دردي الزيت
ويدل عليه قوله يوم تكون السماء كالمهل مع قوله فكانت وردة كالدهان وقيل هو ذائب الفضة و
النحاس والكاف رفع خبر بعد خبر وكذلك تغلي في البطون كغلي الحميم وقرئ بالتاء للشجرة وبالياء للطعام
والحميم الماء الحار الذي انتهى غليانه يقال للزبانية خذوه فاعتلوه فقودوه بعنف وغلظة وهو أن يؤخذ
بتلبيب الرجل فيجر الى حبس أو قتل ومنه العتل وهو الغليظ الجافي قرئ بكسر التاء وضمها الى سواء الجحيم
الى وسطها ومعظمها ثم صبوا فوق رأسه من عذاب الحميم هلا قيل صبوا فوق رأسه من الحميم
كقوله يصب من فوق رؤوسهم الحميم لأن الحميم هو المصبوب لا عذابه اذا صب عليه الحميم فقد صب
عليه عذابه وشدته الا أن صب العذاب طريقة الاستعارة كقوله صبت عليه صروف الدهر من صبب
وكقوله تعالى أفرغ علينا صبرا فذكر العذاب معلقا به الصب مستعارا له ليكون أهول وأهيب يقال ذق
إنك أنت العزيز الكريم على سبيل الهزء والتهكم بمن كان يتعزز ويتكرم على قومه وروي أن أبا جهل قال لرسول
الله صلى الله عليه وسلم ما بين جبليها أعز ولا أكرم مني فوالله ما تستطيع أنت ولا ربك أن تفعلا بي شيئا و
قرئ أنك بمعنى لأنك وعن الحسن بن علي رضي الله عنهما أنه قرأه على المنبر إن هذا العذاب أو إن هذا الأمر هو
ما كنتم به تمترون أي تشكون أو تتمارون وتتلاحون إن المتقين في جنات وعيون يلبسون من سندس واستبرق
متقابلين قرئ في مقام بالفتح وهو موضع القيام والمراد المكان وهو من الخاص الذي وقع مستعملا
في معنى العموم وبالضم وهو موضع الاقامة والأمين من قولك أمن الرجل أمانة فهو أمين وهو ضد
الخائن فوصف به المكان استعارة لأن المكان المخيف كأنما يخون صاحبه بما يلقى فيه من المكاره
قيل السندس ما رق من الديباج والاستبرق ما غلظ منه وهو تعريب استبر
كيف ساغ أن يقع في القرآن العربي المبين لفظ أعجمي اذا عرب خرج من أن يكون أعجميا لأن
معنى التعريب أن يجعل عربيا بالتصرف فيه وتغييره عن منهاجه واجرائه على أوجه الاعراب كذلك الكاف
مرفوعة على الأمر كذلك أو منصوبة على مثل ذلك أثبناهم وزوجناهم وقرأ عكرمة بحور عين على الاضافة و
المعنى بالحور من العين لأن العين إما أن تكون حورا أو غير حور فهؤلاء من الحور العين لا من شهلهن مثلا
وفي قراءة عبد الله بعيس عين والعيساء البيضاء تعلوها حمرة وقرأ عبيد بن عمير لا يذاقون فيها
الموت وقرأ عبد الله لا يذوقون فيها طعم الموت كيف استثنيت الموتة الأولى المذوقة
قبل دخول الجنة من الموت المنفي ذوقه فيها أريد أن يقال لا يذوقون فيها الموت البتة

مقام أمين

يدعون فيها بكل فاكهة آمنين

فوضع قوله إلا الموتة الأولى موضع ذلك لأن الموتة الماضية محال ذوقها في المستقبل فهو من باب
التعليق بالمحال كأنه قيل إن كانت الموتة الأولى يستقيم ذوقها في المستقبل فإنهم يذوقونها وقرئ و
وقيهم بالتشديد عذاب الجحيم فضلا من ربك عطاء من ربك وثوابا يعني كل ما أعطي المتقين من نعيم الجنة
والنجاة من النار وقرئ فضل أي ذلك فضل ذلك هو الفوز العظيم فإنما يسرناه بلسانك فذلكة للسورة و
معناه ذكرهم بالكتاب المبين فإنما يسرناه أي سهلناه حيث أنزلناه عربيا بلسانك بلغتك لعلهم يتذكرون
ارادة أن يفهمه قومك فيتذكروا فارتقب فانتظر ما يحل بهم إنهم مرتقبون ما يحل بك متربصون بك
الدوائر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ حم الدخان في ليلة أصبح يستغفر له سبعون ألف ملك
وعنه عليه السلام من قرأ حم التي يذكر فيها الدخان في ليلة جمعة أصبح مغفورا له

سورة الجاثية مكية وهي سبع وثلثون آية وقيل ست

بسم الله الرحمن الرحيم حم إن جعلتها اسما مبتدأ مخبرا عنه بتنزيل الكتاب لم يكن بد من
حذف مضاف تقديره تنزيل حم تنزيل الكتاب ومن الله العزيز الحكيم صلة للتنزيل وإن جعلتها تعديدا للحروف
كان تنزيل الكتاب مبتدأ والظرف خبرا إن في خلق السموات والأرض لآيات للمؤمنين يجوز أن يكون على ظاهره
وأن يكون المعنى إن في خلق السموات لقوله وفي خلقكم علام عطف وما يبث من دابة أعلى المضاف
المضاف أم على الضمير المضاف اليه بل على المضاف لأن المضاف اليه ضمير متصل مجرور يقبح
العطف عليه استقبحوا أن يقال مررت بك وزيد وهذا أبوك وعمرو وكذلك إن أكدوه كرهوا أن يقولوا
مررت بك أنت وزيد قرئ آيات لقوم يوقنون بالنصب والرفع على قولك إن زيدا في الدار وعمرا في السوق
أو وعمرو في السوق وأما قوله واختلاف الليل والنهار وما أنزل الله من السماء من رزق فأحيا به الأرض بعد
موتها وتصريف الرياح آيات لقوم يعقلون فمن العطف على عاملين سواء نصبت أو رفعت فالعاملان
اذا نصبت هما إن وفي أقيمت الواو مقامهما فعملت الجر في واختلاف الليل والنهار والنصب
في آيات واذا رفعت فالعاملان الابتداء وفي عملت الرفع في آيات والجر في واختلاف وقرأ ابن مسعود
وفي اختلاف الليل والنهار العطف على عاملين على مذهب الأخفش سديد لا مقال فيه و
قد أباه سيبويه فما وجه تخريج الآية عنده فيه وجهان أحدهما أن يكون على اضمار في والذي
حسنه تقدم ذكره في الآيتين قبلها ويعضده قراءة ابن مسعود والثاني أن ينتصب آيات على الاختصاص
بعد انقضاء المجرور معطوفا على ما قبله أو على التكرير ورفعها باضمار هي وقرئ واختلاف الليل والنهار
بالرفع وقرئ آية وكذلك وما يبث من دابة آية وقرئ وتصريف الريح والمعنى أن المنصفين من

العباد اذا نظروا في السموات والارض النظر الصحيح علموا انها مصنوعة وانه لا بد لها من صانع فآمنوا بالله واقروا
فاذا نظروا في خلق انفسهم وتنقلها من حال الى حال وهيئة الى هيئة وفي خلق ما على ظهر الارض من صنوف الحيوان
ازدادوا ايمانا وايقنوا وانتفى عنهم اللبس فاذا نظروا في سائر الحوادث التي تتجدد في كل وقت كاختلاف
الليل والنهار ونزول الامطار وحياة الارض بها بعد موتها وتصريف الرياح جنوبا وشمالا وقبولا ودبورا
عقلوا واستحكم علمهم وخلص يقينهم وسمى المطر رزقا لانه سبب الرزق تلك اشارة الى الآيات المتقدمة اي تلك
الآيات آيات الله ونتلوها في محل الحال اي متلوة عليك بالحق والعامل ما دل عليه تلك من معنى الاشارة و
نحوه هذا بعلي شيخا وقرئ يتلوها بالياء فبأي حديث بعد الله وآياته اي بعد آيات الله كقولهم اعجبني زيد و
كرمه يريدون اعجبني كرم زيد ويجوز ان يراد بعد حديث الله وهو كتابه وقرآنه كقوله الله نزل احسن
الحديث وقرئ يؤمنون بالياء والتاء ويل لكل افاك اثيم يسمع آيات الله تتلى عليه ثم الافاك الكذاب والاثيم
المتبالغ في اقتراف الآثام يصر يقبل على كفره ويقيم عليه واصله من اصرار الحمار على العانة وهو ان ينحى
عليها صارا اذنيه مستكبرا عن الايمان بالآيات والاذعان لما تنطق به من الحق مزدريا لها معجبا بما عنده قيل
نزلت في النضر بن الحارث وما كان يشتري من احاديث الاعاجم ويشغل بها الناس عن استماع القرآن
والآية عامة فيمن كان مضارا لدين الله ما معنى ثم في قوله ثم يصر مستكبرا
كمعناه في قول القائل يرى غمرات الموت ثم يزورها وذلك ان غمرات الموت حقيقة بان ينجو رائيها بنفسه
ويطلب الفرار عنها واما زيارتها والاقدام على مزاولتها فامر مستبعد فمعنى ثم الايذان بان فعل المقدم
عليها بعد ما رآها وعاينها شيء مستبعد في العادات والطباع وكذلك آيات الله الواضحة الناطقة بالحق
من تليت عليه وسمعها كان مستبعدا في العقول اصراره على الضلالة عندها واستكباره عن الايمان بها
كأن مخففة والاصل كأنه لم يسمعها فبشره بعذاب اليم والضمير ضمير الشان كما في قوله
كأن ظبية تعطو الى ناضر السلم ومحل الجملة النصب على الحال اي يصر مثل غير السامع واذا علم من آياتنا شيئا
واذا بلغه شيء من آياتنا وعلم انه منها اتخذها اي اتخذ الآيات هزوا ولم يقل اتخذه للاشعار بانه اذا احس
بشيء من الكلام انه من جملة الآيات التي انزلها الله على محمد صلى الله عليه وسلم خاض في الاستهزاء بجميع الآيات
ولم يقتصر على الاستهزاء بما بلغه ويحتمل واذا علم من آياتنا شيئا يمكن ان يتشبث به المعاند ويجد له
محملا يتسلق به على الطعن والغميزة افترصه واتخذ آيات الله هزوا وذلك نحو اعتراض ابن الزبعرى
قوله عز وجل انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم ومغالطته رسول الله وقوله خصمتك ويجوز ان
يرجع الضمير الى شيء لانه في معنى الآية كقول ابي العتاهية نفسي بشيء من الدنيا معلقة

الله والقائم المهدي يكفيها حيث اراد عتبة وقرئ علم اولئك لهم عذاب مهين اشارة الى كل افاك اثيم لشموله
الافاكين والوراء اسم للجهة التي يواريها الشخص من خلف او قدام قال أليس ورائي ان تراخت منيتي
ادب مع الولدان ارجف كالنسر ومنه قوله عز وجل من ورائهم اي من قدامهم ما كسبوا شيئا من الاموال في رحلاتهم ومتاجرهم
ولا يغني عنهم
ولا ما اتخذوا من دون الله من الاوثان اولياء ولهم عذاب عظيم هذا هدى اشارة الى القرآن يدل عليه قوله والذين
كفروا بآيات ربهم لان آيات ربهم هي القرآن اي هذا القرآن كامل في الهداية كما تقول زيد رجل تريد كامل في
الرجولية وايما رجل لهم عذاب من رجز اليم والرجز اشد العذاب وقرئ بجر اليم ورفعه ولتبتغوا من فضله بالتجارة
او بالغوص على اللؤلؤ والمرجان واستخراج اللحم الطري وغيره لكم من منافع البحر ولعلكم تشكرون وسخر لكم ما في السموات
وما في الارض فان قلت ما معنى منه في قوله جميعا منه وما موقعها من الاعراب قلت هي واقعة موقع الحال
والمعنى انه سخر هذه الاشياء كائنة منه حاصلة من عنده يعني انه مكونها وموجدها بقدرته وحكمته
ثم مسخرها لخلقه ويجوز ان تكون خبر مبتدأ محذوف تقديره هي جميعا منه وان يكون وما في الارض مبتدأ ومنه
خبره وقرأ ابن عباس منة وقرأ سلمة بن محارب منه على ان يكون فاعل سخر على الاسناد المجازي او على انه خبر مبتدأ
محذوف اي ذلك او هو منه ان في ذلك لآيات لقوم يتفكرون قل للذين آمنوا يغفروا للذين حذف المقول
لان الجواب دال عليه والمعنى قل لهم اغفروا يغفروا لا يرجون ايام الله لا يتوقعون وقائع الله باعدائه من
قولهم لوقائع العرب ايام العرب وقيل لا يأملون الاوقات التي وقتها الله لثواب المؤمنين ووعدهم
الفوز فيها قيل نزلت قبل آية القتال ثم نسخ حكمها وقيل نزلت في عمر رضي الله عنه وقد شتمه رجل
من غفار فهم ان يبطش به وعن سعيد بن المسيب كنا بين يدي عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقرأ قارئ
هذه الآية فقال عمر ليجزي عمر بما صنع ليجزي تعليل للامر بالمغفرة اي انما امروا بان يغفروا لما اراد
الله من توفيتهم جزاء مغفرتهم يوم القيامة قوله قوما ما وجه تنكيره وانما اراد الذين
آمنوا وهم معارف هو مدح لهم وثناء عليهم كأنه قيل ليجزي ايما قوم مخصوصين لصبرهم
وقوما
واغضائهم على اذى اعدائهم من الكفار وعلى ما كانوا يتجرعونه من الغصص بما كانوا يكسبون من الثواب
العظيم بكظم الغيظ واحتمال المكروه ومعنى قول عمر ليجزي عمر بما صنع ليجزي بصبره واحتماله
وقوله لرسول الله صلى الله عليه وسلم عند نزول الآية والذي بعثك بالحق لا ترى الغضب في وجهي و
قرئ ليجزى قوما اي الله عز وجل وليجزى قوم ولنجزي قوما على معنى وليجزى الجزاء قوما ما
من عمل صالحا فلنفسه ومن اساء فعليها ثم الى ربكم ترجعون ولقد آتينا بني اسرائيل الكتاب التورية والحكم
والحكمة والفقه او فصل الخصومات بين الناس لان الملك كان فيهم والنبوة ورزقناهم من الطيبات مما

احل الله لهم واطاب من الارزاق وفضلناهم على العالمين حيث لم نوت غيرهم مثل ما آتيناهم وآتيناهم بينات
آيات ومعجزات من الامر من امر الدين فما وقع بينهم الخلاف في الدين الا من بعد ما جاءهم ما هو موجب
لزوال الخلاف وهو العلم وانما اختلفوا لبغي حدث بينهم اى لعداوة وحسد فما اختلفوا الا من بعد ما جاءهم
العلم بغيا بينهم ان ربك يقضي بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون ثم جعلناك على شريعة على طريقة ومنهاج من
الامر من امر الدين فاتبع شريعتك الثابتة بالدلائل والحجج ولا تتبع اهواء الذين لا يعلمون انهم لن يغنوا عنك
من الله شيئا وان الظالمين بعضهم اولياء بعض والله ولي المتقين ما لا حجة عليه من اهواء الجهال ودينهم المبني
على هوى وبدعة وهم رؤساء قريش حين قالوا ارجع الى دين آبائك ولا تتوالهم وانما يوالي الظالمين من هو
ظالم مثلهم واما المتقون فوليهم الله وهم موالوه وما ابين الفصل بين الولايتين هذا القرآن بصائر للناس
جعل ما فيه من معالم الدين والشرائع بمنزلة البصائر في القلوب كما جعل روحا وحياة وهو هدى من الضلالة
ورحمة من العذاب لمن آمن وايقن وقرئ هذه بصائر اى هذه الآيات لقوم يوقنون ام حسب الذين
اجترحوا السيئات ان نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات ام منقطعة ومعنى الهمزة فيها انكار الحسبان والاجتراح
الاكتساب ومنه الجوارح وفلان جارحة اهله اى كاسبهم ان نجعلهم ان نصيرهم وهو من جعل المتعدي
الى مفعولين فاولهما الضمير والثاني الكاف والجملة التي هي سواء محياهم ومماتهم بدل من الكاف لان الجملة
تقع مفعولا ثانيا فكانت في حكم المفرد الا تراك لو قلت ان نجعلهم سواء محياهم ومماتهم كان سديدا كما
تقول ظننت زيدا ابوه منطلق ومن قرأ سواء بالنصب اجرى سواء مجرى مستويا وارتفع محياهم ومماتهم
على الفاعلية وكان مفردا غير جملة ومن قرأ ومماتهم بالنصب جعل محياهم ومماتهم ظرفين كمقدم الحاج وخفوق النجم اى سواء في محياهم
وفي مماتهم والمعنى انكار ان يستوي المسيئون والمحسنون محيا وان يستووا مماتا لافتراق احوالهم احياء
حيث عاش هؤلاء على القيام بالطاعات واولئك على ركوب المعاصي ومماتا حيث مات هؤلاء على البشرى
بالرحمة والوصول الى ثواب الله ورضوانه واولئك على الياس من رحمة الله والوصول الى هول ما اعد
لهم وقيل معناه انكار ان يستووا في الممات كما استووا في الحياة لان المسيئين والمحسنين مستو
محياهم في الرزق والصحة وانما يفترقون في الممات وقيل سواء محياهم ومماتهم كلام مستانف على معنى
ان محيا المسيئين ومماتهم سواء وكذلك محيا المحسنين ومماتهم كل يموت على حسب ما عاش عليه وعن
تميم الداري انه كان يصلي ذات ليلة عند المقام فبلغ هذه الآية فجعل يبكي ويردد الى الصباح ساء
ما يحكمون وعن الفضيل انه بلغها فجعل يرددها ويبكي ويقول يا فضيل ليت شعري من اي الفريقين
انت وخلق الله السموات والارض بالحق ولتجزى كل نفس بما كسبت وهم لا يظلمون معطوف على بالحق

لان فيه معنى التعليل او على معلل محذوف تقديره وخلق السموات والارض ليدل بها على قدرته ولتجزى
كل نفس اى هو مطواع لهوى النفس يتبع ما تدعوه اليه فكانه يعبده كما يعبد الرجل الهه وقرئ آلهة
هواه لانه كان يستحسن الحجر فيعبده فاذا رأى ما هو احسن منه رفضه اليه فكانه اتخذ هواه آلهة شتى
يعبد كل وقت واحدا منها واضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة وتركه عن الهداية
واللطف وخذله على علم عالما بان ذلك لا يجدي عليه وانه ممن لا لطف له او مع علمه بوجوه الهداية واحاطته
بانواع الالطاف المحصلة والمقربة فمن يهديه من بعد اضلال الله افلا تذكرون وقرئ غشوة بالحركات
الثلث وغشوة بالفتح والكسر وقرئ تتذكرون وقالوا ما هي الا حياتنا الدنيا نموت ونحيا نموت نحن ونحيى
اولادنا او يموت بعض ويحيى بعض او نكون مواتا نطفا في الاصلاب ونحيى بعد ذلك او يصيبنا الامران
الموت والحيوة يريدون الحيوة في الدنيا والموت بعدها وليس وراء ذلك حياة وقرئ نحيا بضم النون
وما يهلكنا الا الدهر وما لهم بذلك من علم ان هم الا يظنون واذا تتلى عليهم آياتنا بينات ما كان حجتهم الا ان
قالوا ائتوا بآبائنا ان كنتم صادقين وقرئ الا دهر يمر وما يقولون ذلك عن علم ولكن عن ظن وتخمين كانوا
يزعمون ان مرور الايام والليالي هو المؤثر في هلاك الانفس وينكرون ملك الموت وقبضه الارواح بامر
الله وكانوا يضيفون كل حادثة تحدث الى الدهر والزمان وترى اشعارهم ناطقة بشكوى الزمان
ومنه قوله عليه السلام لا تسبوا الدهر فان الله هو الدهر اى فان الله هو الآتي بالحوادث لا الدهر
وقرئ حجتهم بالنصب والرفع على تقديم خبر كان وتاخيره لم سمى قولهم حجة وليس بحجة
لانهم ادلوا به كما يدلي المحتج بحجته وساقوه مساقها فسميت حجة على سبيل التهكم او لانه في حسبانهم
وتقديرهم حجة او لانه في اسلوب قولهم تحية بينهم ضرب وجيع كانه قيل ما كان حجتهم الا ما ليس
بحجة والمراد نفي ان يكون لهم حجة البتة كيف وقع قوله قل الله يحييكم ثم يميتكم ثم يجمعكم الى
يوم القيامة لا ريب فيه ولكن اكثر الناس لا يعلمون ولله ملك السموات والارض جوابا لقوله ائتوا بآبائنا ان كنتم صادقين
لما انكروا البعث وكذبوا الرسل وحسبوا ان ما قالوه مبكت الزموا ما هم مقرون به من
ان الله عز وجل هو الذي يحييهم ثم يميتهم وضم الى الزام ذلك الزام ما هو واجب الاقرار به ان انصفوا
واصغوا الى داعي الحق وهو جمعهم الى يوم القيامة ومن كان قادرا على ذلك كان قادرا على الاتيان بآبائهم
وكان اهون شيء عليه ويوم تقوم الساعة يومئذ يخسر المبطلون وترى كل امة عامل النصب في يوم
تقوم يخسر ويومئذ بدل من يوم تقوم جاثية باركة مستوفزة على الركب وقرئ جاذية
والجذو اشد استيفازا من الجثو لان الجاذي هو الذي يجلس على اطراف اصابعه وعن ابن عباس

افرايت من اتخذ الهه هواه

جاثية مجتمعة وعن قتادة جماعات من الجثوة وهي الجماعة وجمعها جثى وفي الحديث من جثى جهنم وقرئ
كل أمة على الابتداء وكل أمة على الإبدال من كل أمة تدعى إلى كتابها إلى صحائف أعمالها فاكتفى باسم الجنس
كقوله ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه اليوم تجزون محمول على القول كيف
أضيف الكتاب إليهم وإلى الله عز وجل الإضافة تكون للملابسة وقد لابسهم ولابسه أما
ملابسته إياهم فلأن أعمالهم مثبتة فيه وأما ملابسته إياه فلأنه مالكه والآمر ملائكته أن يكتبوا فيه
أعمال عباده ما كنتم تعملون هذا كتابنا ينطق عليكم يشهد عليكم بما عملتم بالحق من غير زيادة ولا نقصان
إنا كنا نستنسخ الملائكة ما كنتم تعملون أي نستكتبهم أعمالكم فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيدخلهم
ربهم في رحمته ذلك هو الفوز المبين في رحمته في جنته وجواب أما محذوف وأما الذين كفروا فيقال لهم
أفلم تكن آياتي تتلى عليكم فاستكبرتم وكنتم قوما مجرمين والمعنى ألم يأتكم رسلي فلم تكن آياتي تتلى عليكم فحذف
المعطوف عليه وإذا قيل لهم إن وعد الله حق والساعة لا ريب فيها قلتم ما ندري وقرئ والساعة بالنصب
عطفا على الوعد وبالرفع عطفا على محل إن واسمها ما الساعة أي شيء الساعة ما معنى إن
نظن إلا ظنا أصله نظن ظنا ومعناه إثبات الظن فحسب فأدخل حرف النفي والاستثناء
ليفاد إثبات الظن مع نفي ما سواه وزيد نفي ما سوى الظن توكيدا بقوله وما نحن بمستيقنين وبدا
لهم سيئات ما عملوا وحاق بهم ما كانوا به يستهزءون سيئات ما عملوا أي قبائح أعمالهم أو عقوبات أعمالهم
السيئات كقوله وجزاء سيئة سيئة مثلها وقيل اليوم ننساكم كما نسيتم لقاء يومكم هذا ومأواكم النار وما
لكم من ناصرين ذلكم بأنكم اتخذتم آيات الله هزوا وغرتكم الحياة الدنيا ننساكم نترككم في العذاب
كما تركتم عدة لقاء يومكم وهي الطاعة أو نجعلكم بمنزلة الشيء المنسي غير المبالى به كما لم تبالوا
أنتم بلقاء يومكم ولم تخطروه ببال كالشيء الذي يطرح نسيا منسيا ما معنى إضافة
اللقاء إلى اليوم كمعنى إضافة المكر في قوله بل مكر الليل والنهار أي نسيتم لقاء الله في يومكم
هذا ولقاء جزائه فاليوم لا يخرجون منها ولا هم يستعتبون ولا يطلب منهم أن يعتبوا ربهم أي يرضوه
فلله الحمد رب السموات ورب الأرض رب العالمين وله الكبرياء في السموات والأرض وهو العزيز الحكيم فاحمدوا
الله الذي هو ربكم ورب كل شيء من السموات والأرض والعالمين فإن مثل هذه الربوبية العامة
توجب الحمد والثناء على كل مربوب وكبروه فقد ظهرت آثار كبريائه وعظمته في السموات والأرض
وحق مثله أن يكبر ويعظم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ حم الجاثية ستر الله
عورته وسكن روعته يوم الحساب

وقرئ لا يخرجون بفتح الياء صح

سورة الأحقاف مكية وهي أربع وثلاثون آية وقيل خمس

بسم الله الرحمن الرحيم حم تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم ما خلقنا السموات والأرض وما بينهما
إلا بالحق إلا خلقا ملتبسا بالحكمة والغرض الصحيح وبتقدير أجل مسمى ينتهي إليه وهو يوم القيمة والذين كفروا
عما أنذروا من هول ذلك اليوم الذي لا بد لكل خلق من انتهائه إليه معرضون لا يؤمنون به ولا يهتمون
بالاستعداد له ويجوز أن تكون ما مصدرية أي عن إنذارهم ذلك اليوم قل أرأيتم ما تدعون من دون الله أروني
ماذا خلقوا من الأرض أم لهم شرك في السموات ائتوني بكتاب من قبل هذا أي من قبل هذا الكتاب وهو القرآن يعني
أن هذا الكتاب ناطق بالتوحيد وإبطال الشرك وما من كتاب أنزل من قبله من كتب الله إلا وهو ناطق بمثل
ذلك فأتوا بكتاب واحد منزل من قبله شاهد بصحة ما أنتم عليه من عبادة غير الله أو أثارة من علم إن كنتم صادقين
أو بقية من علم بقيت عليكم من علوم الأولين من قولهم سمنت الناقة على أثارة من شحم أي على بقية شحم
كانت بها من شحم ذاهب وقرئ أثرة أي من شيء أوثرتم به وخصصتم من علم لا إحاطة به لغيركم
وقرئ أثرة بالحركات الثلاث في الهمزة مع سكون الثاء فالإثرة بالكسر بمعنى الأثرة وأما الأثرة فالمرة
من مصدر أثر الحديث إذا رواه وأما الأثرة بالضم فاسم ما يؤثر كالخطبة اسم ما يخطب به ومن أضل ممن
يدعوا من دون الله من لا يستجيب له إلى يوم القيمة وهم عن دعائهم غافلون معنى الاستفهام فيه إنكار أن يكون في
الضلال كلهم أبلغ ضلالا من عبدة الأوثان حيث يتركون دعاء السميع المجيب القادر على تحصيل كل بغية
ومرام ويدعون من دونه جمادا لا يستجيب لهم ولا قدرة على استجابة أحد منهم ما دامت الدنيا وإلى أن
تقوم القيامة وإذا قامت القيمة وحشر الناس كانوا لهم أعداء وكانوا بعبادتهم كافرين وكانوا عليهم ضدا
فليسوا في الدارين إلا على نكد ومضرة لا تتولاهم في الدنيا بالاستجابة وفي الآخرة تعاديهم وتجحد عبادتهم
وإنما قيل من وهم لأنه أسند إليهم ما يسند إلى أولي العلم من الاستجابة والغفلة ولأنهم كانوا
يصفونهم بالتمييز جهلا وغباوة ويجوز أن يريد كل معبود من دون الله من الجن والإنس والأوثان
فغلب غير الأوثان عليها وقرئ ما لا يستجيب وقرئ يدعو غير الله من لا يستجيب ووصفهم بترك
الاستجابة والغفلة طريقه طريقة التهكم بها وبعبدتها ونحوه قوله تعالى إن تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم
ولو سمعوا ما استجابوا لكم ويوم القيمة يكفرون بشرككم وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين كفروا
بينات جمع بينة وهي الحجة والشاهد أو واضحات مبينات واللام في للحق مثلها في قوله للذين آمنوا لو
كان خيرا أي لأجل الحق ولأجل الذين آمنوا والمراد بالحق الآيات وبالذين كفروا المتلو عليهم فوضع الظاهران
موضع الضميرين للتسجيل عليهم بالكفر وللمتلو بالحق لما جاءهم أي بادهوه بالجحود ساعة أتاهم وأول

ما سمعوه من غير إجالة فكر ولا إعادة نظر ومن عنادهم وظلمهم أنهم سموه سحراً مبيناً ظاهراً أمره في البطلان لا شبهة فيه هذا سحر مبين أم يقولون افتراه إضراب عن ذكر تسميتهم الآيات سحراً إلى ذكر قولهم إن محمداً افتراه و معنى الهمزة في أم للإنكار والتعجب كأنه قيل دع هذا واسمع قولهم المستنكر المقضي منه العجب وذلك أن محمداً كان لا يقدر عليه حتى يقوله ويفتريه على الله ولو قدر عليه دون أمة العرب لكانت قدرته عليه معجزة لخرقها العادة وإذا كانت معجزة كانت تصديقاً من الله له والحكيم لا يصدق الكاذب فلا يكون مفترياً والضمير للحق والمراد به الآيات قل إن افتريته فلا تملكون لي من الله شيئاً على سبيل الفرض عاجلني الله لا محالة بعقوبة الافتراء عليه فلا تقدرون على كفه عن معاجلتي ولا تطيقون دفع شيء من عقابه عني فكيف أفتريه وأتعرض لعقابه يقال فلان لا يملك إذا غضب ولا يملك عنانه إذا صمم ومثله فمن يملك من الله شيئاً إن أراد أن يهلك المسيح ابن مريم و من يرد الله فتنته فلن تملك له من الله شيئاً ومنه قوله عليه السلام لا أملك لكم من الله شيئاً ثم قال هو أعلم بما تفيضون فيه أي تندفعون فيه من القدح في وحي الله والطعن في آياته وتسميته سحراً تارة وفرية أخرى كفى به شهيداً بيني وبينكم يشهد لي بالصدق والبلاغ ويشهد عليكم بالكذب والجحود ومعنى ذكر العلم والشهادة وعيد بجزاء إفاضتهم وهو الغفور الرحيم موعدة بالغفران والرحمة إن رجعوا عن الكفر وتابوا وآمنوا وإشعار بحلم الله عنهم مع عظم ما ارتكبوا فما معنى إسناد الفعل إليهم في قوله فلا تملكون لي قلت كان فيما أتاهم به النصيحة لهم والإشفاق عليهم من سوء العاقبة وإرادة الخير بهم فكأنه قال لهم إن افتريته وأنا أريد بذلك التنصح لكم وصدكم عن عبادة الآلهة إلى عبادة الله فما تغنون عني أيها المنصوحون إن أخذني الله بعقوبة الافتراء عليه البدع بمعنى البديع كالخف بمعنى الخفيف وقرئ بدعاً بفتح الدال أي ذا بدع ويجوز أن يكون صفة على فعل كقولهم دين قيم ولحم زيم كانوا يقترحون عليه الآيات ويسألونه عما لم يوح به إليه من الغيوب فقيل له قل ما كنت بدعاً من الرسل فآتيكم بكل ما تقترحونه وأخبركم بكل ما تسألون عنه من المغيبات فإن الرسل لم يكونوا يأتون إلا بما آتاهم الله من آياته ولا يخبرون إلا بما أوحي إليهم ولقد أجاب موسى صلوات الله عليه عن قول فرعون فما بال القرون الأولى بقوله علمها عند ربي وما أدري لأنه لا علم لي بالغيب ما يفعل الله بي ولا بكم إن أتبع إلا ما يوحى إلي وما أنا إلا نذير مبين وعن الحسن وما أدري ما يصير إليه أمري وأمركم في الدنيا ومن الغالب منا والمغلوب وعن الكلبي قال له أصحابه وقد ضجروا من أذى المشركين حتى متى نكون على هذا فقال ما أدري ما يفعل بي ولا بكم أأترك بمكة أم أومر بالخروج إلى أرض قد رفعت لي ورأيتها يعني في منامه ذات نخيل وشجر وعن ابن عباس ما يفعل بي ولا بكم في الآخرة وقال هي منسوخة بقوله ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ويجوز

أن يكون نفياً للدراية المفصلة وقرئ ما يفعل أي يفعل الله عز وجل فإن قلت إن يفعل مثبت غير منفي فكان وجه الكلام ما يفعل بي وبكم قلت أجل ولكن النفي في وما أدري لما كان مشتملاً عليه لتناوله ما وما في حيزه صح ذلك وحسن ألا ترى إلى قوله أولم يروا أن الله الذي خلق السموات والأرض ولم يعي بخلقهن بقادر كيف دخلت الباء في حيز أن وذلك لتناول النفي إياها مع ما في حيزها وما في ما يفعل يجوز أن تكون موصولة منصوبة وأن تكون استفهامية مرفوعة وقرئ يوحي أي الله عز وجل قل أرأيتم إن كان من عند الله جواب الشرط محذوف تقديره إن كان القرآن من عند الله وكفرتم به ألستم ظالمين ويدل على هذا المحذوف قوله إن الله لا يهدي القوم الظالمين والشاهد من بني إسرائيل عبد الله بن سلام لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة نظر إلى وجهه فعلم أنه ليس بوجه كذاب فتأمله فتحقق أنه هو النبي المنتظر وقال له إني سائلك عن ثلاث لا يعلمهن إلا نبي ما أول أشراط الساعة وما أول طعام يأكله أهل الجنة والولد ينزع إلى أبيه أو إلى أمه فقال عليه السلام أما أول أشراط الساعة فنار تحشرهم من المشرق إلى المغرب وأما أول طعام يأكله أهل الجنة فزيادة كبد حوت وأما الولد فإذا سبق ماء الرجل نزعه وإن سبق ماء المرأة نزعته فقال أشهد أنك رسول الله حقاً ثم قال يا رسول الله إن اليهود قوم بهت وإن علموا بإسلامي قبل أن تسألهم عني بهتوني عندك فجاءت اليهود فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم أي رجل عبد الله فيكم فقالوا خيرنا وابن خيرنا وسيدنا وابن سيدنا وأعلمنا وابن أعلمنا قال أرأيتم إن أسلم عبد الله قالوا أعاذه الله من ذلك فخرج إليهم عبد الله فقال أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله فقالوا شرنا وابن شرنا وانتقصوه قال هذا ما كنت أخاف يا رسول الله وأحذر قال سعد بن أبي وقاص ما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لأحد يمشي على الأرض إنه من أهل الجنة إلا لعبد الله بن سلام وفيه نزل وشهد شاهد من بني إسرائيل على مثله فآمن واستكبرتم إن الله لا يهدي القوم الظالمين الضمير للقرآن أي على مثله في المعنى وهو ما في التوراة من المعاني المطابقة لمعاني القرآن من التوحيد والوعد والوعيد وغير ذلك ويدل عليه قوله تعالى وإنه لفي زبر الأولين إن هذا لفي الصحف الأولى كذلك يوحي إليك وإلى الذين من قبلك ويجوز أن يكون المعنى إن كان من عند الله وكفرتم به وشهد شاهد على ذلك يعني كونه من عند الله فإن قلت أخبرني عن نظم هذا الكلام لأقف على معناه من جهة النظم قلت الواو الأولى عاطفة لكفرتم على فعل الشرط كما عطفته ثم في قوله قل أرأيتم إن كان من عند الله ثم كفرتم به وكذلك الواو الآخرة عاطفة لاستكبرتم على شهد شاهد وأما الواو في وشهد فقد عطفت جملة قوله وشهد شاهد من بني إسرائيل على مثله فآمن واستكبرتم على جملة قوله كان من عند الله وكفرتم به ونظيره قولك إن أحسنت إليك وأسأت وأقبلت عليك وأعرضت لم تتفق في أنك أخذت ضميمتين

بحوهم

فعطفتهما على مثليهما والمعنى قل أخبروني إن اجتمع كون القرآن من عند الله مع كفركم به واجتمع شهادة أعلم بني إسرائيل
على نزول مثله فإيمانه به مع استكباركم عنه وعن الإيمان به ألستم أضل الناس وأظلمهم وقد جعل الإيمان في
قوله فآمن مسببا عن الشهادة على مثله لأنه لما علم أن مثله أنزل على موسى صلوات الله عليه وأنه من جنس
الوحي وليس من كلام البشر وأنصف من نفسه فشهد عليه واعترف كان الإيمان نتيجة ذلك وقال الذين كفروا
للذين آمنوا لو كان خيرا ما سبقونا إليه للذين آمنوا لأجلهم وهو كلام كفار مكة قالوا عامة من يتبع محمدا
السقاط يعنون الفقراء مثل عمار وصهيب وابن مسعود فلو كان ما جاء به خيرا ما سبقنا إليه هؤلاء
وقيل لما أسلمت جهينة ومزينة وأسلم وغفار قالت بنو عامر وغطفان وأسد وأشجع لو كان خيرا
ما سبقنا إليه رعاء البهم وقيل إن أمة لعمر أسلمت فكان عمر يضربها حتى يفتر ثم يقول لولا أني
فترت لزدتك ضربا فكان كفار قريش يقولون لو كان ما يدعو إليه محمد حقا ما سبقتنا إليه فلانة وقيل
كان اليهود يقولونه عند إسلام عبد الله بن سلام وأصحابه لا بد من عامل في الظرف
في قوله وإذ لم يهتدوا به ومن متعلق بقوله فسيقولون وغير مستقيم أن يكون فسيقولون هو العامل في
الظرف لتدافع دلالتي المضي والاستقبال فما وجه هذا الكلام العامل في إذ محذوف
لدلالة الكلام عليه كما حذف من قوله فلما ذهبوا به وقولهم حينئذ الآن وتقديره وإذ لم يهتدوا به ظهر
عنادهم فسيقولون هذا إفك قديم فهذا المضمر صح به الكلام حيث انتصب به الظرف وكان قوله فسيقولون
مسببا عنه كما صح بإضمار أن قوله حتى يقول الرسول لمصادفة حتى مجرورها والمضارع ناصبه
وقولهم هذا إفك قديم كقولهم أساطير الأولين ومن قبله كتاب موسى مبتدأ ومن قبله ظرف
واقع خبرا مقدما عليه وهو ناصب إماما على الحال كقولك في الدار زيد قائما وقرئ ومن قبله
كتاب موسى على وآتينا الذي قبله التوراة ومعنى إماما قدوة يؤتم به في دين الله وشرائعه كما يؤتم
بالإمام ورحمة لمن آمن به وعمل بما فيه وهذا القرآن كتاب مصدق لكتاب موسى أو لما بين يديه
وتقدمه من جميع الكتب وقرئ مصدق لما بين يديه ولسانا عربيا حال من ضمير الكتاب في مصدق
والعامل فيه مصدق ويجوز أن ينتصب عن كتاب لتخصصه بالصفة ويعمل فيه معنى الإشارة و
جوز أن يكون مفعولا لمصدق أي يصدق ذا لسان عربي وهو الرسول وقرئ لينذر بالتاء
والياء ولينذر من نذر ينذر إذا حذر الذين ظلموا وبشرى في محل النصب معطوف على محل
لينذر لأنه مفعول له للمحسنين إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون
أولئك أصحاب الجنة خالدين فيها جزاء بما كانوا يعملون ووصينا الإنسان بوالديه إحسانا حملته أمه كرها

ووضعته كرها قرئ حسنا بضم الحاء وسكون السين وبضمهما وبفتحهما وإحسانا وكرها بالفتح والضم و
هما لغتان في معنى المشقة كالفقر والفقر وانتصابه على الحال أي ذات كره أو على أنه صفة للمصدر أي
حملا ذا كره وحمله وفصاله وحمله وفصاله ثلثون شهرا وهذا دليل على أن أقل الحمل ستة أشهر لأن
مدة الرضاع إذا كانت حولين لقوله عز وجل حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة بقيت للحمل
ستة أشهر وقرئ وفصله والفصل والفصال كالفطم والفطام بناء ومعنى
المراد بيان مدة الرضاع لا الفطام فكيف عبر عنه بالفصال لما كان الرضاع يليه الفصال
ويلابسه لأنه ينتهي به ويتم سمي فصالا كما سمي المدة بالأمد من قال
كل حي مستكمل عدة العمر ومود إذا انتهى أمده وفيه فائدة وهي الدلالة على الرضاع التام
المنتهي بالفصال ووقته وقرئ حتى إذا استوى وبلغ أشده وبلوغ الأشد أن يكتهل ويستوفي
السن التي تستحكم فيها قوته وعقله وتمييزه وذلك إذا أناف على الثلثين وناطح الأربعين و
عن قتادة ثلث وثلثون سنة ووجهه أن يكون ذلك أول الأشد وغايته الأربعين وقيل لم يبعث
نبي قط إلا بعد أربعين سنة والمراد بالنعمة التي استوزع الشكر عليها نعمة التوحيد والإسلام
وجمع بين شكري النعمة عليه وعلى والديه لأن النعمة عليهما نعمة عليه وقيل في العمل المرضي هو
الصلوات الخمس قال رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي وعلى والدي وأن أعمل صالحا ترضاه
ما معنى في في قوله وأصلح لي في ذريتي معناه أن يجعل ذريته موقعا للصلاح
ومظنة له كأنه قال هب لي الصلاح في ذريتي وأوقعه فيهم ونحوه يجرح في عراقيبها نصلي
إني تبت إليك وإني من المسلمين من المخلصين وقرئ يتقبل ويتجاوز بفتح الياء والضمير فيهما لله
عز وجل وقرئا بالنون ما معنى قوله أولئك الذين نتقبل عنهم أحسن ما عملوا ونتجاوز عن
سيئاتهم في أصحاب الجنة وعد الصدق الذي كانوا يوعدون في أصحاب الجنة هو نحو قولك
أكرمني الأمير في ناس من أصحابه تريد أكرمني في جملة من أكرم منهم ونظمني في عدادهم ومحله
النصب على الحال على معنى كائنين في أصحاب الجنة ومعدودين فيهم وعد الصدق مصدر
مؤكد لأن قوله نتقبل ونتجاوز وعد من الله لهم بالتقبل والتجاوز وقيل نزلت في أبي بكر
رضي الله عنه وفي أبيه أبي قحافة وأمه أم الخير وفي أولاده واستجابة دعائه فيهم وقيل لم يكن
أحد من الصحابة من المهاجرين منهم والأنصار أسلم هو ووالداه وبنوه وبناته غير أبي بكر رضي الله عنه
والذي قال مبتدأ خبره أولئك الذين حق عليهم القول والمراد بالذي قال الجنس القائل ذلك القول

وكذلك وقع الخبر مجموعاً وعن الحسن هو في الكافر العاق لوالديه المكذب بالبعث وعن قتادة هو نعت عبد
سوء عاق لوالديه فاجر لربه وقيل نزلت في عبد الرحمن بن أبي بكر قبل إسلامه وقد دعاه أبوه أبو بكر
وأمه أم رومان إلى الإسلام فأفف بهما وقال ابعثوا إلى جدعان بن عمرو وعثمان بن عمرو وهما من أجداده
حتى أسألهما عما يقول محمد ويشهد لبطلانه أن المراد بالذي قال جنس القائلين ذلك وأن قوله
الذين حق عليهم القول هم أصحاب النار وعبد الرحمن كان من أفاضل المسلمين وسرواتهم وعن عائشة
رضي الله عنها إنكار نزولها فيه وحين كتب معاوية إلى مروان بأن يبايع الناس ليزيد قال عبد الرحمن
لقد جئتم بها هرقلية أتبايعون لأبنائكم فقال مروان يا أيها الناس هو الذي قال الله فيه والذي
قال لوالديه أف لكما فسمعت عائشة فغضبت وقالت والله ما هو به ولو شئت أن أسميه لسميته
ولكن الله لعن أباك وأنت في صلبه فأنت فضض من لعنة الله وقرئ أف بالكسر والفتح بغير
تنوين وبالحركات الثلاث مع التنوين وهو صوت إذا صوت به الإنسان علم أنه متضجر كما إذا قال
حس علم أنه متوجع واللام للبيان معناه هذا التأفيف لكما خاصة ولأجلكما دون غيركما وقرئ
أتعدانني بنونين وأتعداني بأحدهما وأتعداني بالإدغام وقد قرأ بعضهم أتعدانني بفتح النون كأنه استثقل
اجتماع النونين والكسرتين والياء ففتح الأولى تحرياً للتخفيف كما تحراه من أدغم ومن طرح
أحدهما أن أخرج أن أبعث وأخرج من الأرض وقرئ أخرج وقد خلت القرون من قبلي يعني ولم يبعث
منهم أحد وهما يستغيثان الله يقولان الغياث بالله منك ومن قولك وهو استعظام لقوله ويلك
دعاء عليه بالثبور والمراد به الحث والتحريض على الإيمان لا حقيقة الهلاك آمن إن وعد الله حق فيقول
ما هذا إلا أساطير الأولين أولئك الذين حق عليهم القول في أمم نحو قوله في أصحاب الجنة وقرئ أن على
معنى آمن بأن وعد الله حق قد خلت من قبلهم من الجن والإنس إنهم كانوا خاسرين ولكل من الجنسين
المذكورين درجات مما عملوا وليوفيهم أعمالهم وهم لا يظلمون أي منازل ومراتب من جزاء ما عملوا من
الخير والشر أو من أجل ما عملوا منهما كيف قيل درجات وقد جاء الجنة درجات و
النار دركات يجوز أن يقال ذلك على وجه التغليب لاشتمال كل على الفريقين وليوفيهم
وقرئ بالنون تعليل معلله محذوف لدلالة الكلام عليه كأنه قيل وليوفيهم أعمالهم ولا يظلمهم
حقوقهم قدر جزاءهم على مقادير أعمالهم فجعل الثواب درجات والعقاب دركات ويوم يعرض
الذين كفروا على النار ناصب الظرف هو القول المضمر قبل أذهبتم وعرضهم على النار تعذيبهم بها
من قولهم عرض بنو فلان على السيف إذا قتلوا به ومنه قوله تعالى النار يعرضون عليها ويجوز أن يراد

عرض النار عليهم من قولهم عرضت الناقة على الحوض يريدون عرض الحوض عليها فقلبوا ويدل عليه تفسير
ابن عباس يجاء بهم إليها فيكشف لهم عنها أذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها فاليوم تجزون عذاب
الهون بما كنتم تستكبرون في الأرض بغير الحق وبما كنتم تفسقون أي ما كتب لكم حظ من الطيبات إلا ما قد أصبتموه
في دنياكم وقد ذهبتم به وأخذتموه فلم يبق لكم بعد استيفاء حظكم شيء منها وعن عمر رضي الله عنه لو
شئت لدعوت بصلائق وصناب وكراكر وأسنمة ولكني رأيت الله نعى على قوم طيباتهم فقال أذهبتم
طيباتكم في حياتكم الدنيا وعنه لو شئت لكنت أطيبكم طعاماً وأحسنكم لباساً ولكني أستبقي طيباتي وعن
رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه دخل على أهل الصفة وهم يرقعون ثيابهم بالأدم ما يجدون لها رقاعاً
فقال أنتم اليوم خير أم يوم يغدو أحدكم في حلة ويروح في أخرى ويغدى عليه بجفنة ويراح عليه
بأخرى ويستر بيته كما تستر الكعبة قالوا نحن يومئذ خير قال بل أنتم اليوم خير وقرئ أأذهبتم
بهمزة الاستفهام وآذهبتم بألف بين همزتين الهون الهوان وقرئ عذاب الهوان وقرئ تفسقون
بضم السين وكسرها واذكر أخا عاد إذ أنذر قومه بالأحقاف وقد خلت النذر الأحقاف جمع حقف
وهو رمل مستطيل مرتفع فيه انحناء من احقوقف الشيء إذا اعوج وكانت عاد أصحاب عمد
يسكنون بين رمال مشرفين على البحر بأرض يقال لها الشحر من بلاد اليمن وقيل بين عمان ومهرة و
النذر جمع نذير بمعنى المنذر أو الإنذار من بين يديه من قبله ومن خلفه ومن بعده وقرئ من بين
يديه ومن بعده والمعنى أن هوداً عليه السلام قد أنذرهم وقال لهم أن لا تعبدوا إلا الله إني أخاف عليكم
عذاب يوم عظيم العذاب وأعلمهم أن الرسل الذين بعثوا قبله والذين سيبعثون بعده كلهم منذرون
نحو إنذاره وعن ابن عباس يعني الرسل الذين بعثوا قبله والذين بعثوا في زمانه ومعنى ومن خلفه
على هذا التفسير ومن بعد إنذاره هذا إذا علقت وقد خلت النذر بقوله أنذر قومه ولك أن تجعل قوله
وقد خلت النذر من بين يديه ومن خلفه اعتراضاً بين أنذر قومه وبين أن لا تعبدوا ويكون المعنى و
اذكر إنذار هود قومه عاقبة الشرك والعذاب العظيم وقد أنذر من تقدمه من الرسل ومن تأخر عنه
مثل ذلك فاذكرهم قالوا أجئتنا لتأفكنا الإفك الصرف يقال أفكه عن رأيه عن آلهتنا فأتنا بما تعدنا
إن كنت من الصادقين قال عن عبادتها بما تعدنا من معاجلة العذاب على الشرك إن كنت صادقاً
في وعدك من أين طابق قوله إنما العلم عند الله جواباً لقولهم فأتنا بما تعدنا
من حيث أن قولهم هذا استعجال منهم بالعذاب ألا ترى إلى قوله بل هو ما استعجلتم به فقال لهم
لا علم عندي بالوقت الذي يكون فيه تعذيبكم حكمة وصواباً إنما علم ذلك عند الله فكيف أدعوه بأن يأتيكم

بعذابه في وقت عاجل تقترحونه أنتم ومعنى وأبلغكم ما أرسلت به ولكني أراكم قوما تجهلون من الانذار والتخويف والصرف عما يعرضكم لسخط الله بجهدي ولكنكم جاهلون لا تعلمون أن الرسل لم يبعثوا إلا منذرين لا مقترحين ولا سائلين غير ما أذن لهم فيه فلما رأوه في الضمير وجهان أن يرجع إلى ما تعدنا وأن يكون مبهما قد وضح أمره بقوله عارضا إما تمييزا وإما حالا وهذا الوجه أعرب وأفصح والعارض السحاب الذي يعرض في أفق من السماء ومثله الحبي والعنان من حبى وعن إذا عرض وإضافة مستقبل وممطر مجازية غير معرفة بدليل وقوعهما وهما مضافان إلى معرفتين وصفا للنكرة أوديتهم قالوا هذا عارض بل هو القول قبله مضمر والقائل هود عليه السلام والدليل عليه قراءة من قرأ قال هود بل هو وقرئ قل بل ما استعجلتم به هي ريح أي قال الله قل فيها عذاب أليم تدمر كل شيء بأمر ربها فأصبحوا لا يرى إلا مساكنهم كذلك نجزي القوم المجرمين تدمر كل شيء تهلك من نفوس عاد وأموالهم الجم الكثير فعبر عن الكثرة بالكلية وقرئ يدمر كل شيء من دمر دمارا إذا هلك لا ترى الخطاب للرائي من كان وقرئ لا ترى على البناء للمفعول بالياء والتاء وتأويل القراءة بالتاء وهي عن الحسن لا ترى بقايا ولا أشياء إلا مساكنهم ومنه بيت ذي الرمة وما بقيت إلا الضلوع الجراشع وليست بالقوية وقرئ لا ترى إلا مسكنهم ولا يرى إلا مسكنهم وروي أن الريح كانت تحمل الفسطاط والظعينة فترفعها في الجو حتى ترى كأنها جرادة وقيل أول من أبصر العذاب امرأة منهم قالت رأيت ريحا فيها كشهب النار وروي أول ما عرفوا به أنه عذاب أنهم رأوا ما كان في الصحراء من رجالهم ومواشيهم يطير به الريح بين السماء والأرض فدخلوا بيوتهم وغلقوا أبوابهم فقلعت الريح الأبواب وصرعتهم وأمال الله عليهم الأحقاف فكانوا تحتها سبع ليال وثمانية أيام لهم أنين ثم كشفت الريح عنهم فاحتملتهم فطرحتهم في البحر وروي أن هودا لما أحس بالريح خط على نفسه وعلى المؤمنين خطا إلى جنب عين تنبع وعن ابن عباس اعتزل هود ومن معه في حظيرة ما يصيبهم من الريح إلا ما يلين على الجلود وتلذه الأنفس وإنها لتمر من عاد بالظعن بين السماء والأرض وتدمغهم بالحجارة وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان إذا رأى الريح فزع وقال اللهم إني أسألك خيرها وخير ما أرسلت به وأعوذ بك من شرها وشر ما أرسلت به وإذا رأى مخيلة قام وقعد وجاء وذهب وتغير لونه فيقال له يا رسول الله ما تخاف فيقول إني أخاف أن يكون مثل قوم عاد حيث قالوا هذا عارض ممطرنا ما فائدة إضافة الرب إلى الريح الدلالة على أن الريح وتصريف أعنتها مما يشهد لعظم قدرته لأنها من أعاجيب خلقه وأكابر جنوده وذكر الأمر وكونها مأمورة

جهته عز وعلا يعضد ذلك ويقويه ولقد مكناهم فيما إن مكناكم فيه وجعلنا لهم سمعا وأبصارا وأفئدة فما أغنى عنهم سمعهم ولا أبصارهم ولا أفئدتهم إن نافية أي فيما مكناكم فيه إلا أن إن أحسن في اللفظ لما في مجامعة ما مثلها من التكرير المستبشع ومثله مجتنب الا ترى أن الأصل في مهما ما ما فلبشاعة التكرير قلبوا الألف هاء ولقد أغث أبو الطيب في قوله لعمرك ما ما بان منك لضارب وما ضره لقد اقتدى بعذوبة لفظ التنزيل فقال لعمرك ما إن بان منك لضارب وقد جعلت إن صلة مثلها فيما أنشده الأخفش يرجى المرء ما إن لا يراه ويعرض دون أدناه الخطوب وتؤول بأنا مكناهم في مثل ما مكناكم فيه والوجه هو الأول ولقد جاء عليه غير آية في القرآن هم أحسن أثاثا ورئيا كانوا أكثر منهم وأشد قوة وآثارا وهو أبلغ في التوبيخ وأدخل في الحث من شيء أي من شيء من الإغناء وهو القليل منه إذ كانوا يجحدون بقوله فما أغنى لم انتصب جرى مجرى التعليل لاستواء مؤدى التعليل والظرف في قولك ضربته لإساءته وضربته إذ أساء لأنك إذا ضربته في وقت إساءته فإنما ضربته فيه لوجود إساءته فيه إلا أن إذ وحيث غلبتا دون سائر الظروف في ذلك بآيات الله وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون ولقد أهلكنا ما حولكم يا أهل مكة من القرى من نحو حجر ثمود وقرية سدوم وغيرهما والمراد أهل القرى ولذلك قال وصرفنا الآيات لعلهم يرجعون فلولا نصرهم الذين اتخذوا من دون الله قربانا آلهة لعلهم يرجعون القربان ما يتقرب به إلى الله أي اتخذوهم شفعاء متقربا بهم إلى الله حيث قالوا هؤلاء شفعاؤنا عند الله وأحد مفعولي اتخذ الراجع إلى الذين المحذوف والثاني آلهة وقربانا حال ولا يصح أن يكون قربانا مفعولا ثانيا وآلهة بدلا منه لفساد المعنى وقرئ قربانا بضم الراء والمعنى فهلا منعهم من الهلاك آلهتهم بل ضلوا عنهم أي غابوا عن نصرتهم وذلك إشارة إلى امتناع نصرة آلهتهم لهم وضلالهم عنهم أي وذلك أثر إفكهم الذي هو اتخاذهم إياها آلهة وثمرة شركهم وافترائهم على الله الكذب من كونه ذا شركاء وقرئ أفكهم والأفك والإفك كالحذر والحذر وقرئ وذلك أفكهم أي وذلك الاتخاذ الذي هذا أثره وثمرته صرفهم عن الحق وقرئ أفكهم على التشديد للمبالغة وآفكهم جعلهم آفكين وآفكهم أي قولهم الإفك ذو الإفك كما تقول قول كاذب وذلك إفك مما كانوا يفترون أي بعض ما كانوا يفترون من الإفك وإذ صرفنا إليك نفرا من الجن يستمعون القرآن أملناهم إليك وأقبلنا بهم نحوك وقرئ صرفنا بالتشديد لأنهم جماعة والنفر دون العشرة ويجمع أنفارا وفي حديث أبي ذر لو كان ههنا أحد من أنفارنا فلما حضروه الضمير للقرآن أي فلما كان بمسمع منهم أو لرسول الله صلى الله عليه وسلم ويعضده قراءة من قرأ فلما قضي أي أتم قراءته وفرغ منها قالوا

قال بعضهم لبعض انصتوا فلما قضى ولوا الى قومهم منذرين قالوا يا قومنا انا سمعنا كتابا انزل من بعد موسى مصدقا
لما بين يديه يهدى الى الحق والى طريق مستقيم يا قومنا اجيبوا داعى الله وآمنوا به اسكتوا مستمعين يقال انصت
لكذا واستنصت له روى ان الجن كانت تسترق السمع فلما حرست السماء ورجموا بالشهب قالوا ما هذا
الا لنبأ حدث فنهض سبعة نفر او تسعة من اشراف جن نصيبين او نينوى منهم زوبعة فضربوا حتى
بلغوا تهامة ثم اندفعوا الى وادى نخلة فوافقوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو قائم فى جوف الليل يصلى
او فى صلاة الفجر فاستمعوا لقراءته وذلك عند منصرفه من الطائف حين خرج اليهم يستنصرهم فلم يجيبوه
واغروا به سفهاء ثقيف وعن سعيد بن جبير ما قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم على الجن ولا رآهم وانما كان
يتلو فى صلاته فمروا به فوقفوا مستمعين وهو لا يشعر فانبأه الله باستماعهم وقيل بل امر الله رسوله ان
ينذر الجن ويقرأ عليهم فصرف اليه نفرا منهم جمعهم له فقال انى امرت ان اقرأ على الجن الليلة فمن يتبعنى
قالها ثلاثا فاطرقوا الا عبد الله بن مسعود قال لم يحضره ليلة الجن احد غيرى فانطلقنا حتى اذا كنا باعلى
مكة فى شعب الحجون فخط لى خطا وقال لا تخرج منه حتى اعود اليك ثم افتتح القرآن وسمعت لغطا شديدا
حتى خفت على رسول الله وغشيته اسودة كثيرة حالت بينى وبينه حتى ما اسمع صوته ثم انقطعوا كقطع السحاب
فقال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم هل رايت شيئا قلت نعم رجالا سودا مستثفرى ثياب بيض فقال اولئك
جن نصيبين وكانوا اثنى عشر الفا والسورة التى قرأها عليهم اقرأ باسم ربك كيف قال من
بعد موسى عن عطاء انهم كانوا على اليهودية وعن ابن عباس ان الجن لم تكن سمعت بامر عيسى
فلذلك قال من بعد موسى لم بعض فى قوله يغفر لكم من ذنوبكم لان من الذنوب ما
لا يغفر بالايمان كذنوب المظالم ونحوها ونحوه قوله عز وعلا ان اعبدوا الله واتقوه واطيعون يغفر لكم
من ذنوبكم هل للجن ثواب كما للانس اختلف فيه فقيل لا ثواب لهم الا النجاة من
النار لقوله ويجركم من عذاب اليم واليه كان يذهب ابو حنيفة رحمه الله والصحيح انهم فى حكم بنى آدم لانهم
مكلفون مثلهم ومن لا يجب داعى الله فليس بمعجز فى الارض اى لا ينجى منه مهرب ولا يسبق قضاءه سابق ونحوه
قوله وانا ظننا ان لن نعجز الله فى الارض ولن نعجزه هربا وليس له من دونه اولياء اولئك فى ضلال مبين
اولم يروا ان الله الذى خلق السموات والارض ولم يعى بخلقهن بقادر على ان يحيى الموتى بلى انه على كل شىء قدير
بقادر محله الرفع لانه خبر ان يدل عليه قراءة عبد الله قادر وانما دخلت الباء لاشتمال النفى فى اول الآية
على ان وما فى حيزها وقال الزجاج لو قلت ما ظننت ان زيدا بقائم جاز كانه قيل اليس الله بقادر الا
الى وقوع بلى مقررة للقدرة على كل شىء من البعث وغيره لا لرؤيتهم وقرئ يقدر ويقال عييت بالامر

اذا لم يعرف وجهه ومنه افعيينا بالخلق الاول ويوم يعرض الذين كفروا على النار اليس هذا بالحق محكى بعد قول
مضمر وهذا المضمر هو ناصب الظرف وهذا اشارة الى العذاب بدليل قوله قالوا بلى وربنا قال فذوقوا العذاب
والمعنى التهكم بهم والتوبيخ لهم على استهزائهم بوعد الله ووعيده وقولهم وما نحن بمعذبين بما كنتم
تكفرون فاصبر كما صبر اولوا العزم اولوا الجد والثبات والصبر من الرسل ومن يجوز ان يكون للتبعيض
ويراد باولى العزم بعض الانبياء قيل هم نوح صبر على اذى قومه كانوا يضربونه حتى يغشى عليه و
ابرهيم على النار وذبح ولده واسحاق على الذبح ويعقوب على فقد ولده وذهاب بصره ويوسف على الجب
والسجن وايوب على الضر وموسى قال له قومه انا لمدركون قال كلا ان معى ربى سيهدين وداود
بكى على خطيئته اربعين سنة وعيسى لم يضع لبنة على لبنة وقال انها معبرة فاعبروها ولا تعمروها وقال الله
تعالى فى آدم ولم نجد له عزما وفى يونس ولا تكن كصاحب الحوت ويجوز ان تكون للبيان فيكون اولوا العزم
صفة الرسل كلهم ولا تستعجل لهم كانهم يوم يرون ما يوعدون لكفار قريش بالعذاب اى لا تدع لهم بتعجيله
فانه نازل بهم لا محالة وان تأخر وانهم مستقصرون حينئذ مدة لبثهم فى الدنيا حتى يحسبوها ساعة
من نهار لم يلبثوا الا ساعة من نهار بلاغ هذا بلاغ اى هذا الذى وعظتم به كفاية فى الموعظة او هذا
تبليغ من الرسول فهل يهلك الا القوم الظالمون الخارجون عن الاتعاظ به والعمل بموجبه ويدل على
معنى التبليغ قراءة من قرأ بلغ فهل يهلك وقرئ بلاغا اى بلغوا بلاغا يهلك بفتح الياء وكسر اللام
وفتحها من هلك وهلك ونهلك الا القوم الفاسقين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ
سورة الاحقاف كتب له عشر حسنات بعدد كل رملة فى الدنيا

سورة محمد صلى الله عليه وسلم مدنية عند مجاهد وقال الضحاك وسعيد بن جبير مكية وهى سورة القتال وهى تسع وثلثون آية وقيل ثمان

بسم الله الرحمن الرحيم الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله وصدوا واعرضوا و
امتنعوا عن الدخول فى الاسلام او صدوا غيرهم عنه قال ابن عباس هم المطعمون يوم بدر وعن
مقاتل كانوا اثنى عشر رجلا من اهل الشرك يصدون الناس عن الاسلام ويامرونهم بالكفر وقيل
هم اهل الكتاب الذين كفروا وصدوا من اراد منهم ومن غيرهم ان يدخل فى الاسلام وقيل هو عام فى كل
من كفر وصد اضل اعمالهم ابطلها واحبطها وحقيقته جعلها ضالة ضائعة ليس لها من يتقبلها
ويثيب عليها كالضالة من الابل التى هى بمضيعة لا رب لها يحفظها ويعتنى بامرها او جعلها ضالة
فى كفرهم ومعاصيهم مغلوبة بها كما يضل الماء فى اللبن واعمالهم ما عملوه فى كفرهم مما كانوا يسمونه

مكارم من صلة الارحام وفك الاسارى وقرى الاضياف وحفظ الجوار وقيل ابطل ما عملوه من الكيد
لرسول الله صلى الله عليه وسلم والصد عن سبيل الله بان نصره عليهم واظهر دينه على الدين كله والذين
آمنوا وعملوا الصالحات قال مقاتل هم ناس من قريش وقيل من الانصار وقيل هم مومنوا اهل الكتاب وقيل
هو عام وقوله وآمنوا بما نزل على محمد اختصاص للايمان بالمنزل على محمد صلى الله عليه وسلم من بين ما يجب
الايمان به تعظيما لشانه وتعليما لانه لا يصح الايمان ولا يتم الا به واكد ذلك بالجملة الاعتراضية التي
هي قوله وهو الحق من ربهم وقيل معناها ان دين محمد هو الحق اذ لا يرد عليه النسخ وهو ناسخ لغيره و
قرئ نزل وانزل على البناء للمفعول ونزل على البناء للفاعل ونزل بالتخفيف كفر عنهم سيئاتهم ستر
بايمانهم وعملهم الصالح ما كان منهم من الكفر والمعاصي لرجوعهم وتوبتهم واصلح بالهم اي حالهم وشانهم بالتوفيق
في امور الدين وبالتسليط على الدنيا بما اعطاهم من النصرة والتاييد ذلك بان الذين كفروا اتبعوا الباطل
وان الذين آمنوا اتبعوا الحق من ربهم مبتداء وما بعده خبره اي ذلك الامر وهو اضلال اعمال احد الفريقين
وتكفير سيآت الثاني كائن بسبب اتباع هولاء الباطل وهولاء الحق ويجوز ان يكون ذلك خبر مبتداء
محذوف اي الامر كما ذكر بهذا السبب فيكون محل الجار والمجرور منصوبا على هذا ومرفوعا على الاول و
الباطل ما لا ينتفع به وعن مجاهد الباطل الشيطان وهذا الكلام يسميه علماء البيان التفسير
كذلك مثل ذلك الضرب يضرب الله للناس امثالهم والضمير راجع الى الناس او الى المذكورين
من الفريقين على معنى انه يضرب امثالهم لاجل الناس ليعتبروا بهم اين ضرب الامثال
في ان جعل اتباع الباطل مثلا لعمل الكفار واتباع الحق مثلا لعمل المومنين او في
ان جعل الاضلال مثلا لخيبة الكفار وتكفير السيئات مثلا لفوز المومنين فاذا لقيتم الذين
كفروا لقيتم من اللقاء وهو الحرب فضرب الرقاب اصله فاضربوا الرقاب ضربا فحذف الفعل و
قدم المصدر فانيب منابه مضافا الى المفعول وفيه اختصار مع اعطاء معنى التوكيد لانك تذكر
المصدر وتدل على الفعل بالنصبة التي فيه وضرب الرقاب عبارة عن القتل لان الواجب ان يضرب
الرقاب خاصة دون غيرها من الاعضاء وذلك انهم يقولون ضرب الامير رقبة فلان وضرب عنقه
وعلاوته وضرب ما فيه عيناه اذا قتله وذلك ان قتل الانسان اكثر ما يكون بضرب رقبته فوقع عبارة
عن القتل وان ضرب غير رقبته من المقاتل كما ذكرنا في قوله بما كسبت ايديكم على ان في هذه العبارة
من الغلظة والشدة ما ليس في لفظ القتل لما فيه من تصوير القتل باشنع صورة وهو حز العنق
واطارة العضو الذي هو راس البدن وعلوه واوجه اعضائه ولقد زاد في هذه الغلظة في قوله

فاضربوا فوق الاعناق واضربوا منهم كل بنان حتى اذا اثخنتموهم اكثرتم قتلهم واغلظتموه من الشيء
الثخين وهو الغليظ او اثقلتموهم بالقتل والجراح حتى اذهبتم عنهم النهوض فشدوا الوثاق فاما منا
بعد واما فداء حتى تضع الحرب اوزارها فاسروهم والوثاق بالفتح والكسر اسم ما يوثق به منا وفداء
منصوبان بفعليهما مضمرين اي فاما تمنون منا واما تفدون فداء والمعنى التخيير بين الاسر بين ان
تمنوا عليهم فتطلقوهم وبين ان يفادوهم كيف حكم اسارى المشركين اما عند
ابي حنيفة واصحابه فاحد امرين اما قتلهم واما استرقاقهم ايهما راى الامام ويقولون في المن والفداء
المذكورين في الآية نزل ذلك في يوم بدر ثم نسخ وعن مجاهد ليس اليوم من ولا فداء انما هو الاسلام او
ضرب العنق ويجوز ان يراد بالمن ان يمن عليهم بترك القتل ويسترقوا او يمن عليهم فيخلوا لقبولهم الجزية
وكونهم من اهل الذمة وبالفداء ان يفادى باسارى المشركين اسارى المسلمين فقد رواه الطحاوي مذهبا عن
ابي حنيفة والمشهور انه لا يرى فداءهم لا بمال ولا بغيره خيفة ان يعودوا حربا للمسلمين واما الشافعي
فيقول للامام ان يختار احد اربعة على حسب ما اقتضاه نظره للمسلمين وهي القتل والاسترقاق والفداء
باسارى المسلمين والمن ويحتج بان رسول الله صلى الله عليه وسلم من على ابي عزة الجمحي وعلى اثال الحنفي
وفادى رجلا برجلين من المشركين وهذا كله منسوخ عند اصحاب الراي وقرئ فدى بالكسر مع فتح
الفاء اوزار الحرب آلاتها واثقالها التي لا تقوم الا بها كالسلاح والكراع قال الاعشى
واعددت للحرب اوزارها رماحا طوالا وخيلا ذكورا وسميت اوزارها لانه لما لم يكن بد من جرها
فكانما تحملها وتستقل بها فاذا انقضت فكانها وضعتها وقيل اوزارها آثامها يعني حتى يترك
اهل الحرب وهم المشركون شركهم ومعاصيهم بان يسلموا حتى بم تعلقت
لا تخلو من ان تتعلق بالضرب والشد او بالمن والفداء فالمعنى على كلا المتعلقين عند الشافعي انهم
لا يزالون على ذلك ابدا الى ان لا يكون حرب مع المشركين وذلك اذا لم يبق لهم شوكة وقيل اذا نزل
عيسى عليه السلام وعند ابي حنيفة اذا علق بالضرب والشد فالمعنى انهم يقتلون ويوسرون حتى تضع
جنس الحرب الاوزار وذلك حين لا يبقى شوكة للمشركين واذا علق بالمن والفداء فالمعنى انه يمن
عليهم ويفادون حتى تضع حرب بدر اوزارها الا ان يتاول المن والفداء بما ذكرنا من التاويل
ذلك ولو يشاء الله لانتصر منهم ولكن ليبلو بعضكم ببعض والذين قتلوا في سبيل الله ذلك الامر ذلك او افعلوا
ذلك لانتصر منهم لانتقم منهم ببعض اسباب الهلكة من خسف او رجفة او حاصب او غرق او موت جارف
ولكن امركم بالقتال ليبلو المومنين بالكافرين بان يجاهدوا ويصبروا حتى يستوجبوا الثواب العظيم

والكافرين بالمؤمنين بان يعاجلهم على ايديهم ببعض ما وجب لهم من العذاب وقرئ قتلوا بالتخفيف
والتشديد وقتلوا وقاتلوا وقرئ فلن يضل اعمالهم ويضل اعمالهم على البناء للمفعول ويضل اعمالهم من
ضل وعن قتادة انها نزلت في يوم احد سيهديهم ويصلح بالهم ويدخلهم الجنة عرفها لهم اعلمها لهم وبينها
بما يعلم به كل احد منزله ودرجته من الجنة قال مجاهد يهتدي اهل الجنة الى مساكنهم منها لا يخطئون
كانهم كانوا سكانها منذ خلقوا لا يستدلون عليها وعن مقاتل ان الملك الذي وكل بحفظ عمله في
الدنيا يمشي بين يديه فيعرفه كل شيء اعطاه الله او طيبها لهم من العرف وهو طيب الرائحة
وفي كلام بعضهم عزف كنوح القماري وعرف كفوح القماري او حددها لهم فجنة كل احد محدودة
مفرزة عن غيرها من عرف الدار وارفها والعرف والارف الحدود يا ايها الذين آمنوا ان تنصروا الله
دين الله ورسوله ينصركم على عدوكم ويفتح لكم ويثبت اقدامكم في مواطن الحرب او على محجة الاسلام
والذين كفروا يحتمل الرفع على الابتداء والنصب بما يفسره فتعسا لهم كانه قال اتعس الذين كفروا
علام عطف قوله واضل اعمالهم على الفعل الذي نصب تعسا لان المعنى
فقال تعسا لهم او فقضى تعسا لهم وتعسا له نقيض لعا له قال الاعشى
فالتعس اولى لها من ان اقول لعا
يريد فالعثور والانحطاط اقرب لها من الانتعاش والثبوت
وعن ابن عباس يريد في الدنيا القتل وفي الآخرة التردي في النار ذلك بانهم كرهوا ما انزل الله
فاحبط اعمالهم افلم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كرهوا القرآن وما
انزل الله فيه من التكاليف والاحكام لانهم قد الفوا الاهمال واطلاق العنان في الشهوات والملاذ
فشق عليهم ذلك وتعاظمهم دمره اهلكه ودمر عليه اهلك عليه ما يختص به والمعنى دمر الله عليهم
ما اختص بهم من انفسهم واموالهم واولادهم وكل ما كان لهم وللكافرين امثالها ذلك بان الله الضمير
للعاقبة المذكورة او للهلكة لان التدمير يدل عليها او للسنة لقوله عز وعلا سنة الله في الذين
خلوا مولى الذين آمنوا وان الكافرين لا مولى لهم ان الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري
من تحتها الانهار وليهم وناصرهم وفي قراءة ابن مسعود ولي الذين آمنوا ويروى ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم كان في الشعب يوم احد وقد فشت فيهم الجراحات وفيه نزلت فنادى المشركون
اعل هبل فنادى المسلمون الله اعلى واجل فنادى المشركون يوم بيوم والحرب سجال ان لنا عزى
ولا عزى لكم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قولوا الله مولانا ولا مولى لكم ان القتلى مختلفة اما
قتلانا فاحياء يرزقون واما قتلاكم ففي النار يعذبون قوله تعالى وردوا الى الله

مولاهم الحق مناقض لهذه الآية لا تناقض بينهما لان الله مولى عباده جميعا على معنى انه
ربهم ومالك امرهم واما على معنى الناصر فهو مولى المؤمنين خاصة والذين كفروا يتمتعون ينتفعون بمتاع
الحيوة الدنيا اياما قلائل وياكلون غافلين غير مفكرين في العاقبة كما تاكل الانعام في مسارحها
ومعالفها غافلة عما هي بصدده من النحر والذبح والنار مثوى لهم منزل ومقام وكاين من قرية
وقرئ كائن بوزن كاعن واراد بالقرية اهلها ولذلك قال اهلكناهم كانه قال وكم من قوم هم اشد
قوة من قومك الذين اخرجوك اهلكناهم ومعنى اخرجوك كانوا سبب خروجك كيف قال
فلا ناصر لهم وانما هو امر قد مضى اجراه مجرى الحال المحكية كقولك اهلكناهم فهم لا ينصرون
افمن كان على بينة من ربه كمن زين له هم اهل مكة الذين زين لهم الشيطان شركهم وعداوتهم لله ورسوله
ومن كان على بينة من ربه اي على حجة من عنده وبرهان وهو القرآن المعجز وسائر المعجزات هو رسول
الله صلى الله عليه وسلم وقرئ امن كان على بينة وقال سوء عمله واتبعوا للحمل على لفظ من ومعناه
فان قلت ما معنى قوله مثل الجنة التي وعد المتقون فيها انهار كمن هو خالد في النار
قلت هو كلام في صورة الاثبات ومعنى النفي والانكار لانطوائه تحت حكم كلام مصدر بحرف
الانكار ودخوله في حيزه وانخراطه في سلكه وهو قوله افمن كان على بينة من ربه كمن زين له سوء عمله
فكانه قيل امثل الجنة كمن هو خالد في النار اي كمثل جزاء من هو خالد في النار
فلم عري من حرف الانكار وما فائدة التعرية تعريته من حرف الانكار فيها زيادة تصوير
لمكابرة من يسوي بين المتمسك بالبينة والتابع لهواه وانه بمنزلة من يثبت التسوية بين الجنة التي فيها
تلك الانهار وبين النار التي يسقى اهلها الحميم ونظيره قول القائل
افرح ان ارزا الكرام وان اورث ذودا شصائصا نبلا
هو كلام منكر للفرح برزية الكرام ووراثة الذود مع تعريه من حرف الانكار لانطوائه تحت حكم قول من قال له اتفرح
بموت اخيك وبوراثة ابله والذي طرح لاجله حرف الانكار ارادة ان يصور قبح ما ازن به وكانه قال له
نعم مثلي يفرح بمرزئة الكرام وبان يستبدل منهم ذودا يقل طائله وهو من التسليم الذي تحته كل
انكار ومثل الجنة صفة الجنة العجيبة الشان وهو مبتدا وخبره كمن هو خالد وقوله فيها انهار داخل
في حكم الصلة كالتكرير لها الا ترى الى صحة قولك التي فيها انهار ويجوز ان يكون خبر مبتدا محذوف
هي فيها انهار وكان قائلا قال وما مثلها فقيل فيها انهار وان يكون في موضع الحال اي مستقرة فيها انهار
وفي قراءة علي رضي الله عنه امثال الجنة اي ما صفاتها كصفات النار وقرئ من ماء غير اسن يقال اسن الماء

وآجن اذا تغير طعمه وريحه وانشد ليزيد بن معاوية لقد سقتني رضابا غير ذي أسن كالمسك فتّ على ماء العناقيد
وانهار من لبن لم يتغير طعمه كما يتغير ألبان الدنيا فلا يعود قارصا ولا حازرا ولا ما يكره من الطعوم و
انهار من خمر لذة للشاربين وانهار من عسل مصفى ولهم فيها من كل الثمرات ومغفرة من ربهم كمن هو خالد
في النار وسقوا لذة تأنيث لذ وهو اللذيذ او وصف بمصدر وقرئ بالحركات الثلاث فالجر على صفة
الخمر والرفع على صفة الانهار والنصب على العلة اى لأجل لذة الشاربين والمعنى ما هو الا التلذذ
الخالص ليس معه ذهاب عقل ولا خمار ولا صداع ولا آفة من آفات الخمر مصفى لم يخرج من بطون
النحل فيخالطه الشمع وغيره ماء حميما قيل اذا دنى منهم شوى وجوههم وانمازت فروة رؤوسهم فاذا
شربوه قطع أمعاءهم ومنهم من يستمع اليك حتى اذا خرجوا من عندك قالوا للذين أوتوا العلم ماذا قال آنفا أولئك
الذين طبع الله على قلوبهم واتبعوا أهواءهم والذين اهتدوا هم المنافقون كانوا يحضرون مجلس رسول الله
صلى الله عليه وسلم فيسمعون كلامه ولا يعونه ولا يلقون له بالا تهاونا منهم فاذا خرجوا قالوا لأولى العلم من
الصحابة ماذا قال الساعة على جهة الاستهزاء وقيل كان يخطب فاذا عاب المنافقين خرجوا فقالوا ذلك
للعلماء وقيل قالوه لعبد الله بن مسعود وعن ابن عباس انا منهم وقد سميت فيمن سئل آنفا وقرئ أنفا على فعل
نصب على الظرف قال الزجاج هو من استأنفت الشيء اذا ابتدأته والمعنى ماذا قال في اول في اول
وقت يقرب منا زادهم الله هدى بالتوفيق وآتاهم تقواهم فهل ينظرون الا الساعة أعانهم عليها او
آتاهم جزاء تقواهم وعن السدي بين لهم ما يتقون وقرئ وأعطاهم وقيل الضمير في زادهم لقول
الرسول او لاستهزاء المنافقين ان تأتيهم بغتة فقد جاء أشراطها فأنى لهم اذا جاءتهم ذكراهم بدل
اشتمال من الساعة نحو ان تطؤهم من قوله رجال مؤمنون ونساء مؤمنات وقرئ ان تأتهم بالوقف
على الساعة واستئناف الشرط وهي في مصاحف اهل مكة كذلك فما جزاء الشرط
قوله فأنى تؤفكون ومعناه ان تأتهم الساعة فكيف لهم ذكراهم اى تذكرهم و
اتعاظهم اذا جاءتهم الساعة يعني لا ينفعهم الذكرى حينئذ كقوله يومئذ يتذكر الانسان وأنى له
الذكرى ثم يتصل قوله فقد جاء أشراطها على القراءتين باتيان الساعة
اتصال العلة بالمعلول كقولك ان أكرمني زيد فأنا حقيق بالاكرام أكرمه والاشراط العلامات
قال ابو الاسود فان كنت قد أزمعت بالصرم بيننا فقد جعلت أشراط أوله تبدو
وقيل مبعث محمد خاتم الانبياء صلى الله عليه وسلم وعليهم منها وانشقاق القمر والدخان وعن الكلبي
كثرة المال والتجارة وشهادة الزور وقطع الأرحام وقلة الكرام وكثرة اللئام وقرئ بغتة

بوزن جربّة وهي غريبة لم ترد في المصادر أختها وهي مروية عن أبي عمرو وما أخوفني أن تكون غلطة
من الراوي على أبي عمرو وأن يكون الصواب بغتة بفتح الغين من غير تشديد كقراءة الحسن فيما تقدم فاعلم
أنه لا اله الا الله واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات والله يعلم لما ذكر حال المؤمنين وحال المنافقين
قال اذا علمت أن الأمر كما ذكر من سعادة هؤلاء وشقاوة هؤلاء فاثبت على ما أنت عليه
من العلم بوحدانية الله وعلى التواضع وهضم النفس باستغفار ذنبك وذنوب من على دينك
والله يعلم أحوالكم ومتصرفاتكم ومتقلبكم في معايشكم ومتاجركم ويعلم حيث تستقرون
من منازلكم او متقلبكم في حياتكم ومثواكم في القبور او متقلبكم في أعمالكم ومثواكم من الجنة
والنار ومثله حقيق بأن يتقى ويخشى وأن يستغفر ويسترحم وعن سفيان بن عيينة انه سئل
عن فضل العلم فقال ألم تسمع قوله حين بدأ به فاعلم أنه لا اله الا الله واستغفر لذنبك فأمر بالعمل بعد
العلم وقال اعلموا انما الحيوة الدنيا لعب ولهو الى قوله سابقوا الى مغفرة وقال واعلموا انما أموالكم
وأولادكم فتنة ثم قال بعد فاحذروهم وقال واعلموا انما غنمتم من شيء فأن لله خمسه ثم أمر بالعمل
بعد ويقول الذين آمنوا كانوا يدعون الحرص على الجهاد ويتمنونه بألسنتهم ويقولون لولا أنزلت لولا
نزلت سورة في معنى الجهاد فاذا أنزلت سورة وأمروا فيها بما تمنوا وحرصوا عليه كاعوا وشق عليهم وسقطوا
في أيديهم كقوله فلما كتب عليهم القتال اذا فريق منهم يخشون الناس محكمة مبينة غير متشابهة
لا تحتمل وجها الا وجوب القتال وعن قتادة كل سورة فيها ذكر القتال فهي محكمة وهي أشد القرآن
على المنافقين وقيل لها محكمة لأن النسخ لا يرد عليها من قبل ان القتال قد نسخ ما كان من الصفح
والمهادنة وهو غير منسوخ الى يوم القيامة وقيل هي المحدثة لأنها حين يحدث نزولها لا يتناولها
النسخ ثم تنسخ بعد ذلك او تبقى غير منسوخة وفي قراءة عبد الله سورة محدثة وقرئ فاذا نزلت
سورة وذكر فيها القتال على البناء للفاعل ونصب القتال رأيت الذين في قلوبهم مرض هم الذين كانوا على
حرف غير ثابتي الأقدام ينظرون اليك نظر المغشي عليه من الموت اى تشخص أبصارهم جبنا وهلعا
كما ينظر من أصابته الغشية عند الموت فأولى لهم وعيد بمعنى فويل لهم وهو أفعل من الولي وهو
القرب ومعناه الدعاء عليهم بأن يليهم المكروه طاعة وقول معروف كلام مستأنف اى طاعة وقول
معروف خير لهم وقيل هي حكاية قولهم اى قالوا طاعة وقول معروف بمعنى أمرنا طاعة وقول معروف
ويشهد له قراءة أبي يقولون طاعة وقول معروف فاذا عزم الأمر اى جد والعزم والجد
لأصحاب الأمر وانما يسندان الى الأمر اسنادا مجازا ومنه قوله تعالى فان ذلك من عزم الأمور فلو صدقوا

الله لكان خيرا لهم فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا في الأرض فيما زعموا من الحرص على الجهاد او فلو صدقوا
في ايمانهم وواطأت قلوبهم فيه ألسنتهم عسيت وعسيتم لغة أهل الحجاز وأما بنو تميم فيقولون عسى
ان تفعل وعسى ان تفعلوا ولا يلحقون الضمائر وقرأ نافع بكسر السين وهو غريب وقد نقل الكلام من
من الغيبة الى الخطاب على طريقة الالتفات ليكون ابلغ في التوبيخ ما معنى فهل عسيتم ان تفسدوا
في الأرض معناه هل يتوقع منكم الإفساد فكيف يصح هذا في كلام الله عز وجل وهو
عالم بما كان وبما يكون معناه انكم لما عهد منكم احقاء بان يقول لكم كل من ذاقكم وعرف تمريضكم
ورخاوة عقدكم في الإيمان يا هؤلاء ما ترون هل يتوقع منكم ان توليتم امور الناس وتأمرتم عليهم لما تبين
منكم من الشواهد ولاح من المخايل أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم تناحرا على الملك وتهالكا على
الدنيا وقيل ان أعرضتم وتوليتم عن دين الله صلى الله عليه وسلم وسنته أن ترجعوا الى ما كنتم عليه في الجاهلية
من الافساد في الأرض بالتغاور والتناهب وقطع الأرحام بمقاتلة بعض الاقارب بعضا ووأد البنات
وقرئ وليتم وفي قراءة علي بن ابي طالب رضي الله عنه توليتم اي ان تولاكم ولاة غشمة خرجتم معهم ومشيتم
تحت لوائهم وأفسدتم بإفسادهم وقرئ وتقطعوا وتقطعوا من التقطيع والتقطع أولئك اشارة الى
المذكورين لعنهم الله فأصمهم وأعمى أبصارهم لإفسادهم وقطعهم الأرحام فمنعهم الطافه وخذلهم
حتى صموا عن استماع الموعظة وعموا عن ابصار طريق الهدى ويجوز ان يريد بالذين آمنوا المؤمنين
الخلص الثابتين فانهم يتشوفون الى الوحي اذا ابطأ عليهم فاذا انزلت سورة في معنى الجهاد رأيت
المنافقين فيما بينهم يضجرون منها أفلا يتدبرون القرآن ويتصفحونه وما فيه من المواعظ والزواجر
ووعيد العصاة حتى لا يجسروا على المعاصي ثم قال أم على قلوب أقفالها وأم بمعنى بل وهمزة التقرير
للتسجيل عليهم بان قلوبهم مقفلة لا يتوصل اليها ذكر وعن قتادة اذن والله يجدوا في القرآن زاجرا
عن معصية الله لو تدبروه ولكنهم أخذوا بالمتشابه فهلكوا لم نكرت القلوب و
أضيفت الأقفال اليها اما التنكير ففيه وجهان ان يراد على قلوب قاسية مبهم أمرها
في ذلك او يراد على بعض القلوب وهي قلوب المنافقين واما اضافة الاقفال فلانه يريد الاقفال
المختصة بها وهي اقفال الكفر التي استغلقت فلا تنفتح وقرئ اقفالها على المصدر إن الذين
ارتدوا على أدبارهم من بعد ما تبين لهم الهدى الشيطان سول لهم جملة من مبتدأ وخبر وقعت خبرا
لإن كقولك ان زيدا عمرو مر به سول لهم سهل لهم ركوب العظائم من السول وهو الاسترخاء وقد
اشتقه من السؤل من لا علم له بالتصريف والاشتقاق جميعا وأملى لهم ذلك بأنهم قالوا للذين كرهوا

رسوله

الذين

ومد لهم في الآمال والأماني وقرئ وأملي لهم يعني ان الشيطان يغويهم وأنا أنظرهم كقوله إنما نملي لهم و
قرئ وأملي لهم على البناء للمفعول اي أمهلوا ومد في عمرهم وقرئ سول لهم ومعناه كيد الشيطان زين لهم
على تقدير حذف المضاف من هؤلاء اليهود كفروا بمحمد صلى الله عليه وسلم من بعد
ما تبين لهم الهدى ونعته في التوراة وقيل هم المنافقون الذين قالوا القائلون اليهود والذين كرهوا
ما نزل الله المنافقون وقيل عكسه وانه قول المنافقين لقريظة والنضير لئن أخرجتم لنخرجن معكم
سنطيعكم في بعض الأمر وقيل بعض الأمر التكذيب برسول الله صلى الله عليه وسلم او بلا اله الا الله او ترك القتال
معه وقيل هو قول احد الفريقين للمشركين سنطيعكم في التظافر على عداوة رسول الله صلى الله عليه
وسلم والقعود عن الجهاد معه ومعنى في بعض الأمر في بعض ما تأمرون به او في بعض الأمر الذي يهمكم
والله يعلم اسرارهم وقرئ اسرارهم على المصدر قالوا ذلك سرا فيما بينهم فأفشاه الله عليهم فكيف اذا
توفتهم الملائكة يضربون وجوههم يعملون وما حيلتهم حينئذ وقرئ توفاهم ويحتمل ان يكون ماضيا و
مضارعا قد حذف منه احدى تائيه كقوله ان الذين توفاهم الملائكة وعن ابن عباس لا يتوفى احد على معصية
الا بضرب من الملائكة في وجهه ودبره ذلك بأنهم اتبعوا اشارة الى التوفي الموصوف ما أسخط الله من كتمان
نعت رسول الله وكرهوا رضوانه الايمان برسول الله صلى الله عليه وسلم فأحبط أعمالهم أم حسب الذين في
قلوبهم مرض أن لن يخرج الله أضغانهم أحقادهم واخراجها ابرازها لرسول الله صلى الله عليه وسلم وللمؤمنين
واظهارهم على نفاقهم وعداوتهم لهم وكانت صدورهم تغلي حنقا عليهم ولو نشاء لأريناكهم لعرفناكهم
ودللناك عليهم حتى تعرفهم بأعيانهم لا يخفون عليك فلعرفتهم بسيماهم بعلامتهم وهو ان يسمهم الله
بعلامة يعلمون بها وعن انس رضي الله عنه ما خفي على رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد هذه الآية شيء
من المنافقين كان يعرفهم بسيماهم ولقد كنا في بعض الغزوات وفيها تسعة من المنافقين يشكوهم
الناس فناموا ذات ليلة واصبحوا وعلى جبهة كل واحد منهم مكتوب هذا منافق اي
فرق بين اللامين في فلعرفتهم ولتعرفنهم الاولى هي الداخلة في جواب لو كالتي في لأريناكهم
كررت في المعطوف واما اللام في ولتعرفنهم فواقعة مع النون في جواب قسم محذوف في لحن القول
في نحوه وأسلوبه وعن ابن عباس هو قولهم ما لنا ان اطعنا من الثواب ولا يقولون ما علينا ان عصينا من
العقاب وقيل اللحن ان تلحن بكلامك اي تميله الى نحو من الانحاء ليفطن له صاحبك كالتعريض و
التورية قال ولقد لحنت لكم لكيما تفقهوا واللحن يعرفه ذوو الالباب وقيل للمخطئ لاحن لأنه
يعدل بالكلام عن الصواب والله يعلم اعمالكم ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلو اخباركم

إن الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله وشاقوا الرسول من بعد ما تبين لهم الهدى لن يضروا الله شيئا

أخباركم ما يحكى عنكم وما يخبر به عن أعمالكم لنعلم حسنها من قبيحها لأن الخبر على حسب المخبر عنه إن حسنا
فحسن وإن قبيحا فقبيح وقرأ يعقوب ونبلو بسكون الواو على معنى ونحن نبلو أخباركم وقرئ وليبلونكم
ويعلم ويبلو بالياء وعن الفضيل أنه كان إذا قرأها بكى وقال اللهم لا تبلنا فإنك إن بلوتنا فضحتنا و
هتكت أستارنا وعذبتنا وسيحبط أعمالهم التي عملوها في دينهم يرجون بها الثواب لأنها مع كفرهم برسول
الله صلى الله عليه وسلم باطلة وهم قريظة والنضير أو سيحبط أعمالهم التي عملوها والمكائد التي نصبوها
في مشاقة الرسول أي سيبطلها فلا يصلون منها إلى أغراضهم بل يستضرون بها ولا تثمر لهم إلا القتل
والجلاء عن أوطانهم وقيل هم رؤساء قريش والمطعمون يوم بدر يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول
ولا تبطلوا أعمالكم أي لا تحبطوا الطاعات بالكبائر كقوله ولا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي إلى أن
قال أن تحبط أعمالكم وعن أبي العالية كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يرون أنه لا يضر
مع الإيمان ذنب كما لا ينفع مع الشرك عمل حتى نزلت ولا تبطلوا أعمالكم فكانوا يخافون الكبائر على
أعمالهم وعن حذيفة فخافوا أن تحبط الكبائر أعمالهم وعن ابن عمر كنا نرى أنه ليس شيء من حسناتنا
إلا مقبولا حتى نزل ولا تبطلوا أعمالكم فقلنا ما هذا الذي يبطل أعمالنا فقلنا الكبائر الموجبات والفوا حش
حتى نزل إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء فكففنا عن القول في ذلك فكنا نخاف
على من أصاب الكبائر ونرجو لمن لم يصبها وعن قتادة رحم الله عبدا لم يحبط عمله الصالح بعمله السيء
وقيل لا تبطلوها بمعصيتهما وعن ابن عباس لا تبطلوها بالرياء والسمعة وعنه بالشك والنفاق
وقيل بالعجب فإن العجب يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب وقيل ولا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى
إن الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله ثم ماتوا وهم كفار قيل هم أصحاب القليب والظاهر العموم
فلن يغفر الله لهم ولا تدعوا إلى السلم وقرئ بالسلم وهما المسالمة وأنتم الأعلون الأغلبون الأقهرون
والله معكم أي ناصركم وعن قتادة لا تكونوا أول الطائفتين ضرعت إلى صاحبتها بالموادعة و
قرئ ولا تدّعوا من ادّعى القوم وتداعوا نحو قولك ارتموا الصيد وترامَوه وتدعوا مجزوم لدخوله في
حكم النهي أو منصوب لإضمار أن ونحو قوله وأنتم الأعلون قوله إنك أنت الأعلى ولن يتركم أعمالكم
من وترت الرجل إذا قتلت له قتيلا من ولد أو أخ أو حميم أو حربته وحقيقته أفردته من
قريبه أو ماله من الوتر وهو الفرد فشبه إضاعة عمل العامل وتعطيل ثوابه بوتر الواتر وهو من
فصيح الكلام ومنه قوله عليه السلام من فاتته صلاة العصر فكأنما وتر أهله وماله أي أفرد

عنهما قتلا ونهبا إنما الحياة الدنيا لعب ولهو وإن تؤمنوا وتتقوا يؤتكم أجوركم ثواب إيمانكم وتقواكم
ولا يسألكم أموالكم أي ولا يسألكم جميعها إنما يقتصر منكم على ربع العشر فإن يسألكموها فيحفكم
أي يجهدكم ويطلبه كله والإحفاء المبالغة وبلوغ الغاية في كل شيء يقال أحفاه في المسألة إذا
لم يترك شيئا من الإلحاح وأحفى شاربه استأصله تبخلوا ويخرج أضغانكم أي تضطغنون على رسول الله
صلى الله عليه وسلم وتضيق صدوركم لذلك وأظهرتم كراهتكم ومقتكم لدين يذهب بأموالكم
والضمير في يخرج لله عز وجل أي يضغنكم بطلب أموالكم أو للبخل لأنه سبب الاضطغان وقرئ
نخرج بالنون ويخرج بالتاء والياء مع فتحهما ورفع أضغانكم ها أنتم هؤلاء موصول بمعنى الذين صلته
تدعون أي أنتم الذين تدعون أو أنتم يا مخاطبون هؤلاء الموصوفون ثم استأنف وصفهم كأنهم قالوا
وما وصفنا فقيل تدعون لتنفقوا في سبيل الله قيل هي النفقة في الغزو وقيل الزكاة كأنه قيل
الدليل على أنه لو أحفاكم لبخلتم وكرهتم العطاء واضطغنتم أنكم تدعون إلى أداء ربع العشر فمنكم ناس من يبخل
يبخلون به ثم قال ومن يبخل فإنما يبخل عن نفسه والله الغني وأنتم الفقراء بالصدقة وأداء الفريضة فلا
يتعداه ضرر بخله وإنما يبخل على نفسه يقال بخلت عليه وعنه وكذلك ضننت عليه وعنه ثم أخبر أنه لا يأمر
بذلك ولا يدعو إليه لحاجته فهو الغني الذي يستحيل عليه الحاجات ولكن لحاجتكم وفقركم إلى الثواب
وإن تتولوا معطوف على إن تؤمنوا وتتقوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم يخلق قوما
سواكم على خلاف صفتكم راغبين في الإيمان والتقوى غير متولين عنهما كقوله ويأت بخلق جديد
وقيل هم الملائكة وقيل الأنصار وعن ابن عباس كندة والنخع وعن الحسن العجم وعن عكرمة فارس
والروم وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن القوم وكان سلمان إلى جنبه فضرب على فخذه وقال
هذا وقومه والذي نفسي بيده لو كان الإيمان منوطا بالثريا لتناوله رجال من فارس عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة محمد كان حقا على الله أن يسقيه من أنهار الجنة

سورة الفتح مدنية وهي تسع وعشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم إنا فتحنا لك فتحا مبينا ليغفر لك الله هو فتح مكة وقد نزلت مرجع
رسول الله صلى الله عليه وسلم عن مكة عام الحديبية عدة له بالفتح وجيء به على لفظ الماضي على عادة
رب العزة سبحانه في إخباره لأنها في تحققها وتيقنها بمنزلة الكائنة الموجودة وفي ذلك من الفخامة
والدلالة على علو شأن المخبر ما لا يخفى كيف جعل فتح مكة علة للمغفرة
لم يجعل علة للمغفرة ولكن لاجتماع ما عدد من الأمور الأربعة وهي المغفرة وإتمام النعمة وهداية

أي في مجيء الفعل بلفظ الماضي من الفخامة حيث لا يرتكب ذلك إلا في أمر عظيم والدلالة على علو شأن المخبر لأنه دل على كمال قدرته وعظم سلطانه إذ جعل المتوقع بمنزلة الواقع في تحقق الوقوع

الصراط المستقيم والنصر العزيز كانه قيل يسرنا لك فتح مكة ونصرناك على عدوك لتجمع لك بين عز الدارين
واغراض العاجل والآجل ويجوز ان يكون فتح مكة من حيث انه جهاد للعدو سببا للغفران والثواب والفتح
الظفر بالبلد عنوة او صلحا بحرب او بغير حرب لانه منغلق ما لم يظفر به فاذا ظفر به وحصل في اليد فقد فتح وقيل
هو فتح الحديبية ولم يكن فيه قتال شديد ولكن ترام بين القوم بسهام وحجارة وعن ابن عباس رموا المشركين
حتى ادخلوهم ديارهم وعن الكلبي ظهروا عليهم حتى سألوا الصلح كيف يكون فتحا وقد احصروا
فنحروا وحلقوا بالحديبية كان ذلك قبل الهدنة فلما طلبوها وتمت كان فتحا مبينا وعن موسى بن
عقبة اقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم من الحديبية راجعا فقال رجل من اصحابه ما هذا بفتح لقد صدونا
عن البيت وصد هدينا فبلغ النبي صلى الله عليه وسلم فقال بئس الكلام هذا بل هو اعظم الفتوح قد رضي المشركون
ان يدفعوكم عن بلادهم بالراح ويسألوكم القضية ويرغبوا اليكم في الامان وقد رأوا منكم ما كرهوا و

الراح جمع الراحة وهي الكف وارراح الرجل رجعت اليه نفسه بعد الاعياء

عن الشعبي نزلت بالحديبية واصاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في تلك الغزوة ما لم يصب في غزوة اصاب
ان بويع بيعة الرضوان وغفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وظهرت الروم على فارس وبلغ الهدي محله و
اطعموا نخل خيبر وكان في فتح الحديبية آية عظيمة وذلك انه نزح ماؤها حتى لم يبق فيها قطرة فتمضمض رسول
الله صلى الله عليه وسلم ثم مجه فيها فدرت بالماء حتى شرب جميع من كان معه وقيل فجاش الماء حتى امتلأت
ولم ينفد ماؤها بعد وقيل هو فتح خيبر وقيل فتح الروم وقيل فتح الله له بالاسلام والنبوة والدعوة
بالحجة والسيف ولا فتح ابين منه ولا اعظم وهو راس الفتوح كلها اذ لا فتح من فتوح الاسلام الا وهو تحته ومتشعب
منه وقيل معناه قضينا لك قضاء بينا على اهل مكة ان تدخلها انت واصحابك من قابل لتطوفوا بالبيت
من الفتاحة وهي الحكومة وكذا عن قتادة ما تقدم من ذنبك وما تأخر يريد جميع ما فرط وعن مقاتل ما تقدم
في الجاهلية وما بعدها وقيل ما تقدم من حديث مارية وما تأخر من امراة زيد ويتم نعمته عليك ويهديك
صراطا مستقيما وينصرك الله نصرا عزيزا فيه عز ومنعة او وصف بصفة المنصور اسنادا مجازيا او عزيزا
صاحبه هو الذي انزل السكينة في قلوب المؤمنين السكينة للسكون كالبهيتة للبهتان اي انزل الله
في قلوبهم السكون والطمانينة بسبب الصلح والامن ليعرفوا فضل الله عليهم بتيسير الامن بعد الخوف و
الهدنة غب القتال فيزدادوا يقينا الى يقينهم او انزل فيها السكون الى ما جاء به محمد عليه السلام من الشرائع
ليزدادوا ايمانا مع ايمانهم بالشرائع مقرونا الى ايمانهم وهو التوحيد عن ابن عباس ان اول ما اتاهم به النبي صلى
الله عليه وسلم التوحيد فلما آمنوا بالله وحده انزل الصلوة والزكوة ثم الحج ثم الجهاد فازدادوا ايمانا
الى ايمانهم او انزل فيها الوقار والعظمة لله ولرسوله ليزدادوا باعتقاد ذلك ايمانا الى ايمانهم وقيل

انزل فيها الرحمة ليتراحموا فيزداد ايمانهم ولله جنود السموات والارض وكان الله عليما حكيما يسلط
بعضها على بعض كما يقتضيه علمه وحكمته ومن قضيته ان سكن قلوب المؤمنين بصلح الحديبية ووعدهم
ان يفتح لهم وانما قضى ذلك ليعرف المؤمنون نعمة الله فيه ويشكروها فيستحقوا الثواب فيثيبهم و
يعذب الكافرين والمنافقين لما غاظهم من ذلك وكرهوه وقع السوء عبارة عن رداءة الشيء وفساده
والصدق عن جودته وصلاحه فقيل في المرضي الصالح من الافعال فعل صدق وفي المسخوط الفاسد منها
فعل سوء ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ويكفر عنهم سيئاتهم وكان ذلك عند الله
فوزا عظيما ويعذب المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات الظانين بالله ظن السوء ومعنى ظن السوء ان الله تعالى
لا ينصر الرسول والمؤمنين ولا يرجعهم الى مكة ظافرين فاتحيها عنوة وقهرا عليهم دائرة السوء اي ما يظنونه
ويتربصونه بالمؤمنين فهو حائق بهم ودائر عليهم والسوء الهلاك والدمار وقرئ دائرة السوء بالفتح اي
الدائرة التي يذمونها ويسخطونها فهي عندهم دائرة سوء وعند المؤمنين دائرة صدق
فهل من فرق بين السوء والسوء هما كالكره والكره والضعف والضعف من ساء الا
ان المفتوح غلب في ان يضاف اليه ما يراد ذمه من كل شيء واما السوء فجار مجرى الشر الذي هو
نقيض الخير يقال اراد به السوء واراد به الخير ولذلك اضيف الظن الى المفتوح لكونه مذموما
وكانت الدائرة محمودة فكان حقها ان لا تضاف اليه الا على التأويل الذي ذكرناه واما دائرة السوء
بالضم فلان الذي اصابهم مكروه وشدة فصح ان يقع عليه اسم السوء كقوله عز وعلا ان اراد بكم
سوءا او اراد بكم رحمة وغضب الله عليهم ولعنهم واعد لهم جهنم وساءت مصيرا ولله جنود السموات والارض
وكان الله عزيزا حكيما انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا شاهدا تشهد على امتك كقوله ويكون الرسول
عليكم شهيدا لتؤمنوا بالله ورسوله الضمير للناس وتعزروه وتوقروه بالنصرة وتوقروه وتعظموه
وتسبحوه من التسبيح او من السبحة والضمائر لله عز وجل والمراد بتعزير الله تعزير دينه ورسوله ومن
فرق الضمائر فقد ابعد وقرئ لتؤمنوا وتعزروه وتوقروه بالتاء والخطاب لرسول الله صلى الله
عليه وسلم ولامته وقرئ وتعزروه بضم الزاي وكسرها وتعززوه بضم التاء والتخفيف وتعزروه بالزايين
وتوقروه من اوقره بمعنى وقره وتسبحوا الله بكرة واصيلا عن ابن عباس صلوة الفجر وصلوة الظهر و
العصر ان الذين يبايعونك لما قال انما يبايعون الله اكده تاكيدا على طريقة التخييل فقال
يد الله فوق ايديهم يريد ان يد رسول الله صلى الله عليه وسلم التي تعلو ايدي المبايعين هي يد الله
عن صح
والله تعالى منزه عن الجوارح وصفات الاجسام وانما المعنى تقرير ان عقد الميثاق مع الرسول

كعقده مع الله من غير تفاوت بينهما كقوله من يطع الرسول فقد أطاع الله والمراد بيعة الرضوان فمن نكث
فإنما ينكث على نفسه فلا يعود ضرر نكثه إلا عليه قال جابر بن عبد الله بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم
تحت الشجرة على الموت وعلى أن لا نفر فما نكث أحد منا البيعة إلا جد بن قيس وكان منافقا اختبى
تحت إبط بعيره ولم يسر مع القوم وقرئ إنما يبايعون لله أي لأجل الله ولوجهه وقرئ ينكث بضم الكاف و
كسرها ومن أوفى وبما عاهد وعهد عليه الله فسيؤتيه بالنون والياء يقال وفيت بالعهد وأوفيت
به وهي لغة تهامة ومنها قوله أوفوا بالعقود والموفون بعهدهم أجرا عظيما سيقول لك المخلفون من
الأعراب شغلتنا أموالنا وأهلونا فاستغفر لنا يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم قل فمن يملك لكم من الله شيئا
هم الذين خلفوا عن الحديبية وهم أعراب غفار ومزينة وجهينة وأشجع وأسلم والديل وذلك أنه صلى
الله عليه وسلم حين أراد المسير إلى مكة عام الحديبية معتمرا استنفر من حول المدينة من الأعراب و
أهل البوادي ليخرجوا معه حذرا من قريش أن يعرضوا له بحرب أو يصدوه عن البيت وأحرم هو صلى
الله عليه وسلم وساق معه الهدي ليعلم أنه لا يريد حربا فتثاقل كثير من الأعراب وقالوا يذهب
إلى قوم قد غزوه في عقر داره بالمدينة وقتلوا أصحابه فيقاتلهم وظنوا أنه يهلك فلا ينقلب إلى المدينة
واعتلوا بالشغل بأهاليهم وأموالهم وأنه ليس لهم من يقوم بأشغالهم وقرئ شغّلتنا بالتشديد يقولون بألسنتهم
ما ليس في قلوبهم تكذيب لهم في اعتذارهم وأن الذي خلفهم ليس بما يقولون وإنما هو الشك في الله والنفاق وطلبهم
الاستغفار أيضا ليس بصادر عن حقيقة فمن يملك لكم فمن يمنعكم من مشيئة الله وقضائه إن أراد بكم
ما يضركم من قتل أو هزيمة أو أراد بكم نفعا بل كان الله بما تعملون خبيرا من ظفر أو غنيمة وقرئ ضرا
بالفتح والضم بل ظننتم أن لن ينقلب الرسول والمؤمنون إلى أهليهم أبدا وزين ذلك في قلوبكم وظننتم ظن
السوء وكنتم قوما بورا ومن لم يؤمن بالله ورسوله فإنا أعتدنا للكافرين سعيرا الأهلون جمع أهل ويقال أهلات على تقدير
تاء التأنيث كأرض وأرضات وقد جاء أهلة وأما أهال فاسم جمع كليال وقرئ إلى أهلهم وزين
على البناء للفاعل وهو الشيطان أو الله عز وجل وكلاهما جاء في القرآن وزين لهم الشيطان أعمالهم زينا
لهم أعمالهم والبور من بار كالهلك من هلك بناء ومعنى ولذلك وصف به الواحد والجمع والمذكر والمؤنث
ويجوز أن يكون جمع بائر كعائذ وعوذ والمعنى وكنتم قوما فاسدين في أنفسكم وقلوبكم ونياتكم لا خير فيكم
أو هالكين عند الله مستوجبين لسخطه وعقابه للكافرين مقام مقام لهم للإيذان بأن من لم يجمع بين
الإيمانين الإيمان بالله وبرسوله فهو كافر ونكر سعيرا لأنها نار مخصوصة كما نكر نارا تلظى ولله ملك
السموات والأرض يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء يدبره تدبير قادر حكيم فيغفر ويعذب بمشيئته

ومشيئته تابعة لحكمته وحكمته المغفرة للتائب وتعذيب المصر وكان الله غفورا رحيما رحمته سابقة
لغضبه حيث يكفر السيئات باجتناب الكبائر ويغفر الكبائر بالتوبة سيقول المخلفون الذين تخلفوا عن الحديبية
إذا انطلقتم إلى مغانم إلى غنائم خيبر لتأخذوها ذرونا نتبعكم يريدون أن يبدلوا كلام الله وقرئ كلم الله أن
يغيروا موعد الله لأهل الحديبية وذلك أنه وعدهم أن يعوضهم من مغانم مكة مغانم خيبر إذا قفلوا
موادعين لا يصيبون منهم شيئا وقيل هو قوله تعالى لن تخرجوا معي أبدا قل لن تتبعونا كذلكم قال الله من قبل فسيقولون
بل تحسدوننا أن نصيب معكم من الغنائم وقرئ بضم السين وكسرها بل كانوا لا يفقهون لا يفهمون إلا فهما
قليلا وهو فطنتهم لأمور الدنيا دون أمور الدين كقوله يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا
ما الفرق بين حرفي الإضراب الأول إضراب معناه رد أن يكون حكم الله أن لا يتبعوهم وإثبات
الحسد والثاني إضراب عن وصفهم بإضافة الحسد إلى المؤمنين إلى وصفهم بما هو أطم منه وهو الجهل
وقلة الفقه قل للمخلفين من الأعراب ستدعون هم الذين تخلفوا عن الحديبية إلى قوم أولي بأس شديد
يعني بني حنيفة قوم مسيلمة وأهل الردة الذين حاربهم أبو بكر الصديق رضي الله عنه لأن مشركي العرب
والمرتدين هم الذين لا يقبل منهم إلا الإسلام أو السيف عند أبي حنيفة رحمه الله ومن عداهم من مشركي
العجم وأهل الكتاب والمجوس تقبل منهم الجزية وعند الشافعي رحمه الله لا تقبل الجزية إلا من أهل الكتاب و
المجوس دون مشركي العرب والعجم وهذا دليل على إمامة أبي بكر الصديق رضي الله عنه فإنهم لم يدعوا إلى حرب
في أيام رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكن بعد وفاته وكيف يدعوهم رسول الله صلى الله عليه وسلم مع قوله تعالى
فقل لن تخرجوا معي أبدا ولن تقاتلوا معي عدوا وقيل هم فارس والروم تقاتلونهم أو يسلمون ومعنى
يسلمون ينقادون لأن الروم نصارى وفارس مجوس تقبل منهم إعطاء الجزية عن قتادة أنهم ثقيف
وهوازن وكان ذلك في أيام رسول الله صلى الله عليه وسلم إن صح ذلك فالمعنى لن تخرجوا
معي أبدا ما دمتم على ما أنتم عليه من مرض القلوب والاضطراب في الدين أو على قول مجاهد كان الموعد
أنهم لا يتبعون رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا متطوعين لا نصيب لهم في المغنم فإن تطيعوا يؤتكم الله
أجرا حسنا وإن تتولوا كما توليتم من قبل يعذبكم عذابا أليما كما توليتم من قبل يريد في غزوة الحديبية
أو يسلمون معطوف على تقاتلونهم أي يكون أحد الأمرين إما المقاتلة أو الإسلام لا ثالث لهما وفي
قراءة أبي أو يسلموا بمعنى إلى أن يسلموا ليس على الأعمى حرج ولا على الأعرج حرج ولا على المريض حرج ومن يطع الله
ورسوله يدخله جنات تجري من تحتها الأنهار ومن يتول يعذبه عذابا أليما نفى الحرج عن هؤلاء من ذوي
العاهات في التخلف عن الغزو وقرئ ندخله ونعذبه بالنون لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت

الشجرة هي بيعة الرضوان سميت بهذه الآية وقصتها ان النبي صلى الله عليه وسلم حين نزل الحديبية بعث
جواس بن أمية الخزاعي رسولا الى اهل مكة فهموا به فمنعه الاحابيش فلما رجع دعا بعمر رضي الله عنه ليبعثه
فقال اني اخافهم على نفسي لما عرف من عداوتي اياهم وما بمكة عدوي يمنعني ولكن ادلك على رجل هو اعز
بها مني واحب اليهم عثمان بن عفان فبعثه فخبرهم انه لم يات لحرب وانما جاء زائرا لهذا البيت معظما
لحرمته فوقروه وقالوا ان شئت ان تطوف بالبيت فافعل فقال ما كنت لاطوف قبل ان يطوف رسول الله
صلى الله عليه وسلم واحتبس عندهم فارجف بانهم قتلوه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا نبرح حتى نناجز
القوم ودعا الناس الى البيعة فبايعوه تحت الشجرة وكانت سمرة قال جابر بن عبد الله لو كنت ابصر لاريتكم
مكانها وقيل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم جالسا في اصل الشجرة وعلى ظهره غصن من اغصانها قال عبد الله
ابن المغفل وكنت قائما على راسه وبيدي غصن من الشجرة اذب عنه فرفعت الغصن عن ظهره فبايعوه على الموت
دونه وعلى ان لا يفروا فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم انتم اليوم خير اهل الارض وكان عدد المبايعين
الفا وخمسمائة وخمسة وعشرين وقيل الفا واربعمائة وقيل الفا وثلثمائة فعلم ما في قلوبهم من الاخلاص
وصدق الضمائر فيما بايعوا عليه فانزل السكينة عليهم اي الطمانينة والامن بسبب الصلح على قلوبهم
واثابهم فتحا قريبا واثابهم وهو فتح خيبر غب انصرافهم من مكة وعن الحسن فتح هجر هو اجل فتح اتسعوا
بثمرها زمانا ومغانم كثيرة ياخذونها وكان الله عزيزا حكيما هي مغانم خيبر وكانت ارضا ذات عقار
واموال فقسمها عليهم ثم اتاه عثمان بالصلح فصالحهم وانصرف بعد ان نحر بالحديبية وحلق وعدكم الله مغانم
كثيرة تاخذونها وهي ما يفيء على المؤمنين الى يوم القيمة فعجل لكم هذه المغانم يعني مغانم خيبر وكف ايدي
الناس عنكم يعني ايدي اهل خيبر وحلفائهم من اسد وغطفان حين جاؤا لنصرتهم فقذف الله في
قلوبهم الرعب فنكصوا وقيل ايدي اهل مكة بالصلح ولتكون هذه الكفة آية للمؤمنين وعبرة يعرفون
بها انهم من الله بمكان وانه ضامن نصرهم والفتح عليهم وقيل راى رسول الله صلى الله عليه وسلم فتح مكة
في منامه ورؤيا الانبياء وحي فتاخر ذلك الى السنة القابلة وجعل فتح خيبر علامة وعنوانا لفتح مكة
ويهديكم صراطا مستقيما ويزيدكم بصيرة ويقينا وثقة بفضل الله واخرى معطوفة على هذه اي فعجل لكم هذه
المغانم ومغانم اخرى لم تقدروا عليها وهي مغانم هوازن في غزوة حنين وقال لم تقدروا عليها لما كان
فيها من الجولة قد احاط الله بها اي قدر عليها واستولى واظهركم عليها وغنمكموها ويجوز في اخرى النصب
بفعل مضمر يفسره قد احاط الله بها تقديره وقضى الله اخرى قد احاط بها واما لم تقدروا عليها فصفة
لاخرى والرفع على الابتداء لكونها موصوفة بلم تقدروا وقد احاط بها خبر المبتداء والجر باضمار رب

قوله ولتكون آية للمؤمنين كيف موقعه هو كلام معترض معناه ولتكون الكفة آية
للمؤمنين فعل ذلك ويجوز ان يكون المعنى وعدكم المغانم فعجل هذه الغنيمة وكف الاعداء لينفعكم بها
ولتكون آية للمؤمنين اذا وجدوا وعد الله بها صادقا لان صدق الاخبار عن الغيوب معجزة وآية
ويزيدكم بذلك هداية واتقانا وكان الله على كل شيء قديرا ولو قاتلكم الذين كفروا من اهل مكة ولم يصالحوا
وقيل من حلفاء اهل خيبر لغلبوا وانهزموا لولوا الادبار ثم لا يجدون وليا ولا نصيرا سنة الله في موضع
المصدر المؤكد اي سن الله غلبة انبيائه سنة وهو قوله لاغلبن انا ورسلي التي قد خلت من قبل
ولن تجد لسنة الله تبديلا وهو الذي كف ايديهم عنكم وايديكم عنهم ببطن مكة من بعد ان اظفركم عليهم وكان الله
بما تعملون بصيرا هم الذين كفروا وصدوكم عن المسجد الحرام والهدى ايديهم ايدي اهل مكة اي قضى بينهم وبينكم
المكافة والمحاجزة بعد ما خول لكم الظفر عليهم والغلبة وذلك يوم الفتح وبه استشهد ابو حنيفة
رحمه الله على ان مكة فتحت عنوة لا صلحا وقيل كان ذلك في غزوة الحديبية لما روى ان عكرمة
ابن ابي جهل خرج في خمسمائة فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم من هزمه وادخله حيطان مكة
وعن ابن عباس رضي الله عنه اظهر الله المسلمين عليهم بالحجارة حتى ادخلوهم البيوت وقرئ تعملون بالتاء
والياء قرئ والهدي والهدي بتخفيف الياء وتشديدها وهو ما يهدى الى الكعبة بالنصب عطفا على
الضمير المنصوب في صدوكم اي صدوكم وصدوا الهدي وبالجر عطفا على المسجد الحرام بمعنى و
صدوكم عن نحر الهدي معكوفا ان يبلغ محله ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات لم تعلموهم محبوسا
عن ان يبلغ وبالرفع على وصد الهدي ومحله مكانه الذي يحل فيه نحره اي يجب وهذا دليل لابي حنيفة
على ان المحصر محل هديه الحرم فكيف حل رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن معه و
انما نحر هديهم بالحديبية بعض الحديبية من الحرم وروى ان مضارب رسول الله صلى الله
عليه وسلم كانت في الحل ومصلاه في الحرم فاذن قد نحر في الحرم فلم قيل معكوفا ان يبلغ
محله المراد المحل المعهود ومؤمنين لم تعلموهم صفة للرجال والنساء جميعا وان تطؤهم
فتصيبكم منهم معرة بغير علم ليدخل الله في رحمته من يشاء لو تزيلوا لعذبنا الذين كفروا منهم عذابا اليما بدل اشتمال
منهم او من الضمير المنصوب في تعلموهم والمعرة مفعلة من عره اذا دهاه ما يكرهه ويشق عليه
وبغير علم متعلق بان تطؤهم يعني ان تطؤهم غير عالمين بهم والوطء والدوس عبارة عن الايقاع
والابادة قال ووطئتنا وطأ على حنق وطء المقيد نابت الهرم وقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم وان آخر وطأة وطئها الله بوج والمعنى انه كان بمكة قوم من المسلمين

مختلطون بالمشركين غير متميزين منهم ولا معروفي الأماكن فقيل ولولا كراهة أن تهلكوا أناسا مؤمنين
بين ظهراني المشركين وأنتم غير عارفين بهم فيصيبكم بإهلاكهم مكروه ومشقة لما كف أيديكم عنهم وحذف
جواب لولا لدلالة الكلام عليه ويجوز أن يكون لو تزيلوا كالتكرير للولا رجال مؤمنون لمرجعهما إلى
معنى واحد ويكون لعذبنا هو الجواب أي معرة تصيبهم إذا قتلوهم وهم لا يعلمون
تصيبهم وجوب الدية والكفارة وسوء قالة المشركين انهم فعلوا بأهل دينهم مثل ما فعلوا بنا من
غير تمييز والمأثم إذا جرى منهم بعض التقصير قوله ليدخل الله في رحمته من يشاء تعليل
لما دلت عليه الآية وسيقت له من كف الأيدي عن أهل مكة والمنع من قتلهم صونا لمن بين
أظهرهم من المؤمنين كأنه قال كان الكف ومنع التعذيب ليدخل الله في رحمته أي في توفيقه لزيادة الخير
والطاعة مؤمنيهم أو ليدخل في الإسلام من رغب فيه من مشركيهم لو تزيلوا لو تفرقوا وتميز
بعضهم من بعض من زاله يزيله وقرئ لو تزايلوا إذ جعل الذين كفروا في قلوبهم الحمية حمية الجاهلية فأنزل
الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وألزمهم كلمة التقوى وكانوا أحق بها وأهلها وكان الله بكل شيء عليما إذ يجوز
أن يعمل فيه ما قبله أي لعذبناهم أو صدوهم عن المسجد الحرام في ذلك الوقت وأن ينتصب بإضمار اذكر
والمراد بحمية الذين كفروا وسكينة المؤمنين والحمية الأنفة والسكينة الوقار ما يروى أن رسول الله
صلى الله عليه وسلم لما نزل بالحديبية بعثت قريش سهيل بن عمرو القرشي وحويطب بن عبد العزى و
مكرز بن حفص بن الأحنف على أن يعرضوا على النبي صلى الله عليه وسلم أن يرجع من عامه ذلك على أن تخلي له قريش
مكة من العام القابل ثلاثة أيام ففعل ذلك وكتبوا بينهم كتابا فقال عليه السلام لعلي اكتب بسم الله
الرحمن الرحيم فقال سهيل وأصحابه ما نعرف هذا ولكن اكتب باسمك اللهم ثم قال اكتب هذا ما صالح رسول
الله صلى الله عليه وسلم أهل مكة فقالوا لو كنا نعلم أنك رسول الله ما صددناك عن البيت ولا قاتلناك ولكن
اكتب هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله أهل مكة فقال عليه السلام اكتب ما يريدون فأنا أشهد أني رسول
الله وأنا محمد بن عبد الله فهم المسلمون أن يأبوا ذلك ويشمئزوا منه فأنزل الله على رسوله السكينة
فتوقروا وحلموا وكلمة التقوى بسم الله الرحمن الرحيم ومحمد رسول الله قد اختارها الله لنبيه والذين معه
أهل الخير ومستحقيه ومن هو أولى بالهداية من غيرهم وقيل هي كلمة الشهادة وعن الحسن كلمة التقوى
هو الوفاء بالعهد ومعنى إضافتها إلى التقوى أنها سبب التقوى وأساسها وقيل كلمة أهل التقوى
وفي مصحف الحارث بن سويد صاحب عبد الله وكانوا أهلها وأحق بها وهو الذي دفن مصحفه أيام
الحجاج رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل خروجه إلى الحديبية كأنه وأصحابه قد دخلوا مكة آمنين

وقد حلقوا وقصروا فقص الرؤيا على أصحابه ففرحوا واستبشروا وحسبوا أنهم داخلوها في عامهم وقالوا
إن رؤيا رسول الله صلى الله عليه وسلم حق فلما تأخر ذلك قال عبد الله بن أبي وعبد الله بن نفيل ورفاعة
بن الحارث والله ما حلقنا ولا قصرنا ولا رأينا المسجد الحرام فنزلت ومعنى لقد صدق الله رسوله الرؤيا
صدقه في رؤياه ولم يكذبه تعالى الله عن الكذب وعن كل قبيح علوا كبيرا فحذف الجار وأوصل الفعل كقوله
صدقوا ما عاهدوا الله عليه بالحق يتعلق بصدق أي صدقه فيما رأى
وفي كونه وحصوله صدقا ملتبسا بالحق أي بالغرض الصحيح والحكمة البالغة وذلك ما فيه من الابتلاء
والتمييز بين المؤمن المخلص وبين من في قلبه مرض ويجوز أن يتعلق بالرؤيا حالا منها أي صدقه الرؤيا
ملتبسة بالحق على معنى أنها لم تكن من أضغاث الأحلام ويجوز أن يكون بالحق قسما إما بالحق الذي هو
نقيض الباطل أو بالحق الذي هو من أسمائه ولتدخلن جوابه وعلى الأول هو جواب قسم محذوف
لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله آمنين محلقين رؤوسكم ومقصرين لا تخافون إن شاء الله في
إخبار الله عز وجل فيه وجوه أن يعلق عدته بالمشيئة تعليما لعباده أن يقولوا في عداتهم مثل
ذلك متأدبين بأدب الله ومقتدين بسنته وأن يريد لتدخلن جميعا إن شاء الله ولم يمت منكم أحد أو
كان ذلك على لسان ملك فأدخل الملك إن شاء الله أو هي حكاية ما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه
وقص عليهم وقيل هو متعلق بآمنين فعلم ما لم تعلموا من الحكمة والصواب في تأخير فتح مكة إلى
العام القابل فجعل من دون ذلك فتحا قريبا وهو فتح خيبر لتستروح إليه قلوب المؤمنين إلى أن يتيسر
الفتح الموعود هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق بدين الإسلام ليظهره ليعليه على الدين كله على
جنس الدين كله يريد الأديان المختلفة من أديان المشركين الجاحدين وأهل الكتاب ولقد حقق
ذلك سبحانه فإنك لا ترى دينا قط إلا وللإسلام دونه العز والغلبة وقيل هو عند نزول عيسى
عليه السلام حين لا يبقى على وجه الأرض كافر وقيل هو إظهاره بالحجج والآيات وفي هذه الآية تأكيد
لما وعد من الفتح وتوطين لنفوس المؤمنين على أن الله سيفتح لهم البلاد ويقيض لهم من الغلبة على
الأقاليم ما يستقلون إليه فتح مكة وكفى بالله شهيدا على أن ما وعده كائن عن الحسن شهد على نفسه أنه
سيظهر دينك محمد إما خبر مبتدأ أي هو محمد لتقدم قوله هو الذي أرسل رسوله وإما مبتدأ و
رسول الله عطف بيان وعن ابن عامر أنه قرأ رسول الله بالنصب على المدح والذين معه أصحابه أشداء على الكفار
رحماء بينهم تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا جمع شديد ورحيم ونحوه أذلة على المؤمنين
أعزة على الكافرين وأغلظ عليهم بالمؤمنين رؤوف رحيم وعن الحسن بلغ من تشددهم على الكفار أنهم

أي من دون فتح مكة صح

انهم كانوا يتحرزون من ثيابهم ان تلزق بثيابهم ومن ابدانهم ان تمس ابدانهم وبلغ من ترحمهم فيما بينهم
انه كان لا يرى مؤمن مؤمنا الا صافحه وعانقه والمصافحة لم يختلف فيها الفقهاء واما المعانقة
فقد كرهها ابو حنيفة وكذلك التقبيل قال لا احب ان يقبل الرجل من الرجل وجهه ولا يده ولا شيئا
من جسده وقد رخص ابو يوسف في المعانقة ومن حق المسلمين في كل زمان ان يراعوا هذا التشدد وهذا
التعطف فيتشددوا على من ليس على ملتهم ودينهم ويتحاموه ويعاشروا اخوتهم في الاسلام متعطفين
بالبر والصلة وكف الاذى والمعونة والاحتمال والاخلاق السجيحة ووجه من قرأ اشداء ورحماء
بالنصب ان ينصبهما على المدح او على الحال بالمقدر في معه ويجعل تراهم الخبر سيماهم في وجوههم علامتهم وقرئ
سيماؤهم وفيها ثلاث لغات هاتان والسيمياء والمراد بها السمة التي تحدث في جبهة السجاد من كثرة
السجود وقوله من اثر السجود يفسرها اي من التاثير الذي يؤثره السجود وكان كل من العليين علي بن الحسين
زين العابدين وعلي بن عبد الله بن عباس ابي الاملاك يقال له ذو الثفنات لان كثرة سجودهما احدثت في
مواقعه منهما اشباه ثفنات البعير وقرئ من اثر السجود ومن آثار السجود وكذا عن سعيد بن جبير هي
السمة في الوجه فقد جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم لا تعلبوا صوركم وعن ابن عمر انه رأى رجلا
قد اثر في وجهه السجود فقال ان صورة وجهك انفك فلا تعلب وجهك ولا تشن صورتك
ذلك اذا اعتمد بجبهته على الارض لتحدث فيه تلك السمة وذلك رياء ونفاق يستعاذ بالله منه ونحن فيما
حدث في جبهة السجاد الذي لا يسجد الا خالصا لوجه الله وعن بعض المتقدمين كنا نصلي فلا يرى بين
اعيننا شيء ونرى احدنا الآن يصلي فيرى بين عينيه ركبة البعير فما ندري اثقلت الارؤس ام خشنت
الارض وانما اراد بذلك من تعمد ذلك للنفاق وقيل هو صفرة الوجه من خشية الله وعن الضحاك ليس
بالندب في الوجوه ولكنه صفرة وعن سعيد بن المسيب ندى الطهور وتراب الارض وعن عطاء استنارت
وجوههم من طول ما صلوا بالليل لقوله من كثر صلاته بالليل حسن وجهه بالنهار ذلك الوصف مثلهم
اي وصفهم العجيب الشان في الكتابين جميعا ثم ابتدأ فقال كزرع وقيل تم الكلام عند قوله ذلك مثلهم في
التوراة ثم ابتدأ ومثلهم في الانجيل كزرع ويجوز ان يكون ذلك اشارة مبهمة اوضحت بقوله كزرع اخرج
شطأه كقوله وقضينا اليه ذلك الامر ان دابر هؤلاء مقطوع مصبحين وقرئ الانجيل بفتح الهمزة
شطأه فراخه يقال اشطأ الزرع اذا فرخ وقرئ شطأه بفتح الطاء وشطاه بتخفيف الهمزة وشطاءه
بالمد وشطه بحذف الهمزة ونقل حركتها الى ما قبلها وشطوه بقلبها واوا فآزره من الموازرة وهي المعاونة
وعن الاخفش انه افعل وقرئ فازره بالتخفيف والتشديد اي فشد ازره وقواه ومن جعل آزر افعل

فهو في معنى القراءتين فاستغلظ فصار من الدقة الى الغلظ فاستوى على سوقه فاستقام على قصبه جمع ساق
وقيل مكتوب في الانجيل سيخرج قوم ينبتون نبات الزرع يامرون بالمعروف وينهون عن المنكر وعن
عكرمة اخرج شطأه بابي بكر فآزره بعمر فاستغلظ بعثمان فاستوى على سوقه بعلي وهذا مثل ضربه
الله لبدء امر الاسلام وترقيه في الزيادة الى ان قوي واستحكم لان النبي صلى الله عليه وسلم قام وحده
ثم قواه الله بمن آمن معه كما يقوى الطاقة الاولى من الزرع بما يحتف بها مما يتولد منها حتى يعجب الزراع
قوله ليغيظ بهم الكفار تعليل لما ذا لما دل عليه تشبيههم بالزرع من نمائهم وترقيهم في
الزيادة والقوة ويجوز ان يعلل به وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات لان الكفار اذا سمعوا بما اعد لهم في
الآخرة مع ما يعزهم به في الدنيا غاظهم ذلك ومعنى منهم مغفرة واجرا عظيما البيان كقوله تعالى فاجتنبوا
من الاوثان عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الفتح فكانما كان ممن شهد مع محمد فتح مكة

سورة الحجرات مدنية وهي ثماني عشرة اية

بسم الله الرحمن الرحيم يا ايها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله قدمه واقدمه
منقولان بتثقيل الحشو والهمزة من قدمه اذا تقدمه في قوله تعالى يقدم قومه ونظيرهما معنى ونقلا
سلفه واسلفه وفي قوله لا تقدموا من غير ذكر مفعول وجهان ان يحذف ليتناول كل ما يقع في النفس
مما يقدم وان لا يقصد قصد مفعول ولا حذفه ويتوجه بالنهي الى نفس التقدمة كانه قيل لا تقدموا
على التلبس بهذا الفعل ولا تجعلوه منكم بسبيل كقوله هو الذي يحيي ويميت ويجوز ان يكون من قدم بمعنى
تقدم كوجه وبين ومنه مقدمة الجيش خلاف ساقته وهي الجماعة المتقدمة منه ويعضده قراءة
من قرأ لا تقدموا بحذف احدى تاءي تتقدموا الا ان الاول اجلا بالحسن واوجه واشد
ملاءمة لبلاغة القرآن والعلماء له اقبل وقرئ لا تقدموا من القدوم اي لا تقدموا الى امر من امور
الدين قبل قدومهما ولا تعجلوا عليهما وحقيقة قولهم جلست بين يدي فلان ان يجلس بين الجهتين المسامتتين
ليمينه وشماله قريبا منه فسميت الجهتان يدين لكونهما على سمت اليدين مع القرب منهما توسعا كما يسمى الشيء
باسم غيره اذا جاوره وداناه في غير موضع وقد جرت هذه العبارة هاهنا على سنن ضرب من المجاز وهو
الذي يسميه اهل البيان تمثيلا ولجريها هكذا فائدة جليلة ليست في الكلام العريان وهو تصوير الهجنة
والشناعة فيما نهوا عنه من الاقدام على امر من الامور دون الاحتذاء على امثلة الكتاب والسنة
والمعنى ان لا تقطعوا امرا الا بعد ما يحكمان به ويأذنان فيه فتكونوا اما عاملين بالوحي المنزل واما
مقتدين برسول الله صلى الله عليه وسلم وعليه يدور تفسير ابن عباس وعن مجاهد لا تفتاتوا على الله شيئا حتى

يقصه على لسان رسوله ويجوز ان يجرى مجرى قولك سرنى زيد وحسن حاله واعجبت بعمرو وكرمه وفائدة
هذا الاسلوب الدلالة على قوة الاختصاص ولما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم من الله بالمكان الذى لا
يخفى سلك به ذلك المسلك وفى هذا تمهيد وتوطئة لما نقم منهم فيما يتلوها من رفع اصواتهم فوق صوته
لان من احظاه الله بهذه الاثرة واختصه هذا الاختصاص القوى كان ادنى ما يجب من التهيب والاجلال
ان يخفض بين يديه الصوت ويخافت لديه الكلام وقيل بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم الى تهامة
سرية سبعة وعشرين رجلا عليهم المنذر بن عمرو الساعدى فقتلهم بنو عامر وعليهم عامر بن الطفيل الا
ثلثة نفر نجوا فلقوا رجلين من بنى سليم قرب المدينة فاعتزيا لهم الى بنى عامر لانهم اعز من سليم فقتلوهما
وسلبوهما ثم اتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال بئس ما صنعتم كانا من سليم والسلب ما كسوتهما
فوداهما رسول الله صلى الله عليه وسلم ونزلت اى لا تعملوا شيئا من ذات انفسكم حتى تستامروا رسول
الله صلى الله عليه وسلم وعن مسروق دخلت على عائشة رضى الله عنها فى اليوم الذى يشك فيه فقالت للجارية
اسقيه عسلا فقلت انى صائم فقالت قد نهى الله عن صوم هذا اليوم وفيه نزلت وعن الحسن ان اناسا ذبحوا
فيه م
يوم الاضحى قبل الصلوة فنزلت وامرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يعيدوا ذبحا آخر وهذا مذهب
ابى حنيفة رحمه الله الا ان تزول الشمس وعند الشافعى رحمه الله يجوز الذبح اذا مضى من الوقت مقدار
الصلوة وعن الحسن ايضا لما استقر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة اتته الوفود من الآفاق فاكثروا
عليه المسائل فنهوا ان يبتدئوا بالمسئلة حتى يكون هو المبتدئ بها وعن قتادة ذكر لنا ان اناسا كانوا
يقولون لو انزل فى كذا لكان كذا فكره الله ذلك منهم فانزلها وقيل هى عامة فى كل قول وفعل ويدخل
فيها انه اذا جرت مسئلة فى مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يسبقوه بالجواب وان لا يمشى بين
يديه الا للحاجة وان يستانى فى الافتتاح بالطعام واتقوا الله فانكم ان اتقيتموه عاقتكم التقوى
عن التقدمة المنهى عنها وعن جميع ما يقتضى مراقبة الله تجنبه فان التقى حذر لا يشافه امرا
الا عن ارتفاع الريب وانجلاء الشك فى ان لا تبعة عليه فيه وهذا كما يقول لمن يقارف بعض الرذائل
ل
لا تفعل هذا وتحفظ مما يلصق بك العار فتنهاه اولا عن عين ما قارفه ثم تعم وتشيع وتامره بما لو
امتثل فيه امرك لم يرتكب تلك الفعلة وكل ما يضرب فى طريقها ويتعلق بسببها ان الله سميع لما تقولون
عليم بما تعملون وحق مثله ان يتقى ويراقب اعادة النداء عليهم استدعاء منهم لتجديد الاستبصار
عند كل خطاب وارد وتطرية الانصات لكل حكم نازل وتحريك منهم لئلا يفتروا ويغفلوا عن تاملهم
وما اخذوا به عند حضور مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم من الادب الذى المحافظة عليه تعود عليهم بعظيم

الجدوى فى دينهم وذلك ان فى اعظام صاحب الشرع اعظام ما ورد به ومستعظم الحق لا يدعه استعظامه
ان يالو عملا بما يحدوه عليه وارتداعا عما يصده عنه وانتهاء الى كل خير والمراد بقوله يا ايها الذين آمنوا لا ترفعوا
اصواتكم فوق صوت النبى انه اذا نطق ونطقتم فعليكم ان لا تبلغوا باصواتكم وراء الحد الذى يبلغه بصوته و
ان تغضوا منها بحيث يكون كلامه غاليا لكلامكم وجهره باهرا لجهركم حتى تكون مزيته عليكم لائحة و
سابقته واضحة وامتيازه عن جمهوركم كشية الابلق غير خاف لا ان تغمروا صوته بلغطكم وتبهروا
منطقه بصخبكم وبقوله ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض ان تحبط اعمالكم وانتم لا تشعرون انكم اذا كلمتموه
وهو صامت فاياكم والعدول عما نهيتم عنه من رفع الصوت بل عليكم ان لا تبلغوا به الجهر الدائر بينكم وان
تتعمدوا فى مخاطبته القول اللين المقرب من الهمس الذى يضاد الجهر كما يكون مخاطبة المهيب المعظم
عاملين بقوله عز اسمه وتعزروه وتوقروه وقيل معنى ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض لا تقولوا
له يا محمد يا احمد وخاطبوه بالنبوة قال ابن عباس لما نزلت هذه الآية قال ابو بكر رضى الله عنه يا رسول الله
والله لا اكلمك الا السرار او اخا السرار حتى القى الله وعن عمر رضى الله عنه انه كان يكلم النبى صلى الله عليه و
سلم كاخى السرار لا يسمعه حتى يستفهمه وكان ابو بكر اذا قدم على رسول الله وفد ارسل اليهم من يعلمهم
كيف يسلمون ويامرهم بالسكينة والوقار عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس الغرض برفع الصوت و
لا الجهر ما يقصد به الاستخفاف والاستهانة لان ذلك كفر والمخاطبون مؤمنون وانما الغرض صوت
هو فى نفسه والمسموع من جرسه غير مناسب لما يهاب به العظماء ويوقر الكبراء فيتكلف الغض
منه ورده الى حد يميل به الى ما يستبين فيه المأمور به من التعزير والتوقير ولم يتناول النهى ايضا رفع
الصوت الذى لا يتاذى به رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ما كان منهم فى حرب او مجادلة معاند
او ارهاب عدو وما اشبه ذلك ففى الحديث انه قال عليه السلام للعباس بن عبد المطلب لما انهزم الناس
يوم حنين اصرخ بالناس وكان العباس اجهر الناس صوتا يروى ان غارة اتتهم يوما فصاح العباس
يا صباحاه فاسقطت الحوامل لشدة صوته وفيه يقول نابغة بنى جعدة
زجر ابى عروة السباع اذا اشفق ان يختلطن بالغنم زعمت الرواة انه كان يزجر السباع عن
الغنم فيفتق مرارة السبع فى جوفه وفى قراءة ابن مسعود لا ترفعوا باصواتكم والباء مزيدة محذو
بها حذو التشديد فى قول الاعلم الهذلى رفعت عينى بالحجاز الى اناس بالمناقب
وليس المعنى فى هذه القراءة انهم نهوا عن الرفع الشديد تخيلا ان يكون ما دون الشديد مسوغا لهم
ولكن المعنى نهيهم عما كانوا عليه من الجلبة واستخفافهم فيما كانوا يفعلون وعن ابن عباس نزلت فى ثابت

ابن قيس بن شماس وكان في اذنه وقر وكان جهوري الصوت وكان اذا تكلم رفع صوته وربما كان يكلم
رسول الله صلى الله عليه وسلم فيتأذى بصوته وعن انس ان هذه الآية لما نزلت فقد ثابت فتفقده
رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبر بشانه فدعاه فسأله فقال يا رسول الله لقد انزلت اليك هذه الآية
واني رجل جهير الصوت فاخاف ان يكون عملي قد حبط فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لست هناك
انك تعيش بخير وتموت بخير وانك من اهل الجنة وامّا ما روي عن الحسن انها نزلت فيمن كان يرفع صوته من
المنافقين فوق صوت رسول الله صلى الله عليه وسلم فمحمله والخطاب للمؤمنين على ان ينهى المؤمنون ليندرج
المنافقون تحت النهي ليكون الامر اغلظ عليهم واشق وقيل كان المنافقون يرفعون اصواتهم ليظهروا
قلة مبالاتهم به فيقتدي بهم ضعفة المسلمين وكاف التشبيه في محل النصب اي لا تجهروا له جهرا
مثل جهر بعضكم لبعض وفي هذا انهم لم ينهوا عن الجهر مطلقا حتى لا يسوغ لهم ان يكلموه الا بالهمس و
المخافتة وانما نهوا عن جهر مخصوص مقيد بصفة اعني الجهر المنعوت بمماثلة ما قد اعتادوه فيما بينهم
وهو الخلو من مراعاة ابهة النبوة وجلالة مقدارها وانحطاط سائر الرتب وان جلت عن رتبتها
ان تحبط اعمالكم منصوب الموضع على انه مفعول له وفي متعلقه وجهان احدهما ان يتعلق بمعنى النهي
فيكون المعنى انتهوا عما نهيتم عنه لحبوط اعمالكم اي لخشية حبوطها على تقدير حذف المضاف كقوله تعالى
يبين الله لكم ان تضلوا والثاني ان يتعلق بنفس الفعل ويكون المعنى انهم نهوا عن الفعل الذي فعلوه
لاجل الحبوط لانه لما كان بصدد الاداء الى الحبوط جعل كانه فعل لاجله وكانه العلة والسبب في ايجاده
على سبيل التمثيل كقوله ليكون لهم عدوا.   لخص الفرق بين الوجهين   تلخيصه
ان يقدر الفعل في الثاني مضموما اليه المفعول له كانهما شيء واحد ثم يصب النهي عليهما جميعا صبا
وفي الاول يقدر النهي موجها على الفعل على حياله ثم يعلل له منهيا عنه   باي النهيين تعلق
المفعول له   بالثاني عند البصريين مقدرا اضماره عند الاول كقوله آتوني افرغ عليه قطرا
وبالعكس عند الكوفيين وايهما كان فمرجع المعنى الى ان الرفع والجهر كلاهما منصوص اداؤه الى
حبوط العمل وفي قراءة ابن مسعود فتحبط اعمالكم اظهر نصا بذلك لان ما بعد الفاء لا يكون الا مسببا عما
قبله فيتنزل الحبوط من الجهر منزلة الحلول من الطغيان في قوله فيحل عليكم غضبي والحبوط من حبطت
الابل اذا اكلت الخضر فنفخ بطونها وربما هلكت ومنه قوله عليه السلام وان مما ينبت الربيع لما يقتل
حبطا او يلم ومن اخواته حبجت الابل اذا اكلت العرفج فاصابها ذلك واحبص عمله مثل احبطه
وحبط الجرح وحبر اذا غفر وهو نكسه وتراميه الى الفساد جعل العمل السيئ في اضراره بالعمل الصالح

كالداء والحرض لمن يصاب به اعاذنا الله من حبط الاعمال وخيبة الآمال وقد دلت الآية على امرين
احدهما ان فيما يرتكب من يؤمن من الآثام ما يحبط عمله والثاني ان في آثامه ما لا يدري انه محبط
ولعله عند الله كذلك فعلى المؤمن ان يكون في تقواه كالماشي في طريق شائك لا يزال يحترز ويتوقى
ويتحفظ ان الذين يغضون اصواتهم عند رسول الله اولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى من قولك امتحن
فلان لامر كذا وجرب له ودرب للنهوض به فهو مضطلع به غير وان عنه والمعنى انهم صبر على
التقوى اقوياء على احتمال مشاقها او وضع الامتحان موضع المعرفة لان تحقق الشيء باختباره كما
يوضع الخبر موضعها فكانه قيل عرف الله قلوبهم للتقوى وتكون اللام متعلقة بمحذوف واللام هي
التي في قولك انت لهذا الامر اي كائن له ومختص به قال   انت لها احمد من بين البشر
اعداء من لليعملات على الوجى وهي مع معمولها منصوبة على الحال او ضرب الله قلوبهم بانواع المحن
والتكاليف الصعبة لاجل التقوى اي لتثبت فيظهر تقواها ويعلم انهم متقون لان حقيقة التقوى
لا تعلم الا عند المحن والشدائد والاصطبار عليها وقيل اخلصها للتقوى من قولهم امتحن الذهب
وفتنه اذا اذابه فخلص ابريزه من خبثه ونقاه وعن عمر رضي الله عنه اذهب الشهوات عنها والامتحان
افتعال من محنه وهو اختبار بليغ او بلاء جهيد قال ابو عمرو كل شيء جهدته فقد محنته وانشد
اتت رذايا باديا كلالها قد محنت واضطربت آطالها قيل انزلت في الشيخين رضي الله عنهما لما كان
منهما من غض الصوت والبلوغ به اخا السرار وهذه الآية بنظمها الذي رتبت عليه من ايقاع الغاضين
اصواتهم اسما لان المؤكدة وتصيير خبرها جملة من مبتدأ وخبر معرفتين معا والمبتدأ اسم اشارة
واستيناف الجملة المستودعة ما هو جزاؤهم على عملهم وايراد الجزاء نكرة مبهما امره ناطقة في الدلالة
على غاية الاعتداد والارتضاء لما فعل الذين وقروا رسول الله صلى الله عليه وسلم من خفض اصواتهم و
في الاعلام بمبلغ عزة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقدر شرف منزلته وفيها تعريض بعظيم ما ارتكب
الرافعون اصواتهم واستيجابهم ضد ما استوجب هؤلاء لهم مغفرة واجر عظيم ان الذين ينادونك من وراء
الحجرات اكثرهم لا يعقلون والوراء الجهة التي يواريها عنك الشخص بظله من خلف او قدام ومن
لابتداء الغاية وان المناداة نشأت من ذلك المكان   افرق بين الكلامين بين ما ثبتت فيه
وما سقطت عنه   الفرق بينهما ان المنادي والمنادى في احدهما يجوز ان يجمعهما الوراء وفي
الثاني لا يجوز لان الوراء تصير بدخول من مبتدأ الغاية ولا يجتمع على الجهة الواحدة ان تكون مبتدأ
ومنتهى لفعل واحد والذي يقول ناداني فلان من وراء الدار لا يريد وجه الدار ولا دبرها ولكن

اى قطر من اقطارها الظاهر كان مطلقا بغير تعيين واختصاص والانكار لم يتوجه عليهم من قبل ان
النداء وقع منهم فى ادبار الحجرات او فى وجوهها وانما انكر عليهم انهم نادوه من البر والخارج مناداة الاجلاف
بعضهم لبعض من غير قصد الى جهة دون جهة والحجرة الرقعة من الارض المحجورة بحائط يحوط عليها و
حظيرة الابل تسمى الحجرة وهى فعلة بمعنى مفعولة كالغرفة والقبضة وجمعها الحجرات بضمتين والحجرات
بفتح الجيم والحجرات بتسكينها وقرئ بهن جميعا والمراد حجرات نساء رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت لكل منهن
حجرة ومناداتهم من ورائها يحتمل انهم قد تفرقوا على الحجرات متطلبين له فناداه بعض من وراء هذه وبعض
من وراء تلك وانهم قد اتوها حجرة حجرة فنادوه من ورائها وانهم نادوه من وراء الحجرة التى كان فيها ولكنها
جمعت اجلالا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولمكان حرمته والفعل وان كان مسندا الى جميعهم فانه يجوز ان يتولاه
بعضهم وكان الباقون راضين فكانهم تولوه جميعا فقد ذكر الاصم ان الذى ناداه عيينة بن حصن والاقرع
بن حابس والاخبار عن اكثرهم بانهم لا يعقلون يحتمل ان يكون فيهم من قصد بالمحاشاة ويحتمل ان يكون الحكم
بقلة العقلاء فيهم قصدا الى نفى ان يكون فيهم من يعقل فان القلة تقع موقع النفى فى كلامهم روى ان
وفد بنى تميم اتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقت الظهيرة وهو راقد فجعلوا ينادونه يا محمد اخرج الينا
فاستيقظ فخرج فنزلت وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عنهم فقال هم جفاة بنى تميم لولا انهم من اشد الناس
قتالا للاعور الدجال لدعوت الله عليهم ان يهلكهم وورود الآية على النمط الذى وردت عليه فيه ما
لا يخفى على الناظر من بينات اكبار محل رسول الله صلى الله عليه وسلم واجلاله منها مجيئها على النظم المسجل
على الصائحين به بالسفه والجهل لما اقدموا عليه ومنها لفظ الحجرات وايقاعها كناية عن موضع خلوته و
مقيله مع بعض نسائه ومنها المرور على لفظها بالاقتصار على القدر الذى تبين به ما استنكر عليهم ومنها
التعريف باللام دون الاضافة ومنها ان شفع ذمهم باستجفائهم واستركاك عقولهم وقلة ضبطهم لمواضع
التمييز فى المخاطبات تهوينا للخطب على رسول الله صلى الله عليه وسلم وتسلية له واماطة لما تداخله من ايحاش
تعجرفهم وسوء ادبهم وهلم جرا من اول السورة الى آخر هذه الآية فتأمل كيف ابتدئ بايجاب
ان يكون الامور التى تنتمى الى الله ورسوله متقدمة على الامور كلها من غير حصر ولا تقييد ثم اردف
ذلك النهى عما هو من جنس التقديم من رفع الصوت والجهر كان الاول بساط للثانى ووطاء لذكره ثم ذكر
ما هو ثناء على الذين تحاموا ذلك فغضوا اصواتهم دلالة على عظيم موقعه عند الله ثم جئ على عقب
ذلك بما هو اطم وهجنته اتم من الصياح برسول الله صلى الله عليه وسلم فى حال خلوته ببعض حرماته من
وراء الجدر كما يصاح باهون الناس قدرا لينبه على فظاعة ما اجترءوا عليه وجسروا عليه لان من رفع الله

قدره عن ان يجهر له بالقول حتى خاطبه جلة المهاجرين والانصار باخى السرار كان صنيع هؤلاء من المنكر
الذى بلغ فى التفاحش مبلغا ومن هذا وامثاله تقتطف ثمر الالباب وتقتبس محاسن الآداب كما
يحكى عن ابى عبيد ومكانه من العلم والزهد وثقة الرواية ما لا يخفى انه قال ما دققت بابا على
عالم قط حتى يخرج فى وقت خروجه ولو انهم صبروا فى موضع الرفع على الفاعلية لان المعنى ولو ثبت
صبرهم والصبر حبس النفس عن ان تنازع الى هواها قال الله تعالى واصبر نفسك مع الذين يدعون
ربهم وقولهم صبر عن كذا محذوف منه المفعول وهو النفس وهو حبس فيه شدة ومشقة على المحبوس
ولهذا قيل للحبس على اليمين او القتل صبر وفى كلام بعضهم الصبر مر لا يتجرعه الا حر
هل فرق بين حتى تخرج والى ان تخرج   ان حتى مختصة بالغاية المضروبة تقول اكلت
السمكة حتى راسها ولو قلت حتى نصفها او صدرها لم يجز والى عامة فى كل غاية فقد افادت
حتى بوضعها ان خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم غاية قد ضربت لصبرهم فما كان لهم ان يقطعوا امرا
دون الانتهاء اليها   فاى فائدة فى قوله اليهم   فيه انه لو خرج ولم يكن خروجه
اليهم ولاجلهم للزمهم ان يصبروا الى ان يعلموا ان خروجه اليهم لكان خيرا لهم فى كان اما ضمير فاعل
الفعل المضمر بعد لو واما ضمير مصدر صبروا كقولهم من كذب كان شرا له والله غفور رحيم بليغ
الغفران والرحمة واسعهما فلن تضيق رحمته وغفرانه عن هؤلاء ان تابوا وانابوا يا ايها الذين آمنوا
ان جاءكم فاسق بنبإ فتبينوا بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم الوليد بن عقبة اخا عثمان لامه و
هو الذى ولاه عثمان الكوفة بعد سعد بن ابى وقاص فصلى بالناس صلوة الفجر وهو سكران اربعا ثم
قال هل ازيدكم فعزله عثمان عنهم مصدقا الى بنى المصطلق وكانت بينه وبينهم احنة فلما شارف
ديارهم ركبوا مستقبلين له فحسبهم مقاتليه فرجع وقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم قد ارتدوا ومنعوا
الزكوة فوردوا فقالوا نعوذ بالله من غضبه وغضب رسوله فاتهمهم فقال لتنتهن او لابعثن
اليكم رجلا هو عندى كنفسى يقاتل مقاتلتكم ويسبى ذراريكم ثم ضرب بيده على كتف على رضى الله عنه
وقيل بعث اليهم خالد بن الوليد فوجدهم منادين بالصلوات متهجدين فسلموا اليه الصدقات
فرجع وفى تنكير الفاسق والنبإ شياع فى الفساق والانباء كانه قال اى فاسق جاءكم
باى نبإ فتوقفوا فيه وتطلبوا بيان الامر وانكشاف الحقيقة ولا تعتمدوا قول الفاسق
لان من لا يتحامى جنس الفسوق لا يتحامى الكذب الذى هو نوع منه والفسوق الخروج من الشئ
والانسلاخ منه يقال فسقت الرطبة عن قشرها ومن مقلوبه فقست البيضة اذا كسرتها واخرجت

ما فيها ومن مقلوبه ايضًا فسقت الشى اذا اخرجته من يد مالكه مغتصبا له عليه ثم استعمل فى الخروج
عن القصد والانسلاخ من الحق قال رؤبة فوا سقا عن قصدها جوائرا وفى قراءة ابن مسعود
فتثبتوا والتثبت والتبين متقاربان وهما طلب الثبات والبيان والتعرف ولما كان رسول
الله صلى الله عليه وسلم والذين معه بالمنزلة التى لا يجسر احد ان يخبرهم بكذب وما كان يقع مثل ما فرط
من الوليد الا فى الندرة قيل ان جاءكم بحرف الشك وفيه ان على المؤمنين ان يكونوا على هذه الصفة
لئلا يطمع فاسق فى مخاطبتهم بكلمة زور ان تصيبوا مفعول له اى كراهة اصابتكم قومًا بجهالة
حال كقوله وردّ الله الذين كفروا بغيظهم يعنى جاهلين بحقيقة الامر وكنه القصة فتصبحوا على ما
فعلتم نادمين والاصباح بمعنى الصيرورة والندم ضرب من الغم وهو ان تغتم على ما وقع منك تتمنى
انه لم يقع وهو غم يصحب الانسان صحبة لها دوام ولزام لانه كلما تذكر المتندم عليه راجعه من
الندام وهو لزام الشريب ودوام صحبته ومن مقلوباته ادمن الامر ادامه ومدن بالمكان اقام به
ومنه المدينة وقد تراهم يجعلون الهم صاحبا ونجيا وسميرا وضجيعا وموصوفا بانه لا يفارق
صاحبه واعلموا ان فيكم رسول الله لو يطيعكم فى كثير الجملة المصدرة بلو لا تكون كلاما مستانفا لادائه
الى تنافر النظم ولكن متصلا بما قبله حالا من احد الضميرين فى فيكم المستتر المرفوع او البارز المجرور
وكلاهما مذهب سديد والمعنى ان فيكم رسول الله على حالة يجب عليكم تغييرها وانتم على حالة يجب
عليكم تغييرها وهى انكم تحاولون منه ان يعمل فى الحوادث على مقتضى ما يعن لكم من راى واستصواب
فعل المطواع لغيره التابع له فيما يرتئيه المحتذى على امثلته ولو فعل ذلك لعنتم اى لوقعتم فى الجهد
والهلاك يقال فلان يتعنت فلانا اى يطلب ما يؤديه الى الهلاك وقد اعنت العظم اذا هيض
بعد الجبر وهذا يدل على ان بعض المؤمنين زيّنوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم الايقاع ببنى المصطلق
وتصديق قول الوليد وان نظائر ذلك من الهنات كانت تفرط منهم وان بعضهم كانوا يتصوّنون
ويزعهم جدهم فى التقوى عن الجسارة على ذلك وهم الذين استثناهم بقوله ولكن الله حبب اليكم
الايمان وزينه فى قلوبكم وكره اليكم الكفر والفسوق والعصيان اى الى بعضكم ولكنه اغنت
عن ذكر البعض صفتهم المفارقة لصفة غيرهم وهذا من ايجازات القرآن ولمحاته اللطيفة
التى لا يفطن لها الا الخواص وعن بعض المفسرين هم الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى وقوله
اولئك هم الراشدون فضلا من الله ونعمة والله عليم حكيم والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم
اى اولئك المستثنون هم الراشدون يصدق ما قلته ما فائدة تقدم خبر ان على اسمها

الندم

من الام

القصد الى توبيخ بعض المؤمنين على ما استهجن منهم من استتباع راى رسول الله صلى الله عليه
وسلم لآرائهم فوجب تقديمه لانصباب الغرض اليه لم قيل يطيعكم دون اطاعكم
للدلالة على انه كان فى ارادتهم استمرار عمله على ما يستصوبون وانه كلما عن لهم راى فى امر كان معمولا عليه
بدليل قوله فى كثير من الامر كقولك فلان يقرى الضيف ويحمى الحريم تريد انه مما اعتاده فوجد منه
مستمرا كيف موقع لكن وشريطتها مفقودة من مخالفة ما بعدها لما قبلها نفيا واثباتا
هى مفقودة من حيث اللفظ حاصلة من حيث المعنى لان الذين حبب اليهم الايمان قد غايرت
صفتهم صفة المتقدم ذكرهم فوقعت لكن فى حاق موقعها من الاستدراك ومعنى تحبيب الله وتكريهه
اللطف والامداد بالتوفيق وسبيله الكناية كما سبق وكل ذى لب وراجع الى بصيرة وذهن لا يغبى عليه
ان الرجل لا يمدح بغير فعله وحمل الآية على ظاهرها يؤدى الى ان يثنى عليهم بفعل الله وقد نعى الله
هذا على الذين انزل فيهم ويحبون ان يحمدوا بما لم يفعلوا فان العرب تمدح بالجمال
وحسن الوجوه وذلك فعل الله وهو مدح مقبول عند الناس غير مردود الذى سوغ لهم
ذلك انهم راوا حسن الرواء ووسامة المنظر فى الغالب يسفر عن مخبر مرضى واخلاق محمودة
ومن ثم قالوا احسن ما فى الدميم وجهه فلم يجعلوه من صفات المدح لذاته ولكن لدلالته على غيره
على ان من محققة النقاد وعلماء المعانى من دفع صحة ذلك وخطأ المادح به وقصر المدح
على النعت بامهات الخير وهى الفصاحة والشجاعة والعدل والعفة وما يتشعب منها ويرجع
اليها وجعل الوصف بالجمال والثروة وكثرة الحفدة والاعضاد وغير ذلك مما ليس للانسان فيه
عمل غلطا ومخالفة عن المعقول والكفر تغطية نعم الله وغمطها بالجحود والفسوق الخروج
عن قصد الايمان ومحجته بركوب الكبائر والعصيان ترك الانقياد والمضى لما امر به الشارع والعرق
العاصى العائد واعتصت النواة اشتدت والرشد الاستقامة على طريق الحق مع تصلب فيه
من الرشادة وهى الصخرة قال ابو الوازع كل صخرة رشادة وانشد
وغير مقلد وموشمات صلين الضوء من صم الرشاد وفضلا مفعول له او مصدر من غير فعله
من ان جاز وقوعه مفعولا له والرشد فعل القوم والفضل فعل الله والشرط ان يتحد
الفاعل لما وقع الرشد عبارة عن التحبيب والتزيين والتكريه مسندة الى اسمه تقدست اسماؤه
صار الرشد كانه فعله فجاز ان ينتصب عنه او لا ينتصب عن الراشدون ولكن عن الفعل المسند
الى اسم الله والجملة التى هى اولئك هم الراشدون اعتراض او عن فعل مقدر كانه قيل جرى ذلك او كان

ذلك فضلاً من الله تعالى واما كونه مصدرا من غير فعله فان يوضع موضع رشدا لان رشدهم فضل من
الله عز وجل لكونهم موفقين فيه والفضل والنعمة بمعنى الافضال والانعام والله عليم باحوال المؤمنين وما
بينهم من التمايز والتفاضل حكيم حين يفضل وينعم بالتوفيق على افاضلهم عن ابن عباس وقف رسول
الله صلى الله عليه وسلم على مجلس بعض الانصار وهو على حمار فبال الحمار فامسك عبد الله بن ابي بانفه وقال
خل سبيل حمارك فقد اذانا نتنه فقال عبد الله بن رواحة والله ان بول حماره لاطيب من مسكك
وروي حماره افضل منك وبول حماره اطيب من مسكك ومضى رسول الله صلى الله عليه وسلم وطال
الخوض بينهما حتى استبا وتجالدا وجاء قوماهما وهما الاوس والخزرج فتجالدوا بالعصي وقيل
بالايدي والنعال والسعف فرجع اليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فاصلح بينهم ونزلت وعن مقاتل
قراها عليهم فاصطلحوا والبغي الاستطالة والظلم واباء الصلح وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا
فاصلحوا بينهما فان بغت احداهما على الاخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء الى امر الله فان فاءت والفيء
الرجوع وقد سمي به الظل والغنيمة لان الظل يرجع بعد نسخ الشمس والغنيمة ما يرجع من اموال الكفار
الى المسلمين وعن ابي عمرو حتى تفي بغير همز ووجهه ان ابا عمرو خفف الاولى من الهمزتين الملتقيتين
فلطفت على الراوي تلك الخلسة فظنه قد طرحها ما وجه قوله اقتتلوا والقياس
اقتتلتا كما قرا ابن ابي عبلة او اقتتلا كما قرا عبيد بن عمير على تاويل الرهطين او النفرين
هو مما حمل على المعنى دون اللفظ لان الطائفتين في معنى القوم والناس وفي قراءة عبد الله حتى
يفيئوا الى امر الله فان فاءوا فخذوا بينهم بالقسط وحكم الفئة الباغية وجوب قتالها ما قاتلت
وعن ابن عمر ما وجدت في نفسي من شيء ما وجدت من امر هذه الاية ان لم اقاتل هذه الفئة الباغية
كما امرني الله تعالى قاله بعد ان اعتزل فاذا كفت وقبضت عن الحرب ايديها تركت واذا تولت عمل
بما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال يا ابن ام عبد اتدري كيف حكم الله فيمن بغى من هذه
الامة قال الله ورسوله اعلم قال لا يجهز على جريحها ولا يقتل اسيرها ولا يطلب هاربها ولا يقسم
فيؤها ولا تخلو الفئتان من المسلمين في اقتتالهما اما ان يقتتلا على سبيل البغي منهما جميعا فالواجب
في ذلك ان يمشي بينهما بما يصلح ذات البين ويثمر المكافة والموادعة وان لم يتحاجزا ولم يصطلحا
واقاما على البغي صير الى مقاتلتهما واما ان يلتحم بينهما القتال لشبهة دخلت عليهما وكلتاهما
عند انفسهما محقة فالواجب ازالة الشبهة بالحجج النيرة والبراهين القاطعة واطلاعهما على
مراشد الحق فان ركبتا متن اللجاج ولم تعملا على شاكلة ما هديتا اليه ونصحتا به من اتباع الحق

من اتباع الحق بعد وضوحه لهما فقد لحقتا بالفئتين الباغيتين واما ان تكون احداهما الباغية على الاخرى
فالواجب ان تقاتل فئة البغي الى ان تكف وتتوب فان فعلت اصلح بينها وبين المبغي عليها بالقسط و
العدل وفي ذلك تفاصيل ان كانت الباغية من قلة العدد بحيث لا منعة لها ضمنت بعد الفيئة ما جنت
وان كانت كثيرة ذات منعة وشوكة لم تضمن الا عند محمد بن الحسن رحمه الله فانه كان يفتي بان الضمان
يلزمها اذا فاءت واما قبل التجمع والتجند او حين تتفرق عند وضع الحرب اوزارها فما جنته ضمنته عند
الجميع فمحمل الاصلاح بالعدل في قوله فاصلحوا بينهما بالعدل واقسطوا ان الله يحب المقسطين على مذهب محمد واضح
منطبق على لفظ التنزيل وعلى قول غيره وجهه ان يحمل على كون الفئة قليلة العدد والذي ذكروا ان الغرض
اماتة الضغائن وسل الاحقاد دون ضمان الجنايات ليس بحسن الطباق للمامور به من اعمال العدل و
مراعاة القسط فلم قرن بالاصلاح الثاني العدل دون الاول لان المراد بالاقتتال
في اول الاية ان يقتتلا باغيتين معا او راكبتي شبهة وايتهما كانت فالذي يجب على المسلمين ان ياخذوا
به في شانهما اصلاح ذات البين وتسكين الدهماء باراءة الحق والمواعظ الشافية ونفي الشبهة الا
اذا اصرتا فحينئذ تجب المقاتلة واما الضمان فلا يتجه وليس كذلك اذا بغت احداهما فان الضمان متجه
على الوجهين المذكورين واقسطوا امر باستعمال القسط على طريق العموم بعد ما امر به في اصلاح ذات
البين والقول فيه مثله في الامر باتقاء الله على عقيب النهي عن التقديم بين يديه والقسط بالفتح الجور
من القسط وهو اعوجاج في الرجلين وعود قاسط يابس واقسطته الرياح واما القسط بمعنى العدل
فالفعل منه اقسط وهمزته للسلب اي ازال القسط وهو الجور انما المؤمنون اخوة فاصلحوا بين اخويكم
هذا تقرير لما الزمه من تولي الاصلاح بين من وقعت بينهم المشاقة من المؤمنين وبيان ان الايمان
قد عقد بين اهله من السبب القريب والنسب اللاصق ما ان لم يفضل الاخوة ولم يبرز عليها لم ينقص
عنها ولم يتقاصر عن غايتها ثم قد جرت عادة الناس على انه اذا نشب مثل ذلك بين اثنين من اخوة الولاد
لزم السائرين ان يتناهضوا في رفعه وازاحته ويركبوا الصعب والذلول مشيا بالصلح وبثا للسفراء
بينهما الى ان يصادف ما وهي من الوفاق من يرقعه وما استشن من الوصال من يبله فالاخوة
في الدين احق بذلك وباشد منه وعن النبي صلى الله عليه وسلم المسلم اخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا
يعيبه ولا يتطاول عليه في البنيان فيستر عنه الريح الا باذنه ولا يؤذيه بقتار قدره ثم قال احفظوا
ولا يحفظ منكم الا قليل فلم خص الاثنان بالذكر دون الجمع لان اقل من يقع
بينهم الشقاق اثنان فاذا لزمت المصالحة بين الاقل كانت بين الاكثر الزم لان الفساد في شقاق الجمع

اكثر منه في شقاق الاثنين وقيل المراد بالاخوين الاوس والخزرج وقرئ بين اخوتكم واخوانكم والمعنى
ليس المؤمنون الا اخوة وانهم خلص لذلك متمحضون قد انزاحت عنهم شبهات الاجنبية وابى لطف حالهم
في التمازج والاتحاد ان يقدموا على ما يتولد منه التقاطع فبادروا قطع ما يقع من ذلك ان وقع واحسموه
واتقوا الله لعلكم ترحمون فانكم ان فعلتم لم يحملكم التقوى الا على التواصل والايتلاف والمسارعة الى اماطة
ما يفرط منه وكان عند فعلكم ذلك وصول رحمة الله اليكم واشتمال رافته عليكم حقيقا بان تعقدوا به رجاءكم
يا ايها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم القوم الرجال خاصة لانهم القوام بامور النساء قال الله تعالى الرجال
قوامون على النساء وقال عليه السلام النساء لحم على وضم الا ما ذب عنه والذابون هم الرجال وهو في
جمع الاصل قائم كصوم وزور في جمع صائم وزائر او تسمية بالمصدر عن بعض العرب اذا اكلت طعاما احببت
نوما وابغضت قوما اي قياما واختصاص القوم بالرجال صريح في الآية وفي قول زهير
اقوم آل حصن ام نساء واما قولهم في قوم فرعون وقوم عاد هم الذكور والاناث فليس لفظ القوم بمتعاط
للفريقين ولكن قصد ذكر الذكور وترك ذكر الاناث لانهن توابع للرجال وتنكير القوم والنساء يحتمل
معنيين ان يراد لا يسخر بعض المؤمنين والمؤمنات من بعض وان يقصد افادة الشياع وان تصير كل جماعة
منهم منهية عن السخرية وانما لم يقل رجل من رجل ولا امراة من امراة على التوحيد اعلاما باقدام غير واحد
من رجالهم وغير واحدة من نسائهم على السخرية واستفظاعا للشان الذي كانوا عليه ولان مشهد
الساخر لا يكاد يخلو ممن يتلهى ويستضحك على قوله ولا ياتي ما عليه من النهي والانكار فيكون شريك الساخر
وتلوه في تحمل الوزر وكذلك كل من يطرق سمعه فيستطيبه ويضحك به فيؤدي ذلك وان اوجده واحد
الى تكثر السخرة وانقلاب الواحد جماعة وقوما وقوله عسى ان يكونوا خيرا منهم ولا نساء من نساء عسى ان يكن خيرا منهن
كلام مستانف قد ورد مورد جواب المستخبر عن العلة الموجبة لما جاء النهي عنه والا فقد كان حقه
ان يوصل بما قبله بالفاء والمعنى وجوب ان يعتقد كل احد ان المسخور منه ربما كان عند الله خيرا من الساخر
لان الناس لا يطلعون الا على ظواهر الاحوال ولا علم لهم بالخفيات وانما الذي يزن عند الله خلوص الضمائر
وتقوى القلوب وعلمهم من ذلك بمعزل فينبغي ان لا يجترئ احد على الاستهزاء بمن يقتحمه عينه اذا راه رث الحال
او ذا عاهة في بدنه او غير لبيق في محادثته فلعله اخلص ضميرا وانقى قلبا ممن هو على ضد صفته فيظلم نفسه
بتحقير من وقره الله والاستهانة بمن عظمه الله ولقد بلغ بالسلف افراط توقيهم وتصونهم من ذلك ان قال
عمرو بن شرحبيل لو رايت رجلا يرضع عنزا فضحكت منه خشيت ان اصنع مثل الذي صنعه وعن عبد الله
بن مسعود البلاء موكل بالقول لو سخرت من كلب لخشيت ان احول كلبا وفي قراءة عبد الله عسوا ان يكونوا

وعسين ان يكن فعسى على هذه القراءة هي ذات الخبر كالتي في قوله فهل عسيتم وعلى الاولى التي لا خبر لها
كقوله وعسى ان تكرهوا شيئا واللمز الطعن والضرب باللسان وقرئ ولا تلمزوا بالضم والمعنى وخصوا
ايها المؤمنون انفسكم بالانتهاء عن عيبها والطعن فيها ولا عليكم ان تعيبوا غيركم ممن لا يدين بدينكم ولا يسير
بسيرتكم ففي الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم اذكروا الفاجر بما فيه كي يحذره الناس وعن الحسن
في ذكر الحجاج اخرج الي بنانا قصيرة قلما عرقت فيها الاعنة في سبيل الله ثم جعل يطبطب شعيرات له
ويقول يا ابا سعيد يا ابا سعيد وقال لما مات اللهم انت امته فاقطع سنته فانه اتانا اخيفش اعيمش
يخطر في مشيته ويصعد المنبر حتى تفوته الصلاة لا من الله يتقي ولا من الناس يستحيي فوقه الله و
تحته مائة الف او يزيدون لا يقول له قائل الصلاة ايها الرجل الصلاة ايها الرجل هيهات دون ذلك
السيف والسوط وقيل معناه لا يعب بعضكم بعضا لان المؤمنين كنفس واحدة فمتى عاب المؤمن
المؤمن فكانما عاب نفسه وقيل معناه لا تفعلوا ما تلمزون به لان من فعل ما استحق به اللمز فقد
لمز نفسه حقيقة ولا تنابزوا بالالقاب والتنابز بالالقاب التداعي بها تفاعل من نبزه وبنو فلان
يتنابزون ويتنازبون ويقال النبز والنزب لقب السوء والتلقيب المنهي عنه هو ما يتداخل المدعو به
كراهة لكونه تقصيرا منه وذما له وشينا فاما ما يحبه مما يزينه وينوه به فلا باس به روي عن
النبي صلى الله عليه وسلم من حق المؤمن على اخيه ان يسميه باحب اسمائه اليه ولهذا كانت التكنية من
السنة والادب الحسن قال عمر رضي الله عنه اشيعوا الكنى فانها منبهة ولقد لقب ابو بكر
رضي الله عنه بالعتيق والصديق وعمر بالفاروق وحمزة باسد الله وخالد بسيف الله وقل
من المشاهير في الجاهلية والاسلام من ليس له لقب ولم تزل هذه الالقاب الحسنة في الامم
كلها من العرب والعجم تجري في مخاطباتهم ومكاتباتهم من غير نكير روي عن الضحاك ان قوما
من بني تميم استهزءوا ببلال وخباب وعمار وصهيب وابي ذر وسالم مولى حذيفة فنزلت
وعن عائشة رضي الله عنها انها كانت تسخر من زينب بنت خزيمة الهلالية وكانت قصيرة
وعن ابن عباس ان ام سلمة ربطت حقويها بسبيبة وسدلت طرفيها خلفها وكانت تجره
فقالت عائشة لحفصة انظري ما تجر كانه لسان كلب وعن انس عيرت نساء النبي صلى الله
عليه وسلم ام سلمة بالقصر وعن عكرمة عن ابن عباس ان صفية بنت حيي اتت النبي صلى الله
عليه وسلم فقالت ان النساء يعيرنني ويقلن يا يهودية بنت يهوديين فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم هلا قلت ان ابي هارون وان عمي موسى وان زوجي محمد وروي انها نزلت في ثابت

ابن قيس وكان به وقر وكانوا يوسعون له في مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم ليسمع فأتى يوما وهو
يقول تفسحوا حتى انتهى الى رسول الله فقال لرجل تنح فلم يفعل فقال من هذا فقال الرجل انا فلان
فقال بل انت ابن فلانة يريد اما كان يعير بها في الجاهلية فخجل الرجل فنزلت فقال ثابت لا
افخر على احد في النسب بعدها ابدا بئس الاسم الفسوق الاسم ههنا بمعنى الذكر من قولهم طار اسمه
في الناس بالكرم او باللؤم كما يقال طار ثناؤه وصيته وحقيقته ما سما من ذكره وارتفع بين الناس
الا ترى الى قولهم اشاد بذكره كأنه قيل بئس الذكر المرتفع للمؤمنين بسبب ارتكاب هذه الجرائر ان يذكروا
بالفسق وفي قوله بعد الايمان ثلثة اوجه احدها استقباح الجمع بين الايمان وبين الفسق الذي
يأباه الايمان ويحظره كما تقول بئس الشأن بعد الكبرة الصبوة والثاني انه كان في شتائمهم لمن
اسلم من اليهود يا يهودي يا فاسق فنهوا عنه وقيل لهم بئس الذكر ان تذكروا الرجل بالفسق واليهودية
بعد ايمانه والجملة على هذا التفسير متعلقة بالنهي عن التنابز والثالث ان يجعل من فسق غير
مؤمن كما تقول للمتحول عن التجارة الى الفلاحة بئست الحرفة الفلاحة بعد التجارة ومن لم يتب
فاولئك هم الظالمون يا ايها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن يقال جنبه الشر اذا ابعده عنه وحقيقته
جعله منه في جانب فيعدى الى مفعولين قال الله عز وجل واجنبني وبني ان نعبد الاصنام ثم يقال
في مطاوعه اجتنب الشر فتنقص المطاوعة مفعولا والمأمور باجتنابه هو بعض الظن وذلك
البعض موصوف بالكثرة الا ترى الى قوله ان بعض الظن اثم بين الفصل بين كثير
حيث جاء نكرة وبينه لو جاء معرفة مجيئه نكرة يفيد معنى البعضية وان في الظنون
ما يجب ان يجتنب من غير تبيين لذلك ولا تعيين لئلا يجترئ احد على ظن الا بعد نظر وتأمل
وتمييز بين حقه وباطله بامارة بينة مع استشعار التقوى والحذر ولو عرف لكان الامر باجتناب
الظن منوطا بما يكثر منه دون ما يقل ووجب ان يكون كل ظن متصف بالكثرة مجتنبا وما
اتصف منه بالقلة مرخصا في تظنيه والذي يميز الظنون التي يجب اجتنابها عما سواها ان
كل ما لم تعرف له امارة صحيحة وسبب ظاهر كان حراما واجب الاجتناب وذلك اذا كان المظنون
به ممن شوهد منه التستر والصلاح واونست منه الامانة في الظاهر فظن الفساد والخيانة
به محرم بخلاف من اشتهره بين الناس بتعاطي الريب والمجاهرة بالخبائث عن النبي صلى الله
عليه وسلم ان الله حرم من المسلم دمه وعرضه وان يظن به ظن السوء وعن الحسن كنا
في زمان الظن بالناس حرام وانت اليوم في زمان اعمل واسكت وظن بالناس ما شئت

وعنه لا حرمة لفاجر وعنه ان الفاسق اذا اظهر فسقه وهتك ستره هتكه الله واذا استتر
لم يظهر الله عليه لعله ان يتوب وقد روي من القى جلباب الحياء فلا غيبة له والاثم الذنب
الذي يستحق صاحبه العقاب ومنه قيل لعقوبته الاثام فعال منه كالنكال والعذاب والوبال
قال لقد فعلت هذي فعلة اصاب النوى قبل الممات اثامها والهمزة فيه عن الواو كأنه
النوى بي
يثم الاعمال اي يكسرها باحباطه ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا وقرئ ولا تحسسوا بالحاء والمعنيان
متقاربان يقال تجسس الامر اذا تطلبه وبحث عنه تفعل من الجس كما ان التلمس بمعنى التطلب من
اللمس لما في اللمس من الطلب وقد جاء بمعنى الطلب في قوله تعالى وانا لمسنا السماء والتحسس التعرف
من الحس ولتقاربهما قيل لمشاعر الانسان الحواس بالحاء والجيم والمراد النهي عن تتبع عورات المسلمين
ومعايبهم والاستكشاف عما ستروه وعن مجاهد خذوا ما ظهر ودعوا ما ستره الله وعن النبي صلى
الله عليه وسلم انه خطب فرفع صوته حتى اسمع العواتق في خدورهن قال يا معشر من آمن بلسانه ولم
يخلص الايمان الى قلبه لا تتبعوا عورات المسلمين فان من تتبع عورات المسلمين تتبع الله عورته حتى
يفضحه ولو في جوف بيته وعن زيد بن وهب قلنا لابن مسعود هل لك في الوليد بن عقبة بن
ابي معيط تقطر لحيته خمرا فقال ابن مسعود انا قد نهينا عن التجسس فان ظهر لنا شيء اخذنا
به غابه واغتابه كغاله واغتاله والغيبة من الاغتياب كالغيلة من الاغتيال وهي ذكر
السوء في الغيبة وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الغيبة فقال ان تذكر اخاك
بما يكره فان كان فيه فقد اغتبته وان لم يكن فيه فقد بهته وعن ابن عباس الغيبة ادام
كلاب الناس ايحب احدكم ان يأكل لحم اخيه تمثيل وتصوير لما يناله المغتاب من عرض المغتاب
على افظع وجه وافحشه وفيه مبالغات شتى منها الاستفهام الذي معناه التقرير ومنها جعل
ما هو في الغاية من الكراهة موصولا بالمحبة ومنها اسناد الفعل الى احدكم والاشعار بان احدا
من الاحدين لا يحب ذلك ومنها انه لم يقتصر على تمثيل الاغتياب باكل لحم الانسان حتى جعل الانسان
اخا ومنها انه لم يقتصر على اكل لحم الاخ حتى جعل ميتا وعن قتادة كما تكره ان وجدت جيفة مدودة
ان تأكلها كذلك فاكره لحم اخيك وهو حي وانتصب ميتا على الحال من اللحم ويجوز ان ينتصب
على الاخ وقرئ ميتا ولما قررهم عز وجل بان احدا منهم لا يحب اكل جيفة اخيه عقب ذلك بقوله
فكرهتموه اي فتحققت بوجوب الاقرار عليكم وبانكم لا تقدرون على دفعه وانكاره لاباء البشرية
عليكم ان تجحدوا كراهتكم له وتقذركم منه فليتحقق ايضا ان تكرهوا ما هو نظيره من الغيبة والطعن

في أعراض المسلمين وقرئ فلبرتموه اي جبلتم على كراهته هلا عدى بالى كما عدى في قوله وكره اليكم الكفر وانما القياس القياس تعديه بنفسه لانه ذو مفعول واحد قبل تثقيل حشوه تقول كرهت الشئ فاذا ثقل استدعى زيادة مفعول واما تعديه بالى فتاول واجراء لكره مجرى بغض لان بغض منقول من بغض اليه الشئ فهو بغيض كقولك حبب اليه فهو حبيب اليه والمبالغة في التواب للدلالة على كثرة من يتوب عليه من عباده اولانه ما من ذنب يقترفه المقترف الا كان معفوا عنه بالتوبة اولانه بليغ في قبول التوبة منزل صاحبها منزلة من لم يذنب قط لسعة كرمه والمعنى واتقوا الله بترك ما امرتم باجتنابه والندم على ما وجد منكم منه فانكم ان اتقيتم تقبل الله توبتكم وانعم عليكم بثواب المتقين التائبين وعن ابن عباس ان سلمان كان يخدم رجلين من الصحابة ويسوى لهما طعامهما فنام عن شانه يوما فبعثاه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يبغى لهما اداما وكان اسامة على طعام رسول الله فقال ما عندي شئ فاخبرهما سلمان فعند ذلك قالا لو بعثناه الى بئر سميحة لغار ماؤها فلما راحا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لهما مالي ارى خضرة اللحم في افواهكما فقالا ما تناولنا لحما فقال انكما قد اغتبتما فنزلت واتقوا الله ان الله تواب رحيم يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى من آدم وحواء وقيل خلقنا كل واحد منكم من اب وام فما منكم احد الا وهو يدلي بمثل ما يدلي به الآخر سواء بسواء فلا وجه للتفاضل والتفاخر في النسب وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا الشعب الطبقة الاولى من الطبقات الست التي عليها العرب وهي الشعب والقبيلة والعمارة والبطن والفخذ والفصيلة والشعب تجمع القبائل والقبيلة تجمع العمائر والعمارة تجمع البطون والبطن تجمع الافخاذ والفخذ تجمع الفصائل خزيمة شعب وكنانة قبيلة وقريش عمارة وقصي بطن وهاشم فخذ والعباس فصيلة وسميت الشعوب لان القبائل تشعبت منها وقرئ لتعارفوا ولتعارفوا بالادغام ولتعرفوا اي لتتعلموا كيف تتناسبون ولتتعارفوا والمعنى ان الحكمة التي من اجلها رتبكم على شعوب وقبائل هي ان يعرف بعضكم نسب بعض فلا يعتزى الى غير آبائه لا ان يتفاخروا بالآباء والاجداد وتدعوا التفاوت والتفاضل في الانساب ثم بين الخصلة التي بها يفضل الانسان غيره ويكتسب الشرف والكرم عند الله فقال ان اكرمكم عند الله اتقاكم وقرئ ان بالفتح كانه قيل لم لا نتفاخر بالانساب فقيل لان اكرمكم عند الله اتقاكم لا انسبكم وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه طاف يوم فتح مكة فحمد الله واثنى عليه ثم قال الحمد لله الذي اذهب عنكم عبية الجاهلية وتكبرها يا ايها الناس انما الناس رجلان مؤمن تقي كريم على الله وفاجر شقي هين على الله ثم قرا الآية وعنه عليه السلام من سره ان يكون اكرم الناس فليتق الله وعن ابن عباس كرم الدنيا

الغنى وكرم الآخرة التقوى وعن يزيد بن شجرة مر رسول الله صلى الله عليه وسلم في سوق المدينة فراى غلاما اسود يقول من اشتراني فعلى شرط لا يمنعني عن الصلوات الخمس خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم فاشتراه رجل فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يراه عند كل صلوة ففقده فسال عنه صاحبه فقال محموم فعاده ثم سال عنه بعد ايام فقيل هو لما به فجاءه وهو في ذمائه فتولى غسله ودفنه فدخل على المهاجرين والانصار امر عظيم فنزلت ان الله عليم خبير قالت الاعراب آمنا الايمان هو التصديق مع الثقة وطمانينة النفس والاسلام الدخول في السلم والخروج من ان يكون حربا للمؤمنين باظهار الشهادتين الا ترى الى قوله ولما يدخل الايمان في قلوبكم واعلم ان ما يكون من الاقرار باللسان من غير مواطاة القلب فهو اسلام وما واطا فيه القلب اللسان فهو ايمان فان قلت ما وجه قوله قل لم تؤمنوا ولكن قولوا اسلمنا والذي يقتضيه نظم الكلام ان يقال قل لا تقولوا آمنا ولكن قولوا اسلمنا او قل لم تؤمنوا ولكن اسلمتم قلت افاد هذا النظم تكذيب دعواهم اولا ودفع ما انتحلوه فقيل قل لم تؤمنوا وروعي في هذا النوع من التكذيب ادب حسن حيث لم يصرح بلفظه فلم يقل كذبتم ووضع لم تؤمنوا الذي هو نفي ما ادعوا اثباته موضعه ثم نبه على ما فعل من وضعه موضع كذبتم في قوله في صفة المخلصين اولئك هم الصادقون تعريضا بان هؤلاء هم الكاذبون ورب تعريض لا يقاومه التصريح واستغنى بالجملة التي هي لم تؤمنوا عن ان يقال لا تقولوا آمنا لاستهجان ان يخاطبوا بلفظ مؤداه النهي عن القول بالايمان ثم وصلت بها الجملة المصدرة بكلمة الاستدراك محمولة على المعنى ولم يقل ولكن اسلمتم ليكون خارجا مخرج الزعم والدعوى كما كان قولهم آمنا كذلك ولو قيل ولكن اسلمتم لكان خروجه في معرض التسليم لهم والاعتداد بقولهم وهو غير معتد به فان قلت قوله ولما يدخل الايمان في قلوبكم بعد قوله قل لم تؤمنوا يشبه التكرير من غير استقلال بفائدة متجددة قلت ليس كذلك فان فائدة قوله قل لم تؤمنوا هو تكذيب دعواهم وقوله ولما يدخل الايمان في قلوبكم توقيت لما امروا به ان يقولوه كانه قيل لهم ولكن قولوا اسلمنا حين لم تثبت مواطاة قلوبكم لالسنتكم لانه كلام واقع موقع الحال من الضمير في قولوا وما في لما من معنى التوقع دال على ان هؤلاء قد آمنوا فيما بعد وان تطيعوا الله ورسوله لا يلتكم من اعمالكم شيئا ان الله غفور رحيم لا يلتكم لا ينقصكم ولا يظلمكم يقال الته السلطان حقه اشد الالت وهي لغة غطفان ولغة اسد واهل الحجاز لاته ليتا وحكى الاصمعي عن ام هاشم السلولية انها قالت الحمد لله الذي لا يفات ولا يلات ولا تصمه الاصوات وقرئ بالقلب لا يالتكم ولا يالتكم ونحوه في المعنى فلا تظلم نفس شيئا ومعنى طاعة الله ورسوله ان يتوبوا عما كانوا عليه من النفاق ويعقدوا قلوبهم على

الإيمان ويعملوا بمقتضياته فإن فعلوا ذلك تقبل الله توبتهم ووهب لهم مغفرته وأنعم عليهم بجزيل
ثوابه وعن ابن عباس أن نفرا من بني أسد قدموا المدينة في سنة جدبة فأظهروا الشهادة وأفسدوا
طرق المدينة بالعذرات وأغلوا أسعارها وهم يغدون ويروحون على رسول الله صلى الله عليه وسلم
ويقولون أتتك العرب بأنفسها على ظهور رواحلها وجئناك بالأثقال والذراري يريدون الصدقة
ويمنون عليه فنزلت ارتاب مطاوع رابه إذا أوقعه في الشك مع التهمة والمعنى آمنوا ثم لم يقع في
أنفسهم شك فيما آمنوا به ولا اتهام لمن صدقوه واعترفوا بأن الحق معه فإن قلت ما معنى ثم
ههنا وهي للتراخي وعدم الارتياب يجب أن يكون مقارنا للإيمان لأنه وصف فيه لما بينت من إفادة
الإيمان معنى الثقة والطمأنينة التي حقيقتها التيقن وانتفاء الريب قلت الجواب على طريقين
أحدهما أن من وجد منه الإيمان ربما اعترضه الشيطان أو بعض المضلين بعد ثلج الصدر فشككه
وقذف في قلبه ما يثلم يقينه أو نظر هو نظرا غير سديد يسقط به على الشك ثم يستمر على ذلك راكبا
رأسه لا يطلب له مخرجا فوصف المؤمنون حقا بالبعد عن هذه الموبقات ونظيره قوله ثم استقاموا
والثاني أن الإيقان وزوال الريب لما كان ملاك الإيمان أفرد بالذكر بعد تقدم الإيمان تنبيها على مكانه
وعطف على الإيمان بكلمة التراخي إشعارا باستقراره في الأزمنة المتراخية المتطاولة غضا جديدا إنما
المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله وجاهدوا يجوز
أن يكون المجاهد منويا وهو العدو المحارب أو الشيطان أو الهوى وأن يكون جاهد مبالغة في جهد
ويجوز أن يراد بالمجاهدة بالنفس الغزو وأن يتناول العبادات بأجمعها وبالمجاهدة بالمال نحو ما صنع
عثمان رضي الله عنه في جيش العسرة وأن يتناول الزكوات وكل ما يتعلق بالمال من أعمال البر التي يتحامل فيها
الرجل على ماله لوجه الله أولئك هم الصادقون الذين صدقوا في قولهم آمنا ولم يكذبوا كما كذب أعراب
بني أسد أو هم الذين إيمانهم إيمان صدق وإيمان حق وجد وثبات يقال ما علمت بقدومك أي ما شعرت به
ولا أحطت به ومنه قل أتعلمون الله بدينكم وفيه تجهيل لهم يقال من عليه بيد إذا أسداها إليه كقولك
أنعم عليه وأفضل عليه والله يعلم ما في السموات وما في الأرض والله بكل شيء عليم يمنون عليك أن أسلموا قل
لا تمنوا علي إسلامكم بل الله يمن عليكم أن هداكم للإيمان والمنة النعمة التي لا يستثيب مسديها من
ينزلها إليه واشتقاقها من المن الذي هو القطع لأنه إنما يسديها إليه ليقطع بها حاجته لا غير
من غير أن يعمد لطلب مثوبة ثم يقال من عليه صنعه إذا اعتده عليه منة وإنعاما وسياق هذه
الآية فيه لطف ورشاقة وذلك أن الكائن من الأعراب قد سماه الله إسلاما ونفى أن يكون كما زعموا

إيمانا فلما منوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ما كان منهم قال الله سبحانه لرسوله عليه السلام إن هؤلاء
يعتدون عليك بما ليس جديرا بالاعتداد به من حدثهم الذي حق تسميته أن يقال له إسلام فقل لهم لا
تعتدوا علي إسلامكم أي حدثكم المسمى إسلاما عندي لا إيمانا ثم قال بل الله يعتد عليكم أن أمدكم بتوفيقه
حيث هداكم للإيمان على ما زعمتم وادعيتم أنكم أرشدتم إليه ووفقتم له إن صح زعمكم وصدقت
دعواكم إلا أنكم تزعمون وتدعون ما الله عليم بخلافه وفي إضافة الإسلام إليهم وإيراد الإيمان غير مضاف
ما لا يخفى على المتأمل وجواب الشرط محذوف لدلالة ما قبله عليه تقديره إن كنتم صادقين في ادعائكم
للإيمان فلله المنة عليكم وقرئ إن هداكم بكسر الهمزة وفي قراءة ابن مسعود إذ هداكم والله بصير بما
تعملون وقرئ يعملون بالتاء والياء وهذا بيان لكونهم غير صادقين في دعواهم يعني أنه عز وجل يعلم كل
مستتر في العالم ويبصر كل عمل تعملونه في سركم وعلانيتكم لا يخفى عليه منه شيء فكيف يخفى عليه
ما في ضمائركم ولا يظهر على صدقكم وكذبكم وذلك أن حاله مع كل معلوم واحدة لا يختلف
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الحجرات أعطي من الأجر بعدد من أطاع الله وعصاه

سورة ق مكية وهي خمس وأربعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم الكلام في ق والقرآن المجيد بل عجبوا نحوه في ص والقرآن ذي الذكر
بل الذين كفروا سواء بسواء لالتقائهما في أسلوب واحد والمجيد ذو المجد والشرف على غيره من
الكتب ومن أحاط علما بمعانيه وعمل بما فيه مجد عند الله وعند الناس وهو بسبب من الله المجيد فجاز
اتصافه بصفته قوله بل عجبوا أن جاءهم منذر منهم إنكار لتعجبهم مما ليس بعجب وهو أن ينذرهم بالمخوف
رجل منهم قد عرفوا وساطته فيهم وعدالته وأمانته ومن كان على صفته لم يكن إلا ناصحا لقومه
مترفرفا عليهم خائفا أن ينالهم سوء ويحل بهم مكروه وإذا علم أن مخوفا أظلهم لزمه أن ينذرهم و
يحذرهم فكيف بما هو غاية المخاوف ونهاية المحاذير وإنكار لتعجبهم مما أنذرهم به من البعث مع
علمهم بقدرته على خلق السموات والأرض وما بينهما وعلى اختراع كل شيء وإبداعه وإقرارهم بالنشأة الأولى
ومع شهادة العقل بأنه لا بد من الجزاء ثم عول على أحد الإنكارين بقوله فقال الكافرون هذا شيء
عجيب أإذا متنا وكنا ترابا دلالة على أن تعجبهم من البعث أدخل في الاستبعاد وأحق بالإنكار ووضع
الكافرون موضع الضمير للشهادة على أنهم في قولهم هذا مقدمون على الكفر العظيم وهذا إشارة إلى الرجع
وإذا منصوب بمضمر معناه أحين نموت ونبلى نرجع ذلك رجع بعيد مستبعد مستنكر كقولك هذا قول
بعيد وقد أبعد فلان في قوله ومعناه بعيد من الوهم والعادة ويجوز أن يكون الرجع بمعنى المرجوع

وهو الجواب ويكون من كلام الله استبعادًا لإنكارهم ما أنذروا به من البعث والوقف قبله على هذا التفسير حسن وقرئ اذا متنا على لفظ الخبر ومعناه اذا متنا بعد ان نرجع والدال عليه ذلك رجع بعيد

فما ناصب الظرف اذا كان الرجع بمعنى المرجوع   ما دل عليه المنذر من المنذر به و

هو البعث قد علمنا رد لاستبعادهم الرجع لأن من لطف علمه حتى تغلغل الى ما ينقص الارض من اجساد الموتى وتأكله من لحومهم وعظامهم كان قادرًا على رجعهم احياء كما كانوا عن النبي صلى الله عليه وسلم كل ابن آدم يبلى الا عجب الذنب وعن السدي ما تنقص الارض منهم ما يموت فيدفن في الارض منهم وعندنا كتاب حفيظ محفوظ من الشياطين ومن التغيير وهو اللوح المحفوظ او حافظ لما اودعه وكتب فيه بل كذبوا بالحق لما جاءهم اضراب اتبع الاضراب الاول للدلالة على انهم جاؤا بما هو افظع من تعجبهم وهو التكذيب بالحق الذي هو النبوة الثابتة بالمعجزات في اول وهلة من غير تفكر ولا تدبر فهم في امر مريج مضطرب يقال مرج الخاتم في اصبعه وجرج فيقولون تارة شاعر وتارة ساحر وتارة كاهن لا يثبتون على شيء واحد وقرئ لما جاءهم بكسر اللام وما المصدرية واللام هي التي في قولهم لخمس خلون اي عند مجيئه اياهم وقيل الحق القرآن وقيل الاخبار بالبعث افلم ينظروا الى السماء فوقهم حين كفروا بالبعث الى آثار قدرة الله في خلق العالم كيف بنيناها رفعناها بغير عمد وزيناها وما لها من فروج من فتوق يعني انها ملساء سليمة من العيوب لا فتق فيها ولا صدع ولا خلل كقوله هل ترى من فطور والارض مددناها دحوناها والقينا فيها رواسي جبالا ثوابت لولاها لتكفأت وانبتنا فيها من كل زوج من كل صنف بهيج يبتهج به لحسنه تبصرة وذكرى لكل ليبصر به ويتذكر كل عبد منيب راجع الى ربه مفكر في بدائع خلقه وقرئ تبصرة وذكرى بالرفع اي خلقها تبصرة ونزلنا من السماء ماء مباركا كثير المنافع فانبتنا به جنات وحب الحصيد و حب الزرع الذي من شأنه ان يحصد وهو ما يقتات به من نحو الحنطة والشعير وغيرهما والنخل باسقات طوالا في السماء وفي قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم باصقات بابدال السين صادا لاجل القاف لها طلع نضيد منضود بعضه فوق بعض اما ان يراد كثرة الطلع وتراكمه او كثرة ما فيه من الثمر رزقا للعباد واحيينا به بلدة ميتا على انبتناها رزقا لان الانبات في معنى الرزق او على انه مفعول له اي انبتناها لنرزقهم كذلك الخروج كما حييت هذه البلدة الميتة كذلك تخرجون احياء بعد موتكم والكاف في محل الرفع على الابتداء كذبت قبلهم قوم نوح واصحاب الرس وثمود وعاد وفرعون واخوان لوط واصحاب الايكة وقوم تبع كل يجوز ان يراد به كل واحد منهم وان يراد جميعهم الا انه وحد الضمير الى على اللفظ دون المعنى فحق وعيد فوجب وحل وعيدي وهو كلمة العذاب وفيه تسلية لرسول الله صلى

الفتق والصدع والشق واكلل الزجر بالشر

كذب الرسل

الله عليه وسلم وتهديد لهم افعيينا بالخلق الاول عيي بالامر اذا لم يهتد لوجه عمله والهمزة للانكار والمعنى انا لم نعجز كما علموا عن الخلق الاول حتى نعجز عن الثاني ثم قال هم لا ينكرون قدرتنا على الخلق الاول و اعترافهم بذلك في طيه الاعتراف بالقدرة على الاعادة بل هم في لبس من خلق جديد ولقد خلقنا الانسان ونعلم ما توسوس به نفسه اي في خلط وشبهة قد لبس عليهم الشيطان وحيرهم ومنه قول علي رضي الله عنه يا حار انه لملبوس عليك اعرف الحق تعرف اهله ولبس الشيطان عليهم تسويله اليهم ان احياء الموتى خارج عن العادة فتركوا لذلك القياس الصحيح ان من قدر على الانشاء كان على الاعادة اقدر   لم نكر الخلق الجديد وهلا عرف كما عرف الخلق الاول   قصد في تنكيره الى خلق جديد له شأن عظيم وحال شديد حق من سمع به ان يهتم به ويخاف ويبحث عنه ولا يقعد على لبس في مثله الوسوسة الصوت الخفي ومنها وسواس الحلي ووسوسة النفس ما يخطر ببال الانسان ويهجس في ضميره من حديث النفس والباء مثلها في قولك صوت بكذا وهمس به ويجوز ان تكون للتعدية والضمير للانسان اي ما يجعله موسوسا وما مصدرية لانهم يقولون حدث نفسه بكذا كما يقولون حدثته به نفسه قال و اكذب النفس اذا حدثتها ونحن اقرب اليه مجاز والمراد قرب علمه منه وانه يتعلق بمعلومه منه ومن احواله تعلقا لا يخفى عليه شيء من خفياته فكان ذاته قريبة منه كما يقال الله في كل مكان وقد جل عن الامكنة و حبل الوريد مثل في فرط القرب كقولهم هو مني مقعد القابلة ومعقد الازار قال ذو الرمة   والموت ادنى من الوريد والحبل العرق شبه بواحد الحبال الا ترى الى قوله

كان وريديه رشاء اخلب

والوريدان عرقان مكتنفان بصفحتي العنق في مقدمها متصلان بالوتين يردان من الرأس اليه وقيل سمي وريدا لان الروح ترده   ما وجه اضافة الحبل الى الوريد والشيء لا يضاف الى نفسه   فيه وجهان احدهما ان تكون الاضافة للبيان كقولهم بعير سانية والثاني ان يراد حبل العاتق فيضاف الى الوريد كما يضاف الى العاتق لاجتماعهما في عضو واحد كما لو قيل حبل العلباء مثلا اذ منصوب باقرب وساغ ذلك لان المعاني تعمل في الظرف متقدمة ومتاخرة والمعنى انه لطيف يتوصل علمه الى خطرات النفس و ما لا شيء اخفى منه وهو اقرب الى الانسان من كل قريب حين يتلقى المتلقيان الحفيظان ما يتلفظ به ايذانا بان استحفاظ الملكين امر هو غني عنه وكيف لا يستغني عنه وهو مطلع على اخفى الخفيات وانما ذلك لحكمة اقتضت ذلك وهي ما في كتبة الملكين وحفظهما وعرض صحائف الاعمال يوم يقوم الاشهاد وعلم العبد بذلك مع علمه باحاطة الله تعالى بعمله من زيادة لطف له في الانتهاء عن السيئات والرغبة في الحسنات

من

وعن النبي صلى الله عليه وسلم ان مقعد ملكيك على ثنيتيك ولسانك قلمهما وريقك مدادهما وانت تجري فيما لا
يعنيك لا تستحيي من الله ولا منهما ويجوز ان يكون تلقي الملكين بيانا للقرب يعني ونحن قريبون منه مطلعون
على احواله مهيمنون اذ حفظتنا وكتبتنا موكلون به والتلقي التلقن بالحفظ والكتبة والقعيد المقاعد
كالجليس بمعنى المجالس وتقديره عن اليمين قعيد وعن الشمال قعيد من المتلقيين فترك احدهما لدلالة الثاني
عليه كقوله كنت منه ووالدي بريا ما يلفظ من قول الا لديه رقيب ملك يرقب عمله عتيد حاضر و
اختلف فيما يكتب الملكان فقيل يكتبان كل شيء حتى انينه في مرضه وقيل لا يكتبان الا ما يوجر عليه
او يوزر به ويدل عليه قوله عليه السلام كاتب الحسنات على يمين الرجل وكاتب السيئات على يسار الرجل
وكاتب الحسنات امير على كاتب السيئات فاذا عمل حسنة كتبها ملك اليمين عشرا واذا عمل سيئة قال
صاحب اليمين لصاحب الشمال دعه سبع ساعات لعله يسبح او يستغفر وقيل ان الملائكة يجتنبون
الانسان عند غائطه وعند جماعه وقرئ ما يلفظ على البناء للمفعول لما ذكر انكارهم البعث واحتج
عليهم بوصف قدرته وعلمه اعلمهم ان ما انكروه وجحدوه لاقوه عن قريب عند موتهم وعند قيام الساعة
ونبه على اقتراب ذلك بان عبر عنه بلفظ الماضي وهو قوله وجاءت سكرة الموت ونفخ في الصور وسكرة
الموت شدته الذاهبة بالعقل والباء في بالحق للتعدية يعني واحضرت سكرة الموت حقيقة الامر
الذي انطق الله به كتبه وبعث به رسله او حقيقة الامر وجلية الحال من سعادة الميت وشقاوته
وقيل الحق الذي خلق له الانسان من ان كل نفس ذائقة الموت ويجوز ان يكون الباء مثلها في
قوله تنبت بالدهن اي وجاءت ملتبسة بالحق اي بحقيقة الامر او بالحكمة والغرض الصحيح كقوله
خلق السموات والارض بالحق وقرا ابو بكر وابن مسعود رضي الله عنهما سكرة الحق بالموت على اضافة
السكرة الى الحق والدلالة على انها السكرة التي كتبت على الانسان واوجبت له وانها حكمة والباء
للتعدية لانها سبب زهوق الروح لشدتها او لان الموت يعقبها فكانها جاءت به ويجوز ان يكون المعنى
جاءت ومعها الموت وقيل سكرة الحق سكرة الله اضيفت اليه تفظيعا لشانها وتهويلا وقرئ
سكرات الموت ذلك ما كنت منه اشارة الى الموت والخطاب للانسان في قوله ولقد خلقنا الانسان
على طريقة الالتفات او الى الحق والخطاب للفاجر تحيد تنفر وتهرب وعن بعضهم انه سال زيد بن
اسلم عن ذلك فقال الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم فحكاه لصالح بن كيسان فقال والله ما
سن عالية ولا لسان فصيح ولا معرفة بكلام العرب هو للكافر ثم حكاهما للحسين بن عبيد الله
بن عبيد الله بن عباس فقال اخالفهما جميعا هو للبر والفاجر ونفخ في الصور ذلك يوم الوعيد

على تقدير حذف المضاف اي وقت ذلك يوم الوعيد والاشارة الى مصدر نفخ وجاءت كل نفس معها
سائق وشهيد ملكان احدهما يسوقه الى المحشر والآخر يشهد عليه بعمله او ملك واحد جامع بين
الامرين كانه قيل معها ملك يسوقه ويشهد عليه ومحل معها سائق النصب على الحال من كل لتعرفه
بالاضافة الى ما هو في حكم المعرفة لقد كنت في غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد قرئ
لقد كنت عنك غطاءك فبصرك بالكسر على خطاب النفس اي يقال لها لقد كنت جعلت الغفلة كانها غطاء
غطي به جسده كله او غشاوة غطي بها عينيه فهو لا يبصر شيئا فاذا كان يوم القيامة تيقظ وزالت عنه الغفلة
وغطاؤها فيبصر ما لم يبصره من الحق ورجع بصره الكليل عن الابصار لغفلته حديدا لتيقظه وقال قرينه
هو الشيطان الذي قيض له في قوله نقيض له شيطانا فهو له قرين يشهد له قوله قال قرينه ربنا ما
اطغيته هذا ما لدي عتيد هذا شيء لدي وفي ملكتي عتيد لجهنم والمعنى ان ملكا يسوقه وآخر
يشهد عليه وشيطانا مقرونا به يقول قد اعتدته لجهنم وهياته لها باغوائي كيف
اعراب هذا الكلام ان جعلت ما موصوفة فعتيد صفة لها وان جعلتها موصولة فهو بدل او
خبر بعد خبر او خبر مبتدا محذوف القيا في جهنم كل كفار عنيد خطاب من الله عز وجل للملكين
السائقين السائق والشهيد ويجوز ان يكون خطابا للواحد على وجهين احدهما قول المبرد ان تثنية
الفاعل نزلت منزلة تثنية الفعل لاتحادهما كانه قيل الق الق للتاكيد والثاني ان العرب اكثر
ما يرافق الرجل منهم اثنين فكثر على السنتهم ان يقولوا خليلي وصاحبي وقفا واسعدا حتى
خاطبوا الواحد خطاب الاثنين عن الحجاج انه كان يقول يا حرسي اضربا عنقه وقرا الحسن القين
بالنون الخفيفة ويجوز ان يكون الالف في القيا بدلا من النون اجراء للوصل مجرى الوقف عنيد معاند
مجانب للحق معاد لاهله مناع للخير كثير المنع للمال عن حقوقه جعل ذلك عادة له لا يبذل منه شيئا قط
او مناع لجنس الخير ان يصل الى اهله يحول بينه وبينهم قيل نزلت في الوليد بن المغيرة كان يمنع بني اخيه
من الاسلام وكان يقول من دخل منكم فيه لم انفعه بخير ما عشت معتد ظالم متخط للحق مريب
شاك في الله وفي دينه الذي جعل مع الله الها آخر فالقياه في العذاب الشديد مبتدا مضمن معنى الشرط
ولذلك اجيب بالفاء ويجوز ان يكون الذي منصوبا بدلا من كل كفار ويكون فالقياه تكريرا للتوكيد
لم اخليت هذه الجملة عن الواو وادخلت على الاولى لانها استؤنفت كما تستانف
الجمل الواقعة في حكاية التقاول كما رايت في حكاية المقاولة بين موسى وفرعون فان قلت فاين
التقاول ههنا لما قال قرينه هذا ما لدي عتيد وتبعه قوله قال قرينه ربنا ما اطغيته ولكن

كان في ضلال بعيد قال وتلاه لا تختصموا لدي وقد قدمت اليكم بالوعيد علم ان ثمة مقاولة من الكافر لكنها
طرحت لما يدل عليها كانه قال رب هو اطغاني فقال قرينه ربنا ما اطغيته واما الجملة الاولى فواجب عطفها
للدلالة على الجمع بين معناها ومعنى ما قبلها في الحصول اعني مجيء كل نفس مع الملكين وقول قرينه ما قال له
ما اطغيته ما جعلته طاغيا وما اوقعته في الطغيان ولكنه طغى فاختار الضلالة على الهدى كقوله وما
كان لي عليكم من سلطان الا ان دعوتكم فاستجبتم لي قال لا تختصموا استئناف مثل قوله قال قرينه
كان قائلا قال فماذا قال الله فقيل قال لا تختصموا والمعنى لا تختصموا في دار الجزاء وموقف الحساب
فلا فائدة في اختصامكم ولا طائل تحته وقد اوعدتكم بعذابي على الطغيان في كتبي وعلى السنة رسلي فما تركت
لكم حجة علي ثم قال لا تطمعوا ان ابدل قولي ووعيدي فاعفيكم مما اوعدتكم وما انا بظلام للعبيد
فاعذب من ليس بمستوجب للعذاب والباء في بالوعيد مزيدة مثلها في ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة او معدية به
على ان قدم مطاوع بمعنى تقدم ويجوز ان يقع الفعل على قوله قدمت على جملة قوله ما يبدل القول
لدي وما انا بظلام للعبيد ويكون بالوعيد حالا اي قدمت اليكم هذا ملتبسا بالوعيد مقترنا به او
قدمته اليكم موعدا لكم به   ان قوله وقد قدمت واقع موقع الحال من لا تختصموا والتقدم
بالوعيد في الدنيا والخصومة في الآخرة واجتماعهما في زمان واحد واجب   معناه لا تختصموا و
قد صح عندكم اني قدمت اليكم بالوعيد وصحة ذلك عندهم في الآخرة   كيف قال بظلام على
لفظ المبالغة   فيه وجهان ان يكون من قولك هو ظالم لعبده وظلام لعبيده وان يراد لو عذبت
من لا يستحق العذاب لكنت ظلاما مفرط الظلم فنفى ذلك يوم نقول لجهنم هل امتلأت وتقول قرئ
نقول بالنون والياء وعن سعيد بن جبير يوم يقول الله لجهنم وعن ابن مسعود والحسن يقال وانتصاب
اليوم بظلام او بمضمر نحو اذكر وانذر ويجوز ان ينتصب بنفخ كانه قيل ونفخ في الصور يوم نقول
لجهنم وعلى هذا يشار بذلك الى يوم يقول ولا يقدر حذف المضاف وسؤال جهنم وجوابها من باب
التخييل الذي يقصد به تصوير المعنى وتثبيته وفيه معنيان احدهما انها تمتلئ مع اتساعها وتباعد اطرافها
حتى لا يسعها شيء ولا يزاد على امتلائها كقوله لاملأن جهنم والثاني انها من السعة بحيث يدخلها
من يدخلها وفيها موضع للمزيد ويجوز ان يكون هل من مزيد استكثارا للداخلين فيها واستبعادا للزيادة عليهم
لفرط كثرتهم او طلبا للزيادة غيظا على العصاة والمزيد اما مصدر كالمحيد والمميد واما اسم مفعول
كالمبيع وازلفت الجنة للمتقين غير بعيد نصب على الظرف اي مكانا غير بعيد او على الحال وتذكيره لانه
على زنة المصدر كالزئير والصليل والمصادر يستوي في الوصف بها المذكر والمؤنث او على حذف

من م

الموصوف اي شيئا غير بعيد ومعناه التوكيد كما تقول هو قريب غير بعيد وعزيز غير ذليل هذا ما توعدون قرئ توعدون
بالتاء والياء وهي جملة اعتراضية لكل اواب حفيظ بدل من قوله للمتقين بتكرير الجار كقوله للذين استضعفوا
لمن آمن منهم وهذا اشارة الى الثواب او الى مصدر ازلفت والاواب الرجاع الى ذكر الله والحفيظ الحافظ
لحدوده ومن خشي الرحمن بدل بعد بدل تابع لكل ويجوز ان يكون بدلا عن موصوف اواب وحفيظ ولا يجوز ان يكون
في حكم اواب وحفيظ لان من لا يوصف به ولا يوصف من بين الموصولات الا بالذي وحده ويجوز ان يكون مبتدأ
خبره يقال لهم ادخلوها بسلام لان من في معنى الجمع ويجوز ان يكون منادى كقولهم من لا يزال محسنا احسن الي
وحذف حرف النداء للتقريب بالغيب حال من المفعول اي خشيه وهو غائب لم يعرفه وكونه معاقبا الا
بطريق الاستدلال او صفة لمصدر خشي اي خشيه خشية ملتبسة بالغيب حيث خشي عقابه وهو غائب او
خشيه بسبب الغيب الذي اوعده به من عذابه وقيل في الخلوة حيث لا يراه احد   كيف قرن بالخشية
اسمه الدال على سعة الرحمة   للثناء البليغ على الخاشي وهو خشيته مع علمه انه الواسع الرحمة
كما اثنى عليه بانه خاش مع ان المخشي عنه غائب ونحوه والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة فوصفهم بالوجل
مع كثرة الطاعات وجاء بقلب منيب وصف القلب بالانابة وهي الرجوع الى الله لان الاعتبار بما ثبت منها
في القلب يقال لهم ادخلوها بسلام اي سالمين من العذاب وزوال النعم او مسلما عليكم يسلم عليكم الله وملائكته
ذلك يوم الخلود اي يوم تقدير الخلود كقوله فادخلوها خالدين اي مقدرين الخلود لهم ما يشاؤون فيها ولدينا
مزيد هو ما لم يخطر ببالهم ولم تبلغه امانيهم حتى يشاؤوه وقيل ان السحاب يمر باهل الجنة فيمطرهم الحور
فتقول نحن المزيد الذي قال الله عز وجل ولدينا مزيد وكم اهلكنا قبلهم من قرن هم اشد منهم بطشا فنقبوا في البلاد
هل من محيص ان في ذلك لذكرى فنقبوا وقرئ بالتخفيف فخرقوا في البلاد ودوخوا والتنقيب التنقير
عن الامر والبحث والطلب قال الحارث بن حلزة نقبوا في البلاد من حذره وجالوا في الارض كل مجال
ودخلت الفاء للتسبيب عن قوله هم اشد منهم بطشا اي شدة بطشهم اقدرتهم على التنقيب وقوتهم عليه
ويجوز ان يراد فنقب اهل مكة في اسفارهم ومسايرهم في بلاد القرون فهل رأوا لهم محيصا حتى يؤملوا
مثله لانفسهم والدليل على صحته قراءة من قرأ فنقبوا على الامر كقوله فسيحوا في الارض وقرئ بكسر
القاف مخففة من النقب وهو ان ينتقب خف البعير قال ما مسها من نقب ولا دبر
والمعنى فنقبت اخفاف ابلهم او حفيت اقدامهم ونقبت كما تنقب اخفاف الابل لكثرة طوفهم في البلاد
هل من محيص من الله او من الموت لمن كان له قلب او القى السمع اي قلب واع لان من لا يعي قلبه فكانه
لا قلب له والقاء السمع الاصغاء وهو شهيد اي حاضر بفطنته لان من لا يحضر ذهنه فكانه غائب وقد

ملح الامام عبد القاهر في قوله لبعض من يأخذ عنه ما شئت من نزهة والعين بصفة لا بارك بسكنى الزروع او وهو مؤمن شاهد على صحته وانه وحي من الله او وهو بعض الشهداء في قوله لتكونوا شهداء على الناس و عن قتادة وهو شاهد على صدقه من اهل الكتاب لوجود نعته عنده وقرأ السدي وجماعة ألقي السمع على البناء للمفعول ومعناه لمن ألقي غيره السمع وفتح له أذنه فحسب ولم يحضر ذهنه وهو حاضر الذهن متفطن وقيل ألقي سمعه او استمع منه ولقد خلقنا السموات والارض وما بينهما في ستة ايام وما مسنا من لغوب اللغوب الاعياء وقرئ بالفتح بزنة القبول والولوع قيل نزلت في اليهود لعنت تكذيبا لقولهم خلق الله السموات و الارض في ستة ايام اولها الاحد وآخرها الجمعة واستراح يوم السبت واستلقى على العرش وقالوا ان الذي وقع من التشبيه في هذه الامة انما وقع من اليهود ومنهم أخذ فاصبر على ما يقولون اليهود ويأتون به من الكفر والتشبيه وقيل فاصبر على ما يقول المشركون من انكارهم البعث فان من قدر على خلق العالم قدر على بعثهم والانتقام منهم وقيل هي منسوخة بآية السيف وقيل الصبر مأمور به في كل حال فسبح بحمد ربك حامدا ربك والتسبيح محمول على ظاهره وعلى الصلوة فالصلوة قبل طلوع الشمس الفجر وقبل الغروب الظهر والعصر ومن الليل فسبحه العشاآن وقيل التهجد وادبار السجود التسبيح في آثار الصلوات والسجود والركوع يعبر بهما عن الصلوة وقيل النوافل بعد المكتوبات وعن علي رضي الله عنه الركعتان بعد المغرب وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم من صلى بعد المغرب قبل ان يتكلم كتبت صلوته في عليين وعن ابن عباس الوتر بعد العشاء والادبار جمع دبر وقرئ وادبار من ادبرت الصلوة اذا انقضت و تمت ومعناه وقت انقضاء السجود كقولهم آتيك خفوق النجم واستمع يوم ينادي المنادي من مكان قريب يوم يسمعون الصيحة بالحق يعني واستمع لما اخبرك به من حال يوم القيمة وفي ذلك تهويل وتعظيم لشأن المخبر به والمحدث عنه كما يروى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال سبعة ايام لمعاذ بن جبل يا معاذ اسمع ما اقول لك ثم حدثه بعد ذلك ... ثم انتصب اليوم ... بما دل عليه ذلك يوم الخروج اي يوم ينادي المنادي يخرجون من القبور ويوم يسمعون بدل من يوم ينادي والمنادي اسرافيل ينفخ في الصور وينادي ايتها العظام البالية والاوصال المتقطعة واللحوم المتمزقة والشعور المتفرقة ان الله يأمركن ان تجتمعن لفصل القضاء وقيل اسرافيل ينفخ وجبرئيل ينادي بالحشر من مكان قريب من صخرة بيت المقدس وهي اقرب الارض من السماء باثني عشر ميلا وهي وسط الارض وقيل من تحت اقدامهم وقيل من منابت شعورهم يسمع من كل شعرة ايتها العظام البالية والصيحة النفخة الثانية بالحق متعلق بالصيحة والمراد به البعث والحشر للجزاء انا نحن نحيي ونميت والينا

المصير يوم تشقق الارض عنهم وتشقق بادغام التاء في الشين وتشقق على البناء للمفعول وتنشق سراعا حال من المجرور ذلك حشر علينا يسير بتقديم الظرف يدل على الاختصاص يعني لا يتيسر مثل ذلك الامر العظيم الا على القادر الذات الذي لا يشغله شأن عن شان كما قال ما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة نحن اعلم بما يقولون تهديد لهم وتسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وما انت عليهم بجبار فذكر بالقرآن بجبار كقوله بمسيطر حتى تقسرهم على الايمان انما انت داع باعث وقيل اريد التحلم عنهم وترك الغلظة عليهم ويجوز ان يكون من جبره على الامر بمعنى اجبره اي ما انت بوال عليهم تجبرهم على الايمان وعلى منزلته في قولك هو عليهم اذا كان واليهم ومالك امرهم من يخاف وعيد كقوله انما انت منذر من يخشاها لانه لا ينتفع الا به دون المصر على الكفر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة ق هون الله عليه تارات الموت وسكراته

سورة الذاريات مكية وهي ستون آية

بسم الله الرحمن الرحيم والذاريات ذروا الذاريات الرياح لانها تذرو التراب وغيره قال الله تعالى تذروه الرياح وقرئ بادغام التاء في الذال فالحاملات وقرا السحاب لانها تحمل المطر وقرئ بفتح الواو على تسمية المحمول بالمصدر او على ايقاعه موقع حملا فالجاريات يسرا الفلك ومعنى يسرا جريا ذا يسر اي ذا سهولة فالمقسمات امرا الملائكة لانها تقسم الامور من الامطار والارزاق وغيرها او تفعل التقسيم مأمورة بذلك وعن جابر يتولى تقسيم امر العباد جبرئيل للغلظة وميكائيل للرحمة وملك الموت لقبض الارواح واسرافيل للنفخ وعن علي رضي الله عنه انه قال وهو على المنبر سلوني قبل ان لا تسئلوني ولن تسألوا بعدي مثلي فقام ابن الكواء فقال ما الذاريات قال الرياح قال فالحاملات وقرا قال السحاب قال فالجاريات يسرا قال الفلك قال فالمقسمات امرا قال الملائكة وكذا عن ابن عباس وعن الحسن المقسمات السحاب يقسم الله بها ارزاق العباد وقد حملت على الكواكب السبعة ويجوز ان يراد الرياح لا غير لانها تنشئ السحاب وتقله وتصرفه وتجري في الجو جريا سهلا وتقسم الامطار بتصريف السحاب ... ما معنى الفاء على التفسيرين ... اما على الاول فمعنى التعقيب فيها انه اقسم بالرياح فبالسحاب الذي تسوقه فبالفلك الذي تجريها بهبوبها فبالملائكة التي تقسم الارزاق باذن الله من الامطار وتجارات البحر ومنافعها واما على الثاني فلانها تبتدئ في الهبوب فتذرو التراب والحصى فتقل السحاب فتجري في الجو باسطة له فتقسم المطر انما توعدون لصادق وان الدين لواقع جواب القسم وما موصولة او مصدرية والموعود البعث ووعد صادق كعيشة راضية والسماء ذات الحبك الحبك الطرائق مثل حبك الرمل والماء اذا ضربته الريح وكذلك حبك الشعر آثار تثنيه

وتكسّره قال زهير: مكلّل بأصول النجم تنسجه ريح خريق لضاحي مائه حُبُك والدرع محبوكة

لأن حلقها مطرّق طرائق ويقال إن خلقة السماء كذلك وعن الحسن حبكها نجومها والمعنى أنها تزيّنها

كما تزيّن الموشّى طرائق الوشي وقيل حبكها صفاقتها وإحكامها من قولهم فرس محبوك المعاقم أي محكمها

وإذا أجاد الحائك الحياكة قالوا ما أحسن حبكه وهو جمع حباك كمثال ومُثُل وحبيكة كطريقة و

طرق وقرئ الحُبْك بوزن القُفْل والحِبِك بوزن السِّلْك والحَبَك بوزن الجبل والحِبُك بوزن البُرُق

والحَبِك بوزن النَّبِق والحِبِك بوزن الإبل إنكم لفي قول مختلف قولهم في الرسول شاعر وساحر ومجنون

وفي القرآن شعر وسحر وأساطير الأولين وعن الضحاك قول الكفرة لا يكون مستويا إنما هو متناقض

مختلف وعن قتادة منكم مصدّق ومكذّب ومقرّ ومنكر يؤفك عنه الضمير للقرآن أو للرسول أي

يصرف عنه من صُرف الصرف الذي لا صرف أشد منه وأعظم كقوله لا يهلك على الله إلا هالك وقيل يصرف

عنه من صُرف في سابق علم الله أي علم فيما لم يزل أنه مأفوك عن الحق لا يرعوي ويجوز أن يكون الضمير

لما توعدون أو للدين أقسم بالذاريات على أن وقوع أمر القيامة حق ثم أقسم بالسماء على أنهم في قول

مختلف في وقوعه فمنهم شاكّ ومنهم جاحد ثم قال يؤفك عن الإقرار بأمر القيامة من هو المأفوك

ووجه آخر وهو أن يرجع الضمير إلى قول مختلف وعن مثله في قوله ينهون عن أكل وعن شرب

أي يتناهون في السمن بسبب الأكل والشرب وحقيقته يصدر تناهيهم في السمن عنهما وكذلك

يصدر إفكهم عن القول المختلف وقرأ سعيد بن جبير يؤفك عنه من أفك على البناء للفاعل أي من

أفك الناس عنه وهم قريش وذلك أن الحي كانوا يبعثون الرجل ذا العقل والرأي ليسأل عن رسول

الله صلى الله عليه وسلم فيقولون احذره فيرجع فيخبرهم وعن زيد بن علي يأفك عنه من أفك أي يصرف

الناس عنه من هو مأفوك في نفسه وعنه أيضا يأفك عنه من أفك أي يصرف الناس عنه من هو أفّاك

كذاب وقرئ يؤفن عنه من أفن أي يحرم عنه من حرم من أفن الضرع إذا نهكه حلبا قتل

الخراصون الذين هم دعاء عليهم كقوله قتل الإنسان ما أكفره وأصله الدعاء بالقتل والهلاك ثم جرى

مجرى لعن وقبح والخراصون الكذابون المقدّرون ما لا يصح وهم أصحاب القول المختلف واللام

إشارة إليهم كأنه قيل قتل هؤلاء الخراصون وقرئ قتل الخراصين أي قتل الله في غمرة في جهل يغمرهم

ساهون غافلون عما أمروا به يسألون فيقولون أيان يوم الدين أي متى يوم الجزاء وقرئ بكسر الهمزة

وهي لغة   كيف وقع أيان ظرفا لليوم وإنما تقع الأحيان ظروفا للحدثان

معناه أيان وقوع يوم الدين   فبم انتصب اليوم الواقع في الجواب   بفعل مضمر

دل عليه السؤال أي يقع يوم هم على النار يفتنون ويجوز أن يكون مفتوحا لإضافته إلى غير متمكن وهو الجملة

ما محله مفتوحا   يجوز أن يكون محله نصبا بالمضمر الذي هو يقع ورفعا على هو يوم هم

على النار يفتنون وقرأ ابن أبي عبلة بالرفع يفتنون يحرقون ومنه الفتين وهي الحرة لأن حجارتها كأنها محرقة

ذوقوا فتنتكم في محل الحال أي مقولا لهم هذا القول هذا مبتدأ والذي خبره أي هذا العذاب هو الذي كنتم به تستعجلون

ويجوز أن يكون هذا بدلا من فتنتكم أي ذوقوا هذا العذاب إن المتقين في جنات وعيون آخذين ما آتاهم ربهم

قابلين لكل ما أعطاهم راضين به يعني أنه ليس فيما آتاهم إلا ما هو متلقّى بالقبول مرضيّ غير مسخوط لأن

جميعه حسن طيب ومنه قوله تعالى ويأخذ الصدقات أي يقبلها ويرضاها إنهم كانوا قبل ذلك محسنين

كانوا قليلا من الليل ما يهجعون وبالأسحار محسنين قد أحسنوا أعمالهم وتفسير إحسانهم ما بعده ما مزيدة والمعنى

كانوا يهجعون في طائفة قليلة من الليل إن جعلت قليلا ظرفا ولك أن تجعله صفة للمصدر أي كانوا

يهجعون هجوعا قليلا ويجوز أن تكون ما مصدرية أو موصولة على كانوا قليلا من الليل هجوعهم أو ما يهجعون

فيه وارتفاعه بقليلا على الفاعلية وفيه مبالغات لفظ الهجوع وهو الغرار من النوم قال

قد حصّت البيضة رأسي فما أطعم نوما غير تهجاع وقوله قليلا ومن الليل لأن الليل وقت السبات والراحة

وزيادة ما المؤكدة لذلك ووصفهم بأنهم يحيون الليل متهجدين فإذا أسحروا أخذوا في الاستغفار كأنهم

أسلفوا في ليلهم الجرائم وقوله هم يستغفرون فيه أنهم هم المستغفرون الأحقاء بالاستغفار دون

المصرين وكأنهم المختصون به لاستدامتهم له وإطنابهم فيه   هل يجوز أن يكون ما نافية كما قال

بعضهم وأن يكون المعنى أنهم لا يهجعون من الليل ويحيونه كله   لا لأن ما النافية لا يعمل ما

بعدها فيما قبلها تقول زيدا لم أضرب ولا تقول زيدا ما ضربت وفي أموالهم حق للسائل والمحروم السائل المستجدي

والمحروم الذي يحسب غنيا فيحرم الصدقة لتعففه وعن النبي صلى الله عليه وسلم ليس المسكين الذي

ترده الأكلة والأكلتان والتمرة والتمرتان قالوا فما هو قال الذي لا يجد ولا يتصدق عليه وقيل

الذي لا ينمي له مال وقيل المحارف الذي لا يكاد يكتسب وفي الأرض آيات للموقنين تدل على الصانع وحكمته

وتدبيره حيث هي مدحوّة كالبساط لما فوقها كما قال الذي جعل لكم الأرض مهادا وفيها المسالك و

الفجاج للمتقلبين فيها والماشين في مناكبها وهي مجزّأة فمن سهل وجبل وبر وبحر وقطع متجاورات

من صلبة ورخوة وعذاة وسبخة وهي كالطروقة تلقح بألوان النبات وأنواع الأشجار بالثمار المختلفة

الألوان والطعوم والروائح تسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الأكل وكلها موافقة لحوائج ساكنيها

ومنافعهم ومصالحهم في صحتهم واعتلالهم وما فيها من العيون المتفجرة والمعادن المفتنّة والدواب المنبثة

في برها وبحرها المختلفة الصور والأشكال والأفعال من الوحشي والإنسي والهوام وغير ذلك للموقنين الموحدين
سلكوا الطريق السوي البرهاني الموصل إلى المعرفة فهم نظارون بعيون باصرة وأفهام نافذة كلما رأوا آية
عرفوا وجه تأملها فازدادوا إيمانا مع إيمانهم وإيقانا إلى إيقانهم وفي أنفسكم أفلا تبصرون في حال ابتدائها
وتنقلها من حال إلى حال وفي بواطنها وظواهرها من عجائب الفطر وبدائع الخلق ما تتحير فيه الأذهان وحسبك
بالقلوب وما ركز فيها من العقول وخصت به من أصناف المعاني وبالألسن والنطق ومخارج الحروف وما في
تركيبها وترتيبها ولطائفها من الآيات الساطعة والبينات القاطعة على حكمة المدبر دع الأسماع والأبصار
والأطراف وسائر الجوارح وتأتيها لما خلقت له وما سوى في الأعضاء من المفاصل للانعطاف والتثني
فإنه إذا جسا شيء منها جاء العجز وإذا استرخى أناخ الذل فتبارك الله أحسن الخالقين وفي السماء
رزقكم هو المطر لأنه سبب الأقوات وعن سعيد بن جبير هو الثلج وكل عين دائمة منه وعن الحسن أنه
كان إذا رأى السحاب قال لأصحابه فيه والله رزقكم ولكنكم تحرمونه بخطاياكم وما توعدون الجنة هي على
ظهر السماء السابعة تحت العرش أو أراد أن ما ترزقونه في الدنيا وما توعدونه في العقبى كله مقدر
مكتوب في السماء فورب السماء والأرض إنه لحق مثل ما أنكم تنطقون قرئ مثل بالرفع صفة للحق أي
حق مثل نطقكم وبالنصب على إنه لحق حقا مثل نطقكم ويجوز أن يكون فتحا لإضافته إلى غير متمكن
وما مزيدة بنص الخليل وهذا كقول الناس إن هذا لحق كما أنك ترى وتسمع ومثل ما أنك ههنا و
هذا الضمير إشارة إلى ما ذكر من أمر الآيات والرزق وأمر النبي صلى الله عليه وسلم أو إلى ما توعدون
وعن الأصمعي أقبلت من جامع البصرة فطلع أعرابي على قعود فقال من الرجل قلت من بني أصمع قال
من أين أقبلت قلت من موضع يتلى فيه كلام الرحمن قال اتل علي فتلوت عليه والذاريات فلما
بلغت قوله وفي السماء رزقكم قال حسبك فقام إلى ناقته فنحرها ووزعها على من أقبل وأدبر وعمد
إلى سيفه وقوسه فكسرهما وولى فلما حججت مع الرشيد طفقت أطوف فإذا أنا بمن يهتف بي بصوت رقيق
فالتفت فإذا أنا بالأعرابي قد نحل واصفر فسلم علي واستقرأني السورة فلما بلغت الآية صاح
وقال قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا ثم قال وهل غير هذا فقرأت فورب السماء والأرض إنه
لحق فصاح وقال يا سبحان الله من ذا الذي أغضب الجليل حتى حلف لم يصدقوه بقوله حتى ألجأوه
إلى اليمين قالها ثلاثا وخرجت معها نفسه هل أتاك حديث ضيف إبراهيم المكرمين تفخيم للحديث وتنبيه
على أنه ليس من علم رسول الله صلى الله عليه وسلم وإنما عرفه بالوحي والضيف للواحد والجماعة كالزور
والصوم لأنه في الأصل مصدر ضافه وكانوا اثني عشر ملكا وقيل تسعة عاشرهم جبرئيل وقيل

ثلاثة جبرئيل وميكائيل وملك معهما وجعلهم ضيفا لأنهم كانوا في صورة الضيف حيث أضافهم إبراهيم أو
لأنهم كانوا في حسبانه كذلك وإكرامهم أن إبراهيم خدمهم بنفسه وأخدمهم امرأته وعجل لهم القرى أو أنهم
في أنفسهم مكرمون قال الله تعالى بل عباد مكرمون إذ دخلوا عليه فقالوا نصب بالمكرمين إذا فسر بإكرام
إبراهيم لهم وإلا فبما في ضيف من معنى الفعل أو بإضمار اذكر سلاما قال مصدر ساد مسد الفعل مستغنى
به عنه وأصله نسلم عليكم سلاما وأما سلام فمعدول به إلى الرفع على الابتداء وخبره محذوف معناه
عليكم سلام للدلالة على ثبات السلام كأنه قصد أن يحييهم بأحسن مما حيوه به أخذا بأدب الله عز
وجل وهذا أيضا من إكرامه لهم وقرئا مرفوعين وقرئ سلاما قال سلما والسلم السلام وقرئ
سلاما قال سلم قوم منكرون أنكرهم للسلام الذي هو علم الإسلام أو أراد أنهم ليسوا من معارفه أو من
جنس الناس الذين عهدهم كما لو أبصر العرب قوما من الخزر أو رأى لهم حالا وشكلا خلاف حال الناس و
شكلهم أو كان هذا سؤالا لهم كأنه قال أنتم قوم منكرون فعرفوني من أنتم فراغ إلى أهله فجاء بعجل
سمين فقربه إليهم فذهب إليهم في خفية من ضيوفه ومن أدب المضيف أن يخفي أمره وأن يبادره بالقرى
من غير أن يشعر به الضيف حذرا من أن يكفه ويعذره قال قتادة كان عامة مال نبي الله إبراهيم
البقر فجاء بعجل والهمزة في قال ألا تأكلون للإنكار أنكر عليهم ترك الأكل أو حثهم عليه فأوجس منهم خيفة
قالوا لا تخف وبشروه فأضمر وإنما خافهم لأنهم لم يتحرموا بطعامه فظن أنهم يريدون به سوءا
وعن ابن عباس وقع في نفسه أنهم ملائكة أرسلوا للعذاب وعن عون بن شداد مسح جبرئيل العجل
بجناحه فقام يدرج حتى لحق بأمه بغلام عليم أي يبلغ ويعلم وعن الحسن عليم نبي والمبشر به
إسحق وهو أكثر الأقاويل وأصحها لأن الصفة صفة سارة لا هاجر وهي امرأة إبراهيم وهو بعلها
وعن مجاهد هو إسمعيل فأقبلت امرأته في صرة في صيحة من صر الجندب وصر القلم والباب و
محله النصب على الحال أي فجاءت صارة وقال الحسن أقبلت إلى بيتها وكانت في زاوية تنظر إليهم
لأنها وجدت حرارة الدم فلطمت وجهها من الحياء وقيل فأخذت في صرة كما تقول أقبل يشتمني
وقيل صرتها قولها أوه وقيل يا ويلتا وعن عكرمة رنتها فصكت وجهها فقالت فلطمت
ببسط يديها وقيل فضربت بأطراف أصابعها جبهتها فعل المتعجب عجوز عقيم قالوا أنا عجوز
فكيف ألد كذلك مثل ذلك الذي قلنا وأخبرنا به قال ربك إنه هو الحكيم العليم أي إنما نخبرك عن الله والله
قادر على ما تستبعدين وروي أن جبرئيل قال لها انظري إلى سقف بيتك فنظرت فإذا جذوعه
مورقة مثمرة فلما علم أنهم ملائكة وأنهم لا ينزلون إلا بإذن الله رسلا في بعض الأمور قال فما خطبكم

اى فما شانكم وما طلبكم ايها المرسلون قالوا انا ارسلنا الى قوم مجرمين الى قوم لوط لنرسل عليهم حجارة
من طين يريد السجيل وهو طين طبخ كما يطبخ الآجر حتى صار فى صلابة الحجارة مسومة عند ربك
للمسرفين فاخرجنا من كان معلمة من السومة وهى العلامة على كل واحد منها اسم من يهلك به وقيل
اعلمت بانها من حجارة العذاب وقيل بعلامة تدل انها ليست من حجارة الدنيا سماهم مسرفين كما سماهم
عادين لاسرافهم وعدوانهم فى عملهم حيث لم يقتنعوا بما ابيح لهم الضمير فى فيها للقرية ولم يجر لها
ذكر لكونها معلومة وفيه دليل على ان الايمان والاسلام واحد وانهما صفتا مدح قيل هم لوط و
ابنتاه وقيل كان لوط واهل بيته الذين نجوا ثلثة عشر وعن قتادة لو كان فيها اكثر من ذلك لانجاهم
ليعلموا ان الايمان محفوظ لا ضيعة لاهله عند الله وتركنا فيها آية للذين يخافون العذاب الاليم آية
علامة يعتبر بها الخائفون دون القاسية قلوبهم قال ابن جريج هى صخر منضود فيها وقيل ماء
اسود منتن وفى موسى اذ ارسلناه الى فرعون بسلطان مبين معطوف على وفى الارض آيات او على قوله
وتركنا فيها آية على معنى وجعلنا فى موسى آية كقوله علفتها تبنا وماء باردا فتولى بركنه فازور
واعرض كقوله اعرض ونأى بجانبه وقيل فتولى بما كان يتقوى به من جنوده وملائه وقرئ بركنه
بضم الكاف وقال ساحر او مجنون فاخذناه وجنوده فنبذناهم فى اليم وهو مليم اى هو ساحر مليم آت بما يلام
عليه من كفره وعناده والجملة مع الواو حال من الضمير فى فنبذناه — كيف وصف
نبى الله يونس بما وصف به فرعون فى قوله فالتقمه الحوت وهو مليم — موجبات اللوم
تختلف وعلى حسب اختلافها تختلف مقادير اللوم فراكب الكبيرة ملوم على مقدارها وكذلك
مقترف الصغيرة الا ترى الى قوله وعصوا رسله وعصى آدم ربه لان الكبيرة والصغيرة يجمعهما
اسم العصيان كما يجمعهما اسم القبيح والسيئة وفى عاد اذ ارسلنا عليهم الريح العقيم ما تذر من شىء
اتت عليه الا جعلته كالرميم وفى ثمود اذ قيل لهم تمتعوا العقيم التى لا خير فيها من انشاء مطر او
القاح شجر وهى ريح الهلاك واختلف فيها فعن على رضى الله عنه النكباء وعن ابن عباس الدبور
وعن ابن المسيب الجنوب والرميم كل ما رم اى بلى وتفتت من عظم او نبات او غير ذلك حتى حين
تفسيره قوله تمتعوا فى داركم ثلثة ايام فعتوا عن امر ربهم فاستكبروا عن امتثاله فاخذتهم الصاعقة
وقرئ الصعقة وهى المرة من مصدر صعقتهم الصاعقة والصاعقة النازلة نفسها وهم
ينظرون كانت نهارا وروى ان العمالقة كانوا معهم فى الوادى ينظرون اليهم وما ضرتهم فما استطاعوا
من قيام وما كانوا كقوله فاصبحوا فى دارهم جاثمين وقيل هو من قولهم ما يقوم به اذا عجز عن دفعه

من المؤمنين فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين

منتصرين ممتنعين من العذاب وقوم نوح قرئ بالجر على معنى وفى قوم نوح وبالنصب على معنى واهلكنا
قوم نوح لان ما قبله يدل عليه او واذكر قوم نوح من قبل انهم كانوا قوما فاسقين والسماء بنيناها
بايد بقوة والايد والآد القوة وقد آد يئيد وهو أيد وانا لموسعون لقادرون من الوسع وهو
الطاقة والموسع القوى على الانفاق وعن الحسن لموسعون الرزق بالمطر وقيل جعلنا بينها وبين
الارض سعة والارض فرشناها فنعم الماهدون نحن ومن كل شىء اى من كل شىء من الحيوان خلقنا زوجين
ذكرا وانثى وعن الحسن السماء والارض والليل والنهار والشمس والقمر والبر والبحر والموت والحياة
فعدد اشياء وقال كل اثنين منها زوج والله تعالى فرد لا مثل له لعلكم تذكرون اى فعلنا ذلك كله
من بناء السماء وفرش الارض وخلق الازواج ارادة ان تتذكروا فتعرفوا الخالق وتعبدوه
ففروا الى الله اى الى طاعته وثوابه من معصيته وعقابه ووحدوه ولا تشركوا به وكرر قوله انى لكم
منه نذير مبين ولا تجعلوا مع الله الها آخر انى لكم منه نذير مبين عند الامر بالطاعة والنهى عن الشرك
ليعلم ان الايمان لا ينفع الا مع العمل كما ان العمل لا ينفع الا مع الايمان وانه لا يفوز عند الله الا
الجامع بينهما الا ترى الى قوله لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن آمنت من قبل او كسبت فى ايمانها خيرا والمعنى
قل يا محمد ففروا الى الله كذلك الامر مثل ذلك وذلك اشارة الى تكذيبهم الرسول وتسميتهم له ساحرا
ومجنونا ثم فسر ما اجمل بقوله ما اتى الذين من قبلهم من رسول الا قالوا ساحر او مجنون ولا يصح ان يكون
الكاف منصوبة باتى لان ما النافية لا يعمل ما بعدها فيما قبلها ولو قيل لم يات لكان صحيحا على معنى
مثل ذلك الاتيان لم يات من قبلهم رسول الا قالوا اتواصوا به الضمير للقول يعنى اتواصى الاولون و
الآخرون بهذا القول حتى قالوه جميعا متفقين عليه بل هم قوم طاغون اى لم يتواصوا به لانهم لم يتلاقوا
فى زمان واحد بل جمعتهم العلة الواحدة وهى الطغيان والطغيان هو الحامل عليه فتول عنهم فما انت
بملوم وذكر فاعرض عن الذين كررت عليهم الدعوة فلم يجيبوا وعرفت منهم العناد واللجاج فلا لوم
عليك فى اعراضك بعد ما بلغت الرسالة وبذلت مجهودك فى البلاغ والدعوة ولا تدع التذكير
والموعظة بايام الله فان الذكرى تنفع المؤمنين اى تؤثر فى الذين عرف الله منهم ان يدخلوا فى الايمان
او يزيد الداخلين فيه ايمانا وروى انه لما نزلت فتول عنهم حزن رسول الله صلى الله عليه وسلم
واشتد ذلك على اصحابه ورأوا ان الوحى قد انقطع وان العذاب قد حضر فانزل الله وذكر
وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون اى ما خلقت الجن والانس الا لاجل العبادة ولم ارد من جميعهم الا اياها
ولو كان مريدا للعبادة منهم لكانوا كلهم عبادا انما اراد منهم ان يعبدوه مختارين

للعبادة لا مضطرين اليها لانه خلقهم ممكنين فاختار بعضهم ترك العبادة مع كونهم مريدين لها ولو ارادها على القسر والالجاء لوجدت من جميعهم ما اريد منهم من رزق وما اريد ان يطعمون ان الله هو الرزاق ذو القوة المتين فان للذين ظلموا ذنوبا مثل ذنوب اصحابهم فلا يستعجلون فويل للذين كفروا من يومهم الذي يوعدون يريد ان شاني مع عبادي ليس كشان السادة مع عبيدهم فان ملاك العبيد انما يملكونهم ليستعينوا بهم في تحصيل معايشهم وارزاقهم فاما مجهز في تجارة ليبغي ربحا او مرتب في فلاحة ليغتل ارضا او مسلم في حرفة لينتفع باجرته او محتطب او محتش او مستق او طابخ او خابز وما اشبه ذلك من الاعمال والمهن التي هي تصرف في اسباب المعيشة وابواب الرزق فاما مالك ملك العبيد وقال لهم اشتغلوا بما يسعدكم في انفسكم ولا اريد ان اصرفكم في تحصيل رزقي ولا رزقكم وانا غني عنكم وعن مرافقكم ومتفضل عليكم برزقكم وبما يصلحكم ويعيشكم من عندي فما هو الا انا وحدي المتين الشديد القوة قرئ بالرفع صفة لذو وبالجر صفة للقوة على تاويل الاقتدار والمعنى في وصفه بالقوة والمتانة انه القادر البليغ الاقتدار على كل شيء وقرئ الرازق وفي قراءة النبي صلى الله عليه وسلم اني انا الرزاق الذنوب الدلو العظيمة وهذا تمثيل اصله في السقاة يتقسمون الماء فيكون لهذا ذنوب ولهذا ذنوب قال لنا ذنوب ولكم ذنوب فان ابيتم فلنا القليب ولما قال عمرو بن شاس وفي كل حي قد خبطت بنعمة فحق لشاس من نداك ذنوب قال الملك نعم واذنبه والمعنى فان للذين ظلموا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالتكذيب من اهل مكة لهم نصيب من عذاب الله مثل نصيب اصحابهم ونظرائهم من القرون وعن قتادة سجلا من عذاب الله مثل سجل اصحابهم من يومهم من يوم القيمة وقيل من يوم بدر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الذاريات اعطاه الله عشر حسنات بعدد كل ريح هبت وجرت في الدنيا

سورة الطور مكية وهي تسع واربعون وقيل ثمان واربعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم والطور وكتاب مسطور في رق منشور الطور الجبل الذي كلم الله عليه موسى وهو بمدين والكتاب المسطور في الرق المنشور والرق الصحيفة وقيل الجلد الذي يكتب فيه الكتاب الذي يكتب فيه الاعمال قال الله تعالى ونخرج له يوم القيمة كتابا يلقاه منشورا وقيل هو ما كتبه الله لموسى عليه السلام وهو يسمع صرير القلم وقيل اللوح المحفوظ وقيل القرآن ونكر لانه كتاب مخصوص من بين جنس الكتب كقوله ونفس وما سواها والبيت المعمور الضراح في السماء الرابعة وعمرانه كثرة غاشيته من الملائكة وقيل الكعبة لكونها معمورة بالحجاج والعمار والمجاورين والسقف المرفوع السماء والبحر المسجور المملوء وقيل الموقد من قوله واذا البحار سجرت وروي ان الله تعالى يجعل البحار كلها يوم القيمة نارا تسجر بها نار جهنم وعن علي رضي الله عنه انه سال يهوديا اين موضع النار فقال في البحر فقال علي ما اراه الا صادقا لقوله والبحر المسجور ان عذاب ربك لواقع لنازل قال جبير بن مطعم اتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم اكلمه في الاسارى فالفيته في صلوة الفجر يقرا سورة الطور فلما بلغ ان عذاب ربك لواقع اسلمت خوفا ان ينزل العذاب ما له من دافع يوم تمور السماء مورا وتسير الجبال سيرا فويل يومئذ للمكذبين الذين هم في خوض يلعبون تمور تضطرب بجيء وتذهب وقيل المور تحرك في تموج والمور الشيء يتردد في عرض كالداغصة في الركبة غلب الخوض في الاندفاع في الباطل والكذب ومنه قوله وكنا نخوض مع الخائضين وخضتم كالذي خاضوا يوم يدعون الى نار جهنم دعا هذه النار التي كنتم بها تكذبون الدع الدفع العنيف وذلك ان خزنة النار يغلون ايديهم الى اعناقهم ويجمعون نواصيهم الى اقدامهم ويدفعونهم الى النار دفعا على وجوههم وزخا في اقفيتهم وقرا زيد بن علي يدعون من الدعاء اي يقال لهم هلموا الى النار وادخلوا النار دعا مدعوعين يقال لهم هذه النار افسحر هذا يعني كنتم تقولون للوحي هذا سحر افسحر هذا يريد اهذا المصداق ايضا سحر ودخلت الفاء لهذا المعنى ام انتم لا تبصرون كما كنتم لا تبصرون في الدنيا يعني ام انتم عمي عن المخبر عنه كما كنتم عميا عن الخبر وهذا تقريع وتهكم اصلوها فاصبروا او لا تصبروا سواء خبره محذوف اي سواء عليكم الامران الصبر وعدمه لم علل استواء الصبر وعدمه بقوله انما تجزون ما كنتم تعملون لان الصبر انما يكون له مزية على الجزع لنفعه في العاقبة بان يجازى عليه الصابر جزاء الخير فاما الصبر على العذاب الذي هو الجزاء ولا عاقبة له ولا منفعة فلا مزية له على الجزع ان المتقين في جنات ونعيم في اية جنات واي نعيم بمعنى الكمال في الصفة او في جنات ونعيم مخصوصة بالمتقين خلقت لهم خاصة وقرئ فاكهين وفكهين وفاكهون من نصبه حالا جعل الظرف مستقرا ومن رفعه خبرا جعل الظرف لغوا اي متلذذين بما آتاهم ربهم علام عطف قوله ووقاهم ربهم على قوله في جنات او على آتاهم ربهم على ان تجعل ما مصدرية والمعنى فاكهين بايتائهم ربهم ووقايتهم عذاب الجحيم ويجوز ان تكون الواو للحال وقد بعدها مضمرة بما كنتم تعملون يقال لهم كلوا واشربوا اكلا وشربا هنيئا متكئين على سرر مصفوفة وزوجناهم بحور عين او طعاما وشرابا هنيئا وهو الذي لا تنغيص فيه ويجوز ان يكون مثله في قوله

هنيئاً مريئاً غير داء مخامر لعزة من اعراضنا ما استحلت اعنى صفة استعملت استعمال المصدر القائم مقام الفعل مرتفعا به ما استحلت كما يرتفع بالفعل كانه قيل هنأ عزة المستحل من اعراضنا وكذا معنى هنيئا هنا هنأكم الاكل والشرب او هنأكم ما كنتم تعملون اى جزاء ما كنتم تعملون والباء مزيدة كما فى كفى بالله والباء متعلقة بكلوا واشربوا اذا جعلت الفاعل الاكل والشرب قرئ بعيس عين والذين آمنوا معطوف على حور عين اى قرناهم بالحور وبالذين آمنوا اى بالرفقاء والجلساء منهم كقوله اخوانا على سرر متقابلين فيتمتعون تارة بملاعبة الحور وتارة بمؤانسة الاخوان المؤمنين واتبعناهم ذرياتهم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله يرفع ذرية المؤمن فى درجته وان كانوا دونه لتقر بهم عينه ثم تلا هذه الآية فيجمع الله لهم انواع السرور بسعادتهم فى انفسهم وبمزاوجة الحور العين وبمؤانسة الاخوان المؤمنين وباجتماع اولادهم ونسلهم بهم ثم قال بايمان الحقنا بهم ذرياتهم اى بسبب ايمان عظيم رفيع المحل وهو ايمان الآباء الحقنا بدرجاتهم ذريتهم وان كانوا لا يستأهلونها تفضلا عليهم وعلى آبائهم ليتم سرورهم ويكمل نعيمهم ما معنى تنكير الايمان معناه الدلالة على انه ايمان خاص عظيم المنزلة ويجوز ان يراد ايمان الذرية الداني المحل كانه قال بشىء من الايمان لا يؤهلهم لدرجة الآباء الحقناهم بهم وقرئ واتبعتهم ذريتهم وقرئ واتبعتهم ذرياتهم وذرياتهم وقرئ ذرياتهم بكسر الذال ووجه آخر وهو ان يكون والذين آمنوا مبتدأ خبره بايمان الحقنا بهم ذرياتهم وما بينهما اعتراض وما ألتناهم وما نقصناهم يعنى وفرنا عليهم جميع ما ذكرنا من الثواب والتفضل وما نقصناهم من ثواب عملهم من شىء وقيل معناه وما نقصناهم من ثوابهم شيئا نعطيه الابناء حتى يلحقوا بهم انما الحقناهم بهم على سبيل التفضل قرئ ألتناهم وهو من ألت يألت ومن آلت يؤلت كآمن يؤمن ولتناهم من لات يليت ولتناهم من ولت يلت ومعنا هن واحد كل امرئ بما كسب رهين اى مرهون كان نفس العبد رهن عند الله بالعمل الصالح الذى هو مطالب به كما يرهن الرجل عبده بدين عليه فان عمل صالحا فكها وخلصها والا اوبقها وامددناهم بفاكهة ولحم مما يشتهون وزدناهم فى وقت بعد وقت يتنازعون يتعاطون ويتعاورون هم وجلساؤهم من اقربائهم واخوانهم فيها كأسا خمرا لا لغو فى شربها ولا تأثيم اى لا يتكلمون فى اثناء الشرب بسقط الحديث وما لا طائل تحته كفعل المتنادمين فى الدنيا على الشراب فى سفههم وعربدتهم لا يفعلون ما يؤثم به فاعله اى ينسب الى الاثم لو فعله فى دار التكليف من الكذب والشتم والفواحش وانما يتكلمون بالحكم والكلام الحسن متلذذين بذلك لان عقولهم ثابتة غير زائلة

وهم حكماء علماء وقرئ لا لغو فيها ولا تأثيم ويطوف عليهم غلمان لهم اى مملوكون لهم مخصوصون بهم كانهم لؤلؤ مكنون فى الصدف لانه رطبا احسن واصفى او مخزون لانه لا يخزن الا الثمين الغالى القيمة وقيل لقتادة هذا الخادم فكيف المخدوم فقال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذى نفسى بيده ان فضل المخدوم على الخادم كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب وعنه عليه السلام ان ادنى اهل الجنة منزلة من ينادى الخادم من خدامه فيجيبه الف ببابه لبيك لبيك واقبل بعضهم على بعض يتساءلون يتحادثون ويسأل بعضهم بعضا عن احواله واعماله وما استوجب به نيل ما عند الله قالوا انا كنا قبل فى اهلنا مشفقين ارقاء القلوب من خشية الله فمن الله علينا قرئ ووقانا بالتشديد عذاب السموم عذاب النار ووهجها ونفحها والسموم الريح الحارة التى تدخل المسام سميت بها نار جهنم لانها بهذه الصفة انا كنا من قبل من قبل لقاء الله والمصير اليه يعنون فى الدنيا ندعوه نعبده ونسأله الوقاية انه هو البر المحسن الرحيم العظيم الرحمة الذى اذا عبد اثاب واذا سئل اجاب وقرئ انه بالفتح بمعنى لانه فذكر فما انت بنعمة ربك بكاهن ولا مجنون ام يقولون شاعر فاثبت على تذكير الناس وموعظتهم ولا يثبطنك قولهم كاهن او مجنون ولا تبال به فانه قول باطل متناقض لان الكاهن يحتاج الى كهانته الى فطنة ودقة نظر والمجنون مغطى على عقله وما انت بحمد الله وانعامه عليك بصدق النبوة ورجاحة العقل احد هذين وقرئ نتربص به ريب المنون على البناء للمفعول وريب المنون ما يقلق النفوس ويشخص بها من حوادث الدهر قال امن المنون وريبه تتوجع وقيل المنون الموت وهو فى الاصل فعول من منه اذا قطعه لان الموت قطوع ولذلك سميت شعوب قالوا ننتظر به نوائب الزمان فيهلك كما هلك من قبله من الشعراء زهير والنابغة قل تربصوا فانى معكم من المتربصين اتربص هلاككم كما تتربصون هلاكى ام تأمرهم احلامهم عقولهم والبابهم ومنه قولهم احلام عاد والمعنى اتأمرهم احلامهم بهذا التناقض فى القول وهو قولهم كاهن وشاعر مع قولهم مجنون وكانت قريش يدعون اهل الاحلام والنهى ام هم قوم طاغون مجاوزون الحد فى العناد مع ظهور الحق لهم ما معنى كون الاحلام آمرة هو مجاز لادائها الى ذلك كقوله اصلاتك تأمرك ان نترك ما يعبد آباؤنا وقرئ بل هم قوم طاغون ام يقولون تقوله اختلقه من تلقاء نفسه بل لا يؤمنون فلكفرهم وعنادهم يرمون بهذه المطاعن مع علمهم ببطلان قولهم وانه ليس بمتقول لعجز العرب عنه وما محمد الا واحد من العرب فليأتوا بحديث مثله ان كانوا صادقين وقرئ بحديث مثله بالاضافة والضمير لرسول الله صلى الله عليه وسلم ومعناه ان مثل محمد فى فصاحته ليس بمعوز فى العرب فان قدر محمد على نظمه كان مثله قادرا عليه فليأتوا بحديث

المثل ذلك أم خلقوا أم أحدثوا وقدروا التقدير الذي عليه فطرتهم من غير شيء من غير مقدر أم هم الخالقون
الذين خلقوا أنفسهم حيث لا يعبدون الخالق أم خلقوا السموات والأرض بل لا يوقنون أي إذا سئلوا من
خلقكم وخلق السموات والأرض قالوا الله وهم شاكون فيما يقولون لا يوقنون وقيل أخلقوا من أجل
لا شيء من جزاء ولا حساب وقيل أخلقوا من غير أب وأم أم عندهم خزائن ربك الرزق حتى يرزقوا النبوة
من شاءوا أو أعندهم خزائن علمه حتى يختاروا لها من اختياره حكمة ومصلحة أم هم المسيطرون الأرباب
الغالبون حتى يدبروا أمر الربوبية ويبنوا الأمور على إرادتهم ومشيئتهم وقرئ المصيطرون بالصاد
أم لهم سلم منصوب إلى السماء يستمعون صاعدين فيه إلى كلام الملائكة وما يوحى إليهم من علم الغيب حتى يعلموا أما هو
كائن من تقدم هلاكه على هلاكهم وظفرهم في العاقبة دونه كما يزعمون فليأت مستمعهم بسلطان مبين بحجة
واضحة تصدق استماع مستمعهم أم له البنات ولكم البنون أم تسألهم أجرا فهم من مغرم مثقلون المغرم
أن يلتزم الإنسان ما ليس عليه أي لزمهم مغرم ثقيل فدحهم فزهدهم ذلك في اتباعك أم عندهم الغيب
أي اللوح المحفوظ فهم يكتبون ما فيه حتى يقولوا لا نبعث وإن بعثنا لا نعذب أم يريدون كيدا وهو كيدهم
في دار الندوة برسول الله صلى الله عليه وسلم وبالمؤمنين فالذين كفروا إشارة إليهم أو أريد بهم كل
من كفر بالله هم المكيدون هم الذين يعود عليهم وبال كيدهم ويحيق بهم مكرهم وذلك أنهم قتلوا يوم
بدر أو المغلوبون في الكيد من كايدته فكدته أم لهم إله غير الله سبحان الله عما يشركون وإن يروا كسفا
من السماء ساقطا يقولوا الكسف القطعة وهو جواب قولهم أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا يريد
أنهم لشدة طغيانهم وعنادهم لو أسقطناه عليهم لقالوا هذا سحاب مركوم بعضه فوق بعض يمطرنا
ولم يصدقوا أنه كسف ساقط للعذاب وقرئ حتى يلقوا ويلقوا فذرهم حتى يلاقوا يومهم الذي فيه
يصعقون يموتون وقرئ يصعقون يقال صعقه فصعق وذلك عند النفخة الأولى نفخة الصعق
يوم لا يغني عنهم كيدهم شيئا ولا هم ينصرون وإن للذين ظلموا وإن لهؤلاء الظلمة عذابا دون ذلك و
لكن أكثرهم لا يعلمون واصبر دون يوم القيمة وهو القتل ببدر والقحط سبع سنين وعذاب القبر
وفي مصحف عبد الله دون ذلك قريبا لحكم ربك بإمهالهم وما يلحقك فيه من المشقة والكلفة فإنك
بأعيننا مثل أي بحيث نراك ونكلأك وجمع العين لأن الضمير بلفظ ضمير الجماعة ألا ترى إلى قوله
ولتصنع على عيني وقرئ بأعينا بالإدغام وسبح بحمد ربك حين تقوم من أي مكان قمت وقيل من منامك
ومن الليل فسبحه وإدبار النجوم وإذا أدبرت النجوم من آخر الليل وقرئ وأدبار بالفتح يعني في أعقاب
النجوم وآثارها إذا غربت والمراد الأمر بقول سبحان الله وبحمده في هذه الأوقات وقيل التسبيح الصلوة

إذا قام من نومه ومن الليل صلوة العشائين وإدبار النجوم صلوة الفجر عن رسول الله صلى الله عليه و
سلم من قرأ سورة الطور كان حقا على الله أن يؤمنه من عذابه وأن ينعمه في جنته

سورة النجم مكية وهي إحدى وستون وقيل ثنتان وستون آية

بسم الله الرحمن الرحيم والنجم الثريا وهو اسم غالب لها قال إذا طلع النجم عشاء
ابتغى الراعي كساء أو جنس النجوم قال فباتت تعد النجم في مستحيره يريد النجوم إذا هوى إذا
غرب أو انتثر يوم القيمة أو النجم الذي يرجم به إذا هوى إذا انقض أو النجم من نجوم القرآن وقد
نزل منجما في عشرين سنة إذا هوى إذا نزل أو النبات إذا هوى إذا سقط على الأرض وعن عروة بن
الزبير أن عتبة بن أبي لهب وكانت تحته بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم أراد الخروج إلى الشام فقال
لآتين محمدا فلأوذينه فأتاه فقال يا محمد هو كافر بالنجم إذا هوى وبالذي دنا فتدلى ثم تفل
في وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ورد عليه ابنته وطلقها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اللهم سلط عليه كلبا من كلابك وكان أبو طالب حاضرا فوجم لها وقال ما كان أغناك يا ابن أخي عن
هذه الدعوة فرجع عتبة إلى أبيه فأخبره ثم خرجوا إلى الشام فنزلوا منزلا فأشرف عليهم راهب
من الدير فقال لهم هذه أرض مسبعة فقال أبو لهب لأصحابه أغيثونا يا معشر قريش هذه الليلة
فإني أخاف على ابني دعوة محمد فجمعوا جمالهم وأناخوها حولهم وأحدقوا بعتبة فجاء الأسد يتشمم وجوههم
حتى ضرب عتبة فقتله وقال حسان من يرجع العام إلى أهله فما أكيل السبع بالراجع
ما ضل صاحبكم وما غوى وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى علمه يعني محمدا صلى الله عليه وسلم والـ
الخطاب لقريش وهو جواب القسم والضلال نقيض الهدى والغي نقيض الرشد أي هو مهتد راشد
وليس كما تزعمون من نسبتكم إياه إلى الضلال والغي وما أتاكم به من القرآن ليس بمنطق يصدر عن هواه
ورأيه إنما هو وحي من عند الله يوحى إليه ويحتج بهذه الآية من لا يرى الاجتهاد للأنبياء ويجاب
بأن الله تعالى إذا سوغ لهم الاجتهاد كان الاجتهاد وما يستند إليه كله وحيا لا نطقا عن الهوى شديد
القوى ملك شديد قواه والإضافة غير حقيقية لأنها إضافة الصفة المشبهة إلى فاعلها وهو
جبرئيل عليه السلام ومن قوته أنه اقتلع قرى قوم لوط من الماء الأسود وحملها على جناحه ثم رفعها
إلى السماء ثم قلبها وصاح صيحة بثمود فأصبحوا جاثمين وكان هبوطه على الأنبياء وصعوده في
أوحى من رجعة الطرف ورأى إبليس يكلم عيسى على بعض عقاب الأرض المقدسة فنفحه بجناحه نفحة
فألقاه في أقصى جبل بالهند ذو مرة ذو حصافة في عقله ورأيه ومتانة في دينه فاستوى فاستقام

على صورة نفسه الحقيقية دون الصورة التي كان يتمثل بها كلما هبط بالوحي وكان ينزل بالوحي في صورة دحية
وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أحب أن يراه في صورته التي جبل عليها فاستوى له في الأفق الأعلى
وهو أفق الشمس فملأ الأرض وقيل ما رآه أحد من الأنبياء في صورته الحقيقية غير محمد صلى الله عليه وسلم مرة
في الأرض ومرة في السماء ثم دنا من رسول الله صلى الله عليه وسلم فتدلى فتعلق عليه في الهواء ومنه تدلت
الثمرة ودلى رجليه من السرير والدوالي الثمر المعلق وقال تدلى لها بين سبت وخيطة
ويقال هو مثل القرلى إن رأى خيرا تدلى وإن لم يره تولى فكان قاب قوسين مقدار قوسين عربيتين و
القاب والقيب والقاد والقيد والقاس والقيس المقدار وقرأ زيد بن علي قاد وقرئ قيد وقدر
وقد جاء التقدير بالقوس والرمح والسوط والذراع والباع والخطوة والشبر والفتر والإصبع ومنه
لا صلوة إلى أن ترتفع الشمس مقدار رمحين وفي الحديث لقاب قوس أحدكم من الجنة وموضع قده
خير من الدنيا وما فيها والقد السوط ويقال بينهما خطوات يسيرة وقال

وقد جعلتني من حزيمة إصبعا   كيف تقدير قوله فكان قاب قوسين   تقديره

فكان مقدار مسافة قربه مثل قاب قوسين فحذفت هذه المضافات كما قال أبو علي في قوله
وقد جعلتني من حزيمة إصبعا أي ذا مقدار مسافة إصبع أو أدنى أي على تقديركم كقوله أو يزيدون فأوحى
إلى عبده إلى عبد الله وإن لم يجر لاسمه عز وجل ذكر لأنه لا يلبس كقوله على ظهرها ما أوحى تفخيم للوحي
الذي أوحي إليه قيل أوحي إليه أن الجنة محرمة على الأنبياء حتى تدخلها وعلى الأمم حتى يدخلها أمتك
ما كذب الفؤاد ما رأى ما كذب فؤاد محمد ما رآه ببصره من صورة جبريل أي ما قال فؤاده لما رآه لم أعرفك
ولو قال ذلك لكان كاذبا لأنه عرفه يعني أنه رآه بعينه وعرفه بقلبه ولم يشك في أن ما رآه حق وقرئ
ما كذّب أي صدقه ولم يشك أنه جبريل بصورته أفتمارونه على ما يرى ولقد رآه من المراء وهو الملاحاة
والمجادلة واشتقاقه من مري الناقة كأن كل واحد من المتجادلين يمري ما عند صاحبه وقرئ
أفتمرونه أفتغلبونه في المراء من ماريته فمريته ولما فيه من معنى الغلبة عدي بعلى كما تقول غلبته
على كذا وقيل أفتمرونه أفتجحدونه وأنشدوا   لئن هجرت أخا صدق ومكرمة
فقد مريت أخا ما كان يمريكا   وقالوا مريته حقه إذا جحدته وتعديته بعلى لا يصح إلا على مذهب
التضمين نزلة أخرى عند مرة أخرى من النزول فنصبت النزلة نصب الظرف الذي هو مرة
لأن الفعلة اسم للمرة من الفعل فكانت في حكمها أي نزل عليه جبريل نزلة أخرى في صورة نفسه
فرآه عليها وذلك ليلة المعراج قيل في سدرة المنتهى هي شجرة نبق في السماء السابعة عن يمين

العرش ثمرها كقلال هجر وورقها كآذان الفيول تنبع من أصلها الأنهار التي ذكرها الله تعالى
في كتابه يسير الراكب في ظلها سبعين عاما لا يقطعها والمنتهى بمعنى موضع الانتهاء أو الانتهاء كأنها في
منتهى الجنة وآخرها وقيل لم يجاوزها أحد وإليها ينتهي علم الملائكة وغيرهم ولا يعلم أحد ما وراءها
وقيل تنتهي إليها أرواح الشهداء عندها جنة المأوى الجنة التي يصير إليها المتقون عن الحسن و
قيل يأوي إليها أرواح الشهداء وقرأ علي وابن الزبير وجماعة جنه المأوى أي ستره بظلاله
ودخل فيه وعن عائشة رضي الله عنها أنها أنكرته وقالت من قرأ به فأجنه الله إذ يغشى السدرة ما يغشى
تعظيم وتكثير لما يغشاها فقد علم بهذه العبارة أن ما يغشاها من الخلائق الدالة على عظمة الله وجلاله
أشياء لا يكتنهها النعت ولا يحيط بها الوصف وقد قيل يغشاها الجم الغفير من الملائكة يعبدون
الله عندها وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأيت على كل ورقة من ورقها ملكا قائما يسبح الله و
عنه عليه السلام يغشاها رفرف من طير خضر وعن ابن مسعود وغيره يغشاها فراش من ذهب ما زاغ البصر
بصر رسول الله صلى الله عليه وسلم وما طغى أي أثبت ما رآه إثباتا مستيقنا صحيحا من غير أن يزيغ
بصره عنه أو يتجاوزه أو ما عدل عن رؤية العجائب التي أمر برؤيتها ومكن منها وما طغى و
ما جاوز ما أمر برؤيته لقد رأى والله لقد رأى من آيات ربه الكبرى الآيات التي هي كبراها
وعظماها يعني حين رقي به إلى السماء فأري عجائب الملكوت أفرأيتم اللات والعزى ومناة أصنام
كانت لهم وهي مؤنثات فاللات كانت لثقيف بالطائف وقيل كانت بنخلة تعبدها قريش و
هي فعلة من لوى لأنهم كانوا يلوون عليها ويعكفون للعبادة أو يلتوون عليها أي يطوفون
وقرئ اللاتّ بالتشديد وزعموا أنه سمي برجل كان يلت عنده السمن بالزيت ويطعمه الحاج وعن
مجاهد كان رجل يلت السويق بالطائف وكانوا يعكفون على قبره فجعلوه وثنا والعزى
كانت لغطفان وهي سمرة وأصلها تأنيث الأعز وبعث إليها رسول الله صلى الله عليه وسلم
خالد بن الوليد فقطعها فخرج منها شيطانة ناشرة شعرها داعية ويلها واضعة يدها على
رأسها فجعل يضربها بالسيف حتى قتلها وهو يقول   يا عز كفرانك لا سبحانك
إني رأيت الله قد أهانك   ورجع فأخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك فقال عليه السلام
تلك العزى ولن تعبد أبدا   ومناة صخرة كانت لهذيل وخزاعة وعن ابن عباس لثقيف و
قرئ ومناءة وكأنها سميت مناة لأن دماء النسائك كانت تمنى عندها أي تراق ومناءة مفعلة
من النوء كأنهم كانوا يستمطرون عندها الأنواء تبركا بها الثالثة الأخرى ذم وهي المتأخرة الوضيعة

المقدار كقوله وقالت أخراهم لأولاهم اى وضعاؤهم لرؤسائهم واشرافهم ويجوز ان يكون الاولية والتقدم عندهم للات والعزى كانوا يقولون ان الملائكة وهذه الاصنام بنات الله عز وجل وكانوا يعبدونهم ويزعمون انهم شفعاؤهم عند الله مع وأدهم البنات فقيل لهم ألكم الذكر وله الانثى ويجوز ان يراد ان اللات والعزى ومناة اناث وقد جعلتموهن لله شركاء ومن شأنكم ان تحتقروا الاناث وتستنكفوا من ان يولدن لكم وينسبن اليكم فكيف تجعلون هؤلاء الاناث اندادا لله وتسمونهن آلهة تلك إذا قسمة ضيزى جائرة من ضازه يضيزه اذا ضامه والاصل ضوزى ففعل بها ما فعل ببيض لتسلم الياء وقرئ ضئزى من ضأزه بالهمز وضيزى بفتح الضاد إن هي اى ما هي إلا أسماء ليس تحتها في الحقيقة مسميات لانكم تدعون الالهية لما هو ابعد شيء منها واشده منافاة لها ونحوه قوله تعالى ما تعبدون من دونه إلا أسماء سميتموها او ضمير الاسماء وهي قولهم اللات والعزى ومناة وهم يقصدون بها اسم الآلهة يعني ما هذه الاسماء إلا أسماء سميتموها بهواكم وشهوتكم ليس لكم من الله على صحة تسميتها برهان تتعلقون به ومعنى سميتموها سميتم بها يقال سميته زيدا وسميته بزيد أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان إن يتبعون وقرئ بالتاء إلا الظن وما تهوى الأنفس ولقد جاءهم من ربهم الهدى الا توهم ان ما هم عليه حق وان آلهتهم شفعاؤهم وما تشتهيه انفسهم ويتركون ما جاءهم من الهدى والدليل على ان دينهم باطل أم للإنسان ما تمنى هي ام المنقطعة ومعنى الهمزة فيها الانكار اى ليس للانسان ما تمنى والمراد طمعهم في شفاعة الآلهة وهو تمن في غاية البعد وقيل قولهم ولئن رجعت إلى ربي إن لي عنده للحسنى وقيل هو قول الوليد بن المغيرة لأوتين مالا وولدا وقيل هو تمني بعضهم ان يكون هو النبي فلله الآخرة والأولى اى هو مالكهما فهو يعطي منهما من يشاء ويمنع من يشاء وليس لاحد ان يتحكم عليه في شيء منهما يعني ان امر الشفاعة ضيق وذلك ان الملائكة مع قربتهم وزلفاهم وكثرتهم واغتصاص السموات بجموعهم لو شفعوا بأجمعهم لاحد لم تغن شفاعتهم عنه شيئا قط ولم تنفع الا اذا شفعوا من بعد ان يأذن الله لهم في الشفاعة لمن يشاء ويرضى ان الذين لا يؤمنون بالآخرة الشفاعة له ويرضاه ويراه اهلا لان يشفع له فكيف تشفع الاصنام اليهم لعبدتهم ليسمون الملائكة اى كل واحد منهم تسمية الأنثى لانهم اذا قالوا الملائكة بنات الله فقد سموا كل واحد منهم بنتا وهي تسمية الانثى وما لهم به من علم اى بذلك وبما يقولون وفي قراءة أبي بها اى بالملائكة او التسمية لا يغني من الحق شيئا يعني انما يدرك الحق الذي هو حقيقة الشيء وما هو عليه بالعلم واليقين لا بالظن والتوهم فأعرض عن من تولى عن ذكرنا فأعرض عن دعوة من رأيته معرضا عن ذكر

الله وعن الآخرة ولم يرد إلا الحياة الدنيا ولا تتهالك على اسلامه ثم قال إن ربك هو أعلم اى انما يعلم الله من يجيب ممن لا يجيب وانت لا تعلم فخفض على نفسك ولا تتعبها فانك لا تهدي من احببت وما عليك الا البلاغ وقوله ذلك مبلغهم من العلم اعتراض او فاعرض عنه ولا تقابله إن ربك هو أعلم بمن ضل وبالمهتدي ويجوز ان يتعلق بقوله هو اعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بمن اهتدى لان نتيجة العلم بالضال والمهتدي جزاؤهما ولله ما في السموات وما في الأرض ليجزي الذين أساءوا بما عملوا ويجزي الذين أحسنوا بالحسنى بما عملوا بعقاب ما عملوا من السوء وبالحسنى بالمثوبة الحسنى وهي الجنة او بسبب ما عملوا من السوء وبسبب الاعمال الحسنى الذين يجتنبون كبائر الإثم الكبائر من الاثم لان الاثم جنس يشتمل على كبائر وصغائر والكبائر الذنوب التي لا يسقط عقابها الا بالتوبة وقيل التي يكبر عقابها بالاضافة الى ثواب صاحبها والفواحش ما فحش من الكبائر كأنه قال والفواحش منها خاصة وقرئ كبير الاثم اى النوع الكبير منه وقيل هو الشرك بالله واللمم ما قل وصغر ومنه اللمم المس من الجنون واللوثة منه والم بالمكان اذا قل فيه لبثه والم بالطعام قل منه اكله ومنه لقاؤه اخلاء الصفاء لمام والمراد الصغائر من الذنوب ولا يخلو قوله إلا اللمم من ان يكون استثناء منقطعا او صفة كقوله لو كان فيهما آلهة إلا الله كأنه قيل كبائر الاثم غير اللمم وآلهة غير الله وعن ابي سعيد الخدري اللمم هي النظرة والغمزة والقبلة وعن السدي الخطرة من الذنب وعن الكلبي كل ذنب لم يذكر الله عليه حدا ولا عذابا وعن عطاء عادة النفس الحين بعد الحين إن ربك واسع المغفرة هو أعلم بكم إذ أنشأكم من الأرض وإذ أنتم أجنة في بطون أمهاتكم حيث يكفر الصغائر باجتناب الكبائر والكبائر بالتوبة فلا تزكوا أنفسكم هو أعلم بمن اتقى أفرأيت الذي تولى وأعطى قليلا وأكدى اعنده علم الغيب فلا تنسبوها الى زكاء العمل وزيادة الخير والطاعات او الى الزكاء والطهارة عن المعاصي ولا تثنوا عليها واهضموها فقد علم الله الزكي منكم والتقي أولا وآخرا قبل ان يخرجكم من صلب آدم وقبل ان تخرجوا من بطون امهاتكم وقيل كان ناس يعملون اعمالا حسنة ثم يقولون صلاتنا وصيامنا وحجنا فنزلت وهذا اذا كان على سبيل الاعجاب او الرياء فاما من اعتقد ان ما عمله من العمل الصالح من الله وبتوفيقه وتأييده ولم يقصد به التمدح لم يكن من المزكين انفسهم لان المسرة بالطاعة طاعة وذكرها شكر الذي قطع عطيته وامسك واصله اكداء الحافر وهو ان تلقاه كدية وهي صلابة كالصخرة فيمسك عن الحفر ونحوه اجبل الحافر ثم استعير فقيل

أجبل الشاعر إذا أفحم وروي أن عثمان رضي الله عنه كان يعطي ماله في الخير فقال له عبد الله بن سعد بن
أبي سرح وهو أخوه من الرضاعة يوشك أن لا يبقى لك شيء فقال عثمان إن لي ذنوبا وخطايا و
إني أطلب بما أصنع رضا الله وأرجو عفوه فقال عبد الله أعطني ناقتك برحلها وأنا أتحمل عنك ذنوبك
كلها فأعطاه وأشهد عليه وأمسك عن العطاء فنزلت ومعنى تولى ترك المركز يوم أحد فعاد
عثمان إلى أحسن من ذلك وأجمل فهو يرى فهو يعلم أن ما قال له أخوه من احتمال أوزاره حق أم لم ينبأ بما في
صحف موسى وإبراهيم الذي وفى قرئ مخففا ومشددا والتشديد مبالغة في الوفاء أو بمعنى وفر
وأتم كقوله فأتمهن وإطلاقه ليتناول كل وفاء وتوفية من ذلك تبليغه الرسالة واستقلاله
بأعباء النبوة والصبر على ذبح ولده وعلى نار نمرود وقيامه بأضيافه وخدمته إياهم بنفسه وأنه كان
يخرج كل يوم فيمشي فرسخا يرتاد ضيفا فإن وافقه أكرمه وإلا نوى الصوم وعن الحسن ما أمره
الله بشيء إلا وفى به وعن الهذيل بن شرحبيل كان بين نوح وإبراهيم يؤخذ الرجل بجريرة غيره و
يقتل بأبيه وأمه وعمه وخاله والزوج بامرأته والعبد بسيده فأول من خالفهم إبراهيم وعن عطاء بن
السائب عهد أن لا يسأل مخلوقا فلما قذف في النار قال له جبريل وميكائيل ألك حاجة فقال
أما إليكما فلا وعن النبي صلى الله عليه وسلم وفى عمله كل يوم بأربع ركعات في صدر النهار وهي صلاة الضحى
وروي ألا أخبركم لم سمى الله خليله الذي وفى كان يقول إذا أصبح وأمسى فسبحان الله حين تمسون
وحين تصبحون إلى حين تظهرون وقيل وفى سهام الإسلام وهي ثلاثون عشرة في التوبة التائبون وعشرة
في الأحزاب إن المسلمين وعشرة في المؤمنين قد أفلح المؤمنون وقرئ في صحف بالتخفيف ألا تزر
وازرة وزر أخرى أن مخففة من الثقيلة والمعنى أنه لا تزر والضمير ضمير الشأن ومحل أن وما
بعدها الجر بدلا مما في صحف موسى أو الرفع على هو أن لا تزر كأن قائلا قال وما في صحف موسى
وإبراهيم فقيل ألا تزر وأن ليس للإنسان إلا ما سعى وأن سعيه سوف يرى إلا ما سعى إلا سعيه
أما ما صح في الأخبار الصدقة عن الميت والحج عنه وله الأضعاف فله جوابان أحدهما أن
سعي غيره لما لم ينفعه إلا مبنيا على سعي نفسه وهو أن يكون صالحا مؤمنا وكذلك الأضعاف كان سعي
غيره كأنه سعي نفسه لكونه تابعا له وقائما بقيامه والثاني أن سعي غيره لا ينفعه إذا عمله لنفسه ولكن
إذا نواه به فهو بحكم الشرع كالنائب عنه والوكيل القائم مقامه ثم يجزاه ثم يجزى العبد سعيه
يقال جزاه الله عمله وجزاه على عمله بحذف الجار وإيصال الفعل ويجوز أن يكون الضمير للجزاء ثم
فسره بقوله الجزاء الأوفى أو أبدله عنه كقوله وأسروا النجوى الذين ظلموا وأن إلى ربك المنتهى قرئ

بالفتح على أن هذا كله في الصحف وبالكسر على الابتداء وكذا ما بعده والمنتهى مصدر بمعنى الانتهاء
أي ينتهي إليه الخلق ويرجعون إليه كقوله وإلى الله المصير وأنه هو أضحك وأبكى خلق قوتي الضحك والبكاء
وأنه هو أمات وأحيا وأنه خلق الزوجين الذكر والأنثى من نطفة إذا تمنى إذا تدفق في الرحم يقال منى وأمنى
وعن الأخفش تخلق من منى الماني أي قدر المقدر وأن عليه النشأة الأخرى قرئ النشأة والنشاءة بالمد
وقال عليه لأنها واجبة عليه في الحكمة ليجازي على الإحسان والإساءة وأنه هو أغنى وأقنى وأعطى القنية
وهي المال الذي تأثلته وعزمت أن لا تخرجه عن يدك وأنه هو رب الشعرى مرزم الجوزاء وهي التي
تطلع وراءها تسمى كلب الجبار وهما شعريان الغميصا والعبور وأراد العبور وكانت خزاعة
تعبدها سن ذلك أبو كبشة رجل من أشرافهم وكانت قريش يقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم
أبو كبشة تشبيها له به لمخالفته إياهم في دينهم يريد أنه رب معبودهم وأنه أهلك عادا الأولى قوم هود و
عاد الأخرى إرم وقيل الأولى القدماء لأنهم أول الأمم هلاكا بعد قوم نوح أو المتقدمون في الدنيا
الأشراف وقرئ عادا لولى وعاد لولى بإدغام التنوين في اللام وطرح همزة أولى ونقل ضمتها إلى لام التعريف
وثمودا وقرئ وثمود فما أبقى وقوم نوح من قبل إنهم كانوا هم أظلم وأطغى لأنهم كانوا يضربونه و
يؤذونه حتى لا يكون به حراك وينفرون عنه حتى كانوا يحذرون صبيانهم أن يسمعوا منه وما أثر فيهم
دعاؤه قريبا من ألف سنة والمؤتفكة والقرى التي ائتفكت بأهلها أي انقلبت وهم قوم لوط
يقال أفكه فانفك وقرئ والمؤتفكات أهوى رفعها إلى السماء على جناح جبريل ثم أهوى بها
إلى الأرض أي أسقطها فغشاها ما غشى تهويل وتعظيم لما صب عليها من العذاب وأمطر عليها من
الصخر المنضود فبأي آلاء ربك تتمارى تتشكك والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم أو للإنسان
على الإطلاق وقد عدد نعما ونقما وسماها كلها آلاء من قبل ما في نقمه من المزاجر والمواعظ
للمعتبرين هذا القرآن نذير من النذر الأولى أي إنذار من جنس الإنذارات الأولى التي أنذر بها من
قبلكم أو هذا الرسول منذر من المنذرين الأولين وقال الأولى على تأويل الجماعة أزفت الآزفة قربت
الموصوفة بالقرب في قوله اقتربت الساعة ليس لها نفس من دون الله كاشفة أي مبينة متى تقوم
كقوله لا يجليها لوقتها إلا هو أو ليس لها نفس كاشفة أي قادرة على كشفها إذا وقعت إلا الله و
غير أنه لا يكشفها أو ليس لها الآن نفس كاشفة بالتأخير وقيل الكاشفة مصدر بمعنى الكشف
كالعافية وقرأ طلحة ليس لها مما يدعون من دون الله كاشفة وهي على الظالمين ساءت الغاشية
أفمن هذا الحديث وهو القرآن تعجبون إنكارا وتضحكون استهزاء ولا تبكون والبكاء والخشوع حق لكم و

عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه لم ير ضاحكا بعد نزولها وقرئ تعجبون تضحكون بغير واو وانتم سامدون
لاهون مبرطمون وقيل لاهون لاعبون وقال بعضهم للجارية اسمدي لنا اي غني لنا فاسجدوا لله
واعبدوا ولا تعبدوا الآلهة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة النجم اعطاه الله عشر حسنات
بعدد من صدق بمحمد وجحد به بمكة

سورة القمر مكية وهي خمس وخمسون آية

بسم الله الرحمن الرحيم اقتربت الساعة وانشق القمر انشقاق القمر من آيات رسول
الله صلى الله عليه وسلم ومعجزاته النيرة عن انس ان الكفار سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم
آية فانشق القمر مرتين وكذا عن ابن عباس وابن مسعود وقال ابن عباس انفلق فلقتين فلقة ذهبت
وفلقة بقيت وقال ابن مسعود رأيت حراء بين فلقتي القمر وعن بعض الناس ان معناه ينشق يوم
القيمة وقوله وان يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر يرده وكفى به رادا وفي قراءة حذيفة وقد انشق
القمر اي اقتربت الساعة وقد حصل من آيات اقترابها ان القمر قد انشق كما تقول اقبل الامير وقد جاء
المبشر بقدومه وعن حذيفة انه خطب بالمدائن ثم قال الا ان الساعة قد اقتربت وان القمر قد انشق
على عهد نبيكم مستمر دائم مطرد وكل شيء قد انقادت طريقته ودامت حاله قيل فيه قد استمر لما رأوا
تتابع المعجزات وترادف الآيات قالوا هذا سحر مستمر وقيل مستمر قوي محكم من قولهم استمر مريره
وقيل هو من استمر الشيء اذا اشتدت مرارته اي مستبشع عندنا مر على لهواتنا لا نقدر ان نسيغه
كما لا يساغ المر الممقر وقيل مستمر مار ذاهب يزول ولا يبقى تمنية لانفسهم وتعليلا وقرئ
وان يروا وكذبوا واتبعوا اهواءهم وما زين لهم الشيطان من دفع الحق بعد ظهوره وكل امر مستقر
اي كل امر لا بد ان يصير الى غاية يستقر عليها وان امر محمد سيصير الى غاية يتبين عندها انه
حق او باطل وسيظهر لهم عاقبته او وكل امر من امرهم وامره مستقر اي سيثبت ويستقر على
حالة خذلان او نصرة في الدنيا وشقاوة او سعادة في الآخرة وقرئ بفتح القاف يعني كل امر
ذو مستقر اي ذو استقرار او ذو موضع استقرار او زمان استقرار وعن ابي جعفر مستقر بكسر القاف
والجر عطفا على الساعة اي اقتربت الساعة واقترب كل امر مستقر ~~بكسر القاف والجر~~ يستقر ويتبين حاله
ولقد جاءهم من الانباء من القرآن المودع انباء القرون الخالية وانباء الآخرة وما وصف من عذاب
الكفار ما فيه مزدجر ازدجار او موضع ازدجار والمعنى هو في نفسه موضع الازدجار ومظنة له كقوله
لكم في رسول الله اسوة حسنة اي مواساة وقرئ مزجر بقلب تاء الافتعال زايا وادغام الزاي فيها

حكمة بالغة بدل من ما او على هو حكمة وقرئ بالنصب حالا من ما ان كانت ما موصولة ساغ لك ان
تنصب حكمة حالا فكيف تعمل ان كانت موصوفة وهو الظاهر تخصصها الصفة فيحسن نصب
الحال عنها فما تغني النذر نفي او انكار وما منصوبة اي فاي غناء تغني النذر فتول عنهم لعلمك ان الانذار
لا يغني فيهم نصب يوم يدع الداع بيخرجون او باضمار اذكر وقرئ باسقاط الياء اكتفاء بالكسرة عنها و
الداعي اسرافيل او جبريل كقوله يوم ينادي المنادي الى شيء نكر منكر فظيع تنكره النفوس لانها لم تعهد مثله
وهو هول يوم القيمة وقرئ نكر بالتخفيف ونكر بمعنى انكر خشعا ابصارهم حال من الخارجين فعل للابصار
وذكر كما تقول يخشع ابصارهم وقرئ خاشعة على تخشع ابصارهم وخشعا على يخشعن ابصارهم وهي لغة
اكلوني البراغيث وهم طيئ ويجوز ان يكون خشعا ضميرهم وتقع ابصارهم بدلا عنه وقرئ خشع ابصارهم
على الابتداء والخبر ومحل الجملة النصب على الحال كقوله وجدته حاضراه الجود والكرم
وخشوع الابصار كناية عن الذلة والانخزال لان ذلة الذليل وعزة العزيز تظهران في عيونهما و
قرئت يخرجون من الاجداث من القبور كأنهم جراد منتشر الجراد مثل في الكثرة والتموج يقال في الجيش الكثير
المائج بعضه في بعض جاؤوا كالجراد وكالدبا منتشرا في كل مكان لكثرته مهطعين الى الداع يقول الكافرون
هذا يوم عسر مسرعين مادي اعناقهم اليه وقيل ناظرين اليه لا يقلعون بابصارهم قال
تعبدني نمر بن سعد وقد ارى ونمر بن سعد لي مطيع ومهطع كذبت قبلهم قبل اهل مكة قوم نوح
فكذبوا عبدنا يعني نوحا فما معنى قوله فكذبوا بعد قوله كذبت معناه
كذبوا فكذبوا عبدنا اي كذبوه تكذيبا على عقب تكذيب كلما مضى منهم قرن مكذب تبعه قرن مكذب
او كذبت قوم نوح الرسل فكذبوا عبدنا اي لما كانوا مكذبين بالرسل جاحدين للنبوة راسا كذبوا
نوحا لانه من جملة الرسل وقالوا مجنون هو مجنون وازدجر وانتهروه بالشتم والضرب والوعيد
بالرجم في قولهم لتكونن من المرجومين وقيل هو من جملة قيلهم اي قالوا هو مجنون وقد ازدجرته
الجن وتخبطته وذهبت بلبه وطارت بقلبه قرئ اني بمعنى فدعا باني مغلوب واني على ارادة
القول فدعا فقال اني مغلوب غلبني قومي فلم يسمعوا مني واستحكم الياس من اجابتهم لي فانتصر
فانتقم منهم بعذاب تبعثه عليهم وانما دعا بذلك بعد ما طم عليه الامر وبلغ السيل الزبى فقد
روي ان الواحد من امته كان يلقاه فيخنقه حتى يخر مغشيا عليه فيفيق وهو يقول اللهم اغفر
لقومي فانهم لا يعلمون قرئ ففتحنا مخففا ومشددا وكذلك وفجرنا ابواب السماء بماء منهمر منصب في كثرة
وتتابع لم ينقطع اربعين يوما وفجرنا الارض عيونا وجعلنا الارض كلها كانها عيون تتفجر وهو ابلغ من قولك

وفجرنا عيون الأرض ونظيره في النظم واشتعل الرأس شيبا فالتقى الماء يعني مياه السماء والأرض وقرئ
الماءان أي النوعان من الماء السماوي والأرضي ونحوه قولك عندي تمران تريد ضربان من التمر برني و
معقلي قال لنا إبلان فيهما ما علمتم وقرأ الحسن الماوان بقلب الهمزة واوا كقولهم علباوان على أمر قد قدر
على حال قدرها الله كيف شاء وقيل على حال جاءت مقدرة مستوية وهي أن قدر ما أنزل من السماء كقدر
ما أخرج من الأرض سواء بسواء وقيل على أمر قد قدر في اللوح أنه يكون وهو هلاك قوم نوح بالطوفان و
حملناه على ذات ألواح ودسر أراد السفينة وهو من الصفات التي تقوم مقام الموصوفات فتنوب منابها
وتؤدي مؤداها بحيث لا يفصل بينها وبينها ونحوه ولكن قميصي مسرودة من حديد أراد ولكن
قميصي درع وكذلك ولو في عيون النازيات بأكرع أراد ولو في عيون الجراد ألا ترى أنك لو جمعت
بين السفينة وبين هذه الصفة أو بين الدرع والجراد وهاتين الصفتين لم يصح وهذا من فصيح
الكلام وبديعه والدسر جمع دسار وهو المسمار فعال من دسره إذا دفعه لأنه يدسر به منفذه
تجري بأعيننا جزاء مفعول له لما قدم من فتح أبواب السماء وما بعده أي فعلنا ذلك جزاء لمن كان كفر
وهو نوح عليه السلام وجعله مكفورا لأن النبي نعمة من الله ورحمة قال الله تعالى وما أرسلناك إلا
رحمة للعالمين فكان نوح عليه السلام نعمة مكفورة ومن هذا المعنى ما يحكى أن رجلا قال للرشيد الحمد
لله عليك فقال ما معنى هذا الكلام قال أنت نعمة حمدت الله عليها ويجوز أن يكون على تقدير حذف
الجار وإيصال الفعل وقرأ قتادة كفر أي جزاء للكافرين وقرأ الحسن جزاء أي مجازاة الضمير
في لقد تركناها للسفينة أو للفعلة أي جعلناها آية يعتبر بها وعن قتادة أبقاها الله بأرض
الجزيرة وقيل على الجودي دهرا طويلا حتى نظر إليها أوائل هذه الأمة آية فهل من مدكر فكيف كان
عذابي ونذر المدكر المعتبر وقرئ مذتكر على الأصل ومذكر بقلب التاء ذالا والإدغام
الذال فيها وهذا نحو مزدجر والنذر جمع نذير وهو الإنذار ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر كذبت عاد
فكيف كان عذابي ونذر سهلناه للادكار والاتعاظ بأن شحناه بالمواعظ الشافية وصرفنا
فيه من الوعد والوعيد فهل من متعظ وقيل ولقد سهلناه للحفظ وأعنا عليه من أراد حفظه
فهل من طالب لحفظه ليعان عليه ويجوز أن يكون المعنى ولقد هيأناه للذكر من يسر ناقته
للسفر إذا رحلها ويسر فرسه للغزو إذا أسرجه وألجمه قال وقمت إليه باللجام ميسرا
هنالك يجزيني الذي كنت أصنع ويروى أن كتب أهل الأديان نحو التوراة والإنجيل لا يتلوها
أهلها إلا نظرا ولا يحفظونها ظاهرا كالقرآن ونذر وإنذاراتي لهم بالعذاب قبل نزوله أو لإنذاراتي في

في تعذيبهم لمن بعدهم إنا أرسلنا عليهم ريحا صرصرا في يوم نحس في يوم شؤم وقرئ في يوم نحس كقوله في أيام نحسات
مستمر قد استمر عليهم واستدام حتى أهلكهم واستمر عليهم جميعا على كبيرهم وصغيرهم حتى لم يبق منهم نسمة وكان في آخر
الشهر لا يدور ويجوز أن يريد بالمستمر الشديد المرارة والبشاعة تنزع الناس تقلعهم عن أماكنهم وكانوا يصطفون آخذين
آخذين بعضهم بأيدي بعض ويدخلون في الشعاب ويحفرون الحفر فيندسون فيها فتنزعهم وتكبهم وتدق
رقابهم كأنهم أعجاز نخل منقعر يعني أنهم كانوا يتساقطون على الأرض أمواتا وهم جثث طوال عظام كأنهم
أعجاز نخل وهي أصولها بلا فروع منقعر منقلع عن مغارسه وقيل شبهوا بأعجاز النخل لأن الريح كانت تقطع
رؤوسهم فتبقى أجسادا بلا رؤوس وذكر صفة نخل على اللفظ ولو حملها على المعنى لأنث كما قال أعجاز نخل خاوية
ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر كذبت ثمود بالنذر فقالوا أبشرا منا واحدا نصب بفعل يفسره نتبعه
إنا إذا لفي ضلال وسعر وقرئ أبشر منا واحد على الابتداء ونتبعه خبره والأول أوجه للاستفهام كانوا يقولون
إن لم تتبعوني كنتم في ضلال عن الحق وسعر ونيران جمع سعير فعكسوا عليه فقالوا إن اتبعناك كنا إذا كما تقول
وقيل الضلال الخطاء والبعد عن الصواب والسعر الجنون يقال ناقة مسعورة قال
كأن بها سعرا إذا العيس هزها ذميل وإرخاء من السير متعب
كيف أنكروا أن يتبعوا بشرا منهم واحدا قالوا أبشرا إنكارا لأن يتبعوا مثلهم في الجنسية وطلبوا أن يكون من جنس أعلى
من جنس البشر وهم الملائكة وقالوا منا لأنه إذا كان منهم كانت المماثلة أقوى وقالوا واحدا إنكارا لأن
يتبع الأمة رجلا واحدا أو أرادوا واحدا من أفنائهم ليس بأشرفهم وأفضلهم ويدل عليه قولهم أألقي الذكر
عليه من بيننا أي أأنزل عليه الوحي من بيننا وفينا من هو أحق منه بالاختيار للنبوة بل هو كذاب أشر
بطر متكبر حمله بطره وشطارته وطلبه التعظم علينا على ادعاء ذلك سيعلمون غدا عند نزول العذاب
بهم أو يوم القيامة من الكذاب الأشر أصالح أم من كذبه وقرئ ستعلمون بالتاء على حكاية ما قال لهم صالح
مجيبا لهم أو هو كلام الله على سبيل الالتفات وقرئ الأشر بضم الشين كقولهم حدث وحدث وحذر وحذر
وأخوات لها وقرئ الأشر وهو الأبلغ في الشرارة والأخير والأشر أصل قولهم هو خير منه
وشر منه وهو أصل مرفوض وقد حكى ابن الأنباري قول العرب هو أخير وأشر وما أخيره وما أشره
إنا مرسلوا الناقة باعثوها ومخرجوها من الهضبة كما سألوا فتنة لهم امتحانا لهم وابتلاء فارتقبهم
فانتظرهم وتبصر ما هم صانعون واصطبر على أذاهم ولا تعجل حتى يأتيك أمري أن الماء قسمة بينهم مقسوم
بينهم لها شرب يوم ولهم شرب يوم وإنما قال بينهم تغليبا للعقلاء كل شرب محتضر محضور لهم أو للناقة وقيل يحضرون
الماء في نوبتهم واللبن في نوبتها فنادوا صاحبهم قدار بن سالف أحيمر ثمود فتعاطى فاجترأ على تعاطي الأمر

غير مكترث له فاحدث العقر بالناقة وقيل فتعاطى الناقة فعقرها او فتعاطى السيف فكيف كان عذابي
ونذر انا ارسلنا عليهم صيحة واحدة صيحة جبريل فكانوا كهشيم المحتظر ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر
كذبت قوم لوط بالنذر انا ارسلنا عليهم كالهشيم الشجر اليابس المتهشم المتكسر والمحتظر الذي يعمل الحظيرة
وما يحتظر به ييبس بطول الزمان وتتوطاه البهائم فيتحطم ويتهشم وقرأ الحسن بفتح الظاء وهو موضع
الاحتظار اي الحظيرة حاصبا الا آل لوط نجيناهم ريحا تحصبهم بالحجارة اي ترميهم بسحر بقطعة من الليل
وهو السدس الآخر منه وقيل هما سحران فالسحر الاعلى قبل انصداع الفجر والآخر عند انصداعه وانشد
مرت باعلى السحرين تذال وصرف لانه نكرة ويقال لقيته بسحر اذا لقيته في سحر يومه نعمة انعاما
مفعول له كذلك نجزي من شكر نعمة الله بايمانه وطاعته ولقد انذرهم لوط بطشتنا اخذتنا بالعذاب
فتماروا فكذبوا بالنذر متشاكين ولقد راودوه عن ضيفه فطمسنا اعينهم فمسحناها وجعلناها كسائر
الوجه لا يرى لها شق روي انهم لما عالجوا باب لوط ليدخلوا قالت الملائكة خلهم يدخلوا انا رسل ربك
لن يصلوا اليك فصفقهم جبريل بجناحه صفقة فتركهم يترددون لا يهتدون الى الباب حتى اخرجهم لوط
فذوقوا عذابي ونذر ولقد صبحهم فقلت لهم ذوقوا على السنة الملائكة بكرة اول النهار وباكرة كقوله
مشرقين ومصبحين وقرأ زيد بن علي بكرة غير منصرفة تقول اتيته بكرة وغدوة بالتنوين اذا اردت
التنكير وبكرة وغدوة اذا عرفت وقصدت بكرة نهارك وغدوته عذاب مستقر ثابت قد استقر
عليهم الى ان يفضي بهم الى العذاب الآخرة ما فائدة تكرير قوله فذوقوا عذابي ونذر ولقد
يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر فائدته ان يجددوا عند استماع كل نبأ من انباء الاولين
ادكارا واتعاظا وان يستأنفوا تنبها واستيقاظا اذا سمعوا الحث على ذلك والبعث عليه وان يقرع
لهم العصا مرات ويقعقع لهم الشن تارات لئلا يغلبهم السهو ولا يستولي عليهم الغفلة وهكذا حكم
التكرير كقوله فباي آلاء ربكما تكذبان عند كل نعمة عدها في سورة الرحمن وقوله ويل يومئذ للمكذبين
عند كل آية اوردها في سورة والمرسلات وكذلك تكرير الانباء والقصص في انفسها لتكون تلك
العبر حاضرة للقلوب مصورة للاذهان مذكورة غير منسية في كل اوان ولقد جاء آل فرعون النذر
موسى وهرون وغيرهما من الانبياء لانهما عرضا عليهم ما انذر به المرسلون او جمع نذير وهو الانذار كذبوا
بآياتنا كلها بالآيات التسع فاخذناهم اخذ عزيز لا يغالب مقتدر لا يعجزه شيء أكفاركم يا اهل مكة خير
من اولئكم ام لكم براءة في الزبر ام يقولون الكفار المعدودين قوم نوح وهود وصالح ولوط وآل فرعون
اي هم خير قوة وآلة ومكانة في الدنيا او اقل كفرا وعنادا يعني ان كفاركم مثل اولئك بل شر

منهم ام انزلت عليكم يا اهل مكة براءة في الكتب المتقدمة ان من كفر منكم وكذب الرسل كان آمنا
من عذاب الله فامنتم بتلك البراءة نحن جميع جماعة امرنا مجتمع منتصر ممتنع لا نرام ولا نضام وعن
ابي جهل انه ضرب فرسه يوم بدر فتقدم في الصف وقال نحن ننتصر اليوم من محمد واصحابه فنزلت
سيهزم الجمع عن عكرمة لما نزلت هذه الآية قال عمر اي جمع يهزم فلما رأى رسول الله صلى الله عليه
وسلم يثب في الدرع ويقول سيهزم الجمع عرف تأويلها ويولون الدبر اي الادبار كما قال
كلوا في بعض بطنكم وقرئ الادبار بل الساعة موعدهم والساعة ادهى اشد وافظع والداهية الامر
المنكر الذي لا يهتدى لدوائه وامر من الهزيمة والقتل والاسر وقرئ سنهزم الجمع ان المجرمين
في ضلال وسعر في هلاك ونيران او في ضلال عن الحق في الدنيا ونيران في الآخرة يوم يسحبون في النار
على وجوههم ذوقوا مس سقر كقولك وجد مس الحمى وذاق طعم الضرب لان النار اذا اصابتهم بحرها
ولحقتهم بايلامها فكأنها تمسهم بذلك مسا كما يمس الحيوان ويباشر بما يؤذي ويؤلم وذوقوا على ارادة
القول وسقر علم لجهنم من سقرته النار وصقرته اذا لوحته قال ذو الرمة
اذا ذابت الشمس اتقى صقراتها بافنان مربوع الصريمة معبل وعدم صرفها للتعريف والتأنيث
انا كل شيء خلقناه بقدر كل شيء منصوب بفعل مضمر يفسره الظاهر وقرئ كل شيء بالرفع
والقدر والقدر التقدير وقرئ بهما اي خلقنا كل شيء مقدرا محكما مرتبا على حسب ما اقتضته
الحكمة او مقدرا مكتوبا في اللوح معلوما قبل كونه قد علمنا حاله وزمانه وما امرنا الا واحدة الا كلمة
واحدة سريعة التكوين كلمح بالبصر اراد قوله كن يعني انه اذا اراد تكوين شيء لم يلبث كونه ولقد اهلكنا
اشياعكم اشباهكم في الكفر من الامم فهل من مدكر وكل شيء فعلوه في الزبر في دواوين الحفظة وكل
صغير وكبير من الاعمال ومن كل ما هو كائن مستطر مسطور في اللوح ان المتقين في جنات ونهر وانهار اكتفى
باسم الجنس وقيل هو السعة والضياء من النهار وقرئ بسكون الهاء ونهر جمع نهر كاسد واسد
في مقعد صدق عند مليك مقتدر مقربين عند مليك مبهم امره في الملك والاقتدار فلا شيء الا
وهو تحت ملكه وقدرته فاي منزلة اكرم من تلك المنزلة واجمع للغبطة كلها والسعادة
باسرها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة القمر في كل غب بعثه الله يوم القيامة ووجهه
مثل القمر ليلة البدر

سورة الرحمن مكية وقيل مدنية وقيل فيها مكي ومدني وهي ست وسبعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم الرحمن علم القرآن خلق الانسان علمه البيان الشمس والقمر بحسبان والنجم والشجر يسجدان

عدد الله سبحانه آلاءه فاراد ان يقدم اول شيء ما هو اسبق قدما من ضروب آلائه واصناف
نعمائه وهي نعمة الدين فقدم من نعمة الدين ما هو في اعلى مراتبها واقصى مراقيها وهو انعامه بالقرآن
وتنزيله وتعليمه لانه اعظم وحي الله رتبة واعلاه منزلة واحسنه في ابواب الدين اثرا وهو سنام الكتب
السماوية ومصداقها والعيار عليها واخر ذكر خلق الانسان عن ذكره ثم اتبعه اياه ليعلم انه انما
خلقه للدين وليحيط علما بوحيه وكتبه وما خلق الانسان من اجله وكان الغرض في انشائه كان مقدما
عليه وسابقا له ثم ذكر ما تميز به عن سائر الحيوان من البيان وهو المنطق الفصيح المعرب عما في الضمير
والرحمن مبتداء وهذه الافعال مع ضمائرها اخبار مترادفة واخلاؤها عن العاطف لمجيئها على نمط التعديد
كما تقول زيد اغناك بعد فقر اعزك بعد ذل كثرك بعد قلة فعل بك ما لم يفعل باحد فما تنكر من
احسانه بحسبان بحساب معلوم وتقدير سوي يجريان في بروجهما ومنازلهما وفي ذلك منافع للناس
عظيمة منها علم السنين والحساب والنجم النبات الذي ينجم من الارض لا ساق له كالبقول والشجر الذي
له ساق وسجودهما انقيادهما لله فيما خلقا له وانهما لا يمتنعان تشبيها بالساجد من المكلفين
في انقياده كيف اتصلت هاتان الجملتان بالرحمن استغنى فيهما عن الوصل اللفظي
بالوصل المعنوي لما علم ان الحسبان حسبانه والسجود له لا لغيره كانه قيل الشمس والقمر بحسبانه
والنجم والشجر يسجدان له كيف اخل بالعاطف في الجمل الاول ثم جيء به بعد
بكت بتلك الجمل الاول واردة على سنن التعديد الذين انكروا الرحمن وآلاءه كما يبكت منكر ايادي
المنعم عليه من الناس بتعديدها عليه في المثال الذي قدمته ثم رد الكلام الى منهاجه بعد التبكيت
في وصل ما يجب وصله للتناسب والتقارب بالعاطف اي تناسب بين هاتين الجملتين حتى
وسط بينهما العاطف ان الشمس والقمر سماويان والنجم والشجر ارضيان فبين القبيلين
تناسب من حيث التقابل وان السماء والارض لا تزالان تذكران قرينتين وان جري الشمس
والقمر بحسبان من جنس الانقياد لامر الله فهو مناسب لسجود النجم والشجر وقيل علم القرآن جعله
علامة وآية وعن ابن عباس الانسان آدم وعنه محمد صلى الله عليه وسلم وعن مجاهد النجم نجوم السماء
والسماء رفعها خلقها مرفوعة مسموكة حيث جعلها منشأ احكامه ومصدر قضاياه ومتنزل
اوامره ونواهيه ومسكن ملائكته الذين يهبطون بالوحي على انبيائه ونبه بذلك على كبرياء شانه
وملكه وسلطانه ووضع الميزان وفي قراءة عبد الله وخفض الميزان واراد به كل ما يوزن به الاشياء
ويعرف مقاديرها من ميزان وقرسطون ومكيال ومقياس اي خلقه موضوعا مخفوضا على الارض

حيث علق به احكام عباده وقضاياهم وما تعبدهم به من التسوية والتعديل في اخذهم واعطائهم ان لا تطغوا
لان لا تطغوا او هي ان المفسرة وقرا عبد الله لا تطغوا بغير ان على ارادة القول في الميزان واقيموا الوزن بالقسط
وقوموا وزنكم بالعدل ولا تخسروا الميزان ولا تنقصوه امر بالتسوية ونهى عن الطغيان الذي هو اعتداء
وزيادة وعن الخسران الذي هو تطفيف ونقصان وكرر لفظ الميزان تشديدا للتوصية به وتقوية
للامر باستعماله والحث وقرئ والسماء بالرفع ولا تخسروا بفتح التاء وضم السين وكسرها وفتحها يقال خسر
الميزان يخسره ويخسره واما الفتح فعلى ان الاصل ولا تخسروا في الميزان فحذف الجار واوصل الفعل والارض
وضعها خفضها مدحوة على الماء للانام للخلق وهو كل ما على ظهر الارض من دابة وعن الحسن الانس والجن فهي
كالمهاد لهم يتصرفون فوقها فيها فاكهة ضروب مما يتفكه به والنخل ذات الاكمام والاكمام كل ما يكم اي يغطي من
ليفه وسعفه وكفراه وكله منتفع به كما ينتفع بالمكموم من ثمره وجماره وجذوعه وقيل الاكمام اوعية
الثمر الواحد كم بكسر الكاف والعصف ورق الزرع وقيل التبن والريحان الرزق وهو اللب اراد فيها ما
يتلذذ به من الفواكه والجامع بين التلذذ والتغذي وهو ثمر النخل وما يتغذى به وهو الحب وقرئ والريحان
بالجر ومعناه والحب ذو العصف الذي هو علف الانعام والريحان الذي هو مطعم الناس وبالضم على وذو الريحان
فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه وقيل معناه وفيها الريحان الذي يشم وفي مصاحف اهل الشام
والحب ذا العصف والريحان اي وخلق الحب والريحان او واخص الحب والريحان ويجوز ان يراد وذا الريحان
فيحذف المضاف ويقام المضاف اليه مقامه والخطاب في فباي آلاء ربكما تكذبان للثقلين بدلالة الانام
عليهما وقوله سنفرغ لكم ايها الثقلان خلق الانسان من صلصال كالفخار وخلق الجان من مارج من نار فباي آلاء ربكما تكذبان
الصلصال الطين اليابس له صلصلة والفخار الطين المطبوخ بالنار وهو الخزف قد اختلف
التنزيل في هذا وذلك قوله عز وجل من حمإ مسنون من طين لازب من تراب هو متفق في المعنى ومفيد
انه خلقه من تراب جعله طينا ثم حمأ مسنونا ثم صلصالا والجان ابو الجن وقيل هو ابليس والمارج اللهب الصافي
الذي لا دخان فيه وقيل المختلط بسواد النار من مرج الشيء اذا اضطرب واختلط
فما معنى قوله من نار هو بيان لمارج كانه قيل من صاف من نار او مختلط من نار او اراد من نار مخصوصة
كقوله فانذرتكم نارا تلظى وقرئ رب المشرقين ورب المغربين بالجر بدلا من ربكما واراد مشرقي الصيف والشتاء
ومغربيهما فباي آلاء ربكما تكذبان مرج البحرين يلتقيان ارسل البحر الملح والبحر العذب متجاورين متلاقيين
لا فصل بين الماءين في مرأى العين بينهما برزخ حاجز من قدرة الله لا يبغيان لا يتجاوزان حديهما
ولا يبغي احدهما على الآخر بالممازجة فباي آلاء ربكما تكذبان فيخرج ويخرج من اخرج وخرج ويخرج اي الله تعالى منهما

اللؤلؤ والمرجان بالنصب ويخرج بالنون واللؤلؤ الدر والمرجان هذا الخرز الاحمر وهو البسذ وقيل
اللؤلؤ كبار الدر والمرجان صغاره لم قال منهما وانما يخرجان من الملح لما التقيا وصارا
كالشيء الواحد جاز ان يقال يخرجان منهما كما يقال يخرجان من البحر ولا يخرجان من جميع البحر ولكن من بعضه و
تقول خرجت من البلد وانما خرجت من محلة من محاله بل من دار واحدة من دوره وقيل لا يخرجان الا من
ملتقى الملح والعذب فباي آلاء ربكما تكذبان قوله الجوار السفن وقرئ الجوار بحذف الياء ورفع الراء و
نحوه لها ثنايا اربع حسان واربع فكلها ثمان والمنشآت المرفوعات الشرع وقرئ بكسر الشين وهي
الرافعات الشرع او اللاتي ينشئن الامواج بجريهن في البحر كالاعلام فباي آلاء ربكما تكذبان والاعلام جمع
علم وهو الجبل الطويل كل من عليها على الارض فان ويبقى وجه ربك ذاته والوجه يعبر به عن الجملة والذات
ومساكين مكة يقولون اين وجه عربي كريم ينقذني من الهوان وذو الجلال والاكرام صفة للوجه
وقرا عبد الله ذي على صفة ربك ومعناه الذي يجله الموحدون عن التشبيه بخلقه وعن افعالهم او
الذي يقال له ما اجلك واكرمك او من عنده الجلال والاكرام للمخلصين من عباده وهذه الصفة من عظيم
صفات الله ولقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الظوا بيا ذا الجلال والاكرام وعنه عليه السلام انه مر
برجل وهو يصلي ويقول يا ذا الجلال والاكرام فقال قد استجيب لك ما النعمة في ذلك
اعظم النعمة وهو مجيء وقت الجزاء عقيبه فباي آلاء ربكما تكذبان يسئله من في السموات والارض كل من
اهل السموات والارض مفتقرون اليه فيسأله اهل السموات ما يتعلق بدينهم واهل الارض ما يتعلق
بدينهم ودنياهم كل يوم هو في شان فباي آلاء ربكما تكذبان اي كل وقت وحين يحدث امورا ويجدد
احوالا كما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه تلاها فقيل له ما ذاك الشان فقال من شانه ان
يغفر ذنبا ويفرج كربا ويرفع قوما ويضع آخرين وعن ابن عيينة الدهر عند الله يومان احدهما
اليوم الذي هو مدة الدنيا فشانه فيه الامر والنهي والاماتة والاحياء والاعطاء والمنع والآخر
يوم القيمة فشانه فيه الجزاء والحساب وقيل نزلت في اليهود حين قالوا ان الله لا يقضي يوم السبت
شيئا وسأل بعض الملوك وزيره عنها فاستمهله الى الغد وذهب كئيبا يفكر فيها فقال غلام له
اسود يا مولاي اخبرني ما اصابك لعل الله يسهل لك على يدي فاخبره فقال انا افسرها للملك فاعلمه
فقال ايها الملك شان الله انه يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل ويخرج الحي من الميت
ويخرج الميت من الحي ويشفي سقيما ويسقم سليما ويبتلي معافى ويعافي مبتلى ويعز ذليلا ويذل
عزيزا ويفقر غنيا ويغني فقيرا فقال الامير احسنت وامر الوزير ان يخلع عليه ثياب الوزارة فقال يا مولاي

هذا من شان الله وعن عبد الله بن طاهر انه دعا الحسين بن الفضل وقال له اشكلت علي ثلث آيات
دعوتك لتكشفها لي قوله تعالى فاصبح من النادمين وقد صح ان الندم توبة وقوله كل يوم هو في شان
وصح ان القلم جف بما هو كائن الى يوم القيمة وقوله وان ليس للانسان الا ما سعى فما بال الاضعاف فقال
الحسين يجوز ان لا يكون الندم توبة في تلك الامة ويكون توبة في هذه الامة لان الله تعالى خص هذه الامة
بخصائص لم يشاركهم فيها الامم وقيل ان ندم قابيل لم يكن على قتل هابيل ولكن على حمله واما قوله وان ليس
للانسان الا ما سعى فمعناه ليس له الا ما سعى عدلا ولي ان اجزيه بواحدة الفا فضلا واما قوله كل يوم هو في شان
فانها شؤون يبديها لا شؤون يبتديها فقام عبد الله فقبل راسه وسوغ خراجه سنفرغ لكم ايه الثقلان
فباي آلاء ربكما تكذبان مستعار من قول الرجل لمن يتهدده سافرغ لك يريد ساتجرد للايقاع بك من
كل ما يشغلني عنه حتى لا يكون لي شغل سواه والمراد التوفر على النكاية فيه والانتقام منه ويجوز
ان يراد ستنتهي الدنيا وتبلغ آخرها وتنتهي عند ذلك شؤون الخلق التي ارادها بقوله كل يوم هو في
شان فلا يبقى الا شان واحد وهو جزاؤكم فجعل ذلك فراغا على طريق المثل وقرئ سيفرغ لكم اي
الله تعالى وسافرغ لكم وسنفرغ بالنون مفتوحا ومكسورا وفتح الراء وسيفرغ بالياء مفتوحة
ومضمومة مع فتح الراء وفي قراءة ابي سنفرغ اليكم بمعنى سنقصد اليكم والثقلان الانس والجن
سميا بذلك لانهما ثقلا الارض يا معشر الجن والانس كالترجمة لقوله ايها الثقلان ان استطعتم ان تنفذوا
من اقطار السموات والارض فانفذوا لا تنفذون ان قدرتم ان تهربوا من قضائي وتخرجوا من ملكوتي ومن
سمائي وارضي فافعلوا ثم قال لا تقدرون على النفوذ الا بسلطان يعني بقوة وقهر وغلبة وانى لكم
ذلك ونحوه وما انتم بمعجزين في الارض ولا في السماء وروي ان الملائكة تنزل فتحيط بجميع الخلائق فاذا
رآهم الجن والانس هربوا فلا ياتون وجها الا وجدوا الملائكة احاطت به فباي آلاء ربكما تكذبان يرسل عليكما
شواظ من نار ونحاس كلاهما بالضم والكسر والشواظ اللهب الخالص والنحاس الدخان وانشد
تضيء كضوء السراج السليط لم يجعل الله فيه نحاسا وقيل الصفر المذاب يصب على رؤسهم وعن ابن عباس
اذا خرجوا من قبورهم ساقهم شواظ الى المحشر وقرئ ونحاس مرفوعا عطفا على شواظ ومجرورا عطفا
على نار وقرئ ونحس جمع نحاس وهو الدخان نحو لحاف ولحف وقرئ ونحس اي نقتل بالعذاب وقرئ
نرسل عليكما شواظا من نار ونحاسا فلا تنتصران فلا تمتنعان فباي آلاء ربكما تكذبان فاذا انشقت السماء
فكانت وردة حمراء كالدهان كدهن الزيت كما قال كالمهل وهو دردي الزيت وهو جمع دهن او اسم
ما يدهن به كالحزام والادام قال كانها مزادتا متعجل فريان لما تدهنا بدهان وقيل

الدهان الاديم الاحمر وقرأ عبيد بن عمير وردة بالرفع بمعنى فحصلت سماء وردة وهو من الكلام الذي
يسمى التجريد كقوله فلئن بقيت لارحلن بغزوة نحو الغنائم او يموت كريم فبأي آلاء ربكما تكذبان فيومئذ
لا يسأل عن ذنبه انس ولا جان فبأي آلاء ربكما تكذبان انس بعض من الانس ولا جان اريد ولا جن اي ولا بعض
من الجن فوضع الجان الذي هو ابو الجن موضع الجن كما يقال هاشم ويراد ولده وانما وحد ضمير الانس في
قوله عن ذنبه لكونه في معنى البعض والمعنى لا يسألون لانهم يعرفون بسيما المجرمين وهي سواد الوجوه
وزرقة العيون هذا خلاف قوله فوربك لنسألنهم اجمعين وقوله وقفوهم انهم مسؤلون
ذاك يوم طويل وفيه مواطن فيسألون في موطن ولا يسألون في آخر قال قتادة قد كانت
مسئلة ثم ختم على افواههم وتكلمت ايديهم وارجلهم بما كانوا يعملون وقيل لا يسأل عن ذنبه ليعلم من جهته
ولكن يسأل سؤال توبيخ وقرأ الحسن وعمرو بن عبيد ولا جأن فرارا عن التقاء الساكنين وان كان
على حده يعرف المجرمون بسيماهم فيؤخذ بالنواصي والاقدام عن الضحاك يجمع بين ناصيته وقدمه في سلسلة
من وراء ظهره وقيل تسحبهم الملائكة تارة تأخذ بالنواصي وتارة بالاقدام فبأي آلاء ربكما تكذبان
هذه جهنم التي يكذب بها المجرمون يطوفون بينها وبين حميم آن حار قد انتهى حره ونضجه اي يعاقب
عليهم بين التصلية بالنار وبين شرب الحميم وقيل اذا استغاثوا من النار جعل غياثهم الحميم وقيل ان
واديا من اودية جهنم يجتمع فيه صديد اهل النار فينطلق بهم في الاغلال فيغمسون فيه حتى تنخلع
اوصالهم ثم يخرجون منها وقد احدث الله خلقا جديدا وقرئ يطوفون من التطويف ويطوفون
اي يتطوفون ويطافون وفي قراءة عبد الله هذه جهنم التي كنتما بها تكذبان تصليان لا تموتان فيها
ولا تحييان يطوفون بينها ونعمة الله فيما ذكره من هول العذاب نجاة الناجي منه برحمته وفضله
وما في الانذار به من اللطف فبأي آلاء ربكما تكذبان ولمن خاف مقام ربه موقفه الذي يقف فيه العباد
للحساب يوم القيامة يوم يقوم الناس لرب العالمين ونحوه لمن خاف مقامي ويجوز ان يراد بمقام
الله ان الله قائم عليه اي حافظ مهيمن من قوله افمن هو قائم على كل نفس بما كسبت فهو يراقب ذلك
فلا يجسر على معصيته وقيل هو مقحم كما تقول اخاف جانب فلان وفعلت هذا لمكانك وانشد
ونفيت عنه مقام الذئب كالرجل اللعين يريد ونفيت عنه الذئب لم قال جنتان
الخطاب للثقلين وكأنه قال لكل خائفين منكما جنتان جنة للخائف الانسي وجنة
للخائف الجني ويجوز ان يقال جنة لفعل الطاعات وجنة لترك المعاصي لان التكليف دائر عليهما
وان يقال جنة يثاب بها واخرى تضم اليها على وجه التفضل لقوله وزيادة فبأي آلاء ربكما تكذبان ذواتا

افنان خص الافنان بالذكر وهي الغصنة التي تتشعب من فروع الشجرة لانها هي التي تورق وتثمر فمنها
تمتد الظلال ومنها تجتنى الثمار وقيل الافنان الوان النعم ما تشتهي الانفس وتلذ الاعين قال
ومن كل افنان اللذاذة والصبي لهوت به والعيش اخضر ناضر فبأي آلاء ربكما تكذبان فيهما عينان تجريان
حيث شاؤا في الاعالي والاسافل وقيل تجريان من جبل من مسك وعن الحسن تجريان بالماء الزلال احداهما
التسنيم والاخرى السلسبيل فبأي آلاء ربكما تكذبان فيهما من كل فاكهة زوجان صنفان قيل صنف معروف و
صنف غريب فبأي آلاء ربكما تكذبان متكئين نصب على المدح للخائفين او حال منهم لان من خاف في معنى الجمع
على فرش بطائنها من استبرق من ديباج ثخين واذا كانت البطائن من الاستبرق فما ظنك بالظهائر وقيل
ظهائرها من سندس وقيل من نور وجنى الجنتين دان قريب يناله القائم والقاعد والنائم وقرئ و
جنى بكسر الجيم فبأي آلاء ربكما تكذبان فيهن في هذه الآلاء المعدودة من الجنتين والعينين والفاكهة
والفرش والجنى او في الجنتين لاشتمالهما على اماكن وقصور ومجالس قاصرات الطرف نساء قصرن
ابصارهن على ازواجهن لا ينظرن الى غيرهم لم يطمث الانسيات منهن احد من الانس ولا الجنيات
احد من الجن وهذا دليل على ان الجن يطمثون كما يطمث الانس وقرئ لم يطمثهن بضم الميم قيل هن
في صفاء الياقوت وبياض المرجان وصغار الدر انصع بياضا قيل ان الحوراء تلبس سبعين حلة
فيرى مخ ساقها من ورائها كما يرى الشراب الاحمر في الزجاجة البيضاء لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان
فبأي آلاء ربكما تكذبان كأنهن الياقوت والمرجان فبأي آلاء ربكما تكذبان هل جزاء الاحسان في العمل الا الاحسان
في الثواب وعن محمد بن الحنفية هي مسجلة للبر والفاجر اي مرسلة يعني ان كل من احسن احسن اليه
وكل من اساء اسيء اليه فبأي آلاء ربكما تكذبان ومن دونهما ومن دون تينك الجنتين الموعودتين
للمقربين جنتان لمن دونهم من اصحاب اليمين فبأي آلاء ربكما تكذبان مدهامتان قد ادهامتا من
شدة الخضرة فبأي آلاء ربكما تكذبان فيهما عينان نضاختان فوارتان بالماء والنضخ اكثر من النضح لان
النضح غير معجمة مثل الرش لم عطف النخل والرمان على الفاكهة وهما منها
اختصاصا لهما وبيانا لفضلهما كأنهما لما لهما من المزية جنسان آخران كقوله وجبريل وميكال او لان
النخل ثمره فاكهة وطعام والرمان فاكهة ودواء فلم يخلصا للتفكه ومنه قال ابو حنيفة رضي
اذا حلف لا يأكل فاكهة فاكل رمانا او رطبا لم يحنث وخالفه صاحباه فبأي آلاء ربكما تكذبان فيهن
خيرات خيرات فخففت كقوله عليه السلام هينون لينون واما خير الذي هو بمعنى اخير فلا يقال فيه
خيرون ولا اخيرات وقرئ خيرات على الاصل والمعنى فاضلات الاخلاق حسان الخلق فبأي آلاء ربكما

تكذبان حور مقصورات في الخيام فبأي آلاء ربكما تكذبان مقصورات قصرن في خدورهن يقال امرأة قصيرة
وقصورة ومقصورة مخدرة وقيل ان الخيمة من خيامهن درة مجوفة لم يطمثهن انس قبلهم قبل اصحاب
الجنتين دل عليهم ذكر الجنتين والجان فبأي آلاء ربكما تكذبان متكئين نصب على الاختصاص والرفرف
على رفرف
ضرب من البسط وقيل البسط وقيل الوسائد وقيل كل ثوب عريض رفرف ويقال لاطراف البسط وفضول
الفسطاط رفارف ورفرف السحاب هيدبه خضر وعبقري حسان فبأي آلاء ربكما تكذبان تبارك اسم
ربك ذي الجلال والاكرام والعبقري منسوب الى عبقر تزعم العرب انه بلد الجن فينسبون اليه كل شيء
عجيب وقرئ رفارف خضر بضمتين وعباقري كمدايني نسبة الى عباقر في اسم البلد وروى ابو حاتم
عباقري بفتح القاف ومنع الصرف وهذا الوجه لصحته   كيف تقاصرت صفات هاتين
الجنتين عن الاوليين حتى قيل ومن دونهما   مدهامتان دون ذواتا افنان ونضاختان دون
تجريان وفاكهة دون كل فاكهة وكذلك صفة الحور والمتكأ وقرئ ذو الجلال صفة للاسم عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الرحمن ادى شكر ما انعم الله عليه

سورة الواقعة مكية وهي تسع وتسعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم اذا وقعت الواقعة كقولك كانت الكائنة وحدثت الحادثة والمراد
القيامة وصفت بالوقوع لانها لا محالة تقع فكأنه قيل اذا وقعت التي لا بد من وقوعها ووقوع
الامر نزوله يقال وقع ما كنت اتوقعه اي نزل ما كنت اترقب نزوله   م انتصب
اذا   بليس كقولك يوم الجمعة ليس لي شغل او بمحذوف يعني اذا وقعت كان كيت وكيت
او باضمار اذكر ليس لوقعتها كاذبة نفس كاذبة اي لا يكون حين تقع نفس تكذب على الله تعالى وتكذب
في تكذيب الغيب لان كل نفس حينئذ مؤمنة صادقة مصدقة واكثر النفوس اليوم كواذب مكذبات
كقوله فلما رأوا بأسنا قالوا آمنا بالله وحده لا يؤمنون به حتى يروا العذاب الاليم ولا يزال الذين
كفروا في مرية منه حتى تأتيهم الساعة واللام مثلها في قوله تعالى يا ليتني قدمت لحياتي او ليس لها
نفس تكذبها وتقول لها لم تكوني كما لها اليوم نفوس كثيرة يكذبنها يقلن لها لن تكوني او هي من
قولهم كذبت فلانا نفسه في الخطب العظيم اذا شجعته على مباشرته وقالت له انك تطيقه وما
فوقه فتعرض له ولا تبال به على معنى انها وقعة لا تطاق شدة وفظاعة وان لا نفس حينئذ تحدث
صاحبها بما تحدثه به عند عظائم الامور وتزين له احتمالها واطاقتها لانهم يومئذ اضعف من ذلك
واذل الا ترى الى قوله كالفراش المبثوث والفراش مثل في الضعف وقيل كاذبة مصدر كالعاقبة بمعنى

التكذيب من قولك حمل على قرنه فما كذب اي فما جبن وما تثبط وحقيقته فما كذب نفسه فيما حدثته به
من اطاقته له واقدامه عليه قال زهير اذا ما الليث كذب عن اقرانه صدقا اي اذا وقعت
لم يكن لها رجعة ولا ارتداد خافضة رافعة اي هي خافضة رافعة ترفع اقواما وتضع آخرين اما
وصفا لها بالشدة لان الواقعات العظام كذلك يرتفع فيها ناس الى مراتب ويتضع ناس واما ان
الاشقياء يحطون الى الدركات والسعداء يرفعون الى الدرجات واما انها تزلزل الاشياء وتزيلها
عن مقارها لترفع بعضا وتخفض بعضا حيث تسقط السماء كسفا وتنتثر الكواكب وتنكدر
وتسير الجبال فتمر في الجو مر السحاب وقرئ خافضة رافعة بالنصب على الحال اذا رجت الارض رجا
رجت حركت تحريكا شديدا حتى ينهدم كل شيء فوقها من جبل وبناء وبست الجبال بسا وفتت حتى
تعود كالسويق او سيقت من بس الغنم اذا ساقها كقوله وسيرت الجبال فكانت هباء منبثا
متفرقا وقرئ بالتاء اي منقطعا وقرئ رجت وبست اي ارتجت وذهبت وفي كلام بنت الخس
عينها هاج وصلاها راج وهي تمشي وتفاج   م انتصب اذا رجت   هو بدل
من اذا وقعت ويجوز ان ينتصب بخافضة رافعة اي تخفض وترفع وقت رج الارض وبس الجبال
لانه عند ذلك ينخفض ما هو مرتفع ويرتفع ما هو منخفض وكنتم ازواجا ثلاثة ازواجا اصنافا يقال للاصناف
التي بعضها مع بعض او يذكر بعضها مع بعض ازواج فاصحاب الميمنة ما اصحاب الميمنة الذين يؤتون
صحائفهم بايمانهم واصحاب المشأمة الذين يؤتونها بشمائلهم او اصحاب المنزلة السنية واصحاب
المنزلة الدنية من قولك فلان مني باليمين وفلان مني بالشمال اذا وصفتهما بالرفعة عندك والضعة
وذلك لتيمنهم بالميامن وتشاؤمهم بالشمائل ولتفاؤلهم بالسانح وتطيرهم بالبارح ولذلك اشتقوا
لليمين الاسم من اليمن وسموا الشمال الشؤمى وقيل اصحاب الميمنة واصحاب المشأمة اصحاب
اليمن والشؤم لان السعداء ميامين على انفسهم بطاعتهم والاشقياء مشائيم عليها بمعصيتهم وقيل
يؤخذ باهل الجنة ذات اليمين وباهل النار ذات الشمال ما اصحاب المشأمة والسابقون من عرفت
المخلصون الذين سبقوا الى ما دعاهم الله اليه وشقوا الغبار في طلب مرضاة الله وقيل الناس
ثلاثة فرجل ابتكر الخير في حداثة سنه ثم داوم عليه حتى خرج من الدنيا فهذا السابق المقرب ورجل
ابتكر عمره بالذنب وطول الغفلة ثم تراجع بتوبة فهذا صاحب اليمين ورجل ابتكر الشر في حداثة
سنه ثم لم يزل عليه حتى خرج من الدنيا فهذا صاحب الشمال ما اصحاب الميمنة وما اصحاب المشأمة
تعجيب من حال الفريقين في السعادة والشقاوة والمعنى اي شيء هم والسابقون السابقون

يريد والسابقون من عرفت حالهم وبلغك وصفهم كقولك وعبد الله عبد الله وقول ابي النجم
انا ابو النجم وشعري شعري كانه قال وشعري ما انتهى اليك وسمعت بفصاحته وبراعته وقد جعل
السابقون تاكيدا واولئك المقربون خبرا وليس بذاك ووقف بعضهم على والسابقون وابتدا السابقون
اولئك المقربون والصواب ان يوقف على الثاني لانه تمام الجملة وهو في مقابلة ما اصحاب الميمنة
وما اصحاب المشامة المقربون في جنات النعيم الذين قربت درجاتهم في الجنة من العرش واعليت
مراتبهم وقرئ في جنة النعيم ثلة من الاولين والثلة الامة من الناس الكثيرة قال
وجاءت اليهم ثلة خندفية بجيش كتيار من السيل مزبد وقوله وقليل من الآخرين كفى به دليلا على
الكثرة وهي من الثل وهو الكسر كما ان الامة من الام وهو الشج كانها جماعة كسرت من الناس و
قطعت منهم والمعنى ان السابقين كثير من الاولين وهم الامم من لدن آدم الى محمد صلوات الله عليهما
وقليل من الآخرين وهم امة محمد وقيل من الاولين من متقدمي هذه الامة ومن الآخرين من متاخريها
وعن النبي صلى الله عليه وسلم الثلتان جميعا من امتي   كيف قال وقليل من الآخرين ثم قال
وثلة من الآخرين   هذا في السابقين وذاك في اصحاب اليمين وانهم يتكاثرون من الاولين
والآخرين جميعا   فقد روي انه لما نزلت شق ذلك على المسلمين فما زال رسول الله صلى الله عليه
وسلم يراجع ربه حتى نزلت ثلة من الاولين وثلة من الآخرين   هذا لا يصح لامرين احدهما
ان هذه الآية واردة في السابقين ورودا ظاهرا وكذلك الثانية في اصحاب اليمين الا ترى كيف
عطف اصحاب اليمين ووعدهم على السابقين ووعدهم والثاني ان النسخ في الاخبار غير جائز و
عن الحسن سابقو الامم اكثر من سابقي امتنا وتابعو الامم مثل تابعي هذه الامة وثلة خبر مبتدا
محذوف اي هم ثلة على سرر موضونة مرمولة بالذهب مشبكة بالدر والياقوت قد دوخل
بعضها في بعض كما توضن حلق الدرع قال الاعشى ومن نسج داود موضونة وقيل متواصلة
ادني بعضها من بعض متكئين حال من الضمير في على وهو العامل فيها اي استقروا عليها متكئين
متقابلين لا ينظر بعضهم في اقفاء بعض وصفوا بحسن العشرة وتهذيب الاخلاق والآداب يطوف
عليهم ولدان مخلدون مبقون ابدا على شكل الولدان وحد الوصافة لا يتحولون عنه وقيل مقرطون
والخلدة القرط وقيل هم اولاد الدنيا لم يكن لهم حسنات فيثابوا عليها ولا سيئات فيعاقبوا عليها
روي عن علي رضي الله عنه وعن الحسن وفي الحديث اولاد الكفار خدام اهل الجنة باكواب واباريق و
كاس من معين الاكواب اواني بلا عرى وخراطيم والاباريق ذوات الخراطيم لا يصدعون عنها ولا ينزفون

اي بسببها وحقيقته لا يصدر صداعهم عنها او لا يفرقون عنها وقرا مجاهد لا يصدعون بمعنى لا يتصدعون
لا يتفرقون كقوله يومئذ يصدعون ويصدعون اي لا يصدع بعضهم بعضا لا يفرقهم وفاكهة مما يتخيرون
ياخذون خيره وافضله ولحم طير مما يشتهون يتمنون وقرئ ولحوم طير وقرئ وحور عين بالرفع على و
فيها حور عين كبيت الكتاب الا رواكد جمرهن هباء ومشجج او للعطف على ولدان وبالجر عطفا
على جنات النعيم كانه قال هم في جنات وفاكهة ولحم وحور او على اكواب لان معنى يطوف عليهم ولدان
مخلدون باكواب ينعمون باكواب وبالنصب على ويؤتون حورا كامثال اللؤلؤ المكنون جزاء اي يفعل بهم
ذلك كله جزاء باعمالهم بما كانوا يعملون لا يسمعون فيها لغوا ولا تاثيما الا قيلا سلاما سلاما الا بدل من قيلا
بدليل قوله لا يسمعون فيها لغوا الا سلاما واما مفعول به لقيلا بمعنى لا يسمعون فيها الا ان يقولوا
سلاما سلاما والمعنى انهم يفشون السلام بينهم فيسلمون سلاما بعد سلام وقرئ سلام سلام على الحكاية
واصحاب اليمين ما اصحاب اليمين في سدر مخضود وطلح منضود السدر شجر النبق والمخضود الذي لا شوك له
كانما خضد شوكه وعن مجاهد الموقر الذي تثني اغصانه كثرة حمله من خضد الغصن اذا ثناه
وهو رطب والطلح شجر الموز وقيل هو شجر ام غيلان وله نوار كثير طيب الرائحة وعن
السدي شجر يشبه طلح الدنيا ولكن له ثمر احلى من العسل وعن علي رضي الله عنه انه قرا وطلع
وما شان الطلح وقرا قوله لها طلع نضيد فقيل او نحولها فقال آي القرآن لا تهاج اليوم ولا تحول
وعن ابن عباس نحوه والمنضود الذي نضد بالحمل من اسفله الى اعلاه فليست له ساق بارزة وظل
ممدود ممتد منبسط لا يتقلص كظل ما بين طلوع الفجر وطلوع الشمس وماء مسكوب يسكب لهم اين شاؤوا
وكيف شاؤوا لا يتعبون فيه وقيل دائم الجرية لا ينقطع وقيل مصبوب يجري على الارض في غير اخدود و
فاكهة كثيرة لا مقطوعة هي دائمة لا ينقطع في بعض الاوقات كفواكه الدنيا ولا ممنوعة لا يمنع عن متناولها
بوجه ولا يحظر عليها كما يحظر على بساتين الدنيا وقرئ وفاكهة كثيرة بالرفع على وهناك فاكهة كقوله
وحور عين وفرش جمع فراش وقرئ وفرش بالتخفيف مرفوعة نضدت حتى ارتفعت او مرفوعة على
الاسرة وقيل هي النساء لان المراة يكنى عنها بالفراش مرفوعة على الارائك قال الله تعالى هم وازواجهم في ظلال
على الارائك متكئون ويدل عليه قوله انا انشاناهن وعلى التفسير الاول اضمر لهن لان ذكر الفرش
وهي المضاجع دل عليهن انا انشاناهن انشاء ابتدانا خلقهن ابتداء جديدا من غير ولادة فاما ان
يراد اللاتي ابتدا انشاؤهن او اللاتي اعيد انشاؤهن وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ام سلمة
سالته عن قول الله تعالى انا انشاناهن فقال يا ام سلمة هن اللواتي قبضن في دار الدنيا عجائز شمطا

رمصا جعلهن الله بعد الكبر اترابا على ميلاد واحد في الاستواء كلما اتاهن ازواجهن وجدوهن ابكارا فلما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم عايشة ذلك قالت واوجعاه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس هناك وجع وقالت عجوز لرسول الله صلى الله عليه وسلم ادع الله ان يدخلني الجنة فقال ان الجنة لا يدخلها العجائز فولت وهي تبكي فقال عليه السلام اخبروها انها ليست يومئذ بعجوز وقرا الآية فجعلناهن ابكارا عربا وقرئ عربا بالتخفيف جمع عروب وهي المحببة الى زوجها الحسنة التبعل اترابا مستويات في السن بنات ثلاث وثلاثين وازواجهن كذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يدخل اهل الجنة الجنة جردا مردا بيضا جعادا مكحلين ابناء ثلاث وثلثين واللام في لاصحاب اليمين من صلة انشانا وجعلنا ثلة من الاولين وثلة من الآخرين واصحاب الشمال ما اصحاب الشمال في سموم في حر نار تنفذ في المسام وحميم وماء حار متناه في الحرارة وظل من يحموم من دخان اسود بهيم لا بارد ولا كريم انهم كانوا قبل ذلك مترفين وكانوا يصرون على الحنث العظيم وكانوا يقولون اإذا متنا وكنا ترابا وعظاما اإنا لمبعوثون نفى لصفتي الظل عنه يريد انه ظل ولكن لا كسائر الظلال سماه ظلا ثم نفى عنه برد الظل وروحه ونفعه من ياوي اليه من اذى الحر وذلك كرمه ليمحق ما في مدلول الظل من الاسترواح اليه والمعنى انه ظل حار ضار الا ان للنفي في نحو هذا شانا ليس للاثبات وفيه تهكم باصحاب المشامة وانهم لا يستاهلون الظل البارد الكريم الذي هو لاضدادهم في الجنة وقرئ لا بارد ولا كريم بالرفع اي لا هو كذلك والحنث الذنب العظيم ومنه قولهم بلغ الغلام الحنث اي الحلم ووقت المؤاخذة بالماثم ومنه حنث في يمينه خلاف بر فيها ويقال تحنث اذا تاثم وتحرج اوآباؤنا الاولون قل ان الاولين والآخرين لمجموعون دخلت همزة الاستفهام على حرف العطف كيف حسن العطف على المضمر في لمبعوثون من غير تاكيد بنحن حسن للفاصل الذي هو الهمزة كما حسن في قوله ما اشركنا ولا آباؤنا لفصل لا المؤكدة للنفي وقرئ اوآباؤنا وقرئ لمجمعون الى ميقات يوم معلوم الى ما وقتت به الدنيا من يوم معلوم والاضافة بمعنى من كخاتم فضة والميقات ما وقت به الشيء اي حد ومنه مواقيت الاحرام وهي الحدود التي لا يتجاوزها من يريد دخول مكة الا محرما ثم انكم ايها الضالون عن الهدى المكذبون بالبعث وهم اهل مكة ومن في مثل حالهم لآكلون من شجر من زقوم من الاولى لابتداء الغاية والثانية لبيان الشجر وتفسيره وانث ضمير الشجر على المعنى وذكره على اللفظ في قوله منها وعليه ومن قرا من شجرة من زقوم فقد جعل الضميرين للشجرة وانما ذكر الثاني على تاويل الزقوم لانه تفسيرها وهي في معناه فمالئون منها البطون فشاربون عليه من الحميم فشاربون

شرب الهيم قرئ بالحركات الثلث فالفتح والضم مصدران وعن جعفر الصادق ايام اكل وشرب بفتح الشين واما المكسورة فبمعنى المشروب اي ما يشربه الهيم وهي الابل التي بها الهيام وهو داء تشرب منه فلا تروى جمع اهيم وهيماء قال ذو الرمة فاصبحت كالهيماء لا الماء مبرد صداها ولا يقضي عليها هيامها وقيل الهيم الرمال ووجهه ان يكون جمع الهيام بفتح الهاء وهو الرمل الذي لا يتماسك جمع على فعل كسحاب وسحب ثم خفف وفعل به ما فعل بجمع ابيض والمعنى انه يسلط عليهم من الجوع ما يضطرهم الى اكل الزقوم الذي هو كالمهل فاذا ملاوا منه البطون سلط عليهم من العطش ما يضطرهم الى شرب الحميم الذي يقطع امعاءهم فيشربونه شرب الهيم كيف صح عطف الشاربين على الشاربين وهما لذوات متفقة وصفتان متفقتان فكان عطفا للشيء على نفسه ليستا بمتفقتين من حيث ان كونهم شاربين للحميم على ما هو عليه من تناهي الحرارة وقطع الامعاء امر عجيب وشربهم له على ذلك كما يشرب الهيم الماء امر عجيب ايضا فكانتا صفتين مختلفتين هذا نزلهم يوم الدين نحن خلقناكم النزل الرزق الذي يعد للنازل تكرمة له وفيه تهكم كما في قوله فبشرهم بعذاب اليم وكقول ابي الشعر الضبي وكنا اذا الجبار بالجيش ضافنا جعلنا القنا والمرهفات له نزلا وقرئ نزلهم بالتخفيف فلولا تصدقون تحضيض على التصديق اما بالخلق لانهم وان كانوا مصدقين الا انهم لما كان مذهبهم خلاف ما يقتضيه التصديق فكانهم مكذبون به واما بالبعث لان من خلق اولا لم يمتنع عليه ان يخلق ثانيا افرايتم ما تمنون ما تمنونه اي تقذفونه في الارحام من النطف وقرا ابو السمال بفتح التاء يقال امنى النطفة ومناها قال الله تعالى من نطفة اذا تمنى اانتم تخلقونه ام نحن الخالقون تخلقونه تقدرونه وتصورونه نحن قدرنا بينكم الموت تقديرا وقسمناه عليكم قسمة الارزاق على اختلاف وتفاوت كما تقتضيه مشيتنا فاختلفت اعماركم من قصير وطويل ومتوسط وقرئ قدرنا بالتخفيف سبقته على الشيء اذا اعجزته عنه وغلبته عليه ولم تمكنه منه فمعنى قوله وما نحن بمسبوقين على ان نبدل امثالكم انا قادرون على ذلك لا تغلبوننا عليه وامثالكم جمع مثل اي على ان نبدل منكم ومكانكم اشباهكم من الخلق وعلى ان ننشئكم في خلق لا تعلمونها وما عهدتم بامثالها يعني انا نقدر على الامرين جميعا على خلق ما يماثلكم وما لا يماثلكم فكيف نعجز عن اعادتكم ويجوز ان يكون امثالكم جمع مثل اي على ان نبدل ونغير صفاتكم التي انتم عليها في خلقكم واخلاقكم وننشئكم فيما لا تعلمون في صفات لا تعلمونها ولقد علمتم النشاة الاولى فلولا تذكرون قرئ النشاة والنشاءة وفي هذا دليل على صحة

القياس حيث جهلتم في ترك قياس النشأة الاخرى على الاولى افرأيتم ما تحرثونه من الطعام اى تبذرون
حبه وتعملون فى ارضه أأنتم تزرعونه تنبتونه وتردّونه نباتاً يرف وينمى الى ان يبلغ الغاية وعن رسول
الله صلى الله عليه وسلم لا يقولن احدكم زرعت وليقل حرثت قال ابو هريرة ارأيتم الى قوله افرأيتم الآية
ام نحن الزارعون لو نشاء لجعلناه حطاما والحطام من حطم كالفتات والجذاذ من فتّ وجذّ وهو ما صار هشيما
وتحطم فظلتم وقرئ بالكسر وفظللتم على الاصل تفكهون تعجبون وعن الحسن تندمون على تعبكم فيه
وانفاقكم عليه او على ما اقترفتم من المعاصى التى اصبتم بذلك من اجلها وقرئ تفكنون ومنه الحديث
مثل العالم كمثل الحمة يأتيها البعداء ويتركها القرباء فبينا هم اذ غار ماؤها فانتفع بها قوم و
بقى قوم يتفكنون اى يتندمون انا لمغرمون لملزمون غرامة ما انفقنا او مهلكون لهلاك رزقنا
من الغرام وهو الهلاك بل نحن قوم محرومون محارفون محدودون لاحظ لنا ولا بخت ولو كنا مجدودين
لما جرى علينا هذا وقرئ ائنا افرأيتم الماء الذى تشربون يريد الماء العذب الصالح للشرب أأنتم انزلتموه
من المزن ام نحن المنزلون والمزن السحاب الواحدة مزنة وقيل هو السحاب الابيض خاصة وهو
اعذب ماء لو نشاء جعلناه اجاجا فلولا تشكرون افرأيتم الماء الذى اجاجا ملحا زعاقا لا يقدر على شربه
لم ادخلت اللام على جواب لو فى قوله لجعلناه حطاما ونزعت منه ههنا ان لو لما
كانت داخلة على جملتين معلقة ثانيتهما بالاولى تعليق الجزاء بالشرط ولم يكن مخلصة للشرط كان و
لا عاملة مثلها وانما سرى فيها معنى الشرط اتفاقا من حيث افادتها فى مضمون جملتيها ان الثانى امتنع
لامتناع الاول افتقرت فى جوابها الى ما ينصب علما على هذا التعليق فزيدت هذه اللام لتكون علما
على ذلك فاذا حذفت بعد ما صارت علما مشهورا مكانه فلان الشئ اذا علم وشهر موقعه وصار
مألوفا ومأنوسا به لم يبل باسقاطه عن اللفظ استغناء بمعرفة السامع الا ترى الى ما يحكى عن رؤبة
انه كان يقول خير لمن قال له كيف اصبحت فيحذف الجار لعلم كل احد بمكانه وتساوى حال حذفه
واثباته لشهرة امره وناهيك بقول اوس حتى اذا الكلاب قال لها كاليوم مطلوبا ولا طلبا و
حذفه لم ار فاذن حذفها اختصار لفظى وهى ثابتة فى المعنى فاستوى الموضعان لا فرق بينهما
على ان تقدم ذكرها والمسافة قصيرة مغن عن ذكرها ثانية ونائب عنه ويجوز ان يقال ان هذه
اللام مفيدة معنى التوكيد لا محالة فادخلت فى آية المطعوم دون آية المشروب للدلالة على ان امر
المطعوم مقدم على امر المشروب وان الوعيد بفقده اشد واصعب من قبل ان المشروب انما يحتاج اليه
تبعا للمطعوم الا ترى انك تسقى ضيفك بعد ان تطعمه ولو عكست قعدت تحت قول ابى العلاء

اذا سقيت ضيوف الناس محضا سقوا اضيافهم شبما زلالا وسقى بعض العرب فقال انا لا اشرب الا على
ثميلة ولهذا قدمت آية المطعوم على آية المشروب تورون تقدحونها وتستخرجونها من الزناد والعرب
تقدح بعودين تحك احدهما على الآخر ويسمون الاعلى الزند والاسفل الزندة شبهوهما بالفحل والطروقة
أأنتم انشأتم شجرتها التى منها الزناد ام نحن المنشئون نحن جعلناها تذكرة تذكيرا لنار جهنم حيث علقنا بها
اسباب المعايش كلها وعممنا بالحاجة اليها البلوى لتكون حاضرة للناس ينظرون اليها ويذكرون ما
اوعدوا به او جعلناها تذكرة وانموذجا من جهنم لما روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ناركم هذه
التى توقد بنو آدم جزء من سبعين جزءا من حر جهنم ومتاعا ومنفعة للمقوين الذين ينزلون القواء
وهى القفر او الذين خلت بطونهم او مزاودهم من الطعام يقال اقويت من ايام لم آكل شيئا فسبح باسم
ربك فاحدث التسبيح بذكر اسم ربك او اراد بالاسم الذكر اى بذكر ربك والعظيم صفة للمضاف او
للمضاف اليه والمعنى انه لما ذكر ما دل على قدرته وانعامه على عباده قال فاحدث التسبيح وهو ان يقول
سبحان الله اما تنزيها له عما يقول الظالمون الذين يجحدون وحدانيته ويكفرون نعمته واما تعجبا من
امرهم فى غمط الآية واياديه الظاهرة واما شكرا لله على النعم التى عدها ونبه عليها فلا اقسم معناه
فاقسم ولا مزيدة مؤكدة مثلها فى قوله لئلا يعلم اهل الكتاب وقرأ الحسن فلأقسم ومعناه فلأنا
اقسم اللام لام الابتداء دخلت على جملة من مبتدأ وخبر وهو انا اقسم كقولك لزيد منطلق ثم حذف
المبتدأ ولا يصح ان تكون اللام لام القسم لامرين احدهما ان حقها ان يقرن بها النون المؤكدة
والاخلال بها ضعيف قبيح والثانى ان لأفعلن فى جواب القسم للاستقبال وفعل القسم يجب ان يكون
للحال بمواقع النجوم بمساقطها ومغاربها ولعل لله تعالى فى آخر الليل اذا انحطت النجوم الى المغرب افعالا
مخصوصة عظيمة او للملائكة عبادات موصوفة او لانه وقت قيام المتهجدين والمبتهلين اليه من عباده
الصالحين ونزول الرحمة والرضوان عليهم فلذلك اقسم بمواقعها واستعظم ذلك بقوله وانه لقسم لو
تعلمون عظيم او اراد بمواقعها منازلها ومساريها وله فى ذلك من الدليل على عظم القدرة والحكمة
ما لا يحيط به الوصف وقوله وانه لقسم لو تعلمون عظيم اعتراض فى اعتراض لانه اعترض به بين القسم
والمقسم عليه وهو قوله انه لقرآن كريم واعترض بلو تعلمون بين الموصوف وصفته وقيل مواقع النجوم
اوقات وقوع نجوم القرآن اى اوقات نزولها كريم حسن مرضى فى جنسه من الكتب او نفاع
جم المنافع او كريم على الله فى كتاب مكنون مصون من غير المقربين من الملائكة لا يطلع عليه من سواهم
وهم المطهرون من جميع الادناس ادناس الذنوب وما سواها ان جعلت الجملة صفة لكتاب مكنون

لا يمسه الا

وهو اللوح وان جعلتها صفة للقرآن فالمعنى لا ينبغي ان يمسه الا من هو على الطهارة من الناس يعني
مس المكتوب منه ومن الناس من حمله على القراءة ايضا وعن ابن عمر احب الي ان لا يقرأ الا وهو طاهر
وعن ابن عباس في رواية انه كان يبيح القراءة للجنب ونحوه قول رسول الله صلى الله عليه وسلم المسلم
اخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه اي لا ينبغي له ان يظلمه او يسلمه وقرئ المتطهرون يعني يطهرون انفسهم
او غيرهم بالاستغفار لهم والوحي الذي ينزلونه تنزيل صفة رابعة للقرآن من رب العالمين او
وصف بالمصدر لانه نزل نجوما من بين سائر كتب الله فكأنه في نفسه تنزيل ولذلك جرى مجرى بعض اسمائه
فقيل جاء في التنزيل كذا ونطق به التنزيل او هو تنزيل على حذف المبتدأ وقرئ تنزيلا على نزل تنزيلا
افبهذا الحديث يعني القرآن انتم مدهنون اي متهاونون به كمن يدهن في الامر اي يلين جانبه ولا يتصلب
فيه تهاونا به وتجعلون رزقكم انكم تكذبون فلولا اذا بلغت الحلقوم وانتم حينئذ تنظرون على حذف المضاف
يعني وتجعلون شكر رزقكم التكذيب اي وضعتم التكذيب موضع الشكر وقرأ علي رضي الله عنه و
تجعلون شكركم لنعمة القرآن انكم تكذبون به وقيل نزلت في الانواء ونسبتهم السقيا اليها والرزق
المطر يعني وتجعلون شكر ما يرزقكم الله من الغيث انكم تكذبون بكونه من الله حيث تنسبونه الى النجوم
وقرئ تكذبون وهو قولهم في القرآن شعر وسحر وافتراء وفي المطر هو من الانواء ولان كل مكذب
بالحق كاذب ترتيب الآية فلولا ترجعونها اذا بلغت الحلقوم ان كنتم غير مدينين فلولا الثانية
مكررة للتوكيد والضمير في ترجعونها للنفس وهي الروح وفي اقرب اليه للمحتضر غير مدينين غير مربوبين
من دان السلطان الرعية اذا ساسهم ونحن اقرب اليه منكم ولكن لا تبصرون فلولا ان كنتم غير مدينين ترجعونها
ان كنتم صادقين يا اهل الميت بقدرتنا وعلمنا او بملائكة الموت والمعنى انكم في جحودكم افعال الله
وآياته في كل شيء ان انزل عليكم كتابا معجزا قلتم سحر وافتراء وان ارسل اليكم رسولا صادقا قلتم
ساحر كذاب وان رزقكم مطرا يحييكم به قلتم صدق نوء كذا على مذهب يؤدي الى الاهمال والتعطيل
فما لكم لا ترجعون الروح الى البدن بعد بلوغه الحلقوم ان لم يكن ثم قابض وكنتم صادقين في تعطيلكم
وكفركم بالمحيي المميت المثيب المعيد فاما ان كان المتوفى من المقربين من السابقين من الازواج الثلثة
المذكورة في اول السورة فروح وريحان وجنة نعيم واما ان كان من اصحاب اليمين فله استراحة وروت
عائشة رضي الله عنها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فروح بالضم وقرأ به الحسن وقال الروح الرحمة لانها
كالحياة للمرحوم وقيل البقاء اي فهذان له معا وهو الخلود مع الرزق والنعيم والريحان الرزق
فسلام لك من اصحاب اليمين اي يسلمون عليك كقوله الا قيلا سلاما سلاما واما ان كان من المكذبين الضالين فنزل

من حميم كقوله هذا نزلهم يوم الدين وقرئ بالتخفيف وتصلية جحيم قرئت بالرفع والجر عطفا على نزل وحميم
ان هذا الذي انزل في هذه السورة لهو حق اليقين فسبح باسم ربك العظيم اي الحق الثابت
من اليقين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الواقعة في كل ليلة لم تصبه فاقة ابدا

سورة الحديد مكية وهي تسع وعشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم جاء في بعض الفواتح سبح على لفظ الماضي وفي بعضها على لفظ المضارع و
كل واحد منهما معناه ان من شأن من اسند اليه التسبيح ان يسبحه وذلك هجيراه وديدنه وقد عدي
هذا الفعل باللام تارة وبنفسه اخرى في قوله وتسبحوه واصله التعدي بنفسه لان معنى سبحته بعدته
عن السوء منقول من سبح اذا ذهب وبعد فاللام لا تخلو اما ان يكون مثل اللام في نصحته ونصحت له واما
ان يراد يسبح لله احدث التسبيح لاجل الله ولوجهه خالصا ما في السموات والارض وهو العزيز الحكيم ما يتأتى منه
التسبيح ويصح
بجوز ان لا يكون له محل ويكون جملة برأسها كقوله له
ما محل يحيي
ملك السموات والارض وان يكون مرفوعا على هو يحيي ومنصوبا حالا من المجرور في له والجار عاملا فيها ومعناه
يحيي النطف والبيض والموتى يوم القيمة ويميت وهو على كل شيء قدير الاحياء هو الاول هو القديم الذي
كان قبل كل شيء والآخر الذي يبقى بعد هلاك كل شيء والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم هو الذي خلق
السموات والارض في ستة ايام ثم استوى على العرش يعلم ما يلج في الارض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج
فيها وهو معكم اينما كنتم والله بما تعملون بصير له ملك السموات والارض والى الله ترجع الامور يولج الليل في النهار ويولج
النهار في الليل وهو عليم بذات الصدور بالادلة الدالة عليه والباطن لكونه غير مدرك بالحواس
فما معنى الواو
الواو الاولى معناها الدلالة على انه الجامع بين الصفتين الاولية والآخرية
والثالثة على انه الجامع بين الصفتين الظهور والخفاء واما الوسطى فعلى انه الجامع بين مجموع الصفتين
الاوليين ومجموع الصفتين الاخريين فهو المستمر الوجود في جميع الاوقات الماضية والآتية وهو في جميعها
ظاهر وباطن جامع للظهور بالادلة والخفاء فلا يدرك بالحواس وفي هذا حجة على من جوز ادراكه في
الآخرة بالحاسة وقيل الظاهر العالي على كل شيء الغالب له من ظهر عليه اذا علاه وغلبه والباطن
الذي بطن كل شيء اي علم باطنه وليس بذاك مع العدول عن الظاهر المفهوم آمنوا بالله ورسوله وانفقوا
مما جعلكم مستخلفين فيه يعني ان الاموال التي في ايديكم انما هي اموال الله بخلقه وانشائه لها وانما مولكم
اياها وخولكم الاستمتاع بها وجعلكم خلفاء في التصرف فيها فليست هي باموالكم في الحقيقة وما انتم فيها
الا بمنزلة الوكلاء والنواب فانفقوا منها في حقوق الله وليهن عليكم الانفاق منها كما يهون على

الرجل النفقة من مال غيره اذا اذن له فيها او جعلكم مستخلفين ممن كان قبلكم فيما في ايديكم بتوريثه اياكم فاعتبروا بحالهم حيث انتقل منهم اليكم وسينتقل منكم الى من بعدكم فلا تبخلوا به وانفقوا بالانفاق منها انفسكم فالذين آمنوا منكم وانفقوا لهم اجر كبير وما لكم لا تؤمنون حال من معنى الفعل في ما لكم كما تقول ما لك قائما بمعنى ما تصنع قائما اى وما لكم كافرين بالله والواو في والرسول يدعوكم لتؤمنوا بربكم وقد اخذ ميثاقكم واو الحال فهما حالان متداخلتان وقرئ وما لكم لا تؤمنون بالله ورسوله والرسول يدعوكم والمعنى واى عذر لكم في ترك الايمان والرسول يدعوكم اليه وينبهكم عليه ويتلو عليكم الكتاب الناطق بالبراهين والحجج وقبل ذلك قد اخذ الله ميثاقكم بالايمان حيث ركب فيكم العقول ونصب لكم الادلة ومكنكم من النظر وازاح عللكم فاذا لم يبق لكم علة بعد ادلة العقول وتنبيه الرسول فما لكم لا تؤمنون ان كنتم مؤمنين لموجب ما فان هذا الموجب لا مزيد عليه وقرئ اخذ ميثاقكم على البناء للفاعل وهو الله عز وجل هو الذي ينزل على عبده آيات بينات ليخرجكم اى الله باياته من ظلمات الكفر الى نور الايمان او ليخرجكم الرسول بدعوته وان الله بكم لرؤف وقرئ لرؤوف رحيم وما لكم ان لا تنفقوا في سبيل الله في ان لا تنفقوا ولله ميراث السموات والارض يرث كل شيء فيهما لا يبقى منه باق لاحد من مال وغيره يعني واى غرض لكم في ترك الانفاق في سبيل الله والجهاد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم والله مهلككم فوارث اموالكم وهو من ابلغ البعث على الانفاق في سبيل الله ثم بين التفاوت بين المنفقين منهم فقال لا يستوي منكم من انفق من قبل الفتح وقاتل اولئك قبل فتح مكة قبل عز الاسلام وقوة اهله ودخول الناس في دين الله افواجا وقلة الحاجة الى القتال والنفقة فيه ومن انفق بعد الفتح فحذف لوضوح الدلالة اولئك الذين انفقوا قبل الفتح وهم السابقون الاولون من المهاجرين والانصار الذين قال فيهم النبي صلى الله عليه وسلم لو انفق احدكم مثل احد ذهبا ما بلغ مد احدهم ولا نصيفه اعظم درجة من الذين انفقوا من بعد وقاتلوا وقرئ قبل الفتح وكلا وكل واحد من الفريقين وعد الله الحسنى والله بما تعملون خبير من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا اى المثوبة الحسنى وهي الجنة مع تفاوت الدرجات وقرئ بالرفع على وكل وعده الله وقيل نزلت في ابي بكر رضي الله عنه لانه اول من اسلم واول من انفق في سبيل الله القرض الحسن الانفاق في سبيله شبه ذلك بالقرض على سبيل المجاز لانه اذا اعطى ماله لوجهه فكانه اقرضه اياه فيضاعفه له اى يعطيه اجره على انفاقه مضاعفا اضعافا من فضله وله اجر كريم يعني وذلك الاجر المضموم اليه الاضعاف كريم في نفسه وقرئ فيضعفه وقرئا منصوبين على جواب الاستفهام والرفع عطف على يقرض او على فهو يضاعفه يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى ظرف لقوله وله اجر كريم او منصوب باضمار اذكر تعظيما لذلك اليوم وانما قال بين ايديهم وبايمانهم لان السعداء

من الظلمات الى النور

يؤتون صحائف اعمالهم من هاتين الجهتين كما ان الاشقياء يؤتونها من شمائلهم ووراء ظهورهم فيجعل النور في الجهتين شعارا لهم وآية لانهم هم الذين بحسناتهم سعدوا وبصحائفهم البيض افلحوا فاذا ذهب بهم الى الجنة ومروا على الصراط يسعون بسعيهم ذلك النور جنيبا ومتقدما ويقول لهم الذين يتلقونهم من الملائكة بشراكم اليوم وقرئ ذلك الفوز جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ذلك هو الفوز العظيم يوم يقول بدل من يوم ترى المنافقون والمنافقات للذين آمنوا انظرونا انتظرونا لانهم يسرع بهم الى الجنة كالبروق الخاطفة على ركاب تذف بهم وهؤلاء مشاة او انظروا الينا لانهم اذا نظروا اليهم استقبلوهم بوجوههم والنور بين ايديهم فيستضيئون به وقرئ انظرونا من النظرة وهي الامهال جعل اتئادهم في المضي الى ان يلحقوا بهم انظارا لهم نقتبس من نوركم نصب منه وذلك ان يلحقوا بهم فيستنيروا به قيل ارجعوا وراءكم فالتمسوا نورا طرد لهم وتهكم بهم اى ارجعوا الى الموقف الى حيث اعطينا هذا النور فالتمسوه هنالك فمن ثم يقتبس او ارجعوا الى الدنيا فالتمسوا نورا بتحصيل سببه وهو الايمان او ارجعوا خائبين وتنحوا عنا فالتمسوا نورا آخر فلا سبيل لكم الى هذا النور وقد علموا ان لا نور وراءهم وانما هو تخييب واقناط لهم فضرب بينهم بسور بين المؤمنين والمنافقين بحائط حائل بين شق الجنة وشق النار قيل هو الاعراف لذلك السور له باب لاهل الجنة يدخلون منه باطنه فيه الرحمة باطن السور او الباب وهو الشق الذي يلي الجنة وظاهره ما ظهر لاهل النار من قبله من عنده ومن جهته العذاب وهو الظلمة والنار وقرا زيد بن علي فضرب بينهم على البناء للفاعل ينادونهم الم نكن معكم يريدون موافقتهم في الظاهر قالوا بلى ولكنكم فتنتم انفسكم محنتموها بالنفاق واهلكتموها وتربصتم بالمؤمنين الدوائر وارتبتم وغرتكم الاماني طول الآمال والطمع في امتداد الاعمار حتى جاء امر الله وهو الموت وغركم بالله الغرور وغركم الشيطان بان الله غفور كريم لا يعذبكم وقرئ الغرور بالضم فاليوم لا يؤخذ منكم فدية ما يفتدى به ولا من الذين كفروا ماواكم النار هي مولاكم قيل هي اولى بكم وانشد قول لبيد فغدت كلا الفرجين تحسب انه مولى المخافة خلفها وامامها وحقيقة مولاكم محراكم ومقمنكم اى مكانكم الذي يقال فيه هو اولى بكم كما قيل هو مئنة للكرم اى مكان لقول القائل انه لكريم ويجوز ان يراد هي ناصركم اى لا ناصر لكم غيرها والمراد نفي الناصر على البتات ونحوه قولهم اصيب فلان بكذا فاستنصر الجزع ومنه قوله تعالى يغاثوا بماء كالمهل وقيل متولاكم كما توليتم في الدنيا اعمال اهل النار الم يان للذين آمنوا ان تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق ولا يكونوا كالذين اوتوا الكتاب من قبل فطال عليهم الامد فقست قلوبهم وكثير منهم فاسقون من اني الامر يأني اذا جاء اناه اى وقته وقرئ الم يئن من آن يئين بمعنى اني يأني والم يأن قيل كانوا مجدبين بمكة فلما هاجروا واصابوا الرزق والنعمة ففتروا عما كانوا عليه

فنزلت وعن ابن مسعود ما كان بين اسلامنا وبين ان عوتبنا بهذه الآية الا اربع سنين وعن ابن عباس ان
الله استبطأ قلوب المؤمنين فعاتبهم على رأس ثلث عشرة من نزول القرآن وعن الحسن اما والله لقد استبطأهم
وهم يقرؤون من القرآن اقل مما تقرؤون منه فانظروا في طول ما قرأتم منه وما ظهر فيكم من الفسق وعن
ابي بكر رضي الله عنه ان هذه الآية قرئت بين يديه وعنده قوم من اهل اليمامة فبكوا بكاء شديدا فنظر اليهم فقال
هكذا كنا حتى قست القلوب وقرئ نزل وأنزل وأنزل ولا تكونوا عطف على تخشع وقرئ بالتاء على الالتفات
ويجوز ان يكون نهيا لهم عن مماثلة اهل الكتاب في قساوة القلوب بعد ان وبخوا وذلك ان بني اسرائيل كان
الحق يحول بينهم وبين شهواتهم واذا سمعوا التوراة والانجيل خشعوا لله ورقت قلوبهم فلما طال عليهم الزمان
غلبهم الجفاء والقسوة واختلفوا واحدثوا ما احدثوا من التحريف وغيره ما معنى لذكر الله
وما نزل من الحق يجوز ان يراد بالذكر وما نزل من الحق لانه جامع بين الامرين للذكر والموعظة
وانه حق نازل من السماء وان يراد خشوعها اذا ذكر الله واذا تلي القرآن كقوله اذا ذكر الله وجلت
قلوبهم واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا اراد بالامد الاجل كقوله اذا انتهى امده وقرئ الأمدّ اي
الوقت الاطول وكثير منهم فاسقون خارجون عن دينهم رافضون لما في الكتابين اعلموا ان الله يحيي الارض بعد
موتها قد بينا لكم الآيات لعلكم تعقلون قيل هذا تمثيل لاثر الذكر في القلوب وانه يحييها كما يحيي الغيث الارض
ان المصدقين والمصدقات المتصدقين المتصدقين وقرئ على الاصل والمصدقين من صدق وهم الذين
صدقوا الله ورسوله يعني المؤمنين علام عطف قوله واقرضوا الله قرضا حسنا
على معنى الفعل في المصدقين لان اللام بمعنى الذين واسم الفاعل بمعنى اصدقوا كانه قيل ان الذين
اصدقوا واقرضوا والقرض الحسن ان يتصدق من الطيب عن طيبة النفس وصحة النية على المستحق
للصدقة وقرئ يضاعف ويضعف بكسر العين اي يضاعف الله لهم ولهم اجر كريم والذين آمنوا بالله ورسله
اولئك هم الصديقون والشهداء عند ربهم يريد ان المؤمنين بالله ورسله هم عند الله بمنزلة الصديقين و
الشهداء وهم الذين سبقوا الى التصديق واستشهدوا في سبيل الله لهم اجرهم ونورهم والذين كفروا
وكذبوا بآياتنا اولئك اصحاب الجحيم اعلموا انما الحيوة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الاموال و
الاولاد كمثل غيث اعجب الكفار نباته ثم يهيج فتراه مصفرا ثم يكون حطاما وفي الآخرة عذاب شديد ومغفرة
من الله ورضوان وما الحيوة الدنيا الا متاع الغرور اي مثل اجر الصديقين والشهداء ومثل نورهم
كيف يسوى بينهم في الاجر ولا بد من التفاوت المعنى ان الله تعالى يعطي المؤمنين
اجرهم ويضاعفه لهم بفضله حتى يساوي اجرهم مع اضعافه اجر اولئك ويجوز ان يكون والشهداء مبتدأ

ولهم اجرهم خبره اراد ان الدنيا ليست الا محقرات من الامور وهي اللعب واللهو والزينة والتفاخر
والتكاثر واما الآخرة فما هي الا امور عظام وهي العذاب الشديد والمغفرة ورضوان الله وشبه حال الدنيا
وسرعة تقضيها مع قلة جدواها بنبات انبته الغيث فاستوى واكتهل واعجب به الكفار الجاحدون لنعمة الله فيما رزقهم
من الغيث والنبات فبعث عليه العاهة فهاج واصفر وصار حطاما عقوبة لهم على جحودهم كما فعل باصحاب
الجنة وصاحب الجنتين وقيل الكفار الزراع وقرئ مصفارا سابقوا الى مغفرة من ربكم وجنة سارعوا
مسارعة المسابقين لاقرانهم في المضمار الى جنة عرضها كعرض السماء والارض اعدت للذين آمنوا بالله ورسله قال
السدي كعرض سبع السموات وسبع الارضين وذكر العرض دون الطول لان كل ما له طول وعرض فان
عرضه اقل من طوله فاذا وصف عرضه بالبسطة عرف ان طوله ابسط وامد ويجوز ان يراد بالعرض البسطة
كقوله فذو دعاء عريض لما حقر الدنيا وصغر امرها وعظم امر الآخرة بعث عباده على المسارعة
الى نيل ما وعد من ذلك وهي المغفرة المنجية من العذاب الشديد والفوز بدخول الجنة ذلك الموعود
من المغفرة والجنة فضل الله وعطاؤه يؤتيه من يشاء وهم المؤمنون والله ذو الفضل العظيم ما اصاب
من مصيبة في الارض ولا في انفسكم المصيبة في الارض نحو الجدب وآفات الزروع والثمار وفي الانفس نحو
الادواء والموت في كتاب في اللوح من قبل ان نبرأها يعني الانفس والمصائب ان ذلك ان تقديره ذلك و
اثباته في كتاب على الله يسير وان كان عسيرا على العباد ثم علل ذلك وبين الحكمة فيه فقال لكيلا
تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم يعني انكم اذا علمتم ان كل شيء مقدر مكتوب عند الله قل اساكم
على الفائت وفرحكم على الآتي لان من علم ان ما عنده مفقود لا محالة لم يتفاقم جزعه عند فقده
لانه وطن نفسه على ذلك وكذلك من علم ان بعض الخير واصل اليه لا يفوته بحال لم يعظم فرحه عند
نيله والله لا يحب كل مختال فخور لان من فرح بحظ من الدنيا وعظم في نفسه اختال وافتخر به وتكبر
على الناس قرئ بما آتاكم وأتاكم من الايتاء والاتيان وفي قراءة ابن مسعود بما اوتيتم
فلا احد يملك نفسه عند مضرة تنزل به ولا عند منفعة ينالها ان لا يحزن ولا يفرح
المراد الحزن المخرج الى ما يذهل صاحبه عن الصبر والتسليم لامر الله ورجاء ثواب الصابرين والفرح
المطغي الملهي عن الشكر فاما الحزن الذي لا يكاد الانسان يخلو منه مع الاستسلام والسرور بنعمة الله و
الاعتداد بها مع الشكر فلا بأس بهما الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل بدل من قوله كل مختال فخور كأنه
قال لا يحب الذين يبخلون يريد الذين يفرحون الفرح المطغي اذا رزقوا مالا وحظا من الدنيا فلحبهم
له وعزته عندهم وعظمه في عيونهم يزوونه عن حقوق الله ويبخلون به ولا يكفيهم انهم بخلوا حتى يحملوا

الناس على البخل ويرغبونهم في الإمساك ويزينونه لهم وذلك كله نتيجة فرحهم به وبطرهم عند إصابته
ومن يتول عن أوامر الله ونواهيه ولم ينته عما نهي عنه من الأسى على الفائت والفرح بالآتي فإن الله غني عنه

هو الغني الحميد

وقرئ بالبخل وقرأ نافع فإن الله الغني بدون هو وهو في مصاحف أهل المدينة والشام كذلك لقد أرسلنا رسلنا
يعني الملائكة إلى الأنبياء بالبينات بالحجج والمعجزات وأنزلنا معهم الكتاب أي الوحي والميزان ليقوم الناس بالقسط روي
أن جبريل نزل بالميزان فدفعه إلى نوح عليه السلام وقال له مر قومك يزنوا به وأنزلنا الحديد قيل نزل
آدم من الجنة ومعه خمسة أشياء من حديد السندان والكلبتان والميقعة والمطرقة والإبرة و
روي ومعه المر والمسحاة وعن النبي صلى الله عليه وسلم إن الله تعالى أنزل أربع بركات من السماء إلى
الأرض أنزل الحديد والنار والملح والماء وعن الحسن وأنزلنا الحديد خلقناه كقوله وأنزل لكم من الأنعام
وذلك أن أوامره تنزل من السماء وقضاياه وأحكامه فيه بأس شديد وهو القتال به ومنافع للناس في
معايشهم ومصالحهم فما من صناعة إلا والحديد آلة فيها أو ما يعمل بالحديد وليعلم الله من ينصره ورسله
باستعمال السيوف والرماح وسائر السلاح في مجاهدة أعداء الدين بالغيب غائبا عنهم قال ابن عباس
ينصرونه ولا يبصرونه إن الله قوي عزيز غني بقدرته وعزته في إهلاك من يريد هلاكه عنهم وإنما كلفهم
الجهاد لينتفعوا به ويصلوا بامتثال الأمر فيه إلى الثواب ولقد أرسلنا نوحا وإبراهيم وجعلنا في ذريتهما
النبوة والكتاب والوحي وعن ابن عباس الخط بالقلم يقال كتب كتابا وكتابة فمنهم مهتد وكثير منهم فاسقون
فمن الذرية أو من المرسل إليهم وقد دل عليهم ذكر الإرسال والمرسلين وهذا تفصيل لحالهم أي فمنهم مهتد
ومنهم فاسق والغلبة للفساق ثم قفينا على آثارهم برسلنا وقفينا بعيسى ابن مريم وآتيناه الإنجيل
وجعلنا في قلوب الذين اتبعوه رأفة ورحمة ورهبانية ابتدعوها قرأ الحسن الإنجيل بفتح الهمزة وأمره أهون
من أمر البرطيل والسكينة فيمن رواهما بفتح الفاء لأن الكلمة أعجمية لا يلزم فيها حفظ أبنية العرب
وقرئ رآفة على فعالة أي وفقناهم للتراحم والتعاطف بينهم ونحوه في صفة أصحاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم رحماء بينهم والرهبانية ترهبهم في الجبال فارين من الفتنة في الدين مخلصين
أنفسهم للعبادة وذلك أن الجبابرة ظهروا على المؤمنين بعد موت عيسى عليه السلام فقاتلوهم ثلاث مرات
فقتلوا حتى لم يبق منهم إلا القليل فخافوا أن يفتنوا في دينهم فاختاروا الرهبانية ومعناها الفعلة
المنسوبة إلى الرهبان وهو الخائف فعلان من رهب كخشيان من خشي وقرئ ورهبانية بالضم كأنها
نسبة إلى الرهبان وهو جمع راهب كراكب وركبان وانتصابها بفعل مضمر يفسره الظاهر تقديره وابتدعوا
رهبانية ابتدعوها يعني وأحدثوها من عند أنفسهم ونذروها ما كتبناها عليهم لم نفرضها نحن

عليهم إلا ابتغاء رضوان الله استثناء منقطع أي ولكنهم ابتدعوها ابتغاء رضوان الله فما رعوها حق رعايتها
كما يجب على الناذر رعاية نذره لأنه عهد مع الله لا يحل نكثه فآتينا الذين آمنوا يريد أهل الرحمة والرأفة الذين
اتبعوا عيسى منهم أجرهم وكثير منهم فاسقون الذين لم يحافظوا على نذرهم ويجوز أن تكون الرهبانية معطوفة
على ما قبلها وابتدعوها صفة لها في محل النصب أي وجعلنا في قلوبهم رأفة ورحمة ورهبانية مبتدعة
من عندهم بمعنى وفقناهم للتراحم بينهم ولابتداع الرهبانية واستحداثها ما كتبناها عليهم إلا ليبتغوا بها
رضوان الله ويستحقوا بها الثواب على أنه كتبها عليهم وألزمها إياهم ليتخلصوا من الفتن ويبتغوا بذلك رضا
الله وثوابه فما رعوها حق رعايتها ولكن بعضهم فآتينا المؤمنين المراعين منهم للرهبانية أجرهم وكثير
منهم فاسقون وهم الذين لم يرعوها يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وآمنوا برسوله يجوز أن يكون خطابا للذين آمنوا
من أهل الكتاب والذين آمنوا من غيرهم فإن كان خطابا لمؤمني أهل الكتاب فالمعنى يا أيها الذين آمنوا بموسى
وعيسى آمنوا بمحمد يؤتكم الله كفلين من رحمته أي نصيبين لإيمانكم بمحمد وإيمانكم بمن قبله
ويجعل لكم يوم القيامة نورا تمشون به وهو النور المذكور في قوله يسعى نورهم ويغفر لكم والله غفور رحيم ما أسلفتم
من الكفر والمعاصي لئلا يعلم ليعلم أهل الكتاب الذين لم يسلموا ولا مزيدة ألا يقدرون

على شيء من فضل

وأن مخففة من المثقلة أصله أنه لا يقدرون يعني أن الشأن لا يقدرون على شيء من فضل الله أي لا
ينالون شيئا مما ذكر من فضله من الكفلين والنور والمغفرة لأنهم لم يؤمنوا برسول الله
فلم ينفعهم إيمانهم بمن قبله ولم يكسبهم فضلا قط وإن كان خطابا لغيرهم فالمعنى اتقوا الله و
اثبتوا على إيمانكم برسول الله يؤتكم ما وعد من آمن من أهل الكتاب من الكفلين في قوله أولئك يؤتون
أجرهم مرتين ولا ينقصكم من مثل أجرهم لأنكم مثلهم في الإيمانين لا تفرقون بين أحد من رسله روي
أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث جعفرا رضي الله عنه في سبعين راكبا إلى النجاشي يدعوه فقدم
جعفر عليه فدعاه فاستجاب له فقال ناس ممن آمن من أهل مملكته وهم أربعون رجلا ائذن لنا في
الوفادة على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأذن لهم فقدموا مع جعفر وقد تهيأ لوقعة أحد
فلما رأوا بالمسلمين من خصاصة استأذنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فرجعوا وقدموا بأموال لهم
فآسوا بها المسلمين فأنزل الله الذين آتيناهم الكتاب إلى قوله يؤتون أجرهم مرتين فخروا على المسلمين
وقالوا أما من آمن بكتابكم وكتابنا فله أجر مرتين وأما من لم يؤمن بكتابكم فله أجر كأجركم فما فضلكم
علينا فنزلت وقرئ لكي يعلم ولكيلا يعلم وليعلم ولأن يعلم بإدغام النون في الياء وليعلم بقلب
الهمزة ياء وإدغام النون في الياء وعن الحسن ليلا يعلم بفتح اللام وسكون الياء ورواه قطرب

بكسر اللام وقيل في وجهها حذفت همزة ان وادغمت نونها في لام لا فصار للا ثم ابدلت من اللام
المدغمة ياء كقولهم ديوان وقيراط ومن فتح اللام فعلى ان اصل لام الجر الفتح كما انشد اريد لانسى ذكرها
وقرئ ان لا يقدروا وان الفضل بيد الله في ملكه وتصرفه واليد مثل يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم
ولا يشاء الا اعطاء من يستحقه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الحديد كتب من الذين
آمنوا بالله ورسله

سورة المجادلة مدنية وهي ثنتان وعشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم قد سمع الله قول التي تجادلك قالت عائشة رضي الله عنها الحمد لله
الذي وسع سمعه الاصوات لقد كلمت المجادلة رسول الله صلى الله عليه وسلم في جانب البيت وانا عنده
لا اسمع وقد سمع لها وعن عمر رضي الله عنه انه كان اذا دخلت عليه اكرمها وقال قد سمع الله لها وقرئ
تحاورك اي تراجعك الكلام وتجادلك اي تسائلك وهي خولة بنت ثعلبة امراة اوس بن الصامت
اخي عبادة رآها وهي تصلي وكانت حسنة الجسم فلما سلمت راودها فابت فغضب وكان به خفة
ولمم فظاهر منها فاتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت ان اوسا تزوجني وانا شابة
مرغوب فيّ فلما خلا سني ونثرت بطني اي كثر ولدي جعلني عليه كامه وروي انها قالت له ان
لي صبية صغارا ان ضممتهم اليه ضاعوا وان ضممتهم اليّ جاعوا فقال ما عندي في امرك شيء و
روي انه قال لها حرمت عليه فقالت يا رسول الله ما ذكر طلاقا وانما هو ابو ولدي واحب الناس
اليّ فقال حرمت عليه فقالت اشكو الى الله فاقتي ووجدي كلما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
حرمت عليه هتفت وشكت الى الله فنزلت في زوجها وتشتكي الى الله والله يسمع تحاوركما في شانه
ومعناه ان الله سميع بصير يصح ان يسمع كل مسموع ويبصر كل مبصر ما معنى قد
في قوله قد سمع الله معناه التوقع لان رسول الله صلى الله عليه وسلم والمجادلة كانا
يتوقعان ان يسمع الله مجادلتها وشكواها وينزل في ذلك ما يفرج عنها الذين يظاهرون منكم
من نسائهم في منكم توبيخ للعرب وتهجين لعادتهم في الظهار لانه كان من ايمان اهل جاهليتهم
خاصة دون سائر الامم ما هن امهاتهم وقرئ بالرفع على اللغتين الحجازية والتميمية وفي قراءة ابن
مسعود بامهاتهم وزيادة الباء في لغة من ينصب والمعنى ان من يقول لامراته انت علي كظهر امي
ملحق في كلامه هذا للزوج بالام وجاعلها مثلها وهذا تشبيه باطل لتباين الحالين ان امهاتهم الا اللائي
ولدنهم يريد ان الامهات على الحقيقة انما هن الوالدات وغيرهن ملحقات بهن لدخولهن في حكمهن فالمرضعات
امهات لانهن لما ارضعن دخلن بالرضاع في حكم الامهات وكذلك ازواج رسول الله صلى الله عليه وسلم

امهات المؤمنين لان الله حرم نكاحهن على الامة فدخلن بذلك في حكم الامهات واما الزوجات فابعد شيء
من الامومة لانهن لسن بامهات على الحقيقة ولا بداخلات في حكم الامهات فكان قول المظاهر منكرا من
القول تنكره الحقيقة وتنكره الاحكام الشرعية وزورا وكذبا باطلا منحرفا عن الحق وان الله لعفو غفور
لما سلف منه اذا تيب عنه ولم يعد اليه ثم قال والذين يظاهرون من نسائهم ثم يعودون لما قالوا فتحرير رقبة
من قبل ان يتماسا فمن لم يستطع فاطعام ستين مسكينا يعني والذين كانت عادتهم ان يقولوا هذا القول المنكر
فقطعوه بالاسلام ثم يعودون لمثله فكفارة من عاد ان يحرر رقبة ثم يماس المظاهر منها لا تحل له
مماستها الا بعد تقديم الكفارة ووجه آخر ثم يعودون لما قالوا ثم يتداركون ما قالوا لان المتدارك
للامر عائد اليه ومنه المثل عاد غيث على ما افسد اي تداركه بالاصلاح والمعنى ان تدارك هذا
القول وتلافيه بان يكفر حتى يرجع حالهما كما كانت قبل الظهار ووجه ثالث وهو ان يراد بما قالوا
ما حرموه على انفسهم بلفظ الظهار تنزيلا للقول منزلة المقول فيه نحو ما ذكر في قوله تعالى ونرثه ما يقول
ويكون المعنى ثم يريدون العود للتماس والمماسة الاستمتاع بها من جماع او لمس بشهوة او نظر
الى فرجها بشهوة ذلكم الحكم توعظون به والله بما تعملون خبير فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين من
قبل ان يتماسا فمن لم يستطع فاطعام ستين مسكينا ذلك لتؤمنوا بالله ورسوله لان الحكم بالكفارة دليل
على ارتكاب الجناية فيجب ان تتعظوا بهذا الحكم حتى لا تعودوا الى الظهار وتخافوا عقاب الله عليه
هل يصح الظهار بغير هذا اللفظ نعم اذا وضع مكان انت عضوا منها يعبر به
عن الجملة كالراس والوجه والرقبة والفرج او مكان الظهر عضوا آخر يحرم النظر اليه من الام كالبطن
والفخذ او مكان الام ذات رحم محرم منه من نسب او رضاع او صهر او جماع نحو ان يقول انت علي كظهر
اختي من الرضاع او عمتي من النسب او امراة ابني او ابي او ام امراتي او ابنتها فهو مظاهر وهو مذهب ابي حنيفة
رحمه الله واصحابه وعن الحسن والنخعي والزهري والاوزاعي والثوري وغيرهم نحوه وقال الشافعي رحمه الله
لا يكون الظهار الا بالام وحدها وهو قول قتادة والشعبي لم ينس الله ان يذكر البنات والاخوات
والعمات والخالات اذ اخبر ان الظهار انما يكون بالامهات الوالدات دون المرضعات وعن بعضهم
لا بد من ذكر الظهر حتى يكون ظهارا فاذا امتنع المظاهر من الكفارة هل للمراة ان ترافعه
لها ذلك وعلى القاضي ان يجبره على ان يكفر وان يحبسه ولا شيء من الكفارات يجبر عليه
ويحبس الا كفارة الظهار وحدها لانه يضر بها في ترك التكفير والامتناع من الاستمتاع فيلزم
ايفاء حقها فان مس قبل ان يكفر عليه ان يستغفر ولا يعود حتى يكفر

لما روي ان سلمة بن صخر البياضي قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ظاهرت من امراتي ثم ابصرت
خلخالها في ليلة قمراء فواقعتها فقال عليه السلام استغفر ربك ولا تعد حتى تكفر
اي رقبة تجزئ في كفارة الظهار المسلمة والكافرة جميعا لانها في الاية مطلقة وعند
الشافعي رحمه الله لا تجزئ الا المؤمنة لقوله تعالى في كفارة القتل فتحرير رقبة مؤمنة ولا تجزئ ام
الولد والمدبر والمكاتب الذي ادى شيئا فان لم يؤد جاز وعند الشافعي لا يجوز
فان اعتق بعض الرقبة او صام بعض الصيام ثم مس عليه ان يستانف نهارا مس او ليلا
ناسيا او عامدا عند ابي حنيفة وعند ابي يوسف ومحمد عتق بعض الرقبة عتق كلها فيجزيه وان كان
المس يفسد الصوم استقبل والا بنى لم يعط المسكين في الاطعام نصف
صاع من بر او صاعا من غيره عند ابي حنيفة وعند الشافعي مدا من طعام بلده الذي يقتات فيه
ما بال التماس لم يذكر عند الكفارة بالاطعام كما ذكر عند الكفارتين اختلف
في ذلك فعند ابي حنيفة انه لا فرق بين الكفارات الثلث في وجوب تقدمها على المساس وانما ترك ذكره
عند الاطعام دلالة على انه اذا وجد في خلال الاطعام لم يستانف كما يستانف الصوم اذا وقع
في خلاله وعند غيره لم يذكر للدلالة على ان التكفير قبله وبعده سواء الضمير في ان يتماسا
(هامش: وعندهم صح)
الا م يرجع الى ما دل عليه الكلام من المظاهر والمظاهر منها ذلك البيان والتعليم للاحكام
والتنبيه عليها لتصدقوا بالله ورسوله في العمل بشرائعه التي شرعها من الظهار وغيره ورفض ما كنتم
عليه في جاهليتكم وتلك حدود الله التي لا يجوز تعديها وللكافرين الذين لا يتبعونها ولا يعملون عليها
عذاب اليم ان الذين يحادون الله ورسوله يحادون يعادون ويشاقون كبتوا كما كبت الذين من قبلهم
اخزوا واهلكوا كما كبت من قبلهم من اعداء الرسل قيل اريد كبتهم يوم الخندق وقد انزلنا ايات
بينات تدل على صدق الرسول وصحة ما جاء به وللكافرين بهذه الايات عذاب مهين يذهب
بعزهم وكبرهم يوم يبعثهم الله منصوب بلهم او بمهين او باضمار اذكر تعظيما لليوم جميعا كلهم لا يترك
منهم احد غير مبعوث او مجتمعين في حال واحدة كما تقول حي جميع فينبئهم بما عملوا تخجيلا لهم وتوبيخا
وتشهيرا بحالهم يتمنون عنده المسارعة بهم الى النار لما يلحقهم من الخزي على رؤوس الاشهاد احصاه
الله احاط به عددا لم يفته منه شيء ونسوه والله على كل شيء شهيد الم تر ان الله يعلم ما
في السماوات وما في الارض ما يكون من نجوى ثلثة الا هو رابعهم ولا خمسة الا هو سادسهم لانهم تناجوا به
حين ارتكبوه ولم يبالوا به لضراوتهم بالمعاصي وانما تحفظ معظمات الامور ما يكون من كان التامة

وقرئ بالياء والتاء على ان النجوى تانيثها غير حقيقي ومن فاصلة او على ان المعنى ما يكون شيء
من النجوى والنجوى التناجي فلا يخلو اما ان تكون مضافة الى ثلثة اي من نجوى ثلثة نفر او موصوفة
بها اي من اهل نجوى ثلثة فحذف الاهل او جعلوا نجوى في انفسهم مبالغة كقوله خلصوا نجيا وقرا
ابن عبلة ثلثة وخمسة بالنصب على الحال باضمار يتناجون لان نجوى يدل عليه او على تاويل نجوى بمتناجين
ونصبها من المستكن ما الداعي الى تخصيص الثلثة والخمسة فيه وجهان احدهما
ان قوما من المنافقين تحلقوا للتناجي مغايظة للمؤمنين على هذين العددين ثلثة وخمسة فقيل ما
يتناجى منهم ثلثة ولا خمسة كما ترونهم يتناجون كذلك ولا ادنى من عددهم ولا اكثر الا والله يسمع ما
(هامش: معهم صح)
يقولون فقد روي عن ابن عباس انها نزلت في ربيعة وحبيب ابني عمرو وصفوان بن امية كانوا يوما
يتحدثون فقال احدهم اترى ان الله يعلم ما نقول فقال الاخر يعلم بعضا ولا يعلم بعضا وقال الثالث
ان كان يعلم بعضا فهو يعلمه كله وصدق لان من يعلم بعض الاشياء بغير سبب فقد علمها كلها لان كونه
عالما بغير سبب ثابت له مع كل معلوم والثاني انه قصد ان يذكر ما جرت عليه العادة من اعداد اهل
النجوى والمتخالين للشورى والمندوبون لذلك ليسوا بكل احد وانما هم طائفة مجتباة من اولي النهى
والاحلام ورهط من اهل الراي والتجارب واول عددهم الاثنان فصاعدا الى خمسة الى ستة الى
ما اقتضته الحال وحكم به الاستصواب الا ترى الى عمر بن الخطاب رضي الله عنه كيف ترك الامر شورى
بين ستة ولم يتجاوز بها الى سابع فذكر عز وعلا الثلثة والخمسة فقال ولا ادنى من ذلك فدل على الاثنين
والاربعة ولا اكثر فدل على ما يلي هذا العدد ويقاربه وفي مصحف عبد الله الا الله رابعهم ولا اربعة
الا الله خامسهم ولا خمسة الا الله سادسهم ولا اقل من ذلك ولا اكثر الا الله معهم اذا انتجوا وقرئ
(هامش: خامسهم)
ولا ادنى من ذلك ولا اكثر بالنصب على ان لا لنفي الجنس ويجوز ان يكون ولا اكثر بالرفع معطوفا على محل لا
مع ادنى كقولك لا حول ولا قوة الا بالله بفتح الحول ورفع القوة ويجوز ان يكونا مرفوعين على الابتداء كقولك
لا حول ولا قوة الا بالله وان يكون ارتفاعهما عطفا على محل من نجوى كانه قيل ما يكون ادنى ولا اكثر الا
هو معهم ويجوز ان يكونا مجرورين عطفا على نجوى كانه قيل ما يكون ادنى ولا اكثر الا هو معهم وقرئ و
(هامش: من صح)
لا اكبر بالباء ومعنى كونه معهم انه يعلم ما يتناجون به ولا يخفى عليه ما هم فيه فكانه مشاهدهم و
محاضرهم وقد تعالى عن المكان والمشاهدة اينما كانوا ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيامة ان الله بكل شيء عليم
وقرئ ثم ينبئهم على التخفيف كانت اليهود والمنافقون يتناجون فيما بينهم ويتغامزون باعينهم
اذا راوا المؤمنين يريدون ان يغيظوهم فنهاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فعادوا لمثل فعلهم

وكان تناجيهم بما هو اثم وعدوان للمؤمنين وتواص بمعصية الرسول ومخالفته وقرئ ينتجون بالاثم والعدوان
بكسر العين ومعصيات الرسول الم تر الى الذين نهوا عن النجوى ثم يعودون لما نهوا عنه ويتناجون بالاثم والعدوان
ومعصية الرسول واذا جاءوك حيوك بما لم يحيك به الله يعني انهم يقولون في تحيتك السام عليك يا محمد والسام
الموت والله تعالى يقول وسلام على عباده الذين اصطفى و يا ايها الرسول و يا ايها النبي ويقولون في انفسهم
لولا يعذبنا الله بما نقول كانوا يقولون ماله ان كان نبيا لا يدعو علينا حتى يعذبنا الله بما نقول فقال حسبهم
جهنم عذابا يصلونها فبئس المصير يا ايها الذين آمنوا خطاب للمنافقين الذين آمنوا بالسنتهم ويجوز ان يكون
للمؤمنين اى اذا تناجيتم فلا تتناجوا بالاثم والعدوان ومعصية الرسول فلا تشبهوا باولئك في تناجيهم بالشر
وتناجوا بالبر والتقوى واتقوا الله الذي اليه تحشرون وعن النبي صلى الله عليه وسلم اذا كنتم ثلثة فلا يتناج
اثنان دون صاحبهما فان ذلك يحزنه وروي دون الثالث وقرئ فلا تناجوا وعن ابن مسعود اذا انتجيتم
فلا تنتجوا انما النجوى اللام اشارة الى النجوى بالاثم والعدوان بدليل قوله ليحزن الذين آمنوا والمعنى ان الشيطان
يزينها لهم فكانها منه ليغيظ الذين آمنوا ويحزنهم وليس الشيطان او الحزن بضارهم شيئا الا باذن الله
وعلى الله فليتوكل المؤمنون كيف لا يضرهم الشيطان او الحزن الا باذن الله كانوا
يوهمون المؤمنين في نجواهم وتغامزهم ان غزاتهم غلبوا وان اقاربهم قتلوا فقال لا يضرهم الشيطان او
الحزن بذلك التوهم الا باذن الله اى بمشيئته وهو ان يقضي الموت على اقاربهم او الغلبة على الغزاة وقرئ
ليحزن وليحزن يا ايها الذين آمنوا اذا قيل لكم تفسحوا في المجلس توسعوا فيه وليفسح بعضكم عن بعض من قولهم
افسح عني اى تنح ولا تتضاموا وقرئ تفاسحوا والمراد مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانوا يتضامون
فيه تنافسا على القرب منه وحرصا على استماع كلامه وقيل هو المجلس من مجالس القتال وهي مراكز
الغزاة كقوله مقاعد للقتال وقرئ في المجالس قيل كان الرجل ياتي الصف فيقول تفسحوا فيابون لحرصهم
على الشهادة وقرئ في المجلس بفتح اللام وهو الجلوس اى توسعوا في جلوسكم ولا تتضايقوا فيه فافسحوا يفسح الله
لكم مطلق في كل ما يبتغي الناس الفسحة فيه من المكان والرزق والصدر والقبر وغيرها واذا قيل انشزوا
فانشزوا يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين اوتوا العلم انشزوا انهضوا للتوسعة على المقبلين او انهضوا
عن مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا امرتم بالنهوض عنه ولا تملوا رسول الله بالارتكاز فيه او انهضوا الى
الصلاة والجهاد واعمال الخير اذا استنهضتم ولا تثبطوا ولا تفرطوا يرفع الله المؤمنين بامتثال اوامره
واوامر رسوله والعالمين منهم خاصة درجات والله بما تعملون خبير قرئ بالتاء والياء وعن عبد الله بن
مسعود انه كان اذا قرأها قال يا ايها الناس افهموا هذه الآية ولترغبكم في العلم وعن النبي صلى الله عليه وسلم

بين العالم والعابد مائة درجة بين كل درجتين حضر الجواد المضمر سبعين سنة وعنه عليه السلام
فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب وعنه عليه السلام يشفع يوم القيمة
ثلثة الانبياء ثم العلماء ثم الشهداء فاعظم بمرتبة هي واسطة بين النبوة والشهادة بشهادة رسول
الله صلى الله عليه وسلم وعن ابن عباس خير سليمان عليه السلام بين العلم والمال والملك فاختار العلم
فاعطي المال والملك معه وقال عليه السلام اوحى الله عز وجل الى ابرهيم يا ابرهيم انى عليم احب كل عليم
وعن بعض الحكماء ليت شعري اى شيء ادرك من فاته العلم واى شيء فات من ادرك العلم وعن الاحنف
كاد العلماء يكونون اربابا وكل عز لم يوطد بعلم فالى ذل ما يصير وعن الزهري العلم ذكر فلا يحبه
الا ذكورة الرجال يا ايها الذين آمنوا اذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدي نجواكم صدقة استعارة ممن
له يدان والمعنى قبل نجواكم كقول عمر من افضل ما اوتيت العرب الشعر يقدمه الرجل امام حاجته
فيستمطر به الكريم ويستنزل به اللئيم يريد قبل حاجته ذلكم التقديم خير لكم في دينكم واطهر فان لم تجدوا فان
الله غفور رحيم لان الصدقة طهرة روي ان الناس اكثروا مناجاة رسول الله صلى الله عليه وسلم بما
يريدون حتى املوه وابرموه فاريد ان يكفوا عن ذلك فامروا بان من اراد ان يناجيه قدم قبل مناجاته
صدقة قال علي رضي الله عنه لما نزلت دعاني رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما تقول في دينار
قلت لا يطيقونه قال كم قلت حبة او شعيرة قال انك لزهيد فلما راوا ذلك اشتد عليهم فارتدعوا
وكفوا اما الفقير فلعسرته واما الغني فلشحه وقيل كان ذلك عشر ليال ثم نسخ وقيل ما كان الا
ساعة من نهار وعن علي رضي الله عنه ان في كتاب الله لآية ما عمل بها احد قبلي ولا يعمل بها احد بعدي
كان لي دينار فصرفته فكنت اذا ناجيته تصدقت بدرهم قال الكلبي تصدق به في عشر كلمات
سالهن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن ابن عمر كان لعلي ثلاث لو كانت لي واحدة كانت احب الي
من حمر النعم تزوجه فاطمة واعطاؤه الراية يوم خيبر وآية النجوى قال ابن عباس هي منسوخة
بالآية التي بعدها وقيل هي منسوخة بالزكوة ءاشفقتم ان تقدموا بين يدي نجواكم صدقات اخفتم
تقديم الصدقات لما فيه من الانفاق الذي تكرهونه وان الشيطان يعدكم الفقر ويامركم
بالفحشاء فاذ لم تفعلوا ما امرتم به وشق عليكم وتاب الله عليكم فاقيموا الصلوة وآتوا الزكوة
واطيعوا الله ورسوله والله خبير وعذركم ورخص لكم في ان لا تفعلوا فلا تفرطوا في الصلوة و
الزكوة وسائر الطاعات بما تعملون قرئ بالياء والتاء الم تر الى الذين تولوا قوما غضب الله عليهم كان
المنافقون يتولون اليهود وهم الذين غضب الله عليهم في قوله من لعنه الله وغضب عليه ويناصحونهم

ويبقلون اليهم اسرار المؤمنين ما هم منكم يا مسلمين ولا منهم ولا من اليهود كقوله مذبذبين بين ذلك لا
الى هؤلاء ولا الى هؤلاء ويحلفون على الكذب اى يقولون والله انا لمسلمون فيحلفون على الكذب الذى هو ادعاء
الاسلام وهم يعلمون ان المحلوف عليه كذب بحت فان قلت ما فائدة قوله وهم يعلمون
قلت الكذب ان يكون الخبر لا على وفق المخبر عنه سواء علم المخبر او لم يعلم فالمعنى انهم الذين يخبرون و
خبرهم خلاف ما يخبرون عنه وهم عالمون بذلك متعمدون له كمن يحلف بالغموس وقيل كان عبد الله
بن نبتل المنافق يجالس رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم يرفع حديثه الى اليهود فبينا رسول الله صلى
الله عليه وسلم فى حجرة من حجره اذ قال يدخل عليكم الآن رجل قلبه قلب جبار وينظر بعين شيطان
فدخل ابن نبتل وكان ازرق فقال له النبى صلى الله عليه وسلم علام تشتمنى انت واصحابك فحلف بالله
ما فعل فقال عليه السلام فعلت فانطلق فجاء باصحابه فحلفوا بالله ما سبوه فنزلت اعد الله لهم
عذابا شديدا نوعا من العذاب متفاقما انهم ساء ما كانوا يعملون يعنى انهم كانوا فى الزمان الماضى
المتطاول على سوء العمل مصرين عليه او هى حكاية ما يقال لهم فى الآخرة وقرئ ايمانهم بالكسر اى
اتخذوا ايمانهم التى حلفوا بها او ايمانهم الذى اظهروه جنة اى سترة يستترون بها من المؤمنين و
من قتلهم فصدوا الناس فى خلال امنهم وسلامتهم عن سبيل الله وكانوا يثبطون من لقوا عن الدخول
فى الاسلام ويضعفون امر المسلمين عندهم وانما وعدهم الله العذاب المهين المخزى لكفرهم وصدهم
كقوله الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله زدناهم عذابا فوق العذاب لن تغنى عنهم اموالهم و
لا اولادهم من الله شيئا اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون من الله من عذاب الله شيئا قليلا
من الاغناء روى ان رجلا منهم قال لننصرن يوم القيمة بانفسنا واموالنا واولادنا يوم يبعثهم
الله جميعا فيحلفون له لله تعالى انهم مسلمون فى الآخرة كما يحلفون لكم فى الدنيا على ذلك ويحسبون
انهم على شئ من النفع يعنى ليس العجب من حلفهم لكم فانكم بشر يخفى عليكم السرائر وان لهم نفعا فى
ذلك دفعا عن ارواحهم واستجرار فوائد دنياوية وانهم يفعلونه فى دار لا يضطرون فيها الى
علم ما يوعدون ولكن العجب من حلفهم لله عالم الغيب والشهادة مع عدم النفع والاضطرار الى علم
ما انذرتهم الرسل والمراد وصفهم بالتوغل فى نفاقهم ومرونهم عليه وان ذلك بعد موتهم
وبعثهم باق فيهم لا يضمحل كما قال ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وقد اختلف العلماء فى
كذبهم فى الآخرة والقرآن ناطق بثباته نطقا مكشوفا كما ترى فى هذه الآية وفى قوله تعالى
والله ربنا ما كنا مشركين انظر كيف كذبوا على انفسهم وضل عنهم ما كانوا يفترون ويحسبانهم

فلهم عذاب مهين

انهم على شئ من النفع اذا حلفوا استنظارهم المؤمنين ليقتبسوا من نورهم لحسبانهم ان الايمان الظاهر
مما ينفعهم وقيل عند ذلك يختم على افواههم الا انهم هم الكاذبون يعنى انهم الغاية التى لا مطمح وراءها
فى قول الكذب حيث استوت حالهم فيه فى الدنيا والآخرة استحوذ عليهم استولى عليهم من حاذ الحمار
العانات اذا جمعها وساقها غالبا لها ومنه كان احوذيا نسيج وحده وهو احد ما جاء على الاصل نحو
استصوب واستنوق اى ملكهم الشيطان لطاعتهم له فى كل ما يريده منهم حتى جعلهم رعيته وحزبه
فانساهم ذكر الله اولئك حزب الشيطان الا ان حزب الشيطان هم الخاسرون ان يذكروا الله اصلا لا
بقلوبهم ولا بالسنتهم قال ابو عبيدة حزب الشيطان جنده ان الذين يحادون الله ورسوله اولئك
فى الاذلين فى جملة من هو اذل خلق الله لا ترى احدا اذل منهم كتب الله فى اللوح لاغلبن انا ورسلى
بالحجة والسيف او باحدهما ان الله قوى عزيز لا تجد قوما من باب التخييل خيل ان من الممتنع المحال
ان تجد قوما مؤمنين يوالون المشركين والغرض به انه لا ينبغى ان يكون ذلك وحقه ان يمتنع و
لا يوجد بحال مبالغة فى النهى عنه والزجر عن ملابسته والتوصية بالتصلب فى مجانبة اعداء الله
ومباعدتهم والاحتراس من مخالطتهم ومعاشرتهم وزاد ذلك توكيدا وتشديدا بقوله يؤمنون بالله و
اليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم او ابناءهم او اخوانهم او عشيرتهم ولو كانوا آباءهم
وبقوله اولئك كتب فى قلوبهم الايمان وبمقابلة قوله اولئك حزب الشيطان بقوله اولئك حزب الله فلا
تجد شيئا ادخل فى الاخلاص من موالاة اولياء الله ومعاداة اعدائه بل هو الاخلاص بعينه
اولئك كتب فى قلوبهم الايمان اثبته فيها بما وفقهم فيه وشرح صدورهم وايدهم بروح منه ويدخلهم جنات تجرى
من تحتها الانهار خالدين فيها رضى الله عنهم ورضوا عنه اولئك حزب الله الا ان حزب الله هم المفلحون بلطف
من عنده حييت به قلوبهم ويجوز ان يكون الضمير للايمان اى بروح من الايمان على ان الايمان روح الحيوة
القلوب به وعن الثورى انه قال كانوا يرون انها نزلت فيمن يصحب السلطان وعن عبد العزيز بن
ابى رواد انه لقيه المنصور فى الطواف فلما عرفه هرب منه وتلاها وعن النبى صلى الله عليه وسلم
انه كان يقول اللهم لا تجعل لفاجر ولا لفاسق عندى نعمة فانى اوحيت لا تجد قوما وروى
انها نزلت فى ابى بكر رضى الله عنه وذلك ان ابا قحافة سب رسول الله صلى الله عليه وسلم فصكه
صكة سقط منها فقال له رسول الله او فعلته قال نعم قال لا تعد قال والله لو كان السيف
قريبا منى لقتلته وقيل فى ابى عبيدة بن الجراح قتل اباه عبد الله بن الجراح يوم احد وفى ابى بكر
دعا ابنه يوم بدر الى البراز وقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم دعنى اكن فى الرعلة الاولى قال

زاده

وجدت فيهم

متعنا بنفسك يا ابا بكر اما تعلم انك عندي بمنزلة سمعي وبصري وفي مصعب بن عمير قتل اخاه عبيد بن عمير وفي عمر قتل خاله العاص بن هشام يوم بدر وفي علي وحمزة وعبيدة بن الحارث قتلوا عتبة وشيبة ابني ربيعة والوليد بن عتبة يوم بدر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة المجادلة كتب من حزب الله يوم القيمة

سورة الحشر مدنية وهي اربع وعشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم سبح لله ما في السموات وما في الارض وهو العزيز الحكيم هو الذي اخرج الذين كفروا من اهل الكتاب صالح بنو النضير رسول الله صلى الله عليه وسلم على ان لا يكونوا عليه ولا له فلما ظهر يوم بدر قالوا هو النبي الذي نعته في التورية لا ترد له راية فلما هزم المسلمون يوم احد ارتابوا ونكثوا فخرج كعب بن الاشرف في اربعين راكبا الى مكة فحالفوا عليه قريشا عند الكعبة فامر عليه السلام محمد بن مسلمة الانصاري فقتل كعبا غيلة وكان اخاه من الرضاعة ثم صبحهم بالكتائب وهو على حمار مخطوم بليف فقال لهم اخرجوا من المدينة فقالوا الموت احب الينا من ذلك فتنادوا بالحرب وقيل استمهلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عشرة ايام ليتجهزوا للخروج فدس عبد الله بن ابي المنافق واصحابه اليهم لا تخرجوا من الحصن فان قاتلوكم فنحن معكم لا نخذلكم ولئن خرجتم لنخرجن معكم فدربوا على الازقة وحصنوها فحاصرهم احدى وعشرين ليلة فلما قذف الله الرعب في قلوبهم وايسوا من نصر المنافقين طلبوا الصلح فابى عليهم الا الجلاء على ان يحمل كل ثلثة ابيات على بعير ما شاءوا من متاعهم فجلوا الى الشام الى اريحا واذرعات الا اهل بيتين منهم آل ابي الحقيق وآل حيي بن اخطب فانهم لحقوا بخيبر ولحقت طائفة بالحيرة اللام في لاول الحشر متعلقة باخرج وهي اللام في قوله تعالى يا ليتني قدمت لحيوتي وقوله جئته لوقت كذا والمعنى اخرج الذين كفروا عند اول الحشر ومعنى اول الحشر ان هذا اول حشرهم الى الشام وكانوا من سبط لم يصبهم جلاء قط وهم اول من اخرج من اهل الكتاب من جزيرة العرب الى الشام او هذا اول حشرهم وآخر حشرهم اجلاء عمر اياهم من خيبر الى الشام وقيل آخر حشرهم حشر يوم القيمة لان المحشر يكون بالشام وعن عكرمة من شك ان المحشر ههنا يعني الشام فليقرا هذه الآية وقيل معناه اخرجهم من ديارهم لاول ما حشر لقتالهم لانه اول قتال قاتلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ظننتم ان يخرجوا لشدة باسهم ومنعتهم ووثاقة حصونهم وكثرة عددهم وعدتهم وظنوا انهم مانعتهم حصونهم من الله ان حصونهم تمنعهم من باس الله فاتاهم امر الله من حيث لم يحتسبوا

من حيث لم يظنوا ولم يخطر ببالهم وهو قتل كعب بن الاشرف غرة على يد اخيه وذلك مما اضعف قوتهم وفل من شوكتهم وسلب قلوبهم الامن والطمانينة بما قذف فيها من الرعب والهمهم ان يوافقوا المؤمنين في تخريب بيوتهم ويعينوا على انفسهم وثبط المنافقين الذين كانوا يتولونهم عن مظاهرتهم وهذا كله لم يكن في حسبانهم ومنه اتاهم الهلاك اي فرق بين قولك وظنوا ان حصونهم تمنعهم او مانعتهم وبين النظم الذي جاء عليه في تقديم الخبر على المبتدا دليل على فرط وثوقهم بحصانتها ومنعها اياهم وفي تصيير ضميرهم اسما لان واسناد الجملة اليه دليل على اعتقادهم في انفسهم انهم في عزة ومنعة لا يبالى معها باحد يتعرض لهم او يطمع في معازتهم وليس ذلك في قولك وظنوا ان حصونهم تمنعهم وقرئ فآتاهم الله اي فآتاهم الهلاك وقذف في قلوبهم الرعب يخربون بيوتهم بايديهم والرعب الخوف الذي يرعب الصدر اي يملاه وقذفه اثباته وركزه ومنه قالوا في صفة الاسد مقذف كانما قذف باللحم قذفا لاكتنازه وتداخل اجزائه وقرئ يخربون ويخربون مثقلا ومخففا والتخريب والاخراب الافساد بالنقض والهدم والخربة الفساد كانوا يخربون بواطنها والمسلمون ظواهرها لما اراد الله من استيصال شافتهم وان لا يبقى لهم بالمدينة دار ولا منهم ديار والذي دعاهم الى التخريب حاجتهم الى الخشب والحجارة ليسدوا بها افواه الازقة وان لا يتحسروا بعد جلائهم على بقائها مساكن للمسلمين وان ينقلوا معهم ما كان في ابنيتهم من جيد الخشب والساج المليح واما المؤمنون فداعيهم ازالة متحصنهم ومتمنعهم وان يتسع لهم مجال الحرب فان قلت ما معنى تخريبهم لها بايدي المؤمنين قلت لما عرضوهم لذلك وكانوا السبب فيه فكانهم امروهم به وكلفوهم اياه فاعتبروا يا اولي الابصار ولولا ان كتب الله عليهم الجلاء بما دبر الله ويسر من امر اخراجهم وتسليط المسلمين عليهم من غير قتال وقيل وعد رسول الله صلى الله عليه وسلم المسلمين ان يورثهم الله ارضهم واموالهم بغير قتال فكان كما قال يعني ان الله قد عزم على تطهير ارض المدينة منهم واراحة المسلمين من جوارهم وتوريثهم اموالهم فلولا انه كتب عليهم الجلاء واقتضته حكمته ودعاه الى اختياره انه اشق عليهم من الموت لعذبهم في الدنيا بالقتل كما فعل باخوانهم بني قريظة ولهم في الآخرة سواء اجلوا او قتلوا عذاب النار يعني ان نجوا من عذاب الدنيا لم ينجوا من عذاب الآخرة ذلك بانهم شاقوا الله ورسوله ومن يشاق الله فان الله شديد العقاب ما قطعتم من لينة بيان لما قطعتم ومحل ما نصب بقطعتم كانه قال اي شيء قطعتم وانث الضمير الراجع الى ما في قوله او تركتموها لانه في معنى اللينة واللينة النخلة من

الألوان وهي ضروب النخل ما خلا العجوة والبرنية وهما أجود النخل وياؤها عن واو قلبت لكسرة
ما قبلها كالديمة وقيل اللينة النخلة الكريمة كأنهم اشتقوها من اللين قال ذو الرمة
كأن قتودي فوقها عش طائر على لينة سوقاء تهفو جنوبها وجمعها ليان وقرئ قوما على أصلها
قائما على أصوله
وفيه وجهان أنه جمع أصل كرهن ورهن واكتفى فيه بالضمة عن الواو وقرئ قائما على أصوله
ذهابا إلى لفظ ما فبإذن الله فقطعها بإذن الله وأمره وليخزي الفاسقين وليذل اليهود
ويغيظهم أذن في قطعها وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أمر أن يقطع نخلهم و
يحرق قالوا يا محمد قد كنت تنهى عن الفساد في الأرض فما بال قطع النخل وتحريقها وكان في أنفس
المؤمنين من ذلك شيء فنزلت يعني أن الله أذن لهم في قطعها ليزيدكم غيظا ويضاعف لكم حسرة
إذا رأيتموهم يتحكمون في أموالكم كيف أحبوا ويتصرفون فيها ما شاؤوا واتفق العلماء أن حصون
الكفرة وديارهم لا بأس بأن تهدم وتحرق وتغرق وترمى بالمجانيق وكذلك أشجارهم لا بأس
بقلعها مثمرة كانت أو غير مثمرة وعن ابن مسعود قطعوا منها ما كان موضعا للقتال
لم خصت اللينة بالقطع إن كانت من الألوان فليستبقوا لأنفسهم العجوة والبرنية و
إن كانت من كرام النخل فليكون غيظ اليهود أشد وروي أن رجلين كانا يقطعان أحدهما العجوة
والآخر اللون فسألهما رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال هذا تركتها لرسول الله وقال هذا
قطعتها غيظا للكفار وقد استدل به على جواز الاجتهاد وعلى جوازه بحضرة الرسول لأنهما بالاجتهاد
فعلا ذلك واحتج به من يقول كل مجتهد مصيب وما أفاء الله على رسوله منهم جعله فيئا له خاصة
والإيجاف من الوجيف وهو السير السريع ومنه قوله عليه السلام في الإفاضة من عرفات
ليس البر بإيجاف الخيل ولا إيضاع الإبل على هينتكم فما أوجفتم عليه من خيل ولا ركاب ولكن الله يسلط
رسله على من يشاء والله على كل شيء قدير ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى فلله وللرسول ولذي
القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل فما أوجفتم على تحصيله وتغنمه خيلا ولا ركابا ولا تعبتم
في القتال عليه وإنما مشيتم إليه على أرجلكم والمعنى أن ما خول الله رسوله من أموال بني النضير
شيء لم تحصلوه بالقتال والغلبة ولكن سلطه الله عليهم وعلى ما في أيديهم كما كان يسلط رسله على
أعدائهم فالأمر فيه مفوض إليه يضعه حيث يشاء يعني أنه لا يقسم قسمة الغنائم التي قوتل عليها
وأخذت عنوة وقهرا وذلك أنهم طلبوا القسمة فنزلت لم يدخل العاطف على هذه الجملة لأنها
بيان للأولى فهي منها غير أجنبية عنها بين لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما يصنع بما أفاء الله

عليه وأمره أن يضعه حيث يضع الخمس من الغنائم مقسوما على الأقسام الخمسة والدولة والدولة
بالفتح والضم وقد قرئ بهما ما يدول للإنسان أي يدور من الجد يقال دالت له الدولة وأديلت لفلان
ومعنى قوله كيلا يكون دولة بين الأغنياء منكم كيلا يكون الفيء الذي حقه أن يعطى الفقراء ليكون لهم
بلغة يعيشون بها جدا بين الأغنياء يتكاثرون به أو كيلا يكون دولة جاهلية بينهم ومعنى الدولة
الجاهلية أن الرؤساء منهم كانوا يستأثرون بالغنيمة لأنهم أهل الرياسة والدولة والغلبة و
كانوا يقولون من عز بز والمعنى كيلا يكون أخذه غلبة وأثرة جاهلية ومنه قول الحسن اتخذوا
عباد الله خولا ومال الله دولا يريد من غلب منهم أخذه واستأثر به وقيل الدولة ما يتداول
كالغرفة اسم ما يغترف يعني كيلا يكون الفيء شيئا يتداوله الأغنياء بينهم ويتعاورونه فلا يصيب
الفقراء والدولة بالفتح بمعنى التداول أي كيلا يكون ذا تداول بينهم أو كيلا يكون إمساكه تداولا
بينهم لا يخرجونه إلى الفقراء وقرئ دولة بالرفع على كان التامة كقوله وإن كان ذو عسرة يعني
كيلا يقع دولة جاهلية وليتقطع أثرها أو كيلا يكون تداول له بينهم أو كيلا يكون شيء متعاور
بينهم غير مخرج إلى الفقراء وما آتاكم الرسول من قسمة غنيمة أو فيء فخذوه وما نهاكم عنه عن أخذه منها فانتهوا
عنه ولا تتبعه أنفسكم واتقوا الله أن تخالفوه وتتهاونوا بأوامره ونواهيه إن الله شديد العقاب
لمن خالف رسوله والأجود أن يكون عاما في كل ما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ونهى عنه و
أمر الفيء داخل في عمومه وعن ابن مسعود أنه لقي رجلا محرما وعليه ثيابه فقال له انزع عنك هذا
فقال الرجل اقرأ علي في هذا آية من كتاب الله قال نعم فقرأها عليه للفقراء المهاجرين الذين
أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا بدل من قوله لذي القربى والمعطوف عليه و
الذي منع الإبدال من لله وللرسول والمعطوف عليهما وإن كان المعنى لرسول الله أن الله عز وجل
أخرج رسوله من الفقراء في قوله وينصرون الله ورسوله وأنه يترفع برسول الله عن التسمية بالفقير
وأن الإبدال على ظاهر اللفظ من خلاف الواجب في تعظيم الله عز وجل أولئك هم الصادقون في إيمانهم
وجهادهم والذين تبوؤوا الدار والإيمان معطوف على المهاجرين وهم الأنصار
ما معنى عطف الإيمان على الدار ولا يقال تبوؤوا الإيمان معناه تبوؤوا الدار وأخلصوا
الإيمان كقوله علفتها تبنا وماء باردا أو وجعلوا الإيمان مستقرا ومستوطنا لهم لتمكنهم
منه واستقامتهم عليه كما جعلوا المدينة كذلك أو أراد دار الهجرة ودار الإيمان فأقام لام التعريف
في الدار مقام المضاف إليه وحذف المضاف من دار الإيمان ووضع المضاف إليه مقامه أو سمى

المدينة لانها دار الهجرة ومكان ظهور الايمان بالايمان من قبلهم يحبون من هاجر اليهم من قبل المهاجرين
لانهم سبقوهم في تبوى دار الهجرة والايمان وقيل من قبل هجرتهم ولا يجدون في صدورهم ولا يعلمون في
انفسهم حاجة مما اوتوا ويؤثرون على انفسهم اى طلب محتاج اليه مما اوتى المهاجرون من الفئ وغيره و
المحتاج اليه يسمى حاجة يقال خذ منه حاجتك واعطاه من ماله حاجته يعنى ان نفوسهم لم تتبع
ما اعطوا ولم تطمح الى شئ منه يحتاج اليه ولو كان بهم خصاصة اى خلة واصلها خصاص البيت و
هى فروجه والجملة في موضع الحال اى مفروضة خصاصتهم وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قسم
اموال بنى النضير على المهاجرين ولم يعط الانصار الا ثلثة نفر محتاجين ابا دجانة سماك بن خرشة
وسهل بن حنيف والحارث بن الصمة وقال لهم ان شئتم قسمتم للمهاجرين من اموالكم ودياركم و
شاركتموهم في هذه الغنيمة وان شئتم كانت لكم دياركم واموالكم ولم يقسم لكم شئ من الغنيمة
فقالت الانصار بل نقسم لهم من ديارنا واموالنا ونؤثرهم بالغنيمة ولا نشاركهم فيها فنزلت الشح
بالضم والكسر وقد قرئ بهما اللؤم وان تكون نفس الرجل كزة حريصة على المنع كما يقال
يمارس نفسا بين جنبيه كزة اذا هم بالمعروف قالت له مهلا وقد اضيف الى النفس لانه غريزة
فيها واما البخل فهو المنع نفسه ومنه قوله تعالى واحضرت الانفس الشح ومن يوق شح نفسه ومن
غلب ما امرته به منه وخالف هواها بمعونة الله وتوفيقه فاولئك هم المفلحون الظافرون بما ارادوا
وقرئ ومن يوق والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان ولا
تجعل في قلوبنا عطف ايضا على المهاجرين وهم الذين هاجروا من بعد وقيل التابعون باحسان
غلا وقرئ غمرا وهما الحقد للذين آمنوا ربنا انك رؤف رحيم الم تر الى الذين نافقوا يقولون لاخوانهم الذين
كفروا من اهل الكتاب لئن اخرجتم لنخرجن معكم لاخوانهم الذين بينهم وبينهم اخوة الكفر ولانهم كانوا
يوالونهم ويواخونهم وكانوا معهم على المؤمنين في السر ولا نطيع فيكم في قتالكم احدا ابدا وان قوتلتم لننصرنكم
والله يشهد انهم من رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمين ان حملنا عليه او في خذلانكم واخلاف
ما وعدناكم من النصرة لكاذبون اى في مواعيدهم لليهود وفيه دليل على صحة النبوة لانه اخبار بالغيب
لئن اخرجوا لا يخرجون معهم ولئن قوتلوا لا ينصرونهم كيف قيل ولئن نصروهم ليولن
الادبار بعد الاخبار بانهم لا ينصرونهم معناه ولئن نصروهم على الفرض والتقدير كقوله
لئن اشركت ليحبطن عملك وكما يعلم ما يكون فهو يعلم ما لا يكون لو كان كيف يكون والمعنى وان نصر
المنافقون اليهود لينهزمن المنافقون ثم لا ينصرون بعد ذلك اى يهلكهم الله ولا ينفعهم نفاقهم لظهور

كفرهم او لينهزمن اليهود ثم لا ينفعهم نصرة المنافقين لانتم اشد رهبة مصدر رهب المبنى للمفعول كانه
قيل اشد مرهوبية وقوله في صدورهم دلالة على نفاقهم يعنى انهم يظهرون لكم في العلانية خوف الله و
انتم اهيب في صدورهم من الله كانهم كانوا يرهبون من الله حتى يكون رهبتهم منكم اشد
معناه ان رهبتهم في السر منكم اشد من رهبتهم من الله ويجوز ان يريد ان اليهود يخافونكم
في صدورهم اشد من خوفهم من الله لانهم كانوا قوما اولى باس ونجدة وكانوا يشجعون لهم مع اظهار الخيفة
في صدورهم ذلك بانهم قوم لا يفقهون لا يعلمون الله وعظمته حتى يخشوه حق خشيته لا يقاتلونكم لا يقدرون
على مقاتلتكم جميعا مجتمعين متساندين يعنى اليهود والمنافقين الا في قرى محصنة بالخنادق والدروب
او من وراء جدر دون ان يصحروا لكم ويبارزوكم لقذف الله الرعب في قلوبهم وان تأييد الله ونصرته
معكم وقرئ جدر بالتخفيف وجدار وهما الجدار باسهم بينهم شديد يعنى ان الباس الشديد الذى
يوصفون به انما هو بينهم اذا اقتتلوا ولو قاتلوكم لم يبق لهم ذلك الباس والشدة لان الشجاع يجبن
والعزيز يذل عند محاربة الله ورسوله تحسبهم جميعا مجتمعين ذوى الفة واتحاد وقلوبهم شتى متفرقة
لا الفة بينها يعنى ان بينها احنا وعداوات فلا يتعاضدون حق التعاضد ولا يرمون عن قوس
واحدة وهذا تجسير للمؤمنين وتشجيع لقلوبهم على قتالهم ذلك بانهم قوم لا يعقلون ان تشتت القلوب
مما يوهن قواهم ويعين على ارواحهم كمثل الذين من قبلهم كمثل اهل بدر في زمان قريب
انتصب قريبا بمثل على كوجود مثل اهل بدر قريبا ذاقوا وبال امرهم ولهم عذاب اليم سوء عاقبة كفرهم
وعداوتهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم من قولهم كلأ وبيل وخيم سيئ العاقبة يعنى ذاقوا عذاب
القتل في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب النار مثل المنافقين في اغرائهم اليهود على القتال ووعدهم
اياهم النصر ثم متاركتهم لهم واخلافهم كمثل الشيطان اذ قال للانسان اكفر فلما كفر قال انى برئ منك انى
اخاف الله رب العالمين فكان عاقبتهما انهما في النار خالدين فيها وذلك جزاء الظالمين يا ايها الذين آمنوا اتقوا
الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد واتقوا الله ان الله خبير بما تعملون اذ استغوى الانسان بكيده ثم تبرأ
منه في العاقبة والمراد استغواؤه قريشا يوم بدر وقوله لهم لا غالب لكم اليوم من الناس وانى جار
لكم الى قوله انى برئ منكم وقرأ ابن مسعود خالدان فيها على انه خبر ان وفى النار لغو وعلى القراءة
المشهورة الظرف مستقر وخالدين فيها حال وقرئ انا برئ وعاقبتهما بالرفع كرر الامر بالتقوى
تاكيدا اتقوا الله في اداء الواجبات لانه قرن بما هو عمل واتقوا الله في ترك المعاصي لانه قرن
بما يجرى مجرى الوعيد والغد يوم القيمة سماه باليوم الذى يلى يومك تقريبا له وعن الحسن لم يزل يقربه

حتى جعله كالغد ونحوه قوله كأن لم تغن بالأمس يريد تقرب الزمان الماضي وقيل عبر عن الآخرة بالغد
كأن الدنيا والآخرة نهاران يوم وغد ما معنى تنكير النفس والغد أما تنكير النفس
فاستقلال للأنفس النواظر فيما قدمن للآخرة كأنه قال ولتنظر نفس واحدة في ذلك وأما تنكير الغد
فلتعظيمه وإبهام أمره كأنه قيل الغد لا يعرف كنهه لعظمه وعن مالك بن دينار مكتوب على باب الجنة وجدنا
ما عملنا ربحنا ما قدمنا خسرنا ما خلفنا ولا تكونوا كالذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم أولئك هم الفاسقون
نسوا الله نسوا حقه فجعلهم ناسين حق أنفسهم بالخذلان حتى لم يسعوا لها بما ينفعهم عنده أو فأراهم يوم
القيامة من الأهوال ما نسوا به أنفسهم كقوله لا يرتد إليهم طرفهم هذا تنبيه للناس وإيذان بأنهم لفرط
غفلتهم وقلة فكرهم في العاقبة وتهالكهم على إيثار العاجلة واتباع الشهوات كأنهم لا يعرفون الفرق
بين الجنة والنار والبون العظيم بين أصحابهما وأن الفوز مع أصحاب الجنة فمن حقهم أن يعلموا ذلك
وينبهوا عليه كما تقول لمن يعق أباه هو أبوك تجعله بمنزلة من لا يعرفه فتنبهه بذلك على حق
الأبوة التي تقتضي البر والتعطف وقد استدل أصحاب الشافعي رحمه الله بهذه الآية على أن
المسلم لا يقتل بالكافر وأن الكفار لا يملكون أموال المسلمين بالقهر لا يستوي أصحاب النار وأصحاب
الجنة أصحاب الجنة هم الفائزون لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا [متصدعا] من خشية الله وتلك الأمثال
نضربها للناس لعلهم يتفكرون هذا تمثيل وتخييل كما في قوله إنا عرضنا الأمانة على وقد دل عليه قوله و
تلك الأمثال نضربها للناس والغرض توبيخ الإنسان على قسوة قلبه وقلة تخشعه عند تلاوة القرآن
وتدبر قوارعه وزواجره وقرئ مصدعا على الإدغام وتلك الأمثال إشارة إلى هذا المثل
وإلى أمثاله في مواضع من التنزيل هو الله الذي لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم
هو الله الذي لا إله إلا هو الملك الغيب المعدوم والشهادة الموجود المدرك كأنه يشاهده و
قيل ما غاب عن العباد وما شاهدوه وقيل السر والعلانية وقيل الدنيا والآخرة القدوس
بالضم والفتح وقد قرئ بهما البليغ في النزاهة عما يستقبح ونظيره السبوح وفي تسبيح الملائكة سبوح
قدوس رب الملائكة والروح والسلام بمعنى السلامة ومنه دار السلام وسلام عليكم وصف به
مبالغة في وصف كونه سليما من النقائص أو في إعطائه السلامة والمؤمن واهب الأمن وقرئ
بفتح الميم بمعنى المؤمن به على حذف الجار كما تقول في قوم موسى من قوله واختار موسى قومه المختارون
بلفظ صفة السبعين والمهيمن الرقيب على كل شيء الحافظ له مفيعل من الأمن إلا أن همزته
قلبت هاء العزيز والجبار القاهر الذي جبر خلقه على ما أراد أي أجبره والمتكبر البليغ

الكبرياء والعظمة وقيل المتكبر عن ظلم عباده سبحان الله عما يشركون هو الله الخالق المقدر لما يوجده
والبارئ المميز بعضه من بعض بالأشكال المختلفة والمصور الممثل وعن حاطب بن أبي بلتعة أنه
قرأ البارئ المصور بفتح الواو ونصب الراء أي يميز ما يصوره بتفاوت الهيئات له الأسماء الحسنى
يسبح له ما في السماوات والأرض وهو العزيز الحكيم وقرأ ابن مسعود وما في الأرض عن أبي هريرة سألت رسول
الله صلى الله عليه وسلم عن اسم الله الأعظم فقال عليك بآخر الحشر فأكثر قراءته فأعدت عليه فأعاد
علي فأعدت عليه فأعاد علي وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الحشر غفر الله له ما تقدم
من ذنبه وما تأخر

سورة الممتحنة مدنية وهي ثلاث عشرة آية

بسم الله الرحمن الرحيم يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء
روي أن مولاة لأبي عمرو بن صيفي بن هاشم يقال لها سارة أتت رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة
وهو يتجهز للفتح فقال لها أمسلمة جئت قالت لا قال أفمهاجرة جئت قالت لا قال فما جاء بك
قالت كنتم الأهل والموالي والعشيرة وقد ذهبت الموالي تعني قتلوا يوم بدر فاحتجت حاجة شديدة
فحث عليها بني عبد المطلب فكسوها وحملوها وزودوها فأتاها حاطب بن أبي بلتعة وأعطاها
عشرة دنانير وكساها بردا واستحملها كتابا إلى أهل مكة نسخته من حاطب بن أبي بلتعة إلى
أهل مكة اعلموا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يريدكم فخذوا حذركم فخرجت سارة ونزل
جبريل بالخبر فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا وعمارا وطلحة والمقداد وأبا مرثد
وكانوا فرسانا وقال انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ فإن بها ظعينة معها كتاب من حاطب
إلى أهل مكة فخذوه منها وخلوها فإن أبت فاضربوا عنقها فأدركوها فجحدت وحلفت فهموا بالرجوع
فقال علي والله ما كذبنا ولا كذب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال أخرجي الكتاب أو تضعي
رأسك فأخرجته من عقاص شعرها وروي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم آمن جميع الناس
يوم الفتح إلا أربعة هي أحدهم فاستحضر حاطبا وقال ما حملك عليه فقال يا رسول الله ما كفرت
منذ أسلمت ولا غششتك منذ نصحتك ولا أحببتهم منذ فارقتهم ولكني كنت امرأ ملصقا في قريش
وروي عزيرا فيهم أي غريبا ولم أكن من أنفسها وكل من معك من المهاجرين لهم قرابات بمكة يحمون
أهاليهم وأموالهم غيري فخشيت على أهلي فأردت أن أتخذ عندهم يدا وقد علمت أن الله ينزل
عليهم بأسه وأن كتابي لا يغني عنهم شيئا فقبل عذره وصدقه فقال عمر دعني يا رسول الله
أضرب عنق هذا المنافق فقال عليه السلام وما يدريك يا عمر لعل الله قد اطلع على أهل بدر فقال

اهل صح

لما عملوا ما شئتم فقد غفرت لكم ففاضت عينا عمر رضي الله عنه وقال الله ورسوله اعلم فنزلت عدوي
اتخذ الى مفعوليه وهما عدوي واولياء والعدو فعول من عدا كعفو من عفا ولكونه على زنة المصدر
اوقع على الجمع ايقاعه على الواحد تلقون بم يتعلق قلت يجوز ان يتعلق بلا تتخذوا حالا من ضميره
وباولياء صفة له ويجوز ان يكون استينافا فان قلت اذا جعلته صفة لاولياء وقد جرى
على غير من هو له فاين الضمير البارز وهو قولك تلقون اليهم انتم بالمودة قلت ذاك انما اشترطوه
في الاسماء دون الافعال لو قيل اولياء ملقين اليهم بالمودة على الوصف لما كان بد من الضمير البارز
والالقاء عبارة عن ايصال المودة والافضاء بها اليهم يقال القى اليه خراشي صدره وافضى اليه
بشقوره والباء في بالمودة اما زائدة مؤكدة للتعدي مثلها في ولا تلقوا بايديكم واما ثابتة
على ان مفعول تلقون محذوف معناه تلقون اليهم اخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم بسبب المودة
التي بينكم وبينهم وكذلك قوله تسرون اليهم بالمودة اي تفضون اليهم بمودتكم سرا او تسرون اليهم
اسرار رسول الله صلى الله عليه وسلم بسبب المودة فان قلت وقد كفروا بما جاءكم من الحق حال مماذا
قلت اما من لا تتخذوا واما من تلقون اي لا تتولوهم او توادوهم وهذه حالهم ويخرجون
الرسول واياكم استيناف كالتفسير لكفرهم وعتوهم او حال من كفروا وان تؤمنوا بالله ربكم
تعليل ليخرجون اي يخرجونكم لايمانكم وان كنتم خرجتم جهادا في سبيلي وابتغاء مرضاتي متعلق بلا
تتخذوا يعني لا تتولوا اعدائي ان كنتم اوليائي وقول النحويين في مثله هو شرط جوابه محذوف
لدلالة ما قبله عليه وتسرون اليهم بالمودة وانا اعلم بما اخفيتم استيناف ومعناه اي طائل لكم
في اسراركم وقد علمتم ان الاخفاء والاعلان سيان في علمي لا تفاوت بينهما وانا مطلع رسولي
على ما تسرون ومن يفعله منكم فقد ضل سواء السبيل ومن يفعل هذا الاسرار فقد اخطا
طريق الحق والصواب وقرا الجحدري لما جاءكم اي كفروا لاجل ما جاءكم بمعنى ان ما كان يجب
ان يكون سبب ايمانهم جعلوه سببا لكفرهم ان يثقفوكم ان يظفروا بكم ويتمكنوا منكم يكونوا
لكم اعداء خالصي العداوة ولا يكونوا لكم اولياء كما انتم ويبسطوا اليكم ايديهم والسنتهم بالسوء بالقتال
والشتم وتمنوا لو ترتدون عن دينكم فاذن موادة امثالهم ومناصحتهم خطأ عظيم منكم
ومغالطة لانفسكم ونحوه قوله تعالى لا يالونكم خبالا فان قلت كيف اورد جواب
الشرط مضارعا مثله ثم قال وودوا لو تكفرون بلفظ الماضي قلت الماضي وان كان يجري
في باب الشرط مجرى المضارع في علم الاعراب فان فيه نكتة كانه قيل وودوا قبل كل شيء كفركم

كفركم وارتدادكم يعني انهم يريدون بكم مضار الدنيا والدين جميعا من قتل الانفس وتمزيق
الاعراض وردكم كفارا وردكم كفارا اسبق المضار عندهم واولها لعلمهم ان الدين اعز عليكم
من ارواحكم لانكم بذالون لها دونه والعدو اهم شيء عنده ان يقصد اعز شيء عند صاحبه
لن تنفعكم ارحامكم اي قراباتكم ولا اولادكم الذين توالون الكفار من اجلهم وتتقربون اليهم محاماة
عليهم يوم القيامة يفصل بينكم والله بما تعملون بصير وبين اقاربكم واولادكم يوم يفر المرء من اخيه
الآية فما لكم ترفضون حق الله مراعاة لحق من يفر منكم غدا خطأ رايهم في موالاة الكفار بما يرجع
الى حال من والوه اولا ثم بما يرجع الى حال من اقتضى تلك الموالاة ثانيا ليريهم ان ما اقدموا عليه
من اي جهة نظرت فيه وجدته باطلا وقرئ يفصل ويفصل على البناء للمفعول ويفصل ويفصل
على البناء للفاعل وهو الله تعالى ونفصل ونفصل بالنون قد كانت لكم اسوة حسنة في ابراهيم والذين
معه اذ قالوا لقومهم انا برآء منكم ومما تعبدون من دون الله اسوة واسوة وهو اسم المؤتسى به اي
كان فيهم مذهب حسن مرضي بان يؤتسى به ويتبع اثره وهو قولهم لكفار قومهم ما قالوا حيث كاشفوهم
بالعداوة وقشروا لهم العصا واظهروا البغضاء والمقت وصرحوا بان سبب عداوتهم وبغضائهم
ليس الا كفرهم بالله وما دام هذا السبب قائما كانت العداوة قائمة حتى اذا ازالوه وآمنوا
بالله وحده انقلبت العداوة موالاة والبغضاء محبة والمقت مقة فافصحوا عن محض الاخلاص
ومعنى كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء ابدا حتى تؤمنوا بالله وحده وبما تعبدون من
دون الله انا لا نعتد بشأنكم ولا بشأن آلهتكم وما انتم عندنا على شيء هم استثنى
قوله الا قول ابراهيم لابيه من قوله اسوة حسنة لانه اراد بالاسوة الحسنة قولهم الذي حق
عليهم ان ياتسوا به ويتخذوه سنة يستنون بها فان كان قوله لاستغفرن لك مستثنى
من القول الذي هو اسوة حسنة فما بال قوله وما املك لك من الله من شيء وهو غير حقيق بالاستثناء
الا ترى الى قوله فمن يملك من الله شيئا اراد استثناء جملة قوله لابيه والقصد الى موعد
الاستغفار له وما بعده مبني عليه وتابع له كانه قال استغفر لك وما في طاقتي الا الاستغفار
ثم اتصل قوله ربنا عليك توكلنا واليك انبنا واليك المصير ربنا لا تجعلنا فتنة للذين
كفروا واغفر لنا ربنا انك انت العزيز الحكيم بما قبل الاستثناء وهو من جملة الاسوة الحسنة و
يجوز ان يكون المعنى قولوا ربنا امرا من الله تعالى للمؤمنين بان يقولوه وتعليما منه لهم تتميما لما وصاهم
به من قطع العلائق بينهم وبين الكفار والايتساء بابراهيم وقومه في البراءة منهم وتنبيها على الانابة

إلى الله والاستعاذة به من فتنة أهل الكفر والاستغفار مما فرط منهم وقرئ برآء كشركاء
وبراء كظراف وبراء على إبدال الضم من الكسر كرخال ورباب وبراء على الوصف بالمصدر والبراء
والبراءة كالظماء والظماءة ثم كرر الحث على الائتساء بإبراهيم وقومه تقريرا وتأكيدا عليهم ولذلك جاء
به مصدرا بالقسم لأنه الغاية في التأكيد وأبدل عن قوله لكم قوله لقد كان لكم فيهم أسوة حسنة لمن
كان يرجوا الله واليوم الآخر وعقبه بقوله ومن يتول فإن الله هو الغني الحميد فلم يترك نوعا من التوكيد
إلا جاء به ولما نزلت هذه الآيات تشدد المؤمنون في عداوة آبائهم وأبنائهم وجميع أقربائهم من
المشركين ومقاطعتهم فلما رأى الله منهم الجد والصبر على الوجد الشديد وطول التمني للسبب
الذي يبيح لهم الموالاة والمواصلة رحمهم فوعدهم تيسير ما تمنوه فلما يسر فتح مكة أظفرهم الله بأمنيتهم
فأسلم قومهم وتم بينهم من التحاب والتصافي ما تم وقيل تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم أم
حبيبة فلانت عند ذلك عريكة أبي سفيان واسترخت شكيمته في العداوة وكانت أم حبيبة
قد أسلمت وهاجرت مع زوجها عبيد الله بن جحش إلى الحبشة فتنصر وأرادها على النصرانية فأبت
وصبرت على دينها ومات زوجها فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم فخطبها عليه وساق عنه إليها
أربعمائة دينار وبلغ ذلك أباها فقال ذاك الفحل لا يقدع أنفه عسى الله أن يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم مودة
وعسى وعد من الله على عادات الملوك حيث يقولون في بعض الحوائج عسى ولعل فلا تبقى شبهة للمحتاج
في تمام ذلك أو قصد به إطماع المؤمنين والله قدير على تقليب القلوب وتغيير الأحوال وتسهيل أسباب
المودة والله غفور رحيم لمن أسلم من المشركين لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم
من دياركم أن تبروهم بدل من الذين لم يقاتلوكم وكذلك أن تولوهم من الذين قاتلوكم
والمعنى لا ينهاكم عن مبرة هؤلاء وإنما ينهاكم عن تولي هؤلاء وهذا أيضا رحمة لهم لتشددهم و
جدهم في العداوة متقدمة لرحمته بتيسير إسلام قومهم حيث رخص لهم في صلة من لم يجاهر منهم
بقتال المؤمنين وإخراجهم من ديارهم وقيل أراد بهم خزاعة وكانوا صالحوا رسول الله صلى الله عليه و
سلم على أن لا يقاتلوه ولا يعينوا عليه وعن مجاهد هم الذين آمنوا بمكة ولم يهاجروا وقيل هم النساء
والصبيان وقيل قدمت على أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما أمها قتيلة بنت عبد العزى وهي مشركة
بهدايا فلم تقبلها ولم تأذن لها بالدخول فنزلت فأمرها رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تدخلها
وتقبلها وتكرمها وتحسن إليها وعن قتادة نسختها آية القتال وتقسطوا إليهم وتقضوا إليهم
بالقسط ولا تظلموهم وناهيك بتوصية الله المؤمنين أن يستعملوا القسط مع المشركين به ويتحاموا

ظلمهم مترحمة عن حال مسلم يجتري على ظلم أخيه المسلم إن الله يحب المقسطين إنما ينهاكم الله عن الذين
قاتلوكم في الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على إخراجكم أن تولوهم ومن يتولهم فأولئك هم
الظالمون يا أيها الذين آمنوا إذا جاءكم المؤمنات سماهن مؤمنات لتصديقهن بألسنتهن ونطقهن بكلمة الشهادة
ولم يظهر منهن ما ينافي ذلك أو لأنهن مشارفات لثبات إيمانهن بالامتحان مهاجرات فامتحنوهن
فابتلوهن بالحلف والنظر في الأمارات ليغلب على ظنونكم صدق إيمانهن وكان رسول الله صلى
الله عليه وسلم يقول للممتحنة بالله الذي لا إله إلا هو ما خرجت من بغض زوج بالله ما خرجت رغبة
عن أرض إلى أرض بالله ما خرجت التماس دنيا بالله ما خرجت إلا حبا لله ورسوله الله أعلم بإيمانهن منكم
لأنكم لا تكسبون فيه علما تطمئن معه نفوسكم وإن استحلفتموهن ورزتم أحوالهن وعند الله حقيقة
العلم به فإن علمتموهن مؤمنات العلم الذي يبلغه طاقتكم وهو الظن الغالب بالحلف وظهور الأمارات
فلا ترجعوهن إلى الكفار فلا تردوهن إلى أزواجهن المشركين لأنه لا حل بين المؤمنة والمشرك
لا هن حل لهم ولا هم يحلون لهن وآتوهم ما أنفقوا وأعطوا أزواجهن مثل ما دفعوا إليهن من المهور و
ذلك أن صلح الحديبية كان على أن من أتاكم من أهل مكة رد إليهم ومن أتى مكة منكم لم يرد إليكم و
كتبوا بذلك كتابا وختموه فجاءت سبيعة بنت الحارث الأسلمية مسلمة والنبي صلى الله عليه وسلم بالحديبية
فأقبل زوجها مسافر المخزومي وقيل صيفي بن الراهب فقال يا محمد اردد إلي امرأتي فإنك قد شرطت
لنا أن ترد علينا من أتاك منا وهذه طينة الكتاب لم تجف فنزلت بيانا لأن الشرط إنما كان في الرجال
دون النساء وعن الضحاك كان بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين المشركين عهد أن لا تأتيك
امرأة ليست على دينك إلا رددتها إلينا فإن دخلت في دينك ولها زوج أن ترد على زوجها الذي أنفق عليها
وللنبي صلى الله عليه وسلم من الشرط مثل ذلك وعن قتادة ثم نسخ هذا الحكم وهذا العهد براءة فاستحلفها
رسول الله صلى الله عليه وسلم فحلفت فأعطى زوجها ما أنفق وتزوجها عمر رضي الله عنه
كيف سمي الظن علما في قوله فإن علمتموهن   إيذانا بأن الظن الغالب وما يفضي إليه الاجتهاد
والقياس جار مجرى العلم وأن صاحبه غير داخل في قوله ولا تقف ما ليس لك به علم   ما
فائدة قوله الله أعلم بإيمانهن وذلك معلوم لا شبهة فيه   فائدته بيان أن لا سبيل لكم
إلى ما تطمئن به النفس ويثلج الصدر من الإحاطة بحقيقة إيمانهن فإن ذلك مما استأثر به علام الغيوب
وأن ما يؤدي إليه الامتحان من العلم كاف في ذلك وأن تكليفكم لا يعدوه ثم نفى عنهم الجناح في تزوج هؤلاء
المهاجرات إذا آتوهن أجورهن أي مهورهن لأن المهر أجر البضع ولا بد أن يراد بها ما كان يدفع

ولا جناح عليكم أن تنكحوهن إذا آتيتموهن

اليهن ليدفعنه الى ازواجهن فيشترط في اباحة تزوجهن تقديم ادائه وان كان يراد ان ذلك اذا
دفع اليهن على سبيل الفرض ثم تزوجن على ذلك لم يكن به باس وان كان يبين لهم ان ما اعطى ازواجهن
لا يقوم مقام المهر وانه لابد من اصداق وبه احتج ابو حنيفة على ان احد الزوجين اذا خرج
من دار الحرب مسلما او بذمة وبقي الآخر حربيا وقعت الفرقة ولا يرى العدة على المهاجرة ويبيح نكاحها
الا ان تكون حاملا ولا تمسكوا بعصم الكوافر والعصمة ما يعتصم به من عقد وسبب يعني اياكم واياهن
ولا يكن بينكم وبينهن عصمة ولا علقة زوجية قال ابن عباس من كانت له امراة كافرة بمكة فلا يعتدن
بها من نسائه لان اختلاف الدارين قطع عصمتها منه وعن النخعي في المسلمة تلحق بدار الحرب فتكفر وعن
مجاهد امرهم بطلاق الباقيات مع الكفار ومفارقتهن وسئلوا ما انفقتم من مهور ازواجكم اللاحقات
بالكفار وليسئلوا ما انفقوا من مهور نسائهم المهاجرات وقرئ ولا تمسكوا بالتخفيف ولا تمسكوا
بالتثقيل ولا تمسكوا اي ولا تتمسكوا ذلكم حكم الله يعني جميع ما ذكر في هذه الآية يحكم بينكم والله عليم
حكيم كلام مستانف او حال من حكم الله على حذف الضمير اي يحكمه الله او جعل الحكم حاكما على المبالغة
روي انه لما نزلت الآية ادى المؤمنون ما امروا به من اداء مهور المهاجرات الى ازواجهن المشركين
وابى المشركون ان يؤدوا شيئا من مهور الكوافر الى ازواجهن المسلمين فنزل قوله وان فاتكم وان
سبقكم وانفلت منكم شيء من ازواجكم احد منهن الى الكفار وهو في قراءة ابن مسعود احد

هل لايقاع شيء في هذا الموقع فائدة   نعم الفائدة فيه ان لا يغادر شيء

من هذا الجنس وان قل وحقر غير معوض منه تغليظا في هذا الحكم وتشديدا فيه فعاقبتم
من العقبة وهي النوبة شبه ما حكم به على المسلمين والكافرين من اداء هؤلاء مهور نساء اولئك
تارة واولئك مهور نساء هؤلاء اخرى بامر يتعاقبون فيه كما يتعاقب في الركوب وغيره ومعناه
فجاءت عقبتكم من اداء المهر فآتوا الذين ذهبت ازواجهم مثل ما انفقوا واتقوا الله الذي انتم به
مؤمنون من فاتته امراته الى الكفار مثل مهرها من مهر المهاجرة ولا تؤتوه زوجها الكافر وهكذا
عن الزهري يعطى من صداق من لحق بهم وقرئ فاعقبتم فعقبتم بالتشديد فعقبتم بالتخفيف بفتح
القاف وكسرها فمعنى اعقبتم دخلتم في العقبة وعقبتم من عقبه اذا قفاه لان كل واحد من
المتعاقبين يقفي صاحبه وكذلك عقبتم بالتخفيف يقال عقبه يعقبه وعقبتم نحو تبعتم وقال
الزجاج فعاقبتم فاصبتموهم في القتال بعقوبة حتى غنمتم والذي ذهبت زوجته كان يعطى
من الغنيمة المهر وفسر غيرها من القراآت فكانت العقبى لكم اي كانت الغلبة لكم حتى غنمتم وقيل

جميع من لحق بالمشركين من نساء المؤمنين المهاجرين راجعة الى الاسلام ست نسوة ام الحكم
بنت ابي سفيان كانت تحت عياض بن شداد الفهري وفاطمة بنت ابي امية كانت تحت عمر بن
الخطاب وهي اخت ام سلمة وبروع بنت عقبة كانت تحت شماس بن عثمان وعبدة بنت عبد
العزى بن نضلة وزوجها عمرو بن عبد ود وهند بنت ابي جهل كانت تحت هشام بن العاص و
كلثوم بنت جرول كانت تحت عمر واعطاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم مهور نسائهم من الغنيمة
يا ايها النبي اذا جاءك المؤمنات يبايعنك على ان لا يشركن بالله شيئا ولا يسرقن ولا يزنين ولا يقتلن اولادهن
وقرئ يقتلن بالتشديد يريد واد البنات ولا ياتين ببهتان يفترينه بين ايديهن وارجلهن كانت
المراة تلتقط المولود فتقول لزوجها هو ولدي منك كنى بالبهتان المفترى بين يديها ورجليها
عن الولد الذي تلصقه بزوجها كذبا لان بطنها الذي تحمله فيه بين اليدين وفرجها الذي تلده
به بين الرجلين ولا يعصينك في معروف فبايعهن واستغفر لهن الله ان الله غفور رحيم فيما تامرهن
به من المحسنات وتنهاهن عنه من المقبحات وقيل كل ما وافق طاعة الله فهو معروف

لو اقتصر على قوله ولا يعصينك فقد علم ان رسول الله لا يامر الا بمعروف

نبه بذلك على ان طاعة المخلوق في معصية الخالق جديرة بغاية التوقي والاجتناب وروي
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما فرغ يوم فتح مكة من بيعة الرجال اخذ في بيعة النساء و
هو على الصفا وعمر بن الخطاب رضي الله عنه اسفل منه يبايعهن بامره ويبلغهن عنه وهند
بنت عتبة امراة ابي سفيان متقنعة متنكرة خوفا من رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان يعرفها فقال عليه السلام ابايعكن على ان لا تشركن بالله شيئا فرفعت هند راسها و
قالت والله لقد عبدنا الاصنام وانك لتاخذ علينا امرا ما رايناك اخذته على الرجال تبايع
الرجال على الاسلام والجهاد فقال عليه السلام ولا تسرقن فقالت ان ابا سفيان رجل شحيح
واني اصبت من ماله هنات فما ادري ايحل لي ام لا فقال ابو سفيان ما اصبت من شيء
فيما غبر فهو لك حلال فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم وعرفها فقال لها وانك لهند
بنت عتبة قالت نعم فاعف عما سلف يا نبي الله عفا الله عنك فقال ولا تزنين فقالت او
تزني الحرة وفي رواية ما زنت منهن امراة قط فقال ولا يقتلن اولادهن فقالت ربيناهم
صغارا وقتلتهم كبارا فانتم وهم اعلم وكان ابنها حنظلة بن ابي سفيان قد قتل يوم بدر
فضحك عمر حتى استلقى وتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ولا ياتين ببهتان فقالت

والله ان البهتان لامر قبيح وما تامرنا الا بالرشد ومكارم الاخلاق فقال ولا يعصينك في
معروف فقالت والله ما جلسنا مجلسنا هذا وفي انفسنا ان نعصيك في شيء وقيل في كيفية
المبايعة دعا بقدح من ماء فغمس فيه يده ثم غمسن ايديهن وقيل صافحهن وكان على يده ثوب
قطري وقيل كان عمر يصافحهن عنه روي ان بعض فقراء المسلمين كانوا يواصلون اليهود
ليصيبوا من ثمارهم يا ايها الذين آمنوا لا تتولوا قوما مغضوبا عليهم قد يئسوا من الآخرة من ان يكون
لهم حظ في الآخرة لعنادهم رسول الله وهم يعلمون انه الرسول المنعوت في التورية كما يئس الكفار
من موتاهم ان يبعثوا ويرجعوا احياء وقيل من اصحاب القبور بيان للكفار اي كما يئس الكفار
الذين قبروا من خير الآخرة لانهم تبينوا قبح حالهم وسوء منقلبهم عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم من قرا سورة الممتحنة كان له المومنون والمومنات شفعاء يوم القيمة

سورة الصف مكية وهي اربع عشرة آية

بسم الله الرحمن الرحيم سبح لله ما في السموات وما في الارض وهو العزيز الحكيم يا ايها الذين
آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون كبر مقتا عند الله ان تقولوا ما لا تفعلون لم هي لام الاضافة داخلة
على ما الاستفهامية كما دخل عليها غيرها من حروف الجر كقولك بم وفيم وعم والام وعلام و
انما حذفت الالف لان ما والحرف كشيء واحد ووقع استعمالها كثيرا في كلام المستفهم وقد جاء
استعمال الاصل قليلا والوقف على زيادة هاء السكت او الاسكان ومن اسكن في الوصل فلاجرائه
مجرى الوقف كما سمع ثلثة اربعه بالهاء والقاء حركة الهمزة عليها محذوفة وهذا الكلام يتناول
الكذب واخلاف الموعد وروي ان المومنين قالوا قبل ان يومروا بالقتال لو نعلم احب الاعمال الى
الله لعملناه ولبذلنا فيه اموالنا وانفسنا فدلهم الله على الجهاد في سبيله فولوا يوم احد فعيرهم وقيل لما
اخبر الله بثواب شهداء بدر قالوا لئن لقينا قتالا لنفرغن فيه وسعنا ففروا يوم احد ولم يفوا و
قيل كان الرجل يقول قتلت ولم يقتل وطعنت ولم يطعن وضربت ولم يضرب وصبرت ولم يصبر
وقيل قد آذى المسلمين رجل ونكى فيهم فقتله صهيب وانتحل قتله آخر فقال عمر لصهيب اخبر النبي عليه
السلام انك قتلته فقال انما قتلته لله ولرسوله فقال عمر يا رسول الله قتله صهيب قال كذلك يا ابا يحيى
قال نعم فنزلت في المنتحل وعن الحسن نزلت في المنافقين ونداؤهم بالايمان تهكم بهم وبايمانهم هذا
من افصح الكلام وابلغه في معناه قصد في كبر التعجب من غير لفظه كقوله
غلت ناب كليب بواؤها ومعنى التعجب تعظيم الامر في قلوب السامعين لان التعجب لا يكون الا من شيء

خارج عن نظائره واشكاله واسند الى ان تقولوا ونصب مقتا على تفسيره دلالة على ان قولهم ما لا يفعلون
مقت خالص لا شوب فيه لفرط تمكن المقت منه واختير لفظ المقت لانه اشد البغض وابلغه و
منه قيل نكاح المقت للعقد على الرابة ولم يقتصر على ان جعل البغض كبيرا حتى جعل اشده وافحشه
وعند الله ابلغ من ذلك لانه اذا ثبت كبر مقته عند الله فقد تم كبره وشدته وانزاحت عنه الشكوك
وعن بعض السلف انه قيل له حدثنا فسكت ثم قيل له حدثنا فقال تامرونني ان اقول ما لا افعل
فاستعجل مقت الله ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله عقيب ذكر مقت المخلف دليل على ان
المقت قد تعلق بقول الذين وعدوا الثبات في قتال الكفار فلم يفوا وقرا زيد بن علي يقاتلون
بفتح التاء وقرئ يقتلون صفا صافين انفسهم او مصفوفين كانهم في تراصهم من غير فرجة وخلل
بنيان مرصوص رص بعضه الى بعض ورصف وقيل يجوز ان يريد استواء نياتهم في الثبات حتى يكونوا
في اجتماع الكلمة كالبنيان المرصوص وعن بعضهم فيه دليل على فضل القتال راجلا لان الفرسان لا يصطفون
على هذه الصفة وقوله صفا كانهم بنيان حالان متداخلان واذ قال موسى لقومه يا قوم اذ منصوب
باضمار اذكر او وحين قال لهم كان كذا وكذا لم تؤذونني كانوا يؤذونه بانواع الاذى من
انتقاصه وعيبه في نفسه وجحود آياته وعصيانه فيما تعود اليهم منافعه وعبادتهم البقر وطلبهم رؤية
الله جهرة والتكذيب الذي هو تضييع حق الله وحقه وقد تعلمون اني رسول الله اليكم في موضع الحال
اي تؤذونني عالمين علما يقينا اني رسول الله وقضية علمكم بذلك وموجبه تعظيمي وتوقيري لا ان تؤذوني
وتستهينوا بي لان من عرف الله وعظمته عظم رسوله علما بان تعظيمه في تعظيم رسوله ولان من آذاه
كان وعيد الله لاحقا به فلما زاغوا عن الحق ازاغ الله قلوبهم بان منع الالطاف والله لا يهدي القوم الفاسقين
لا يلطف بهم لانهم ليسوا من اهل اللطف ما معنى قد في قوله وقد تعلمون
معناه التوكيد كانه قال وتعلمون علما يقينا لا شبهة لكم فيه واذ قال عيسى بن مريم يا بني اسرائيل اني رسول الله
اليكم مصدقا لما بين يدي من التورية ومبشرا برسول ياتي من بعدي اسمه احمد فلما جاءهم بالبينات قالوا هذا سحر
مبين ومن اظلم ممن افترى على الله الكذب وهو يدعى الى الاسلام والله لا يهدي القوم الظالمين قيل لما
قال يا بني اسرائيل ولم يقل يا قوم كما قال موسى لانه لا نسب له فيهم فيكونوا قومه والمعنى ارسلت
اليكم في حال تصديقي ما تقدمني من التورية وفي حال تبشيري برسول ياتي من بعدي يعني ان ديني
التصديق بكتب الله وانبيائه جميعا ممن تقدم وتاخر وقرئ من بعدي بسكون الياء وفتحها و
الخليل وسيبويه يختاران الفتح وعن كعب ان الحواريين قالوا لعيسى يا روح الله هل بعدنا من

في قوله صح

بني اسرائيل اني

امة قال نعم امة احمد حكماء علماء ابرار اتقياء كانهم من الفقه انبياء يرضون من الله باليسير من الرزق ويرضى الله منهم باليسير من العمل ‌ ‌ بم انتصب مصدقا ومبشرا أبما في الرسول من معنى الارسال ام بإليكم ‌ ‌ بل بمعنى الارسال لان اليكم صلة للرسول فلا يجوز ان يعمل شيئا لان حروف الجر لا تعمل بانفسها ولكن بما فيها من معنى الفعل فاذا وقعت صلات لم يتضمن معنى فعل فمن اين تعمل وقرئ هذا ساحر مبين ‌ واى الناس اشد ظلما ممن يدعوه ربه على لسان نبيه الى الاسلام الذى له فيه سعادة الدارين فيجعل مكان اجابته اليه افتراء الكذب على الله بقوله لكلامه الذى هو دعاء عباده الى الحق هذا سحر لان السحر كذب وتمويه وقرا طلحة بن مصرف وهو يدعى بمعنى يدعى دعاه وادعاه نحو لمسه والتمسه وعنه يدعى بمعنى يدعو وهو الله عز وجل يريدون ليطفئوا نور الله بافواههم اصله يريدون ان يطفئوا كما جاء في سورة براءة وكان هذه اللام زيدت مع فعل الارادة تاكيدا له لما فيها من معنى الارادة في قولك جئتك لاكرامك كما زيدت اللام في لا اباك تاكيدا لمعنى الاضافة في لا اباك واطفاء نور الله بافواههم تهكم بهم في ارادتهم ابطال الاسلام بقولهم في القرآن هذا سحر مثلت حالهم بحال من ينفخ في نور الشمس بفيه ليطفئه والله متم نوره ولو كره الكافرون اى متم الحق ومبلغه غايته وقرئ بالاضافة وملة الحق الملة الحنيفية هو الذى ارسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره ليعليه على الدين كله ولو كره المشركون على جميع الاديان المخالفة له ولعمرى لقد فعل فما بقى دين من الاديان الا وهو مغلوب مقهور بدين الاسلام وعن مجاهد اذا نزل عيسى لم يكن في الارض الا دين الاسلام وقرئ ارسل نبيه يا ايها الذين آمنوا هل ادلكم على تجارة تنجيكم قرئ مخففا ومثقلا من عذاب اليم ‌ تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله باموالكم وانفسكم ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون استئناف كانهم قالوا كيف نعمل فقال تؤمنون وهو خبر في معنى الامر ولهذا اجيب بقوله يغفر لكم ذنوبكم ويدخلكم جنات تجرى من تحتها الانهار ومساكن طيبة في جنات عدن ويدل عليه قراءة ابن مسعود آمنوا بالله ورسوله وجاهدوا ‌ ‌ لم جئ به على لفظ الخبر ‌ ‌ للايذان بوجوب الامتثال وكانه امتثل فهو يخبر عن ايمان وجهاد موجودين ونظيره قول الداعى غفر الله لك ويغفر الله لك جعلت المغفرة لقوة الرجاء كانها كانت ووجدت ‌ ‌ هل لقول الفراء انه جواب هل ادلكم على تجارة ‌ ‌ وجه ‌ ‌ وجهه ان متعلق الدلالة هو التجارة والتجارة مفسرة بالايمان والجهاد فكانه قيل هل تتجرون بالايمان والجهاد يغفر لكم ‌ ‌ فما وجه قراءة زيد بن على تؤمنوا وتجاهدوا ‌ ‌ وجهها ان يكون على اضمار

لام الامر كقوله ‌ محمد تفد نفسك كل نفس اذا ما خفت من امر تبالا ‌ وعن ابن عباس انهم قالوا لو نعلم احب الاعمال الى الله لعملنا ها فنزلت هذه الآية فمكثوا ما شاء الله يقولون ليتنا نعلم ما هى فدلهم الله عليها بقوله تؤمنون وهذا دليل على ان تؤمنون كلام مستانف وعلى ان الامر الوارد بعد تشوف وتطلع منهم اليه اوقع فيهم واقرب من قبولهم له مما فوجئوا به ذلكم يعنى ما ذكر من الايمان والجهاد خير لكم من اموالكم وانفسكم ‌ ‌ ما معنى قوله ان كنتم تعلمون ‌ ‌ معناه ان كنتم تعلمون انه خير لكم كان خيرا لكم حينئذ لانكم اذا علمتم ذلك واعتقدتموه احببتم الايمان والجهاد فوق ما تحبون انفسكم واموالكم فتخلصون وتفلحون يغفر لكم ذنوبكم ويدخلكم جنات تجرى من تحتها الانهار ومساكن طيبة في جنات عدن ذلك الفوز العظيم واخرى تحبونها ولكم الى هذه النعمة المذكورة من المغفرة والثواب في الآجلة نعمة اخرى عاجلة محبوبة اليكم ثم فسرها بقوله نصر من الله وفتح قريب اى عاجل وهو فتح مكة وقال الحسن فتح فارس والروم وفى تحبونها شئ من التوبيخ على محبة العاجل ‌ ‌ علام عطف قوله وبشر المؤمنين ‌ ‌ على تؤمنون لانه في معنى الامر كانه قيل آمنوا وجاهدوا يثبكم الله وينصركم وبشر يا رسول الله المؤمنين بذلك ‌ ‌ لم نصب من قرا نصرا من الله وفتحا قريبا ‌ ‌ يجوز ان ينتصب على الاختصاص او على تنصرون نصرا ويفتح لكم فتحا او على يغفر لكم ويدخلكم جنات ويؤتكم اخرى نصرا وفتحا يا ايها الذين آمنوا كونوا انصار الله كما قال عيسى ابن مريم للحواريين قرئ كونوا انصار الله وانصارا لله وقرا ابن مسعود كونوا انتم انصار الله وفيه زيادة حث على النصرة ‌ ‌ ما وجه صحة التشبيه وظاهره تشبيه كونهم انصارا بقول عيسى صلوات الله عليه من انصارى الى الله ‌ ‌ التشبيه محمول على المعنى وعليه يصح والمراد كونوا انصار الله كما كان الحواريون انصار عيسى حين قال لهم من انصارى الى الله ‌ ‌ ما معنى قوله من انصارى الى الله ‌ ‌ يجب ان يكون معناه مطابقا لجواب الحواريين نحن انصار الله والذى يطابقه ان يكون المعنى من جندى متوجها الى نصرة الله واضافة انصارى خلاف اضافة انصار الله فان معنى قال الحواريون نحن انصار الله نحن الذين ينصرون الله ومعنى من انصارى من الانصار الذين يختصون بى ويكونون معى في نصرة الله ولا يصح ان يكون معناه من ينصرنى مع الله لانه لا يطابق الجواب والدليل عليه قراءة من قرا من انصار الله والحواريون اصفياؤه وهم اول من آمن به وكانوا اثنى عشر رجلا وحوارى الرجل صفيه وخلصانه من الحور وهو البياض الخالص والحوارى الدرمك ومنه قوله عليه السلام الزبير ابن عمتى وحوارى من امتى وقيل كانوا قصارين يحورون الثياب

يتبصّون بها ونظير الحواري في زنته الحوالي الكثير الحيلة فآمنت طائفة من بني اسرائيل منهم بعيسى وكفرت به طائفة فأيدنا الذين آمنوا على عدوهم فأصبحوا ظاهرين مؤمنيهم على كفارهم فظهروا عليهم وعن زيد ابن علي رضي الله عنهما كان ظهورهم بالحجة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الصف كان عيسى مصليا عليه مستغفرا له ما دام في الدنيا وهو يوم القيمة رفيقه

سورة الجمعة مدنية وهي احدى عشرة آية

بسم الله الرحمن الرحيم يسبح لله ما في السموات وما في الارض الملك القدوس العزيز الحكيم هو الذي قرئت صفات الله عز وعلا بالرفع على المدح كأنه قيل هو الملك القدوس ولو قرئت منصوبة لكان وجها كقول العرب الحمد لله اهل الحمد الأمي منسوب الى امة العرب لانهم كانوا لا يكتبون ولا يقرأون من بين الامم وقيل بدأت الكتابة بالطائف أخذوها من اهل الحيرة واهل الحيرة من اهل الانبار ومعنى بعث في الأميين رسولا منهم بعث رجلا اميا في قوم اميين كما جاء في حديث شعيا اني ابعث اعمى في عميان واميا في اميين وقيل منهم كقوله من انفسكم يعلمون نسبه واحواله وقرئ في الأمين بحذف ياء النسب يتلو عليهم آياته يقرؤها عليهم مع كونه اميا مثلهم لم تعهد منه قراءة ولم يعرف بتعلم وقراءة امي بغير تعلم آية بينة ويزكيهم ويطهرهم من الشرك وخبائث الجاهلية ويعلمهم الكتاب والحكمة القرآن والسنة وان في وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين هي المخففة من الثقيلة واللام دليل عليها اي كانوا في ضلال لا ترى ضلالا اعظم منه وآخرين منهم لما يلحقوا بهم مجرور عطف على الأميين يعني انه بعثه في الأميين الذين على عهده وفي آخرين من الأميين لم يلحقوا بهم بعد وسيلحقون بهم وهم الذين بعد الصحابة رضي الله عنهم وقيل لما نزلت قيل من هم يا رسول الله فوضع يده على سلمان ثم قال لو كان الايمان عند الثريا لتناوله رجال من هؤلاء وقيل هم الذين يأتون من بعدهم الى يوم القيمة ويجوز ان ينتصب عطفا على المنصوب وتعلمهم اي يعلمهم ويعلم آخرين لان التعليم اذا تناسق الى آخر الزمان كان كله مستندا الى اوله فكأنه هو الذي تولى كل ما وجد منه وهو العزيز الحكيم في تمكينه رجلا اميا من ذلك الامر العظيم وتأييده عليه واختياره اياه من بين كافة البشر ذلك الفضل الذي اعطاه محمدا وهو ان يكون نبي ابناء عصره ونبي ابناء العصور الغوابر هو فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم اعطاه وتقتضيه حكمته شبه اليهود في انهم حملة التورية وقراؤها وحفاظ ما فيها ثم انهم غير عاملين بها ولا منتفعين بآياتها وذلك ان فيها نعت رسول الله صلى الله عليه وسلم والبشارة به ولم يؤمنوا به بالحمار حمل اسفارا اي كتبا كبارا من كتب العلم فهو يمشي بها ولا يدري منها الا ما يمر بجنبيه وظهره من الكد والتعب وكل من علم ولم يعمل بعلمه فهذا مثله وبئس المثل بئس مثلا مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله والله لا يهدي القوم الظالمين وهم الذين كذبوا بآيات الله الدالة على صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ومعنى حملوا التورية كلفوا علمها والعمل بها ثم لم يحملوها ثم لم يعملوا بها فكأنهم لم يحملوها وقرئ حملوا التورية اي حملوها ثم لم يحملوها في الحقيقة لفقد العمل وقرئ يحمل الاسفار يحمل ما محله النصب على الحال او الجر على الوصف لان الحمار كاللئيم في قوله ولقد امر على اللئيم يسبني قل يا ايها الذين هادوا هاد يهود اذا تهود ان زعمتم انكم اولياء لله كانوا يقولون نحن ابناء الله واحباؤه اي ان كان قولكم حقا وكنتم على ثقة فتمنوا على الله ان يميتكم ويقبلكم سريعا الى دار كرامته التي اعدها لاوليائه ثم قال من دون الناس فتمنوا الموت ان كنتم صادقين ولا يتمنونه ابدا بما قدمت ايديهم والله عليم بالظالمين ولا يتمنونه ابدا بسبب ما قدموا من الكفر وقد قال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لا يقولها احد منكم الا غص بريقه فلولا انهم كانوا موقنين بصدق رسول الله لتمنوا ولكنهم علموا انهم لو تمنوا لماتوا من ساعتهم ولحقهم الوعيد فما تمالك احد ان يتمنى وهي احدى المعجزات وقرئ فتمنوا الموت بكسر الواو تشبيها بلو استطعنا ولا فرق بين لا ولن في ان كل واحد منهما نفي للمستقبل الا ان في لن تاكيدا وتشديدا ليس في لا فأتى مرة بلفظ التاكيد ولن يتمنوه ومرة بغير لفظه ولا يتمنونه ثم قيل لهم قل ان الموت الذي تفرون منه ولا تجسرون ان تتمنوه خيفة ان تؤخذوا بوبال كفركم لا تفوتونه وهو ملاقيكم لا محالة ثم تردون الى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون الى الله فيجازيكم بما انتم اهله من العقاب وقرأ زيد بن علي انه ملاقيكم وفي قراءة ابن مسعود تفرون منه ملاقيكم وهي ظاهرة واما التي بالفاء فلتضمن الذي معنى الشرط وقد جعل ان الموت الذي تفرون منه كلاما برأسه في قراءة زيد اي ان الموت هو الشيء الذي تفرون منه ثم استؤنف انه ملاقيكم يا ايها الذين آمنوا اذا نودي للصلوة من يوم الجمعة فاسعوا الى ذكر الله وذروا البيع ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون فاذا قضيت الصلوة فانتشروا في الارض وابتغوا من فضل الله واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون يوم الجمعة يوم الفوج المجموع كقولهم ضحكة للمضحوك منه ويوم الجمعة بفتح الميم يوم الوقت الجامع كقولهم ضحكة ولعنة ويوم الجمعة تثقيل للجمعة كما قيل عسرة في عسرة وقرئ بهن جميعا من في قوله من يوم الجمعة هي بيان لاذا وتفسير له والنداء الاذان وقالوا المراد به الاذان عند قعود الامام على المنبر وقد كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم مؤذن واحد فكان اذا جلس على

قل يا ايها الذين هادوا

فانه

مثل الذين حملوا التورية ثم لم يحملوها كمثل

المنبر أذن على باب المسجد فاذا نزل أقام للصلوة ثم كان ابو بكر وعمر على ذلك حتى اذا كان عثمن
وكثر الناس وتباعدت المنازل زاد موذنا آخر فامر بالتاذين الاول على داره التي تسمى زوراء فاذا
جلس على المنبر اذن المؤذن الثاني فاذا نزل أقام للصلوة فلم يعب ذلك عليه وقيل اول من سماها
جمعة كعب بن لوي وكان يقال لها العروبة وقيل ان الانصار قالوا لليهود يوم يجتمعون فيه كل
سبعة ايام وللنصارى مثل ذلك فهلموا نجعل لنا يوما نجتمع فيه فنذكر الله ونصلي فقالوا يوم السبت
لليهود ويوم الاحد للنصارى فاجعلوه يوم العروبة فاجتمعوا الى اسعد بن زرارة فصلى بهم يومئذ
ركعتين وذكرهم فسموه يوم الجمعة لاجتماعهم فيه فانزل الله آية الجمعة فهي اول جمعة كانت في
الاسلام واما اول جمعة جمعها رسول الله صلى الله عليه وسلم فهي انه لما قدم المدينة مهاجرا نزل
قباء على بني عمرو بن عوف واقام بها يوم الاثنين والثلاثاء والاربعاء والخميس واسس مسجدهم ثم خرج
يوم الجمعة عامدا المدينة فادركته صلوة الجمعة في بني سالم بن عوف في بطن واد لهم فخطب وصلى
الجمعة وعن بعضهم قد ابطل الله قول اليهود في ثلث افتخروا بانهم اولياء الله واحباؤه فكذبهم في قوله
فتمنوا الموت ان كنتم صادقين وبانهم اهل الكتاب والعرب لا كتاب لهم فشبههم بالحمار يحمل اسفارا و
بالسبت وانه ليس للمسلمين مثله فشرع الله لهم الجمعة وعن النبي صلى الله عليه وسلم خير يوم طلعت فيه
الشمس يوم الجمعة فيه خلق آدم وفيه ادخل الجنة وفيه اهبط الى الارض وفيه تقوم الساعة وهو عند
الله يوم المزيد وعنه عليه السلام اتاني جبريل وفي كفه مرآة بيضاء وقال هذه الجمعة يعرضها
عليك لتكون لك عيدا ولامتك من بعدك وهو سيد الايام عندنا ونحن ندعوه الى الآخرة يوم المزيد
وعنه ان الله في كل جمعة ستمائة الف عتيق من النار وعن كعب ان الله فضل من البلدان مكة ومن
الشهور رمضان ومن الايام الجمعة وقال عليه السلام من مات يوم الجمعة كتب الله له اجر شهيد
ووقي فتنة القبر وفي الحديث اذا كان يوم الجمعة قعدت الملائكة على ابواب المسجد بايديهم
صحف من فضة واقلام من ذهب يكتبون الاول فالاول على مراتبهم وكانت الطرقات في ايام السلف
وقت السحر وبعد الفجر مغتصة بالمبكرين الى الجمعة يمشون بالسرج وقيل اول بدعة احدثت
في الاسلام ترك البكور الى الجمعة وعن ابن مسعود انه بكر فراى ثلثة نفر سبقوه فاغتم واخذ
يعاتب نفسه يقول اراك رابع اربعة وما رابع اربعة بسعيد ولا يقام الجمعة عند ابي حنيفة رحمه
الله الا في مصر جامع لقوله عليه السلام لا جمعة ولا تشريق ولا فطر ولا اضحى الا في مصر جامع والمصر
الجامع ما اقيمت فيه الحدود ونفذت فيه الاحكام ومن شروطها الامام او من يقوم مقامه لقوله

السلام فمن تركها وله امام عادل او جائر الحديث وقوله اربع الى الولاة الفيء والصدقات و
الحدود والجمعات فان ام رجل بغير اذن الامام او من ولاه من قاض او صاحب شرطة لم يجز فان لم يمكن
الاستيذان فاجتمعوا على واحد فصلى بهم جاز وهي تنعقد بثلثة سوى الامام وعند الشافعي رحمه الله
باربعين ولا جمعة على المسافرين والعبيد والنساء والمرضى والزمنى ولا على الاعمى عند ابي حنيفة ولا
على الشيخ الذي لا يمشي الا بقائد وقرا عمر وابن عباس وابن مسعود رضي الله عنهم فامضوا وعن عمر رضي
الله عنه انه سمع رجلا يقرا فاسعوا فقال من اقرأك بهذا قال ابي بن كعب فقال لا يزال يقرأ
بالمنسوخ لو كانت فاسعوا لسعيت حتى يسقط ردائي وقيل المراد بالسعي القصد دون العدو
والسعي التصرف في كل عمل ومنه قوله تعالى فلما بلغ معه السعي وان ليس للانسان الا ما سعى
وعن الحسن ليس السعي على الاقدام ولكنه على النيات والقلوب وذكر محمد بن الحسن في موطئه
ان ابن عمر سمع الاقامة وهو بالبقيع فاسرع المشي قال محمد وهذا لا باس به ما لم يجهد نفسه
الى ذكر الله الى الخطبة والصلوة وتسمية الله الخطبة ذكرا له قال ابو حنيفة ان اقتصر
الخطيب على مقدار ما يسمى ذكر الله كقوله الحمد لله سبحان الله جاز وعن عثمان رضي الله عنه
انه صعد المنبر فقال الحمد لله وارتج عليه فقال ان ابا بكر وعمر رضي الله عنهما كانا يعدان لهذا
المقام مقالا وانكم الى امام فعال احوج منكم الى امام قوال وستأتيكم الخطب ثم نزل وكان
ذلك بحضرة الصحابة فلم ينكر احد عليه وعند صاحبيه والشافعي لا بد من كلام يسمى خطبة
كيف يفسر ذكر الله بالخطبة وفيها ذكر غير الله ما كان من ذكر رسول الله
صلى الله عليه وسلم والثناء عليه وعلى خلفائه الراشدين واتقياء المومنين والموعظة والتذكير
فهو في حكم ذكر الله فاما ما عدا ذلك من ذكر الظلمة والقابهم والثناء عليهم والدعاء لهم وهم
احقاء بعكس ذلك فهو من ذكر الشيطان وهو من ذكر الله على مراحل واذا قال المنصت للخطبة لصاحبه
صه فقد لغا افلا يكون الخطيب لغا في ذلك لا عيا نعوذ بالله من غربة الاسلام ونكد الايام
اراد الامر بترك ما يذهل عن ذكر الله من شواغل الدنيا وانما خص البيع من بينها لان يوم الجمعة
يوم يهبط الناس فيه من قراهم وبواديهم وينصبون الى المصر من كل اوب ووقت هبوطهم و
اجتماعهم واغتصاص الاسواق اذا انتفخ النهار وتعالى الضحى ودنا وقت الظهيرة وحينئذ
تحر التجارة ويتكاثر البيع والشرى فلما كان ذلك الوقت مظنة الذهول بالبيع عن ذكر الله
والمضي الى المسجد قيل لهم بادروا تجارة الآخرة واتركوا تجارة الدنيا واسعوا الى ذكر الله الذي

الذى لا شيء انفع منه وارْبح وذروا البيع الذى نفعه يسير وربحه مقارب فاذا كان
البيع فى هذا الوقت مامورا بتركه محرّما فهل هو فاسد عامة العلماء على ان ذلك لا يوجب
فساد البيع قالوا لان البيع لم يحرم لعينه ولكن لما فيه من الذهول عن الواجب فهو كالصلوة فى الارض
المغصوبة والثوب المغصوب والوضوء بماء مغصوب وعن بعض الناس انه فاسد ثم اطلق لهم ما حظر
عليهم بعد قضاء الصلوة من الانتشار وابتغاء الربح مع التوصية باكثار الذكر وان لا يلهيهم شيء
من تجارة ولا غيرها عنه وان يكون همهم فى جميع احوالهم واوقاتهم موكلة به لا ينفضون عنه لان
فلاحهم فيه وفوزهم منوط به وعن ابن عباس لم يؤمروا بطلب شيء من الدنيا انما هو عيادة المرضى
وحضور الجنائز وزيارة اخ فى الله وعن الحسن وسعيد بن المسيب طلب العلم وقيل صلوة التطوع
وعن بعض السلف انه كان يشغل نفسه بعد الجمعة بشيء من امور الدنيا نظرا فى هذه الآية
واذا راوا تجارة او لهوا انفضوا اليها وتركوك قائما قل ما عند الله خير من اللهو ومن التجارة والله خير الرازقين
روى ان اهل المدينة اصابهم جوع وغلاء شديد فقدم دحية بن خليفة بتجارة من زيت الشام
والنبى صلى الله عليه وسلم يخطب يوم الجمعة فقاموا اليه خشوا ان يسبقوا اليه فما بقى معه الا يسير
قيل ثمانية واحد عشر اثنا عشر واربعون فقال عليه السلام والذى نفس محمد بيده لو خرجوا جميعا
لاضرم الله عليهم الوادى نارا وكانوا اذا اقبلت العير استقبلوها بالطبل والتصفيق فهو
المراد باللهو وعن قتادة فعلوا ذلك ثلث مرات فى كل مقدم عير فان اتفق تفرق
الناس عن الامام فى صلوة الجمعة كيف يصنع ان بقى وحده او مع اقل من ثلثة فعند ابى حنيفة
يستانف الظهر اذا نفروا عنه قبل الركوع وعند صاحبيه اذا كبر وهم معه مضى فيها وعند
زفر اذا نفروا قبل التشهد بطلت كيف قال اليها وقد ذكر شيئين
تقديره اذا راوا تجارة انفضوا اليها او لهوا انفضوا اليه فحذف احدهما لدلالة المذكور وكذلك
قراءة من قرا انفضوا اليه وقراءة من قرا لهوا او تجارة انفضوا اليها وقرئ اليهما عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الجمعة اعطى من الاجر عشر حسنات بعدد من اتى الجمعة وبعدد من
لم ياتها فى امصار المسلمين

سورة المنافقين مدنية وهى احدى عشرة آية

بسم الله الرحمن الرحيم اذا جاءك المنافقون قالوا ارادوا بقولهم نشهد انك لرسول الله
شهادة واطاءت فيها قلوبهم السنتهم فقال الله عز وجل قالوا ذلك والله يعلم ان الامر كما يدل
عليه قولهم انك لرسول الله والله يشهد انهم لكاذبون فى قولهم نشهد وادعائهم فيه المواطاة

او انهم لكاذبون فيه لانه اذا خلا عن المواطاة لم يكن شهادة فى الحقيقة فهم كاذبون فى تسميته شهادة
او ارادوا والله يشهد انهم لكاذبون عند انفسهم لانهم كانوا يعتقدون ان قولهم انك لرسول الله
كذب وخبر على خلاف ما عليه حال المخبر عنه اى فائدة فى قوله والله يعلم انك لرسوله
لو قال قالوا نشهد انك لرسول الله والله يشهد انهم لكاذبون لكان يوهم ان قولهم
هذا كذب فوسط بينهما قوله والله يعلم انك لرسوله ليميط هذا الايهام اتخذوا ايمانهم جنة فصدوا
عن سبيل الله يجوز ان يراد ان قولهم نشهد انك لرسول الله يمين من ايمانهم الكاذبة لان الشهادة
تجرى مجرى الحلف فيما يراد به من التوكيد يقول الرجل اشهد واشهد بالله واعزم واعزم بالله
فى موضع اقسم واولى وبه استشهد ابو حنيفة رحمه الله على ان اشهد يمين ويجوز ان يكون وصفا
للمنافقين فى استجنانهم بالايمان وقراءة الحسن ايمانهم اى ما اظهروه من الايمان بالسنتهم ويعضده قوله
ذلك بانهم آمنوا ثم كفروا ساء ما كانوا يعملون من نفاقهم وصدهم الناس عن سبيل الله وفى ساء معنى
التعجب الذى هو تعظيم امرهم عند السامعين ذلك بانهم اشارة الى قوله ساء ما كانوا يعملون اى ذلك
القول الشاهد عليهم بانهم اسوا الناس اعمالا بسبب انهم آمنوا ثم كفروا او الى ما وصف من حالهم فى النفاق
والكذب والاستجنان بالايمان اى ذلك كله بسبب انهم آمنوا ثم كفروا فطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون فجسروا
على كل عظيمة المنافقون لم يكونوا الا على الكفر الثابت الدائم فما معنى قوله آمنوا ثم
كفروا فيه ثلثة اوجه احدها آمنوا اى نطقوا بكلمة الشهادة وفعلوا كما يفعل من يدخل
فى الاسلام ثم كفروا ثم ظهر كفرهم بعد ذلك وتبين بما اطلع عليه من قولهم ان كان ما يقوله محمد
حقا فنحن حمير وقولهم فى غزوة تبوك ايطمع هذا الرجل ان يفتح له قصور كسرى وقيصر
هيهات ونحوه قوله يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد اسلامهم اى و
ظهر كفرهم بعد ان اسلموا ونحوه لا تعتذروا قد كفرتم بعد ايمانكم والثانى آمنوا اى نطقوا بالايمان
عند المؤمنين ثم نطقوا بالكفر عند شياطينهم استهزاء بالاسلام كقوله واذا لقوا الذين آمنوا
الى قوله انما نحن مستهزءون والثالث ان يراد اهل الردة منهم وقرئ فطبع على قلوبهم وقرا زيد بن
على فطبع الله كان عبد الله بن ابى رجلا جسيما صبيحا فصيحا ذلق اللسان وقوم من المنافقين
فى مثل صفته وهم رؤساء المدينة فكانوا يحضرون مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم فيستندون فيه
ولهم جهارة المناظر وفصاحة الالسن فكان النبى صلى الله عليه وسلم ومن حضر يعجبون بهياكلهم
ويسمعون الى كلامهم فما معنى قوله واذا رايتهم تعجبك اجسامهم وان يقولوا تسمع لقولهم

كأنهم خشب مسندة شبهوا في استنادهم وما هم إلا أجرام خالية عن الإيمان والخير
بالخشب المسندة إلى الحائط ولأن الخشب إذا انتفع به كان في سقف أو جدار أو غيرهما من مظان الانتفاع
وما دام متروكا فارغا غير منتفع به أسند إلى الحائط فشبهوا به في عدم الانتفاع ويجوز أن يراد بالخشب
المسندة الأصنام المنحوتة من الخشب المسندة إلى الحيطان شبهوا بها في حسن صورهم وقلة جدواهم
والخطاب في وإذا رأيتهم تعجبك لرسول الله أو لكل من يخاطب وقرئ يسمع على البناء للمفعول وموضع كأنهم
خشب رفع على هم كأنهم خشب أو هو كلام مستأنف لا محل له وقرئ خشب جمع خشبة كبدنة وبدن
وخشب كثمرة وثمر وخشب كمدرة ومدر وهي قراءة ابن عباس وعن اليزيدي أنه قال في خشب جمع خشباء
والخشباء الخشبة التي دعر جوفها شبهوا بها في نفاقهم وفساد بواطنهم عليهم ثاني مفعولي يحسب أي
يحسبون كل صيحة واقعة عليهم وضارة لهم لجبنهم وهلعهم وما في قلوبهم من الرعب إذا نادى
مناد في العسكر أو انفلتت دابة أو أنشدت ضالة ظنوه إيقاعا بهم وقيل كانوا على وجل من أن ينزل
الله فيهم ما يهتك أستارهم ويبيح دماءهم وأموالهم ومنه أخذ الأخطل ما زلت تحسب كل شيء بعدهم
خيلا تكر عليهم ورجالا يوقف عليهم ويبتدأ هم العدو أي هم الكاملون في العداوة لأن أعدى الأعداء
العدو المداجي الذي يكاشرك وتحت ضلوعه الداء الدوي فاحذرهم ولا تغترر بظاهرهم ويجوز
أن يكون هم العدو المفعول الثاني كما لو طرحت الضمير فحقه أن يقال هي العدو
منظورا فيه إلى الخبر كما ذكر في هذا ربي وأن يقدر مضاف محذوف على يحسبون كل أهل صيحة قاتلهم
الله دعاء عليهم وطلب من ذاته أن يلعنهم ويخزيهم أو تعليم للمؤمنين أن يدعوا عليهم بذلك أنى يؤفكون
كيف يعدلون عن الحق تعجبا من جهلهم وضلالتهم وإذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله لووا رؤوسهم
عطفوها وأمالوها إعراضا عن ذلك واستكبارا قرئ بالتخفيف والتشديد للتكثير روي أن رسول
الله صلى الله عليه وسلم حين لقي بني المصطلق على المريسيع وهو ماء لهم وهزمهم وقتل منهم ازدحم على
الماء جهجاه بن سعيد أجير لعمر يقود فرسه وسنان الجهني حليف لعبد الله بن أبي واقتتلا فصرخ
جهجاه بالمهاجرين وسنان بالأنصار فأعان جهجاها جعال من فقراء المهاجرين ولطم سنانا فقال
عبد الله لجعال وأنت هناك وقال ما صحبنا محمدا إلا لنلطم والله ما مثلنا ومثلهم إلا كما قال سمن
كلبك يأكلك أما والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل عنى بالأعز نفسه و
بالأذل رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال لقومه ماذا فعلتم بأنفسكم أحللتموهم بلادكم وقاسمتموهم
أموالكم أما والله لو أمسكتم عن جعال وذويه فضل طعامكم لم يركبوا رقابكم ولأوشكوا أن

يتحولوا عنكم فلا تنفقوا عليهم حتى ينفضوا من حول محمد فسمع بذلك زيد بن أرقم وهو حدث فقال أنت
والله الذليل القليل المبغض في قومك ومحمد في عز من الرحمن وقوة من المسلمين فقال اسكت فإنما كنت
ألعب فأخبر زيد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عمر دعني أضرب عنق المنافق يا رسول الله فقال
إذن ترعد آنف كثيرة بيثرب قال فإن كرهت أن يقتله مهاجري فأمر به أنصاريا فقال فكيف إذا
تحدث الناس أن محمدا يقتل أصحابه وقال عليه السلام لعبد الله أنت صاحب الكلام الذي بلغني قال
والله الذي أنزل عليك الكتاب ما قلت شيئا من ذلك وإن زيدا لكاذب فهو قوله اتخذوا أيمانهم جنة
فقال الحاضرون يا رسول الله شيخنا وكبيرنا لا تصدق عليه كلام غلام عسى أن يكون قد وهم فروي أن رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال له لعلك غضبت عليه قال لا قال فلعله أخطأ سمعك قال لا قال فلعله شبه
عليك قال لا فلما نزلت لحق رسول الله صلى الله عليه وسلم زيدا من خلفه فعرك أذنه وقال وفت أذنك
يا غلام إن الله قد صدقك وكذب المنافقين ولما أراد عبد الله أن يدخل المدينة اعترضه ابنه
حباب وهو عبد الله بن عبد الله غير رسول الله اسمه وقال إن حبابا اسم شيطان وكان مخلصا وقال
وراءك والله لا تدخلها حتى تقول رسول الله الأعز وأنا الأذل فلم يزل حبيسا في يده حتى أمره رسول
الله صلى الله عليه وسلم بتخليته وروي أنه قال له لئن لم تقر لله ورسوله بالعز لأضربن عنقك فقال
ويحك أفاعل أنت قال نعم فلما رأى منه الجد قال أشهد أن العزة لله ولرسوله وللمؤمنين فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم لابنه جزاك الله عن رسوله وعن المؤمنين خيرا فلما بان كذب عبد الله
قيل له قد نزلت فيك آي شداد فاذهب إلى رسول الله يستغفر لك فلوى رأسه ثم قال أمرتموني
أن أومن فآمنت وأمرتموني أن أزكي مالي فزكيت فما بقي إلا أن أسجد لمحمد فنزلت وإذا قيل لهم تعالوا
ولم يلبث إلا أياما قلائل حتى اشتكى ومات سواء عليهم أستغفرت لهم أم لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم إن الله لا يهدي القوم الفاسقين
الاستغفار وعدمه لأنهم لا يلتفتون إليه ولا يعتدون به لكفرهم أو لأن الله لا يغفر لهم وقرئ استغفرت
على حذف حرف الاستفهام لأن أم المعادلة تدل عليه وقرأ أبو جعفر آستغفرت إشباعا لهمزة الاستفهام
للإظهار والبيان لا قلبا لهمزة الوصل ألفا كما في آلسحر وآلله هم الذين يقولون لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا
يتفرقوا وقرئ ينفضوا من أنفض القوم إذا فنيت أزوادهم وحقيقته حان لهم أن ينفضوا مزاودهم
ولله خزائن السماوات والأرض وبيده الأرزاق والقسم فهو رازقهم منها وإن أبى أهل المدينة أن ينفقوا عليهم
ولكن المنافقين عبد الله وأضرابه جاهلون لا يفقهون ذلك فيهذون بما يزين لهم الشيطان وقرئ ليخرجن
الأعز منها الأذل بفتح الياء وليخرجن على البناء للمفعول وقرأ الحسن وابن أبي عبلة لنخرجن بالنون

ونصب الأعز والأذل ومعناه خروج الأذل أو إخراج الأذل أو مثل الأذل ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون الغلبة والقوة ولمن أعزه الله وأيده من رسوله ومن المؤمنين وهم الأخصاء بذلك كما أن المذلة والهوان للشيطان وذويه من الكافرين والمنافقين وعن بعض الصالحات وكانت في هيئة رثة ألست على الإسلام وهو العز الذي لا ذل معه والغنى الذي لا فقر معه وعن الحسن بن علي رضي الله عنهما أن رجلاً قال له إن الناس يزعمون أن فيك تيها قال ليس بتيه ولكنه عزة وتلا هذه الآية يا أيها الذين آمنوا لا تلهكم لا يشغلكم أموالكم والتصرف فيها والسعي في تدبير أمرها والتهالك على طلب النماء فيها بالتجارة والاغتلال وابتغاء النتاج والتلذذ بها والاستمتاع بمنافعها ولا أولادكم وسروركم بهم وشفقتكم عليهم والقيام بمؤنهم وتسوية ما يصلحهم من معايشهم في حياتكم وبعد مماتكم وقد عرفتم قدر منفعة الأموال والأولاد وأنه أهون شيء وأدونه في جنب ما عند الله عن ذكر الله وإيثاره عليها ومن يفعل ذلك يريد الشغل بالدنيا عن الدين فأولئك هم الخاسرون في تجارتهم حيث باعوا العظيم الباقي بالحقير الفاني وقيل ذكر الله الصلوات الخمس وعن الحسن جميع الفرائض كأنه قال عن طاعة الله وقيل القرآن وعن الكلبي الجهاد مع رسول الله من في وأنفقوا مما رزقناكم للتبعيض والمراد الإنفاق الواجب من قبل أن يأتي أحدكم الموت من قبل أن يرى دلائل الموت ويعاين ما ييأس معه من الإمهال ويضيق به الخناق ويتعذر عليه الإنفاق ويفوت وقت القبول فيتحسر على المنع ويعض أنامله على فقد ما كان متمكنا منه وعن ابن عباس تصدقوا قبل أن ينزل عليكم سلطان الموت فلا يقبل توبة ولا ينفع عمل وعنه ما يمنع أحدكم إذا كان له مال أن يزكي وإذا أطاق الحج أن يحج من قبل أن يأتيه الموت فيسأل ربه الكرة فلا يعطاها وعنه أنها نزلت في مانعي الزكاة والله لو رأى خيرا لما سأل الرجعة فقيل له أما تتقي الله يسأل المؤمنون الكرة قال نعم أنا أقرأ عليكم به قرآنا يعني أنها نزلت في المؤمنين وهم المخاطبون بها وكذا عن الحسن ما من أحد لم يزك ولم يصم ولم يحج إلا سأل الرجعة وعن عكرمة نزلت في أهل القبلة فيقول رب لولا أخرتني وقرئ أخرتن يريد هلا أخرت موتي إلى أجل قريب إلى زمان قليل فأصدق وقرأ أبي فأتصدق على الأصل وأكن من الصالحين عطفا على محل فأصدق كأنه قيل إن أخرتني أصدق وأكن ومن قرأ وأكون على النصب فعلى اللفظ وقرأ عبيد بن عمير وأكون على وأنا أكون عدة منه بالصلاح ولن يؤخر الله نفسا إذا جاء أجلها والله خبير بما تعملون نفي للتأخير على وجه التأكيد الذي معناه منافاة المنفي الحكمة والمعنى أنكم إذا علمتم أن تأخير الموت عن وقته مما لا سبيل إليه وأنه هاجم لا محالة وأن الله عليم بأعمالكم

فمجاز عليها من منع واجب وغيره لم يبق إلا المسارعة إلى الخروج عن عهدة الواجبات والاستعداد للقاء الله وقرئ يعملون بالتاء والياء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة المنافقين برئ من النفاق

سورة التغابن مختلف فيها وهي ثماني عشرة آية

بسم الله الرحمن الرحيم يسبح لله ما في السموات وما في الأرض له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير قدم الظرفان ليدل بتقديمهما على معنى اختصاص الملك والحمد بالله عز وجل وذلك لأن الملك على الحقيقة له لأنه مبدئ كل شيء ومبدعه والقائم به والمهيمن عليه وكذلك الحمد لأن أصول النعم وفروعها منه وأما ملك غيره فتسليط منه واسترعاء وحمده اعتداد بأن نعمة الله جرت على يده هو الذي خلقكم فمنكم كافر ومنكم مؤمن يعني فمنكم آت بالكفر وفاعل له ومنكم آت بالإيمان وفاعل له كقوله وجعلنا في ذريته النبوة والكتاب فمنهم مهتد وكثير منهم فاسقون والدليل عليه قوله والله بما تعملون بصير أي عالم بكفركم وإيمانكم اللذين هما من عملكم والمعنى هو الذي تفضل عليكم بأصل النعم الذي هو الخلق والإيجاد عن العدم فكان يجب أن تنظروا النظر الصحيح وتكونوا بأجمعكم عبادا شاكرين فما فعلتم مع تمكنكم بل تشعبتم شعبا وتفرقتم أمما فمنكم كافر ومنكم مؤمن وقدم الكفر لأنه الأغلب عليهم والأكثر فيهم وقيل هو الذي خلقكم فمنكم كافر بالخلق وهم الدهرية ومنكم مؤمن به فإن قلت نعم إن العباد هم الفاعلون للكفر ولكن قد سبق في علم الحكيم أنه إذا خلقهم لم يفعلوا إلا الكفر ولم يختاروا غيره فما دعاه إلى خلقهم مع علمه بما يكون منهم وهل خلق القبيح وخلق فاعل القبيح إلا واحد وهل مثله إلا مثل من وهب سيفا لمن شهر بقطع السبيل وقتل النفس المحرمة فقتل به مؤمنا أما يطبق العقلاء على ذم الواهب وتعنيفه والدق في فروته كما يذمون القاتل بل إنحاؤهم باللوائم على الواهب أشد قلت قد علمنا أن الله حكيم عالم بقبح القبيح عالم بغناه عنه فقد علمنا أن أفعاله كلها حسنة وخلق فاعل القبيح فعله فوجب أن يكون حسنا وأن يكون له وجه حسن وخفاء وجه الحسن علينا لا يقدح في حسنه كما لا يقدح في حسن أكثر مخلوقاته جهلنا بداعي الحكمة إلى خلقها خلق السموات والأرض بالحق بالغرض الصحيح والحكمة البالغة وهو أن جعلها مقار المكلفين ليعملوا فيجازيهم وصوركم فأحسن صوركم وإليه المصير يعلم ما في السموات والأرض ويعلم ما تسرون وما تعلنون والله عليم بذات الصدور وقرئ صوركم بالكسر لتشكروا وإليه مصيركم فيجازيكم على الشكر والتفريط فيه فإن قلت كيف أحسن صورهم قلت جعلهم أحسن الحيوان كله وأبهاه بدليل أن الإنسان لا يتمنى أن تكون صورته على خلاف ما يرى من سائر الصور ومن حسن صورته أنه خلق منتصبا غير منكب كما قال

عز وعلا في أحسن تقويم فكم من دميم مشوه الصورة سمج الخلقة تقتحمه العيون
لا سماجة ثمة ولكن الحسن كغيره من المعاني على طبقات ومراتب فلانحطاط بعض الصور عن مراتب ما
فوقها انحطاطا بينا وإضافتها إلى الموفي عليها لا تستملح وإلا فهي داخلة في حيز الحسن غير خارجة
من حده ألا ترى أنك قد تعجب بصورة وتستملحها ولا ترى الدنيا بها ثم ترى أملح وأعلى في مراتب الحسن
فينبو عن الأولى طرفك وتستثقل النظر إليها بعد افتتانك بها وتهالكك عليها وقالت الحكماء شيئان
لا غاية لهما الجمال والبيان نبه بعلمه ما في السموات والأرض ثم بعلمه ما يسره العباد ويعلنونه ثم بعلمه
ذوات الصدور أن شيئا من الكليات والجزئيات غير خاف عليه ولا عازب عنه فحقه أن يتقى ويحذر
ولا يجترأ على شيء مما يخالف رضاه وتكرير العلم في معنى تكرير الوعيد وكل ما ذكره بعد قوله فمنكم
كافر ومنكم مؤمن كما ترى في معنى الوعيد على الكفر وإنكار أن يعصى الخالق ولا تشكر نعمته فما
أجهل من يمزج الكفر بالخلق ويجعله من جملته والخلق أعظم نعمة من الله على عباده والكفر أعظم
كفران من العباد لربهم ألم يأتكم نبأ الذين كفروا من قبل فذاقوا وبال أمرهم ولهم عذاب أليم الخطاب لكفار
مكة ذلك إشارة إلى ما ذكر من الوبال الذي ذاقوه في الدنيا وما أعد لهم من العذاب في الآخرة
بأنه بأن الشأن والحديث كانت تأتيهم رسلهم بالبينات فقالوا أبشر يهدوننا أنكروا أن يكون الرسل
بشرا ولم ينكروا أن يكون الله حجرا واستغنى الله أطلق ليتناول كل شيء ومن جملته إيمانهم و
طاعتهم قوله فكفروا وتولوا واستغنى الله والله غني حميد يوهم وجود التولي والاستغناء
معا والله تعالى لم يزل غنيا معناه وظهر استغناء الله حيث لم يلجئهم إلى الإيمان
ولم يضطرهم إليه مع قدرته على ذلك زعم الذين كفروا أن لن يبعثوا قل بلى وربي لتبعثن ثم لتنبؤن
بما عملتم الزعم ادعاء العلم ومنه قوله عليه السلام زعموا مطية الكذب وعن شريح لكل شيء
كنية وكنية الكذب زعموا ويتعدى إلى مفعولين تعدي العلم قال
ولم أزعمك عن ذاك معزلا وأن مع ما في حيزه قائم مقامهما والذين كفروا أهل مكة وبلى
إثبات لما بعد لن وهو البعث وذلك على الله يسير أي لا يصرفه عنه صارف وعني برسوله والنور محمدا
صلى الله عليه وسلم والقرآن فآمنوا بالله ورسوله والنور الذي أنزلنا والله بما تعملون خبير يوم يجمعكم ليوم
الجمع وقرئ نجمعكم ونكفر بالياء والنون ثم انتصب الظرف بقوله لتنبؤن
أو بخبير لما فيه من معنى الوعيد كأنه قيل والله معاقبكم يوم يجمعكم أو بإضمار اذكر ليوم الجمع ليوم
يجمع فيه الأولون والآخرون التغابن مستعار من تغابن القوم في التجارة وهو أن يغبن

بعضهم بعضا لنزول السعداء منازل الأشقياء التي كانوا ينزلونها لو كانوا سعداء ونزول الأشقياء
منازل السعداء التي كانوا ينزلونها لو كانوا أشقياء وفيه تهكم بالأشقياء لأن نزولهم ليس بغبن
وفي حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من عبد يدخل الجنة إلا أري مقعده من النار لو أساء
ليزداد شكرا وما من عبد يدخل النار إلا أري مقعده من الجنة لو أحسن ليزداد حسرة ذلك يوم
التغابن وقد يتغابن الناس في غير ذلك اليوم استعظام له وأن تغابنه هو التغابن في الحقيقة لا
التغابن في أمور الدنيا وإن جلت وعظمت ومن يؤمن بالله ويعمل صالحا صفة للمصدر أي عملا صالحا
يكفر عنه سيئاته ويدخله جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا ذلك الفوز العظيم والذين كفروا و
كذبوا بآياتنا أولئك أصحاب النار خالدين فيها وبئس المصير ما أصاب من مصيبة إلا بإذن الله إلا بتقديره
ومشيئته كأنه أذن للمصيبة أن تصيبه ومن يؤمن بالله يهد قلبه يلطف به ويشرحه للازدياد من
الطاعة والخير وقيل هو الاسترجاع عند المصيبة وعن الضحاك يهد قلبه حتى يعلم أن ما أصابه لم
يكن ليخطئه وما أخطأه لم يكن ليصيبه وعن مجاهد إن ابتلي صبر وإن أعطي شكر وإن ظلم غفر
وقرئ يهد قلبه على البناء للمفعول والقلب مرفوع أو منصوب ووجه النصب أن يكون مثل سفه
نفسه أي يهد في قلبه ويجوز أن يكون المعنى أن الكافر ضال عن قلبه بعيد منه والمؤمن واجد له
مهتد إليه كقوله لمن كان له قلب وقرئ نهد قلبه بالنون ويهدأ قلبه بمعنى يهتد ويهدأ قلبه
يطمئن ويهد ويهدا على التخفيف والله بكل شيء عليم يعلم ما يؤثر فيه اللطف من القلوب مما لا
يؤثر فيمنحه ويمنعه فإن توليتم فإنما على رسولنا البلاغ المبين الله لا إله إلا هو فلا عليه إذا توليتم
لأنه لم يكتب عليه طاعتكم إنما كتب عليه أن يبلغ ويبين فحسب وعلى الله فليتوكل المؤمنون بعث لرسول
الله صلى الله عليه وسلم على التوكل عليه والتقوي به في أمره حتى ينصره على من كذبه وتولى عنه
يا أيها الذين آمنوا إن من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم إن من الأزواج أزواجا يعادين بعولتهن ويخاصمنهم
ويجلبن عليهم ومن الأولاد أولادا يعادون آباءهم ويعقونهم ويجرعونهم الغصص والأذى فاحذروهم
الضمير للعدو أو للأزواج والأولاد جميعا أي لما علمتم أن هؤلاء لا يخلون من عدو فكونوا منهم على حذر
ولا تأمنوا غوائلهم وشرهم وإن تعفوا وتصفحوا وتغفروا عنهم إذا اطلعتم منهم على عداوة ولم تقابلوهم
بمثلها فإن الله غفور رحيم يغفر لكم ذنوبكم ويكفر عنكم وقيل إن ناسا أرادوا الهجرة عن مكة فثبطهم
أزواجهم وأولادهم وقالوا تنطلقون وتضيعوننا فرقوا لهم ووقفوا فلما هاجروا بعد ذلك ورأوا
الذين سبقوهم قد فقهوا في الدين أرادوا أن يعاقبوا أزواجهم وأولادهم فزين لهم العفو وقيل

قالوا لهم اين تذهبون وتدعون بلدكم وعشيرتكم واموالكم فغضبوا عليهم وقالوا لئن جمعنا الله في دار
الهجرة لم نصبكم بخير فلما هاجروا منعوهم الخير فحثوا ان يعفوا عنهم ويردوا اليهم البر والصلة وقيل كان
عوف بن مالك الاشجعي ذا اهل وولد فاذا اراد ان يغزو تعلقوا به وبكوا اليه ورققوه فكانه
هم بأذاهم فنزلت انما اموالكم واولادكم فتنة بلاء ومحنة لانهم يوقعون في الاثم والعقوبة ولا
بلاء اعظم منهما الا ترى الى قوله والله عنده اجر عظيم وفي الحديث يؤتى برجل يوم القيمة فيقال اكل عياله
حسناته وعن بعض السلف العيال سوس الطاعات وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان يخطب فجاء
الحسن والحسين رضي الله عنهما وعليهما قميصان احمران يعثران ويقومان فنزل اليهما فاخذهما ووضعهما
في حجره على المنبر فقال صدق الله انما اموالكم واولادكم فتنة رايت هذين الصبيين فلم اصبر عنهما ثم اخذ
في خطبته وقيل اذا امكنكم الجهاد والهجرة فلا يفتننكم الميل الى الاموال والاولاد عنهما فاتقوا الله ما استطعتم
جهدكم ووسعكم اي ابذلوا فيها استطاعتكم واسمعوا ما توعظون به واطيعوا فيما تؤمرون به وتنهون عنه
وانفقوا في الوجوه التي وجبت عليكم خيرا لانفسكم نصب لمحذوف تقديره ائتوا خيرا لانفسكم وافعلوا ما هو
النفقة فيها
خير لها وانفع وهذا تاكيد للحث على امتثال هذه الاوامر وبيان لان هذه الامور خير لانفسكم من الاموال
والاولاد وما انتم عاكفون عليه من حب الشهوات وزخارف الدنيا ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون
ان تقرضوا الله قرضا حسنا وذكر القرض تلطف في الاستدعاء يضاعفه لكم يكتب لكم بالواحدة عشرا
او سبعمائة الى ما شاء من الزيادة وقرئ يضعفه ويغفر لكم والله شكور اي يفعل بكم ما يفعل المبالغ
في الشكر من عظيم الثواب حليم يفعل بكم ما يفعل من يحلم عن المسيء فلا يعاجلكم بالعقاب مع كثرة
ذنوبكم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة التغابن دفع عنه موت الفجاءة

سورة الطلاق مدنية وهي احدى عشرة او اثنتا عشرة آية

بسم الله الرحمن الرحيم يا ايها النبي خص النبي صلى الله عليه وسلم بالنداء وعم بالخطاب
لان النبي امام امته وقدوتهم كما يقال لرئيس القوم وكبيرهم يا فلان افعلوا كيت وكيت
اظهارا لتقدمه واعتبارا لترؤسه وانه مدرة قومه ولسانهم والذي يصدرون عن رايه
لا يستبدون بامر دونه فكانه هو وحده في حكم كلهم وسادا مسد جميعهم ومعنى اذا طلقتم
النساء اذا اردتم تطليقهن وهممتم به على تنزيل المقبل على الامر المشارف له منزلة الشارع فيه
كقوله عليه السلام من قتل قتيلا فله سلبه ومنه كان الماشي الى الصلوة والمنتظر لها في حكم المصلي
فطلقوهن لعدتهن فطلقوهن مستقبلات لعدتهن كقولك اتيته لليلة بقيت من المحرم اي

مستقبلا لها وفي قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم في قبل عدتهن واذا طلقت المراة في الطهر
المتقدم للقرء الاول من اقرائها فقد طلقت مستقبلة لعدتها والمراد ان يطلقن في طهر لم يجامعن
فيه ثم يخلين حتى تنقضي عدتهن وهذا احسن الطلاق وادخله في السنة وابعده من
الندم ويدل عليه ما روى عن ابرهيم النخعي ان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا يستحبون
ان لا يطلقوا للسنة الا واحدة ثم لا يطلقوا غير ذلك حتى تنقضي العدة وكان احسن عندهم
من ان يطلق الرجل ثلثا في ثلثة اطهار وقال مالك بن انس لا اعرف طلاق السنة الا واحدة
وكان يكره الثلث مجموعة كانت او مفرقة واما ابو حنيفة واصحابه فانما كرهوا ما زاد على الواحدة
في طهر واحد فاما مفرقا في الاطهار فلا لما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لابن عمر حين طلق
امراته وهي حائض ما هكذا امرك الله انما السنة ان تستقبل الطهر استقبالا وتطلقها لكل قرء
تطليقة وروى انه قال مر ابنك فليراجعها ثم ليدعها حتى تحيض ثم تطهر ثم ليطلقها ان شاء
فتلك العدة التي امر الله ان تطلق لها النساء وعند الشافعي لا باس بارسال الثلث وقال
لا اعرف في عدد الطلاق سنة ولا بدعة وهو مباح فمالك يراعي في طلاق السنة الواحدة و
الوقت وابو حنيفة يراعي التفريق والوقت والشافعي يراعي ~~في طلاق~~ الوقت وحده
هل يقع الطلاق المخالف للسنة نعم وهو آثم لما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم
ان رجلا طلق امراته ثلثا بين يديه فقال اتلعبون بكتاب الله وانا بين اظهركم وفي حديث ابن عمر
انه قال يا رسول الله ارايت لو طلقتها ثلثا فقال له اذن عصيت وبانت منك امراتك وعن عمر رضي
الله عنه انه كان لا يؤتى برجل طلق امراته ثلثا الا اوجعه ضربا واجاز ذلك عليه وعن سعيد بن
المسيب وجماعة من التابعين ان من خالف السنة في الطلاق فاوقعه في حيض او ثلث لم يقع
وشبهوه بمن وكل غيره بطلاق السنة فخالف كيف تطلق التي لا تحيض لصغر او
كبر او حمل وغير المدخول بها الصغيرة والآيسة والحامل كلهن عند ابي حنيفة وابي يوسف
يفرق عليهن الثلث في الاشهر وخالفهما محمد وزفر في الحامل فقالا لا تطلق للسنة الا واحدة
واما غير المدخول بها فلا تطلق للسنة الا واحدة ولا يراعى الوقت هل يكره ان تطلق
المدخول بها واحدة بائنة اختلفت الرواية فيه عن اصحابنا والظاهر الكراهة
قوله فاذا طلقتم النساء عام يتناول المدخول بهن من ذوات الاقراء والآيسات و
الصغائر والحوامل فكيف صح تخصيصه بذوات الاقراء المدخول بهن لا عموم ثم ولا خصوص

ولكن النساء اسم جنس للإناث من الإنس وهذه الجنسية معنى قائم في كلهن وفي بعضهن فجاز أن يراد
بالنساء هذا وذاك فلما قيل فطلقوهن لعدتهن علم أنه أطلق على بعضهن وهن المدخول بهن من المعتدات
بالحيض وأحصوا العدة واتقوا الله ربكم واضبطوها بالحفظ وأكملوها ثلاثة أقراء مستقبلات كوامل لا نقصان
فيهن ولا تخرجوهن حتى تنقضي عدتهن من بيوتهن من مساكنهن التي يسكنها قبل العدة وهي بيوت الأزواج
وأضيفت إليهن لاختصاصها بهن من حيث السكنى ما معنى الجمع بين إخراجهم وخروجهن
معنى الإخراج أن لا يخرجهن البعولة غضبا عليهن وكراهة لمساكنتهن أو لحاجة لهم إلى المساكن
وأن لا يأذنوا لهن في الخروج إذا طلبن ذلك إيذانا بأن إذنهم لا أثر له في رفع الحظر ولا يخرجن وإن أردن ذلك
إلا أن يأتين بفاحشة مبينة وتلك حدود الله ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه لا تدري لعل الله يحدث
بعد ذلك أمرا قرئ بفتح الياء وكسرها قيل هي الزنا يعني إلا أن يزنين فيخرجن لإقامة الحد عليهن
وقيل إلا أن يطلقن على النشوز والنشوز يسقط حقها في السكنى وقيل إلا أن يبذون فيحل
إخراجهن لبذائهن ويؤكده قراءة أبي إلا أن يفحشن عليكم وقيل خروجها قبل انقضاء العدة فاحشة
في نفسه الأمر الذي يحدثه الله أن يقلب قلبه من بغضها إلى محبتها ومن الرغبة عنها إلى الرغبة فيها
ومن عزيمة الطلاق إلى الندم عليه فيراجعها والمعنى فطلقوهن لعدتهن وأحصوا العدة لعلكم ترغبون
وتندمون فتراجعون فإذا بلغن أجلهن فأمسكوهن بمعروف أو فارقوهن بمعروف وهو آخر العدة
وشارفنه فأنتم بالخيار إن شئتم فالرجعة والإمساك بالمعروف والإحسان وإن شئتم فترك الرجعة
والمفارقة واتقاء الضرار وهو أن يراجعها في آخر عدتها ثم يطلقها تطويلا للعدة عليها وتعذيبا لها
وأشهدوا ذوي عدل منكم وأقيموا الشهادة يعني عند الرجعة والفرقة جميعا وهذا الإشهاد مندوب
إليه عند أبي حنيفة كقوله وأشهدوا إذا تبايعتم وعند الشافعي هو واجب في الرجعة مندوب إليه
في الفرقة وقيل فائدة الإشهاد أن لا يقع بينهما التجاحد وأن لا يتهم في إمساكها ولئلا يموت أحدهما
فيدعي الباقي ثبوت الزوجية ليرث منكم قال الحسن من المسلمين وعن قتادة من أحراركم لله لوجهه
خالصا وذلك أن تقيموها لا للمشهود له ولا للمشهود عليه ولا لغرض من الأغراض سوى إقامة الحق و
دفع الظلم كقوله كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم ذلكم يوعظ به من كان يؤمن بالله
واليوم الآخر أي ذلكم الحث على إقامة الشهادة لوجه الله ولأجل القيام بالقسط يوعظ به ومن يتق
الله يجوز أن تكون جملة اعتراضية مؤكدة لما سبق من إجراء أمر الطلاق على السنة وطريقه الأحسن
والأبعد من الندم ويكون المعنى ومن يتق الله فطلق للسنة ولم يضار المعتدة ولم يخرجها من

مسكنها واحتاط فأشهد يجعل الله له مخرجا مما في شأن الأزواج من الغموم والوقوع في المضايق
ويفرج عنه وينفس ويعطه الخلاص ويرزقه من وجه لا يخطر بباله ولا يحتسبه إن أوفى المهر وأدى
الحقوق والنفقات وقل ماله وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه سئل عمن طلق ثلاثا أو ألفا هل له من مخرج
فتلاها وعن ابن عباس أنه سئل عن ذلك فقال لم تتق الله فلم يجعل الله لك مخرجا بانت منك بثلاث و
الزيادة إثم في عنقك ويجوز أن يجاء بها على سبيل الاستطراد عند ذكر قوله ذلكم يوعظ به يعني ومن يتق الله
يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب ومخلصا من غموم الدنيا والآخرة وعن النبي صلى الله عليه وسلم
أنه قرأها فقال مخرجا من شبهات الدنيا ومن غمرات الموت ومن شدائد يوم القيمة وقال عليه السلام
إني لأعلم آية لو أخذ الناس بها لكفتهم ومن يتق الله فما زال يقرؤها ويعيدها وروي أن عوف بن
مالك الأشجعي أسر المشركون ابنا له يسمى سالما فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أسر
ابني وشكا إليه الفاقة فقال ما أمسى عند آل محمد إلا مد فاتق الله واصبر وأكثر من قول لا حول
ولا قوة إلا بالله ففعل فبينا هو في بيته إذ قرع ابنه الباب ومعه مائة من الإبل تغفل عنها العدو
فاستاقها فنزلت هذه الآية ومن يتوكل على الله فهو حسبه إن الله بالغ أمره أي يبلغ ما يريد لا يفوته
مراد ولا يعجزه مطلوب وقرئ بالغ أمره بالإضافة وبالغ أمره بالرفع أي نافذ أمره وقرأ المفضل
بالغا أمره على أن قوله قد جعل الله خبر إن وبالغا حال لكل شيء قدرا تقديرا وتوقيتا وهذا بيان
لوجوب التوكل على الله وتفويض الأمر إليه لأنه إذا علم أن كل شيء من الرزق ونحوه لا يكون إلا بتقديره
وتوقيته لم يبق إلا التسليم للقدر والتوكل روي أن ناسا قالوا قد عرفنا عدة ذوات الأقراء فما
عدة اللائي لم يحضن فنزلت واللائي يئسن من المحيض من نسائكم إن ارتبتم إن أشكل عليكم حكمهن و
جهلتم كيف يعتددن فهذا حكمهن وقيل إن ارتبتم في دم البالغات مبلغ اليأس وقد قدروه بستين
سنة وبخمس وخمسين أهو دم حيض أو استحاضة فعدتهن ثلاثة أشهر وإذا كانت هذه عدة المرتاب
بها فغير المرتاب بها أولى بذلك واللائي لم يحضن وأولات الأحمال أجلهن أن يضعن حملهن هن الصغائر
والمعنى فعدتهن ثلاثة أشهر فحذف لدلالة المذكور عليه اللفظ مطلق في أولات الأحمال فاشتمل
المطلقات والمتوفى عنهن وكان ابن مسعود وأبي وأبو هريرة وغيرهم لا يفرقون وعن علي وابن عباس
عدة الحامل المتوفى عنها أبعد الأجلين وعن عبد الله من شاء لاعنته أن سورة النساء القصرى نزلت
بعد التي في البقرة يعني أن هذا اللفظ مطلق في الحوامل وروت أم سلمة أن سبيعة الأسلمية ولدت
بعد وفاة زوجها بليال فذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لها قد حللت فانكحي

ومن يتق الله يجعل له من أمره يسرا ييسر له من أمره ويحلل من عقده بسبب التقوى
ذلك أمر الله أنزله إليكم ومن يتق الله يكفر عنه سيئاته ويعظم له أجرا يريد ما علم من حكم هؤلاء المعتدات و
المعنى ومن يتق الله في العمل بما أنزل الله من هذه الأحكام وحافظ على الحقوق الواجبة عليه مما ذكر
من الإسكان وترك الضرار والنفقة على الحوامل وإيتاء أجر المرضعات وغير ذلك استوجب تكفير السيئات
والأجر العظيم أسكنوهن وما بعده بيان لما شرط من التقوى في قوله ومن يتق الله كأنه قيل كيف
نعمل بالتقوى في شأن المعتدات فقيل أسكنوهن من في من حيث سكنتم ما هي
هي من التبعيضية مبعضها محذوف معناه أسكنوهن مكانا من حيث سكنتم أي بعض مكان سكناكم
كقوله تعالى يغضوا من أبصارهم أي بعض أبصارهم قال قتادة إن لم يكن إلا بيت واحد فأسكنها في
بعض جوانبه فقوله من وجدكم هو عطف بيان لقوله من حيث سكنتم وتفسير له
كأنه قيل أسكنوهن مكانا من مسكنكم مما تطيقونه والوجد الوسع والطاقة وقرئ بالحركات الثلاث
والسكنى والنفقة واجبتان لكل مطلقة وعند مالك والشافعي رضي الله عنهما ليس للمبتوتة إلا
السكنى ولا نفقة لها وعن الحسن وحماد لا نفقة لها ولا سكنى لحديث فاطمة بنت قيس أن زوجها أبت
طلاقها فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم لا سكنى لك ولا نفقة وعن عمر رضي الله عنه لا ندع كتاب
ربنا وسنة نبينا لقول امرأة لعلها نسيت أو شبه لها سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول لها السكنى
ولا تضاروهن ولا تستعملوا معهن الضرار لتضيقوا عليهن في المسكن ببعض الأسباب من
إنزال من لا يوافقهن أو يشغل مكانهن أو غير ذلك حتى تضطروهن إلى الخروج وقيل هو أن
يراجعها إذا بقي من عدتها يومان ليضيق عليها أمرها وقيل هو أن يلجئها إلى أن تفتدي منه
فإذا كانت كل مطلقة عندكم يجب لها النفقة فما فائدة الشرط في قوله وإن كن أولات حمل
فأنفقوا عليهن حتى يضعن حملهن فائدته أن مدة الحمل ربما طالت فظن ظان أن النفقة
تسقط إذا مضى مقدار عدة الحائل فنفى ذلك الوهم فما تقول في الحامل المتوفى عنها
مختلف فيها فأكثرهم على أنه لا نفقة لها لوقوع الإجماع على من أجبر الرجل على النفقة عليه من
امرأة أو ولد صغير لا يجب أن ينفق عليه من ماله بعد موته فكذلك الحامل وعن علي وعبد الله وجماعة أنهم
أوجبوا نفقتها فإن أرضعن لكم يعني هؤلاء المطلقات إن أرضعن لكم ولدا من غيرهن أو منهن
بعد انقطاع عصمة الزوجية فآتوهن أجورهن حكمهن في ذلك حكم الأظآر ولا يجوز عند أبي حنيفة
وأصحابه الاستئجار إذا كان الولد منهن ما لم يبن ويجوز عند الشافعي رحمه الله وأتمروا بينكم

الائتمار بمعنى التآمر كالاشتوار بمعنى التشاور يقال ائتمر القوم وتآمروا إذا أمر بعضهم بعضا والمعنى
وليأمر بعضكم بعضا والخطاب للآباء والأمهات بمعروف بجميل وهو المسامحة وأن لا يماكس
الأب ولا تعاسر الأم لأنه ولدهما معا وهما شريكان فيه وفي وجوب الإشفاق عليه وإن تعاسرتم
فسترضع له أخرى فستوجد ولا تعوز مرضعة غير الأم ترضعه وفيه طرف من معاتبة الأم على
المعاسرة كما تقول لمن تستقضيه حاجة فيتوانى سيقضيها غيرك تريد لن تبقى غير مقضية
وأنت ملوم وقوله له أي للأب أي سيجد الأب غير معاسرة ترضع له ولده إن عاسرته أمه لينفق
ذو سعة من سعته ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله لا يكلف الله نفسا إلا ما آتاها كل واحد
من الموسر والمعسر ما بلغه وسعه يريد ما أمر به من الإنفاق على المطلقات والمرضعات كما قال ومتعوهن
على الموسع قدره وعلى المقتر قدره وقرئ لينفق بالنصب أي شرعنا ذلك لينفق وقرأ ابن أبي عبلة
قدر سيجعل الله بعد عسر يسرا موعد لفقراء ذلك الوقت بفتح أبواب الرزق عليهم أو لفقراء الأزواج
إن أنفقوا ما قدروا عليه ولم يقصروا وكأين من قرية عتت عن أمر ربها أعرضت عنه على وجه العتو و
العناد
ورسله فحاسبناها حسابا شديدا بالاستقصاء والمناقشة وعذبناها عذابا نكرا فذاقت وبال
أمرها وكان عاقبة أمرها خسرا عذابا نكرا وقرئ نكرا منكرا عظيما والمراد حساب الآخرة
وعذابها وما يذوقون فيها من الوبال ويلقون من الخسر وجيء به على لفظ الماضي كقوله ونادى أصحاب
الجنة ونادى أصحاب النار ونحو ذلك لأن المنتظر من وعد الله ووعيده ملقى في الحقيقة وما
هو كائن فكأن قد وقوله أعد الله لهم عذابا شديدا فاتقوا الله يا أولي الألباب الذين آمنوا قد أنزل
الله إليكم ذكرا تكرير للوعيد وبيان لكونه مترقبا كأنه قال أعد الله لهم هذا العذاب فليكن
لكم ذلك يا أولي الألباب من المؤمنين لطفا في تقوى الله وحذر عقابه ويجوز أن يراد إحصاء
السيئات واستقصاؤها عليهم في الدنيا وإثباتها في صحائف الحفظة وما أصيبوا به من العذاب
في العاجل وأن يكون عتت وما عطف عليه صفة للقرية وأعد الله لهم جوابا لكأين رسولا يتلو
عليكم آيات الله مبينات ليخرج الذين آمنوا وعملوا الصالحات من الظلمات إلى النور ومن يؤمن بالله و
يعمل صالحا يدخله جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا هو جبريل صلوات الله عليه أبدل
من ذكرا لأنه وصف بتلاوة آيات الله فكان إنزاله في معنى إنزال الذكر فصح إبداله منه
أو أريد بالذكر الشرف من قوله وإنه لذكر لك ولقومك فأبدل منه كأنه في نفسه شرف إما لأنه شرف
للمنزل عليه وإما لأنه ذو مجد وشرف عند الله كقوله عند ذي العرش مكين أو جعل لكثرة ذكره لله

وعبادته كأنه ذكر او اريد ذا ذكر اى ملكا مذكورا فى السموات وفى الامم كلها او دل قوله انزل الله اليكم ذكرا على ارسل فكانه قيل ارسل رسولا او اعمل ذكرا فى رسولا اعمال المصدر فى المفاعيل اى انزل الله ان ذكر رسولا او ذكره رسولا وقرئ رسول على هو رسول انزله ليخرج الذين آمنوا بعد انزاله اى ليحصل لهم ما هم عليه الساعة من الايمان والعمل الصالح لانهم كانوا وقت انزاله غير مؤمنين وانما آمنوا بعد الانزال والتبليغ او ليخرج الذين عرف منهم انهم يؤمنون قرئ يدخله بالياء والنون قد احسن الله له رزقا فيه معنى التعجب والتعظيم لما رزق المؤمن من الثواب الله الذى خلق مبتدأ وخبر وقرئ مثلهن بالنصب عطفا على سبع سموات ومن الارض مثلهن وبالرفع على الابتداء وخبره من الارض قيل ما فى القرآن آية تدل على ان الارضين سبع الا هذه وقيل بين كل سماءين مسيرة خمسمائة عام وغلظ كل سماء كذلك والارضون مثل السموات يتنزل الامر بينهن اى يجرى امر الله وحكمه بينهن وملكه ينفذ فيهن وعن قتادة فى كل سماء وفى كل ارض خلق من خلقه وامر من امره وقضاء من قضائه وقيل هو ما يدبر فيهن من عجائب تدبيره وقرئ ينزل الامر وعن ابن عباس ان نافع بن الازرق سأله هل تحت الارضين خلق قال نعم قال فما الخلق قال اما ملائكة او جن لتعلموا ان الله على كل شىء قدير قرئ بالياء والتاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الطلاق مات على سنة رسول الله

سورة التحريم مدنية وهى ثنتا عشرة آية وتسمى سورة النبى عليه السلام

بسم الله الرحمن الرحيم يا ايها النبى روى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خلا بمارية فى يوم عائشة وعلمت بذلك حفصة فقال لها اكتمى على وقد حرمت مارية على نفسى وابشرك ان ابا بكر وعمر يملكان بعدى امر امتى فاخبرت به عائشة وكانتا متصادقتين وقيل خلا بها فى يوم حفصة فارضاها بذلك واستكتمها فلم تكتم فطلقها واعتزل نساءه ومكث تسعا وعشرين ليلة فى بيت مارية وروى ان عمر قال لها لو كان فى آل الخطاب خير لما طلقك فنزل جبريل عليه السلام وقال راجعها فانها صوامة قوامة وانها لمن نسائك فى الجنة وروى انه شرب عسلا فى بيت زينب بنت جحش فتواطأت عائشة وحفصة فقالتا له انا نشم منك ريح المغافير وكان يكره رسول الله صلى الله عليه وسلم التفل فحرم العسل فمعناه لم تحرم ما احل الله لك من ملك اليمين او من العسل تبتغى مرضات ازواجك والله غفور رحيم اما تفسير لتحرم او حال او استئناف وكان هذا زلة منه لانه ليس لاحد ان يحرم ما احل الله لان الله عز وعلا انما احل ما احل لحكمة ومصلحة عرفها فى احلاله فاذا حرم كان ذلك قلب المصلحة مفسدة والله غفور قد غفر لك ما زللت

فيه رحيم قد رحمك فلم يؤاخذك قد فرض الله لكم تحلة ايمانكم فيه معنيان احدهما قد شرع الله لكم الاستثناء فى ايمانكم من قولك حلل فلان فى يمينه اذا استثنى فيها ومنه حلا ابيت اللعن بمعنى استثن فى يمينك اذا اطلقتها وذلك ان يقول ان شاء الله عقيبها حتى لا يحنث والثانى قد شرع لكم تحليلها بالكفارة ومنها قوله عليه السلام لا يموت لرجل ثلاثة اولاد فتمسه النار الا تحلة القسم وقول ذى الرمة قليلا كتحليل الالى ما حكم تحريم الحلال قد اختلف فيه فابو حنيفة يراه يمينا فى كل شىء ويعتبر الانتفاع المقصود فيما يحرمه فاذا حرم طعاما فقد حلف على اكله او امة فعلى وطئها او زوجة فعلى الايلاء منها اذا لم يكن له نية وان نوى الظهار فظهار وان نوى الطلاق فطلاق بائن وكذلك ان نوى ثنتين او ثلاثا فكما نوى وان قال نويت الكذب دين فيما بينه وبين الله ولا يدين فى القضاء بابطال الايلاء وان قال كل حلال عليه حرام فعلى الطعام والشراب اذا لم ينو والا فعلى ما نوى ولا يراه الشافعى يمينا ولكن سببا فى الكفارة فى النساء وحدهن وان نوى الطلاق فهو رجعى عنده وعن ابى بكر وعمر وابن عباس وابن مسعود وزيد رضى الله عنهم ان الحرام يمين وعن عمر اذا نوى الطلاق فرجعى وعن على رضى الله عنه ثلاث وعن زيد واحدة بائنة وعن عثمان ظهار وكان مسروق لا يراه شيئا ويقول ما ابالى احرمتها ام قصعة من ثريد وكذلك عن الشعبى قال ليس بشىء محتجا بقوله تعالى ولا تقولوا لما تصف السنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام وقوله لا تحرموا طيبات ما احل الله لكم وما لم يحرمه الله فليس لاحد ان يحرمه ولا ان يصير بتحريمه حراما ولم يثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لما احله الله هو حرام على وانما امتنع من مارية ليمين تقدمت منه وهو قوله والله لا اقربها بعد اليوم فقيل له لم تحرم ما احل الله لك اى لم تمتنع بسبب اليمين يعنى اقدم على ما حلفت عليه وكفره ونحوه قوله تعالى وحرمنا عليه المراضع اى منعناه منها وظاهر قوله قد فرض الله لكم تحلة ايمانكم انه كانت منه يمين هل كفر رسول الله صلى الله عليه وسلم لذلك عن الحسن انه لم يكفر لانه كان مغفورا له ما تقدم من ذنبه وما تاخر وانما هو تعليم للمؤمنين وعن مقاتل ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اعتق رقبة فى تحريم مارية والله مولاكم سيدكم ومتولى اموركم وهو العليم بما يصلحكم فيشرعه لكم الحكيم فلا يأمركم ولا ينهاكم الا بما توجبه الحكمة وقيل مولاكم اولى بكم من انفسكم فكانت نصيحته انفع لكم من نصائحكم لانفسكم واذ اسر النبى الى بعض ازواجه حديثا حفصة والحديث الذى اسر اليها حديث مارية وامامة الشيخين فلما نبأت به واظهره الله نبأت به افشته الى عائشة وقرئ انبأت به واظهره واطلع

النبي عليه السلام عليه على الحديث اى على افشائه على لسان جبريل وقيل اظهر الله الحديث على النبي من الظهور عرّف بعضه وأعرض عن بعض أعلم ببعض الحديث تكرما قال سفيان ما زال التغافل من فعل الكرام وقرئ عرف بعضه اى جازى عليه من قولك للمسيء لأعرفنّ لك ذلك عليه وقد عرفت ما صنعت اولئك الذين يعلم الله ما في قلوبهم وهو كثير في القرآن وكان جزاؤه تطليقه اياها وقيل المعرّف حديث الامامة والمعرض عنه حديث مارية وروى انه قال لها الم اقل لك اكتمي علىّ قالت والذى بعثك بالحق ما ملكت نفسي فرحا بالكرامة التي خص الله بها اباها

هلا قيل فلما نبأت به بعضهن وعرّفها بعضه ليس الغرض بيان من المذاع اليه ومن المعرّف وانما هو ذكر جناية حفصة في وجود الانباء به وافشائه من قبلها وان رسول الله صلى الله عليه وسلم بكرمه وحلمه لم يوجد منه الا الاعلام ببعضه وهو حديث الامامة الا ترى انه لما كان المقصود في قوله فلما نبأها به قالت من أنبأك هذا ذكر المنبأ كيف اتى بضميره قال نبأني العليم الخبير ان تتوبا خطاب لحفصة وعائشة على طريقة الالتفات ليكون ابلغ في معاتبتهما وعن ابن عباس لم ازل حريصا على ان اسال عمر عنهما حتى حج وحججت معه فلما كان ببعض الطريق عدل وعدلت معه بالاداوة فسكبت الماء على يده فتوضأ فقلت من هما فقال عجبا يا ابن عباس كانه كره ما سألته عنه ثم قال هما حفصة وعائشة الى الله فقد صغت قلوبكما فقد وجد منكما ما يوجب التوبة وهو ميل قلوبكما عن الواجب في مخالصة رسول الله صلى الله عليه وسلم من حب ما يحبه وكراهة ما يكرهه وقرا ابن مسعود فقد زاغت وان تظاهرا عليه فان الله هو مولاه مما يسوءه من الافراط في الغيرة وافشاء سره فلن يعدم هو من يظاهره وكيف يعدم المظاهر من الله مولاه اى وليه وناصره وزيادة هو ايذان بان نصرته عزيمة من عزائمه وانه يتولى ذلك بذاته وجبريل رأس الكروبيين وقرن ذكره بذكره مفردا له من الملائكة تعظيما له واظهارا لمكانته عنده وصالح المؤمنين ومن صلح من المؤمنين يعني كل من آمن وعمل صالحا وعن سعيد بن جبير من برئ منهم من النفاق وقيل الانبياء وقيل الصحابة وقيل الخلفاء منهم صالح المؤمنين واحد ام جمع هو واحد اريد به الجمع كقولك لا يفعل هذا الصالح من الناس تريد الجنس كقولك لا يفعله من صلح منهم ومثله قولك كنت في السامر والحاضر ويجوز ان يكون اصله صالحوا المؤمنين بالواو فكتب بغير واو على اللفظ لان لفظ الواحد والجمع واحد فيه كما جاءت اشياء في المصحف متبوع فيها حكم اللفظ دون وضع الخط والملائكة على تكاثر عددهم وامتلاء السموات من جموعهم بعد ذلك بعد

نصرة الله وناموسه وصالحي المؤمنين ظهير فوج مظاهر له كانهم يد واحدة على من يعاديه فما يبلغ تظاهر امرأتين على من هؤلاء ظهراؤه قوله بعد ذلك تعظيم للملائكة ومظاهرتهم وقد تقدمت نصرة الله وجبريل وصالح المؤمنين ونصرة الله اعظم واعظم مظاهرة الملائكة من جملة نصرة الله فكانه فضل نصرته بهم وبمظاهرتهم على غيرها من وجوه نصرته لفضلهم على جميع خلقه وقرئ تظاهرا وتتظاهرا وتظهرا عسى ربه ان طلقكن ان يبدله ازواجا خيرا منكن وقرئ يبدله بالتخفيف والتشديد للكثرة مسلمات مؤمنات قانتات تائبات عابدات سائحات ثيبات وابكارا مقرات مخلصات سائحات صائمات وقرئ سيحات وهي ابلغ وقيل للصائم سائح لان السائح لا زاد معه فلا يزال ممسكا الى ان يجد ما يطعمه فشبه به الصائم في امساكه الى ان يجيء وقت افطاره وقيل سائحات مهاجرات وعن زيد بن اسلم لم يكن في هذه الامة سياحة الا الهجرة

كيف تكون المبدلات خيرا منهن ولم يكن على وجه الارض نساء خير من امهات المؤمنين اذا طلقهن رسول الله صلى الله عليه وسلم لعصيانهن له وايذائهن اياه لم يبقين على تلك الصفة وكان غيرهن من الموصوفات بهذه الاوصاف مع الطاعة لرسول الله والنزول على هواه ورضاه خيرا منهن وقد عرض بذلك في قوله قانتات لان القنوت هو القيام بطاعة الله وطاعة الله في طاعة رسوله

لم اخليت الصفات كلها عن العاطف ووسط بين الثيبات والابكار لانهما صفتان متنافيتان لا يجتمعن فيهما اجتماعهن في سائر الصفات فلم يكن بد من الواو يا ايها الذين آمنوا قوا انفسكم بترك المعاصي وفعل الطاعات واهليكم بان تأخذوهم بما تأخذون به انفسكم وفي الحديث رحم الله رجلا قال يا اهلاه صلاتكم صيامكم زكاتكم مسكينكم يتيمكم جيرانكم لعل الله يجمعهم معه في الجنة وقيل ان اشد الناس عذابا يوم القيامة من جهل اهله وقرئ واهلوكم عطفا على واو قوا وحسن العطف للفاصل

اليس التقدير قوا انفسكم وليق اهلوكم انفسهم لا ولكن المعطوف مقارن في التقدير للواو وانفسكم واقع بعده فكانه قيل قوا انتم واهلوكم انفسكم لما جمعت مع المخاطب الغائب غلبته عليه فجعلت ضميرهما معا على لفظ المخاطب نارا وقودها الناس والحجارة نوعا من النار لا يتقد الا بالناس والحجارة كما يتقد غيرها من النيران بالحطب وعن ابن عباس هي حجارة الكبريت وهي اشد الاشياء حرا اذا اوقد عليها وقرئ وقودها بالضم اى ذو وقودها عليها يلي امرها وتعذيب اهلها ملائكة يعني الزبانية التسعة عشر واعوانهم غلاظ شداد في اجرامهم غلظة وشدة اى جفاء وقوة او في افعالهم جفاء وخشونة لا تأخذهم رأفة

في تنفيذ أوامر الله والغضب له والانتقام من أعدائه لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون ما أمرهم
في محل النصب أي لا يعصون ما أمر الله أي أمره كقوله أفعصيت أمري أو لا يعصونه فيما أمرهم
أليست الجملتان في معنى واحد لا فإن معنى الأولى أنهم يتقبلون أوامره ويلتزمونها ولا
يأبونها ولا ينكرونها ومعنى الثانية أنهم يؤدون ما يؤمرون لا يتثاقلون عنه ولا يتوانون فيه
قد خاطب الله المشركين المكذبين بهذا بعينه في قوله فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التي
وقودها الناس والحجارة وقال أعدت للكافرين فما معنى مخاطبته به للمؤمنين الفساق وإن
كانت دركاتهم فوق دركات الكفار فإنهم مساكنون الكفار في دار واحدة فقيل للذين آمنوا قوا أنفسكم
باجتناب الفسوق ومساكنة الذين أعدت لهم هذه النار الموصوفة ويجوز أن يأمرهم بالتوقي من الارتداد
والندم على الدخول في الإسلام وأن يكون خطابا للذين آمنوا بألسنتهم وهم المنافقون ويعضد ذلك قوله على
أثره يا أيها الذين كفروا لا تعتذروا اليوم إنما تجزون ما كنتم تعملون أي يقال لهم عند دخولهم النار لا
تعتذروا لأنه لا عذر لكم أو لأنه لا ينفعكم الاعتذار يا أيها الذين آمنوا توبوا إلى الله توبة نصوحا وصفت
التوبة بالنصح على الإسناد المجازي والنصح صفة التائبين وهو أن ينصحوا بالتوبة أنفسهم فيأتوا بها على
طريقتها متداركة للفرطات ماحية للسيئات وذلك أن يتوبوا عن القبائح لقبحها نادمين عليها مغتمين
أشد الاغتمام لارتكابها عازمين على أنهم لا يعودون في قبيح من القبائح إلى أن يعود اللبن في الضرع
موطنين أنفسهم على ذلك وعن علي رضي الله عنه أنه سمع أعرابيا يقول اللهم إني أستغفرك وأتوب إليك
فقال يا هذا إن سرعة اللسان بالتوبة توبة الكذابين قال وما التوبة قال يجمعها ستة أشياء على
الماضي من الذنوب الندامة وللفرائض الإعادة ورد المظالم واستحلال الخصوم وأن تعزم على
أن لا تعود وأن تذيب نفسك في طاعة الله كما ربيتها في المعصية وأن تذيقها مرارة الطاعات كما أذقتها
حلاوة المعاصي وعن حذيفة بحسب الرجل من الشر أن يتوب عن الذنب ثم يعود فيه وعن شهر بن
حوشب أن لا يعود ولو حز بالسيف وأحرق بالنار وعن ابن السماك أن تنصب الذنب الذي أقللت فيه الحياء
من الله أمام عينك وتستعد لمنتظرك وقيل توبة لا يتاب منها وعن السدي لا تصح التوبة إلا بنصيحة
النفس والمؤمنين لأن من صحت توبته أحب أن يكون الناس مثله وقيل نصوحا من نصاحة الثوب أي
توبة ترفو خروقك في دينك وترم خللك وقيل خالصة من قولهم عسل ناصح إذا خلص من الشمع
ويجوز أن يراد توبة تنصح الناس أي تدعوهم إلى مثلها لظهور أثرها في صاحبها واستعماله الجد والعزيمة
في العمل على مقتضياتها وقرأ زيد بن علي رضي الله عنهما توبا نصوحا وقرئ نصوحا بالضم وهو مصدر نصح النصح

والنصوح كالشكر والشكور والكفر والكفور أي ذات نصوح أو تنصح نصوحا أو توبوا لنصح
أنفسكم على أنه مفعول له عسى ربكم أن يكفر عنكم سيئاتكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها الأنهار إطماع من الله
لعباده وفيه وجهان أحدهما أن يكون على ما جرت به عادة الجبابرة من الإجابة بعسى ولعل ووقوع ذلك
منهم موقع القطع والبت والثاني أن يجيء به تعليما للعباد وجوب الترجح بين الخوف والرجاء والذي يدل
على المعنى الأول وأنه في معنى البت قراءة ابن أبي عبلة ويدخلكم بالجزم عطفا على محل عسى أن يكفر
كأنه قيل توبوا يوجب تكفير سيئاتكم ويدخلكم يوم لا يخزي الله النبي والذين آمنوا معه نورهم يسعى بين
أيديهم وبأيمانهم يقولون ربنا نصب بيدخلكم ولا يخزي تعريض بمن أخزاهم الله من أهل الكفر والفسوق
واستحماد إلى المؤمنين على أنه عصمهم من مثل حالهم يسعى نورهم على الصراط ربنا أتمم لنا نورنا واغفر لنا إنك
على كل شيء قدير يا أيها النبي قال ابن عباس يقولون ذلك إذا طفئ نور المنافقين إشفاقا وعن الحسن
الله متممه لهم ولكنهم يدعون تقربا إلى الله كقوله واستغفر لذنبك وهو مغفور له وقيل يقوله
أدناهم منزلة لأنهم يعطون من النور قدر ما يبصرون مواطئ أقدامهم لأن النور على قدر الأعمال
فيسألون إتمامه تفضلا وقيل السابقون إلى الجنة يمرون مثل البرق على الصراط وبعضهم
حبوا وزحفا فأولئك الذين يقولون ربنا أتمم لنا نورنا كيف يشفقون و
المؤمنون آمنون أمن يأتي آمنا يوم القيامة لا خوف عليهم لا يحزنهم الفزع الأكبر أو كيف يتقربون
وليست الدار دار تقرب أما الإشفاق فيجوز أن يكون على عادة البشرية وإن كانوا معتقدين
للأمن وأما التقرب فلما كانت حالهم كحال المتقربين حيث يطلبون ما هو حاصل لهم من الرحمة سماه
تقربا جاهد الكفار بالسيف والمنافقين واغلظ عليهم ومأواهم جهنم وبئس المصير بالاحتجاج واستعمل
الغلظة والخشونة على الفريقين فيما تجاهدهما به من القتال والمحاجة وعن قتادة مجاهدة المنافقين
بإقامة الحدود عليهم وعن مجاهد بالوعيد وقيل بإفشاء أسرارهم ضرب الله مثلا للذين كفروا امرأة
نوح وامرأة لوط كانتا تحت عبدين صالحين فخانتاهما فلم يغنيا عنهما من الله شيئا وقيل مثّل الله عز وجل
من عبادنا
حال الكفار في أنهم يعاقبون على كفرهم وعداوتهم للمؤمنين معاقبة مثلهم من غير إبقاء ولا محاباة
ولا ينفعهم مع عداوتهم لهم ما كان بينهم وبينهم من لحمة نسب أو وصلة صهر لأن عداوتهم لهم
وكفرهم بالله ورسوله قطع العلائق وبت الوصل وجعلهم أبعد من الأجانب وأبعد وإن كان
المؤمن الذي يتصل به الكافر نبيا من أنبياء الله بحال امرأة نوح وامرأة لوط لما نافقتا وخانتا
الرسولين لم يغن الرسولان عنهما بحق ما بينهما وبينهما من وصلة الزواج إغناء ما من عذاب الله

وقيل لهما عند موتهما او يوم القيمة ادخلا النار مع سائر الداخلين الذين لا وصلة بينهم وبين الانبياء او مع داخليها من اخوانكما من قوم نوح وقوم لوط وضرب الله مثلا للذين آمنوا امرأة فرعون اذ قالت رب ابن لي عندك بيتا في الجنة ومثل حال المؤمنين في ان وصلة الكافرين لا تضرهم ولا ينقص شيئا من ثوابهم وزلفاهم عند الله بحال امرأة فرعون ومنزلتها عند الله مع كونها زوجة أعدى أعداء الله الناطق بالكلمة العظمى ومريم بنت عمران وما اوتيت من كرامة الدنيا والآخرة والاصطفاء على نساء العالمين مع ان قومها كانوا كفارا وفي طي هذين التمثيلين تعريض بامي المؤمنين المذكورتين في اول السورة وما فرط منهما من التظاهر على رسول الله بما يكرهه وتحذير لهما على اغلظ وجه واشده لما في التمثيل من ذكر الكفر ونحوه في التغليظ قوله ومن كفر فان الله غني عن العالمين واشار الى ان من حقهما ان تكونا في الاخلاص والكمال فيه كمثل هاتين المؤمنتين وان لا تتكلا على انهما زوجا رسول الله فان ذلك الفضل لا ينفعهما الا مع كونهما مخلصتين والتعريض بحفصة ارجح لان امرأة لوط افشت عليه كما افشت حفصة على رسول الله صلى الله عليه وسلم واسرار التنزيل ورموزه في كل باب بالغة من اللطف والخفاء حدا يدق عن تفطن العالم ويزل عن تبصره ما فائدة قوله من عبادنا

لما كان مبنى التمثيل على وجود الصلاح في الانسان كائنا من كان وانه وحده هو الذي يبلغ به الفوز وينال ما عند الله قال عبدين من عبادنا صالحين فذكر النبيين المشهورين العلمين بانهما عبدان لم يكونا الا كسائر عبادنا من غير تفاوت بينهما وبينهم الا بالصلاح لا غير وان ما سواه مما يرجح به الناس عند الناس ليس بسبب للرجحان عنده ما كانت خيانتهما نفاقهما وابطانهما الكفر وتظاهرهما على الرسولين فامرأة نوح قالت لقومه انه مجنون وامرأة لوط دلت على ضيفانه ولا يجوز ان يراد بالخيانة الفجور لانه سمج في الطباع نقيصة عند كل احد بخلاف الكفر فان الكفار لا يستسمجونه بل يستحسنونه ويسمونه حقا وعن ابن عباس رضي الله عنه ما بغت امرأة نبي قط وامرأة فرعون آسية بنت مزاحم وقيل هي عمة موسى عليه السلام آمنت حين سمعت بتلقف عصى موسى الافك فعذبها فرعون عن ابي هريرة ان فرعون وتد امرأته باربعة اوتاد واستقبل بها الشمس واضجعها على ظهرها ووضع رحى على صدرها وقيل امر بان يلقى عليها صخرة عظيمة فدعت الله فرقى بروحها فالقيت الصخرة على جسد لا روح فيه وعن الحسن فنجاها الله اكرم نجاة فرفعها الى الجنة فهي تاكل وتشرب وتتنعم فيها وقيل لما قالت رب ابن لي عندك بيتا في الجنة اريت بيتها في الجنة يبنى وقيل انه من درة وقيل كانت تعذب في الشمس فتظلها الملائكة ما معنى الجمع بين عندك و في الجنة

طلبت القرب من رحمة الله والبعد من عذاب اعدائه ثم بينت مكان القرب بقولها في الجنة او ارادت ارتفاع الجنة في الجنة وان يكون جنتها من الجنان التي هي اقرب الى العرش وهي جنات المأوى فعبرت عن القرب الى العرش بقولها عندك ونجني من فرعون وعمله من عمل فرعون او من نفس فرعون الخبيثة وسلطانه الغشوم وخصوصا من عمله وهو الكفر وعبادة الاصنام والظلم والتعذيب بغير جرم ونجني من القوم الظالمين من القبط كلهم وفيه دليل على ان الاستعاذة بالله والالتجاء اليه ومسألة الخلاص منه عند المحن والنوازل من سير الصالحين وسنن الانبياء فافتح بيني وبينهم فتحا ونجني ومن معي من المؤمنين ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين ومريم ابنة عمران التي احصنت فرجها فنفخنا فيه من روحنا وصدقت بكلمات ربها وكتبه وكانت فيه في الفرج وقرأ ابن مسعود فيها كما قرئ في سورة الانبياء والضمير للجملة وقد مر لي في هذا الظرف كلام ومن بدع التفاسير ان الفرج موجيب الدرع ومعنى احصنته منعته جبريل وانه جمع في التمثيل بين التي لها زوج والتي لا زوج لها تسلية للارامل وتطييبا لانفسهن وصدقت قرئ بالتشديد وبالتخفيف على انها جعلت الكلمات والكتب صادقة يعني وصفتها بالصدق وهو معنى التصديق بعينه فما كلمات الله وكتبه يجوز ان يراد بكلماته صحفه التي انزلها على ادريس وغيره سماها كلمات لقصرها وبكتبه الكتب الاربعة وان يراد جميع ما كلم الله به ملائكته وغيرهم وجميع ما كتبه في اللوح وغيره وقرئ بكلمة الله وكتابه اي بعيسى وبالكتاب المنزل عليه وهو الانجيل لم قيل من القانتين على التذكير لان القنوت صفة تشمل من قنت من القبيلين فغلب ذكورهم على اناثهم ومن للتبعيض ويجوز ان يكون لابتداء الغاية على انها ولدت من القانتين لانها من اعقاب هرون اخي موسى صلوات الله عليهما عن النبي صلى الله عليه وسلم كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء الا اربع آسية بنت مزاحم امرأة فرعون ومريم بنت عمران وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد وفضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام واما ما روي ان عائشة سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف سمى الله المسلمة يعني مريم ولم يسم الكافرة فقال بغضا لها قالت فما اسمها قال اسم امرأة نوح واعلة واسم امرأة لوط واهلة فحديث اثر الصنعة عليه ظاهر بين ولقد سمى الله جماعة من الكفار باسمائهم وكناهم ولو كانت التسمية للحب وتركها للبغض لسمى آسية وقد قرن بينها وبين مريم في التمثيل للمؤمنين وابى الله الا ان يجعل للمصنوع امارة تنم عليه وكلام رسول الله صلى الله عليه وسلم احكم واسلم من ذلك عن رسول

الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة التحريم آتاه الله توبة نصوحا

سورة الملك مكية وهي ثلثون آية وتسمى الواقية والمنجية لانها تقي وتنجي قارئها من عذاب القبر

بسم الله الرحمن الرحيم تبارك تعالى وتعاظم عن صفات المخلوقين الذي بيده الملك على كل موجود
وهو على كل شيء ما لم يوجد مما يدخل تحت القدرة قدير وذكر اليد مجاز عن الاحاطة بالملك والاستيلاء
عليه الذي خلق الموت والحياة والحياة ما يصح بوجوده الاحساس وقيل ما يوجب كون الشيء منه
حيا وهو الذي يصح ان يعلم ويقدر والموت عدم ذلك فيه ومعنى خلق الموت والحياة ايجاد ذلك
المصحح واعدامه والمعنى خلق موتكم وحياتكم ايها المكلفون ليبلوكم وسمى علم الواقع منهم باختيارهم
بلوى وهي الخبرة استعارة من فعل المختبر من اين تعلق قوله ايكم احسن عملا بفعل
البلوى من حيث انه تضمن معنى العلم فكانه قيل ليعلمكم ايكم احسن عملا واذا قلت
علمته ازيد احسن عملا ام هو كانت هذه الجملة واقعة موقع الثاني من مفعوليه كما تقول علمته هو
احسن عملا اتسمي هذا تعليقا لا انما التعليق ان توقع بعده ما يسد مسد
المفعولين جميعا كقولك علمت ايهما زيد وعلمت ازيد منطلق الا ترى انه لا فصل بين سبق احد المفعولين
بين ان يقع ما بعده مصدرا بحرف الاستفهام وغير مصدر به ولو كان تعليقا لافترقت الحالتان
كما افترقتا في قولك علمت ازيد منطلق وعلمت زيدا منطلقا احسن عملا قيل اخلصه واصوبه
لانه اذا كان خالصا غير صواب لم يقبل وكذلك اذا كان صوابا غير خالص فالخالص ان يكون
لوجه الله والصواب ان يكون على السنة وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه تلاها فلما بلغ قوله
ايكم احسن عملا قال ايكم احسن عقلا واورع عن محارم الله واسرع في طاعة الله يعني ايكم اتم عقلا
عن الله وفهما لاغراضه والمراد انه اعطاكم الحياة التي تقدرون بها على العمل وتستمكنون منه
وسلط عليكم الموت الذي هو داعيكم الى اختيار العمل الحسن على القبيح لان وراءه البعث والجزاء
الذي لا بد منه وقدم الموت على الحياة لان اقوى الناس داعيا الى العمل من نصب موته بين
عينيه فقدم لانه فيما يرجع الى الغرض المسوق له الآية اهم وهو العزيز الغالب الذي لا يعجزه
من اساء العمل الغفور لمن تاب من اهل الاساءة خلق سبع سموات طباقا مطابقة بعضها فوق بعض
من طابق النعل اذا خصفها طبقا على طبق وهذا وصف بالمصدر او على ذات طباق او على طوبقت
طباقا ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت وقرئ من تفوت ومعنى البنائين واحد كقولهم تظاهروا

من نسائهم وتظهروا وتعاهدته وتعهدته اي من اختلاف واضطراب في الخلقة ولا تناقض
انما هي مستوية مستقيمة وحقيقة التفاوت عدم التناسب كان بعض الشيء يفوت بعضا ولا
يلائمه ومنه قولهم خلق متفاوت وفي نقيضه متناصف كيف موقع هذه الجملة مما قبلها
هي صفة مشايعة لقوله طباقا واصلها ما ترى فيهن من تفاوت فوضع مكان الضمير قوله خلق
الرحمن تعظيما لخلقهن وتنبيها على سبب سلامتهن من التفاوت وهو انه خلق الرحمن وانه بباهر قدرته
هو الذي يخلق مثل ذلك الخلق المتناسب والخطاب في ما ترى للرسول او لكل مخاطب فارجع البصر متعلق
به على معنى التسبيب اخبره بانه لا تفاوت في خلقهن ثم قال فارجع البصر حتى يصح عندك ما اخبرت
به بالمعاينة ولا يبقى معك شبهة فيه هل ترى من فطور من صدوع وشقوق جمع فطر وهو الشق يقال
فطره فانفطر ومنه فطر ناب البعير كما يقال شق وبزل ومعناه شق اللحم وطلع وامره بتكرير البصر
فيهن متصفحا ومتتبعا يلتمس عيبا وخللا ثم ارجع البصر كرتين ينقلب اليك البصر خاسئا وهو حسير
اي ان رجعت البصر وكررت النظر لم يرجع اليك بصرك بما التمسته من رؤية الخلل وادراك العيب
بل يرجع اليك بالخسوء والحسور اي بالبعد عن اصابة الملتمس كانه يطرد عن ذلك طردا بالصغار
والقماءة وبالاعياء والكلال لطول الاجالة والترديد كيف يرجع البصر خاسئا حسيرا
برجعه كرتين اثنتين معنى التثنية التكرير بكثرة كقولهم لبيك وسعديك يريد
اجابات كثيرة بعضها في اثر بعض وقولهم في المثل دهدرين سعد القين من ذلك اي باطلا بعد
باطل فما معنى ثم ارجع امره برجع البصر ثم امره بان لا يقتنع بالرجعة الاولى
وبالنظرة الحمقاء وان يتوقف بعدها ويجم بصره ثم يعاود ويعاود الى ان يحسر بصره من
طول المعاودة فانه لا يعثر على شيء من فطور ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوما
للشياطين الدنيا القربى لانها اقرب السموات الى الناس ومعناه السماء الدنيا منكم والمصابيح
السرج سميت بها الكواكب والناس يزينون مساجدهم ودورهم باثقاب المصابيح فقيل و
لقد زينا سقف الدار التي اجتمعتم فيها بمصابيح اي باي مصابيح لا توازيها مصابيحكم اضاءة
وضممنا الى ذلك منافع اخر انا جعلناها رجوما لاعدائكم الشياطين الذين يخرجونكم من النور
الى الظلمات ويهتدون بها في ظلمات البر والبحر قال قتادة خلق الله النجوم لثلاث زينة
للسماء ورجوما للشياطين وعلامات يهتدى بها فمن تاول فيها غير ذلك فقد تكلف ما لا علم له
به وعن محمد بن كعب والله ما لاحد من اهل الارض في السماء نجم ولكنهم يتخذون الكهانة ويتخذون

النجوم علة والرجوم جمع رجم وهو مصدر سمي به ما يرجم به ومعنى كونها مراجم للشياطين ان
الشهب التي تنقض لرمي المسترقة منهم منفصلة من نار الكواكب لا انهم يرجمون بالكواكب
انفسها لانها قارة في الفلك على حالها وما ذاك الا كقبس يؤخذ من نار والنار ثابتة كاملة
لا تنقص وقيل من الشياطين المرجومة من يقتله الشهاب ومنهم من يخبله وقيل معناه وجعلناها
ظنونا ورجوما بالغيب لشياطين الانس وهم النجامون واعتدنا لهم عذاب السعير في الآخرة
بعد الاحراق بالشهب في الدنيا وللذين كفروا بربهم اي ولكل من كفر بالله من الشياطين وغيرهم
عذاب جهنم وبئس المصير ليس الشياطين المرجومون مخصوصين بذلك وقرئ عذاب جهنم بالنصب
عطفا على عذاب السعير اذا القوا فيها اي طرحوا كما يطرح الحطب في النار العظيمة ويرمى به ومثله
قوله حصب جهنم سمعوا لها شهيقا اما لاهلها ممن تقدم طرحهم فيها ومن انفسهم كقوله لهم فيها
زفير وشهيق واما للنار تشبيها لحسيسها المنكر الفظيع بالشهيق وهي تفور تغلي بهم غليان
المرجل بما فيه وجعلت كالمغتاظة عليهم لشدة غليانها بهم ويقولون فلان يتميز غيظا ويتقصف
غضبا وغضب فطارت منه شقة في الارض وشقة في السماء اذا وصفوه بالافراط فيه ويجوز
ان يكون غيظ الزبانية تكاد تميز من الغيظ كلما القي فيها فوج سألهم خزنتها الم يأتكم نذير
توبيخ يزدادون به عذابا الى عذابهم وحسرة الى حسرتهم وخزنتها مالك واعوانه من الزبانية قالوا
بلى قد جاءنا نذير فكذبنا وقلنا ما نزل الله من شيء اعتراف منهم بعدل الله واقرار بان الله
عز وعلا ازاح عللهم ببعثة الرسل وانذارهم ما وقعوا فيه وانهم لم يؤتوا من قدرة كما تزعم
المجبرة وانما اتوا من قبل انفسهم واختيارهم خلاف ما اختار الله فامر به واوعد على ضده
ان انتم الا في ضلال كبير قلت ــــ هو من جملة قول الكفار وخطابهم للمنذرين على ان النذير
بمعنى الانذار والمعنى الم يأتكم اهل نذير او وصف منذريهم لغلوهم في الانذار كانهم ليسوا
الا انذارا وكذلك قد جاءنا نذير ونظيره قوله انا رسول رب العالمين اي حاملا رسالته ويجوز
ان يكون من كلام الخزنة للكفار على ارادة القول ارادوا حكاية ما كانوا عليه من ضلالهم
في الدنيا او ارادوا بالضلال الهلاك او سموا عقاب الضلال باسمه او من كلام الرسل لهم حكوه
للخزنة اي قالوا لنا هذا فلم نقبله لو كنا نسمع او نعقل ما كنا في اصحاب السعير الانذار سماع
طالبين للحق او نعقله عقل متأملين وقيل انما جمع بين السمع والعقل لان مدار التكليف على
ادلة السمع والعقل ومن بدع التفاسير ان المراد لو كنا على مذهب اصحاب الحديث او على

مذهب اصحاب الرأي كان هذه الآية نزلت بعد ظهور هذين المذهبين وكان سائر اصحاب المذاهب
والمجتهدين قد انزل الله وعيدهم وكان من كان من هؤلاء فهو من الناجين لا محالة وعدة المبشرين
من الصحابة عشرة لم يضم اليهم حادي عشر وكان من يجوز على الصراط اكثرهم لم يسمعوا باسم هذين
الفريقين فاعترفوا بذنبهم بكفرهم في تكذيبهم الرسل فسحقا لاصحاب السعير قرئ بالتخفيف والتثقيل
اي فبعدا لهم اعترفوا او جحدوا فان ذلك لا ينفعهم ان الذين يخشون ربهم بالغيب لهم مغفرة واجر
كبير واسروا قولكم او اجهروا به ظاهره الامر باحد الامرين الاسرار والاجهار ومعناه ليستوي عندكم
اسراركم واجهاركم في علم الله بهما ثم انه علله بانه عليم بذات الصدور اي بضمائرها قبل ان تترجم الالسنة
عنها فكيف لا يعلم ما تكلم به ثم انكر ان لا يحيط علما بالمضمر والمسر والمجهر من خلق الاشياء و
حاله انه اللطيف الخبير المتوصل علمه الى ما ظهر من خلقه وما بطن ويجوز ان يكون من خلق منصوبا
بمعنى الا يعلم مخلوقه وهذه حاله وروي ان المشركين كانوا يتكلمون فيما بينهم باشياء فيظهر
الله رسوله عليها فيقولون اسروا قولكم لئلا يسمعه اله محمد فنبه الله على جهلهم
قدرت في الا يعلم مفعولا على معنى الا يعلم ذلك المذكور مما اضمر في القلب واظهر في
باللسان من خلق فهلا جعلته مثل قولهم هو يعطي ويمنع وهلا كان المعنى الا يكون عالما من
هو خالق لان الخلق لا يصح الا مع العلم ابت ذلك الحال التي هي قوله وهو اللطيف
الخبير لانك لو قلت الا يكون عالما من هو خالق وهو اللطيف الخبير لم يكن معنى صحيحا لان
الا يعلم معتمد على الحال والشيء لا يوقت بنفسه فلا يقال الا يعلم وهو عالم ولكن الا يعلم
كذا وهو عالم بكل شيء هو الذي جعل لكم الارض ذلولا فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه واليه النشور
المشي في مناكبها مثل لفرط التذليل ومجاوزته الغاية لان المنكبين وملتقاهما من الغارب
ارق شيء من البعير وانباه عن ان يطأه الراكب بقدمه ويعتمد عليه فاذا جعلها في الذل بحيث
يمشي في مناكبها لم يترك وقيل مناكبها جبالها قال الزجاج معناه سهل لكم السلوك فيها فاذا
امكنكم السلوك في جبالها فهو ابلغ التذليل وقيل جوانبها والمعنى واليه نشوركم فهو مسائلكم
عن شكر ما انعم به عليكم ءامنتم من في السماء ان يخسف بكم الارض فاذا هي تمور ام امنتم من في السماء ان
يرسل عليكم حاصبا من في السماء فيه وجهان احدهما من ملكوته في السماء لانها مسكن ملائكته وثم
عرشه وكرسيه واللوح المحفوظ ومنها تنزل قضاياه وكتبه واوامره ونواهيه والثاني انهم كانوا
يعتقدون التشبيه وانه في السماء وان الرحمة والعذاب ينزلان منه وكانوا يدعونه من جهتها

فقيل لهم على حسب اعتقادهم أأمنتم من تزعمون أنه في السماء وهو متعال عن المكان أن يعذبكم بخسف
أو بحاصب كما تقول لبعض المشبهة أما تخاف من فوق العرش أن يعاقبك بما تفعل إذا رأيته يركب
بعض المعاصي فستعلمون كيف نذير أي إذا رأيتم المنذر به علمتم كيف إنذاري حين
لا ينفعكم العلم أولم يروا إلى الطير فوقهم صافات باسطات أجنحتهن في الجو عند طيرانها لأنهن إذا
بسطنها صففن قوادمها صفا ويقبضن ويضممنها إذا ضربن بها جنوبهن لم قيل
ويقبضن ولم يقل قابضات لأن أصل الطيران هو صف الأجنحة لأن الطيران في الهواء
كالسباحة في الماء والأصل في السباحة مد الأطراف وبسطها وأما القبض فطارئ على البسط
للاستظهار به على التحرك فجيء بما هو طارئ غير أصل بلفظ الفعل على معنى أنهن صافات ويكون منهن
القبض تارة بعد تارة كما يكون من السابح ما يمسكهن إلا الرحمن بقدرته وبما دبر لهن من
القوادم والخوافي وبنى الأجسام على شكل وخصائص قد تأتى منها الجري في الجو إنه بكل شيء بصير
يعلم كيف يخلق وكيف يدبر العجائب أمن يشار إليه من الجموع ويقال هذا الذي هو جند لكم
ينصركم من دون الرحمن إن أرسل عليكم عذابه إن الكافرون إلا في غرور أمن يشار إليه ويقال هذا الذي
يرزقكم إن أمسك رزقه وهذا على التقدير ويجوز أن يكون إشارة إلى جميع الأوثان لاعتقادهم
أنهم يحفظون من النوائب ويرزقون ببركة آلهتهم فكأنهم الجند الناصر والرازق ونحوه قوله تعالى
أم لهم آلهة تمنعهم من دوننا بل لجوا في عتو ونفور بل تمادوا في عناد وشراد عن الحق لثقله عليهم
فلم يتبعوه يجعل أكب مطاوع كبه يقال كببته فأكب من الغرائب والشواذ ونحوه قشعت الريح
السحاب فأقشع وما هو كذلك ولا شيء من بناء أفعل مطاوعا ولا يتقن نحو هذا إلا حملة كتاب
سيبويه وإنما أكب من باب أنفض وألام ومعناه دخل في الكب وصار ذا كب وكذلك أقشع السحاب
دخل في القشع ومطاوع كب وقشع انكب وانقشع ما معنى يمشي مكبا على وجهه
أمن وكيف قابل يمشي سويا على صراط مستقيم معناه يمشي معتسفا في مكان معتاد غير مستو فيه
انخفاض وارتفاع فيعثر كل ساعة فيخر على وجهه منكبا فحاله نقيض حال من يمشي سويا أي
قائما سالما من العثور والخرور أو مستوي الجهة قليل الانحراف خلاف المعتسف الذي ينحرف
هكذا وهكذا على طريق مستو ويجوز أن يريد الأعمى الذي لا يهتدي إلى الطريق فيعتسف فلا يزال
ينكب على وجهه وأنه ليس كالرجل السوي الصحيح البصير الماشي في الطريق المهتدي له وهو مثل
للمؤمن والكافر وعن قتادة الكافر أكب على معاصي الله فحشره الله يوم القيامة على وجهه وعن الكلبي

عني به أبو جهل بن هشام وبالسوي رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل حمزة بن عبد المطلب قل هو
الذي أنشأكم وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة قليلا ما تشكرون قل هو الذي ذرأكم في الأرض وإليه تحشرون
ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين قل إنما العلم عند الله وإنما أنا نذير مبين فلما رأوه الضمير
للوعد زلفة والزلفة القربة وانتصابها على الحال أو الظرف أي رأوه ذا زلفة أو مكانا ذا زلفة
سيئت وجوه الذين كفروا أي ساءت رؤية الوعد وجوههم بأن علتها الكآبة وغشيها الكسوف والقترة
وكلحوا وكما يكون وجه من يقاد إلى القتل أو يعرض على بعض العذاب وقيل القائلون الزبانية هذا
الذي كنتم به تدعون قل أرأيتم إن أهلكني الله ومن معي أو رحمنا فمن يجير الكافرين من عذاب أليم قل هو الرحمن
آمنا به تدعون تفتعلون من الدعاء أي تطلبون وتستعجلون به وقيل هو من الدعوى أي كنتم بسببه
تدعون أنكم لا تبعثون وقرئ تدعون وعن بعض الزهاد أنه تلاها في أول الليل في صلاته فبقي يكررها
وهو يبكي إلى أن نودي لصلاة الفجر ولعمري إنها لوقاذة لمن تصور تلك الحالة وتأملها كان
كفار مكة يدعون على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى المؤمنين بالهلاك فأمر بأن يقول لهم نحن
مؤمنون متربصون لإحدى الحسنيين إما أن نهلك كما تتمنون فننقلب إلى الجنة أو نرحم بالنصرة
والإدالة للإسلام كما نرجو فأنتم ما تصنعون من يجيركم وأنتم كافرون من عذاب النار لا بد
لكم منه يعني إنكم تطلبون لنا الهلاك الذي هو استعجال للفوز والسعادة وأنتم في أمر
هو الهلاك الذي لا هلاك بعده وأنتم غافلون لا تطلبون الخلاص منه أو إن أهلكنا الله بالموت
فمن يجيركم بعد موت هداتكم والآخذين بحجزكم من النار وإن رحمنا بالإمهال والغلبة عليكم
وقتلكم فمن يجيركم فإن المقتول على أيدينا هالك أو إن أهلكنا الله في الآخرة بذنوبنا ونحن
مسلمون فمن يجير الكافرين وهم أولى بالهلاك لكفرهم وإن رحمنا بالإيمان فمن يجير من لا إيمان له
لم أخر مفعول آمنا وقدم مفعول توكلنا لوقوع آمنا تعريضا بالكافرين
حين ورد عقيب ذكرهم كأنه قيل آمنا ولم نكفر كما كفرتم ثم قال وعليه توكلنا خصوصا لم نتكل على
ما أنتم متكلون عليه من رجالكم وأموالكم فستعلمون من هو في ضلال مبين قل أرأيتم إن أصبح ماؤكم
غورا فمن يأتيكم بماء معين غورا غائرا ذاهبا في الأرض وعن الكلبي لا تناله الدلاء وهو وصف
بالمصدر كعدل ورضى وعن بعض الشطار أنها تليت عنده فقال تجيء به الفؤوس والمعاول
فذهب ماء عينيه نعوذ بالله من الجراءة على الله وعلى آياته عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
من قرأ سورة الملك فكأنما أحيا ليلة القدر ٥

سورة نون مكية وهي ثنتان وخمسون آية

بسم الله الرحمن الرحيم قرئ نون والقلم بالبيان والادغام وبسكون النون وفتحها وكسرها
كما في صاد والمراد هذا الحرف من حروف المعجم واما قولهم هو الدواة فما ادري اهو وضع لغوي
ام شرعي ولا يخلو اذا كان اسما للدواة من ان يكون جنسا او علما فان كان جنسا فاين الاعراب
والتنوين وان كان علما فاين الاعراب وايهما كان فلا بد له من موقع في تاليف الكلام فان قلت هو مقسم
به وجب ان كان جنسا ان تجره وتنونه ويكون القسم بدواة منكرة مجهولة كانه قيل ودواة
والقلم وان كان علما ان تصرفه وتجره او لا تصرفه وتفتحه للعلمية والتانيث وكذلك التفسير
بالحوت اما ان يراد نون من النينان او يجعل علما للبهموت الذي يزعمون والتفسير باللوح من
نور او ذهب والنهر في الجنة نحو ذلك واقسم بالقلم تعظيما له لما في خلقه وتسويته من الدلالة
على الحكمة العظيمة ولما فيه من المنافع والفوائد التي لا يحيط بها الوصف وما يسطرون وما يكتب
من كتب وقيل ما يسطره الحفظة وما موصولة او مصدرية ويجوز ان يراد بالقلم اصحابه
فيكون الضمير في يسطرون لهم كانه قيل واصحاب القلم ومسطوراتهم او وسطرهم ويراد بهم كل من
يسطر او الحفظة ... م يتعلق الباء في ما انت بنعمة ربك وما محله ... يتعلق
بمجنون منفيا كما يتعلق بعاقل مثبتا في قولك انت بنعمة الله عاقل مستويا في ذلك الاثبات
والنفي استواءهما في قولك ضرب زيد عمرا وما ضرب زيد عمرا تعمل الفعل مثبتا ومنفيا اعمالا
واحدا ومحله النصب على الحال كانه قيل ما انت بمجنون منعما عليك بذلك ولم تمنع الباء ان يعمل
مجنون فيما قبله لانها زائدة لتاكيد النفي والمعنى استبعاد ما كان ينسبه اليه كفار مكة
عداوة وحسدا وانه من انعام الله عليه بحصافة العقل والشهامة التي يقتضيها التاهيل للنبوة
بمنزل وان لك على احتمال ذلك واساغة الغصة فيه والصبر عليه لاجرا لثوابا غير ممنون غير مقطوع
كقوله عطاء غير مجذوذ او غير ممنون عليك لانه ثواب تستوجبه على عملك وليس بتفضل ابتداء
وانما تمن الفواضل لا الاجور على الاعمال وانك لعلى خلق عظيم فستبصر ويبصرون بايكم استعظم
خلقه لفرط احتماله الممضات من قومه وحسن مخالقته ومداراته لهم وقيل هو الخلق
الذي امره الله به في قوله خذ العفو وامر بالعرف واعرض عن الجاهلين وعن عائشة رضي
الله عنها ان سعد بن هشام سالها عن خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال كان خلقه
القرآن الست تقرا القرآن قد افلح المؤمنون المفتون المجنون لانه فتن اي محن بالجنون

او لان العرب يزعمون انه من تخبيل الجن وهم الفتان للفتاك منهم والباء مزيدة او المفتون مصدر
كالمعقول والمجلود اي بايكم الجنون او باي الفريقين منكم الجنون ابفريق المؤمنين ام بفريق الكافرين
اي في ايهما يوجد من يستحق هذا الاسم وهو تعريض بابي جهل بن هشام والوليد بن المغيرة واضرابهما و
هذا كقوله سيعلمون غدا من الكذاب الاشر ان ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله بالمجانين على الحقيقة
وهم الذين ضلوا عن سبيله وهو اعلم بالمهتدين بالعقلاء وهم المهتدون او يكون وعيدا ووعدا
وانه هو اعلم بجزاء الفريقين فلا تطع المكذبين تهييج والهاب للتصميم على معاصاتهم وكانوا قد ارادوه
على ان يعبد الله مدة وآلهتهم مدة ويكفوا عنه غوائلهم ودوا لو تدهن لو تلين وتصانع
فيدهنون لم رفع فيدهنون ولم ينصب باضمار ان وهو جواب التمني
قد عدل به الى طريق آخر وهو ان جعل خبر مبتدا محذوف اي فهم يدهنون كقوله فمن يؤمن بربه
فلا يخاف على معنى ودوا لو تدهن فهم يدهنون حينئذ او ودوا ادهانك فهم الآن يدهنون
لطمعهم في ادهانك قال سيبويه وزعم هارون انها في بعض المصاحف ودوا لو تدهن فيدهنوا ولا
تطع كل حلاف كثير الحلف في الحق والباطل وكفى به مزجرة لمن اعتاد الحلف ومثله قوله تعالى
ولا تجعلوا الله عرضة لايمانكم مهين من المهانة وهي القلة والحقارة يريد القلة في الراي و
التمييز او اراد الكذاب لانه حقير عند الناس هماز عياب طعان وعن الحسن يلوي شدقيه في
اقفية الناس مشاء بنميم مضرب نقال للحديث من قوم الى قوم على وجه السعاية والافساد بينهم
والنميم والنميمة السعاية وانشدني بعض العرب تشببي تشبب النميمة تمشي بها زهرا الى تميمة
مناع للخير بخيل والخير المال او مناع اهله الخير وهو الاسلام فذكر الممنوع منه دون الممنوع كانه
قال مناع من الخير قيل هو الوليد بن المغيرة المخزومي كان موسرا وكان له عشرة من البنين
وكان يقول لهم وللحمته من اسلم منكم منعته رفدي عن ابن عباس وعنه انه ابو جهل وعن مجاهد
الاسود بن عبد يغوث وعن السدي الاخنس بن شريق اصله في ثقيف وعداده في زهرة و
لذلك قيل زنيم معتد مجاوز في الظلم حده اثيم كثير الآثام عتل غليظ جاف من عتله اذا قاده
بعنف وغلظة بعد ذلك بعد ما عد له من المثالب والنقائص زنيم دعي قال حسان
وانت زنيم نيط في آل هاشم كما نيط خلف الراكب القدح الفرد وكان الوليد دعيا في
قريش ليس من سنخهم ادعاه ابوه بعد ثماني عشرة من مولده وقيل بغت امه ولم يعرف
حتى نزلت هذه الآية جعل جفاءه ودعوته اشد معايبه لانه اذا جفا وغلظ طبعه قسا

قلبه واجترأ على كل معصية ولأن الغالب أن النطفة إذا خبثت خبث الناشئ منها ومن ثم قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يدخل الجنة ولد الزنا ولا ولده ولا ولد ولده وبعد ذلك نظير
ثم في قوله ثم كان من الذين آمنوا وقرأ الحسن عتلٌّ رفعا على الذم وهذه القراءة تقوّي ما يدل
عليه بعد ذلك والزنيم من الزنمة وهي الهنة من جلد الماعز تقطع فتخلى معلقة في حلقها لأنه
زيادة معلقة بغير أهله أن كان ذا مال وبنين إذا تتلى عليه آياتنا قال أساطير الأولين متعلق
بقوله ولا تطع يعني ولا تطعه مع هذه المثالب لأن كان ذا مال أي ليساره وحظه من الدنيا ويجوز
أن يتعلق بما بعده على معنى لكونه متمولا مستظهرا بالبنين كذّب آياتنا ولا يعمل فيه قال الذي هو
جواب إذا لأن ما بعد الشرط لا يعمل فيما قبله ولكن ما دلت عليه الجملة من معنى التكذيب وقرئ
أأن كان على الاستفهام على ألأن كان ذا مال كذب أو أتطيعه لأن كان ذا مال وروى الزبيري
عن نافع إن كان بالكسر والشرط للمخاطب أي ولا تطع كل حلاف شارطا يساره لأنه إذا أطاع الكافر لغناه
فكأنه اشترط في الطاعة الغنى ونحو صرف الشرط إلى المخاطب صرف الترجي إليه في قوله لعله يتذكر
الوجه أكرم موضع في الجسد والأنف أكرم موضع من الوجه لتقدمه له ولذلك جعلوه مكان
العز والحمية واشتقوا منه الأنفة وقالوا الأنف في الأنف وحمي أنفه وفلان شامخ العرنين
وقالوا في الذليل جدع أنفه ورغم أنفه فعبر بالوسم على الخرطوم عن غاية الإذلال و
الإهانة لأن السمة على الوجه شين وإذالة فكيف بها على أكرم موضع منه ولقد وسم العباس
أباعره في وجوهها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أكرموا الوجوه فوسمها في جواعرها وفي لفظ
الخرطوم استخفاف به واستهانة وقيل معناه سنعلمه يوم القيامة بعلامة مشوهة يبين
بها عن سائر الكفرة كما عادى رسول الله صلى الله عليه وسلم عداوة بان بها عنهم وقيل خطم يوم
بدر بالسيف فبقيت سمة على خرطومه وقيل سنشهره بهذه الشتيمة في الدارين جميعا فلا
تخفى كما لا تخفى السمة على الخرطوم وعن النضر بن شميل أن الخرطوم الخمر وأن معناه سنحده
على شربها وهو تعسف وقيل للخمر الخرطوم كما قيل لها السلافة وهي ما سلف من عصير العنب
أو لأنها تطير في الخياشيم إنا بلوناهم أهل مكة بالقحط والجوع بدعوة رسول الله صلى الله
عليه وسلم كما بلونا أصحاب الجنة إذ أقسموا وهم قوم من أهل الصلاة كانت لأبيهم هذه الجنة
دون صنعاء بفرسخين فكان يأخذ منها قوت سنة ويتصدق بالباقي وكان يترك للمساكين
ما أخطأه المنجل وما في أسفل الأكداس وما أخطأه القطاف من العنب وما بقي على البساط الذي

سنسمه

يبسط تحت النخلة إذا صرمت فكان يجتمع لهم شيء كثير فلما مات قال بنوه إن فعلنا ما كان يفعل
أبونا ضاق علينا الأمر ونحن أولو عيال فحلفوا ليصرمنها مصبحين في السدف خفية عن المساكين
ولم يستثنوا في يمينهم فأحرق الله جنتهم وقيل كانوا من بني إسرائيل مصبحين داخلين في الصبح
مبكرين ولا يستثنون ولا يقولون إن شاء الله لم سمي استثناء وإنما هو شرط
لأنه يؤدي مؤدى الاستثناء من حيث أن معنى قولك لأخرجن إن شاء الله ولا أخرج إلا أن يشاء الله
واحد فطاف عليها بلاء أو هلاك طائف من ربك وهم نائمون كقوله وأحيط بثمره وقرئ طيف
فأصبحت كالصريم فتنادوا مصبحين أن اغدوا على حرثكم إن كنتم كالمصرومة لهلاك ثمرها وقيل
الصريم الليل أي احترقت فاسودت وقيل النهار أي يبست وذهبت خضرتها أو لم يبق
فيها شيء من قولهم بيض الإناء إذا فرغه وقيل الصريم الرمال صارمين حاصدين فانطلقوا
وهم هلا قيل اغدوا إلى حرثكم وما معنى على لما كان الغدو إليه ليصرموه و
يقطعوه كان غدوا عليه كما تقول غدا عليهم العدو ويجوز أن يضمن الغدو معنى الإقبال كقولهم
يغدى عليه بالجفنة ويراح أي فأقبلوا على حرثكم باكرين يتخافتون يتسارّون فيما بينهم
وخفي وخفت وخفد ثلاثتها في معنى الكتم ومنه الخفدود للخفاش أن لا يدخلنها اليوم
عليكم مسكين وغدوا على حرد قادرين أن مفسرة وقرأ ابن مسعود بطرحها بإضمار القول أي يتخافتون
يقولون لا يدخلنها والنهي عن الدخول للمسكين نهي لهم عن تمكينه منه أي لا تمكنوه من الدخول
حتى يدخل كقولك لا أرينك ههنا الحرد من حاردت السنة إذا منعت خيرها وحاردت
الإبل إذا منعت درها والمعنى وغدوا قادرين على نكد لا غير عاجزين عن النفع يعني
أنهم عزموا أن يتنكدوا على المساكين ويحرموهم وهم قادرون على نفعهم فغدوا بحال فقر و
ذهاب مال لا يقدرون فيها إلا على النكد والحرمان والمسكنة أو وغدوا على محاردة جنتهم
وذهاب خيرها قادرين بدل كونهم قادرين على إصابة خيرها ومنافعها أي غدوا حاصلين على
الحرمان مكان الانتفاع أو لما قالوا اغدوا على حرثكم وقد خبثت نيتهم عاقبهم الله بأن حاردت
جنتهم وحرموا خيرها فلم يغدوا على حرث وإنما غدوا على حرد وقادرين من عكس الكلام للتهكم
أي قادرين على ما عزموا عليه من الصرام وحرمان المساكين وعلى حرد ليس بصلة قادرين وقيل
الحرد بمعنى الحرد وقرئ على حرَد أي لم يقدروا إلا على حنق وغضب بعضهم على بعض كقوله يتلاومون

وقيل الحرد القصد والسرعة يقال حردت حردك وقال اقبل سيل جاء من امر الله
يحرد حرد الجنة المغلة وقطا حراد سراع يعني وغدوا قاصدين الى جنتهم بسرعة ونشاط
قادرين عند انفسهم يقولون نحن نقدر على صرامها وزي منفعتها عن المساكين وقيل حرد
علم للجنة اي غدوا على تلك الجنة قادرين على صرامها عند انفسهم او مقدرين ان يتم لهم مرادهم
من الصرام والحرمان فلما راوها قالوا في بديهة وصولهم انا لضالون اي ضللنا جنتنا وما هي بها
لما راوا من هلاكها فلما تاملوا وعرفوا انها هي قالوا بل نحن محرومون حرمنا خيرها لجنايتنا
على انفسنا قال اوسطهم اعدلهم وخيرهم من قولهم هو من سطة قومه واعطني من سطات مالك
ومنه قوله تعالى امة وسطا الم اقل لكم لولا تسبحون لولا تذكرون الله وتتوبون
اليه من خبث نيتكم كان اوسطهم قال لهم حين عزموا على ذلك اذكروا الله وانتقامه من
المجرمين وتوبوا عن هذه العزيمة الخبيثة من فوركم وسارعوا الى حسم شرها قبل حلول
النقمة فعصوه فعيرهم والدليل عليه قولهم سبحان ربنا انا كنا ظالمين فتكلموا بما كان يدعوهم
الى التكلم به على اثر مقارفة الخطيئة ولكن بعد خراب البصرة وقيل المراد بالتسبيح الاستثناء
لالتقائهما في معنى التعظيم لله لان الاستثناء تفويض اليه والتسبيح تنزيه له وكل واحد
من التفويض والتنزيه تعظيم وعن الحسن هو الصلاة كانهم كانوا يتوانون في الصلاة
والا لنهتهم عن الفحشاء والمنكر ولكانت لهم لطفا في ان يستثنوا ولا يحرموا سبحان
ربنا سبحوا الله ونزهوه عن الظلم وعن كل قبيح ثم اعترفوا بظلمهم في منع المعروف و
ترك الاستثناء فاقبل بعضهم على بعض يتلاومون يلوم بعضهم بعضا لان منهم من زين ومنهم
من قبل ومنهم من امر بالكف وعذر ومنهم من عصى الامر ومنهم من سكت وهو راض قالوا يا
ويلنا انا كنا طاغين عسى ربنا ان يبدلنا قرئ بالتخفيف والتشديد خيرا منها انا الى ربنا راغبون طالبون
منه الخير راجون لعفوه كذلك العذاب مثل ذلك العذاب الذي بلونا به اهل مكة واصحاب الجنة
عذاب الدنيا ولعذاب الآخرة اكبر لو كانوا يعلمون اشد واعظم منه وسئل قتادة عن اصحاب
الجنة اهم من اهل الجنة ام من اهل النار فقال لقد كلفتني تعبا وعن مجاهد تابوا فابدلوا
خيرا منها وروي عن ابن مسعود بلغني انهم اخلصوا وعرف الله منهم الصدق فابدلهم بها جنة
يقال لها الحيوان فيها عنب يحمل البغل منه عنقودا ان للمتقين عند ربهم اي في الآخرة جنات النعيم

جنات ليس فيها الا التنعم الخالص لا يشوبه ما ينغصه كما يشوب جنان الدنيا افنجعل المسلمين
كالمجرمين كان صناديد قريش يرون وفور حظهم من الدنيا وقلة حظوظ المسلمين منها فاذا
سمعوا بحديث الآخرة وما وعد الله المسلمين قالوا ان صح انا نبعث كما يزعم محمد ومن معه لم يكن
حالهم وحالنا الا مثل ما هي في الدنيا والا لم يزيدوا علينا ولم يفضلونا واقصى امرهم ان يساوونا
فقيل انحيف في الحكم فنجعل المسلمين كالكافرين ثم قيل لهم على طريقة الالتفات ما لكم كيف تحكمون
هذا الحكم الاعوج كان امر الجزاء مفوض اليكم حتى تحكموا فيه بما شئتم ام لكم كتاب من السماء فيه
تدرسون ان لكم فيه لما تخيرون ام لكم ايمان علينا بالغة في ذلك الكتاب ان ما تختارونه وتشتهونه
لكم كقوله ام لكم سلطان مبين فاتوا بكتابكم والاصل تدرسون ان لكم ما تخيرون بفتح ان
لانه مدروس فلما جاءت اللام كسرت ويجوز ان يكون حكاية للمدروس كما هو كقوله وتركنا عليه في
الآخرين سلام على نوح وتخير الشيء واختاره اخذ خيره ونحوه تنخله وانتخله اذا اخذ منخوله
لفلان علي يمين بكذا اذا ضمنته منه وحلفت له على الوفاء به يعني ام ضمنا منكم واقسمنا لكم بايمان
مغلظة متناهية في التوكيد ثم يتعلق الى يوم القيامة بالمقدر في الظرف
اي هي ثابتة لكم علينا الى يوم القيامة لا نخرج عن عهدتها الا يومئذ اذا حكمناكم واعطيناكم ما تحكمون
ويجوز ان يتعلق ببالغة على انها تبلغ ذلك اليوم وتنتهي اليه وافرة لم تبطل منها يمين الى ان
يحصل المقسم عليه من التحكيم وقراءة الحسن بالغة بالنصب على الحال من الضمير في الظرف ان لكم لما
تحكمون جواب القسم لان معنى ام لكم ايمان علينا ام اقسمنا لكم سلهم ايهم بذلك الحكم زعيم اي قائم به
وبالاحتجاج لصحته كما يقوم الزعيم المتكلم عن القوم المتكفل بامورهم ام لهم شركاء اي ناس
يشاركونهم في هذا القول ويوافقونهم عليه ويذهبون مذهبهم فيه فليأتوا بشركائهم ان كانوا
صادقين في دعواهم يعني ان احدا لا يسلم لهم هذا ولا يساعدهم عليه كما انه لا كتاب لهم ينطقون
به ولا عهد لهم به عند الله ولا زعيم لهم يقوم به يوم يكشف عن ساق ويدعون الى السجود فلا
يستطيعون خاشعة ابصارهم ترهقهم ذلة وقد كانوا يدعون الى السجود وهم سالمون فذرني
ومن يكذب بهذا الحديث سنستدرجهم الكشف عن الساق والابداء عن الخدام مثل في شدة الامر
وصعوبة الخطب واصله في الروع والهزيمة وتشمير المخدرات عن سوقهن في الهرب وابداء خدامهن
عند ذلك قال حاتم اخو الحرب ان عضت به الحرب عضها وان شمرت عن ساقها الحرب شمرا
وقال ابن الرقيات تذهل الشيخ عن بنيه وتبدي عن خدام العقيلة العذراء

فمعنى يوم يكشف عن ساق في معنى يوم يشتد الامر ويتفاقم ولا كشف ثم ولا ساق كما تقول للاقطع الشحيح يده مغلولة ولا يد ثم ولا غل وانما هو مثل في البخل واما من شبه فلضيق عطنه وقلة نظره في علم البيان والذي غره منه حديث ابن مسعود يكشف الرحمن عن ساقه فاما المؤمنون فيخرون سجدا واما المنافقون فيكون ظهورهم طبقا طبقا كأن فيها السفافيد ومعناه يشتد امر الرحمن ويتفاقم هوله وهو الفزع الاكبر يوم القيمة ثم كان من حق الساق ان تعرف على ما ذهب اليه المشبهة لانها ساق مخصوصة معهودة عنده وهي ساق الرحمن فلم جاءت منكرة في التمثيل للدلالة على انه امر مبهم في الشدة منكر خارج عن المألوف كقوله يوم يدع الداع الى شيء نكر كانه قيل يوم يقع امر فظيع هائل ويحكى هذا التشبيه عن مقاتل وعن ابي عبيدة خرج من خراسان رجلان احدهما شبه حتى مثل والاخر نفى حتى عطل وهو مقاتل بن سليمان والاخر جهم بن صفوان ومن احس بعظم مضار فقد هذا العلم علم مقدار عظم منافعه وقرئ يوم نكشف بالنون وتكشف بالتاء على البناء للفاعل والمفعول جميعا والفعل للساعة او للحال اي يوم يشتد الحال او الساعة كما تقول كشفت الحرب عن ساقها على المجاز وقرئ تكشف بالتاء المضمومة وكسر الشين من اكشف اذا دخل في الكشف ومنه اكشف الرجل فهو مكشف اذا انقلبت شفته العليا وناصب الظرف فليأتوا او اضمار اذكر او يوم يكشف عن ساق كان كيت وكيت فحذف للتهويل البليغ وان ثم من الكوائن ما لا يوصف لعظمه عن ابن مسعود تعقم اصلابهم اي ترد عظاما بلا مفاصل لا تنثني عند الرفع والخفض وفي الحديث وتبقى اصلابهم طبقا واحدا اي فقارة واحدة لم يدعون الى السجود ولا تكليف لا يدعون اليه تعبدا وتكليفا ولكن توبيخا وتعنيفا على تركهم السجود في الدنيا مع اعقام اصلابهم والحيلولة بينهم وبين الاستطاعة تحسيرا لهم وتنديما على ما فرطوا فيه حين دعوا الى السجود وهم سالمو الاصلاب والمفاصل ممكنون مزاحو العلل فيما تعبدوا به يقال ذرني واياه يريد وني كله الي فانا اكفيكه كانه تقول حسبك ايقاعا به ان تكل امره الي وتخلي بيني وبينه فاني عالم بما يجب ان يفعل به مطيق له والمراد حسبي مجازيا لمن يكذب بالقرآن فلا تشغل قلبك بشأنه وتوكل علي في الانتقام منه تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتهديدا للمكذبين استدرجه الى كذا اذا استنزله اليه درجة فدرجة حتى يورطه فيه واستدراج الله العصاة ان يرزقهم الصحة والنعمة

فيجعلون رزق الله ذريعة ومتسلقا الى ازدياد الكفر والمعاصي من حيث لا يعلمون اي من الجهة التي لا يشعرون انه استدراج وهو الانعام عليهم لانهم يحسبونه ايثارا لهم وتفضيلا على المؤمنين وهو سبب لهلاكهم واملي لهم ان كيدي متين ام تسألهم اجرا فهم من مغرم مثقلون وامهلهم كقوله انما نملي لهم ليزدادوا اثما والصحة والرزق والمد في العمر احسان من الله وافضال يوجب عليهم الشكر والطاعة ولكنهم يجعلونه سببا في الكفر باختيارهم فلما تدرجوا به الى الهلاك وصف المنعم بالاستدراج وقيل كم من مستدرج بالاحسان اليه وكم من مفتون بالثناء عليه وكم من مغرور بالستر وسمى احسانه وتمكينه كيدا كما سماه استدراجا لكونه في صورة الكيد حيث كان سببا للتورط في الهلكة ووصفه بالمتانة لقوة اثر احسانه في التسبب للهلاك المغرم الغرامة اي لم تطلب منهم على الهداية والتعليم اجرا فيثقل عليهم حمل الغرامات في اموالهم فيثبطهم ذلك عن الايمان ام عندهم الغيب اي اللوح فهم يكتبون منه ما يحكمون به فاصبر لحكم ربك وهو امهالهم وتأخير نصرتك عليهم ولا تكن كصاحب الحوت يعني يونس عليه السلام اذ نادى في بطن الحوت وهو مكظوم لولا ان تداركه نعمة من ربه لنبذ بالعراء مملوء غيظا من كظم السقاء اذا ملأه والمعنى لا يوجد منك ما وجد منه من الضجر والمغاضبة فتبتلى ببلائه حسن تذكير الفعل لفصل الضمير في تداركه وقرأ ابن عباس وابن مسعود تداركته وقرأ الحسن تداركه اي تتداركه على حكاية الحال الماضية بمعنى لولا ان كان يقال فيه تتداركه كما يقال كان زيد سيقوم فمنعه فلان اي كان يقال فيه سيقوم والمعنى كان متوقعا منه القيام ونعمة ربه ان انعم عليه بالتوفيق للتوبة وتاب عليه وقد اعتمد في جواب لولا على الحال اعني قوله وهو مذموم يعني ان حاله كانت على خلاف الذم حين نبذ بالعراء ولولا توبته لكانت حاله على الذم روي انها نزلت باحد حين حل برسول الله ما حل به فاراد ان يدعو على الذين انهزموا وقيل حين اراد ان يدعو على ثقيف وقرئ رحمة من ربه فاجتباه ربه فجمعه اليه وقربه بالتوبة عليه كما قال ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى فجعله من الصالحين اي من الانبياء وعن ابن عباس رد الله اليه الوحي وشفعه في نفسه وقومه وان يكاد الذين كفروا ان مخففة من الثقيلة واللام علمها وقرئ ليزلقونك بابصارهم بضم الياء وفتحها وزلقه وازلقه بمعنى ويقال زلق الرأس وزلقه حلقه وقرئ ليزهقونك من زهقت نفسه وازهقها يعني انهم من شدة تحديقهم ونظرهم اليك شزرا بعيون العداوة والبغضاء

يكادون يزلقونك اى يهلكونك من قولهم نظر الىّ نظرا يكاد يصرعنى ويكاد يأكلنى اى لو امكنه بنظره الصرع او الاكل لفعله قال يتقارضون اذا التقوا فى موطن نظرا يزل مواطئ الاقدام وقيل كانت العين فى بنى اسد فكان الرجل منهم يتجوّع ثلثة ايام فلا يمر به شئ فيقول فيه لم ار كاليوم مثله الا عانه فاريد بعض العيانين على ان يقول فى رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل ذلك فقال لم ار كاليوم رجلا فعصمه الله وعن الحسن دواء للاصابة بالعين ان تقرأ هذه الآية لما سمعوا الذكر اى القرآن لم يملكوا انفسهم حسدا على ما اوتيت من النبوة ويقولون انه لمجنون حيرة فى امره وتنفيرا عنه والا فقد علموا انه اعقلهم والمعنى انه جننوه لاجل القرآن وما هو الا ذكر للعالمين وموعظة فكيف يجنن من جاء بمثله عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة القلم اعطاه الله ثواب الذين حسن الله اخلاقهم

سورة الحاقة مكية وهى احدى وخمسون آية

بسم الله الرحمن الرحيم الحاقة الساعة الواجبة الوقوع الثابتة المجئ التى هى آتية لا ريب فيها او التى فيها حواق الامور من الحساب والثواب والعقاب او التى تحق فيها الامور اى تعرف على الحقيقة من قولك لا احق هذا اى لا اعرف حقيقته جعل الفعل لها وهو لاهلها وارتفاعها على الابتداء وخبرها ما الحاقة والاصل الحاقة ما هى اى اى شئ هى تفخيما لشانها وتعظيما لهولها فوضع الظاهر موضع المضمر لانه اهول لها وما ادريك واى شئ اعلمك ما الحاقة يعنى انك لا علم لك بكنهها ومدى عظمها على انه من العظم والشدة بحيث لا يبلغه دراية احد ولا وهمه وكيف ما قدرت حالها فهى اعظم من ذلك وما فى موضع الرفع على الابتداء وادريك معلق عنه لتضمنه معنى الاستفهام كذبت ثمود وعاد بالقارعة فاما ثمود فاهلكوا القارعة التى تقرع الناس بالافزاع والاهوال والسماء بالانشقاق والانفطار والارض والجبال بالدك والنسف والنجوم بالطمس والانكدار ووضعت موضع الضمير ليدل على معنى القرع فى الحاقة زيادة فى وصف شدتها ولما ذكرها وفخمها اتبع ذكر ذلك ذكر من كذب بها وما حل بهم بسبب التكذيب تذكيرا لاهل مكة وتخويفا لهم من عاقبة تكذيبهم بالطاغية بالواقعة المجاوزة للحد فى الشدة واختلف فيها فقيل الرجفة وعن ابن عباس الصاعقة وعن قتادة بعث الله عليهم صيحة فاهمدتهم وقيل الطاغية مصدر كالعافية اى بطغيانهم وليس بذاك لعدم الطباق بينها

وبين قوله واما عاد فاهلكوا بريح صرصر والصرصر الشديدة الصوت لها صرصرة وقيل الباردة من الصر كانها التى كرر فيها البرد وكثر فهى تحرق بشدة بردها عاتية سخرها عليهم سبع ليال وثمانية ايام شديدة العصف والعتو استعارة او عتت على عاد فما قدروا على ردها بحيلة من استتار ببناء او لياذ بجبل او اختفاء بحفرة فانها كانت تنزعهم من مكانهم وتهلكهم وقيل عتت على خزانها فخرجت بلا كيل ولا وزن وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ارسل الله سفية من ريح الا بمكيال ولا قطرة من مطر الا بمكيال الا يوم عاد ويوم نوح فان الماء يوم نوح طغى على الخزان فلم يكن لهم عليه سبيل ثم قرأ انا لما طغى الماء حملناكم فى الجارية وان الريح يوم عاد عتت على الخزان فلم يكن لهم عليها سبيل ثم قرأ بريح صرصر عاتية ولعلها عبارة عن الشدة والافراط فيها الحسوم لا يخلو من ان يكون جمع حاسم كشهود وقعود او مصدرا كالشكور والكفور فان كان جمعا فمعنى قوله حسوما نحسات حسمت كل خير واستأصلت كل بركة او متتابعة هبوب الرياح ما خفتت ساعة حتى اتت عليهم تمثيلا لتتابعها بتتابع فعل الحاسم فى اعادة الكى على الداء كرة بعد اخرى حتى ينحسم وان كان مصدرا فاما ان ينتصب بفعله مضمرا اى تحسم حسوما بمعنى تستأصل استئصالا او يكون صفة كقولك ذات حسوم او يكون مفعولا له اى سخرها عليهم للاستئصال وقرأ السدى حسوما بالفتح حالا من الريح اى سخرها عليهم مستأصلة قال عبد العزيز بن زرارة الكلابى ففرق بين بينهم زمان تتابع فيه اعوام حسوم وقيل هى ايام العجوز وذلك ان عجوزا من عاد توارت فى سرب فانتزعتها الريح فى اليوم الثامن فاهلكتها وقيل هى ايام العجز وهى آخر الشتاء واسماؤها الصن والصنبر والوبر والآمر والمؤتمر والمعلل ومطفئ الجمر وقيل مكفئ الظعن ومعنى سخرها عليهم سلطها عليهم كما شاء فيها اى فى مهابها او فى الليالى والايام فترى القوم فيها صرعى كانهم اعجاز نخل خاوية فهل ترى لهم وقرئ اعجاز نخيل من باقية من بقية او من نفس باقية او من بقاء كالطاغية بمعنى الطغيان وجاء فرعون ومن قبله يريد ومن عنده من اتباعه وقرئ ومن قبله اى ومن تقدمه وتعضد الاولى قراءة عبد الله وابى ومن معه وقراءة ابى موسى ومن تلقاءه والمؤتفكات قرى قوم لوط بالخاطئة بالخطاء او بالفعلة او الافعال ذات الخطاء العظيم فعصوا رسول ربهم فاخذهم اخذة رابية شديدة زائدة فى الشدة كما زادت قبائحهم و

في القبح يقال ربا الشيء يربو اذا زاد لبربو في اموال الناس حملناكم حملنا آباءكم في الجارية في سفينة نوح لانهم اذا كانوا من نسل المحمولين الناجين كان حمل آبائهم منة عليهم وكانهم هم المحمولون لان نجاتهم سبب ولادتهم لنجعلها الضمير للفعلة وهي نجاة المؤمنين واغراق الكفرة لكم تذكرة عظة وعبرة وتعيها اذن واعية من شانها ان تعي وتحفظ ما سمعت به ولا تضيعه بترك العمل وكل ما حفظته في نفسك فقد وعيته وما حفظته في غير نفسك فقد اوعيته كقولك اوعيت الشيء في الظرف وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لعلي رضي الله عنه عند نزول هذه الآية سألت الله ان يجعلها اذنك يا علي قال علي فما نسيت شيئا بعد وما كان لي ان انسى فان قلت لم قيل اذن واعية على التوحيد والتنكير قلت للايذان بان الوعاة فيهم قلة ولتوبيخ الناس بقلة من يعي منهم وللدلالة على ان الاذن الواحدة اذا وعت وعقلت عن الله فهي السواد الاعظم عند الله وان ما سواها لا يبالي بهم بالة وان ملاوا ما بين الخافقين وقرئ وتعيها بسكون العين للتخفيف شبه بكبد فاذا نفخ في الصور نفخة واحدة وحملت الارض والجبال اسند الفعل الى المصدر وحسن تذكيره للفصل وقرا ابو السمال نفخة واحدة بالنصب مسندا للفعل الى الجار والمجرور فان قلت هما نفختان فلم قيل واحدة قلت معناه انها لا تثنى في وقتها فان قلت فاي النفختين هي قلت الاولى لان عندها فساد العالم وهكذا الرواية عن ابن عباس وقد روي عنه انها الثانية فان قلت اما قال بعد يومئذ تعرضون والعرض انما هو عند النفخة الثانية قلت جعل اليوم اسما للحين الواسع الذي يقع فيه النفختان والصعقة والنشور والوقوف والحساب فلذلك قيل يومئذ تعرضون كما تقول جئته عام كذا وانما كان مجيئك في وقت واحد من اوقاته وحملت ورفعت من جهاتها بريح بلغت من قوة عصفها انها تحمل الارض والجبال او بخلق من الملائكة او بقدرة الله من غير سبب وقرئ وحملت بحذف المحمل وهو احد الثلاثة فدكتا دكة واحدة فدكت الجملتان جملة الارضين وجملة الجبال فضرب بعضها ببعض حتى تندق وترجع كثيبا مهيلا وهباء منبثا والدك ابلغ من الدق وقيل فبسطتا بسطة واحدة فصارتا ارضا لا ترى فيها عوجا ولا امتا من قولك اندك السنام اذا تفرش وبعير ادك وناقة دكاء ومنه الدكان فيومئذ وقعت الواقعة فحينئذ نزلت النازلة وهي القيمة وانشقت السماء فهي يومئذ واهية مسترخية ساقطة القوة جدا بعد ما كانت محكمة مستمسكة يريد الخلق الذي يقال له الملك ورد

اليه الضمير مجموعا في قوله فوقهم على المعنى ما الفرق بين قوله والملك وبين ان يقال والملائكة الملك اعم من الملائكة الا ترى ان قولك ما من ملك الا وهو شاهد اعم من قولك ما من ملائكة على ارجائها على جوانبها الواحد رجا مقصور يعني انها تنشق وهي مسكن الملائكة فينضوون الى اطرافها وما حولها من حافاتها ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية اي ثمانية منهم وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم هم اليوم اربعة فاذا كان يوم القيمة ايدهم الله باربعة آخرين فيكونون ثمانية وروي ثمانية املاك ارجلهم في تخوم الارض السابعة والعرش فوق رؤوسهم وهم مطرقون مسبحون وقيل بعضهم على صورة الانسان وبعضهم على صورة الاسد وبعضهم على صورة الثور وبعضهم على صورة النسر وروي ثمانية املاك في خلق الاوعال ما بين اظلافها الى ركبها مسيرة سبعين عاما وعن شهر بن حوشب اربعة منهم يقولون سبحانك اللهم وبحمدك لك الحمد على عفوك بعد قدرتك واربعة يقولون سبحانك اللهم وبحمدك لك الحمد على حلمك بعد علمك وعن الحسن الله اعلم كم هم اثمانية ام ثمانية آلاف وعن الضحاك ثمانية صفوف لا يعلم عددهم الا الله ويجوز ان يكون الثمانية من الروح او من خلق آخر فهو القادر على كل خلق سبحان الذي خلق الازواج كلها مما تنبت الارض ومن انفسهم ومما لا يعلمون يومئذ تعرضون العرض عبارة عن المحاسبة والمساءلة شبه ذلك بعرض السلطان العسكر لتعرف احواله وروي ان في يوم القيمة ثلاث عرضات فاما عرضتان فاعتذار واحتجاج وتوبيخ واما الثالثة ففيها تنشر الكتب فياخذ الفائز كتابه بيمينه والهالك كتابه بشماله لا تخفى منكم خافية سريرة وحال كانت تخفى في الدنيا بستر الله عليكم فاما من اوتي كتابه بيمينه فيقول هاؤم اقرؤا كتابيه اني فاما تفصيل للعرض هاء صوت يصوت به فيفهم منه معنى خذ كاف وحس وما اشبه ذلك وكتابيه منصوب بهاؤم عند الكوفيين وعند البصريين باقرؤا لانه اقرب العاملين واصله هاؤم كتابي اقرؤا كتابي فحذف الاول لدلالة الثاني عليه ونظيره آتوني افرغ عليه قطرا قالوا ولو كان العامل الاول لقيل اقرؤه وافرغه والهاء للسكت في كتابيه وكذلك في حسابيه وماليه وسلطانيه وحق هذه الهاآت ان تثبت في الوقف وتسقط في الوصل وقد استحب ايثار الوقف ايثارا لثباتها في المصحف وقيل لا باس بالوصل والاسقاط وقرا ابن محيصن باسكان الياء بغير هاء وقرا جماعة باثبات الهاء في الوصل والوقف جميعا لاتباع المصحف ظننت علمت وانما اجري الظن مجرى العلم لان الظن الغالب يقام مقام العلم في العادات والاحكام ويقال اظن ظنا كاليقين ان الامر كيت وكيت اني ملاق حسابيه فهو في عيشة راضية منسوبة الى الرضى

كالدارع والنابل والنسبة نسبتان نسبة بالحرف ونسبة بالصيغة او جعل الفعل لها مجازا وهو لصاحبها في جنة عالية مرتفعة المكان في السماء او رفيعة الدرجات او رفيعة المباني والقصور والاشجار قطوفها دانية ينالها القاعد والنائم يقال لهم كلوا واشربوا هنيئا اكلا وشربا هنيئا او هنيتم هنيئا على المصدر بما اسلفتم بما قدمتم من الاعمال الصالحة في الايام الخالية الماضية من ايام الدنيا وعن مجاهد ايام الصيام اى كلوا واشربوا بدل ما امسكتم عن الاكل والشرب لوجه الله وروى يقول الله تعالى يا اوليائي طال ما نظرت اليكم في الدنيا وقد قلصت شفاهكم عن الاشربة وغارت اعينكم وخمصت بطونكم فكونوا اليوم في نعيمكم وكلوا واشربوا هنيئا بما اسلفتم في الايام الخالية واما من اوتي كتابه بشماله فيقول يا ليتني لم اوت كتابيه الضمير في يا ليتها كانت للموتة يقول يا ليت الموتة التي متها كانت القاضية اى القاطعة لامري فلم ابعث بعدها ولم الق ما القى او للحالة اى ليت هذه الحالة كانت الموتة التي قضيت علي لانه راى تلك الحالة ابشع وامر مما ذاقه من مرارة الموت وشدته فتمناه عندها ما اغنى عني ماليه نفي او استفهام على وجه الانكار اى اى شيء اغنى عني ما كان لي من اليسار هلك عني سلطانيه ملكي وتسلطي على الناس وبقيت فقيرا ذليلا وعن ابن عباس انها نزلت في الاسود بن عبد الاشد وعن فنا خسرو الملقب بعضد الدولة انه لما قال

عضد الدولة وابن ركنها ملك الاملاك غلاب القدر لم يفلح بعده وجن وكان لا ينطلق لسانه الا بهذه الآية وقال ابن عباس ضلت عني حجتي ومعناه بطلت حجتي التي كنت احتج بها في الدنيا خذوه فغلوه ثم الجحيم صلوه ثم لا تصلوه الا الجحيم وهي النار العظمى لانه كان سلطانا يتعظم على الناس يقال صلي النار وصلاه النار سلكه في السلسلة ان تلوى على جسده حتى تلتف عليه اثناؤها وهو فيما بينها مرهق مضيق عليه لا يقدر على حركة وجعلها سبعين ذراعا ارادة الوصف بالطول كما قال ان تستغفر لهم سبعين مرة يريد مرات كثيرة لانها اذا طالت كان الارهاق اشد والمعنى في تقديم السلسلة على السلك مثله في تقديم الجحيم على التصلية اى لا تسلكوه الا في هذه السلسلة كانها افظع من سائر مواضع الارهاق في الجحيم ومعنى ثم الدلالة على تفاوت ما بين الغل والتصلية بالجحيم وما بينها وبين السلك في السلسلة لا على تراخي المدة ثم في سلسلة ذرعها سبعون ذراعا فاسلكوه انه تعليل على طريق الاستيناف وهو ابلغ كانه قيل ما له يعذب هذا العذاب الشديد فاجيب بذلك وفي قوله ولا يحض على طعام المسكين دليلان قويان على عظم الجرم في حرمان المسكين احدهما عطفه على الكفر وجعله قرينة له والثاني ذكر الحض دون الفعل ليعلم

ان تارك الحض بهذه المنزلة فكيف بتارك الفعل وما احسن قول القائل اذا نزل الاضياف كان عذورا على الحي حتى تستقل مراجله يريد حضهم على القرى واستعجلهم وتشاكس عليهم وعن ابي الدرداء انه كان يحض امراته على تكثير المرق لاجل المساكين وكان يقول خلعنا نصف السلسلة بالايمان افلا نخلع نصفها وقيل هو منع الكفار وقولهم انطعم من لو يشاء الله اطعمه والمعنى على بذل طعام المسكين فليس له اليوم ههنا حميم قريب يدفع عنه ويحزن عليه لانهم يتحامونه ويفرون منه كقوله ولا يسأل حميم حميما والغسلين غسالة اهل النار وما يسيل من ابدانهم من الصديد فعلين من الغسل لا ياكله الا الخاطئون الآثمون اصحاب الخطايا وخطئ الرجل اذا تعمد الذنب وهم المشركون عن ابن عباس وقرئ الخاطيون بابدال الهمزة ياء والخاطون بطرحها وعن ابن عباس ما الخاطون كلنا نخطو وروى عنه ابو الاسود الدؤلي ما الخاطون انما هو الخاطئون ما الصابون انما هو الصابئون ويجوز ان يراد الذين يتخطون الحق الى الباطل ويتعدون حدود الله فلا اقسم بما تبصرون وما لا تبصرون اقسام بالاشياء كلها على الشمول والاحاطة لانها تخرج من قسمين مبصر وغير مبصر وقيل الدنيا والآخرة والاجسام والارواح والانس والجن والخلق والخالق والنعم الظاهرة والباطنة انه لقول رسول كريم اى يقوله ويتكلم به على وجه الرسالة من عند الله وما هو بقول شاعر ولا كاهن كما تدعون قليلا ما تؤمنون ولا تذكرون والقلة في معنى العدم اى لا تؤمنون ولا تذكرون البتة والمعنى ما اكفركم وما اغفلكم تنزيل هو تنزيل بيانا لانه قول رسول نزل عليه من رب العالمين وقرا ابو السمال تنزيلا اى نزل تنزيلا وقيل الرسول الكريم جبريل وقوله وما هو بقول شاعر دليل على انه محمد صلى الله عليه وسلم لان المعنى على اثبات انه رسول لا شاعر ولا كاهن ولو تقول علينا بعض الاقاويل التقول افتعال القول لان فيه تكلفا من المفتعل وسمى الاقوال المتقولة اقاويل تصغيرا بها وتحقيرا كقولك الاعاجيب والاضاحيك كانها جمع افعولة من القول والمعنى ولو ادعى علينا شيئا لم نقله لقتلناه صبرا كما يفعل الملوك بمن يتكذب عليهم معاجلة بالسخط والانتقام فصور قتل الصبر بصورته ليكون اهول وهو ان يؤخذ بيده وتضرب رقبته وخص اليمين عن اليسار لان القتال اذا اراد ان يوقع الضرب في قفاه اخذ بيساره واذا اراد ان يوقعه في جيده وان يكفحه بالسيف وهو اشد على المصبور لنظره الى السيف اخذ بيمينه ومعنى لاخذنا منه باليمين لاخذنا بيمينه كما ان قوله ثم لقطعنا منه الوتين لقطعنا وتينه وهذا بين والوتين نياط القلب وهو حبل الوريد اذا قطع مات صاحبه وقرئ ولو تقول على البناء للمفعول فما منكم من احد عنه حاجزين قيل حاجزين في وصف احد لانه في معنى الجماعة وهو اسم يقع

في النفي العام مستويا فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث ومنه قوله تعالى لا نفرق بين احد من رسله
لستن كاحد من النساء والضمير في عنه للقتل اي لا يقدر احد منكم ان يحجزه عن ذلك ويدفعه عنه
او لرسول الله اي لا تقدرون ان تحجزوا عنه القاتل وتحولوا بينه وبينه والخطاب للناس وكذلك
في قوله وانه لتذكرة للمتقين وانا لنعلم ان منكم مكذبين وهو ايضا دعا التكذيب وقيل الخطاب
للمسلمين والمعنى ان منهم ناسا سيكفرون بالقرآن وانه الضمير للقرآن لحسرة على الكافرين به والمكذبين
له اذا راوا ثواب المصدقين به او للتكذيب وانه القرآن لليقين حق اليقين كقولك هو العالم حق
العالم وجد العالم والمعنى لعين اليقين ومحض اليقين فسبح باسم ربك العظيم الله بذكر اسمه
العظيم وهو قوله سبحان الله واعبده شكرا على ما اهلك له من ايحائه اليك عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الحاقة حاسبه الله حسابا يسيرا

سورة المعارج مكية وهي اربع واربعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم سأل سائل ضمن سأل معنى دعا فعدي تعديته كانه قيل دعا داع بعذاب
واقع من قولك دعا بكذا اذا استدعاه وطلبه ومنه قوله تعالى يدعون فيها بكل فاكهة وعن ابن عباس
هو النضر بن الحارث قال ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء او ائتنا بعذاب
اليم وقيل هو رسول الله صلى الله عليه وسلم استعجل بعذاب للكافرين وقرئ سال سائل وهو على
وجهين ان يكون من السؤال وهي لغة قريش يقولون سلت تسال وهما يتسايلان وان يكون من
السيلان ويؤيده قراءة ابن عباس سال سيل والسيل مصدر في معنى السائل كالغور بمعنى الغائر
والمعنى اندفع عليهم وادي عذاب فذهب بهم واهلكهم وعن قتادة سأل سائل عن عذاب
الله على من ينزل وبمن يقع فنزلت وسأل على هذا الوجه مضمن معنى عني واهتم
ثم يتصل قوله للكافرين هو على القول الاول متصل بعذاب صفة له اي بعذاب
واقع كائن للكافرين او بالفعل اي دعا للكافرين بعذاب واقع او بواقع اي بعذاب نازل لاجلهم و
على الثاني هو كلام مبتدأ جواب للسائل اي هو للكافرين فقوله ليس له دافع من الله
يتصل بواقع اي واقع من عنده او بدافع بمعنى ليس له دافع من جهته اذا جاء وقته
واوجبت الحكمة وقوعه ذي المعارج ذي المصاعد جمع معرج ثم وصف المصاعد وبعد مداها
في العلو والارتفاع فقال تعرج الملائكة والروح اليه الى عرشه وحيث تهبط اوامره منه في يوم
كان مقداره كمقدار مدة خمسين الف سنة مما يعد الناس والروح جبريل عليه السلام افرده لفضله

بفضله وقيل الروح خلق هم حفظة الملائكة كما ان الملائكة حفظة على الناس ثم
يتعلق فاصبر صبرا جميلا لانه بسال سائل لان استعجال النضر بالعذاب انما كان على وجه
الاستهزاء برسول الله صلى الله عليه وسلم والتكذيب بالوحي وكان مما يضجر رسول الله صلى
فامر بالصبر عليه وكذلك من سال عن العذاب لمن هو فانما سال على طريق التعنت وكان من كفار
مكة ومن قرا سال سائل او سيل فمعناه جاء العذاب لقرب وقوعه فاصبر فقد شارفت
الانتقام وقد جعل في يوم متصلة بواقع اي يقع في يوم طويل مقداره خمسون الف سنة من سنيكم
وهو يوم القيامة اما لان يكون استطالة له لشدته على الكفار واما لانه على الحقيقة كذلك قيل فيه
خمسون موطنا كل موطن الف سنة وما قدر ذلك على المؤمن الا كما بين الظهر والعصر والضمير في انهم
يرونه بعيدا للعذاب الواقع او ليوم القيامة فيمن علق في يوم بواقع اي يستبعدونه على جهة
الاحالة ونحن نراه قريبا هينا في قدرتنا غير بعيد علينا ولا متعذر فالمراد بالبعيد البعيد
من الامكان وبالقريب القريب منه نصب يوم تكون بقريبا اي يمكن ولا يتعذر في ذلك اليوم
او باضمار يقع لدلالة واقع عليه او يوم يكون السماء كالمهل كان كيت وكيت او هو بدل عن يوم
فيمن علقه بواقع كالمهل كدردي الزيت وعن ابن مسعود كالفضة المذابة في تلونها
وتكون الجبال كالعهن كالصوف المصبوغ الوانا لان الجبال جدد بيض وحمر مختلف الوانها
وغرابيب سود فاذا بست وطيرت في الجو اشبهت العهن المنفوش اذا طيرته الريح المنفوش
ولا يسال حميم حميما اي لا يساله بكيف حالك ولا يكلمه لان بكل احد ما يشغله عن المساءلة يبصرونهم
يود المجرم لو يفتدي من عذاب يومئذ ببنيه وصاحبته واخيه اي يبصر الاحماء الاحماء فلا يخفون
عليهم فما يمنعهم من المسألة ان بعضهم لا يبصر بعضا وانما يمنعهم التشاغل وقرئ يبصرونهم وقرئ
ولا يسال على البناء للمفعول اي لا يقال لحميم اين حميمك ولا يطلب منه لانهم يبصرونهم فلا يحتاجون
الى السؤال والطلب ما موقع يبصرونهم هو كلام مستانف كانه لما قال
ولا يسال حميم حميما قيل لعله لا يبصره فقيل يبصرونهم ولكنهم لتشاغلهم لم يتمكنوا من تساؤلهم
لم جمع الضميران في يبصرونهم وهما للحميمين المعنى على العموم لكل حميمين
لا لحميمين اثنين ويجوز ان يكون يبصرونهم صفة اي حميما مبصرين معرفين اياهم وقرئ يومئذ
بالجر والفتح على البناء للاضافة الى غير متمكن ومن عذاب يومئذ بتنوين عذاب ونصب يومئذ
وانتصابه بعذاب لانه في معنى تعذيب وفصيلته التي عشيرته الادنون الذين فصل عنهم تؤويه

يضمه انتماء اليها او لياذا بها في النوائب ومن في الارض جميعا ثم ينجيه عطف على يفتدي اي يود
لو يفتدي ثم لو ينجيه الافتداء او من في الارض وثم لاستبعاد الانجاء يعني يتمنى لو كان هؤلاء
جميعا تحت يده وبذلهم في فداء نفسه ثم ينجيه ذلك وهيهات ان ينجيه كلا ردع للمجرم عن الودادة
وتنبيه على انه لا ينفعه الافتداء ولا ينجيه من العذاب ثم قال انها والضمير للنار ولم يجر لها ذكر
لان ذكر العذاب دل عليها ويجوز ان يكون ضميرا مبهما ترجم عنه الخبر او ضمير القصة ولظى
علم للنار منقول من اللظى بمعنى اللهب ويجوز ان يراد اللهب ونزاعة للشوى خبر بعد خبر
لان او خبر للظى ان كانت الهاء ضمير القصة او صفة له ان اردت اللهب والتانيث لانه في معنى
النار او رفع على التهويل اي هي نزاعة وقرئ نزاعة بالنصب على الحال المؤكدة او على انها متلظية
نزاعة او على الاختصاص للتهويل والشوى الاطراف او جمع شواة وهي جلدة الراس تنزعها نزعا
فتبتكها ثم تعاد تدعو مجاز عن احضارهم كانها تدعوهم فتحضرهم ونحوه قول ذي الرمة
تدعو انفه الريب وقوله ليالي اللهو يطبيني فاتبعه وقول ابي النجم
تقول للرائد اعشبت انزل وقيل تقول لهم الي الي يا كافر يا منافق وقيل تدعو المنافقين
والكافرين بلسان فصيح ثم تلتقطهم التقاط الحب فيجوز ان يخلق الله فيها كلاما كما يخلقه
في جلودهم وايديهم وارجلهم وكما خلقه في الشجرة ويجوز ان يكون دعاء الزبانية وقيل تدعو
تهلك من قول العرب دعاك الله من رجل بافعى من ادبر عن الحق وتولى عنه وجمع فاوعى ان الانسان
خلق هلوعا اذا مسه الشر جزوعا واذا مسه الخير منوعا الا المصلين الذين هم المال فجعله في
وعاء وكنزه ولم يؤد الزكوة والحقوق الواجبة فيه وتشاغل به عن الدين وزهي باقتنائه
وتكبر اريد بالانسان الناس فلذلك استثنى منه الا المصلين الهلع سرعة الجزع عند
مس المكروه وسرعة المنع عند مس الخير من قولهم ناقة هلواع سريعة السير وعن احمد بن
يحيى قال لي محمد بن عبد الله بن طاهر ما الهلع فقلت قد فسره الله ولا يكون تفسير ابين
من تفسيره وهو الذي اذا ناله شر اظهر شدة الجزع واذا ناله خير بخل به ومنعه الناس
والخير المال والغنى والشر الفقر او الصحة والمرض اذا صح الغني منع المعروف وشح
بماله واذا مرض جزع واخذ يوصي والمعنى ان الانسان لايثاره الجزع والمنع وتمكنهما منه
ورسوخهما فيه كانه مجبول عليهما مطبوع وكانه امر خلقي وضروري غير اختياري كقوله خلق
الانسان من عجل والدليل عليه انه حين كان في المهد والبطن لم يكن به هلع ولانه ذم والله لا

يذم فعله والدليل عليه استثناء المؤمنين الذين جاهدوا انفسهم وحملوها على المكاره وظلفوها
من الشهوات حتى لم يكونوا جازعين ولا مانعين وعن النبي صلى الله عليه وسلم شر ما اعطي ابن
آدم شح هالع وجبن خالع كيف قال على صلاتهم دائمون ثم على صلاتهم يحافظون
معنى دوامهم عليها ان يواظبوا على ادائها لا يخلون بها ولا يشتغلون عنها بشيء
من الشواغل كما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم افضل العمل ادومه وان قل وقول عائشة رضي
الله عنها كان عمله ديمة ومحافظتهم عليها ان يراعوا اسباغ الوضوء لها ومواقيتها ويقيموا اركانها
ويكملوها بسننها وادابها ويحفظوها من الاحباط باقتراف المآثم فالدوام يرجع الى نفس الصلوات
والمحافظة الى احوالها والذين في اموالهم حق معلوم هو الزكوة لانها مقدرة معلومة او صدقة
يوظفها الرجل على نفسه يؤديها في اوقات معلومة للسائل الذي يسال والمحروم الذي يتعفف
عن السؤال فيحسب غنيا فيحرم والذين يصدقون بيوم الدين والذين هم من عذاب ربهم مشفقون تصديقا
باعمالهم واستعدادهم له ويشفقون من عذاب ربهم واعترض بقوله ان عذاب ربهم غير مامون
اي لا ينبغي لاحد وان بالغ في الطاعة والاجتهاد ان يامنه وينبغي ان يكون مترجحا بين الخوف
والرجاء والذين هم لفروجهم حافظون الا على ازواجهم او ما ملكت ايمانهم فانهم غير ملومين فمن ابتغى وراء ذلك
فاولئك هم العادون والذين هم لاماناتهم وعهدهم راعون والذين هم قرئ بشهاداتهم وبشهادتهم و
الشهادة من جملة الامانات وخصها من بينها ابانة لفضلها لان في اقامتها احياء الحقوق و
تصحيحها وفي زيها تضييعها وابطالها قائمون والذين هم على صلاتهم يحافظون اولئك في جنات
مكرمون فمال الذين كفروا قبلك كان المشركون يحتفون حول النبي صلى الله عليه وسلم حلقا
حلقا وفرقا فرقا يستمعون ويستهزئون بكلامه ويقولون ان دخل هؤلاء الجنة كما
يقول محمد فلندخلنها قبلهم فنزلت مهطعين مسرعين نحوك مادي اعناقهم اليك مقبلين بابصارهم
عليك عن اليمين وعن الشمال عزين فرقا شتى جمع عزة واصلها عزوة كان كل فرقة تعتزي
الى غير من يعتزي اليه الاخرى فهم مفترقون قال الكميت
ونحن وجندل باغ تركنا كتائب جندل شتى عزينا وقيل كان المستهزئون خمسة
ارهط ايطمع كل امرئ منهم ان يدخل جنة نعيم كلا ردع لهم عن طمعهم في دخول الجنة ثم علل ذلك
بقوله انا خلقناهم مما يعلمون فلا اقسم برب المشارق والمغارب انا لقادرون على ان نبدل خيرا منهم
وما نحن بمسبوقين فذرهم يخوضوا ويلعبوا حتى يلاقوا يومهم الذي يوعدون يوم الى آخر السورة وهو

كلام دل على إنكارهم البعث فكأنه قال كلا إنهم منكرون للبعث والجزاء فمن أين يطمعون في
دخول الجنة من أي وجه دل هذا الكلام على إنكار البعث من حيث إنه
احتجاج عليهم بالنشأة الأولى كالاحتجاج بها عليهم في مواضع من التنزيل وذلك قوله خلقناهم مما يعلمون
أي من النطف وبالقدرة على أن يهلكهم ويبدل ناسا خيرا منهم وأنه ليس بمسبوق على ما يريد تكوينه
لا يعجزه شيء والغرض أن من قدر على ذلك لم يعجزه الإعادة ويجوز أن يراد إنا خلقناهم مما يعلمون
أي من النطفة المذرة وهي منصبهم الذي لا منصب أوضع منه ولذلك أبهم وأخفى إشعارا بأنه
منصب يستحيى من ذكره فمن أين يتشرفون ويدعون التقدم ويقولون لندخلن الجنة
قبلهم وقيل معناه إنا خلقناهم من نطفة كما خلقنا بني آدم ومن حكمنا أن لا يدخل أحد منهم
الجنة إلا بالإيمان والعمل الصالح فلم يطمع أن يدخلها من ليس له إيمان وعمل وقرئ برب المشرق
والمغرب ويخرجون ويخرجون من الأجداث سراعا بالإظهار والإدغام كأنهم إلى نصب يوفضون خاشعة
أبصارهم ترهقهم ذلة ذلك اليوم الذي كانوا يوعدون ونصب ونصب وهو كل ما نصب فعبد من
دون الله يوفضون يسرعون إلى الداعي مستبقين إلى أنصابهم عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم من قرأ سورة سأل سائل أعطاه الله ثواب الذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون

سورة نوح مكية وهي تسع أو ثمان وعشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم إنا أرسلنا نوحا إلى قومه أن أنذر قومك من قبل أن يأتيهم عذاب أليم
قال يا قوم إني لكم نذير مبين أن أنذر أصله بأن أنذر فحذف الجار وأوصل الفعل وهي الناصبة
للفعل والمعنى أرسلناه بأن قلنا له أنذر أي أرسلناه بالأمر بالإنذار ويجوز أن تكون مفسرة
لأن الإرسال فيه معنى القول وقرأ ابن مسعود أنذر بغير أن على إرادة القول أن اعبدوا الله و
اتقوه وأطيعون يغفر لكم من ذنوبكم نحو أن أنذر في الوجهين كيف قال ويؤخركم
إلى أجل مسمى مع إخباره بامتناع تأخير الأجل وهل هذا إلا تناقض قضى الله مثلا أن
قوم نوح إن آمنوا عمرهم ألف سنة وإن بقوا على كفرهم أهلكهم على رأس تسعمائة فقيل لهم آمنوا
يؤخركم إلى أجل مسمى إن أجل الله إذا جاء أي إلى وقت سماه الله وضربه أمدا تنتهون إليه
لا تتجاوزونه وهو الوقت الأطول تمام الألف ثم أخبر أنه إذا جاء ذلك الأجل الأمد لا يؤخر
لو كنتم تعلمون كما يؤخر هذا الوقت ولم يكن لكم حيلة فبادروا في أوقات الإمهال والتأخير قال
رب إني دعوت قومي ليلا ونهارا دائبا من غير فتور مستغرقا به الأوقات كلها فلم يزدهم دعائي إلا فرارا

جعل الدعاء فاعل زيادة الفرار والمعنى على أنهم ازدادوا عنده فرارا لأنه سبب الزيادة ونحوه
فزادتهم رجسا إلى رجسهم فزادتهم إيمانا وإني كلما دعوتهم لتغفر لهم ليتوبوا عن كفرهم فتغفر لهم
فذكر المسبب الذي هو حظهم خالصا ليكون أقبح لإعراضهم عنه جعلوا أصابعهم في آذانهم سدوا
مسامعهم عن استماع الدعوة واستغشوا ثيابهم وأصروا وتغطوا بها كأنهم طلبوا أن تغشاهم ثيابهم
أو تغشيهم لئلا يبصروه كراهة النظر إلى وجه من ينصحهم في دين الله وقيل لئلا يعرفهم ويعضده
قوله ألا إنهم يثنون صدورهم ليستخفوا منه ألا حين يستغشون ثيابهم الإصرار من أصر الحمار
على العانة إذا أصر أذنيه وأقبل عليها يكدمها ويطردها استعير للإقبال على المعاصي والإكباب عليها
واستكبروا استكبارا وأخذتهم العزة من اتباع نوح وطاعته وذكر المصدر تأكيد ودلالة على فرط
استكبارهم وعتوهم ذكر أنه دعاهم ليلا ونهارا ثم دعاهم جهارا ثم دعاهم في السر
والعلن فيجب أن تكون ثلاث دعوات مختلفات حتى يصح العطف قد فعل عليه السلام كما
يفعل الذي يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر في الابتداء بالأهون والترقي في الأشد فالأشد فافتتح
بالمناصحة في السر فلما لم يقبلوا ثنى بالمجاهرة فلما لم تؤثر ثلث بالجمع بين الإسرار والإعلان
ومعنى ثم الدلالة على تباعد الأحوال لأن الجهار أغلظ من الإسرار والجمع بين الأمرين أغلظ
من إفراد أحدهما وجهارا منصوب بدعوتهم نصب المصدر لأن الدعاء أحد نوعيه الجهار فنصب به
نصب القرفصاء بقعد لكونها أحد أنواع القعود أو لأنه أراد بدعوتهم جاهرتهم ويجوز أن يكون
صفة لمصدر دعا بمعنى دعاء جهارا أي مجاهرا به أو مصدرا في موضع الحال أي مجاهرا ثم إني
أعلنت لهم وأسررت لهم إسرارا فقلت استغفروا ربكم إنه كان غفارا يرسل السماء عليكم مدرارا ويمددكم
بأموال وبنين ويجعل لكم أمرهم بالاستغفار الذي هو التوبة عن الكفر والمعاصي وقدم إليهم الموعد
بما هو أوقع في نفوسهم وأحب إليهم من المنافع الحاضرة والفوائد العاجلة ترغيبا في الإيمان وبركاته
والطاعة ونتائجهما من خير الدارين كما قال وأخرى تحبونها نصر من الله ولو أن أهل القرى آمنوا و
اتقوا لفتحنا عليهم بركات ولو أنهم أقاموا التوراة والإنجيل وما أنزل إليهم من ربهم لأكلوا من فوقهم
وأن لو استقاموا على الطريقة لأسقيناهم وقيل لما كذبوه بعد طول تكرير الدعوة حبس الله عنهم
القطر وأعقم أرحام نسائهم أربعين سنة وروي سبعين فوعدهم أنهم إن آمنوا رزقهم الله
الخصب ودفع عنهم ما كانوا فيه وعن عمر رضي الله عنه خرج يستسقي فما زاد على الاستغفار فقيل
له ما رأيناك استسقيت فقال لقد استسقيت بمجاديح السماء التي يستنزل بها المطر شبه

الاستغفار بالانواع الصادقة التي لا تخلف وعن الحسن ان رجلا شكا اليه الجدب فقال استغفر الله
وشكا اليه الآخر الفقر وآخر قلة النسل وآخر قلة ريع ارضه فامرهم كلهم بالاستغفار فقال له
الربيع بن صبيح اتاك رجال يشكون ابوابا ويسألون انواعا فامرتهم كلهم بالاستغفار فتلا له
الآية والسماء المظلة لان المطر منها ينزل الى السحاب ويجوز ان يراد السحاب او المطر من قوله
اذا نزل السماء بارض قوم والمدرار الكثير الدرور ومفعال مما يستوي فيه المذكر والمؤنث
كقولهم رجل او امراة معطار ومتفال جنات بساتين ويجعل لكم انهارا ما لكم لا ترجون لله وقارا لا تاملون
له توقيرا اي تعظيما والمعنى ما لكم لا تكونون على حال تاملون فيها تعظيم الله اياكم في دار الثواب ولله
بيان للموقر ولو تاخر لكان صلة للوقار وقد خلقكم اطوارا الم تروا كيف خلق الله سبع سموات طباقا
وجعل القمر في موضع الحال كانه قال ما لكم لا تؤمنون بالله والحال هذه وهي حال موجبة للايمان
به لانه خلقكم اطوارا اي تارات خلقكم اولا ترابا ثم خلقكم نطفا ثم خلقكم علقا ثم خلقكم مضغا ثم
خلقكم عظاما ولحما ثم انشاكم خلقا آخر اولا تخافون لله حلما وترك معاجلة بالعقاب فتؤمنوا
وقيل ما لكم لا تخافون لله عظمة وعن ابن عباس لا تخافون لله عاقبة لان العاقبة حال استقرار
الامور وثبات الثواب والعقاب من وقر اذا ثبت واستقر نبههم على النظر في انفسهم اولا لانها اقرب
منظور فيه منهم ثم على النظر في العالم وما سوى فيه من العجائب الشاهدة على الصانع الباهر
قدرته وعلمه من السموات والارض والشمس والقمر فيهن نورا في السموات وهو في السماء الدنيا لان
بين السموات ملابسة من حيث انها طباق فجاز ان يقال فيهن كذا وان لم يكن في جميعهن كما
يقال في المدينة كذا وهو في بعض نواحيها وعن ابن عباس وابن عمر ان الشمس والقمر وجوههما
مما يلي السماء وظهورهما مما يلي الارض وجعل الشمس سراجا يبصر اهل الدنيا في ضوئها كما يبصر
اهل البيت في ضوء السراج ما يحتاجون الى ابصاره والقمر ليس كذلك انما هو نور لم يبلغ قوة ضياء
الشمس ومثله قوله تعالى هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا والضياء اقوى من النور والله
انبتكم من الارض نباتا استعير الانبات للانشاء كما يقال زرعك الله للخير وكانت هذه الاستعارة
ادل على الحدوث لانهم اذا كانوا نباتا كانوا محدثين لا محالة حدوث النبات ومنه قيل للحشوية
النابتة والنوابت لحدوث مذهبهم في الاسلام من غير اولية لهم فيه ومنه قولهم نجم فلان لبعض
المارقة والمعنى انبتكم فنبتم نباتا او نصب بانبتكم لتضمنه معنى نبتم ثم يعيدكم فيها ويخرجكم اخراجا
مبعوثين ثم يخرجكم اخراجا يوم القيمة واكده بالمصدر كانه قال يخرجكم حقا ولا محالة وجعل لكم

الارض جعلها بساطا مبسوطة تتقلبون عليها كما يتقلب الرجل على بساطه لتسلكوا منها سبلا فجاجا
واسعة منفجة قال نوح رب انهم عصوني واتبعوا من لم يزده ماله وولده الا خسارا واتبعوا رؤوسهم المقدمين
اصحاب الاموال والاولاد وارتسموا ما رسموا لهم من التمسك بعبادة الاصنام وجعل اموالهم واولادهم
التي لم تزدهم الا وجاهة ومنفعة في الدنيا زائدة خسارا في الآخرة واجرى ذلك مجرى صفة
لازمة وسمة يعرفون بها تحقيقا له وتثبيتا وابطالا لما سواه وقرئ وولده وولده بضم الواو
وكسرها ومكروا معطوف على لم يزده وجمع الضمير وهو راجع الى من لانه في معنى الجمع والماكرون
هم الرؤساء ومكرهم احتيالهم في الدين وكيدهم لنوح وتحريش الناس على اذاه وصدهم عن الميل اليه
والاستماع منه وقولهم لهم لا تذرن آلهتكم الى عبادة رب نوح مكرا كبارا قرئ بالتخفيف والتثقيل و
الكبار اكبر من الكبير والكبار اكبر من الكبار ونحوه طوال وطوال وقالوا لا تذرن آلهتكم ولا تذرن
ودا ولا سواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا ولا تذرن ودا كان هذه المسماة كانت اكبر اصنامهم واعظمها
عندهم فخصوها بعد قولهم لا تذرن آلهتكم وقد انتقلت هذه الاصنام عن قوم نوح الى العرب
فكان ود لكلب وسواع لهمدان ويغوث لمذحج ويعوق لمراد ونسر لحمير ولذلك سمت العرب
بعبد ود وعبد يغوث وقيل هي اسماء رجال صالحين وقيل من اولاد آدم ماتوا فقال ابليس
لمن بعدهم لو صورتم صورهم فكنتم تنظرون اليهم ففعلوا فلما مات اولئك قال لمن بعدهم انهم
كانوا يعبدونهم فعبدوهم وقيل كان ود على صورة رجل وسواع على صورة امراة ويغوث على
صورة اسد ويعوق على صورة فرس ونسر على صورة نسر وقرئ ودا بضم الواو وقرا الاعمش
ولا يغوثا ويعوقا بالصرف وهذه قراءة مشكلة لانهما كانا عربيين او عجميين ففيهما سببا منع
الصرف اما التعريف ووزن الفعل واما التعريف والعجمة ولعله قصد الازدواج فصرفهما لمصادفته
اخواتهما منصرفات ودا وسواعا ونسرا كما قرئ وضحاها بالامالة لوقوعه مع الممالات للازدواج
وقد اضلوا الضمير للرؤساء ومعناه وقد اضلوا كثيرا قبل هؤلاء الموصين بان يتمسكوا بعبادة
الاصنام وليسوا باول من اضلوهم وقد اضلوا باضلالهم كثيرا يعني ان هؤلاء المضلين فيهم
كثرة ويجوز ان يكون للاصنام كقوله انهن اضللن كثيرا من الناس علام عطف
قوله ولا تزد الظالمين على قوله رب انهم عصوني على حكاية كلام نوح عليه السلام بعد قال وبعد
الواو النائبة عنه ومعناه قال رب انهم عصوني وقال ولا تزد الظالمين الا ضلالا اي قال هذين
القولين وهما في محل النصب لانهما مفعولا قال كقولك قال زيد نودي للصلوة وصل في المسجد تحكي

قوليه معطوفا احدهما على صاحبه كيف جاز ان يريد لهم الضلال ويدعو الله بزيادته
المراد بالضلال ان يخذلوا ويمنعوا الالطاف لتصميمهم على الكفر ووقوع الياس من ايمانهم وذلك
حسن جميل يجوز الدعاء به بل لا يحسن الدعاء بخلافه ويجوز ان يريد بالضلال الضياع والهلاك كقوله
ولا تزد الظالمين الا تبارا تقديم مما خطيئاتهم لبيان ان لم يكن اغراقهم بالطوفان فادخالهم النار الا
من اجل خطيئاتهم واكد هذا المعنى بزيادة ما وفي قراءة ابن مسعود من خطيئاتهم ما اغرقوا بتاخير
الصلة وكفى بها مزجرة لمرتكب الخطايا فان كفر قوم نوح كان واحدة من خطيئاتهم وان كانت كبراهن
وقد نعيت عليهم سائر خطيئاتهم كما نعي عليهم كفرهم ولم يفرق بينه وبينهن في استيجاب العذاب
لئلا يتكل المسلم الخاطئ على اسلامه ويعلم ان معه ما يستوجب به العذاب وان خلا من الخطيئة الكبرى
وقرئ خطيئاتهم بالهمز وخطياتهم بقلبها ياء وادغامها وخطاياهم وخطيئتهم بالتوحيد على ارادة الجنس
ويجوز ان يراد الكفر فادخلوا نارا جعل دخولهم النار في الآخرة كانه متعقب لاغراقهم لاقترابه و
لانه كائن لا محالة فكانه قد كان او اريد عذاب القبر ومن مات في ماء او في نار او اكلته السباع
والطير اصابه ما يصيب المقبور من العذاب وعن الضحاك كانوا يغرقون من جانب ويحرقون
من جانب وتنكير النار اما لتعظيمها او لان الله اعد لهم على حسب خطيئاتهم نوعا من النار فلم يجدوا لهم
من دون الله انصارا تعريض باتخاذهم آلهة من دون الله وانها غير قادرة على نصرهم وتهكم بهم كانه قال
فلم يجدوا لهم من دون الله آلهة ينصرونهم ويمنعونهم من عذاب الله كقوله ام لهم آلهة تمنعهم من دوننا
وقال نوح رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا انك ان تذرهم يضلوا عبادك ديار من الاسماء المستعملة
في النفي العام يقال ما بالدار ديار وديور كقيام وقيوم وهو فيعال من الدور او من الدار
اصله ديوار ففعل به ما فعل باصل سيد وميت ولو كان فعالا لكان دوارا بم علم
ان اولادهم يكفرون وكيف وصفهم بالكفر عند الولادة لبث فيهم الف سنة الا خمسين
عاما فذاقهم واكلهم وعرف طباعهم واحوالهم وكان الرجل منهم ينطلق بابنه اليه ويقول احذر
هذا فانه كذاب وان ابي حذرنيه فيموت الكبير وينشا الصغير على ذلك وقد اخبره الله عز و
جل انه لن يؤمن من قومك الا من قد آمن ومعنى ولا يلدوا الا فاجرا كفارا لم يلدوا الا من سيفجر
ويكفر فوصفهم بما يصيرون اليه كقوله عليه السلام من قتل قتيلا فله سلبه رب اغفر لي ولوالدي
ابوه لمك بن متوشلخ وامه شمخا بنت انوش كانا مؤمنين وقيل آدم وحواء وقرا الحسين بن علي
رضي الله عنهما ولولدي يريد ساما وحاما ولمن دخل بيتي مؤمنا وللمؤمنين والمؤمنات ولا تزد الظالمين الا تبارا

بيتي منزلي وقيل مسجدي وقيل سفينتي خص اولا من يتصل به لانهم اولى واحق بدعائه ثم عم المؤمنين
والمؤمنات تبارا هلاكا ما فعل صبيانهم حين اغرقوا غرقوا معهم لا على وجه
العقاب ولكن كما يموتون بالانواع من اسباب الموت وكم منهم من يموت بالغرق والحرق وكان ذلك زيادة
في عذاب الآباء والامهات اذا ابصروا اطفالهم يغرقون ومنه قوله عليه السلام يهلكون مهلكا واحدا
ويصدرون مصادر شتى وعن الحسن انه سئل عن ذلك فقال علم الله براءتهم فاهلكهم بغير عذاب
وقيل اعقم الله ارحام نسائهم وايبس اصلاب آبائهم قبل الطوفان باربعين سنة فلم يكن معهم
صبي حين اغرقوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة نوح كان من المؤمنين الذين
تدركهم دعوة نوح

سورة الجن مكية وهي ثمان وعشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم قل اوحي الي قرئ احي واصله وحي يقال اوحى اليه ووحى
اليه بقلب الواو همزة كما يقال اعد وازن واذا الرسل اقتت وهو من القلب المطلق جوازه في
كل واو مضمومة وقد اطلقه المازني في المكسورة ايضا كاشاح واسادة واعاء اخيه وقرا ابن
ابي عبلة وحي على الاصل انه استمع بالفتح لانه فاعل اوحي وانا سمعنا بالكسر لانه مبتدا محكي
بعد القول ثم تحمل عليهما البواقي فما كان من الوحي فتح وما كان من قول الجن كسر وكلهن من
قولهم الا الثنتين الاخريين وان المساجد وانه لما قام ومن فتح كلهن فعطفا على محل الجار والمجرور
في آمنا به كانه قيل صدقناه وصدقنا انه تعالى جد ربنا وانه كان يقول سفيهنا وكذلك
البواقي نفر من الجن فقالوا جماعة منهم ما بين الثلاثة الى العشرة وقيل كانوا من الشيصبان
وهم اكثر الجن عددا وعامة جنود ابليس منهم فقالوا انا سمعنا قرآنا اي قالوا لقومهم حين
رجعوا اليهم كقوله فلما قضي ولوا الى قومهم منذرين قالوا انا سمعنا كتابا عجبا بديعا مباينا
لسائر الكتب في حسن نظمه وصحة معانيه قائمة فيه دلائل الاعجاز وعجب مصدر يوضع
موضع العجيب وفيه مبالغة وهو ما خرج عن حد اشكاله ونظائره يهدي الى الرشد فآمنا به
يدعو الى الصواب وقيل الى التوحيد والايمان والضمير في به للقرآن ولما كان الايمان به ايمانا
بالله وبوحدانيته وبراءة من الشرك قالوا ولن نشرك بربنا احدا اي ولن نعود الى ما كنا عليه من الاشراك
به في طاعة الشيطان ويجوز ان يكون الضمير لله عز وجل لان قوله بربنا يفسره وانه تعالى
جد ربنا عظمته من قولك جد فلان في عيني اي عظم وفي حديث عمر رضي الله عنه كان الرجل منا

إذا قرأ البقرة وآل عمران جدّ فينا. وروي في أعيننا أي ملكه وسلطانه أو غناه استعارة من الجدّ
الذي هو الدولة والبخت لأن الملوك والأغنياء هم المجدودون والمعنى وصفه بالتعالي
عن الصاحبة والولد لعظمته أو لسلطانه وملكوته أو لغناه وقوله ما اتخذ صاحبة ولا ولدا بيان
لذلك وقرئ جدًّا ربنا على التمييز وجدِّ ربنا بالكسر أي صدق ربوبيته وحق إلهيته عن اتخاذ
الصاحبة والولد وذلك أنهم لما سمعوا القرآن ووفقوا للتوحيد والإيمان تنبهوا على الخطأ فيما اعتقده
كفرة الجن من تشبيه الله بخلقه واتخاذه صاحبة وولدا فاستعظموه ونزهوه عنه وأنه كان
يقول سفيهنا على الله شططا سفيههم إبليس لعنه الله وغيره من مردة الجن والشطط مجاوزة الحد
في الظلم وغيره ومنه أشطّ في السوم إذا أبعد فيه أي يقول قولا هو في نفسه شطط لفرط ما أشطّ
فيه وهو نسبة الصاحبة والولد إلى الله وكان في ظننا أن أحدا من الثقلين لن يكذب على
الله ولن يفتري عليه ما ليس بحق فكنا نصدقهم فيما أضافوا إليه من ذلك حتى تبين لنا بالقرآن
كذبهم وافتراؤهم وأنا ظننا أن لن تقول الإنس والجن على الله كذبا قولا كذبا أي مكذوبا فيه أو نصب
نصب المصدر لأن الكذب نوع من القول ومن قرأ أن لن تقوّل وضع كذبا موضع تقوّلا ولم
يجعله صفة لأن التقوّل لا يكون إلا كذبا وأنه كان رجال من الإنس يعوذون برجال من الجن فزادوهم
رهقا الرهق غشيان المحارم والمعنى أن الإنس باستعاذتهم بهم زادوهم كبرا وكفرا وذلك
أن الرجل من العرب كان إذا أمسى في واد قفر في بعض مسايره وخاف على نفسه قال أعوذ بسيد
هذا الوادي من سفهاء قومه يريد الجن وكبيرهم فإذا سمعوا بذلك استكبروا وقالوا
سدنا الجن والإنس فذلك رهقهم أو فزاد الجن الإنس رهقا بإغوائهم وإضلالهم
لاستعاذتهم بهم وأنهم وأن الإنس ظنوا كما ظننتم أن لن يبعث الله أحدا وهو من كلام الجن يقوله
بعضهم لبعض وقيل الآيتان من جملة الوحي والضمير في وأنهم ظنوا للجن والخطاب في ظننتم
لكفار قريش وأنا لمسنا السماء فوجدناها ملئت حرسا شديدا وشهبا وأنا كنا اللمس المس
فاستعير للطلب لأن الماس طالب متعرف قال مسسنا من الآباء شيئا وكلنا
إلى نسب في قومه غير واضع يقال لمسه والتمسه وتلمسه كطلبه وأطلبه وتطلبه ونحوه
الجس وقولهم جسوه بأعينهم وتجسسوه والمعنى طلبنا بلوغ السماء واستماع كلام أهلها والحرس
اسم مفرد في معنى الحراس كالخدم في معنى الخدام ولذلك وصف بشديد ولو ذهب إلى معناه
لقيل شدادا ونحو أخاف رجلا أو ركيبا غاديا لأن الرجل والركب مفردان في معنى الرجال

والركاب والرصد مثل الحرس اسم جمع للراصد على معنى ذوي شهاب راصدين بالرجم وهم الملائكة
الذين يرجمونهم بالشهب ويمنعونهم من الاستماع ويجوز أن يكون صفة للشهاب بمعنى الراصد كقوله
ومعا جياعا يعني يجد شهابا راصدا له ولأجله كأن الرجم لم يكن في الجاهلية وقد
قال الله تعالى ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوما للشياطين فذكر فائدتين
في خلق الكواكب التزيين ورجم الشياطين قال بعضهم حدث بعد مبعث رسول الله صلى
الله عليه وسلم وهو إحدى آياته والصحيح أنه كان قبل المبعث وقد جاء ذكره في شعر أهل الجاهلية
قال بشر بن أبي خازم والعير يرهقها الغبار وجحشها ينقض خلفهما انقضاض الكوكب
وقال أوس بن حجر وانقض كالدري يتبعه نقع يثور تخاله طنبا
وقال عوف بن الخرع يرد علينا العير من دون إلفه أو الثور كالدري يتبعه الدم
ولكن الشياطين كانت تسترق في بعض الأحوال فلما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم كثر
الرجم وزاد زيادة ظاهرة حتى تنبه لها الإنس والجن ومنع الاستراق أصلا وعن معمر
قلت للزهري أكان يرمى بالنجوم في الجاهلية قال نعم قلت أرأيت قوله وأنا كنا نقعد فقال
غلظت وشدد أمرها حين بعث النبي صلى الله عليه وسلم وروى الزهري عن علي بن الحسين عن [عن صح]
ابن عباس بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس في نفر من الأنصار إذ رمي بنجم فاستنار فقال
ما كنتم تقولون في مثل هذا في الجاهلية فقالوا كنا نقول يموت عظيم أو يولد عظيم وفي قوله ملئت
دليل على أن الحادث هو الملء والكثرة وكذلك نقعد منها مقاعد للسمع فمن يستمع الآن يجد له
شهابا رصدا وأنا لا ندري أشر أريد بمن في الأرض أم أراد بهم ربهم رشدا وأنا أي كنا نجد فيها بعض المقاعد
خالية من الحرس والشهب والآن ملئت المقاعد كلها وهذا ذكر ما حملهم على الضرب في البلاد حتى
عثروا على رسول الله صلى الله عليه وسلم واستمعوا قراءته يقولون لما حدث هذا الحادث من كثرة
الرجم ومنع الاستراق قلنا ما هذا إلا لأمر أراده الله بأهل الأرض ولا يخلو من أن يكون شرا
أو رشدا أي خيرا من عذاب أو رحمة أو من خذلان أو توفيق منا الصالحون الأبرار المتقون و
منا دون ذلك ومنا قوم دون ذلك فحذف الموصوف كقوله وما منا إلا له مقام معلوم وهم المقتصدون
في الصلاح غير الكاملين فيه أو أرادوا الطالحين كنا طرائق قددا بيان للقسمة المذكورة أي كنا
ذوي مذاهب مفترقة أو كنا في اختلاف أحوالنا مثل الطرائق المختلفة أو كنا في طرائق مختلفة
كقوله كما عسل الطريق الثعلب أو كانت طرائقنا طرائق قددا على حذف المضاف وإقامة الضمير

المضاف اليه مقامه والقدة من قد كالقطعة من قطع ووصفت الطرائق بالقدد لدلالتها على
معنى التقطع والتفرق وانا ظننا ان لن نعجز الله في الارض ولن نعجزه هربا في الارض وهربا
حالان اى لن نعجزه كائنين في الارض اينما كنا فيها ولن نعجزه هاربين منها الى السماء وقيل لن نعجزه في
الارض ان اراد بنا امرا ولن نعجزه هربا ان طلبنا والظن بمعنى اليقين وهذه صفة احوال الجن
وما هم عليه من احوالهم وعقائدهم منهم اخيار واشرار ومقتصدون وانهم يعتقدون ان الله عزيز
غالب لا يفوته مطلب ولا ينجي عنه مهرب لما سمعنا الهدى آمنا به فمن يؤمن بربه هو سماعهم القرآن وايمانهم به
فلا يخاف اى فهو غير خائف ولان الكلام في تقدير مبتدا وخبر دخلت الفاء ولولا ذاك لقيل لا تخف
اى فائدة في رفع الفعل وتقدير مبتدا قبله حتى يقع خبرا له ووجوب ادخال الفاء وكان
ذلك كله مستغنى عنه بان يقال لا تخف الفائدة فيه انه اذا فعل ذلك فكانه قيل فهو لا
يخاف فكان دالا على تحقيق ان المؤمن ناج لا محالة وانه هو المختص بذلك دون غيره وقراءة الاعمش فلا
يخف بخسا ولا رهقا اى جزاء بخس ولا رهق لانه لم يبخس احدا حقا ولا رهق ظلم احد فلا يخاف
جزاءهما وفيه دلالة على ان من حق من آمن بالله ان يجتنب المظالم ومنه قوله عليه السلام المؤمن
من امنه الناس على انفسهم واموالهم ويجوز ان يراد فلا يخاف ان يبخس بل يجزى الجزاء الاوفى ولا
ان يرهقه ذلة من قوله ترهقهم ذلة وانا منا المسلمون ومنا القاسطون فمن اسلم فاولئك تحروا رشدا
واما القاسطون فكانوا لجهنم حطبا القاسطون الكافرون الجائرون عن طريق الحق وعن سعيد بن جبير
ان الحجاج قال له حين اراد قتله ما تقول في قال قاسط عادل فقال القوم ما احسن ما قال
حسبوا انه يصفه بالقسط والعدل فقال الحجاج يا جهلة انه سماني ظالما مشركا وتلا لهم قوله واما
القاسطون وقوله ثم الذين كفروا بربهم يعدلون وقد زعم من لا يرى للجن ثوابا ان الله عز وعلا
اوعد قاسطيهم وما وعد مسلميهم وكفى به وعدا ان قال فاولئك تحروا رشدا فذكر سبب الثواب
وموجبه والله اعدل من ان يعاقب القاسط ولا يثيب الراشد وان لو استقاموا ان مخففة
وهو من جملة الموحى والمعنى واوحى الى ان الشان والحديث لو استقام الجن على الطريقة لاسقيناهم
ماء غدقا المثلى اى لو ثبت ابوهم الجان على ما كان عليه من عبادة الله والطاعة ولم يستكبر عن
السجود لآدم ولم يكفر وتبعه ولده على الاسلام لانعمنا عليهم ولوسعنا رزقهم وذكر الماء الغدق
وهو الكثير بفتح الدال وكسرها وقرئ بهما لانه اصل المعاش وسعة الرزق لنفتنهم فيه لنختبرهم
كيف يشكرون ما خولوا منه ويجوز ان يكون معناه وان لو استقام الجن الذين استمعوا على

طريقتهم التي كانوا عليها قبل الاستماع ولم ينتقلوا عنها الى الاسلام لوسعنا عليهم الرزق مستدرجين
لهم لنفتنهم ليكون النعمة سببا لاتباعهم شهواتهم ووقوعهم في الفتنة وازديادهم اثما او
لنعذبهم في كفران النعمة ومن يعرض عن ذكر ربه عن عبادته او عن موعظته او عن وحيه يسلكه
وقرئ بالنون مفتوحة ومضمومة اى ندخله عذابا والاصل نسلكه في عذاب كقوله ما سلككم في
سقر فعدى الى مفعولين اما بحذف الجار وايصال الفعل كقوله واختار موسى قومه واما بتضمينه
معنى ندخله يقال سلكه واسلكه قال حتى اذا اسلكوهم في قتائدة صعدا والصعد
مصدر صعد يقال صعد صعدا وصعودا فوصف به العذاب لانه يتصعد المعذب اى يعلوه
ويغلبه فلا يطيقه ومنه قول عمر رضي الله عنه ما تصعدني شيء ما تصعدتني خطبة النكاح يريد
ما شق علي ولا غلبني وان المساجد من جملة الموحى وقيل معناه ولان المساجد لله فلا تدعوا
على ان اللام متعلقة بلا تدعوا اى فلا تدعوا مع الله احدا في المساجد لانها لله خاصة ولعبادته وعن
الحسن يعني الارض كلها لانها جعلت للنبي صلى الله عليه مسجدا وقيل المراد بها المسجد الحرام
لانه قبلة المساجد ومنه قوله تعالى ومن اظلم ممن منع مساجد الله ان يذكر فيها اسمه وعن قتادة
كان اليهود والنصارى اذا دخلوا بيعهم وكنائسهم اشركوا بالله فامرنا ان نخلص لله الدعوة اذا
دخلنا المساجد وقيل المساجد اعضاء السجود السبعة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
امرت ان اسجد على سبعة آراب وهي الجبهة والانف واليدان والركبتان والقدمان وقيل هي جمع
مسجد وهو السجود وانه لما قام عبد الله النبي صلى الله عليه وسلم هلا قيل رسول الله
او النبي لان تقديره واوحى الي انه لما قام عبد الله فلما كان واقعا في كلام رسول الله
صلى الله عليه وسلم عن نفسه جيء به على ما يقتضيه التواضع والتذلل او لان المعنى ان عبادة عبد الله
لله ليست بامر مستبعد عن العقل ولا مستنكر حتى يكونوا عليه لبدا ومعنى قام يدعوه قام
يعبده يريد قيامه لصلاة الفجر بنخلة حين اتاه الجن فاستمعوا لقراءته كادوا يكونون عليه لبدا
اى يزدحمون عليه متراكمين تعجبا مما راوا من عبادته واقتداء اصحابه به قائما وراكعا وساجدا او
اعجابا بما تلا من القرآن لانهم راوا ما لم يروا مثله وسمعوا بما لم يسمعوا بنظيره وقيل معناه لما قام
رسول الله يعبد الله وحده مخالفا للمشركين في عبادتهم الآلهة من دونه كاد المشركون لتظاهرهم عليه و
تعاونهم على عبادته يزدحمون عليه متراكمين لبدا جمع لبدة وهي ما تلبد بعضه على بعض ومنها
لبدة الاسد وقرئ لبدا واللبدة في معنى اللبدة ولبدا جمع لابد كساجد وسجد ولبدا بضمتين

جمع لبود كصبور وصبر وعن قتادة تلبدت الجن والانس على هذا الامر ليطفئوه فأبى الله الا ان ينصره
ويظهره على من ناواه ومن قرأ انه بالكسر جعله من كلام الجن قالوه لقومهم حين رجعوا اليهم حاكين
ما رأوا من صلاته وازدحام اصحابه عليه في ائتمامهم به قال للمتظاهرين عليه قل انما ادعوا ربي يريد
وما اتيتكم بامر منكر انما اعبد ربي وحده ولا اشرك به احدا وليس ذاك مما يوجب اطباقكم على مقتي و
عداوتي او قال للجن عند ازدحامهم متعجبين ليس ما ترون من عبادتي الله ورفضي الاشراك به
بامر يتعجب منه انما يتعجب ممن يدعو غير الله ويجعل له شريكا او قال الجن لقومهم ذلك حكاية
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قل اني لا املك لكم ضرا ولا رشدا ولا نفعا او اراد بالضر الغي
ويدل عليه قراءة أبي غيا ولا رشدا والمعنى لا استطيع ان اضركم وان انفعكم انما الضار
والنافع الله او لا استطيع ان اقسركم على الغي والرشد انما القادر على ذلك الله عز وجل
الا بلاغا استثناء منه اي لا املك الا بلاغا من الله قل اني لن يجيرني من الله احد ولن اجد من دونه
ملتحدا الا بلاغا من الله جملة معترضة اعترض بها لتأكيد نفي الاستطاعة عن نفسه وبيان عجزه
على معنى ان الله ان اراد به سوءا من مرض او موت او غيرهما لم يصح ان يجيره منه احد او يجد من دونه
ملاذا يأوي اليه والملتحد الملتجأ واصله المدخل من اللحد وقيل محيصا ومعدلا وقرئ قال
لا املك اي قال عبد الله للمشركين او للجن ويجوز ان يكون من حكاية الجن لقومهم وقيل بلاغا بدل
من ملتحدا اي لن اجد من دونه منجا الا ان ابلغ عنه ما ارسلني به وقيل الا هي ان لا ومعناه ان لا ابلغ
بلاغا كقولك ان لا قياما فقعودا ورسالاته ومن يعص الله ورسوله فان له نار جهنم خالدين فيها ابدا عطف
على بلاغا كانه قيل لا املك لكم الا التبليغ والرسالات والمعنى الا ان ابلغ عن الله فاقول قال الله كذا
ناسبا لقوله اليه وان ابلغ رسالاته التي ارسلني بها من غير زيادة ولا نقصان لانه يقال
بلغ عنه ومنه قوله عليه السلام بلغوا عني بلغوا عني من ليست بصلة للتبليغ انما هي
منزلة من في قوله براءة من الله وقرئ فان له نار جهنم على فجزاؤه ان له نار جهنم كقوله فان لله
خمسه اي فحكمه ان لله خمسه وقال خالدين حملا على معنى الجمع في من ثم يتعلق حتى و
جعل ما بعده غاية له بقوله يكونون عليه لبدا على انهم يتظاهرون عليه بالعداوة و
يستضعفون انصاره ويستقلون عدده حتى اذا رأوا ما يوعدون من يوم بدر واظهار الله له عليهم
او من يوم القيمة فسيعلمون حينئذ انهم من اضعف ناصرا واقل عددا ويجوز ان يتعلق بمحذوف دلت
عليه الحال من استضعاف الكفار له واستقلالهم لعدده كانه قال لا يزالون على ما هم عليه حتى اذا رأوا ما

يوعدون قال المشركون متى يكون هذا الموعود انكارا له فقيل له قل انه كائن لا ريب فيه فلا تنكروه
فان الله قد وعد ذلك وهو لا يخلف الميعاد واما وقته فما ادري متى يكون لان الله لم يبينه لما
رأى في اخفاء وقته من المصلحة ما معنى قوله قل ان ادري اقريب ما توعدون ام يجعل له ربي امدا
والامد يكون قريبا وبعيدا الا ترى الى قوله تود لو ان بينها وبينه امدا بعيدا كان رسول
الله صلى الله عليه وسلم يستقرب الموعد فكانه قال ما ادري أهو حال متوقع في كل ساعة ام مؤجل
ضربت له غاية اي هو عالم الغيب فلا يظهر على غيبه احدا فلا يطلع الا من ارتضى من رسول بتبيين لمن ارتضى
يعني انه لا يطلع على الغيب الا المرتضى الذي هو مصطفى للنبوة خاصة لا كل مرتضى وفي هذا ابطال
للكرامات لان الذين يضاف اليهم وان كانوا اولياء مرتضين فليسوا برسل وقد خص الله الرسل
من بين المرتضين بالاطلاع على الغيب وابطال الكهانة والتنجيم لان اصحابهما ابعد شيء من
الارتضاء وادخله في السخط فانه يسلك من بين يديه بين يدي من ارتضى للرسالة ومن خلفه رصدا حفظة
من الملائكة يحفظونه من الشياطين يطردونهم عنه ويعصمونه من وساوسهم وتخاليطهم حتى يبلغ
ما اوحي به اليه وعن الضحاك ما بعث نبي الا ومعه ملائكة يحرسونه من الشياطين ان يتشبهوا
بصورة الملك ليعلم ان قد ابلغوا رسالات ربهم يعني الانبياء وحد اولا للفظ في قوله
من بين يديه ومن خلفه ثم جمع على المعنى كقوله فان له نار جهنم خالدين والمعنى ليبلغوا رسالات
ربهم كما هي محروسة من الزيادة والنقصان وذكر العلم كذكره في قوله تعالى حتى نعلم المجاهدين
وقرئ ليعلم على البناء للمفعول واحاط بما لديهم بما عند الرسل من الحكم والشرائع لا يفوته منها شيء
ولا ينسى منها حرفا فهو مهيمن عليها حافظ لها واحصى كل شيء عددا من القطر والرمل وورق الاشجار
وزبد البحار فكيف لا يحيط بما عند الرسل من وحيه وكلامه وعددا حال اي وضبط كل شيء
معدودا محصورا او مصدر في معنى احصاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الجن
كان له بعدد كل جني صدق محمدا صلى الله عليه وسلم وكذب به عتق رقبة

سورة المزمل مكية وهي تسع عشرة او عشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم يا ايها المزمل المتزمل وهو الذي تزمل في ثيابه اي تلفف
بها بادغام التاء في الزاي ونحوه المدثر في المتدثر وقرئ المتزمل على الاصل والمزمل
بتخفيف الزاي وفتح الميم وكسرها على انه اسم فاعل او مفعول من زمله وهو الذي زمله غيره
او زمل نفسه وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم نائما بالليل متزملا في قطيفة فنبه ونودي

زملنا يهجن إليه الحالة التي كان عليها من التزمل في قطيفته واستعداده للاستثقال في النوم كما يفعل
من لا يهمه أمر ولا يعنيه شأن الأترى إلى قول ذي الرمة وكائن تخطت ناقتي من مفازة
ومن نائم عن ليلها متزمل يريد الكسلان المتقاعس الذي لا ينهض في معاظم الأمور وكفايات
الخطوب ولا يحمل نفسه المشاق والمتاعب ونحوه سعد إذا ما نام ليل الهوجل وفي أمثالهم
أوردها سعد وسعد مشتمل ما هكذا تورد يا سعد الإبل فذمه بالاشتمال بكسائه وجعل
ذلك خلاف الجلد والكيس وأمر بأن يختار على الهجود التهجد وعلى التزمل التشمر والتخفف للعبادة
والمجاهدة في الله لا جرم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد تشمر لذلك مع أصحابه حق التشمر
وأقبلوا على إحياء لياليهم ورفضوا له الرقاد والدعة وتجاهدوا فيه حتى انتفخت أقدامهم و
اصفرت ألوانهم وظهرت السيما في وجوههم وترامى أمرهم إلى حد رحمهم له ربهم فخفف عنهم وقيل
كان متزملا في مرط لعايشة يصلي فهو على هذا ليس بتهجين بل هو ثناء عليه وتحسين الحالة التي
كان عليها وأمر بأن يدوم على ذلك ويواظب عليه وعن عايشة رضي الله عنها أنها سئلت ما كان
تزميله قالت كان مرطا طوله أربع عشرة ذراعا نصفه علي وأنا نائمة ونصفه عليه وهو يصلي فسئلت
ما كان قالت والله ما كان خزا ولا قزا ولا مرعزى ولا إبريسما ولا صوفا كان سداه شعرا ولحمته وبرا
وقيل دخل على خديجة رضي الله عنها وقد جئث فرقا أول ما أتاه جبريل وبوادره ترعد فقال زملوني
وحسب أنه عرض له فبينا هو على ذلك إذ ناداه جبريل يا أيها المزمل وعن عكرمة أن المعنى يا أيها الذي زمل
أمرا عظيما أي حمله والزمل الحمل وازدمله احتمله وقرئ قم الليل بضم الميم وفتحها قال عثمان بن جني
الغرض بهذه الحركة التبلغ بها هربا من التقاء الساكنين فبأي الحركات تحرك فقد وقع الغرض نصفه
بدل من الليل وإلا قليلا استثناء من النصف كأنه قال قم أقل من نصف الليل والضمير في منه وعليه للنصف
والمعنى التخيير بين أمرين بين أن يقوم أقل من نصف الليل على البت وبين أن يختار أحد الأمرين و
هما النقصان والزيادة عليه وإن شئت جعلت نصفه بدلا من قليلا وكان تخييرا بين ثلاث بين قيام
النصف بتمامه وبين قيام الناقص منه وبين قيام الزائد عليه وإنما وصف النصف بالقلة بالنسبة
إلى الكل وإن شئت قلت لما كان معنى قم الليل إلا قليلا نصفه إذا أبدلت النصف من الليل قم
أقل من نصف الليل رجع الضمير في منه وعليه إلى الأقل من النصف فكأنه قيل قم أقل من نصف
الليل أو قم أنقص من ذلك الأقل أو أزيد منه قليلا فيكون التخيير فيما وراء النصف بينه وبين
الثلث ويجوز إذا أبدلت نصفه من قليلا وفسرته به أن تجعل قليلا الثاني بمعنى نصف النصف

وهو الربع كأنه قيل أو انقص منه قليلا نصفه ويجوز أن تجعل الزيادة لكونها مطلقة تتمة
الثلث فيكون تخييرا بين النصف والثلث والربع أكان القيام فرضا أم نفلا
عن عايشة رضي الله عنها أن الله جعله تطوعا بعد أن كان فريضة وقيل كان فرضا قبل أن تفرض
الصلوات الخمس ثم نسخ بهن إلا ما تطوعوا به وعن الحسن كان قيام ثلث الليل فريضة فكانوا على
ذلك سنة وقيل كان واجبا وإنما وقع التخيير في المقدار ثم نسخ بعد عشر سنين وعن الكلبي كان
يقوم الرجل حتى يصبح مخافة أن لا يحفظ ما بين النصف والثلث والثلثين ومنهم من قال كان
نفلا بدليل التخيير في المقدار ولقوله ومن الليل فتهجد به نافلة لك أو انقص منه قليلا أو زد عليه
ورتل القرآن ترتيلا ترتيل القرآن قراءته على ترسل وتؤدة بتبيين الحروف وإشباع الحركات
حتى يجيء المتلو منه شبيها بالثغر المرتل وهو المفلج المشبه بنور الأقحوان وأن لا يهذه
هذا ولا يسرده سردا كما قال عمر رضي الله عنه شر السير الحقحقة وشر القراءة
الهذرمة حتى يشبه المتلو في تتابعه الثغر الألص وسئلت عايشة رضي الله عنها عن
قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت لا كسردكم هذا لو أراد السامع أن يعد حروفه
لعدها وترتيلا تأكيد في إيجاب الأمر به وأنه ما لا بد منه للقارئ إنا سنلقي عليك قولا ثقيلا إن
هذه الآية اعتراض ويعني بالقول الثقيل القرآن وما فيه من الأوامر والنواهي التي هي تكاليف
شاقة ثقيلة على المكلفين خاصة على رسول الله صلى الله عليه وسلم لأنه متحملها بنفسه ومحملها
أمته فهي أثقل عليه وأبهظ له وأراد بهذا الاعتراض أن ما كلفه من قيام الليل من جملة التكاليف
الثقيلة الصعبة التي ورد بها القرآن لأن الليل وقت السبات والراحة والهدو فلا بد
لمن أحياه من مضادة لطبعه ومجاهدة لنفسه وعن ابن عباس كان إذا نزل عليه الوحي
ثقل عليه وتربد له جلده وعن عايشة رضي الله عنها رأيته ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد
البرد فيفصم عنه وإن جبينه ليرفض عرقا وعن الحسن ثقيل في الميزان وقيل ثقيل على المنافقين
وقيل كلام له وزن ورجحان ليس بالسفساف ناشئة الليل النفس الناشئة بالليل التي تنشأ
من مضجعها إلى العبادة أي تنهض وترتفع من نشأت السحابة إذا ارتفعت ونشأ من
مكانه ونشز إذا نهض قال نشأنا إلى خوص برى نيها السرى
وألصق منها مشرفات القماحد أو قيام الليل على أن الناشئة مصدر من نشأ إذا قام
ونهض على فاعلة كالعافية ويدل عليه ما روي عن عبيد بن عمير قلت لعايشة رجل قام من

من أول الليل أتقولين قام ناشئة؟ فقالت لا إنما الناشئة القيام بعد النوم ففسرت الناشئة بالقيام عن المضجع أو العبادة التي تنشأ بالليل أي تحدث وترتفع وقيل هي ساعات الليل كلها لأنها تحدث واحدة بعد أخرى وقيل الساعات الأول منه وعن علي بن الحسين أنه كان يصلي بين المغرب والعشاء ويقول أما سمعتم قول الله تعالى إن ناشئة الليل هذه ناشئة الليل هي أشد وطأ هي خاصة دون ناشئة النهار أشد مواطأة يواطئ قلبها لسانها إن أردت النفس أو يواطئ فيها قلب القائم لسانه إن أردت القيام أو العبادة أو الساعات أو أشد موافقة لما يراد من الخشوع والإخلاص وعن الحسن أشد موافقة بين السر والعلانية لانقطاع رؤية الخلائق وقرئ أشد وطاء بالفتح والكسر والمعنى أشد ثبات قدم وأبعد من الزلل أو أثقل وأغلظ على المصلي من صلوة النهار من قوله عليه السلام اللهم اشدد وطأتك على مضر وأقوم قيلا وأسد مقالا وأثبت قراءة لهدو الأصوات وعن أنس أنه قرأ وأصوب قيلا فقيل له يا أبا حمزة إنما هي وأقوم فقال إن أقوم وأصوب وأهيأ واحد وروى أبو زيد الأنصاري عن أبي سرار الغنوي أنه كان يقرأ فحاسوا بحاء غير معجمة فقيل له إنما هو جاسوا بالجيم فقال جاسوا وحاسوا واحد إن لك في النهار سبحا تصرفا وتقلبا في مهماتك وشواغلك ولا تفرغ إلا بالليل فعليك بمناجاة الله التي تقتضي فراغ البال وانتفاء الشواغل وأما القراءة بالخاء فاستعارة من سبخ الصوف وهو نفشه ونشر أجزائه لانتشار الهم وتفرق القلب بالشواغل كلفه قيام الليل ثم ذكر الحكمة فيما كلفه منه وهو أن الليل أعون على المواطأة وأسد للقراءة لهدو الرجل وخفوت الصوت وأنه أجمع للقلب وأضم لنشر الهم من النهار لأنه وقت تفرق الهموم وتوزع الخواطر والتقلب في حوائج المعاش وقيل فراغا وسعة لنومك وتصرفك في حوائجك وقيل إن فاتك من الليل شيء فلك في النهار فراغ تقدر على تداركه فيه طويلا واذكر اسم ربك ودم على ذكره في ليلك ونهارك واحرص عليه وذكر الله يتناول كل ما كان من ذكر طيب تسبيح وتهليل وتكبير وتمجيد وتوحيد وصلوة وتلاوة قرآن ودراسة علم وغير ذلك مما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يستغرق به ساعات ليله ونهاره وتبتل إليه وانقطع إليه كيف قيل تبتيلا مكان تبتلا لأن معنى تبتل بتل نفسه فجيء به على معناه مراعاة لحق الفواصل رب المشرق والمغرب قرئ مرفوعا على المدح ومجرورا على البدل من ربك وعن ابن عباس على القسم بإضمار حرف القسم كقولك الله لأفعلن وجوابه لا إله إلا هو

كما يقول والله لا أحد في الدار إلا زيد وقرأ ابن عباس رب المشارق والمغارب فاتخذه وكيلا مسبب عن التهليلة لأنه هو وحده هو الذي يجب لتوحده بالربوبية أن يوكل إليه الأمور وقيل وكيلا كفيلا بما وعدك من النصر والإظهار واصبر على ما يقولون واهجرهم هجرا جميلا وذرني والمكذبين أولي النعمة ومهلهم قليلا الهجر الجميل أن يجانبهم بقلبه وهواه ويخالفهم مع حسن المخالقة والمداراة والإغضاء وترك المكافاة وعن أبي الدرداء إنا لنكشر في وجوه قوم ونضحك إليهم وإن قلوبنا لتقليهم وقيل هو منسوخ بآية السيف إذا عرف الرجل من صاحبه أنه مستهم بخطب يريد أن يكفاه أو يعد ويشتهي أن ينتقم له منه وهو مضطلع بذلك مقتدر عليه قال ذرني وإياه أي لا تحتاج إلى الظفر بمرادك ومشتهاك إلا أن تخلي بيني وبينه بأن تكل أمره إلي وتستكفينيه فإن في ما يفرغ بالك ويجلي همك وليس ثمة مانع حتى يطلب إليه أن يدعه وإياه إلا ترك الاستكفاء والتفويض كأنه إذا لم يكل إليه أمره فكأنه منعه منه فإذا وكله إليه فقد أزال المنع وتركه وإياه وفيه دليل على الوثوق بأنه يتمكن من الوفاء بأقصى ما يدبر ويحوله أمنية المخاطب وبما يزيد عليه النعمة بالفتح التنعم وبالكسر الإنعام وبالضم المسرة يقال نعم ونعمة عين وهم صناديد قريش وكانوا أهل تنعم وترفه إن لدينا أنكالا وجحيما وطعاما ذا غصة وعذابا أليما ما يضاد تنعمهم من أنكال وهي القيود الثقال عن الشعبي إذا ارتفعوا استفلت بهم الواحد نكل ونكل ومن جحيم وهي النار الشديدة الحر والاتقاد ومن طعام ذي غصة وهو الذي ينشب في الحلوق فلا يساغ يعني الضريع وشجر الزقوم ومن عذاب أليم من سائر العذاب فلا ترى موكلا إليه أمرهم موذونا بينه وبينهم ينتقم منهم مثل ذلك الانتقام وروي أن النبي صلى الله عليه وسلم قرأ هذه الآية فصعق وعن الحسن أنه أمسى صائما فأتي بطعام فعرضت له هذه الآية فقال ارفعه ووضع عنده الليلة الثانية فعرضت له فقال ارفعه وكذلك الليلة الثالثة فأخبر ثابت البناني ويزيد الضبي ويحيى البكاء فجاؤا فلم يزالوا به حتى شرب شربة من سويق يوم ترجف الأرض والجبال وكانت الجبال كثيبا مهيلا منصوب بما لدينا والرجفة الزلزلة والزعزعة الشديدة والكثيب الرمل المجتمع من كثب الشيء إذا جمعه كأنه فعيل بمعنى مفعول في أصله ومنه الكثبة من اللبن قالت الضائنة أجز جفالا وأحلب كثبا عجالا أي كانت مثل رمل مجتمع هيل هيلا أي نثر وأسيل إنا أرسلنا إليكم رسولا شاهدا عليكم يشهد عليكم يوم القيمة بكفركم وتكذيبكم

كما ارسلنا الى فرعون رسولا فعصى فرعون الرسول لم نكر الرسول ثم عرف
لانه اراد ارسلنا الى فرعون بعض الرسل ثم فلما اعاده وهو معهود بالذكر ادخل لام التعريف
اشارة الى المذكور بعينه فاخذناه اخذا وبيلا ثقيلا غليظا من قولهم كلاء وبيل وخيم لا يستمرى
لثقله والوبيل العصا الضخمة ومنه الوابل للمطر العظيم فكيف تتقون ان كفرتم يوما مفعول به
اى فكيف تقون انفسكم يوم القيمة وهوله ان بقيتم على الكفر ولم تؤمنوا وتعملوا صالحا ويجوز
ان يكون ظرفا اى فكيف لكم بالتقوى في يوم القيمة ان كفرتم في الدنيا ويجوز ان ينتصب بكفرتم على
تاويل جحدتم اى فكيف تتقون الله وتخشونه ان جحدتم يوم القيمة والجزاء لان تقوى الله خوف
عقابه يجعل الولدان شيبا مثل في الشدة يقال في اليوم الشديد يوم يشيب نواصي الاطفال
والاصل فيه ان الهموم والاحزان اذا تفاقمت على الانسان اسرع فيه الشيب قال ابو الطيب
والهم يخترم الجسيم نحافة ويشيب ناصية الصبي ويهرم وقد مر بي في بعض الكتب
ان رجلا امسى فاحم الشعر كحنك الغراب واصبح وهو ابيض الراس واللحية كالثغامة فقال
اريت القيامة والجنة والنار في المنام ورايت الناس يقادون في السلاسل الى النار فمن هول
ذلك اصبحت كما ترون ويجوز ان يوصف اليوم بالطول وان الاطفال يبلغون فيه اوان الشيخوخة
والشيب السماء منفطر به وصف لليوم بالشدة ايضا وان السماء على عظمها واحكامها تنفطر
فيه فما ظنك بغيرها من الخلائق وقرى منفطر ومنفطر والمعنى ذات انفطار او على تاويل
السماء بالسقف او السماء شيء منفطر والباء في به مثلها في قولك فطرت العود بالقدوم
فانفطر به يعنى انها تنفطر بشدة ذلك اليوم وهوله كما ينفطر الشيء بما يفطر به ويجوز
ان يراد السماء مثقلة به اثقالا يؤدى الى انفطارها لعظمه عليها وخشيتها من وقوعه
كقوله ثقلت في السموات والارض كان وعده مفعولا الوعد من اضافة المصدر الى المفعول و
الضمير لليوم ويجوز ان يكون مضافا الى الفاعل وهو الله عز وعلا ولم يجر له ذكر لكونه معلوما
ان هذه الايات الناطقة بالوعيد الشديد تذكرة موعظة فمن شاء اتعظ بها واتخذ الى ربه
سبيلا الى الله بالتقوى والخشية ومعنى اتخاذ السبيل اليه التقرب والتوسل بالطاعة ان
ربك يعلم انك تقوم ادنى من ثلثي الليل اقل منهما وانما استعير الادنى وهو الاقرب للاقل
لان المسافة بين الشيئين اذا دنت قل ما بينهما من الاحياز واذا بعدت كثر ذلك وقرى
ونصفه وثلثه بالنصب على انك تقوم اقل من الثلثين وتقوم النصف والثلث وهو مطابق

لما مر في اول السورة من التخيير بين قيام النصف بتمامه وبين قيام الناقص منه وهو الثلث وبين
قيام الزائد عليه وهو الادنى من الثلثين وقرى ونصفه وثلثه بالجر اى تقوم اقل من الثلثين واقل
من النصف والثلث وهو مطابق للتخيير بين النصف وهو ادنى من الثلثين والثلث وهو ادنى
من النصف والربع وهو ادنى من الثلث وهو الوجه الاخير وطائفة من الذين معك ويقوم ذلك
جماعة من اصحابك والله يقدر الليل والنهار ولا يقدر على تقدير الليل والنهار ومعرفة
مقادير ساعاتهما الا الله وحده وتقدم اسمه عز وجل مبتدأ مبنيا عليه يقدر هو الدال على
معنى الاختصاص بالتقدير والمعنى انكم لا تقدرون عليه والضمير في لن تحصوه في المصدر يقدر
اى علم انه لا يصح منكم ضبط الاوقات ولا يتاتى حسابها بالتعديل والتسوية الا ان تاخذوا
بالاوسع للاحتياط وذلك شاق عليكم بالغ منكم فتاب عليكم عبارة عن الترخيص في ترك القيام
المقدر كقوله فتاب عليكم وعفا عنكم فالآن باشروهن والمعنى انه رفع التبعة في تركه عنكم
كما يرفع التبعة عن التائب فاقرءوا ما تيسر من القرآن علم ان سيكون منكم مرضى وآخرون يضربون
في الارض يبتغون من فضل الله وآخرون يقاتلون في سبيل الله فاقرءوا ما تيسر منه واقيموا الصلوة عبر عن الصلوة بالقراءة لانها
بعض اركانها كما عبر عنها بالقيام والركوع والسجود يريد فصلوا ما تيسر عليكم ولم يتعذر من صلوة
الليل وهذا ناسخ للاول ثم نسخا جميعا بالصلوات الخمس وقيل هي قراءة القرآن بعينها قيل
يقرا مائة اية ومن قرا مائة اية في ليلة لم يحاجه القرآن وقيل من قرا مائة آية كتب من
القانتين وقيل خمسين اية وقد بين الحكمة في النسخ وهي تعذر القيام على المرضى والضا
في الارض للتجارة والمجاهدين في سبيل الله وقيل سوى الله بين المجاهدين والمسافرين
لكسب الحلال وعن عبد الله بن مسعود ايما رجل جلب شيئا الى مدينة من مدائن المسلمين
صابرا محتسبا فباعه بسعر يومه كان عند الله من الشهداء وعن عبد الله بن عمر ما خلق
الله موتة اموتها بعد القتل في سبيل الله احب الي من ان اموت بين شعبتي رحل اضرب
في الارض ابتغي من فضل الله وعلم استئناف على تقدير السؤال عن وجه النسخ واقيموا الصلوة
المفروضة والزكوة الواجبة وقيل زكوة الفطر لانه لم يكن بمكة زكوة وانما وجبت بعد ذلك
ومن فسرها بالزكوة الواجبة جعل آخر السورة مدنية واقرضوا الله قرضا حسنا وما تقدموا
لانفسكم من خير تجدوه عند الله هو خيرا واعظم اجرا واستغفروا الله ان الله غفور رحيم يجوز ان
يريد سائر الصدقات وان يريد اداء الزكوة على احسن وجه من اخراج اطيب المال واعوده

على الفقراء ومراعاة النية وابتغاء وجه الله والصرف إلى المستحق وأن يريد كل شيء يفعل من
الخير مما يتعلق بالنفس والمال خيرا ثاني مفعولي وجد وهو فصل وجاز وإن لم يقع بين معرفتين
لأن أفعل من أشبه في امتناعه من حرف التعريف المعرفة وقرأ أبو السمال هو خير وأعظم أجرا
بالرفع على الابتداء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة المزمل دفع الله عنه العسر في الدنيا
والآخرة

سورة المدثر مكية وهي ست وخمسون آية

بسم الله الرحمن الرحيم يا أيها المدثر لابس الدثار وهو ما فوق الشعار وهو الثوب
الذي يلي الجسد ومنه قوله عليه السلام الأنصار شعار والناس دثار وقيل هي أول سورة نزلت
روى جابر بن عبد الله عن رسول الله صلى الله عليه وسلم كنت على جبل حراء فنوديت يا محمد إنك
رسول الله فنظرت عن يميني ويساري فلم أر شيئا فنظرت فوقي فرأيت شيئا وفي رواية عائشة
رضي الله عنها فنظرت فوقي فإذا به قاعد على عرش بين السماء والأرض يعني الملك الذي ناداه
فرعبت ورجعت إلى خديجة فقلت دثروني دثروني فنزل جبريل وقال يا أيها المدثر
وعن الزهري أول ما نزل سورة اقرأ باسم ربك إلى قوله ما لم يعلم فحزن رسول الله صلى
الله عليه وسلم وجعل يعلو شواهق الجبال فأتاه جبريل فقال إنك نبي الله فرجع إلى خديجة
رضي الله عنها وقال دثروني وصبوا علي ماء باردا فنزل يا أيها المدثر وقيل سمع من قريش
ما كرهه فاغتم فتغطى بثوبه مفكرا كما يفعل المغموم فأمر أن لا يدع إنذارهم وإن أسمعوه و
آذوه وعن عكرمة أنه قرأ على لفظ اسم المفعول من دثره وقال دثرت هذا الأمر وعصب بك كما
قال في المزمل قم من مضجعك أو قم قيام عزم وتصميم فأنذر فحذر قومك من عذاب الله
إن لم يؤمنوا والصحيح أن المعنى فافعل الإنذار من غير تخصيص له بأحد وربك فكبر واختص
ربك بالتكبير وهو الوصف بالكبرياء وأن يقال الله أكبر ويروى أنه لما نزل قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم الله أكبر فكبرت خديجة وفرحت وأيقنت أنه الوحي وقد يحمل على
تكبير الصلاة ودخلت الفاء لمعنى الشرط كأنه قيل وما كان فلا تدع تكبيره وثيابك فطهر
أمر بأن يكون ثيابه طاهرة من النجاسات لأن طهارة الثياب شرط في الصلاة لا تصح إلا بها
وهي الأولى والأحب في غير الصلاة وقبيح بالمؤمن الطيب أن يحمل خبثا وقيل هو أمر بتقصيرها
ومخالفة العرب في تطويلهم الثياب وجرهم الذيول وذلك مما لا يؤمن معه إصابة النجاسة
وقيل هو أمر بتطهير النفس مما يستقذر من الأفعال ويستهجن من العادات يقال فلان

طاهر الثياب وطاهر الجيب والذيل والأردان إذا وصفوه بالنقاء من المعايب ومدانس
الأخلاق وفلان دنس الثياب للغادر وذلك لأن الثوب يلابس الإنسان ويشتمل عليه فكني
به عنه ألا ترى إلى قولهم أعجبني زيد ثوبه كما يقولون أعجبني زيد عقله وخلقه ويقولون
المجد في ثوبه والكرم تحت حلته ولأن الغالب أن من طهر باطنه ونقاه عني بتطهير الظاهر
وتنقيته وأبى إلا اجتناب الخبث وإيثار الطهر في كل شيء والرجز فاهجر قرئ بالكسر والضم وهو
العذاب ومعناه اهجر ما يؤدي إليه من عبادة الأوثان وغيرها من المآثم والمعنى الثبات
على هجره لأنه كان بريئا منه وقرأ الحسن ولا تمن وتستكثر مرفوع منصوب المحل على الحال أي ولا
تعط مستكثرا رائيا لما تعطيه كثيرا أو طالبا للكثير نهي عن الاستغزار وهو أن يهب شيئا وهو
يطمع أن يتعوض من الموهوب له أكثر من الموهوب وهذا جائز ومنه الحديث المستغزر يثاب
من هبته وفيه وجهان أحدهما أن يكون نهيا خاصا برسول الله صلى الله عليه وسلم لأن الله
اختار له أشرف الآداب وأحسن الأخلاق والثاني أن يكون نهي تنزيه لا تحريم له ولأمته و
قرأ الحسن تستكثر بالسكون وفيه ثلاثة أوجه الإبدال من تمنن كأنه قيل ولا تمنن لا تستكثر
على أنه من المن في قوله عز وجل ثم لا يتبعون ما أنفقوا منا ولا أذى لأن من شأن المنان بما
يعطي أن يستكثره أي يراه كثيرا ويعتد به وأن يشبه ثرو بعضد فيسكن تخفيفا
وأن يعتبر حال الوقف وقرأ الأعمش بالنصب بإضمار أن كقوله ألا أيهذا الزاجري
أحضر الوغى ويؤيده قراءة ابن مسعود ولا تمنن أن تستكثر ويجوز في الرفع أن يحذف أن و
يبطل عملها كما روي أحضر الوغى بالرفع ولربك فاصبر ولوجه الله فاستعمل الصبر وقيل على
أذى المشركين وقيل على أداء الفرائض وعن النخعي على عطيتك كأنه وصله بما قبله وجعله
صبرا على العطاء من غير استكثار والوجه أن يكون أمرا بنفس الفعل وأن يتناول على العموم
كل مصبور عليه ومصبور عنه ويراد الصبر على أذى الكفار لأنه أحد ما يتناوله العام و
الفاء في قوله فإذا نقر في الناقور للتسبيب كأنه قال اصبر على أذاهم فبين أيديهم يوم عسير يلقون
فيه عاقبة أذاهم وتلقى عاقبة صبرك عليه والفاء في فذلك للجزاء
بم انتصب إذا وكيف صح أن يقع يومئذ ظرفا ليوم عسير انتصب إذا بما دل عليه
الجزاء لأن المعنى فإذا نقر في الناقور عسر الأمر على الكافرين والذي أجاز وقوع يومئذ
ظرفا ليوم عسير أن المعنى فذلك وقت النقر وقوع يوم عسير لأن يوم القيامة يأتي ويقع حين

ينقر في الناقور واختلف في انها النفخة الاولى ام الثانية ويجوز ان يكون يومئذ مبنيا مرفوع
المحل بدلا من ذلك ويوم عسير خبر كانه قيل فيوم النقر يوم عسير فما فائدة
قوله غير يسير وعسير مغن عنه لما قال على الكافرين فقصر العسر عليهم كما يكون على
المومنين قال غير يسير ليوذن بانه لا يكون عليهم كما يكون على المومنين يسيرا هينا ليجمع بين وعيد
الكافرين وزيادة غيظهم وبشارة المومنين وتسليتهم ويجوز ان يراد انه عسير لا يرجى ان يرجع
يسيرا كما يرجى تيسر العسير من امور الدنيا ذرني ومن خلقت وحيدا حال من الله عز وجل
على معنيين احدهما ذرني وحدي معه فانا اجزيك في الانتقام منه عن كل منتقم والثاني
خلقته وحدي لم يشركني في خلقه احد او حال من المخلوق على معنى خلقته وهو وحيد
فريد لا مال له ولا ولد كقوله ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم اول مرة وقيل نزلت في
الوليد بن المغيرة المخزومي وكان يلقب في قومه بالوحيد ولعله لقب بذلك بعد نزول الاية
فان كان ملقبا به قبل فهو تهكم به وبلقبه وتغيير له عن الغرض الذي كانوا يؤمونه من
مدحه والثناء عليه بانه وحيد قومه لرياسته ويساره وتقدمه في الدنيا الى وجه
الذم والعيب وهو انه خلق وحيدا لا مال له ولا ولد فآتاه الله ذلك فكفر بنعمة الله
واشرك به واستهزأ بدينه وجعلت له مالا ممدودا مبسوطا كثيرا او ممدا بالنماء من مد
النهر ومده نهر آخر قيل كان له الزرع والضرع والتجارة وعن ابن عباس هو ما كان
له بين مكة والطائف من صنوف الاموال وقيل كان له بستان بالطائف لا ينقطع ثمارها
صيفا وشتاء وقيل كان له الف مثقال وقيل اربعة آلاف وقيل تسعة آلاف وقيل
الف الف وعن ابن جريج غلة شهر بشهر وبنين شهودا حضورا معه بمكة لا يفارقونه للتصرف
في عمل او تجارة لانهم مكفيون لوفور نعمة ابيهم واستغنائهم عن التكسب وطلب المعاش
بانفسهم فهو مستأنس بهم لا يشتغل قلبه بغيبتهم وخوف معاطب السفر عليهم ولا يحزن
لفراقهم والاشتياق اليهم ويجوز ان يكون معناه انهم رجال يشهدون معه المجامع و
المحافل او تسمع شهاداتهم فيما يتحاكم فيه وعن مجاهد كان له عشرة بنين وقيل ثلثة عشر
وقيل سبعة كلهم رجال الوليد بن الوليد وخالد وعمارة وهشام والعاص وقيس
وعبد شمس اسلم منهم ثلثة خالد وهشام وعمارة ومهدت له تمهيدا وبسطت له الجاه العريض
والرياسة في قومه فاتممت عليه نعمتي الجاه والمال واجتماعهما هو الكمال عند اهل الدنيا ومنه قول

الناس ادام الله تأييدك وتمهيدك يريدون زيادة الجاه والحشمة وكان الوليد من وجهاء قريش
وصناديدهم ولذلك لقب الوحيد وريحانة قريش ثم يطمع ان ازيد استبعاد واستنكار
لطمعه وحرصه يعني انه لا مزيد على ما اوتي سعة وكثرة وقيل انه كان يقول ان كان محمد
صادقا فما خلقت الجنة الا لي كلا ردع له وقطع لرجائه وطمعه انه كان لآياتنا عنيدا
تعليل للردع على وجه الاستيناف كان قائلا قال لم لا يزاد فقال انه عاند آيات المنعم وكفر بذلك
بنعمته والكافر لا يستحق المزيد ويروى انه ما زال بعد نزول هذه الآية في نقصان من ماله حتى
هلك سأرهقه صعودا سأغشيه عقبة شاقة المصعد وهو مثل لما يلقى من العذاب الشاق
الصعب الذي لا يطاق وعن النبي صلى الله عليه وسلم يكلف ان يصعد عقبة في النار كلما وضع
يده عليها ذابت فاذا رفعها عادت واذا وضع رجله ذابت فاذا رفعها عادت وعنه عليه السلام
الصعود جبل من نار يصعد فيه سبعين خريفا ثم يهوي فيه كذلك ابدا انه فكر تعليل للوعيد
كان الله تعالى عاجله بالفقر بعد الغنى والذل بعد العز في الدنيا لعناده ويعاقبه
في الآخرة باشد العذاب وافظعه لبلوغه بالعناد غايته واقصاه في تفكيره وتسميته القرآن
سحرا ويجوز ان تكون كلمة الردع متبوعة بقوله سأرهقه صعودا ردا لزعمه ان الجنة لم
تخلق الا له واخبارا بانه من اشد اهل النار عذابا ويعلل ذلك بعناده ويكون قوله
انه فكر بدلا من قوله انه كان لآياتنا عنيدا بيانا لكنه عناده ومعناه فكر ماذا يقول
في القرآن وقدر في نفسه ما يقوله وهيأه فقتل كيف قدر تعجيب من تقديره واصابته فيه
المحز ورميه الغرض الذي كان ينتحيه قريش او ثناء عليه على طريقة الاستهزاء به او هي
حكاية لما كرروه من قولهم قتل كيف قدر تهكما بهم وباعجابهم بتقديره واستعظامهم لقوله
ومعنى قول القائل قتله الله ما اشجعه واخزاه الله ما اشعره الاشعار بانه قد بلغ
المبلغ الذي هو حقيق بان يحسد ويدعو عليه حاسده بذلك روي ان الوليد قال لبني
مخزوم والله لقد سمعت من محمد آنفا كلاما ما هو من كلام الانس ولا من كلام الجن ان له لحلاوة
وان عليه لطلاوة وان اعلاه لمثمر وان اسفله لمغدق وانه يعلو وما يعلى فقالت قريش
صبأ والله الوليد والله ليصبأن قريش كلهم فقال ابو جهل انا اكفيكموه فقعد اليه حزينا
وكلمه بما احماه فقام فاتاهم فقال تزعمون ان محمدا مجنون فهل رأيتموه يخنق وتقولون
انه كاهن فهل رأيتموه قط يتكهن وتزعمون انه شاعر فهل رأيتموه يتعاطى شعرا قط وتزعمون انه

انه كذاب فهل جربتم عليه شيئا من الكذب فقالوا في كل ذلك اللهم لا ثم قالوا فما هو ففكر فقال ما هو
الا ساحر اما رايتموه يفرق بين الرجل واهله وولده ومواليه وما الذي يقوله الا سحر يؤثره
عن مسيلمة وعن اهل بابل فارتج النادي فرحا وتفرقوا معجبين بقوله متعجبين منه ثم نظر في وجوه
الناس ثم قطب وجهه ثم زحف مدبرا وتشاوس مستكبرا لما خطرت بباله الكلمة الشنعاء
وهم بان يرمي بها وصف اشكاله التي تشكل بها حين استنبط ما استنبط استهزاء به
وقيل قدر ما يقوله ثم قتل كيف قدره ثم نظر فيه ثم عبس لما ضاقت عليه الحيل ولم يدر ما يقول وقيل
قطب في وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم وبسر ثم ادبر عن الحق واستكبر عنه فقال ما قال وثم
نظر عطف على فكر وقدر والدعاء اعتراض بينهما **فان قلت** ما معنى ثم الداخلة في تكرير
الدعاء **قلت** الدلالة على ان الكرة الثانية ابلغ من الاولى ونحوه قوله
الا يا اسلمي ثم اسلمي ثمت اسلمي **فان قلت** فما معنى المتوسطة بين الافعال التي بعدها **قلت** الدلالة
على انه قد تانى في التامل وتمهل وكان بين الافعال المتناسقة تراخ وتباعد **فان قلت**
فلم قيل فقال ان هذا الا سحر يؤثر بالفاء بعد عطف ما قبله بثم **قلت**
لان الكلمة لما خطرت بباله بعد التطلب لم يتمالك ان نطق بها من غير تلبث **فان قلت**
فلم لم يوسط حرف العطف بين الجملتين **قلت** لان الاخرى جرت من الاولى مجرى التوكيد
من المؤكد سأصليه سقر بدل من سارهقه صعودا وما ادراك ما سقر لا تبقي ولا تذر اي لا تبقي
شيئا يلقى فيها الا اهلكته واذا هلك لم تذره هالكا حتى يعاد او لا تبقي على شيء ولا تدعه
من الهلاك بل كل ما يطرح فيها هالك لا محالة لواحة للبشر من لوح الهجير قال
تقول ما لاحك يا مسافر يا ابنة عمي لاحني الهواجر قيل تلفح الجلد لفحة فتدعه اشد سوادا
من الليل والبشر اعالي الجلود وعن الحسن تلوح للناس كقوله ثم لترونها عين اليقين و
قرئ لواحة نصبا على الاختصاص للتهويل عليها تسعة عشر اي يلي امرها ويتسلط على اهلها
تسعة عشر ملكا وقيل صنفا من الملائكة وقيل صفا وقيل نقيبا وقرئ تسعة عشر بسكون
العين لتوالي الحركات فيما هو في حكم اسم واحد وقرئ تسعة اعشر جمع عشير مثل يمين وايمن
جعلهم ملائكة لانهم خلاف جنس المعذبين من الجن والانس فلا ياخذهم ما ياخذ المجانس
من الرافة والرقة ولا يستروحون اليهم ولانهم اقوم خلق الله بحق الله وبالغضب له
فتؤمن هوادتهم ولانهم اشد الخلق باسا واقواهم بطشا عن عمرو بن دينار واحد منهم يدفع

بالدفعة الواحدة في جهنم اكثر من ربيعة ومضر وعن النبي صلى الله عليه وسلم كان اعينهم البرق
وكان افواههم الصياصي يجرون اشعارهم لاحدهم مثل قوة الثقلين يسوق احدهم الامة وعلى
رقبته جبل فيرمي بهم في النار ويرمي بالجبل عليهم وروي انه لما نزلت عليها تسعة عشر قال
ابو جهل لقريش ثكلتكم امهاتكم اسمع ابن ابي كبشة يخبركم ان خزنة النار تسعة عشر وانتم الدهم
ايعجز كل عشرة منكم ان يبطشوا برجل منهم فقال ابو الاشد بن اسيد بن كلدة الجمحي وكان
شديد البطش انا اكفيكم سبعة عشر فاكفوني انتم اثنين فانزل الله وما جعلنا اصحاب النار الا ملائكة
اي ما جعلناهم رجالا من جنسكم يطاقون قد جعل افتتان الكافرين بعدة الزبانية
سببا لاستيقان اهل الكتاب وزيادة ايمان المؤمنين واستهزاء الكافرين والمنافقين فما وجه صحة
ذلك ما جعل افتتانهم بالعدة سببا لذلك وانما العدة نفسها هي التي جعلت سببا وذلك
ان المراد بقوله وما جعلنا عدتهم الا فتنة للذين كفروا ليستيقن الذين اوتوا الكتاب ويزداد الذين امنوا
ايمانا وما جعلنا عدتهم الا تسعة عشر فوضع فتنة للذين كفروا موضع تسعة عشر لان
حال هذه العدة الناقصة واحدا من عقد العشرين ان يفتتن بها من لا يؤمن بالله وبحكمته ويعترض
ويستهزئ ولا يذعن اذعان المؤمن وان خفي عليه وجه الحكمة كانه قيل ولقد جعلنا عدتهم
عدة من شانها ان يفتتن بها لاجل استيقان المؤمنين وحيرة الكافرين واستيقان اهل
الكتاب لان عدتهم تسعة عشر في الكتابين فاذا سمعوا بمثلها في القران ايقنوا انه منزل من الله و
ازدياد المؤمنين ايمانا لتصديقهم بذلك كما صدقوا سائر ما انزل ولما راوا من تسليم اهل الكتاب
وتصديقهم انه كذلك ثم قال ولا يرتاب الذين اوتوا الكتاب والمؤمنون وليقول الذين في قلوبهم
مرض والكافرون والاستيقان وازدياد الايمان دالا على انتفاء الارتياب لانه اذا جمع لهم
اثبات اليقين ونفي الشك كان ابلغ واكد لوصفهم بسكون النفس وثلج الصدر ولان فيه تعريضا
بحال من عداهم كانه قال ولتخالف حالهم حال الشاكين والمرتابين من اهل النفاق والكفر
كيف ذكر الذين في قلوبهم مرض وهم المنافقون والسورة مكية ولم يكن بمكة نفاق
وانما نجم بالمدينة معناه وليقول المنافقون الذين ينجمون في مستقبل الزمان بالمدينة بعد
الهجرة والكافرون بمكة ماذا اراد الله بهذا مثلا وليس في ذلك الا اخبار بما سيكون كسائر الاخبارات
بالغيوب وذلك لا يخالف كون السورة مكية ويجوز ان يراد بالمرض الشك والارتياب لان اهل
مكة كان اكثرهم شاكين وبعضهم قاطعين بالكذب قد علل جعلهم تسعة عشر

بالاستيقان وانتفاء الارتياب يصح ان يكونا غرضين فكيف صح ان يكون قول المنافقين والكافرين
غرضا … افادت اللام معنى العلة والسبب ولا يجب في العلة ان تكون غرضا الا ترى الى قولك
خرجت من البلد لمخافة الشر فقد جعلت المخافة علة لخروجك وما هي بغرضك مثلا تمييز لهذا او
حال منه كقوله هذه ناقة الله لكم آية … لم سموه مثلا … هو استعارة من
المثل المضروب لانه مما غرب من الكلام وبدع استغرابا منهم لهذا العدد واستبداعا له والمعنى
اي شيء اراد الله بهذا العدد العجيب واي غرض قصد في ان جعل الملائكة تسعة عشر لا عشرين
سواء ومرادهم انكاره من اصله وانه ليس من عند الله وانه لو كان من عند الله لما جاء بهذا العدد
الناقص الكاف في كذلك يضل الله من يشاء ويهدي من يشاء نصب وذلك اشارة الى ما قبله من معنى
الاضلال والهدى اي مثل ذلك المذكور من الاضلال والهدى يضل الكافرين ويهدي المومنين يعني
يفعل فعلا حسنا مبنيا على الحكمة والصواب فيراه المومنون حكمة ويذعنون له لاعتقادهم ان افعال
الله كلها حسنة وحكمة فيزيدهم ايمانا وينكره الكافرون ويشكون فيه فيزيدهم كفرا وضلالا
وما يعلم جنود ربك وما عليه كل جند من العدد الخاص من كون بعضها على عقد كامل وبعضها على عدد
ناقص وما في اختصاص كل جند بعدده من الحكمة الا هو ولا سبيل لاحد الى معرفة ذلك كما لا يعرف
الحكمة في اعداد السموات والارضين وايام السنة والشهور والبروج والكواكب واعداد النصب و
الحدود والكفارات والصلوات في الشريعة او وما يعلم جنود ربك لفرط كثرتها الا هو فلا يعز عليه
تتميم الخزنة عشرين ولكن له في هذا العدد الخاص حكمة لا تعلمونها وهو يعلمها وقيل هو جواب لقول
ابي جهل اما لرب محمد اعوان الا تسعة عشر وما جعلنا اصحاب النار الى قوله الا هو اعتراض وقوله وما
هي الا ذكرى متصل بوصف سقر وهي ضميرها اي وما سقر وصفتها الا تذكرة للبشر او ضمير الآيات
التي ذكرت فيها كلا والقمر والليل اذ ادبر والصبح اذا اسفر انكار بعد ان جعلها ذكرى ان يكون لهم
ذكرى لانهم لا يتذكرون او ردع لمن ينكر ان يكون احدى الكبر نذيرا ودبر بمعنى ادبر كقبل بمعنى
اقبل ومنه صاروا كامس الدابر وقيل هو من دبر الليل النهار اذا خلفه وقرئ اذ ادبر
انها لاحدى الكبر جواب للقسم او تعليل لكلا والقسم معترض للتوكيد والكبر جمع الكبرى جعلت
الف التانيث كتائها فلما جعلت فعلة على فعل جمعت فعلى عليها ونظير ذلك السوافي في جمع السافياء
والقواصع في جمع القاصعاء كانها جمع فاعلة اي لاحدى البلايا او الدواهي الكبر ومعنى كونها
احداهن انها من بينهن واحدة في العظم لا نظيرة لها كما تقول هو احد الرجال وهي احدى النساء ونذيرا

تمييز من احدى على معنى انها لاحدى الدواهي انذارا كما تقول هي احدى النساء عفافا وقيل هي حال وقيل
هو متصل باول السورة يعني قم نذيرا وهو من بدع التفاسير وفي قراءة ابي نذير بالرفع خبر بعد خبر
لان او بحذف المبتدا لمن شاء منكم ان يتقدم في موضع الرفع بالابتداء ولمن شاء خبر مقدم
عليه كقولك لمن توضا ان يصلي ومعناه مطلق لمن شاء التقدم او التاخر ان يتقدم او يتاخر و
المراد بالتقدم والتاخر السبق الى الخير والتخلف عنه وهو كقوله فمن شاء فليومن ومن شاء فليكفر
ويجوز ان يكون لمن شاء بدلا من للبشر على انها منذرة للمكلفين الممكنين الذين ان شاءوا تقدموا
ففازوا وان شاءوا تاخروا فهلكوا كل نفس بما كسبت رهينة ليست بتانيث رهين في قوله كل امرئ
بما كسب رهين لتانيث النفس لانه لو قصدت الصفة لقيل رهين لان فعيلا بمعنى مفعول يستوي فيه
المذكر والمونث وانما هي اسم بمعنى الرهن كالشتيمة بمعنى الشتم كانه قيل كل نفس بما كسبت
رهن ومنه بيت الحماسة ابعد الذي بالنعف نعف كويكب رهينة رمس ذي تراب وجندل
كانه قال رهن رمس والمعنى كل نفس رهن بكسبها عند الله غير مفكوك الا اصحاب اليمين فانهم فكوا
عنه رقابهم بما اطابوه من كسبهم كما يخلص الراهن رهنه باداء الحق وعن علي رضي الله عنه انه فسر
اصحاب اليمين بالاطفال لانه لا اعمال لهم يرتهنون بها وعن ابن عباس هم الملائكة في جنات
اي هم في جنات لا يكتنه وصفها يتساءلون عن المجرمين يسال بعضهم بعضا عنهم او يتساءلون غيرهم
عنهم كقولك دعوته وتداعيناه … كيف طابق قوله ما سلككم في سقر وهو سؤال للمجرمين
قوله يتساءلون عن المجرمين وهو سؤال عنهم وانما كان يتطابق ذلك لو قيل يتساءلون المجرمين ما سلككم
ما سلككم ليس ببيان للتساؤل عنهم وانما هو حكاية قول المسؤولين يلقون الى السائلين
ما جرى بينهم وبين المجرمين فيقولون قلنا لهم ما سلككم في سقر قالوا لم نك من المصلين ولم نك نطعم
المسكين وكنا نخوض مع الخائضين وكنا نكذب بيوم الدين حتى اتانا اليقين فما تنفعهم شفاعة الشافعين
… الا ان الكلام جيء به على الحذف والاختصار كما هو نهج التنزيل في غرابة نظمه الخوض
الشروع في الباطل وما لا ينبغي … لم يسالونهم وهم عالمون بذلك … توبيخا لهم
وتحسيرا وليكون حكاية الله ذلك في كتابه تذكرة للسامعين وقد عضد بعضهم تفسير اصحاب
اليمين بالاطفال انهم انما سالوهم لانهم ولدان لا يعرفون موجب دخول النار
ايريدون ان كل واحد منهم بمجموع هذه الاربع دخل النار ام دخلها بعضهم بهذه وبعضهم بهذه
يحتمل الامرين جميعا … لم اخر التكذيب وهو اعظمها … ارادوا

انهم بعد ذلك كله كانوا مكذبين بيوم الدين تعظيما للتكذيب كقوله ثم كان من الذين آمنوا واليقين
الموت ومقدماته اى لو شفع لنا الشافعون جميعا من الملائكة والنبيين وغيرهم لم ينفعهم شفاعتهم
لان الشفاعة لمن ارتضاه الله وهم مسخوط عليهم وفيه دليل على ان الشفاعة تنفع يومئذ لانها
تزيد فى درجات المرتضين عن التذكرة عن التذكير وهو العظة يريد القرآن او غيره من المواعظ
ومعرضين نصب على الحال كقولك ما لك قائما كانهم حمر مستنفرة فرت من قسورة بل يريد كل امرئ
منهم ان يؤتى والمستنفرة الشديدة النفار كانها تطلب النفار من نفوسها فى جمعها له وحملها عليه
وقرئ بالفتح وهى المنفرة المحمولة على النفار والقسورة جماعة الرماة الذين يتصيدونها وقيل
الاسد يقال ليوث قساور وهى فعولة من القسر وهو القهر والغلبة وفى وزنه الحيدرة من
اسماء الاسد وعن ابن عباس ركز الناس اصواتهم وعن عكرمة ظلمة الليل شبههم فى اعراضهم
عن القرآن واستماع الذكر والموعظة وشرادهم عنه بحمر جدت فى نفارها مما افزعها وفى
تشبيههم بالحمر مذمة ظاهرة وتهجين لحالهم بين كما فى قوله كمثل الحمار يحمل اسفارا وشهادة
عليهم بالبله وقلة العقل ولا ترى مثل نفار حمر الوحش واطرادها فى العدو اذا رابها رائب و
لذلك كان اكثر تشبيهات العرب فى وصف الابل وشدة سيرها بالحمر وعدوها اذا وردت ماء
فاحست عليه بقانص صحفا منشرة قراطيس تنشر وتقرأ كالكتب التى يتكاتب بها او كتبا
كتبت فى السماء ونزلت بها الملائكة ساعة كتبت منشرة على ايديها غضة رطبة لم تطو بعد و
ذلك انهم قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم لن نتبعك حتى تأتى كل واحد منا بكتب من السماء
عنوانها من رب العالمين الى فلان بن فلان نؤمر فيها باتباعك ونحوه قوله ولن نؤمن لرقيك
حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه وقال ولو نزلنا عليك كتابا فى قرطاس فلمسوه بايديهم الآية
وقيل قالوا ان كان محمد صادقا فليصبح عند راس كل رجل منا صحيفة فيها براءته وامنه
من النار وقيل كانوا يقولون بلغنا ان الرجل من بنى اسرائيل كان يصبح مكتوبا على راسه ذنبه
وكفارته فاتنا بمثل ذلك وهذا من الصحف المنشرة بمعزل الا ان يراد بالصحف المنشرة الكتابات
الظاهرة المكشوفة وقرأ سعيد بن جبير صحفا منشرة بتخفيفهما على ان انشر الصحف و
نشرها واحد كانزله ونزله ردعهم بقوله كلا عن تلك الارادة وزجرهم عن اقتراح الآيات
ثم قال بل لا يخافون الآخرة فلذلك اعرضوا عن التذكرة لا لامتناع ايتاء الصحف ثم ردعهم
بقوله عن اعراضهم عن التذكرة وقال كلا انه تذكرة يعنى تذكرة بليغة كافية مبهم امرها

فى الكفاية فمن شاء ذكره ان يذكره ولا ينساه ويجعله نصب عينه فعل فان نفع ذلك راجع
اليه والضمير فى انه وذكره للتذكرة فى قولهم فما لهم عن التذكرة معرضين وانما ذكر لانها
فى معنى الذكر او القرآن وما يذكرون الا ان يشاء الله يعنى الا ان يقسرهم على الذكر ويلجئهم اليه
لانهم مطبوع على قلوبهم معلوم انهم لا يؤمنون اختيارا هو اهل التقوى واهل المغفرة هو حقيق
بان يتقيه عباده ويخافوا عقابه فيؤمنوا ويطيعوا وحقيق بان يغفر لهم اذا آمنوا واطاعوا
وروى انس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم هو اهل ان يتقى واهل ان يغفر لمن اتقاه و
قرئ يذكرون بالتاء والياء مخففا ومشددا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة المدثر
اعطاه الله عشر حسنات بعدد من صدق بمحمد وكذب به بمكة ٥

سورة القيامة مكية وهى تسع وثلثون آية

بسم الله الرحمن الرحيم ادخال لا النافية على فعل القسم مستفيض فى كلامهم واشعارهم
قال امرؤ القيس لا وابيك ابنة العامرى لا يدعى القوم انى افر وقال غوية بن
سلمى الا نادت امامة باحتمال ليحزننى فلا بك ما ابالى وفائدتها توكيد القسم و
قالوا انها صلة مثلها فى لئلا يعلم اهل الكتاب وفى قوله فى بئر لا حور سرى وما شعر
واعترضوا عليه بانها انما تزاد فى وسط الكلام لا فى اوله واجابوا بان القرآن فى حكم سورة
واحدة متصل بعضه ببعض والاعتراض صحيح لانها لم تقع مزيدة الا فى وسط الكلام ولكن الجواب
غير سديد الا ترى الى امرئ القيس كيف زادها فى مستهل قصيدته والوجه ان يقال هى للنفى
والمعنى فى ذلك انه لا يقسم بالشئ الا اعظاما له يدلك عليه قوله تعالى فلا اقسم بمواقع النجوم
وانه لقسم لو تعلمون عظيم فكانه بادخال حرف النفى يقول ان اعظامى له باقسامى به كلا اعظام
يعنى انه يستاهل فوق ذلك وقيل ان لا نفى لكلام ورد له قبل القسم كانهم انكروا البعث
فقيل لا اى ليس الامر كما ذكرتم ثم قيل اقسم بيوم القيمة قوله تعالى فلا وربك
لا يؤمنون والابيات التى انشدتها المقسم عليه فيها منفى فهلا زعمت ان لا التى قبل القسم
زيدت موطئة للنفى بعده ومؤكدة له وقدرت المقسم عليه المحذوف ههنا منفيا كقولك
لا اقسم بيوم القيمة لا تتركون سدى لو قصروا الامر على النفى دون الاثبات
لكان لهذا القول مساغ ولكنه لم يقصر الا ترى كيف لقى لا اقسم بهذا البلد بقوله لقد خلقنا
الانسان وكذلك فلا اقسم بمواقع النجوم بقوله انه لقرآن كريم وقرئ لاقسم على ان اللام للابتداء

وأقسم خبر مبتدأ محذوف معناه لأنا أقسم قالوا ويعضده أنه في الإمام بغير ألف ولا أقسم بالنفس اللوامة بالنفس المتقية التي تلوم النفوس فيه أي في يوم القيمة على تقصيرهن في التقوى أو بالتي لا تزال تلوم نفسها وإن اجتهدت في الإحسان وعن الحسن أن المؤمن لا تراه إلا لائما نفسه وأن الكافر يمضي قدما لا يعاتب وقيل هي التي تتلوم يومئذ على ترك الازدياد إن كانت محسنة وعلى التفريط إن كانت مسيئة وقيل هي نفس آدم لم تزل تتلوم على فعلها الذي خرجت به من الجنة وجواب القسم ما دل عليه قوله أيحسب الإنسان أن لن نجمع عظامه وهو لتبعثن وقرأ قتادة أن لن يجمع عظامه على البناء للمفعول والمعنى نجمعها بعد تفرقها ورجوعها رميما ورفاتا مختلطا بالتراب وبعد ما سفتها الرياح وطيرتها في أباعد الأرض وقيل إن عدي بن أبي ربيعة ختن الأخنس بن شريق وهما اللذان كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول فيهما اللهم اكفني جاري السوء قال لرسول الله يا محمد حدثني عن يوم القيمة متى يكون وكيف أمره فأخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لو عاينت ذلك اليوم لم أصدقك يا محمد ولم أومن به أو يجمع الله العظام فنزلت بلى أوجبت ما بعد النفي وهو الجمع فكأنه قيل بلى نجمعها وقادرين حال من الضمير في نجمع أي نجمع العظام قادرين على تأليف جميعها وإعادتها إلى التركيب الأول إلى أن نسوي بنانه أي أصابعه التي هي أطرافه وآخر ما يتم به خلقه أو على أن نسوي بنانه ونضم سلامياته على صغرها ولطافتها بعضها إلى بعض كما كانت أولا من غير نقصان ولا تفاوت فكيف بكبار العظام وقيل معناه بلى نجمعها ونحن قادرون على أن نسوي أصابع يديه ورجليه أي نجعلها مستوية شيئا واحدا كخف البعير وحافر الحمار لا نفرق بينها فلا يمكنه أن يعمل بها شيئا مما يعمل بأصابعه المفرقة ذات المفاصل والأنامل من فنون الأعمال والبسط والقبض والتأتي لما يريد من الحوائج وقرئ قادرون أي نحن قادرون بل يريد الإنسان عطف على أيحسب فيجوز أن يكون مثله استفهاما وأن يكون إيجابا على أن يضرب عن مستفهم عنه إلى آخر أو يضرب عن مستفهم عنه إلى موجب ليفجر أمامه ليدوم على فجوره فيما بين يديه من الأوقات وفيما يستقبله من الزمان لا ينزع عنه وعن سعيد بن جبير يقدم الذنب ويؤخر التوبة يقول سوف أتوب سوف أتوب حتى يأتيه الموت على شر أحواله وأسوء أعماله يسأل سؤال متعنت مستبعد لقيام الساعة في قوله أيان يوم القيمة ونحوه ويقولون متى هذا الوعد فإذا برق البصر تحير فزعا وأصله من برق الرجل إذا نظر إلى البرق فدهش بصره وقرئ برق من البريق أي لمع

من شدة شخوصه وقرأ أبو السمال بلق إذا انفتح وانفرج يقال بلق الباب وأبلقته وبلقته فتحته وخسف القمر وذهب ضوؤه أو ذهب بنفسه وقرئ وخسف على البناء للمفعول وجمع الشمس والقمر حيث يطلعهما الله من المغرب وقيل وجمعا في ذهاب الضوء وقيل يجمعان أسودين مكورين كأنهما ثوران عقيران في النار وقيل يجمعان ثم يقذفان في البحر فيكون نار الله الكبرى يقول الإنسان يومئذ أين المفر بالفتح المصدر وبالكسر المكان ويجوز أن يكون مصدرا كالمرجع وقرئ بهما كلا ردع عن طلب المفر لا وزر لا ملجأ وكل ما التجأت إليه من جبل أو غيره وتخلصت به فهو وزرك إلى ربك خاصة يومئذ المستقر ينبأ الإنسان يومئذ مستقر العباد أي استقرارهم يعني أنهم لا يقدرون أن يستقروا إلى غيره وينصبوا إليه أو إلى حكمه ترجع أمور العباد لا يحكم فيها غيره كقوله لمن الملك اليوم أو إلى ربك مستقرهم أي موضع قرارهم من جنة أو نار أي مفوض ذلك إلى مشيئته من شاء أدخله الجنة ومن شاء أدخله النار بما قدم وأخر بل الإنسان على نفسه من عمل عمله وبما أخر منه لم يعمله أو بما قدم من ماله فتصدق به وبما أخره فخلفه أو بما قدم من عمل الخير والشر وبما أخر من سنة حسنة أو سيئة فعمل بها بعده وعن مجاهد بأول عمله وآخره ونحوه فينبئهم بما عملوا أحصاه الله ونسوه بصيرة حجة بينة وصفت بالبصارة على المجاز كما وصفت الآيات بالإبصار في قوله فلما جاءتهم آياتنا مبصرة أو عين بصيرة والمعنى أنه ينبأ بأعماله وإن لم ينبأ ففيه ما يجزي عن الإنباء لأنه شاهد عليها بما عملت لأن جوارحه تنطق بذلك يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون ولو ألقى معاذيره ولو جاء بكل معذرة يعتذر بها عن نفسه ويجادل عنها وعن الضحاك ولو أرخى ستوره وقال المعاذير ستور واحدها معذار فإن صح فلأنه يمنع رؤية المحتجب كما تمنع المعذرة عقوبة المذنب فإن قلت أليس قياس المعذرة أن تجمع معاذر لا معاذير قلت المعاذير ليس بجمع معذرة إنما هو اسم جمع لها ونحوه المناكير في المنكر لا تحرك به لسانك الضمير في به للقرآن وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا لقن الوحي نازع جبريل القراءة ولم يصبر إلى أن يتمها مسارعة إلى الحفظ وخوفا من أن يتفلت منه فأمر بأن يستنصت له ملقيا إليه بقلبه وسمعه حتى يقضى إليه وحيه ثم يقفيه بالدراسة إلى أن يرسخ فيه والمعنى لا تحرك لسانك بقراءة الوحي ما دام جبريل صلوات الله عليه يقرأ لتعجل به لتأخذه على عجلة ولئلا يتفلت منك ثم علل النهي عن العجلة بقوله إن علينا جمعه

وقرآنه في صدرك وإثبات قراءته في لسانك فإذا قرأناه جعل قراءة جبريل قراءته والقرآن القراءة
فاتبع قرآنه فكن مقفيا له فيه ولا تراسله وطامن نفسك أنه لا يبقى غير محفوظ فنحن في ضمان تحفيظه
ثم إن علينا بيانه إذا أشكل عليك شيء من معانيه كأنه كان يعجل في الحفظ والسؤال عن
المعنى جميعا كما ترى بعض الحراص على العلم ونحوه ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يقضى إليك وحيه
كلا ردع لرسول الله صلى الله عليه وسلم عن عادة العجلة وإنكار لها عليه وحث على الأناة والتؤدة
وقد بالغ في ذلك باتباعه قوله بل تحبون العاجلة كأنه قال بل أنتم يا بني آدم لأنكم خلقتم من عجل
وطبعتم عليه تعجلون في كل شيء ومن ثم تحبون العاجلة وتذرون الآخرة وقرئ بالياء وهو
أبلغ. كيف اتصل قوله لا تحرك به لسانك إلى آخره بذكر القيامة. اتصاله به من جهة
هذا التخلص منه إلى التوبيخ بحب العاجلة وترك الاهتمام بالآخرة وجوه يومئذ ناضرة الوجه
عبارة عن الجملة والناضرة من نضرة النعيم إلى ربها ناظرة تنظر إلى ربها خاصة لا تنظر إلى غيره
وهذا معنى تقديم المفعول ألا ترى إلى قوله إلى ربك يومئذ المستقر إلى ربك يومئذ المساق
إلى الله تصير الأمور وإليه ترجعون وإلى الله المصير عليه توكلت وإليه أنيب كيف دل فيها التقديم
على معنى الاختصاص ومعلوم أنهم ينظرون إلى أشياء لا يحيط بها الحصر ولا تدخل تحت العدد في
محشر يجتمع فيه الخلائق كلهم فإن المؤمنين نظارة ذلك اليوم لأنهم الآمنون الذين لا خوف عليهم
ولا هم يحزنون فاختصاصه بنظرهم إليه لو كان منظورا إليه محال فوجب حمله على معنى يصح معه
الاختصاص والذي يصح معه أن يكون من قول الناس أنا إلى فلان ناظر ما يصنع بي تريد معنى
التوقع والرجاء ومنه قول القائل: وإذا نظرت إليك من ملك والبحر دونك زدتني نعما
وسمعت سروية مستجدية بمكة وقت الظهر حين يغلق الناس أبوابهم ويأوون إلى
مقائلهم تقول عيينتي نويظرة إلى الله وإليكم والمعنى أنهم لا يتوقعون النعمة والكرامة
إلا من ربهم كما كانوا في الدنيا لا يخشون ولا يرجون إلا إياه ووجوه يومئذ باسرة والباسر
الشديد العبوس والباسل أشد منه ولكنه غلب في الشجاع إذا اشتد كلوحه تظن تتوقع
أن يفعل بها فعل هو في شدته وفظاعته فاقرة داهية تقصم فقار الظهر كما توقعت الوجوه
الناضرة أن يفعل بها كل خير كلا ردع عن إيثار الدنيا على الآخرة كأنه قيل ارتدعوا عن ذلك
وتنبهوا على ما بين أيديكم من الموت الذي عنده تنقطع العاجلة عنكم وتنتقلون إلى الآجلة
التي تبقون فيها مخلدين والضمير في إذا بلغت للنفس وإن لم يجر لها ذكر لأن الكلام الذي وقعت

فيه يدل عليها كما قال حاتم: أماوي ما يغني الثراء عن الفتى إذا حشرجت يوما وضاق بها الصدر
وتقول العرب أرسلت يريدون جاء المطر ولا تكاد تسمعهم يذكرون السماء التراقي وقيل
العظام المكتنفة لثغرة النحر عن يمين وشمال ذكرهم صعوبة الموت الذي هو أول
مراحل الآخرة حين تبلغ الروح التراقي ودنا زهوقها وقال حاضر وصاحبها وهو المحتضر
بعضهم لبعض من راق أيكم يرقيه مما به وقيل هو من كلام ملائكة الموت أيكم يرقى بروحه
ملائكة الرحمة أم ملائكة العذاب وظن المحتضر أنه الفراق أن هذا الذي نزل به هو فراق
الدنيا المحبوبة والتفت الساق بالساق إلى ربك يومئذ ساقه بساقه والتوت عليها
عند علز الموت وعن قتادة ماتت رجلاه فلا تحملانه وقد كان عليهما جوالا وقيل شدة
فراق الدنيا بشدة إقبال الآخرة على أن الساق مثل في الشدة وعن سعيد بن المسيب هما
ساقاه حين تلفان في أكفانه المساق أي يساق إلى الله وإلى حكمه فلا صدق ولا صلى
ولكن كذب وتولى ثم ذهب إلى أهله يعني الإنسان في قوله أيحسب الإنسان أن لن نجمع
عظامه ألا ترى إلى قوله أيحسب الإنسان أن يترك سدى وهو معطوف على قوله يسأل
أيان يوم القيامة أي لا يؤمن بالبعث فلا صدق بالرسول والقرآن ولا صلى ويجوز
أن يراد فلا صدق ماله بمعنى فلا زكاه وقيل نزلت في أبي جهل يتمطى يتبختر وأصله
يتمطط أي يتمدد لأن المتبختر يمد خطاه وقيل هو من المطا وهو الظهر لأنه يلويه
وفي الحديث إذا مشت أمتي المطيطاء وخدمتهم فارس والروم فقد جعل بأسهم بينهم يعني
كذب برسول الله وتولى عنه وأعرض ثم ذهب إلى قومه يتبختر افتخارا بذلك أولى لك
فأولى ثم أولى لك فأولى أيحسب الإنسان أن يترك سدى ألم يك نطفة من مني يمنى ثم كان
علقة بمعنى ويل لك وهو دعاء عليه بأن يليه ما يكره فخلق فسوى فعدل فجعل
منه من الإنسان الزوجين الصنفين الذكر والأنثى أليس ذلك الذي أنشأ هذا الإنشاء بقادر على أن
يحيي الموتى على الإعادة وروي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا قرأها قال
سبحانك بلى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة القيامة شهدت له أنا وجبريل
يوم القيامة إنه كان مؤمنا بيوم القيامة

سورة الإنسان مكية وهي إحدى وثلاثون آية

بسم الله الرحمن الرحيم هل بمعنى قد في الاستفهام خاصة والأصل أهل بدليل

قوله أهل رأونا بسفح القاع ذي الأكم فالمعنى أقد أتى على التقرير والتقريب جميعا أي
أتى على الإنسان قبل زمان قريب حين من الدهر لم يكن فيه شيئا مذكورا أي كان شيئا منسيا غير
مذكور نطفة في الأصلاب والمراد بالإنسان جنس بني آدم بدليل قوله إنا خلقنا الإنسان من نطفة
حين من الدهر طائفة من الزمن الطويل الممتد ما محل لم يكن شيئا مذكورا
محله النصب على الحال من الإنسان كأنه قيل هل أتى عليه حين من الدهر غير مذكور أو الرفع
على الوصف لحين كقوله يوما لا يجزي والد عن ولده وعن بعضهم أنها تليت عنده فقال ليتها
تمت أراد ليت تلك الحالة تمت وهي كونه شيئا غير مذكور ولم يخلق ولم يكلف نطفة أمشاج
كبرمة أعشار وبرد أكياش وهي ألفاظ مفردة غير جموع ولذلك وقعت صفات للأفراد
ويقال أيضا نطفة مشج قال الشماخ طوت أحشاء مرتجة لوقت على مشج سلالته مهين
ولا يصح أمشاج أن يكون تكسيرا له بل هما مثلان في الإفراد لوصف المفرد بهما ومشجه ومزجه
بمعنى والمعنى من نطفة قد امتزج فيه الماءان وعن ابن مسعود هي عروق النطفة وعن قتادة
أمشاج ألوان وأطوار يريد أنها تكون نطفة ثم علقة ثم مضغة نبتليه في موضع الحال أي
خلقناه مبتلين له بمعنى مريدين ابتلاءه كقولك مررت برجل معه صقر صائدا به غدا تريد
قاصدا به الصيد غدا ويجوز أن يراد ناقلين له من حال إلى حال فسمي ذلك ابتلاء على طريق
الاستعارة وعن ابن عباس نصرفه في بطن أمه نطفة ثم علقة وقيل هو في تقدير التأخير
يعني فجعلناه سميعا بصيرا لنبتليه وهو من التعسف شاكرا وكفورا حالان من الهاء في
هديناه أي مكناه وأقدرناه في حالتيه جميعا أو دعوناه إلى الإسلام بأدلة العقل و
السمع كان معلوما منه أنه يؤمن أو يكفر لإلزام الحجة ويجوز أن يكونا حالين من السبيل
أي عرفناه السبيل إما سبيلا شاكرا وإما سبيلا كفورا كقوله وهديناه النجدين فوصف
السبيل بالشكر والكفر مجاز وقرأ أبو السمال بفتح الهمزة في أما وهي قراءة حسنة و
المعنى أما شاكرا فبتوفيقنا وأما كفورا فبسوء اختياره ولما ذكر الفريقين أتبعهما الوعيد و
الوعد إنا أعتدنا للكافرين سلاسلا وأغلالا وسعيرا إن الأبرار يشربون من كأس كان وقرئ
سلاسل غير منون وسلاسلا بالتنوين وفيه وجهان أحدهما أن تكون هذه النون بدلا
من حرف الإطلاق ويجري الوصل مجرى الوقف والثاني أن يكون صاحب القراءة به ممن ضري
برواية الشعر ومرن لسانه على صرف غير المنصرف الأبرار جمع بر أو بار كرب وأرباب

وشاهد وأشهاد وعن الحسن هم الذين لا يؤذون الذر والكأس الزجاجة إذا كانت فيها
خمر وتسمى الخمر نفسها كأسا مزاجها ما يمزج به كافورا ماء كافور وهو اسم عين في الجنة ماؤها
في بياض الكافور ورائحته وبرده عينا يشرب بها عباد الله بدل منه وعن قتادة تمزج لهم
بالكافور وتختم لهم بالمسك وقيل تخلق فيها رائحة الكافور وبياضه وبرده فكأنها مزجت
بالكافور وعينا على هذين القولين بدل من محل من كأس على تقدير حذف مضاف كأنه قيل يشربون
خمرا خمر عين أو نصب على الاختصاص لم وصل فعل الشرب بحرف الابتداء أولا
وبحرف الإلصاق آخرا لأن الكأس مبدأ شربهم وأول غايته وأما العين فأول
فيها يمزجون شرابهم فكأن المعنى يشرب عباد الله بها الخمر كما تقول شربت الماء بالعسل
يفجرونها يجرونها حيث شاؤوا من منازلهم تفجيرا سهلا لا يمتنع عليهم يوفون بالنذر و
يخافون يوما كان شره جواب من عسى يقول ما لهم يرزقون ذلك والوفاء بالنذر مبالغة
في وصفهم بالتوفر على أداء الواجبات لأن من وفى بما أوجبه على نفسه لوجه الله كان بما
أوجبه الله عليه أوفى مستطيرا فاشيا منتشرا بالغا أقصى المبالغ من استطار الحريق
واستطار الفجر وهو من طار بمنزلة استنفر من نفر ويطعمون الطعام على حبه الضمير
للطعام أي مع اشتهائه والحاجة إليه ونحوه وآتى المال على حبه لن تنالوا البر حتى تنفقوا
مما تحبون وعن الفضيل بن عياض على حب الله مسكينا ويتيما وأسيرا عن الحسن كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم يؤتى بالأسير فيدفعه إلى بعض المسلمين فيقول أحسن إليه فيكون عنده
اليومين والثلاثة فيؤثره على نفسه وعند عامة العلماء يجوز الإحسان إلى الكفار في دار
الإسلام ولا تصرف إليهم الواجبات وعن قتادة كان أسيرهم يومئذ المشرك وأخوك المسلم
أحق أن تطعمه وعن سعيد بن جبير وعطاء هو الأسير من أهل القبلة وعن أبي سعيد
الخدري هو المملوك والمسجون وسمى رسول الله صلى الله عليه وسلم الغريم أسيرا فقال غريمك
أسيرك فأحسن إلى أسيرك إنما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا على إرادة القول
ويجوز أن يكون قولا باللسان منعا لهم عن المجازاة بمثله أو بالشكر لأن إحسانهم مفعول
لوجه الله فلا معنى لمكافأة الخلق وأن يكون قولهم لهم لطفا وتفقيها وتنبيها على ما ينبغي
أن يكون عليه من أخلص لله وعن عائشة رضي الله عنها أنها كانت تبعث بالصدقة إلى أهل
بيت ثم تسأل الرسول ما قالوا فإذا ذكر دعاء دعت لهم بمثله ليبقى ثواب الصدقة

لها خالصا عند الله. ويجوز ان يكون بيانا وكشفا عن اعتقادهم وصحة نيتهم وان لم يقولوا شيئا
وعن مجاهد اما انهم ما تكلموا به ولكن علمه الله منهم فاثنى عليهم. والشكور والكفور مصدران
كالشكر والكفر. انا نخاف من ربنا يوما عبوسا قمطريرا فوقيهم الله شر ذلك اليوم يحتمل ان احساننا
اليكم للخوف من شدة ذلك اليوم لا لارادة مكافاتكم وانا لا نريد منكم المكافاة لخوف عقاب الله
على طلب المكافاة بالصدقة. ووصف اليوم بالعبوس مجاز على طريقين ان يوصف بصفة
اهله من الاشقياء كقولهم نهارك صائم. روي ان الكافر يعبس يومئذ حتى يسيل من بين عينيه
عرق مثل القطران وان يشبه في شدته وضرره بالاسد العبوس او بالشجاع الباسل والقمطرير
الشديد العبوس الذي يجمع ما بين عينيه قال الزجاج يقال اقمطرت الناقة اذا رفعت ذنبها
وجمعت قطريها وزمت بانفها فاشتقه من القطر وجعل الميم مزيدة قال اسد بن ناعصة
واصطليت الحروب في كل يوم باسل الشر قمطرير الصباح. ولقاهم نضرة وسرورا اي اعطاهم بدل
عبوس الفجار وحزنهم نضرة في الوجوه وسرورا في القلوب وهذا يدل على ان اليوم موصوف بعبوس
اهله. وجزاهم بما صبروا بصبرهم على الايثار. وعن ابن عباس ان الحسن والحسين رضي الله عنهما مرضا
فعادهما رسول الله صلى الله عليه وسلم في ناس معه فقالوا يا ابا الحسن لو نذرت على ولدك فنذر علي
وفاطمة رضي الله عنهما وفضة جارية لهما ان برءا مما بهما ان يصوموا ثلثة ايام فشفيا وما معهم
شيء فاستقرض علي رضي الله عنه من شمعون الخيبري اليهودي ثلثة اصوع من شعير
فطحنت فاطمة رضي الله عنها صاعا واختبزت خمسة اقراص على عددهم فوضعوها بين ايديهم ليفطروا
فوقف عليهم سائل فقال السلام عليكم اهل بيت محمد مسكين من مساكين المسلمين اطعموني
اطعمكم الله من موائد الجنة فآثروه وباتوا لم يذوقوا الا الماء واصبحوا صياما فلما امسوا
ووضعوا الطعام بين ايديهم وقف عليهم يتيم فآثروه ووقف عليهم اسير في الثالثة ففعلوا
مثل ذلك فلما اصبحوا اخذ علي رضي الله عنه بيد الحسن والحسين واقبلوا الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم فلما ابصرهم وهم يرتعشون كالفراخ من شدة الجوع قال ما اشد ما
يسوؤني ما ارى بكم وقام فانطلق معهم فرأى فاطمة في محرابها قد التصق ظهرها ببطنها
وغارت عيناها فساءه ذلك فنزل جبريل وقال خذها يا محمد هناك الله في اهل بيتك
فاقرأه السورة. جنة وحريرا متكئين فيها على الارائك لا يرون فيها شمسا ولا زمهريرا
فما معنى ذكر الحرير مع الجنة؟ معناه وجزاهم بصبرهم على الايثار وما يؤدي

اليه من الجوع والعري بستانا فيه مأكل هنيء وحريرا فيه ملبس بهي يعني ان هواءها
معتدل لا حر شمس يحمي ولا شدة برد تؤذي وفي الحديث هواء الجنة سجسج لا حر ولا قر
وقيل الزمهرير القمر وعن ثعلب انه في لغة طيء وانشد: وليلة ظلامها قد اعتكر
قطعتها والزمهرير ما زهر. والمعنى ان الجنة ضياء فلا يحتاج فيها الى شمس وقمر
ودانية عليهم ظلالها علام عطفت؟ على الجملة التي قبلها لانها في موضع الحال
من المجزيين وهذه حال مثلها عنهم لرجوع الضمير منها اليهم في عليهم الا انها اسم مفرد وتلك جملة
في حكم مفرد تقديره غير رائين فيها شمسا ولا زمهريرا ودانية عليهم ظلالها ودخلت الواو للدلالة
على ان الامرين مجتمعان لهم كانه قيل وجزاهم جنة جامعين فيها بين البعد عن الحر والقر
ودنو الظلال عليهم. وقرئ ودانية بالرفع على ان ظلالها مبتدأ ودانية خبر والجملة في
موضع الحال والمعنى لا يرون فيها شمسا ولا زمهريرا والحال ان ظلالها دانية عليهم. ويجوز ان
تجعل متكئين ولا يرون ودانية كلها صفات لجنة ويجوز ان يكون ودانية معطوفة على جنة
اي وجنة اخرى دانية عليهم ظلالها على انهم وعدوا جنتين كقوله ولمن خاف مقام ربه
جنتان لانهم وصفوا بالخوف انا نخاف من ربنا. فعلام عطف وذللت قطوفها
تذليلا ويطاف عليهم بآنية من فضة واكواب كانت قواريرا؟ هي اذا رفعت ودانية جملة
فعلية معطوفة على جملة ابتدائية واذا نصبتها على الحال فهي حال من دانية اي تدنو ظلالها عليهم
في حال تذليل قطوفها لهم او معطوفة عليها على ودانية عليهم ظلالها ومذللة قطوفها واذا نصبت
ودانية على الوصف فهي صفة مثلها ألا ترى انك لو قلت جنة ذللت قطوفها كان صحيحا. و
تذليل القطوف ان تجعل ذللا لا تمتنع على قطافها كيف شاؤا او تجعل ذليلة لهم خاضعة
متقاصرة من قولهم حائط ذليل اذا كان قصيرا. قواريرا قواريرا قرئا غير منونين وبتنوين
الاول وبتنوينهما وهذا التنوين بدل من الف الاطلاق لانه فاصلة وفي الثاني لاتباعه الاول
ومعنى قوارير من فضة انها مخلوقة من فضة وهي مع بياض الفضة وحسنها في صفاء القوارير
وشفيفها. ما معنى كانت؟ هو من يكون في قوله كن فيكون اي تكونت قوارير
بتكوين الله تفخيما لتلك الخلقة العجيبة الشأن الجامعة بين صفتي الجوهرين المتباينين و
منه كان في قوله كان مزاجها كافورا. وقرئ قوارير من فضة بالرفع على هي قوارير. قدروها
تقديرا ويسقون فيها كأسا كان مزاجها زنجبيلا عينا فيها تسمى سلسبيلا. صفة لقوارير من فضة و

معنى تقديرهم لها انهم قدروها في انفسهم ان يكون على مقادير واشكال على حسب شهواتهم فجاءت كما قدروا وقيل الضمير للطائفين بها دل عليهم قوله ويطاف عليهم على انهم قدروا شرابها على قدر الري وهو الذ للشارب لكونه على مقدار حاجته لا يفضل عنها ولا يعجز وعن مجاهد لا تفيض ولا تغيض وقرئ قدروها على البناء للمفعول ووجهه ان يكون من قدر منقولا من قدر يقول قدرت الشيء وقدرنيه فلان اذا جعلك قادرا له ومعناه جعلوا قادرين لها كما شاؤا واطلق لهم ان يقدروا على حسب ما اشتهوا سميت العين زنجبيلا لطعم الزنجبيل فيها والعرب تستلذه وتستطيبه قال الاعشى

كان القرنفل والزنجبيل باتا بفيها وأريا مشورا وقال المسيب بن علس

وكان طعم الزنجبيل به اذ ذقته وسلافة الخمر وسلسبيلا لسلاسة انحدارها في الحلق وسهولة مساغها يعني انها في طعم الزنجبيل وليس فيها لذعه ولكن نقيض اللذع وهو السلاسة يقال شراب سلسل وسلسال وسلسبيل وقد زيدت الباء في التركيب حتى صارت الكلمة خماسية ودلت على غاية السلاسة قال الزجاج السلسبيل في اللغة لما كان في غاية السلاسة وقرئ سلسبيل على منع الصرف لاجتماع العلمية والتانيث وقد عزوا الى علي بن ابي طالب رضي الله عنه ان معناه سل سبيلا اليها وهذا غير مستقيم على ظاهره الا ان يراد ان جملة قول القائل سل سبيلا جعلت علما للعين كما قيل تأبط شرا وذرى حبا وسميت بذلك لانه لا يشرب منها الا من سأل اليها سبيلا بالعمل الصالح وهو مع استقامته في العربية تكلف وابتداع وعزوه الى مثل علي رضي الله عنه ابدع وفي شعر بعض المحدثين

سل سبيلا فيها الى راحة النفس براح كانها سلسبيل وعينا بدل من زنجبيلا وقيل تمزج كاسهم بالزنجبيل بعينه او يخلق الله طعمه فيها وعينا على هذا القول مبدلة من كاسا كانه قيل ويسقون فيها كاسا كاس عين ومنصوبة على الاختصاص ويطوف عليهم ولدان مخلدون اذا رايتهم حسبتهم لؤلؤا منثورا واذا رايت ثم رايت نعيما وملكا كبيرا شبهوا في حسنهم وصفاء الوانهم وانبثاثهم في مجالسهم ومنازلهم باللؤلؤ المنثور وعن المامون انه ليلة زفت اليه بوران بنت الحسن بن سهل وهو على بساط منسوج من ذهب وقد نثرت عليه نساء دار الخلافة اللؤلؤ فنظر اليه منثورا على ذلك البساط فاستحسن المنظر قال لله در ابي نواس كانه ابصر هذا حيث يقول كان صغرى وكبرى من فقاقعها حصباء در على ارض من الذهب وقيل شبهوا باللؤلؤ الرطب اذا نثر من صدفه لانه احسن واكثر ماء رايت ليس له مفعول ظاهر ولا مقدر ليشيع ويعم كانه قيل واذا اوجدت الرؤية ثم ومعناه ان بصر الرائي اينما وقع لم يتعلق ادراكه الا بنعيم كثير وملك كبير وثم في موضع

النصب على الظرف يعني في الجنة ومن قال معناه ما ثم فقد اخطا لان ثم صلة لما ولا يجوز اسقاط الموصول وترك الصلة كبيرا واسعا وهنيئا يروى ان ادنى اهل الجنة منزلة ينظر في ملكه مسيرة الف عام يرى اقصاه كما يرى ادناه وقيل لا زوال له وقيل اذا ارادوا شيئا كان وقيل يسلم عليهم الملائكة ويستاذنون عليهم وقرئ عاليهم بالسكون على انه مبتدا خبره ثياب سندس اي ما يعلوهم من لباسهم ثياب سندس وعاليهم بالنصب على انه حال من الضمير في يطوف عليهم او في حسبتهم اي يطوف عليهم ولدان عاليا للمطوف عليهم ثياب او حسبتهم لؤلؤا عاليا لهم ثياب ويجوز ان يراد رايت اهل نعيم وملك عاليهم ثياب وعاليتهم بالرفع والنصب على ذلك وعليهم خضر واستبرق بالرفع حملا على الثياب وبالجر على السندس وقرئ واستبرق نصبا في موضع الجر على منع الصرف لانه اعجمي وهو غلط لانه نكرة يدخله حرف التعريف تقول الاستبرق الا ان يزعم ابن محيصن انه قد يجعل علما لهذا الضرب من الثياب وقرئ واستبرق بوصل الهمزة والفتح على انه مسمى باستفعل من البريق وليس بصحيح ايضا لانه معرب مشهور تعريبه وان اصله استبره وحلوا عطف على ويطوف عليهم ذكر ههنا ان اساورهم من فضة وفي موضع آخر انها من ذهب انه قيل وحلوا اساور من ذهب ومن فضة وهذا صحيح لا اشكال فيه على انهم يسورون بالجنسين اما على المعاقبة واما على الجمع كما تزاوج نساء الدنيا بين انواع الحلي وتجمع بينها وما احسن بالمعصم ان يكون فيه سواران سوار من ذهب وسوار من فضة وسقاهم ربهم شرابا طهورا ليس برجس كخمر الدنيا لان كونها رجسا بالشرع لا بالعقل وليست الدار دار تكليف او لانه لم يعصر فتمسه الايدي الوضرة وتدوسه الاقدام الدنسة ولم يجعل في الدنان والاباريق التي لم يعن بتنظيفها او لانه لا يؤول الى النجاسة لانه يرشح عرقا من ابدانهم له ريح كريح المسك اي يقال لاهل الجنة ان هذا كان لكم جزاء وكان سعيكم مشكورا انا نحن نزلنا عليك القرآن تنزيلا وهذا اشارة الى ما تقدم من عطاء الله لهم ما جوزيتم به على اعمالكم وشكر به سعيكم والشكر مجاز تكرير الضمير بعد ايقاعه اسما لان تاكيد على تاكيد لمعنى اختصاص الله بالتنزيل ليستقر في نفس رسول الله صلى الله عليه وسلم انه اذا كان هو المنزل لم يكن تنزيله على اي وجه نزل الا حكمة وصوابا كانه قيل ما نزل عليك القرآن تنزيلا مفرقا منجما الا انا لا غيري وقد عرفتني حكيما فاعلا لكل ما افعله بدواعي الحكمة ولقد دعتني حكمة بالغة الى ان انزل عليك الامر بالمكافة والمصابرة وسانزل عليك الامر بالقتال والانتقام بعد حين فاصبر لحكم ربك ~~ولا تطع~~ الصادر عن الحكمة وتعليقه الامور بالمصالح وتاخير نصرتك على اعدائك من اهل مكة ولا تطع

منهم احدا قلة صبر منك على اذاهم وضجرا من تاخير الظفر وكانوا مع افراطهم فى العداوة والايذاء له ولمن معه يدعونه الى ان يرجع عن امره ويبذلون له اموالهم وتزويج اكرم بناتهم ان اجابهم
كانوا كلهم كفرة فما معنى القسمة فى قوله **آثما او كفورا** معناه ولا تطع منهم راكبا لما هو اثم داعيا لك اليه او فاعلا لما هو كفر داعيا لك اليه لانهم اما ان يدعوه الى مساعدتهم على فعل هو اثم او كفر او غير اثم ولا كفر فنهى ان يساعدهم على الاثنين دون الثالث وقيل الآثم عتبة والكفور الوليد لان عتبة كان ركابا للمآثم متعاطيا لانواع الفسوق وكان الوليد غاليا فى الكفر شديد الشكيمة فى العتو
معنى او ولا تطع احدهما فهلا جئ بالواو ليكون نهيا عن طاعتهما جميعا
لو قيل ولا تطعهما لجاز ان يطيع احدهما واذا قيل لا تطع احدهما علم ان الناهى عن طاعة احدهما عن طاعتهما جميعا انهى كما اذا نهى ان يقول لابويه اف علم انه منهى عن ضربهما على طريق الاولى **واذكر اسم ربك بكرة واصيلا** ودم على صلاة الفجر والعصر **ومن الليل فاسجد له** وبعض الليل فصل له يعنى صلاة المغرب والعشاء وادخل من على الظرف للتبعيض كما دخل على المفعول فى قوله يغفر لكم من ذنوبكم **وسبحه ليلا طويلا** وتهجد له هزيعا طويلا من الليل ثلثيه او نصفه او ثلثه **ان هؤلاء** الكفرة **يحبون العاجلة** يؤثرونها على الآخرة كقوله بل تؤثرون الحياة الدنيا **ويذرون وراءهم** قدامهم او خلف ظهورهم لا يعبأون به **يوما ثقيلا** استعير الثقل لشدته وهوله من الشئ الثقيل الباهظ لحامله ونحوه ثقلت فى السموات والارض **نحن خلقناهم وشددنا اسرهم** الاسر الربط والتوثيق ومنه اسر الرجل اذا اوثق بالقد وهو الاسار وفرس ماسور الخلق وترس ماسور بالعقب والمعنى وشددنا توصيل عظامهم بعضها ببعض وتوثيق مفاصلهم بالاعصاب ومثله قولهم جارية معصوبة الخلق ومجدولته **واذا شئنا اهلكناهم وبدلنا امثالهم** فى شدة الاسر يعنى النشأة الاخرى وقيل معناه بدلنا غيرهم ممن يطيع وحقه ان يجئ بان لا باذا كقوله وان تتولوا يستبدل [قوما] غيركم ان يشأ يذهبكم **تبديلا ان هذه تذكرة** هذه اشارة الى السورة او الى الآيات القريبة **فمن شاء اتخذ الى ربه سبيلا** فمن اختار الخير لنفسه وحسن العاقبة واتخاذ السبيل الى الله عبارة عن التقرب اليه والتوسل بالطاعة **وما تشاؤن** الطاعة **الا ان يشاء الله** بقسرهم عليها **ان الله كان عليما** باحوالهم **حكيما** حيث خلقهم مع علمه بهم وقرئ تشاؤن بالتاء
ما محل ان يشاء الله النصب على الظرف واصله الا وقت مشيئة الله وكذلك قراءة ابن مسعود الا ما يشاء الله لان ما مع الفعل كان معه **يدخل من يشاء فى رحمته** هم المؤمنون

والظالمين بفعل يفسره **اعد لهم عذابا اليما** نحو اوعد وكافأ وما اشبه ذلك وقرأ ابن مسعود وللظالمين على واعد للظالمين وقرأ ابن الزبير والظالمون على الابتداء وغيرها اولى لذهاب الطباق بين الجملة المعطوفة والمعطوف عليها فيها مع مخالفتهما للمصحف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة هل اتى كان جزاؤه على الله جنة وحريرا

سورة المرسلات مكية وهى خمسون آية

بسم الله الرحمن الرحيم والمرسلات عرفا فالعاصفات عصفا والناشرات نشرا فالفارقات فرقا فالملقيات ذكرا اقسم سبحانه بطوائف من الملائكة ارسلهن باوامره فعصفن فى مضيهن كما تعصف الرياح تخففا فى امتثال امره وبطوائف منهم نشرن اجنحتهن فى الجو عند انحطاطهن بالوحى او نشرن الشرائع فى الارض او نشرن النفوس الموتى بالكفر والجهل بما اوحين ففرقن بين الحق والباطل فالقين ذكرا الى الانبياء **عذرا** للمحقين **او نذرا** للمبطلين او اقسم برياح عذاب ارسلهن فعصفن وبرياح رحمة نشرن السحاب فى الجو ففرقن بينه كقوله ويجعله كسفا او بسحائب نشرن الموات ففرقن بين من يشكر الله وبين من يكفر كقوله لاسقيناهم ماء غدقا لنفتنهم فيه فالقين ذكرا اما عذرا للذين يعتذرون الى الله بتوبتهم واستغفارهم اذا راوا نعمة الله فى الغيث ويشكرونها واما انذارا للذين يغفلون الشكر لله وينسبون ذلك الى الانواء وجعلن ملقيات للذكر لكونهن سببا فى حصوله اذا شكرت النعمة فيهن او كفرت
ما معنى عرفا متتابعة كشعر العرف يقال جاؤا عرفا واحدا وهم عليه كعرف الضبع اذا تألبوا عليه ويكون بمعنى العرف الذى هو نقيض النكر وانتصابه على انه مفعول له اى ارسلن للاحسان والمعروف والاول على الحال وقرئ عرفا على التثقيل نحو نكر فى نكر
قد فسرت المرسلات بملائكة العذاب فكيف يكون ارسالهم معروفا ان لم يكن معروفا للكفار فانه معروف للانبياء والمؤمنين الذين انتقم الله لهم منهم
ما العذر والنذر وبم انتصبا هما مصدران من عذر اذا محا الاساءة ومن نذر اذا خوف على فعل كالكفر والشكر ويجوز ان يكون جمع عذير بمعنى المعذرة وجمع نذير بمعنى الانذار او بمعنى العاذر والمنذر واما انتصابهما فعلى البدل من ذكرا على الوجهين الاولين او على المفعول له واما على الوجه الثالث فعلى الحال بمعنى عاذرين او منذرين وقرئا مخففين ومثقلين **انما توعدون لواقع** ان الذى توعدونه من مجئ يوم القيمة

لكائن نازل لا ريب فيه وهو جواب القسم وعن بعضهم ان المعنى ورب المرسلات فاذا النجوم طمست
محيت ومحقت وقيل ذهب بنورها ومحق ذواتها موافق لقوله انتثرت وانكدرت ويجوز
ان يمحق نورها ثم تنتثر ممحوقة النور واذا السماء فرجت فتحت فكانت ابوابا قال
الفارجي باب الامير المبهم واذا الجبال نسفت كالحب اذا نسف بالمنسف ونحوه وبست الجبال
بسا وكانت الجبال كثيبا مهيلا وقيل اخذت بسرعة من اماكنها من انتسفت الشيء اذا اختطفته
وقرئ طمست وفرجت ونسفت مشددة واذا الرسل اقتت قرئ اقتت ووقتت بالتشديد والتخفيف
فيهما والاصل الواو ومعنى توقيت الرسل تبيين وقتها الذي يحضرون فيه للشهادة على اممهم و
التاجيل من الاجل كالتوقيت من الوقت لاي يوم اجلت تعظيم لليوم وتعجيب من هوله
ليوم الفصل وما ادراك ما يوم الفصل بيان ليوم التاجيل وهو اليوم الذي يفصل بين الخلائق فيه
والوجه ان يكون معنى وقتت بلغت ميقاتها الذي كانت تنتظره وهو يوم القيمة واجلت اخرت
كيف وقع النكرة مبتدا في قوله ويل يومئذ للمكذبين هو في الاصل مصدر
منصوب ساد مسد فعله ولكنه عدل به الى الرفع للدلالة على معنى ثبات الهلاك ودوامه للمدعو
عليه ونحوه سلام عليكم ويجوز ويلا بالنصب ولكن لم يقرا به يقال ويلا له وويلا كيلا الم نهلك
الاولين قرا قتادة نهلك بفتح النون من هلكه بمعنى اهلكه قال العجاج ومهمه هالك من تعرجا
ثم نتبعهم الآخرين بالرفع على الاستيناف وهو وعيد لاهل مكة يريد ثم نفعل بامثالهم من الآخرين
مثل ما فعلنا بالاولين ونسلك بهم سبيلهم لانهم كذبوا مثل تكذيبهم ويقويها قراءة ابن مسعود ثم
سنتبعهم وقرئ بالجزم للعطف على نهلك ومعناه انه اهلك الاولين من قوم نوح وعاد وثمود ثم اتبعهم
الآخرين من قوم شعيب ولوط وموسى كذلك مثل ذلك الفعل الشنيع نفعل بالمجرمين بكل من اجرم انذارا
وتحذيرا من عاقبة الجرم وسوء اثره ويل يومئذ للمكذبين الم نخلقكم من ماء مهين فجعلناه في قرار مكين الى
قدر معلوم الى مقدار من الوقت معلوم قد علمه الله وحكم به وهو تسعة الاشهر او ما دونها
او ما فوقها فقدرنا فقدرنا ذلك تقديرا فنعم القادرون ويل يومئذ للمكذبين فنعم المقدرون
له نحن او فقدرنا على ذلك فنعم القادرون عليه نحن والاول اولى لقراءة من قرا فقدرنا بالتشديد
ولقوله من نطفة خلقه فقدره الم نجعل الارض كفاتا الكفات من كفت الشيء اذا ضمه
وجمعه وهو اسم ما يكفت كقولهم الضمام والجماع لما يضم ويجمع يقال هذا الباب جماع الابواب
وبه انتصب احياء وامواتا كانه قيل كافتة احياء وامواتا او بفعل مضمر يدل عليه وهو تكفت

والمعنى تكفت احياء على ظهرها وامواتا في بطنها وقد استدل بعض اصحاب الشافعي على
قطع النباش بان الله جعل الارض كفاتا للاموات فكان بطنها حرزا لهم فالنباش سارق
من الحرز لم قيل احياء وامواتا على التنكير وهي كفات الاحياء والاموات جميعا
هو من تنكير التفخيم كانه قيل تكفت احياء لا يعدون وامواتا لا يحصرون على ان
احياء الانس وامواتهم ليسوا بجميع الاحياء والاموات ويجوز ان يكون المعنى تكفتكم احياء وامواتا
فينتصبا على الحال من الضمير لانه قد علم انها كفات الانس وجعلنا فيها رواسي شامخات واسقيناكم
فالتنكير في رواسي شامخات وماء فراتا يحتمل افادة التبعيض لان
في السماء جبالا قال الله تعالى من جبال فيها من برد وفيها ماء فرات ايضا بل هي معدنه ومصبه
وان يكون للتفخيم ويل يومئذ للمكذبين انطلقوا الى ما كنتم به تكذبون انطلقوا الى ما كذبتم به
من العذاب وانطلقوا الثاني تكرير وقرئ انطلقوا على لفظ الماضي اخبارا بعد الامر عن عملهم
بموجبه لانهم مضطرون اليه لا يستطيعون امتناعا منه الى ظل يعني دخان جهنم كقوله وظل
من يحموم ذي ثلث شعب يتشعب لعظمه ثلث شعب وهكذا الدخان العظيم تراه يتفرق
ذوائب وقيل يخرج لسان من النار فيحيط بالكفار كالسرادق ويتشعب من دخانها ثلث
شعب فيظلهم حتى يفرغ من حسابهم والمؤمنون في ظل العرش لا ظليل تهكم بهم وتعريض بان
ظلهم غير ظل المؤمنين ولا يغني في محل الجر اي وغير مغن عنهم من حر اللهب انها ترمي بشرر
وقرئ بشرار كالقصر كانه جمالات صفر ويل يومئذ للمكذبين اي كل شررة كالقصر من القصور في
عظمها وقيل هو الغليظ من الشجر الواحدة قصرة نحو جمرة وجمر وقرئ كالقصر بفتحتين وهي
اعناق الابل او اعناق النخل نحو شجرة وشجر وقرا ابن مسعود كالقصر بمعنى القصور كرهن و
رهن وقرا سعيد بن جبير كالقصر في جمع قصرة كحاجة وحوج جمالات جمع جمال او جمالة جمع
جمل شبهت بالقصور ثم بالجمال لبيان التشبيه الا تراهم يشبهون الابل بالافدان والمجادل
وقرئ جمالات بالضم وهي قلوس الجسور وقيل قلوس سفن البحر الواحد جمالة وقرئ جمالة
بالكسر بمعنى جمال وجمالة بالضم وهي القلس وقيل صفر لارادة الجنس وقيل صفر سود تضرب
الى الصفرة وفي شعر عمران بن حطان الخارجي دعتهم باعلى صوتها ورمتهم
بمثل الجمال الصفر نزاعة الشوى وقال ابو العلاء حمراء ساطعة الذوائب في الدجى
ترمي بكل شرارة كطراف فشبهها بالطراف وهو بيت الادم في العظم والحمرة وكانه قصد

بحثه أن يزيد على تشبيه القرآن ولتبجحه بما سول له من توهم الزيادة جاء في صدر البيت بقوله
حمراء توطئة لها ومناداة عليها وتنبيها للسامعين على مكانها ولقد عمي جمع الله له عمى الدارين
عن قوله عز وعلا كأنه جمالات صفر فإنه بمنزلة قوله كبيت أحمر وعلى أن في التشبيه بالقصر وهو
الحصن تشبيها من جهتين من جهة العظم ومن جهة الطول في الهواء وفي التشبيه بالجمالات وهي
القلوص تشبيه من ثلاث جهات من جهة العظم والطول والصفرة فأبعد الله إغرابه في طرافه و
ما نفخ شدقيه من استطرافه قرئ بنصب اليوم ونصبه الأعمش أي هذا الذي قص عليكم واقع
يومئذ ويوم القيامة طويل ذو مواطن ومواقيت ينطقون في وقت ولا ينطقون في وقت ولذلك
ورد الأمران في القرآن أو جعل نطقهم كلا نطق لأنه لا ينفع ولا يسمع ولا يؤذن لهم فيعتذرون
عطف على يؤذن منخرط في سلك النفي والمعنى ولا يكون لهم إذن واعتذار متعقب له من غير أن
يجعل الاعتذار مسببا عن الإذن ولو نصب لكان مسببا عنه لا محالة ويل يومئذ للمكذبين هذا
يوم الفصل جمعناكم والأولين كلام موضح لقوله هذا يوم الفصل لأنه إذا كان يوم الفصل بين السعداء
والأشقياء وبين الأنبياء وأممهم فلا بد من جمع الأولين والآخرين حتى يقع ذلك الفصل بينهم فإن
كان لكم كيد فكيدون ويل يومئذ للمكذبين تقريع لهم على كيدهم لدين الله وذويه وتسجيل عليهم
بالعجز والاستكانة إن المتقين في ظلال وعيون وفواكه مما يشتهون كلوا واشربوا هنيئا بما كنتم
تعملون إنا كذلك نجزي المحسنين ويل يومئذ للمكذبين كلوا واشربوا في موضع الحال من ضمير المتقين
في الظرف الذي هو في ظلال أي هم مستقرون في ظلال مقولا لهم ذلك وكلوا وتمتعوا حال من المكذبين
أي الويل ثابت لهم في حال ما يقال لهم كلوا وتمتعوا قليلا إنكم مجرمون ويل يومئذ للمكذبين
كيف يصح أن يقال لهم ذلك في الآخرة يقال لهم ذلك في الآخرة إيذانا بأنهم
كانوا في الدنيا أحقاء بأن يقال لهم وكانوا من أهله تذكيرا بحالهم السمجة وبما جنوا
على أنفسهم من إيثار المتاع القليل على النعيم والملك الخالد وفي طريقته قوله
إخوتي لا تبعدوا أبدا وبلى والله قد بعدوا يريد كنتم أحقاء في حياتكم بأن يدعى لكم بذلك
وعلل ذلك بكونهم مجرمين دلالة على أن كل مجرم ماله إلا الأكل والتمتع أياما قلائل ثم البقاء
في الهلاك أبدا ويجوز أن يكون كلوا وتمتعوا كلاما مستأنفا خطابا للمكذبين في الدنيا وإذا قيل
لهم اركعوا لا يركعون ويل يومئذ للمكذبين فبأي حديث بعده يؤمنون اركعوا اخشعوا لله وتواضعوا له
بقبول وحيه واتباع دينه واطرحوا هذا الاستكبار والنخوة لا يخشعون ولا يقبلون ذلك ويصرون

على استكبارهم وقيل ما كان على العرب أشد من الركوع والسجود وقيل نزلت في ثقيف حين أمرهم
رسول الله صلى الله عليه وسلم بالصلاة فقالوا لا نجبي فإنها مسبة علينا فقال صلى الله عليه وسلم
لا خير في دين ليس فيه ركوع ولا سجود بعده بعد القرآن يعني أن القرآن من بين الكتب المنزلة آية
مبصرة ومعجزة باهرة فحين لم يؤمنوا به فبأي كتاب بعده يؤمنون وقرئ تؤمنون عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة والمرسلات كتب له أنه ليس من المشركين

سورة عم يتساءلون مكية وتسمى سورة النبأ وهي أربعون أو إحدى وأربعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم عم أصله عما على أنه حرف جر دخل على ما الاستفهامية وهو في
قراءة عكرمة وعيسى بن عمر قال حسان على ما قام يشتمني لئيم كخنزير تمرغ في رماد
والاستعمال الكثير على الحذف والأصل قليل ومعنى هذا الاستفهام تفخيم الشأن كأنه قال عن أي
شأن يتساءلون ونحوه ما في قولك زيد ما زيد جعلته لانقطاع قرينه وعدم نظيره كأنه شيء خفي عليك
جنسه فأنت تسأل عن جنسه وتفحص عن جوهره كما تقول ما الغول وما العنقاء تريد أي شيء
هو من الأشياء هذا أصله ثم جرد للعبارة عن التفخيم حتى وقع في كلام من لا تخفى عليه خافية
يتساءلون يسأل بعضهم بعضا أو يتساءلون غيرهم من رسول الله والمؤمنين نحو يتداعونهم ويتراءونهم
والضمير لأهل مكة كانوا يتساءلون فيما بينهم عن البعث ويتساءلون غيرهم عنه على طريق الاستهزاء
عن النبإ العظيم الذي بيان للشأن المفخم وعن ابن كثير أنه قرأ عمه بهاء السكت ولا يخلو إما أن
يجري الوصل مجرى الوقف وإما أن يقف ويبتدئ يتساءلون عن النبإ العظيم على أن يضمر
يتساءلون لأن ما بعده يفسره كشيء يبهم ثم يفسر قد زعمت أن الضمير في يتساءلون
للكفار فما تصنع بقوله هم فيه مختلفون كان فيهم من يقطع القول بإنكار البعث ومنهم
من يشك وقيل الضمير للمسلمين والكافرين جميعا وكانوا جميعا يسألون عنه أما المسلم فليزداد
خشية واستعدادا وأما الكافر فليزداد استهزاء وقيل المتساءل عنه القرآن وقيل نبوة محمد
صلى الله عليه وسلم وقرئ يساءلون بالإدغام وستعلمون بالتاء كلا ردع للمتسائلين هزؤا و
سيعلمون ثم كلا سيعلمون وعيد لهم بأنهم سوف يعلمون أن ما يتساءلون عنه ويضحكون منه حق
لأنه واقع لا ريب فيه وتكرير الردع مع الوعيد تشديد في ذلك ومعنى ثم الإشعار بأن الوعيد
الثاني أبلغ من الأول وأشد كيف اتصل به قوله ألم نجعل الأرض مهادا والجبال أوتادا
وخلقناكم أزواجا لما أنكروا البعث قيل لهم ألم يخلق من يضاف إليه البعث هذه الخلائق

العجيبة الدالة على كمال القدرة فما وجه انكار قدرته على البعث وما هو الا اختراع كهذه الاختراعات
او قيل لهم الم يفعل هذه الافعال المتكاثرة والحكيم لا يفعل فعلا عبثا وما ينكرونه من البعث
والجزاء مؤد الى انه عابث في كل ما فعل مهادا فراشا وقرئ مهدا ومعناه انها لهم كالمهد للصبي
وهو ما يمهد له فينوم عليه تسمية للممهود بالمصدر كضرب الامير او وصف بالمصدر او بمعنى
ذات مهد اي ارسيناها بالجبال كما يرسى البيت بالاوتاد وجعلنا نومكم سباتا موتا والمسبوت الميت
من السبت وهو القطع لانه مقطوع عن الحركة والنوم احد التوفيين وهو على بناء الادواء ولما جعل
النوم موتا جعل اليقظة معاشا اي حياة في قوله وجعلنا النهار معاشا اي وقت معاش تستيقظون
فيه وتتقلبون في حوائجكم ومكاسبكم وقيل السبات الراحة لباسا يستركم عن العيون اذا اردتم
هربا من عدو او بياتا له او اخفاء ما لا تحبون الاطلاع عليه من كثير من الامور قال
وكم لظلام الليل عندك من يد تخبر ان المانوية تكذب وبنينا فوقكم سبعا سبع سموات شدادا
جمع شديدة يعني محكمة قوية الخلق لا يؤثر فيها مرور الزمان وجعلنا سراجا وهاجا متلألئا
وقادا يعني الشمس وتوهجت النار اذا تلمظت فتوهجت بضوئها وحرها وانزلنا من المعصرات
السحائب اذا اعصرت اي شارفت ان تعصرها الرياح فتمطر كقولك اجز الزرع اذا حان له ان يجز
ومنه اعصرت الجارية اذا دنت ان تحيض وقرأ عكرمة بالمعصرات وفيه وجهان ان تراد الرياح التي حان
لها ان تعصر السحاب وان تراد السحاب لانه اذا كان الانزال منها فهو بها كما تقول اعطى من يده
درهما واعطى بيده وعن مجاهد المعصرات الرياح ذوات الاعاصير وعن الحسن وقتادة هي السموات
وتأويله ان الماء ينزل من السماء الى السحاب فكان السموات يعصرن اي يحملن على العصر و
يمكن منه فما وجه من قرأ من المعصرات وفسرها بالرياح ذوات الاعاصير والمطر لا ينزل
من الرياح الرياح هي التي تنشئ السحاب وتدر اخلافه فيصح ان تجعل مبدأ للانزال و
وقد جاء ان الله تعالى يبعث الرياح فتحمل الماء من السماء الى السحاب فان صح ذلك فالانزال
منها ظاهر ذكر ابن كيسان انه جعل المعصرات بمعنى المغيثات والعاصر هو المغيث لا
المعصر يقال عصره فاعتصر وجهه ان يريد اللاتي اعصرن اي حان لها ان تعصر
اي تغيث ماء ثجاجا منصبا بكثرة يقال ثجه وثج بنفسه وفي الحديث افضل الحج العج والثج اي
رفع الصوت بالتلبية وصب دماء الهدي وكان ابن عباس مثجا يسيل غربا يعني يثج الكلام
ثجا في خطبته وقرأ الاعرج ثجاحا ومثاجح الماء مصابه والماء ينثجح في الوادي لنخرج به حبا

نباتا يريد ما يتقوت من نحو الحنطة والشعير وما يعتلف من التبن والحشيش كما قال كلوا وارعوا
انعامكم والحب ذو العصف والريحان وجنات الفافا ملتفة ولا واحد له كالاوزاع والاخياف
وقيل الواحد لف وقال صاحب الاقليد انشدني الحسن بن علي الطوسي
جنة لف وعيش مغدق وندامى كلهم بيض زهر وزعم ابن قتيبة انه لفاء ولف ثم الفاف
وما اظنه واجدا له نظيرا من نحو خضر واخضار وحمر واحمار ولو قيل هو جمع ملتفة بتقدير حذف
الزوائد لكان وجيها ان يوم الفصل كان ميقاتا كان في تقدير الله وحكمه حدا يؤقت به الدنيا وتنتهي
عنده او حدا للخلائق ينتهون اليه يوم ينفخ في الصور بدل من يوم الفصل او عطف بيان فتاتون افواجا
من القبور الى الموقف امما كل امة مع امامهم وقيل جماعات مختلفة وعن معاذ انه سال عنه رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقال يا معاذ سالت عن امر عظيم من الامور ثم ارسل عينيه وقال تحشر
عشرة اصناف من امتي بعضهم على صورة القردة وبعضهم على صورة الخنازير وبعضهم منكسون
ارجلهم فوق وجوههم يسحبون عليها وبعضهم عميا وبعضهم صما بكما وبعضهم يمضغون السنتهم فهي
مدلاة على صدورهم يسيل القيح من افواههم يتقذرهم اهل الجمع وبعضهم مقطعة ايديهم و
ارجلهم وبعضهم مصلبون على جذوع من نار وبعضهم اشد نتنا من الجيف وبعضهم ملبسون جبابا
سابغة من قطران لازقة بجلودهم فاما الذين على صورة القردة فالقتات من الناس واما الذين
على صورة الخنازير فاهل السحت واما المنكسون على وجوههم فاكلة الربا واما العمي فالذين يجورون
في الحكم واما الصم والبكم فالمعجبون باعمالهم واما الذين يمضغون السنتهم فالعلماء والقصاص
الذين خالف اقوالهم اعمالهم واما الذين قطعت ايديهم وارجلهم فهم الذين يؤذون الجيران واما المصلبون
على جذوع من نار فالسعاة بالناس الى السلطان واما الذين هم اشد نتنا من الجيف فالذين
يتبعون الشهوات واللذات ومنعوا حق الله في اموالهم واما الذين يلبسون الجباب فاهل الكبر و
الفخر والخيلاء وفتحت السماء فكانت ابوابا وسيرت الجبال قرئ وفتحت بالتشديد والتخفيف والمعنى
كثرت ابوابها المفتحة لنزول الملائكة كانها ليست الا ابوابا مفتحة كقوله وفجرنا الارض عيونا
كان كلها عيون تتفجر وقيل الابواب الطرق والمسالك اي تكشط فينفتح مكانها وتصير طرقا لا
يسدها شيء فكانت سرابا كقوله فكانت هباء منبثا يعني انها تصير شيئا كلا شيء لتفرق
اجزائها وانبثاث جواهرها ان جهنم كانت مرصادا للطاغين مابا المرصاد الحد الذي يكون فيه الرصد
والمعنى ان جهنم هي حد الطاغين الذين يرصدون فيه للعذاب وهي مابهم او هي مرصاد لاهل الجنة

يرصدهم الملائكة الذين يستقبلونهم عندها لأن مجازهم عليها وهي مآب للطاغين وعن الحسن و
قتادة نحوه قالا طريقا وممرا لأهل الجنة وقرأ ابن يعمر أن جهنم بفتح الهمزة على تعليل قيام الساعة بأن
جهنم كانت مرصادا للطاغين كأنه قيل كان ذلك لإقامة الجزاء قرئ لابثين ولبثين واللبث أقوى
لأن اللابث من وجد منه اللبث ولا يقال لبث إلا لمن شأنه اللبث كالذي يجثم بالمكان لا يكاد ينفك منه
فيها أحقابا حقبا بعد حقب كلما مضى حقب تبعه آخر الى غير نهاية ولا يكاد يستعمل الحقب والحقبة
إلا حيث يراد تتابع الأزمنة وتواليها والاشتقاق يشهد لذلك ألا ترى الى حقيبة الراكب و
الحقب الذي وراء التصدير وقيل الحقب ثمانون سنة ويجوز أن يراد لابثين فيها أحقابا غير ذائقين
بردا ولا شرابا إلا حميما وغساقا ثم يبدلون بعد الأحقاب غير الحميم والغساق من جنس آخر من
العذاب وفيه وجه آخر وهو أن يكون من حقب عامنا إذا قل مطره وخيره وحقب فلان إذا
أخطأه الرزق فهو حقب وجمعه أحقاب فينتصب حالا عنهم يعني لابثين فيها حقبين جحدين
وقوله لا يذوقون فيها بردا ولا شرابا إلا حميما تفسير له والاستثناء منقطع يعني لا يذوقون فيها بردا
وروحا ينفس عنهم حر النار ولا شرابا يسكن عطشهم ولكن يذوقون فيها حميما وغساقا وقيل
البرد النوم وأنشد فلو شئت حرمت النساء سواكم وإن شئت لم أطعم نقاخا ولا بردا و
عن بعض العرب منع البرد البرد قرئ وغساقا بالتخفيف والتشديد وهو ما يغسق أي يسيل من صديدهم
جزاء وفاقا وصف بالمصدر أو ذا وفاق وقرأ أبو حيوة وفاقا فعال من وفقه كذا إنهم كانوا
لا يرجون حسابا وكذبوا بآياتنا كذابا تكذيبا وفعال في باب فعل كله فاش في كلام فصحاء من العرب
لا يقولون غيره وسمعني بعضهم أفسر آية فقال لقد فسرتها فسارا ما سمع بمثله وقرئ بالتخفيف
وهو مصدر كذب بدليل قوله فصدقتها وكذبتها والمرء ينفعه كذابه وهو مثل قوله أنبتكم
من الأرض نباتا يعني وكذبوا بآياتنا فكذبوا كذابا أو تنصبه بكذبوا لأنه يتضمن معنى كذبوا
لأن كل مكذب بالحق كاذب وإن جعلته بمعنى المكاذبة فمعناه وكذبوا بآياتنا فكاذبوا مكاذبة
أو كذبوا بها مكاذبين لأنهم إذا كانوا عند المسلمين كاذبين وكان المسلمون عندهم كاذبين فبينهم
مكاذبة أو لأنهم يتكلمون بما هو إفراط في الكذب فعل من يغالب في أمر فيبلغ فيه أقصى جهده وقرئ
كذابا وهو جمع كاذب أي كذبوا بآياتنا كاذبين وقد يكون الكذاب بمعنى الواحد البليغ في الكذب
يقال رجل كذاب كقولك حسان وبخال فيجعل صفة لمصدر كذبوا أي تكذيبا كذابا مفرطا كذبه
وقرأ أبو السمال وكل شيء أحصيناه بالرفع على الابتداء كتابا مصدر في موضع إحصاء أو أحصينا

في معنى كتبنا لالتقاء الإحصاء والكتبة في معنى الضبط والتحصيل أو يكون حالا في معنى مكتوبا
في اللوح وفي صحف الحفظة والمعنى إحصاء معاصيهم كقوله أحصاه الله ونسوه وهو اعتراض وقوله
فذوقوا فلن نزيدكم إلا عذابا إن للمتقين مسبب عن كفرهم بالحساب وتكذيبهم بالآيات وهي آية في
غاية الشدة وناهيك بلن نزيدكم وبدلالته على أن ترك الزيادة كالمحال الذي لا يدخل تحت الصحة
وبمجيئها على طريقة الالتفات شاهدا على أن الغضب قد تبالغ وعن النبي صلى الله عليه وسلم
هذه الآية أشد ما في القرآن على أهل النار مفازا حدائق وأعنابا وكواعب أترابا وكأسا دهاقا لا
يسمعون فيها لغوا فوزا وظفرا بالبغية أو موضع فوز وقيل نجاة مما فيه أولئك أو موضع نجاة و
فسر المفاز بما بعده الحدائق البساتين فيها أنواع الشجر المثمر والأعناب الكروم والكواعب اللاتي
فلكت ثديهن وهن النواهد والأتراب اللدات والدهاق المترعة وأدهق الحوض ملأه
حتى قال قطني وقرئ ولا كذابا بالتشديد والتخفيف أي لا يكذب بعضهم بعضا ولا يكذبه أو
لا يكاذبه وعن علي رضي الله عنه أنه قرأ بتخفيفهما بتين جزاء من ربك مصدر مؤكد منصوب بمعنى
قوله إن للمتقين مفازا كأنه قال جازى المتقين بمفاز وعطاء نصب بجزاء نصب المفعول به
أي جزاهم عطاء وحسابا صفة بمعنى كافيا من أحسبه الشيء إذا كفاه حتى قال حسبي وقيل
على حسب أعمالهم وقرأ ابن قطيب حسابا بالتشديد على أن الحساب بمعنى المحسب كالدراك بمعنى
المدرك رب السموات والأرض وما بينهما الرحمن بالرفع على هو رب السموات الرحمن أو رب السموات
مبتدأ والرحمن صفة ولا يملكون منه خطابا خبر أو هما خبران وبالجر على البدل من ربك وبجر
الأول ورفع الثاني على أنه مبتدأ خبره لا يملكون أو هو الرحمن لا يملكون والضمير في لا يملكون لأهل
السموات والأرض أي ليس في أيديهم مما يخاطب به الله ويأمر به في أمر الثواب والعقاب خطاب واحد
يتصرفون فيه تصرف الملاك فيزيدون فيه أو ينقصون منه أو لا يملكون أن يخاطبوه بشيء
من نقص العذاب أو زيادة في الثواب إلا أن يهب لهم ذلك ويأذن لهم فيه يوم يقوم الروح والملائكة
صفا لا يتكلمون إلا من أذن له الرحمن وقال صوابا ذلك اليوم الحق فمن شاء اتخذ الى ربه مآبا
متعلق بلا يملكون أو بلا يتكلمون والمعنى أن الذين هم أفضل الخلائق وأشرفهم وأكثرهم طاعة
وأقربهم منه وهم الروح والملائكة لا يملكون التكلم بين يديه فما ظنك بمن عداهم من أهل السموات
والأرض والروح أعظم خلقا من الملائكة وأشرف منهم وأقرب من رب العالمين وقيل هو ملك
عظيم ما خلق الله بعد العرش خلقا أعظم منه وقيل ليسوا بالملائكة وهم يأكلون وقيل جبريل

فهما شريطتان ان يكون المتكلم منهم ماذونا له فى الكلام وان يتكلم بالصواب فلا يشفع لغير مرتضى
لقوله ولا يشفعون الا لمن ارتضى المرء هو الكافر لقوله انا انذرناكم عذابا قريبا والكافر ظاهر وضع
موضع الضمير لزيادة الذم يوم ينظر المرء ما قدمت يداه من الشر كقوله وذوقوا عذاب
الحريق ذلك بما قدمت ايديكم ونذيقه يوم القيمة عذاب الحريق ذلك بما قدمت يداك اى بما
قدمت ايديهم والله عليم بالظالمين وما يجوز ان تكون استفهامية منصوبة بقدمت اى ينظر
اى شىء قدمت يداه وموصولة منصوبة بينظر يقال نظرته بمعنى نظرت اليه والراجع من
الصلة محذوف وقيل المرء عام وخصص منه الكافر وعن قتادة هو المؤمن ويقول الكافر
يا ليتنى كنت ترابا فى الدنيا فلم اخلق ولم اكلف او ليتنى كنت ترابا فى هذا اليوم فلم ابعث وقيل
يحشر الله الحيوان غير المكلف حتى يقتص للجماء من القرناء ثم يرده ترابا فيود الكافر حاله وقيل
الكافر ابليس يرى آدم وولده وثوابهم فيتمنى ان يكون الشىء الذى احتقره حين قال خلقتنى
من نار وخلقته من طين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة عم يتساءلون سقاه الله
برد الشراب يوم القيمة

سورة النازعات مكية وهى خمس او ست واربعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم والنازعات اقسم الله سبحانه بطوايف الملائكة التى
تنزع الارواح من الاجساد وبالطوايف التى تنشطها اى تخرجها من نشط الدلو من البير اذا
اخرجها وبالطوايف التى تسبح فى مضيها اى تسرع فتسبق الى ما امروا به فتدبر امرا من امور العباد
مما يصلحهم فى دينهم او دنياهم كما رسم لهم غرقا والناشطات نشطا فالسابحات سبحا فالسابقات سبقا
فالمدبرات امرا اغراقا فى النزع اى تنزعها من اقاصى الاجساد من اناملها واظفارها او اقسم
بخيل الغزاة التى تنزع فى اعنتها نزعا تغرق فيه الاعنة لطول اعناقها لانها عراب والتى تخرج
من دار الاسلام الى دار الحرب من قولك ثور ناشط اذا خرج من بلد الى بلد والتى تسبح فى جريها
فتسبق الى الغاية فتدبر امر الغلبة والظفر واسناد التدبير اليها لانها من اسبابه او اقسم بالنجوم
التى تنزع من المشرق الى المغرب واغراقها فى النزع ان تقطع الفلك كله حتى تنحط من اقصى الغرب
والتى تخرج من برج الى برج والتى تسبح فى الفلك من السيارة فتسبق فتدبر امرا من
علم الحساب وقيل النازعات ايدى الغزاة او انفسهم تنزع القسى باغراق السهام والتى تنشط
الاوهاق والمقسم عليه محذوف وهو لتبعثن لدلالة ما بعده عليه من ذكر القيامة يوم ترجف

منصوب بهذا المضمر الراجفة الواقعة التى ترجف عندها الارض والجبال وهى النفخة الاولى
وصفت بما يحدث بحدوثها تتبعها الرادفة اى الواقعة التى تردف الاولى وهى النفخة الثانية
ويجوز ان يكون الرادفة من قوله عسى ان يكون ردف لكم بعض الذى تستعجلون اى القيمة التى يستعجلها
الكفرة استبعادا لها وهى رادفة لهم لاقترابها وقيل الراجفة الارض والجبال من قوله
يوم ترجف الارض والجبال والرادفة السماء والكواكب لانها تنشق وتنتثر كواكبها على اثر ذلك
ما محل تتبعها الحال اى ترجف تابعتها الرادفة كيف جعلت
يوم ترجف ظرفا للمضمر الذى هو لتبعثن ولا يبعثون عند النفخة الاولى المعنى لتبعثن
فى الوقت الواسع الذى يقع فيه النفختان وهم يبعثون فى بعض ذلك الوقت الواسع وهو النفخة الاخرى
ودل على ذلك ان قوله تتبعها الرادفة جعل حالا عن الراجفة ويجوز ان ينتصب يوم ترجف بما دل
عليه قلوب يومئذ واجفة اى يوم ترجف وجفت القلوب واجفة شديدة الاضطراب والوجيب والوجيف اخوان
ابصارها خاشعة يقولون ائنا لمردودون خاشعة ذليلة كيف جاز الابتداء بالنكرة
ما قلوب مرفوعة بالابتداء وواجفة صفتها وابصارها خاشعة خبرها فهو كقوله
ولعبد مؤمن خير من مشرك كيف صح اضافة الابصار الى القلوب
معناه ابصار اصحابها بدليل قوله يقولون فى الحافرة فى الحالة الاولى يعنون الحيوة بعد الموت
ما حقيقة هذه الكلمة يقال رجع فلان فى حافرته اى فى طريقته التى جاء فيها
فحفرها اى اثر فيها بمشيه فيها جعل اثر قدميه حفرا كما قيل حفرت اسنانه حفرا اذا اثر
الاكال فى اسناخها والخط المحفور فى الصخر وقيل حافرة كما قيل عيشة راضية اى منسوبة الى
الحفر والرضى او كقولهم نهار صائم ثم قيل لمن كان فى امر فخرج منه ثم عاد اليه رجع الى حافرته
اى الى طريقته وحالته الاولى قال احافرة على صلع وشيب معاذ الله من سفه وعار
يريد ارجوعا الى حافرة وقيل النقد عند الحافرة يريدون عند الحالة الاولى وهى الصفقة
وقرا ابو حيوة فى الحفرة والحفرة بمعنى المحفورة يقال حفرت اسنانه فحفرت حفرا وهى
حفرة وهذه القراءة دليل على ان الحافرة فى اصل الكلمة بمعنى المحفورة ءاذا كنا عظاما نخرة
قالوا تلك اذا يقال نخر العظم فهو نخر وناخر كقولك طمع فهو طمع وطامع وفعل ابلغ من
فاعل وقد قرئ بهما وهو البالى الاجوف الذى تمر فيه الريح فيسمع له نخير واذا منصوب
بمحذوف تقديره اذا كنا عظاما نرد ونبعث كرة خاسرة منسوبة الى الخسران او خاسر

أصحابها والمعنى أنها إن صحت فنحن إذن خاسرون لتكذيبنا بها وهذا استهزاء منهم
بم تعلق قوله فإنما هي زجرة واحدة محذوف معناه لا تستصعبوها فإنما هي زجرة واحدة
يعني لا تحسبوا تلك الكرة صعبة على الله عز وجل فإنها سهلة هينة في قدرته ما هي إلا صيحة واحدة
يريد النفخة الثانية فإذا هم بالساهرة أحياء على وجه الأرض بعد ما كانوا أمواتا في جوفها من قولهم
زجر البعير إذا صاح عليه والساهرة الأرض البيضاء المستوية سميت بذلك لأن السراب يجري
فيها من قولهم عين ساهرة جارية الماء وفي ضدها نائمة قال الأشعث بن قيس
وساهرة يضحي السراب مجللا لأقطارها قد جبتها متلثما أو لأن سالكها لا ينام خوف الهلكة وعن
قتادة فإذا هم في جهنم هل أتاك حديث موسى إذ ناداه ربه بالواد المقدس طوى اذهب على إرادة
القول وفي قراءة عبد الله أن اذهب لأن في النداء معنى القول إنه طغى فقل هل لك في كذا وهل
لك إلى كذا كما تقول هل ترغب فيه وهل ترغب إليه إلى أن تزكى إلى أن تتطهر من الشرك وقرأ
أهل المدينة تزكى بالإدغام وأهديك إلى ربك وأرشدك إلى معرفة الله وأنبهك عليه فتعرفه
فتخشى لأن الخشية لا تكون إلا بالمعرفة قال الله تعالى إنما يخشى الله من عباده العلماء أي
العلماء به وذكر الخشية لأنها ملاك الأمر من خشي الله أتى منه كل خير ومن أمن اجترأ على كل
شر ومنه قوله عليه السلام من خاف أدلج ومن أدلج بلغ المنزل فأريه بدأ مخاطبته بالاستفهام
الذي معناه العرض كما يقول الرجل لضيفه هل لك أن تنزل بنا وأردفه الكلام الرفيق ليستدعيه
بالتلطف في القول ويستنزله بالمداراة من عتوه كما أمر بذلك في قوله فقولا له قولا لينا
فأراه الآية الكبرى قلب العصا حية لأنها كانت المقدمة والأصل والأخرى كالتبع لها لأنه
كان يتقيها بيده فقيل له أدخل يدك في جيبك أو أرادهما جميعا إلا أنه جعلهما واحدة لأن الثانية
كأنها من جملة الأولى لكونها تابعة لها فكذب بموسى والآية الكبرى وسماهما ساحرا وسحرا
وعصى الله تعالى بعد ما علم صحة الأمر وأن الطاعة قد وجبت عليه ثم أدبر يسعى أي لما رأى
الثعبان أدبر مرعوبا يسعى يسرع في مشيته قال الحسن كان رجلا طياشا خفيفا أو تولى عن
موسى يسعى ويجتهد في مكايدته وأريد ثم أقبل يسعى كما يقال أقبل فلان يفعل كذا بمعنى
أنشأ يفعل فوضع أدبر موضع أقبل لئلا يوصف بالإقبال فحشر فجمع السحرة كقوله فأرسل
فرعون في المدائن حاشرين فنادى في المقام الذي اجتمعوا فيه معه أو أمر مناديا فنادى في الناس
بذلك وقيل قام فيهم خطيبا فقال تلك العظيمة وعن ابن عباس كلمته الأولى ما علمت لكم من إله غيري

والآخرة فقال أنا ربكم الأعلى نكال مصدر مؤكد كوعد الله وصبغة الله كأنه قيل نكل الله به
فأخذه الله نكال الآخرة والأولى فالنكال بمعنى التنكيل كالسلام بمعنى التسليم يعني الإغراق
في الدنيا والإحراق في الآخرة وعن ابن عباس نكال كلمتيه الآخرة وهي قوله أنا ربكم الأعلى و
الأولى وهي قوله ما علمت لكم من إله غيري وقيل كان بين الكلمتين أربعون سنة وقيل عشرون
الخطاب لمنكري البعث يعني إن في ذلك لعبرة لمن يخشى أأنتم أشد أأنتم أصعب خلقا وإنشاء
أم السماء ثم بين كيف خلقها فقال بناها ثم بين البناء فقال رفع سمكها فقال أي جعل مقدار
ذهابها في سمت العلو مديدا رفيعا مسيرة خمسمائة عام فسواها فعدلها مستوية ملساء ليس
فيها تفاوت ولا فطور أو فتممها بما علم أنها تتم به وأصلحها من قولك سوى فلان أمر فلان
وأغطش ليلها غطش الليل وأغطشه الله كقولك ظلم وأظلم ويقال أيضا أغطش الليل كما يقال
أظلم وأخرج ضحاها وأبرز ضوء شمسها يدل عليه قوله تعالى والشمس وضحاها يريد وضوءها وقولهم
وقت الضحى للوقت الذي تشرق فيه الشمس ويقوم سلطانها وأضيف الليل والشمس إلى السماء
لأن الليل ظلها والشمس هي السراج المثقب في جوها والأرض بعد ذلك دحاها أخرج منها ماءها
عيونها المتفجرة بالماء ومرعاها والجبال أرساها ورعيها وهو في الأصل موضع الرعي ونصب
الأرض والجبال بإضمار دحا وأرسى وهو الإضمار على شريطة التفسير وقرأهما الحسن مرفوعين
على الابتداء فهلا أدخل حرف العطف على أخرج فيه وجهان أحدهما
أن يكون معنى دحاها بسطها ومهدها للسكنى ثم فسر التمهيد بما لا بد منه في تأتي سكناها
من تسوية أمر المأكل والمشرب وإمكان القرار عليها والسكون بإخراج الماء والمرعى وإرساء
الجبال وإثباتها أوتادا لها حتى تستقر ويستقر عليها والثاني أن يكون أخرج حالا بإضمار قد
كقوله أو جاؤكم حصرت صدورهم وأراد بمرعاها ما يأكل الناس والأنعام واستعير
الرعي للإنسان كما استعير الرتع في قوله نرتع ونلعب وقرئ نرتع من الرعي ولهذا قيل دل
الله سبحانه بذكر الماء والمرعى على عامة ما يرتفق به ويتمتع مما يخرج من الأرض حتى الملح لأنه
من الماء متاعا لكم فعل ذلك تمتيعا لكم ولأنعامكم لأن منفعة ذلك التمهيد واصلة إليهم وإلى
أنعامهم فإذا جاءت الطامة الكبرى الطامة الداهية التي تطم على الدواهي أي تعلو وتغلب و
في أمثالهم جرى الوادي فطم على القري وهي القيامة لطمومها على كل هائلة وقيل هي النفخة الثانية
وقيل الساعة التي يساق فيها أهل الجنة إلى الجنة وأهل النار إلى النار يوم يتذكر الإنسان

بدل من اذا جاءت يعني اذا رأى اعماله مدونة في كتابه تذكرها وكان قد نسيها كقوله احصاه الله و
نسوه وما في ما سعى موصولة او مصدرية وبرزت الجحيم واظهرت وقرا ابو نهيك وبرزت لمن يرى للرائين جميعا اي لكل
احد يعني انها تظهر اظهارا بينا مكشوفا يراها اهل الساهرة كلهم كقولهم قد بين الصبح لذي عينين
يريدون لكل من له بصر وهو مثل في الامر المنكشف الذي لا يخفى على احد وقرا ابن مسعود لمن
رأى وقرا عكرمة لمن ترى والضمير للجحيم كقوله اذا رأتهم من مكان بعيد وقيل لمن ترى يا محمد فاما
من طغى وآثر الحيوة الدنيا فان الجحيم هي المأوى واما من خاف مقام ربه جواب فاذا جاءت الطامة فان
الامر كذلك والمعنى فان الجحيم مأواه كما تقول للرجل غض الطرف تريد طرفك وليس الالف واللام
بدلا من الاضافة ولكن لما علم ان الطاغي هو صاحب المأوى وانه لا يغض الرجل طرف غيره تركت
الاضافة ودخول حرف التعريف في المأوى والطرف للتعريف لانهما معروفان وهي فصل او مبتداء
ونهى النفس الامارة بالسوء عن الهوى فان الجنة هي المأوى يسئلونك عن الساعة المردى وهو اتباع الشهوات
وزجرها عنه وضبطها بالصبر والتوطين على ايثار الخير وقيل الآيتان نزلتا في ابي عزيز بن عمير ومصعب
ابن عمير وقد قتل مصعب اخاه ابا عزيز يوم احد ووقى رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفسه حتى
نفذت المشاقص في جوفه ايان مرسيها متى ارساؤها اي اقامتها ارادوا متى يقيمها الله ويثبتها ويكونها
وقيل ايان منتهاها ومستقرها كما ان مرسى السفينة مستقرها حيث تنتهي اليه فيم انت من ذكراها
في اي شيء انت من ان تذكر وقتها لهم وتعلمهم به يعني ما انت من ذكرها لهم وتبيين وقتها في شيء و
عن عايشة رضي الله عنها لم يزل رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر الساعة ويسال عنها حتى نزلت فهو
على هذا تعجب من كثرة ذكره لها كانه قيل في اي شغل واهتمام انت من ذكرها والسؤال عنها والمعنى
انهم يسالونك عنها فلحرصك على جوابهم لا تزال تذكرها وتسال عنها ثم قال الى ربك منتهاها اي منتهى
علمها لم يؤت علمها احدا من خلقه وقيل فيم انكار لسؤالهم اي فيم هذا السؤال ثم قيل انت من
ذكراها اي ارسالك وانت خاتم الانبياء وآخر الرسل المبعوث في نسم الساعة ذكر من ذكرها و
علامة من علاماتها فكفاهم بذلك دليلا على دنوها ومشارفتها ووجوب الاستعداد لها ولا معنى
لسؤالهم عنها انما انت منذر من يخشاها اي لم تبعث لتعلمهم بوقت الساعة الذي لا فائدة لهم في علمه وانما
بعثت لتنذر من اهوالها من يكون انذارك لطفا له في الخشية منها وقرى منذر بالتنوين وهو
الاصل والاضافة تخفيف وكلاهما يصلح للحال والاستقبال فاذا اريد الماضي فليس الا الاضافة
كقولك هو منذر زيد امس اي كانهم يوم يرونها لم يلبثوا في الدنيا وقيل في القبور الا عشية او ضحيها

كيف صحت اضافة الضحى الى العشية لما بينهما من الملابسة لاجتماعهما في نهار واحد
فهلا قيل الا عشية او ضحى وما فائدة الاضافة الدلالة على ان مدة لبثهم كانها
لم تبلغ يوما كاملا ولكن ساعة منه عشيته او ضحاه فلما ترك اليوم اضافه الى عشيته فهو كقوله لم يلبثوا الا ساعة
من نهار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة النازعات كان ممن حبسه الله في القبر والقيامة
حتى يدخل الجنة قدر صلوة مكتوبة

سورة عبس مكية وهي احدى واربعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم عبس وتولى اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ابن ام مكتوم وام مكتوم
ام ابيه واسمه عبد الله بن شريح بن مالك بن ربيعة الفهري من بني عامر بن لوي وعنده صناديد
قريش عتبة وشيبة ابنا ربيعة وابو جهل بن هشام والعباس بن عبد المطلب وامية بن خلف
والوليد بن المغيرة يدعوهم الى الاسلام رجاء ان يسلم باسلامهم غيرهم فقال يا رسول الله اقرئني
وعلمني مما علمك الله وكرر ذلك وهو لا يعلم تشاغله بالقوم فكره رسول الله صلى الله عليه وسلم
قطعه لكلامه وعبس واعرض عنه فنزلت فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكرمه ويقول اذا
رآه مرحبا بمن عاتبني فيه ربي ويقول له هل لك من حاجة واستخلفه على المدينة مرتين وقال
انس رأيته يوم القادسية وعليه درع وله راية سوداء وقرى عبس بالتشديد للمبالغة ونحوه كلح
في كلح ان جاءه منصوب بتولى او بعبس على اختلاف المذهبين ومعناه عبس لان جاءه الاعمى واعرض
لذلك وقرى ءان جاءه بهمزتين وبالف بينهما وقف على عبس وتولى ثم ابتدى على معنى الان جاءه الاعمى
فعل ذلك انكارا عليه وروى انه ما عبس بعدها في وجه فقير قط ولا تصدى لغني وفي الاخبار
عما فرط منه ثم الاقبال عليه بالخطاب دليل على زيادة الانكار كمن يشكو الى الناس جانيا جنى عليه ثم يقبل على
الجاني اذا حمي في الشكاية مواجها بالتوبيخ والزام الحجة وفي ذكر الاعمى نحو من ذلك كانه يقول قد استحق
عندك العبوس والاعراض لانه اعمى وكان يجب ان يزيده لعماه تعطفا وترؤفا وتقريبا وترحيبا و
لقد تأدب الناس بادب الله في هذا تأدبا حسنا فقد روي عن سفيان الثوري ان الفقراء
كانوا في مجلسه امراء وما يدريك واي شيء يجعلك داريا بحال هذا الاعمى لعله يزكى اي يتطهر بما
يتلقن من الشرائع من بعض اوضار الاثم او يذكر او يتعظ فتنفعه الذكرى ذكراك اي موعظتك
وتكون له لطفا في بعض الطاعات والمعنى انك لا تدري ما هو مترقب منه من تزك او تذكر
ولو دريت لما فرط ذلك منك وقيل الضمير في لعله للكافر يعني انك طمعت في ان يتزكى بالاسلام
او يذكر فيقربه الذكرى الى قبول الحق وما يدريك ان ما طمعت فيه كائن وقرى فتنفعه

بالرفع عطفا على يذكر وبالنصب جوابا للعل كقوله فاطلع الى اله موسى اما من استغنى فانت له تصدى
تتعرض بالاقبال عليه والمصاداة المعارضة وقرئ تصدى بالتشديد بادغام التاء في الصاد وقرأ
ابو جعفر تصدى بضم التاء اي تعرض ومعناه يدعوك داع الى التصدي له من الحرص والتهالك على
اسلامه وليس عليك باس في ان لا يتزكى بالاسلام ان عليك الا البلاغ واما من جاءك يسعى يسرع في
طلب الخير وهو يخشى الله او يخشى الكفار واذاهم في اتيانك وقيل جاء وليس معه قائد فهو يخشى الكبوة
فانت عنه تلهى اي يلهيك شان الصناديد   قوله فانت له تصدى فانت عنه تلهى كان
فيه اختصاصا   نعم ومعناه انكار التصدي والتلهي عليه اي مثلك خصوصا لا ينبغي ان يتصدى
للغني ويتلهى عن الفقير كلا ردع عن المعاتب عليه وعن معاودة مثله انها تذكرة اي موعظة يجب
الاتعاظ بها والعمل بموجبها فمن شاء ذكره اي كان حافظا له غير ناس وذكر الضمير لان التذكرة
في معنى الذكر والوعظ في صحف صفة لتذكرة يعني انها مثبتة في صحف منتسخة من اللوح مكرمة
عند الله مرفوعة في السماء او مرفوعة المقدار مطهرة منزهة عن ايدي الشياطين لا يمسها الا ايدي
ملائكة مطهرين بايدي سفرة كتبة ينتسخون الكتب من اللوح كرام بررة اتقياء وقيل هي صحف الانبياء كقوله
ان هذا لفي الصحف الاولى وقيل السفرة القراء وقيل اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قتل الانسان
دعاء عليه وهي من اشنع دعواتهم لان القتل قصارى شدائد الدنيا وفظائعها ما اكفره تعجب من
افراطه في كفران نعمة الله ولا ترى اسلوبا اغلظ منه ولا اخشن مسا ولا ادل على سخط ولا
ابعد شوطا في المذمة مع تقارب طرفيه ولا اجمع للائمة على قصر متنه ثم اخذ في وصف حاله من
ابتداء حدوثه الى ان انتهى وما هو مغمور فيه من اصول النعم وفروعها وما هو غارز فيه راسه من
الكفران والغمط وقلة الالتفات الى ما يتقلب فيه والى ما يجب عليه من القيام بالشكر من اي شيء خلقه
من اي شيء حقير مهين خلقه ثم بين ذلك الشيء بقوله من نطفة خلقه فقدره فهياه لما يصلح
له ويختص به ونحوه وخلق كل شيء فقدره تقديرا ثم السبيل يسره نصب السبيل باضمار يسر
وفسره بيسره والمعنى ثم سهل سبيله وهو مخرجه من بطن امه او السبيل الذي يختار سلوكه
من طريقي الخير والشر باقداره وتمكينه كقوله انا هديناه السبيل وعن ابن عباس بين له سبيل
الخير والشر ثم اماته فاقبره فجعله ذا قبر يوارى فيه تكرمة له ولم يجعله مطروحا على وجه الارض
جزرا للسباع والطير كسائر الحيوان يقال قبر الميت اذا دفنه واقبره اذا امر ان يقبره و
مكنه منه ومنه قول من قال للحجاج اقبرنا صالحا ثم اذا شاء انشره انشاه النشاة الاخرى

وقرئ نشره كلا ردع للانسان عما هو عليه لما يقض لم يقض بعد مع تطاول الزمان وامتداده من
لدن آدم الى هذه الغاية ما امره الله حتى يخرج عن جميع اوامره يعني ان انسانا لم يخل عن تقصير قط
ولما عدد النعم في نفسه اتبعه ذكر النعم فيما يحتاج اليه فقال فلينظر الانسان الى طعامه الى مطعمه
الذي يعيش به كيف دبرنا امره انا صببنا الماء صبا ثم يعني الغيث قرئ بالكسر على الاستئناف
وبالفتح على البدل من الطعام وقرأ الحسين بن علي رضي الله عنهما اني صببنا بالامالة على معنى فلينظر
الانسان كيف صببنا الماء ثم شققنا الارض شقا فانبتنا فيها حبا وعنبا وقضبا وزيتونا ونخلا و
حدائق غلبا وفاكهة وابا متاعا لكم ولانعامكم شققنا من شق الارض بالنبات ويجوز ان يكون من
شقها بالكراب على البقر واسند الفعل الى نفسه اسناد الفعل الى السبب الحب كل ما حصد من
نحو الحنطة والشعير وغيرهما والقضب الرطبة والمقضاب ارضه سمي بمصدر قضبه اذا قطعه
لانه يقضب مرة بعد مرة وحدائق غلبا يحتمل ان يجعل كل حديقة غلبا فيريد تكاثفها وكثرة
اشجارها وعظمها كما تقول حديقة ضخمة وان يجعل شجرها غلبا اي عظاما غلاظا والاصل في
الوصف بالغلب الرقاب فاستعير قال عمرو بن معد يكرب يمشي بها غلب الرقاب كانهم
بزل كسين من الكحيل جلالا والاب المرعى لانه يؤب اي يؤم وينتجع والاب والام اخوان
قال جذمنا قيس ونجد دارنا ولنا الاب به والمكرع وعن ابي بكر رضي الله عنه انه سئل
عن الاب فقال اي سماء تظلني واي ارض تقلني اذا قلت في كتاب الله ما لا علم لي به وعن عمر رضي
الله عنه انه قرأ هذه الآية فقال كل هذا قد عرفنا فما الاب ثم رفض عصا كانت بيده وقال
هذا لعمر الله التكلف وما عليك يا ابن ام عمر ان لا تدري ما الاب ثم قال اتبعوا ما تبين لكم
من هذا الكتاب وما لا فدعوه   فهذا يشبه النهي عن تتبع معاني القرآن والبحث
عن مشكلاته   لم يذهب الى ذلك ولكن القوم كانت اكبر همتهم عاكفة على العمل وكان التشاغل
بشيء من العلم لا يعمل به تكلفا عندهم فاراد ان الآية مسوقة في الامتنان على الانسان بمطعمه و
استدعاء شكره وقد علم من فحوى الآية ان الاب بعض ما انبته الله للانسان متاعا له او لانعامه
فعليك بما هو اهم من النهوض بالشكر لله على ما تبين لك ولم يشكل مما عدد من نعمه ولا تتشاغل
عنه بطلب معنى الاب ومعرفة النبات الخاص الذي هو اسم له واكتف بالمعرفة الجملية الى ان
يتبين لك في غير هذا الوقت ثم وصى الناس بان يجروا على هذا السنن فيما اشبه ذلك من
مشكلات القرآن فاذا جاءت الصاخة يوم يفر المرء من اخيه وامه وابيه وصاحبته وبنيه لكل امرئ منهم يومئذ

شأن يقال صخ لحديثه مثل أصاخ له فوصفت النفخة بالصاخة مجازا لأن الناس يصخون لها يفر منهم
لاشتغاله بما هو مدفوع إليه ولعلمه بأنهم لا يغنون عنه شيئا وبدأ بالأخ ثم بالأبوين لأنهما أقرب منه ثم
بالصاحبة والبنين لأنهم أقرب وأحب كأنه قيل يفر من أخيه بل من أبويه بل من صاحبته وبنيه وقيل يفر
منهم حذرا من مطالبتهم بالتبعات يقول الأخ لم تواسني بمالك والأبوان قصرت في برنا والصاحبة أطعمتني
الحرام وفعلت وصنعت والبنون لم تعلمنا ولم ترشدنا وقيل أول من يفر من أخيه هابيل ومن أبويه
إبراهيم ومن صاحبته نوح ولوط ومن ابنه نوح يغنيه يكفيه في الاهتمام وقرئ يعنيه أي يهمه وجوه
يومئذ مسفرة ضاحكة مستبشرة ووجوه يومئذ عليها مسفرة مضيئة متهللة من أسفر الصبح إذا أضاء
وعن ابن عباس من قيام الليل لما روي في الحديث من كثر صلاته بالليل حسن وجهه بالنهار وعن الضحاك
من آثار الوضوء وقيل من طول ما اغبرت في سبيل الله غبرة غبار ترهقها قترة أولئك هم الكفرة الفجرة
قترة سواد كالدخان ولا ترى أوحش من اجتماع الغبرة والسواد في الوجه كما ترى من وجوه
الزنوج إذا اغبرت وكأن الله عز وعلا يجمع إلى سواد وجوههم الغبرة كما جمعوا الفجور إلى الكفر عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة عبس وتولى جاء يوم القيامة ووجهه ضاحك مستبشر

سورة التكوير مكية وهي تسع وعشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم إذا الشمس كورت وإذا النجوم في التكوير وجهان أن يكون من كورت
العمامة إذا لففتها أي يلف ضوءها لفا فيذهب انبساطه وانتشاره في الآفاق وهي عبارة عن
إزالتها والذهاب بها لأنها ما دامت باقية كان ضياؤها منبسطا غير ملفوف أو يكون لفها عبارة
عن رفعها وسترها لأن الثوب إذا أريد رفعه لف وطوي ونحوه قوله يوم نطوي السماء وأن يكون
من طعنه فجوره وكوره إذا ألقاه أي تلقى وتطرح عن فلكها كما وصفت النجوم بالانكدار
ارتفاع الشمس على الابتداء أو الفاعلية بل على الفاعلية رافعها فعل
مضمر يفسره كورت لأن إذا يطلب الفعل لما فيه من معنى الشرط انكدرت انقضت قال
أبصر خربان فضاء فانكدر ويروى في الشمس والنجوم أنها تطرح في جهنم ليراها من عبدها كما
قال إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم وإذا الجبال سيرت أي عن وجه الأرض وأبعدت
أو سيرت في الجو تسيير السحاب كقوله وهي تمر مر السحاب وإذا العشار والعشار في جمع عشراء
كالنفاس في جمع نفساء وهي التي أتى على حملها عشرة أشهر ثم هو اسمها إلى أن تضع لتمام السنة
وهي أنفس ما تكون عند أهلها وأعزها عليهم عطلت تركت مسيبة مهملة وقيل عطلها أهلها

بعلوها

تقضي البازي إذا البازي كسر

عن الحلب والصر لاشتغالهم بأنفسهم وقرئ عطلت بالتخفيف وإذا الوحوش حشرت جمعت من
كل ناحية قال قتادة يحشر كل شيء حتى الذباب للقصاص وقيل إذا قضي بينها ردت ترابا
فلا يبقى منها إلا ما فيه سرور لبني آدم وإعجاب بصورته كالطاووس ونحوه وعن ابن عباس حشرها موتها
يقال إذا أجحفت السنة بالناس في أموالهم حشرتهم السنة وقرئ حشرت بالتشديد وإذا البحار
سجرت قرئ بالتخفيف والتشديد من سجر التنور إذا ملأه بالحطب أي ملئت وفجر بعضها إلى
بعض حتى تعود بحرا واحدا وقيل ملئت نيرانا تضطرم لتعذيب أهل النار وعن الحسن يذهب
ماؤها فلا يبقى فيها قطرة وإذا النفوس زوجت قرنت كل نفس بشكلها وقيل قرنت الأرواح
بالأجساد وقيل بكتبها وأعمالها وعن الحسن هو كقوله وكنتم أزواجا ثلاثة وقيل نفوس المؤمنين
بالحور ونفوس الكافرين بالشياطين وإذا الموءودة سئلت بأي ذنب وأد يئد مقلوب آد يؤود إذا أثقل
قال الله تعالى ولا يؤوده حفظهما لأنه إثقال بالتراب كان الرجل إذا ولدت له بنت فأراد أن
يستحييها ألبسها جبة من صوف أو شعر ترعى له الإبل والغنم في البادية وإن أراد قتلها تركها
حتى إذا كانت سداسية فيقول لأمها طيبيها وزينيها حتى أذهب بها إلى أحمائها وقد حفر لها
بئرا في الصحراء فيبلغ بها البئر فيقول لها انظري فيها ثم يدفعها من خلفها ويهيل عليها التراب
حتى يستوي البئر بالأرض وقيل كانت الحامل إذا أقربت حفرت حفرة فتمخضت على رأس الحفرة
فإذا ولدت بنتا رمت بها في الحفرة وإن ولدت ابنا حبسته ما حملهم على وأد
البنات الخوف من لحوق العار بهم من أجلهن أو الخوف من الإملاق كما قال الله تعالى ولا
تقتلوا أولادكم خشية إملاق وكانوا يقولون إن الملائكة بنات الله فألحقوا البنات
به فهو أحق بهن وصعصعة بن ناجية ممن منع الوأد فيه افتخر الفرزدق في قوله
ومنا الذي منع الوائدات فأحيى الوئيد فلم يوأد فما معنى سؤال الموءودة عن ذنبها
الذي قتلت به وهلا سئل الوائد عن موجب قتلها سؤالها وجوابها تبكيت لقاتلها نحو
التبكيت في قوله تعالى أأنت قلت للناس إلى قوله سبحانك ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق وقرئ
سألت أي خاصمت عن نفسها وسألت الله أو قاتلها وإنما قيل قتلت بناء على أن الكلام إخبار
عنها ولو حكي ما خوطبت به حين سئلت لقيل قتلت أو كلامها حين سألت لقيل قتلت وقرأ ابن
عباس قتلت على الحكاية وقرئ قتلت بالتشديد وفيه دليل بين على أن أطفال المشركين
لا يعذبون وعلى أن التعذيب لا يستحق إلا بالذنب وإذا بكت الله الكافر ببراءة الموءودة من الذنب

ذنب

فما اقبح به وهو الذى لا يظلم مثقال ذرة ان يكر عليها بعد هذا التبكيت فيفعل بها ما تنسى عنده فعل المبكت من العذاب الشديد وعن ابن عباس انه سئل عن ذلك فاحتج بهذه الآية واذا الصحف نشرت قرئ بالتخفيف والتشديد يريد صحف الاعمال تطوى صحيفة الانسان عند موته ثم تنشر اذا حوسب عن قتادة صحيفتك يا ابن آدم تطوى على عملك ثم تنشر يوم القيمة فلينظر رجل ما يملى فى صحيفته وعن عمر رضى الله عنه انه كان اذا قرأها قال اليك يساق الامر يا ابن آدم وعن ام سلمة عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال يحشر الناس حفاة عراة فقالت ام سلمة كيف بالنساء فقال شغل الناس يا ام سلمة قالت وما شغلهم قال نشر الصحف فيها مثاقيل الذر ومثاقيل الخردل ويجوز ان يراد نشرت بين اصحابها اى فرقت بينهم وعن مرثد بن وداعة اذا كان يوم القيمة تطايرت الصحف من تحت العرش فتقع صحيفة المؤمن فى يده فى جنة عالية وتقع صحيفة الكافر فى يده فى سموم وحميم اى مكتوب فيها ذلك وهى صحف غير صحف الاعمال واذا السماء كشطت كشفت وازيلت كما يكشط الاهاب عن الذبيحة والغطاء عن الشيء وقرأ ابن مسعود قشطت واعتقاب الكاف والقاف كثير يقال لبكت الثريد ولبقته والكافور والقافور واذا الجحيم سعرت اوقدت ايقادا شديدا وقرئ سعرت بالتشديد للمبالغة قيل سعرها غضب الله وخطايا بنى آدم واذا الجنة ازلفت ادنيت من المتقين كقوله وازلفت الجنة للمتقين غير بعيد قيل هذه اثنتا عشرة خصلة ست منها فى الدنيا وست منها فى الآخرة وعلمت هو عامل النصب فى اذا الشمس كورت وفيما عطف عليه كل نفس تعلم ما احضرت كقوله يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا لا نفس واحدة فما معنى قوله علمت نفس ما احضرت فلا اقسم بالخنس الجوار الكنس والليل اذا عسعس والصبح اذا تنفس هو من عكس كلامهم الذى يقصدون به الافراط فيما يعكس عنه ومنه قوله ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين ومعناه معنى كم وابلغ منه ومنه قول القائل قد اترك القرن مصفرا انامله ويقول لبعض قواد العساكر كم عندك من الفرسان فيقول رب فارس عندى او لا تعدم عندى فارسا وعنده المقانب وقصده بذلك التمادى فى تكثير فرسانه ولكنه اراد اظهار براءته من التزيد وانه ممن يقلل كثير ما عنده فضلا ان يتزيد فجاء بلفظ التقليل ففهم منه معنى الكثرة على الصحة واليقين وعن ابن مسعود ان قارئا قرأ عنده فلما بلغ علمت نفس ما احضرت قال وانقطاع ظهرياه الخنس الرواجع بينا ترى النجم فى آخر البرج اذ كر راجعا الى اوله والجوار السيارة والكنس الغيب من كنس الوحشى اذا دخل كناسه قيل هى الدرارى الخمسة بهرام وزحل وعطارد والزهرة والمشترى تجرى مع الشمس والقمر وترجع حتى تخفى تحت ضوء الشمس فخنوسها رجوعها وكنوسها اختفاؤها تحت ضوء الشمس وقيل هى جميع الكواكب تخنس بالنهار فتغيب عن العيون وتكنس بالليل اى تطلع فى اماكنها كالوحش فى كنسها عسعس الليل وسعسع اذا ادبر قال العجاج حتى اذا الصبح لها تنفسا وانجاب عنها ليلها وعسعسا وقيل عسعس اذا اقبل ظلامه فان قلت ما معنى تنفس الصبح قلت اذا اقبل الصبح اقبل باقباله روح ونسيم فجعل ذلك نفسا له على المجاز وقيل تنفس الصبح انه الضمير للقرآن لقول رسول كريم هو جبريل صلوات الله عليه ذى قوة كقوله شديد القوى ذو مرة لما كانت حال المكانة على حسب حال الممكن قال عند ذى العرش مكين مطاع ليدل على عظم منزلته ومكانته ثم امين اشارة الى الظرف المذكور اعنى عند ذى العرش على انه عند الله مطاع فى ملائكته المقربين يصدرون عن امره ويرجعون الى رأيه وقرئ ثم تعظيما للامانة وبيانا لانها افضل صفاته المعدودة وما صاحبكم يعنى محمدا عليه السلام بمجنون كما تبهته الكفرة وناهيك بهذا دليلا على جلالة مكان جبريل وفضله على الملائكة ومباينة منزلته لمنزلة افضل الانس محمد عليه السلام اذا وازنت بين الذكرين حين قرن بينهما وقايست بين قوله انه لقول رسول كريم ذى قوة عند ذى العرش مكين مطاع ثم امين وبين قوله وما صاحبكم بمجنون ولقد رآه ولقد رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم جبريل بالافق المبين بمطلع الشمس الاعلى وما هو وما محمد على ما يخبر به من الغيب من رؤية جبريل والوحى اليه وغير ذلك بظنين بمتهم من الظنة وهى التهمة وقرئ بضنين من الضن وهو البخل اى لا يبخل بالوحى فيزوى بعضه غير مبلغه او يسأل تعليمه فلا يعلمه وهو فى مصحف عبد الله بالظاء وفى مصحف ابى بالضاد وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ بهما واتقان الفصل بين الضاد والظاء واجب ومعرفة مخرجيهما مما لا بد منه للقارى فان اكثر العجم لا يفرقون بين الحرفين وان فرقوا ففرقا غير صواب وبينهما بون بعيد فان مخرج الضاد من اصل حافة اللسان وما يليها من الاضراس من يمين اللسان او يساره وكان عمر بن الخطاب اضبط يعمل بكلتا يديه وكان يخرج الضاد من جانبى لسانه وهى احد الاحرف الشجرية اخت الجيم والشين واما الظاء فمخرجها من طرف اللسان واصول الثنايا العلى وهى احد الاحرف الذولقية اخت الذال والثاء ولو استوى الحرفان لما ثبتت فى هذه الكلمة قراءتان اثنتان واختلاف بين جبلين من جبال العلم والقراءة ولما اختلف المعنى والاشتقاق والتركيب فان قلت فان وضع المصلى احد الحرفين مكان صاحبه قلت هو كواضع الذال مكان الجيم والثاء مكان الشين لان التفاوت بين الضاد والظاء

كالتفاوت بين احوالهما وما هو وما القرآن بقول شيطان رجيم اى بقول بعض المسترقة للسمع و بوحيهم الى اوليائهم من الكهنة فاين تذهبون ان هو الا ذكر للعالمين استضلال لهم كما يقال لتارك الجادة اعتسافا او ذهابا فى بنيات الطريق اين تذهب مثلت حالهم بحاله فى تركهم الحق وعدولهم عنه الى الباطل لمن شاء منكم ان يستقيم بدل من للعالمين وانما ابدلوا منهم لان الذين شاؤا الاستقامة بالدخول فى الاسلام هم المنتفعون بالذكر فكانه لم يوعظ به غيرهم وان كانوا موعوظين جميعا وما تشاؤن الا ان يشاء الله رب العالمين الاستقامة يا من يشاؤها الا بتوفيق الله ولطفه او وما تشاؤنها انتم يا من لا يشاؤها الا بقسر الله والجائه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة اذا الشمس كورت اعاذه الله ان يفضحه حين تنشر صحيفته ٥

سورة انفطرت مكية وهى تسع عشرة آية

بسم الله الرحمن الرحيم اذا السماء انفطرت واذا الكواكب انتثرت واذا البحار فجرت و اذا القبور بعثرت علمت نفس ما قدمت واخرت يا ايها الانسان ما غرك بربك الكريم الذى خلقك انفطرت انشقت فجرت فتح بعضها الى بعض فاختلط العذب بالمالح وزال البرزخ الذى بينهما وصارت البحار بحرا واحدا وروى ان الارض تنشف الماء بعد امتلاء البحار فتصير مستوية وهو معنى التسجير عند الحسن وقرئ فجرت بالتخفيف وقرأ مجاهد فجرت على البناء للفاعل والتخفيف بمعنى بغت لزوال البرزخ نظرا الى قوله تعالى لا يبغيان لان البغى والفجور اخوان بعثر وبحثر بمعنى وهما مركبان من البعث والبحث مع راء مضمومة اليهما والمعنى بحثت واخرج موتاها و قيل لبراءة المبعثرة لانها بعثرت اسرار المنافقين ما معنى قوله ما غرك بربك الكريم وكيف طابق الوصف بالكريم انكار الاغترار به وانما يغتر بالكريم كما يروى عن على رضى الله عنه انه صاح بغلام له كرات فلم يلبه فنظر فاذا هو بالباب فقال له ما لك لم تجبنى قال لثقتى بحلمك وامنى من عقوبتك فاستحسن جوابه واعتقه وقالوا من كرم الرجل سوء ادب غلمانه معناه ان حق الانسان ان لا يغتر بتكرم الله عليه حيث خلقه حيا لينفعه وبتفضله عليه بذلك حتى يطمع بعد ما مكنه وكلفه فعصى وكفر النعمة المتفضل بها ان يتفضل عليه بالثواب وطرح العقاب اغترارا بالتفضل الاول فانه منكر خارج من حد الحكمة و لهذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما تلاها غره جهله وقال عمر رضى الله عنه غره حمقه وجهله وقال الحسن غره والله شيطانه الخبيث اى زين له المعاصى وقال افعل

ما شئت فربك الكريم الذى تفضل عليك بما تفضل به اولا وهو متفضل عليك آخرا حتى ورطه وقيل للفضيل بن عياض ان اقامك الله يوم القيامة وقال لك ما غرك بربك الكريم ماذا تقول قال اقول غرتنى ستورك المرخاة وهذا على سبيل الاعتراف بالخطاء فى الاغترار بالستر وليس باعتذار كما يظنه الطماع ويظن به قصاص الحشوية ويروون عن ائمتهم انما قال بربك الكريم دون سائر صفاته ليلقن عبده الجواب حتى يقول غرنى كرم الكريم وقرأ سعيد بن جبير ما اغرك اما على التعجب واما على الاستفهام من قولك غر الرجل فهو غار اذا غفل من قولك بينهم العدو وهم غارون واغره غيره جعله غارا فسواك فجعلك سويا سالم الاعضاء فعدلك فصيرك معتدلا متناسب الخلق من غير تفاوت فيه فلم يجعل احدى اليدين اطول ولا احدى العينين اوسع ولا بعض الاعضاء ابيض وبعضها اسود ولا بعض الشعر فاحما وبعضه اشقر او جعلك معتدل الخلق تمشى قائما لا كالبهائم وقرئ فعدلك بالتخفيف وفيه وجهان احدهما ان يكون بمعنى المشدد اى عدل بعض اعضائك ببعض حتى اعتدلت والثانى فعدلك فصرفك يقال عدله عن الطريق يعنى فعدلك عن خلقة غيرك وخلقك خلقة حسنة مفارقة لسائر الخلق او فعدلك الى بعض الاشكال والهيئات ما فى ما شاء ركبك مزيدة اى ركبك فى اى صورة اقتضتها مشيئته وحكمته من الصور المختلفة فى الحسن و القبح والطول والقصر والذكورة والانوثة والشبه ببعض الاقارب وخلاف الشبه هلا عطفت هذه الجملة كما عطف ما قبلها لانها بيان لعدلك بم يتعلق الجار يجوز ان يتعلق بركبك على معنى وضعك فى بعض الصور ومكنك فيه و بمحذوف اى ركبك حاصلا فى بعض الصور ومحله النصب على الحال ان علق بمحذوف و يجوز ان يتعلق بعدلك ويكون فى اى معنى التعجب اى فعدلك فى صورة عجيبة ثم قال ما شاء ركبك اى ركبك ما شاء من التراكيب يعنى تركيبا حسنا كلا ارتدعوا عن الاغترار بكرم الله والتسلق به وهو موجب الشكر والطاعة الى عكسها الذى هو الكفر والمعصية ثم قال بل تكذبون بالدين اصلا وهو الجزاء او دين الاسلام فلا تصدقون ثوابا ولا عقابا وهو شر من الطمع المنكر وان عليكم لحافظين كراما كاتبين يعلمون ما تفعلون ان الابرار لفى نعيم وان الفجار لفى جحيم يصلونها يوم الدين تحقيق لما يكذبون به من الجزاء يعنى انكم تكذبون بالجزاء والكاتبون يكتبون عليكم اعمالكم لتجازوا به وفى تعظيم الكتبة بالثناء عليهم تعظيم لامر الجزاء وانه عند الله من جلائل الامور ولولا ذلك لما وكل بضبط ما يحاسب عليه ويجازى به الملائكة الكرام الحفظة

الكتبة. وفيه إنذار وتهويل وتشوير للعصاة ولطف للمؤمنين. وعن الفضيل أنه كان إذا قرأها
قال ما أشدها من آية على الغافلين. وما هم عنها بغائبين وما أدراك ما يوم الدين ثم ما أدراك ما يوم الدين
كقوله وما هم بخارجين منها. ويجوز أن يراد يصلون النار يوم الدين وما يغيبون عنها قبل ذلك يعني
في قبورهم. وقيل أخبر الله في هذه السورة أن لابن آدم ثلاث حالات حال الحياة التي يحفظ فيها
عمله وحال الآخرة التي يجازى فيها وحال البرزخ وهو قوله وما هم عنها بغائبين يعني أن أمر يوم
الدين بحيث لا يدرك دراية دار كنهه في الهول والشدة وكيف ما تصورته فهو فوق ذلك و
على أضعافه والتكرير لزيادة التهويل ثم أجمل القول في وصفه فقال يوم لا تملك نفس لنفس شيئا والأمر
يومئذ لله أي لا يستطيع دفعا عنها ولا نفعا لها بوجه ولا أمر إلا لله وحده من رفع فعلى
البدل عن يوم الدين أو على هو يوم لا تملك ومن نصب فبإضمار يدانون لأن الدين يدل عليه أو بإضمار
اذكر ويجوز أن يفتح لإضافته إلى غير متمكن وهو في محل الرفع. عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
من قرأ سورة إذا السماء انفطرت كتب الله له بعدد كل قطرة من السماء حسنة وبعدد كل قبر حسنة

سورة المطففين مختلف فيها وهي ست وثلاثون آية

بسم الله الرحمن الرحيم ويل للمطففين الذين إذا اكتالوا على الناس يستوفون. التطفيف
البخس في الكيل والوزن لأن ما يبخس شيء طفيف حقير. وروي أن رسول الله صلى الله عليه
وسلم قدم المدينة وكانوا من أخبث الناس كيلا فنزلت فأحسنوا الكيل. وقيل قدمها وبها
رجل يعرف بأبي جهينة ومعه صاعان يكيل بأحدهما ويكتال بالآخر. وقيل كان أهل المدينة
تجارا يطففون وكانت بياعاتهم المنابذة والملامسة والمخاطرة فنزلت فخرج رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقرأها عليهم وقال خمس بخمس قيل يا رسول الله وما خمس بخمس قال
ما نقض قوم العهد إلا سلط الله عليهم عدوهم وما حكموا بغير ما أنزل الله إلا فشا فيهم الفقر
وما ظهرت فيهم الفاحشة إلا فشا فيهم الموت ولا طففوا الكيل إلا منعوا النبات وأخذوا بالسنين
ولا منعوا الزكاة إلا حبس عليهم القطر. وعن علي رضي الله عنه أنه مر برجل يزن الزعفران وقد
أرجح فقال أقم الوزن بالقسط ثم أرجح بعد ذلك ما شئت كأنه أمره بالتسوية أولا ليعتادها
ويفصل الواجب من النفل. وعن ابن عباس إنكم معشر الأعاجم وليتم أمرين بهما هلك من كان
قبلكم المكيال والميزان. وخص الأعاجم لأنهم يجمعون الكيل والوزن جميعا وكانا مفرقين في
الحرمين كان أهل مكة يزنون وأهل المدينة يكيلون. وعن ابن عمر أنه كان يمر بالبائع

فيقول اتق الله وأوف الكيل فإن المطففين يوقفون لعظمة الرحمن حتى إن العرق ليلجمهم. و
عن عكرمة أشهد أن كل كيال ووزان في النار فقيل إن ابنك كيال أو وزان فقال أشهد
أنه في النار. وعن أبي لا تلتمس الحوائج ممن رزقه في رؤوس المكاييل وألسن الموازين. لما كان اكتيالهم
من الناس اكتيالا يضرهم ويتحامل فيه عليهم أبدل على مكان من للدلالة على ذلك. ويجوز أن يتعلق
على بيستوفون ويقدم المفعول على الفعل لإفادة الخصوصية أي يستوفون على الناس خاصة فأما
أنفسهم فيستوفون لها. وقال الفراء من وعلى يعتقبان في هذا الموضع لأنه حق عليه فإذا قال
اكتلت عليك فكأنه قال أخذت ما عليك وإذا قال اكتلت منك فكقوله استوفيت منك. والضمير
في كالوهم أو وزنوهم ضمير منصوب راجع إلى الناس وفيه وجهان أن يراد كالوا لهم أو وزنوا لهم فحذف
الجار وأوصل الفعل كما قال ولقد جنيتك أكمؤا وعساقلا ولقد نهيتك عن بنات الأوبر
والحريص يصيدك لا الجواد بمعنى جنيت لك ويصيد لك وأن يكون على حذف المضاف وإقامة المضاف إليه
مقامه والمضاف هو المكيل أو الموزون. ولا يصح أن يكون ضميرا مرفوعا للمطففين لأن الكلام
يخرج به إلى نظم فاسد وذلك أن المعنى إذا أخذوا من الناس استوفوا وإذا أعطوهم أخسروا
وإن جعلت الضمير للمطففين انقلب إلى قولك إذا أخذوا من الناس استوفوا وإذا تولوا الكيل
أو الوزن هم على الخصوص أخسروا وهو كلام متنافر لأن الحديث واقع في الفعل لا في المباشر و
التعلق في إبطاله بخط المصحف وأن الألف التي تكتب بعد واو الجمع غير ثابتة فيه ركيك لأن
خط المصحف لم يراع في كثير منه حد المصطلح عليه في علم الخط على أني رأيت في الكتب المخطوطة بأيدي
الأئمة المتقنين هذه الألف مرفوضة لكونها غير ثابتة في اللفظ والمعنى جميعا لأن الواو وحدها
معطية معنى الجمع وإنما كتبت هذه الألف تفرقة بين واو الجمع وغيرها في نحو قولك هم لم يدعوا وهو
يدعو فمن لم يثبتها قال المعنى كاف في التفرقة بينهما. وعن عيسى بن عمر وحمزة أنهما كانا يرتكبان
ذلك أي يجعلان الضميرين للمطففين ويقفان عند الواوين وقيفة يبينان بها ما أرادا
كأن المطففين كانوا لا يأخذون ... هلا قيل أو اتزنوا كما قيل أو وزنوهم
ما يكال ويوزن إلا بالمكاييل دون الموازين لتمكنهم بالاكتيال من الاستيفاء والسرقة لأنهم يدعدعون
ويحتالون في الملء وإذا أعطوا كالوا أو وزنوا لتمكنهم من البخس في النوعين جميعا. يخسرون
ينقصون يقال خسر الميزان وأخسره. ألا يظن إنكار وتعجيب عظيم من حالهم في الاجتراء على
التطفيف كأنهم لا يخطرون ببالهم ولا يخمنون تخمينا أولئك أنهم مبعوثون ومحاسبون على مقدار

الذرة والخردلة وعن قتادة أوف يا ابن آدم كما تحب أن يوفى لك واعدل كما تحب أن يعدل لك وعن
الفضيل بخس الميزان سواد الوجه يوم القيمة وعن عبد الملك بن مروان أن أعرابيا قال له قد سمعت ما قال
الله في المطففين أراد بذلك أن المطفف قد توجه عليه الوعيد العظيم الذي سمعت به فما ظنك بنفسك
وأنت تأخذ أموال المسلمين بلا كيل ولا وزن وفي هذا الانكار والتعجيب وكلمة الظن ووصف اليوم بالعظم
وقيام الناس فيه لله خاضعين ووصفه ذاته برب العالمين بيان بليغ لعظم الذنب وتفاقم الاثم في
التطفيف وفيما كان في مثل حاله من الحيف وترك القيام بالقسط والعمل على السوية والعدل في كل أخذ
وإعطاء بل في كل قول وعمل وقيل الظن بمعنى اليقين والوجه ما ذكر ونصب يوم يقوم الناس لرب العالمين
بمبعوثون وقرئ بالجر بدلا من يوم عظيم وعن ابن عمر أنه قرأ هذه السورة فلما بلغ قوله يقوم الناس
لرب العالمين بكى نحيبا وامتنع من قراءة ما بعده كلا ردعهم عما كانوا عليه من التطفيف والغفلة عن
ذكر البعث والحساب ونبههم على أنه مما يجب أن يتاب عنه ويندم عليه ثم أتبعه وعيد الفجار على العموم
إن كتاب الفجار لفي سجين وما أدراك ما سجين كتاب مرقوم ويل يومئذ للمكذبين وكتاب الفجار ما يكتب من
أعمالهم   قد أخبر الله عن كتاب الفجار بأنه في سجين وفسر سجينا بكتاب مرقوم فكأنه قيل
إن كتابهم في كتاب مرقوم فما معناه   سجين كتاب جامع هو ديوان الشر دون الله فيه
أعمال الشياطين وأعمال الكفرة والفسقة من الجن والانس وهو كتاب مرقوم مسطور بين الكتابة
أو معلم يعلم من رآه أنه لا خير فيه فالمعنى أن ما كتب من أعمال الفجار مثبت في ذلك الديوان وسمي
سجينا فعيلا من السجن وهو الحبس والتضييق لأنه سبب الحبس والتضييق في جهنم أو لأنه مطروح
كما روي تحت الأرض السابعة في مكان وحش مظلم وهو مسكن ابليس وذريته استهانة به وإذالة
وليشهده الشياطين المدحورون كما يشهد ديوان الخير الملائكة المقربون   فما سجين
أصفة هو أم اسم   بل هو اسم علم منقول من وصف كحاتم وهو منصرف لأنه ليس فيه إلا سبب
واحد وهو التعريف الذين يكذبون ما وصف به للذم لا للبيان كقولك فعل ذلك فلان الفاسق
الخبيث يوم الدين وما يكذب به إلا كل معتد أثيم إذا تتلى عليه آياتنا قال أساطير الأولين كلا ردع
للمعتدي الأثيم عن قوله بل ران على قلوبهم ركبها كما يركب الصدأ وغلب عليها وهو أن يصر على
الكبائر ويسوف التوبة حتى يطبع على قلبه فلا يقبل الخير ولا يميل إليه وعن الحسن الذنب بعد
الذنب حتى يسود القلب يقال ران عليه الذنب وغان عليه رينا وغينا والغين الغيم و
يقال ران فيه النوم رسخ فيه ورانت به الخمر ذهبت به وقرئ بإدغام اللام في الراء وبالإظهار

والادغام أجود وأميلت الألف وفخمت كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون ثم إنهم لصالوا الجحيم ثم يقال هذا
الذي كنتم به تكذبون ردع عن الكسب الرائن على قلوبهم وكونهم محجوبين عنه تمثيل للاستخفاف بهم و
إهانتهم لأنه لا يؤذن على الملوك إلا للوجهاء المكرمين لديهم ولا يحجب عنهم إلا الأدنياء المهانون
عندهم قال   إذا اعتروا باب ذي عبية رجبوا والناس من بين مرجوب ومحجوب وعن ابن عباس
وقتادة وابن أبي مليكة محجوبون عن رحمته وعن ابن كيسان عن كرامته كلا إن كتاب الأبرار لفي عليين و
وما أدراك ما عليون كتاب مرقوم يشهده المقربون إن الأبرار لفي نعيم على ردع عن التكذيب وكتاب
الأبرار ما كتب من أعمالهم وعليون علم لديوان الخير الذي دون فيه كل ما عملته الملائكة وصلحاء
الثقلين منقول من جمع علي فعيل من العلو كسجين من السجن سمي بذلك إما لأنه سبب الارتفاع
إلى أعالي الدرجات في الجنة وإما لأنه مرفوع في السماء السابعة حيث يسكن الكروبيون تكريما
له وتعظيما وروي أن الملائكة لتصعد بعمل العبد فيستقلونه فإذا انتهوا به إلى ما شاء الله من
سلطانه أوحى إليهم أنتم الحفظة على عبدي وأنا الرقيب على ما في قلبه وإنه أخلص عمله فاجعلوه في
عليين فقد غفرت له وإنها لتصعد بعمل العبد فيزكونه فإذا انتهوا به إلى ما شاء الله أوحى إليهم
أنتم الحفظة على عبدي وأنا الرقيب على قلبه وإنه لم يخلص لي عمله فاجعلوه في سجين الأرائك الأسرة
في الحجال ينظرون إلى ما شاؤوا مد أعينهم إليه من مناظر الجنة وإلى ما أولاهم الله من النعمة والكرامة
وإلى أعدائهم يعذبون في النار وما تحجب الحجال أبصارهم عن الإدراك تعرف في وجوههم نضرة النعيم بهجة
التنعم وماءه ورونقه كما ترى في وجوه الأغنياء وأهل الترفه وقرئ تعرف على البناء للمفعول
ونضرة النعيم بالرفع يسقون من رحيق الرحيق الشراب الخالص الذي لا غش فيه مختوم تختم أوانيه
من الأكواب والأباريق بمسك مكان الطينة وقيل ختامه مسك مقطعه رائحة مسك إذا شرب و
قيل يمزج بالكافور ويختم مزاجه بالمسك وقرئ خاتمه بفتح التاء وكسرها أي ما يختم به ويقطع
وفي ذلك فليتنافس المتنافسون فليرتغب المرتغبون ومزاجه من تسنيم علم لعين بعينها سميت
بالتسنيم الذي هو مصدر سنمه إذا رفعه إما لأنها أرفع شراب في الجنة وإما لأنها تأتيهم من فوق
على ما روي أنها تجري في الهواء متسنمة فتنصب في أوانيهم عينا يشرب بها المقربون إن الذين
أجرموا كانوا من الذين آمنوا يضحكون وإذا مروا بهم نصب على المدح وقال الزجاج نصب على الحال
وقيل هي للمقربين يشربونها صرفا وتمزج لسائر أهل الجنة   هم مشركو مكة أبو جهل والوليد بن
المغيرة والعاص بن وائل وأشياعهم كانوا يضحكون من عمار وصهيب وخباب وبلال وغيرهم

من فقراء المؤمنين ويستهزؤن بهم وقيل جاء علي بن أبي طالب رضي الله عنه في نفر من المسلمين
فسخر منهم المنافقون وضحكوا وتغامزوا ثم رجعوا الى أصحابهم فقالوا رأينا اليوم الأصلع فضحكوا
منه فنزلت قبل أن يصل علي رضي الله عنه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يتغامزون يغمز
بعضهم بعضا ويشيرون بأعينهم وإذا انقلبوا الى أهلهم انقلبوا فكهين ملتذين بذكرهم و
السخرية منهم أي ينسبون المسلمين الى الضلال وإذا رأوهم قالوا إن هؤلاء لضالون وما أرسلوا على
المسلمين حافظين فاليوم الذين آمنوا من الكفار يضحكون موكلين بهم يحفظون عليهم أحوالهم ويهيمنون
على أعمالهم ويشهدون برشدهم وضلالهم وهذا تهكم بهم أو هو من جملة قول الكفار وأنهم إذا
رأوا المسلمين قالوا إن هؤلاء لضالون وإنهم لم يرسلوا عليهم حافظين إنكارا لصدهم إياهم عن الشرك
ودعائهم الى الإسلام وجدهم في ذلك على الأرائك ينظرون حال من يضحكون أي يضحكون منهم ناظرين
إليهم والى ما هم فيه من الهوان والصغار بعد العزة والكبر ومن ألوان العذاب بعد النعيم و
الترفه وهم على الأرائك آمنون وقيل يفتح للكفار باب الجنة فيقال لهم اخرجوا اليها فإذا وصلوا
اليها أغلق دونهم يفعل ذلك بهم مرارا فيضحك المؤمنون منهم هل ثوب الكفار ما كانوا يفعلون ثوبه
وأثابه بمعنى إذا جازاه قال أوس سأجزيك أو يجزيك عني مثوب وحسبك أن يثنى عليك وتحمدي
وقرئ بإدغام اللام في الثاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة المطففين سقاه الله
من الرحيق المختوم يوم القيمة

سورة انشقت مكية وهي خمس وعشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم حذف جواب إذا ليذهب المقدر كل مذهب أو اكتفاء بما
علم في مثلها من سورتي التكوير والانفطار وقيل جوابها ما دل عليه فملاقيه أي إذا السماء
انشقت وأذنت لربها لاقى الإنسان كدحه ومعناه إذا انشقت بالغمام كقوله تعالى ويوم
تشقق السماء بالغمام وعن علي رضي الله عنه تنشق من المجرة أذن له استمع له ومنه قوله عليه السلام
ما أذن الله لشيء كأذنه لنبي يتغنى بالقرآن وقول جحاف بن حكيم
أذنت لكم لما سمعت هريركم والمعنى أنها فعلت في انقيادها لله حين أراد انشقاقها فعل
المطواع الذي إذا ورد عليه الأمر من جهة المطاع أنصت له وأذعن ولم يأب ولم يمتنع كقوله أتينا
طائعين وحقت من قولك هو محقوق بكذا وحقيق به يعني وهي حقيقة بأن تنقاد ولا تمتنع و
معناه الإيذان بأن القادر الذات يجب أن يأتي له كل مقدور ويحق ذلك وإذا الأرض

مدت من مد الشيء فامتد وهو أن يزال جبالها وآكامها وكل أمت فيها حتى تمتد وتنبسط ويستوي
ظهرها كما قال قاعا صفصفا لا ترى فيها عوجا ولا أمتا وعن ابن عباس مدت مد الأديم العكاظي
لأن الأديم إذا مد زال كل انثناء فيه وأمت واستوى أو من مده بمعنى أمده أي زيدت سعة
وبسطة وألقت ما فيها ورمت بما في جوفها مما دفن فيها من الموتى والكنوز وتخلت وخلت غاية الخلو
حتى لم يبق شيء في باطنها كأنها تكلفت أقصى جهدها في الخلو كما يقال تكرم الكريم وترحم الرحيم
إذا بلغا جهدهما في الكرم والرحمة وتكلفا فوق ما في طبعهما وأذنت لربها في إلقاء ما في بطنها وتخليها
وحقت يا أيها الإنسان إنك كادح الى ربك كدحا الكدح جهد النفس في العمل والكد فيه حتى يؤثر فيها
من كدح جلده إذا خدشه ومعنى كادح الى ربك جاهد الى لقاء ربك وهو الموت وما بعده من الحال الممثلة
باللقاء فملاقيه فملاق له لا محالة لا مفر لك منه وقيل الضمير في ملاقيه للكدح فأما من أوتي كتابه
بيمينه فسوف يحاسب حسابا يسيرا سهلا هينا لا يناقش فيه ولا يعترض بما يسوءه ويشق عليه كما يناقش
أصحاب الشمال وعن عائشة رضي الله عنها هو أن يعرف ذنوبه ثم يتجاوز عنه وعن النبي صلى الله
الله عليه وسلم أنه قال من يحاسب يعذب فقيل يا رسول الله فسوف يحاسب حسابا يسيرا قال
ذلكم العرض من نوقش في الحساب عذب وينقلب الى أهله مسرورا الى عشيرته إن كانوا مؤمنين
أو الى فريق المؤمنين أو أهله في الجنة من الحور العين وأما من أوتي كتابه وراء ظهره قيل تغل يمناه
الى عنقه وتجعل شماله وراء ظهره فيؤتى كتابه بشماله من وراء ظهره وقيل تخلع يده اليسرى من وراء
ظهره فسوف يدعو ثبورا ويصلى سعيرا كقوله وتصلية جحيم ويصلى بضم الياء والتخفيف كقوله
ونصله جهنم إنه كان في أهله مسرورا في أهله فيما بين ظهرانيهم أو معهم على أنهم كانوا جميعا مسرورين
يعني أنه كان في الدنيا مترفا بطرا مستبشرا كعادة الذين لا يهمهم أمر الآخرة ولا يفكرون في العواقب
ولم يكن كئيبا حزينا متفكرا كعادة الصلحاء والمتقين وحكاية الله عنهم إنا كنا قبل في أهلنا مشفقين
إنه ظن أن لن يحور لن يرجع الى الله تعالى تكذيبا بالمعاد يقال لا يحور ولا يحول أي لا يرجع ولا يتغير
قال لبيد يحور رمادا بعد إذ هو ساطع وعن ابن عباس ما كنت أدري ما معنى يحور حتى
سمعت أعرابية تقول لبنية لها حوري أي ارجعي بلى إيجاب لما بعد النفي في لن يحور أي بلى
ليحورن إن ربه كان به بصيرا وبأعماله لا ينساها ولا يخفى عليه فلا بد أن يرجعه ويجازيه عليها
وقيل نزلت الآيتان في أبي سلمة بن عبد الأسد وأخيه الأسود بن عبد الأسد فلا أقسم بالشفق و
الليل الشفق الحمرة التي ترى في المغرب بعد سقوط الشمس وبسقوطه يخرج وقت المغرب ويدخل

وقرئ ويصلى

العتمة عند عامة العلماء الا ما يروى عن ابي حنيفة رحمه الله في احدى الروايتين انه البياض وروى
اسد بن عمرو انه رجع منه سمي لرقته ومنه الشفقة على الانسان رقة القلب عليه وما وسق و
ما جمع وضم يقال وسقه فاتسق واستوسق قال مستوسقات لو يجدن سائقا ونظيره
في وقوع افتعل واستفعل مطاوعين اتسع واستوسع ومعناه وما جمعه وستره واوى اليه من
الدواب وغيرها والقمر اذا اتسق اذا اجتمع واستوى ليلة اربع عشرة وقرئ لتركبن على خطاب
الانسان في يا ايها الانسان ولتركبن بالضم على خطاب الجنس لان النداء للجنس ولتركبن بالكسر
على خطاب النفس وليركبن بالياء على ليركبن الانسان والطبق ما طابق غيره يقال ما هذا
بطبق لذا اي لا يطابقه ومنه قيل للغطاء الطبق واطباق الثرى ما تطابق منه ثم قيل للحال
المطابقة لغيرها طبق ومنه قوله عز وجل طبقا عن طبق فما لهم لا يؤمنون واذا قرئ عليهم القرآن لا يسجدون
بل اي حالا بعد حال كل واحدة مطابقة لاختها في الشدة والهول ويجوز ان يكون جمع طبقة و
هي المرتبة من قولهم هو على طبقات ومنه طبق الظهر لفقاره الواحدة طبقة على معنى لتركبن احوالا
بعد احوال هي طبقات في الشدة بعضها ارفع من بعض وهي الموت وما بعده من مواطن القيامة
واهوالها عن طبق ما محل عن طبق النصب على انه صفة لطبقا اي طبقا مجاوزا
لطبق او حال من الضمير في لتركبن اي لتركبن طبقا مجاوزين لطبق او مجاوزا او مجاوزة على
حسب القراءة وعن مكحول كل عشرين عاما تحدثون امرا لم تكونوا عليه لا يسجدون لا يستكينون
ولا يخضعون وقيل قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم واسجد واقترب فسجد هو ومن
معه من المؤمنين وقريش تصفق فوق رؤوسهم وتصفر فنزلت وبه احتج ابو حنيفة على وجوب
السجدة وعن ابن عباس ليس في المفصل سجدة وعن ابي هريرة انه سجد فيها وقال والله ما سجدت
فيها الا بعد ان رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم يسجد فيها وعن انس صليت خلف ابي بكر
وعمر وعثمان رضي الله عنهم فسجدوا وعن الحسن هي غير واجبة الذين كفروا يكذبون والله اعلم اشارة
الى المذكورين بما يوعون فبشرهم بعذاب اليم بما يجمعون في صدورهم ويضمرون من الكفر والحسد و
البغي والبغضاء او بما يجمعون في صحفهم من اعمال السوء ويدخرون لانفسهم من انواع العذاب
الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم اجر غير ممنون استثناء منقطع عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم من قرأ سورة انشقت اعاذه الله ان يعطيه كتابه وراء ظهره

سورة البروج مكية وهي ثنتان وعشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم والسماء ذات البروج هي البروج الاثنا عشر وهي قصور السماء على
التشبيه وقيل البروج النجوم التي هي منازل القمر وقيل عظام الكواكب سميت بروجا لظهورها و
قيل ابواب السماء واليوم الموعود يوم القيمة وشاهد ومشهود يعني وشاهد في ذلك اليوم ومشهود فيه
والمراد بالشاهد من يشهد فيه من الخلائق كلهم وبالمشهود ما في ذلك اليوم من عجائبه وطريق تنكيرهما
اما ما ذكرته في قوله علمت نفس ما احضرت كانه قيل وما افرطت كثرته من شاهد ومشهود واما الابهام
في الوصف كانه قيل وشاهد ومشهود لا يكتنه وصفهما وقد اضطربت اقاويل المفسرين فيهما فقيل
الشاهد والمشهود محمد ويوم القيمة وقيل عيسى وامته لقوله وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم وقيل
امة محمد وسائر الامم وقيل يوم التروية ويوم عرفة وقيل يوم عرفة ويوم الجمعة وقيل الحجر
الاسود والحجيج وقيل الايام والليالي وبنو آدم وعن الحسن ما من يوم الا ويناد اني يوم جديد
واني على ما يعمل في شهيد فاغتنمني فلو غابت شمسي لم تدركني الى يوم القيمة وقيل الحفظة وبنو آدم
وقيل الانبياء ومحمد اين جواب القسم محذوف يدل عليه قوله قتل
اصحاب الاخدود كانه قيل اقسم بهذه الاشياء انهم ملعونون يعني كفار مكة كما لعن اصحاب
الاخدود وذلك ان السورة وردت في تثبيت المؤمنين وتصبيرهم على اذى اهل مكة وتذكيرهم
بما جرى على من تقدمهم من التعذيب على الايمان والحاق انواع الاذى وصبرهم وثباتهم حتى يأنسوا بهم
ويصبروا على ما كانوا يلقون من قومهم ويعلموا ان كفارهم عند الله بمنزلة اولئك المعذبين المحرقين
بالنار ملعونون احقاء بان يقال فيهم قتلت قريش كما قيل قتل اصحاب الاخدود وقتل دعاء عليهم
كقوله قتل الانسان ما اكفره وقرئ قتل بالتشديد الاخدود الخد في الارض وهو الشق ونحوهما
بناء ومعنى الخق والاخقوق ومنه فساخت قوائمه في اخاقيق جرذان روي عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه كان لبعض الملوك ساحر فلما كبر ضم اليه غلاما ليعلمه السحر وكان في طريق الغلام راهب فسمع
منه فراى في طريقه ذات يوم دابة قد حبست الناس فاخذ حجرا فقال اللهم ان كان الراهب احب
اليك من الساحر فاقتلها فقتلها فكان الغلام بعد ذلك يبرئ الاكمه والابرص ويشفي من الادواء و
عمي جليس للملك فابراه فابصره الملك فساله من رد عليك بصرك فقال ربي فغضب فعذبه فدل
على الغلام فعذبه فدل على الراهب فلم يرجع الراهب عن دينه فقد بالمنشار وابى الغلام فذهب
به الى جبل ليطرح من ذروته فدعا فرجف بالقوم فهلكوا ونجا فذهب به الى قرقور فلججوا به ليغرقوه
فدعا فانكفات بهم السفينة فغرقوا ونجا فقال للملك لست بقاتلي حتى تجمع الناس في صعيد

وتصلبني على جذع وتأخذ سهمًا من كنانتي وتقول بسم الله رب الغلام ثم ترميني به فرماه فوقع في صدغه فوضع يده عليه ومات فقال الناس آمنا برب الغلام فقيل للملك نزل بك ما كنت تحذر فأمر بأخاديد في أفواه السكك وأوقدت فيها النيران فمن لم يرجع منهم طرحه فيها حتى جاءت امرأة معها صبي فتقاعست أن تقع فيها فقال الصبي يا أماه اصبري فإنك على الحق فاقتحمت وقيل قال لها قعي ولا تنافقي وقيل ما هي إلا غميضة فصبرت وعن علي رضي الله عنه أنهم حين اختلفوا في أحكام المجوس قال هم أهل كتاب وكانوا متمسكين بكتابهم وكانت الخمر قد أحلت لهم فتناولها بعض ملوكهم فسكر فوقع على أخته فلما صحا ندم وطلب المخرج فقالت له المخرج أن تخطب الناس فتقول يا أيها الناس إن الله أحل نكاح الأخوات ثم تخطبهم بعد ذلك أن الله حرمه فخطب فلم يقبلوا منه فقالت له ابسط فيهم السوط فلم يقبلوا فقالت ابسط فيهم السيف فلم يقبلوا فأمرته بالأخاديد وإيقاد النيران وطرح من أبى فيها فهم الذين أرادهم الله بقوله قتل أصحاب الأخدود وقيل وقع إلى نجران رجل ممن كان على دين عيسى فدعاهم فأجابوه فسار إليهم ذو نواس اليهودي بجنود من حمير فخيرهم بين النار واليهودية فأبوا فأحرق منهم اثني عشر ألفًا في الأخاديد وقيل سبعين ألفًا وذكر أن طول الأخدود أربعون ذراعًا وعرضه اثنا عشر ذراعًا وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان إذا ذكر أصحاب الأخدود تعوذ من جهد البلاء النار بدل الاشتمال من الأخدود ذات الوقود وصف لها بأنها نار عظيمة لها ما يرتفع به لهبها من الحطب الكثير وأبدان الناس إذ هم ظرف لقتل أي لعنوا حين أحدقوا بالنار قاعدين حولها ومعنى عليها قعود وهم على ما يفعلون بالمؤمنين شهود على ما يدنو منها من حافات الأخدود كقوله وبات على النار الندى والمحلق وكما تقول مررت عليه تريد مستعليًا لمكان يدنو منه ومعنى شهادتهم على إحراق المؤمنين أنهم وكلوا بذلك وجعلوا شهودًا يشهد بعضهم لبعض عند الملك أن أحدًا منهم لم يفرط فيما أمر به وفوض إليه من التعذيب ويجوز أنهم شهود على ما يفعلون بالمؤمنين يؤدون شهادتهم يوم القيمة يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون وما نقموا منهم إلا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد الذي وما عابوا منهم وما أنكروا إلا الإيمان كقوله ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم قال ابن الرقيات ما نقموا من بني أمية إلا أنهم يحلمون إن غضبوا وقرأ أبو حيوة نقموا بالكسر والفصيح هو الفتح وذكر الأوصاف التي يستحق بها أن يؤمن به ويعبد وهو كونه عزيزًا غالبًا قادرًا يخشى عقابه حميدًا منعمًا يجب له الحمد على نعمته ويرجى ثوابه له ملك السموات والأرض

وكل من فيهما تحق عليه عبادته والخشوع له تقريرًا لأن ما نقموا منهم هو الحق الذي لا ينقمه إلا مبطل منهمك في الغي وأن الناقمين أهل لانتقام الله منهم بعذاب لا يعدله عذاب والله على كل شيء شهيد وعيد لهم يعني أنه علم ما فعلوا وهو مجازيهم عليه إن الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات ثم لم يتوبوا يجوز أن يريد بالذين فتنوا أصحاب الأخدود خاصة وبالذين آمنوا المطروحين في الأخدود ومعنى فتنوهم عذبوهم بالنار وأحرقوهم فلهم في الآخرة عذاب جهنم بكفرهم ولهم عذاب الحريق وهي نار أخرى عظيمة تتسع كما يتسع الحريق بإحراقهم المؤمنين أو لهم عذاب جهنم في الآخرة ولهم عذاب الحريق في الدنيا لما روي أن النار انقلبت عليهم فأحرقتهم ويجوز أن يريد الذين فتنوا المؤمنين أي بلوهم بالأذى على العموم والمؤمنين المفتونين وأن للفاتنين عذابين في الآخرة لكفرهم ولفتنتهم إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم جنات تجري من تحتها الأنهار ذلك الفوز الكبير إن بطش ربك لشديد البطش الأخذ بالعنف فإذا وصف بالشدة فقد تضاعف وتفاقم وهو بطشه بالجبابرة والظلمة وأخذهم بالعذاب والانتقام إنه هو يبدئ ويعيد أي يبدئ البطش ويعيده يعني يبطش بهم في الدنيا وفي الآخرة أو دل باقتداره على الإبداء والإعادة على شدة بطشه أو أوعد الكفرة بأنه يعيدهم كما أبدأهم ليبطش بهم إذ لم يشكروا نعمة الإبداء وكذبوا بالإعادة وقرئ يبدأ وهو الغفور الودود الفاعل بأهل طاعته ما يفعله الودود من إعطائهم ما أرادوا وقرئ ذي العرش صفة لربك وقرئ المجيد بالجر صفة للعرش ومجد الله عظمته ومجد العرش علوه وعظمه فعال خبر مبتدأ محذوف وإنما قيل فعال لأن ما يريد ويفعل في غاية الكثرة هل أتاك حديث الجنود فرعون وثمود بدل من الجنود وأراد بفرعون إياه وآله كما في قوله من فرعون وملائهم والمعنى قد عرفت تكذيب تلك الجنود للرسل وما نزل بهم لتكذيبهم بل الذين كفروا من قومك في تكذيب والله من ورائهم محيط أي تكذيب واستيجاب للعذاب والله عالم بأحوالهم وقادر عليهم وهم لا يعجزونه والإحاطة من ورائهم مثل لأنهم لا يفوتونه كما لا يفوت فائت الشيء المحيط به ومعنى الإضراب أن أمرهم أعجب من أمر أولئك لأنهم سمعوا بقصصهم وبما جرى عليهم ورأوا آثار هلاكهم ولم يعتبروا وكذبوا أشد من تكذيبهم بل هو أي بل هذا الذي كذبوا به قرآن مجيد شريف عالي الطبقة في الكتب وفي نظمه وإعجازه وقرئ قرآن مجيد بالإضافة أي قرآن رب مجيد وقرأ يحيى بن يعمر في لوح واللوح الهواء يعني اللوح فوق السماء السابعة الذي فيه اللوح محفوظ من وصول الشياطين إليه وقرئ محفوظ بالرفع صفة للقرآن عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة البروج أعطاه الله بعدد كل يوم جمعة وكل يوم عرفة تكون في الدنيا عشر حسنات

سورة الطارق مكية وهي سبع عشرة آية

بسم الله الرحمن الرحيم والسماء والطارق النجم الثاقب المضيء كأنه يثقب الظلام فينفذ فيه كما قيل دري لأنه يدرؤه أي يدفعه ووصف بالطارق لأنه يبدو بالليل كما يقال للآتي ليلاً طارق أو لأنه يطرق الجني أي يصكه والمراد جنس النجوم أو جنس الشهب التي يرجم بها

ما يشبه قوله وما أدراك ما الطارق النجم الثاقب إلا ترجمة كلمة بأخرى فبين لي أي فائدة تحته

أراد الله عز من قائل أن يقسم بالنجم الثاقب تعظيماً له لما عرف فيه من عجيب القدرة ولطيف الحكمة وأن ينبه على ذلك فجاء بما هو صفة مشتركة بينه وبين غيره وهو الطارق ثم قال وما أدراك ما الطارق ثم فسره بقوله النجم الثاقب كل هذا إظهار لفخامة شأنه كما قال فلا أقسم بمواقع النجوم وإنه لقسم لو تعلمون عظيم وروي أن أبا طالب كان عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فانحط نجم فامتلأ ما ثم نوراً ففزع أبو طالب وقال أي شيء هذا فقال عليه السلام هذا نجم رمي به وهو آية من آيات الله فعجب أبو طالب فنزلت

ما جواب القسم

إن كل نفس لما عليها حافظ لأن إن لا تخلو فيمن قرأ لما مشددة بمعنى إلا أن يكون نافية وفيمن قرأها مخففة على أن ما صلة أن يكون مخففة من الثقيلة وأيتهما كانت فهي مما يتلقى به القسم حافظ مهيمن عليها رقيب وهو الله عز وجل وكان الله على كل شيء رقيبا وقيل ملك يحفظ عملها ويحصي عليها ما تكسب من خير وشر وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم وكل بالمؤمن مائة وستون ملكاً يذبون عنه كما يذب عن قصعة العسل الذباب ولو وكل العبد إلى نفسه طرفة عين لاختطفته الشياطين

ما وجه اتصال قوله فلينظر الإنسان مم خلق

وجه اتصاله به أنه لما ذكر أن على كل نفس حافظاً أتبعه توصية الإنسان بالنظر في أول أمره ونشأته الأولى حتى يعلم أن من أنشأه قادر على إعادته وجزائه فيعمل ليوم الإعادة والجزاء ولا يملي على حافظه إلا ما يسره في عاقبته ومم خلق استفهام جوابه خلق من ماء دافق والدفق صب فيه دفع ومعنى دافق النسبة إلى الدفق الذي هو مصدر دفق كاللابن والتامر أو الإسناد المجازي والدفق في الحقيقة لصاحبه ولم يقل ماءين لامتزاجهما في الرحم واتحادهما حين ابتدئ في خلقه يخرج من بين الصلب والترائب من بين صلب الرجل وترائب المرأة وهي عظام الصدر حيث تكون القلادة وقرئ الصلب بفتحتين والصلب بضمتين وفيه أربع لغات صلب وصلب وصلب وصالب قال العجاج في صلب مثل العنان المؤدم وقيل العظم والعصب من

الرجل واللحم والدم من المرأة إنه الضمير للخالق لدلالة خلق عليه ومعناه أن ذلك الذي خلق الإنسان ابتداء من نطفة على رجعه على إعادته خصوصاً لقادر لبين القدرة لا يلتاث عليه ولا يعجز عنه كقوله إنني لفقير يوم تبلى منصوب برجعه ومن جعل الضمير في رجعه للماء وفسره برجعه إلى مخرجه من الصلب والترائب أو إلى الإحليل أو إلى الحالة الأولى نصب الظرف بمضمر السرائر ما أسر في القلوب من العقائد والنيات وغيرها وما أخفي من الأعمال وبلاؤها تعرفها وتصفحها والتمييز بين ما طاب وما خبث وعن الحسن أنه سمع رجلاً ينشد

سيبقى لها في مضمر القلب والحشا سريرة ود يوم تبلى السرائر

فقال ما أغفله عما في والسماء والطارق فما له فما للإنسان من قوة من منعة في نفسه يمتنع بها ولا ناصر ولا مانع يمنعه والسماء ذات الرجع والأرض ذات الصدع سمي المطر رجعاً كما سمي أوباً قال

رباً شماء لا يأوي لقلتها إلا السحاب وإلا الأوب والسبل

تسمية بمصدري رجع وآب وذلك أن العرب كانوا يزعمون أن السحاب يحمل الماء من بحار الأرض ثم يرجعه إلى الأرض وأرادوا التفاؤل فسموه رجعاً وأوباً ليرجع ويؤوب وقيل لأن الله يرجعه وقتاً فوقتاً قالت الخنساء

كالرجع في المدجنة السارية

والصدع ما يتصدع عنه الأرض من النبات إنه الضمير للقرآن لقول فصل فاصل بين الحق والباطل كما قيل له فرقان وما هو بالهزل يعني أنه جد كله لا هوادة فيه ومن حقه وقد وصفه الله بذلك أن يكون مهيباً في الصدور معظماً في القلوب يترفع به قارئه وسامعه وأن يلم بهزل أو يتفكه بمزاح وأن يلقي ذهنه إلى أن جبار السموات يخاطبه فيأمره وينهاه ويعده ويوعده حتى إن لم يستفزه الخوف ولم يتبالغ فيه الخشية فأدنى أمره أن يكون جاداً غير هازل فقد نعى الله ذلك على المشركين في قوله وتضحكون ولا تبكون وأنتم سامدون والغواية إنهم يكيدون كيداً وأكيد كيداً يعني أهل مكة يعملون المكايد في إبطال أمر الله وإطفاء نور الحق وأنا أقابلهم بكيدي من استدراجي لهم وانتظاري بهم الميقات الذي وقته للانتصار منهم فمهل الكافرين يعني لا تدع بهلاكهم ولا تستعجل به أمهلهم رويداً أي إمهالاً يسيراً وكرر وخالف بين اللفظين لزيادة التسكين منه والتصبير

عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الطارق أعطاه الله بعدد كل نجم في السماء عشر حسنات

سورة سبح مكية وهي تسع عشرة آية

بسم الله الرحمن الرحيم تسبيح اسمه عز وعلا تنزيهه عما لا يصح فيه من المعاني التي هي إلحاد في أسمائه كالجبر والتشبيه ونحو ذلك مثل أن يفسر الأعلى بمعنى العلو الذي هو القهر والاقتدار لا بمعنى العلو في المكان والاستواء على العرش حقيقة وأن يصان عن الابتذال والذكر لا على

وجه الخشوع والتعظيم ويجوز ان تكون الاعلى صفة للرب والاسم وقرأ علي رضي الله عنه سبحان ربي
الاعلى وفي الحديث لما نزلت فسبح باسم ربك العظيم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اجعلوها في
ركوعكم فلما نزل سبح اسم ربك الاعلى قال اجعلوها في سجودكم وكانوا يقولون في الركوع اللهم لك ركعت
وفي السجود اللهم لك سجدت الذي خلق فسوى اي خلق كل شيء فسوى خلقه تسوية ولم يأت به متفاوتا
غير ملتئم ولكن على احكام واتساق ودلالة على انه صادر عن عالم وانه صنعة حكيم والذي قدر فهدى
قدر لكل حيوان ما يصلحه فهداه وعرفه وجه الانتفاع به يحكى ان الافعى اذا اتت عليها الف
سنة عميت وقد ألهمها ان مسح العين بورق الرازيانج الغض يرد اليها بصرها فربما كانت في برية
بينها وبين الريف مسيرة ايام فتطوي تلك المسافة على طولها وعلى عماها حتى تهجم في بعض البساتين على
شجرة الرازيانج لا تخطئها فتحك بها عينيها وترجع باصرة باذن الله وهدايات الله للانسان الى ما
لا يحد من مصالحه وما لا يحصر من حوائجه في اغذيته وادويته وفي ابواب دنياه ودينه والهامات
البهائم والطيور وهوام الارض باب واسع وشوط بطين لا يحيط به وصف واصف فسبحان
ربي الاعلى وقرئ قدر بالتخفيف احوى صفة لغثاء اي اخرج المرعى انبته فجعله بعد خضرته
ورفيفه غثاء احوى درينا اسود ويجوز ان يكون احوى حالا من المرعى اي اخرجه احوى
اسود من شدة الخضرة والري فجعله غثاء بعد حوته بشره الله باعطاء آية بينة وهي ان
يقرأ عليه جبريل ما يقرأ عليه من الوحي وهو امي لا يكتب ولا يقرأ فيحفظه ولا ينساه الا ما
شاء الله فذهب به عن حفظه برفع حكمه وتلاوته كقوله او ننسها وقيل كان يعجل بالقراءة اذا لقنه
جبريل فقيل لا تعجل فان جبريل مأمور بان يقرأه عليك قراءة مكررة الى ان تحفظه ثم لا تنساه
الا ما شاء الله يعني القلة والندرة كما روي انه اسقط آية في قراءته في الصلوة فحسب
أبي انها نسخت فسألها فقال نسيتها او قال الا ما شاء الله والغرض نفي النسيان رأسا كما يقول
الرجل لصاحبه انت سهيمي فيما املك الا فيما شاء الله ولا يقصد استثناء شيء وهو من
استعمال القلة في معنى النفي وقيل قوله فلا تنسى على النهي والالف مزيدة للفاصلة كقوله
السبيلا كقوله فلا تغفل قراءته وتكرره فتنساه الا ما شاء الله ان ينسيكه برفع تلاوته للمصلحة
انه يعلم الجهر وما يخفى يعني انك تجهر بالقراءة مع قراءة جبريل مخافة التفلت والله يعلم جهرك
وما في نفسك مما يدعوك الى الجهر فلا تفعل فانا اكفيك ما تخافه او يعلم ما اسررتم وما اعلنتم
من اقوالكم وافعالكم وما ظهر وبطن من احوالكم وما هو مصلحة لكم في دينكم ومفسدة فينسي

من الوحي ما يشاء ويترك محفوظا ما يشاء ونيسرك لليسرى معطوف على سنقرئك وقوله انه
يعلم الجهر وما يخفى اعتراض ومعناه ونوفقك للطريقة التي هي ايسر واسهل يعني حفظ الوحي وقيل
للشريعة السمحة التي هي ايسر الشرائع واسهلها مأخذا وقيل نوفقك لعمل الجنة
كان الرسول صلى الله عليه وسلم مأمورا بالذكرى نفعت او لم تنفع فما معنى اشتراط النفع
هو على وجهين احدهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد استفرغ مجهوده في تذكيرهم وما كانوا يزيدون
على زيادة الذكرى الا عتوا وطغيانا وكان النبي صلى الله عليه وسلم يتلظى حسرة وتلهفا ويزداد
جدا في تذكيرهم وحرصا عليه فقيل له وما انت عليهم بجبار فذكر بالقرآن من يخاف وعيد
واعرض عنهم وقل سلام فذكر ان نفعت الذكرى وذلك بعد الزام الحجة بتكرير التذكير والثاني
ان يكون ظاهره شرطا ومعناه ذما للمذكرين واخبارا عن حالهم واستبعادا لتأثير الذكرى
فيهم وتسجيلا عليهم بالطبع على قلوبهم كما تقول للواعظ عظ المكاسين ان سمعوا منك قاصدا بهذا
الشرط استبعاد ذلك وانه لن يكون سيذكر سيقبل التذكرة وينتفع بها من يخشى الله وسوء
العاقبة فينظر ويتفكر حتى يقوده النظر الى اتباع الحق فاما هؤلاء فغير خاشين ولا ناظرين
فلا تأمل ان يقبلوا منك ويتجنبها ويتجنب الذكرى ويتحاماها الاشقى الكافر لانه اشقى من
الفاسق او الذي هو اشقى الكفرة لتوغله في عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل نزلت في
الوليد بن المغيرة وعتبة بن ربيعة يصلى النار الكبرى السفلى من اطباق النار وقيل الكبرى نار
جهنم والصغرى نار الدنيا وقيل ثم لان الترجح بين الحيوة والموت افظع من الصلي فهو متراخ عنه
في مراتب الشدة والمعنى لا يموت فيستريح ولا يحيى حياة تنفعه قد افلح من تزكى تطهر من الشرك و
المعاصي او تطهر للصلوة او تكثر من التقوى من الزكاء وهو النماء او تفعل من الزكوة كتصدق من
الصدقة وذكر اسم ربه فصلى فصلى الصلوات الخمس نحو قوله واقام الصلوة وآتى الزكوة وعن
ابن مسعود رحم الله امرأ تصدق وصلى وعن علي رضي الله عنه انه تصدق بصدقة الفطر
وقال لا ابالي ان لا اجد في كتابي غيرها لقوله قد افلح من تزكى اي اعطى زكوة الفطر فتوجه الى
المصلى فصلى صلوة العيد وذكر اسم ربه فكبر تكبيرة الافتتاح وبه يحتج على وجوب تكبيرة
الافتتاح وعلى انها ليست من الصلوة لان الصلوة معطوفة عليها وعلى ان الافتتاح جائز بكل
اسم من اسمائه عز وجل وعن ابن عباس ذكر معاده وموقفه بين يدي ربه فصلى له وعن الضحاك
وذكر اسم ربه في طريق المصلى فصلى صلوة العيد بل تؤثرون الحيوة الدنيا فلا تفعلون ما تفلحون به

وقرئ يؤثرون على الغيبة ويعضد الأولى قراءة ابن مسعود بل أنتم تؤثرون والآخرة خير وأبقى أفضل
في نفسها وأنعم وأدوم وعن عمر رضي الله عنه ما الدنيا في الآخرة إلا كنفجة أرنب إن هذا لفي الصحف الأولى
صحف إبراهيم وموسى هذا إشارة إلى قوله قد أفلح إلى أبقى يعني أن معنى هذا الكلام وارد في تلك الصحف
وقيل إلى ما في السورة كلها وروي عن أبي ذر أنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم كم أنزل الله من كتاب
فقال مائة وأربعة كتب منها على آدم عشر صحف وعلى شيث خمسون صحيفة وعلى أخنوخ وهو إدريس
ثلاثون صحيفة وعلى إبراهيم عشر صحائف والتوراة والإنجيل والزبور والفرقان وقيل إن في صحف
إبراهيم ينبغي للعاقل أن يكون حافظا للسانه عارفا بزمانه مقبلا على شأنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
من قرأ سورة الأعلى أعطاه الله عشر حسنات بعدد كل حرف أنزله الله على إبراهيم وموسى ومحمد و
كان إذا قرأها قال سبحان ربي الأعلى وكان علي وابن عباس يقولان ذلك وكان يحبها وقال أول من
قال سبحان ربي الأعلى ميكائيل

سورة الغاشية مكية وهي ست وعشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم هل أتاك حديث الغاشية وجوه الغاشية الداهية التي تغشى
الناس بشدائدها وتلبسهم أهوالها يعني يوم القيامة من قوله يوم يغشاهم العذاب وقيل
النار من قوله وتغشى وجوههم النار ومن فوقهم غواش يومئذ يوم إذ غشيت خاشعة ذليلة عاملة
ناصبة تعمل في النار عملا تتعب فيه وهو جرها السلاسل والأغلال وخوضها في النار كما تخوض
الإبل في الوحل وارتقاؤها دائبة في صعود من نار وهبوطها في حدور منها وقيل عملت في الدنيا
أعمال السوء والتذت بها وتنعمت فهي في نصب منها في الآخرة من قوله وقدمنا إلى ما عملوا من
عمل وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا أولئك الذين حبطت أعمالهم وقيل هم أصحاب الصوامع و
معناه أنها خشعت لله وعملت ونصبت في أعمالها من الصوم الدائب والتهجد الواصب وقرئ
عاملة ناصبة على الشتم تصلى نارا حامية تسقى من عين آنية ليس لهم طعام إلا من ضريع قرئ تصلى
بفتح التاء وتصلى بضمها وتصلى بالتشديد وقيل المصلى عند العرب أن يحفروا حفيرا فيجمعوا فيه
جمرا كثيرا ثم يعمدوا إلى شاة فيدسوها وسطه فأما ما يشوى فوق الجمر أو على المقلى أو في
التنور فلا يسمى مصليا آنية متناهية في الحر كقوله وبين حميم آن الضريع يبيس الشبرق و
هو جنس من الشوك ترعاه الإبل ما دام رطبا فإذا يبس تحامته وهو سم قاتل قال أبو ذؤيب
وعلى الشبرق الريان حتى إذا ذوى وعاد ضريعا بان عنه النحائص وقال
وحبسن في هزم الضريع فكلها حدباء دامية اليدين حرود كيف قيل ليس لهم

طعام إلا من ضريع وفي الحاقة ولا طعام إلا من غسلين العذاب ألوان والمعذبون طبقات
فمنهم أكلة الزقوم ومنهم أكلة الغسلين ومنهم أكلة الضريع لكل باب منهم جزء مقسوم لا يسمن ولا يغني
من جوع مرفوع المحل أو مجروره على وصف طعام أو ضريع يعني أن طعامهم من شيء ليس من طعام الإنس
وإنما هو شوك والشوك مما ترعاه الإبل وتتولع به وهذا نوع منه تنفر عنه ولا تقربه ومنفعتا
الغذاء منتفيتان عنه وهما إماطة الجوع وإفادة القوة والسمن في البدن أو أريد أن لا طعام لهم أصلا
لأن الضريع ليس بطعام للبهائم فضلا عن الإنس لأن الطعام ما أشبع أو أسمن وهو منهما بمعزل كما تقول
ليس لفلان ظل إلا الشمس تريد نفي الظل على التوكيد وقيل قالت كفار قريش إن الضريع لتسمن عليه
إبلنا فنزلت لا يسمن فلا يخلو إما أن يتكذبوا ويتعنتوا بذلك وهو الظاهر فيرد قولهم بنفي السمن
والشبع وإما أن يصدقوا فيكون المعنى أن طعامهم من ضريع ليس من جنس ضريعكم إنما هو من ضريع
غير مسمن ولا مغن من جوع وجوه يومئذ ناعمة ذات بهجة وحسن كقوله تعرف في وجوههم نضرة النعيم
أو متنعمة لسعيها راضية رضيت بعملها لما رأت ما أداهم إليه من الكرامة والثواب في جنة عالية من علو
المكان أو المقدار لا تسمع يا مخاطب أو الوجوه فيها لاغية أي لغوا أو كلمة ذات لغو أو نفسا تلغو و
قرئ لا يسمع على البناء للمفعول بالتاء والياء فيها عين جارية يريد عيونا في غاية الكثرة كقوله
علمت نفس فيها سرر مرفوعة من رفعة المقدار أو السمك ليرى المؤمن بجلوسه عليه جميع ما خوله
ربه من الملك والنعيم وقيل مخبوءة لهم من رفع الشيء إذا خبأه وأكواب موضوعة كلما أرادوها و
جدوها موضوعة بين أيديهم عتيدة حاضرة لا يحتاجون إلى أن يدعوا بها أو موضوعة على حافات
العيون معدة للشرب ويجوز أن يراد موضوعة عن حد الكبار أوساط بين الصغر والكبر كقوله قدروها
تقديرا ونمارق مصفوفة بعضها إلى جنب بعض مساند ومطارح أينما أراد أن يجلس جلس على
مسورة واستند إلى الأخرى وزرابي وبسط عراض فاخرة وقيل هي الطنافس التي لها خمل رقيق
جمع زربية مبثوثة مبسوطة أو مفرقة في المجالس أفلا ينظرون إلى الإبل نظر اعتبار كيف خلقت
خلقا عجيبا دالا على تقدير مقدر شاهدا بتدبير مدبر حيث خلقها للنهوض بالأثقال وجرها إلى
البلاد الشاحطة فجعلها تبرك حتى تحمل عن قرب ويسر ثم تنهض بما حملت وسخرها منقادة لكل
من اقتادها بأزمتها لا تعاز ضعيفا ولا تمانع صغيرا وبراها طوال الأعناق لتنوء بالأوقار و
عن بعض الحكماء أنه حدث عن البعير وبديع خلقه وقد نشأ في بلاد لا إبل بها ففكر ثم قال يوشك
أن تكون طوال الأعناق وحين أراد أن تكون سفائن البر صبرها على احتمال العطش حتى إن أظماءها

لئن تبع الى العشر فصاعدا وجعلها نزع كل شيء ثابت في البراري والمفاوز مما لا يرعاه سائر البهائم
وعن سعيد بن جبير قال لقيت شريحا القاضي فقلت اين تريد قال اريد الكناسة قلت وما
تصنع بها قال انظر الى الابل كيف خلقت كيف حسن ذكر الابل مع السماء والجبال والارض
ولا مناسبة قد انتظم هذه الاشياء نظر العرب في اوديتهم وبواديهم فانتظمها الذكر
على حسب ما انتظمها نظرهم ولم يدع من زعم ان الابل السحاب الى قوله الا طلبا للمناسبة ولعله لم يرد ان
الابل من اسماء السحاب كالغمام والمزن والرباب والغيم والغين وغير ذلك وانما راى السحاب مشبها
بالابل كثيرا في اشعارهم فجوز ان يراد بها السحاب على طريق التشبيه والمجاز والى السماء كيف رفعت رفعا
بعيد المدى بلا امساك وبغير عمد والى الجبال كيف نصبت نصبا ثابتا فهي راسخة لا تميل ولا تزول والى الارض
كيف سطحت سطحا بتمهيد وتوطئة فهي مهاد للمتقلب عليها وقرا علي رضي الله عنه رفعت وخلقت
ونصبت وسطحت على البناء للفاعل وتاء الضمير والتقدير فعلتها فحذف المفعول وعن هارون
الرشيد انه قرا سطحت بالتشديد والمعنى افلا ينظرون الى هذه المخلوقات الشاهدة على قدرة الخالق
حتى لا ينكروا اقتداره على البعث فيسمعوا انذار الرسول ويؤمنوا به ويستعدوا للقائه اي
لا ينظرون فذكرهم ولا تلح عليهم ولا يهمنك انهم لا ينظرون ولا يذكرون انما انت مذكر
كقوله ان عليك الا البلاغ لست عليهم بمسيطر بمسلط كقوله وما انت عليهم بجبار وقيل هو في
لغة تميم مفتوح الطاء على ان سيطر متعد عندهم وقولهم تسيطر يدل عليه الا من تولى وكفر
استثناء منقطع اي لست بمستول عليهم ولكن من تولى منهم فان لله الولاية والقهر فهو يعذبه العذاب
الاكبر ان الينا ايابهم ثم ان علينا حسابهم الذي هو عذاب جهنم وقيل هو استثناء من قوله فذكر اي فذكر الا من
انقطع طمعك في ايمانه وتولى فاستحق العذاب الاكبر وما بينهما اعتراض وقرئ الا من تولى على التنبيه
وفي قراءة ابن مسعود فانه يعذبه وقرا ابو جعفر المدني ايابهم بالتشديد ووجهه ان يكون فيعالا
مصدر ايب فيعل من الاياب وان يكون اصله اوابا فعالا من اوب ثم قيل ايوابا كديوان في
دوان ثم فعل به ما فعل باصل سيد ما معنى تقديم الظرف معناه التشديد
في الوعيد وان ايابهم ليس الا الى الجبار المقتدر على الانتقام وان حسابهم ليس بواجب الا عليه وهو
الذي يحاسب على النقير والقطمير ومعنى الوجوب الوجوب في الحكمة عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم من قرا سورة الغاشية حاسبه الله حسابا يسيرا

سورة الفجر مكية وهي تسع وعشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم والفجر وليال عشر والشفع والوتر والليل اقسم بالفجر كما اقسم بالصبح
في قوله والصبح اذا اسفر والصبح اذا تنفس وقيل بصلوة الفجر واراد بالليالي العشر عشر ذي الحجة
فما بالها منكرة من بين ما اقسم به لانها ليال مخصوصة من بين جنس الليالي العشر
بعض منها او مخصوصة بفضيلة ليست لغيرها فهلا عرفت بلام العهد لانها ليال معلومة
معهودة لو فعل ذلك لم تستقل بمعنى الفضيلة الذي في التنكير ولان الاحسن ان تكون اللامات
متجانسة ليكون الكلام ابعد من الالغاز والتعمية وبالشفع والوتر اما الاشياء كلها شفعها ووترها
واما شفع هذه الليالي ووترها ويجوز ان يكون شفعها يوم النحر ووترها يوم عرفة لانه تاسع ايامها
وذاك عاشرها وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه فسرهما بذلك وقد اكثروا في الشفع والوتر
حتى كادوا يستوعبون اجناس ما يقعان فيه وذلك قليل الطائل جدير بالتلهي عنه وبعدما اقسم بالليالي
المخصوصة اقسم بالليل على العموم اذا يسري اذا يمضي كقوله والليل اذ ادبر والليل اذا عسعس وقرئ
والوتر بفتح الواو وهما لغتان كالحبر والحبر في العدد وفي الترة الكسر وحده وقرئ والوتر بفتح الواو
وكسر التاء رواها يونس عن ابي عمرو وقرئ والفجر والوتر ويسر بالتنوين وهو التنوين الذي يقع
بدلا من حرف الاطلاق وعن ابن عباس وليال عشر بالاضافة يريد وليالي ايام عشر وياء يسري تحذف
في الدرج اكتفاء عنها بالكسرة واما في الوقف فتحذف مع الكسرة وقيل معنى يسري يسرى فيه
هل في ذلك اي فيما اقسمت به من هذه الاشياء قسم اي مقسم به لذي حجر يريد هل يحق
عنده ان يعظم بالاقسام بها او هل في اقسامي بها اقسام لذي حجر اي هل هو قسم عظيم يؤكد
بمثله المقسم عليه والحجر العقل لانه يحجر عن التهافت فيما لا ينبغي كما سمي عقلا ونهية لانه يعقل
وينهى وحصاة من الاحصاء وهو الضبط وقال الفراء يقال انه لذو حجر اذا كان قاهرا لنفسه
ضابطا لها والمقسم عليه محذوف وهو ليعذبن يدل عليه قوله الم تر كيف فعل ربك بعاد ارم ذات
العماد التي لم يخلق مثلها في البلاد وثمود الذين جابوا الصخر بالواد وفرعون ذي الاوتاد الى قوله فصب
عليهم ربك سوط عذاب قيل لعقب عاد بن عوص بن ارم بن سام بن نوح عاد كما يقال لبني هاشم هاشم
ثم قيل للاولين منهم عاد الاولى وارم تسمية لهم باسم جدهم ولمن بعدهم عاد الاخيرة قال
ابن الرقيات مجدا تليدا بناه اوله ادرك عادا وقبلها ارما فارم في قوله بعاد ارم عطف بيان
لعاد وايذان بانهم عاد الاولى القديمة وقيل ارم بلدتهم وارضهم التي كانوا فيها ويدل عليه
قراءة ابن الزبير بعاد ارم على الاضافة وتقديره بعاد اهل ارم كقوله واسئل القرية ولم تنصرف

قبيلة كانت او ارضا للتعريف والتانيث وقرا الحسن بعاد ارم مفتوحتين وقرئ بعاد ارم بسكون
الراء على التخفيف كما قرئ بورقكم وقرئ بعاد ارم ذات العماد باضافة ارم الى ذات العماد والارم
العلم يعني بعاد اهل اعلام ذات العماد وذات العماد اسم المدينة وقرئ بعاد ارم ذات العماد اي
جعل الله ذات العماد رميما بدلا من فعل ربك وذات العماد اذا كانت صفة للقبيلة فالمعنى انهم
كانوا بدويين اهل عمد او طوال الاجسام على تشبيه قدودهم بالاعمدة ومنه قولهم رجل عمد وعمدان
اذا كان طويلا وقيل ذات البناء الرفيع وان كانت صفة للبلدة فالمعنى انها ذات اساطين و
روي انه كان لعاد ابنان شداد وشديد فملكا وقهرا ثم مات شديد وخلص الامر لشداد
فملك الدنيا ودانت له ملوكها فسمع بذكر الجنة فقال ابني مثلها فبنى ارم في بعض صحارى
عدن في ثلثمائة سنة وكان عمره تسعمائة سنة وهي مدينة عظيمة قصورها من الذهب والفضة
واساطينها من الزبرجد والياقوت وفيها اصناف الاشجار والانهار المطردة ولما تم بناؤها
سار اليها باهل مملكته فلما كان منها على مسيرة يوم وليلة بعث الله عليهم صيحة من السماء
فهلكوا وعن عبد الله بن قلابة انه خرج في طلب ابل له فوقع عليها فحمل ما قدر عليه مما ثم وبلغ
خبره معاوية فاستحضره فقص عليه فبعث الى كعب فسأله فقال هي ارم ذات العماد و
سيدخلها رجل من المسلمين في زمانك احمر اشقر قصير على حاجبه خال وعلى عقبه خال يخرج
في طلب ابل له ثم التفت فابصر ابن قلابة فقال هذا والله ذلك الرجل لم يخلق مثلها في البلاد
مثل عاد
عظم اجرام وقوة وكان طول الرجل منهم اربعمائة ذراع وكان يأتي الصخرة العظيمة فيحملها فيلقيها
على الحي فيهلكهم او لم يخلق مثل مدينة شداد في جميع بلاد الدنيا وقرا ابن الزبير لم يخلق
مثلها اي لم يخلق الله مثلها جابوا الصخر قطعوا صخر الجبال واتخذوا فيها بيوتا كقوله وتنحتون
الجبال بيوتا قيل اول من نحت الجبال والصخور والرخام ثمود وبنوا الفا وسبعمائة مدينة
كلها من الحجارة قيل له ذو الاوتاد لكثرة جنوده ومضاربهم التي كانوا يضربونها اذا نزلوا او
لتعذيبه بالاوتاد كما فعل بماشطة ابنته وبآسية الذين طغوا في البلاد فاكثروا فيها الفساد فصب
عليهم ربك سوط عذاب احسن الوجوه فيه ان يكون في محل النصب على الذم ويجوز ان يكون مرفوعا
على الذم ويجوز ان يكون مرفوعا على هم الذين طغوا او مجرورا على وصف المذكورين عاد وثمود و
فرعون يقال صب عليه السوط وغشاه وقنعه وذكر السوط اشارة الى ان ما احله بهم
في الدنيا من العذاب العظيم بالقياس الى ما اعد لهم في الآخرة كالسوط اذا قيس الى سائر ما يعذب به

وعن عمرو بن عبيد كان الحسن اذا اتى على هذه الاية قال ان عند الله اسواطا كثيرة فاخذهم بسوط
منها المرصاد المكان الذي يترقب فيه الرصد مفعال من رصده كالميقات من وقته وهذا مثل
لارصاده العصاة بالعقاب وانهم لا يفوتونه وعن بعض العرب انه قيل اين ربك فقال بالمرصاد وعن
عمرو بن عبيد انه قرا هذه السورة عند المنصور حتى بلغ هذه الآية فقال ان ربك لبالمرصاد يا ابا جعفر
عرض له في هذا النداء بانه بعض من توعد بذلك من الجبابرة فلله دره اي اسد فراس كان بين
ثوبيه يدق الظلمة بانكاره ويقصع اهل الاهواء والبدع باحتجاجه فان قلت بم اتصل قوله
فاما الانسان قلت بقوله ان ربك لبالمرصاد كانه قيل ان الله لا يريد من الانسان الا الطاعة و
السعي للعاقبة وهو مرصد بالعقوبة للعاصي فاما الانسان فلا يريد ذلك ولا يهمه الا العاجلة وما
يلذه وينعمه فيها فكيف توازن قوله فاما الانسان اذا ما ابتلاه ربه فاكرمه ونعمه
وقوله واما اذا ما ابتلاه وحق التوازن ان يتقابل الواقعتان بعد اما واما تقول اما الانسان فكفور
واما الملك فشكور اما اذا احسنت الى زيد فهو محسن اليك واما اذا اسات اليه فهو مسيء اليك
هما متوازنان من حيث ان التقدير واما هو اذا ما ابتلاه ربه وذلك ان قوله فيقول ربي اكرمني واما
اذا ما ابتلاه فقدر عليه رزقه فيقول خبر المبتدا الذي هو الانسان ودخول الفاء لما في اما من
معنى الشرط والظرف المتوسط بين المبتدا والخبر في تقدير التاخير كانه قيل فاما الانسان فقائل
ربي اكرمني وقت الابتلاء فوجب ان يكون فيقول الثاني خبرا لمبتدا واجب تقديره
كيف سمى كلا الامرين من بسط الرزق وتقديره ابتلاء لان كل واحد منهما اختبار للعبد
فاذا بسط له فقد اختبر حاله ايشكر ام يكفر واذا قدر عليه فقد اختبر حاله ايصبر ام يجزع فالحكمة
فيهما واحدة ونحوه قوله تعالى ونبلوكم بالشر والخير فتنة هلا قال فاهانه وقدر عليه
رزقه كما قال فاكرمه ونعمه فان البسط اكرام من الله لعبده بانعامه عليه متفضلا من
غير سابقة واما التقدير فليس باهانة له لان الاخلال بالتفضل لا يكون اهانة ولكن تركا للكرامة
وقد يكون المولى مكرما لعبده ومهينا وغير مكرم ولا مهين واذا اهدى لك زيد هدية قلت اكرمني
بالهدية ولا تقول اهانني ولا اكرمني اذا لم يهد لك فقد قال فاكرمه فصحح اكرامه
واثبته ثم انكر قوله ربي اكرمني وذمه عليه كما انكر قوله اهانني وذمه عليه فيه
جوابان احدهما انه انما انكر قوله ربي اكرمني وذمه عليه لانه قال على قصد خلاف ما صححه الله واثبته
وهو قصده الى ان الله اعطاه ما اعطاه اكراما له مستحقا مستوجبا على عادة افتخارهم وجلالة اقدارهم

عندهم كقوله انما اوتيته على علم عندى وانما اعطاه الله على وجه التفضل من غير استيجاب منه له ولا
سابقة مما لا يعتد الله الا به وهو التقوى دون الانساب والاحساب التى كانوا يفتخرون بها ويرون
استحقاق الكرامة من اجلها والثانى ان ينساق الانكار والذم الى قوله ربى اهانن يعنى انه اذا تفضل
عليه بالخير واكرم به اعترف بتفضل الله واكرامه واذا لم يتفضل عليه سمى ترك التفضل هوانا وليس
بهوان ويعضد هذا الوجه ذكر الاكرام فى قوله فاكرمه وقرئ فقدر بالتخفيف والتشديد
واكرمن واهانن بسكون النون فى الوقف فيمن ترك الياء فى الدرج مكتفيا منها بالكسرة كلا بل لا
تكرمون اليتيم ولا تحاضون على طعام المسكين وتاكلون التراث ردع للانسان عن قوله ثم قال
بل هناك شر من هذا القول وهو ان الله يكرمهم بكثرة المال فلا يؤدون ما يلزمهم فيه من اكرام اليتيم
بالتفقد والمبرة وحض اهله على طعام المسكين وياكلونه اكل الانعام ويحبونه فيشحون به
وقرئ يكرمون وما بعده بالياء والتاء وقرئ تحاضون اى يحض بعضكم بعضا وفى قراءة ابن
مسعود ولا تحاضون بضم التاء من المحاضة اكلا لما ذا لم وهو الجمع بين الحلال والحرام قال الحطيئة
اذا كان لما يتبع الذم ربه فلا قدس الرحمن تلك الطواحنا يعنى انهم يجمعون فى اكلهم بين نصيبهم
من الميراث ونصيب غيرهم وقيل كانوا لا يورثون النساء ولا الصبيان وياكلون تراثهم مع تراثهم
وقيل ياكلون ما جمعه الميت من الظلمة وهو عالم بذلك فيلم فى الاكل بين حلاله وحرامه ويجوز ان
يذم الوارث الذى ظفر بالمال سهلا مهلا من غير ان يعرق فيه جبينه فيسرف فى انفاقه وياكله
اكلا واسعا جامعا بين الوان المشتهيات من الاطعمة والاشربة والفواكه كما يفعل الوراث
البطالون وتحبون المال حبا جما كثيرا شديدا مع الحرص والشره ومنع الحقوق كلا ردع لهم
عن ذلك وانكار لفعلهم ثم اتى بالوعيد وذكر تحسرهم على ما فرطوا فيه حين لا ينفع الحسرة
ويومئذ بدل من اذا دكت الارض وعامل النصب فيهما يتذكر دكا دكا وجاء ربك والملك دكا بعد دك
كقولك حسبته بابا بابا اى كرر عليها الدك حتى عادت هباء منبثا ما معنى
اسناد المجيء الى الله والحركة والانتقال انما يجوز على من كان فى جهة هو تمثيل لظهور
فى ذلك ح
آيات اقتداره وتبين آثار قهره وسلطانه مثلت حاله بحال الملك اذا حضر بنفسه ظهر
بحضوره من آثار الهيبة والسياسة ما لا يظهر بحضور عساكره كلها ووزرائه وخواصه عن بكرة
ابيهم صفا صفا ينزل ملائكة كل سماء فيصطفون صفا بعد صف محدقين بالجن والانس
وجيء يومئذ بجهنم يومئذ يتذكر الانسان كقوله وبرزت الجحيم وروى انها لما نزلت تغير

وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم وعرف فى وجهه حتى اشتد على اصحابه فاخبروا عليا رضى الله عنه
فجاء فاحتضنه من خلفه وقبل بين عاتقيه ثم قال يا نبى الله بابى وامى ما الذى حدث اليوم
وما الذى غيرك فتلا عليه الآية فقال على كيف يجاء بها قال يجىء بها سبعون الف ملك يقودونها
بسبعين الف زمام فتشرد شردة لو تركت لاحرقت اهل الجمع اى يتذكر ما فرط فيه او يتعظ وانى
له الذكرى يقول يا ليتنى ومن اين له منفعة الذكرى لا بد من تقدير حذف المضاف والا فبين
يوم يتذكر وبين وانى له الذكرى تناف وتناقض قدمت لحياتى هذه وهى حياة الآخرة
او وقت حياتى فى الدنيا كقولك جئته لعشر ليال خلون من رجب وهذا ابين دليل على ان الاختيار
كان فى ايديهم ومعلقا بقصدهم وارادتهم وانهم لم يكونوا محجوبين عن الطاعات مجبرين على
المعاصى كمذهب اهل الاهواء والبدع والا فما معنى التحسر فيومئذ لا يعذب عذابه احد ولا يوثق
وثاقه احد قرئ يعذب ويوثق على البناء وهى قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن ابى عمرو
انه رجع اليها فى آخر عمره والضمير للانسان الموصوف وقيل هو ابى بن خلف اى لا يعذب احد مثل
عذابه ولا يوثق بالسلاسل والاغلال مثل وثاقه لتناهيه فى كفره وعناده او لا يحمل عذاب الانسان
احد كقوله ولا تزر وازرة وزر اخرى وقرئ بالكسر والضمير لله تعالى اى لا يتولى عذاب الله احد
لان الامر لله وحده فى ذلك اليوم او للانسان اى لا يعذب احد من الزبانية مثل ما يعذبونه
يا ايتها النفس على ارادة القول اى يقول الله للمؤمن يا ايتها النفس اما ان يكلمه اكراما له كما كلم موسى صلوات
الله عليه او على لسان ملك والمطمئنة الآمنة التى لا يستفزها خوف ولا حزن وهى النفس
المؤمنة او المطمئنة الى الحق التى سكنها ثلج اليقين فلا يخالجها شك ويشهد للتفسير الاول
قراءة ابى بن كعب يا ايتها النفس الآمنة المطمئنة متى يقال لها ذلك
اما عند الموت واما عند البعث واما عند دخول الجنة على معنى ارجعى الى موعد ربك راضية بما
اوتيت مرضية عند الله فادخلى فى عبادى فى جملة عبادى الصالحين وانتظمى فى سلكهم وادخلى جنتى
معهم وقيل النفس الروح ومعناه فادخلى فى اجساد عبادى وقرا ابن عباس فادخلى فى عبدى
وقرا ابن مسعود فى جسد عبدى وقرا ابى ائتى ربك راضية مرضية ادخلى فى عبدى وقيل
نزلت فى حمزة بن عبد المطلب وقيل فى خبيب بن عدى الذى صلبه اهل مكة وجعلوا وجهه
الى المدينة فقال اللهم ان كان لى عندك خير فحول وجهى نحو قبلتك فحول الله وجهه نحوها فلم
يستطع احد ان يحوله والله اعلم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الفجر

في الليالي العشر غفر له ومن قرأها في سائر الأيام كانت له نوراً يوم القيامة ٥

سورة البلد مكية وهي عشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم لا أقسم بهذا البلد أقسم سبحانه بالبلد الحرام وبما بعده على
أن الإنسان خلق مغموراً في مكابدة المشاق والشدائد واعترض بين القسم والمقسم عليه بقوله و
أنت حل بهذا البلد ووالد وما ولد لقد خلقنا الإنسان يعني ومن المكابدة أن مثلك على عظم حرمتك
يستحل بهذا البلد الحرام كما يستحل الصيد في غير الحرم وعن شرحبيل يحرمون أن يقتلوا بها صيداً
ويعضدوا بها شجرة ويستحلون إخراجك وقتلك وفيه تثبيت من رسول الله صلى الله عليه وسلم و
بعث على احتمال ما كان يكابد من أهل مكة وتعجيب من حالهم في عداوته أو سلى رسول الله صلى الله
عليه وسلم بالقسم ببلده على أن الإنسان لا يخلو من مقاساة الشدائد واعترض بأن وعده فتح مكة
تتميماً للتسلية والتنفيس عنه فقال وأنت حل بهذا البلد يعني وأنت حل به في المستقبل تصنع
فيه ما تريد من القتل والأسر وذلك أن الله فتح عليه مكة وأحلها له وما فتحت على أحد قبله و
لا أحلت له فأحل ما شاء وحرم ما شاء قتل ابن خطل وهو متعلق بأستار الكعبة ومقيس
بن صبابة وغيرهما وحرم دار أبي سفيان ثم قال إن الله حرم مكة يوم خلق السموات و
الأرض فهي حرام إلى أن تقوم الساعة لم تحل لأحد قبلي ولن تحل لأحد بعدي ولم تحل لي
إلا ساعة من نهار فلا يعضد شجرها ولا يختلى خلاها ولا ينفر صيدها ولا تحل لقطتها
فقال العباس يا رسول الله إلا الإذخر فإنه لقبورنا وقبوننا وبيوتنا فقال صلى الله عليه
وسلم إلا الإذخر   أن نظير قوله وأنت حل في معنى الاستقبال   قوله
عز وجل إنك ميت وإنهم ميتون ومثله واسع في كلام العباد تقول لمن تعده الإكرام والحباء
أنت مكرم محبو وهو في كلام الله أوسع لأن الأحوال المستقبلة عنده كالحاضرة المشاهدة
وكفاك دليلاً قاطعاً على أنه للاستقبال وأن تفسيره بالحال محال أن السورة بالاتفاق مكية
وأين الهجرة عن وقت نزولها فما بال الفتح   ما المراد بوالد وما ولد   رسول الله
صلى الله عليه وسلم ومن ولده أقسم ببلده الذي هو مسقط رأسه وحرم أبيه إبراهيم ومنشأ أبيه
إسمعيل وبمن ولده وبه   لم نكر   للإبهام المستقل بالمدح والتعجب
هلا قيل ومن ولد   فيه ما في قوله والله أعلم بما وضعت أي أي شيء
وضعت يعني موضوعاً عجيب الشأن وقيل هما آدم وولده وقيل كل والد وولد في كبد

والكبد أصله من قولك كبد الرجل كبداً فهو أكبد إذا وجعت كبده وانتفخت فاتسع فيه حتى استعمل
في كل تعب ومشقة ومنه اشتقت المكابدة كما قيل كبته بمعنى أهلكه وأصله كبده إذا أصاب
كبده قال لبيد يا عين هلا بكيت أربد إذ قمنا وقام الخصوم في كبد أي في شدة الأمر وصعوبة
الخطب والضمير في أيحسب الإنسان لبعض صناديد قريش الذين كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يكابد منهم ما يكابد والمعنى أيظن هذا الصنديد القوي في قومه المتضعف للمؤمنين أن لن يقوم قيامه
ولن يقدر على الانتقام منه وعلى مكافاته بما هو عليه ثم ذكر ما يقوله في ذلك اليوم فإنه يقول أهلكت مالاً
لبداً يريد كثرة ما أنفقه فيما كان أهل الجاهلية يسمونها مكارم ويدعونها معالي ومفاخر
أيحسب أن لم يره أحد حين كان ينفق ما ينفق رياء الناس وافتخاراً بينهم يعني أن الله كان يراه
وكان عليه رقيباً ويجوز أن يكون الضمير للإنسان على أن يكون المعنى أقسم بهذا البلد الشريف
ومن شرفه أنك حل به مما يقترفه أهله من المآثم متحرج بريء فهو حقيق بأن أعظمه
بقسمي به لقد خلقنا الإنسان في كبد أي في مرض وهو مرض القلب وفساد الباطن يريد الذين
علم الله منهم حين خلقهم أنهم لا يؤمنون ولا يعملون الصالحات وقيل الذي يحسب أن لن يقدر
عليه أحد هو أبو الأشد وكان قوياً يبسط له الأديم العكاظي فيقوم عليه ويقول من أزالني عنه
فله كذا فلا ينزع إلا قطعاً ويبقى موضع قدميه وقيل الوليد بن المغيرة لبداً قرئ بالضم
والكسر جمع لبدة ولبدة وهو ما تلبد يريد الكثرة وقرئ لبداً بضمتين جمع لبود ولبداً
بالتشديد جمع لابد ألم نجعل له عينين يبصر بهما المرئيات ولساناً يترجم به عن ضمائره وشفتين
يطبقهما على فيه ويستعين بهما على النطق والأكل والشرب والنفخ وغير ذلك وهديناه النجدين أي طريقي الخير والشر
وقيل الثديين فلا اقتحم العقبة وما أدراك ما العقبة فك رقبة أو إطعام في يوم ذي مسغبة يتيماً
ذا مقربة أو مسكيناً ذا متربة ثم كان يعني فلم يشكر تلك الأيادي والنعم بالأعمال الصالحة من
فك الرقاب وإطعام اليتامى والمساكين ثم بالإيمان الذي هو أصل كل طاعة وأساس كل خير
بل غمط النعم وكفر بالمنعم والمعنى أن الإنفاق على هذا الوجه هو الإنفاق المرضي النافع
عند الله لا أن يهلك مالاً لبداً في الرياء والفخار فيكون مثله كمثل ريح فيها صر أصابت حرث
قوم الآية   قل ما يقع لا الداخلة على الماضي إلا مكررة ونحو قوله فأي أمر سيئ لا فعله
لا يكاد يقع فما لها لم تكرر في الكلام الأفصح   هي متكررة في المعنى لأن معنى فلا
اقتحم العقبة فلا فك رقبة ولا أطعم مسكيناً ألا ترى أنه فسر اقتحام العقبة بذلك وقال

الزجاج قوله ثم كان من الذين آمنوا يدل على معنى فلا اقتحم العقبة ولا آمن والاقتحام الدخول والمجاوزة
بشدة ومشقة والقحمة الشدة وجعل الصالحة عقبة وعملها اقتحاما لها لما في ذلك من معاناة
المشقة ومجاهدة النفس وعن الحسن عقبة والله شديدة مجاهدة الانسان نفسه وهواه وعدوه
الشيطان وفك الرقبة تخليصها من رق او غيره وفي الحديث ان رجلا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم
دلني على عمل يدخلني الجنة فقال تعتق النسمة وتفك الرقبة قال أوليسا سواء قال لا اعتاقها ان
تنفرد بعتقها وفكها ان تعين في تخليصها من قود او غرم والعتق والصدقة من افاضل الاعمال
وعن ابى حنيفة ان العتق افضل من الصدقة وعند صاحبيه الصدقة افضل والآية ادل على قول
ابى حنيفة لتقديم العتق على الصدقة وعن الشعبي في رجل عنده فضل نفقة أيضعه في ذي
قرابة او يعتق رقبة قال الرقبة افضل لان النبي صلى الله عليه وسلم قال من فك رقبة فك الله
بكل عضو منها عضوا منه من النار وقرئ فك رقبة او اطعام على هي فك رقبة او اطعام وقرئ
فك رقبة او اطعم على الابدال من اقتحم العقبة وقوله وما ادراك ما العقبة اعتراض ومعناه
انك لم تدر كنه صعوبتها على النفس وكنه ثوابها عند الله والمسغبة والمقربة والمتربة
مفعلات من سغب اذا جاع وقرب في النسب يقال فلان ذو قرابتي وذو مقربتي وترب اذا
افتقر ومعناه التصق بالتراب واما اترب فاستغنى اي صار ذا مال كالتراب في الكثرة كما قيل
كما قيل اثرى وعن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله ذا متربة الذي مأواه المزابل ووصف
اليوم بذي مسغبة نحو ما يقول النحويون في قولهم هم ناصب ذو نصب وقرأ الحسن ذا مسغبة
نصبه باطعام ومعناه او اطعام في يوم من الايام ذا مسغبة والذين آمنوا وتواصوا بالصبر وتواصوا
بالمرحمة اولئك اصحاب الميمنة والذين كفروا بآياتنا هم اصحاب المشأمة عليهم نار موصدة جاء بثم لتراخي
الايمان وتباعده في الرتبة والفضيلة عن العتق والصدقة لا في الوقت لان الايمان هو السابق
المقدم على غيره ولا يثبت عمل صالح الا به والمرحمة الرحمة اي اوصى بعضهم بعضا بالصبر
على الايمان والثبات عليه او بالصبر عن المعاصي وعلى الطاعات والمحن التي يبتلى بها المؤمن
وبان يكونوا متراحمين متعاطفين او بما يؤدي الى رحمة الله الميمنة والمشأمة اليمين و
الشمال او اليمن والشؤم اي الميامين على انفسهم والمشائيم عليهن قرئ موصدة بالواو و
الهمزة من اوصدت الباب وآصدته اذا اطبقته واغلقته وعن ابي بكر بن عياش لنا امام
يهمز موصدة فاشتهي ان اسد اذني اذا سمعته وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ لا اقسم

ثم كان من

بهذا البلد اعطاه الله الامان من غضبه يوم القيامة ٥

سورة الشمس مكية وهي خمس عشرة آية

بسم الله الرحمن الرحيم والشمس وضحاها ضوؤها اذا اشرقت وقام سلطانها ولذلك قيل
وقت الضحى وكان وجهه شمس الضحى وقيل الضحوة ارتفاع النهار والضحى فوق ذلك والضحاء
بالفتح والمد اذا امتد النهار وكرب ان ينتصف والقمر اذا تلاها طالعا عند غروبها آخذا
من نورها وذلك في النصف الاول من الشهر وقيل اذا استدار فتلاها في الضياء والنور
والنهار اذا جلاها عند انفتاح النهار وانبساطه لان الشمس تنجلي في ذلك الوقت تمام الانجلاء
وقيل الضمير للظلمة او للدنيا او للارض وان لم يجر لها ذكر كقولهم اصبحت باردة يريدون الغداة
وارسلت يريدون السماء والليل اذا يغشاها فيغيب وتظلم الآفاق الامر في
نصب اذا معضل لانك لا تخلو اما ان تجعل الواوات عاطفة فتنصب بها وتجر فيقع في
العطف على عاملين وفي نحو قولك مررت امس بزيد واليوم عمرو واما ان تجعلهن للقسم فيقع
فيما اتفق الخليل وسيبويه على استكراهه الجواب فيه ان واو القسم مطرح معها ابراز
الفعل اطراحا كليا فكان لها شان خلاف شان الباء حيث ابرز معها الفعل واضمر فكانت
الواو قائمة مقام الفعل والباء سادة مسدهما والواوات العواطف نوائب عن هذه الواو
فحققن ان يكن عوامل عمل الفعل والجار جميعا كما تقول ضرب زيد عمرا وبكر خالدا فترفع
بالواو وتنصب لقيامها مقام ضرب الذي هو عاملهما والسماء وما بناها والارض وما طحاها ونفس
وما سواها فالهمها فجورها وتقواها جعلت ما مصدرية في قوله وما بناها وما طحاها وما سواها
وليس بالوجه لقوله فالهمها وما يؤدي اليه من فساد النظم والوجه ان تكون موصولة وانما اوثرت
على من لارادة معنى الوصفية كانه قيل والسماء والقادر العظيم الذي بناها ونفس والحكيم الباهر
الحكمة الذي سواها وفي كلامهم سبحان ما سخركن لنا لم نكرت النفس
فيه وجهان احدهما ان يريد نفسا خاصة من بين النفوس وهي نفس آدم كانه قال وواحدة من
النفوس والثاني ان يريد كل نفس وينكر للتكثير على الطريقة المذكورة في قوله علمت نفس ومعنى
الهام الفجور والتقوى افهامهما واعقالهما وان احدهما حسن والآخر قبيح وتمكينه من اختيار
ما شاء منهما بدليل قوله قد افلح من زكاها وقد خاب من دساها كذبت ثمود فجعل فاعل التزكية
والتدسية ومتوليهما والتزكية الانماء والاعلاء بالتقوى والتدسية النقص والاخفاء

بالفجور، وأصل دسّى دسّس كما قيل في تقضّض تقضّى وسئل ابن عباس عنه فقال أتقرأ قد أفلح
من تزكّى وقد خاب من دسّاها. وأما قول من زعم أن الضمير في زكى ودسّى لله تعالى وأن تأنيث
الراجع إلى من لأنه في معنى النفس فمن تعكيس القدرية الذين يورّكون على الله قدرًا هو بريء منه و
متعال عنه، ويحيون لياليهم في تمحّل فاحشة ينسبونها إليه. فإن قلت فأين جواب القسم
هو محذوف تقديره ليدمدمنّ الله عليهم أي على أهل مكة لتكذيبهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
كما دمدم على ثمود لأنهم كذّبوا صالحًا وأما قد أفلح من زكاها فكلام تابع لقوله فألهمها فجورها
وتقواها على سبيل الاستطراد وليس من جواب القسم في شيء. الباء في بطغواها مثلها في كتبت
بالقلم. والطغوى من الطغيان فصلوا بين الاسم والصفة في فعلى من بنات الياء بأن قلبوا الياء
واوًا في الاسم وتركوا القلب في الصفة فقالوا امرأة خزيا وصديا يعني فعلت التكذيب
بطغيانها كما تقول ظلمني بجراءته على الله. وقيل كذّبت بما أوعدت به من عذابها ذي الطغوى كقوله
فأهلكوا بالطاغية. وقرأ الحسن بطغواها بضم الطاء كالحسنى والرجعى في المصادر. إذ انبعث
منصوب بكذّبت أو بالطغوى. أشقاها قدار بن سالف ويجوز أن يكونوا جماعة والتوحيد لتسويتك
في أفعل التفضيل إذا أضفته بين الواحد والجمع والمذكر والمؤنث وكان يجوز أن يقال أشقوها
كما تقول أفاضلهم والضمير في لهم يجوز أن يكون للأشقين والتفضيل في الشقاوة لأن من تولّى
العقر وباشره كانت شقاوته أظهر وأبلغ. رسول الله ناقة الله نصب على التحذير كقولك
الأسد الأسد والصبي الصبي بإضمار ذروا واحذروا عقرها وسقياها فلا تزووها
عنها ولا تستأثروا بها عليها. فكذبوه فيما حذرهم منه من نزول العذاب إن فعلوا. فعقروها
فدمدم عليهم فأطبق عليهم العذاب وهو من تكرير قولهم ناقة مدمومة إذا ألبسها الشحم. بذنبهم
بسبب ذنبهم وفيه إنذار عظيم بعاقبة الذنب فعلى كل مذنب أن يعتبر ويحذر.
فسوّاها الضمير للدمدمة أي فسوّاها بينهم لم يفلت منها صغيرهم ولا كبيرهم
ولا يخاف عقباها أي عاقبتها وتبعتها كما يخاف كل معاقب من الملوك فيبقي بعض الإبقاء
ويجوز أن يكون الضمير لثمود على معنى فسوّاها بالأرض أو في الهلاك ولا يخاف عقبى هلاكها
وفي مصاحف أهل المدينة والشام فلا يخاف وفي قراءة النبي صلى الله عليه وسلم ولم يخف
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الشمس فكأنما تصدّق بكل شيء طلعت
عليه الشمس والقمر ٥

سورة الليل مكية وهي إحدى وعشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم والليل إذا يغشى والنهار إذا تجلّى المغشيّ إما الشمس من قوله والليل
إذا يغشاها وإما النهار من قوله يغشي الليل النهار وإما كل شيء يواريه بظلامه من قوله
إذا وقب. تجلّى ظهر بزوال ظلمة الليل أو تبيّن وتكشّف بطلوع الشمس. وما خلق والقادر العظيم
القدرة الذي قدر على خلق الذكر والأنثى من ماء واحد وقيل هما آدم وحواء. وفي قراءة النبي
صلى الله عليه وسلم والذكر والأنثى وقرأ ابن مسعود والذي خلق الذكر والأنثى وعن الكسائي
وما خلق الذكر والأنثى بالجر على أنه بدل من محل ما خلق بمعنى وما خلقه الله أي ومخلوق
الله الذكر والأنثى وجاز إضمار اسم الله لأنه معلوم لانفراده بالخلق إذ لا خالق سواه. وقيل
إن الله لم يخلق خلقًا من ذوي الأرواح ليس بذكر ولا أنثى والخنثى وإن أشكل أمره عندنا فهو
عند الله غير مشكل معلوم بالذكورة أو الأنوثة فلو حلف بالطلاق أنه لم يلق يومه ذكرًا ولا أنثى
وقد لقي خنثى مشكلًا كان حانثًا لأنه في الحقيقة إما ذكر أو أنثى وإن كان مشكلًا عندنا. إن
سعيكم لشتّى شتّى جمع شتيت أي إن مساعيكم أشتات مختلفة وبيان اختلافها فيما فصّل على
أثره. فأما من أعطى يعني حقوق ماله واتقى الله فلم يعصه وصدّق بالحسنى بالخصلة
الحسنى وهي الإيمان أو بالملة الحسنى وهي ملة الإسلام أو بالمثوبة الحسنى وهي الجنة. فسنيسّره
لليسرى فسنهيّئه لها من يسّر الفرس للركوب إذا أسرجها وألجمها ومنه قوله كلّ ميسّر
لما خلق له والمعنى فسنلطف به ونوفّقه حتى تكون الطاعة أيسر الأمور عليه وأهونها
من قوله فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام. وأما من بخل واستغنى وزهد فيما عند
الله كأنه مستغن عنه فلم يتّقه أو استغنى بشهوات الدنيا عن نعيم الجنة لأنه في مقابلة و
اتقى. وكذّب بالحسنى فسنيسّره للعسرى فسنخذله ونمنعه الألطاف حتى تكون الطاعة أعسر شيء
عليه وأشدّه من قوله يجعل صدره ضيقًا حرجًا كأنما يصّعّد في السماء أو سمّى طريقة الخير
باليسرى لأن عاقبتها اليسر وطريقة الشر العسرى لأن عاقبتها العسر أو أراد بهما طريقي الجنة
والنار أي فسنهديهما في الآخرة للطريقين. وقيل نزلت في أبي بكر رضي الله عنه وفي أبي سفيان
بن حرب. وما يغني عنه ماله استفهام في معنى الإنكار أو نفي. إذا تردّى تفعّل من الردى وهو الهلاك
يريد الموت أو تردّى في الحفرة إذا قبر أو تردّى في قعر جهنم. إن علينا للهدى إن الإرشاد إلى
الحق واجب علينا بنصب الدلائل وبيان الشرائع. وإن لنا للآخرة والأولى. فأنذرتكم نارًا تلظّى

أي ثواب الدارين للمهتدي كقوله وآتيناه أجره في الدنيا وإنه في الآخرة لمن الصالحين وقرأ أبو الزبير تتلظى

كيف قال لا يصلاها إلا الأشقى الذي كذب وتولى وسيجنبها الأتقى وقد علم أن كل شقي يصلاها وكل تقي يجنبها لا يختص بالصلي أشقى الأشقياء ولا بالنجاة أتقى الأتقياء وإن زعمت أنه نكر النار فأراد نارًا مخصوصة بالأشقى فما تصنع بقوله وسيجنبها الأتقى الذي يؤتي ماله يتزكى وما لأحد عنده من نعمة تجزى إلا فقد علم أن أفسق المسلمين يجنب تلك النار المخصوصة لا الأتقى منهم خاصة

الآية واردة في الموازنة بين حالتي عظيم من المشركين وعظيم من المؤمنين فأريد أن يبالغ في صفتيهما المتناقضتين فقيل الأشقى وجعل مختصًا بالصلي كأن النار لم تخلق إلا له وقيل الأتقى وجعل مختصًا بالنجاة كأن الجنة لم تخلق إلا له وقيل هما أبو جهل وأمية بن خلف وأبو بكر رضي الله عنه يتزكى من الزكاء أي يطلب أن يكون عند الله زاكيًا لا يريد به رياء ولا سمعة أو يتفعل من الزكاة

ما محل يتزكى

هو على وجهين إن جعلته بدلًا من يؤتي فلا محل له لأنه داخل في حكم الصلة والصلات لا محل لها وإن جعلته حالًا من الضمير في يؤتي فمحله النصب ابتغاء وجه ربه الأعلى مستثنى من غير جنسه وهو النعمة أي ما لأحد عنده نعمة إلا ابتغاء وجه ربه كقولك ما في الدار أحد إلا حمارًا وقرأ يحيى بن وثاب إلا ابتغاء وجه ربه بالرفع على لغة من يقول ما في الدار أحد إلا حمار وأنشد في اللغتين قول بشر بن أبي حازم

أضحت خلاء قفارًا لا أنيس بها إلا الجآذر والظلمان تختلف

وقول القائل

وبلدة ليس بها أنيس إلا اليعافير وإلا العيس

ويجوز أن يكون ابتغاء وجه ربه مفعولًا له على المعنى لأن معنى الكلام لا يؤتي ماله إلا ابتغاء وجه ربه لا لمكافأة نعمة ولسوف يرضى موعد بالثواب الذي يرضيه ويقر عينه عن رسول الله صلى الله عليه من قرأ سورة والليل أعطاه الله حتى يرضى وعافاه من العسر ويسر له اليسر

سورة الضحى مكية وهي إحدى عشرة آية

بسم الله الرحمن الرحيم والضحى والليل إذا المراد بالضحى وقت الضحى وهو صدر النهار حين ترتفع الشمس وتلقي شعاعها وقيل الضحى النهار ووقت الضحى بالقسم لأنها الساعة التي كلم فيها موسى وألقي فيها السحرة سجدًا لقوله وأن يحشر الناس ضحى وقيل أريد بالضحى النهار بيانه أن يأتيهم بأسنا ضحى في مقابلة بياتًا

سكن وركد ظلامه وقيل ليلة ساجية ساكنة الريح وقيل معناه سكون الناس والأصوات فيه وسجى البحر سكنت أمواجه وطرف ساج ساكن فاتر ما ودعك ربك وما قلى جواب القسم ومعناه ما قطعك قطع المودع وقرئ بالتخفيف يعني ما تركك قال

وثم ودعنا آل عمرو وعامر فرائس أطراف المثقفة السمر

والتوديع مبالغة في الودع لأن من ودعك مفارقًا فقد بالغ في تركك روي أن الوحي قد تأخر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أيامًا فقال المشركون إن محمدًا ودعه ربه وقلاه وقيل إن أم جميل امرأة أبي لهب قالت له يا محمد ما أرى شيطانك إلا قد تركك فنزلت حذف الضمير في قلى كحذفه من الذاكرات في قوله والذاكرين الله كثيرًا والذاكرات يريد والذاكراته ونحوه فآوى فهدى فأغنى وهو اختصار لفظي لظهور المحذوف

كيف اتصل قوله وللآخرة خير لك من الأولى بما قبله

لما كان في ضمن نفي التوديع والقلى أن الله مواصلك بالوحي إليك وأنك حبيب الله ولا ترى كرامة أعظم من ذلك ولا نعمة أجل منه أخبره أن حاله في الآخرة أعظم من ذلك وأجل وهو السبق والتقدم على جميع أنبياء الله ورسله وشهادة أمته على سائر الأمم ورفع درجات المؤمنين وإعلاء مراتبهم بشفاعته وغير ذلك من الكرامات السنية ولسوف يعطيك ربك فترضى موعد شامل لما أعطاه في الدنيا من الفلج والظفر بأعدائه يوم بدر ويوم فتح مكة ودخول الناس في الدين أفواجًا والغلبة على قريظة والنضير وإجلائهم وبث عساكره وسراياه في بلاد العرب وما فتح على خلفائه الراشدين في أقطار الأرض من المدائن وهدم بأيديهم من ممالك الجبابرة وأنهبهم من كنوز الأكاسرة وما قذف في قلوب أهل الشرق والغرب من الرعب وتهيب الإسلام وفشو الدعوة واستيلاء المسلمين ولما ادخر له من الثواب الذي لا يعلم كنهه إلا الله قال ابن عباس له في الجنة ألف قصر من لؤلؤ أبيض ترابه المسك

ما هذه اللام الداخلة على سوف

هي لام الابتداء المؤكدة لمضمون الجملة والمبتدأ محذوف تقديره ولأنت سوف يعطيك كما ذكرنا في لا أقسم أن المعنى لأنا أقسم وذلك أنها لا تخلو من أن تكون لام قسم أو ابتداء فلام القسم لا تدخل على المضارع إلا مع نون التأكيد فبقي أن تكون لام ابتداء ولام الابتداء لا تدخل إلا على الجملة من المبتدأ والخبر فلا بد من تقدير مبتدأ وخبر وأن أصله ولأنت سوف يعطيك

ما معنى الجمع بين حرفي التوكيد والتأخير

معناه أن العطاء كائن لا محالة وإن تأخر لما في التأخير من المصلحة عدد عليه نعمه وأياديه وأنه لم يخله منها من أول تربيته وابتداء نشئه ترشيحًا لما أراد به ليقيس المترقب من فضل الله على ما سلف

منه لئلا تتوقع الا الحسنى وزيادة الخير والكرامة ولا يضيق صدره ولا يقل صبره وألم يجدك
يتيما فآوى ووجدك من الوجود الذي بمعنى العلم والمنصوبان مفعولا وجد والمعنى ألم تكن
يتيما وذلك ان اباه مات وهو جنين قد اتت عليه ستة اشهر وماتت امه وهو ابن ثمان سنين
فكفله عمه ابو طالب وعطفه الله عليه فاحسن تربيته ومن بدع التفاسير انه من قولهم درة
يتيمة وان المعنى ألم يجدك واحدا في قريش عديم النظير فآواك وقرئ فأوى وهو على معنيين اما
من أواه بمعنى آواه سمع بعض الرعاة يقول اين آوي هذه الموقسة واما من أوى له اذا رحمه ووجدك
ضالا فهدى معناه الضلال عن علم الشرائع وما طريقه السمع كقوله ما كنت تدري ما الكتاب
وقيل ضل في صباه في بعض شعاب مكة فرده ابو جهل الى عبد المطلب وقيل اضلته حليمة عند
باب مكة حين فطمته وجاءت به لترده على عبد المطلب وقيل ضل في طريق الشام حين خرج به
ابو طالب فهداك فعرفك القرآن والشرائع او فازال ضلالك عن جدك وعمك ومن قال كان على
امر قومه اربعين سنة فان اراد انه كان على خلوهم عن العلوم السمعية فنعم وان اراد انه
كان على دينهم وكفرهم فمعاذ الله والانبياء يجب ان يكونوا معصومين قبل النبوة وبعدها من الكبائر
والصغائر الشائنة فما بال الكفر والجهل بالصانع ما كان لنا ان نشرك بالله من شيء وكفى
بالنبي نقيصة عند الكفار ان يسبق له كفر ووجدك عائلا فقيرا وقرئ عيلا كما قرئ
سيحات فاغنى فاغناك بمال خديجة او بما افاء عليك من الغنائم قال عليه السلام جعل رزقي
تحت ظل رمحي وقيل قنعك واغنى قلبك فاما اليتيم فلا تقهر فلا تغلبه على ماله وحقه لضعفه
وفي قراءة ابن مسعود فلا تكهر وهو ان يعبس في وجهه وفلان ذو كهرورة عابس الوجه
ومنه الحديث فبابي وامي هو ما كهرني النهر والنهي الزجر وعن النبي صلى الله عليه وسلم اذا رددت
السائل ثلاثا فلم يرجع فلا عليك ان تزبره وقيل اما انه ليس بالسائل المستجدي ولكن طالب العلم
اذا جاءك فلا تنهره التحديث بنعمة الله شكرها واشاعتها يريد ما ذكره من نعمة الايواء والهداية
والاغناء وما عدا ذلك وعن مجاهد بالقرآن واما بنعمة ربك فحدث اقرأه وبلغ ما ارسلت به
وعن عبد الله بن غالب انه كان اذا اصبح يقول رزقني الله البارحة خيرا قرأت كذا وصليت
كذا فاذا قيل له يا ابا فراس مثلك يقول مثل هذا قال يقول الله تعالى واما بنعمة ربك فحدث و
انتم تقولون لا تحدث بنعمة الله وانما يجوز مثل هذا اذا قصد به اللطف وان يقتدي به غيره
وامن على نفسه الفتنة والستر افضل ولو لم يكن فيه الا التشبه باهل الرياء والسمعة لكفى به

وفي قراءة علي رضي الله عنه فخبر والمعنى كنت يتيما وضالا وعائلا فآواك الله وهداك و
اغناك فمهما يكن من شيء وعلى ما خيلت فلا تنس نعمة الله عليك في هذه الثلاث واقتد بالله فتعطف
على اليتيم وآوه فقد ذقت اليتم وهوانه ورأيت كيف فعل الله بك وترحم على السائل وتفقده
بمعروفك ولا تزجره عن بابك كما رحمك ربك فاغناك بعد الفقر وحدث بنعمة الله كلها ويدخل
تحته هدايته الضلال وتعليمه الشرائع والقرآن مقتديا بالله في ان هداه من الضلال عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة والضحى جعله الله فيمن يرضى لمحمد ان يشفع له وعشر حسنات
يكتبها الله له بعدد كل يتيم وسائل

سورة ألم نشرح مكية وهي ثماني آيات

بسم الله الرحمن الرحيم ألم نشرح لك صدرك ووضعنا عنك وزرك الذي انقض ظهرك و
رفعنا لك ذكرك استفهم عن انتفاء الشرح على وجه الانكار فافاد اثبات الشرح وايجابه فكانه
قيل شرحنا لك صدرك ولذلك عطف عليه وضعنا اعتبارا للمعنى ومعنى شرحنا صدرك
فسحناه حتى وسع هموم النبوة ودعوة الثقلين جميعا او حتى احتمل المكاره التي يتعرض لك
بها كفار قومك وغيرهم او فسحناه بما اودعناه من العلوم وازلنا عنه الضيق والحرج
الذي يكون مع العمى والجهل وعن الحسن ملئ حكمة وعلما وعن ابي جعفر المنصور انه قرأ
ألم نشرح بفتح الحاء وقالوا لعله بين الحاء واشبعها في مخرجها فظن السامع انه فتحها و
الوزر الذي انقض ظهره اي حمله على النقيض وهو صوت الانتقاض والانفكاك لثقله مثل
لما كان يثقل على رسول الله صلى الله عليه وسلم ويغمه من فرطاته قبل النبوة او من جهله بالاحكام
والشرائع او من تهالكه على اسلام اولي العناد من قومه وتلهفه ووضعه عنه ان غفر له
او علم الشرائع او مهد عذره بعد ما بلغ وبالغ وقرأ انس وحللنا وحططنا وقرأ ابن مسعود
وحللنا عنك وقرك ورفع ذكره ان قرن بذكر الله في كلمة الشهادة والاذان والاقامة و
التشهد والخطب وفي غير موضع من القرآن والله ورسوله احق ان يرضوه ومن يطع الله و
رسوله واطيعوا الله واطيعوا الرسول وفي تسميته رسول الله ونبي الله ومنه ذكره في كتب الاولين
والاخذ على الانبياء واممهم ان يؤمنوا به اي فائدة في لك والمعنى مستقل بدونه
في زيادة لك ما في طريقة الابهام والايضاح كانه قيل ألم نشرح لك ففهم ان ثم مشروحا
ثم قيل صدرك فاوضح ما علم مبهما وكذلك لك ذكرك وعنك وزرك كيف تعلق

قوله فإن مع العسر يسرا ان مع العسر يسرا بما قبله كان المشركون يعيرون رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين بالفقر والضيقة حتى سبق الى وهمه انهم رغبوا عن الاسلام لافتقار اهله واحتقارهم فذكره ما انعم به عليه من جلائل النعم ثم قال فان مع العسر يسرا كانه قال خولناك ما خولناك فلا تيأس من فضل الله فان مع العسر الذى انتم فيه يسرا

ان مع للصحبة فما معنى اصطحاب اليسر والعسر اراد ان الله يصيبهم بيسر بعد العسر الذى كانوا فيه بزمان قريب فقرب اليسر المترقب حتى جعله كالمقارن للعسر زيادة فى التسلية وتقوية القلوب

ما معنى قول ابن عباس وابن مسعود لن يغلب عسر يسرين وقد روى مرفوعا انه خرج صلى الله عليه وسلم ذات يوم وهو يضحك ويقول لن يغلب عسر يسرين هذا عمل على الظاهر وبناء على قوة الرجاء وان موعد الله لا يحمل الا على اوفى ما يحتمله اللفظ وابلغه والقول فيه انه يحتمل ان يكون الجملة الثانية تكريرا للاولى كما كرر قوله ويل يومئذ للمكذبين لتقرير معناها فى النفوس وتمكينها فى القلوب وكما يكرر المفرد فى قولك جاءنى زيد زيد وان تكون الاولى عدة بان العسر مردوف بيسر لا محالة والثانية عدة مستأنفة بان العسر متبوع بيسر فهما يسران على تقدير الاستئناف وانما كان العسر واحدا لانه لا يخلو اما ان يكون تعريفه للعهد وهو العسر الذى كانوا فيه فهو هو لان حكمه حكم زيد فى قولك ان مع زيد مالا ان مع زيد مالا واما ان يكون للجنس الذى يعلمه كل احد فهو هو ايضا واما اليسر فمنكر متناول لبعض الجنس فاذا كان الكلام الثانى مستأنفا غير مكرر فقد تناول بعضا غير البعض الاول بغير اشكال

فما المراد باليسرين يجوز ان يراد بهما ما تيسر لهم من الفتوح فى ايام رسول الله صلى الله عليه وسلم وما تيسر لهم فى ايام الخلفاء وان يراد يسر الدنيا ويسر الآخرة كقوله قل هل تربصون بنا الا احدى الحسنيين وهما حسنى الظفر وحسنى الثواب

فما معنى هذا التنكير التفخيم كانه قيل ان مع العسر يسرا عظيما واى يسر وهو فى مصحف ابن مسعود مرة واحدة فاذا ثبت فى قراءته غير مكرر فلم قال والذى نفسى بيده لو كان العسر فى جحر لطلبه اليسر حتى يدخل عليه انه لن يغلب عسر يسرين كانه قصد باليسرين ما فى قوله يسرا من معنى التفخيم فتأوله بيسر الدارين وذلك يسران فى الحقيقة

فكيف تعلق قوله فاذا فرغت فانصب بما قبله لما عدد عليه نعمه السالفة ووعده الآنفة بعثه على الشكر والاجتهاد فى العبادة

والنصب فيها وان يواصل بين بعضها وبعض ويتابع ويحرص على ان لا يخلى وقتا من اوقاته منها فاذا فرغ من عبادة ذنبها باخرى وعن ابن عباس فاذا فرغت من صلوتك فاجتهد فى الدعاء وعن الحسن فاذا فرغت من الغزو فاجتهد فى العبادة وعن مجاهد فاذا فرغت من دنياك فانصب فى صلاتك وعن الشعبى انه راى رجلا يشيل حجرا فقال ليس بهذا امر الفارغ وقعود الرجل فارغا من غير شغل او اشتغاله بما لا يعنيه فى دينه او دنياه من سفه الراى وسخافة العقل واستيلاء الغفلة ولقد قال عمر رضى الله عنه انى لاكره ان ارى احدكم فارغا سبهللا لا فى عمل دنياه ولا فى عمل آخرته وقرأ ابو السمال فرغت بكسر الراء وليست بفصيحة ومن البدع ما روى عن بعض الرافضة انه قرأ فانصب بكسر الصاد اى فانصب عليا للامامة ولو صح هذا للرافضى لصح للناصبى ان يقرأ هكذا ويجعله امرا بالنصب الذى هو بغض على وعداوته والى ربك فارغب واجعل رغبتك اليه خصوصا ولا تسأل الا فضله متوكلا عليه وقرئ فرغب اى رغب الناس الى طلب ما عنده عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الم نشرح فكانما جاءنى وانا مغتم ففرج عنى

سورة التين مكية وهى ثمان آيات

بسم الله الرحمن الرحيم والتين والزيتون وطور سينين وهذا البلد الامين لقد خلقنا الانسان اقسم بهما لانهما عجيبان من بين اصناف الاشجار المثمرة روى انه اهدى لرسول الله صلى الله عليه وسلم طبق من تين فاكل منه وقال لاصحابه كلوا فلو قلت ان فاكهة نزلت من الجنة لقلت هذه لان فاكهة الجنة بلا عجم فكلوها فانها تقطع البواسير وتنفع من النقرس ومر معاذ بن جبل بشجرة الزيتون فاخذ منها قضيبا واستاك به وقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول نعم السواك الزيتون من الشجرة المباركة يطيب الفم ويذهب بالحفرة وسمعته يقول هى سواكى وسواك الانبياء قبلى وعن ابن عباس هو تينكم هذا وزيتونكم وقيل جبلان من الارض المقدسة يقال لهما بالسريانية طور تينا وطور زيتا لانهما منبتا التين والزيتون وقيل التين جبال ما بين حلوان وهمذان والزيتون جبال الشام لانهما منابتهما كانه قيل ومنابت التين والزيتون واضيف الطور وهو الجبل الى سينين وهى البقعة ونحو سينون بيرون فى جواز الاعراب بالواو والياء والاقرار على الياء وتحريك النون بحركات الاعراب والبلد مكة حماها الله والامين من امن الرجل امانة

فهو امين وقيل آمن كما قيل كرام في كريم وامانته انه يحفظ من دخله كما يحفظ الامين ما يؤتمن عليه
ويجوز ان يكون فعيلا بمعنى مفعول من امنه لانه مأمون الغوائل كما وصف بالامن في قوله تعالى حرما آمنا
بمعنى ذي امن ومعنى القسم بهذه الاشياء الابانة عن شرف البقاع المباركة وما ظهر فيها من الخير
والبركة بسكنى الانبياء والصالحين فمنبت التين والزيتون مهاجر ابرهيم ومولد عيسى ومنشؤه
والطور المكان الذي نودي منه موسى ومكة مكان البيت الذي هو هدى للعالمين ومولد رسول الله
صلى الله عليه وسلم ومبعثه في احسن تقويم ثم رددناه اسفل سافلين الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم
اجر غير ممنون في احسن تعديل لشكله وصورته وتسوية لاعضائه ثم كان عاقبة امره حين لم يشكر
نعمة تلك الخلقة الحسنة القويمة السوية ان رددناه اسفل من سفل خلقا وتركيبا يعني اقبح
من قبح صورة واشوهه خلقة وهم اصحاب النار او اسفل من سفل من اهل الدركات او ثم
رددناه بعد ذلك التقويم والتحسين اسفل من سفل في حسن الصورة والشكل حيث نكسناه في
خلقه فقوس ظهره بعد اعتداله وابيض شعره بعد سواده وتشنن جلده بعد ما كان بضا
وكل سمعه وبصره وكانا حديدين وتغير كل شيء منه فمشيه دليف وصوته خفات وقوته
ضعف وشهامته خرف وقرأ عبد الله اسفل السافلين فكيف الاستثناء على
المذهبين هو على الاول متصل ظاهر الاتصال وعلى الثاني منقطع يعني ولكن الذين
كانوا صالحين من الهرمى فلهم ثواب دائم غير منقطع على طاعتهم وصبرهم على ابتلاء الله بالشيخوخة
والهرم وعلى مقاساة المشاق والقيام بالعبادة على تخاذل نهوضهم فما يكذبك
بعد بالدين من المخاطب به هو خطاب للانسان على طريقة الالتفات اي فما يجعلك
كاذبا بسبب الدين وانكاره بعد هذا الدليل يعني انك تكذب اذا كذبت بالجزاء لان كل مكذب
بالحق فهو كاذب فاي شيء يضطرك الى ان تكون كاذبا بسبب تكذيب الجزاء والباء مثلها في
قوله تعالى الذين يتولونه والذين هم به مشركون والمعنى ان خلق الانسان من نطفة و
تقويمه بشرا سويا وتدريجه في مراتب الزيادة الى ان يكمل ويستوي ثم تنكيسه الى ان
يبلغ ارذل العمر لا ترى دليلا اوضح منه على قدرة الخالق وان من قدر من الانسان على هذا
كله لم يعجز عن اعادته فما سبب تكذيبك ايها الانسان بالجزاء بعد هذا الدليل القاطع وقيل
الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم أليس الله باحكم الحاكمين وعيد للكفار وانه يحكم
عليهم بما هم اهله وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان اذا قرأها قال بلى وانا على ذلك من الشاهدين

تعديل راست كردن

عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة والتين اعطاه الله خصلتين العافية واليقين
ما دام في دار الدنيا واذا مات اعطاه الله من الاجر بعدد من قرأ هذه السورة

سورة العلق مكية وهي تسع عشرة آية

بسم الله الرحمن الرحيم اقرأ عن ابن عباس ومجاهد هي اول سورة نزلت واكثر المفسرين
على ان الفاتحة اول ما نزل ثم سورة القلم محل باسم ربك النصب على الحال اي اقرأ مفتتحا باسم
ربك قل بسم الله ثم اقرأ كيف قال الذي خلق فلم يذكر مفعولا ثم قال خلق الانسان
هو على وجهين اما ان لا يقدر له مفعول وان يراد انه الذي حصل منه الخلق و
استأثر به لا خالق سواه واما ان يقدر ويراد خلق كل شيء فيتناول كل مخلوق لانه
مطلق فليس بعض المخلوقات اولى بتقديره من بعض وقوله خلق الانسان تخصيص للانسان
بالذكر من بين ما يتناوله الخلق لان التنزيل اليه وهو اشرف ما على الارض ويجوز ان يراد
الذي خلق الانسان كما قال الرحمن علم القرآن خلق الانسان فقيل الذي خلق مبهما
ثم فسره بقوله خلق الانسان تفخيما لخلق الانسان ودلالة على عجيب فطرته
لم قال من علق على الجمع وانما خلق من علقة كقوله من نطفة ثم من علقة لان
الانسان في معنى الجمع كقوله ان الانسان لفي خسر اقرأ وربك الاكرم الذي له الكمال في زيادة كرمه
على كل كريم ينعم على عباده النعم التي لا تحصى ويحلم عنهم فلا يعاجلهم بالعقوبة مع كفرهم و
جحودهم لنعمه وركوبهم المناهي واطراحهم الاوامر ويقبل توبتهم ويتجاوز عنهم بعد اقتراف
العظائم فما لكرمه غاية ولا امد وكأنه ليس وراء التكرم بافادة الفوائد العلمية تكرم
حيث قال الاكرم الذي علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم فدل على كمال كرمه بانه علم عباده ما لم
يعلموا ونقلهم من ظلمة الجهل الى نور العلم ونبه على فضل علم الكتابة لما فيه من المنافع العظيمة
التي لا يحيط بها الا هو وما دونت العلوم ولا قيدت الحكم ولا ضبطت اخبار الاولين
ومقالاتهم ولا كتب الله المنزلة الا بالكتابة ولولا هي لما استقامت امور الدين والدنيا
ولو لم يكن على دقيق حكمة الله ولطيف تدبيره دليل الا امر القلم والخط لكفى به
ولبعضهم في صفة القلم ورواقم رقش كمثل اراقم قطف الخطى نيالة اقصى المدى
سود القوائم ما يجد مسيرها الا اذا لعبت بها بيض المدى وقرأ ابن الزبير علم الخط
بالقلم كلا ردع لمن كفر بنعمة الله عليه بطغيانه وان لم يذكره لدلالة الكلام عليه ان الانسان

ليطغى ان رآه ان راى نفسه يقال في افعال القلوب رايتني وعلمتني وذلك بعض خصائصها ومعنى
الروية العلم ولو كانت بمعنى الابصار لامتنع في فعلها الجمع بين الضميرين واستغنى هو المفعول الثاني
ان الى ربك الرجعى واقع على طريقة الالتفات الى الانسان تهديدا له وتحذيرا من عاقبة الطغيان
والرجعى مصدر كالبشرى بمعنى الرجوع وقيل نزلت في ابي جهل وكذلك ارايت الذي ينهى
وروي انه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم اتزعم ان من استغنى طغى فاجعل لنا جبال
مكة فضة وذهبا لعلنا ناخذ منها فنطغى فندع ديننا ونتبع دينك فنزل جبريل فقال
ان شئت فعلنا ذلك ثم ان لم يؤمنوا فعلنا بهم ما فعلنا باصحاب المائدة فكف رسول الله صلى
الله عليه وسلم عن الدعاء ابقاء عليهم وروي عنه لعنه الله انه قال هل يعفر محمد وجهه
بين اظهركم قال نعم قال فوالذي يحلف به لئن رايته توطات عنقه فجاءه ثم نكص على
عقبيه فقال له ما لك يا ابا الحكم قال ان بيني وبينه لخندقا من نار وهولا واجنحة فنزلت
ارايت الذي ينهى عبدا اذا صلى ارايت ان كان على الهدى او امر بالتقوى ومعناه اخبرني عمن ينهى
بعض عباد الله عن صلوته ان كان ذلك الناهي على طريقة سديدة فيما ينهى عنه من عبادة الله او
كان آمرا بالمعروف والتقوى فيما يامر به من عبادة الاوثان كما يعتقد وكذلك ان كان على التكذيب
للحق والتولي عن الدين الصحيح كما نقول نحن الم يعلم بان الله يرى ويطلع على احواله من هداه وضلاله
فيجازيه على حسب ذلك وهذا وعيد   ما متعلق ارايت   الذي ينهى مع الجملة
الشرطية وهما في موضع المفعولين   فاين جواب الشرط   هو محذوف تقديره
ان كان على الهدى او امر بالتقوى الم يعلم بان الله يرى وانما حذف لدلالة ذكره في جواب
الشرط الثاني   فكيف صح ان يكون الم يعلم جوابا للشرط   كما صح في قولك ان
اكرمتك اتكرمني وان احسن اليك زيد هل تحسن اليه   فما ارايت الثانية و
توسطها بين مفعولي ارايت   هي زائدة مكررة للتوكيد وعن الحسن انه امية بن خلف
كان ينهى سلمان عن الصلوة كلا ردع لابي جهل وخسوء له عن نهيه عن عبادة الله وامره
بعبادة اللات لئن لم ينته عما هو فيه لنسفعا بالناصية لناخذن بناصيته ولنسحبنه بها
الى النار والسفع القبض على الشيء وجذبه بشدة قال عمرو بن معدي كرب
قوم اذا يقع الصريخ رايتهم من بين ملجم مهره او سافع وقرئ لنسفعن بالنون
المشددة وقرا ابن مسعود لاسفعن وكتبتها في المصحف بالالف على حكم الوقف ولما علم

انها ناصية المذكور اكتفي بلام العهد عن الاضافة ناصية كاذبة خاطئة فليدع ناديه سندع الزبانية
بدل من الناصية وجاز بدلها من المعرفة وهي نكرة لانها وصفت فاستقلت بفائدة وقرئ
ناصية على هي ناصية وناصية بالنصب وكلاهما على الشتم ووصفها بالكذب والخطاء على الاسناد
المجازي وهما في الحقيقة لصاحبها وفيه من الحسن والجزالة ما ليس في قولك ناصية كاذب خاطئ
والنادي المجلس الذي ينتدي فيه القوم اي يجتمعون والمراد اهل النادي كما قال جرير
لهم مجلس صهب السبال اذلة   وقال زهير   وفيهم مقامات حسان وجوههم
والمقامة المجلس روي ان ابا جهل مر برسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اتهددني وانا اكثر
وهو يصلي فقال الم انهك فاغلظ له رسول الله صلى الله عليه وسلم
اهل الوادي ناديا فنزلت وقرا ابن ابي عبلة سيدعى الزبانية على البناء للمفعول والزبانية في
كلام العرب الشرط الواحد زبنية كعفرية من الزبن وهو الدفع وقيل زبني كانه نسب
الى الزبن ثم غير للنسب كقولهم امسي واصله زباني فقيل زبانية على التعويض والمراد
ملائكة العذاب وعن النبي صلى الله عليه وسلم لو دعا ناديه لاخذته الزبانية عيانا كلا ردع
لابي جهل لا تطعه اي اثبت على ما انت عليه من عصيانه كقوله فلا تطع المكذبين واسجد ودم على
سجودك يريد الصلوة واقترب وتقرب الى ربك وفي الحديث اقرب ما يكون العبد الى ربه
اذا سجد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة العلق اعطي من الاجر كانما قرا المفصل كله

سورة القدر مختلف فيها وهي خمس آيات

بسم الله الرحمن الرحيم انا انزلناه في ليلة القدر عظم القرآن من ثلثة اوجه احدها
ان اسند انزاله اليه وجعله مختصا به دون غيره والثاني انه جاء بضميره دون اسمه الظاهر
شهادة له بالنباهة والاستغناء عن التنبيه عليه والثالث الرفع من مقدار الوقت الذي
انزل فيه روي انه انزل جملة واحدة في ليلة القدر من اللوح المحفوظ الى السماء الدنيا واملاه
جبريل على السفرة ثم كان ينزله على رسول الله صلى الله عليه وسلم نجوما في ثلث وعشرين سنة
وعن الشعبي المعنى انا ابتدانا انزاله في ليلة القدر واختلفوا في وقتها فاكثرهم على
انها في شهر رمضان في العشر الاواخر في اوتارها واكثر القول انها السابعة ولعل الداعي
الى اخفائها ان يحيي من يريدها الليالي الكثيرة طلبا لموافقتها فتكثر عبادته ويتضاعف
ثوابه وان لا يتكل الناس عند اظهارها على اصابة الفضل فيها فيفرطوا في غيرها ومعنى ليلة
القدر ليلة تقدير الامور وقضائها من قوله فيها يفرق كل امر حكيم وقيل سميت بذلك

لخطرها وشرفها على سائر الليالي وما ادريك ما ليلة القدر ليلة القدر يعني ولم تبلغ درايتك غاية فضلها ومنتهى علو قدرها ثم بين له ذلك بانها خير من الف شهر وسبب ارتقاء فضلها الى هذه الغاية ما يوجد فيها من المصالح الدينية التي ذكرها من تنزل الملائكة والروح وفصل كل امر حكيم وذكر في تخصيص هذه المدة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر رجلا من بني اسرائيل لبس السلاح في سبيل الله الف شهر فعجب المؤمنون من ذلك وتقاصرت اليهم اعمالهم فاعطوا ليلة هي خير من مدة ذلك الغازي وقيل ان الرجل فيما مضى ما كان يقال له عابد حتى يعبد الله الف شهر فاعطوا ليلة ان احيوها كانوا احق بان يسموا عابدين من اولئك العباد تنزل الملائكة الى السماء الدنيا وقيل الى الارض والروح فيها باذن ربهم جبريل وقيل خلق من الملائكة لا يراهم الملائكة الا تلك الليلة من كل امر اي تتنزل من اجل كل امر قضاه الله لتلك السنة الى قابل وقرئ من كل امرئ اي من اجل كل انسان قيل لا يلقون مؤمنا ولا مؤمنة الا سلموا عليه في تلك الليلة سلام هي حتى ما هي الا سلامة اي لا يقدر الله فيها الا السلامة والخير ويقضي في غيرها بلاء وسلامة او ما هي الا سلام لكثرة ما يسلمون على المؤمنين وقرئ مطلع الفجر بفتح اللام وكسرها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة القدر اعطي من الاجر كمن صام رمضان واحيى ليلة القدر

سورة القيمة مكية وقيل مدنية وهي ثمان آيات

بسم الله الرحمن الرحيم لم يكن الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركين منفكين حتى تاتيهم البينة كان الكفار من الفريقين اهل الكتاب وعبدة الاصنام يقولون قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم لا ننفك مما نحن عليه من ديننا ولا نتركه حتى يبعث النبي الموعود الذي هو مكتوب في التوراة والانجيل وهو محمد صلى الله عليه وسلم فحكى الله تعالى ما كانوا يقولونه ثم قال وما تفرق الذين اوتوا الكتاب يعني انهم كانوا يعدون اجتماع الكلمة والاتفاق على الحق اذا جاءهم الرسول ثم ما فرقهم عن الحق ولا اقرهم على الكفر الا مجيء الرسول ونظيره في الكلام ان يقول الفقير الفاسق لمن يعظه لست بمنفك مما انا فيه حتى يرزقني الله الغنى فيرزقه الله الغنى فيزداد فسقا فيقول واعظه لم تكن منفكا عن الفسق حتى توسر وما غمست راسك في الفسق الا بعد اليسار يذكره ما كان يقوله توبيخا والزاما وانفكاك الشيء من الشيء ان يزايله بعد التحامه به كالعظم اذا انفك من مفصله

والمعنى انهم متشبثون بدينهم لا يتركونه الا عند مجيء البينة والبينة الحجة الواضحة رسول من الله بدل من البينة وفي قراءة عبد الله رسولا حالا من البينة صحفا قراطيس مطهرة من الباطل فيها كتب مكتوبات قيمة مستقيمة ناطقة بالحق والعدل والمراد بتفرقهم تفرقهم عن الحق وانقشاعهم عنه وتفرقهم فرقا فمنهم من آمن ومنهم من انكر وقال ليس به ومنهم من عرف وعاند فان قلت لم جمع بين اهل الكتاب والمشركين اولا ثم افرد اهل الكتاب في قوله وما تفرق الذين اوتوا الكتاب الا من بعد ما جاءتهم البينة قلت لانهم كانوا على علم به لوجوده في كتبهم فاذا وصفوا بالتفرق عنه كان من لا كتاب له ادخل في هذا الوصف وما امروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلوة ويؤتوا الزكوة يعني في التوراة والانجيل الا بالدين الحنيفي ولكنهم حرفوا وبدلوا وذلك دين القيمة ان الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركين في نار جهنم خالدين فيها اولئك هم شر البرية ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات اولئك هم خير البرية جزاؤهم عند ربهم جنات عدن تجري من تحتها الانهار خالدين فيها رضي الله عنهم ورضوا عنه ذلك لمن خشي ربه اي دين الملة القيمة وقرئ وذلك الدين القيمة على تأويل الدين بالملة فان قلت ما وجه قوله وما امروا الا ليعبدوا الله على هذه الصفة وقرأ ابن مسعود الا ان يعبدوا والمعنى بان يعبدوا قلت قرأ نافع البريئة بالهمز والقراء على التخفيف والنبي والبرية مما استمر الاستعمال على تخفيفه ورفض الاصل وقرئ خيار البرية جمع خير كجياد وطياب في جمع جيد وطيب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ لم يكن كان يوم القيمة مع خير البرية مساء ومقيلا

سورة الزلزلة مختلف فيها وهي تسع آيات

بسم الله الرحمن الرحيم اذا زلزلت الارض زلزالها واخرجت الارض اثقالها زلزالها قرئ بكسر الزاي وفتحها فالمكسور مصدر والمفتوح اسم وليس في الابنية فعلال بالفتح الا في المضاعف فان قلت ما معنى زلزالها بالاضافة قلت معناه زلزالها الذي تستوجبه في الحكمة ومشيئة الله وهو الزلزال الشديد الذي ليس بعده ونحوه قولك اكرم التقي اكرامه واهن الفاسق اهانته تريد ما يستوجبانه من الاكرام والاهانة او زلزالها كله وجميع ما هو ممكن منه الاثقال جمع ثقل وهو متاع البيت وتحمل اثقالكم جعل ما في جوفها من الدفائن اثقالا وقال الانسان ما لها زلزلت هذه الزلزلة الشديدة و

ولفظت ما فى بطنها وذلك عند النفخة الثانية حين تزلزل وتلفظ اموانها احياء فيقولون
ذلك لما يبهرهم من الامر الفظيع كما يقولون من بعثنا من مرقدنا وقيل هذا قول الكافر لانه كان لا
يؤمن بالبعث فاما المؤمن فيقول هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون
ما معنى تحديث الارض والايحاء لها هو مجاز عن احداث الله فيها من الاحوال ما
يقوم مقام التحديث باللسان حتى ينظر من يقول ما لها الى تلك الاحوال فيعلم لم زلزلت ولم
لفظت الاموال وان هذا ما كانت الانبياء ينذرونه ويحذرون منه وقيل ينطقها الله على
الحقيقة وتخبر بما عمل عليها من خير وشر وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم تشهد
على كل احد بما عمل على ظهرها اذا ويومئذ ما ناصبهما يومئذ بدل
من اذا وناصبهما تحدث ويجوز ان ينتصب اذا بمضمر ويومئذ بتحدث اين مفعولا
تحدث قد حذف اولهما والثانى اخبارها والاصل تحدث الخلق اخبارها
بم تعلقت الباء فى قوله بان ربك بتحدث معناه تحدث اخبارها
بسبب ايحاء ربك لها وامره اياها بالتحديث ويجوز ان يكون المعنى يومئذ تحدث بتحديث
ان ربك اوحى لها اخبارها على ان تحديثها بان ربك اوحى لها تحديث باخبارها كما تقول
نصحتنى كل نصيحة بان نصحتنى فى الدين ويجوز ان يكون بان ربك بدلا من اخبارها
كانه قيل يومئذ تحدث باخبارها بان ربك اوحى لها وهو مجاز كقوله ان يقول له كن و
قال اوحى لها القرار فاستقرت وقرا ابن مسعود تنبئ اخبارها وسعيد بن
جبير تنبى بالتخفيف يومئذ يصدر الناس اشتاتا ليروا اعمالهم يصدرون عن مخارجهم
من القبور الى الموقف اشتاتا بيض الوجوه آمنين وسود الوجوه فزعين او يصدرون عن
الموقف اشتاتا يتفرق بهم طريقا الجنة والنار ليروا جزاء اعمالهم وفى قراءة النبى صلى
الله عليه وسلم ليروا بالفتح وقرا ابن عباس وزيد بن على يره بالضم ويحكى ان اعرابيا اخر
خيرا يره فقيل له قدمت واخرت فقال خذا بطن هرشى او قفاها فانه
كلا جانبى هرشى لهن طريق والذرة النملة الصغيرة وقيل الذر ما يرى فى
شعاع الشمس من الهباء حسنات الكافر محبطة بالكفر وسيات المؤمن
معفوة باجتناب الكبائر فما معنى الجزاء بمثاقيل الذر من الخير والشر
المعنى فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره من فريق السعداء ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره من فريق الاشقياء

لانك تقول حدثته كذا وحدثته بكذا اوحى لها بمعنى اوحى اليها

لانه جاء بعد قوله يصدر الناس اشتاتا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا اذا زلزلت
اربع مرات كان كمن قرا القرآن كله

سورة العاديات مختلف فيها وهى احدى عشرة آية

بسم الله الرحمن الرحيم والعاديات اقسم بخيل الغزاة تعدو فتضبح و
الضبح صوت انفاسها اذا عدون وعن ابن عباس انه حكاه فقال اح اح
قال عنترة والخيل تكدح حين تضبح فى حياض الموت ضبحا وانتصاب
ضبحا على يضبحن ضبحا او بالعاديات كانه قيل والضابحات لان الضبح يكون مع العدو
او على الحال اى ضابحات فالموريات توري نار الحباحب وهى ما ينقدح من حوافرها
قدحا قادحات صاكات بحوافرها الحجارة والقدح الصك والايراء اخراج النار تقول
قدح فاورى وقدح فاصلد وانتصب قدحا بما انتصب به ضبحا فالمغيرات تغير
على العدو صبحا فى وقت الصبح فاثرن به نقعا فهيجن بذلك الوقت غبارا فوسطن به بذلك
الوقت او بالنقع اى وسطن النقع الجمع او فوسطن ملتبسات به جمعا من جموع الاعداء و
وسطه بمعنى توسطه وقيل الضمير لمكان الغارة وقيل للعدو الذى دل عليه والعاديات
ويجوز ان يراد بالنقع الصياح من قوله عليه السلام ما لم يكن نقع ولا لقلقة وقول
لبيد فمتى ينقع صراخ صادق اى فهيجن فى المغار عليهم صياحا وجلبة و
قرا ابو حيوة فاثرن بالتشديد بمعنى فاظهرن به غبارا لان التاثير فيه معنى
الاظهار او قلب ثورن الى وثرن وقلب الواو همزة وقرئ فوسطن بالتشديد
للتعدية والباء مزيدة للتوكيد كقوله واتوا به وهى مبالغة فى وسطن وعن ابن عباس
كنت جالسا فى الحجر فجاء رجل فسالنى عن العاديات ضبحا ففسرتها بالخيل فذهب
الى على وهو تحت سقاية زمزم فساله وذكر له ما قلت فقال ادعه لى فلما وقفت
على راسه فقال تفتى الناس بما لا علم لك به والله ان كانت لاول غزوة فى الاسلام بدر
وما كان معنا الا فرسان فرس للزبير وفرس للمقداد العاديات ضبحا الابل من عرفة
الى المزدلفة ومن المزدلفة الى منى فان صحت الرواية فقد استعير الضبح للابل
كما استعير المشافر والحافر للانسان والشفتان للمهر والثفر للثور وما اشبه ذلك
وقيل الضبح لا يكون الا للفرس والكلب والثعلب وقيل الضبح بمعنى الضبع يقال

يقال ضبحت الابل وضبعت الابل مدّت اضباعها فى السير وليس بثبت وجمع هو المزدلفة
علام عطف فاثرن على الفعل الذى وضع اسم الفاعل موضعه لان
المعنى واللاتى عدون فاورين فاغرن فاثرن ان الانسان لربه لكنود الكنود الكفور وكند النعمة كنودا ومنه سمى كندة لانه كند اباه ففارقه وعن الكلبى الكنود بلسان
كندة العاصى وبلسان بنى مالك البخيل وبلسان مضر وربيعة الكفور يعنى انه لنعمة ربه
خصوصا لشديد الكفران لان تفريطه فى شكر نعمة غير الله تفريط قريب لمقاربة النعمة
لان اجلّ ما انعم به على الانسان من مثله نعمة ابويه ثم ان عظماها فى جنب ادنى نعمة الله
قليلة ضئيلة وانه وان الانسان على ذلك على كنوده لشهيد يشهد على نفسه ولا يقدر ان
يجحد لظهور امره وقيل وان الله على كنوده لشاهد على سبيل الوعيد وانه لحب الخير لشديد
الخير المال من قوله تعالى ان ترك خيرا والشديد البخيل الممسك يقال فلان شديد ومتشدد
قال طرفة اري الموت يعتام الكرام ويصطفى عقيلة مال الفاحش المتشدد يعنى
وانه لاجل حب المال وان انفاقه يثقل عليه لبخيل ممسك او اراد بالشديد القوى وانه
لحب المال وايثار الدنيا وطلبها قوى مطيق وهو لحب عبادة الله وشكر نعمته ضعيف
متقاعس تقول هو شديد لهذا الامر وقوى له اذا كان مطيقا له ضابطا او اراد انه
لحب الخيرات غير هش منبسط ولكنه شديد منقبض افلا يعلم اذا بعثر ما فى القبور و
حصّل ما فى الصدور ان ربهم بهم يومئذ لخبير بعثر بعث وقرئ بحثر وبحث وبحثر
وحصّل على بنائهما للفاعل وحصل بالتخفيف ومعنى حصّل جمع فى الصحف اى اظهر
محصلا مجموعا وقيل ميّز بين خيره وشره ومنه قيل للمنخل المحصل ومعنى علمه
بهم يوم القيمة مجازاته لهم على مقادير اعمالهم لان ذلك اثر خبره بهم وقرا ابو السمال
ان ربهم بهم يومئذ خبير عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة والعاديات
اعطى من الاجر عشر حسنات بعدد من بات بمزدلفة وشهد جمعا

سورة القارعة مكية وهى عشر آيات

بسم الله الرحمن الرحيم القارعة ما القارعة وما ادريك ما القارعة الظرف
نصب بمضمر دلت عليه القارعة يوم يكون الناس كالفراش المبثوث وتكون الجبال كالعهن
المنفوش فاما من ثقلت موازينه فهو فى عيشة راضية واما من خفت موازينه شبههم بالفراش
فى الكثرة والانتشار والضعف والذلة والتطاير الى الداعى من كل جانب كما يتطاير الفراش الى النار
قال جرير ان الفرزدق ما علمت وقومه مثل الفراش غشين نار المصطلى وفى امثالهم
اضعف من فراشة واذل واجهل وسمى فراشا لتفرشه وانتشاره وشبه الجبال بالعهن وهو
الصوف المصبغ الوانا لانها الوان وبالمنفوش منه لتفرق اجزائها وقرا ابن مسعود كالصوف
الموازين جمع موزون وهو العمل الذى له وزن وخطر عند الله او جمع ميزان وثقلها رجحانها
ومنه حديث ابى بكر رضى الله عنه لعمر فى وصيته له وانما ثقلت موازين من ثقلت موازينهم يوم
القيمة باتباعهم الحق وثقله فى الدنيا وحق لميزان لا يوضع فيه الا الحسنات ان يثقل وانما
خفت موازين من خفت موازينه باتباعهم الباطل وخفته فى الدنيا وحق لميزان لا يوضع فيه الا
السيئات ان يخف فامه هاوية من قولهم اذا دعوا على الرجل بالهلكة هوت امه لانه اذا هوى
اى سقط وهلك فقد هوت امه ثكلا وحزنا قال هوت امه ما يبعث الصبح غاديا
وما ذا يرد الليل حين يؤوب فكانه قيل واما من خفت موازينه فقد هلك وقيل هاوية
من اسماء النار وكانها النار العميقة لهوى اهل النار فيها مهوى بعيدا كما روى يهوى فيها سبعين
خريفا اى فماواه النار وقيل للماوى ام على التشبيه لان الام ماوى الولد ومفزعه وعن
قتادة فامه هاوية فام راسه هاوية فى قعر جهنم لانه يطرح فيها منكوسا وما ادريك ماهيه
نار حامية هيه ضمير الداهية التى دل عليها قوله فامه هاوية فى التفسير الاول او ضمير هاوية
والهاء للسكت واذا وصل القارئ حذفها وقيل حقها ان لا يدرج لئلا يسقطها الادراج لانها ثابتة
فى المصحف وقد اجيز اثباتها مع الوصل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة القارعة
ثقل الله بها ميزانه يوم القيمة

سورة التكاثر مكية وهى ثمان آيات

بسم الله الرحمن الرحيم الهيكم التكاثر حتى زرتم المقابر الهاه عن كذا واقهاه
اذا شغله والتكاثر التبارى فى الكثرة والتباهى بها وان يقول هؤلاء نحن اكثر وهؤلاء نحن
اكثر روى ان بنى عبد مناف وبنى سهم تفاخروا ايهم اكثر عددا فكثرهم بنو عبد مناف فقالت
بنو سهم ان البغى اهلكنا فى الجاهلية فعادّونا بالاحياء والاموات فكثرتهم بنو سهم والمعنى
انكم تكاثرتم بالاحياء حتى اذا استوعبتم عددهم صرتم الى المقابر فتكاثرتم بالاموات عبّر
عن بلوغهم ذكر الموتى بزيارة المقابر تهكما بهم وقيل كانوا يزورون المقابر فيقولون هذا
قبر فلان وهذا قبر فلان عند تفاخرهم والمعنى الهاكم ذلك وهو مما لا يعنيكم ولا يجدى

في دنياكم وآخرتكم عمّا يعنيكم من أمر الدين الذي هو أهم وأعنى من كل مهم أو ألهاكم التكاثر بالأموال
والأولاد إلى أن متم وقبرتم منفقين أعماركم في طلب الدنيا والاستباق إليها والتهالك عليها إلى
أن أتاكم الموت لا همّ لكم غيرها عمّا هو أولى بكم من السعي لعاقبتكم والعمل لآخرتكم وزيارة القبر عبارة
عن الموت قال الأخطل لن تخلص العام خليل عشرا ذاق الضماد أو يزور القبرا
وقال جرير زار القبور أبو مالك فأصبح ألأم زوارها وقرأ ابن عباس أألهاكم على
الاستفهام الذي معناه التقرير كلا ردع وتنبيه على أنه لا ينبغي للناظر لنفسه أن تكون الدنيا جميع
همه ولا يهتم بدينه سوف تعلمون ثم كلا سوف تعلمون إنذار ليخافوا فينتبهوا عن غفلتهم و
التكرير تأكيد للردع والإنذار عليهم وثم دلالة على أن الإنذار الثاني أبلغ من الأول وأشد
كما تقول للمنصوح أقول لك ثم أقول لك لا تفعل والمعنى سوف تعلمون الخطأ فيما أنتم عليه إذا
عاينتم ما قدامكم من هول لقاء الله وأن هذا التنبيه نصيحة لكم ورحمة عليكم ثم كرر التنبيه
أيضا وقال لو تعلمون محذوف الجواب يعني لو تعلمون ما بين أيديكم علم الأمر اليقين أي كعلمكم ما
تستيقنونه من الأمور التي وكلتم بعلمها هممكم لفعلتم ما لا يوصف ولا يكتنه ولكنكم ضلال جهلة
ثم قال لترون الجحيم فبين لهم ما أنذرهم منه وأوعدهم به وقد مر ما في إيضاح الشيء بعد إبهامه
من التفخيم وتعظيمه وهو جواب قسم محذوف والقسم لتوكيد الوعيد وأن ما أوعدوا به ما لا مدخل فيه
للريب وكرره معطوفا بثم تغليظا في التهديد وزيادة في التهويل وقرئ لترؤن بالهمز و
هي مستكرهة   لم استكرهت والواو المضمومة قلبها همزة قياس مطرد
ذاك في الواو التي ضمتها لازمة وهذه عارضة لالتقاء الساكنين وقرئ لترون ولترونها
على البناء للمفعول عين اليقين أي الرؤية التي هي نفس اليقين وخالصته ويجوز أن يراد بالرؤية
العلم والإبصار ثم لتسألن يومئذ عن النعيم عن اللهو والنعيم الذي شغلكم الالتذاذ به
عن الدين وتكاليفه   ما النعيم الذي يسأل عنه الإنسان ويعاتب عليه فما من أحد
إلا وله نعيم   هو نعيم من عكف همته على استيفاء اللذات ولم يعش إلا ليأكل
الطيب ويلبس اللين ويقطع أوقاته باللهو والطرب لا يعبأ بالعلم والعمل ولا يحمل نفسه
مشاقهما فأما من تمتع بنعمة الله وأرزاقه التي لم يخلقها إلا لعباده وتقوى بها على دراسة العلم
والقيام بالعمل وكان ناهضا بالشكر فهو عن ذاك بمعزل وإليه أشار رسول الله صلى الله عليه
وسلم فيما يروى أنه أكل هو وأصحابه تمرا وشربوا عليه ماء فقال الحمد لله الذي أطعمنا و

وسقانا وجعلنا مسلمين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ ألهاكم التكاثر لم يحاسبه الله
بالنعيم الذي أنعم به عليه في دار الدنيا وأعطي من الأجر كأنما قرأ ألف آية

سورة العصر مكية وهي ثلث آيات

بسم الله الرحمن الرحيم والعصر إن الإنسان لفي خسر إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات أقسم
بصلوة العصر لفضلها بدليل قوله تعالى والصلوة الوسطى صلوة العصر في مصحف حفصة و
قوله عليه السلام من فاتته صلوة العصر فكأنما وتر أهله وماله ولأن التكليف في أدائها أشق
لتهافت الناس في تجاراتهم ومكاسبهم آخر النهار واشتغالهم لمعايشهم أو أقسم بالعشي كما
أقسم بالضحى لما فيهما جميعا من دلائل القدرة أو أقسم بالزمان لما في مروره من أصناف العجائب
والإنسان للجنس والخسر الخسران كما قيل الكفر في الكفران والمعنى أن الناس في خسران من تجارتهم
إلا الصالحين وحدهم لأنهم اشتروا الآخرة بالدنيا فربحوا وسعدوا ومن عداهم تجروا خلاف
تجارتهم فوقعوا في الخسارة والشقاوة وتواصوا بالحق بالأمر الثابت الذي لا يسوغ إنكاره و
هو الخير كله من توحيد الله وطاعته واتباع كتبه ورسله والزهد في الدنيا والرغبة في
الآخرة وتواصوا بالصبر عن المعاصي وعلى الطاعات وعلى ما يبلو الله به عباده عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة العصر غفر الله له وكان ممن تواصى بالحق وتواصى بالصبر

سورة الهمزة مكية وهي تسع آيات

بسم الله الرحمن الرحيم ويل لكل همزة لمزة الهمز الكسر كالهزم واللمز الطعن يقال
لمزه ولهزه طعنه والمراد الكسر من أعراض الناس واغتيابهم والطعن فيهم وبناء فعلة
يدل على أن ذلك عادة منه قد ضري بها ونحوهما اللعنة والضحكة قال
وإن أغيب فأنت الهامز اللمزة وقرئ ويل للهمزة اللمزة وقرئ ويل لكل همزة لمزة
بسكون الميم وهو المسخرة الذي يأتي بالأوابد والأضاحيك فيضحك منه ويشتم وقيل
نزلت في الأخنس بن شريق وكانت عادته الغيبة والوقيعة وقيل في أمية بن خلف وقيل
في الوليد بن المغيرة واغتيابه لرسول الله صلى الله عليه وسلم وغضه منه ويجوز أن يكون
السبب خاصا والوعيد عاما ليتناول كل من باشر ذلك القبيح وليكون جاريا مجرى التعريض
بالوارد فيه فإن ذلك أزجر له وأنكى فيه الذي بدل من كل أو نصب على الذم وقرئ جمع
مالا بالتشديد وهو مطابق لعدده وقيل عدده جعله عدة لحوادث الدهر وقرئ

وعدده اى جمع المال وضبط عدده واحصاه او جمع ماله وقومه الذين ينصرونه من قولك فلان ذو عدد وعدد اذا كان له عدد وافر من الانصار وما يصلحهم وقيل وعدده معناه وعده على فك الادغام نحو ضننوا يحسب ان ماله اخلده وخلده بمعنى اى طول المال امله ومناه الامانى البعيدة حتى اصبح لفرط غفلته وطول امله يحسب ان المال تركه خالدا فى الدنيا لا يموت او يعمل من تشييد البنيان الموثق بالصخر والآجر وغرس الاشجار وعمارة الارض عمل من يظن ان ماله ابقاه حيا او هو تعريض بالعمل الصالح وانه هو الذى اخلد صاحبه فى النعيم فاما المال فما اخلد احدا فيه وروى انه كان للاخنس اربعة آلاف دينار وقيل عشرة آلاف وعن الحسن انه عاد موسرا فقال ما تقول فى الوف لم افتد بها من لئيم ولا تفضلت على كريم قال ولكن لماذا قال لنبوة الزمان وجفوة السلطان ونوائب الدهر ومخافة الفقر قال اذن تدعه لمن لا يحمدك وترد على من لا يعذرك كلا ردع له عن حسبانه وقرى لينبذان اى هو وماله ولينبذن بضم الذال اى هو وانصاره ولينبذنه فى الحطمة وما ادريك ما الحطمة نار الله الموقدة التى تطلع على الافئدة انها عليهم فى النار التى من شانها ان تحطم كل ما يلقى فيها ويقال للرجل الاكول انه لحطمة وقرى الحاطمة يعنى انها تدخل فى اجوافهم حتى تصل الى صدورهم وتطلع على افئدتهم وهى اوساط القلوب ولا شئ فى بدن الانسان الطف من الفؤاد ولا اشد تألما منه بادنى اذى يمسه فكيف اذا اطلع عليه نار جهنم واستولت عليه ويجوز ان يخص الافئدة لانها مواطن الكفر والعقائد الفاسدة والنيات الخبيثة ومعنى اطلاع النار عليها انها تعلوها وتغلبها وتشتمل عليها او تطالع على سبيل المجاز معادن موجبها موصدة مطبقة قال تحن الى اجبال مكة ناقتى ومن دونها ابواب صنعاء موصدة وقرى فى عمد بضمتين وعمد بسكون الميم وعمد بفتحتين والمعنى انه يؤكد ياسهم من الخروج وتيقنهم بحبس الابد فتوصد عليهم الابواب وتمدد على الابواب العمد استيثاقا فى استيثاق ويجوز ان يكون المعنى انها عليهم موصدة موثقين فى عمد ممددة مثل المقاطر التى يقطر فيها اللصوص اللهم اجرنا من النار يا خير مستجار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الهمزة اعطاه الله عشر حسنات بعدد من استهزا بمحمد واصحابه

سورة الفيل مكية وهى خمس ايات

بسم الله الرحمن الرحيم الم تر كيف فعل ربك باصحاب الفيل الم يجعل كيدهم روى ان ابرهة بن الصباح الاشرم ملك اليمن من قبل اصحمة النجاشى بنى كنيسة بصنعاء وسماها القليس واراد ان يصرف اليها الحاج فخرج رجل من كنانة فقعد فيها ليلا فاغضبه ذلك وقيل اججت رفقة من العرب نارا فحملتها الريح فاحرقتها فحلف ليهدمن الكعبة فخرج بالحبشة ومعه فيل له اسمه محمود وكان قويا عظيما واثنا عشر فيلا غيره وقيل ثمانية وقيل كان معه الف فيل وقيل كان وحده فلما بلغ المغمس خرج اليه عبد المطلب وعرض عليه ثلث اموال تهامة ليرجع فابى وعبا جيشه وقدم الفيل فكانوا كلما وجهوه الى الحرم برك ولم يبرح واذا وجهوه الى اليمن او الى غيره من الجهات هرول فارسل الله طيرا سودا وقيل خضرا وقيل بيضا مع كل طائر حجر فى منقاره وحجران فى رجليه اكبر من العدسة واصغر من الحمصة وعن ابن عباس انه راى منها عند ام هانى نحو قفيز مخططة بحمرة كالجزع الظفارى فكان الحجر يقع على راس الرجل فيخرج من دبره وعلى كل حجر اسم من يقع عليه ففروا فهلكوا فى كل طريق ومنهل ودوى ابرهة فتساقطت انامله وآرابه وما مات حتى انصدع صدره عن قلبه وانفلت وزيره ابو يكسوم وطائر يحلق فوقه حتى بلغ النجاشى فقص عليه القصة فلما اتمها وقع عليه الحجر فخر ميتا بين يديه وقيل كان ابرهة جد النجاشى الذى كان فى زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم باربعين سنة وقيل بثلث وعشرين سنة وعن عائشة رضى الله عنها رايت قائد الفيل وسائسه اعميين مقعدين يستطعمان وفيه ان ابرهة اخذ لعبد المطلب مائتى بعير فخرج اليه فيها فجهره وكان رجلا جسيما وسيما وقيل هذا سيد قريش وصاحب عير مكة الذى يطعم الناس فى السهل والوحوش فى رؤوس الجبال فلما ذكر حاجته قال سقطت من عينى جئت لاهدم البيت الذى هو دينك ودين آبائك وعصمتكم وشرفكم فى قديم الدهر فالهاك عنه ذود اخذ لك فقال انا رب الابل وللبيت رب سيمنعه ثم رجع واتى باب البيت فاخذ بحلقته وهو يقول

لاهم ان المرء يمنع رحله فامنع حلالك
لا يغلبن صليبهم ومحالهم عدوا محالك ان كنت تاركهم وكعبتنا فامر ما بدا لك

يا رب لا ارجو لهم سواكا يا رب فامنع منهم حماكا فالتفت وهو يدعو فاذا هو بطير من نحو اليمن فقال انها لطير غريبة ما هى بنجدية ولا تهامية وفيه ان اهل مكة قد احتووا على اموالهم وجمع عبد المطلب من جواهرهم وذهبهم الجور وكان سبب يساره وعن ابى سعيد الخدرى انه سئل عن الطير فقال حمام مكة منها وقيل جاءت عشية ثم صبحتهم وعن عكرمة

من اصابته جدرته ومن اول جدري ظهر قرئ الم تر بسكون الراء للجد في اظهار اثر الجازم والمعنى انك رأيت آثار فعل الله بالحبشة وسمعت الاخبار به متواترة فقامت لك مقام المشاهدة وكيف في موضع نصب بفعل ربك لا بالم تر لما في كيف من معنى الاستفهام في تضليل في تضييع وابطال يقال ضلل كيده اذا جعله ضالا ضايعا ونحوه قوله تعالى وما كيد الكافرين الا في ضلال وقيل لامرء القيس الملك الضليل لانه ضلل ملك ابيه اي ضيعه يعني انهم كادوا البيت ببناء القليس وارادوا ان ينسخوا امره بصرف وجوه الحاج اليه فضلل كيدهم بايقاع الحريق فيه وكادوه ثانيا بارادة هدمه فضلله بارسال الطير عليهم وارسل عليهم طيرا ابابيل حزايق الواحدة ابالة وفي امثالهم ضغث على ابالة وهي الحزمة الكبيرة شبهت الحزقة من الطير في تضامها بالابالة وقيل ابابيل مثل عباديد وشماطيط لا واحد لها وقرأ ابو حنيفة يرميهم اي الله تعالى او الطير لانه اسم جمع مذكر وانما يؤنث على المعنى ترميهم بحجارة من سجيل فجعلهم كعصف مأكول وسجيل كأنه علم للديوان الذي كتب فيه عذاب الكفار كما ان سجينا علم لديوان اعمالهم كأنه قيل بحجارة من جملة العذاب المكتوب المدون واشتقاقه من الاسجال وهو الارسال لان العذاب موصوف بذلك وارسل عليهم طيرا فارسلنا عليهم الطوفان وعن ابن عباس من طين مطبوخ كما يطبخ الآجر وقيل هو معرب من سنك كل وقيل من شديد عذابه ورووا بيت ابن مقبل

ضربا تواصت به الابطال سجيلا

وانما هو سجينا والقصيدة نونية مشهورة في ديوانه وشبههم بورق الزرع اذا اكل اي وقع فيه الاكال وهو ان يأكله الدود او بتبن اكلته الدواب وراثته ولكنه جاء على ما عليه آداب القرآن كقوله كانا يأكلان الطعام او اريد اكل حبه فبقي صفرا منه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الفيل عافاه الله ايام حياته من الخسف والمسخ

سورة قريش مكية وهي اربع آيات

بسم الله الرحمن الرحيم لايلاف قريش متعلق بقوله فليعبدوا امرهم ان يعبدوه لاجل ايلافهم الرحلتين فلم دخلت الفاء لما في الكلام من معنى الشرط لان المعنى اما لا فليعبدوه لايلافهم على معنى ان نعم الله عليهم لا تحصى فان لم يعبدوه لساير نعمه فليعبدوه لهذه الواحدة التي هي نعمة ظاهرة وقيل المعنى اعجبوا لايلاف قريش وقيل هو متعلق بما قبله اي فجعلهم كعصف مأكول لايلاف قريش وهذا بمنزلة التضمين في الشعر وهو ان يتعلق معنى البيت بالذي قبله تعلقا لا يصح الا به وهما في مصحف ابي سورة واحدة بلا فصل وعن عمر رضي الله عنه انه قرأهما في الثانية من صلوة المغرب وقرأ في الاولى والتين والمعنى انه اهلك الحبشة الذين قصدوهم ليتسامع الناس بذلك فيتهيبوهم زيادة تهيب ويحترموهم فضل احترام حتى ينتظم لهم الامن في رحلتيهم فلا يجترئ احد عليهم وكانت لقريش رحلتان يرحلون في الشتاء الى اليمن وفي الصيف الى الشام فيمتارون ويتجرون وكانوا في رحلتيهم آمنين لانهم اهل حرم الله وولاة بيته فلا يتعرض لهم والناس غيرهم يتخطفون ويغار عليهم والايلاف من قولك آلفت المكان اولفه ايلافا اذا الفته فانا مولف قال

من المولفات الرمل ادماء حرة

وقرئ لالاف قريش اي لمؤالفة قريش وقيل يقال الفته الفا والافا وقرأ ابو جعفر لالف قريش وقد جمعهما من قال

زعمتم ان اخوتكم قريش لهم الف وليس لكم الاف

وقرأ عكرمة ليألف قريش الفهم رحلة الشتاء والصيف وقريش ولد النضر بن كنانة سموا بتصغير القرش وهو دابة عظيمة في البحر تعبث بالسفن ولا تطاق الا بالنار وعن معاوية انه سأل ابن عباس بم سميت قريش قال بدابة في البحر تأكل ولا تؤكل وتعلو ولا تعلى وانشد

وقريش هي التي تسكن البحر بها سميت قريش قريشا

والتصغير للتعظيم وقيل من القرش وهو الكسب لانهم كانوا كسابين بتجاراتهم وضربهم في البلاد اطلق الايلاف ثم ابدل عنه المقيد بالرحلتين تفخيما لامر الايلاف وتذكيرا بعظيم النعمة فيه ونصب الرحلة بايلافهم مفعولا به كما نصب يتيما باطعام واراد رحلتي الشتاء والصيف فافرد لامن الالباس كقوله كلوا في بعض بطنكم وقرئ رحلة بالضم وهي الجهة التي يرحل اليها والتنكير في جوع وخوف لشدتهما يعني اطعمهم بالرحلتين فليعبدوا رب هذا البيت الذي اطعمهم من جوع شديد كانوا فيه قبلهما وآمنهم من خوف عظيم وهو خوف اصحاب الفيل او خوف التخطف في بلدهم ومسايرهم وقيل كانوا قد اصابتهم شدة حتى اكلوا الجيف والعظام المحرقة وآمنهم من الجذام فلا يصيبهم ببلدهم وقيل ذلك كله بدعاء ابرهيم صلوات الله عليه ومن بدع التفاسير وآمنهم من خوف ان تكون الخلافة في غيرهم وقرئ من خوف باخفاء النون عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة لايلاف قريش اعطاه الله

عشر حسنات بعدد من طاف بالكعبة واعتكف بها ه

سورة ارايت مكية وقيل مدنية وهي سبع آيات

بسم الله الرحمن الرحيم ارايت الذي يكذب بالدين فذلك قرى اريت بحذف الهمزة
وليس بالاختيار لان حذفها مختص بالمضارع ولم يصح عن العرب ريت ولكن الذي سهل
من امرها وقوع حرف الاستفهام في اول الكلام ونحوه صاح هل ريت او سمعت براع
رد في الضرع ما قرى في العلاب وقرا ابن مسعود ارايتك بزيادة حرف الخطاب كقوله ارايتك
هذا الذي كرمت علي والمعنى هل عرفت الذي يكذب بالجزاء من هو ان لم تعرفه فذلك
الذي يكذب بالجزاء هو الذي يدع اليتيم اي يدفعه دفعا عنيفا بجفوة واذى ويرده ردا
قبيحا بزجر وخشونة وقرى يدع اي يتركه ويجفوه ولا يحض ولا يبعث اهله على بذل طعام
المسكين جعل علم التكذيب بالجزاء منع المعروف والاقدام على ايذاء الضعيف يعني
انه لو آمن بالجزاء وايقن بالوعيد لخشي الله وعقابه ولم يقدم على ذلك فحين اقدم عليه علم
انه مكذب فما اشده من كلام وما اخوفه من مقام وما ابلغه في التحذير من المعصية وانها
جديرة بان يستدل بها على ضعف الايمان ورخاوة عقد اليقين ثم وصل به قوله فويل
للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون الذين هم يراؤون ويمنعون الماعون كانه قال فاذا كان
الامر كذلك فويل للمصلين الذين يسهون عن الصلوة قلة مبالاة بها حتى تفوتهم او يخرج
وقتها او لا يصلونها كما صلاها رسول الله صلى الله عليه وسلم والسلف ولكن ينقرونها
نقرا من غير خشوع واخبات ولا اجتناب لما يكره فيها من العبث باللحية والثياب و
كثرة التثاؤب والالتفات لا يدري الواحد منهم عن كم انصرف ولا ما قرا من السور و
كما ترى صلوة اكثر من ترى الذين عادتهم الرياء باعمالهم ومنع حقوق اموالهم والمعنى
ان هؤلاء احق بان يكون سهوهم عن الصلوة التي هي عماد الدين والفارق بين الايمان و
الكفر والرياء الذي هو شعبة من الشرك ومنع الزكوة التي هي شقيقة الصلوة وقنطرة
الاسلام علما على انهم مكذبون بالدين وكم ترى من المتسمين بالاسلام بل من العلماء منهم من
هو على هذه الصفة فيا مصيبتاه وطريقة اخرى ان يكون فذلك عطفا على الذي
يكذب اما عطف ذات على ذات او صفة على صفة ويكون جواب ارايت محذوفا لدلالة
ما بعده عليه كانه قيل اخبرني وما تقول فيمن يكذب بالجزاء وفيمن يؤذي اليتيم ولا يطعم
المسكين انعم ما يصنع ثم قال فويل للمصلين اي اذا علم انه مسيء فويل للمصلين على معنى فويل
لهم الا انه وضع صفتهم موضع ضميرهم لانهم كانوا مع التكذيب وما اضيف اليهم ساهين عن
الصلوة مرائين غير مزكين اموالهم كيف جعلت المصلين قائما مقام الذي
يكذب وهو واحد معناه الجمع لان المراد به الجنس اي فرق بين قوله
عن صلاتهم وبين قولك في صلاتهم معنى عن انهم ساهون عنها سهو ترك لها وقلة
التفات اليها وذلك فعل المنافقين او الفسقة الشطار من المسلمين ومعنى في ان
السهو يعتريهم فيها بوسوسة الشيطان او حديث نفس وذلك لا يكاد يخلو منه مسلم
وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقع له سهو في صلاته فضلا عن غيره ومن ثم اثبت
الفقهاء باب سجود السهو في كتبهم وعن انس الحمد لله على ان لم يقل في صلاتهم وقرا ابن
مسعود لاهون ما معنى المراءاة هي مفاعلة من الاراءة لان المرائي
يري الناس عمله وهم يرونه الثناء عليه والاعجاب به ولا يكون الرجل مرائيا باظهار
العمل الصالح ان كان فريضة فمن حق الفرائض الاعلان بها وتشهيرها لقوله عليه السلام
ولا غمة في فرائض الله لانها اعلام الاسلام وشعائر الدين ولان تاركها يستحق الذم و
المقت فوجب اماطة التهمة بالاظهار وان كان تطوعا فحقه ان يخفى لانه مما لا يلام
بتركه ولا تهمة فيه فان اظهره قاصدا للاقتداء به كان جميلا وانما الرياء ان يقصد
بالاظهار ان تراه الاعين فيثنى عليه بالصلاح وعن بعضهم انه راى رجلا في المسجد قد
سجد سجدة الشكر واطالها فقال ما احسن هذا لو كان في بيتك وانما قال هذا لانه
توسم فيه الرياء والسمعة على ان اجتناب الرياء صعب الا على المرتاضين بالاخلاص
ومن ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الرياء اخفى من دبيب النملة السوداء في
الليلة المظلمة على المسح الاسود الماعون الزكوة قال الراعي
قوم على الاسلام لما يمنعوا ماعونهم ويضيعوا التهليلا وعن ابن مسعود ما يتعاور
في العادة من الفاس والقدر والدلو والمقدحة ونحوها وعن عايشة الماء والنار
والملح وقد يكون منع هذه الاشياء محظورا في الشريعة اذا استعيرت عن اضطرار
وقبيحا في المروة في غير حال الضرورة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة ارايت
غفر الله له ان كان الزكوة مؤديا ه

سورة الكوثر مكية وهي ثلث آيات

بسم الله الرحمن الرحيم إنا أعطيناك الكوثر فصل لربك في قراءة النبي صلى الله عليه
وسلم إنا أنطيناك بالنون وفي حديثه صلى الله عليه وسلم وأنطوا الثبجة والكوثر فوعل
من الكثرة وهو المفرط الكثرة قيل لأعرابية رجع ابنها من السفر بم آب ابنك قالت
آب بكوثر وقال وأنت كثير يا ابن مروان طيب وكان أبوك ابن العقائل كوثرا
وقيل الكوثر نهر في الجنة وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قرأها حين أنزلت عليه فقال
أتدرون ما الكوثر إنه نهر في الجنة وعدنيه ربي فيه خير كثير وروي في صفته أحلى من
العسل وأشد بياضا من اللبن وأبرد من الثلج وألين من الزبد حافتاه الزبرجد و
أوانيه من فضة عدد نجوم السماء وروي لا يظمأ من شرب منه أبدا أول وارديه فقراء
المهاجرين الدنسو الثياب الشعث الرؤس الذين لا يزوجون المنعمات ولا يفتح لهم أبواب
السدد يموت أحدهم وحاجته تتلجلج في صدره لو أقسم على الله لأبره عن ابن عباس
أنه فسر الكوثر بالخير الكثير فقال له سعيد بن جبير فإن ناسا يقولون هو نهر في الجنة
فقال هو من الخير الكثير النحر نحر البدن وعن عطية هي صلوة الفجر بجمع والنحر بمنى
وقيل صلوة العيد والتضحية وقيل هي جنس الصلوة والنحر وضع اليمين على الشمال
والمعنى أعطيت ما لا غاية لكثرته من خير الدارين الذي لم يعط أحد غيرك ومعطي
ذلك كله أنا إله العالمين فاجتمعت لك الغبطتان السنيتان إصابة أشرف عطاء
وأوفره من أكرم معط وأعظم منعم فاعبد ربك الذي أعزك بإعطائه وشرفك
وصانك من منن الخلق مراغما لقومك الذين يعبدون غير الله وانحر لوجهه وباسمه إذا
نحرت مخالفا لهم في النحر للأوثان إن شانئك من أبغضك من قومك لمخالفتك لهم هو الأبتر
لا أنت لأن كل من يولد إلى يوم القيمة من المؤمنين فهم أولادك وأعقابك وذكرك
مرفوع على المنابر والمنار وعلى لسان كل عالم وذاكر إلى آخر الدهر يبدأ بذكر الله و
يثنى بذكرك ولك في الآخرة ما لا يدخل تحت الوصف فمثلك لا يقال له أبتر إنما الأبتر
هو شانئك المنسي في الدنيا والآخرة وإن ذكر ذكر باللعن وكانوا يقولون إن
محمدا صنبور إذا مات مات ذكره وقيل نزلت في العاص بن وائل وقد سماه الأبتر
والأبتر الذي لا عقب له ومنه الحمار الأبتر الذي لا ذنب له عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم من قرأ سورة الكوثر سقاه الله من كل نهر في الجنة ويكتب له عشر حسنات
بعدد كل قربان قربه العباد في يوم النحر

سورة الكافرون مكية وهي ست آيات ويقال لها ولسورة الإخلاص المقشقشتان
أي المبرئتان من النفاق

بسم الله الرحمن الرحيم قل يا أيها الكافرون لا أعبد ما تعبدون ولا أنتم عابدون ما أعبد
المخاطبون كفرة مخصوصون قد علم الله منهم أنهم لا يؤمنون روي أن رهطا من قريش
قالوا يا محمد هلم فاتبع ديننا ونتبع دينك تعبد آلهتنا سنة ونعبد إلهك سنة فقال
معاذ الله أن أشرك بالله غيره فقالوا فاستلم بعض آلهتنا نصدقك ونعبد إلهك
فنزلت فغدا إلى المسجد الحرام وفيه الملأ من قريش فقام على رؤسهم فقرأها عليهم فأيسوا
لا أعبد أريدت به العبادة فيما يستقبل لأن لا لا تدخل إلا على مضارع في معنى الاستقبال
كما أن ما لا تدخل إلا على مضارع في معنى الحال ألا ترى أن لن تأكيد فيما تنفيه لا وقال
الخليل في لن أن أصله لا أن والمعنى لا أفعل في المستقبل ما تطلبونه مني من عبادة آلهتكم
ولا أنتم فاعلون فيه ما أطلب منكم من عبادة إلهي ولا أنا عابد ما عبدتم أي وما كنت قط عابدا فيما
سلف ما عبدتم فيه يعني لم تعهد مني عبادة صنم في الجاهلية فكيف ترجى مني في
الإسلام ولا أنتم عابدون ما أعبد أي وما عبدتم في وقت ما أنا على عبادته
فهلا قيل ما عبدت كما قيل ما عبدتم لأنهم كانوا يعبدون الأصنام قبل المبعث
وهو لم يكن يعبد الله تعالى في ذلك الوقت فلم جاء على ما دون من
لأن المراد الصفة كأنه قال لا أعبد الباطل ولا تعبدون الحق وقيل إن ما مصدرية
أي لا أعبد عبادتكم ولا تعبدون عبادتي لكم دينكم ولي دين لكم شرككم ولي توحيدي
والمعنى أني نبي مبعوث إليكم لأدعوكم إلى الحق والنجاة فإذا لم تقبلوا مني ولم تتبعوني
فدعوني كفافا ولا تدعوني إلى الشرك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة
الكافرون فكأنما قرأ ربع القرآن وتباعدت منه مردة الشياطين وبرئ من الشرك
ويعافى من الفزع الأكبر

سورة النصر مدنية وهي ثلث آيات

بسم الله الرحمن الرحيم إذا جاء نصر الله والفتح ورأيت الناس يدخلون إذا منصوب

بسبح وهو لما يستقبل والاعلام بذلك قبل كونه من اعلام النبوة روى انها نزلت ايام
التشريق في حجة الوداع ما الفرق بين النصر والفتح حتى عطف عليه
النصر الاغاثة والاظهار على العدو ومنه نصر الله الارض غاثها والفتح فتح البلاد
والمعنى نصر رسول الله صلى الله عليه وسلم على العرب او على قريش وفتح مكة وقيل جنس نصر الله
للمؤمنين وفتح بلاد الشرك عليهم وكان فتح مكة لعشر مضين من شهر رمضان سنة ثمان
ومع رسول الله صلى الله عليه وسلم عشرة آلاف من المهاجرين والانصار وطوائف العرب
واقام بها خمس عشرة ليلة ثم خرج الى هوازن وحين دخلها وقف على باب الكعبة ثم قال
لا اله الا الله وحده لا شريك له صدق وعده ونصر عبده وهزم الاحزاب وحده ثم قال
يا اهل مكة ما ترون اني فاعل بكم قالوا خيرا اخ كريم وابن اخ كريم قال اذهبوا
فانتم الطلقاء فاعتقهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد كان الله تعالى امكنه من
رقابهم عنوة وكانوا له فيئا فلذلك سمي اهل مكة الطلقاء ثم بايعوه على الاسلام في دين
الله في ملة الاسلام التي لا دين له يضاف اليه غيرها ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه
افواجا جماعات كثيرة كانت تدخل فيه القبيلة باسرها بعد ما كانوا يدخلون فيه واحدا واحدا
واثنين اثنين وعن جابر بن عبد الله انه بكى ذات يوم فقيل له فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه
وسلم يقول دخل الناس في دين الله افواجا وسيخرجون منه افواجا وقيل اراد بالناس اهل اليمن
قال ابو هريرة لما نزلت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الله اكبر جاء نصر الله والفتح و
جاء اهل اليمن قوم رقيقة قلوبهم الايمان يمان والفقه يمان والحكمة يمانية وقال اجد نفس ربكم
من قبل اليمن وعن الحسن لما فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة اقبلت العرب بعضها على
بعض فقالوا اما اذ ظفر باهل الحرم فليس به يدان وقد كان الله اجارهم من اصحاب الفيل
وعن كل من ارادهم فكانوا يدخلون في الاسلام افواجا من غير قتال وقرا ابن عباس فتح الله و
النصر وقرئ يدخلون على البناء للمفعول ما محل يدخلون النصب
اما على الحال على ان رايت بمعنى ابصرت او عرفت او هو مفعول ثان على انه بمعنى علمت فسبح بحمد
ربك واستغفره فقل سبحان الله حامدا له اي فتعجب لتيسير الله ما لم يخطر ببالك وبال احد من
ان يغلب احد على اهل الحرم واحمده على صنعه او فاذكره مسبحا حامدا زيادة في عبادته
والثناء عليه لزيادة انعامه عليك او فصل له روت ام هانئ انه لما فتح باب الكعبة صلى

صلوة الضحى ثماني ركعات وعن عائشة رضي الله عنها كان يكثر قبل موته ان يقول سبحانك اللهم
وبحمدك استغفرك واتوب اليك والامر بالاستغفار مع التسبيح تكميل للامر بما هو قوام امر الدين
من الجمع بين الطاعة والاحتراس من المعصية وليكون امره بذلك مع عصمته لطفا لامته ولان
الاستغفار من التواضع لله وهضم النفس فهو عبادة في نفسه وعن النبي صلى الله عليه وسلم اني
لاستغفر الله في اليوم والليلة مائة مرة وروي انه لما قراها رسول الله صلى الله عليه وسلم
على اصحابه استبشروا وبكى العباس فقال صلى الله عليه وسلم ما يبكيك يا عم فقال نعيت اليك
نفسك قال انها لكما تقول فعاش بعدها سنتين لم ير فيهما ضاحكا مستبشرا وقيل ان ابن عباس
هو الذي قال ذلك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد اوتي هذا الغلام علما كثيرا و
روي انها لما نزلت خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان عبدا خيره الله بين الدنيا و
بين لقائه فاختار لقاء الله فعلم ابو بكر رضي الله عنه فقال فديناك بانفسنا واموالنا وآبائنا و
اولادنا وعن ابن عباس ان عمر رضي الله عنهما كان يدنيه ويأذن له مع اهل بدر فقال عبد الرحمن
اتأذن لهذا الفتى معنا وفي ابنائنا من هو مثله فقال انه ممن قد علمتم قال ابن عباس فاذن لهم ذات
يوم واذن لي معهم فسالهم عن قول الله تعالى اذا جاء نصر الله ولا اراه سالهم الا من اجلي فقال
بعضهم امر الله نبيه اذا فتح عليه ان يستغفر ويتوب اليه فقلت ليس كذلك ولكن نعيت اليه
نفسه فقال عمر ما اعلم منها الا مثل ما تعلم ثم قال كيف تلومونني عليه بعد ما ترون وعن النبي
صلى الله عليه وسلم دعا فاطمة رضي الله عنها فقال يا بنتاه انه نعيت الي نفسي فبكت فقال
لا تبكي فانك اول اهلي لحوقا بي وعن ابن مسعود ان هذه السورة تسمى سورة التوديع انه كان
توابا اي كان في الازمنة الماضية منذ خلق المكلفين توابا عليهم اذا استغفروا فعلى كل
مستغفر ان يتوقع مثل ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة اذا جاء نصر الله
اعطي من الاجر كمن شهد مع محمد يوم فتح مكة

سورة تبت مكية وهي خمس آيات

بسم الله الرحمن الرحيم تبت يدا ابي لهب التباب الهلاك ومنه قولهم اشابة ام تابة
اي هالكة من الهرم والتعجيز والمعنى هلكت يداه لانه فيما يروى اخذ حجرا ليرمي به رسول
الله صلى الله عليه وسلم وتب وهلك كله او جعلت يداه هالكتين والمراد هلاك جملته كقوله
بما قدمت يداك ومعنى وتب وكان ذلك وحصل كقوله جزاني جزاه الله شر جزائه

جئنا الكلاب العاويات وقد فعل ويدل عليه قراءة ابن مسعود وقد تب وروى انه لما نزل
وانذر عشيرتك الاقربين رقى الصفا وقال يا صباحاه فاستجمع اليه الناس من كل اوب
فقال يا بنى عبد المطلب يا بنى فهر ان اخبرتكم ان بسفح هذا الجبل خيلا اكنتم مصدقى
قالوا نعم قال فانى نذير لكم بين يدى الساعة فقال ابو لهب تبا لك الهذا دعوتنا فنزلت
فان قلت لم كناه والتكنية تكرمة قلت فيه ثلثة اوجه احدها ان يكون مشتهرا
بالكنية دون الاسم فقد يكون الرجل معروفا باحدهما ولذلك تجرى الكنية على الاسم او
الاسم على الكنية عطف بيان فلما اريد تشهيره بدعوة السوء وان يبقى سمة له ذكر
الاشهر من علميه ويؤيد ذلك قراءة من قرا يدا ابو لهب كما قيل على بن ابو طالب ومعوية
ابن ابو سفيان لئلا يغير منه شئ فيشكل على السامع ولفليتة بن قاسم امير مكة ابنان
احدهما عبد الله بالجر والآخر عبد الله بالنصب والثانى انه كان اسمه عبد العزى فعدل عنه
الى كنيته والثالث انه لما كان من اهل النار ومآله الى نار ذات لهب وافقت حاله كنيته
فكان جديرا بان يذكر بها ويقال ابو لهب كما يقال ابو الشر للشرير وابو الخير للخير
وكما كنى رسول الله صلى الله عليه وسلم ابا المهلب ابا صفرة لصفرة فى وجهه وقيل كنى
بذلك لتلهب وجنتيه واشراقهما فيجوز ان يذكر فى ذلك تهكما به وبافتخاره بذلك
وقرئ ابى لهب بالسكون وهو من تغيير الاعلام كقولهم شمس بن مالك بالضم ما اغنى عنه ماله
استفهام فى معنى الانكار ومحله النصب او نفى وما كسب مرفوع وما موصولة او مصدرية
بمعنى ومكسوبه او وكسبه والمعنى لم ينفعه ماله وما كسب بماله يعنى راس المال والارباح
او ماشيته وما كسب من نسلها ومنافعها وكان ذا سابياء او ماله الذى ورثه من ابيه و
الذى كسبه بنفسه او ماله التالد والطارف وعن ابن عباس ما كسب ولده وحكى ان بنى
ابى لهب احتكموا اليه فاقتتلوا فقام يحجز بينهم فدفعه بعضهم فوقع فقال اخرجوا عنى الكسب
الخبيث ومنه قوله عليه السلام ان اطيب ما ياكل الرجل من كسبه وان ولده من كسبه و
عن الضحاك ما ينفعه ماله وعمله الخبيث يعنى كيده فى عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم
وعن قتادة عمله الذى ظن انه منه على شئ كقوله وقدمنا الى ما عملوا من عمل وروى انه
كان يقول ان كان ما يقول ابن اخى حقا فانا افتدى منه نفسى بمالى وولدى سيصلى نارا
ذات لهب قرئ بفتح الياء وبضمها مخففا ومشددا والسين للوعيد اى هو كائن لا محالة

وان تراخى وقته وامراته حمالة الحطب هى ام جميل بنت حرب اخت ابى سفيان وكانت تحمل حزمة
من الشوك والحسك والسعدان فتنثرها بالليل فى طريق رسول الله صلى الله عليه وسلم و
قيل كانت تمشى بالنميمة ويقال للمشاء بالنمائم المفسد بين الناس يحمل الحطب بينهم اى يوقد بينهم
النائرة ويورث الشر قال ـــ من البيض لم تصطد على ظهر لامة ولم تمش بين الحى بالحطب الرطب
جعله رطبا ليدل على التدخين الذى هو زيادة فى الشر ورفعت عطفا على الضمير فى سيصلى اى
سيصلى هو وامراته وفى جيدها فى موضع الحال او على الابتداء وفى جيدها الخبر وقرئ حمالة الحطب
بالنصب على الشتم وانا استحب هذه القراءة وقد توسل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بجميل من
احب شتم ام جميل وقرئ حمالة للحطب وحمالة للحطب بالتنوين والرفع والنصب وقرئ
ومريته بالتصغير حبل من مسد المسد الذى فتل من الحبال فتلا شديدا من ليف كان او جلد
او غيرهما قال ـــ ومسد امر من ايانق ورجل ممسود الخلق مجدوله والمعنى فى جيدها
حبل مما مسد من الحبال وانها تحمل تلك الحزمة من الشوك وتربطها فى جيدها كما يفعل الحطابون
تخسيسا لحالها وتحقيرا لها وتصويرا لها بصورة بعض الحطابات من المواهن لتمتعض من ذلك
ويمتعض بعلها وهما فى بيت العز والشرف وفى منصب الثروة والجدة ولقد عير بعض الناس
الفضل بن العباس بن عتبة بن ابى لهب بحمالة الحطب فقال ـــ

ماذا اردت الى شتمى ومنقصتى ام ما تعير من حمالة الحطب
غراء شادخة فى المجد غرتها كانت سليلة شيخ ثاقب الحسب

ويحتمل ان يكون
المعنى ان حالها تكون فى نار جهنم على الصورة التى عليها حين كانت تحمل حزمة الشوك فلا
تزال على ظهرها حزمة من حطب النار من شجرة الزقوم او من الضريع وفى جيدها حبل
مما مسد من سلاسل النار كما يعذب كل مجرم بما يجانس حاله فى جرمه عن رسول الله صلى
الله عليه وسلم من قرا سورة تبت رجوت ان لا يجمع الله بينه وبين ابى لهب فى دار واحدة

سورة الاخلاص مكية وقيل مدنية وهى اربع آيات

بسم الله الرحمن الرحيم قل هو ضمير الشان والله احد هو الشان كقولك
هو زيد منطلق كانه قيل الشان هذا وهو ان الله واحد لا ثانى له فان قلت ما محل
هو قلت الرفع على الابتداء والخبر الجملة فان قلت فالجملة الواقعة خبرا لا بد
فيها من راجع الى المبتدا فاين الراجع قلت حكم هذه الجملة حكم المفرد فى قولك

زيد غلامك في انه هو المبتدأ في المعنى وذلك ان قوله الله احد هو الشأن الذي هو عبارة
عنه وليس كذلك زيد ابوه منطلق فان زيدا والجملة يدلان على معنيين مختلفين فلا بد مما
يصل بينهما وعن ابن عباس قالت قريش يا محمد صف لنا ربك الذي تدعونا اليه فنزلت يعني
الذي سألتموني وصفه هو الله واحد بدل من قوله الله او على هو احد وهو بمعنى واحد
واصله وحد وقرأ عبد الله وابي هو الله احد بغير قل وفي قراءة النبي صلى الله عليه وسلم
الله احد بغير قل هو وقال من قرأ الله احد كان بعدل القرآن وقرأ الاعمش قل هو الله
الواحد وقرئ احد الله بغير تنوين اسقط لملاقاته لام التعريف ونحوه ولا ذاكر الله الا قليلا
والجيد هو التنوين وكسره لالتقاء الساكنين الله والصمد فعل بمعنى مفعول من صمد اليه اذا
قصده وهو السيد المصمود اليه في الحوائج والمعنى هو الله الذي تعرفونه وتقرون بانه
خالق السموات والارض وخالقكم وهو واحد متوحد بالالهية لا يشارك فيها وهو
الذي يصمد اليه كل مخلوق لا يستغنون عنه وهو الغني عنهم لم يلد لانه لا يجانس حتى يكون
له من جنسه صاحبة فيتوالدا وقد دل على هذا المعنى بقوله انى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة
ولم يولد لان كل مولود محدث وجسم وهو قديم لا اول لوجوده وليس بجسم ولم يكافئه احد
اي لم يماثله ولم يشاكله ويجوز ان يكون من الكفاءة في النكاح نفيا للصاحبة سألوه
ان يصفه لهم فاوحى اليه ما يحتوي على صفاته فقوله هو الله اشارة لهم الى من هو خالق
الاشياء وفاطرها وفي طي ذلك وصفه بانه قادر عالم لان الخلق يستدعي القدرة والعلم
لكونه واقعا على غاية احكام واتساق وانتظام وفي ذلك وصفه بانه حي سميع بصير و
قوله احد وصف بالوحدانية ونفي الشركاء وقوله الصمد وصف بانه ليس الا محتاجا
اليه فهو غني وفي كونه غنيا مع كونه عالما انه عدل غير فاعل للقبائح لعلمه بقبح القبيح
وعلمه بغناه عنه وقوله لم يولد وصف بالقدم والاولية وقوله لم يلد نفي للشبه والمجانسة
وقوله ولم يكن له كفوا احد تقرير لذلك وبت للحكم به فان قلت الكلام العربي الفصيح
ان يؤخر الظرف الذي هو لغو غير مستقر ولا يقدم وقد نص سيبويه على ذلك في كتابه
فما باله مقدما في افصح الكلام واعربه هذا الكلام انما سيق لنفي المكافأة
عن ذات الباري سبحانه وهذا المعنى مصبه ومركزه هو هذا الظرف فكان لذلك اهم
شيء واعناه واحقه بالتقديم واحراه وقرئ كفؤا بضم الكاف والفاء وبضم الكاف

وكسرها مع سكون الفاء فان قلت لم كانت هذه السورة عدل القرآن كله على قصر متنها
وتقارب طرفيها قلت لامر ما يسود من يسود وما ذاك الا لاحتوائها على صفات
الله وعدله وتوحيده وكفى دليلا من اعترف بفضلها وصدق بقول رسول الله صلى الله
عليه وسلم فيها ان علم التوحيد من الله بمكان وكيف لا يكون كذلك والعلم تابع للمعلوم يشرف
بشرفه ويتضع بضعته ومعلوم هذا العلم هو الله وصفاته وما يجوز عليه وما لا يجوز فما
ظنك بشرف منزلته وجلالة محله وانافته على كل علم واستيلائه على قصب السبق دونه ومن
ازدراه فلضعف علمه بمعلومه وقلة تعظيمه له وخلوه من خشيته وبعده من النظر لعاقبته
اللهم احشرنا في زمرة العالمين بك العاملين لك القائلين بعدلك وتوحيدك الخائفين من
وعيدك وتسمى سورة الاساس لاشتمالها على اصول الدين وروى ابي وانس عن النبي
صلى الله عليه وسلم اسست السموات السبع والارضون السبع على قل هو الله احد يعني ما
خلقت الا لتكون دلائل على توحيد الله ومعرفة صفاته التي نطقت بها هذه السورة وعن
رسول الله صلى الله عليه وسلم انه سمع رجلا يقرأ قل هو الله احد فقال وجبت فقيل يا رسول
الله وما وجبت قال وجبت له الجنة

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أيعجز أحدكم ان يقرأ في ليلة ثلث القرآن قالوا وكيف يقرأ ثلث القرآن قال قل هو الله احد تعدل ثلث القرآن ... وفيه احاديث كثيرة ... قل هو الله احد فليطلب منه ١٢

سورة الفلق مختلف فيها وهي خمس ايات

بسم الله الرحمن الرحيم قل اعوذ برب الفلق الفلق والفرق الصبح لان الليل
يفلق عنه ويفرق فعل بمعنى مفعول يقال في المثل هو ابين من فلق الصبح ومن فرق الصبح
ومنه قولهم سطع الفرقان اذا طلع الفجر وقيل هو كل ما يفلقه الله كالارض عن النبات
والجبال عن العيون والسحاب عن المطر والارحام عن الاولاد والحب والنوى وغير ذلك
وقيل هو واد في جهنم او جب فيها من قولهم لما اطمأن من الارض الفلق والجمع فلقان وعن
بعض الصحابة انه قدم الشام فرأى دور اهل الذمة وما هم فيه من خفض العيش وما
وسع عليهم من دنياهم فقال لا ابالي أليس من ورائهم الفلق فقيل وما الفلق قال بيت في جهنم
اذا فتح صاح جميع اهل النار من شدة حره من شر ما خلق من شر خلقه وشرهم ما يفعله
المكلفون من الحيوان من المعاصي والمآثم ومضارة بعضهم بعضا من ظلم وبغي وقتل وضرب
وشتم وغير ذلك وما يفعله غير المكلفين منه من الاكل والنهش واللدغ والعض كالسباع و
الحشرات وما وضعه الله في الموات من انواع الضرر كالاحراق في النار والقتل في السم

ومن شر غاسق إذا وقب والغاسق الليل إذا اعتكر ظلامه من قوله تعالى إلى غسق الليل
ومنه غسقت العين امتلأت دمعا وغسقت الجراحة امتلأت دما ووقوبه دخول
ظلامه في كل شيء ويقال وقبت الشمس إذا غابت وفي الحديث لما رأى الشمس قد وقبت
قال هذا حين حلها يعني صلاة المغرب وقيل هو القمر إذا امتلأ وعن عائشة رضي الله
عنها أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيدي فأشار إلى القمر فقال تعوذي من شر هذا
فإنه الغاسق إذا وقب ووقوبه دخوله في الكسوف واسوداده ويجوز أن يراد بالغاسق
الأسود من الحيات ووقبه ضربه ونقبه والوقب النقب ومنه وقبة الثريد والتعوذ
من شر الليل لأن انبثاثه فيه أكثر والتحرز منه أصعب ومنه قولهم الليل أخفى للويل وقولهم
أغدر من الليل لأنه إذا أظلم كثر فيه الغدر وأسند الشر إليه لملابسته له من حدوثه فيه
ومن شر النفاثات في العقد ومن شر حاسد إذا حسد النفاثات النساء أو النفوس أو الجماعات
السواحر اللاتي يعقدن عقدا في خيوط وينفثن عليها ويرقين والنفث النفخ مع ريق و
لا تأثير لذلك اللهم إلا إذا كان ثم إطعام شيء ضار أو سقيه أو إشمامه أو مباشرة المسحور به
على بعض الوجوه ولكن الله عز وجل قد يفعل عند ذلك فعلا على سبيل الامتحان الذي يتميز به
الثبت على الحق من الحشوية والجهلة من العوام فينسبه الحشو والرعاع إليهن وإلى نفثهن و
الثابتون بالقول الثابت لا يلتفتون إلى ذلك ولا يعبأون به   فما معنى الاستعاذة
من شرهن   فيه ثلاثة أوجه أحدها أن يستعاذ من عملهن الذي هو صنعة السحر
ومن إثمهن في ذلك والثاني أن يستعاذ من فتنتهن الناس بسحرهن وما يخدعنهم به من باطلهن
والثالث أن يستعاذ مما يصيب الله به من الشر عند نفثهن ويجوز أن يراد بهن النساء
الكيادات من قوله إن كيدكن عظيم تشبيها لكيدهن بالسحر والنفث في العقد أو اللاتي
يفتن الرجال بتعرضهن لهم وعرضهن محاسنهن كأنهن يسحرنهم بذلك إذا حسد أي
إذا أظهر حسده وعمل بمقتضاه من بغي الغوائل للمحسود لأنه إذا لم يظهر أثر ما أضمره فلا ضرر يعود
منه على من حسده بل هو الضار لنفسه لاغتمامه بسرور غيره وعن عمر بن عبد العزيز لم أر ظالما
أشبه بالمظلوم من حاسد ويجوز أن يراد بشر الحاسد إثمه وسماجة حاله في وقت حسده و
إظهاره أثره   قوله من شر ما خلق تعميم في كل ما يستعاذ منه فما معنى الاستعاذة
بعده من الغاسق والنفاثات والحاسد   قد خص شر هؤلاء من كل شر لخفاء أمره

وأنه يلحق الإنسان من حيث لا يعلم كأنما يغتال به وقالوا شر العداة المداجي الذي يكيدك
من حيث لا تشعر   فلم عرف بعض المستعاذ منه ونكر بعضه   عرف
النفاثات لأن كل نفاثة شريرة ونكر غاسق لأن كل غاسق لا يكون فيه الشر إنما يكون في بعض
دون بعض وكذلك كل حاسد لا يضر ورب حسد محمود وهو الحسد في الخيرات ومنه قوله عليه السلام لا حسد
إلا في اثنين وقال أبو تمام وما حاسد في المكرمات بحاسد وقال إن العلى حسن في مثلها الحسد
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ المعوذتين فكأنما قرأ الكتب التي أنزلها الله تعالى كلها

سورة الناس مختلف فيها وهي ست آيات

بسم الله الرحمن الرحيم قرئ قل اعوذ بحذف الهمزة ونقل حركتها إلى اللام ونحوه
فخذ أربعة   لم قيل برب الناس مضافا إليهم خاصة   لأن الاستعاذة وقعت
من شر الموسوس في صدور الناس فكأنه قيل أعوذ من شر الموسوس إلى الناس بربهم الذي يملك عليهم
أمورهم وهو إلههم ومعبودهم كما يستغيث بعض الموالي إذا اعتراهم خطب بسيدهم ومخدومهم
ووالي أمرهم ملك الناس إله الناس   ما هما من رب الناس   هما عطف بيان كقولك
سيرة أبي حفص عمر الفاروق بين بملك الناس ثم زيد بيانا بإله الناس لأنه قد يقال لغيره
رب الناس كقوله اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله وقد يقال ملك الناس
وأما إله الناس فخاص لا شركة فيه فجعل غاية للبيان   فهلا اكتفي بإظهار
المضاف إليه الذي هو الناس مرة واحدة   لأن عطف البيان للبيان فكان مظنة
للإظهار دون الإضمار من شر الوسواس اسم بمعنى الوسوسة كالزلزال بمعنى الزلزلة وأما
المصدر فوسواس بالكسر كزلزال والمراد به الشيطان سمي بالمصدر كأنه وسوسة في
نفسه لأنها صنعته وشغله الذي هو عاكف عليه أو أريد ذو الوسواس والوسوسة
الصوت الخفي ومنه وسواس الحلي الخناس الذي عادته أن يخنس منسوب إلى الخنوس وهو
التأخر كالعواج والبتات لما روي عن سعيد بن جبير إذا ذكر الإنسان ربه خنس الشيطان
وولى وإذا غفل وسوس إليه الذي يوسوس يجوز في محله الحركات الثلاث فالجر على الصفة
والرفع والنصب على الشتم ويحسن أن يقف القارئ على الخناس ويبتدئ الذي
يوسوس على أحد هذين الوجهين في صدور الناس من الجنة والناس بيان للذي يوسوس
على أن الشيطان ضربان جني وإنسي كما قال شياطين الإنس والجن وعن أبي ذر أنه قال

لرجل هل تعوذت بالله من شياطين الانس ويجوز ان يكون من متعلقا بيوسوس ومعناه ابتداء الغاية اى يوسوس فى صدورهم من جهة الجن ومن جهة الناس وقيل من الجنة والناس بيان للناس وان اسم الناس ينطلق على الجنة واستدلوا بنفر ورجال فى سورة الجن وما احقه لان الجن سموا جنا لاجتنانهم والناس ناسا لظهورهم من الايناس وهو الابصار كما سموا بشرا ولو كان يقع الناس على القبيلين وصح ذلك وثبت لم يكن مناسبا لفصاحة القرآن وبعده من التصنع واجود منه ان يراد بالناس الناسى كقوله يوم يدع الداع وكما قرى من حيث افاض الناس ثم يبين بالجنة والناس لان الثقلين هما النوعان الموصوفان بنسيان حق الله عز وجل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد انزلت على سورتان ما انزل مثلهما وانك لن تقرا سورتين احب ولا ارضى عند الله منهما ويقال للمعوذتين المقشقشتان قال عبد الله الفقير اليه وانا اعوذ بهما وبجميع كلمات الله الكاملة التامة بكنف رحمته الشاملة العامة من كل ما يثلم الدين ويثلم اليقين او يعود فى العاقبة بالندم او يقدح فى الايمان المسوط باللحم والدم واساله بخضوع العنق وخشوع البصر ووضع الخد لجلاله الاعظم الاكبر مستشفعا اليه بنوره الذى تبوا لشيبته فى الاسلام متوسلا بالتوبة الممحصة للآثام وبما عنيت به من مهاجرتى اليه ومجاورتى ومرابطتى بمكة ومصابرتى على تواكل من القوى وتخاذل من الخطى ثم اساله بحق صراطه المستقيم وقرآنه المجيد الكريم وبما لقيت من كدح اليمين وعرق الجبين فى عمل الكتاب الذى عز حقا بفقه المخلص عن مضايق المطلع على غوامضه المثبت فى مداحضه الملخص لنكته ولطائف نظمه المنقر عن فقره وجواهر علمه المكتنز بالفوائد التى لا توجد الا فيه المحيط بما لا يكتنه من بدائع الفاظه ومعانيه مع الايجاز الحاذف للفضول وتجنب المستكره المملول ولو لم يكن فى مضمونه الا ايراد كل شى على قانونه لكفى به ضالة ينشدها محققة الاحبار وجوهرة يتمنى العثور عليها غاصة البحار وبما شرفنى ومجدنى واختصنى بكرامته وتوحدنى فى ارض انقطاعه على يدى فى مهبط بشاراته ونذره ومتنزل آياته وسوره من البلد الامين بين ظهرانى الحرم وبين يدى البيت المحرم حتى وقع التاول حيث وجد التنزيل ان يهب لى خاتمة الخير ويقينى مصارع السوء ويتجاوز عن فرطاتى يوم التناد ولا يفضحنى بها على رؤس الاشهاد ويحلنى دار المقامة من فضله بواسع طوله وسابغ نوله انه الجواد الكريم الرؤف الرحيم ٥

ووقع الفراغ من تحريره بعون الله وتيسيره على يد العبد الغريق فى بحار المعاصى الخائف من يوم يوخذ بالنواصى رسول بن احمد العباسى اصلح الله شانه وصانه عما شانه فى الرابع والعشرين من ربيع الاول سنه ثمان وخمسين وسبعمائة فى الخانقاه الشميساطية رحم الله بانيها ومن شاركه فيها جوار جامع بنى امية داخل محروسة دمشق حميت عن الحدثان ٥